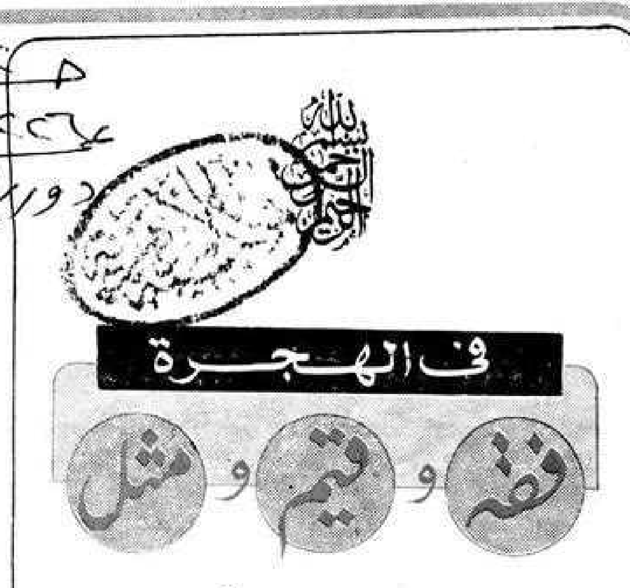


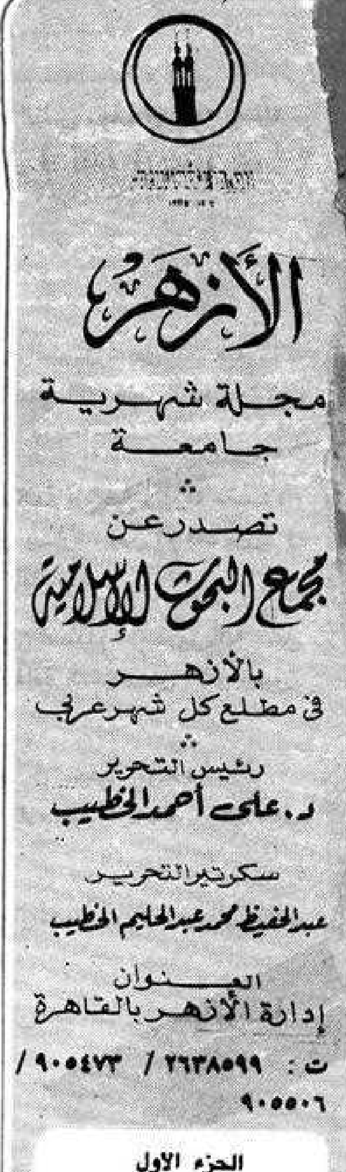
في الهجرة فقه وقيم ومثل

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

لم تكن هجرة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة حدثاً من الاحداث العابرة التى تطوى فى سطور الصحف ، او تطمر فى غمار الأحداث ، ولكنها اكبر واجل واعظم من كل حادثة او حدث ، لانها تمثل تحولاً بالدعوة وتوسعاً فى مجالاتها ، ودعماً لمقوماتها وحركة وفكراً وحياة ، انبعثت تذكى الروح المعنوية لجماهير المسلمين المقيمين فى المدينة ، والذين كانوا يترقبون بزوغ نور الإسلام على يثرب بقدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليها واتخاذها مقراً للدعوة الإسلامية .

كانت الهجرة بداية انطلاق إلى آفاق تتسع فيها الدعوة وتسعى وتنتشر ، وتعم الجزيرة العربية وما حولها ، ولتصبح المدينة قاعدة الدولة والدعوة .

←


الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
الجزء الأول
السنة الثالثة والستون
المحرم ١٤١١ هـ
اغسطس ١٩٩٠ م

في الهجرة فقه وقيم ومثل

في الهجرة برزت أخلاق ومبادىء كما كان فيها أمور خارقة لما اعتاده الناس ، فقد أيد الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - في هجرته بجنود لم يبصرهم الناس كما قال في كتابه في سورة التوبة :
﴿ .. فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا .. ﴾

قيم برزت بالهجرة :

وكان في الهجرة تلك الصداقة الصادقة التي تخلت عن المال والأهل والولد في سبيل الصحبة ، تلك هي صداقة وصحبة أبي بكر - رضي الله عنه - وفداؤه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وترتيب وتدبير أمر الرحلة المباركة وعمالها من أولاد أبي بكر وعماله .

كانت كل تحركات أبي بكر حال رحلة الهجرة تشير إلى حرصه على سلامة صاحبه وبلوغه مقصده ، فهو يرتاد الطريق ويمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، ومن ثم فقد برزت في الهجرة قيم الإيمان العميق بمبادىء الحق والعدل والخير والوفاء النادر .

وذلك كله سمو في الخلق الإنساني وبعث للثقة في قدرة الإنسان - متى استقام على طريق الله - على النهوض بالأعباء التي أناطها الله به حين استخلف في الأرض ، وهي إقامة الدين الحق الذي يصون الأمن ويشيع الإخاء والمودة .

فقه التجربة برز ظاهراً واضحاً في تحديد المهام لكل المعاونين في نجاح الهجرة .

ومن فقه الهجرة جواز الاستعانة بغير المسلم فيما يحسنه مما يلزم المسلمين فقد اختير دليل الرحلة خبيراً يعرف دروب الصحراء . وكان غير مسلم .

بهذه الهجرة نشأت الدولة بعد أن أقيم المسجد وعقدت المعاهدات وتوالت التشريعات وتوالى النصر والانتصارات حتى دخلت الجزيرة كلها في دين الله .

كان الإسلام دعوة ودولة ولحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - برحاب الله - راضياً مرضياً .

التاريخ للدولة :

وكان لابد لهذه الدولة من سمة وتاريخ ولم يكن للمسلمين ثمت قرار باتخاذ حدث معين يعتبر تاريخاً للدولة .

فقد نقلت كتب التاريخ ، أن التأريخ جرى على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببدء بعثته بهذا الدين ، حتى كانت إمارة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد كتب أبو موسى الأشعري إليه : أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ فلا ندري على أيها نعمل ..

وروى ميمون بن مهران قال : رفع إلى أمير المؤمنين عمر صَكٌّ محله شعبان فقال : أى الشعابين هو ؟ الذى مضى أو الذى نحن فيه أم الآتى ؟

وقال قرة بن خالد : كان عند عمر عامل جاء من اليمن فقال لعمر : أما تؤرخون ؟ إنى رأيت باليمن شيئاً يسمونه التاريخ ، يكتبون من عام كذا وشهر كذا .
فقال عمر : إن هذا لحسن فأرخوا ..

وفى رواية أخرى أنه جمع وجوه الصحابة فقال :
إن الأموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت (أى مؤرخ) فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك ؟
فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم .

فقيل : إنه يطول وإنهم يكتبون من عند ذى القرنين . فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
ثم قالوا : من عند وفاته .
ثم قالوا : من مولده .

وقال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه : منذ خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يعنى يوم هاجر .

فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة .

وقد كانت هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة إلى المدينة فى ربيع الأول .
فقال : بأى شهر نبدأ فنصيره أول السنة ؟

فقالوا : رجب فإن أهل الجاهلية كانوا يعظمونه .
وقال آخرون : شهر رمضان .

وآخرون قالوا : شهر ذى الحجة . لأن فيه الحج . وآخرون قالوا : الشهر الذى خرج فيه مهاجراً .
وآخرون قالوا : من الشهر الذى قدم فيه المدينة ، وقد كانت الهجرة فى شهر ربيع الأول .
فقال عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أرخوا من المحرم أول السنة وهو شهر حرام وأول الشهور فى العدة وهو منصرف الناس من الحج . فلما عزموا على تأسيس التاريخ الهجرى حسبما اقترح عثمان . رجعوا ثمانية وستين يوماً ، وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة ، ثم أحصوا من أول يوم فى المحرم إلى آخر عمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان عشر سنين وشهرين ، وأما إذا حسب عمره من شهر الهجرة الحقيقية (ربيع الأول) فيكون قد عاش فى المدينة تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً .

وعمر ـ رضى الله عنه ـ بهذا : هو واضع التاريخ الهجرى ومؤصله ولم يكن هذا التاريخ على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فى الهجرة فقه وقيم ومثل

وهذا يدلنا على أن أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدروا آثر الهجرة وما تلاها من نصر الإسلام ، وانتشاره ، ودخول الناس فى دين الله أفواجاً ، فكانت بحق دنيا وحياة ودولة ولم تكن حدثاً من الأحداث وإنما كانت نصراً من الله : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وبعـــد :

اليست الهجرة حَرِيَّةً بأن تكون ظاهرة بارزة وتكون تأريخاً للمسلمين يتوجون بها أيامهم وتاريخهم . بلى .

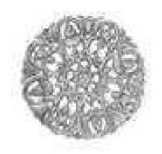
ثم اليس فى هذا التاريخ حجة على أولئك الذين يصمون كل أمر لم يكن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بأنه بدعة ؟

ثم اليس عمر هو الذى جمع الناس على صلاة التراويح عشرين ركعة حين رأى إقبال الناس على صلاتها جماعة ؟ قال : نعمت البدعة .

ثم اليس عمر هو الذى فرض الخراج على أرض العراق وغيرها مما فتح عنوة ، وهو الذى دون الدواوين ؟

فخذوا أيها المسلمون من الهجرة والتأريخ بها فقها وقيماً ومثلاً عليا فى فضل الصحبة والإخاء والفداء من الصغار والكبار ، خذوا منها فكر الإسلام وثقافته ولا تعدلوا عنه فتضلوا وتهلكوا ، واتخذوا القرآن إماماً ، والسنة شرعة ، ومنهاجاً ، فهما الطريق المستقيم ..

شيـخ الأزهـــر
جاد الحق على جاد الحق



---

(١) سورة التوبة - الآية ٤٠ .



د/ على أحمد الخطيب

بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

فهذه كلمة فى « الزهد » عن مطالعات ، وليست عن ممارسة ، وارجو ان اكون يوما من الزاهدين .

قال - عليه الصلاة والسلام :

« عَرَض عليّ ربى ليجعل لى بطحاء(1) مكة ذهبا . قلت : لا ، يارب ، ولكن اشبع يوما واجوع يوما(2) ... فإذا جعتُ تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعتُ شكرتك وحمدتك »(3) .

فالله - تعالى - القادر ، المُجيبُ رغبةَ رسولِهِ - صلى الله عليه وسلم - هو الذى يعرض عليه أن يجعل له ما اتسع من بطحاء مكة ذهبا خالصا .

ومحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قادر فى هذا المقام ان يقول : نعم ، يارب ، فيسيل الذهب من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله .

لكنه - عليه الصلاة والسلام - يترك جبلا من ذهب ابتغاء وجه الله .

أليس هو سيد الزاهدين . صلى الله عليه وسلم !؟

ومن هنا أشرقت المعرفة فى نفس أبى داود الطائى فقال : « إنما الزاهد من قَدَرَ فتَرَكَ » ، وهنا قَدَرَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وتَرَكَ .

فأما من لا يملك فليس من الزاهدين ، فإن ادّعى الزهد قلنا له : إن الله - تعالى - « يَكْرَهُ زُهدَ الْخصِيّ »(4) فلا زهد عن « حِرْمان » .

---

(1) البطحاء والأبطح والبطيحة : المكان المتسع يَمُرُّ به السيلُ فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ، ومنه بطحاء مكة .

(2) قال ثلاثا .

(3) صحيح الترمذى ٥٧٥/٤ طبعة اولى مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٢ .

(4) كناية عن فاقد الشىء يتظاهر بالزهد فيما يستدعيه .

زهد سيد الزاهدين صلى الله عليه وسلم

ولا زهد أيضاً عن « إشباع » فإنِ امْرُؤٌ ضاق بما أَشْبَعَ نفسَهُ منه غاية الشِّبَعِ فإنما ضاق عن « مَلَلٍ » لا عن « زهد » .

والزاهد يترك « حقا » فأما من ترك ماليس له ، وعَفَّ عن الحرام فإنما أَمْرُهُ « نزاهة » وليس « زهداً » .

والزاهد إنما يترك من أجل « الله » ليكون ما يتركه إشباعا لذى حاجة من يتيم أو بائس أو مسكين ، وليس يتركه لظالم ، فمن تخلى عن « حقه » لظالم طواعية فليس بزاهد ، بل « تاجر » يريد أكثر مما ترك ،أو « معين » على الظلم ، وشِرْعةُ العزيز الجليل ترفضُ الظلمَ والعونَ عليه ، أو « مُكْرَهٌ » مغلوب على أمره لم يَرْكَنْ - كَسَابِقَيْهِ - إلى ظالم .

ألا لعنة الله على الظالمين .

ثم ازْهَدْ - إذا زَهِدتَ - في نفسك : فالزهد مذهب شخصي ليس لك أن تحمل عليه عِيالَك فتدفع بهم إلى سوء لا يعلم إلا الله - سبحانه - مدى شرّه ، ولا تنس قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الله - عز وجل - يحب العبدَ التقى الْغَنىَّ الْخَفِىَّ »(٥) .

والزهد لا يعارض أوامر هذا الدِّينِ الجليل ، فَلْيَكْثُر المالُ بين يديك ، وَأَوْفِ الله - تعالى - حقه ، وارزق منه أهلَك وولَدَك في غير مَخِيلَةٍ ولا إسراف ، وَهَبِ البائس واليتيم وذا الحاجة ، فإنما الخوف على المكثرين أموالَهم الذين يمنعون حق الله ، وحق الناس وذوى الحاجة .

قال أبو ذر - رضى الله - تعالى عنه :

« كنت أمشى مع النبى - صلى الله عليه وسلم - في حَرَّةِ(٦) المدينة فاستقبلنا أُحُد فقال - عليه الصلاة والسلام : يا أبا ذرّ .

قلت : لبيك يارسول الله .

قال : ما يَسُرُّنى أن عندى مثلَ أُحُدٍ هذا ذَهَبًا تمضى علىّ ثالثة وعندى منه دينار - إلا شيئا أرصده لِدَيْنٍ - إلا أن أقول به في عباد الله : « هكذا وهكذا وهكذا » عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، ثم مشى ثم قال : إن الأكثرين هم المُقِلُّون يوم القيامة(٧) .

يريد - عليه الصلاة والسلام : أنه لايُبْقى من هذا الذهب المماثل وزنُهُ أُحُداً شيئا منه ، بل يسرع - على مدى ثلاث ليال في توزيعه على ذوى الحاجة في كل مكان حتى لا يكون لديه منه شىء إلا شيئا يَسُدّ دَيْناً ، وإنه لَيَسِيرٌ يسير يسير إن كان .

قال ابن عباس - رضوان الله عليهما : « فمات - صلى الله عليه وسلم - وما ترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا لِيدة(٨) ، وترك درعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير »(٩) .

---

(٥) رواه مسلم ، وأحمد واللفظ لأحمد - المسند ١٦٨/١ ط أولى الميمنية .

(٦) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود التي أحرقت ، وبعضها تخلف عن البراكين .

(٧) صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم : ما يسرني أن عندي - الحديث .

(٨) الوليدة : الأمة ، يريد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يترك لنفسه مملوكة ، بل أعتقها .

(٩) مسند أحمد ٣٠٠/١ الميمنية .

مع الإمام الأكبر

عيد الأضحى المبارك

الإمام الأكبر في حديث هام آخر ساعة

الزكاة في أموال صندوق موظفي ماليزيا

الزكاة في أموال الفائض المودعة في البنوك وشهادات الاستثمار



لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

• هذا يوم عيد الأضحى المبارك ، نحتفل به عيداً للمسلمين ، يعقب يوم الحج الأكبر ، حيث كان حجاج بيت الله الحرام ، وقوفاً بالأمس على عرفات يكبرون ويهللون ، خاشعين خاضعين لله رب العالمين ، يسألونه من فضله ، كلهم على صعيد واحد ، لا فرق بين غنى وفقير ، وصحيح وسقيم ، ذابت من بينهم الفوارق ، وارتفعت الحواجز ، قد تجردوا مما اعتادوه من لباس وزينة ، يربطهم الإسلام بروابطه الوثيقة ، تلك الروابط التى لا تتصل بالدم ، ولا تقوم على علاقة النسب ، وإنما تجتمع على المثل الفاضلة التى صاغهم عليها الإسلام .

• تلك المثل التى تصور المستوى الرفيع للإنسانية ، ونحن ـ المسلمين ـ إذ نحتفل بيوم عيد الأضحى ، إنما نحيى به فى نفوسنا الروابط الإنسانية التى جمعت بين المسلمين فى الأساس وفى الغاية ..

• هذا العيد إعلان وتعبير عن الشعور النفسى بالفرح والسرور بموسم شرعه الله للمسلمين رباطا للأخوة المشتركة ، فها نحن نشارك أولئك الذين وفقهم الله لأداء فريضة الحج فى سرورهم بإتمام نعمتهم التى حازوها فضلاً من الله ورحمة وسروراً بما شملهم الله به من قبول التوبة .

• وسنة الإسلام فى أعياده التى شرعها أن يتيح للمسلمين توثيق الصلات الإنسانية وتعميق الأخوة الإسلامية بالتزاور والتهانى والتصافح والتسامح واظهار الفرح والسرور وإباحة ممارسة اللهو غير الضار وغير المفسد ، فإن القلوب إذا ملّت كلّت ، فكان العيد ترويحاً وفسحة فى نطاق ما أباح الله من الطيبات .

• روى أنس قال : قدم النبى ـ ﷺ ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : « ماهذان اليومان ؟ » « قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية » فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الله أبدلكم بهما عيدى الفطر والأضحى » ..

* إن عيد الأضحى : يعقب المؤتمر السنوى العام للمسلمين ، حيث كان التقاء الحجاج التقاء الأخوة في الله ، لا يحملون حقداً بسبب الدنيا ومافيها من شواغل ، .. ولا يتعالى أحد على آخر بسبب مال أو جاه ، كان لقاء الإيمان بالله وفي سبيل الله ومسارعة إلى رضوان الله بأداء فريضة الحج ، فكانوا في الخير وللخير .. لأنفسهم ولأمتهم ..

* إن هذا العيد من مراسم الحج الذي يتحقق بالانتقال من مكان إلى مكان ، ومن ذكرى إلى ذكرى..

* ابتدأت هذه العبادة بطواف القدوم حول الكعبة : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ وسعياً بين الصفا والمروة .. : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .. ثم الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة ثم الإفاضة من عرفة إلى المشعر الحرام ، وهو المزدلفة يوم العيد أو يوم النحر ، ثم رمى الجمار أيام التشريق الثلاثة بعده ، ثم الطواف بالكعبة .. هذه العبادة تهدف إلى صفاء النفوس وتزكيتها .. وإلى تهيئة جو قدسى تتصل فيه النفوس بجلال الله سبحانه ، وتعلن فيه راضية مرضية هاتفة : « لبيك اللهم لبيك .. » استجابة لأمره مهتدية بهديه ، متخلية عن فتنة الدنيا وزينتها .. متحلية بوقار الإيمان وجلال الإخلاص لله وحده ..

* سيذكر المسلمون حين وقفوا على عرفات ونحن نذكر معهم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد أوفد على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ وقد كان أميراً على الحج في العام التاسع من الهجرة برسالة تلاها على الناس جميعاً ، وكان فيهم المسلم وغير المسلم قال على ـ رضى الله عنه ـ في هذا الموقف ، إنى رسول رسول الله إليكم جميعاً : فقالوا : بماذا ؟ فتلا عليهم أوائل سورة التوبة ثم قال : أمرت بتبليغ أربع : لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان من المشركين له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته .

* وفي العام العاشر حج الرسول ـ ﷺ ـ وخطب الناس على عرفات خطبة اشتهرت وذاعت .. أرسى فيها الحقوق وحدد الواجبات ، وأعلن ـ قبل أن يعلن الناس ـ أن للإنسان حقوقاً وله التكريم ، أعلن المواساة والمساواة بين الناس جميعاً ، وألا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن المؤمنين إخوة ، ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس ..

* نذكر اليوم موقف رسول الله ـ ﷺ ـ ونصحه للأمة وإبلاغه الرسالة ونذكر كلماته ونتخذها لنا دستوراً وإماما ..

* ونشكر الله سبحانه أن وجه قلوب بعض قادة الأمة الإسلامية إلى المبادرة إلى مواساة الشعب الإيرانى المسلم في محنة الزلزال الذى تهدمت به القرى والمدن وهلكت الأموال والأقوات وابتلعت الأرض الكثير من الممتلكات واستشهد الآلاف من الناس رجالاً ونساء وأطفالاً ، فاللهم رحمتك ، وإن عصينا فإنك أنت الغفور الرحيم .

* وإن تقدير من بادروا إلى هذه المواساة وتجاوزوا الواقع من الخلافات مع إيران لأمر يستحق الذكر والإشادة ، لأنه من أخلاق الإسلام ، وهو تطبيق عملى لقول الرسول ﷺ الذى شبه فيه المسلمين جميعاً في توادهم وتراحمهم بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

* إن من الواجب أن نذكر الزعماء : محمد حسنى مبارك ، وصدام حسين ، وخادم الحرمين بالشكر والتقدير لما سارعوا إليه من نجدة إيران بالإمدادات التى تعين على إيواء المشردين بالزلزال والمرضى والجوعى ..

عيد الأضحى

* ويدعو الأزهر الشريف سائر هيئات الإغاثة الإسلامية والعالمية إلى المبادرة إلى نجدة المنكوبين وإلى المشاركة فى إعمار ما تخرب من قرى ومدن وزرع وصناعة ، ويستحث الأزهر الشريف سائر الزعماء المسلمين أن يقودوا شعوبهم إلى تقديم المزيد من احتياجات الإغاثة والإعمار ..

* ثم علينا أن ننظر إلى ما عليه حال الأمة الإسلامية من استكانة فى مواجهة أحداث العصر التى تزحف إلى أرضهم ومقدساتهم ، فهذا التهجير الذى استهدف مزاحمة الفلسطينيين فى ديارهم ، وإزاحتهم من وطنهم وإنه لأمر خطير أن تتكاتف الصهيونية مع الشيوعية والاشتراكية وغيرهما مما ظهر من مذاهب فى هذا العصر .. خطير أن يتحالف كل هؤلاء ضد العرب والمسلمين وأن يتغافلوا عما يتنادون به من حقوق الإنسان ، وحق تقرير المصير وأن يتجاهلوا العدل الذى تغياه الناس فى التعامل ، دون أن يأخذ المسلمون حذرهم .

* إن هذا الذى يحدث فى فلسطين وفى أفغانستان ، وفى غيرهما من بلاد المسلمين أمر ينبغى أن يشد انتباه الشعوب الإسلامية حكاماً ومحكومين فيقابلوا هذا العدوان المتعمد بما يناسبه من إعداد ومن استعداد حتى لا تفاجأ الأمة الإسلامية بالأمر الواقع الذى تفرضه الصهيونية ومن يظاهرونها على استلاب الأرض وزرع الفتن والخلافات بين شعوب المسلمين .

* وإن من حق المسلمين على أنفسهم أن يتعرفوا من هم الأصدقاء لقضاياهم ومن هم الذين يتظاهرون بالصداقة والمودة وتعلن أفعالهم أنهم على غير ما تظاهروا به . فالصديق من صدقك وأكدت أفعاله أقواله ، ولابد لاستظهار الواقع من المكاشفة حفاظاً على سلام الأمة وسلامتها .

* ونحن نستقبل اليوم ـ عيد الأضحى المبارك ـ نتذاكر أنه عيد التضحية بالأهواء والشهوات ، لتكون الأمة صفا واحداً بل وجسداً واحداً ، كما جاء فى قول رسول الله ـ ﷺ ـ حتى تواجه الأخطار التى ضد أحاطت بها والمؤامرات التى تحاك أمنها وسلامتها بما يناسب حجمها وخطورتها .

* ولتواجه الأمة الإسلامية ـ حكاماً ومحكومين ـ هذه الأخطار بالثبات والعزم والإعداد والاستعداد وبتقدير الخطى والبعد عن التهور والاندفاع مع الاستعانة بالله والتوكل عليه : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ .

بل : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ..

* فى يوم عيد الأضحى المبارك ـ باسم الأزهر الشريف :

** أهنىء الشعوب الإسلامية .. وأصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء بهذا العيد .. وأدعو الله أن يجمع الأمة : حكاما ومحكومين ـ على ما فيه صلاح أمرها وحماية مقدساتها وأرضها ، وعرضها فى كل مكان ، وأن يرفع من قدر الأمة الإسلامية وقدرتها على أن تجتاز محنتها ..

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

الإمام الأكبر

في حديث هام

لمجلة آخر ساعة

حديث مع فضيلة الإمام الأكبر
أجراه حسن علام

- ليس الدين هدفا حزبيا ، والمسلمون جميعا مطالبون بأن يكونوا حزب الاسلام
- أطالب بعقوبة علنية للعابثين بأمن الحرم
- المؤسسات الدينية لم تقصر في مواجهة الفكر المتطرف

اكد فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر في حديثه « لآخر ساعة » :
أن المغفرة هى اكبر وسام من الله لحجاج بيت الله الحرام .
وَبَيَّنَ المعانى السامية التى تحف مناسك الحج ، وفلسفة الاحتفال بعيد الأضحى المبارك ، وسر تحديد ايامه باربعة ، والدروس المستفادة من قصة الفداء العظيم .
ونادى فضيلته باستثمار موسم الحج لدراسة احوال المسلمين ومشاكلهم في هذا التجمع الإسلامى المهيب ، وطالب بمحاكمة « علانية » لكل العابثين بامن الحرم والحجاج ، ليكونوا عبرة لغيرهم !

وتطرق حديث شيخ الأزهر لعدد من القضايا السياسية والإسلامية الهامة ومنها : انه يرفض إنشاء حزب دينى في مصر واسباب ذلك .. وكيفية مواجهة التطرف .
كما كشف شيخ الازهر عن موقف الإسلام من « العلمانية » وافكارها .
وهل تعتبر في خندق المذاهب المنحرفة كالباطنية والاسماعيلية والبهائية والماسونية ؟

لقد أجاب فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عن كل التساؤلات التى طرحتها « آخر ساعة » ..

● ما فلسفة الاحتفال بعيد الأضحى ؟ . ولماذا تحددت ايامه باربعة ؟ .
وما الدروس المستفادة من قصة الفداء العظيم ؟

يقول الإمام الأكبر :
ـ لعل كلمة فلسفة تبحث عن الحكمة أو العلة « للحدث » ، وتحديد العيدين للمسلمين جاء في الحديث المروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) .. أنه حين هاجر إلى المدينة وجد أهلها يلعبون في يومين .. بالتعبير المعاصر لهم « اجازة » في يومين ، فقال : ما هذا ؟ .. قالوا : هذان يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال : إن الله ابدلكم بهما عيدى ; الفطر والأضحى ..
إذن عيد الأضحى مشروع بعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .. هذا من ناحية الأساس التشريعي للاحتفال بعيد الأضحى ، وهو أحد الأيام التى أقسم الله بها (سبحانه وتعالى) في قوله : ﴿ وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ، لأن جمهور المفسرين اجمعوا على أن هذه الليالي العشر هى العشرة أيام الأولى من ذى الحجة ، ثم اليوم العاشر من ذى الحجة يعقب يوم الحج الأكبر ، وهو اليوم الذى يبدأ فيه بعد الوقوف بعرفة ، رمى الجمار ، والطواف والسعى وغيرها من المناسك ، والأيام التالية هى أيام انتماء أيضا وهى مناسك للحج ومن هنا كانت أيام العيد أربعة أيام !

التسمية وحكمة التشريع

وعيد الأضحى بالذات يحمل معنى التضحية والفداء ، فهو امتثال لما كان من إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ، حين رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده إسماعيل ، وهى رؤيا من نبى وبالتالى فهى حق ، فامتثل لها وخرج مع ابنه ليتم هذا الأمر : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

فسنة الأضحية جاءت اتباعا لفدية إسماعيل فهذا الذبح سنة عن الله سبحانه وتعالى ، استنها لنبيه إبراهيم واتخذها المسلمون شعاراً ليوم عيد الأضحى المبارك فصارت الأضحية سنة أيضاً لفعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث روى أنه ضحى بكبشين أملحين وقال ـ عند ذبح أحدهما : « اللهم إن هذا عن محمد وآل محمد ، وقال ـ عند ذبح الآخر : اللهم إن هذا عن أمة محمد ممن شهد لك بالتوحيد ولى بالبلاغ » ، وبهذا نكون قد وقفنا عند الحكمة من تسمية العيد « بالأضحى » ، وعند حكمة تشريعه ..
والدروس المستفادة من قصة الفداء العظيم كثيرة أهمها أن المسلمين يجب أن يضحوا أولا بأهوائهم وشهواتهم في سبيل الكلمة العليا لله ، وفي سبيل إصلاح المجتمع وصلاحه ، وإقامة العدل والمساواة في المجتمع الإسلامي .

التصدى للعابثين بامن الحرم

● ما موقف الإسلام من العابثين بامن البيت الحرام والحجاج ؟

– إن الله حرم مكة وما حولها وجعلها حَرَمًا آمنا ، حرم فيها الجدل والقتال والفحشاء ، وحرم فيها حتى قتل أي حيوان غير مؤذ ، كذلك حرم فيها الخصام والخروج على آداب الإسلام بوجه عام ، ومن هنا من دخل هذا المكان كان آمنا ، فالأمن والامان مفروض لكل الموجودات في مكة ، فالطير والزرع والحشائش والشجر وكل ذلك حرام التعرض له إلا ما كان مؤذيا من الدواب والحشرات ، فلو أن حاجا صاد حماما يعتبر مرتكبا « جناية » ، ويلزم بتعويض هذه الجناية ، فما بالك بمن يقتل إنساناً .. إلخ .

– إن من يرتكب مثل هذه المخالفة في الحرم – سواء كان في ذات المسجد الحرام ، أو في مكة أو في داخل المنطقة الحرام – تكون مضاعفة ، وبالتالى ، فعقابها مضاعف .

السيئة جزاؤها سيئة عند الله ، لكنَّ جزاءَها في الحرم مضاعف ، قال تعالى – في كتابه : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ اشار – سبحانه – إلى ان مجرد (النية) ليرتكب إثما – داخل الحرم ، ولو لم يفعله – يعذب عذاباً اليما ، مع أن (نية) الإثم خارج الحرم دون فعله لا عقاب عليها، كذلك يضاعف العقاب على من يرتكب إثما ..

● معنى ذلك ان التصدى من جانب السلطات السعودية لكل من يحاول العبث بامن الحرم او ترويع الحجاج واجب ؟

قال الإمام الاكبر :

– نعم .. هذا أمر واجب .. لكن خلاف الفقهاء : هل من يرتكب جريمة في الحرم يقتص منه ويعاقب داخل الحرم ؟ .. أو ينتظر حتى يخرج من الحرم ويعاقب ؟

ولكن الذى اميل إليه ان من اخل بأمن الحرم ينبغى أن يجرى عقابه « علانية » حتى يرتدع غيره !

● كيف يمكن استثمار تجمع هذا الكم الغفير من الحجاج على عرفات ليكون مؤتمرا عاما للمسلمين يناقشون فيه مشاكلهم المختلفة ، بدلا من قصر الحج على تادية المناسك فقط ؟

– إن الله فرض الحج مرة واحدة في العمر على المسلم والمسلمة ، ودعا المسلمين جميعاً للحج تلبية لما أمر به إبراهيم (عليه السلام) في قول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ ، كما جاء في القرآن : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، ومن هنا فإن اجتماع المسلمين في موسم الحج ووقوفهم جميعاً على عرفات في اليوم التاسع من (ذى الحجة) يمثل اجتماعا هاماً وجمعاً عظيماً للمسلمين من شتى شعوبهم على اختلاف السنتهم والوانهم ومواقعهم ، وهذا ولا شك يكون مناسبة عظيمة القدر ، جلية الفائدة ، لو أن المسلمين استثمروا هذا الجمع الحاشد الكبير للتعرف على احوال الشعوب الإسلامية ومواجهة الأحداث التي تحيط بهم بخطة مشتركة ، ويتعارفون في نفس الوقت خلال

الإمام الأكبر في حديث هام لآخر ساعة

هذا المؤتمر على كل نواحي القصور في إبلاغ الرسالة والتعاون والتعاطف بينهم ، وهو اجتماع ينبغي أن يكون لفحص المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تعوق تقدم الأمة الإسلامية ونهضتها ، والأمر في حد ذاته يحتاج إلى تنظيم فلابد أن يكون لهذه الوفود قياداتٌ تلتقى وتنظم وتعلن على الناس ما انتهت إليه من قرارات أو توصيات يلتزم بها الجميع ، أما أن يذهب الناس لتأدية الفريضة فقط دون أن يستفاد بهذا اللقاء الخطير الذى توافد عليه الناس طواعية لا كرها طلبا لرحمة الله ... لرضوانه وثوابه ، فلابد من استثمار موسم الحج في صالح الإسلام والمسلمين ..

● **بماذا تفسر إحجام الإيرانيين عن تادية فريضة الحج هذا العام باعدادهم المعتادة كل علم ؟**

ـ أعتقد أن للحجاج الإيرانيين ظروفاً خاصة نتيجة تلك الخلافات التي وقعت سياسيا من الحكومة الإيرانية بعدم رضوخها للقرارات التى اتخذها وزراء خارجية المؤتمر الإسلامي بتحديد عدد الحجاج بنسبة عدد السكان في كل دولة ابتغاء أن يكون العدد بقدر سعة الأماكن التى تؤدى فيها المناسك ، وهذه مصلحة جماعية للمسلمين ما كان ينبغى أن يخرج عليها أحد ..

ارتفاع تكاليف الحج

● **كثير من المسلمين تمنوا الحج هذا العام ، ولكن تكاليف الحج الباهظة التى تتزايد عاماً بعد علم منعتهم من تادية الفريضة .. فهل يثابون على نيتهم ؟**

ـ الاستطاعة نسبية متغيرة من وقت إلى آخر : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، فمتى كان المسلم لا يجد نفقات الحج زائدة عن حاجة أسرته الأساسية ولم يكن مدينا ولا تنطبق عليه الشروط الواجبة لا يجب عليه الحج ، ولكن « النية » في الحج يثاب عليها !

● **وهنك البخيل الذي يملك نفقات الحج ، ولكنه لا يؤدى الفريضة ؟**

ـ إذا توافرت شروط الحج مع القدرة المالية للمسلم ولم يحج ، لا شك انه يكون أثما ومرتكبا كبيرة من الكبائر هى ترك أداء فريضة من الفرائض الأساسية في الإسلام ، وإذا كان قد تركها جحوداً لها فلا شك أنه يكون بهذا خارجا عن الإسلام ، وإذا تركها إهمالا وكسلا وتقصيرا فهو عاص .. نسأل الله له التوبة والهداية والمغفرة .

● **وموقف من يكرر الحج كل عام ؟**

ـ تكرار الحج أو الحج اكثر من مرة ، لا عيب فيه ولا ضرر مادام قادراً لأن الحج في العمر مرة ، فإذا زاد من الطاعة فلا يمنع من ذلك إلا إذا كان يضر بغيره ممن لم يحج أو يحجب غيره عنها ، وتلك مسألة

يجب أن يقتنع بها الناس أولا ، فإذا لم يقتنعوا وتزاحم الذين حجوا مع الذين لم يحجوا قبلهم فإن الأولوية لا شك لمن لم يؤد الفريضة !

سألت الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن قضية (وقف تنفيذ الحدود) إذا كانت للمصلحة العامة ، ورويت له هذه القصة مشيراً بحاكم عادل فى هذا العصر :

● فى عام ١٩٦٨ امتدت ايادى بعض الحجاج للسرقة (٢٥ حاجاً) وجرت محاكمتهم بالسعودية وأمر القاضى بقطع أيديهم ، ولكن عند تصديق شهيد الإسلام الملك فيصل على هذا الحكم ، علق عليه بما معناه أن هؤلاء الحجاج أرادوا العودة بهدايا إلى أهليهم فامتدت أيديهم إلى ما لا يخصهم ، فأمر (رحمه الله) بوقف الحد اقتداء بعمر بن الخطاب فى عام (الرمادة) ، وأمر بترحيلهم فورا ولم يسترد منهم المسروقات !

فهل من حق الحاكم إذا رأى من مصلحة الأمة أن يخالف نصا ؟

شيخ الأزهر يجيب بحسم :

ـ ليس من حق الحاكم أن يعطل حكماً من حدود الله لا سيما الحدود التى شرعها الله ، لكن إذا كانت هناك ضرورة لتعطيل الحكم .. اى عدم تنفيذه (كما فعل عمر بن الخطاب فى عام المجاعة) ، فإن ذلك لا يعد تعطيلاً للحكم وإنما يعد تنفيذاً لقاعدة الضرورة التى قال الله عنها : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ .

والحادثة (موضع السؤال) فى تقديرى « الشخصى » لا تدخل فى الضرورة ، وإنما قد تدخل فى « السياسة » ، لأن هناك فرقاً بين تعطيل الحد فى عام (المجاعة) وتعطيل الحد من أجل السرقة لشراء (هدايا) ، فلتذهب الهدايا إلى الجحيم،ولا يعطل حد من حدود الله .

● ● ●

اللقاء يمتد مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، ويطول الحوار الذى جرى بمنزله فى حى « المنيل » .. ويتطرق الحديث إلى قضايا سياسية هامة هى حديث الساعة ، ولا يتردد الشيخ الجليل فى الإجابة عن سؤال واحد مهما كانت حساسيته ..

● ما رايكم فيما نادى به البعض بإنشاء حزب دينى فى مصر ؟

قال شيخ الأزهر :

ـ الأحزاب السياسية بواقعها الحاضر لم تكن معروفة فى صدر الإسلام ، وإن كانت نصوص القرآن والسنة لا تمنع أن يكون هناك اختلاف فى الرأى فى عداد الأمور التى تقع فى المجتمع ، وهذا الاختلاف هو الذى نجعله ـ تجاوزاً ـ مبرراً لقيام الأحزاب !

الأصل أن الأحزاب السياسية تقوم بتنوع المسالك التى يسلكها كل حزب للوصول إلى هدف إصلاحى للمجتمع ، هذا الهدف قد يكون سياسياً أو اقتصاديا أو اجتماعياً ، أو شاملاً لكل هذه الأغراض ، والدين فى ذاته ليس من بين هذه الأغراض حتى يقام من أجله حزب ، لأن الدين يحكم الجميع ، وليس

الدين هدفاً حزبياً ينشا من اجله حزب؛لأن كل المسلمين مطالبون بان يكونوا حزب الإسلام .

● إذن فضيلتك ترفض إنشاء حزب دينى فى مصر ؟

ــ بهذا الهدف .. وبهذا المسمى ايضاً .

● الفكر المتطرف .. كيف يمكن مواجهته فى هذا العصر على ضوء ظروف بلادنا التى نمر بها ، وبصراحة .. هل ادت المؤسسات الدينية فى مصر (بما فيها الأزهر) دورها لتبصير الشباب المتطرف بمفاهيم الإسلام الصحيحة وبالتالى نبذ التطرف ؟

شيخ الازهر يتحدث بصراحة :

ــ إذا عرفنا مصادر الفكر « المتطرف » أمكننا أن نحدد إذا كانت المؤسسات الدينية قد أدت واجبها .. أم لا ؟ .. ما مصادر هذا الفكر ؟ .. هل حُصرت ؟ .. هل ضبطت وأمكن السيطرة عليها إنها أسئلة تحتاج إلى إجابات من الجهات المعنية .

إن القول بأن الجهات المسئولة عن الدعوة قد قصرت أو أهملت فذلك أمر فيه كثير من التجاوز ، فهذه الجهات تقوم بمسئوليتها فى كل الأماكن .. المساجد ، المدارس ، النوادى ، كل المؤسسات الاجتماعية على اختلاف مسمياتها ، حتى فى المؤسسات العقابية أيضاً ، يقوم رجال الدعوة بتأدية واجبهم ، ويتحدثون عن الصحيح فى الإسلام الذى يواجه هذه الأفكار المتطرفة .

لكن حقيقة الأمر أن هؤلاء الذين وُسِمُوا بالتطرف ليسوا من الذين تصل إليهم نصائح رجال الدعوة ؛ لأنهم فى الغالب انعزلوا عن لقاء العلماء ، فالأمر إذن فى حاجة إلى ترتيب اللقاءات بين هؤلاء والعلماء ، وفى حاجة إلى التعرف على مصادر الأفكار التى يعتنقونها ، ومَن أين يتلقونها،ثم دراسة هذه الأفكار ليست بعناوينها العامة ولكن بجزئياتها حتى يمكن للعلماء أن يواجهوا أصحابها بالرأى الصحيح وبالدليل الصحيح ايضاً .

منابع فكر الجماعات

● الإمام الأكبر يتحدث عن « منابع » فكر الجماعات الإسلامية المتطرفة وكانها مجهولة وكل مسلم يتابع الحركة الإسلامية يعرف ان مصادر فكر هؤلاء هما « ابن تيمية » و« ابن قيم الجوزية » .. فلماذا لم يعكف العلماء على دراسة هذا الفكر الذى يستمده هؤلاء المتطرفون ويقومون بالرد عليه .. إذا كان « التشخيص » متوافرا .. فبالتالى العلاج أسهل ؟

قال شيخ الأزهر :

ــ أعتقد أنه إذا كانت المنابع محصورة فى كتب هذين الإمامين فلا تعد مصدر (خطر) إلا لسوء الفهم لما فيها،ذلك أن هذين الإمامين لهما فقه وفكر ، وقد وجدا فى عصر فيه كثير من الفتن والخروج ، وكان من مقتضى هذا الفكر والخروج أن تكون لهذه الظروف (فتاوى خاصة) لا ينبغى أن تتخذ قاعدة فقهية ..

هؤلاء الذين يأخذون من هذه الكتب لا يميزون بين ما هو « وقتى » له ظروفه ، وما هو « أساسى »

مطرد فى الإسلام .. وهذا هو سوء الفهم بعينه بالنسبة لهؤلاء ، الذين يصمون به كل مسلم لمجرد أمر « تافه » بالخروج عن الإسلام ، بل يكفرونه .. إلى آخر « مصطلحاتهم » التى نسمع عنها . ومن هنا كان عليهم أن يستزيدوا علماً لأصول الإسلام وفكره الصحيح المستقى من القرآن والسنة !

واعتقد انهم لو اتبعوا وصايا الله (سبحانه وتعالى) فى كتابه ، ووصايا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا على هدى ، لكنهم (فيما اعتقد) وبما يقال عنهم ضلوا طريق العلم الصحيح ، فالعلم ينبغى ان يؤخذ عن العلماء وليس عن مجرد « متحدث » !

● لماذا حمل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ السيف .. ولم يكتف « بالإقناع » ؟

ـــ هذه دعوى (غير صحيحة) لأن الإسلام والرسالة كانت فى مكة وقد ظل ثلاثة عشر عاماً ينادى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه ويدعوهم للإسلام فما استعمل السيف ، نعم كان المسلمون قلة ، ولكن ايضاً كان فى مكنتهم أن يدافعوا عن انفسهم وان يستثيروا عصبيتهم القبلية ، ولكن لم يلجأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ذلك لأن فى هذا تدميراً لوحدة العرب فى هذا الوقت ، وفتنة كبرى بين قبائل مكة ، فكانت الدعوة فى الواقع دعوة إقناع وليست دعوة إجبار وإكراه ، ثم عندما انتقل بالدعوة إلى المدينة هل بدأ بالسيف ، إن من أسلم من أهل المدينة كان مقتنعاً بالإسلام ، وهو لم يغادر إلى المدينة إلا حين صار فيها قوم مسلمون بايعوه فى مكة على أن يحموا دعوته حماية انفسهم وأولادهم وازواجهم وأموالهم ، فلما صار المجتمع مسلماً كان لابد أن ينشر الدعوة فى جزيرة العرب باعتبارها موطن الرسالة .

هل فاجأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس بالقتال ؟

أم كان يرسل الرسل بالكتب إلى الأمراء والملوك لتبليغ الرسالة ؟

فلما دخل فى الإسلام من دخل ، وكره من كره كان لابد أن يواجه هؤلاء « المكابرين » الذين لم يدخلوا الإسلام ، إكراهاً على الدين لأن القرآن يقول : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ، وإنما هو بما نسميه بمنطقنا اليوم (الحرب الوقائية) ، فلم تكن حرباً لاستلاب أموال ، ولا للاستيلاء على أرض ، ولا إكراه على عقيدة ، وإنما هى وقاية للمجتمع الإسلامى !

انهيار الشيوعية وماذا يعنى ؟

● ظاهرة المد الإسلامى فى بعض الجمهوريات السوفيتية ، وتحليلكم للمتغيرات التى حدثت فى اوروبا الشرقية وانهيار الشيوعية ؟

الإمام الأكبر يقول :

ـــ ما حدث فى أوروبا الشرقية من متغيرات يدل على أن تلك الشعوب لم تكن مقتنعة بما كانت عليه من فكر وعقيدة سياسية واجتماعية فى ظل النظام الشيوعى ، والدليل على ذلك أنه بمجرد أن انطلق الضوء الأخضر ـ كما يقال ـ انتقد النظام وتغيرت الأمور ، وتغير رجال الحكم فى كثير من هذه الدول ، وظهر للشعوب « وقفات » كان لها اثرها فى تغيير الأمور بتلك البلاد ..

وفي روسيا نفسها التي كانت حاكمة لهذه المجموعة الشيوعية بقوتها وقدرتها وأفكارها ومذهبها بدأت الأمور فيها تأخذ وجهاً آخر ، وإن كانت لم تتخل بعد عن الفكر « الماركسي » فلقد أطلقت الحريات قليلاً ولكنها لم تشمل المسلمين بالقدر الكافي . ولا تزال العوائق والحواجز توضع أمامهم نحو التحرك لأخذ موقعهم الطبيعي مثل غيرهم من الشعوب التي تشارك في جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

إن ما أتمناه أن تكون للشعوب الإسلامية في مواقعها الحرية الكاملة في أن تقوم بواجباتها الدينية والإسلامية ، وأن يرخص لها بافتتاح المدارس والمساجد وأن تأخذ سمتها التي تميزها عن غيرها .

لقد سمعنا أن الأمور انطلقت بالنسبة لغير المسلمين وأقصد الجمهوريات التي أعلنت الاستقلال والعودة إلى ذاتها وإن كانت قد أخذ على يديها (كما يقال) ولكن لها صوت عال ولم تذهب إليها « الجيوش » لتخمد صوتها كما فعلوا ببعض الجمهوريات الإسلامية .

المطلوب أن تكون الجمهوريات الإسلامية على قدم المساواة في المطالبة بالحقوق كغيرها من تلك الجمهوريات التي ارتفع صوتها والتي بدأت تجاهر بأن لها شخصياتها وذاتها ..

دعم الانتفاضة وتهويد القدس

● الانتفاضة الفلسطينية .. بعض الدول الإسلامية تتردد في دعمها ماديا على أساس الثراء البالغ للقيادات الفلسطينية ؟

شيخ الأزهر يؤيد تدعيم الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة بكل قوة ، وبغض النظر عن أية اعتبارات أخرى ويقول :

— أعتقد أن دعم الانتفاضة الفلسطينية داخل فلسطين ، بل وأي حركة على أرض الإسلام تبتغي عودة الأرض لأصحابها وتقرير مصيرها أمر واجب على المسلمين بغض النظر عن زعامات أغنياء أدوا دورهم أو العكس ، وعلى المسلمين جميعا أن يبادروا إلى دعم الانتفاضة ، لأن هذه الانتفاضة هي التي أعادت لقضية فلسطين الحياة ، ونفضت عنها التراب ، وأن الموقف الآن جد خطير ، فلم تعد الانتفاضة وحدها هي التي في الميدان وإنما صارت هناك الهجرة اليهودية من كافة أنحاء العالم لاحتلال الأرض وطرد أصحابها ، وهذا ما ينبغي أن يتنبه إليه المسلمون بنظرة جادة لأن الخطر ليس موجها إلى فلسطين فحسب ولكنه موجه إلى كل العرب المسلمين !

● قرار إسرائيل بتهويد « القدس » واعتبارها عاصمة سياسية والعمل المطلوب أمام محاولات « التهويد » الإسرائيلية ؟ .

قال الإمام : نأمل أن تعود القدس عربية إسلامية كما أعادها صلاح الدين بعد حروب استمرت أكثر من مائتي عام ، جند لها الغرب كل إمكانياته في ذلك الوقت من الزمان الطويل ، ومازال يعيد الكرة الآن

ولكن بطرق وأساليب أخرى ، وعلى العرب والمسلمين أن يواجهوا ذلك تماما ، ولعل الأمر الهام الذى يعينهم على ذلك هو وحدة الصف والكلمة والشعور بالمسئولية التى تدفعهم للعمل بقول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ لتستمر المفاوضات ، ولكن لا تبعدهم عن الاستعداد والإعداد فإن التجربة الماضية فى هذه القضية .. واقصد قضية فلسطين .. منذ أن ظهرت ، علمتنا أن التقصير والتردد كان فى الغالب من العرب ، إننا نامل حزما وحسما ونتامل الآية الكريمة : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

استئناف الحوار مع المنظمة

● **موقف الازهر بالنسبة لقرار امريكا الاخير بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ؟**

لقد ايد الأزهر البيان الذى أصدرته رئاسة الجمهورية بشأن قرار الولايات المتحدة الأمريكية وقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ، والحقيقة هو بيان عبر عن شعور المصريين ويتناسق مع دور مصر الإيجابى فى تحريك قضية السلام .

كان واجبا على امريكا

وكان هذا البيان بمثابة وقفة مع الصديق حيث سبق أن تعهدت أمريكا بمتابعة الحوار مع المنظمة . بل وكانت قد بداته فعلا ، والولايات المتحدة سبق لها أن تعهدت بالعمل على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بشأن الأرض المحتلة ، كان مأمولا منها أن تقف بجانب الفلسطينيين والمضطهدين والمعذبين على أرضهم والذين تطردهم القوات الإسرائيلية وتأتى بالمهجرين من يهود الاتحاد السوفيتى وغيره كى يحتلوا الأرض والديار التى يقيم عليها عرب فلسطين ، والمنتظر من الولايات المتحدة أيضا أن تلزم إسرائيل بالقانون الدولى والأعراف الدولية وبأن تكف عن اضطهاد الشعب الفلسطينى ، وأن توقف العدوان على المساجد والكنائس واحتلالها بالقوة ، والكف عن قتل النساء والأطفال والشيوخ دون مراعاة لأى اعتبارات إنسانية .

وعلى أمريكا أن تقارن بين صداقتها لإسرائيل المنتهكة للحقوق الإنسانية وبين صداقتها للشعوب العربية والإسلامية التى تسعى للسلام . وأن تعود إلى الحق والعدل وتعزيز الموقف الفلسطينى فى الحصول على حق تقرير المصير ، وتنفيذ قرارات الجمعية العمومية للمنظمة الدولية وقرارات مجلس الأمن وما انتهى إليه الرأى العام العالمى من شجب لهذا العدوان الإسرائيلى .

إننا نحيى موقف الحكومة المصرية المستمر من قضية السلام فى المنطقة وسعيها الدائم إلى استقرار الأمور واستمرار الامن ودعوتها لجميع الدول فى المنطقة لأن تعيش فى إطار حسن الجوار بدلا من الحروب واضطهاد الفلسطينيين وطردهم من ديارهم وإحلال غرباء على أرضهم ، وعلى المنظمات الدولية بجميع أجهزتها والرأى العام العالمى بكافة منظماته الإقليمية شجب الأعمال الوحشية التى تقوم بها إسرائيل فى الأرض المحتلة .

وقد عبرنا عن الأمل فى إمكان عدول أمريكا عن قرارها الخطير بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لموقع أمريكا فى العالم، وصداقاتها فى العالم العربى والإسرائيلى، ولقد لمسنا، كما قرأ العالم، استجابة أمريكا لجهود مصر بالنسبة لمواصلة مساعى جهود السلام.

معونات مصر والعراق لإيران

● بالنسبة لبشائر استئناف الحوار بين العراق وإيران، وموقف مصر من الزلزال المروع والوقوف إلى جانب الشعب الإيرانى فى محنته وتقديم المساعدات؟

قال فضيلة الإمام: لاشك أنه اتجاه محمود؛ فإن الحرب بين العراق وإيران - وقد استمرت نحو ثمانى سنوات - استنزفت أموال ورجال الدولتين، وشغلت العالم العربى والإسلامى طويلا، وأضعفت من هيبة المسلمين فى العالم وإنهاء هذه الحرب، وإنهاء آثارها بالصلح أمر يجب أن يسارع إليه، ويكون ذلك بإزالة أية عوائق تقف فى سبيل هذا الصلح، وأنها لمبادرة سارة وطيبة أن يسارع الرئيس حسنى مبارك والرئيس صدام حسين وغيرهما من زعماء العرب والمسلمين، إلى مواساة إيران فى نكبتها التى وقعت بسبب الزلزال، وأن يسارع الجميع إلى نجدتها وإغاثتها، لاشك أن ذلك أمر سار ويبشر بالخير، وهذا السلوك هو خلق الإسلام، وإنا لنأمل أن تقوى هذه الروح نموا بين الزعماء المسلمين وأن تظهر آثارها العملية «سياسيا» فى القريب العاجل إن شاء الله.

العلمانية ومبادئها

● العلمانية وما تدعو إليه من مبادىء وأفكار نعرفها جميعا وأهم شعاراتها: لا دين فى السياسة .. ولا سياسة فى الدين، وعزل العبادة عن العمل السياسى .. هل تعتبر بهذا المفهوم سيفا مسلطا على الإسلام .. البعض يضعها فى خندق المذاهب المنحرفة، كالباطنية والإسماعيلية والماسونية .. والبعض الآخر ينسب «العلمانية» إلى العِلْم .. ما رأيكم فى كل هذا؟

يقول الإمام الأكبر:

- العلمانية لا تنتسب إلى «العلم» لأن الإسلام أولا مع العلم ويدعو إليه، والمسلمون «وليس ذلك تشبثا بالماضى» هم الذين نشروا العلم والعلوم .. العلم بمعناه العام لا المقصور على علوم اللغة والشريعة، وعلمهم هو الذى أقيمت عليه هذه الحضارات المادية المعاصرة.

العلمانية هى مفهوم يدعو إلى التخلص من الدين وعزله عن حركة المجتمع، وهذا لاشك مذهب وفكر خاطىء، وهو فكر مادى لا يفترق عن الحضارة الغربية فى شىء، وما فى الحضارة الغربية من فصل بين الدين وبين نظام الحياة، هذا أمر كانت له ظروفه الماضية حين تسلط رجال الدين فى أوروبا على الحكم والحكام وكانت نتيجة تسلطهم هذه «المآسى» الاجتماعية والسياسية التى نعرفها جميعا، أما حركة المسلمين منذ تاريخ الإسلام فلم يحدث فيها شىء من تلك المآسى، وكان الإسلام والحياة متواكبين متعاونين ينظمان حياة المسلمين حين كان المسلمون متمسكين بدينهم ومؤدين لفروضه وأحكامه

وتشريعاته ، فإذا عاد المسلمون إلى هذا الطريق واستمدوا أحكامهم من مصادر الإسلام عادت إليهم سمعتهم وشخصيتهم واختلفوا عن غيرهم ونبذوا أى فكر يخالف أصول الإسلام ، فحين ننظر « مثلا » إلى مبدأ « تنظيم الدولة وإداراتها » لم يكن معروفا لدى المسلمين فى البداية ، لكن حين فتحوا ما حولهم من بلاد .. الروم والفرس وكانتا دولتين لهما حضارة ووجدوا عندهما « نظاما » نقله عمر ، يقال إن عمر دون الدواوين . بمعنى أنشأ الإدارات والاختصاصات ووزع السلطات .

تشديد العقوبة للمدمنين

● بالنسبة لبعض الأخطار الاجتماعية التى تهدد مجتمعنا واهمها « ظاهرة الإدمان » هل تؤيد فضيلتكم تشديد العقوبة على جريمة « التعاطى » حماية للمجتمع من هذا الخطر ؟

قال شيخ الأزهر :

نعم .. واجب أولى الأمر إنزال العقاب الرادع على المتعاملين فى هذه الآفة بكل صور التعامل : زراعة ، صناعة ، تجارة ، الاستعمال ، التهريب ، إن كل من تعامل مع المخدرات أو المشمومات على أى صفة من صفات التعامل يعتبر قد ارتكب كبيرة من الكبائر التى حرمها الإسلام ، بل وندعو كل الناس أن يقدروا خطر المخدرات والمشمومات والمسكرات ، وأن يباعدوا بينها وبين ذات أنفسهم وأهليهم ، وتبليغ المسئولين عن كل من يتعامل معها حتى تبرأ ذمتهم ، وحتى يقوم هؤلاء بواجبهم نحو حماية المجتمع من هذا الخطر الذى يواجه الأمة فى اقتصادها ومستقبلها كله ، وأن نرى بأعيننا الضياع الذى يلحق بهؤلاء المدمنين ، والدمار الذى يحل بأسرهم .. لابد أن نزن مواقفنا ونعيد حساباتنا .

وما يجرى على الخمر من تحريم يجرى على كل ما يفتر من حشيش وأفيون ، وما جد على المجتمع من أنواع « الشم » لأن الهدى النبوى الشريف جمع ذلك كله تحت لواء نهى واحد حيث روى عن « أم سلمة » رضى الله عنها ـ قالت : « نهى رسول الله ﷺ ـ عن كل مسكر ومفتر » ومن هنا كانت المحافظة على العقل واحدة من الضرورات الخمس التى حث الإسلام على المحافظة عليها وصيانتها بل وتنميتها .

فالعقل تنميته بالعلم والتعلم والتفكير والتدبر . فيما تعمر به الحياة ، وجعل الإسلام العقل منارا ونورا للإنسان ، كما جعل إتلافه خطيئة وكبيرة من الكبائر ، وحرم أى شىء يؤدى إلى إتلاف العقل أو فتوره لأن الإقدام على التعاطى أو الشم بمثابة « الانتحار » الذى نهى الله عنه فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ .

● الإمام الأكبر شيخ الأزهر اين يجد نفسه « القاضى » الذى احترف القضاء سنوات طويلة .. ام « رجل دين » تولى الفتوى ومهمة الدعوة فى فترة من الزمن .. أم « السياسى » بحكم منصب شيخ الأزهر ؟

قال الشيخ جاد الحق الإمام الأكبر :

أعتقد أن شيخ الأزهر يستقر فى نفسه الكثير من العمل الذى زاوله مدة طويلة وهو شخصية « قاض » الذى يدرس كل الأمور بتأن ليصل إلى الحق والعدل فى كل ما يعرض عليه ، وهذا لا يفترق عن شخصية « العالم » المسلم فمن صفاته أيضا التأنى والتفكير الطويل فيما هو واجب عليه من إفتاء ونصح ، أما « السياسى » فذاك قدر مشترك بين شيخ الأزهر وغيره من المصريين لأن العمل بالسياسة ليس حقا شخصيا فحسب ، وإنما هو حق للوطن فى أغلب الأمور .

فتويان

لفضيلة الإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

١ الزكاة فى أموال صندوق موظفى ماليزيا

الصندوق : موارده ومصارفه واستثماراته(*)

وحق الموظفين فيه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد .

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب السيد سفير ماليزيا فى القاهرة المؤرخ ١٩٩٠/٥/٧ م ، وفيه :

أن جميع الموظفين بماليزيا يخصم من رواتبهم شهريا ٩٪ تدخر فى صندوق التوفير للموظفين ، وتضيف الحكومة إلى هذه النسبة مثلها لكل موظف ، ويعاد صرف هذه المدخرات إلى اصحابها بعد بلوغهم سن التقاعد وهو ٥٥ سنة ، وان هذه الأموال تتزايد إلى ملايين الدولارات سنويا للعدد الكبير من الموظفين المساهمين فى هذا الصندوق واكثرهم من المسلمين .

واضاف السيد السفير فى معلومات ملحقة ان للموظف صرف مدخراته قبل سن التقاعد :

« ا » فى حالة العجز الكامل عن العمل .

« ب » او عند وفاته حيث تصرف المدخرات لورثته .

« جـ » او عند مغادرته البلاد نهائيا .

« د » او لشراء منزل لإقامته واسرته .

وان تلك المدخرات تستثمر فى مشاريع إنتاجية ويشترك الموظفون المشاركون فى الصندوق والحكومة فى عائد استثمار هذه المدخرات كما تستثمر تلك المدخرات فى الإقراض للمؤسسات والهيئات دون الأفراد وبالفوائد ، ولهذه المدخرات عائد نام ، ويعطى للموظف بعد التقاعد فرصة

(*) العناوين الفرعية من عمل التحرير .

الاختيار فيما إذا كان سيستمر فى الادخار فى الصندوق مع صرف العائد سنويا أو ينهى مشاركته .

مطلوب الفتوى :

وطلب السيد السفير بيان الحكم الشرعى فيما إذا كانت الزكاة واجبة على هذه الأموال المدخرة فى صندوق التوفير للموظفين ؟ وما مقدار هذه الزكاة ؟

وقد كتب فضيلة الإمام جواب ذلك ، مبينا .

الزكاة : معناها وحكمها وشروط وجوبها :

الزكاة تطلق فى الإسلام على الحصة المقدرة من المال التى فرضها الله للمستحقين كما تطلق على نفس إخراج هذه الحصة .

والزكاة فريضة ثابتة قطعا فى ثلاثين موضعا من القرآن الكريم وثابتة بالسنة القولية والعملية فى أحاديث كثيرة وفيرة ، وقد صار هذا معلوما من الدين بالضرورة باعتبارها احد أركان الإسلام الخمسة .

وهى مفروضة :

فى المال النامى المملوك ملكا تاما متى بلغ النصاب المحدد شرعا بمقتضى السنة النبوية .

وكان فائضا عن الحوائج الأصلية لمالكه .

وسالما من الدين .

وأن يمر على ملك هذا المال لصاحبه حَوْلٌ قمرى ، وهذا فى النقود والماشية وعروض التجارة وأشباهها ، اما الزروع والثمار والمعادن والكنوز فلا يشترط فى وجوب الزكاة عليها مرور الحول .

الزكاة واجبة فى مال هذا الصندوق بتوافر شروطها .

ولما كان الظاهر من السؤال أن أموال صندوق التوفير للموظفين فى ماليزيا هو صندوق حكومى تودع فيه النسبة التى تقتطع من مرتب الموظفين مضافا إليها مثلها منحة من الحكومة .

وأن حصيلة أموال الصندوق تستثمر بمعرفة إدارته الحكومية فى المشاريع الإنتاجية وفى الإقراض للمؤسسات والهيئات دون الأفراد ، ومع هذا فليس من حق الموظف سحب مدخراته هذه إلا فى الحالات سالفة الذكر وبهذا الاعتبار صارت حقا له ، وفى حكم الدَّيْنِ القوى كما قال فقهاء المذهب الحنفى،أو المال الذى فى يده كما قال ابوعبيد،وعندئذ تجب فيها الزكاة سنويا متى بلغت مدخرات كل موظف مع منحة الدولة له،والعائد نصابا وتوافرت باقى الشروط المنوه بها فيما سبق .

آراء الأئمة فى زكاة الدين :

ومذهب الإمام مالك انه لا زكاة فى الديون إلا إذا قبضها مالكها .

وعندئذ يزكيها لعام واحد ، وإن بقيت أعواما على ملكه دون قبض ..

←

وفى مذهب الإمام احمد : تجب زكاة الدين إذا كان ثابتا فى ذمة المدين ولو كان مفلسا إلا انه لا يجب إخراج زكاته إلا عند قبضه .

وفى مذهب الإمام الشافعى : تجب زكاة الدين إذا كان ثابتا ، وكان من نوع الدراهم او الدنانير او عروض التجارة سواء كان حالا او مؤجلا ، ولا يجب إخراج زكاة الدين على الدائن إلا عند التمكن من قبضه وعندئذ يجب إخراجها عن الأعوام الماضية .

ما يجب عمله بشأن الصندوق :

لما كان ذلك : وكان المستفاد مما سبق ان تلك المدخرات فى ذلك الصندوق تحت يد الحكومة الماليزية ، والحقوق فيه للمشاركين من الموظفين مضمونه ـ كانت حصة كل موظف كدين قوى مضمون اداؤه فى اجل معين هو بلوغ سن التقاعد ، او عند وفاة صاحبه ويستحقه ورثته ، او فى الحالات الأخرى الطارئة سالفة الإشارة ، وكانت اقوال فقهاء المذاهب الأربعة على هذا الوجه فى شان زكاة الدين وكان فقه المذهب الحنفى يقول : بإخراج الزكاة على الدين القوى المضمون وهذا اصلح للفقراء ومستحقى الزكاة الآخرين المحددين وصفا فى القرآن الكريم فى سورة التوبة(١) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ ﴾ .

من ثَمَّ : اميل إلى الفتوى فى هذه الواقعة بوجوب الزكاة فى هذه الأموال اصلا وعائدا ومنحة الحكومة لكل موظف على حدة متى بلغ استحقاقه نصابا وهو ما يساوى ٨٥ جراما من الذهب بالعملة المحلية بالسعر السائد وقت وجوب إخراج الزكاة بمضى الحول . ومع تحقق باقى الشروط الأخرى المنوه عنها فيما سبق ، ويجب إخراجها سنويا فى ميقات حولان الحول لكل موظف حتى لا تتراكم الزكوات دينا على هذه الأموال ، ويتعطل انتفاع مستحقى الزكاة بها وامتثالا لقول الله سبحانه فى شان المزروعات فى سورة الانعام(٢) ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ .

ويكون الصندوق مسئولا عن إخراج الزكوات فى المواعيد الحولية لكل موظف بتوكيل يحرره الموظفون لإدارة البنك فى شان إخراج الزكاة .

هذا : وباعتبار ان هذه المدخرات نقود او فى حكمها ، فتخرج الزكاة منها بواقع ٢,٥٪ اى ربع العشر وفقا لما ورد تقديره فى السنة النبوية .

والله سبحانه وتعالى اعلم .

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

---

(١) الآية : ٦٠ (٢) من الآية : ١٤١

(٢) الزكاة فى أموال اليتيم المودعة فى البنوك وشهادات الاستثمار

الاستفتاء :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعــد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب المواطن السيد / م . ا . ص بالاسكندرية المؤرخ ٤ من شوال ١٤١٠ هـ .. ٢٩/٤/١٩٩٠ وقد جاء به :

انه الولى الشرعى على حفيده القاصر الذى فقد والديه ، وان لهذا القاصر الأموال التالية :

١٨٥٠ جنيهاً مبلغ مودع بحساب للقاصر فى بنك مصر بفائدة قدرها ٦٪ سنوياً .

١٠٠٥٠ جنيهاً قيمة إحدى عشرة شهادة استثمار البنك الأهلى « أ » ذات القيمة المتزايدة وليس لها عائد، وإنما تصرف قيمتها بعد عشر سنوات ٤٨٢٤٠ جم بواقع ٤٨٠٪ .

١٠٠٠ جنيه قيمة شهادتى استثمار البنك الأهلى « ب » ذات العائد السنوى بفائدة ١٦,٢٥٪ وذلك عن حول كامل من اول المحرم سنة ١٤١٠هـ لآخر ذى الحجة ١٤١٠ هـ .

وطلب الإفادة عن حكم تادية الزكاة المفروضة عن تلك الأموال المملوكة لحفيده القاصر ، كل على حدة لاختلاف نوعها ..

اجاب فضيلة الإمام مبيناً ابتداء :

معنى الزكاة واستعمال لفظها :

إن الزكاة فى اللغة : النماء والطهارة والصلاح والبركة يقال « زكا » الشىء إذا زاد ونما و« زكا » فلان إذا صلح .

والزكاة فى الشرع تطلق على الحصة المقدرة من المال التى فرضها الله للمستحقين . كما تطلق على نفس فعل إخراج هذه الصدقة .

فهذا اللفظ من الأسماء المشتركة التى تطلق على عين « فهى الطائفة من المال المزكى بها » كما تطلق على معنى « وهو الفعل الذى هو التزكية » ومن قبيل هذا الأخير قول الله سبحانه فى سورة « المؤمنون » : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾[1] حيث إن المراد ـ والله أعلم ـ الفعل الذى هو التزكية ، وليس مال الزكاة .

وسميت هذه الحصة من المال المخرجة من اى نوع من أنواع الأموال ـ زكاة لأنها تزيد فى المال الذى أخرجت منه وتوفره معنى وتقيه الآفات .

وليس النماء والطهارة مقصورين على المال فحسب ، وإنما يمتدان ليشملا نفس المزكى صاحب المال

(١) الآية رقم ٤ .

سواء أدى بنفسه أو بوكيل أو ولى عنه على ما يشير إليه قول الله سبحانه فى سورة التوبة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا .. ﴾[٢] .

ورود « الزكاة » فى الكتاب العزيز :

وقد تكررت كلمة الزكاة معرفة فى القرآن الكريم ثلاثين مرة ، ثمان منها فى السور المكية وباقيها فى السور المدنية .

وقد جاءت الزكاة مقرونة بالصلاة فى آية واحدة فى سبعة وعشرين موضعاً من هذه الثلاثين ، وفى موضع منها ذكرت فى سياق واحد مع الصلاة ، وإن لم تكن فى آيتها .

صيغ ورودها فى الكتاب ، وبيان السنة فيها :

ولقد أوجب القرآن الكريم الزكاة وفرضها فى الأموال بصيغ متنوعة كلها آمرة . كما بين القرآن مستحقى الزكاة فى آية : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ ﴾ بسورة التوبة [٣] .

وقد أكدت السنة وبينت ما أجمله القرآن ، باعتبارها البيان القولى والتطبيقى العملى للقرآن وفقاً لما تلقى الرسول ﷺ عن ربه وبإذنه ووحيه على مايدل عليه قول الله سبحانه فى سورة النحل:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] . ولقد حددت السنة أنصبة الزكاة ومقاديرها والأموال التى تجب فيها .

وهى ثالثة دعائم الإسلام كما جاءت فى الحديث المشهور المتفق عليه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ « بنى الإسلام على خمس .. » وأحاديث كثيرة مبينة ومؤكدة أركان الإسلام الخمسة ..

ولقد حذر القرآن الكريم فى آيات عديدة من منع الزكاة وجاءت الأحاديث من السنة مؤكدة لهذا التحذير الشديد وبالوعد والوعيد كما جاءت بالترهيب والترغيب فى أداء الزكاة وصارت فرضيتها مما هو معلوم من الدين بالضرورة،وأجمعت الأمة على ذلك تتناقل هذا جيلاً بعد جيل .

هل فى مال الصبى والمجنون والمعتوه زكاة ..؟ ومن يخرجها ؟

وتجب الزكاة فى مال كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل واختلف الفقهاء فى وجوبها فى مال الصبى والمجنون والمعتوه على قولين :

أحدهما : وجوب الزكاة فى أموالهم . وهو قول جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو الأقوى دليلاً فقد استندوا إلى :

عموم الآيات والأحاديث الصحيحة التى دلت على وجوب الزكاة فى مال الأغنياء وجوبا مطلقاً دون أن تستثنى صبياً ولا مجنوناً ولا معتوها .

(٢) الآية رقم ١٠٣ . (٣) الآية ٦٠ . (٤) من الآية ٤٤ .

وبما جاء في السنة من الأمر بالاتجار بمال اليتيم حتى لا تذهبه أو تستهلكه الصدقة .
وبما صح عن الصحابة من إيجاب الزكاة في مال اليتيم وهذه الأدلة مبسوطة في مواضعها من كتب الفقه المتنوعة .

واجب الولي عند إخراج الزكاة :

ومن ثم وجب على ولي اليتيم أو المجنون أو المعتوه إخراج الزكاة من مال مَنْ في ولايته من هؤلاء وتعتبر نية الولي في الإخراج كنية صاحب المال البالغ العاقل ، وينبغي للولي أن يستأذن القاضي في إخراج الزكاة من مال اليتيم متى بلغ نصابا نامياً ووجبت فيه الزكاة ، حتى لا يتعرض للمطالبة بما أدى مستقبلاً من الصغير متى بلغ أو من غيره .

ولما كانت أموال هذا القاصر كما جاءت في السؤال منها : مبلغ نقدي مودع بفائدة ٦٪ سنوياً و باقي أمواله شهادات استثمار البنك الأهلي « أ » و« ب » وهذه الشهادات ما هي إلا صكوك بمديونية البنك لهذا الطفل بقيمة هذه الشهادات المتنوعة في القيمة والفائدة ، ومآل هذه الصكوك مآل دين مؤجل ولكنه يصير حالاً عند نهاية الأجل ، فتجب زكاته لمدة عام إن مضى على ملكيته عام أو أكثر وفقاً لمذهب كل من الإمامين مالك وأبي يوسف .

لكن القول الصحيح في الدَّيْن المرجو أداؤه وهو الدَّيْنُ القوي - في اصطلاح بعض الفقهاء - وهو ما كان على مُقِرٍّ مُوسِرٍ ، وجوبُ تزكيته كل عام وفقا لقول جمهور الفقهاء واختيار أبي عبيد وغيره ؛ لأن الدَّيْنَ المرجو بمنزلة ما في اليد .

ومن ثم يتعين اعتبار شهادات الاستثمار المملوكة لهذا القاصر من باب السندات الدائنة للبنك ، بل إنها ديون ذات خصوصية تميزها عن الديون التي تحدث عنها الفقهاء ؛ لأن هذه السندات أو الشهادات الاستثمارية تجلب لصاحبها فائدة ، وإن كانت محظورة باعتبارها من ربا الفضل إذ أن حظر هذه الفائدة لا يكون سبباً لإعفاء صاحب السندات من الزكاة ، إذ ارتكاب الحرام لا يعطي صاحبه ميزة على غيره ، ومن هنا أجمع الفقهاء على وجوب الزكاة في الحلي المحرم ، بينما اختلفوا في الحلي المباح هل تجب فيه الزكاة أو لا تجب ؟

ولما كانت الأموال المرقومة بالسؤال ملكاً لهذا القاصر وهي في جملتها دين لدى البنوك وإن اختلفت في نوعية الإيداع .

فأولها وديعة نقداً بفائدة سنوية .

وثانيها شهادات استثمار « أ » ذات القيمة المتزايدة ولا تصرف قيمتها إلا بعد عشر سنوات .

وثالثها شهادات استثمار « ب » ذات العائد السنوي ١٦,٢٥٪ .

ومن ثم تعتبر وعاءً واحداً للزكاة على الولي « السائل » إخراج الزكاة عنها بواقع ربع العشر ٢,٥٪ متى بلغت جملتها النصاب الشرعي الذي تجب فيه الزكاة باعتبارها نقداً ، وهذا النصاب ما تقابل قيمته بالنقود الحالية « الجنيه المصري » قيمة ٨٥ جراماً من الذهب عيار ٢١ وذلك متى توافرت باقي شروط الزكاة ومنها تحقق هذا النصاب .

←

وهذه الشروط الاخرى هى بإجمال :

الملك التام للمال بأن يكون مالكه متمكناً منه أو فى حكم المتمكن منه .

وأن يكون المال ناميا حقيقة أو حكماً ، والنقود أموال نامية لأنها واسطة التبادل .

وبلوغ النصاب ـ كما تقدم ـ

وأن يكون هذا المال فائضاً عن حوائج القاصر الأصلية وهى : النفقة والسكنى والملبس ثم السلامة من الدين وحولان الحول .

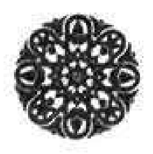
لما كان ذلك ، فمتى توافرت هذه الشروط فى مال هذا القاصر المرقوم فى ورقة السؤال وجب على وليه « جَدِّهِ » إخراج زكاته إذا كان قد مضى على ملك القاصر لمجموعه حَوْلٌ كامل وبلغ مبلغ النصاب أو زاد بما يقابل قيمة ٨٥ جراماً من الذهب عيار ٢١ بالعملة السائدة « الجنيه المصرى » وفى هذه الحال يكون الواجب إخراجه سنوياً ٢,٥٪ من جملة المال أصلاً وعائداً ..

والأولى أن يستأذن الولى محكمة الولاية على المال المختصة فى إخراج الزكاة متى تحققت شروط وجوبها فى هذا المال . على نحو ماسبق إيضاحه ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق



من فقه الكتاب والسنة



تفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة

« قاعدة التعارض بين الكتاب والسنة وتطبيقاتها »

قال الشيخ محمد الغزالى : فى كتاب « السنة النبوية » صفحة « ١٨ » توثيق السنة لون من إحقاق الحق وإبطال الباطل وهذا جيد ، ثم قال : فى صفحة « ٢١ » ما معناه إن السنة إذا عارضت القرآن فهى مردودة كما فعلت السيدة عائشة بحديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ، وعلى هذا حكم فى كتابه بالوضع على كل حديث صحيح أو مشهور بدا له أنه عارض القرآن الكريم ، ولهذا رأينا أن نذكر ما قاله علماء أصول الفقه وأصول الحديث فيما إذا تعارضت السنة ظاهراً مع القرآن الكريم ، ونناقشه على ضوئه فيما رده من الحديث .

قاعدة التعارض بين الكتاب والسنة :

التعارض بين الكلامين هو دلالة أحدهما على نقيض مادل عليه الآخر .

قال العلماء : ولا يتحقق إلا بتحقق أمور ثمانية : أبرزها تحقق الموضوع والمحمول والنسبة والزمان والمكان ، وهذا التعارض لا يتحقق فى الأدلة الشرعية ولا سيما بين القرآن الكريم والسنة الشريفة إلا بحسب الظاهر للمجتهدين والناظرين فيهما ، وبحسب ظنهم فقط ، لا بحسب الواقع : لأن من العقائد أنه لا تناقض فى آيات الكتاب وأحاديث السنة : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾[1] .

←

(١) سورة النساء آية « ٨٢ » .

من فقه الكتاب والسنة

فمتى لاحظ الناظر فى القرآن والسنة شيئاً من التعارض بعد الفحص والتثبت ، فعليه أن يحمله على الظاهر لا على الواقع ، وسبب هذا التعارض إما الجهل بالمراد من كل منهما وهذا هو الكثير الغالب ، وإما الجهل بتاريخ ورود كل منهما .

ونقصد بالسنة : المتواترة أو المشهورة أو صحيحة السند ، أما الاحاديث التى لم يصح سندها كخبر الغرانيق « وخبر لحم البقرداء » فهذه ساقطة من أصلها ولا يقال إنها عارضت القرآن الكريم .

فإذا تعارض القرآن الكريم مع الحديث المتواتر أو المشهور أو الصحيح بحث أولاً : عن التاريخ فإن تبين تقدم السنة نسخها القرآن كقوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾(٢) بعد ما ثبت بالسنة أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ، وكقوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾(٣) بعد ما ثبت بالسنة الاتفاق فى عهد الحديبية على أنه لا يأتى الرسول أحد من قريش وإن كان على دين الإسلام إلا رده إليهم(٤) وإن تبين تقدم الكتاب حكمنا بنسخ السنة له بشرط أن يكون الحديث متواتراً أو مشهوراً وقد اختلف العلماء فى وجود هذا القسم ، أما إذا كان صحيح السند فقط فلا ينسخ القرآن إجماعاً ، وروى عن الشافعى أنه لا نسخ بين القرآن والسنة ونوقش هذا القول فى علم أصول الفقه . والمحققون من الشافعية على خلافه .

أما إذا لم يعلم التاريخ فقد اختلفت طريقة العلماء فمنهم من يرجح الكتاب على السنة فإن تعذر الترجح جمع بينهما ، وحجة هذا الفريق أنه ليس من المعقول العمل بالمرجوح مع وجود الراجح ، ومنهم من يقوم بالجمع بينهما بأن يحمل الكتاب على معنى والسنة على معنى آخر ، قالوا : لأن إعمال الدليلين خير من إهمال أحدهما ، ولهم طرائق فى الجمع مبسوطة فى علم أصول الفقه .

لكن الشرط فى الجمع ألا يكون الحديث مخالفاً لعقيدة وألا يكون مكذباً لخبر من أخبار القرآن الكريم ، وأن يمكن تأويله بحمله على معنى صحيح ، فإذا فقد شرط من هذه الشروط حكم بوضع الحديث .

فالحديث الصحيح فما فوقه إذا عارض القرآن الكريم ظاهراً سواء قلنا بالترجيح أو بالجمع : لا يحكم بوضعه بل يحمل على معنى صحيح إلا إذا فقد شرطاً من الشروط الثلاثة .

ونضرب لذلك الأمثال : قوله ﷺ : « من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها » متفق عليه عن أنس(٥) هذا الحديث عارض قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ فى الوقت إذا ضاق : كوقت الظهر إذا ضاق بحيث

(٢) سورة البقرة آية « ١٤٤ » .
(٣) سورة الممتحنة آية « ١٠ » .
(٤) صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب غزوة الحديبية ـ جـ ٥ ـ ص ٦٨ .
(٥) « الدراية فى تخريج أحاديث الهداية » ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٦ .

لا يسع إلا الظهر : وقد نسى العشاء فإن هذا الوقت الضيق وقت الظهر بالقرآن ووقت للعشاء بالسنة ، فها هنا رجح العلماء الكتاب على السنة وقالوا يصلى الظهر وحملوا الحديث على ما إذا لم يضق الوقت ، وقوله ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان » أخرجه الترمذى وصححه : عارض قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[٦] الدالة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، رجح الجمهور الآية وحملوا الحديث على نصيحتها ألا تعرض نفسها للفتنة ، وجمع أحد بين الآية والحديث فقال : إن الوجه والكفين ليسا بعورة فى الصلاة للآية وهى عورة خارج الصلاة للحديث .

فالحاصل أن الحديث الصحيح لا يحكم بوضعه إلا إذا خالف العقيدة أو كذب خبراً أو تعذر تأويله .

وبناء على هذه القاعدة نعرض للأحاديث التى ردها الشيخ الغزالى :

١ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » رواه البخارى من طريق عمر وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما بسندين صحيحين ولا شذوذ فيه ولا علة وظاهره يعارض القرآن لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾[٧] فتطبيقاً لقاعدة التعارض : جمع البخارى بين الآية والحديث بحمل البكاء على ما معه نوح أو على البكاء الذى أوصى به الميت ، أما غيره فلا يعذب به بما جاء فى القرآن ، وحمله ابن جرير على الحزن والألم وأن الميت يتألم كما يتألم الحى لأن روحه باقية وهذا لا يعارض استبشار الميت ببشارة الملائكة له بالجنة لأن الإنسان قد يجتمع له سرور من شىء وحزن بشىء آخر ، وردته السيدة عائشة رضى الله عنها استنباطا من القرآن الكريم الآية السابقة ، وقد رجح جمهور العلماء طريقة الجمع بين القرآن والحديث كما سلكها البخارى[٨] بحمل البكاء على مامعه نوح وما للميت سبب فيه ، وجمع ابن جرير بتفسير التعذيب بالحزن كما قدمنا وذلك الجمع قضاء لحق السماع وصحة السند ، ولم يقولوا بمذهب عائشة رضى الله عنها إلا ما روى عن الشافعى[٩] .

قال المؤلف فى صفحة « ٢٣ » : « وعندى أن ذلك المسلك الذى سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم » نقول وما عنده مخالف لما عليه جمهور الأصوليين والفقهاء والمفسرين والمحدثين كما بينا ذلك فى قاعدة التعارض ، ولم يقل أحد برد هذا الحديث إلا الشافعى لكن لم يتخذ منه قاعدة كما يفهم من كلامه فى الرسالة ومن كلام أصولى الشافعية .

ودأب العلماء المحافظين على الكتاب والسنة ألا يفتحوا أبواب الرد والوضع على أحاديث النبى ﷺ إلا عند الضرورة كما أسلفنا حتى لا يطمعوا الجاهلين فى المزيد ، ولهذا المبدأ ألفت كتب كثيرة فى الجمع بين الكتاب والسنة وبين

←

(٦) سورة النور آية « ٣١ » .
(٧) سورة فاطر آية « ١٨ » .
(٨) « عمدة القارى » شرح صحيح البخارى ـ جـ ٨ ـ ص ٧٩ ، ٨٠ .
(٩) كتاب اختلاف الحديث بهامش كتاب الأم ـ جـ ٧ ـ ص ٢٦٦ : ٢٦٨ .

السنن المتعارضة » كمشكل الآثار » للطحاوى و« مشكل الحديث » لابن فورك و« تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة .

وقد أشرف أهل العلم على أدلة الشريعة إشرافاً واعياً دقيقاً ووفقوا مابين أدلتها ما وجدوا التعارض ، وهاهى كتبهم على اختلاف مذاهبهم ناطقة بما نقول ، وكفى المسلمين ما هم فيه من أحداث سياسية واقتصادية وغيرها مما يثقل كواهلهم حتى نفتح عليهم باب شر ، هم فى غنى عنه وقد كفاهم العلماء مؤنته .

٢ ـ حديث « لا يقتل مسلم بكافر »[١٠] رواه البخارى فى كتاب « الديات » من حديث طويل بلفظ « وألا يقتل مسلم بكافر » وفى كتاب « العلم » بلفظ « لا يقتل مؤمن بكافر » وأخرج أبو داود والنسائى عن قيس بن عبادة عن على رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد فى عهده ، من أحدث حدثاً فعلى نفسه ، ومن أحدث حدثاً ، أو أوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[١١] الحديث الأول استدل به الجمهور على أنه لا يقتل مسلم بكافر سواء أكان ذمياً أو حربياً أو مستأمناً والحديث الثانى استدل به الجمهور أيضاً على مذهبهم السابق ، واستدل به الحنفية على أنه لا يمنع من قتل المسلم بالذمى الثابت بعمومات القرآن ، أما الحديث الأول[١٢] فإنه يعارض القرآن ظاهرا فى قوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[١٣] وقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[١٤] فإن القتلى فى الآية الأولى ، والنفس فى الآية الثانية شاملان للمسلمين والكفار ، فأما إذا قتل مسلم كافراً فيتعارضان مع الحديث ، فالجمهور يجمعون بين الآيتين والحديث بتخصيصهما به لأن لفظى القتلى والنفس عامان وهما ظنيا الدلالة بالإجماع ، للإجماع على استثناء الحربى منهما فإنه لا قصاص بقتله ، أما الحنفية فإنهم استدلوا بحديث النسائى وأبى داود وقالوا لا تعارض[١٥] بينه وبين الآيتين ، لأن المراد بالكافر الحربى .

بيانه أن مقتضى اللغة أن يزاد قيد فى قوله ﷺ : « ولا ذو عهد فى عهده » أى بكافر وذلك لأنه معطوف على « ألا لا يقتل مسلم بكافر » ، والعطف يوجب التشريك فى العامل وقيوده فيكون التقدير : « ولا ذو عهد فى عهده بكافر » ، ولأننا لو لم نقيد المعطوف لما قتل الذمى ولو قتل مسلماً فإن الذمى ذو عهد ، ثم إن المراد بالكافر فى قولنا ذو عهد فى عهده بكافر ، الكافر الحربى لا مطلقاً لأننا لو تركنا الكافر عاماً لما جاز قتل الذمى بالذمى ، ثم قالوا: يلزم من تخصيص الكافر فى الجملة الثانية بالحربى تخصيصه فى الجملة الأولى ـ لا يقتل مسلم بكافر ـ بالحربى لتشريك المعطوف والمعطوف عليه فى العامل

---

(١٠) « نصب الراية » ـ جـ ٤ ـ ص ٣٣٤ .

(١١) نصب الراية ـ جـ ٤ ـ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(١٢) المبدع شرح المقنع ـ جـ ٨ ـ ص ٢٦٨ .

(١٣) سورة البقرة آية « ١٧٨ » .

(١٤) سورة المائدة آية « ٤٥ » .

(١٥) التقرير والتحبير ـ جـ ١ ـ ص ٢٣٢ .

وقيده ، فيصير معنى الحديث بعد هذا التصرف اللغوى : لا يقتل مسلم بحربى ولا ذو عهد فى عهده بحربى[16] .

وبهذا يتبين ألا تعارض بين الآيتين والحديث لأن الحربى مستثنى من الآيتين بالإجماع فيكون تقدير الآية الأولى «كتب عليكم القصاص فى القتل»غير الحربيين ، والثانية «وكتبنا عليهم فيها أن النفس»غير الحربية «بالنفس».

فلا يكون الحديث معارضا لهما ، فيبقى الحديثان على صحتهما ولا يحكم عليهما ولا على أحدهما بالوضع كما فعل المؤلف ، فلا الحنفية ولا غيرهم قدموا ظاهر القرآن على الحديث فى هذه المسألة كما ادعى المؤلف صفحة « ٢٥ » .

٣ ـ قال ﷺ : « لا يقاد والد بولده » ظاهر كلام المؤلف أن مالكا قدم عمل أهل المدينة على هذا الحديث[17] والأمر ليس كذلك .

وخلاصة المسألة أن الأئمة الثلاثة عملوا بهذا الحديث من رواية عمر وقد صححه البيهقى والدارقطنى وحَسَّنَهُ العلماء من طريق ابن عباس بلفظ « لا تقام الحدود فى المساجد ولا يقتل الوالد بالولد » ، وقال ابن قدامة فى المغنى[18] إنه حديث مشهور لأنه اشتهر بين الفقهاء وعملوا به لا سيما الأئمة الثلاثة ، ولهذا رأوا أن الوالد لا يقتل بقتل ولده وجمعوا بين القرآن والحديث بتخصيص آية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ بهذا الحديث لأن العام فى الآية ظنى ولا سيما بعد تخصيصه بالحربى إجماعاً .

أما مالك فإنه ـ كما نقل ابن العربى ـ[19] رأى أن هذا الحديث باطل ، وفى مسألة قتل الوالد بالولد حكم قاعدة القصاص ، وهى أنه لا يجب إلا عند القتل بقصد القتل ، أما عند القتل بقصد التأديب كالضرب بالعصا الصغيرة فلا يجوز كما قرر الفقهاء ذلك فى العمد وشبه العمد ، إذا علم ذلك : فشفقة الأب يفهم منها عند الضرب قصد التأديب فلا قصاص بقتل الوالد ولده : إلا إذا قامت بينة قاطعة على أن الوالد قصد قتل ابنه بأن أضجعه وذبحه ، وسموا هذا النوع قتل الغيلة .

فلا أثر لعمل أهل المدينة هنا بل دار الكلام حول صحة الحديث أو شهرته وبين الحكم بوضعه فمَنْ صَحَّحَ الحديث أو قال إنه مشهور : قال : إنه معارض للقرآن وجمع بينهما بجعل الحديث مخصصا للقرآن ومن قال بوضعه لم يحكم فى المسألة إلا القرآن .

٤ ـ حديث دية المرأة على النصف من دية الرجل هذا الحديث أخرجه البيهقى بسنده إلى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ ورواه عن إبراهيم النخعى عن على رضى الله عنه بلفظ « عقل المرأة على النصف من عقل الرجل فى النفس وما دونها » ، وقال إنه مرسل لكن المرسل حجة وإن لم يكن صحيحاً فى اصطلاح المحدثين ، ورواه ابن أبى شيبة مسندا من طريق الشعبى ، ورواه الشافعى فى مسنده عن ابن شهاب عن مكحول وعطاء ، قالوا : أدركنا الناس على أن دية

←

---

(١٦) « العناية شرح الهداية » بهامش فتح القدير ـ حـ ٨ ـ ص ٢٥٧ .

(١٧) السنة النبوية ـ ص ٢٥ .

(١٨) « المغنى والشرح الكبير » حـ ٩ ـ ص ٥٣١ .

(١٩) « ابن العربى » أحكام القرآن ـ حـ ١ ـ ص ٦٤

من فقه الكتاب والسنة

الحر المسلم على عهد النبى ﷺ مائة من الإبل » وفيه أن دية الحرة المسلمة على النصف من دية الرجل »[20] .

قال ابن قدامة فى المغنى: قال ابن المنذر وابن عبد البر: أجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل وحكى غيرهما عن ابن عُلَيَّة والأصم أنهما قالا: ديتها كدية الرجل لقوله عليه السلام : « فى النفس المؤمنة مائة من الإبل » قال : وهذا قول شاذ يخالف إجماع الصحابة وسنة النبى ﷺ فإن فى كتاب عمرو بن حزم دية المرأة على النصف من دية الرجل وهى أخص مما ذكراه ، وهما فى كتاب واحد فيكون ما ذكرنا مفسرا لما ذكروه مخصصا له »[21] والمراد بالكتاب كتابُ رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن رواه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أخرجه النسائى وابن خزيمة وابن حبان[22] .

وقال الشافعى فى الأم : « لا أعلم مخالفاً من أهل العلم قديماً ولا حديثاً فى أن دية المرأة نصف دية الرجل »[23] .

وبهذا يتبين أن الحديث صحيح بل هو مشهور لإجماع أهل العلم أو أكثرهم على العمل به فى القرنين الثانى والثالث .

وبعد هذا البيان نقرأ فى كتاب السنة صفحة « ٢٥ » : « وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وهى سواة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء المحققون فالدية فى القرآن واحدة للرجل والمرأة .. »[24] .

فالمؤلف أولاً : يفرق فى دية المرأة بين مذهب المحدثين والفقهاء وهذا غلط فى النقل لا يليق بأمثاله ، فقد علمنا مما تقدم أن هناك إجماعاً أو ما يشبه الإجماع على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وتأييد بالسنة المرفوعة والموقوفة على علىّ رضى الله عنه .

ثانياً : يصف هذا التنصيف الصادر عن جمهرة الفقهاء بأنه سواة أى عورة فكرية وخلقية وزعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب . وهذا ذم لم ينزل إليه مؤمن جاهل فضلاً عن عالم ، ودليل على أن المؤلف بصدد حكمه على الأحاديث والأحكام عن فكر لم يتشبع باحترام سلفه من أئمة الإسلام وماهكذا تكون حرية الرأى وقلم الكاتبين .

ثالثاً : يقرر أن القرآن سوى فى الدية بين المرأة والرجل مع أن القرآن ذكر لفظ الدية مجملاً[25] وترك بيانها للسنة كما هو المقرر أن

(٢٠) نصب الراية ـ حـ ٤ ـ ص ٣٦٣ .
(٢١) المغنى والشرح الكبير ـ حـ ٩ ـ ٥٣١ ، ٥٣٢ .
(٢٢) نيل الأوطار ـ حـ ٧ ـ ص ٩٧ .
(٢٣) الأم ـ حـ ٦ ـ ص ٩٢ .
(٢٤) الأم ـ حـ ٦ ـ ص ٩٢ .
(٢٥) القرطبى ـ تفسير الجامع لأحكام القرآن ـ حـ ٥ ـ ص ٣٢٥ .

السنة مبينة للقرآن كما بينت الصلاة والزكاة ، فهى التى بينت أن الدية مائة من الابل وهى التى بينت أن دية المرأة على النصف من دية الرجل .

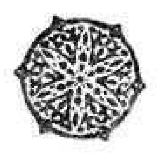
رابعاً : ينسب إلى الفقه الحنفى انه يسوى فى الديات بين الجميع ، وهذا خطأ لأن الفقه الحنفى يقرر ان دية المرأة على النصف من دية الرجل ، كما هو مذكور فى جميع كتب الحنفية .

ثم قال المؤلف فى صفحة « ٢٦ » : « إن الرجل يقتل فى المرأة كما تقتل المرأة فى الرجل ، فدمهما سواء بالاتفاق ، فما الذى يجعل دية دون دية ؟ » .

ونحن نترك الجواب لأبى بكر بن العربى ، قال فى أحكام القرآن : « إن الدية لما كانت جبراً تفاوتت بحسب المرتبة لأنها حق مالى يتفاوت بالصفات بخلاف القتل ، فإنه لما شرع زجراً لم يعتبر فيه التفاوت »[٢٦] على أن الله العليم بأحوال عباده الحكيم فى تشريعه كما سوى بين الرجل والمرأة فى أحكام : فرق بينهما فى أحكام لأسباب : ففرق بينهما فى الدية لأنها جبر وعوض مالى ، وفى الشهادة أمام القضاء لما يعتريها من الضلال والنسيان قال تعالى : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾[٢٧] وفى الميراث لأن أعباءها المالية أقل من أعباء الرجل .

وبعد : فإن الذى يبدو لنا ان الشيخ الغزالى اختمرت عنده فكرة تنقية الحديث فاندفع ينقذها من غير ان يستصحب معه حرمة صحة الأسانيد ، والنظرة الفاحصة فى عمل المحدثين وفقه الفقهاء ، والمراعاة الكاملة لأقدار سلفنا الصالح الذين حصنوا الإسلام بإيمانهم وطهارة أفكارهم وعدالتهم فى أحكامهم ، والله يهدينا جميعا إلى سواء الصراط .

د . أحمد فهمى أبو سنة



---

(٢٦) ابن العربى ـ أحكام القرآن ـ حـ ١ ـ ص ٤٧٨ .

(٢٧) سورة البقرة « ٢٨٢ » .

في ذكرى الهجرة الطيبة

على مفترق الطريق

للشيخ : معوض عوض إبراهيم

ذاك عـام يهل فينـا جـديــدا
فاحرصوا ان يكون عاماً سعيداً
بعـد عام مضى بمـا قـد فعلنـا
وتـولى عنـا ، بعيـداً بعيـداً
وسنلقـاه في غـد ، ويـح نفسى
بـالـذى قـدم العبـاد شهيـداً
إن مـا مـر لا سبيـل إليـه
كيف ترجو من فائت ان يعودا ؟!
فـارع يومـا تحياه ، واحـرص عليـه
في رضـا الله كـي تـعيش حميـداً
رافعـا بـالتقى قـواعـد دنيـا
هي لـولا التقى ابت ان تجودا
رب عفوا عما مضى ، واهد نفسى
ونفـوس الـورى الصراط الـرشيـدا

نحن في هذه الأيام على مفترق الطريق ، بين عام هجرى انطوت صحائفه التى لا ندرى ما الله صانع بها ، وعام نبتدىء أيامه التى لا ندرى ما الله قاض فيها ، وهذه الأيام ماضيها وآتيها صحائف نكتب سطورها بأقوالنا وأعمالنا ، وما أسعد الذين يتداركون مر الأيام ، وكر الشهور والأعوام ، بعمل صالح ينافسون فيه إخوانهم المستخلفين معهم على عمارة هذا الكوكب ، وإبلاغ الحياة الدنيا كمالها كى تكون أخراهم على غرارها .

فالأيام تمضى ، والأعمار تطوى ، والليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ، ويخلقان كل جديد ، وفي ذلك مايلهى عن الدنيا ، ويذكر بالآخرة ، حيث نصير لا محالة إلى الله بسجل فعالنا ، لا بحسب مصنوع ، ولا بمجد موضوع .

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ « سورة النجم ٣١ » .

ومن كلام الإمام علي : « أن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل » (١) .

إنها حقيقة لا تخفى إلا على مفتونى الحياة ، وأسرى بهارجها ، ومتاعها القليل ، وقد جعلنا الله خلائف الأرض ، واستعمرنا فيها ، وهدانا سبلنا حتى غرت الأهواء من غرت وغلبت عليهم الشهوات .

(١) أخرجه الإمام ابن حجر بسنده في كتاب « الرقاق » جـ ١١ من فتح البارى .

وتداخلت فى تصورهم حدود الخير والشر ، فراوا المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، وأمروا احياناً بالمنكر ونهوا عن المعروف « وتعس من ليس له قلب يعرف به المعروف ، وينكر به المنكر » . كما قال معاذ بن جبل - رضى الله عنه - .

إننا على مفترق الطريق بين عامين ، مضى احدهما ، واقبل الآخر ، أحوج مانكون إلى لحظة تأمل ومحاسبة نود أن تطول وتصدق وتثمر فينا العبرة الهادية والعظة الباقية ، والعلم البصير الذى نغدو به ونروح إلى معالى الامور ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع . كما كان يدعو النبي - صلى الله عليه وسلم - .

إن الحياة يؤلف عناصرها الأحياء ، وهم يقيمون على أمر الله قواعدها ، ويرسلون على هداه اركانها ، ويرفعون بصوالح الاعمال بنيانها ، ويأخذون بتقوى الله ووسائله الربانية ما بث سبحانه فى أطوافها من انعمه التى جعلها - وله الفضل والمنة - فى متناولهم ، فى علو وسفل ، وبر وبحر ، وسهل ووعر ، وانظر كم مرة تطالعك كلمة « لكم » بكل ما تحمل من معانى التخصيص وايثار الله للإنسان فى قوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ « سورة إبراهيم ٣٢ - ٣٤ » .

﴿ اللهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ « سورة الجاثية ١٢ - ١٣ » .

إن وقفة التأمل ضرورة ماسة نعرف منها أين نحن مما يجمل للمؤمن من نهوضه بواجب الاستخلاف مع لداته واقرانه وإخوان فرصة زمانه ، فإن وجدنا خيراً حمدنا الله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وشمرنا لمزيد من الإحسان الذى لا تزدهر الحياة بغيره ، ولا تطيب العقبى بسواه ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ « الاحقاف » ..

وحين يسرع الأوبة إلى الله ذاهل ويخلص التوبة غافل ، سنجد الله تعالى يبسط لهما يد الرضوان والإحسان مع من استثناهم من عباد الرحمن فقال : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً . وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً ﴾ « سورة الفرقان ٧٠ - ٧١ » .

والمؤمن يدرك بوقفة التأمل أن الزمان وعاء الإيمان والإحسان ، كما هو وعاء ما يقابل ذلك ويضاده من الخلاف عن أمر الله « واتباع الهوى ، وايثاره على هدى الله » ، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ « سورة القصص ٥٠ » .

وما أبرك المؤمن وهو يمضى من وقفة التأمل بما أفاد من عبرة انقضاء الأيام ، وقد ودع عاماً مضى واستقبل آخر اشرقت شمسه ، واتسع ضحاه وهو يقدم بمضى بعض لحظاته حجة الله على الغافلين الذاهلين عن حقيقة قول القائل :

يأتى على المرء إصباح وإمساء
وكلنا لصروف الدهر نسّاء

في ذكرى الهجرة الطيبة

والحسن البصري ـ رحمه الله ـ يقول : « يا ابن آدم : أنت أيام تمر ، وكلما مر يوم ذهب بعضك » !!

وارحم الراحمين ينادي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ « سورة الحشر ١٨ ـ ١٩ » .

ويا ويح من ضل وجهل وذهل وزين له سوء عمله فرآه حسنا حتى نسى ربه فأنساه الله نفسه ، وهو تعالى يذكر المنافقين بأنهم ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ .. ﴾ « سورة التوبة ـ ٦٧ » ..

يقضى على المرء في أيام محنته ، حتى يرى حسناً ما ليس بالحق والمؤمن وهو يعيش يومه ، يذكر أمسه ، ويرقب غده ويؤمله بقدر ما أحسن من عمل ، لا بمجرد التمنى والأمل ، فبالأعمال الصالحة تحرز الدنيا والآخرة على سواء .

وبالتمنى والتشهى يجمد الغافلون في مواقعهم ، والدنيا تتحرك من حولهم ، ويجتنى العاملون جناها دونهم ، وربما هتف بهم من قريب صائح الحق وهم في غفلة ساهون .

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً :
ندمت على التفريط في زمن البذر
ولات ساعة مندم ...

وصدق الله العظيم : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ « سورة النساء ١٢٣ ـ ١٢٤ » .

فهل نرهف لمر الأيام أسماعنا ؟! وننعم في تتابع خطاها أبصارنا ؟!

نستبصر ونتدبر ونستيقن أن الحياة تنقضى كأمس الدابر ، وأننا سنواجه الآخرة كما واجهنا العام الذى أقبل وإذا كان الذى أقبل في دنيا الناس ينفد ، فإن الآخرة تبقى وتتجدد بعدل الله الذى يقوم قائمه ولا يزول ، فيمن أحسن ، وفيمن أساء ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ « سورة الأنبياء

ولقد كان للتابعى الجليل عبدالله بن المبارك علمه بالله وكتابه وسنة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وعلمه بقيمة الوقت فأورثه كل ذلك بصراً بالحياة وتصاريفها ، وفهما للوقت وقيمته والانتفاع به وتوجيه الناس إلى اغتنام لحظاته التى تتتابع وكان بعضها يسوق بعضا فيما يثرى الحياة ، ونجده خيرا وأعظم أجراً حين نلقى الله .. وما كان أبصره وهو يقول :

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله
إذا كنت فارغاً مستريحاً
وإذا ماهممت بالنطق بالباطل
فاجعل مكانه التسبيحا
فاغتنام السكوت أفضل من خوض
وإن كنت بالكلام فصيحاً

ولقد وعظ أبو عبد الله الإمام محمد بن إسماعيل البخارى فقال :

أقبل على صلواتك الخمس
كم مصبح وعساه لا يمسى !!
واستقبل اليوم الجديد بتوبة
تمحو ذنوب صحيفة الأمس
فليفعلن بوجهك الغض البلى
فعل الظلام بطلعة الشمس

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ « سورة الأنعام ١٠٤ » .

وبالله التوفيق

أما آن لهذا الصحابى

أن يسترد حقه؟

للأستاذ: السيد حسن قرون

من مباحث تفسير القرآن الكريم معرفة أسباب النزول، وهو علم عنى به السلف الصالح كوسيلة من وسائل الإيضاح بجانب الوسائل التى استحدثت لفهم معانى القرآن ومراميه، وقد راعنى أن أرى شيئا من التاريخ يذكر عند تفسير السورة أو الآية مما لا يمت إلى أسباب النزول بصلة من ذلك حكاية «عتبة بن أبى لهب» فقد وجدت كتب التفسير تتحدث عنه وتنسب إليه أفعالا وأقوالا أغضبت النبى ﷺ فدعا عليه بالهلاك، تجد ذلك عند تفسير الآيات الأولى من سورة «النجم»، والمفسرون الذين نظرت فى تفسيرهم: الزمخشرى فى كشافه، وابن كثير فى تفسير القرآن العظيم، والنسفى وآخرون على أن المهم عند من تعرض لحكاية عتبة بن أبى لهب لم يتغير، ورجعت إلى كتب التاريخ والسير لعلنا نصل إلى الصحيح فنستريح، وإنك لتعجب إذا جعلت أول من أتحدث عن تدوينه أبا الفرج الأصفهانى فى كتابه «الأغانى» وقد اخترته لأن أبا الفرج قرشى أموى ومن بنى عبد مناف الذين منهم عتبة بن أبى لهب. فماذا قال عن عتبة؟

يقول أبو الفرج فى أخبار «الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب» تزوج عتبة إحدى بنات النبى ﷺ، فلما بعثه الله تعالى عاداه عمه «أبو لهب» من دون بنى هاشم وظاهر عليه وكذلك امرأة أبى لهب «حمالة الحطب»، وهى أم جميل أخت أبى سفيان بن حرب، وأقسمت أم جميل على ابنها أن يطلق ابنة النبى - ﷺ - فطلقها. فمن هى؟

يذكر أبو الفرج فى سياق حديثه أن رقية وأم كلثوم كانتا متزوجتين «لعتبة وعتيبة»،[1] ابنى أبى لهب، فلما جاء الإسلام أمرهما أبوهما بطلاق ابنتى النبى فطلقاهما.. وآل الأمر إلى زواج عثمان بن عفان من رقية فى مكة ثم زواجه

←

---

(١) رقية لعتبة، وأم كلثوم لعتيبة كما ذكر ذلك ابن سعد فى الطبقات الكبرى فى الجزء الثامن الخاص بالنساء، وعلل الانفصال بنزول سورة «تبت يدا أبى لهب».

أما أن لهذا الصحابى

من أختها بعد وفاتها بالمدينة ـ ويفهم من الكلام أن رقية كانت لعتبة وأم كلثوم لعتيبة ـ

ثم يقول أبو الفرج : « وذكر لى أن عتبة بن أبى لهب جاء إلى النبى ﷺ وقد انزل عليه (والنجم إذا هوى) فقال : أنا أكفر برب النجم إذا هوى ، فقال النبى ﷺ : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك . قال ابن العباس (هو عبدالله) فخرج عتبة إلى الشام فى ركب فيهم هبار بن الأسود حتى إذا كانوا بوادى الغاضرة ـ وهى مسبعة ـ نزلوا ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة بن أبى لهب : أتريدون أن تجعلونى حجرة ـ سياجا ـ لا والله لا أبيت إلا وسطكم فبات وسطهم ، قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشم رءوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فأنشب أنيابه فى صدغيه ، فصاح : أى قوم ، قتلنى قتلنى ، فأمسكوه ، فلم يلبث أن مات فى أيديهم » .

توفى أبو الفرج الأصفهانى سنة ٣٥٦ هـ فهو أسبق الذين قرأت لهم فى هذا الشأن إلا محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ وسآتيك بما كتبه بعد أن أخلص من الذين تابعوا رواية أبى الفرج فلننظر ما جاد به قلم الزمخشرى فى كشافه ـ توفى الزمخشرى سنة ٥٣٨ هـ ١١٤٤ م .

قال عند تفسيره سورة النجم راويا عن عروة بن الزبير وخلاصة قوله : إن عتبة بن أبى لهب أراد الخروج إلى الشام فقال : لآتين محمدا فلأوذينه ، وكان طلق ابنته ، فأتاه فقال يامحمد[2] هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذى دنا فتدلى ، وتفل فى وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ، وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها ، وقال ما كان أغناك ياابن أخى عن هذه الدعوة ، فرجع عتبة إلى ابيه فأخبره ، ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليه راهب من الدير ، فقال لهم إن هذه أرض مسبعة ، فقال أبو لهب لأصحابه : اغيثونا يامعشر قريش هذه الليلة فإنى أخاف على ابنى دعوة محمد ، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان :

من يرجع العام إلى أهله
فما أكيل السبع بالراجع

ومن عجيب الأمر أن الشيخ محمد عليان المرزوقى الشافعى فى بحثه الناجم عن تفسير الكشاف والمسمى «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف» ساق القصة كما هى إلا أنه شرح بعض الألفاظ وأعرب ما يحتاج إلى إعراب من البيت موضوع الشاهد : « من يرجع العام .. البيت » فذكر اسم الشاعر وهو حسان بن ثابت وألحق بالبيت ثلاثة أبيات هى مع الشاهد ، والأبيات تعتبر سخرية بقريش :

لا يرفع الرحمن مصروعكم
ولا يوهن قوة الصارع

وكان فيه لكم عبرة
للسيد المتبوع والتابع

من يرجع العام إلى أهله
فما أكيل السبع بالراجع

(٢) يعنى نفسه .

من عاد فالليث له عائد
أعظم به من خبر شائع

واكيل السبع إلى الآن هو عتبة ، وقد نسب إليه فى تلك الرواية انه تفل فى وجه النبى ، وأن النبى دعا عليه وابو طالب وجم لتلك الدعوة وأن عتبة أخبر اباه بها ، ولذا طلب أبو لهب الغوث من معشر قريش فى الأرض المسبعة .

وجاء ابن كثير بعد الزمخشرى ـ توفى ابن كثير سنة ٧٧٤ هـ فروى عن ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن ابى لهب من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن «هبار بن الأسود» الذى رأيناه فى الرواية الأولى قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما .. وحكى حكاية عتبة مع النبى ﷺ وإيذائه إياه ودعاء النبى عليه وسؤال أبى لهب ابنه عن الدعاء فقال له قال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك . قال أبو لهب والله ما آمن عليك دعاءه ، واتخذ كل الاحتياطات حتى لا يصاب عتبة بسوء ، ولكن الأسد نفذ مقتضى الدعاء ، ولم يستشهد ابن كثير بالشعر كما فعل الزمخشرى غير أنه انفرد بجعل ابن اسحاق من ضمن الرواة .

ومازال الحديث عن عتبة

فماذا قال ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ .. والرواية مذكورة فى «السيرة النبوية» لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ فإلى السيرة النبوية .

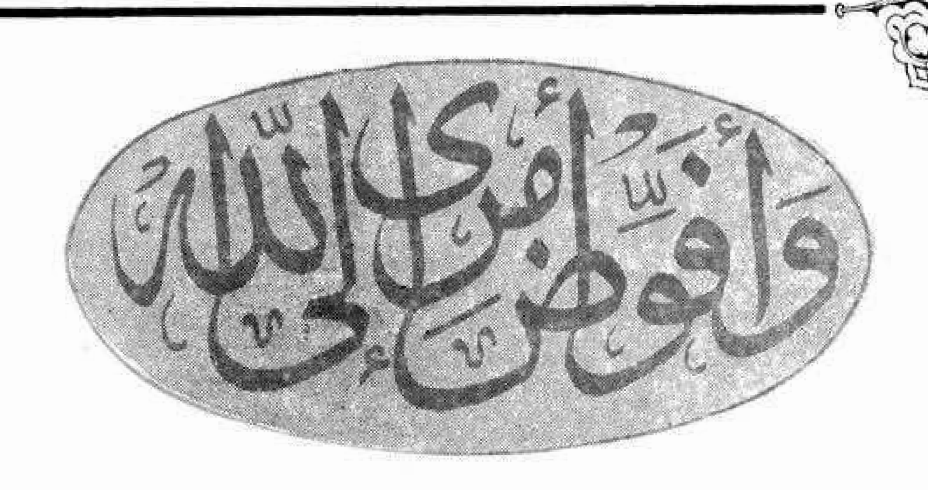
تقول الرواية :

وكان رسول الله ﷺ قد زوج عتبة بن أبى لهب رقية أو أم كلثوم ، فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة قالوا : إنكم قد فرغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن فمشوا إلى أبى العاص (بن الربيع) فقالوا له : فارق صاحبتك (صاحبته زينب وهى بنت خالته خديجة) ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ، فلم يقبل قولهم ولم يفارقها .. ثم مشوا إلى عتبة بن أبى لهب ، فقالوا له طلق بنت محمد ونحن ننكحك أى امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتمونى بنت أبان بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارقتها ، فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ولم يكن أدخل بها .. وخلف عليها عثمان بن عفان بعده .

وقد سقت إليك كل هذه الروايات لتتبين معى الحقيقة[٣] وكان آخرها رواية ابن إسحاق ولم يذكر عن عتبة أنه قال : هو كافر برب النجم إذا هوى ، أو يكفر بالنجم إذا هوى وبالذى دنا فتدلى ، لكن الروايات دارت كلها حول عتبة وتركت عتيبة ومعتب ، وعتيبة لم يذكر فى الذين أسلموا بعد فتح مكة ، كما ذكر (عتبة ومعتب) فقد أسلما وكانا مع النبى ﷺ فى غزوة حنين وثبتا معه مع الذين ثبتوا من أهله وأصحابه ، ولهما عقب كما يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى .. أما عتيبة فقد سكتت الكتب عنه فهو إذن أكيل السبع لكفره وإيذائه النبى بفعله وقوله ، والمحدثون بعد رواية الحديث « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» وقفوا آخر الأمر بالسؤال أعتيبة أم عتبة ؟ والجواب واضح : إنه عتيبة والله الموفق .

السيد حسن قرون

(٣) يجب عند طبع الكتب المذكورة التنبيه على الخطأ وذكر الصواب .



للأستاذ
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

وردت هذه الكلمات النيرات ضمن آية كريمة على لسان مؤمن آل فرعون ، فيما يحكيه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ - غافر ٤٤ - .

وقد قال هذه العبارة بعد أن ضاق ذرعا بإعراض قومه عن رسالة الهدى التى جاء بها موسى - عليه السلام - وكان لا يكف عن تبصيرهم بأن ماجاء به موسى - عليه السلام - هو الحق ، وأن ما هم فيه هو الباطل .

وكان هذا المؤمن ظهيرا لموسى - عليه السلام - من بين آل فرعون الذين أجمعوا على الضلال حتى هموا بقتل موسى وبالبطش بمن معه ومنهم هذا المؤمن .

وقد حاولوا أن يزينوا له اتباع الباطل الذى هم فيه ، فلما لم يستجب لهم هموا بقتله ، وفوض أمره إلى الله فيهم ، فأنجاه الله من شرهم ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ - غافر ٤٥ - .

قال القرطبى - رحمه الله - فى تفسيره : وقاه الله من إلحاق أنواع العذاب به ، فطلبوه فما وجدوه ، لأنه فوض أمره إلى الله فيه .

وقيل : هرب إلى الجبل فما قدروا عليه ، وقيل : نجاه الله مع بنى إسرائيل مع أنه كان قبطيا .

لقد كان لتفويضه أثر طيب فى استجابة الله له وإمداده بعونه وكفالته له ، وفى ذلك دلالة على أن التفويض له شأن مذكور وأمر مشكور .

معنى التفويض:

جاء فى لسان العرب : فوض إليه الأمر صيره إليه ، وجعله الحاكم فيه ، وفى حديث الدعاء : « فوضت أمرى إليك » أى رددته إليك ، وفى حديث الفاتحة : « فوض إلىّ عبدى » .

وهذا الحديث هو ماوراه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « قال الله ـ عز وجل ـ : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله ـ تعالى ـ حمدنى عبدى .

وإذا قال العبد : الرحمن الرحيم قال الله ـ تعالى ـ اثنى على عبدى .

وإذا قال العبد : مالك يوم الدين قال الله ـ تعالى ـ مجدنى عبدى ـ وقال مرة : فوض إلى عبدى .

فإذا قال :إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل .

فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم .. إلى آخره قال : هذا لعبدى ولعبدى ماسأل » تفسير القرطبى ، والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لعبد الرءوف المناوى الحديث رقم ١١٥ ـ فهذه السورة تضمنت التفويض إلى الله والتذلل له وطلب الاستعانة به والتوكل عليه ، وفى ذلك من تعظيم الله مافيه .

التفويض والتوكل :

وإذا كان التفويض معناه رد الحكم إلى الله والاستعانة به فما معنى التوكل إذن ؟

التوكل من الوكالة ، ومن اسماء الله ـ تعالى ـ (الوكيل) : ومعناه : القيم والكفيل بأرزاق العباد ، وحقيقته انه يستقل بأمر الموكول إليه ، وفى التنزيل : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ .
ـ الإسراء ـ

والمتوكل على الله هو الذى يعلم بأن الله كافل رزقَهُ وأمْره ، فيركن إليه وحده ، ولا يتوكل على أحد غيره .

وفيه معنى الاستسلام ، فمن معانى (وَكَلَ) اللغوية : وكل إليه الأمر : سلمه .

والرجل الذى يكل أمره إلى الله متوكل ، أما الذى يكله إلى العباد فهو وَكِل ـ أنشد ابن برى فيما يحكيه ابن منظور فى لسان العرب :

لما رأيت أننى راعى غنم
وأننى وكل على بعض الخدم

عجز وتعذير إذا الأمر أزم

أراد أن المتوكل على بعض الخدم عجز .

فالوَكِل والمواكل والوُكَلة ـ مثل هُمَزَة ـ والتُّكَلة ـ بإبدال الواو تاء ـ هو العاجز الذى يكل أمره إلى غيره ، ومثله المتواكل بالألف بعد الواو . وقد استشهد ابن برى أيضاً بقول امرأة تخاطب طفلها :

أشبه أبا أمك أو أشبه حمل
ولا تكونن كهِلَّوْفٍ وَكِل

يصبح فى مضجعه قد انجدل
وَارْقَ إلى الخيرات زَنْئاً فى الجبلِ

والهلوف : الثقيل الجافى أو العظيم اللحية ، وزنئا : صاعدا فى الجبل تقصد الرقى والعلو والوَكِل هو البليد الجبان العاجز .

لسان العرب مادة وكل ، وزنأ .

فإذا كانت مادة (وكل) تتسع المعنى وضده ، فإن مادة فوض لا تتسع إلا إلى الاعتصام بالله والاستسلام له ، فهى أخص من الأخرى .

التوكل والتفويض بين اللغويين والعالمين :

وإذا كان هذا هو فهم اللغويين لكلا اللفظين فإن العالمين لهم فهم آخر حولهما.

قال أهل التذوق : التوكل هو الاعتصام بالله - تعالى - ومحله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله - تعالى - وإن تعسر شىء فبتقديره وإن تيسر شىء فبتيسيره .

والأثر المشهور يؤكد ذلك حين جاء رجل معه ناقة فقال : أدعها وأتوكل فقال له النبى - ﷺ - : « اعقلها وتوكل » .

أخرجه القشيرى عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

ولأهل المعرفة تعبيرات تصور حقيقة التوكل وأنه لا ينافى الأخذ بالأسباب ، فهذا إبراهيم بن أدهم يقول : عليك بعمل الأبطال ، والكسب من الحلال ، والنفقة على العيال - اللمع للطوسى ص ٢٩٠ .

وسفيان الثورى يقول فى تنفيره من البطالة :

ابْلُ الرجال إذا أردت إخاءهم
وتوسمن أمورهم وتفقد
ودع التخشع والتذلل تبتغى
قرب امرىء إن تدن منه تبعد

حلية الأولياء ٦/٣٧٦ .

إنه ينبه إلى مرض اجتماعى يبدو عند بعض الناس هو الاستذلال للناس طمعا فيما عندهم . وهذا ينافى التوكل الحقيقى على الله - مع أنه ينافى الكرامة الإنسانية أيضاً .

ويؤكد هذا المعنى الخواص حين يقول :

إذا ما مددتُ الكف التمس الغنى
إلى غير من قال : اسألونى - فَشُلَّت
سأصبر نفسى إن فى الصبر عزة
وأرضى بدنيائى وإن هى قلت

إن الخواص يدور فى فلك وصية رسول الله - ﷺ - المشهورة لابن عباس - رضى الله عنه - : «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك - تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئا لم يكتبه الله - عز وجل - لك لم يقدروا عليه ، وعلى أن يمنعوك شيئا كتبه الله - عز وجل - لك لم يقدروا عليه ، فاعمل لله - تعالى - بالرضا فى اليقين ، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

أخرجه أبو نعيم فى حليته جـ ١ ص ٣١٤ - ترجمة ابن عباس - .

التوكل واليقين :

والأخذ بالأسباب لا يعنى الاعتماد عليها كل الاعتماد وطرح اليقين بقدرة الله بل يعنى الوثوق بأنها مجرد وسيلة إلى تحقيق المطلوب إذا شاء الله . فالطبيب يصف الدواء ولكن الشفاء بيد الله وحده ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ - الشعراء ٨٠ - .

ولعل هذا هو ما يعنيه ذو النون المصرى بقوله : « التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة » .

« هو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى

شكر وإن منع صبر » . ـ الرسالة القشيرية ٨٧ ـ .

روى القرطبي عند قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ قال عن إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام :

« ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال : ياإبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ؛ فقال جبريل : فاسأل ربك، فقال :

حسبي من سؤالي علمه بحالي . قال الله : ﴿ يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ رواه أبي بن كعب .

وقد أشار النبي ـ ﷺ ـ إلى هذا المعنى بقوله : « من انقطع إلى الله ـ عز وجل ـ كفاه كل مئونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها » ـ رواه الطبراني في الصغير ، وإحياء علوم الدين باب التوكل .

وبقوله ـ ﷺ ـ : « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده » أخرجه الحاكم ، والبيهقي في الزهد عن ابن عباس ، والغزالي في إحيائه في باب التوكل .

والتوكل هو حال النبي ـ ﷺ ـ وحال من سار على قدمه وقد وصفهم الحق ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ـ آل عمران ١٧٣ ، ١٧٤ .

ومن ثم فقد قال العلماء : « من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان » .

لا تعارض بين التوكل والتفويض :

والتفويض هو أقصى درجات التوكل ، وقد جعل العالمون هذا السلوك درجات فقالوا : التوكل صفة المؤمنين ، والتسليم صفة الأولياء ، والتفويض صفة الموحدين .

وكان التوكل صفة المؤمنين لأن الإيمان ماوقر في القلب وصدقه العمل .

وقد جاء حديث القرآن الكريم عن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح في وصف المؤمنين ، وهم الذين قالوا : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وكان التسليم صفة الأولياء ، لأن الولي هو الذي توالت لله حركاته وسكناته ، أو الذي تولى الله أمره ، فهو مع الله بلا علاقة .

وكان التفويض صفة الموحدين ، لأن التوحيد هو ثمرة الجهاد النفسي الخالص لله وهو خلاصة المذاقات والمواجيد ، هو الذي يقول فيه ابراهيم ابن أدهم : ـ

وخذ الله صاحبا ودع الخلق جانبا .
وهو مقام عالٍ عز من يصل إليه .

وكان هو مقام سيد الرسل الذي يقول : إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ، هذا التفويض هو أقصى درجة في التوكل

وهذه المنزلة يقول فيها القشيري : « من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها » .

حاجتنا إلى التوكل والتفويض :

ونحن في أمس الحاجة إلى التوكل على الله

وأفوض أمرى إلى الله

والتفويض إليه ، مع أخذ الأسباب التى يدعو الشرع إلى اتخاذها فى المعاش والمعاد .

روى عن الحسين ـ رضى الله عنه ـ انه قال : « إن الصدق فى التوكل هو أن يتعب بدنك ويستريح قلبك ، لأن الجوارح تعمل والقلوب تتوكل ، والتوكل من أرقى المراتب لأنه يضمن للعبد الفوز بحب الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ـ آل عمران ١٥٩ ـ .

وقد دعا الله إلى التوكل عليه فى مواضع متفرقة فى القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى ـ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ـ المائدة ٢٣ ـ .

وضمن النصر والفوز والكفاية للمتوكلين فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ الطلاق ٣ ـ ونحن فى أزماننا الراهنة وما أكثرها ـ فى أشد الحاجة إلى من يتولى عنا درء الأخطار ويزيل عن كواهلنا الأعباء الثقال .

ما أحوجنا إلى الراحة النفسية التى يستشعرها المتوكل أو المفوض حين تكفكف دموعه يد الرحمن الحانية ، وتسعد وجدانه رحمته الواسعة فيردد ما سوف يردده أهل الجنة فى سعادتهم الغامرة ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ ـ الطور ٢٨ ـ .

إن الإنسان الذى يوكل إنسانا مثله أو يفوضه فى قضاء مصالحه يشعر بالراحة والأمن والاطمئنان فكيف إذا وكل القادر الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، أو فوض أمره إلى الرحيم الذى لا تخفى عليه خافية ، ولا يجدى امام حوله مكر الماكرين ولاختل المخاتلين ؟!

إن التوكل على الله يدرأ الأخطار ويكشف نوايا الأشرار ويفتح أمام المؤمنين الطريق لاتخاذ الأسباب الكفيلة بتحقيق النصر والفوز والنجاح :

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ آل عمران ١٥٩ ، ١٦٠ .

تصويب واعتذار

عن خطأ وقع فى مسالة ميراث بالعدد (ذى الحجة) ١٤١٠ هـ ص ١٢٤٤ .

وها هو نص الفتوى والاستفتاء :

سال السيد : ا . عبد المجيد . قال : توفيت امراة عن زوج ، وام ، وإخوة لام ذكور وإناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

وقد اجابت لجنة الفتوى بالأزهر :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد ؛ فنفيد بان :

للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث

وللام السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة

وللإخوة لام الثلث فرضا لعدم وجود من يحجبهم ، يقسم بينهم للذكر مثل الانثى ... والله اعلم

زيد بن ثابت

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

في حياة النبي صلى الله عليه وسلم :

كان زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أحد أذكياء الأنصار وفضلائهم وأحد علمائهم ووجهائهم وهو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن لوذان وأمه النوار[1] بنت مالك بن معاوية بن عدى ، وينتهي نسبه من جهة أبيه ومن جهة أمه كليهما إلى النجار فهو أنصارى خزرجي ، وقد ولد زيد في المدينة وقبل (بُعاث) بست سنين[2] وهاجر النبي عليه الصلاة والسلام وله من العمر إحدى عشرة سنة . ويظهر أن زيداً قد لازم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنهما فور شخوصهما إلى (يثرب) لتعليم أهلها القرآن بإذن من النبي عليه الصلاة والسلام .

والدليل على هذا أنه كان يحفظ عند هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة بضع عشرة سورة[3] وهو قدر من القرآن لم يتح لغيره ممن هم في مثل سنه وفي غير سنه ، وما أشك في أن مخايل ذكاء زيد هذا ودلائل فطنته قد بدت مبكرة وقبل أوانها المعتاد ؛ ولهذا فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكد يستقر في المدينة حتى أحضره أقاربه إليه وقالوا له فرحين مستبشرين : إن هذا الغلام قد حفظ بضع عشرة سورة من القرآن ، وقد أعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خَبِرَهُ واستشف المواهب التى أتاها الله إياه . وقال له وهو لا يشك في نجابته وصفاء قريحته : يازيد إني أخشى اليهود على كتاب الله تعالى فتعلم العبرية[4] ، وفي رواية أخرى أنه قال له : إن كتباً تأتيني ولا أحب أن يطلع عليها أحد فتعلم السريانية وسواء أصحت هذه الرواية أم أن سابقتها هي الصحيحة ؛ فإن زيداً قد حذق اللغتين معاً في خمسة عشر يوماً أو في سبعة عشر وهي مدة غاية في القصر مما يدل على أن زيداً قد بلغ الأوج الذى لا يدرك في سرعة الحفظ وقوة التحصيل .

ومن الرواة : من ذكر أن زيداً لم يتعلم العبرية والسريانية وحسب وإنما تعلم الفارسية والحبشية والرومية والقبطية[5] . وهو أمر لم يعهده الناس في أحد منهم من قبل .

وقد تتساءل : وكيف تعلم هذه اللغات كلها ،

←

(1) الإصابة في تمييز الصحابة ١/٥٦١ ط دار الفكر بيروت .
(2) أسد الغابة ٢/٢٧٨ ط دار الشعب .
(3) البداية والنهاية لابن كثير ٥/٣٤٦ ط مكتبة المعارف بيروت .
(4) الإصابة في تمييز الصحابة ١/٥٦١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨/٣٤٦ .
(5) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٣٥٨ ، البداية والنهاية .

ومن الذى علمه إياها ؟ والجواب : أنه تعلم العبرية والسريانية من اليهود ، وتعلم الفارسية من رسول كسرى وتعلم الرومية والحبشية والقبطية من خدام النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وكان تعلمه لكل لغة من هذه اللغات فى وقت هو غاية فى الضآلة والقصر ولا جدال فى أن ذكاء زيد ومواهبه الخارقة هى التى دفعت النبى عليه الصلاة والسلام إلى أن يتخذه كاتباً بين يديه . فكان يكتب له الوحى[٦] وكان يقرأ له الرسائل التى ترد إليه من شتى أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ومن الملوك والحكام من خارجها ، وكان كذلك يكتب له فى حوائجه المختلفة ، وبعباره أوجز وأشمل كان له بمنزلة يده وعينيه ، وقد كان زيد دقيقاً شديد الانتباه لما كان يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جاء فى صحيح البخارى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية . دعانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اكتب « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضرارته ، فنزل الوحى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فثقلت فخذه على فخذى حتى كادت ترضها فنزل (غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ) فأمرنى فألحقتها : فقال زيد : فإنى لأعرف موضع ملحقها عند صَدْعٍ فى ذلك اللوح ـ يعنى من عظام[٧] .

فانظر كيف أن النبى عليه الصلاة والسلام . قد كان يدعو زيداً عندما ينزل عليه القرآن ، وكيف كان يأتمنه على كتابته ، وكيف كان الوحى ينزل وفخذه على فخذه وأخيراً وليس آخراً . كيف كان زيد يحفظ مايثبته وما يمحوه ومكانه . على اللوح على الرغم من قدم الحوادث ومر الأعوام والشهور . ولاريب فى أن ملازمة زيد للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكثرة تردده عليه لكتابة الوحى بين يديه قد أَفَادَهُ من وجوه شتى وجوانب متعددة ؛ فقد قتبس من علمه واقتطف من فضله واستقى من خلقه ونبله ، وقد ظهر هذا واضحاً فى حياة النبى ـ صلوات الله عليه فكان زيد يفتى[٨] الناس ويقضى بينهم ويؤتيهم مما آتاه الله من الفقه والعلم .

وقد عده رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النفر الذين ذكر مزاياهم من أصحابه فقال : «ارحم امتى بأمتى ابو بكر ؟ وأشدها فى دين الله عمر ، واصدقها حياء عثمان وأقضاهم علىٌ بن ابى طالب ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت[٩] ولكل امة امين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ولم تكن شهرة زيد العقلية هى التى كانت تميزه فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ـ وحسب وإنما كانت شجاعته وحسن بلائه وجوده بنفسه فى سبيل ربه ونبيه مثلاً يضرب وأسوة يقتدى بها ؛ فقد عرض على النبى صلوات الله عليه فى كل من بدر وأحد ، فرده لصغر سنه[١٠] وشهد المشاهد كلها بعد ذلك بدءاً من الخندق وانتهاء بتبوك فكان ضمن الذين جاء فيهم قوله تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[١١] وقد غادر

(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة . ٥٦١/١
(٧) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٧/٥ .
(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٠/٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٧/٥ .
(٩) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٦/٥ .
(١٠) الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦١/١ .
(١١) الأحزاب الآية ٢٣ .

النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه الدنيا وهو عنه راض .

فى عهد الراشدين ..

وكما كان زيد بن ثابت رضى الله عنه أحد رهبان المسلمين وفرسانهم فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ، فقد كان كذلك فى حياة أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، كان عالماً يحج إليه الناس . يستفتونه فيفتيهم ويسألونه فيفيدهم ، وكان فارساً يغشى المعارك[12] ويخوض المواقع ويحمل روحه على كفيه لا يغليها فى سبيل الله ولا يضن بها فى إعلاء كلمته وانتصار دينه ، ففى خلافة أبى بكر رضى الله عنه انخرط فى الجيوش التى خرجت لقتال المرتدين واعادتهم إلى الحق الذى خرجوا منه والدين الذى رجعوا عنه ، يقول الرواة : إن سهماً قد أصابه فى اليمامة[13] ولولا لطف الله لكان فيه حتفه والقضاء عليه ، وفى خلافة أبى بكر كذلك وبعد أن استحر القتل فى الحفاظ وخشى عمر أن يذهب القرآن بذهاب أهله ، طلب عمر إلى أبى بكر أن يجمع القرآن ، فلما وافق دعا أبو بكر رضى الله عنه زيداً وقال له : (إنك شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتتبع القرآن واجمعه) ففعل[14] ما أمره به وكان يقول : « لقد كلفنى أبو بكر بشىء لو كلفنى بدلاً منه نقل أُحُدٍ لكان أهون علىّ » ، إجلالاً لكتاب الله وخوفاً من عقابه سبحانه إذا هو غفا أو أخطأ وقد حمل ـ رضى الله عنه ـ هذه المهمة على كاهله فرأس فريقا قام بالأمانة وأداها كأحسن ما يكون الأداء وأعظمه .

وفى خلافة الفاروق رضى الله عنه كان يزيد موضع التقدير منه ومن أصحاب النبى ـ عليه الصلاة والسلام كافة .

ويقول الرواة : إن عمر قد استخلفه على المدينة مرتين :[15] إحداهما فى حجته الأولى ، والأخرى فى حجته الثانية واستخلفه مرة ثالثة عندما خرج إلى الشام وهناك اثنى عليه ونوه بعلمه وفقهه وقال : وهو يخطب الناس فى الجابية :

من أراد أن يسأل عن شىء فى الفرائض فليسأل زيد بن ثابت وكان يفرق العلماء فى النواحى ويستبقى زيداً فى المدينة إلى جواره فإذا سئل عن ذلك قال : إن هذا البلد فى حاجة إلى علمه وفقهه وكما أجل الصديق والفاروق هذا العالم الجليل ، فقد أجله عثمان وعلى كذلك ، فقد سجل الرواة : أن ذا النورين كان يستخلفه على المدينة إذا خرج عنها وكان علىّ يقدره ويُوقِرُهُ على الرغم من أنه لم يقاتل معه شأنه فى هذا شأن أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص وغيرهم ممن لم يرفع سيفاً فى وجه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله رضوان الله عليهم .

وفى الخامس والأربعين على المشهور هوى هذا الكوكب اللامع والنجم الساطع بعدما أضاء للناس الطريق وأنار لهم السبيل وقد اثنى عليه ابن عباس[16] وغيره بما هو أهله وقالوا : لقد مات العلم يوم مات أبو سعيد فرضى الله عنه وأحسن فى الآخرة له الأجر والمثوبة .

---

(١٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦١/١ .

(١٣) أسد الغابة ٢٧٩/٢ .

(١٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦١/٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٦/٥ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦١/١ .

(١٥) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٧/٥ .

(١٦) الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦٢/١ .

ليبيا والإسلام

للأستاذ / محمد المتناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين فاما بعد :

فقد حفزنى إلى كتابة هذا البحث ما ينبغى ان اقوم به من تعريف بأحوال المسلمين فى هذا البلد حتى يتسنى للمسلمين ـ عبر مجلة الأزهر ـ ان يتعارفوا على إخوانهم ، وإنها لسنة حسنة ان يقدم كل منا معلوماته عن كل موطن يعيش فيه المسلمون فيتم التعارف فيما بينهم ، ويتكامل التعاطف المنشود لرفعتهم .

ولم يكن سهلا ميسورا التعرف العلمى على احوال هذا الجزء من غرب افريقيا الذى يتمثل فيه هذا الوطن « ليبريا » ، وحسب القارىء أن يعلم أن لكل قبيلة بهذا الوطن لغتها الخاصة ، مما يضاعف العناء ، لولا الرغبة الشديدة فى الحديث عن هذا الوطن ، وإلقاء ضوء من التعريف عليه ، والتيسير الذى اتاحه الله ـ تعالى ـ لى بوجود إخوة عدة من اهل البلاد يتحدثون العربية ، ويتقنون الترجمة عن شيوخ القبائل .

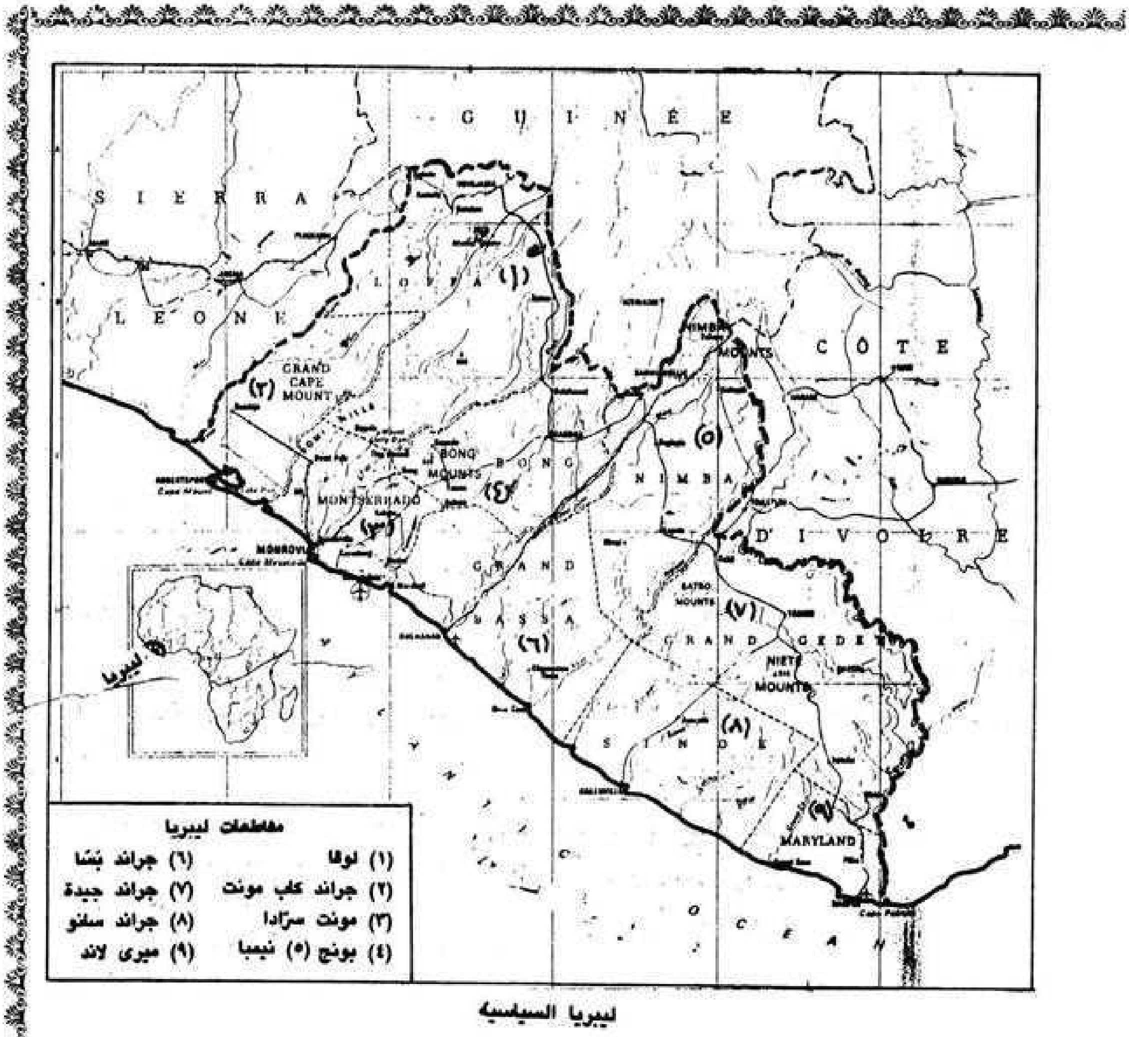
والحق ان طبيعة هذه البلاد ، ومناخها ، وجغرافية موقعها اكسبت اهلها ذكاء وحفظا نادرين ، وقد بارك الله ـ سبحانه فى اعمارهم فقد جاوز بعضهم المائة بكثير ، ولايزال متمتعا بقوة ذاكرته وتاريخ بلاده .

والمسلمون ـ بليبريا ـ يعنون جداً بإقامة المساجد ، وتدريس العربية لابنائهم بها إلى جانب العقيدة وعلوم الشريعة .

ويعنى مجلس الكنائس العالمى بهذه المنطقة وله فيها مراكز للتبشير ، وطبع الكتب والنشرات ، وينشطون فى إقامة المدارس والكنائس والمستشفيات والإذاعات التبشيرية كما يقدمون هدايا عينية ومالية للمواطنين ، لإغرائهم ، واجتذابهم للنصرانية .

وتضم البلاد جاليات عربية ، وبخاصة اللبنانية وهى جالية كبيرة لها اثرها البارز بهذه البلاد وارجو أن اوفق فى إمداد القارىء بتعريف كامل لليبريا والله المعين .

محمد المتناوى



ليبريا السياسيه

شكرًا لكلية التربية بجامعة طنطا لمساعدتها فى تقديم هاتين الخريطتين

ليبريا :

إذا لم تكن زرت ليبريا فسوف أحاول أن اجعلها اقرب إليك من خلال هذه السطور .

ليبريا تعد من الدول النامية ، وهى ككل دولة نامية إسلامية ، ينقصها الكثير جدا برغم ما تحويه ارضها من ثروات طبيعية تحتاج إلى ممارسة العمل المخلص ليعود خيرها على البلد واهله .

الموقع الجغرافى :

تقع ليبريا ضمن دول غرب القارة الافريقية ، على المحيط الأطلنطى . وهو حدها الغربى ويحدها من الشرق غينيا وساحل العاج ، ومن الجنوب ساحل العاج أيضا . ومن الشمال سيراليون .

←

ليبريا والاسلام

وليبريا وجيرانها أعضاء فى اتفاقية الميثاق التعاونى لدول غرب أفريقيا .

المساحة والسكان :

ورد فى الأطلس العربى المطبوع ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م (الإصدار الثانى الطبعة الثالثة) .

تقع ليبريا على مساحة من الأرض تقدر بـ (١١١٣٧٠ كم٢) تقريبا ، وعدد السكان حسب تعداد ١٩٧١ م (١,٥٧٠,٠٠٠) نسمة وقد يصل التعداد الآن إلى أكثر من ٢ مليون نسمة تقريبا .

ويتحدث أهلها من القبائل لغات عدة بينما الانجليزية هى اللغة الرسمية للبلاد .

العاصمة :

العاصمة (منروفيا) وهى شبه جزيرة تقع على المحيط الأطلنطى وتعتبر مركزا تجاريا هاما .

أهم الموانىء :

١ ـ منروفيا : وهذا الميناء تستغله ، الجاليات(١) التى تعمل بالتجارة فى ليبريا فتصدر منه البن ، والكولا ، والأخشاب . وتستقبل فيه البضائع المستوردة من الخارج . والتى يباع معظمها عن طريق (الترانزيت) إلى دول أخرى ، بمعنى أن هذه البضائع لا يدخل منها البلاد إلا القليل وتخزن .

ثم تباع خارج ليبريا دون تحصيل مكوس جمركية عليها .

٢ ـ ميناء باصا : ويقع فى مدينة باصا على المحيط أيضا . وأهمية هذا الميناء كبيرة حيث يصدر منه خام الحديد لشركات التعدين الأجنبية (الأمريكية السويدية) وسوف نتعرض لها بالحديث الذى يعرف بها .

الناحية الاقتصادية والاجتماعية :

ليبريا دول غنية جداً بثرواتها المعدنية ، وأرضها الخصبة الصالحة للزراعة وكثرة مياهها وأنهارها ، ومع هذه الثروات فشعبها فقير جدا بل هو شعب معدم .

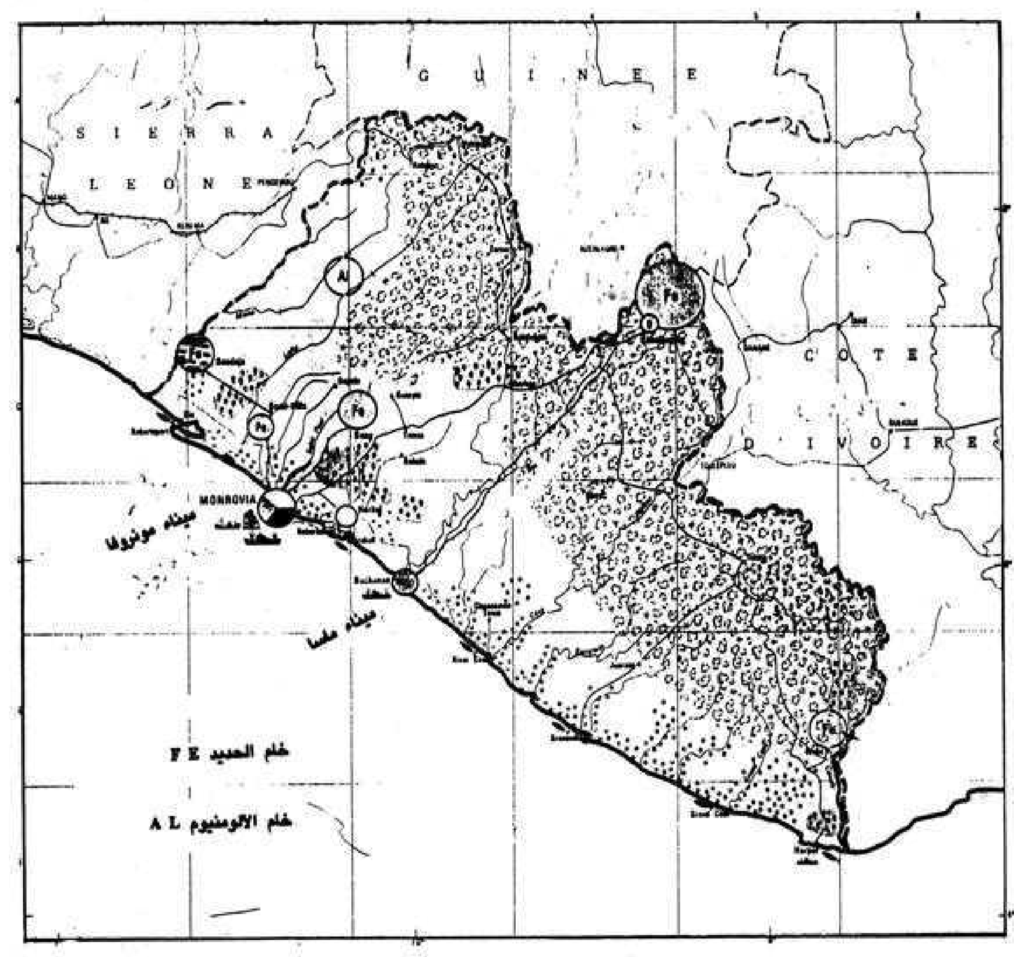
فبعض هذه الثروات مستغل لمصلحة شركات دول غربية والبعض الآخر لا يجد الجهد اللائق بتنميته ، وسوف نلقى الضوء ، على هذه العناصر الاقتصادية ، فى السطور الآتية :

الثروة المعدنية :

تتمثل الثروة المعدنية فى العناصر التالية :

(الحديد) تتمتع هذه البلاد بثروة هائلة ، من « أكسيد » معدن الحديد ، فسلسلة جبال « لامكو » المارة بليبريا ، يعتبر معظم نسيج بنيانها من « اكاسيد » الحديد ، وقد أخذت حق تعدينه شركة عالمية ـ سويدية أمريكية ـ معروفة بشركة « لامكو » التى استنزفت أو كادت تستنزف آخر طن منه فى ليبريا فأسرعت بالاتفاق على تعدين الجزء المار من هذه السلسلة بغينيا . وسوف ينقل الخام عن طريق السكك الحديدية ، التى أقامتها الشركة من مدينة « لامكو » بمحافظة « نمبا » بليبريا مارة داخلها إلى ميناء « باصا » حيث ينقل إلى دول الغرب ، عن طريق المحيط الأطلنطى .

(١) هذه الجاليات عموما هى : الصينية والفلبينية والهندية واللبنانية .



ثروات ليبريا الطبيعية

ملاحظة :

وتستطيع أن تلاحظ مقدار الربح الهائل لهذه الشركة من المثال الآتى : أنشأت هذه الشركة للعاملين بها ، مدينتين :

الأولى : فى محافظة نمبا على حدود (غينيا) والأخرى ، فى (باصا) على المحيط حيث الميناء(٢) .

كلتا المدينتين صممت على أحدث الطرز المعمارية .. وما وصل إليه الفكر الحضارى الغربى .

منازلها على شكل « فيلات » رائعة الهندسة المعمارية والزخرفية (الديكور) تحيط بكل (فيلا) حديقة غناء بها أبدع الزهور ، مزودة بالكهرباء ، والمياه الباردة والساخنة وبين هذه العرائس (الخرسانية) المتوجة بالرياحين . تتهادى شوارع واسعة مظللة من الجانبين

(٢) لذلك سميت الأولى : « لا مكونمبا » والأخرى : « لامكو باصا » .

ليبريا والاسلام

بالأشجار ، ويتوسط كل منها جزيرة خضراء مزينة بالزهور الطبيعية بطول الشارع .

وتتمتع كل مدينة بجميع المرافق الحيوية ، من أسواق فخمة ، ومكتب بريد ، ومستشفى مكتمل التخصصات والمعدات ، ونواد رياضية ، وحمامات سباحة وفندق من الدرجة الأولى ، ومطاعم عامة . وخط تليفونى متصل بالقمر الصناعى .

فإذا دخلت إحدى هاتين المدينتين ، نسيت ليبريا وما فيها وما عليها ، لا تذكرها إلا عند الخروج منها فتصطدم بالواقع المرير والفارق الشاسع بين الحياة داخل المدينة وخارجها .

وبالطبع ، فإن هاتين المدينتين ، ثم الخط الحديدى الواصل بين مناطق التعدين وميناء « باصا » .. كل ذلك تعتبر إقامته من هامش أرباح هذه الشركات الأجنبية .. هذا الهامش يمكن أن يشير فى جلاء إلى ضخامة الأرباح المركبة لهذه الشركات المستغلة لثروات هذا الشعب وبلده النامى .

الماس :

وتعتبر ليبريا من الدول التى تحوى أراضيها كنوزا كبيرة من الماس وهذه المنطقة من دول غرب افريقيا ، تقوم فيها تجارة الماس ، والتنقيب عنه على قدم وساق .

ومعظم المنقبين عن الماس وأصحاب الخبرة فى هذا المضمار مسلمون وهم منتشرون داخل غابات الدولة .

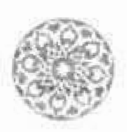
ويجمع الماس تجار أغلبهم مسلمون .. ويعيشون فى المدن ، ثم تصب الحصيلة لدى تجار الماس بالعاصمة ومعظمهم كذلك مسلمون ويقوم «هؤلاء التجار . بدورهم ببيع الماس فى أوروبا وأمريكا ، وإسرائيل كما يوجد مركز تجميع للماس ، فى فندق « الديكور » بمنروفيا ـ العاصمة « خاص بإسرائيل » .

والطبقة المشتغلة بالماس من المواطنين ميسورون حالا . لكن نراهم دائما ، فى حالى انخفاض وارتفاع مادى ، تبعا لظهور الماس واختفائه . لعدم استغلال الثروات التى يحصلون عليها ، فى مشاريع تدر عليهم دخلا دائما بجانب التعدين ، والحق أنهم يقومون بأعمال خيرية كثيرة جداً فى حق الفقراء لكنها وقتية على أننا نحمد الله على اهتمام بعضهم بإقامة مشاريع يمكن أن تدر أرباحا مستمرة .

الذهب :

يوجد خام الذهب بصوره المتعددة ولكنه لا يجد إقبالا عليه كإقبال الناس على استخراج الماس لغلو ثمنه والطلب الملح عليه ، فالمشتغلون بالذهب قلة قليلة ، حتى لا يذكر بجانب الماس .

« يتبع »



الماوردى ... قاضيا
(٣٦٤هـ - ٤٥٠هـ)

للأستاذ / أيمن محمد ميدان

يُعَدُّ « ابو الحسن الماوردى » واحداً من ابرز المفكرين الإسلاميين والقضاة العدول الذين لم يخشوا سطوة سلطان مهما كانت ، ولم يحنوا الهامة امام جبار مهما كان باسه وعناده .. فقد كان جريئاً فى موطن العدل شجاعاً فى موضع الحق .

ولد بالبصرة فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى لأب بسيط ينتمى إلى أسرة متوسطة الحال تتخذ من صناعة « ماء الورد » مهنة لها ، وإلى هذه المهنة نُسب « ابو الحسن » واشتهر ، وذاع صيته ، فقيل : الماوردى .

عشق العلم منذ طفولته المبكرة عشقاً يضرب به المثل ، فراح يتنقل بين مراكز الفكر ومجالسه يعب من مناهله الكثير ومشاربه المتنوعة ، فتفقه على يدى عالم البصرة « أبى القاسم الصيمرى » ، وارتحل إلى « بغداد » حاضرة الفكر والثقافة فى عصره ، فأخذ العلم على يد عالمها الفذ « أبى حامد الاسفراييني » .. وغيرهما كثير من علماء الفقه والحديث والأصول والتفسير .. إلخ ، فنبغ فى ميادين فكرية كثيرة ومجالات عملية متعددة ، منها أنه ولى القضاء ، وتقلد أعلى مناصبه .

عاصر سيطرة بنى بويه على خلفاء بنى العباس ، ورأى استبدادهم بكل شىء وتقلص نفوذ الخلفاء ، بل القضاء عليه ، فحين طلب الأمير البويهى من الخليفة المطيع لله أن يمده بالمال للجهاد زاعماً أن هذا من واجبات الإمام .. رد عليه قائلاً :

« الغزو يلزمنى إذا كانت الدنيا فى يدى ، وإلىّ تدبير المال والرجال .. وليس لى منها إلا القوت القاصر على كفائى .. وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف فلا يلزمنى حج ولا غزو .. ولا شىء مما تنظر الأئمة فيه ، وإنما لكم منى هذا الاسم الذى تخطبون به على منابركم ،

الماوردى .. قاضياً

تسكنون به رعاياكم ، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار وتركت لكم الأمر كله » .

مكانته :

وسط هذا المناخ المفعم برائحة الإرهاب السياسى استطاع « الماوردى » أن يشق لنفسه طريقاً واضحة ، ويثبت لذاته قدماً راسخة ، فاحتل مكانة مرموقة بين العامة ومنزلة عظيمة لدى خلفاء بنى العباس ، وملوك بنى بويه ، وصار من أخص الناس بهم . فكثر ماكان رسولاً لهم ، ووسيطاً بينهم وبين خصومهم .. فيقبلون حكمه ، ويرضون برأيه ، وينزلون عند قضائه ..

يقول ابن الأثير فى كتابه « الكامل » :

« حدث خلاف بين جلال الدولة .. وأبى كاليجار .. ورأى الخليفة القائم بالله أن يصلح بينهما ، ويضع حداً لخلافهما ، [فـ] أرسل الماوردى على رأس الوفد المفاوض واستقر الرأى على عقد الصلح بينهما .. » .

وكان إلى جانب ذلك فقيهاً سنياً يستمد أصالته وآراءه من كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، وكان لنبوغه فى هذا المضمار كبير الأثر فى أن تزعَّم مذهب الشافعية فى زمنه .

كلفه الخليفة العباسى القادر بالله مع ثلاثة من ائمة المذاهب الفقهية أن يصنف كل واحد منهم مصنفاً مختصراً فى الفقه كل على مذهبه ، فصنف « الماوردى » كتاب « الإقناع » الذى حاز إعجاب الخليفة فأثنى عليه بقوله : « حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا » .

مؤلفاته :

كان لطبيعة نشأة « الماوردى » ومراحل تطور حياته كثير الأثر فيما صنف وأبدع فزود المكتبة العربية والإسلامية بثروة فكرية ثرة وتراث معرفى يغطى أغلب جوانب الفكر الإسلامى وآفاقه الرحبة ، يتسم هذا التراث بعمق فكر صيغ بأسلوب منهجى سلس .. استمد معطيات هذا التراث وذاك الفكر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مدعما إياه بأقوال المفسرين واللغويين والشعراء ، فى عرض بليغ لوجهات نظرهم بأمانة علمية بالغة الدقة .... نذكر من مؤلفاته :

النكت والعيون .. فى التفسير . والإقناع والحاوى .... فى الفقه . وأدب القاضى .. فى القضاء . وأدب الدنيا والدين ..... فى الأخلاق .

والأحكام السلطانية والولايات الدينية ... فى السياسة ، ويعد هذا الكتاب مصدرا لكل من يلج ميدان « نظام الحكم فى الإسلام ومبادئه » .

مواقفه واجتهاداته :

إن نظرة ثاقبة لجوانب حياته لتميط اللثام عن مواقف كثيرة ومتنوعة تكشف عن مدى نقاء عنصر الرجل وأصالته وندرته ، واعتزازه بدينه ، وغضبه لله ..... وتجسد شجاعته فى الحق ، وجرأته فى العدل ، فلم يداهن خليفة ، ولم يمالىء ملكا ، ولم يصده عن إعلان الحق رغبة فى سلطان أو رهبة من بطش ....

من بين مواقفه الكثيرة نذكر رفضه الإفتاء بأن يخطب لجلال الدولة البويهى بلقب « ملك الملوك » على حين افتى بعض الفقهاء بجواز ذلك ، فخطب لجلال الدولة بذلك ، ولزم الماوردى بيته ثلاثة أشهر ، فكان لصمته واعتزاله بداره

اقوى صدى وأعمق اثراً فى نفس جلال الدولة البويهى .. فاستدعاه واكرمه .

يذكر الإمام السبكى فى طبقاته الكبرى هذا الموقف قائلاً : وحاصله أنه فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة فى شهر رمضان امر الخليفة جلال الدولة بن بويه شاهنشاه الأعظم ملك الأملاك ..

وخطب له بذلك .. وكتب جلال الدولة إلى الفقهاء فى ذلك . فكتب الصيمرى الحنفى أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية . وكتب القاضى ابو الطيب الطبرى بأن اطلاق ملك الملوك جائز ..

ومعناه ملك ملوك الأرض .. وافتى الماوردى بالمنع ، وشدد فى ذلك ، وكان الماوردى من خواص جلال الدولة .. فلما افتى بالمنع انقطع عنه ، فطلبه جلال الدولة ، فمضى إليه ، فلما دخل ، قال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحداً لحابيتنى لما بينى وبينك ، وما حملك إلا الدين ، فزاد بذلك محلك عندى » .

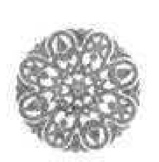
وما هى إلا فترة زمنية قصيرة أعقبت تعميم لقب « ملك الملوك » حتى بدأ نجم أسرة البويهيين فى الأفول ، ثم زالت من الوجود كأن لم تكن ، ويمد الله فى عمر القاضى الماوردى ليشهد افول هذا النجم ، وإزاحة ذاك الكابوس .

وتميز إلى جانب هذا باجتهادات متفردة دفعت بعض المعاصرين له من الفقهاء إلى رميه بالابتداع .. من ذلك اجتهاده فى توريث ذوى الأرحام الذى دفع بالإمام الشينيزى أن يذهب إليه فصعد إلى المسجد ، فصلى ركعتين ، ثم التفت إلى الماوردى وقال له : أيها الشيخ ، اتبع ولا تبتدع . فقال له : بل أجتهد ولا اقلد ، فلبس الشينيزى نعله ، وانصرف .

إن حياة كتلك التى عاشها الماوردى ، لا يتصور معها الباحث أن صاحبها قد سنحت له الفرصة لكى يخلو إلى نفسه ، وينصت إلى صوت الشعر فى أعماقه فيترجم إحساساً ، أو يجسد خفقة قلب ، أو يقرر موقفاً .. على أن القارىء لسيرة الرجل الذاتية لا يعدم أن يلتقى بقطعة من الشعر هنا ، أو نتفة هناك من ذلك قوله يسجل رؤيته حول العلم الذى يرى فيه حياة تضاف إلى عمر الإنسان ، والجهل موتا يهيمن عليه ، وإن كان فى أعماقه قلب ينبض ، أو لسان يلهج ، فيقول :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسادهم دون القبور قبور
وإن امرءاً لم يحى بالعلم صدره
فليس له حتى النشور نشور

وفى النهاية : رحم الله أبا الحسن الماوردى القاضى والفقيه ورجل السياسة ، فقد كان شجاعاً فى موطن الحق ، جريئاً فى موقف العدل ، لم يداهن خليفة ، ولم يمالىء ملكاً ، ولم تصده عن إعلان الحق رغبة فى جاه أو رهبة من بطش .



التعليم والثقافة

في ظلال الإسلام

من عصر النبوة إلى العصر الحديث

٢

للأستاذ الدكتور
السيد تقي الدين

المدارس الأجنبية :

وكان بنو أمية حكماء إذ تركوا المدارس الكبرى المسيحية أو الصابئية أو الفارسية قائمة في الاسكندرية وبيروت وأنطاكية وحران ونصيبين وجنديسابور لم يمسوها بأذى وقد احتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب في الفلسفة والعلم ومعظمها في ترجمته السريانية واستهوت هذه الكتب المسلمين العارفين باللغتين السريانية واليونانية وما لبثت ان ظهرت ترجماتها إلى اللغة العربية .

الأمراء والعلم :

وشجع الأمراء من بني العباس هذه الحركة العلمية وأرسل « المنصور » و« المأمون » و« المتوكل » الرسل إلى القسطنطينية وغيرها من المدن يطلبون من أهلها أن يمدوهم بالكتب اليونانية وبخاصة كتب الطب والعلوم الرياضية[١] ..

صناعة الورق والمكتبات :

لما فتح المسلمون (سمرقند) عام ٧١٢ م عرفوا صناعة استخراج عجينة من الكتان وغيرها من النباتات ذات الألياف ثم تجفيف هذه العجينة بعد صنعها رقائق رفيعة ، ودخلت هذه الصناعة في بلاد الشرق الأدنى واستعملت فيها بدل رقائق الجلد في وقت لم يكن نبات البردى قد نسي فيه بعد ، وافتتح أول مصنع للورق في بلاد

(١) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت جـ ٢ من المجلد الرابع ص ٢٧٢ .

الإسلام في بغداد عام ٧٩٤ م على يد « الفضل ابن يحيى وزير هارون الرشيد ، ونقل العرب هذه الصناعة إلى صقلية وإسبانيا ومنها انتقلت إلى إيطاليا وفرنسا

التأليف والمؤلفون :

ويسر هذا الاختراع تأليف الكتب في كل بلد انتقل إليه . يقول اليعقوبي : إنه كان في بغداد على أيامه ٨٩١ م أكثر من مائة بائع كتب كانت حوانيتهم تستخدم ـ فضلا عن بيع الكتب لنسخها وكتابة الخط المزخرف ـ ندوات أدبية ، وكان كثير من الطلاب يحصلون على أرزاقهم من نسخ المخطوطات وبيعها لتجار الكتب .

ولم يكن المؤلفون يحصلون على شيء من بيع كتبهم ، وكانوا يعتمدون في معاشهم على وسائل للرزق أثبت من هذه وأقوى أساساً .

وكان في معظم المساجد مكتبات كما كان في معظم المدن دور عامة للكتب تضم كتب العلم والأدب والفن ، وكانت مفتحة الأبواب لطلاب العلم وكان في مدينة (الموصل) عام ١١٥٠ م مكتبة عامة يجد فيها من يؤمها حاجاتهم من الكتب والورق ، وبلغت فهارس الكتب التي اشتملت عليها (مكتبة الري العامة) عشرة مجلدات وكانت (مكتبة البصرة) تعطي رواتب وإعانات لمن يشتغلون فيها من الطلاب وقضى (ياقوت الجغرافي) . في (مكتبتي مرو وخوارزم) ثلاث سنين يجمع المعلومات التي يتطلبها كتابه « معجم البلدان » . ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم ما بلغه في بلاد الإسلام في القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من الميلاد . في هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية .

بيت الحكمة :

أنشأه المأمون في بغداد سنة ٨٣٠ م وهو مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة وقد أنفق في إنشائه مائتي ألف دينار وأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال .

الثقافة العامة :

ولم يقف الأمر عند ضرورة العناية بالعلم والعلماء ، لأن العلم حاجة من حاجات الإنسان لاغنى له عنها شأنه في ذلك شأن الماء والهواء والطعام ، بل ارتقت النظرة في بلاد الإسلام المتحضرة التي تريد حياة فكرية راقية وألوانا من المعرفة المتعددة ـ إلى العمل على تكوين أسلوب ثقافي يناسب الحركة الحضارية فكانت هناك نظرة إلى الثقافة العامة ، وإلى الثقافة الشخصية .

كيف تكون للمجتمع ثقافة عامة ؟ وما أسس التكوين الثقافي الشخصي ؟

وإذا كان العلم والثقافة يلتقيان في إعداد المادة العلمية اللازمة لبناء الفرد ليرقى في مدارج الحضارة فلا شك أن الثقافة بشطريها : العام والشخصي تكون مرحلة أرقى من مرحلة التعليم فلم يعد الأمر مقصورا على معلومات تقدم في محاريب العلم لمن يتجه إليها بل أصبح الطالب هو الذي يبحث عن الثقافة سواء في محاريب العلم أم خارجها . أصبح التثقيف الذاتي ظاهرة

التعليم والثقافة

اجتماعية وأصبحت الثقافة تعنى أسلوب الحياة المتحضرة ينبغى أن يلم به الإنسان المستنير ، بل هو يحرص على ذلك ويسعى جاهداً فى طلبه ، لأنه لا ينبغى أن يكون فى معزل عن متطلبات العصر وينبغى أن لا يقصر فى تراثه العلمى والأدبى فالكتاب للجميع والثقافة للجميع والمجتمع كله يتحرك مع التيار الثقافى وليس طلبة المدارس والمعاهد وحدهم ، والباحث - وإن تخصص فى فرع من فروع المعرفة - لا ينبغى له أن يعيش داخل دائرة مغلقة ليتفوق فى فرع ما وحسب ، بل لابد أن يلم بثقافة عصره واتجاهاته الفكرية ليكون مع تخصصه موسوعياً يأخذ من كل فن بطرف .

ولا شك أن هذه نظرة حضارية متقدمة التفت إليها العرب فى وقت مبكر جداً بالنسبة لمسيرة التاريخ ، وتركت آثاراً واضحة فى الحياة الثقافية ولاسيما فى عصر العرب الزاهر : عصر بنى العباس .

عنيت الثقافة العربية فى الإسلام بما كان فيه من أحداث كبار فسيرة رسول الله ﷺ ، وأخبار الخلفاء ، والغزوات والفتوح ، وما تخللها من شعر وأدب وقصص ، ومن كان يفد على الخلفاء والولاة من شعراء وما كانوا يقولون . وما تكون من مذاهب دينية من خوارج وشيعة ومرجئة ومعتزلة وما كان لذلك من أدب ، وما كان من أحزاب سياسية وانحياز الخطباء إلى هذه الأحزاب ، كل ذلك كان جزءا من الثقافة العامة العربية يتثقف بها من كانوا عرباً فى أصلهم ومن كانوا فرساً أو رومانيين أو يونانيين .

وعلى الجملة من كانوا فى أرض الخلافة الإسلامية وبخاصة من أسلموا وتعلموا وما كان ينبغ النابغ ويشتهر إلا إذا عرفها وأحاط بطرف منها ؛ فكانت بذلك عنصراً من عناصر الثقافة العامة فى العصر العباسى .

ولقد هجم العلماء فى هذا العصر من عرب وموال على هذه الثقافة يبحثون عنها من نواحيها المتعددة ويرحلون إلى البادية أحياناً وإلى الأمصار أحياناً ويسمعون للرجال والنساء والصبيان والخاصة والعامة [٢] .

وكان أهم عمل لهؤلاء العلماء تحويل الثقافة العربية من ثقافة لسانية شفهية فى الغالب إلى ثقافة كتابية تحريرية ذلك أن عقول أهل الشرق الأدنى فى ذلك الوقت تتأثر بما يصل إليها عن طريق الأذن شأنهم فى هذا شأن جميع الناس قبل اختراع الطباعة .

وكانت القصة والقصيدة أكثر فنون الأدب انتشاراً . كانت القصائد تنشأ لكى تقرأ بصوت عال أو تغنى ، وكان كل شخص فى بلاد الإسلام من الخليفة إلى العامل والفلاح يطرب لسماعها وقلما كان هناك شخص لا يفهم الشعر أو يتذوقه أو يقرضه [٣] .

كانت هذه هى الخطوة الأولى ليتناول العلماء بعض ما جمع ينقحونه ، ويميزون خطأه من

---

(٢) ضحى الإسلام لأحمد أمين جـ ١ ص ٢٣٠

(٣) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت جـ ٢ من المجلد الرابع ص ٢٢٥ .

صوابه ، ويضعون له القواعد . كان الإنسان الذى يعيش فى أرض الخلافة الإسلامية يشعر بأنه محتاج إلى طائفة من المعارف ليستطيع اداء دوره فى الأمة الإسلامية عامة والمجتمع العربى خاصة ، وكان يطلق على هذه المعارف اسم « الأدب » . والأدب بهذا المفهوم قد اختلف باختلاف الأوساط والطبقات فلم يبق على حالة واحدة فى جميع الأمكنة والأزمنة فكان من الطبيعى أن يتغير ويتبدل ، ومن المنتظر أن يساير تطوره الثقافة الشخصية الفردية أو العامة فتزيد بزيادته وتنقص بنقصانه فتقدمت هذه الثقافة الفردية وازدهرت ازدهاراً بالغاً حتى بلغت أوجها .

العناية بالأدب :

والأدب بهذا المفهوم ايضا يتطلب جهوداً مستمرة تترتب على دراسات طويلة ليكتسب الإنسان نصيبه من المعارف ، وعلى ذلك فهذا اللون من الأدب يكاد يكون معدوماً فى العصر الجاهلى ؛ لأن الشاعر فى ذلك العصر ، والخطيب فى ذلك العهد ، والكاهن والقائف وغيرهم لا يتعلمون تعلما ولا يتفقهون بل يتكلمون على مواهبهم ويعلمون بما يفيدهم الاحتكاك والمعاشرة .

وإن ضربنا صفحاً عن الاعتقاد العام بأن الشاعر والخطيب إنما ينطقان بما يضع تابعهما على طرف لسانهما ، فإننا نتميز شيئاً من الأدب فى فصاحتهما ومعرفتهما باللغة العربية ، ومثل هذه المعرفة فى تاريخ الأدب العربى تمثل قاعدة من قواعد الثقافة الشخصية فلما جاء الإسلام صرف المسلمون عنايتهم إلى الدين والسياسة والحرب حينا فخالطوا الفرس والروم وغيرهما من الأمم المتحضرة المثقفة ، وزالوا عما كانوا عليه من الانفراد النسبى فاختلطوا بهذه الشعوب ، وأخذوا بأسباب حضارتها ومدنيتها ، ولكنهم لم ينسوا عروبتهم ودينهم فأخذت العلوم الإسلامية تنمو وتتفنن ويتميز بعضها عن بعض .

جهود التصنيف الأدبى :

هنالك شرع المسلمون فى جمع ما للقبائل العربية من عناصر ثقافية فالتمسوا مفردات اللغة وتراكيبها والتقطوا من العشائر ما كانت تتداوله من أسجاع وأشعار وخطب وأخبار .

ثم رأوا من الخير أن ينقلوا بعض الآثار الأجنبية فارسية كانت أو يونانية إلى اللغة العربية ، وأن يضيفوا إلى ذلك اخباراً وأساطير وقصصاً متفرقة الأصول ، متعددة المصادر فلم يالوا جهداً فى تكوين ثقافة لها خصائص إنسانية حضارية ويرجع الفضل فى جميع ذلك إلى اهل القرن الثانى للهجرة .

ولما كان القرن الثالث أصبح المسلمون ولديهم مادة متوافرة متراكمة لا يحتمل ثقلها احفظ الرجال ، ولا يسعها اضخم الأسفار حتى إنه أضحى من الضرورى أن يفصل بين العلوم والمعارف التى لا يحتاج إليها إلا العالم المتخصص فى فن من فنون العلم وبين ما لا يسوغ للشريف أن يجهله ولايجوز للبديل أن يهمله ، وبعبارة أخرى أمسى من اللازم فى ذلك العصر أن تقوم شخصيات بارزة معروفة بسعة علمها وعقلها ، يشاركهم أدباء ملمون بجميع

التعليم والثقافة

أطراف الأدب بتأليف كتب معدة للأوساط المثقفة ويأخذوا لذلك من كل شيء بطرف ، ولكن ليس كل إنسان بقادر على القيام بهذا الاصطفاء والاختيار ؛ لأنه يتطلب ذوقاً سليماً وروحاً انتقادية ممتازة وحساسية خاصة بالمادة المطلوبة ، وتبصراً بما يحتاج إليه المثقفون .

وقد اضطلع بهذه المهمة الجسيمة علماء أفذاذ من أمثال : الجاحظ في « البيان والتبيين » و « الحيوان » و « رسائل الجاحظ » و « البخلاء » وأبي حنيفة الدينوري في كتابه « الأخبار الطوال » وابن قتيبة في « عيون الأخبار » وغير هؤلاء كثير .

مصادر الثقافة العامة :

ويبدو لنا أن العناصر التي تكوّن الثقافة العامة في العصر العباسي صادرة عن ثلاثة مصادر :

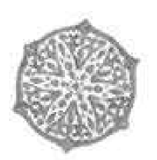
١ ـ القرآن الكريم والحديث الشريف وما دار حولهما من دراسات ومانشأ عنهما من علوم .

٢ ـ الأدب العربي المحض أي اللغة والشعر والنثر والروايات التاريخية والأنساب والمعارف وما إليها .

٣ ـ الآداب الأجنبية من فارسية وهندية بما فيهما من الأخبار وسير الملوك وغير ذلك من الأساطير والحكم ثم تأتي اليونانية بما فيها من منتجات الفكر .

وقد حاول الباحثون والمفكرون ولاسيما الجاحظ أن يؤلفوا بين تلك المصادر مبرزين بطبيعة الحال المصدر الديني والعربي .

« يتبع »





مفاتيح الجنة

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

فى إحدى المنشآت ذات الإجراءات الأمنية البسيطة المخصصة للقاء السجناء جلست ذات أصيل اتجاذب اطراف الحديث مع شخص كان ذات يوم احد القضاة ذوى الشهرة الواسعة والسلطان العريض .

كنت قد تعرفت به فى ايام وظروف مغايرة لما هو عليه الآن . فنتيجة اتهامه بالرشوة والابتزاز فقد كل شىء : الأسرة والوظيفة والشهرة والجاه .

وبعد أن تبادلنا بعض المداعبات الخفيفة سألته وقد اغرورقت عيناى بالدمع : لماذا ؟ فنظر عبر النافذة فى أسى قبل أن يجيب مغمغما : كان مرادى أن اكون سعيداً وعملت كل ما فى وسعى لتحقيق هذا الهدف باحثا عنه فى النجاح والمال والشهرة والجنس والشراب . ونلت كل شىء . ثم استطرد متسائلا : ولكن هل تدرى علام حصلت حقيقة ؟ فهززت رأسى نفيا فأطبق يديه ثم فتحهما قائلاً : لا شىء ... لا شىء سوى ما ترى ، لقد ادركت أخيراً وأنا فى السجن أن تحصيل السعادة بأسلوبى قد انتهى بى إلى بؤس الروح . نعم شقاء الروح ، ذلك الأثر المدمر للحياة المادية ، شقاء الروح هو الطاعون الذى يبيد صفة الحياة فى ملايين البشر . فهم بحثا عن السعادة الموهومة يعيشون ما وصفه الكاتب « Thoreau » بأنه حياة القنوط الهادىء . إنه الإحساس اليائس الذى يتملك الناس عندما يكتشفون أن حياتهم لا تعنى شيئا فى قليل أو كثير .

وهو اكتشاف مروع يصيب بالشلل التام أى احتمال لوجود السعادة بصرف النظر عن السمعة والثروة والممتلكات المادية . وفى كتاب : (إنسان العصر باحثا عن الروح) كتب DR . Carl Gung مانصه : إن حوالى ثلث ما اعالج من حالات مرضية لا يعانى اصحابها من مرض يمكن تعريفه أو تشخيصه (إكلينيكيا) بل من خلو حياتهم من دفء الأحاسيس واستيلاء الفراغ الروحى عليها .

←

مفاتيح الجنة

إن « السعادة » إذا اعتبرت هدفا شخصيا لم تكن اكثر من « أنانية » بحتة ، والأهم من ذلك الاهتمام بالآخرين ، وأن تكون منتجا معهم بحيث تترك فراغا كبيراً عند رحيلك عنهم .

وفى الخبر : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم[1] » .

واكد القرآن الكريم الهدف الأسمى من الحياة فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات ٥٦ .

إذاً فالرسالة العظمى المنوطة بالإنسان هى عبادة الله وما يستتبعه ذلك من استخلاف فى الأرض وإعمارها .

أما أن يعيش الإنسان وجوديا خالى الذهن فارغ القلب خاوى الروح ، فذلك ما يأباه كل حصيف . إن ما يصيبنا من إحباط وينتزع البهجة من أيامنا انتزاعا ، لهو غياب المعنى السامى وانعدام المغزى وفقدان الرؤية الصحيحة للأشياء . ساعتئذ تتسرب أيامنا من بين أيدينا يوما إثر يوم ... عندئذ يستوى أن تكون هذه الأيام مَلْأى بالنجاح أو بالفشل ، بالمسرات أو بالأحزان .

السؤال المهم هو :

هل كانت تعنى حياتنا شيئا ؟

هل كان ذهابنا عن الدنيا يتركها اكثر فقراً أو يتركها ـ فقط ـ أقل ازدحاما ؟

إن أسعد الناس هم أولئك الذين يكتشفون أن الفرحة الحقيقية والوفاء الصادق ماهما إلا أثر جانبى للحياة الهادفة . وقد يدعى البعض أن هوية الشخص غير ذات بال . ويزيدون المسألة تمييعا فينكرون أهمية المكان والظروف التى يوجد فيها الإنسان ويقولون : إن أى إنسان قادر على إيجاد هدف ما . وهم ينسون أو يتناسون أن الإنسان هو ابن بيئته وظروفه وثقافته وقبل ذلك وبعده هو ابن دينه ومعتقده .

ومن ثم أرى من الضرورى أن أقدم للقارىء ثمانية أمور هى فى رأيى بمثابة المفاتيح التى أنعم الله بها على أولئك الموعودين بفردوسه المأمول ، وهى الكفيلة بجعل الحياة جديرة بالعيش فيها ، وإليك هى :

١ ـ أن يكون الله ورسوله أحب إليك مِمَّا سواهما . وهى من الصفات التى ذكرها ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديثه المشهور : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : مَنْ أحب المرء لايحبه إلا لله عز وجل ، ومن كان الله ـ عز وجل ـ ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومَنْ كان أن يقذف فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه » أخرجه النسائى ح ٩٦/٨ كتاب الإيمان،ومعنى ذلك أن يعيش لله قلبا وقالبا روحا وجسداً شكلاً وموضوعاً . ولذا قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

فالصلة الوطيدة بالله ضرورية لسعادة الإنسان ، وتزداد السعادة كلما ازدادت التقوى

(١) المعنى صحيح ، ولكن الحديث ليس فى الصحيح ، وهو عند الطبرانى ، وأبى نعيم فى الحيلة (المقاصد الحسنة) .

ومراقبة النفس مراقبة شديدة لتستقيم مع أمر الله تعالى .

وليس ذلك تنفيراً من الدنيا او تزهيدا فيها فالمال عصب الحياة ولامراء فى أهميته القصوى فى تعمير الكون .

والدين ضرورة لا غناء عنها من قريب او من بعيد ، فكل منا قد اعتركته الحياة وذاق حلوها ومرها ، شهدها ، وصابها لاغنى لأى منا عن عناية الله ورعايته ...

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

والدين هو مصدر القوة اليقينية الحقيقية على الإطلاق وليس معنى أن اكون متدينا أن اكون خانعا خفيض الصوت هزيل النفس بطيء الخطو . فقد كان سيدنا عمر كما ـ حكت عائشة رضى الله عنها : إذا قال أسمع وإذا مشى أسرع .. وإذا ضرب أوجع .

وتلك صفات إيجابية تجعل المؤمن فى الغاية من القوة والمحبة لإخوانه على بر وتقوى وعمل صالح .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل ٩٧ .

والعمل الصالح هو ما ينفع الفرد والجماعة ومن ثم نبتعد شيئا فشيئا عن التقوقع على ذواتنا والانكباب على مصالحنا الفردية الضيقة التى التصقت بالبؤرة من تفكيرنا ونقترب اكثر واكثر من الإحساس بحاجة المحتاجين ورعاية الفقير والمسكين .

إن الدين هو الأساس المتين الذى فى ظله تزخر حياتنا بالمعنى وتَغْنَى بالقيمة . فلا نبالى بما نلاقى ونكابر فى سبيل الله ، مؤمنين بوعده سبحانه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا . . . ﴾ التوبة ٥١ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ العنكبوت ٦٩ .

فالحياة لله وفى الله تزيل ما بالروح من خواء وما بالنفس من ضيق لتسرى فيهما حلاوة الإيمان ونشوى اليقين .

٢ ـ الرضا والشكر :

فإنه ينبغى أن يشكل الشكر على النعمة جانبا هاما من حياة كل منا ، فالشكر طريق الزيادة تماما كما ينبغى للصبر أن يشكل الجانب الآخر للصورة . فاعترافك بالنعمة وإحساسك الغامر بها لا يقلل من حدة الابتلاء فقط ، بل يضع المشاكل فى إطارها الصحيح فإذا هى محدودة .

وقديما سأل أحد الصالحين واحداً من الذين حاصرهم الهم وأنساهم التعود حلاوة جدة النعمة :

« أيسرك أن يأخذ الله سمعك او بصرك او عقلك ولك بكلٍ مائة الف ؟ قال : لا ... فقال له : فاحمد الله » فالشكر ـ إذاً ـ يمد الإنسان بطاقة جبارة تعينه على حل ما تراكم من مشاكل اغرقه فيها اليأس وجَمَّدَ تفكيره الجحود فأصيب بالسأمة فعلينا أن يكون أملنا فى الله غير محدود .

٣ - الإيثار : وهو تفضيلك غيرك على نفسك ، فغيرك أولى بك منك . وقد امتدح الله به الأنصار الذين فضلوا إخوانهم المهاجرين على ذواتهم . فقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . الحشر ٩ .

وأنت بالإيثار إنما تسعد غيرك بل تسعد نفسك - أيضا - فى الحقيقة .

وهذا الإصرار على الإيثار والحرية فيه تجلت كأنصع ما تكون فى جهاد المسلمين للكفار فى معركة اليرموك ويبدو ذلك مع الجرحى السبعة الذين كانوا على وشك الشهادة وكانوا يتحرقون عطشا إلى الماء ، فلما أُتُوا به فى أرض المعركة أخذ كل منهم يؤثر صاحبه على نفسه بالماء حتى استشهدوا جميعا ولم يتناول أحدهم منه قطرة .

٤ - الصفح والغفران :

لقد علمنا ديننا الحنيف أن يكون الحب والبغض لله لا لشيء غير ذلك ؛ لأن كلا من الحب والبغض إن لم يكن لله أثقل كاهل صاحبه .

إن المقت والكراهية والبغضاء أمور تسحق الروح وتدمر النفس وتضنى الفؤاد وتبدد كل أمل فى العيش الهنىء .

وفى الكتاب العزيز قوله تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف ١٩٩ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ الشورى ٤٣.

من منا لم يطل به عمر دون أن يكون ضحية الحيف والظلم والغيبة والنميمة والألسنة الحداد ! ولذا حَبَّبَ الله للناس أن يغفر بعضهم لبعض .

إن أولئك الذين يسارعون بالاستغفار مما ارتكبوا من أخطاء بالتوبة إلى الله والندم على ما فرط منهم ، وأولئك الذين يغفرون للآخرين ما اقترفوا من جرم فى حقهم ، لهم السعداء حقا لأنهم لم يضيعوا أياما غالية وقد انطوت صدورهم على ذكريات أليمة لجراح أصابتهم فى أيام ليس بأيديهم أن يرجعوها .

ولنا فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسوة والمثل فعندما قتل عمه حمزة رضى الله عنه فى غزوة أحد على يدى (وحشى الحبشى) بإيعاز من هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان التى لاكت كبده بعد أن بقرت بطنه ، توعد - صلى الله عليه وسلم - المشركين بقتل سبعين من رجالهم تأثراً لعمه ، لكن سرعان ما استجاب قلبه العطوف لأمر السماء بل عفا عمن مثلوا بجثة أعز الناس لديه فكانت المكافأة من السماء نصرا للدعوة وإعزازا لها فى حروب الردة حينما قَتَلَ وحشى مسيلمة الكذاب . فيالها من معادلة بقتله ابغض الناس للإسلام بعد أن قتل أحب الناس للإسلام ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم .

٥ - حسن الخلق :

وهو منبع كل خير وأساس كل فضيلة ولو شئنا تلخيص كل ما كتب الشعراء وأبدعت القرائح فى حسن الخلق لقلنا ببساطة إن أسعد من فى الوجود هم أولئك الذين تفانوا فى محبة الآخرين .

وحسبنا قول رسول الله - صلى الله عليه

وسلم : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن ابغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون .

قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟

قال : المتكبرون . » .

الترمذى ح ٤/ ٣٧٠ كتاب البر والصلة .

ولنكن صرحاء حين نعلن هذه الحقيقة ونؤكد عليها ، فعندما نقول إن فى التعامل مع الناس والاختلاط بهم كثيراً من المخاطرة بل والمجازفة فإننا لا نتجاوز الحقيقة فى قليل أو كثير ولا ينكر أحد أن أحب الناس إلينا هم أقرباؤنا ، وأقرباؤنا هم فى أحيان كثيرة أشد الناس إساءة إلينا .

أليست هذه حقيقة ؟ !

ومن المؤسف أنه أمر من الصعب اتقاء نتائجه واجتناب عواقبه ، وقد جاء أحدهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ وأحلم عنهم ويجهلون علىّ ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ[2] ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك .

صحيح مسلم . باب صلة الرحم ح ٨/٨

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أنه من الخير التعامل مع الناس وتحمل أذاهم على العيش فى عزلة وانفراد نهباً لأفكار ربما كان من الصعب عليك وحدك الإفلات من إسارها ؛ فالسعداء يعلمون أن مشاركتهم للآخرين أفراحهم وأتراحهم هى الفرحة يتقاسمها الناس فيحسون لها معنى وطعما وقيمة .

٦ - التوازن النفسى :

وهو ضبط النفس والتحكم فى الانفعالات بمعنى عدم الإفراط فى الفرح أو الإغراق فى الحزن وهو المقصود من قوله تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ الحديد ٢٣ .

ومن قوله - صلى الله عليه وسلم : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » صحيح مسلم .

ح ٨/ ٢٢٧ كتاب الزهد

فهو لن يكون نهبا للأهواء الذاتية والرغبات الشخصية تذهب به يمنة ويسرة ، ونحن هنا لا ندعوه إلى أن يكون كئيبا جامداً خلوا من الأحاسيس . فالإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان ، لا يمنعه ذلك مثلا أن يكون فكها تسرى فى أوصاله روح الدعابة والظرف . ففى الأوقات العصيبة يكون الترويح عن النفس أحد أهم الوسائل المستخدمة فى المحافظة على التوازن المطلوب بالترويح عن النفس من وقت لآخر « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا

---

(٢) الملُّ والملّةُ : الرماد الحار يحمى ليُدْفنَ فيه الخبز لينضج .

مفاتيح الجنة

كلت ملت ، حكى لى أحدهم عن أحد الضباط ـ وكان يشغل وظيفة شديدة الحساسية كثيرة الأعباء فهو يقوم بالإشراف على شئون المجرمين الذين تم إطلاق سراحهم من السجن ـ أنه ، برغم ذلك ، كانت الدعابة لا تفارق وجهه والاسترخاء والبشاشة تسرى فيه سريان الشذى فى الورد . كان يقول دائما : إن الضحك هو العلاج الناجح ويقول عنه أصدقاؤه : إنه دائرة معارف من النكات تمشى على الأرض قد اكتظت عن آخرها بالقصص المثير الملىء بالسخرية والفكاهة ومن ثم فمن المستحيل عليك البقاء معه مكتئبا ، إنه عدو الاكتئاب اللدود . ونحن لا ندعو هنا بالطبع إلى كثرة الضحك فكثرته تذهب المهابة وتميت القلب ولكننا نؤكد ما أثبتته الدراسات الطبية من أن شيئا من المرح هو الوسيلة الإنسانية التى لا يُبارى تأثيرها السحرى فى إزالة التوتر والقلق والإحباط والخوف إنها تجعل نفس الإنسان حديقة غناء انتثرت فى أحواضها أزاهير الثقة بالله والنفس والأمل والرجاء .

والسعداء حقا هم أولئك الذين يعرفون بالضبط متى ينبغى أن يكونوا جادين ومتى ينبغى أن يكونوا باسمين ، فسليمان النبى الملك ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لم يَمْنَعْهُ وقار الملك وكثرة عدد جيشه من أن يتبسم ضاحكا من تحذير النملة لبنى جنسها من خطر جنوده الداهم على حياتهم.

٧ ـ إخلاص النية :

فالنية الحسنة الخالصة قد ترتقى بالعمل الصالح من درجة (العادة) إلى منزلة (العبادة) . ورسولنا ـ صلى الله عليه وسلم : أكد ذلك حين قال : وفى بضع أحدكم صدقة . قالوا : يارسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ فقال : أرأيتم لو وضعها فى الحرام أليس كان عليه وزر ـ أو الوزر ـ ؟ قالوا : بلى ، قال : فكذلك إذا وضعها فى الحلال يكون له الأجر » .

مسند الإمام أحمد ١٦٨/٥

وهكذا سمت النية بالعمل الغريزى إلى منزلة نالت أجراً كما تكون العبادة .

٨ ـ كن متفائلاً :

الحياة ـ بحمد الله ـ تعبق بالمستبشرين الذين فهموا روح الأمر النبوى الذى جاء فيه « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا »[٣] ، إذ اتخذوه دستور حياة ودواء لما استعصى من الأدواء .

فإنه لا بديل للتفاؤل سوى اليأس والإحباط ..... وفيهما مافيهما من حطام الروح . وفى الكتاب العزيز : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف ٨٧ .

(٣) أخرجه البخارى ح ١٩/١ فى كتاب العلم .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

على درب التوحيد

"أم معبد" في طريق الهجرة النبوية

الخريف

المثل الغائبة

على درب التوحيد

للأستاذ رشاد محمد يوسف

ربي سبحانك يَاأَحَدُ ... يارب الرحمة ياصَمَدُ
يافرداً ليس له ثان ... في الملك وليس له ولد
لا تاخذ نوما او سنة ... لو كل العالم قد رقدوا
باق والدنيا فانية ... ما طال على الدرب الأمد
لا مهرب لا منجى إلا ... ما شاء الله وما وعدوا

لا ظلم اليوم فمن زرعوا ... ياتون اليوم وقد حصدوا
فالجنة للتقوى ماوى ... ولمن في صِدق قد عبدوا
الحور العين وما وُعِدُوا ... والكوثر والعيش الرغد
والنار لعُبَّاد الدنيا ... ولمن كفروا ولمن شردوا
ولمن اغرتهم غايتهم ... ولغير الخالق قد سجدوا

يانورَ النور انا بشر ... اغفو واتوب واجتهد
قصرت والهاني املي ... وانا عن بابك ابتعد
رباه ذنوبي تفزعني ... واخاف الأمس وارتعد
خذني لرحابك يارباه ... بظل الرحمة ابترد
ادعوك ويشفع لي اني ... قد عشت ونورك لي مدد

ادعوك ويشفع لي ندمي ... وعلى توحيدك استند
وعلى الإسلام وشرعته ... يتواصل إِنْشادٌ غَرِدُ
يارب التوبة والغفران ... ورب الرحمة ياأحد
لا تغلق بابك في وجهي ... فرضاك الحق هو السند



للأستاذ أحمد المنشاوى الوردانى

لكِ الخيرُ والإسعاد يا أم مَعْبَدِ ... سعدت بإيواء النبي محمدِ
وفي شاتك العجفاء للناس آية ... تظل حديثا شيقا كل موعد
خلا بيتك القاصي فما فيه مِيرة" ... ولا لبن يرجى لظمآن مُجهَدِ
وفوق الفيافي البيد كم من مسافر ... يبيت على شوق إلى من يزود
فهل في خيام البيد زاد لجائع ... وهل في بيوت البدو إيواء سيد ؟
أتاك رسول الخير والبر سائلا ... قليلا من الألبان يا أم معبد
يبلّ بها حر الطوى في مفازة ... يموت القطا من جوها المتوقد
أجَبْتِ : أرانا مسنتين فلا حيا ... يجود بهطّال بصحراء فَدْفَدِ ..
وهاتيك داري والشياه سقيمة ... وقد عجزت والموت منها بمرصد ..
فقال لها : هل تأذنين بحلبها ؟ ... فدرت وفاضت وارتوى كل من صدِي
وبعد قليل جاءها الزوج متعبا ... من الرعي في قفر من العشب أجرد
وما راعه إلا شياهٌ حوافل ... وزاد من الألبان في كل مزود
فقالت له : قد مر بالبيت سائل ... أمين أبي طاهر أيمن اليد
بهيٌ ، وسيمٌ ، أدعج العين ربعةٌ ... مهيب كريم القول غير مُفَنَّدِ
رسول قلاه قومه عن ضغينة ... وحقد ومن يحرم رضا الله يحقد
فهاجر ليلا والأعادي ببابه ... وأيديهم فوق الزناد المسدد
ولما بدت أنوار طلعته عموا ... ومن يتكلف رؤية الشمس يرمد
وسار وفي يمناه أسمى رسالة ... عليها حياة الناس في اليوم والغد
إلى طيبة حيث استقرت ركابه ... لدى نُجُبٍ أرباب مجد وسؤدد
سيبقى على الدنيا ينابيع حكمة ... ويحيا - لمن يبغي الهوى - خير مرشد

ملاحظة : الأوصاف التي ذكرت مأخوذة من رواية أم معبد



الخريف

للأستاذ / محمد سلطان لطيف

شاء الرواح فهم قبل الموعد يطوى غلالة عهده المتورد
قلق الجنان إلى الرحيل كانما يخشى الإقامة فى البناء المجهد
وَجمًا كمن يبدى تجمل راحل يذر الحمى من بعد طول تعود

***

وهتفت : ما بك ياشباب !! فرابنى فى سمته صمت خفى المقصد
وسالت : مالك .. هل تراك زهدتنا فاجاب بعد تريث وتردد
لا .. مازهدت اخا الحياة وإنما صرنا إلى ميعادنا المتحدد
قد حان بعد المكث يوم ترحلى والأمر ما شاء الحكيم السرمدى
وقضى بان الكائنات حوادث مرصودة الغايات قبل المولد
ناموسها ألَّا ثبات لحالة صيرورة بين العشية والغد
شهدت معاهدنا بزوغ كواكب ترعى على كثب افول الفرقد
قد صار غيرك للشباب اخا المنى ومشى خريفك فى ربوع المعهد

***

شجوى على عهد الصبا معزوفه اوحى بها نغم الصبا لمغرد
غنى على ايك تباعد صحبه وبكى لشجو غنائه المتفرد
رحل الشباب .. ولو بشىء يفتدى افدى الشباب بكل ما ملكت يدى
قد كان يالفنى ربيعا مفعما بالنور والأحلام والزهر الندى
وقضى مع صيف الحياة فتوة لا تستقر لها الصروف بمرصد
حتى إذا بلغ المقدر لم يعد إلا سرابا فى مخيلة الصدى
هذا خريف العمر ياأهلا به لكنما ذكر الصبا من عودى
تعتادنى احلامه فى يقظتى ويضىء اطياف المساء بمرقدى

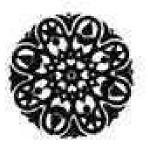
يـاذكـريـات الحـب والأنس الـذى ... مـا شـاع إلا فى رحـاب السؤدد
قيـم الـعـلا كـانـت وراء فـعـالنـا ... والـعـرف مـا أملى كـريـم المحتـد
كنـا شبـابـا لا يجـوز بـه الـهـوى ... حـد العفـاف فلم نـزد أو نـعتـدى
ومشيـت للمـرأة التمس الـوفـا ... فيـهـا والقـى نظـرة المتـزيـد
هـذا انـا .. وكتـاب ايـامـى مشـت ... فـوق الجبـين سطـوره بتجـعـد
خفـت البـريـق بمقلتـى فمـا أرى ... إلا وميض تكلفـى وتشـددى
والشيـب جلـل هـامتـى بسحـائـب ... بيض تـزاحـم فى فجـاج الأسـود

***

وبـدت تـغشينـى ظـلال كـآبـة ... وكـأنمـا بـات الفنـا متـرصـدى
هـذا نـذيـر بـالشتـاء فبـعـده ... يـأتـى الشتـاء بـافقـه المتلبـد
وغـدا سيـهجـر روضتـى عشـاقـهـا ... هجـر الطيـور لـدوحـهـا المتجـرد

***

واستغـرقتنى سـاعـة بعض الـرؤى ... فى بحـر اشجـانـى وبـرد تجمـدى
وتسـاءلـت نفسى !! لأيـة غـايـة ... بـعـد العطـاء يطـول عمـر المقـعـد
وتلمست روحـى الخـلاص بشـاطـىء ... فيـه السكينـة للكيـان المـرعـد
فتـركـت مـرآتـى ولـذت بصـورة ... ومضـت خـلال تـرنحـى وتبلـدى
ولـدى ـ وقـد بلـغ الشبـاب ـ كفـايتى ... وعـزاء نفس الـغـارب المتـزود
الفيتـه بـالبـاب يـرقـب وقفتـى ... متبسـم الـوجـه الصبـوح الأصيـد
احسست نـورا قـد اضـاء بصيـرتى ... ولمست دفئـاً بـالسنـا المتـولـد
ورأيـت فيـه بـدايتـى وفتـوتـى ... الطـارف الأسنـى يجـدد متلـدى
وهتفـت مـن فـرط الـرضـا متـهـلـلا ... اهـلاً بـأيـام الصبـا المتجـدد



المثل الغائبة

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

ياشامخ النفس والاشواق والاملِ ... يامن هواك إلى الامجاد والمُثُلِ
تابى الدنية فى عيش ، ومرتزق ... لا تستجيب لداعى الشر والخطل
اليوم عصرك فى زيف وعربدة ... ألقَى غوايته فى اقوم السبل !!
يامن رمى بك فى انوائه قَدَرٌ ... قف صامدا ، راسخ الاقدام كالجبل
مستعصما لائذا بالله من فتن ... شعواء تكبت صوت الحق بالجدل !
أو بالمناصب والاموال غامرة ... او بالهوان وقمع السيف والاسل
إن العواصف والامواج عاتية ... ترمى بكل جليل القدر فى الوحل !
باسم الحضارة والتجديد كم هدمت ... فى الناس من قيم عليا بلا وجل
تالله ما جمل الدنيا سوى مثل ... فى الارض قد عبقت كالعطر فى الاول
فاستروحت امم انسامها ومشت ... فى العيش آمنة فى أجمل الحلل
تمسى وتصبح فى عز ومكرمة ... تعطى الانام بلا قيد ولا ملل
ياليتها بقيت فى الناس سائدة ... تسقى بسلسالها الشافى من العلل
لكنها لم تزل فى الدين كامنة ... مذ بثها للورى ريحانة الرسل
من رامها سفرت للعين عن كثب ... من غير شائبة فيها ولا دغل
خذها من الوحى ، فى مكنونه دررا ... واقض الحياة كريم النفس فى جذل
ما فى سواها سلام يَنْعُمُ مِلَّة ... فى الناس من سائر الاديان والملل



العالم الجليل الأستاذ الدكتور

محمد شمس الدين إبراهيم

عضو مجمع البحوث الإسلامية وطرف من تاريخ حياته

للأستاذ ناصر محمود وهدان

علم من أعلام الأزهر المعاصرين ، أسهم فى الحركة العلمية بجهود عظيمة ، وتخرج به كثير من أجيال النابهين فى عصره ، وجل أساتذة العقيدة الإسلامية فى الأزهر ، والبلاد العربية .

لقد استرعى انتباهى من حديثه لى ذلك العمق الذى يعالج به مايتناوله من بحث مستندا على الدراسات الجيدة للسابقين والمعاصرين فى العقيدة الإسلامية ومايخدمها من علوم أخرى .

وقصارى القول فيه أنه لم يكن من حملة علم ينقله إلى طلبته فحسب ، بل كان إلى ذلك مثلا طيبا من الأسوة الصالحة ، يجمع بين التربية والتعليم ، كما يفعل الوالد الصالح فى تزويد بنيه بالرعاية الخالصة ، والتوجيه النافع السديد ، فتتوثق العلائق بينه وبين طلابه وطلاب طلابه كما تتوثق بين الولد البار ، ووالده الحكيم .

هذا هو الدكتور/ محمد شمس الدين ، أستاذ العقيدة والفلسفة المتفرغ بكلية أصول الدين بالقاهرة .

مولده ونشأته

قال : اسمى محمد شمس الدين إبراهيم سالم ، ولدت فى محافظة الإسكندرية ، قسم الجمرك فى ٦/٤/١٩١٠ م .



د . محمد شمس الدين

حفظت القرآن الكريم على يد معلمى الأول الشيخ / سيد ـ رحمه الله ، وكان رجلا صالحا ساعدنى فى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، حتى أننى كنت أقرأ الخاتمة مرة كل ثلاثة أيام ، وختمت حفظ القرآن الكريم ، وعمرى أحد عشر عاما ومع ذلك لم ألتحق بالأزهر إلا بعد عام كامل أتقنت فيه علم القراءات والتجويد وذلك بعد أن أقنع معلمى الشيخ/ سيد أخى الأكبر ـ الذى كفلنى وتولى أمرى وأمر العناية بتعليمى بعد وفاة

• من أعلام الأزهر

والدى وأنا ابن خمس سنين تقريبا ـ بضرورة الانتظام معه لمدة عام . وقد تم ذلك حتى بعد أن أغلق شيخى مكتبه لتقدمه فى السن ـ رحمه الله .

وأذكر أننى كنت أقابله بعد التحاقى بالأزهر ، فأقدم له الاحترام اللائق به إلى أن انقطعت أخباره عنى .

تعليمه (الابتدائى والثانوى)

وفى سبتمبر عام ١٩٢٣ م التحقت بمعهد الاسكندرية ، وعلى مدى السنوات الأربع للقسم الابتدائى درس لنا فيها الشيخ/ محمود شلتوت مادته الأخلاق والسيرة النبوية ، والدكتور/ محمد عبد الله دراز مادة التوحيد ، والشيخ/ عبد الحليم قادوم مادة الفقه ، والشيخ / محمد جمال الدين مادة النحو .

ولك أن تتصور اليوم الدراسى الكامل الذى كنا نقضيه بالمعهد فى هذه السن المبكرة ، والذى يبدأ من الساعة (٢/١ ٦ص) حتى الساعة (٤/١ ٦) مغربا يتخلله أوقات الراحة لصلاتى الظهر والعصر فقط ، وكنا ندرس فى اليوم الواحد أربع مواد ، والحصة مدتها لاتقل عن ساعتين إلا ربعا والعام الدراسى لايقل عن أحد عشر شهرا ، أما عدد تلاميذ الفصل الواحد فلا يزيد على خمسة وعشرين تلميذا !! ومما ساعد على تحصيل الطلاب فى هذه الفترة أسباب منها : قلة عدد الطلاب مع طول العام الدراسى ، واليوم الدراسى الكامل ، ومع ذلك كان الأساتذة يقولون لنا وخاصة فى القسم الثانوى : إن زمن العلم ولّـى !!!

كنّا ندرس «الاجرومية» فى الصف الأول الابتدائى ، درسناها بشرح الكفراوى فى أول الأمر ، ثم أعدناها بشرح الشيخ/خالد ، فى نفس السنة ، ولذلك كنا نستعين بكتاب التوضيحات على الاجرومية .

وفى الصف الثانى أخذنا كتاب « الأزهرية » ، وكتاب «قطر الندى» بالصف الثالث .

أما الصف الرابع فكنا ندرس فيه كتاب « شرح ابن عقيل » على ألفية بن مالك .

وأذكر من زملائى فى القسم الابتدائى على سبيل المثال :

الدكتور /أحمد الكومى ، صديق العمر من عام ١٩٢٣ م ، والدكتور/محمود زيادة ـ رحمه الله ـ .

والدكتور/يوسف الضبع ، والدكتور/سيد محمد الحكيم وهما معاران بالسعودية الآن .

ومن المواد التى درسناها فى القسم الثانوى كتاب : « التصريح على التوضيح » فى النحو ، وكتاب «السعد» فى البلاغة ، وكان كتابا يُضرب به المثل للأستاذ الذى يقوم بتدريسه . وأذكر من أساتذتى فى القسم الثانوى وقتها الشيخ/ حسن مرزوق أستاذ الفقه ، والشيخ /عبد العزيز المراغى أستاذ التفسير . والدكتور/ عبد الله ماضى أستاذ التاريخ ، والمستشار/الشافعى اللبان ، أستاذ نظم الحكم وابن عم عميد المعهد الشيخ/عبد المجيد اللبان ـ رحمهم الله جميعا .

ولم ينته عام ١٩٣١/٣٠ م إلا بحصولى على شهادة الثانوية الازهرية .

من تاريخ التعليم فى الأزهر

وفى عام (١٩٣١) افتتحت الكليات الأزهرية الثلاث (أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية) كنظام جديد للتعليم العالى ، فالتحقت بكلية أصول الدين ، وكنت من طلاب الدفعة الأولى التى التحقت بها فور إنشائها .

وكان نظام التعليم العالى قبل عام (١٩٣١ م) تابعا للجامع الأزهر يتلقى فيه

الطلاب دروسهم داخل الجامع الأزهر بدون تخصص فالطالب يدرس فيه سائر العلوم من (فقه ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، وأدب وأصول) وغيرها من العلوم الأخرى ..

أما نظام الالتحاق بالكليات الثلاث السابقة فيقوم على تخيير طلاب القسم العالى بين البقاء على نظامهم فى التحصيل أو التحاق - من يرغب من ناجحى السنة الأولى إلى السنة الثانية بكلية أصول الدين أو الشريعة ، أما الطلاب الحاصلون على شهادة الثانوية الأزهرية فليس أمامهم إلا الالتحاق بالسنة الأولى فقط بإحدى الكليات الأزهرية الثلاث السابقة .

ومن أساتذتى الذين درّسوا لنا فى سنى الكلية : الشيخ/ عبد المجيد اللبان شيخ معهد الاسكندرية مذ كنت طالبا فيه ، وأول عميد لكلية أصول الدين فور إنشائها ، والذى كانت صلته قوية بالحكومة آنذاك لما يحظى به من احترام وتقدير عظيمين لديها ، باعتباره أحد رجالات ثورة (١٩١٩) ، والشيخ /محمد على سلامة مدرس التوحيد مع الشيخ الألمعى /محمود أبو دقيقة . والشيخ/ محمد شعبان مدرس التفسير ، والشيخ/عبدالعزيز خطاب مدرس البلاغة ، والشيخ / محمد الشافعى الظواهرى مدرس التوحيد بالاشتراك مع الشيخ /سلامة ، والشيخ أبو دقيقة ، والشيخ/أمين الخولى مدرس الفلسفة مع الدكتور /محمد غلاب ، والشيخ / محمد أبو زهرة مدرس « تاريخ الجدل » الذى كان أنيقا فى كتابه ، وملبسه أيضا - رحمهم الله جميعا ، والدكتور/ على حسن عبد القادر مدرس الأخلاق - أمد الله فى عمره -

وكانت مدة الدراسة بالكلية أربع سنوات حصلت بعدها فى يناير (١٩٣٦ م) على شهادة العالية وكان ترتيبى فيها الحادى عشر ، والثانى بالنسبة للطلاب الجُدد .

ويرجع سر تأخر دفعتى فى الحصول على العالية إلى يناير ١٩٣٦ بدلا من يونية ١٩٣٥ م إلى موقف لاينسى .

موقف لاينسى

فقد قامت ثورة عارمة بالأزهر ، ونحن فى السنة النهائية بالكلية لأسباب من أهمها المطالبة بعودة الشيخ/مصطفى المراغى لمشيخة الأزهر مرة ثانية بعد أن تركها عام (١٩٢٧ م) وعين الملك فؤاد بدلا منه الشيخ /الأحمدى الظواهرى خلفا له .

ولم تنته المظاهرات ، وتعطل الدراسة بالأزهر إلا بعد أن اضطر الملك لتلبية مطالب المتظاهرين بإعادة الشيخ/ المراغى شيخا للأزهر للمرة الثانية فى صيف عام (١٩٣٥ م) .

وأعاد الدراسة ، وامتحنا نحن طلاب السنة الرابعة - فى يناير (١٩٣٦ م) بدلا من يونية ١٩٣٥ لهذا السبب .

سياسة الدراسات العليا وشهادة العالمية

وبعد حصولى على شهادة العالية بكلية أصول الدين ، افتتح قسم تخصص المادة ، شعبة العقيدة والفلسفة ، فالتحقت بها ، وكانت الدراسة فيها عجيبة الشأن ؛ لأننا كنا ندرس فيها خمس سنوات متواصلة ، تنتهى بامتحان نقل يسمى الامتحان التمهيدى . وهذا الامتحان يمهد للدخول فى مرحلة الإعداد لرسالة (الدكتوراه) فى مدة لاتقل عن سنتين ، وكان من نظام الشعبة الا يزيد عدد طلابها على خمسة طلاب ، ومع ذلك فمن السهل أن تسمع عبارة : لم ينجح أحد فى الدور الأول لصعوبة الامتحان .

وكانت طريقة الامتحان كمايلى : امتحان تحريرى فى المنطق والأخلاق . وامتحان تعيين فى مادة التوحيد ، وذلك على طريقة تحديد موضوع والامتحان فيه وكان من الممكن أن يستمر

←

امتحان التعيين هذا من ثلاث إلى أربع ساعات متواصلة ، ثم تحديد موضوع فى الفلسفة يحضره الطالب ثم يلقيه على اللجنة الممتحنة فى اجتماع علنى للجميع ، ثم يناقش بعد هذه المحاضرة مناقشة علنية .

ولايستحق درجة النجاح إلا من يحصل على درجة (٧٠٪) على الأقل فى كل مادة مماسبق من اجل هذا كان من الصعب جدا نجاح أى طالب من الدور الأول ، وهذا ماحدث لى ولزملائى فى عام (١٩٤٠) ثم دخلنا الامتحان فى العام التالى ، وكنا أربعة زملاء فقط فى شعبة التوحيد والفلسفة ، فنجحت مع الدكتور/ على مصطفى الغرابى ، ثم تبعنا باقى الزملاء فى الأعوام التالية ، وبنجاحى فى امتحان التعيين تفرغت لعمل رسالتى للعالمية من درجة أستاذ « الدكتوراه » .

وأذكر من أعضاء لجنة امتحان التعيين الشيخ /أمين الخولى والشيخ /أبو شوشة أستاذ الفقه بكلية الشريعة ، وكان الشيخ الجبالى أستاذ المنطق رئيسا للجنة - رحمهم الله -

رسالة الدكتوراه

... كان عنوان رسالتى للدكتوراه « الغزالى وقيمة نقده فى الفلسفة » أما المشرف عليها فكان الدكتور/محمد البهى - رحمه الله - ، وقد قمت بنسخ رسالتى ست نسخ - منها نسخة لى - لتوزع على أعضاء اللجنة - وهى رسالة لم تطبع حتى الآن !! - وكان نظام المناقشة كالمعتاد يبدأ بإلقاء الطالب بيانا عن رسالته ، ثم تبدأ المناقشة بعد ذلك ، وأذكر أن المناقشة يومها كانت عنيفة لوجود الشيخ الجبالى عضوا فيها ، مع ماعرف عنه من شدة فى مناقشة الطلبة ، وذلك مع الشيخ /عيسى منون أستاذ التوحيد ، وعميد الكلية بعد ذلك ، والشيخ/ الطيب النجار أستاذ التفسير ، ووالد الدكتور/ محمد الطيب النجار - رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، والشيخ/محمد يوسف موسى أستاذ التاريخ والفلسفة بالكلية ، وأستاذ الشريعة بكلية حقوق عين شمس بعد ذلك ، والدكتور/ البهى مشرفا - رحمهم الله جميعا .

وفى ٢٧/١/١٩٤٦ م حصلت على شهادة العالمية - الدكتوراه - من درجة أستاذ[1] .

التدرج الوظيفى

ومن طلابى فيه الدكتور/ محمود حمدى الزقزوق عميد كلية أصول الدين الآن .

وفى اكتوبر عام ١٩٥٤ م انتقلت إلى كلية أصول الدين مدرسا بها مع زميل الدراسة منذ الصغر الدكتور /أحمد الكومى ، وإن كان قد سبقنى إلى الكلية بشهور معدودة ، وحصلت على درجة أستاذ مساعد عام ١٩٦٦ !! على الرغم من حصولى على الدكتوراه وعملى مدرسا بالمعاهد الدينية ثم الكلية منذ عام ١٩٤٦ م .

وفى ٣١/مارس/١٩٧١ م رقيت إلى درجة أستاذ بكلية أصول الدين بأسيوط اسما وظللت كذلك حتى أحلت إلى المعاش عام ١٩٧٥ م ثم عينت بعد ذلك أستاذا متفرغا بقسم العقيدة والفلسفة ، وعضو اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة من قسم العقيدة والفلسفة بالجامعة حتى الآن ، أما عن نظام الترقية على أيامنا - فهو يشبه النظام المعمول به الآن - وإن كان أصعب منه بكثير - فهو يتلخص فى أن يقدم الباحث إنتاجا علميا تلقى القبول ، وتقرة اللجنة الدائمة لترقية أساتذه الجامعة ويتم فى سرية تامة .

---

(١) اطلعت على براءة منح شهادة العالمية من درجة أستاذ « الدكتوراة - لفضيلة الدكتور /شمس ، والمسجلة بالكلية تحت رقم (٧٧) .. الكاتب .

الاعارات الخارجية

بالنسبة لإعاراتى الخارجية فقد تمت أثناء عملى فى الكلية حيث أعرت إلى الجامعة الإسلامية بليبيا للمرة الأولى عام ١٩٦٤ م كأستاذ للتوحيد والفلسفة حتى عام ١٩٦٩ م وكان من زملائى فى هذه البعثة د /بيصار ، د/على جبر - رحمهما الله ، ود/عبد العزيز عبد العال عبيد - أمد الله فى عمره - ثم أعرت إلى ليبيا المرة الثانية عام ١٩٧١م حتى عام ١٩٧٤م وبعدها أعرت إلى المملكة العربية السعودية لمدة عام بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز المعروفة الآن باسم جامعة أم القرى .

جهوده العلمية ومنهجه فيها

أما عن آثارى العلمية فى مجال الطباعة والنشر فإنها متواضعة ويرجع السبب فى ذلك لإشراق على العديد من الرسائل الجامعية فضلا عن حضور الكثير من المؤتمرات كمؤتمر السنة عام ١٩٨٧ م ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ، وكذلك لتعدد إعاراتى للخارج .

ومن مؤلفاتى :

١ - كتاب تيسير القواعد المنطقية ، وهو كتاب فى المنطق القديم ، وجارى إعادة طبعه .

٢ - كتاب محاضرات فى المنطق الحديث ومناهج البحث .

٣ - كتاب توضيحات على العقائد .

٤ - كتاب محاضرات فى شرح نصوص فلسفية .

٥ - كتاب محاضرات فى التوحيد ، والعقيدة والفكر الحديث .

هذا بالإضافة إلى كتابة بعض الأبحاث المتفرقة فى المجلات الدينية .

أما عن الرسائل الجامعية التى أشرفت عليها : فهى تزيد على مائة وعشرين رسالة حتى الآن ، وأذكر أن أول رسالة ناقشتها كانت رسالة ماجستير تدور حول موضوع : تطوير علم الكلام ، وذلك عام ١٩٧١ م للدكتور/ يحيى حسن هاشم فرغلى الأستاذ بكلية أصول دين طنطا الآن .

أما عن آخر الرسائل التى ناقشتها فهما : رسالة دكتوراه بعنوان « العرض بين الفلاسفة والمتكلمين » ، والرسالة الأخرى بعنوان « دفاع الشيخ/ مصطفى صبرى عن الفكر الأشعرى فى العصر الحديث » وهى رسالة دكتوراه مهمة لمدرس مساعد بكلية أصول دين أسيوط واسمه « محمد عبد الحافظ عبده » .

ومن الرسائل المهمة التى أوصت اللجنة المشاركة معى بطبعها لأهميتها رسالة الدكتور/عبد الرحمن النجار - رحمه الله - وكيل وزارة الأوقاف السابق - موضوعها حول « المسلمين فى القرن الأفريقى » وقد أشرفت عليها على الرغم من أنها تتبع لقسم الدعوة ، وكان من أعضاء اللجنة معى أبنائى الدكتور/ الحسينى أبو فرحة ، والدكتور /الحسينى أبو هاشم - رحمه الله .

اختياره عضوا بمجمع البحوث الاسلامية

فى الثامن من شوال عام ١٤٠٠ هـ (الثامن من أغسطس عام ١٩٨٠ م) صدر القرار الجمهورى رقم ٤٣٢ لسنة ١٩٨٠ م بتعيينى ضمن اثنى عشر عضوا من الزملاء - أعضاء بمجمع البحوث الإسلامية منهم الإمام الاكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ(جاد الحق على جاد الحق ، والدكتور/ أحمد فهمى أبو سنة وغيرهما .

ولقد أنشىء المجمع فى عام ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١ م وحل هذا المجمع محل جماعة كبار

العلماء بالأزهر التى كانت قائمة بمقتضى القوانين السابقة .

نصائح للمشتغلين بالعقيدة والفلسفة

ولا يفوتنى أن أنصح أبنائى المعيدين الجدد الذين لازالوا على الدرب بالاطلاع المستمر، والرجوع إلى أساتذتهم فى كل مايعن لهم .

ومن أهم الكتب القديمة ـ فى مجال العقيدة والفلسفة ـ التى أنصح بقراءتها : كتاب : «المواقف» للقاضى/عضد الدين الإيجى ، على أن يدرك القارىء أن دراسة الجيد من القديم وحده لاتفى بالغرض ، وكذلك الجيد من الحديث ، لأنه لابد من الجمع بين القديم والحديث معا ، فمن لا قديم له ، لا جديد له .

ومن الكتب الجيدة القديمة فى مجال التوحيد أيضا كتاب : «المقاصد» لسعد الدين التفتازانى ، وكتاب : «المطالع» للبيضاوى ، وكتاب «الإرشاد» و «الشامل» لإمام الحرمين الجوينى .

ومن الكتب المخطوطة المهمة أيضا التى عملت فيها رسالتان تحت إشرافى أنصح بقراءة كتاب «أبكار الأفكار» للآمدى .

أما عن أهم الكتب الحديثة فى مجال العقيدة والفلسفة فهى كثيرة وخاصة ماكتبه طلابنا من أساتذة الكلية وكليات أصول الدين بجامعة الأزهر ومن أحسن مايقرأ من الكتب الحديثة المعاصرة «القول المفيد فى علم التوحيد» للشيخ/محمود أبو دقيقة ـ رحمه الله ـ وكتابى «مقارنة الأديان» ، وتاريخ الجدل» للمرحوم الشيخ /محمد أبو زهرة ، فهو يؤرخ فى كتابه الأخير منهما للمناظرات التى كانت تجرى بين أهل الفرق المختلفة فى العقائد والفقه وغيره ، وبالكتاب صور ونماذج لهذه المناظـرات ، والحقيقة يعد كل من كتب بعد الشيخ /أبى زهرة فى هذا المجال رداً وعولا ، أضف إلى هذا مواقفة الشجاعة وخاصة موقفه من أحد رؤساء العرب عام ١٩٧٢ م الذى رفض الشيخ بشدة ـ وهو ضيف فى بلاده ـ ما اقترحه مخالفا للشريعة الإسلامية رحمه الله كان شجاعا لايخاف فى الحق لومة لائم .

من مظاهر التقدير

من مظاهر التقدير التى حظيت بها أننى حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر عام ١٩٧٣ م [٢] .

★ أمنية الشيخ :

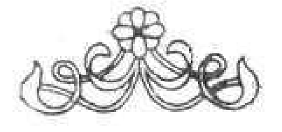
أتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يظل الأزهر كعبة للمسلمين جميعا ، كما أتمنى أن ينشط أعضاء قسم العقيدة والفلسفة بالجامعة فى دراسة القديم والحديث والمزاوجة بينهما حتى يكون لهذا القسم القيمة الكبرى باعتباره القسم الباحث فى العلوم العقلية التى من شأنها تربية ملكة التفكير السليم وذلك كله خدمة للعلم والدين .

وأتمنى ـ أيضا ـ لمصرنا العزيزة أن يحميها الله ـ سبحانه وتعالى ـ من المبادىء الهدامة ، وأن يوفق الله المسئولين إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية حتى ينطبق على مصر أنها بلد إسلامي دينه الرسمى الإسلام عقيدة وعملا . والله الموفق والمستعان .

(٢) اطلعت على براءة الوسام الذى منحه السيد الرئيس مبارك للدكتور/ شمس ، والموقع عليه بتاريخ ١٥/مارس/١٩٨٣ م .. الكاتب .

العلوم الكونية

الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة



أمراض المفاصل وإصاباتها

الأجيال الجديدة
من التقنيات المتقدمة

أ.د. أحمد فؤاد باشا

يتحدثون الآن في دنيا العلم و «التقنية» - كما في دنيا البشر - عن تعاقب الأجيال المختلفة من الاكتشافات والمخترعات، وازدياد تطورها خلال السنوات الأخيرة بمعدلات لا عهد لنا بها من قبل.

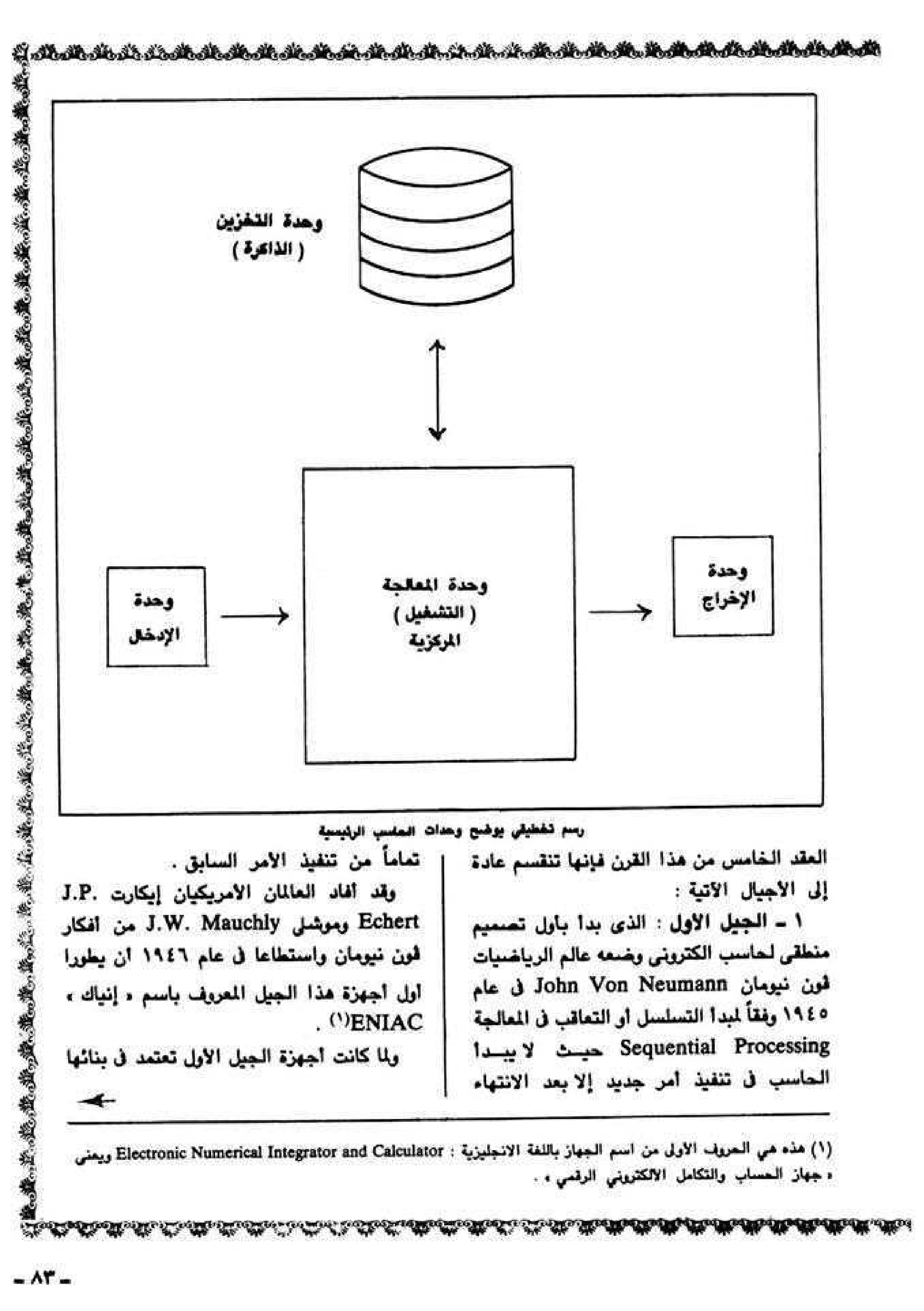
وإذا كانت أجيال «التقنيات» القديمة قد أحدثت ثورة هائلة وتغييراً جوهرياً في مظاهر حياتنا المختلفة، فإن الأجيال الجديدة والقادمة يتوقع لها أن تحدث أثراً أقوى وأخطر في بنية المجتمع البشرى بأسره. وسوف نعرض هنا لهذه القضية الهامة بالحديث عن بعض «التقنيات» المتقدمة - على سبيل المثال لا الحصر - متمثلة في أجيال الحاسبات والمجاهر والموصلات الفائقة.

(أ) أجيال الحاسبات الالكترونية:

من المتعارف عليه أن كل إنجاز تقنى يمر في دورة حياته - منذ ولادته واختبار صلاحيته على أيدى الباحثين والمخترعين - بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحاً للاستخدام على نطاق واسع، حيث يأخذ في الانتشار تدريجياً إلى أن يشكل ظاهرة شعبية يتفاعل معها أفراد المجتمع بصورة مباشرة، ثم يأخذ بعد ذلك في التراجع والانحسار حتى يتقادم ويندثر بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله. ويمكن ملاحظة هذه المراحل التى يطلق عليها اسم «موجات التقنية» Waves of technology في العديد من التقنيات السائدة حاليا كالراديو والتليفزيون والسيارة وغيرها.

وقد انضمت الحاسبات الشخصية person-al Computers إلى التقنيات الآخذة في الانتشار بعد أن أصبح امتلاكها في متناول الملايين من الناس وأصبحنا نعيش ما يسمى بعصر المعلومات والمعلوماتية Informatics.

وبالنسبة للحاسبات الالكترونية التى شهدت تطوراً سريعاً منذ ظهورها لأول مرة في منتصف



رسم تخطيطي يوضح وحدات الحاسب الرئيسية

العقد الخامس من هذا القرن فإنها تنقسم عادة إلى الأجيال الآتية :

١ - **الجيل الأول** : الذى بدأ بأول تصميم منطقى لحاسب الكترونى وضعه عالم الرياضيات فون نيومان John Von Neumann فى عام ١٩٤٥ وفقاً لمبدأ التسلسل أو التعاقب فى المعالجة Sequential Processing حيث لا يبدأ الحاسب فى تنفيذ أمر جديد إلا بعد الانتهاء تماماً من تنفيذ الأمر السابق .

وقد أفاد العالمان الأمريكيان إيكارت J.P. Echert وموشلى J.W. Mauchly من افكار فون نيومان واستطاعا فى عام ١٩٤٦ أن يطورا اول اجهزة هذا الجيل المعروف باسم « إنياك » ENIAC[1] .

ولما كانت أجهزة الجيل الأول تعتمد فى بنائها ←

(١) هذه هي الحروف الاولى من اسم الجهاز باللغة الانجليزية : Electronic Numerical Integrator and Calculator ويعنى « جهاز الحساب والتكامل الالكتروني الرقمي » .

على الصمامات المفرغة التى كانت مألوفة آنذاك فى أجهزة الراديو القديمة ، فإنها كانت عرضة لأعطال كثيرة بسبب ما تحتاجه من طاقة كهربية عالية ، وما تشعه من طاقة حرارية كبيرة ، فضلاً عما تشغله من حيز كبير وما تستنفده من جهد ومال .

٢ ـ **الجيل الثانى** : وفيه حلت « الترانزستورات » محل الصمامات المفرغة ، فتميزت حاسباته بصغر حجمها وانخفاض كلفتها وقلة استهلاكها للطاقة ، وزادت قدرتها على معالجة المعطيات وسعتها لتخزين البيانات ، مئات الألوف من المرات . وقد ظهر هذا الجيل فى عام ١٩٥٩ مع بدء مسيرة التطور النوعى فى تقنية الالكترونيات الدقيقة Micro -electro-nics .

٣ ـ **الجيل الثالث** الذى اعتمد على تقنية الدوائر المتكاملة Integrated Circuits وهى ثمرة تطور علم الالكترونيات Electronics وعلم أشباه الموصلات Semiconductors ، وتصنع من شرائح السيليكون النقى التى يُصفّ عليها مئات الترانزستورات وتعتبر الدوائر الالكترونية المتكاملة سمة العصر الحديث لاهميتها فى تطور المدنية المعاصرة فبفضل هذا الإنجاز العلمى أمكن اختزال حجم الأجهزة الالكترونية المختلفة بحيث وصل بعضها من حجم « الثلاجة » إلى حجم « علبة الكبريت » . وقد تميزت أجهزة هذا الجيل من الحاسبات بأنها وجّهت التفكير نحو استخدام الاسطوانات المغناطيسية فى التخزين وادت إلى ظهور الحاسبات الصغيرة Mini computers

٤ ـ **الجيل الرابع** ، وهو النوع السائد اليوم منذ ظهوره فى أوائل السبعينيات ، وقد تحقق بفضل تقدم تقنية التكامل المكثف Large Scale integration الذى تحمل فيه رقاقة من السيليكون فى مساحة ظفر طفل صغير عشرات الألوف من الترانزستورات ووحدات التحويل الدقيقة . وكان هذا التطور الهام على موعد مع إنجازين خطيرين هما : المعالج الدقيق Microprocessor وذاكرة أشباه الموصلات Semiconductormemory

أما الأول فهو دائرة متكاملة تحتل كل وحدات المعالجة المركزية والمنطق والحساب ، التى يتكون منها جوهر الحاسب الالكترونى ، بينما يستكمل الثانى المكونات المطلوبة بتوفيره احتياجات الحاسب من الذاكرة التى تختزن المعطيات والنتائج . وقد تحقق الجمع بين هذين الإنجازين فى جهاز الحاسب الدقيق Micro computer الذى ينتشر اليوم ، فى كل واحد من انشطة الحياة اليومية وفى كل مكان ، بسرعة انتشار النار فى الهشيم[٢] .

وهكذا نرى أهمية الآثار التى أحدثتها ثورة الالكترونيات الدقيقة فى تطور أجيال الحاسبات الالكترونية وتمكينها من إنجاز العمليات الموكلة إليها لحل مختلف مشاكل الإنسان العلمية والاجتماعية والاقتصادية بسرعة هائلة . فقد

(٢) راجع فى ذلك مقال د . أسامة الخولي بعنوان « الحاسوب .. هذا الطفل الذى ولد كبيراً » ، عالم الفكر ، مجلد ١٨ ، عدد ٣ ، اكتوبر ١٩٨٧ ، ومن الجدير بالذكر أن ثورة الحاسب الدقيق « المايكروكومبيوتر » لن تنتشر إلا مع ظهور جهاز أي بي إم الشخصي (IBM PC) عام ١٩٨١ ، والذى وفر مزايا لم تكن معروفة فى الأجهزة الكبيرة أو الصغيرة .

أصبحت الحاجة ملحة لوجود حاسبات تنفذ آلاف الملايين من العمليات فى الثانية الواحدة فى ميادين متنوعة تتفاوت بين تصميم الطائرات والصواريخ وإدارة حركتها ، ودراسة المعالم الجيولوجية ، وحركات الكواكب ، والارصاد الجوية ، وعلم الأحياء والوراثة والسلالات البشرية .. إلى غير ذلك من التطبيقات الشاملة Generic applications والدراسات والأبحاث التى تتناولها فروع العلم المختلفة .

وقد دفعت هذه الحاجة الملحة لوجود حاسبات عملاقة Super computers أو حاسبات فائقة Hyper computers بالباحثين إلى تصور طريقة معالجة جديدة تنقصه مبدأ فون نيومان القائم على تسلسل العمليات وتحقق معالجة متوازية Parallel Processing لجميع العمليات المطلوبة فى آن واحد . وتتوقف قدرة وسرعة هذه الحاسبات على عدد العمليات المطلوب تنفيذها تزامنيا تبعاً لمنطق التوازى ، ويتوقع لها أن تفتح آفاقا جديدة لميادين علمية هامة فى مجالات الطاقة النووية وحركة جزيئات المادة وتركيب المجرات ومعالجة الصور المأخوذة عن الاقمار الصناعية وغيرها .

ويرى المحللون لتقدم تقنية الحاسبات أنها تتخذ الآن مساراً جديداً عن طريق التطورات السريعة التى تحدث فى معدات الحاسب Hard-ware والبرمجيات Software[٣] . ذلك أن تصغير حجم Miniaturization المكونات الالكترونية يعتبر عاملاً أساسيا فى انخفاض تكلفة الحاسب ، بالإضافة إلى أنه كلما قل حجم الترانزستورات أو العناصر الأخرى المصفوفة على رقائق السيليكون ، فإن زيادة طردية تحدث فى سرعة التشغيل وفى عدد العناصر الموجودة فى وحدة المساحة من الرقاقة ، ومن المتوقع أن تستمر عملية تصغير الحجم بمعدلها الراهن الذى يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ بالمائة سنويا لمدة عقدين آخرين تقريبا ، بفضل ما يلقاه هذا التوجه من تعزيز نتيجة تحسينات هندسية صعبة ، ولكنها ممكنة .

من ناحية أخرى ، تظهر بعض الدراسات الحديثة أن المعدل الذى يمكن به تطوير البرمجيات وتعميمها هو الذى سيحدد فى نهاية الأمر سرعة تغلغل نظم الحاسبات ومدى تأثيرها فى المشاريع الصناعية والمشاريع المتعلقة بالخدمات والاقتصاد . وتؤكد هذه الدراسات أن تقنية الحاسبات سوف تصبح عما قريب أداة فكرية واسعة الانتشار وستضاهى الهاتف « التليفون » انتشارا فى نهاية الأمر ، وسوف تؤدى وحدات الربط البصرية Visual inter-faces وغيرها من وحدات الربط الطبيعية إلى تيسير استخدام الحاسبات عن طريق شبكة عالية القدرة بوسعها أن تربط بين أية مجموعة من الأطباء يحاولون التعرف على تشخيص صعب ، أو مجموعة من المستثمرين يضعون تخطيطا لإحدى الصفقات ، أو مجموعة من

(٣) يطلق على المكونات الطبيعية لنظام الحاسب اسم Hardware وهي المعدات التى يمكن أن نراها ونلمسها وتشمل : وحدة الإدخال التى يدخل المستخدم عن طريقها برامجه وبياناته إلى الحاسب ومثالها المألوف هي لوحة المفاتيح ، ووحدة الذاكرة التى تحتوي على تعليمات البرامج ، كما تحتوي على البيانات الداخلة أو المرحلية أو الخارجة ، ووحدة التشغيل المركزية التى تقوم بتنفيذ البرامج المخزّنة فى وحدة الذاكرة ، ووحدة الإخراج التى يخرج الحاسب عن طريقها النتائج المطلوبة ، وتمثل وحدة الطباعة وحدة إخراج كما تمثل الشاشة وحدة إدخال وإخراج . أما كلمة البرمجيات Software فتطلق على كل أنواع البرامج المصاحبة لنظام الحاسب .

الأجيال الجديدة

الفيزيائيين الفلكيين يصممون نموذجاً لما يسمونه تطوير الكون ، أو مجموعة من مهندسى سلاحة جوية يصممون مركبة فضائية جديدة ، أو طلابا يدرسون لتادية اختبار ما ، أو مؤتمرين يتحاورون عن بعد لاتخاذ قرار أو توصيات بشان قضية ما ، أو ما إلى ذلك(٤) .

٥ ـ الجيل الخامس ، وهو مشروع طموح بداه اليابانيون فى عام ١٩٨٢ بإنشاء مركز أبحاث خاص يرأسه الدكتور فوتشى K. Fuchi لتطوير حاسبات الذكاء الاصطناعى Artificial intelli-gence . ويخطط العلماء لهذه الحاسبات بحيث تحقق تغييرات كمية فى السرعة والقدرة والاستنتاج المنطقى ، ويكون بإمكانها القدرة على التعلم وعمل الاستنتاجات واتخاذ القرارات . ويهدف تطوير هذا الجيل إلى جعل الأنواع الذكية قادرة على مناظرة الإنسان بلغاته القومية وفهم الكلام والصور ، والتصرف بالطرق التى نعتبرها جزءاً شاملاً من التفكير المنطقى المؤدى إلى استنتاجات العقل البشرى(٥) .

ومهما يكن من أمر هذا الجيل العجيب وتفاؤل المبشرين به ، فإن هناك نقاطا أساسية سوف تثار دائما عند الحديث عن الحاسبات الذكية فى صورة تساؤلات ، هى : كيف يمكن للحاسب الذكى أن يفكر ويدرك كما يدرك الإنسان ويفكر ؟ وهل يتوافر فى الحاسب الذكى القدرة على الابتكار والأصالة اللازمين للتفكير ؟ وحتى مع قدرة الحاسب على السلوك الذكى ، كيف يتصرف بطريقة كما لو كان أمامه أمثلة حية ؟ ، وماذا يفعل عندما يكون التصرف الأصح هو عدم القيام بعمل معين ؟ ! لكن الخبراء فى أى مجال لا يملّون من تنبؤاتهم فى شأن المستقبل ، وتوقعاتهم المسرفة فى التفاؤل ، والتى يصل بعضها إلى حدّ الخيال الجامح . ومن يدرى ؟ فربما يطلع علينا قريبا من يتنبأ بجيل سادس لم تخطر صفاته بعد على خاطر أحد !! ...(٦) .

احمد فؤاد باشا

---

(٤) راجع مقال ا . بليد عن « الجيل القادم من الحواسب » ، مجلة العلوم ، ع ٧ ، الكويت ١٩٨٩ .

(٥) راجع فى ذلك كتاب :

E.A.Feigenbaum & Mc Corduck : The Fifth Generation : Artificial In Telligence and Japan's Computer Challenge to the World, Addison Wesley, 1983.

ويمكن الاطلاع على تعريف بهذا الكتاب فى مجلة عالم الفكر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧

(٦) بعد الانتهاء من إعداد هذا المقال طالعت مقالاً عن محاضرة القاها ا . اربيب عن تصور لجيل سادس من الحاسبات القادرة على التفكير والحدس ومحاكاة الدماغ استناداً إلى تصميم شبكة أعصاب اصطناعية . راجع تلخيص هذه المحاضرة فى العدد ١٨ (١٩٨٩) من مجلة افاق علمية ، إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، الاردن .

دراسة فى الطب

أمراض وإصابات المفاصل

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد مزيد

امراض العظام والمفاصل اصبحت منتشرة بين كثير من الناس فى مختلف الاعمار، وزاد منها استخدام الإنسان للوسائل الحديثة مثل السيارات فى التنقل وقلة المشى بصفة عامة، والجلوس الطويل امام «التليفزيون» فى اوضاع غير سليمة، مع تحسن مستوى التغذية، والترف وزيادة الإقبال على الطعام بصفة عامة مما يزيد من وزن الجسم ويحد من قدرة الإنسان على مزاولة الرياضات المختلفة، ويقلل من نشاطاته وحركته تلك التى تعتبر ضرورة لاستهلاك السعرات الحرارية التى تتجمع بالجسم بعد استهلاك كمية زائدة من الحاجة الضرورية للإنسان.

وتنقسم امراض المفاصل والعظام إلى مجموعات متعددة منها على سبيل المثال:

اولا: امراض المفاصل الطرفية:

اى مفاصل الطرفين العلويين والسفليين واليدين والقدمين.

وهذه تشمل أولا:

١ ـ التهابات المفاصل نتيجة «للروماتويد» المفصلى.

٢ ـ التهابات الغضاريف المكونة لسطح المفصل وتسمى الالتهاب العظمى الغضروفى.

٣ ـ الالتهابات المفصلية الناتجة عن درن المفاصل.

٤ ـ الالتهابات المفصلية الصديدية.

٥ ـ التهابات المفاصل الناتجة عن ترسيبات كيماوية تحت سطح الغضروف المكون للمفصل ـ وخلاله.

٦ ـ تلف سطح المفصل العظمى الغضروفى الناتج عن قصور الدورة الدموية بالعظام المكونة للمفصل.

٧ ـ التهابات المفاصل نتيجة لأمراض الدم «هيموفيليا» وهذه اكثر شيوعا فى الذكور، وفى السن الصغيرة.

٨ ـ التورم بالغشاء المبطن لسطح المفصل.

←

● الكاتب: استاذ جراحات العظام والمفاصل والعمود الفقرى بطب (عين شمس).

ثانيا : إصابات المفاصل :

تحدث الإصابات تلفا للمفاصل الكبرى والمتوسطة للأطراف سواء العليا أو السفلى منها وذلك للأسباب الآتية :

(أ) تمزق الأربطة التى تحيط بالمفصل وتتلاحم مع بعضها مكونة محفظة المفصل .

(ب) كسر بأعلى العظام المكونة للمفصل ويمتد الكسر إلى داخل المفصل حتى يشمل سطح الغضروف المكون للمفصل .

(جـ) انفصال جزء من عظم المفصل المتصل بأحد الأربطة الداخلية للمفصل .

(د) كسر غضروف عظمى بسطح المفصل وينتج عنه انفصال جزء من العظم والغضروف بسطح المفصل ويكون الجسم السائب داخل المفصل ولهذا الجسم مشاكله الخاصة .

(هـ) الارتشاح الدموى الشديد وتجمع الدم داخل المفصل نتيجة لتهتك الغشاء المبطن للمفصل بالإصابة الشديدة أو السقوط على أحد المفاصل ، وهذا أكثر شيوعا بمفصل الركبة خاصة عند الشباب فى الملاعب .

اعراض الالتهاب المفصلى :

أولا : الألم .

ثانيا : فقد الوظيفة أى عدم القدرة على استخدام المفصل فى الحركة ، والوقوف والمشى بصورة طبيعية .

ثالثا : إحمرار سطح المفصل وتورمه .

رابعا : تشوه المفصل حيث ينثنى فى اتجاه محدد نتيجة لتيبس العضلات وتشنجها فى وضع يسمح بتجميع اكبر كمية من السائل الناتج عن الالتهابات المفصلية داخل محفظة المفصل .

خامسا : تورم الغدد اللمفاوية أعلى المفصل المصاب بمنطقة «الورك» بالطرف السفلى ، والإبط بالطرف العلوى .

سادسا : تغيرات فى الدم ونسبة الكرات الدموية إلى بعضها ، وكذلك سرعة الترسيب ، ووجود الميكروبات بأنواعها المختلفة فى بعض الحالات .

سابعا : دراسة التغيرات الكيماوية بالجسم وتركيز «انزيمات» خاصة بالتمثيل الغذائى لبعض المكونات العضوية كالبروتينات بالجسم ، أو المواد غير العضوية مثل حمض البوليك والفوسفور وخلافه تساعد فى تشخيص حالات كثيرة من أمراض المفاصل .

كيفية تشخيص امراض وإصابات المفاصل :

أولا : التشخيص الشعاعى :

١ ـ تستخدم الأشعة السينية X - Ray لتشخيص أمراض المفاصل حيث إن الأمراض المختلفة تترك بصمتها بالمفصل والعظام المحيطة به ، وتختلف الصورة فى حالة الالتهابات الصديدية عنها فى حالة الالتهابات الدرنية «السل العظمى» أو «الروماتويد» المزمن ، أو الالتهابات الناتجة عن اختلال التمثيل الغذائى لأحد البروتينات أو المواد غير العضوية ، وهذه يحددها ويميز بينها الطبيب المتخصص فى أمراض المفاصل والعظام ، وتساعد كثيراً فى التشخيص والعلاج .

(ب) الأشعة المقطعية بالكمبيوتر :

تساعد فى دقة التشخيص لبعض حالات التهابات وأورام المفاصل وإصابات غضاريف المفاصل .

(جـ) الأشعة بالرنين المغناطيسى :

وهذه ترسم صورة تشريحية للمفصل والأنسجة المحيطة به ، وتعتبر أخر ما توصل إليه العلم الحديث فى مجال التصوير الشعاعى للجسم فى أجزائه المختلفة .

(د) استخدام المواد الملونة للمفصل مع التصوير لأجزاء المفصل الداخلية «Arthrography» :

كانت هذه الوسيلة تستخدم لإيضاح المكونات الداخلية للمفصل مثل الغضروف الهلالى بصفة خاصة ، أو اكياس حول المفصل ، وقل استخدامها بعد ظهور الأشعة المقطعية والتصوير بالرنين المغناطيسى .

ثانيا : المناظير :

(أ) كوسيلة تشخيص دقيقة وهامة :

وهذه الوسيلة تعتبر انتصاراً علمياً حديثاً حيث يمكن التشخيص الدقيق جداً بالمنظار الضوئى وفحص ودراسة جميع مكونات المفصل من الداخل ورؤيتها بالعين وهذا يحتاج لتدريب عملى على استخدام المناظير الضوئية حتى تزداد دقة التشخيص ، ويمكن اخذ عينة من اغشية المفصل والسوائل الداخلية .

(ب) كوسيلة علاج جراحى محدد :

يمكننا باستخدام المنظار الضوئى علاج حالات كثيرة داخل المفصل ، مثل :

– استئصال جزء منفصل من الغضروف الهلالى ـ استخراج جسم عظمى ـ أو غضروف سائب داخل المفصل .

– تفكيك الالتهابات الداخلية بالمفصل والتى تحد من حركة المفصل وتحدث صوتا أثناء المشى مما يسبب قلقا زائداً لبعض المرضى .

– يساعد المنظار فى جراحات توصيل الأربطة المتمزقة داخل المفصل .

– يساعد المنظار فى تركيب الرباط الصليبى الصناعى عوضا عن الرباط المتمزق وهذه تهم لاعبى الكرة بدرجة كبيرة ولقد تم لى معالجة مئات الحالات جراحيا وشملت هذه الحالات أنواع الالتهابات المختلفة بأنواعها المتقدم شرحها وباختصار شديد حيث لا تسمح المساحة بمزيد من الإيضاح .

وتختلف الجراحات حسب نوع الالتهاب ودرجة تأثر المفصل به وعمر المريض ، وقد عولجت بعض الحالات بالمفاصل الصناعية الاستبدالية .

وحالات أخرى بالتثبيت الكامل للمفصل وحالات بإصلاح التشوه المفصلى .

وحالات احتاجت إطالة العضلات والأوتار او نقلها من جهة إلى جهة أخرى حول المفصل .

وفى حالات الإصابة :

تم بنجاح كبير علاج إصابات المفاصل باستخدام شرائح خاصة ومسامير خاصة للكسور داخل المفصل وحوله .

– وإعادة توصيل أربطة داخل المفصل وحول المفصل .

– واستخدام الأربطة الصناعية الحديثة للتعويض عن تلف أو تمزق أحد الأربطة الصليبية داخل المفصل .

– وتركيب المفصل الصناعى النصفى او المفصل الكامل لإصلاح التلف الجزئى او الكامل لأحد المفاصل .

وبالله التوفيق ..

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الذى يعادى نعم الله

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه : لا تعادوا نعم الله ـ عز وجل ـ

قيل : ومن يعادى نعم الله ؟

قال : « الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » .

نصيحة

نظر ابو أمامة الباهلى إلى رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى .

فقال : نعم الرجل أنت لو كان هذا فى بيتك !!

هجا

لدغ العقارب لم يكن لعداوة
لكن للؤم تقتضيه طباعها

رءوس النعم

كان ابو يوسف القاضى ـ صاحب أبى حنيفة يقول : رءوس النعم ثلاثة :

أولها : نعمة الإسلام التى لا تتم النعم إلا بها .

والثانية : نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها .

والثالثة : نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها .

أنت حر لوجه الله

قال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام واغلق الباب .

قال : يامولاى ليس هذا حزما بل أغلق الباب أولا ، وأقدم الطعام ثانيا .

فقال له : اذهب فأنت حر لوجه الله ـ تعالى ـ لعلمك بأسباب الحزم .

للامام على ـ رضى الله عنه

● ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحسن منه تية الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله .

● ترك الذنب أهون من طلب التوبة .

- السخاء ما كان ابتداء ، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم .
- فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .
- أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله .
- لكل امرىء في ماله شريكان : الوارث والحوادث .

مقالس

كان الناس يراءون بما يفعلون لا بما يقولون ،
فصاروا يراءون بما يقولون ولا يفعلون .
ثم صاروا يراءون بما لا يقولون ولا يفعلون .

مرارة تحمل الجميل

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - :

لا تحملن لمن يمن
من الأنام عليك منة
واختر لنفسك حظها
واصبر فإن الصبر جنة
منن الرجال على القلو
ب أشد من وقع الأسنة

« هكذا كانوا »

سأل عمر بن عبد العزيز ابن أبي سليكة عن عبد الله بن الزبير :

فقال : ما رأيت نفساً اثبت من نفسه ، لقد مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدره ، فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ، ولا ركع دون الركوع .

فوائد الحد من الشره

صفاء الذات ، رقة القلب ، انكسار النفس ، تذكر أهل البلاء والحاجة ، كسر شهوات المعاصي ، دفع النوم ، التفرغ للعبادة ، صحة البدن ، خفة المؤونة ، التمكن من الإيثار .

« وصية »

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه :

يابني ازحم العلماء بركبتيك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك وابق فضول كسبك لآخرتك . ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كَلًّا ، وصم صوماً يكسر شهوتك ، ولا تصم صوماً يضر بصلاتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم ، ولا تحاب القريب ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذا الوجهين البتة .

الزهد والورع

قال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : الزهد : ترك ما لا ينفع في الآخرة .
والورع : ترك ما تخاف ضرره في الآخرة .
قال ابن القيم : وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها .

دعاء

« اللهم لا ترزقني رزقا يطغيني ، ولا تبتليني بفقر يضنيني ، وأعطني في الآخرة حظا وافرا ، وفي الدنيا معاشا واسعا » .



للأستاذ/ محمد فريد وجدى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

إنه ليوم مبارك الطلعة ميمون العودة ، ثرٌ بالجهاد ، عامر بمكارم الأخلاق ، زاخر بالبطولات ، يذكر المسلمين بنصر عقيدتهم ، وإشعاعها في كل مكان ، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس ، وإنهم لكذلك ما مارسوا أوامر دينهم ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .
قال الكاتب ـ رحمه الله :

إن فاتحة كل عام من أعوام السنة القمرية تثير في نفوسنا ذكرى الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة المنورة ، وتثير معها ذكريات أخرى لآيات وعبر تزداد على مر الأحقاب عظمة ، وتكسب على نسبة تقدم العلوم وتتابع الحوادث جلالا وروعة .

لما شرف الله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ برسالته إلى الناس كافة ، أخذ يدعو إلى الإسلام سراً ، فاتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم للاجتماع فيهابمن يؤمن به ، فكان يوافيه السابقون إلى قبول دعوته ، فيبلغهم ما ينزله الله عليه من الوحي .

لبث على تلك الحال مدة ، ثم أمره الله أن يدعو إلى دينه عشيرته الأقربين ، وهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو نوفل وبنو عبدشمس ، فدعاهم إليه وبشرهم وأنذرهم . فرد عليه جمهورهم بكلام لين إلا عمه أبا لهب ، فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم . فقال عمه أبوطالب : والله لنمنعنه ما بقينا ، وانصرف الجمع .

ثم أمر الله رسوله بأن يدعو الناس كافة واعداً إياه بأن يحفظه من كيد الكائدين فأنزل عليه قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

فاضطلع ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما حمله ربه من أعباء الرسالة أحسن اضطلاع ، فلم يدع وسيلة إلا قام بها ، فأغضب ذلك قريشا وهي قبيلته التي يعتزى إليها ، فشرعت في صده عما

هو فيه من طريق المحاسنة أولاً ، ثم بالإغراء بالمال والجاه ثانياً ، فلما لم يرفع بمسوّلاتها رأساً ، ولم يقم لها وزناً ، عمدت إلى الاستهزاء به والتشنيع عليه ، ثم إلى اضطهاده واضطهاد الذين اتبعوه ، واستهترت فى ذلك بما أملته عليها جاهليتها .

فلما اشتد على المسلمين الأمر ، وضاق عليهم الخناق ، أذن الله لهم فى التفرق فى الأرض هرباً بدينهم ، وأشار عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى الحبشة ، فخرجوا ولم يبق مع رسول الله إلا القليل .

فى هذه الأثناء أسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً شديداً مهيباً ، فكسب المسلمون بإسلامه قوة .

فخاف المشركون أن يفلت الأمر من أيديهم ، فاجمعوا أمرهم على أن يعتمدوا على أقسى الوسائل فى قمع حركتهم ، فرأوا أن يطلبوا إلى عشيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم من ذكرنا آنفا ، أن يسلموه لهم ، فلما أبوا عليهم ذلك قرروا مقاطعتهم ، واجتمع قادتهم وكتبوا عهدا بذلك ووضعوه فى جوف الكعبة ، فرأى عشيرته أن ينتقلوا إلى شعب أبى طالب ، فدخلوه جميعاً ، وبقوا فيه ثلاث سنين حتى نفدت أقواتهم وأكلوا ورق الشجر فلما رأى النبى ﷺ ماحل بأصحابه وعشيرته أمرهم بأن يهاجروا إلى الحبشة ثانية ، فهاجر منهم إليها ثلاثة وثمانون رجلاً وثمانى عشرة امرأة ، فأرسلت قريش وراءهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ليكيدوا لهم كيداً عند النجاشى ، فلم يرفع بسعايتهم رأساً .

ولما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالشعب مع عشيرته ، وصل إلى مكة وفد من نصارى نجران باليمن ، فلما رأوا أمارات النبوة عليه وما يتحمله من الشدة فى سبيل الدعوة إلى دينه ، أدركوا أنه رسول الله حقاً فآمنوا به ، وكان عددهم عشرين رجلاً ، ورجعوا إلى قومهم .

فلما نمى إلى قريش أن رجالاً من أهل المدينة اتصلوا سراً بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وآمنوا على يده وأخذوا يدعون قومهم للإيمان به ، وأن المسلمين شرعوا يهاجرون إليهم زرافات ووحدانا ، سراً وعلانية ، أدرك القرشيون أن الساعة قد أزفت لتنفيذ ما أضمروه من قتل رسول الله وتفريق دمه فى قبائلهم ، فأوحى الله إليه بما بيتوه له من الشر ، وأمره أن يهاجر إلى المدينة . فصدع النبى - صلى الله عليه وسلم - بأمر ربه ، وخرج إليها هو وأبو بكر ليلاً ، فلما أدركهما الصبح اختفيا بغار موحش فى الطريق ، موقنين أن المشركين سيتعقبونهما ، ولما أمنا الطلب خرجا منه وتابعا طريقهما حتى وصلا إلى المدينة ، فاستقبلهما أهلها باحتفاء عظيم ، وكان الإسلام قد استبحر فيها ، فاتخذها - صلى الله عليه وسلم - مقراً لدعوته ، وجعل أهلها أنصاراً له ، وقبلوا هم أن يدافعوا عنه بأموالهم وأرواحهم من يقصده بسوء ولو تألب عليه العالم كله .

هذه حوادث فذة فى تاريخ الإنسانية لا يجوز إغفال النظر فيها ، وبخاصة تحت ضوء العلوم الاجتماعية ، فقد أبانت نواحى إذا جليت تجلت منها آيات بينات تستصغر بجانبها أكبر حوادث التاريخ ، وتصبح من أقوى الأدلة على صحة الرسالة المحمدية ، ونحن نبينها فى ثلاثة فصول :

(أولها) : ظهور دعوة عامة للأمم كافة ، من بيئة لم تنضج بعد حتى لدعوة خاصة .

(ثانيها) : تطوع طائفة لا يزيد عددها على بضعة الوف للدفاع عنها حيال العالم كله ونجاحها فى ذلك .

←

من روائع الماضي

(ثالثها) : تحقق ما وعد به الكتاب الكريم

هذه الطائفة من النصر ومن تبوؤ خلافة الله فى الأرض .

فيحسن بنا أن نتولى النظر فى هذه الآيات الثلاث ، فنقول :

نجاح دعوة عامة فى بيئة لم تنضج لدعوة خاصة :

قرر العلم الاجتماعى أن المجتمعات أول ما تنشأ تكون على حالة قبائل ، متعددة متباينة فى الأخلاق والعادات ، فتبقى على ما هى عليه قرونا حتى يحدث لها بفعل عوامل التطور ما يدفعها إلى التوحد ، فتنشأ منها أمة ساذجة ، فلا تزال تعركها الحوادث ، وتقوّم من أودها ، وتقوى من روابطها ، قروناً أخرى حتى تصير أمة مستحصدة العرى ، قوية البنية ، تصلح للكفاح والغلب . وعلى هذا الترتيب التدريجى تظهر فيها المبادىء والأصول الأدبية ، فلم يشاهد قط أمة تتكون تكوناً فجائياً على أكمل ما تكون قوة وصلابة ، ولا أمة كانت مجردة من المبادىء والأصول ، تنهض بغتة لتملى على العالم أرفع الأصول وأكمل المبادىء ، وتنجح فى ذلك نجاحاً لا مرمى بعده فى سنين معدودة .

العالم كله يعلم أن العرب كانوا على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مثل ما كانوا عليه منذ أجيال كثيرة : قبائل متفرقة ، وأوزاعا متنافرة ، لا يوحد كلمتهم دين ، ولا تضم نشرهم جامعة ، وكانت بينهم حروب متوارثة ، وإحن وثارات قائمة على اعتبارات جاهلية موبقة ، عاشوا كل تلك الأجيال على هذه الحال معتبرين ما كانوا فيه من مفاخرهم . لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم ، ولا لتحديد وجهتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكن فى طبيعة بلادهم ، وقحولة بيئتهم ، ما يضطرهم إلى حياة مشتركة تعم جنسهم كله . لم يكونوا وهم فى أمية مطبقة ليتأثروا بحاجات عقلية تدعوهم للنظر ، وتجبرهم على التفكير ، ثم تحفزهم إلى تغيير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلة ، وتقاليد ضارة .

فلما أرسل إليهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهدى ودين الحق ، أنكروه ولكن أى إنكار ، وثاروا عليه ولكن أية ثورة ، فرموا رسول الله بالافتراء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، بل بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الإسلامية فقال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا . إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ

الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ .

فكان الحق جل وعلا وهم فى موقفهم هذا يداول لهم بين الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، ويضرب لهم الأمثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ؛ فلم يزدادوا إلا عتوا واستكبارا ، ونفورا من الحق وإنكارا ، وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكاد تذهب نفسه حسرات عليهم ، فيمده الله بالآيات تهدئة لقلبه ، وتأسية له بالرسل من قبله ، من مثل قوله تعالى : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ . وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

هذه كانت حال البيئة التى أرسل فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الاستعصاء عن قبول دعوته ، والتمادى فى مناوأته ، حتى قررت قتله والتخلص منه ، فأطلعه الله على مابيتوه له من الشر ، وأمره بالهجرة إلى المدينة بعد أن لبث فيهم ثلاث عشرة سنة لا يألوهم نصحا . وليس بعد هذا دليل على أن تلك البيئة لم تكن مستعدة لإحداث أى انقلاب فى حالتها الاجتماعية والأدبية . وفى هذا الاستعصاء اكبر رد على الذين يقولون إن العرب كانوا على وشك تغيير ما هم عليه من الحالة النفسية ، فلما قام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة فيهم اتبعوه وأيدوه .

تطوع طائفة للدفاع عن الدعوة الإسلامية .

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد عمد بعد أن يئس من قومه أن يعرض نفسه على القبائل التى كانت تأتى إلى مكة للحج أيام الموسم ، فكانوا لا يأبهون لدعوته ، فاتفق أن قابل فيمن قابلهم رجالاً من الأوس والخزرج سكان المدينة ، فاستحسنوا دعوته ووعدوه بعرض أمره على قومهم ، فحضر خصيصاً لهذه الدعوة فى العام التالى نحو سبعين رجلاً منهم ، فاجتمعوا فى جنح الظلام فى شعب من شعاب مكة ، وقبلوا أن يدخلوا فى الإسلام ، وأن يدافعوا عنه ولو أداهم ذلك إلى مكافحة العالم أجمع ، وجر ذلك إلى فنائهم جميعاً . ثم قالوا ومالنا على هذا كله ؟ فقال لهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لكم الجنة ، قالوا رضينا ، وانصرفوا على أن يهاجر إليهم هو ومن بقى بمكة معه من أصحابه ، وأن يستدعى من ذهب إلى الحبشة منهم ليوافوا إخوانهم بالمدينة ، ثم انفضوا على ذلك .

هنا أربع آيات من أكبر ما استجلاه الناس من آيات الله فى خلقه :

(أولها) : قبول قبيلتين من قبائل العرب اليمانية دعوة يقوم بها رجل من قبيلة عدنانية ، على ما كان بين هاتين الفئتين من التنافس والتنافر فى تاريخهما كله ، ومعنى قبولهما دعوته خضوعهما لسلطانه ، وهذا ما كان ليحدث بين قبيلتين تمت إحداهما للأخرى بصلة القرابة ، فكيف به بين فريقين متنافسين ؟

من روائع الماضي

(ثانيها) : اضطلاع طائفة من الناس لا يزيد عدد آحادها على بضعة آلاف بعبء خطير يعرضها لمعاداة جميع قبائل العرب ، بل شعوب الأرض كافة .

(ثالثها) : اطمئنان هذه الطائفة إلى الإسلام إلى حد معاداة العالم كله فى سبيله ، ولم تمض عليهم فيه حقبة من الدهر تكفى لأن تطبع نفسياتهم بطابعه ، وتحبب إليهم بذل أرواحهم فى نصرته . هذه طفرة لم يُشاهَد لها مثيل فى تاريخ النفسية الإنسانية .

(رابعها) : رضاء هذه الطائفة بالجنة جزاء على هذه التضحية ، فلا الملك ولا سلطانه ، ولا الدنيا ولا ملذاتها كانت لديهم شيئاً يمكن أن يعوقهم من إجابتهم دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

لا مشاحة فى أن هذه آيات يجب أن يراها الناس ويتأملون فيها ، فإنها من أدل الدلائل على التأييد الإلهى لرسوله ، ومن أقوى الشواهد على أن النبوة أمر تخرق له سنن الكون ، وتخضع له قواه ونواميسه .

تحقق ما وعد الله به رسوله من النصر :

إن شئت أن تشهد آية هى أكبر وأجل آيات الله فى عباده ، فاشهد أن قام رجل فى جماعة أمية ، فى أحط دركات الجاهلية ، يدعوها لأن تجتمع على دين لا عهد لها بمثله ، يخلعها عن أكثر عاداتها ، ويمتلخها عن أثبت موروثاتها ، ويقيمها على نهج جديد لم تعهده فى جميع أدوار تاريخها ، فينجح فى ذلك نجاحاً لم يقدر مثله لمصلح كان قبله أو جاء بعده .

تقول دائرة معارف لاروس فى عرض كلامها عن الإصلاحات الاجتماعية : « إن المبادىء الجديدة والأصول الطريفة ، لا يمكن أن تسرى فى نفسية أمة من الأمم بمجرد بثها فيها ، ولكن لابد من مرور أجيال متعاقبة عليها قبل أن ترسخ فى نفسيتها وتصبح حالاً لها ، وتصدر أعمالها عنها » .

نقول : هذا ما قرره العلم ، ودلت عليه التجارب الإصلاحية فى الأمم ، ولكن الدعوة الإسلامية ، على سمو أصولها عن كل الأصول المعروفة إلى اليوم ، قد قبلتها الطائفة التى انتدبت لحمايتها ، وقامت على سنتها طفرة ، فتأدت بها إلى السيادة ، على الأرض ، وهذا وحده من أكبر المعجزات فى نظر العلم الاجتماعى ، لأنه ينقض أكبر ناموس فيه ، وهو ناموس التطورات التدريجية .

وقد أشار الكتاب نفسه إلى جلالة هذا الأمر ، فإضافة إلى محض قدرة العزيز العليم إكباراً لشأنه ، وإعظاماً لخطره ، فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ .

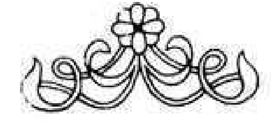
وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

إننا نذكر كل هذه الحوادث الكبر ، كلما عنت فرصة لذكرها ، لأن الأمر أكبر من أن تكفى فيه البحوث المستفيضة والتحليلات الدقيقة ، فغرابته وإعجازه يتجددان بزيادة مادة العلم ، وتوالى العبر العالمية .

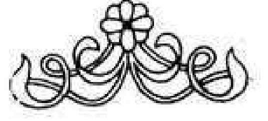
وسلام على المرسلين ..
والحمد لله رب العالمين .

اللغة والأدب والنقد

من قضايا الاختزال



حول ديوان ابنة الإسلام



من قضايا الاختزال

في كلام العرب



للأستاذ : عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد

٣ـ حذف فعل المدح ، والذم ، والترحم ، الاغراء ، التحذير ، الاختصاص :

فمثال قولهم : « الحمد لله أهل الحمد » بإضمار الفعل أمدح [١] . وفي قولهم : مررت بزيد الرجل الصالح نصبت «الرجل الصالح» على المدح [٢] .

وزعم يونس أن النصب على المدح في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ (النساء ١٦٢) ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ ﴾ (البقرة ١٧٧) [٣] .

ومثال الذم قولهم : مررت بأخيك الفاجر الفاسق نصب الفاجر الفاسق على تقدير فعل « أذم » وفي التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (المسد ٤) نصب حمالة على الذم [٤] .

ومثال الترحم قولهم : مررت به المسكين بنصب المسكين على تقدير : أَرْحَمُ المسكين [٥] .

ومن أمثلة الإغراء قول الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح

أي الزم أخاك واحفظ أخوته ، ومن الإغراء باسم الفعل قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (المائدة ١٠٥) فنصب أنفسكم بفعل محذوف تقديره الزموا [٦] .

ومن التحذير قولهم : رأسك والحائط ، الأسد الأسد معناه : احذر الأسد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ (الشمس ١٣) ومعناه : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء [٧] .

---

(١) مغني اللبيب ٢/٦٣٣ .

(٢ ، ٣) كتاب الجمل في النحو للخليل بن أحمد صـ ٦٠ .

(٤) مغني اللبيب ٢/٦٣٣ ، الجمل للخليل بن أحمد صـ ٦٣ .

(٥) الجمل صـ ٦٤ .

(٦) الجمل صـ ٥٤ ، ٥٦ .

(٧) الجمل صـ ٥٥ .

ومن النصب بفعل محذوف تقديره : أخص : قولهم : إنا بنى عبد الله نفعل كذا نصب « بنى » لأنه اختصاص . . . ولم يخبر أنهم بنو عبد الله كأنه قال : إنا أعنى بنى عبد الله ، قال الشاعر :

إنـا بنى تغلب قـوم معـاقلنـا
بيض السيوف إذا ما أفزع البلد

نصب « بنى » على الاختصاص [٨] .

ومن حذف الفعل : والمصدر المنصوب » نيابة عن فعله فى « الدعاء » والشكر « والعجب » والأمر :

فمثال «الدعاء» قولهم : تبا لهم وسحقا[٩] . ونقول فى الحمد والشكر : حمدا لله وشكرا ، وفى التعجب نقول : عجبا وفى الأمر يقول الشاعر قطرى بن الفجاءة الخارجى :

فصـبرا فى مجال المـوت صبرا
فـما نـيـل الخلود بمستطاع

ونقول فى الاستفهام : اقعودا والناس قيام على معنى أتقعدون الناس قيام ؟ ويقول الخليل عن هذا الفعل الذى ناب عنه « قعودا » وهذا فعل ليس بماضٍ ولا مستقبل ، وهو فعل دائم أنت فيه قال الشاعر :

أطـربـا وأنـت قـنـسرى
والـدهـر بـالإنـسـان دوارى

أراد : تطرب طربا[١٠] .

وقد صاغ ابن مالك فى ألفيته حذف فعل المصدر النائب عن فعله قائلا :

والحذف حتم مع آت بدلا
من فعله كندلا اللذ كاندلا

وعلل الأشمونى سر الحذف قائلا : لأنه لايجوز الجمع بين البدل والمبدل منه [١١] . ومن المصدر الذى حذف فعله : المصدر الذى سيق لتفصيل عاقبة ماقبله نحو قوله تعالى : ﴿ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ (محمد ٤) ومن ذلك ايضا : المصدر المكرر او المحصور الذى وقع بعد اسم عين نحو : انت سيرا سيرا ، وإنما انت سيرا ، وما انت إلا سيرا ، فالتكرار عوض من اللفظ بالفعل ، والحصر ينوب مناب التكرير[١٢] .

ومن المصادر التى حذف فعلها حذفا واجبا : المصدر المؤكد لنفسه او لغيره فالمؤكد لنفسه هو : الواقع بعد جملة هى نص فى معناه نحو : له على الف عرفا » اى اعترافا ، فقوله : له على الف نص فى الاعتراف فكأن المصدر يؤكد هذه الجملة لانها بمعناه . والمصدر المؤكد لغيره هو : الواقع بعد جملة تحتمل معناه وغيره ، نحو : «انت ابنى حقا فجملة « زيد ابنى » تحتمل الحقيقة ، والمجاز ، وبذكر المصدر « حقا » صارت نصا فى معنى المصدر ، ومثل ذلك : « لا افعل كذا البتة » ، فجملة « لا افعل كذا » تحتمل استمرار النفى وانقطاعه ، وبذكر « البتة » رفع احتمال الانقطاع وصارت الجملة السابقة بمعنى المصدر (البتة)[١٣] .

ومن المصادر التى حذف فعلها : ان يكون المصدر فعلا علاجيا تشبيهيا بعد جملة مشتملة عليها وعلى صاحبه مثل : مررت فإذا له صوتَ صوتُ حمار بنصب « صوت » الثانى لأن جملة « له صوت » فى معنى : يصوت ، والمصدر « صوت » الثانى مشعر بحدوث وتجدد ، بمعنى انه يحتاج فى إحداثه إلى تحريك عضو له ، اى انه ليس امرا معنويا [١٤] .ويلحظ مما سبق أن هذه المصادر التى حذف عاملها لها افعال ،

(٨) الجمل صـ ٦٦ .
(٩) الجمل للخليل بن احمد صـ ٨٦ .
(١٠) الجمل للخليل بن احمد صـ ٨٧ .
(١١) شرح الأشمونى ٢/ ١١٦ .
(١٢) شرح الأشمونى ٢/ ١١٨ .
(١٣) منار السالك ١/ ٣١٣ .
(١٤) المرجع السابق نفس الصفحة وما بعدها .

ولكنها لم تذكر استغناء بمصدرها عنها ، وقد يكون ذلك المصدر لافعل له أصلا وذلك مثل « بله » إذا استعمل مضافا نحو قول الشاعر :

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها
بله الأكف كأنها لم تخلق

فـ « بله »مصدره بمعنى : « ترك » مضاف لمفعوله ، وفعله مهمل ، وقد أقيم هذا المصدر مقامه ، ومعنى البيت : أن السيوف تترك القوم بارزة رءوسهم عن محالها ، منفصلة ، كأنها لم تخلق على الأبدان ، فتركا لذكر الأكف لأنها سهلة القطع بالنسبة إلى الرءوس [١٥] هذا وقضايا «الاختزال » عند « النحاة » كثيرة ، ومنتشرة بين أغلب أبوابه ، ويمكن أن تدرس هذه القضايا مجتمعة للكشف عن فلسفة العربية فى ذلك ، وقد فعل ذلك « ابن جنى » فى «الخصائص » [١٦] تحت عنوان « شجاعة العربية » ، وكذلك فعل «ابن هشام » فى كتابة المغنى [١٧] ، وقبلهما ذكر « سيبويه » كثيرا من قضايا الاختزال فى لغة العرب [١٨] والجدير بالذكر أن « المختزل » عند النحاة كالمذكور ، فهو يراعى عند توظيف الأجزاء فى التركيب ، سواء كان المحذوف « حرفا » ، أو « غير حرف » ، يقول « سيبويه » عن مراعاة حذف الحرف : «تقول جئتك انك تريد المعروف » ـ بفتح همزة « أن » ـ إنما أراد : جئتك لأنك تريد المعروف ، ولكنك حذفت اللام ههنا كما تحذفها من المصدر إذا قلت :

واغفر عوراء الكريم ادخاره
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

أى لادخاره [١٩] . وفى قوله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ التقدير : فعمله لنفسه وإساءته عليها .

ويلحظ ـ هنا ـ أن التقدير عمل أوجبه المعنى وسمحت به التراكيب اللغوية دون إفساد ، أو خلل ، أو تكلف . ويروق لى ـ هنا ـ أن أقول : « إن من ينكر التأويل والتقدير فى اللغة واحد من اثنين :

الأول : رجل لم يعرف اللغة حق معرفتها لأنه بحكم ثقافته لم يتهيأ للتمكن منها ، ولم يتدرج فى دراستها ، فهو عنها غريب أو كالغريب .

الثانى : رجل عرفها وتجرد لدراستها ولكنه لم ينضج بعد ، أو نضج ولكنه يطلب نوعا من الزعامة يرى نفسه أهلا له ، وكافيا فيه ، ولم تتهيأ له التجربة الطويلة إلى تعين على فقهها والنفاذ إلى اغوارها البعيدة وأسرارها الدقيقة ، فهو يتعجل الاجتهاد ، ويتكلف الإمامة قبل الأوان . [٢٠]

ولكن يحسن الا يتعرض دارس العربية الناشىء لشىء من قضايا الحذف ، لأننى بحكم تجربتى فى حقل التعليم من مراحله الأولى وجدت عند الدارسين عدم إدراك لقضايا الحذف مثل : النصب بأن مضمرة وجوبا أو جوازا ، وحذف المبتدأ أو الخبر وجوبا .

٧ ـ حذف المفعول به بين النحويين والبلاغيين :

من الموضوعات المشتركة بين « النحو » « والبلاغة »حذف «المفعول به »، ونعرض ذلك فيمايلى للكشف عن منهج كل منهما فى البحث ، واستنباط الأسرار من وراء ذلك الحذف .

(١٥) شرح الاشمونى وحاشية الصبان عليه ١٢١/٢ .
(١٦) الجزء الثانى من ٣٦٠ ـ ٣٨٠ .
(١٧) انظر الجزء الثانى بتحقيق محيى الدين من ٦٠٣ ـ ٦٤٣ .
(١٨) انظر مادة « حذف » فى الجزء الخامس لتقف على قضايا الحذف فى الكتاب .
(١٩) كتاب سيبويه ١٢٦/٣ ، ١٢٧ .
(٢٠) من قضايا اللغة والنحو ٨٩ .

حذف المفعول به عند النحويين :

ناقش « الرضى » حذف المفعول به قائلا : وحذف المفعول به على ضربين :

(أ) إما مَنْوى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (١٢٩ آل عمران) أى : لمن يشاؤه

(ب) أو غير منوى ، وذلك إما :

١ ـ لتضمين الفعل معنى اللازم ، كقوله تعالى :﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ (النور ٦٣) أى : يعدلون .

قول الشاعر :

وأن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها

إلى الضيف يجرح فى عراقبها نصلى

اى : يؤثر بجرح .

٢ ـ وإما للمبالغة بترك التقييد ، كما تقول : فلان يعطى ويمنع ، قال الله تعالى :﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ (البقرة ٢٤٥)[٢١]

ونلحظ ـ هنا ـ أن فكرا نحويا متأنيا يصف ما فى لسان العرب فى هذه الظاهرة التى لا يوجد فيها مفعول به ، ويصوغ قانونها مشفوعا بالبرهان والدليل ، أى عن طريق النص الذى يحتج به . وقد خصص « ابن هشام » فى المغنى [٢٢] فصلا لحذف المفعول به ، بين فيه « كثرة ذلك الحذف وقلته » ، فيكثر الحذف بعد :

ـ « لوشئت » ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩ الانعام) .

ـ « وبعد نفى العلم ونحوه » ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٣) ،﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (الواقعة ٨٥) .

ـ « وعائد الموصول » نحو قوله تعالى : ﴿ أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (الفرقان ٤١) ، ثم بين أن حذف « عائد الموصوف » دون ذلك ، كقول الشاعر :

حميت حمى تهامة بعد نجد

وما شىء حميت بمستباح

كما وضح أن « حذف عائد المخبر عنه دونهما » مثل قول الشاعر :

قد أصبحت أم الخيار تدعى

على ذنبا كله لم أصنع

وقول الآخر :

فأقبلت زحفا على الركبتين

فثوب لبست وثوب أجر

وبين « ابن هشام » أن الحذف يأتى فى غير ذلك مثل قوله تعالى :

﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾(المجادلة ٤) .

وذكر « ابن هشام » أن من « غريب حذف المفعول به » حذف المقول « وبقاء القول » ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ « يونس ٧٧ » أى هو سحر ، بدليل « أسحر هذا » ، ثم رجع « ابن هشام » إلى كثرة حذف المفعول به فى الفواصل نحو قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾(الضحى ٣) ، ثم بين بعد ذلك أنه يجوز « حذف مفعولى أعطى » نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴾ (الليل ٥) « حذف ثانيهما فقط » نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (الضحى ٥) ، كما يجوز « حذف

البقية ص ١١٧

---

(٢١) شرح الرضى ١/٣٤٤ .

(٢٢) مغنى اللبيب ٢/٦٢٢ بتحقيق محيى الدين .



للشاعرة/علية الجعار

دراسة بقلم
أحمد محمود مبارك

● منذ اكثر من عشر سنوات والشاعرة علية الجعار تتجه بشعرها وجهة إسلامية خالصة . بحيث اصبح - في السنوات الأخيرة - جلّ شعرها ذا سمات إسلامية واضحة ، ينطلق من قلب مؤمن ، وروح شفيفة ، وفكر يشع بنور الإسلام الحنيف ، ولأن الشاعرة علية الجعار صادقة الموهبة ، ممتلكة لأدوات التعبير الشعرى الجيد وعناصره ؛ فإن إنتاجها الشعرى المتميز يعد إضافة ذات قيمة لشعرنا العربى الإسلامى جاءت من صوت شعرى نسائى ، في وقت ندرت فيه الأصوات الشعرية النسائية . واتجه اغلب الموجود منها إلى التقليد الأعمى لموجات التغريب ، ومعطيات الفكر المادى المشبوه المشوّه . وقد تجلى الاتجاه الإسلامى الخالص للشاعرة علية الجعار في ديوانها ، ابنة الإسلام ، الذى صدر في طبعته الأولى عام ١٩٨٧ م عن المكتب المصرى الحديث .

● والديوان يزخر بتسعة وتسعين عملاً شعريا تتسم جميعها بالقصر حتى أن اغلب هذه الأعمال عبارة عن مقطوعات أو قصائد قصيرة ما بين أربعة وثمانية ابيات .. بيد أن هذه المقطوعات والقصائد القصيرة لا يعوزها طول أو إفاضة . إذ جاءت في تركيزها متوائمة مع الفكرة والومضة الشعورية الوجدانية .. وتتنوع تلك الأعمال لتشمل الابتهالات والرجاء للخالق العظيم . والتسبيح بحمده وشكره على نعمه ، والتأمل في الكون وما خلق المولى عز وجل من منطلق إيمانى إسلامى بحت ، كما يشمل الديوان قصائد الفكر والتاريخ الإسلامى والتجاوب مع الأحداث والمناسبات الإسلامية

والملاحظ على هذه القصائد تميزها بسلاسة الأسلوب . وشفافية العبارة وبساطتها . بغير عناء أسلوبى تركيبى . كما أن اغلب هذه القصائد قد كتبت على النهج العمودى التام ذى البحر الواحد - تاماً كان أو مجزوءاً - وثمة قصائد قليلة أخرى كُتبت وفق النظام المقطعى

حيث تنوع القافية فى كل مقطع . دون أن تخرج الشاعرة عن هذا النطاق إلى ما يسمى بـ « الشعر التفعيلى » ... ولعل هذا يمثل موقفاً من الشاعرة تجاه « الشعر التفعيلي » .. على إطلاقه . وبصرف النظر عن الجيد منه المرتبط بالجذور التراثية والعمودية الأصيلة . وذاك الشاذ الغريب المشبوه .. فثمة شعراء عرب أصلاء واضحون فى سمتهم واتجاههم الإسلامى المضىء . لا يجدون غضاضة فى الجمع بين الشكلين العمودى والتفعيلى المتزن ، من أمثال الشاعر السعودى المتألق عبدالرحمن صالح العشماوى والشاعر الفلسطيني الإسلامى محمود مفلح والشاعر محيى الدين عطية . وغيرهم فى كل البلاد العربية ..

وتتميز قصائد الديوان أيضاً بصدق التجربة الشعورية ورهافة الإحساس الموسيقي وثراء الوجدان المصور . بحيث ينتهى القارىء من قراءة الديوان وهو يشعر بالتجاوب الشديد مع قصائده والتأثر الوجدانى الذى يتسرب إلى مشاعره كأشعة نورانية تنقل إليه التجربة الشعورية الإيمانية بعمق وشفافية .. مما يقطع بأننا أمام شاعرة صادقة الموهبة قادرة على التعبير الشعرى المتميز المؤثر فى نطاق هذا النهج الإسلامى المضىء ..

وليس هذا تقريراً نظرياً مجرداً ينقصه البرهان والدليل ، وإنما هو حقيقة سوف يكشف عنها استعراضنا التحليل الموضوعى لنماذج من مقطوعات وقصائد هذا الديوان ..

● تبدأ الشاعرة ديوانها متوجهة للمولى عز وجل بالدعاء والرجاء . تحت عنوان « هدية ص ٥ » :

أعطنى يا واسع الجود من الجود هدية
نظرة فيها الرضا يا خالقى منك إليّة
تهت ياربا جهلاً فى ظلام البشرية
فاسكب النور من الفيض الإلهى عليّة

ثم تتعدد بعد هذه الافتتاحية مقطوعات وقصائد الدعاء والرجاء والابتهال وتتنوع بحورها الشعرية التامة والمجزوءة تساوقاً مع طبيعة التجربة الشعرية وروح القصيدة ومضمونها الفكرى .. فتنتقل الشاعرة من « مجزوء الرمل » الذى كتبت المقطوعة السابقة على منواله إلى ترنيمة روحية أخرى بعنوان « ابتهال ص ١٠ » كتبت على أمواج البحر البسيط .

تلجأ فيها الشاعرة إلى الهادى الغفور جل شانه لتسأله الهدى والعفو . مقرة بضعفها الإنسانى ..

من لى سواك إله الكون يهدينى
وفى طريق الهدى والنور يبقينى
ياواسع العفو هب لى منك مغفرة
إلى جنانك يا الله تدنينى
الذنب عندى يا الله يقتلنى
والعفو عندك يا الله يحيينى
خطاءة أنا يا الله يدفعنى
إلى ذنوبى ما حملت من طينى
لكنها هفوات لست أنكرها
وانت تعلم يا ربى بتكوينى
جلت صفاتك يا غفار لى أملٌ
فى العفو عندك إن خَفَّتْ موازينى

والمتأمل فى النموذجين السابقين يجد أنه بجانب القدرة التعبيرية المنسابة بعفوية وشفافية .. فإن التعبير الشعرى لم يجىء تقريرياً نظمياً وإنما اتسم بتصوير موحٍ وعاطفة جياشة سخية .. فقد جاءت الصور الشعرية والتعبيرات الإيحائية ملتحمة فى نسيج القصيدة متوائمة مع منطلقها الفكرى والشعورى . وبغير تركيب منفر غريب فى الوقت نفسه . وكان من الطبيعى ـ ونحن بصدد شاعرة إسلامية تفرز موهبتها الشعرية نتاجها من المنطلقات الإسلامية النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

حول ديوان ابنة الاسلام

- أن يزخر التعبير الشعرى تركيباً وتصويرا بمفردات ومجازات وصور فنية مستمدة من هذين المصدرين الأساسيين لديننا الإسلامي الحنيف ولنتأمل ذلك في قولها :

« خطاءة أنا يالله يدفعني
إلى ذنوبي ما حملت من طيني
لى امل في العفو عندك إن خفت موازيني
فاسكب النور من الفيض الإلهي عليّة
العفو عندك يالله يحييني »

والواقع أن تلك الظاهرة تعد ظاهرة عامة واضحة في جميع قصائد الديوان ..

وإذا ماانتقلنا إلى القصيدة الابتهالية الثرية « أنس فؤادى . ص ٢٠ » سيلوح تضافر الصور الشعرية البسيطة فيما بينها - والتي تنطوى على تصوير داخلي استبطاني وجداني نفسي . وتصوير خارجي مرئى - تضافراً مكوناً لوحة فنية إيمانية شديدة التأثير ومن خلال لغة رقراقة موسقة جميلة ... إذ تقول الشاعرة :

وانهال سيل من دموع فوق خدى في سكون
انا في الوجود غريبة يارب هل دمعى يهون
أنس فؤادى في الطريق فأنت تعلم من اكون

ثم تنطلق القافية النونية المقيدة - والتي نرى أنها في سكونها وإسارها القيدى قد جاءت معبرة عن الحالة الوجدانية التي رسمتها الشاعرة لنفسها في الفقرة السابقة فهى حالة إحساس بالغربة والوحشة .. والعجز الدامع - وتتحرر القافية وتشرق النفس بنور العطف الإلهى الفياض والرضا الربانى .. ويسمو التصوير الشعرى ويتنوع تنوعاً متلاحماً :

وإذا بفيض من رضا الرحمن يرسخ في يقيني
يضفى على نفسى السلام فتغمض التقوى عيوني
واحس نوراً قد تلألأ من ضياه في جبيني
فأغيب في حضن الحنان ومن سواه يحتويني

● وإذا ماانتقلنا إلى عنصر آخر من العناصر الموضوعية التي يزخر بها هذا الديوان الإسلامي الثرى . فإننا سنتوقف أمام رسم الشاعرة لمشاعرها وخلجات وجدانها ، ونبضات قلبها وهى في طريقها إلى رحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة المنورة حيث تقول في قصيدتها « إلى المدينة المنورة ص ١٤ » :

دعاني فأسرعت للموعد
وبالقلب شوق إلى أحمد
اتيت بحب كضوء النهار
ينير الطريق إلى سيدى
واحلامى الظامئات ارتوين
من المنهل الطاهر المورد

وتقول في قصيدة « في رحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ١٠ » :

انا في طريقي كاد رشادى
يضيع من الفرحة الطاغيه
وكاد الفؤاد يطير حنيناً
إليه على متن اشواقيه
وبانت على البعد مئذنتان
تحيطان بالقبة الزاهيه
يجللها النور . نور الحبيب
فتزهو على البعد في الباديه
وملت على عتبات الرسول ﷺ
اقبل صفحتها الساميه
......
احقا انا في رحاب الرسول
احقا ظفرت باحلاميه

● ● ●

والمتأمل في الأسلوب التصويرى الذى كتبت به أبيات القصيدتين السابقتين سيلاحظ أن الصور الشعرية رغم بساطتها تتنوع لتشمل

مجازات واستعارات قائمة على التشخيص الفنى والتراسل فيما بين المادى والمعنوى .. كقولها :

« أغيب فى حضن الحنان »

و .. « متن أشـواقيــه »

و .. « تغمض التقوى عيونى »

وتشمل تشبيهات موفقة ذات تأثير جمالى . مثل قولها :

« أتيت بحب كضوء النهار » ..

وإذا كنا لا نجد صوراً مبتكرة أو مركبة ، فإن العبرة فى التعبير الشعرى الجمالى الجيد ليست بابتكار صور غريبة تجىء متنافرة مع الفكرة . ومنشقة عن التجربة الشعورية . وإنما بتوافق الصور مع الفكرة ومع سمت التجربة وطبيعتها . بحيث لا تكون فى النهاية بصدد عمل شعرى مشوه الدلالة مركب الإيحاء تركيباً مُنفراً غير موصل . كما هو الشأن فى كثير من القصائد التى ينسبها البعض لما يُطلق عليه « الحساسية الجديدة » أو « الحداثة الشعرية » تلك التى لا نرى فى غالبية المطروح منها غير « حداثة الهيبز » . أو الهلوسات المتشاعرة .

وبإيجاز شديد ـ غير أنه غير مُخل ـ ترسم الشاعرة مشاعرها رسماً باطنياً وظاهرياً معاً . وهى فى رحاب الكعبة الشريفة . بحيث يشعر القارىء بعد أن ينتهى من قراءة هذه القطعة الشعرية التى لا تتجاوز ثلاثة أبيات أنه ليس بحاجة إلى مزيد من البيان أو الاسترسال المضيف .. فالشحنة الروحية التى يستشعرها كافية لإحساسه بكل أبعاد التجربة الشعرية وجوانبها . تقول الشاعرة فى مقطوعتها : « فى رحاب الكعبة ص ١٨ » :

ووقفت أرقبها وكل جوارحى

تهتز فى شوق وفى إيمانى

ونسيت ابنى والخلائق كلها

وذهلت عن أهلى وعن أوطانى

ونسيت حتى النفس . كل غرورها

وطموحها . سبحان من أنسانى

ولنـا أن نتساءل : أليست مـوسيقى « الكامل » بكل ما توحى به من هدوء وتأمل ورؤية ، قد جاءت متآزرة تماماً مع هذه التجربة الروحية ـ موضوع المقطوعة ـ بما يقطع بأصالة موهبة الشاعرة ورهافة إحساسها الموسيقى . وبما يدحض ـ من ناحية أخرى ـ زعم البعض ممن يناهضون عروض البحور الشعرية العربية الستة عشر . ويقصرون نتاجهم على تفعيلات الخبب والمتقارب . فى كل أشعارهم التى يزعمون أنها « حداثية » ـ هؤلاء الذين يدعون أنه لا علاقة بين موسيقى البحور الشعرية وبين المحتوى الفكرى للقصيدة .. أليس زعمهم تبريراً فاشلاً . لعجزهم عن امتلاك موسيقى بحور الشعر العربى . فيحاولون تغطية هذا العجز بقولهم بعدم التلازم ، أو عدم وجود علاقة بين الموسيقى الشعرية وموضوع التجربة الشعرية .

● ولأن الشاعر الإسلامى دائم التأمل فى ملكوت الله .. فقد زخر الديوان بعديد من المقطوعات والقصائد التى تنطلق من هذا التأمل الإيمانى . من ذلك تلك اللوحة الشعرية المتألقة « فى فضاء الله ص ٣٨ » .. المنسابة فى تعبيرها السلس على أنغام مجزوء الوافر ..

وتشرق طلعـة الفجـر

تفتـح أعيـن الطـير

فتسعى تطلـب الأرزا

ق فى بـر وفـى بحـر

وتسبح فى فضـاء الله فى أمن وفى يسـر

وتمنحها يد الرزاق ما ترجـوه من خـير

فسبحان الذى يمنـاه فينا بالندى تسرى

ولا تقل شفافية وألقا عن هذه المقطوعة . تلك

←

المتطوعة التأملية الإيمانية التى تتوامم فكرتها مع أنغام البحر البسيط . والمعنونة بـ .. « من أنبت الزهر . ص ٤٠ » .

من أنبت الزهر فتانا من الطين
من أودع العطر فى قلب الرياحين
ومن أحال الدجى نوراً بأعيننا
وأطلق البدر يسرى فى موازين
والشمس تشرق فى الآفاق دائبة

من قال للشمس فى آفاقها : كونى
الله خالق هذا الكون من عدم
قد صاغه الله بين الكاف والنون
سبحان من تسجد الدنيا لقدرته
من يملك الأمر يوم العرض والدين

والنفوس التقية والأبصار التى لم يغبشها قتام الجحود ، هى التى حينما تتأمل فى الكون تزداد يقيناً وإيماناً ، وتردد خاشعة مبتهلة قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . . . . . ومن منطلق هذا النور القرآنى تكتب الشاعرة مقطوعة لا تعنونها وإنما تستقيها من الآية القرآنية الكريمة السابقة . مشيرة إلى ذلك صراحة .

تقول الشاعرة فى تلك الأبيات :

فى الكون آيات تطل وتبهر
تهدى إلى الإيمان من يتفكر
يمضى الوجود لغاية مرسومة
منذ ابتداء الخلق لا تتغير
كل بحسبان يسير مقدراً
أنت الذى تقضى به وتقدر
كل إليك مآله ومصيره
يارب فهو مسبح ومكبر
يارب آمنا بعدلك فاكفنا
نـارا يصيب عذابهـا من انكروا

ولاشك أن تأثير الأسلوب القرآنى على الشاعرة فى هذه القصيدة قد بلغ ذروته .. ولايفوتنا أن نذكر خصيصة إيجابية فنية تتجلى فى هذه القصيدة . بل وكل قصائد ومقطوعات الديوان تقريباً .. وهى رسوخ القافية وعدم تلقلتها أو اهتزازها .. وتتجلى أهمية تلك الميزة . إذا ما اطلعنا على عدد غير قليل من القصائد العربية التى تطرح على الساحة الشعرية والتى يعتورها الافتعال فى التقفية .

وتتعدد قصائد ومقطوعات الديوان فى نطاق هذا المنحى التأملى التعبدى من ذلك « قصيدة النحل ص ٥٣ » .. ومقطوعة « يسبح الكون ص ٥٤ » . « ومقطوعة الجبل ص ٤١ » ... « ومقطوعة الشمس ص ٦٧ » ... مما لايتسع المجال لعرضه وتحليله محيلين القارىء إلى الديوان ليستمتـع بهذا الإنتـاج الشعرى المضىء .. منتقلين إلى عنصر آخر من العناصر الموضوعية الجزئية لهذا الديوان الإسلامى التعبدى الشامل .. وهو يشمل القصائد التى تنطلق منها الحكمة والدعوة إلى الخير والصلاح والموعظة الحسنة . بعد تأمل عميق فى أحوال الناس والمجتمع . فمن منطلق ماروى عن الله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى . وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » [1] يخط يراع الشاعرة تلك الأبيات المضيئة . ليكون شعرها دعوة للعدل واجتناب الظلم .. وهى دعوة موجهة للحاكم والمحكوم :

(١) صحيح مسلم ١٧/٨ ط دار التحرير ١٣٨٤ هـ .

يا ظالماً يحيى ضميرك فى الظـلام
لا تنس جبـاراً عليمـاً ذا انتقـام
اللـه عـدل ليس يظلم عبـده
والظلم عند الله فى الـدنيا حـرام
ياحاكما فى الأرض بين عباده
اعـدل فانت محـاسب يوم الـزحام

ومن منطلق قول الحق تبارك وتعالى فى القرآن الكريم ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ الإسراء ٣٧ ـ توجه الشاعرة هذه النصيحة المضيئة للمختالين والمتكبرين فى الارض ...

يـاأيها المختـال كبراً هـازئـاً بـالآخـرين
يـاأيهـا الجبـار لا يـومـا تهن ولا تلـين
من أنت يا إنسان أصلك ثابت ماء وطين
الله أحسن خلقنا فاخضع لرب العالـمين
واحن الجـبين فكل عز فى سجود الساجدين

● ونقتطف مما أفاض به وجدان الشاعرة . وأفرزته موهبتها الشعرية الأصيلة . فى محور مناجاتها للمولى عز وجل وهى تدعوه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى قولها فى مقطوعة الرحمن ص ١١٣ .

يامن تجلى باسمه الرحمن
وأفاض رحمته على الاكوان
من خصنا بمحمد خير الورى
وأغاثنا بـالدين والقـرآن
أدعوك يارحمن كن لى راحماً
فأنا الضعيف العاجز الإنسان

وقولها فى مقطوعتها الدالية المتالقة صياغة وتصويراً . والتى تلتحم موسيقى البحر الكامل بنسيجها التحاماً جمالياً مؤثراً . تحت عنوان « الكريم ص ١١٤ » :

يامن خزائن جوده لا تنفد
وعطـاؤه ونوالـه يتجـدد
هذى يدى تمتد نحوك ترتجى
فضلاً ولا أرجو سواك وأقصد
أنت الكريم وباب فضلك واسع
وأنا على أعتاب فضلك أسجد

وليس صعباً على القارىء أن يكتشف أن هذا التعبير الشعرى العفوى الراقى يدلل على ذوبان روح فى تلك التجارب الشعرية الإيمـانية التعبدية . كما يؤكد أيضا قدرة الشاعرة على التعبير السلس الذى يجمع بين الرصانة والعذوبة والبساطة . وتلـك خصيصة من خصائص الإسلامية الشعرية .

● ونختتم جولتنا فى هذا الديوان الثرى المعطاء . ودراستنا له بتلك القصيدة التى أطلقت الشاعرة عنوانها على الديوان .. وهى قصيدة « ابنة الإسلام ص ٣١ » .. التى تتغنى فيها الشاعرة وتفخر بانتسابها إلى الإسلام الحنيف :

ياسائلا عنى وعن آبائيا
أو ليس أصلى كالحقيقة زاهيا
إنى ابنة الإسلام أكرم والد
حسبى من الدنيا به نسبا ليا

ثم تستعرض أحوال المرأة المتردية فى الجاهلية . ثم إكرام الإسلام الحنيف لها وإنصافه إياها فتقول :

فى الجاهلية كنت كما مهملا
وأنوثتى عار يسير ورائيا
كفر وعصيان وكبر جهالة
إن لم يئدنى فى الطفولة آليا
......
حتى أضاء الكون نور محمد
صلى عليه الله نوراً هاديا
فتشبثت روحى به وبدينه
وتحطمت فى ظله أغلاليا

حول ديوان ابنة الاسلام

واعزنى الإسلام وارتفعت به

راسى وارسى فى الحياة مكانيا

....

ثم تستعرض صوراً مضيئة من التاريخ العطر للمسلمات الطاهـرات فى العصر الإسلامى الأول ... حيث تقول :

إنى أنا (أسماء) حيث تتبعت

خطو النبى بغار ثور نائيا

حملت إليه الزاد فى جوف الدجى

لم تخش ذئبا فى الفيافى ضاريا

قد آمنت بالحق ليس يخيفها

يوماً أبو جهل عتياً قاسياً

ثم تنتقل إلى نموذج مضىء آخر لتتحدث عن « أم عمارة » نسيبة بنت كعب الأنصارية . ودورها الجهادى البطولى المشرف فى غزوة أحد ..

ونسيبة خاضت غمار الحرب فى

أحد فكانت فيه سيفا ماضيا

كانت تذود عن النبى بروحها

وتصد عنه المشركين عواتيا

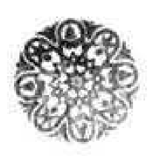
فأنا نسيبة بنت كعب واسمها

سيظل رمزاً للشجاعة باقيا

وتلك دعوة مضيئة لأن تتأسى المسلمات المعاصرات بهاتين الشخصيتين النسـائيتين العظيمتين وغيرهما . ممن يفخر بهن التاريخ الإسلامى على مر العصور .. وما أجمل وأنفع وأرشد أن تتأسى بناتنا وسيداتنا بهذه الأسوة الحسنة .. وأن يبتعدن عن التأثر بتلك النماذج الغربية والمتغربة . الضالة المضلة التى لا يجلب تقليدها إلا الهوان والضياع والغى ..

● وأخيرا فإننا نرجو أن نكون بتلك الدراسة لهذا الديوان الطيب قد أحطنا بأهم ملامحه ومضامينه الروحية الثرية . وسماته الفنية الإيجابية . رغم قصر الدراسة التى تحتمها المساحة المتاحة .. والله من وراء القصد

احمد محمود مبارك



حين غير مباشر

إعداد: عادل رفاعي خفاجة
أحمد تقي الدين

صورة المسلم

للأستاذ : احمد بهجت

حين جادل المجادلون فى إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ حسم الله تعالى الامر بقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

إبراهيم مسلم إذن .. وإسماعيل مسلم هو الآخر .. والمسلمون من ابناء هذا الزمان يدينون باسمهم لهذا الأب الأعلى إبراهيم قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ .

ما صورة المسلم كما قدمها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؟

وما هى صورة المسلم كما قدمها خاتم النبيين محمد ﷺ ؟

هى صورة إنسان عليه أن يخرج من قلبه كل شىء سوى الله ، حتى حياة ابنه ، حين وقع اختبار المسلم سبقت رحمة الله تعالى بكبش عظيم فدى الابن ، وكان عيداً لملايين المسلمين الذين لم يولدوا بعد .

هذا هو المسلم وهذه هى صورته .

إن التضحية فى الإسلام اصل عميق الجذور ، إن فى القرآن آية تجمع خصائص المسلم فى كلمات حاسمة ، إن الله تعالى يقول لمحمد ـ ﷺ ـ ولجميع اتباعه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

نحن نفهم أن تكون الصلاة لله .. ونفهم أن يكون النسك لله ولكن ما لا يفهمه المسلمون : كيف تكون الحياة لله والممات لله ؟ إن الصلاة والتعبد يتمان فى أوقات قصيرة ، والمسلم الحقيقى هو الذى يستمر بقية اليوم فى تعبده لله حتى لو كان يزرع أو يصنع أو يطعم اولاده او يسقى زوجه .. إن إخلاص النية لله ومحاولة توجيه كل أعمالنا لوجه الله الكريم .. هى باختصار صفات المسلم كما يرضاها الله تعالى لعباده .

إسرائيل ودول جنوب شرق اسيا

إذا كان الحديث عن العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا بكافة ابعاده العسكرية والاقتصادية والاجتماعية أصبح من الأمور

من خير ما نشر

المألوفة مع ما يثيره التوغل الإسرائيلي في كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية من اهتمامات وتساؤلات ، فإن الحديث عن العلاقات الإسرائيلية مع دول جنوب شرق آسيا خاصة : سنغافورة ، تايوان ، كوريا الجنوبية ، أندونيسيا ، تايلاند يطرح العديد من علامات الاستفهام حول طبيعة هذه العلاقات وأسباب قيامها وظروف نشأتها وتأثيرها علينا كدول عربية ثم أخيرا استراتيجية مواجهة هذه العلاقات المتنامية .

ففى إطار تزايد أهمية دول جنوب شرق آسيا وخاصة في السنوات الأخيرة بما تمتلك من قوة اقتصادية كبيرة ، وبالنظر إلى أن الصراع اليوم هو صراع على القوة الاقتصادية سواء للحصول أو للمحافظة عليها ؛ فإن تأثير هذه العلاقات علينا كدول عربية سيكون اقتصاديا في الأساس فكل إضافة لرصيد هذه العلاقات مع إسرائيل يعد سحبا للعلاقات الاقتصادية المتوقعة بيننا وبين هذه الدول .

كما أن العلاقات المتميزة بين إسرائيل وهذه الدول ستعطى إسرائيل مكانة متميزة بدرجة أكبر في المجتمع الدولى خاصة في حالة زيادة ارتباط هذه الدول باليابان لتشكيل قوة اقتصادية هائلة تتمكن من مواجهة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وأوروبا الموحدة عام ١٩٩٢ .

كذلك فإن التعاون النووى بين إسرائيل وهذه الدول ... قد يحقق لإسرائيل قفزة تكنولوجية في المجال النووى تجعل الحديث عن الردع التقليدى أو الكيماوى العربى أمرا غير ذى بال ، ويفرغ مبادرة الرئيس مبارك لنزع أسلحة التدمير الشامل من المنطقة من أى مضمون .

وانطلاقا من خطورة تأثير هذه العلاقات كما رأينا ، ورغبة في قيام علاقات اقتصادية قوية بين هذه الدول والدول العربية للمساهمة في التنمية الاقتصادية ، فالأمر يتطلب استراتيجية متكاملة تقوم على عدة عناصر أهمها :

١ ـ ضرورة زيادة وعى المواطن العربى بهذه المنطقة الحيوية وفائدتها اقتصاديا بالنسبة لمجالات التعاون من خلال زيادة مساحة الحديث بين تلك المنطقة إعلاميا .

٢ ـ التركيز على زيادة العلاقات الاقتصادية المتبادلة كمدخل عام لتحسين وتدعيم العلاقات في كافة المجالات السياسية والعسكرية .

٣ ـ نشاط سياسى من قبل الدوائر الدبلوماسية العربية لتعريف هذه الدول بظروف منطقة الشرق الأوسط وثقافاتها ، ومحاولة توضيح طبيعة المشكلات السياسية العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية .

٤ ـ مخاطبة الرأى العام الداخلى في هذه الدول لتوضيح ما يمكن أن تجرهم إليه علاقات التعاون العسكرى مع إسرائيل وخاصة في المجال النووى من مخاطر إذا تم فضح هذه العلاقات التى قد لا يعلم الرأى العام عنها شيئا .

إن هذه العلاقات يجب أن تثير اهتمامنا كعرب ، وتقرع أجراس الإنذار لنا بأن نفتح جسور التعاون مع تلك الدول في كافة المجالات . فشكل النظام الدولى الجديد يفتح الباب على مصراعيه لهذه الكتلة الاقتصادية كى تتبوأ مكانة متميزة ، وإذا لم نستطع الآن أن نتدارك ما فاتنا وندخل في علاقات وثيقة مع هذه الدول فإن إسرائيل ستكمل « مشوار » العلاقات الخاصة والمتميزة براحة كبيرة ودون منازعة من أحد فهل يتنبه صانعو السياسة الخارجية في العالم العربى ؟

عن مجلة السياسة الدولية

مع حجاج الاتحاد السوفيتي فوق جبل عرفات

للأستاذ : سمير رجب

فوق جبل عرفات التقيت بهم .. مجموعة من حجاج الاتحاد السوفيتي الذين جاءوا لأول مرة فى حياتهم لأداء فريضة الحج .. من بين « ١٥٥٠ » حاجاً قرر الملك فهد ملك السعودية استضافتهم بالكامل طوال أداء المناسك .

قالوا لى :

لقد ظللنا متمسكين بتعاليم الدين الإسلامى رغم العنف والقهر اللذين مارستهما الشيوعية ضدنا .. إلا أننا لم نيأس من رحمة الله .

تقدمنا مرارا بطلبات عديدة ليسمحوا لنا بالسفر إلى الأراضى المقدسة .. فكانوا يمزقون طلباتنا ويلقون بها فى وجوهنا !

الآن تغير الحال كثيرا . وإن كان جورباتشوف مازال مصرا على التمسك بتلابيب الشيوعية .. ونحن نرى أن النظرية انهارت من أساسها وكان لابد أن تنهار .. فالدين هو السياج المتين الذى يحمى حياة الفرد وماله وأسرته وعرضه .. أما فيما عدا ذلك فكله إلى زوال .. وهذا ما نشهده أمامنا .

عن جريدة الجمهورية

الاحتلال الهندى يرتكب مذابح فى كشمير

دخل الصراع فى « كشمير » مرحلة جديدة فبقدر ما تزداد حدة القمع الذى يتعرض له المسلمون من قبل قوات الاحتلال الهندى بقدر ما تزداد مقاومتهم وإصرارهم على التمسك بمواقفهم العادلة وقد اتضح هذا بعد مذبحة أول مارس فى « سريناجار » التى قامت بها القوات الهندية وراح ضحيتها أكثر من مائة مسلم .

لقد فتحت قوات الاحتلال النار على حشد من الوف المسلمين تجمعوا فى المدينة للتوجه إلى مكاتب هيئة المراقبين التابعين للأمم المتحدة .

وقع هذا العدد الكبير من القتلى الذى يمثل أعلى نسبة من الضحايا فى يوم واحد فى تاريخ العاصمة فى نهاية أسبوع شهد تجمعات جماهيرية تتضخم يوما بعد آخر فى كشمير كلها .

وهذا الحضور الهائل لمسلمى كشمير فى شوارع العاصمة بالرغم من الصقيع ورياح (الهيمالايا) الباردة الذى عبر عن إرادة صلبة ، وعزيمة لا تلين فى مواصلة عملية الجهاد ملأ قلوب قوات الاحتلال بالرعب وهزهم من الأعماق خاصة عندما قامت مسيرة ضخمة أخرى امتدت فيها عربات النقل وحدها على طول ١٢ ميلا .

ومع تواصل التجمعات الجماهيرية الكبرى التى تعبر عن استمراريتها عن مدى عمق إحساس الجماهير بعدالة قضيتهم قررت قوات الاحتلال مرة أخرى القيام بمحاولة سحق الحركة قبل أن تكتسح كل شىء فى طريقها فكانت قرارات حظر التجول المدعومة بأوامر إطلاق النار لغرض القتل .

عن جريدة الهلال الدولى

القضية الاريترية

لاشك أن القضية الإريترية شهدت تصعيدا جوهريا منذ أن تولى (منجستو هيلا ماريام) قمة السلطة فى اثيوبيا حيث اعتمد على الحل العسكرى مستبعدا بصورة مطلقة اى نوع من الحوار من منطلق فهمه بأن إريتريا جزء من اثيوبيا ولا نقاش حول هذا الموضوع مع أن

من خير ما نشر

الثورة الإريترية أضحت تسيطر اليوم على ما يقارب الثمانين بالمائة من إريتريا بل وعقدت مؤتمراتها مؤخرا داخل إريتريا .

لقد قرر منجستو منذ البداية تصفية الثورة الإريترية من جذورها فنقل معظم وحداته العسكرية إلى إريتريا حيث قامت بعمليات تمشيط عسكرى واسعة امتدت لبضع سنوات شملت كل المدن والقرى ، وخلافا لما توخاه منجستو فقد أحرز هذا الأسلوب نتائج عكسية تماما ، فالحل العسكرى البحت قاد إلى توسيع قاعدة المقاومة عبر انخراط ألوف الإريتريين حتى النساء والأطفال فى صفوف الثورة الإسلامية ، وهذه المحصلة بدورها دفعت « نظام أديس أبابا » إلى التصعيد مما جعل إريتريا خلال السنوات الماضية مسرحا للعنف ، والعنف المضاد ، وسجلت يوميات الحرب هزائم متلاحقة للجيش الأثيوبى وانتصارات باهرة للثورة الإريترية التى توجت بالاستيلاء على ميناء مصوع الاستراتيجى .

إضافة إلى الخسائر العسكرية فى إريتريا فقد خسرت أديس أبابا ـ باعتراف منجستو ـ معارك رئيسية فى « إقليم تيجراى » بما فيها المعركة الأخيرة التى منى فيها الجيش الأثيوبى بخسارة آلاف المقاتلين ، وفقد السيطرة على عاصمة الإقليم ولم يسجل نصرا فى إقليم أوجادين .

عن مجلة رسالة الجهاد

قرآن وسنة

لفضيلة الدكتور : عبد الجليل شلبى

كانت قاعة المؤتمرات فى بغداد تغص بالمستمعين ، ولا غرو فى ذلك ، فقد جاء إلى هذا المؤتمر مندوبون من سبعين دولة ، وكان الراغبون فى الحديث كثيرين لم يتسع الوقت لهم جميعا . ولكن كان للرغبة فى الكلام دلالتها على الشعور الذى يملأ نفوس القوم ويغمرها بالاستياء من (العدوانات) الإسرائيلية وتأييد أمريكا لإسرائيل ودفاعها عنها وحرصها على استعمال ما يسمى بـ « الفيتو » إذا وُجِهَ نقد إليها .

وقف مندوب من أبناء أسبانيا ، فأعلن رأيه فى نقاط : طالب أن تأخذ الدول الإسلامية والعربية والدول الأخرى التى تتعامل معها بها .. وأبرز ما فى هذه النقاط مطالبته بمقاطعة السفن والطائرات الأمريكية ، فلا تعمل فى شحنها ولا تفريغ ما عليها ، ولا يسافر شخص واحد عليها ودعا كل مندوب فى المؤتمر أن يعلن ذلك فى بلاده ، فيعرف الناس هناك أولا بشذوذ الموقف الأمريكى الإسرائيلى ، واستعمال القوم قوتهم الغاشمة ضد قوم أبرياء لا يريدون إلا أراضيهم .

ثم دعوة الناس بناء على هذا التوضيح بمقاطعة الطائرات والسفن والبضائع الأمريكية .

● أعجبت بهذا الرأى وأود أن يؤخذ به ، فهو من ناحية لا يحرج أى حكومة إزاء أمريكا ، لأن هذه المقاطعة من الشعب والجماعات وليس من الحكومات .

ومن ناحية جرب هذا العمل ونجح عام ١٩٥٩ حينما قاطع العمال فى موانى نيويورك الباخرة المصرية « كليوباترا » وبقيت أياما فى الميناء محملة ببضائعها ، وكانت بصدد العودة حقا ، ومازادت الحكومة الأمريكية يوم ذاك على أن ناشدت الحمالين الا يقاطعوا السفينة وضاع الرجاء ، ولكن العمال العرب أعلنوا أيضا مقاطعة السفن الأمريكية ، وإزاء هذا اضطر عمال أمريكا إلى تفريغ السفينة « كليوباترا » ثم السفن الأخرى بعد ذلك ولم تتكرر المقاطعة إذ

كان أثرها معروفا(*) .

أمريكا تعيش على بترول العرب وتصرف بضائعها في بلاد العرب . وتستقبل سياحاً من العرب ، وليس لها في العالم سوق أروج من أسواق العرب ، ومع ذلك هي أكبر أعداء العرب وأكبر مشجع لإسرائيل ضد العرب ، ومن وراء تشجيعها يشجع الآخرون .

عن جريدة الجمهورية .

الوحدة الأوروبية والاقتصاد العربي

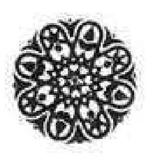
في الوقت الذي تبقى فيه أمة التوحيد مجزأة ومتفرقة إلى ما يزيد على ٧٠ سياسة اقتصادية تتضارب وتتنافر أكثر بكثير مما تنسجم وتتقارب .

نرى أن أوروبا الغربية تتحرك حثيثا تجاه وحدة اقتصادية كاملة ، لتصير سوقا واحدة واسعة مفتوحة تتحرك العمالة بين دولها الاثنتى عشرة بحرية كاملة ، وتتعاظم التجارة البينية داخل دول السوق الأوروبية المشتركة ، وعلاوة على ذلك فإن أوروبا الغربية من خلال اتحادها فيما يسمى « السوق الأوروبية المشتركة » سوف تتعامل مع العالم الخارجي كتلة واحدة وسياسة واحدة ومصلحة واحدة وقراراً واحداً . ولهذا باتت كافة الوحدات والتكتلات الاقتصادية تأخذ حذرها وتدرس أمرها لتعرف كيف تتعامل مع هذا العملاق الأوروبى القادم مع عام ١٩٩٢ م .

ومن الزاوية المصرفية وحدها ، فإن الإعلان النهائى للوحدة الاقتصادية الأوروبية سوف يضطر العديد من البنوك العربية إلى تصفية نشاطها التجارى في دول المجموعة الأوروبية بعد عام ١٩٩٢ . إذ أعربت الدول العربية عن مخاوفها من احتمال أن تضطر بنوكها في دول المجموعة الأوروبية والتى يقدر عددها بثلثى إجمالى بنوكها في الخارج إلى إغلاق أبوابها ، بسبب ما تتوقعه هذه الدول من منافسة قوية من جانب البنوك الأخرى .

وتشعر الدول العربية بالقلق بشكل خاص بشأن شرط المعاملة بالمثل الذى تضعه المجموعة الأوروبية ، والذى يشترط السماح لجميع دول المجموعة الأوروبية بالقيام بأنشطة في أى بلد يرغب في بدء أنشطة تجارية مع أى دولة من دول المجموعة ، وهذا الشرط يحرم العديد من الدول العربية من ممارسة أى نشاط مصرفي في أوروبا الغربية طالما ظلت تغلق أبوابها أمام البنوك الأجنبية .

عن مجلة الاقتصاد الإسلامى



* أجرى الله ـ تعالى ـ فضل تفريغ السفينة كليوباترا على يدى فضيلة الدكتور محمود حب الله مدير المركز الإسلامى بواشنطن يوم ذاك . مجلة الأزهر

أنباء وآراء

أنباء فضيلة الإمام الأكبر
إعداد: الشئون الفنية

فضيلة الامام الأكبر في زيارة لجمهورية العراق

تلبية للدعوة الموجهة لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر من السيد نائب رئيس الجمهورية العراقية ، غادر فضيلته القاهرة صباح الاثنين الموافق ١٩٩٠/٧/١٩ على رأس وفد مكون من السادة أصحاب الفضيلة :

الشيخ أحمد راضى مدير عام الدعوة والإعلام الدينى . والشيخ أحمد إسماعيل مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية . والشيخ مهدى عبد الحميد مدير عام الإعلام والعلاقات العامة .

وذلك لحضور اجتماعات لجنة هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

الرئيس العراقى يلتقى بفضيلة الامام الأكبر

اكد الرئيس العراقى صدام حسين أهمية دور الأزهر الشريف فى قيادة الأمة الإسلامية . وقال خلال استقباله لفضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر :

إن للأزهر دورا حضاريا مشهودا له .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم السبت الموافق ١٩٩٠/٦/٢٣ السيد / حليف إدريس على وزير العدل الجيبوتى . حضر اللقاء السيد / أدن شيخ حسن سفير جيبوتى بالقاهرة .

وقد بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الاكبر السيد الوزير الذى بحث مع فضيلته سبل دعم الأزهر لجمهورية جيبوتى وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر لزيادة عدد المبعوثين لجمهورية جيبوتى .

وفى نهاية اللقاء توجه السيد وزير العدل الجيبوتى بخالص الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والحفاوة .

كما استقبل فضيلته ظهر يوم الأربعاء الموافق ٩٠/٦/٢٧ بمكتبه فضيلة السيد على أوسودان رئيس جامعة مسلمى ميندناو بمصاحبة السيد / حسن مرهو بيصار سفير الفليبين بالقاهرة وقد قدم السيد رئيس الجامعة شكره وشكر مسلمى ميندناو على ما يقدمه الأزهر من عون ومساعدة للمسلمين فى الفليبين كما تم بحث زيادة المنح لطلاب (جامعة ميندناو) وتدريب المدرسين الفليبين فى مجال العلوم العربية والإسلامية وفى نهاية اللقاء توجه رئيس الجامعة بخالص الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والحفاوة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد: صفوت عبد الجواد
عبد المنعم فودة

الامام الأكبر في بغداد

الأزهر ينشر الإسلام دون تعصب فكرى او مذهبى

● اكد فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن مصر لم تدخر وسعا لتقديم كافة سبل الدعم للأزهر الشريف لينهض برسالته في خدمة الدعوة الإسلامية ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف في سائر انحاء العالم واكد الإمام الاكبر في محاضرة القاها في بغداد وحضرها كبار رجال الدعوة الإسلامية بالعراق أن الازهر يقوم بنشر الدعوة الإسلامية وعلوم اللغة العربية دون تعصب لفكر أو مذهب وقال: إن للأزهر الآن خمسة آلاف مبعوث يعملون على نشر الدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم كما أن هناك ١٥ الف طالب من الوافدين يدرسون في معاهد وكليات الأزهر، واكد ان الازهر لا يدخر وسعا في التعاون مع المنظمات الإسلامية العالمية في سبيل خدمة المسلمين في كل انحاء العالم واضاف شيخ الازهر أن مصلحة الناس والعرف والعادات تعد من مصادر التشريع الفرعية التي يمكن الاخذ بها بشرط أن تدور في إطار القواعد الإسلامية الصحيحة، واكد على انه ينبغى على العلماء وهم ينقلون الفتاوى الدينية عن العلماء والائمة القدماء أن يراعوا الظروف التي ظهرت خلالها هذه الفتاوى قبل تطبيقها حرفيا في ظروف مختلفة تماما.

وأشار شيخ الازهر إلى انه إذا اختلف العلماء فيما بينهم عليهم أن يحتكموا إلى العقل والعلم واكد على أن الإسلام أمر المسلمين بمعاملة أهل الكتاب بالتي هي أحسن.

هذا وقد عقد اجتماع خلال زيارة شيخ الأزهر لبغداد تم فيه استعراض عدد من القضايا الإسلامية وسبل دعم العلاقات بين الأزهر ووزارة الأوقاف العراقية، شارك في هذا الاجتماع كبار المسئولين العراقيين عن التعليم والأوقاف.

توسيع الحرم المكى ومسجد الرسول

● أعلن السيد عبد الوهاب أحمد عبد الواسع وزير الحج والأوقاف السعودى أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يقوم بنفسه بالإشراف المباشر على مشروع توسعة الحرم المكى الشريف لتبلغ طاقته الاستيعابية نحو مليون من المصلين وهى اكبر توسعة عرفها التاريخ.

كذلك يجرى حاليا تنفيذ مشروع مماثل لتوسعة مسجد الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالمدينة المنورة لتصل طاقته الاستيعابية إلى ٨٠٠ الف، واضاف وزير الحج والأوقاف السعودى أن مسجدى قباء والقبلتين

أنباء وآراء

نالا حظهما من التوسعة وجودة البناء وكذا مساجد كل المواقيت وأنه تم استكمال « دور المملكة » وهى مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة مما يضمن توزيعه على أكبر عدد من المسلمين فى شتى البقاع . وقد اشتمل هذا المشروع على ترجمات عدة باللغات المختلفة بمعانى القرآن الكريم وفى مقدمتها الانجليزية والفرنسية والأردية والصينية والتركية والملاوية .

دراسات حرة للنساء بالأزهر

بدأت جامعة الأزهر بالتعاون مع الأزهر الشريف تنظيم دراسات حرة للنساء بالجامع الأزهر دون التقيد بسن معينة .

تبدأ الدراسة عقب صلاة العصر يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع .

ويقوم بإلقاء المحاضرات والدروس نخبة ممتازة من مدرسات جامعة الأزهر فى التخصصات الإسلامية ، وتعنى الدراسة ـ فى المقدمة ـ بفقه المرأة لتعريفها بما يخصها من أحكام ، وتضم الدراسة تعريفا بالسنة الشريفة ، إلى جانب تراجم عن أمهات المؤمنين وتضحياتهن من أجل الإسلام .

ويشمل البرنامج دراسة فى التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية للتعريف بغزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ما قامت به المرأة المسلمة من دور كبير فى نشر الدعوة الإسلامية .

موسكو تعترف (غزو أفغانستان انتهاك لحقوق الانسان)

أذاع (راديو مونت كارلو) وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن وزير الخارجية السوفيتى (إدوارد شيفر نادزة) قال أمام البرلمان السوفيتى فى موسكو : إن غزو القوات السوفيتية لأفغانستان كان انتهاكا صارخا للمبادىء الأخلاقية والقيم الإنسانية .

وأضاف شيفر نادزة أن قرار الغزو اتخذ فى غفلة من الحزب ومن الشعب وكان ذلك انتهاكا لمبادىء الحزب .

استراتيجية للعمل الاسلامى لوزراء أوقاف الدول الاسلامية بمكة المكرمة .

بحث وزراء أوقاف الدول الإسلامية التى تضم السعودية ومصر والعراق والأردن والكويت والمغرب وأندونيسيا وباكستان ـ فى مكة المكرمة خلال اجتماع المجلس التنفيذى ، بحثوا وضع سياسة استراتيجية للعمل الإسلامى فى ضوء تطورات وتوصيات مؤتمر وزراء أوقاف الدول الإسلامية الرابع الذى عقد فى جدة فى ديسمبر الماضى .

كما بحث المجلس موضوع التنسيق بين وزارات الأوقاف بالدول الإسلامية والمنظمات الشعبية الإسلامية .

الاحتفال بحفظة القرآن الكريم

تم فى احتفال كبير بمبنى جمعية الشبان المسلمين بمحافظة بنى سويف توزيع الجوائز على خمسين فائزا من حفظة القرآن الكريم من ابناء العاملين وقد بلغت قيمة الجوائز الموزعة على الفائزين خمسة عشر الف جنيه .

أزمة المسلمين فى ليبريا

وقعت فى ليبريا مذابح عديدة للمسلمين فى إقليم (بنمبا) وذلك إثر دخول مجموعات مسلحة

من المتمردين الذين هاجموا قرى إسلامية عديدة وأحرقوها تماماً .

جاء هذا فى تقرير لمكتب مسلمى افريقيا فى ليبريا ونقلته (مجلة التضامن الإسلامى التى تصدر بمكة المكرمة) .

وجوب المحافظة على حقوق المسلمين فى بلاد الاقليات المسلمة

رفضت وزارة التربية والتعليم البريطانية إعانة المدرسة الإعدادية الإسلامية فى حى (بروديزبورى) شمال غرب لندن والتى يدرس بها (٩٥) تلميذا وتلميذة وتقدم للالتحاق بها هذا العام ألف تلميذ وتلميذه على قائمة الانتظار .

صرح بذلك الشيخ / يوسف إسلام مدير المدرسة وذكر أنه قد طلب معونة قدرها مليون جنيه استرلينى ولكن الوزارة رفضت بدعوى أن هناك أماكن شاغرة بالمدرسة مع العلم بأنه يوجد تفرقة فى المعاملة ، فالوزارة تدفع إعانة للمدارس اليهودية فى حين ترفض إعانة المدرسة الإسلامية .

من قضايا الاختزال - بقية

أولهما فقط ، نحو قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ ﴾ (التوبة ٢٩) .

وبالمقارنة بين « الرضى » و « ابن هشام » يبدو لى مايلى :

— أنهما يتفقان فى دراسة ظاهرة حذف المفعول دراسة وصفية .

— يظهر أن « الرضى » أدق فى صوغ قانون هذه الظاهرة .

— أشار الرضى إلى « قصد المبالغة » من وراء الحذف ، وذاك أمر يكشف عن رغبة المتكلم بالتركيب الذى أثر فيه الحذف على الذكر .

— أشار « الرضى » إلى « قضية التضمين » فى اللغة وهى : « إشراب الفعل معنى فعل آخر » وتلك مسألة نحتاج إلى تتبع للكشف عن « أهدافها وقوانينها » .

هذا وقد تعرض النحاة ، إلى المفعول به الذى لا يجوز حذفه ، وحصروا ذلك فيما يأتى :

١ - إذا كان المفعول به نائبا عن الفاعل ، لأنه صار عمدة كالفاعل .

٢ - أن يكون متعجبا منه نحو : ما أحسن زيدا .

٣ - أن يكون مجابا به نحو : « زيدا » لمن قال : من رأيت ؟ إذ لو حذف لم يحصل جواب .

٤ - أن يكون محصورا نحو : ماضربت إلا زيدا ، إذ لو حذف لأفهم - التركيب - نفى الضرب مطلقا ، والمقصود نفيه مقيدا .

٥ - أن يكون عامله محذوفا نحو : خيرا لنا وشرا لعدونا .

٦ - إذا كان المبتدأ غير لفظ « كل » والعائد المفعول نحو : زَيْدٌ ضَرَبْتُه ، فلا يقال اختيارا زيد ضربته - بحذف العائد ورفع زيد - بل يجب عند الحذف نصب زيد[٢٣] .

(٢٣) انظر همع الهوامع ٣/ ١٣ بتصرف يسير ، وشرح الرضى ١/ ٢٤٣ .

فهـــرس

→

The spectrum of morality is inclusively integrative, it combines Faith in Allah, religious rites, spiritual observances, social conduct, decision making, intellectual pursuits, temperament, attitudes of character, manners, emotions, habits, and all other aspects of human individual and social life. Because morality is an essential aspect of Islam Theism, the tone of morality is inherent in all Islamic teachings, and is repeatedly stressed in various contexts throughout the Holy Quran. Every moral value is mentioned many times in several contexts appearing either singly, or as an article of a system which is itself an element of a complete religious supersystem. These are so numerous, and it is beyond the scope of this treatise to enumerate and classify all such passages that pertain to human morality that are part of the Holy Quran, and the Hadith of the Prophet. Moral values in Islam are not designed to intimidate mankind, or imprison his freedom of will, thought or action. Moral values are meant to develop a healthy personality, cultivate a wholesome character, maintain a balanced stable psychology, and primal to all consolidate the association with The Creator, The Infinite Source of all Goodness.

Mankind is created fallible and imperfect and in order to rectify mistakes, the path to repentance and atonement (Tawbah) is open to all those who have done wrong, and seek penitence. The act of (Tawbah) is in itself a form of worship. It is a practice that always results in spiritual reform, moral growth and maturity by which the finer qualities of mankind crystalize and develop, and human potentials for good righteous morals become developed.

Morality and the provision of a value system is the most fundamental requirement for the wholesomeness of human society. Moral obligations are incumbent on every individual in society in all its units and subdivisions of human life. The standards and norms of a value system are practiced in a human society according to moral codes, which originate from a divine system of values. The ethical formalism should be instituted in the culture of young generations, and maintained in practice of all phases of life. The grace of the conscience, the mental splendor of the sense of right, the psychological stability of stoicism, and the spiritual elegance of the moral value system are all essential elements that must be instituted and practiced in the human society as primary requirements for its survival and posterity.

comprise the relationship of man and the Creator, the relationship of man and man, man and the other elements of creatures in the universe, and man and his innermost self. The ultimate role of mankind in all these relationships is to champion and proliferate the human value system as designed by Divine patterns. The main purpose is to practice virtue, chastity, honesty, simplicity, humbleness, compassion, generosity, magnanimity, righteousness and a general form of elegant grace that qualifies mankind to be human. The primordial precursor arbitrator of all human thought, intention, and action, is Belief and Faith; the quality of all human behaviour, feelings, and life's conduct, is an outcome of this basic criterion. The life of mankind must be essentially occupied with objective constructive thought and serious beneficial pursuits.

The purpose of Divine Scriptures is to provide a structured formulation of regulatory system of legislative code of practice for moral human life. This code is classified into positive commitments which must be observed and negative prescriptions which must be avoided. Both the positive commitments and the negative prescriptions are aimed to optimize the conscience function of mankind, build his personality, deepen his axioms of belief, and justify the healthy function of distinctive selection and discriminative analysis. The positive commitments essentially act as perpetual reminders and energizers of faith, the continual strong link with The Creator. These are mainly the forms of worship, which have extensive and far-reaching implications of both individual and social moral values. The negative prescriptions are preventive and pre-cautionary measures to safeguard, maintain the original quality of the human value system, and protect it from degeneration, devaluation, perversion, indecency, and temptation. The ultimate preservation of the human value system in both individual and society depends upon the extent and degree of observance of the divine articles of faith. The doctrines of prohibition are introduced for the spiritual, psychological, mental, and physical health of man; which reflect on the moral and material benefit of society. These articles of prohibition are therefore not for the deprivation of mankind but for enrichment, not for suppression but for discipline, not for limitation but for expansion and proliferation. These prohibitions are acts of Divine Mercy and Grace. The Holy Quran indicates in several statements the articles of prohibitions. In one of these statements, the grounds and foundations of sound moral conduct is given, "say" The Things that my Lord has indeed forbidden are: sinful deeds, whether open or secret, shameful acts and trespasses against truth or reason, assigning partners to Allah, and saying things about Allah of which you have no knowledge (Surat Al-Aarraf, vii, 33).

←

highest and most supreme organism of creation. No other creation is attr - ibuted with the faculty of thought and discriminative arbitration of inte - ntion and action except Mankind.

knowledge of The Creator and the absolute belief in the Divine Transcendent Truth, formulates the basic essential molecular foundation of the proper function of all human faculties, most of all the psychosynthesis of the human mind. Allah (God), the Maker and Sustainer of the whole Composite Universe, the Provider of mankind, the Ultimate Active Intelligent Force and Energy in nature - Allah has provided mankind with the faculty of cognitive thought and the ultraprecise mechanism of distinctive selection and mental energy. In order to achieve the rank bestowed upon Mankind by The Creator, the human race was destined to adhere to certain distinctive obligations in order to maintain the standards required to meet with the qualification of being human. Any deviation from the normative standards and the inborn value system, undermines the quality of being human, and brings down human grade to low levels comparable to that of lower organisms or even lower. The Creator ordained that human thought, intentions, and actions should be of supreme quality of grace, chastity and purity. With all the freedom of thought and action bestowed upon mankind, it is expected that mankind should live and act in conformity with all values that should preserve the quality of being human.

With this basic premise, the doctrinal teachings of Islam provide specific importance to the concept of morality, and consider morality as a fundamental element of Faith. The composite law of Islamic Shariah is essentially designed to formulate, organize, arbitrate, classify and quantitate the science of human intention, action, and conduct in all its inclusive forms in human life.

The concept of morality in Islamic teachings centers around certain fundamental axioms of faith. The nucleus upon which everything else is structured is that Allah, The Creator is the Source of all goodness, truth and ultimate grace. Man is created as the responsible dignified honourable vicegerent of Allah on earth. The doctrines of faith dictate that all things are permissible in principle except what is singled out as obligatory and must be observed, and what is singled out as forbidden and must be avoided. The ultimate responsibility of mankind is to Allah and only to Allah. Based on these manifestations of belief, the dimensions of morality become far-reaching and involve the total life of the individual. These dimensions

THE CONCEPT OF MORALITY IN ISLAM

By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The lexicological origin of the word "Morality" pertains to the ethics of standard principles controlling human conscience that differentiates and justifies right from wrong, virtue from vice, good from evil, normal from abnormal. This inward monitor, inner arbiter, ethical censor is basically a fundamental quality of all biological life, from unicellular organisms to higher mammals and vertebrates. The complexity of development of this primitive biological quality, varies according to the organism. In mankind, this quality is most highly developed and accurately organized. Distinct from all other biological organisms, the human being is the only creature that possesses a unique faculty of discriminative analysis; and a functional force of thought, intention, and action. Such sequence occurs under conditions of absolute mental freedom; the only restraint is the faculty of discriminative analysis and the voice of conscience. It is an inborn natural quality of mankind to act and function according to a differential mechanism of distinctive selection between the two opposites of morality and immorality. The normal human being, with an integrated personality, healthy psychosynthesis, with a developed adjustive reaction and normal conditioned response, possesses the behavioural norms of the human value system. This faculty enables mankind to discriminate between various human actions and conduct, to condemn what is immoral and applaud what is moral.

The faculty of arbitration in the genesis of human creation is totally integrated and associated with all other mental capacities of intelligence, comprehension, wisdom, perception and cognitive thought. This total structure indicates the existence of a delicate balance between normal and abnormal functions of the mind that will ultimately lead to normal and abnormal thoughts and actions. This sequence of understanding indicates that normal intentions and actions are the consequence of a healthy properly functioning arbitration mechanism of the human mind; and that abnormal intentions and actions are the consequence of an unhealthy disorganized arbitration. This value system constituted the basic elements of human creation, for the purpose that Mankind should be the

Damascus. At Al-Gabiah, Omar received the emissary of Abu Ubaydah, who informed Omar of the Muslim triumph, and asked whether the men of Al-Qaqáa should have a share in the spoils or not. Omar did not continue his journey, he wrote to Abu Ubaydah to include the men of Al-Qaqaa in the spoils of battle. The whole territory of north Syria once again settled down, and the Muslim warriors returned to their original positions.

The three Muslim formations under Suhayl ibn Adii Abd-Allah ibn Utban and Al-Walid ibn Uqbah commanded by Ayyadh ibn Ghanm, subdued the nomad tribes resident in the desert stretch between the Euphrates river and the Syrian mainland. All the lands in this region and further north to the plains of the Euphrates river submitted in allegiance to Islam. Omar ibn Al Khattab personally interfered in the negotiations regarding the "Jiziah" when some of those tribes insisted to remain Christians, Omar ibn Al-Khattab wrote to Al-Walid ibn Uqbah that there was no compulsion in religion, and that Islam called for freedom of faith. These tribes were Banu Taghleb, Banu Ayyadh, Banu Rabieah and Tanukh. Most of these tribes in latter years followed the Muslim faith. Omar ibn Al-Khattab had relieved at Walid ibn Uqbah from his command over those tribes because of continuous dispute between Al-Walid and the tribes, an act of administrative diplomacy. Omar appointed Furat ibn Hayyan to replace Al-Walid ibn Uqbah as Omar's commissioner to govern those tribes. With these final amendments of government, the whole complete Syrian and Palestinian territories had become totally under Muslim administration.

The vanguards of Muslim warriors under Khalid ibn Al Walid and Ayyadh ibn Ghanm penetrated north into the territories of Armenia and Qalqiliah. The spoils of Muslim expansion were excessive, and it is related that Khalid ibn Al-Walid was over carried by military pride and personal sureness and pomposity. He deliberately took issues to his own decision without consulting with the head of State Omar ibn Al-Khattab. In some instance, Khalid ibn Al-Walid even refused the directions of Omar, and his actions and replies had a shade of insubordination. Omar ibn Al-Khattab wrote to Abu - Ubaydah ibn Al-Garrah with instruction to dismiss Khalid ibn Al-Walid from his command and from service. This was the end of the greatest military commander Islam had ever known, a common end for a unique man. The story of Omar ibn Al-Khattab, and Khalid ibn Al-Walid is narrated in extensive analytical detail by most chroniclers some favouring Omar and others favouring Khalid. The fact remained that both men were of unique extraordinary qualifications, two driving expanding forces, one had to give way for the other to grow. No man is qualified to pass judgement in the dispute between those two great men. Omar ibn Al-Khattab was the head of state, and what he decided must be executed with all respect, homage and obedience. Omar ibn Al-Khattab the greatest of all at all times.

Confronting the critical situation, Omar ibn Al-Khattab responded with confident promptness, vigilant alertness, talented strategy and emphatic determination. He planned to defeat the Roman-Tribal association that was threatening Muslim crusaders in Syria, and to save the juvenile state from an impending catastrophe. Omar ibn Al-Khattab wrote to Saad ibn Abi Waqqas in Iraq to mobilize men under the command of Al-Qaqáa ibn Amre to march to Homs in support of Abu Ubaydah, this was to be an immediate action. Omar also instructed Saad to comission Suhayl ibn Adii, Abd-Allah ibn Utban, and Al-Walid ibn Uqbah to lead Muslim veterans to the dwellings of the nomad tribes who assembled and marched against Abu- Ubaydah at Homs. Threatening raids against these dwellings would induce the nomad tribes to return in defence of their homes. The three men responsible for the raids of the tribal dwellings were under the command of Ayyadh ibn Ghanm. Omar ibn Al-Khattab did not content himself with these measures. He considered the situation more grievous, and that Heraclius would not venture into such a gambit unless he was prepared. As an optimal counter measure, Omar ibn Al-Khattab assembled an army from the tribes of the Arab Peninsula, which he personally commanded, and marched north at the head of that army from Al-Madinah on his way to Syria to reinforce the Muslims with Abu Ubaydah at Homs.

By these justified optimal acts of prudence foresight on the part of Omar ibn Al-Khattab, the whole juvenile Muslim state was stirred up to confront an enemy who was endangering its very existance. The news of Muslim troop movements echoed throughout the whole territories between Iraq east and the Syrian coast west. Al-Qaqáa ibn Amre was on his way to Homs; Ayyadh ibn Ghanm commanding three separate formations was threatening the dwellings of the nomad tribes between Iraq and Syria; and Omar ibn Al-Khattab was marching from Al-Madinah towards Homs in north Syria. Abu Ubaydah and Muslim warriors at Homs became reassured and confident of the situation. The nomad tribes as expected decided to return to defend their dwellings against the three armies under the command of Ayyadh ibn Ghanm. Abu Ubaydah made sure that the nomad tribes retreated to defend their dwellings and that he was faced only with the Roman forces confronting him from the west. Abu Ubaydah convened with his army commanders, and decided to attack the Romans before they prepared for the new situation after the retreat of the nomad tribes. The combat between the Muslims at Homs and the Roman forces was very fierce but short, the Muslims defeated the Romans who retreated to the coast to leave the Syrian soil by ships to Alexandria. Muslim triumph over Romans took place before Al-Qaqáa ibn Amre had reached Homs, and also before Omar ibn Al-Khattab had reached Al-Gabiah on the road to

signing the truce of Jerusalem. The Romans in Syria and Palestine had suffered defeat on the hands of Muslim warriors. The Roman expulsion from the territories of Syria and Palestine north of the Arab Peninsula was complete without hope of return. On the other hand, the Persian expulsion from the territories of Iraq between the two rivers was also final. The muslim authority was completely dominant over all the regions east from the Tigress river to the Mediterranian coast west. The clans and tribes resident in the middle between Iraq and Syria were nomads moving freely through the regions between the mainland of Iraq and Syria. These tribes remained more or less under no authority, and they realized that the joint impact of Muslim domination in both Iraq and Syria, would eventually bring them under Muslim administration. They decided to oppose that by supporting the Romans against the Muslims. They made contact with Emperor Heraclius of their willingness to support him, if he were to send seaborne troops to attack the Muslims and retrieve lost territories north of Syria. Heraclius considered that it might be a surge of fortune, to defeat the Muslims, regain Syria and Palestine, and declare Jerusalem once again a Christian city. These Christian nomad tribes wrote again to Heraclius, they were adherent Christians, resistant to Muslim domination of these lands, ready to struggle for their purpose. Heraclius evaluated his military strength; his fleet was intact, the harbours of the eastern Byzantine Empire, except those on the Syrian coast, were strong and fortified. The whole campaign could be successful if the nomad Christian arabs were to attack the Muslims from the desert, and the Roman troops were to attack from the Sea. Emperor Heraclius approved the alliance and wrote to the tribes informing them that the Roman fleets from Alexandria and Constantinople were on their way to the Syrian coast carrying men and weapons.

The masses of the nomad tribes gathered to march towards Homs; and the Roman ships sailed from Alexandria to Antaqiah carrying Roman legions and war machine. The news of this assembly and association reached Abu Ubaydah ibn Al-Garrah. He convened with his army commanders and decided to assemble all Muslim warriors at Homs; he also wrote the details of the situation to Omar ibn Al-Khattab. The sequence of events followed very rapidly, Abu Ubaydah ibn Al-Garrah found himself surrounded by the throngs of normad tribes, coming from the east; and the seaborne Roman forces coming from Antaqiah. The whole territory of north Syria was ablaze with insurgence and conflict. The juvenile Muslim state was at stake, and Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah was at the head of the Muslim state. He was the man upon whose shoulders remained the burden of responsibility.

OMAR IBN AL-KHATTAB

"THE INSURGENCE IN NORTH SYRIA"

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

After the Truce of Jerusalem was signed, the Muslim commanders Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, Khalid ibn Al-Walid, Yazied ibn Abi Sufyan, and Amre ibn Al-Aass; each returned to their respective territory of command. The system of administration was totally dictated by Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah according to Islamic doctrine of "Shurah". This system was based on absolute justice, social equality, human respect, individual rights and freedom. Such values were essential doctrines in Islamic system of government, according to the teachings of the Holy Quran and Sunnah. The governor of each territory was appointed by Omar ibn Al - Khattab, to implement closely the values of the new creed of Islam. The administrative link between the inhabitants of Plastine and Syria, and the Muslim warriors newly resident in these territories, was dictated by the terms of truce previously agreed upon and signed by the two parties. The inhabitants of Syria and Palestine were slow and reluctant in adopting Islam. They were mostly Christians who remained adherent to the teachings of the Christian faith, which are essentially in part similar to those of Islam. The social transition from Christianity to Islam without compulsion took place over a long period of time. The situation in Iraq was different, the dominant persian religious practice in Iraq was essentially Zoroastrianism (Incendiarism, or fire worship) which is a form of idolatory. This religious practice was irrational and inconsistent with the Divine doctrines of Islamic Theism. The social transition from Zoroastrianism to Islam was rapid, and the proliferation of Islam in Iraq was much more pronouced than in Syria and Palestine. The Muslims in Iraq were resident in certain newly developed cities of Al-Koufah and Al-Basrah. In Syria and Palestine, the Muslims lived among the inhabitants of the major cities of Damascus, Homs, Jerusalem and others. The system of Administration in Iraq, Syria and Palestine was identical, the doctrines of Islam optimizing all values governing human societies.

Omar ibn Al-Khattab returned to Al-Madinah after arranging and

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART I
MOHARRAM, 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

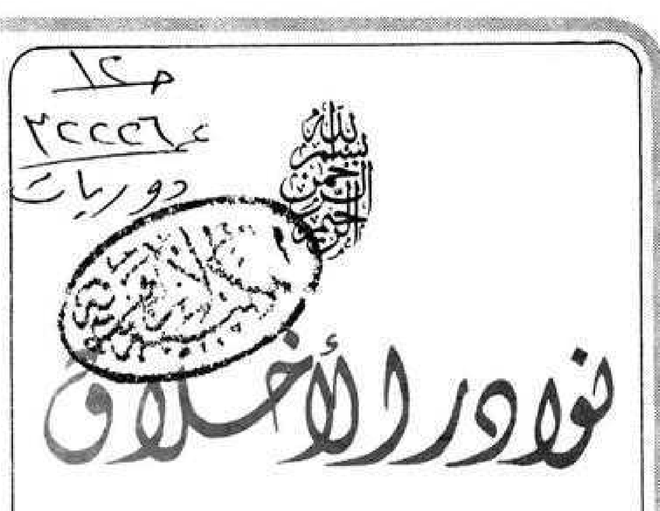
"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints By: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

صفر ١٤١١ هـ
سبتمبر ١٩٩٠ م
الجزء الثانى
السنة الثالثة والستون

نوادر الأخلاق

يقضى الله - عز وجل - أمراً ؛ فإذا إنسان يفوق الناسَ بخلق عظيم فى إنسانيته ، نادر فى امثاله ، ثَرّ فى عطائه . ولهذه الندرة الفريدة تفقده إذا تلمسته - فى الناس - على نسبة مئوية ، او الفية ، او ماشئت من عَدَدٍ ، ذلك انه فى هذا الإنسان وَحْدَهُ ، صار به امة وَحْدَه لما اكتمل له - به - من صفات الخير جميعا .

وكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - نوادرُ هذه الاخلاق .

كان لا ينسى يداً امتدت إليه بـ ، معروف ، فهو - عليه الصلاة والسلام - يحفظه ... ويرعاه ... ويثيب عليه ، سواء اداه إليه مؤمن او كافر .

لم ينس - عليه الصلاة والسلام - ، معروف ، خديجة ، ولا ، جميل ، ابى بكر - رضى الله عنهما ، كما حفظ يد ابى البَخْتَرِى والمُطْعِمِ بنْ عَدِيٍّ على كفرهما .

لم ينس - صلى الله عليه وسلم - انه كان ياتى خديجة - رضى الله عنها - متعبا قد تغير لونه مما كان فيه من شدة فتفزعها هيئته فتتدفق شفقة عليه ورحمة وحنانا به ، وتمسح عن وجهه ، ولا تزال به حتى يَطْعَمَ ويشرب ويضحك .

←

وواسته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكل ماملكت من حب وحنان وقرابة ، فظل يذكر جميلها هذا ، ويردده حياته حتى ضاقت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت : « قد أبدلك الله خيرا منها » !

قال ـ عليه الصلاة والسلام : « ما أبدلنى الله خيرا منها ، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء » مسند أحمد .

وما أرفع ماكان لها من جزاء ، روى البخارى ـ رضى الله عنه ـ قال :

أتى جبرائيل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب .

ونعم البيت .. بيت فى الجنة من لؤلؤ ، لاصَخَبَ فيه لأنها لم ترفع صوتها على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، ولا نَصَبَ لأنها لم تتعبه يوما فى الدهر ـ رضوان الله عليها .

كانت خديجة أوّل من آمن من النساء ، وكان أبو بكر أوّل من آمن من أحرار الرجال .

وكان أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ماكان هارون لموسى عليهم الصلاة والسلام.

جعل ماله كله لله ـ تعالى ـ وجعل نفسه ردءاً لرسول الله ، وأسلم على يديه كبار الصحابة ـ رضى الله عنهم : الزبير بن العوام ،وعثمان بن عفان ،وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف .

كان أبو بكر أحب الرجال إلى قلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحين شكاه عمر إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى أمر ـ قال صلى الله عليه وسلم :

".. إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ... فهل أنتم تاركو لى صاحبى ... !!! فما أوذى بعدها ." صحيح البخارى .

والمعروف محفوظ لدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن من كافر،هذا أبو البَخْتَرِى بن هاشم بن الحارث بن أسد القرشى ـ آلمه وآذاه ما أحدثت قريش من مقاطعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبني عبد المطلب وما قرروه فى تلك الصحيفة الظالمة ، وضرب فى ذلك ـ أبا جهل ، وسعى حثيثا لنقضها ، وعَلِمَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحفظ تلك اليَدَ لهُ ، فلما كانت (وقعة بدر) وهزم الله ـ سبحانه ـ المشركين ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه :

« مَنْ لقى أبا البحترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله »[1] فلقيه المُجَذَّر بن زياد البَلَوِىَ ـ رضى الله عنه ـ فقال له : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهانا عن قتلك .

وظل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشكر لِلْمُطْعِم بن عَدِيٍّ يده فهو الذى أجار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَرْجِعَه من الطائف حين اتخذت قريش من ذهابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليه حجة صبغتها بدعاية طاغية أنه عليه الصلاة والسلام ـ ذهب إلى الطائف ليؤلب حربا عليها فمنعته دخول مكة ، فدخلها فى جوار المطعم هذا ، وبات ليلة عنده فى حراسته وحراسة بنيه ، وكانوا مشركين .

وشاء الله أن يموت المطعم قبل (بدر) بنحو سبعة أشهر مشركا . لكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَدَّ أن يكافئه ، فلما حضر ولدُه (جُبَيْر) فى أمر الأسرى من قريش فى بدر ليطلق سراحهم ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ له : « لو كان أبوك الشيخ حيا فأتانا فيهم لشفعناه فيهم »[2]

صلى الله عليك سيدى يارسول الله ـ على خير مايحب وأحسن مايرضى .

د. على أحمد الخطيب

(١ ـ ٢) ابن كثير ـ السيرة النبوية ٢/٤٦ ، ١٥٤ ، ٤٣٦ مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٨٤ هـ وانظر مجلة الأزهر رمضان ١٤٠٨ هـ ص ١١٣٥

مع الرئيس
محمد حسني مبارك

مؤتمر
القمة العربية الطارئ
ووزراء خارجية الدول الإسلامية

إعداد
عادل خفاجة



مؤتمر القمة العربى الطارئ

● بدات الجهود المحمودة للرئيس محمد حسنى مبارك لاحتواء الأزمة بين العراق والكويت قبيل غزو العراق للكويت .

● بدات عملية الغزو قبيل فجر الخميس الحادى عشر من المحرم ١٤١١ هـ الموافق ٢ اغسطس ١٩٩٠ م .

● صرح بذلك مصدر مسئول فى وزارة الدفاع الكويتية وعقب انه (بدات القوات العسكرية العراقية اختراق الحدود الشمالية واحتلال عدة مواقع داخل الاراضى الكويتية .

● تحرك الغرب سريعا للمحافظة على مصالحه ، وحصل على عدة قرارات من مجلس الأمن تطوق العراق عسكريا واقتصاديا .

● دعا الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمر صحفى عالمى بقصر العروبة حضره رؤساء تحرير الصحف المصرية ومراسلو الصحافة العالمية .

● دعا السيد الرئيس إلى مؤتمر قمة طارىء لملوك ورؤساء الدول العربية لوقف نزيف الدم العربى .

● استجاب للنداء فور إعلانه ملوك ورؤساء سبع عشرة دولة عربية .

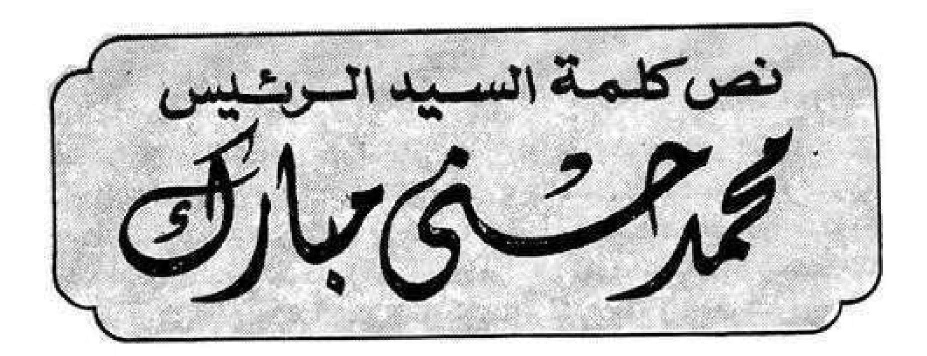
● استعدت القاهرة لعقد المؤتمر بقاعة المؤتمرات الدولية بمدينة نصر .

● حضر المؤتمر رؤساء وملوك وأمراء :

الأردن ـ الإمارات العربية المتحدة ـ البحرين ـ الجزائر ـ جيبوتى ـ السعودية ـ السودان ـ سوريا ـ الصومال ـ العراق ـ عمان ـ فلسطين ـ قطر ـ الكويت ـ لبنان ـ ليبيا ـ مصر ـ المغرب ـ موريتانيا ـ اليمن .

● اتخذ المؤتمر قراراً بأغلبية الأصوات بالاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج بنقل قوات عربية لمساندة القوات المسلحة فيها دفاعا عن اراضيها وسلامتها الإقليمية ضد اى عدوان خارجى ، وكلفت القمة العربية الطارئة الأمين العام للجامعة العربية بمتابعة تنفيذ القرار ورفع تقرير منه لمجلس الجامعة لاتخاذ ما يراه فى هذا الشأن .

● رفضت القرار كل من : العراق ـ فلسطين ـ ليبيا . وتحفظت عليه : الأردن ـ السودان ـ موريتانيا وامتنعت عن التصويت : الجزائر واليمن . وإلى القارىء نص خطاب الرئيس حسنى مبارك فى مؤتمر القمة الطارىء .



بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح مؤتمر القمة غير العادى الذى يعقد للنظر فى التطورات الخطيرة التى يشهدها العالم العربى بغرض تطويق الأزمة الحالية التى تهدد امن وسلامة المنطقة ومحاولة إيجاد حل لها يستند إلى الشرعية الدولية وإلى مبادىء وميثاق جامعة الدول العربية .

واستاذنكم فى إلقاء كلمتى فى بداية هذا المؤتمر .

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الاقطار العربية الشقيقة .. اسمحوا لى ان ارحب بكم ايها الإخوة فى بلدكم الثانى مصر .. وان اعبر لكم عن خالص الامتنان والتقدير لاستجابتكم الجماعية والتلقائية لدعوتنا لعقد هذا المؤتمر الطارىء بالقاهرة لبحث قضية هامة عاجلة تشغل اذهان شعوبنا فى الوطن العربى على امتداده ، وتسبب كثيراً من القلق لمعظم شعوب العالم التى تتطلع إلى الامة العربية فى هذه اللحظات الحرجة فى محاولة للتعرف على حقيقة ما يدور على اراضيها . والتساؤل عما ستفعله للخروج من المازق الذى وُضعت فيه بعد الأحداث الأخيرة .

إن خطبا جللا قد وقع على ارضنا فى الايام الماضية ، وقد حدث على نحو مفاجىء وبصورة لم تشهدها امتنا العربية فى تاريخها القديم والحديث ويخالف توقعات الجماهير العربية فى المشرق والمغرب !! فكان طبيعياً ان تكون له انعكاساته واصداؤه المدوية فى كل بقاع العالم وان تكون له مخاطره الجسيمة بالنسبة لنا جميعاً ، ومن ثم فإن المسئولية تنعقد علينا فردياً وجماعياً للتصدى لهذه المخاطر .

واود ان اقر فى بداية كلمتى ان هذا المؤتمر لم يقصد به ، ولن يكون ساحة لإحراج القطر العراقى الشقيق وتوجيه الاتهامات له بصورة او باخرى او النيل من دوره واعتباره .

فنحن جميعاً نعتز بالعراق وشعبه ونعتز بدوره كرافد من روافد القدرة العربية عبر تاريخ امتنا الطويل .

حريصون على العراق

إننا جميعاً حريصون على العراق بكل ما يمثله : الشعب .. الحضارة .. القدرة .. الدور . وليس منا من يقبل التفريط فى اى عنصر من هذه العناصر الأساسية فى البنيان العربى ،

←

نص كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك

ويعلم الله ان هذا الحرص على العراق ومنجزاته وسيادته كان هو السبب الذى دفعنا جميعاً إلى التسابق من اجل احتواء الازمة التى ثارت بسبب خلافات بين دولة العراق ودولة الكويت الشقيقتين والتى تحتل فى قلوبنا جميعاً مكانة لا تختلف عن مكانة الآخر .

ولذا فنحن لا ننحاز لطرف على حساب الآخر ؛ لان مفهوم الامة لدينا يستلزم اننا نسلم اولاً وقبل كل شيء بان جميع الاقطار العربية تحتل نفس الموقع فى الإطار العربي العام وانها تشكل حلقات متكافئة فى منظومة الاسرة العربية بصرف النظر عما تملكه من عناصر القوة البشرية او المادية او العسكرية ؛ لان القوة هى قوة طرف العرب جميعاً وليست قوة او اخر او قوة دولة على حساب دولة اخرى .

وبغير هذا لا ينبغي لنا ان نستخدم تعبير الامة العربية .

ايها الإخوة الاعزاء

لسنا بحاجة للخوض فى تفاصيل الاحداث التى وقعت فى الشهر الماضى والايام التى انقضت من هذا الشهر فتلك وقائع نعرفها جميعاً وندرك ابعادها ونتائجها .

كما اننا نعلم علم اليقين انها اصبحت تستاثر باهتمام العالم : شرقه وغربه وشماله وجنوبه ، وتفتح الباب لمضاعفات خطيرة لن تتوقف عند حدود بلد عربى معين او تفرق بين نظام وآخر بل إنها سوف تجرف الجميع وتعصف بامنهم واستقرارهم فى الحاضر والمستقبل ، وتحول المنجزات التى حققوها إلى هباء تذروه الرياح وتذهب سدى .

الخروج من المأزق

ويكفى فى هذه العجالة ان اشير إلى نقاط معينة اراها ضرورية وحيوية للخروج من هذا المازق .

اولاً : ان الخيار امامنا واضح بين عمل عربى يصون المصالح العليا للأمة العربية ، ويحفظ لنا العراق والكويت معاً على اساس المبادىء التى ارتضيناها فيصلاً بين المباح والمحرم ، وبين الحق والباطل ، وإما تدخل خارجى لا قول لنا فيه ولا سيطرة لنا عليه ، ولا يمكن ان يكون المحرك إليه هو الحفاظ على كيان العرب وحقوقهم بل إنه سوف يسترشد بالضرورة باهداف القوى التى تضطلع به وتسانده .

وبعبارة اخرى فليس من البدائل المطروحة او المقبولة ان يبقى الوضع على ما هو عليه ؛ لانه وضع مختل متفجر يتفاقم كل يوم من سيء إلى اسوا ويحمل بين ثناياه مخاطر جمة لنا جميعاً .

ثانياً : ان المظلة العربية للخروج من هذا المازق تمثل الخيار المامون والمضمون الذى التزمنا جميعاً بقبوله يوم وقعنا ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والبديل الذى كرسناه فى العرف العربى والممارسة المتصلة قرابة نصف قرن . وكانت فترة مشحونة مليئة بالمنازعات التى افرزتها عوامل متشابكة منها : انتهاء الحرب العالمية الثانية

وحصول الاقطار العربية على استقلالها والاختلاف في الرؤية في كثير من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ثالثاً : إنه إذا كان هدف الوحدة العربية هدفاً عزيزاً غالياً علينا جميعاً فإنه لابد ان نضع له إطاره السليم وآلياته ووسائل تحقيقه بالتدريج الذى ياخذ الامر الواقع بعين الاعتبار والالتزام بتوفير عنصر التاخي لدى كافة الأطراف .. فلم يعد من الجائز ان تتحقق الوحدة بقوة السلاح ، كما كان يحدث في الأزمان الغابرة .. كما انه ليس من الجائز ان تفرض على شعب بعينه لاعتبارات تاريخية او جغرافية او اقتصادية معينة او تحت ضغط او إكراه .

القوة مبدأ مرفوض

رابعاً : إن مبدا اللجوء إلى القوة داخل الاسرة العربية هو مبدا مرفوض بالنظر إلى الخطوة التي يمثلها للنظام العربي كله : فهو ينهى تماماً مفهوم التضامن العربي ، ويضرب في مقتل فكرة وحدة المصلحة والمصير ، ويدفع العربي مرغماً إلى التفكير في اخيه العربي على اساس انه قد يشكل خطراً عليه وعلى امنه ومصالحه . وتلك هواجس كفيلة بنسف الأساس الذى يقوم عليه كيان الأمة الواحدة . ويتصل بهذا المبدا قضية اخرى لا تقل عنه اهمية وهي ضرورة الالتزام بعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية : لان هذا التدخل كان من الأساليب التي تلجا إليها القوى الكبرى عند تعاملها مع الدول الصغرى لتعصف بسيادتها وتهيمن على شئونها .

ولهذا فقد عنى ميثاق الأمم المتحدة الذى وضع في اعقاب الحرب العالمية الثانية بإبراز اهمية هذا الالتزام .

ويحضرنا في هذا المقام ان الأخ الرئيس صدام حسين قد عنى عناية خاصة بهدف تحريم استخدام القوة بين الاقطار العربية فنراه يحرص على إصدار إعلان قومي في الثامن من فبراير عام ١٩٨٠ نص في مادته الثانية على مايلي بالحرف الواحد :

(تحريم اللجوء إلى القوات المسلحة من قبل اية دولة عربية ضد اى دولة عربية أخرى وفض اى منازعات يمكن ان تنشا بين الدول العربية بالوسائل السلمية وفي ظل مبادىء العمل القومي المشترك والمصلحة العربية العليا) .

وقد تكرر هذا الالتزام على لسان الأخ الرئيس في مناسبات عديدة بصورة تثبت انه يشكل حجر الزاوية في فكر القيادة العربية ومنهجها .

خامساً : ان مبدا الاستيلاء على الارض بالقوة يشكل تهديداً جسيماً للأمة العربية بالفعل وإضراراً بقضاياها الأساسية وإضعافاً للحجج التي تسوقها في المحافل الدولية وهي تسعى لحماية حقوقها ومصالحها .. لسنا في حاجة إلى تحديد هذه الأضرار فهي معروفة لنا جميعاً وبكل تفاصيلها .

سادساً : إن مفهوم الأمن القومي العربي هو موضوع في غاية الاهمية : لان الأمن هو اساس الوجود ، وهو الشرط الاساسي الذى لا غنى عنه للبقاء والتطور والتقدم ، والعنصر الذى يجعل الإنسان قادراً على الإنجاز والإبداع .

وقد بذلت محاولات عديدة للتوصل إلى رؤية مشتركة للأمن القومى العربى نتفق عليها ونتبناها ونلتزم بها .

لقد تطرقنا إلى هذا الموضوع فى كثير من مداولاتنا فى مؤتمر قمة الرباط فى العام الماضى ، وفى مؤتمر قمة بغداد الأخير .

ومازال هناك الكثير الذى يمكن إضافته حتى تتبلور تلك الرؤية المتكاملة مستوحاة من المواثيق التى وقعناها ومن إيماننا بالعلاقة المصيرية التى تربطنا ، وتعريضنا للاخطار التى تواجهنا .

وعندما نتوصل إلى صياغة هذا المفهوم الموحد للأمن العربى فإنه يكون طبيعياً عندئذ ان نتفق على اقتسام المسئولية والتبعات كل فى حدود قدرته وطاقته طالما اننا سوف نقتسم المكاسب الناتجة عن إقامة نظام منيع للأمن القومى العربى يحمى مصالحنا ويذود عن ديارنا ومقدساتنا .

أمن الأقطار العربية

سابعاً : اننا يجب ان نولى اهتماماً خاصاً بامن جميع الاقطار العربية فى الخليج وتعزيز شعور ابنائها بالأمان والاستقرار . فمن المقطوع به ان الأحداث الأخيرة قد عصفت بإحساسهم بالأمن والطمانينة وبدلت رؤيتهم للأخطار المحدقة بهم ومصادرها ولطبيعة العلاقات بين الاقطار الخليجية والبلدان المجاورة .

واحب ان يطمئن اشقاؤنا فى كل دول الخليج إلى اننا ملتزمون بالوقوف معهم بحزم وصرامة فى سعيهم المشروع لتعزيز امنهم واستقرارهم والذود عن حقوقهم ومصالحهم ، عسى ان يكونوا على اقتناع تام بان مظلة الحماية العربية هى الاقدر والأفضل لنا جميعاً وانه ليس هناك فى الحقيقة والواقع بديل عنها او منافس لها .

ثامناً : إننا لا نستطيع ان نفكر ونتحرك بمعزل عما يدور حولنا فى عالم اليوم او نتحدث بلغة لا تتفق مع مفاهيم العصر الذى يشهد تغييرات جذرية عميقة من ساعة إلى اخرى ؛ لأن الحركة السياسية فى اى من المناطق الإقليمية لا يمكن ان تنفصل عن الحركة العالمية الأشمل .

ولذلك فإن علينا ان نهتدى عند تحديد المباح والمحرم برؤية المجتمع الدولى والقيم التى يرفعها وفى مقدمتها نبذ استخدام القوة ورفض العدوان واحترام حقوق الإنسان والإلزام بالشرعية .

تاسعاً : إن العالم باسره يتجه إلينا باقطاره بين صديق يتمنى ان نتغلب على احزاننا ونقضى على الفتنة قبل ان تستفحل ويستشرى خطرها .. وحاسد يتشفى فى ابناء الأسرة الواحدة الذين انقلبوا على انفسهم وتورطوا فى قتال لا يمكن ان يسفر عن غالب ومغلوب او منتصر ومهزوم .. فكلنا خاسرون فى مصالحنا وامننا وهيبتنا لدى سائر الامم والشعوب .

الانسحاب العراقي

عاشراً : إن الطريق معبد للتوصل إلى اتفاق حول النقاط الرئيسية التى تؤدى إلى الخروج من هذا المازق .

فإذا خلصت النوايا وصحت العزائم فإن لدينا من الصيغ مايتيح لنا ان نضع حداً لهذه الأزمة خلال ايام معدودة . ولنا فى القرار الذى اصدره مجلس الجامعة العربية فى الثالث من هذا الشهر بداية نستطيع ان نبنى عليها ونضيف إليها .

المهم فى كل هذا ان يكون واضحاً انه لا حل للأزمة ولا خروج من المازق إلا بانسحاب القوات العراقية من ارض الكويت وترك شئون الكويت الداخلية لشعبه دون معقب عليها او رقيب .. واحترام الوضع الشرعى للحكومة كما كان قائماً قبل وقوع الغزو العراقى وكما هو معترف به من العالم اجمع .. وإلغاء كافة القرارات والإجراءات التى صدرت على خلاف ذلك .

أيها الإخوة الأعزاء

لقد دقت نواقيس الخطر فى مرحلة من ادق مراحل النضال العربى ... وتعاظمت التهديدات والتحديات التى تواجهنا ونحن نرنو بابصارنا إلى فجر جديد يسوده السلام والاستقرار والتقدم . هل تعجز امتنا صاحبة التراث الحضارى الهائل والرصيد الروحى الحافل عن استيعاب حقيقة التحديات والتهديدات التى تصادف طريقها .

وهل تنصرف شعوبنا إلى خلافات مصطنعة وعداوات مفتعلة لا جذور لها فى تاريخنا وتراثنا وتبتعد عن الاهداف القومية الكبرى التى ترسخ وجودها وتعمق كيانها وتصون مصالحها .. كلا .. لن يكون هذا .. لن يكون عربى القرن الحادى والعشرين هو العاجز والتائه فى ظلمات الجهل والشلل ، ولن تكون الأمة العربية هى الرجل المريض فى هذا العصر .

ولن تضيع سدى ارواح الشهداء الذين سقطوا فداء اوطانهم وامتهم فى كل شبر من الأرض العربية الطيبة ولن نضل طريقنا او نخطىء رؤية اهدافنا .

اهدافنا مزيد من القوة .. مزيد من العزة لكل شعب عربى .. وسيلتنا مزيد من التضامن العربى الشامل الذى يظلل جميع افراد الأسرة الكبيرة ايما كانوا وتحت اى ظروف وجدوا .. إيماننا جازم بان كل ما يصيب شعباً عربياً من ضرر هو ضرر علينا جميعاً وبنفس القدر .

مسيرتنا يرعاها الله وتصونها المبادىء وتحفظها القيم الرفيعة من الزلل والخطا . قلوبنا طاهرة مطهرة وسرائرنا نقية تدفعنا إلى توحيد صفوفنا وجمع كلمتنا على طريق الحق والخير فلننهض إلى العمل فى هذه اللحظات العصيبة مزودين بدعاء شعوبنا بان يلهمنا الله الرؤية ويمنحنا القوة لتحقيق ما يتطلع إليه كل عربى اينما كان موقعه وموطنه . والله يوفقنا ويهدى خطانا ويرعى عملنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مؤتمر وزراء خارجية

الدول الإسلامية

التاسع عشر

● فى السابع من المحرم عام ١٤١١ هـ الموافق التاسع والعشرين من يوليو ١٩٩٠ م عقدت لجنة كبار المسئولين عن المؤتمر اجتماعا برياسة السفير عمرو موسى لمناقشة الترتيبات النهائية لعقد المؤتمر مع رؤساء اللجان الأربع للمؤتمر وممثلى الأمانة العامة .

● وفى نفس اليوم أنهت أمانة المؤتمر إعداد مشروع جدول أعمال المؤتمر الذى يعرض على الوزراء فى جلسة عملهم الأولى .

● أدى أعضاء المؤتمر صلاة الجمعة بالأزهر الشريف يتقدمهم فضيلة الإمام الأكبر .

● حضر المؤتمر ممثلو خمس وأربعين دولة .

● انعقد المؤتمر بقاعة المؤتمرات الكبرى بالقاهرة لمدة خمسة أيام من اليوم العاشر إلى الرابع عشر من المحرم ١٤١١ هـ الموافقة لواحد ـ خمسة من أغسطس ١٩٩٠ م .

● تضمن جدول الأعمال العديد من القضايا السياسية الهامة التى تشغل الوطن الاسلامى .

● درس المؤتمر قضايا فلسطين على اختلافها ، وأكد على أهمية التضامن الإسلامى مع شعوب السهل الأفريقى والأقليات الإسلامية ، ودعم العلاقات بين الدول الإسلامية ، والتركيز على التقارب بينها .

● طرح العديد من المسائل السياسية والاقتصادية والثقافية وأولى اهتماما بتجميع الرأى العام الإسلامى حول القضايا الإسلامية وحقوق الشعوب .

● اهتم المؤتمر بالدعوة لمقاومة الإرهاب دوليا .

● فوجىء المؤتمر بأحداث (العراق ـ الكويت) وتناول الأمر بالدراسة ، وأعلن فى قراراته :

إدانة العدوان العراقى على الكويت ، وضرورة انسحاب القوات العراقية فورا ، وإنهاء الآثار المترتبة عليه ، وعودة الشرعية إليه ممثلة فى الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت وأعضاء حكومته .

● نادى المؤتمر بضرورة التسوية لمشكلة جامد وكشمير طبقا لقرارات الأمم المتحدة وطالب ببدء الحوار بين الهند وباكستان للتوصل إلى اتفاقية فى هذا الشأن ، كما أشاد بالنضال البطولى لشعب أفغانستان وطالب باستمرار دعمه فى سعيه لبقاء أفغانستان دولة إسلامية مستقلة .

● أكد الدكتور عصمت عبد المجيد وزير خارجية مصر فى الجلسة الختامية للمؤتمر ـ الحرص على تعميق التضامن الإسلامى وقال : إن المؤتمر عقد بنجاح بالقاهرة مقر الأزهر الشريف وعاصمة الألف مئذنة ومنارة الإسلام على مر العصور .

● تم افتتاح المؤتمر بكلمة السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية فى التاسع من المحرم ١٤١١هـ الموافق الحادى والثلاثين من شهر يوليو ١٩٩٠ م .

وإلى القارىء نص كلمة الافتتاح :

كلمة الرئيس

محمد حسني مبارك

في حفل افتتاح مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ..

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

الإخوة وزراء خارجية الدول الإسلامية الشقيقة .. السيدات والسادة .. يسعدنى أن أوجه إليكم خالص التهنئة القلبية بانعقاد مؤتمركم هذا فى مدينة الأزهر الشريف درة الثقافة الإسلامية وعاصمة الألف مئذنة والتى يعتز أهلها بالانتماء معكم إلى الأسرة الإسلامية الواحدة وإعلاء قيم الإسلام الرفيعة ومبادئه السامية .. والتزام بروحه الغراء التى تقوم على السماحة والمساواة وترفض التعصب والتفرقة وتعمق مفهوم عالمية الرسالة .. وتؤاخى بين الناس فى كل مكان .

وأود أن أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن تقديرنا للجهد الكبير الذى بذله سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت أثناء رئاسته للمنظمة وحرصه على تعميق روح الإخوة الإسلامية بين جميع الأقطار الإسلامية الشقيقة ومتابعته لكافة التطورات التى تؤثر على مسيرتنا الواحدة .

نتاج عشرين عاما من عمر المنظمة :

إن مؤتمركم هذا ينعقد بعد انقضاء ٢٠ عاما على قيام منظمة المؤتمر الإسلامى وهى فترة شهد فيها المجتمع الإنسانى تطورات مثيرة وتغيرات جذرية عميقة لابد أن تجذب اهتمامنا فنتعهدها بالدراسة الموضوعية والتحليل العلمى ، وذلك بقصد التعرف بدقة على طبيعتها ومداها واستخلاص آثارها ونتائجها فى الحاضر والمستقبل وزيادة قدرتنا على التأثير فيها وتوجيهها إلى المسار الذى يحمى مصالحنا ويخدم قضايانا .

←

● عقد المؤتمر بالقاهرة فى الفترة من ١ إلى ٥ أغسطس ١٩٩٠

واجبنا تجاه المستقبل

إن العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى يتواكب مع العقد الثانى من القرن الهجرى الخامس عشر .. وهو ينبىء بحدوث مزيد من التطورات والتحولات الأساسية الكبرى التى تؤثر على رؤيتنا جميعا للمستقبل .. وعلى تحديدنا للدور الذى نقوم به معا فى سبيل تحقيق أهدافنا المشتركة فى وقت تتعاظم فيه الأخطار والتحديات بقدر ما تتزايد فيه الفرص والإمكانات .

وهذا يدفع الإنسان إلى آفاق غير مسبوقة للطموح والحياة فى نفس اللحظات التى يعانى فيها من الخوف والإحباط والقلق . ولسنا نشك فى أن الأسلوب الذى يحقق مصالحنا فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية يقوم على مشاركتنا فرديا وجماعيا فى توجيه هذه التحولات الأساسية فى النظام الدولى فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية .. بحيث نكون فاعلين لا مشاهدين .. قادرين على وضع بصماتنا الواضحة على صورة العالم فى المرحلة القادمة .. ورسم مسار محدد لحركتنا فى مواجهة الأخطار المتزايدة والتحديات المتجددة .

التضامن ليس مجرد شعار نطرحه

إن نظرة فاحصة على الأوضاع القائمة فى العالم الإسلامى مع مقارنتها بما يدور فى المناطق السياسية والحضارية الأخرى تدعونا إلى الانطلاق فى تفكيرنا وحركتنا من حقيقة أساسية لا سبيل إلى التقليل من أهميتها وهى أن التضامن الإسلامى يجب أن يكون حجر الزاوية فى كل عمل نقوم به أو مسئولية نتصدى إليها ، لأن التحديات التى نواجهها أصبحت تتجاوز قدراتنا الفردية مهما تعاظمت وتستعصى على الجهود المتفرقة والمحاولات غير المنسقة وإن تعددت وتضاعفت .. ولم يعد التضامن الإسلامى فى هذا العصر رفاهية نسعى إلى إضافتها لعناصر القوة التى نملكها ونحوزها بل إنه ضرورة لا غنى عنها وحتمية لا مراء فيها .. كما أنه ليس مجرد شعار نطرحه أو لفظ نتغنى به ـ بل إنه مفهوم محدد متكامل ـ يمتد بجذوره إلى مفهوم الأمة الإسلامية الذى أرسى قواعده رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وبالممارسات التى استنها والنهج الذى سار عليه وأسهم علماؤنا ومفكرونا وقادتنا الأقدمون والمعاصرون فى بلورته وتطويره وتحديد ملامحه .. ويكون التضامن داخل أسرتنا الكبيرة على التسليم بوحدة المصلحة والمصير بين كافة الشعوب الإسلامية التى تنتمى جميعا ودون استثناء لدائرة العالم الثالث وهى دائرة تتميز بخصائص معينة فى مقدمتها المرحلة التنموية التى تمر بها الأقطار الداخلة فى مدارها والصعوبة التى تواجهها وهى تسعى لتحقيق كفايتها من الغذاء وتطوير نظم الإنتاج والإدارة فيها .. واستيعاب الأساليب التكنولوجية الحديثة فيها ومواجهة التوقعات المتزايدة للأجيال الجديدة من أبنائها .

وأول ما يفرضه علينا هذا المفهوم للتضامن فيما بيننا هو أن نتوصل إلى تحديد تتوافق عليه آراؤنا للأهداف القومية لشعوب أمتنا فى الحاضر والمستقبل وفى المدى القريب والبعيد على السواء .. وإلى تعريف ترتضيه للأخطار والتحديات التى تصادف فى القرن الهجرى الخامس عشر وهو ما يوصلنا إلى صياغة رؤية مشتركة لغاياتنا وأولوياتنا التى نسعى إلى تحقيقها وتعزيزها بالعمل الجماعى المتجدد .

ويتفرع عن مبدأ التضامن الإسلامى التزام أساسى جوهرى لابد أن نعطيه حقه من الاهتمام ونجسده فى تعاملنا اليومى مع بعضنا البعض ـ وهو الالتزام بتسوية الخلافات التى تنشب بين الدول الأعضاء فى المنظمة بالطرق الودية التى تتفق مع المصالح المشتركة والأهداف الواحدة والالتقاء حول المفهوم الإسلامى الأسمى الذى يجعل المؤمنين إخوة فى السراء والضراء لا يقوم بينهم تناقض حقيقى أو تتسم العلاقة بينهم بالعداء والبغضاء .

افتراءات ظالمة على الإسلام

من هذا المنظور أيها الإخوة والأخوات .. فإننا نؤمن بأن منظمة المؤتمر الإسلامى مؤهلة للقيام بدور أكبر فى تسوية المنازعات التى تنشأ بين الدول الأعضاء بالوسائل السلمية الودية وبعيداً عن أساليب الصراع والعداء التى تتناقض تماما مع مبدأ الانتماء لأسرة واحدة والولاء لتعاليم سماوية وقيم روحية مشتركة .. ولنكرس هذا المؤتمر لتعميق عوامل التفاعل بين شعوبنا وتحقيق التشابك بين مصالحنا جميعا فى شتى المجالات .. فلا يمكن أن يقوم صرح الأسرة على أساس المصالح المتنافرة والأواصر المقطوعة ولا يتصور أن نتخلف عن أمم أخرى سبقتنا فى مضمار مد جسور التكامل بين مصالحها وتحقيق التداخل الخلاق بين نظم الإنتاج والتوزيع فيها وتيسير انتقال الأفراد والسلع فيما بينها .. فقامت الوحدة بين دول سادها العداء والكراهية ومزقتها الحروب المستمرة والصراعات المريرة .. وليكن كل هذا مقترنا بحركة رشيدة لإحياء الثقافة الإسلامية ونحن فى أمس الحاجة إليها فى وقت يشهد هجمات وافتراءات ظالمة على الإسلام من الخارج وتيارات باغية مضللة من الداخل تتفق فى تشويه صورة الإسلام وتفسيره حسب الهوى والغرض بما يتنافى مع جوهره كما نزل على الرسول الأمين ﷺ وكما أراد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون .. دين عقل وعلم ومنطق .. دين تسامح وإخاء وعقيدة عالمية تؤاخى بين الناس جميعا بصرف النظر عن العرق واللون والدين وتساوى بين البشر فى الحقوق والواجبات وتعلى حقوق الإنسان الذى اصطفاه الله خليفة له فى الأرض وفضله على سائر المخلوقات .

الأصالة والمعاصرة

إن هذا البعث الثقافى الذى يشير إليه هو عنصر لازم لتحقيق النهضة فى العالم الإسلامى لأن النهضة لا تتحقق إلا بسلامة المفاهيم الأساسية والتى تسود فى هذا المجتمع الإسلامى أو ذاك وتصفيتها من الشوائب التى علقت بها بسبب الجهالة وعدم القدرة على استيعاب كنوز الفكر الإسلامى الذى ملأ طباق الأرض نورا ورحمة وفتح آفاقا جديدة أمام العقل الإنسانى .. كما أن هذه النهضة لا تكتمل إلا إذا حسم المجتمع هذا الصراع المفتعل بين الأصالة والمعاصرة وبين القديم والحديث باعتبار أن كلا منهما يشكل جزءا لا يتجزأ من حركة التاريخ وهى حركة تسير إلى الأمام على الدوام وتقوم على فتح المجال أمام التجديد والإبداع المستمر وترفض الجمود والانغلاق والشلل .. إن المرحلة التى نمر بها فى هذا العقد الحافل بالأحداث والتطورات والتحديات المتزايدة التى نواجهها تجعل من الواجب علينا أن نجعل حركتنا

←

قادرة على أن تفرض نفسها فى قلب الأحداث فلا تعيش على هامش التغيير ولا تتقوقع بمعزل عن التاريخ .. بل تخرج إلى العالم بأقدام ثابتة وعقول واثقة مستعدة لأن تتفاعل مع غيرها بالأخذ والعطاء وأن تقيم علاقاتها مع القوى الدولية الأخرى من منطلق التعاون والمودة ونحن لا ننظر إلى العالم الخارجي باعتباره عالما معاديا ، كما أننا لا نسعى إلى إيجاد التوتر والتناقض فى علاقاتنا بالآخرين ، بل إن سبيلنا هو إقامة العلاقات القائمة على حسن الجوار بالآخرين ، بل إن سبيلنا هو إقامة العلاقات القائمة على حسن الجوار والتعاون مع سائر الأمم والشعوب وإلى القضاء على ما بيننا وبينها من خلافات بالطرق السلمية بعيدا عن منطق الحرب والتهديد .. وعلى هذا الأساس فإننا نعمل بكل ما أوتينا من قوة لتسوية المشاكل والخلافات القائمة مع الدول الأخرى سلميا ولا نضع لهذا شرطا سوى احترام الحقوق والالتزام بالواجبات والاحتكام إلى قواعد العدالة والشرعية لأن التسوية غير العادلة لن يكتب لها البقاء والاستمرار بل سرعان ما تعصف بها الأحداث .

التكامل بين أفراد الأسرة الإسلامية

أيها الإخوة إن القضايا الإسلامية هى قضايا عادلة مشروعة ، فنحن لا نعتدي على أحد ولا نطالب بغيرما هو حق ، ونأبى أن نتدخل فى شئون الآخرين ونسعى إلى إقامة السلام وحقن الدماء والقضاء على العنف والتوتر ونقف بحزم وصرامة ضد العنصرية والتفرقة بين البشر ونحن نطبق هذه المبادىء فى كافة القضايا فى مواجهة جميع الأطراف فى مقدمتها القضية الفلسطينية التى كانت أول قضية التزمت بها منظمة المؤتمر الإسلامى فى اليوم الأول لقيامها وكرست جانبا كبيرا من نشاطها لمناصرتها والمطالبة باحترام الحقوق العربية والإسلامية القانونية والتاريخية بمدينة القدس ورفض أى مساس بهويتها وكيانها .. إننا معشر المسلمين دعاة مصالحة وسلام ونحن قوم نرفض العدوان أيا ما كان مصدره ومبرراته ونحترم حق كافة الشعوب فى العيش فى أمن وسلام دون أى جور أو افتئات على حقوق الآخرين لأن حق الشعوب فى الحياة الحرة الآمنة هو حق متكافىء لا فرق فيه بين شعب وآخر ولا أفضلية لفئة من الشعوب دون أخرى .. إذن فطريقنا هو السلام الذى استنه الله أساسا للعلاقات بين الأفراد والجماعات وهو التكافل بين أفراد الأسرة الإسلامية الكبيرة وهى تواجه اختبارا لابد أن تجتازه بما يتفق مع تراثها ورصيدها الروحى والحضارى الهائل ، وبما يمكنها من عبور جسور التنمية فى عالم أصبح التقدم ينطلق فيه بمعدلات رهيبة لم تعرفها البشرية طوال تاريخها الحافل .. حيا الله أمة الإسلام وأعز ديارها وألف بين قلوب المسلمين ووحد صفوفهم وسدد خطاهم فلننطلق نحو آفاق المستقبل متلاحمين متضامنين فى مسيرتنا على طريق السلام والتقدم والرخاء .. وليكن لنا فى كلمات الله عز وجل وسنة رسوله العظة والأسوة الطيبة .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ..

وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مع الإمام الأكبر

نداء من الأزهر الشريف

رأي الأهرام

لقاء الإمام الأكبر بوفد الأساتذة والباحثين الأجانب

الحمل عن طريق صوفة الرجال السين

نداء من الأزهر الشريف

استمعت الشعوب العربية والإسلامية وقادتها إلى البيان الصريح الذى اعلنه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ظهر الاربعاء (امس) عن الكارثة المحيقة التى تتعرض لها الأمة العربية كافة بسبب تدخل العراق وعدوانه على دولة الكويت ، واحتلال ارضه وانتهاك حرماته .

وإجماع العالم على استنكار هذا العدوان وما اتخذته كافة المنظمات الدولية ـ منظمة المؤتمر الإسلامي ، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ومجلس جامعة الدول العربية ومجلس الأمن .

ولقد حذر السيد الرئيس من استمرار هذا العدوان الذى احرج الأمة العربية كافة واظهرها بأنها لا حول لها ولا قوة ولا هيبة ولا قدرة على مواجهة مشاكلها الخاصة .

وابرز ما يجرى على الساحة الدولية من تحركات عسكرية دولية من كافة الدول ذات المصالح الاقتصادية في المنطقة ، وانه إذا لم يحسم العرب هذه الأزمة فوراً ، تعرضت الأمة العربية لمواجهة عسكرية واقتصادية مؤثرة في حاضرها ومستقبلها .

وإن الأزهر الشريف ليعبر عن أعمق القلق إزاء هذا التوتر الحاد في منطقة الخليج العربى ، وما يمكن أن يجلبه ما أقدم عليه العراق من اخطار عظيمة مؤثرة على الأمة العربية والإسلامية بكافة شعوبها ومواقعها ، ويحذر من الخطر الماثل من إفساح المجال للتدخلات الأجنبية ، وخلق ظروف تؤثر على مصائر شعوبها لأجيال طويلة .

إن الأزهر الشريف ليناشد في الرئيس صدام حسين والقادة في العراق صدق الانتماء إلى الأمة العربية ، والإسلامية وان يتعاونوا مع الدعوة المخلصة التى وجهها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لانعقاد مؤتمر القمة والاستجابة للوساطة العربية والإسلامية لإنهاء النزاع مع الكويت بالطرق السلمية وإيجاد المناخ المناسب لتحقيق المصالح المشروعة .

إن الأزهر الشريف يذكر الرئيس صدام حسين بما سبق وأعلنه من أن الجيش العراقى مجهز للدفاع عن اي شعب او أرض عربية تتعرض للعدوان وهذا عهد ووعد ، والمأمول ان تذكروا هذا وتغلقوا ابواب التدخل الخارجي وتثبتوا حرصكم على كرامة الأمة ، وعلى حقوق الأخوة العربية والإسلامية وحقوق الجوار التى تعلو على كل أرض ومال .

إن الله سبحانه أوصانا في كتابه الكريم فقال :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

وقال :

---

(١) سورة الأنعام ١٥٢ .

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ .. ﴾(٢) .

إن الأزهر الشريف لينبه إلى هذه الغيوم التى تتجمع في سماء العرب والتى تنذر بخطر عظيم ، ويأمل أن يتعاون القادة العرب في اجتماع قمتهم المرتقب في القاهرة على البر والتقوى ، وأن يواجهوا الموقف بالشجاعة والنخوة العربية ، وليذكروا أن الله علمنا في قوله تعالى :
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾(٣) :

أن نقول الحق ، ونقيمه ، ونذكر في هذا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يارسول الله أنصره إذا كان مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره .. » .

القادة العرب أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والملوك والرؤساء والأمراء ..

اجمعوا أمركم واثبتوا في مواجهة المحنة وقوموا إلى واجبكم وجنبوا أرضكم وعرضكم وشعوبكم واقتصادكم الامتهان والضياع الذى تتكاثر سحبه وغيومه القاتمة التى ليس لها من دون الله كاشفة ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

لنذكر جميعاً ـ شعوبا وقادة وحكومات ـ أن أى تهاون في إنهاء هذه الأزمة وإحلال السلام بين العرب ، إخلال بالواجب وخيانة للأمانة ..

فاتقوا حساب الله سبحانه فإنه سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، والتاريخ سيسجل لكم أو عليكم مواقفكم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٤) ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٥) .

إن الأزهر الشريف ليدعو شعوب الأمة العربية والإسلامية وقادتها أن ينصروا الحق ويدافعوا عنه ..

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٦) ..

١٨ من المحرم ١٤١١ هـ

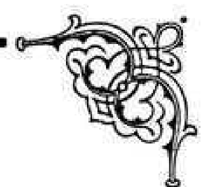
٩ من أغسطس ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٢) سورة النحل ٩١ ، ٩٢ .
(٣) سورة الأنعام ١٥٢ .
(٤) سورة الأنفال ٢٤ ، ٢٥ .
(٥) سورة الأنفال ٢٧ .
(٦) سورة الحج ٤٠ .





الأزهر الشريف

وإدانة الإسلام للعدوان

يجب ان تلتزم الامة العربية بكلمة الحق ونصرة المظلوم بينها ويجب ان تقف امام كافة صور العدوان والاعتداء لأنه بغير ذلك تضيع الامة وتتفرق اشتاتا مبعثرة وتفتح ابوابها على مصاريعها امام كافة قوى التدخل وتتقوض قواها وتعجز عن حماية مقدساتها وحرماتها وكرامة بنيها وشعوبها .

ويأتى نداء الأزهر الشريف قلعة الإسلام الشامخة على ارض مصر معبرا عن جوهر العقيدة الإسلامية ودعوتها الواضحة الصريحة بعدم الاعتداء والعدوان على أخوة الدم والعقيدة بل حرمته بين المسلمين وهى حرمة تضم الدماء والأموال والأعراض ، وتحتم على المسلمين كافة التصدى للعدوان عليها بدفع المعتدى عن عدوانه واعتدائه ، ليس فقط لأنه ظالم لإخوته ولكن بحكم أنه ظالم لنفسه بالتعدى على حدود الله التى حددتها العقيدة الإسلامية بوضوح وجلاء .

ومن منظور إسلامى صريح حدد بيان الأزهر الشريف مسئولية القادة والحكام والشعوب والمؤكد أن أى تهاون فى إنهاء الأزمة وإحلال السلام بين العرب هو إخلال بالواجب وخيانة للأمانة لأن التهاون يعنى تعريض الأرض والعرض والشعوب والاقتصاد فى العالم العربى للامتهان والضياع وهى حقيقة تكشفها الوقائع والنذر القائمة وغيرها التى لا تخفى على أحد .

وأكد بيان الأزهر مسئولية العالم العربى عن إنهاء الأزمة بالطرق السلمية وخلق المناخ المناسب لتحقيق المصالح المشروعة لكافة الأطراف لأن البدائل بالغة الضرر والمخاطر بما تفتحه من أبواب للتدخل الأجنبى وتأثيراتها السلبية على مصائر الشعوب العربية ومصالحها لأجيال طويلة قادمة فى ظل مناخ المواجهة العسكرية والاقتصادية الذى يخيم على ربوع الوطن العربى بغير استثناء وبدون تفرقة .

وقد اكد البيان على جانب بالغ الأهمية الا وهو ضرورة الاحتكام إلى العقل وتأييد البيان الذى أعلنه الرئيس حسنى مبارك كخطوة نحو الحل لمواجهة الكارثة الماحقة التى تتعرض لها الأمة العربية بسبب تدخل العراق وعدوانه على دولة الكويت واحتلال ارضه وانتهاك حرماته .

وفى ظل الإدانة الشاملة والكاملة للغزو والاعتداء من كافة الأطراف العربية والإسلامية من منطلق الحرص على القوة العربية والإسلامية وفى مقدمتها قوة الكويت والعراق لا يبقى إلا سبيل واحد ووحيد لمواجهة الكارثة يتمثل فى قبول العراق وامتثاله لقواعد الدين وشروطه التى يتفق معها ويعززها كافة المواثيق والقرارات الدولية والعربية لأن البديل الآن يتهدد العراق فى أمنه وسلامته .

لقاء الإمام الأكبر

بوفد

الأساتذة والباحثين الأجانب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر وفداً من الأساتذة والباحثين في شئون الحضارة الإسلامية وعلومها من الجامعات الأوروبية والأمريكية برئاسة البروفسور / بيل روف الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية وبصحبة الدكتور علي الدين هلال الأستاذ بجامعة القاهرة وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر يوم السبت ٢٢/١١/١٤١٠ هـ الموافق ١٦/٦/١٩٩٠ م.

وقد بدأ اللقاء بالشكر والترحيب.

واستهل فضيلة الإمام الأكبر قائلاً :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

أرحب بالأستاذ الدكتور علي الدين هلال وضيوفه الكرام بالأزهر الشريف.

الدكتور علي هلال : هذه المجموعة من الأساتذة والباحثين في شئون الحضارة الإسلامية وعلومها تنقسم إلى قسمين : أساتذة وشباب الباحثين وهم جميعاً متخصصون في كافة المجالات ويدرسون المجتمعات الإسلامية في كل مناحي العالم.

فضيلة شيخ الأزهر : إذا كانت دراسة السادة مرتبطة بالاجتماع وحضارة المسلمين في عصورهم المختلفة فإنني أقترح عليهم أن يكونوا على علم وفكر بأن الحضارة الإسلامية مرت بمراحل متعددة تتابعت بتتابع ثقافة العصر فنحن حين ندرس نشأة الإسلام في مكة سنجد أن المسلمين كانوا قلة في وسط جمهرة كبيرة من غير المسلمين الذين كانت لهم عادات وتقاليد جاء الإسلام مغايراً لها وكانت عناية الإسلام في هذا الوقت هي بث عقيدة التوحيد في نفوس أهل مكة ولم يكن معنيا بتغيير سمة الحياة في ذلك الوقت.

ومن هنا فإن حضارة الإسلام في مكة قبل الهجرة هي حضارة العرب في ذلك الوقت أما بعد الهجرة فقد نشأت الدولة في المدينة وكان على الدولة أن تكون لها حضارة مستقلة مرتكزة على عنصرين أساسيين هما كتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وإذا جاز استعمال لغة معاصرة فإننا نقول إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بيده كافة

سلطات الدولة وهو صاحب التشريع والسلطة القضائية والحاكم وهو أيضاً الذى يضع النظم الإدارية للدولة ويبعث الولاة والقضاة خارج المدينة وهو الذى يرعى الأمور الصحية والاجتماعية ويقول في شأن الصحة والمحافظة عليها : « إن الله خلق الداء والدواء فإذا صادف الدواء الداء كان الشفاء بإذن الله » .

وانتهت حياة الرسول بعد أن دخل العرب جميعاً في الإسلام وبعد أن راسل - من حوله - من الملوك ورؤساء الدول مبلغا برسالته ولم يترك وصية بتعيين خليفته ، ونظام الحكم في الإسلام كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾(1) .

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)(2) وهاتان هما القاعدتان الأساسيتان للحكم في الإسلام .

والشورى هى الصورة القريبة من الديمقراطية في عصرنا .

وقد اجتمع المسلمون بعد وفاة الرسول في المدينة - المهاجرون والأنصار - وتشاوروا فيمن يكون خليفة للرسول من بعده وجرى الحوار كل يبدى وجهة نظره شفاهة وعلانية حتى استقر الرأى حين قال عمر بن الخطاب لأبى بكر : « رضيك رسول الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا » .

هذه صورة من صور الاختيار غير صورة أخرى لأبى بكر الذى استشار الناس ولكنه لم يجمعهم في مكان واحد وانتهوا جميعاً إلى أن يكون الخليفة هو عمر بن الخطاب من بعده فأعلن ذلك على الناس في حياته .

أما عمر فقد عين ستة أسماء يكون من بينهم الخليفة وهذا التعيين لهذه الأسماء جاء بعد مشاورة الزعماء والرؤساء في المدينة ثم على هؤلاء الستة أن يختاروا الخليفة من بينهم . وهكذا نرى أنه في خلال نحو عشرين عاماً طبقت الشورى في صور ثلاث لاختيار الخليفة وكلها تدخل تحت عنوان : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

وعلينا أن نلاحظ أن العرب في ذلك الوقت كانت أمة أمية فكانت الشورى دائماً بالمواجهة والمشافهة فإذا تطورت الأمور فليس بعيداً على المسلمين أن يختاروا الطريقة المناسبة كالانتخابات والاستفتاءات وغيرها .

وهذا النص (الشورى) يعطينا صلاحية قواعد الإسلام للتطبيق في كل عصر ومكان ، ونجد أن القرآن والسنة وعلومها كانا شاغل المسلمين لفترة ثلاثة قرون ، فالقرآن قد تلقاه الصحابة عن الرسول حفظا في الصدور مع تدوينه ثم جمع في عهد أبى بكر وفي عهد عثمان تم تدوينه في المصحف الذى في أيدينا .

أما السُنة فكانت متفرقة كل يروى ماشاهده أو سمعه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم نشأ في أواخر القرن الأول الهجرى من تخصصوا في السنة وهم علماؤها وأمضوا نحو قرنين من الزمان يجمعون الأحاديث ويوثقونها ويدونونها حتى وصلت المدونات إلى ستة موثوقة .

---

(1) سورة الشورى ٣٨ .

(2) سورة آل عمران ١٥٩

والإسلام يعنى بتطبيق العلم أيا كان العلم نافعاً للإسلام ويعنى أيضاً بالثقافات الأخرى وتداولها فنحن نرى أنه بعد الهجرة كان للرسول مترجمون يعرفون اللغات المجاورة له .

كما كانت المراسلات ترسل مع من يحسن لغة القوم المرسلة إليهم .

ثم في عصر الدولة العباسية كان الانفتاح الثقافي الأكبر بين المسلمين وبين الفرس والرومان واليونان ثم تفاعلت هذه الثقافات وكان للمسلمين السمة الخاصة في ثقافاتهم فأخذوا من غيرهم مالم يتعارض مع دينهم .

وامتدت الدولة الإسلامية في العصر العباسى إلى أقصى المغرب و الأندلس وعاش العرب في الأندلس فترة أثرت فيها الأندلس فيما حولها من الدول .

كما انتشرت الثقافة الإسلامية في الشرق فكان للمسلمين دولة في الهند والصين وحولهما وفي بلاد البلقان وأوروبا الشرقية كل ذلك كان تفاعلا بين الثقافة الإسلامية وهذه الشعوب .

ولم يحاول المسلمون أن يمحوا ثقافة الآخرين وإنما كان هناك التزاوج بين الثقافات ومراعاة العادات والتقاليد .

وإذا مر بالمسلمين عصور ضعف فهذه سنة الحياة وفي عصرنا الحاضر ذهبت دول وقامت دول بعد ـ الحربين العالميتين .

والصلة بين المسلمين على الأرض لا توجد صلة مثلها بين الدول والحضارات الأخرى ذلك لأن المسلمين جميعاً يرتبطون بمصدرين اساسيين : القرآن والسنة ثم مصادر كالإجماع والقياس وغيرهما وهناك مصادر محددة للتشريع واستنباط أحكام قضائية وشرعية وغيرها .

ومن هنا نشأ فقه إسلامى ثرى بالأحكام والقواعد المنظمة لحياة الإنسان وله أصوله الممتدة من القرآن والسُنة .

ولعلنا نعرف أيضاً أن للمسلمين حضارة معمارية لها شواهدها وقائمة للآن .

ولعل في الإسلام خاصية هى أن العبادة صلة بين الله والإنسان دون واسطة وأن الأحكام التشريعية الخاصة بهذه العبادات جاءت مفصلة لا اجتهاد فيها وهى كما جمعها الرسول في قوله « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »[٣] .

والإسلام عنى بالأخلاق ولذلك نرى القرآن الكريم يحث على الأخلاق الفاضلة ومنها الصدق والأمانة والوفاء بالعهد والعدل والمساواة والإخاء الإنسانى .

وما نسميه الآن حقوق الإنسان قد سبق بها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فالرسول في خطبة الوداع قال : (الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أحمر إلا بالتقوى) .

ولا يفرق الإسلام بين بنى الإنسان بسبب اللون أو الجنس أو الدين،والمعاملة واحدة للجميع ويطلب الوفاء بالوعد والعهد .

ومرونة الأحكام الإسلامية نابعة من عموم نصوصها إذ لم ترد في الجرائم عقوبات محددة إلا في

(٣) رواه البخارى .

الجرائم الكبرى التى تسمى حدوداً ، اما الجرائم الدورية التى تقع فى كل وقت فقد ترك أمر تقديرها للحاكم أو القاضى .

وقد يختلف التصنيف الفنى بين القانون والفقه الإسلامى ، إذ الفقه الإسلامى يصنف الجرائم إلى حدود وتعازير .

ومن خصائص الأحكام التشريعية فى الإسلام أنها تعمل على وقاية المجتمع ولا تنتظر وقوع الجريمة .

فالمبدأ الذى نقول به الآن « الوقاية خير من العلاج » مبدأ إسلامى له أساس فى القرآن والسنة .

واترك لكم الفرصة إذا كانت لديكم أسئلة أو استفسارات ترغبون فى طرحها .

د . ريتشارد مورو استاذ تاريخ بجامعات امريكا :

ما هو تعليق فضيلتكم حول الانتخابات التى جرت مؤخراً فى الجزائر والعملية الانتخابية فى إيران ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

إننى لا أتحدث عن الجزائر أو إيران أو أي مكان محدد ولكنى أتحدث عن الانتخابات عموماً فى عصرنا ومدى صلاحيتها فى النظام الإسلامى .

ولقد حرصت أن أعرض صوراً ثلاثة من اختيار المسلمين للحاكم بعد وفاة الرسول لأبين أن الإسلام وضع قاعدة الشورى وترك طريقة تنفيذها للمجتمع الإسلامى فى كل عصر .

ولقد قلت إن الصورة فى الطرق الثلاث التى عرضتها كانت للحضور من الجمهور يتناقش ويتحاور ثم ينتهى إلى ما تصوره وكان من الممكن أن يكون هناك مرشحون كما هو قائم الآن ، فمثلا عندما انتهى عمر إلى أن هناك ستة مقبولين من الجميع تم اختيار أحدهم هو عثمان عن طريقهم .

أما ما يجرى فى عصرنا فى الجزائر او إيران او مصر فإن ذلك يدخل فى خصائص المجتمع فإذا كان جاداً فسيكون نظيفا وإذا لم يكن فوزره على نفسه .

ونحن نضع قوانين تنظم الانتخابات وعلى القائمين على القانون أن يُراعوا العدالة والمساواة فى ذلك فإذا لم يراع القانون الحياد فستكون النتيجة غير حيادية .

د . خالد مسعود ـ باكستانى الجنسية ويعمل فى جامعات أوروبا :

نشكر فضيلة الإمام الاكبر على الإيضاحات الجليلة التى تفضل بها وقد ذكرتم فضيلتكم أن التعزيرات ـ يتولاها القاضى أو الحاكم ، والهيئة التى تقوم بذلك الآن هى" البرلمان"، وأغلب

أعضائه لم يتعلموا الإسلام كما أن"البرلمان"يضم بين أعضائه غير المسلمين فهل من حق البرلمان تولى ذلك ؟

فضيلة الإمام الأكبر

الهيئة التشريعية وإن كانت الدساتير تعطيها سلطة التشريع فالواقع أن الجهات التى تتولى التشريع هى جهات متخصصة ، ثم هناك بعد ذلك موافقة رئيس الدولة ورئيس الدولة في بلاد المسلمين من المسلمين أي أن عمل المجالس التشريعية هو عمل إعدادى وتمهيدى لصدور القرار من رئيس الدولة في شرعية هذا القانون وهو الحكم بين السلطات .

ومن ثم فالقانون صادر من رئيس الدولة وهو المسئول شرعاً عن موافقة هذا القانون للإسلام .

وعمل السلطة التشريعية لا يأخذ الصفة التنفيذية إلا بموافقة رئيس الدولة .

وكل الخطوات المتقدمة على تنفيذ رئيس الدولة هى خطوات عمل بواسطة الخبراء والمتخصصين ولا مانع في الإسلام من الاستعانة بخبير غير مسلم مادامت الضرورة داعية إلى ذلك .

د . **ليلى** ـ أمريكية الجنسية ومن أصل فلسطينى :

لقد شاهدت التليفزيون المصرى خلال شهر رمضان ورأيت البرامج الدينية كما شاهدت برامج أخرى ومسلسلات ولاحظت أن إقبال الناس على البرامج غير الدينية اكبر .

فما هو رأيكم في هذا الشأن ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لاشك أن البرامج التى تقدم في رمضان هى من باب خلط عمل صالح بعمل غير صالح .

فالأصل أن شهر رمضان له سمة خاصة في العبادة فهو كما قال الله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾(٤) .

ومعنى هذا أن هذا الشهر يجب أن يكون العمل فيه خالصا لما فيه رضاء الله سبحانه وتعالى .

والإسلام لا يرفض الترفيه وإنما الذى يقبله الإسلام من الترفيه هو الترفيه العف الذى يهذب الناس ، ويدعوهم للخير لا إلى الشر ، ويمكن أن تكون هناك مسلسلات هادفة تنمى الخلق في النشء وتعلم الناس حب العمل والفضائل التى تصور الأسرة متماسكة يحترم كل فرد منها الآخر لا تلك التى تعرض نماذج من المجون الخارجة على الإسلام .

وطبيعى إذا عرض هذا وذاك أن يكون الانجذاب إلى تلك الأمور الترفيهية التى تعرض شيئا غير معتاد ، وهذا ما لوحظ على تلك البرامج ، وكما قلت خلطوا عملا صالحا وغير صالح وأدعو الله أن يتوب عليهم .

ثم طرح أحد الأساتذة الأمريكيين سؤالا حول علاقة الأزهر بالمساجد في أمريكا حيث يبلغ عدد

←

(٤) سورة البقرة ١٨٥ .

المساجد هناك أكثر من ٦٠٠ مسجد وأكثر من ٦٠٠ جماعة مسلمة .
فما مدى هذه العلاقة ؟

فضيلة الإمام الأكبر

أولا الأزهر له علماؤه فى كل مكان في أرض العالم به مسلمون .

وللأزهر علماء في امريكا وكندا واستراليا واوروبا ، والأزهر يرحب دائما أن يبعث علماءه إلى أى تجمع إسلامى في العالم .

وأنصح المسلمين في كل مكان أن يحافظوا على سمتهم الإسلامية وأن يتعلموا اللغة العربية وأن ينشئوا أولادهم على ذلك بل وأدعوهم أن ينشئوا المدارس الدائمة لربطهم بالمناهج العربية والإسلامية مع البلاد الإسلامية .

وللأزهر علماء في مراكز متعددة فى أمريكا ، والأزهر يحمل عبء تعليم اللغة العربية لكافة بلاد المسلمين في العالم حتى في بعض الجزر النائية والمنقطعة ولا يدخر الأزهر جهداً ووسعاً في التعاون مع التجمعات الإسلامية واقصد بذلك المجموعة من الناس في المكان الواحد .

والأزهر على استعداد أن يجيب على أي سؤال في أمر الدين من اى مكان فى العالم ، وكثيراً ما ترد إلى شيخ الأزهر الأسئلة والاستفتاءات حول أمور الإسلام وإذا كان للأخ اي سؤال أو اقتراح يمكن إرساله وسيصله رد الأزهر .

سؤال من الباحثة ماريان ـ فرنسية الجنسية :
ما العلاقة بين العرف والشريعة ؟

فضيلة الإمام الأكبر

العرف معترف به في الشريعة بمعنى أنه يقوم عليه عدد من الأحكام ولكن في نطاق القواعد العامة للشرع ، فمثلا لو أن الناس تعارفوا في بلد إسلامى على التجارة في الخمر وتعارفوا صناعة الخمور وإقامة الخمارات في النوادى وغيرها فهل هذا عرف يقره الإسلام أو يرفضه ؟

إنه عرف يرفضه الإسلام : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٥) .

ولكن لو أن الناس اعتادوا عرفا طيبا لا يخالف نصا في القرآن والسنة : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾(٦) ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾(٧) ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ .

(٥) سورة المائدة ٩٠ .
(٦) سورة الشعراء ١٨١ .
(٧) سورة الرحمن ٩ .

فهذا المبدأ (مبدأ العدل في الميزان والكيل) هل يوجد فيه تحديد الكيل أو الميزان ؟ .

نحن أخذنا تحديد الكيل والميزان من العرف فلو تعارف الناس ميزانا خاصاً بمقتضى حجر من الأحجار أو كوبا واعتبروه مكيالا عرفا وتعاملوا به بالعدل أقره الإسلام .

ثم طرح أحد الباحثين سؤالا حول المذهب المالكى في موريتانيا .

فضيلة الإمام الأكبر

« كلهم من رسول الله ملتمس » .

وكل مذاهب الفقه مشتقة من الإسلام وتنتمى كلها للقرآن والسنة ولا تختلف إلا في أمور ليس فيها نص قطعي من القرآن والسنة ، والمذهب المالكى هو من مذاهب أهل الحديث المتمسكين بالنصوص .

وقد امتد المذهب المالكى من المدينة إلى المغرب العربى والأندلس وانتشر في أفريقيا بوجه عام .

والمذهب الشافعى ينتشر في مصر وبعض دول أفريقيا ، والحنفى في الهند وباكستان والعراق ، والحنبلى في السعودية ودول الخليج بوجه عام ، وذلك يرجع إلى انتشار تلاميذ كل مذهب في مكان ما . وستجد الشيعة في إيران يعملون بالمذهب الإمامى .

أما الشيعة الزيدية فتوجد في اليمن .

ثم طرح أحد الباحثين الأمريكيين سؤالا حول وجود جماعة من المسلمين في أمريكا يسمون أنفسهم فريق الإسلام برئاسة لويس فرحان .

فهل للأزهر صلة بهم ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

الأزهر ليست له صلة بجماعات سياسية ولكن صلة الأزهر هى ثقافية إرشادية .

أقول: الأزهر لا يقود جماعات سياسية ولا يشارك فيها سواء داخل مصر أو خارجها ، ولكنه يقدم النصح لكافة المسلمين، بل ولغير المسلمين .

ولعل هذه الجماعة تجمعت وتسمت بهذا في بحر من البشر هى قلة بينها ولابد أن تكون قد راعت القوانين الأمريكية في هذا .

سؤال من الباحث **نظيف شعرانى** من أفغانستان حول الصور الثلاث لاختيار الخليفة في بداية الدولة الإسلامية .

وهل استشير غير المسلمين في ذلك الأمر ؟

وهل لرئيس الدولة استشارة غير المسلمين ؟

فضيلة الإمام الأكبر

في ذلك الوقت لم يكن في المدينة المنورة غير مسلمين بل الجزيرة العربية كلها كانت مسلمة .

الأمر الثانى أنه لابد أن نقرب المصطلحات الإسلامية لعصرنا فحين قسم الفقهاء غير المسلمين إلى ذميين وعهديين ، ومحاربين ، فإن الذميين يشاركون الآن في الجيش والشرطة ولهم كافة الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، وهؤلاء الذميون لهم حق المشاركة في الانتخابات وما يهم الدولة فيما عدا الأمور الإسلامية البحتة مثل مناقشة تحريم الخمور .

وعند اعتراض غير المسلمين يؤخذ برأى الأغلبية التى هى مسلمة .

ثم عرض احد الأساتذة الحاضرين موضوع وجود المسلمين كأقلية فحوالى ٣/١ المسلمين في العالم يعيشون كأقلية وهم يخضعون لدول لها قوانينها ولا يتاح لهم المعرفة الصحيحة للدين الإسلامى وتطبيق قواعده .

وهل يؤدى الأزهر واجبه نحو تدخل الحكومة المصرية لدى الحكومات الأخرى من أجل ذلك ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

أعتقد أن هذا قائم فعلا فالحكومة المصرية لا تدخر وسعا في أن يبعث الأزهر علماءه لأية جماعة مسلمة في اي مكان وكثيراً ما تتدخل الحكومة المصرية لدى بعض الدول لإعطاء التأشيرة بسبب منعها عن بعض علماء الأزهر .

ولا شك أن الأزهر وهو على أرض مصر والذى تقوم على رعايته وكفالته هى الحكومة المصرية وتعينه على أغراض خارج مصر وهذا كله أمر تقوم به حكومة مصر بكل جد وجدية ، وهناك بعض الحكومات التى تعترض على دخول علماء الأزهر ، وهذا الأمر نحترمه وإن كنا نعترض عليه لأن هناك مسلمين على أرضها لهم حق على الأزهر ، ولكن هل هذا المنع من التعامل الإنسانى الذى يحافظ على حقوق الإنسان ؟ .. لا أظن ذلك .

ونحن نرى أن الأقلية الإسلامية التى تعيش في الدول الأخرى لها حقوق الإنسان التى ينادى بها ميثاق الأمم المتحدة ، ومن بينها أن تعرف دينها على أيدى علمائها والأمر دائما يحتاج إلى المتابعة : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾(٨) .

وصاحب الحق دائما ينبغى الا يتركه أو يمل من المناداة به والأزهر دائماً يتصل بالجهات التى تمتنع حتى يدخل العلماء إلى المسلمين .

ثم تحدث السيد **بيل روف** رئيس الوفد قائلا :

ارغب باسم جميع الأساتذة أو الباحثين في أن أقدم خالص الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على العرض التمهيدى الذى قدم وعلى الإجابة المستفيضة على الأسئلة والاستفسارات التى عرضت له .

ثم أشار السيد / بيل روف إلى أن الجامعة التى تخرج فيها قد احتفلت بمرور ٢٥٠ عاماً على إنشائها .

وعند ترتيب الحاضرين أخذ الأزهر الشريف مكان الصدارة حيث إنه أقدم الحاضرين جميعاً ، وعبر سيادته عن سعادة الحضور بالوجود في هذا المعهد العريق الذى مر على بنائه اكثر من الف عام ، كما قدم شكره وشكر جميع الحاضرين على حسن الاستقبال

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

والله ولى التوفيق ..

مجدى حسن الانور المترجم بمكتب شيخ الأزهر

---

(٨) سورة آل عمران ٢٠٠ .

"الحمل عن طريق صوفة"

فتوى لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد :

سال السيد / م . ك . ابو زيد القاهرة . يقول : زوج اثبتت كل التحاليل الطبية انه عقيم واخفى ذلك عن زوجته وادعى لها بانه سليم وصالح للإنجاب ، ووقعت الزوجة في الحيرة والقلق من تاخر حملها ولاسيما ان تحاليلها المعملية تؤكد انها صالحة للإنجاب من وجهة النظر الطبية وقد دفعها قلقها إلى اللجوء لإحدى الدجالات التى اوهمتها بانها تستطيع ان تحل لها مشكلتها وتعجل بحملها ، وانساقت الزوجة وراء هذه الدجالة المشعوذة ، وبعد فترة من الزمن حدث ان حملت بالفعل وكان هذا الحمل بواسطة صوفة الدجالين المغموسة في منى رجل غريب . واتهم الزوج زوجته بجريمة الزنا بعد أن صارحها بحقيقة عقمه والمطلوب من فضيلتكم ان تفيدونا بالإجابات الشرعية للأسئلة التالية :

أولاً : ما موقف الشرع من الحمل عن طريق صوفة الدجالين المغموسة في منى رجل غريب ، هل يعتبر حملا سفاحا ام لا ؟

ثانياً : هل تعتبر الزوجة في حكم الزانية على الرغم من انها لم تجامع رجلا غريبا ؟ وهل يقام عليها حد الزنا من وجهة النظر الشرعية ؟

ثالثاً : هل يبيح لها الشرع ان تجهض نفسها وتتخلص من هذا الحمل عملا بمبدا الضرورات تبيح المحظورات ؟

رابعاً : إذا اراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ ان يبقى ويتم هذا الحمل حتى تضع مولودها فلمن ينسب هذا المولود ؟!

←

الحمل عن طريق صوفة

الجــواب

لقد نظم الإسلام صلة الرجل بالمرأة واختلاطهما بوجوب أن يكون هذا في ظل عقد زواج صحيح تكريما لنطفة الإنسان التي يتخلق منها الولد : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ . . سورة الإنسان الآية الثانية ـ ولا تتخلق نطفة الرجل إلا إذا وصلت إلى رحم المرأة المستعد لقبولها وهذا الوصول قد يكون عن طريق الاختلاط الجنسى الجسدى بين الزوجين وعندئذ يكون نسب الولد من هذا الاتصال موصولا بأبيه متى كان قد تم في ظل عقد الزواج الصحيح ..

وفي الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (الولد للفراش ، وللعاهر الحجر) . رواه الجماعة إلا أبا داود[1] .

وقد يكون الوصول عن طريق إدخال نطفة الزوج في رحم زوجته بغير الاتصال الجسدى وقد ضرب الفقهاء له أمثلة منها :

ـ ما في البحر عن المحيط عن أبى حنيفة ما نصه :

« إذا عالج الرجل جاريته فيما دون الفرج فأنزل فأخذت الجارية ماءه في شيء فاستدخلته فرجها في حدثان ذلك (أى لحظة الإنزال) فعلقت الجارية وولدت فالولد ولده والجارية أم ولد له »[2] .

وكما ذكر في شرح المنهاج لابن حجر الشافعى « وإنما تجب العدة في النكاح بعد وطء أو بعد استدخال منيه » أي الزوج « المحترم وقت إنزاله واستدخاله ومن ثم لحق النسب »[3] .

والمقصود بالمحترم الناشىء عن عقد زواج صحيح ..

وما سبق فيه تصريح بأن شغل رحم المرأة بنطفة زوجها قد يحدث بغير الاتصال الجنسى العضوى بينهما وتترتب عليه الآثار الشرعية من عدة ونسب .

ـ وبهذا يتبين أن الصلة العضوية بين الزوجين والاختلاط والتواصل هو الوسيلة الأساسية لإفضاء كل منهما بما استكن في جسده ، وكل ما تحمل به المرأة لابد أن يكون نتيجة الصلة المشروعة بين الزوجين سواء باختلاط أعضاء التناسل كالمعتاد أو بطريق استدخال منى زوجها إلى ذات رحمها فتتخلق النطفة فيه وينشأ الحمل منسوباً إلى أبيه في ظل عقد زواج صحيح .

ـ وإذا أدخلت الزوجة منى رجل آخر غير زوجها إلى رحمها سواء كان الزوج مخصبا أو غير مخصب ، فإن هذا يكون محرما شرعا لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب ، بل ونسب ولد إلى أب لم يتخلق من مائه وهذا الإدخال والتلقيح به إذا حدث الحمل منه يكون في معنى الزنا والزنا محرم قطعا .

---

(١) نيل الأوطار حـ ٦ ص ٢٧٩ .
(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفى حـ ٤ ص ٢٩٢ باب الاستيلاء ط أولى بالمطبعة العلمية .
(٣) حـ ٨ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ في كتاب العدة .

ولما كان النسب إنما يثبت شرعا للأب (الزوج) متى ثبتت لقياه بالأم (الزوجة) بالعلاقة الجنسية الفعلية أو باستدخال منيه في محل التناسل منها إثر نزوله مؤكداً منه كان نسب المولود في غير واحدة من هاتين الصورتين غير ثابت شرعا ، وإنما ينسب المولود آنئذ إلى أمه التى ولدته فحسب ، سواء ثبتت الولادة بإقرارها أو قضاء بطرق الإثبات المقررة ومن ثم وعلى ضوء المبادىء المتقدمة يكون جواب الأسئلة المطروحة في هذه الواقعة كمايلي :

أولاً : بخصوص حدوث الحمل نتيجة استدخال الزوجة المسئول عنها صوفة مغموسة بمنى رجل غير زوجها ممكن ومحتمل ويعتبر حملا سفاحا إذا ثبت ذلك .

ثانياً : لا يقام على هذه الزوجة حد الزنا لأن هذا الحد إنما يقام على المباشرة الجنسية الفعلية وثبوت هذا بالإقرار به أربع مرات أو شهادة أربعة شهود بواقعة الزنا الفعلي شهادة شرعية أمام القضاء ..

ثالثاً : الإجهاض قتل للنفس التى حرم الله قتلها ..

وهذا الجنين نفس محترمة له مقومات النفس الإنسانية منذ انعقاد الحمل . ومن ثم يحرم على هذه المرأة أن تجهض نفسها تخلصاً من هذا الحمل ولا ترد قاعدة الضرورات تبيح المحظورات في مثل هذه الحالة .

رابعاً : إذا استكمل الحمل الموصوف في هذه الواقعة اشهره الرحمية ووضعته أمه كان نسبه إلى الزوج ثابتاً بحكم الفراش القائم بين الزوجين .. (الولد للفراش) فإذا أنكر الزوج أنه منه جاحداً ذلك وأقام الدليل الصحيح قضاء على أن الزوجة قد استدخلت منى غيره في صوفة إلى محل التناسل فيها وأنه عقيم غير مخصب إلى حين تاريخ الحمل وطلب الزوج من القضاء نفى النسب قضى له بذلك ، وعندئذ لا ينسب هذا المولود إليه وإنما ينسب إلى أمه التي ولدته باعتبار أن الولادة واقعة مادية فإذا عجز الزوج عن إثبات واقعة الاستدخال هذه ثبت النسب إليه بالقرينة الشرعية (الولد للفراش) وباعتبار أن العقيم قد يزول مرضه ويبرأ من عقمه ويصير صالحا للإنجاب وإثبات النسب في هذه الحال أولى من نفيه .

هذا : ويحرم على أية امرأة لاسيما المتزوجة أن تدخل على زوجها حملا ليس منه للحديث الذى رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : حين نزلت آية الملاعنة(٤) :

« أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شيء ولن يدخلها الله في شيء ولن يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة .. وفضحه على رءوس الأولين والآخرين » ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

١٥ من المحرم ١٤١١ هـ

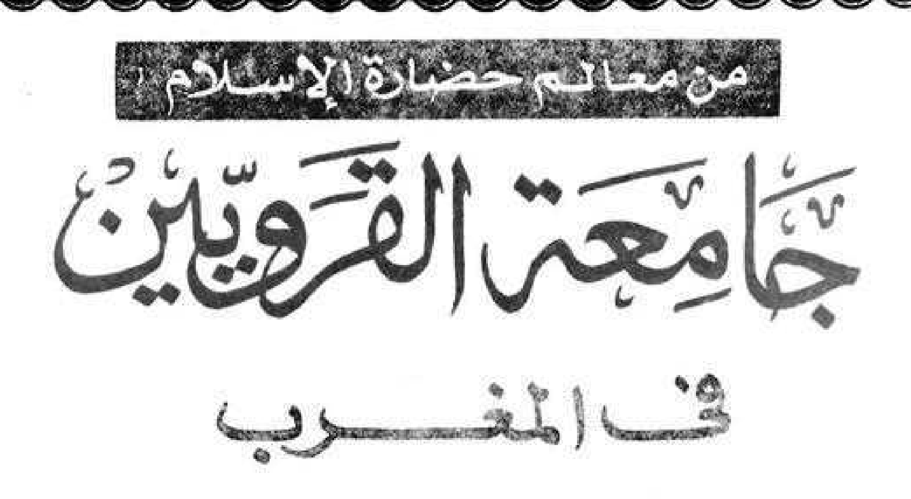
٦ من أغسطس ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٤) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٧٨ .



للأستاذ الدكتور
أحمد الحفناوى

مكانتها وآثرها :

جامعة القرويين معلم رائع من معالم حضارة الإسلام الزاهرة في المغرب ، بيد انه على الرغم من ان الكثير من نواحى هذه الحضارة قد تناوله الباحثون وبخاصة في المغرب بالدراسة والبحث ، إلا ان هذه الجامعة المجيدة لم تلق من العناية مالقيه غيرها من هذه النواحى .

لقد كانت جامعة القرويين المنار الذى ارتفع في طريق الدعوة العظمى ثم ثبت بنيانه على رجف الزلازل ، وانتشر ضوؤه على عصف الرياح ، وقاد الشعوب الإسلامية في المغرب ـ خاصة ـ وسط ظلمات الخطوب والحروب إلى بر السلامة والأمان ، والكرامة والوحدة ، كانت الحصن الذى اعتصمت بمناعته ثقافة الإسلام من عدوان الشعوبية والبربرية والعامية والفرنسية حين فشت الجهالة و(تفرنس) السلطان وعز الناصر وذل الأهل .. في المغرب .

كانت الملاذ للشعب المغربى المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فيأوى منه إلى ملجأ يحميه ..

كانت القاعدة الروحية التى يخشاها المستعمرون فحاولوا ـ سراً وعلناً ـ أن يدمروها ، فلما استيأسوا من تدميرها أو إضعاف تأثيرها سالموها ونافقوها ثم جهدوا أن يستميلوها ليشغلوها .

كانت الصرح الوطنى الذى أجج الثورات على الفساد وخرج القيادات للجهاد ، وقام من نهضة المغرب الحديثة مقام الرأس واليد .. يمدها بالروح ويرفدها بالقوة ..

ثارت على البرتغاليين والأسبانيين .. على أن فضلها ، في الحفاظ على ثقافة الإسلام ، يشاركها فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس ، والجوامع أنشأها السلاطين ـ على مر الزمان ـ في « القاهرة » و « دمشق » و « بغداد »

و « النجف » و « قرطبة » و « القيروان » و « الزيتونة » ، لكن معظم هذه المدارس - باستثناء الأزهر الشريف - عفا على أكثرها الزمن لم تستطع في حياتها منفردة أو مجتمعة أن تطاول القرويين المجيدة في فضلها على الثقافة الإسلامية في بقائها حية نابضة بالحركة .

الجامعة والاستعمار :

لقد تميزت جامعة القرويين خلال مراحل تطورها بطابع معين ، هو طابع مقاومتها للاستعمار الفرنسي - برغم الحدّة والعنف الذى كان يقابل به الاستعمار الفرنسي الثقافة العربية الإسلامية - فكان للجامعة محاولاتها المستميتة للحفاظ على ثقافة الإسلام وتاريخه على نحو متكامل موحد لا انفصال فيه .

وإذا كان لى أن أقول إن هذا الجناح الأيسر من الأمة العربية كان موضع اهتمامنا فى المشرق منذ تكشفت أمامنا الحقائق وتلاقت الأفكار مع « المغاربة » المجاهدين الذين كتبوا قصة كفاح مجيدة فإنى أقول ذلك لأن جامعة القرويين - التي يرجع إليها الفضل في الحفاظ على عروبة المغرب وإسلام المغاربة - كانت موضع تقديرنا وإعجابنا هنا في المشرق العربي .

موقعها :

إن أول ما يلفت النظر في تاريخ « القرويين » . هو أنها من مدينة « فاس » تلك المدينة التى اشتهرت بعبادها ، وحملة كتاب الله فيها ، وسكانها الأبرار الذين راعوا حدود الله ، وغلبت تلك الصفات الحميدة عليها حتى عرفت بعاصمة الملك والعلم والعرفان التى يقصدها الطلاب في كل زمان وكان لجامعة القرويين أثر واضح وسبب أصيل في هذه المكانة التاريخية العظيمة التى اكتسبتها من بين مدن المغرب حتى أصبحت معرض نتائج القرائح ، وانتهت إليها الرياسة الأدبية والفكرية بأفريقية الشمالية في القرن التاسع والعاشر .

تاريخ المسجد وعمارته :

لم يكن مسجد « القرويين » بالأمس هو مسجد « القرويين » اليوم ، إذ لم يكن يشتمل عند نشأته إلا على أربع (بلاطات) ومحراب وفناء ، وغرست فيه بعض الأشجار ، ولم يكن به حلقات للدرس ، بل كان مجرد مسجد للصلاة ، يؤدى الناس فيه صلاة الجمعة نظراً لضيق المساجد التى يصلى فيها أهل « عدوة القيروانيين » وافتقارهم إلى مسجد جامع يلم شعثهم ويجمع شملهم ، وتلقى من فوق منبره الخطبة الرسمية ، وكان علماء « فاس » في ذلك العهد يشددون في منع الناس من القراءة والتدريس في بيوت الله .

لقد كان بناء « فاطمة بنت محمد الفهرى » المكناة « بأم البنين » للقرويين في (غرة رمضان ٢٤٥هـ - ٨٥٩ م) ، ويقول المؤرخون : إن السيدة فاطمة مؤسسة القرويين ظلت تصوم منذ الشروع في بنائها تقرباً إلى الله في أن يعينها على نجاح مشروعها العظيم إلى أن تم البناء وانجز تشييد المسجد فبادرت إلى الصلاة فيه شكراً لله على أن وفقها لصرف مالها فيما تعود فائدته على الإسلام والمسلمين ، وإن الله تعالى ليبارك أمثال هذه المشاريع التى تقوم على النية الحسنة فيكتب لها البقاء والازدهار ، ولذلك رأينا الدول التى تعاقبت على المغرب بعد دولة « الأدارسة » تعنى بهذا المسجد عناية فائقة : بإصلاحه والزيادة

فيه ، وإدخال تحسينات على جوهره وشكله وتخليد فنون النقش والزخرفة في جدرانه فجمل واتسع حتى أصبح يحتوى على خمسة عشر باباً وثلاثمائة سارية وعدد من القباب .

يذكر « ابن أبى زرع » : إن الخطبة لم تزل « بجامع الشرفاء الذى بناه إدريس بـ « عدوة القرويين »[1] . وبجامع الأشياخ من عدوة الأندلس[2] . طوال أيام الأدارسة فلما اتسعت ، مدينة « فاس » ووفد عليها العرب والبربر من انحاء « المغرب » و « الأندلس » ضاق كل من الجامعين بالمصلين ، واستلزم الأمر بناء جامعين جديدين وكان في جملة هؤلاء الوافدين « رجل عربى » من « القيروان » اسمه : « محمد بن عبدالله الفهرى » . فمات وترك أموالاً كثيرة ورثتها ابنتاه : « فاطمة » المدعوة بأم البنين و « مريم » وأبدت الابنتان رغبة صادقة في صرف قسم من هذا الإرث الكبير في عمل البر والخير ويبدو أنهما سمعتا بضيق جامعى العدوتين عن استيعاب جمهور المصلين وضرورة إنشاء جامعين جديدين فشرعت فاطمة في بناء جامع « القرويين » في مستهل رمضان ٢٤٥ هـ ، وكان في موضعه حقل يمتلكه رجل من هوارة فاشترته منه فاطمة وتطوعت بالإنفاق على البناء من إرثها ..

وتذكر الرواية : إن جميع مواد البناء للجامع استخرجت من أرض المسجد نفسه[3] وكان هذا الجامع الأول يتألف من قسمين : بيت الصلاة والصحن ، وكان بيت الصلاة يشتمل على أربع بلاطات .. وكان طوله من الشرق إلى الغرب مائة وخمسين شبرا أي ما يعادل ثلاثين مترا .. وجعل محرابه في موضع الثريا الكبرى الموجودة في المسجد في الوقت الحاضر .

التوسعة الأولى :

ظل المسجد على صورته القديمة هذه حتى دالت دولة « الأدارسة » فلما تولى « بنو زناتة » حكم البلاد ، واستقام أمرهم « بالمغرب » ، بنوا الأسوار حول ارباض ، العدوتين وزادوا في جامع القرويين زيادة كبرى ، حدودها ظاهرة حتى اليوم تشمل : بلاطات وصومعة ، وذلك حين كثر الناس « بفاس » ، وقد أقام الأمير « أحمد بن أبى بكر » مئذنة للمسجد فوق منتصف الرواق المطل على الصحن من الجانب الغربى ، ويلاحظ أن هذه المئذنة تشبه إلى حد كبير مآذن « قرطبة » و « أشبيلية » في عصر الأمير « عبدالرحمن الأوسط » ، وإن كانت تغلب عليها البساطة .

التوسعة الثانية :

ازدهرت (فاس) في عصر « المرابطين » وكثر العمران بعدوة « القرويين » حتى ازدحمت المدينة واكتظت بسكانها وضاق « جامع القرويين » بالمصلين حتى كان الناس يصلون في الأسواق والشوارع والطرق المحيطة بالجامع أيام الجمع ، فاجتمع الفقهاء وخاطبوا قاضى القضاة في هذا الأمر فاستأذن القاضى أمير المسلمين (على بن يوسف) فى إجراء زيادة بالمسجد فأذن له بالشروع فيها في (سنة ٥٢٨ هـ ـ ١١٣٣ م) وتمت في ٥٣٨ هـ[4] .

(١) ، (٢) من أحياء مدينة فاس .
(٣) راجع ابن أبى زرع ، روض القرطاس ص ٢٨ ، الجزنائى : زهرة الآس ص ٣٥ .
(٤) راجع : الحروف المنقوشة بالقرويين فى خدمة الآثار ، د . عبد الهادى التازى ، المؤتمر الثالث للآثار العربية ـ القاهرة ١٩٦١ ص ٤٤٦ .

وقد تمت هذه الأعمال الإنشائية على أيدى فنانين استقدمهم الأمير من الأندلس[٥]، وزخارف « جامع القرويين » تجلو لنا عنصراً جديداً ظهر لأول مرة في الزخرفة الإسلامية وهو نظام الزخرفة الثعبانية الشكل عند منابت العقود وهو نظام زخرفي شاع في عصر « الموحدين » بعد ذلك .. وبهذه الزيادة المرابطية اكتملت عمارة المسجد واشتمل على حدوده التى نراها اليوم .

أما المنبر فقد اقيم على أيدي القاضى « أبى محمد عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطى » ولم يتم في حياته فأتمه القاضى « أبو مروان عبدالملك بن بيضاء القيسى » ، وقد صنع من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وطعم بالعاج وتولى صناعته وتركيبه الشيخ « أبو يحيى العتاد »[٦] .

أما صحن الجامع فقد فرشه الفقيه أبو عبدالله بن داود وصنع بكرات واشرطة غليظة ركبها في قلاع من شقاق الكتان في سعة الصحن ، فإذا اشتدت حرارة الصيف شدت البكرات فنصبت القلاع وظللت الصحن كله[٧] .

ولما دخل « الموحدون » « فاس » في (١٥ ربيع الآخر ٥٤٠ هـ) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن يأخذ « الموحدون » عليهم هذا الإسراف في النقش والزخرفة والتذهيب ، بالمحراب والقباب ، فأتى (الحمامون) الجامع تلك الليلة فنصبوا على ذلك النقش والتذهيب الذى فوق المحراب وحوله بالكاغيد ، ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض فاختفت هذه النقوش واصبحت بياضا[٨] .

ولكن هذه الكسوة الجصية أزيحت فيما بعد فظهرت النقوش والزخارف بألوانها الزاهية الرائعة .

ولقد اشتمل المسجد القروى على الكثير من المرافق : منها : « الساقية الكبرى والناقوس والخصة (وهى في الاصطلاح المغربى الفسقية) والبيلة ، وهى كلمة من أصل إسبانى وتطلق في « المغرب » على الحوض الذى يمتلىء ماء » .

تاريخ « القرويين » التعليمى ، الدرس ، والمدرس والتلميذ :

منذ النصف الأخير للقرن الثالث الهجرى كانت هناك دراسات غير منظمة في المسجد القروى وفي أوائل القرن الخامس الهجرى اصبحت الصورة تبشر بمستقبل علمى زاهر للقرويين ، وكانت هذه الدراسات تشمل : التفسير والحديث والفقه واصوله والأدب العربى وفلسفة اللغة وتاريخ الإسلام والمنطق ، ولم يكن للدروس التى تلقى نظام خاص وإنما كان المدرس إذا جلس يبدأ بسرد الدرس ثم يفسره كلمة كلمة ويبين ما أشكل منه ويختلف تعليقه عليه حسب إطلاعه ومقدرته ، وكانت كفاءات العلماء تتبارى في حلقات دروسهم مع مراقبة الضمير والرغبة الصادقة في العلم ، والهيام الجارف باللذة المعنوية ، التى تفوق غيرها من اللذات ، ولم يكن مدرسو القرويين يتقاضون أجوراً محددة على

---

(٥) راجع الجزنائى . زهرة الآس ص ٥٨

(٦) راجع الحروف المنقوشة بالقرويين . د . التازى ص ٤٤٩ .

(٧) ابن أبى زرع . روض القرطاس ص ٣٥ ، ٣٦ . الجزنائى ص ٥٦ .

(٨) الجزنائى ص ٥٣ .

القيام بمأمورياتهم التى يعتبرونها أمانة أمروا بتبليغها ، وإنما كانت الحكومة تقدم لهم الهدايا من وقت لآخر في مناسبات الأعياد الدينية إلى جانب ما كانوا يتقاضونه من رواتب ضئيلة في بعض العصور .

وكانت وسائل التحصيل هى : الحفظ والدراية والفهم والرحلة ، كما أن الشهادات والألقاب العلمية كانت : الحافظ والفقيه والمحدث « كما كان هناك طلاب من أوروبا يتلقون العلم مع زملائهم من أبناء المغرب الإسلامي »[٩] .

ولم تكن الموارد المالية للقرويين - في هذه المرحلة المتقدمة - تتعدى أعطيات الخلفاء والأمراء والملوك ، كما أن الطلاب ، كانوا يقيمون فيما يمكن أن يقال : إنه مساكن جامعية ، ولم توجد الوظائف الإدارية في الجامعة إلا بعد أن تقرر صرف مساعدة ، للطلاب من الأوقاف ،

وانشئت روافد للقرويين داخل مدينة « فاس » وبعض المدن المغربية .

عاشت القرويين على هذا المنوال أحقاباً طويلة ، واعتبر علماؤها أهل الحل والعقد ، وظلت مزدهرة بهم في غالب أحوالها مؤدية رسالتها العلمية المقدسة التى انشئت من أجلها ، ولم يكن لها نظام معين ولا طريقة محددة أو خطة في الدراسة محكمة .. إلى أن طرا على نظامها التعليمى وموادها الدراسية تطوير وتغيير .

وفي الفترة من (١٢٥٩ م إلى ١٦٦٥ م) بدا واضحاً أن (القرويين) كانت تعطل الدراسة في أيام : « الخميس » و « الجمعة » ، وكذلك « الثلاثاء » على (قول بعض المؤرخين)[١٠] إلى جانب العطلة في المواسم والأعياد الدينية . كما أن إدارة الجامعة كانت موكولة إلى « مفتى فاس » .

وفي الفترة من (١٦٦٥ م إلى ١٩٧٥ م) كان التطوير والازدهار قد بدأ من قبل السلاطين العلويين الذين أبدوا اهتماماً كبيراً « بالجامعة القروية » وحرصوا على دعمها والتمكين لها ، فنجد السلطان « يوسف بن الحسن » ينشىء « المجلس العلمى التحسينى » للقرويين ويجعل الإشراف عليها لـ (وزارة العدلية) .. مما كان له أثر محمود على ادائها لدورها ولا عجب في ذلك « فلقد كان هناك ما يقرب من مائة كرسى للعلوم المختلفة »[١١] .

التنظيم الحديث :

وبمجىء السلطان « محمد الخامس » أصدر المرسوم الملكى في مارس ١٩٣١م ، الذى قضى بتأسيس مجلس أعلى للنظر في تنظيم التعليم وتحسين طرقه بالقرويين . وكانت البداية الفعلية للتطور بالجامعة القروية ، إذ قرر هذا المجلس : إنشاء مجلس تحسينى داخل القرويين يسهر على تنفيذ ما سَنَّهُ أعضاء المجلس الأعلى من قوانين أهمها :

« إن مدة الدراسة في القرويين انحصرت في اثنتى عشرة سنة وأن مراحلها ثلاث : ابتدائي وثانوى وعال ، وفي العالى نوعان : شرعى وأدبى ، ينتهى بشهادة « العالمية » » .

وقد توالى على كرسى رئاسة القرويين وإدارتها عدد من الرؤساء مثل السيد « أحمد بن الجيلالى » والشيخ « عبدالله الفضيلى » والأستاذ

(٩) احد عشر قرناً في القرويين د . عبد الهادى التازى ص ٨
(١٠) المرجع السابق ص ١١
(١١) جامعة القرويين بين الماضى والحاضر . وزارة التعليم الأصلى . المغرب ص ١٢ .

« محمد الفاسي » والأستاذ « الجواد الصقلي » والسيد « الحسن مزور » .

أما رئاسة المجلس الإعلى فقد كانت للملك « محمد الخامس » وكانت الخطوة الإيجابية لتحقيق التطوير عندما عين الأستاذ « محمد الفاسي » وهو من علماء القرويين ومن الذين استكملوا دراستهم في باريس - مديراً للقرويين ، فقد أدخل العلوم العصرية واللغات الأجنبية في مناهج التعليم بها إلى جانب المواد الدينية .

جهود العلامة الفاسي :

وقد بدأ الأستاذ « محمد الفاسي » مهمته الشاقة في القرويين منذ (١٩٤٢م) وحتى (١٩٥٢م) حيث أبعد عنها من طرف السلطات الفرنسية عدة مرات نظراً لأفكاره الإصلاحية ، ورغم ذلك استطاع أن يرفع مدرسيها إلى ثمانين عالماً بعدما كانوا محصورين في اثنين وثلاثين ونقل رواتبهم ورواتب غيرهم من باقى الموظفين من ميزانية الأوقاف الضئيلة إلى الخزينة العامة ، وسهل للطلبة كثيراً من الأشياء التى كانوا محرومين منها ، وزاد سكناهم ، فارتفع عددهم من نحو أربعمائة إلى الفين وتخرج في « القرويين » زمن مباشرته لها تسعة وثلاثون ومائة عالم وحول العطلة السنوية من أربعين يوماً إلى ثلاثة أشهر صيفية ، كما هى في جميع مؤسسات التعليم ، واختصر في السنوات الانتقالية التى ليست ذات شهادة على نظام الاختبارات التى تجرى للامتحان نظراً لكثرة الطلبة ، وألغى لفظ « الابتدائى » معوضاً إياه بلفظ : الطور الأول من التعليم القروى ، وأنشأ له معهداً خاصاً بمسمى ، « معهد الرصيف » وأنشأ في القرويين معهداً خاصاً بالفتيات « الحاصلات على الشهادة الابتدائية من المدارس الحرة ، واهتم بصحة التلاميذ فأنشأ لهم « مستشفى » بإزاء « القرويين » وأجرى المباراة عدة مرات للمتخرجين من علماء الشباب قصد تقوية عصب النظام القروى بهم ، ووزع المسئوليات على موظفى إدارة الجامعة ، وجعل لحلقات الدروس نظاماً خاصاً يستمر العمل به طيلة سنة دراسية ووضع جداول للامتحانات بما اشتملت عليه ومن لجان المراقبة والتصحيح والشفهى ، ورفع ساعات الدراسة في الطور الأول ، من (١٥) ساعة إلى (٢٠) ساعة وفي الثانوى إلى (١٨) واقتصر في النهائي على عشر ساعات تمهيداً لتحسين أجور المدرسين بالقرويين واعتنى إلى جانب ذلك كله بالبرنامج العلمى الذى يتكون أغلبه من العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية فأضاف إليها دراسة التاريخ بكيفية جديدة والحساب والجغرافيا والتلاوة والتجويد والرسم والشكل .

وظل الأستاذ « الفاسي » يجد في بناء كيان القرويين والنهوض بها إلى المستوى اللائق بمكانتها إلى أن نقلته السلطات الفرنسية منها (سنة ١٩٥٢م) فاضمحلت أو كادت وأضرب طلبتها قرابة شهر احتجاجاً على ذلك .

وفي ديسمبر (١٩٥٥) ، أصبحت « جامعة القرويين » تحت إشراف « وزارة التعليم والفنون الجميلة » فواصل الأستاذ « الفاسي » وزير التعليم آنذاك جهوده لدعمها فأنشأ في وزارته « مصلحة التعليم الإسلامى العالى ركز فيها شئون « القرويين » وروافدها وفي سنة ١٩٥٧ م تكونت « اللجنة الملكية للنظر في شئون توحيد البرامج التعليمية » في الأطوار المتقدمة في كافة المؤسسات التعليمية مما أدى إلى إحداث برنامج جديد يدرس فى « القرويين » . لكن رابطة علماء المغرب جاهرت بمعارضتها لهذا البرنامج ووقف كافة ، علماء المغرب في طريق تنفيذه حرصا منهم على كيان القرويين وعلى برامج الدراسات الإسلامية والعربية بها .

يتبع

الهجرة الخبيثة:

هجرة اليهود الروس

إلى إسرائيل

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

ما كاد الاتحاد السوفيتي يوافق على هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل حتى بدأت جموعهم تتدفق عليها باعداد كبيرة ، فقد نشرت جريدة الاهرام المصرية في ٢١/٤/١٩٩٠ في الصفحة الرابعة خبراً لمراسلها في مونتريال بكندا انه نقلاً عن صحيفة « ذى كنديان جويشن نيوز » الناطقة بلسان الجالية اليهودية فيها ، قد وصل ثمانية آلاف يهودى سوفيتى إلى إسرائيل خلال شهر مارس حتى الثامن من إبريل الماضى .

كما نشرت نفس الجريدة في ٣٠/٤/١٩٩٠ أن الإحصائيات الإسرائيلية تتوقع أن يبلغ عدد اليهود السوفييت المهاجرين إلى إسرائيل بنهاية عام ١٩٩٠ مائة ألف يهودى وأن عددهم سيصل إلى ١,١ مليون مهاجر عام ٢٠٠٠ مما يرفع عدد السكان اليهود في فلسطين الذى يبلغ حالياً ٣,٩ مليون إلى حوالى ٥ ملايين يهودى ، وفي المقابل يبلغ عدد الفلسطينيين حوالى ٢,٣ مليون نسمة ، وسيرتفع هذا الرقم عام ٢٠٠٠ إلى ٣,٧ مليون نسمة وبالتالى سيكون الكم العربى أقل من عدد اليهود بحوالى ١,٥ مليون بنهاية هذا القرن ، وفي ٤/٥/١٩٩٠ نجد « الاهرام » تقدم لنا ارقاماً جديدة أعلنها واحد من أبرز هؤلاء المهاجرين ، كانت إسرائيل واجهزة الإعلام الغربية قد أقامت الدنيا من اجله حتى سمحت له موسكو بالهجرة إلى إسرائيل عام ١٩٨٦ وهو « أناتولى شارانسكى » إذ قال في حديث له مع وزير الاستيعاب والهجرة الإسرائيلى نقلته « شاشات » التليفزيون : إن إسرائيل ستستقبل هذا العام ٢٥٠ الف يهودى سوفيتى وفي العام القادم نصف مليون .

كما أعرب عن قلقه من الا تقوى إسرائيل على استيعاب الأعداد الهائلة منهم ، وحذر من كارثة عدم قدرتها على التعامل معهم إذ أن ذلك سوف يزيد من الضغوط الواقعة على الولايات المتحدة كى تفتح الأبواب وترفع القيود التى فرضتها مؤخراً أمام هجرتهم إليها .

أما مصدر القلق فراجع إلى تعرض هؤلاء المهاجرين الجدد للعناد الشديد من قبل السلطات الإسرائيلية حيث أبقتهم فى مطار « بن جوريون » لمدة تزيد على ١٢ ساعة قبل أن تسمح لهم بدخول إسرائيل بعدها ينقلون إلى مدن لا تتوافر فيها أماكن إقامة لهم كما أن عليهم الانتظار طويلاً حتى يتم توفير فرص عمل تستوعبهم مما دفعهم إلى الخروج بالمئات فى مظاهرات تحمل لافتات كتب عليها « نريد خبزا ، نريد شققا ، ياوزير الاستيعاب والهجرة عد إلى بيتك » .

وفى محاولة لامتصاص ثورتهم وغضبهم أعلن الوزير أن الحكومة قد وضعت خططا لبناء ٣٠ الف منزل جديد بدأ العمل فى ٦ آلاف منها إلا أنه لم يجد مفرا من الاعتراف بأن المشكلة ستكون عويصة لمدة أربعة شهور قادمة .

والذى يهمنا فى المقام الأول من الأخبار والإحصائيات والأحاديث الإسرائيلية المعلنة والتى ذكرناها أنها تعطى مؤشرات لما ستكون عليه سياسة إسرائيل فى العشر سنوات الباقية على نهاية هذا القرن والتى يمكن تلخيصها فى أنها سعى دائب لتغيير الطبيعة السكانية للأراضى الفلسطينية المحتلة بما يفرض أمراً واقعا لا يملك المجتمع الدولى إزاءه إلا التسليم به وإضفاء الشرعية عليه على النحو الذى اتبع من قبل ،

وأثناء فترة الانتداب البريطانى لفلسطين يفرض هذا الانتداب الذى عمل على تكثيف الوجود الإسرائيلى فيها ، فضلا عن أن المجتمع الدولى ليس له قيمة إلا لأصحاب النفوذ فيه ، وهؤلاء منحازون علنا لإسرائيل ، ويهددون ـ بين آن وآخر ـ بقطع ميزانية محفل دولى ما إذا قبل إسرائيل عضوا فيه ، كذلك لا ننسى أن الانتداب البريطانى هو الذى انتهى بتقسيم فلسطين وقيام الدولة الصهيونية بقرار مشئوم ، كمرحلة أولى من المخطط الصهيونى لاستيعاب فلسطين مؤيدا بكل قوى الاستعمار ؛ فلولاها ما أمكن لليهود أن يستولوا على شبر واحد من الأرض العربية ، وهذه الهجرات الحالية تستهدف تحقيق المرحلة النهائية للصهيونية بالاستيلاء على أرض فلسطين ، مكررة نفس الأسلوب زيادة عددية أكثر ، وشغل مساحة أكبر ، مما يترتب عليه أن يتحول أصحاب الأرض الفعليون إلى أقلية ليس لها من حقوق لدى الأغلبية إلا نوع من الإدارة الذاتية لشئونهم الداخلية ، ومن دلائل هذا الاتجاه .

ضمهم للقدس العربية واعتبارها عاصمة لدولتهم .

ورفض التحاور مع الفلسطينيين .

وعدم الاعتراف بحقهم فى تقرير مصيرهم وإقامة دولة لهم .

وجلب المهاجرين من كل بلد .

وتوسيع المستوطنات القائمة ، وإقامة مستوطنات جديدة بقطاعى غزة والضفة الغربية المحتلين .

وإذا كانت الإحصائيات قد أعطت لنا مؤشرات للمخطط الصهيونى فى العشر سنوات القادمة فإن حديث « شارانسكى » يفيد اعترافا ضمنيا بالدور المشبوه للولايات المتحدة فى هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل عندما أغلقت أبوابها فى وجوههم وفرضت القيود عليهم على خلاف المعتاد منها مع أمثالهم الذين يشكلون فيها أكبر جالية يهودية فى العالم ، ولم يكن ذلك

الهجرة الخبيثة

الموقف الغريب منها إلا لكى تحول اتجاههم إلى إسرائيل .

غير أنه إذا أردنا الحقيقة وجدنا الدور الأمريكى لتيسير تحقيق أهداف الدولة الصهيونية سابقا مرحلة هذه الهجرة فقد كان أحد أسبابها المباشرة أن أمريكا جعلت السماح بها شرطا أساسيا قبل الدخول مع الاتحاد السوفيتي فى أى محادثات تتعلق بنزع السلاح أو إنهاء (الصراع الأيديولوجى) بينهما،متسترة بأنها من « حقوق الإنسان » وهو مبدأ لا تحيد عنه أمريكا ولاتتهاون فيه عند إنشاء علاقة لها بغيرها من الدول .

ونقول (متسترة) لأن امريكا لا تزال تقيم علاقاتها مع إسرائيل برغم انتهاكها لحقوق الإنسان العربى فى فلسطين ؛ بل وتمنع توقيع أى عقوبة عليها من المجتمع الدولى بسبب هذه الانتهاكات مستخدمة حق الاعتراض « الفيتو » اكثر من ذلك انها لا تمارس أي ضغط عليها يصدها عن غيها .

وإذا ما انتقلنا إلى الاتحاد السوفيتي الذى خرجت منه الهجرة ، فليس لنا أن نلتمس له شيئاً من العذر بسبب ما تعرض له من ضغوط إسرائيلية وغربية على نحو ما اتبع فى شان « شارانسكي » عام ١٩٨٦ فإن كان ذلك لا ينفى عنه مسئولية المشاركة فيها بشكل ما لأنه يملك من الأسباب هذه المرة ما يكفي لإيقافها وذلك بحكم تاريخه المثبت فهو يعلم قبل غيره أن اليهود الروس ليسوا ممن لحقهم شتات بنى إسرائيل القديم والمعروف ، والأرض التى يقيمون عليها هي أرض آبائهم وأجدادهم الفعلية ، والهجرة منها - ولو إلى إسرائيل - هي الشتات الحقيقي بالنسبة إليهم . فهم من حيث الجنس غير ساميين أو عبرانيين بحال من الأحوال لانتمائهم إلى الجنس القوقازي الذى تنحدر أصوله من جبال الأورال ومن ناحية السلالة ينتمون إلى قبيلة تركية كانت تعرف باسم « الخزر » استطاعت فى القرن السابع الميلادي أن تقيم مملكة لها فى المنطقة الواقعة مابين بحر قزوين والبحر الأسود وكانت عاصمتها « إتل » - عند مصب نهر الفولجا - مركزا تجارياً كبيراً يبيعون فيه أولادهم لذوى اليسر أما ديانتهم فتنحصر فى عبادة عضو الذكورة « فالوس » رمز إله الخصب عندهم - والعياذ بالله .

وعلى أيدي الذين كانوا يفدون إليها من قبل الدولتين : العباسية والبيزنطية ، أعتنق كثير من الخزر الإسلام والمسيحية فخشى أحد ملوكهم واسمه « بولان » أن يضيع ملكه بسبب هذا الوضع فاعتنق الديانة اليهودية باعتبارها ديناً سماوياً من جهة ويبقى فى ذات الوقت متميزاً عن دولة العباسيين والبيزنطيين من جهة أخرى وكان ذلك فى أواخر القرن السابع أو أوائل الثامن على اكثر تقدير .

ثم خلفه ملك آخر اتخذ لنفسه اسماً عبرانياً هو « عبوديا » كان أول من تسمى به ، ويبدو أنه كان يستهدف التهديد الشامل للدولة فأصدر قراراً بألا يتولى من بعده ملك الخزر إلا من يعتنق اليهودية وكان ذلك سبباً فى اعتناق كل أفراد الأسرة الحاكمة لها ثم تبعهم أفراد البلاط ومعظم الشعب فيما بعد ، وحدث أن ظهرت فى « كييف » المدينة الخزرية قبيلة « الرس » التى اعتنقت المسيحية وفرضت سيطرتها على المدينة بالكامل وتحالفت مع بيزنطة لانتزاع « ملك الخزر » إلا

أن الغزو التتري لم يمكنها من ذلك فخضع كلاهما لسيطرته زمناً إلى أن تمكن أمير موسكو من التغلب على التتار وانتزاع « القرم » آخر معاقل « الخزر » وأقام دولة روسيا الكبرى ونصب نفسه قيصراً عليها واعتبرها وريثة بيزنطة التي سقطت في أيدي العباسيين وغاصت مملكة « خزريا » في بطون التاريخ بعد أن دامت قرنين من الزمان وبظهور القوميات في القرن التاسع عشر اتجه القياصرة إلى (ترويس)(١) الأجناس غير الروسية بالقوة عن طريق إجبارها على اعتناق الديانة المسيحية وتعلم اللغة الروسية والالتزام بالعادات وبالزي الروسيين وقد أصابت تلك السياسة الخزر اليهود والتتر المسلمين على السواء وحدثت بسببها اضطهادات ومذابح كثيرة أدت إلى ظهور الحركة الصهيونية متمثلة في جمعيات « أحباء صهيون » التي أخذت في الانتشار بين اليهود الروس وكان من نتيجتها تشجيع الهجرة من الاتحاد السوفيتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الشرقية حيث تركزت فيهما الغالبية العظمى من يهود الخزر وكونوا فيهما جاليات صارت تشكل مايقرب من ٩٠٪ من يهود العالم وتسمى كتبهم هذه الهجرة « بالخروج » على غرار خروج بني إسرائيل من مصر ثم قامت الثورة البلشفية « ١٩١٧ » التي قضت على حكم القياصرة النصارى ، فتغيرت النظرة إلى اليهود الروس إذ اعتبرهم قادتها جزءاً من الشعب غير منفصل عنه وعملوا على إدماجهم فيه ، وبناء على ذلك رفض « لينين » طلب جماعة الاشتراكيين اليهود الاحتفاظ بمنظمة مستقلة داخل الحزب الشيوعي كما امتنع لنفس السبب عن إعطاء الخزر اليهود جمهورية مستقلة مثل غيرهم من القوميات غير أن هذا الوضع لم يستمر طويلا فبعد عشر سنوات من قيام الثورة وقبل إنشاء دولة إسرائيل بعشرين عاما صدر مرسوم عن مجلس الرئاسة في ١٩٢٨/٣/٢٨ بإعطاء اليهود كل أراضي منطقة « بيروبدجان » بهدف تحويلها إلى جمهورية يهودية سوفيتية إذا ما استمرت عملية تعمير المنطقة وتوافر العدد الكافي من السكان بها إلا أنه على الرغم من الأفق الواسع من التطور الزراعي والصناعي الذي كان ينتظر المنطقة لصلاحيتها للزراعة وتوافر المياه فيها بالإضافة إلى وجود المناجم الغنية بالفحم والمنجنيز والجرانيت بها إلى جانب أن مساحتها تزيد قليلا على نصف مساحة انجلترا مما يسمح بالاستيطان الواسع فيها أعرض اليهود عنها وطالبوا بأن تكون جمهوريتهم في « أوكرانيا » أو إحدى جمهوريات آسيا الوسطى ، ولما كان من المستحيل بطبيعة الحال أن تفرغ السلطات السوفيتية « أوكرانيا » من سكانها النصارى أو « القرم » أو « أذربيجان » من السكان المسلمين من أجل الجمهورية اليهودية تغاضت بدورها عن المشروع .

ومن هذا العرض الموجز لتاريخ اليهود الروس يتبين أن الاتحاد السوفيتي كان يكفيه أن يعلن تاريخه ويشهره على الملأ فتخرس أبواق الدعاية الصهيونية ويتوارى خجلا كل من يساندها .

ولذلك كنا ننتظر منه أن يقول لهم ماقاله الكاتب اليهودي الخزري والمجري الأصل البريطاني الجنسية « آرثر كوستيلر » صاحب كتاب « امبراطورية الخزر أو القبيلة الثالثة عشرة » .

←

(١) يقصد جعلها روسية .

الهجرة الخبيثة

قد تكونوا بالفعل أمة واحدة ولكنكم لستم من بنى إسرائيل ولا أرض إسرائيل أرضكم ، إنما انتم امة أخرى نسبكم غير ما تنتسبون إليه وأرضكم غير أرضها .. انتم أمة الخزر التى غبرت فى التاريخ وها هو تاريخها مبسوط امامكم[٢] .

كنا نتوقع منه ان يقول لهم : إن الحق الطبيعى لكم بحكم تهودكم [لايهوديتكم] لايتجاوز ولا ينبغى له أن يتجاوز « الحج » إلى المزارات الدينية فى الأرض المقدسة ـ فلسطين ـ أسوة بأبناء عمومتكم « الآريين » الذين اعتنقوا النصرانية وابناء عمومتكم « الترك » الذين اعتنقوا الإسلام باعتباركم ـ وفقا لسلسلة نسبكم فى العهد القديم « أبناء اشكناز بن جوهر بن يافث بن نوح » الوارد ذكره فى أول الإصحاح العاشر من سفر التكوين ـ وعليه : فإن أى خروج على هذا الحق أو تجاوز له سيلحق الضرر بعرب فلسطين .

وإدراك هذه الحقيقة لم يكن غائباً عن بعض هؤلاء اليهود الاشكناز إذ تجد جماعة منهم تعدادها حوالى اربعين الف يهودى تعيش فى القدس العتيقة من قديم ، وتطلق على نفسها اسم « نيو تورى كارتا » لاتزال حتى الآن ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل ، بل ترى فى الصورة التى قامت بها وبالأساليب التى تتبعها أنها كفر وإساءة فى حق الرب[٣] .

لكل ذلك كنا نتوقع ولتلك الأسباب يوقف الاتحاد السوفيتى استمرار هذه الهجرة التى يعلم انها عداء سافر لعرب فلسطين فهل يستجيب ؟!

وإذا كان لنا أن نضيف شيئاً فهو تحذير العرب المسلمين من خطر استيطان خزرى يستهدف إعادة تمثيل دور أسلافهم من المماليك فى السيطرة على المنطقة من خلال دولة يهودية يكونون هم الجنس الغالب عليها ويمسكون بمقاليد الحكم والإدارة والتجارة والجيش فيها باعتبارهم الصفـوة أو الشعب المختار ـ ويساندهم أقرباؤهم من الخزر الأمريكيين والأوروبيين ماديا وسياسيا وعسكريا وتنظريا وايدلوجيا لتحقيق هذا الهدف ولم تكن أرض الميعاد التى تجمع اليهود من شتاتهم ومحاولة إحياء ملك إسرائيل إلا خدعة وستارا لإخفاء هذا الغرض بدليل رفضهم إحياء مملكتهم فى روسيا التى دامت مدة اطول من تلك التى اقيمت فى فلسطين وكانت الأرض التى منحوها أكبر وأقدر على استيعابهم وباعتبار روسيا الموطن الحقيقى لهم كذلك رفضهم هجرة اليهود الـزنوج الأمريكيين إلى إسرائيل وإعادتهم إلى حيث اتوا من المطار مما يفضح عنصريتهم ويكشف عن استعلائهم ويضاف إلى ما سبق وجود أكثريتهم خارج إسرائيل منذ قيام الدولة حتى الآن .

---

(٢) المماليك الصهاينة ص ٧٥ ـ عبد الرحمن شاكر .

(٣) المماليك الصهاينة (بتصرف) عبد الرحمن شاكر .

المستشرقون والموضوعية

٣

للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الحميد غراب

كان لابد ان تمر عدة عقود من الزمن بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنجد علماء المسلمين يعبرون عن العناصر الجوهرية في الإسلام ، ويوضحون العقيدة الإسلامية ، ويصوغون كلمة الشهادة ، ويعددون الاركان الخمسة للإسلام ، ويضعون ذلك كله في احاديث ينسبونها [كذباً] إلى الرسول[١٧] ـ صلى الله عليه وسلم .

ويصرح المستشرق بهدفه الحقيقي من « دراسة » الحديث فيقول :

« إن كتب الحديث ـ وهى مصدرنا الرئيسى (لجمع) المعلومات عن التطور المبكر لعلم العقيدة الإسلامية ـ قد حفظت (لنا) سلسلة من أقوال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى يجب ان تُعْتَبَر حصيلة لجهد (علمى) في العقيدة قام به جيل الصحابة »[١٨] .

اى أنَّ هذه « الأقوال » (الأحاديث النبوية) ليست من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل من وضع الصحابة ، وهذه الأحاديث الموضوعة هى التى وضحت العقيدة الإسلامية ، ومهدت لصياغة كلمة الشهادة ، وتحديد اركان الإسلام !

وإذن فلاجل ان نفهم « التطور » الذى حدث في العقيدة الإسلامية ينبغى أن نركز على « دراسة » الحديث النبوى !

ولتسهيل هذه « الدراسة » كان لابد من وضع المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى للوصول بسهولة إلى هذه الأحاديث ، واستخدامها في هدم الإسلام من قواعده !

وهكذا يتضح لنا « منهج » المستشرق : إنه الطعن في العقيدة عن طريق الحديث . والنتيجة الحتمية هى الطعن في كليهما !

ولبيان هذا « المنهج » ـ بصورة أدق ـ نورد الأمثلة التالية :

←

(١٧) السابق ص ١٩ .
(١٨) السابق ص ١٩ .

حديث الإسلام والإيمان والإحسان :

وهو الحديث الذى رواه مسلم عن عمر - رضى الله عنه - وفيه يسأل جبريل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام والإيمان والإحسان ؛ فيجيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنّ : الإسلام هو : « أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

والإيمان هو : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

والإحسان هو : « أن تعبدالله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

للمستشرق على هذا الحديث عدة « ملاحظات » أهمها(١٩) :

١ - أن التفرقة بين الإسلام والإيمان تذكر في الحديث لأول مرة في تاريخ العقيدة الإسلامية ؛ لأن القرآن - في زعمه - لا يفرق بين الإسلام والإيمان ، ومن ثم فالحديث لابد أن يكون موضوعاً لتكملة هذا النقص المزعوم في القرآن !

هل يصدر هذا الكلام من رجل يدعى البحث عن الحقيقة ؟

فالحقيقة هى أن في سورة الحجرات (وهى مدنية) آيات تدل دلالة واضحة على أن هناك فرقا بين الإسلام والإيمان ؛ وذلك في قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات ٤٩ : ١٤ - ١٥) .

يقول ابن كثير : « وقد استفيد (من الآيات) أن الإيمان أخص من الإسلام ، ويدل عليه حديث جبريل حين سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ؛ فترقى من الأعم إلى الأخص »(١١٩) .

فالإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة ، والإيمان تصديق القلب بالله ورسوله بلا شك ولا ارتياب ، وهو التصديق الذى تنبثق منه الأعمال الصالحة كالإنفاق والجهاد في سبيل الله ، وقد ورد وصف المؤمنين في القرآن بصفات كثيرة هى في الحقيقة خصائص الإيمان .

٢ - أما الإحسان فيزعم المستشرق أنه عنصر جديد تماماً على الإسلام ؛ وأن مفهوم الإحسان مأخوذ من مصدر مسيحى ؛ لأنه يذكره بنص في العهد الجديد يصف موسى عليه السلام بأنه « بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك ؛ لأنه تشدد كأنه يرى من لا يرى » (رسالة إلى العبرانيين ١١ : ٢٧) .

---

(١٩) السابق ص ٢٣ - ٢٥ .
(١١٩) ابن كثير : مختصر
تحقيق محمد على الصابونى ، دار القرآن ط ثامنة - بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ ٣٦٨/٢ .

ومن الواضح أن المشابهة بين النصين بعيدة ومفتعلة .

وليس صحيحاً أن الإحسان مفهوم جديد على الإسلام ؛ فقد ورد (مع مشتقاته) في آيات عديدة في القرآن الكريم ، ومنها على سبيل المثال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل ١٦ : ٩٠) .

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٢ : ١١٢) .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (النساء ٤ : ١٢٥) .

هذا إلى وصف المحسنين في القرآن بصفات كثيرة تدل على أن الإحسان في الإسلام ذو مدلول واسع ، يشمل كل عمل طيب على درجة عالية من الكمال خالص لوجه الله .

حديث الأعرابي :

يذكر المستشرق حديث الأعرابي الذى قال للرسول صلى الله عليه وسلم : « دلني على عمل يدخلني الجنة ويبعدني من النار » فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة وتصل الرحم » (رواه مسلم في باب الإيمان) .

ثم يذكر المستشرق قصة في العهد الجديد ورد فيها أن حارس السجن سأل القديس بولس وصاحبه سيلا قائلاً : « يا سيدى ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص ؟ » فقالا : « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك » (أعمال الرسل ١٦ : ٣٠ ـ ٣٢) .

ويزعم المستشرق أن بين الحديث الشريف وهذه القصة تشابها واضحاً[٢٠] .

واضحاً لمن ؟ .

للمستشرق طبعاً ؛ لأنه يريد ـ بأى ثمن ـ أن يرد حديثا نبوياً في العقيدة الإسلامية إلى أصول نصرانية .

وإلا فأين التشابه بين من يقول إن النجاة هي في الإيمان ببشر يدعونه ربا وهو المسيح عيسى بن مريم البرىء من ذلك ؛ أى أن النجاة تكون في الشرك بالله تعالى ، وبين من يقول إن النجاة تتحقق بالإيمان بالله وحده ، وعبادته وحده ، وألا يشرك الإنسان بالله شيئا ؟!

وكيف يعقل أن مؤمنا موحداً يمكن أن يفكر في أن يضع حديثاً في التوحيد يستمده من نص يدعو إلى الشرك ؟!

حديث بني الإسلام على خمس :

« شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » (متفق عليه) .

يلاحظ المستشرق على الحديث عدة ملاحظات تدور كلها حول محاولة تبرير زعمه بأن الحديث موضوع في فترة متأخرة بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومن هذه الملاحظات[٢١] :

←

(٢٠) السابق ص ٢٠ .
(٢١) السابق ص ٢٦ ـ ٣٠ .

← المستشرقون والموضوعية

١ ـ أن الحديث يذكر أركان الإسلام بصورة رائعة (أى دقيقة ومركزة وواضحة) .

وهل هذا غريب على من أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم ؟!!

٢ ـ أن الحديث يجمع بين الإيمان والعمل .

وهل هذا غريب على الإسلام ؟ أو على القرآن والسنة ؟

٣ ـ أن الحديث لا يذكر الجهاد . ويستنتج المستشرق من ذلك أن الحديث وضع بعد مرحلة الفتوحات الإسلامية ؛ حين فقد الجهاد أهميته !!

هل معنى هذا أن الحديث وضع بعد فترة طويلة من فتح القسطنطينية (أي بعد القرن التاسع الهجرى مثلا ؟!) الا يعلم المستشرق أن الجهاد قد ذكر في عشرات الآيات والأحاديث ، وأنه فريضة إسلامية ماضية إلى يوم القيامة ؟

إنكار الحقائق الواضحة :

لهذا المستشرق ولغيره من المستشرقين ـ بعد أن يدرسوا الإسلام ـ أن يؤمنوا أو يكفروا به وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٥٦) . وقد اختاروا ـ بعد العلم ـ الكفر على الإيمان ، واستحبوا العمى على الهدى :

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل ٢٧ : ١٤) .

ولكن ليس لهذا المستشرق ولا لغيره أن ينكروا حقائق واضحة كالشمس لا ينكرها إلا مكابر .

ومن هذه الحقائق :

أن العقيدة الإسلامية بكل جوانبها واركانها وادلتها قد تكرر ذكرها في القرآن الكريم بصورة لا مثيل لها في الوضوح والبيان .

وقد تكرر بوجه خاص ذكر التوحيد ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما يترتب على هذا الإيمان من سلوك واعمال صالحة واخلاق وعبادات في آيات لا تكاد تحصى ، ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم : في السور المكية والمدنية على السواء .

ويكفى أن نشير إلى بعض آيات من السور المدنية ؛ لأن الفترة المدنية ـ كما سبق ـ هى التى حظيت باكبر نصيب من هجوم المستشرق (الذكى) ! . يقول الله تعالى :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ٢ : ١٦٣) .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (البقرة ٢٥٥ وآل عمران ٣ : ٢) .

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (النساء ٤ : ١٧١) .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (الحشر ٥٩ ـ ٢٢) .

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥) .

وقد اشتملت الآية الأخيرة على كل أركان العقيدة الإسلامية .

وقد تكرر ذكر هذه الأركان بكل وضوح في قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١٣٦) .

وعرضت العقيدة الإسلامية بكل أركانها وما يترتب عليها من أعمال وعبادات وأخلاق ؛ في أروع وأنبل صورة من البيان المعجز في قوله تعالى :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

تلك هي العقيدة الإسلامية وأركانها وآثارها في آية واحدة من آيات عديدة .

وتلك هي العقيدة الإسلامية التي يزعم المستشرق أن القرآن قد خلا من ذكرها بوضوح !

أما كلمتا الشهادة أفلا يعلم المستشرق :

أنهما تذكران في التشهد في كل صلاة ؟ وأن المسلمين كانوا يصلون قبل الهجرة وبعدها ؟

وأنهما تذكران في الأذان الذي شرع منذ السنة الأولى للهجرة ؟

وأنهما ينطق بهما كل من دخل في دين الله منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ؟

ليبريا والإسلام



للأستاذ / محمد المتناوى

الثروة الزراعية :

وهب الله هذه البلاد ، ارضا زراعية خصبة قوية ؛ كما انعم عليها بمياه غزيرة . ففيها الأنهار ، والبحيرات العذبة وموسم الأمطار فيها طويل شديد يبدأ من شهر يونية ثم يصل إلى اوج اشده حتى نهاية سبتمبر .

ثم يقل تدريجيا . فجميع شهور السنة لا تحرم من الأمطار فى ايام غير تلك التى تنالها فى الموسم المطير .

وأما المياه الجوفية فهى قريبة جداً من سطح الأرض ، ومما يؤسف له ـ عن أسى صادق ـ أن هذه النعمة الثرة غير مستغلة ، فكمية الزراعة تكاد لا تذكر ، سوى بعض شىء منها تملك ارضه اليد الأجنبية .

ومحصولات البلاد الهامة هى :

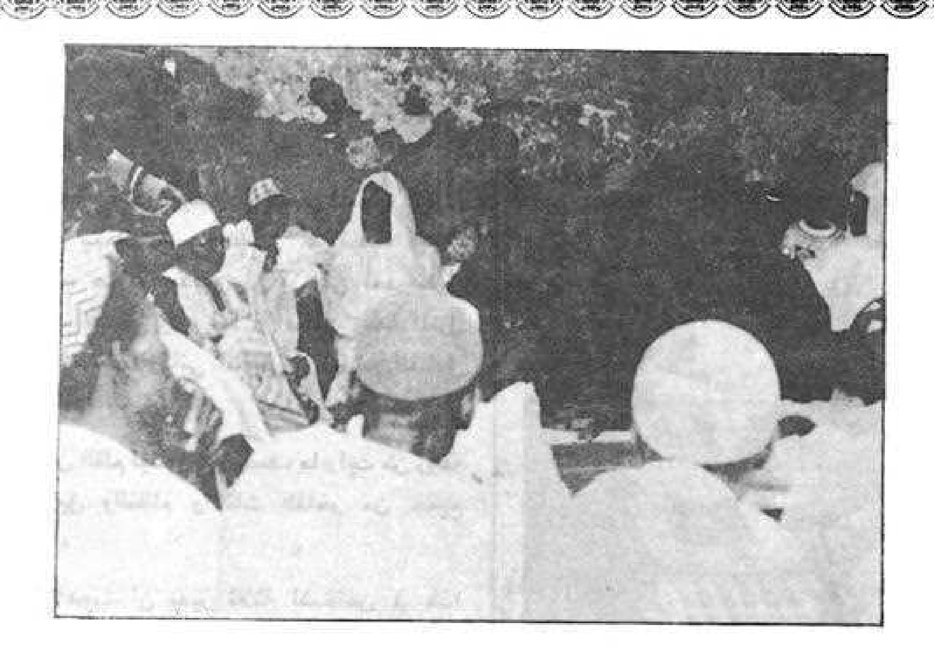
المطاط :

وهو من المحاصيل الهامة فى البلاد ، حيث تجود زراعته فيها .

وتكثر زراعة المطاط ، فى طول البلاد وعرضها ، وينتج منه كميات كبيرة ، ومزارعه كغيرها مملوكة لأيد اجنبية . واهل البلاد أجراء لديهم ، وطبيعى أن تملك هذه الأيدى المصانع التى تعد الخام وتجعله جاهزاً للتصدير خامة جاهزة للتشكيل فى مصانع الغرب .

وقد سنحت لى الظروف لزيارة إحدى هذه المزارع وتسمى (كولوبا) وإليك وصفا موجزاً لهذه المزرعة وما يجرى فيها :

اقيمت هذه المزرعة على مساحة شاسعة من الأرض ، ولكى تتصور كبر هذه المساحة ، يجب أن تعرف أن هذه المزرعة ، مقام فيها ، أربع مستعمرات (قرى) وكل قرية فيها ، مدرسة ومستشفى ، وسكان القرى الأربع هم عمال المزرعة ، العاملون فيها ، يقومون بتنظيف وقطع الحشائش النابتة بين الأشجار وقطع الأشجار النابتة من تساقط بذور أشجار المطاط ، حيث إن الأشجار المنتجة اقتصاديا لها (شتلات) خاصة كما أن الشجرة الواحدة مكونة من شتلتين ، يؤخذ من احداها الساق ومن الثانية الجذر ، ثم



تؤبر الأولى بالثانية وتغرس ، وذلك كله بطريقة علمية مدروسة محسوبة .

وتبدأ الشجرة فى الإنتاج بعد خمس سنوات من غرسها تقريباً وتستمر فى الإنتاج لمدة تصل إلى ثلاث وعشرين سنة فى الغالب ثم تقطع وتستعمل أخشابا .

وكيفية الإنتاج تكون :

بجرح الشجرة جرحا حلزونيا من أعلى إلى اسفل بسكين خاص فيكون هذا الجرح مجرى لما تفرزه الشجرة من مادة لزجة بيضاء ، مثل اللبن ، فتسير فى هذا الجرح لتصب فى إناء صغير مثبت أسفل الجرح من الشجرة ، ثم يقوم العمال بجمع هذا المستحلب من الآنية فى (دلاء) ثم يصبونها فى خزانات ضخمة موزعة فى جميع انحاء المزرعة . ثم يحمل هذا السائل على عربات نقل ضخمة إلى المصنع المقام بوسط المزرعة، بين الأربع قرى .

وهناك يقوم المصنع بمعالجة هذا السائل بغسله بالماء ثم بالمواد الحمضية ، ليتماسك ويعد على شكل مستطيلات كبيرة ثم يعبأ على شكل مربعات ضخمة جاهزة للتشكيل والاستعمالات الأخرى .

ملاحظـــة :

هذه المزرعة ـ التى قدمت وصفها ـ بحجمها الضخم يديرها ثلاثة فقط (انجليزيان وهندى مسلم ، وهو الذى كنت فى ضيافته أثناء الزيارة) .

أما ملكية هذه المزرعة فهى تخص رجلاً واحداً يهوديا امريكيا كما علمت من أخى الصديق الهندى .

ومنزل هذا الصديق ـ حفظه الله تعالى عليه ـ ذو نظام بديع ، وتجهيزات حضارية ممتازة

←

ليبريا والاسلام

كهربائية وغيرها اقيمت على احدث تصميم فى هذا العصر يجعلك تنسى انك فى افريقيا .

ولقد صمم صديقى أن يزيرنى احد منزلى زميليه الانجليزيين ، فما أن دخلت ردهة المنزل حتى وجدتنى وكأنى انتقلت إلى أفخم الفنادق العالمية الممتازة .

وإن القلم ليعجز عن وصف ما رايت من روعة التنسيق والنظام والأثاث الفاخر من جميع الوجوه .

فلاعجب أن يدير ثلاثة أشخاص فى هذا المستوى الفريد للظروف المعيشية .

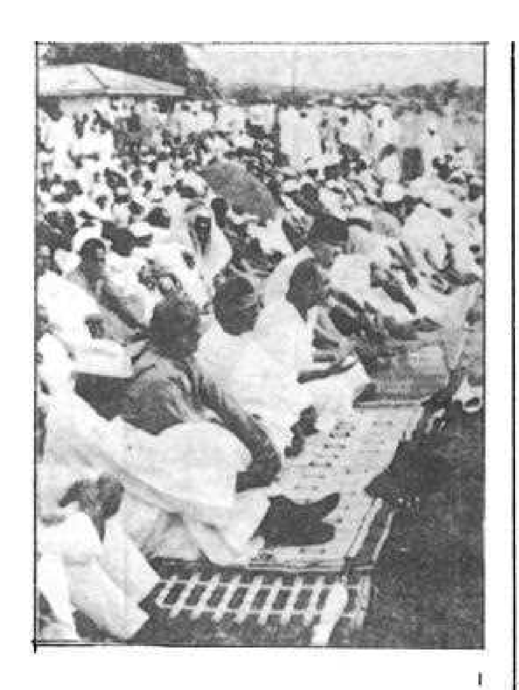
كذلك يوجد نادٍ رياضي بالمزرعة ، ملعب تنس ، وحمام سباحة لأعضاء تلك الأسر الثلاث .

البـــن

مناخ البلاد وتربة أرضها ، يصلحان لإنتاج أحسن أنواع البن وهذا المحصول يجمع بكميات صغيرة لعدم الاهتمام بزراعته ويصب هذا المحصول فى العاصمة حيث تجار الجملة فيصدر إلى البرازيل وغيرها من دول العالم المتحضر ، يعود إلى سكان البلاد فى صور علب (نسكافيه) للاستعمال ، وناهيك بالفرق بين السعرين .

الكاكـاو :

الكاكاو مما تجود زراعته ايضاً فى هذه البلاد ، لكن غالبية أشجاره تنبت طبيعية ربانية فيجمع الكاكاو ويصدر ثم يعود مرة ثانية معلبا للاستعمال بأثمان لا تتناسب مع الثمن الذى صدرت به .



الكـــولا :

الكولا نبات مر المذاق فى حجم حبة المشمش دون القشرة الخارجية وإذا عرض للهواء مدة من الزمن يجف ويصير صلبا ، ويستعمله الأهالى كنوع من (المكيفات) .

وللكولا عند المواطنين منـزلة خـاصة ، والمسلمون يتخذونها رمزاً من رموز مراسم الزواج . حيث يقدم العريس لوالد العروس كمية من الكولا ، أمام الناس ، فإذا قبلها كان هذا دليلاً على قبول طلبه ، بعكس ما إذا رفضها فلا تتم مراسم الزواج .

أما الهدف الاقتصادى لهذا النبات ، فيأتى فى التصدير ، حيث يصدر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ليستخرج منها مادة صبغة الكولا ، المستعملة فى المياه الغازية ، مثل (الكوكاكولا) والبيبسى كولا وغيرها .

أسرة يهودية ـ واحدة ـ بالولايات المتحدة الأمريكية تحتفظ لنفسها بسر استخراج هذه المادة وهى المصدرة لها فى العالم .

الأخشــاب :

تمتلىء ليبيريا بالغابات ، بل يمكن القول بأنها غابة كبيرة متشابكة ، فهى ممتلئة بجميع أنواع الأشجار الخشبية الضخمة الممتازة .

وتقوم شركات أجنبية إيطالية وغيرها بالإضافة إلى بعض أعضاء الجاليات الأجنبية ، بقطع هذه الأشجار ، وتجهيزها للصناعات الخشبية المتعددة ، بعد معالجتها بالمواد الكيماوية ، عن طريق التبخير ، لحفظها من أمراض الأخشاب ويحتفظ بجزء يسير من هذه الأخشاب للحاجة .

المــزارع :

يوجد على الطريق الرئيسى الذى يشق البلاد من العاصمة إلى الحدود الغينية ماراً بمحافظة (نمبا) وبالتحديد بين العاصمة ومدينة (ككتا) مزرعتان إحداهما صينية ، والأخرى فلبينية .

وتنتج هاتان المزرعتان ، الدجاج الأبيض ، والبيض وبعض الخضروات ، ويباع هذا الإنتاج فى الغالب إلى الجاليات الأجنبية .

أما الأهالى فيزرعون بعض المناطق الصغيرة على مياه الأمطار مثل الأرز و(الكسافا) وغيرهما ، ولعدم العناية ولعدم الخبرة فالإنتاج لا يساوى مجهود الحصاد .

والأهالى يعتمدون على الأرز المستورد فى الغذاء ، ويقومون بزراعة نبات الكولا . ومعظم الأشجار تنبت ربانيا دون سابق غرس من الأهالى ، وكذلك أشجار البن والموز والبرتقال والمانجو والبوبو ـ وهو نبات محبوب لديهم ثمرته أشبه بحبة الكمثرى لكنها ضخمة عنها ، وشجره مرتفع نسبيا ، وأوراقه مثل أوراق الخروع .

أما الخضروات التى يعدونها طبخا فهى أوراق (البطاطا) التى تنبت ربانيا مع مياه المطر ، وورق شجر (الكسافا) ، وهى أشجار عشبية طويلة نسبيا لها جذور درنية طويلة ، وإلى جانب طبخها ، يعدونها كنوع من الدقيق .

وقد أمكن ـ كتجربة شخصية لمصرى ـ أن أقوم بزراعة معظم نبات البقول مثل الفاصوليا ، واللوبيا ، والفول ، وقد أتت بمحصول وفير فى وقت وجيز . كما زرعت من الخضروات ، الخيار ، والقثاء والجرجير والفجل ، والكسبرة ، والنعناع ، والبقدونس ، واليقطين والحلبة .

وقد أتت بمحصولها على الوجه الأكمل وكانت التجربة هذه فى المساحة الموجودة حول المنزل الذى أقطنه .

الزيــوت :

يعتمد الأهالى ـ فى الغالب ـ على زيت النخيل الأحمر ، وهذا النخيل يشبه نخيل الزينة الموجود بالحدائق العامة فى مصر ، وله ثمرة جافة تشبه نبات (جوز الهند) لكن فى حجم حبة الزيتون تقريباً .

ويكفيك دليلاً على قوة الخصوبة فى هذه الأرض مع عدم احتياجها للماء أن الحكومة تلزم المواطنين بقطع الحشائش التى تنبت بوفرة وقوة

ليبريا والاسلام

فى الطرقات أمام منازلهم ، وإلا سدت الطرق وغطت المنازل .

الثروة الحيوانية : الماشية :

مع وجود هذه المراعى الطبيعية الشاسعة ، والتى لا تكلف مالا ولا جهدا لا نجد تخطيطا يعنى بتربية المواشى ، أو اهتماما مناسبا بها ، اللهم إلا ما نجده من بعض الماعز تراها هنا وهناك ، والأكثرية الساحقة من اهل البلاد ولا أقول جميعهم احتياطا لكلمة العلم ـ لا تعرف اللبن الطبيعى ، وعلى مدى سنوات أربع ـ عشتها بهذه البلاد ـ لم أحظ بكوب لبن واحد .

وكنا نعتمد ـ فى وجبة اللحوم ـ على البقر العجوز المجلوب من (مالى) فنادراً ما يذبح الأهالى الماعز .

ويأكل غير المسلمين ـ من أهل البلاد ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ كل حيوانات الغابة بلا استثناء .

الدواجـــن :

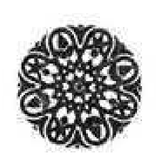
بالإضافة إلى المزرعتين سالفتى الذكر ، تقوم بعض النسوة بتربية شىء من الدجاج والبط ، ولما كانت الدواجن ـ فى هذه البلاد ـ تبيض ، وترقد ـ تلقائيا ـ على بيضها ، خلا السوق إلا من بيض المزرعتين : الصينية والفلبينية .

التجـــارة :

تتركز التجارة الهامة ـ بالبلاد ـ بأيدى الجاليات الأجنبية داخل الدولة وخـارجها فالتصدير ، والاستيراد ، والمحال التجاريـة المنتشرة بها .. كل ذلك بأيدى هذه الجاليات ، وأهمها : الجالية الصينية ، والهندية ، والفلبينية وتعتبر الجالية اللبنانية فى مقدمة الجاليات التى تزاول التجارة بشتى شرايين هذه البلاد .

ولهذه الجالية نشاط فعال فى الصناعات المحلية كالصابون والمشروبات الغازية وغيرها ، والإسفنج الصناعى ..

يتبع



سيد سليمان الندوى

من أعلام الفكر الإسلامى في شبه القارة

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت عبد الجليل

العلامة المرحوم سيد سليمان الندوى الذى نتحدث عنه اليوم ونؤرخ لحياته أمام القارىء المسلم هو علم من أعلام الفكر الإسلامى الحديث في شبه القارة الهندية الباكستانية، الذين حاولوا إبراز مفاخر الإسلام ومآثره، وذادوا عن حياضه وسط خضم من التيارات الفكرية المتلاحقة في عصره، والتى كانت تستهدف النيل من الإسلام كدين سماوى، ختمت به الأديان، وشريعة إلهية صالحة لكل زمان ومكان، متممة لجميع ما سبقها من شرائع. فلقد أدرك العلامة الندوى أن السهام المسمومة المصوبة إلى العرب، ليس المقصود بها غير طعن الإسلام عن طريق آخر، فقام يرد على الحاقدين مزاعمهم، ويوضح بالحجة والبرهان فضل العرب على التمدن الإنسانى وعلى الحضارة البشرية.

● نشأ العلامة الندوى في أسرة عريقة مشهورة من أسر السادات، فيتصل نسبه من جهة أبيه إلى «الإمام موسى الرضا»، ومن جهة أمه إلى «الإمام زيد». وفى كتاب - تذكرة سليمان - باللغة الأردية لمؤلفه غلام محمد أنه سمع من العلامة الندوى نفسه، أن أجداده كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية قبل مائتى عام من ولادته حتى وصلوا إلى سواحل السند، وأخيرا استقر بهم المقام في ولاية بيهار، وتذكر بعض الكتب روايات أخرى لا نرى داعيا لذكرها.

● وقد ولد المرحوم سيد سليمان الندوى في قرية تدعى - دسنة - من أعمال محافظة - بتنة - التى اشتهرت بإنجاب كثير من العلماء والأطباء والمفكرين وكانت ولادته يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٠٢ هـ الموافق

←

● الكاتب عضو الشئون الفنية بمكتب الإمام الأكبر.

سيد سليمان الندوى

الثانى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٨٨٤ م فسماه جده ـ أنيس الحسن ـ وكانت الكنية شائعة بين أفراد أسرته ، فأخوه « ابو حبيب » وأحد أعمامه ـ « ابو تراب وآخر « ابو يوسف » فكنى هو ـ « أبو نجيب » ـ فمن أين جاءت التسمية بسليمان حتى غلبت ، واشتهرت ، وطغت على الاسم الحقيقى والكنية ؟

هناك رأيان حول ذلك :

أحدهما أن عمه ابا تراب كان قد سافر إلى دلهى وتأثر بحركة السيد احمد خان ، فأطلق على ابن أخيه اسم سليمان لكى يدعوه الناس بعد عودته من أوروبا إذا شاء الله له أن يسافر إليها أيام الاحتلال الانجليزى للهند كعادة ابنائها فى تلك الفترة بمستر سلومن .

أما الرأى الآخر فإن هذه التسمية اطلقت عليه تيمنا باسم الملاح العربى الشهير سليمان التاجر ، الذى كان قد وصل إلى البنغال ، وانتشر اسمه على كل لسان ولاشك أن هذا الرأى هو أولى بالقبول ، لأن أسرة العلامة الندوى كانت معروفة بالتقوى ، مشهورة بالعلم والحكمة ، فوالده من كبار الأطباء الحاذقين وجده « مولوى محمد بشير » من الصوفيين وله مؤلف فى الطريقة السهروردية ومثل هذه الأسر لا يمكن ان تفكر فى إطلاق اسم « مستر سلومن » على أحد ابنائها .

● وكان قد ولد خمسة من الأعلام فى الفترة من سنة ١٨٥٧ إلى ١٨٨٩ يحملون اسم سليمان ، بعضهم لمع نجمه صغيرا ، وبعضهم اشتهر كبيرا ، وكان أكبرهم سنا العالم الواعظ الصوفى ـ « شاه سليمان بهلوا وردى » ـ وأصغرهم سنا « سيد سليمان الندوى » وبين هذا وذاك القاضى « سليمان منصور بورى » مصنف كتاب « رحمة للعالمين » الذى يقع فى ثلاثة مجلدات كبيرة ، وهو أحد الكتب البارزة فى اللغة الأردية التى خدمت السيرة النبوية الشريفة بين مسلمى شبه القارة وخارجها ، والرابع « مولوى سليمان اشرف بيهارى » الذى شغل منصب رئيس قسم المعارف الإسلامية بجامعة عليكرة الإسلامية والخامس هو « سرشاه سليمان » الذى صار مديرا لهذه الجامعة .

● وكان إذا ذكر اسم سليمان ربما تطرق إلى ذهن السامع أى واحد من هؤلاء ولذلك اضاف إلى اسمه عند التوقيع على مقالاته التى كانت تنشرها مجلة معارف الديسنوى ـ نسبة إلى قريته ، وشاء الله الا يكتب لذلك الذيوع والانتشار ومن ثم بدأ يوقع سليمان الندوى انتسابا إلى مدرسة ندوة العلماء فى « لكناو » اسم المعهد الذى تخرج فيه ، وشاءت إرادة الحكيم العلم ، أن يتلقى الناس ذلك بالقبول ، فشاع ، وذاع ، وملأ الأسماع والبقاع ، وصار اسم سيد سليمان الندوى ، إذا ذكر ، أو قيل ، العلامة الندوى ، أو مولانا الندوى انصرف الذهن حالا إليه على نحو « الغزالى » ، و« مولانا روم » . إذ يتجه النظر فى الأول إلى « الإمام أبى حامد الغزالى » وفى الثانى إلى « جلال الدين الرومى » .

● وقد تلقى العلامة الندوى تعليمه الابتدائى بقريته ، وبعد أن قرأ كتب المرحلة الابتدائية فى اللغتين : الأردية والفارسية ، كعادة أهل الهند فى ذلك الوقت ، انضم إلى حلقة أخيه أبى حبيب ، فتعلم على يديه اللغة العربية وبعد ذلك انتقل إلى مقر والده فى بلدة « إسلام بور » والتحق بزاوية مجيبى ، ومكث بها عاما ، يدرس اللغة العربية ، وبعض مبادىء علم المنطق ، وفى عام ١٩٠١

التحق بمدرسة « دار العلوم ندوة العلماء فى لكناو » وهى إحدى أشهر المدارس العربية الإسلامية فى شبه القارة ، وظل بها سبع سنوات أكمل فيها تعليمه ، حتى حصل على شهادة التفرغ .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا ، أن ندوة العلماء تأسست سنة ١٨٩٣ م وأقيم بناء دار العلوم التابعة لها بعد ذلك بخمس سنوات ، وكانت فكرة إنشائها قد برزت بناء على ما وصل إليه الأمر بين « جامعة عليكرة » و« مدرسة ديوبند » من اختلافات فى المنهج والتفكير أثرت فى حياة المسلمين واتجاهاتهم .

● ولما أتم العلامة الندوى دراسته فى الندوة سنة ١٩٠٧ م أراد والده أن يتوجه لدراسة الطب العربى مهنة أسرته المتوارثة ولكنه لم يرق له ذلك ، وكان أستاذه العلامة المرحوم « شبلى النعمانى » يرى ضرورة توجيهه إلى التحقيقات العلمية لما لمسه فيه من استعدادات علمية واسعة فكتب إلى والده لكى يتركه إلى ما يريد واستجاب والده لرغبة أستاذه .

● وقد امتازت الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩٢٩ بكثير من الوان نشاط العلامة الندوى العلمى والأدبى والسياسى وتقلد عدة مناصب ، وفى عام ١٩١٠ ، انضم إلى شعبة تدوين وترتيب ، سيرة النبى ﷺ - التى قد انشأها أستاذه « شبلى النعمانى » رحمه الله وفى عام ١٩١٣ أشار عليه أستاذه بقبول العمل فى كلية « بونا » الملحقة بجامعة « بومباى » ومنذ ذلك التاريخ بدأت الأوساط العلمية والمحافل الدينية تطلبه للاشتراك فيها واشتهر بين صفوف العلماء البارزين .

● وللعلامة الندوى مؤلفات كثيرة أذكر منها أهمها .

١ - خطبات ميدراس - وهى مجموعة المحاضرات الثمانى التى ألقاها فى « مدينة ميدراس » بجنوب الهند وهى مطبوعة فى كتاب بهذا الاسم وتعتبر ذات قيمة علمية كبيرة .

٢ - سيرة عائشة - وتناول فى هذا الكتاب حياة السيدة عائشة - رضى الله عنها - بالتفصيل وتحدث عن دورها العلمى والدينى والاجتماعى والسياسى وناقش فيه ادعاءات بعض الفرق بالنسبة لواقعتى الجمل وصفين .

٣ - ارض القرآن - وهو كتاب فى جزءين تناول فى الجزء الأول تاريخ العرب وجغرافيتهم قديما وحالتهم . وفى الجزء الثانى كتب عن أقوام العرب وقبائلهم وحقق تلك الأحوال جميعها على ضوء القرآن الكريم وتاريخ العرب القديم ويعتبر هذا الكتاب من أجود المؤلفات العلمية وهناك مشروع لترجمته إلى اللغة العربية .

٤ - علاقات العرب بالهند .

٥ - الملاحة العربية والاكتشافات البحرية .

٦ - سيرة النبى ﷺ وهذا الكتاب يقع فى ستة أجزاء مطبوعة وقد بدأ كتابته أستاذه شبلى وأتم فيه الجزء الأول والثانى وتوفى وكان قد أوصى تلميذه الوفى العلامة سيد سليمان الندوى بإكمال كتاب سيرة النبى ﷺ فكتب منه خمسة أجزاء طبع منها أربعة وبقى جزء لم يطبع إلى الآن ، ويعتبر هذا الكتاب من أشهر الكتب فى عالم السيرة فى شبه القارة .

وخير ما أختتم به هذا الموضوع ماكتبه المرحوم مسعود الندوى فى شأنه إذ يقول : « والفضل فى سبيل نشر معارف السنة النبوية ، والدفاع عن حظيرة الدين الحق ، يرجع إلى عالم

سيد سليمان الندوى

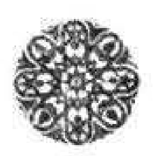
الهند وعالمها الأكبر الأستاذ المحقق السيد سليمان الندوى صاحب مجلة معارف ـ الشهيرة بالهند ورئيس جمعية دار المصنفين والمشرف على دار العلوم التابعة لندوة العلماء فى لكناو ـ فمما لا يختلف فيه اثنان أن السيد سليمان الندوى إمام الدفاع الإسلامى وبطله المغوار بلا مراء، فإن لمؤلفاته العلمية المستفيضة من عيون الكتاب والسنة تأثير بالغ فى تكوين عقائد المسلمين وتقويم أفكارهم .....

كان رحمه الله الركن الذى يأوى إليه العلماء إذا استعصى عليهم أمر، ويستندون إليه فى حل مشكلاتهم، وفك معضلاتهم، وهو الذى جاهد فى سبيل العودة إلى حظيرة الإسلام النقى الخالى من الزيف، ومما شابه من أفكار خاطئة ولحقه من أوهام أهل الشرك والوثنية.

لقد كتب للمسلمين فى شبه القارة يعرفهم بدينهم من خلال الكلمة الأردية.

ولقد ترجمت مؤلفاته إلى لغات عدة وخاصة كتابه سيرة النبى ﷺ الذى ترجم إلى الفارسية والتركية والانجليزية والبنغالية وهناك مشروع فى إحدى الدول العربية لترجمة السيرة إلى اللغة العربية، وكان لكاتب هذه السطور شرف ترجمة الجزء الخامس منه إلى اللغة العربية وهو يتناول العبادات فى الإسلام.

وقد زار العلامة الندوى مصر وقابل بعض علماء الأزهر آنذاك فى بورسعيد وكانت وفاته فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ م بعد أن كان قد هاجر إلى باكستان بعد تقسيم الهند ودفن بمدينة كراتشى وقبره بجوار مبنى الجامعة الإسلامية بها رحم الله العلامة سيد سليمان الندوى وجزاه خير الجزاء على ماقام به من خدمة للثقافة الإسلامية.



فتح جزيرة قبرص

أول عملية إبرار بحرى في تاريخ المسلمين (٢)

(عام ٢٨ - ٣٣ هـ)

لواء . أ . ح محمد جمال الدين محفوظ

• كان الأسطول البيزنطى مصدر تهديد مباشر للفتح الإسلامى للشام ومصر فوجد المسلمون ان من الضرورات الاستراتيجية الحيوية إنشاء اسطول إسلامى والسيطرة على الجزر ذات الموقع الحاكم في البحر الأبيض المتوسط وخاصة الجانب الشرقى منه ، وقد افتتح الأسطول الإسلامى الناشىء نشاطه البحرى بغزو جزيرة قبرص عام ٢٨ هـ • .

■ **الحملة الثانية على قبرص :**

● اضطلع الأسطول بعد إغارته الأولى بمراقبة جزيرة قبرص ، ليتأكد من صدق أهلها في الوفاء بالتزاماتهم ، وليحول دون الروم وبين اتخاذها قاعدة لهم . لكنه في سنة ٣٢ هـ • ٦٥٣ م • أخل أهل قبرص فعلاً بشروط الصلح ، وامدوا الروم بسفن ساعدتهم على مهاجمة الشواطىء الإسلامية بالشام ، فصمم معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - على استخدام أسطوله مرة أخرى ليحرم الروم نهائياً من استغلال الجزيرة وأهلها .

● ففى عام ٣٣ هـ • ٦٥٤ م • خرج الأسطول الإسلامى لإعادة فتح قبرص ، وكان يتألف من خمسمائة سفينة وعدد كبير من الجند ، واستطاع الأسطول الاستيلاء على الجزيرة عنوة برغم المقاومة التى لاقاها ، ولقن أعداء المسلمين أول درس قاس جزاء إخلالهم بالشروط والمعاهدات .

● وصارت قبرص منذ ذلك الوقت قاعدة دائمة للأسطول الإسلامى في البحر الأبيض المتوسط ، إذ حرص معاوية على وضع حامية من القوات النظامية قوامها اثنا عشر الف رجل للدفاع عن الجزيرة وحماية ظهر الأسطول الإسلامى بها ثم اتبع معاوية هذه الخطوة بنقل جماعة من أهل بعلبك إلى قبرص ، واغراهم على البقاء بها بمنحهم الرواتب حتى يقلل من أخطار الروم في مهاجمة الأسطول الإسلامى فيها ، كما اقام في

←

جـ . فتح جزيرة قبرص

الجزيرة مسجداً ليقيم فيه المسلمون شعائرهم .

● ويعزى تشدد معاوية فى معاملة أهالى قبرص بعد هذه الحملة الثانية إلى رغبته فى وضع حد نهائى لتقلب أهوائهم ، ومنع تكرار مساعداتهم لأسطول الروم ، وكان موقف أهل قبرص من نشاط المسلمين البحرى مثار جدل وتشعب فى الآراء بين قادة المسلمين ولاسيما نقضهم لشروط الصلح ، فقال أحدهم فى مناقشاته : « ما وفى لنا أهل قبرص قط » وأشار آخر بانزال أشد العقوبات بهم مستشهداً ببعض السوابق على عهد الرسول ﷺ قائلاً : « إنه من نقض عهداً فلا ذمة له » .

فوجد معاوية فى احتلال قبرص سبيلاً لتدعيم الأسطول الإسلامى ، وتجنيب أهل قبرص الضغط الشديد الذى تعرضوا له من قبل الروم ، وساعد معاوية على تنفيذ تلك السياسة الرحيمة ، ماقاله نفر آخر من رجالات المسلمين إن « أهل قبرص أذلاء مقهورون ، يغلبهم الروم على انفسهم ونسائهم ، فقد يحق علينا أن نمنعهم ونحميهم »(١) .

الدروس المستفادة

ولابد أن نستخلص من هذه الحقائق التاريخية الدروس التى ينبغى أن يتدبرها المسلمون ويسترشدوا بها فى سعيهم نحو النهضة الحضارية المنشودة ، فالله تعالى يقول : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَاأُوْلِي الْأَبْصَارِ ﴾ الحشر ـ ٢ ـ

أولاً : التطور وبناء القوة الذاتية :

● لقد أدرك المسلمون بعد عصر النبوة أن افتقارهم إلى القوة البحرية يضعف سلطانهم على السواحل الإسلامية أمام قوة بيزنطة البحرية ، ويعيق حركتهم لنشر الدعوة ، وكانت تواجههم فى سبيل تصحيح هذا الوضع تحديات جسام :

١ ـ فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر ، فضلاً عن القتال فيه .

٢ ـ وعدوهم الرئيسى « قوة عالمية عظمى » لديها قوة بحرية مهيبة منحتها السيادة فى البحر الأبيض المتوسط حتى أصبح يسمى « بالبحيرة الرومانية » أو « البحر الرومى » كما يقول ابن خلدون(٢) .

٣ ـ وعنصر الزمن « ليس فى صالحهم » ، فهم « فى حالة حرب » مع هذا العدو ، يفتحون من الأراضى التى تحت يده أغلاها وأغناها ، فهو لابد أن يسعى بكل ما أوتى من قوة نحو استرداد تلك الأراضى من ناحية ، ومنعهم من بناء قوتهم البحرية من ناحية أخرى ..

● أمام هذه التحديات الجسام لم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى . بل « اقتحموا » مجال الحرب البحرية وبناء الأساطيل ، مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية :

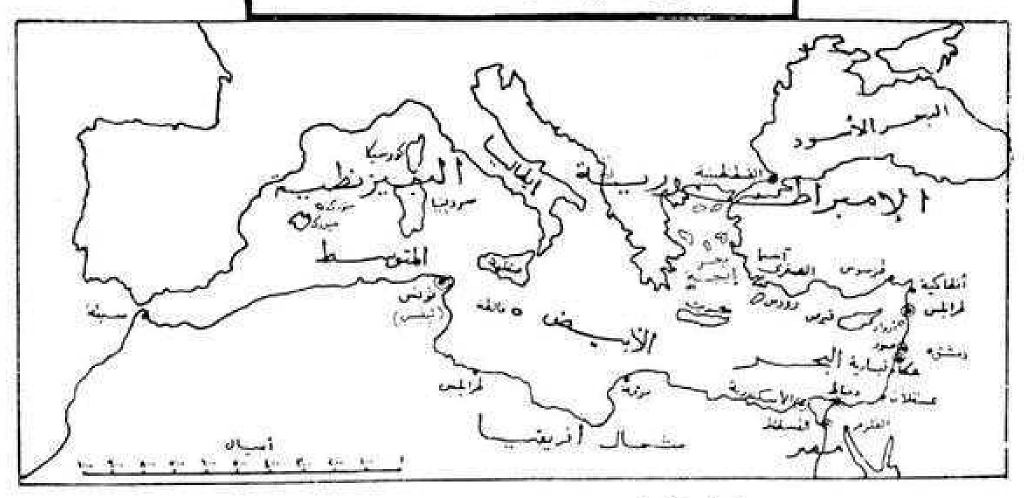
١ ـ فقد رأوا ـ دون انتظار لنص موجه ـ أن كتابهم لا يعلو فى عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج .

---

(١) ابراهيم احمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامى جـ ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١٩ .

القواعد البحرية ودور الصناعة الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن الأول الهجرى



٢ ـ وعملوا بأمر ربهم ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ « الأنفال ٦٠ » وفهموا مغزى هذا الأمر وعملوا بمقتضاه وهو ألا يدع المسلمون الفرصة لعدوهم لكى يتفوق عليهم فى القوة ، وإلا أصبحت قوتهم « مفرغة » من قوة الردع التى توقع الرهبة فى قلوب أعدائهم ، فيتعرضون للهلاك .

٣ ـ وأدركوا أيضاً أن مقتضى هذا الأمر أن يتطوروا فى بناء قوتهم وفى تركيبها وتسليحها وأساليب استخدامها لكى تناسب روح العصر الذى تعيش فيه الظروف والأحوال الاستراتيجية التى تحيط بها .

■ **ثانياً : أهمية ترك حامية إسلامية فى الجزيرة بعد فتحها :**

● لقد كان على المسلمين أن يتركوا حامية فى الجزيرة بعد فتحها فى الحملة الأولى عام ٢٨ هـ لتأمينها والسيطرة على حركات أهلها لضمان استمرارهم فى الالتزام بشروط الصلح ، وكان على المسلمين أيضاً أن يستفيدوا من دروس فتوح الشام وكيف أن موانى الساحل كانت تستعصى على الفتح أو تتحمل الحصار الطويل بسبب اتصالها البحرى مع البيزنطيين والذى مكن مدنا كثيرة من أن تنشق بعد فتحها بمعونة الأسطول البيزنطى مثل صيدا وجبيل وعرقة .

● وقد رأينا كيف أدى ترك الجزيرة بلا حامية إلى إخلال أهلها بشروط الصلح الأمر الذى اضطر المسلمون معه إلى إعادة فتحها مع ترك حامية ـ تلك المرة ـ فيها مما أدى إلى تثبيت أقدامهم وتدعيم الفتح .

■ **ثالثاً : تحييد قبرص وتأمين السواحل الإسلامية ضد تهديد الأسطول البيزنطى :**

● وذلك نتيجة لالتزام أهالى قبرص بالوقوف على الحياد التام فى النزاع بين المسلمين والروم على ←

← فتح جزيرة قبرص

سيادة البحر المتوسط ، ذلك أن المسلمين لم يلزموهم بتقديم اية مساعدة للأسطول الإسلامى عند إغارته على أرض الروم « فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ، ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينتصروا عليهم »(٣) .

● كما أنه بعد إعادة فتحها وتثبيت أقدام المسلمين فيها يكون قد تحقق الهدف الذى كان وراء قرار فتح قبرص أصلاً وهو تأمين السواحل الإسلامية فى الشام ومصر ضد تهديد الأسطول البيزنطى .

■ رابعاً : أول قاعدة دائمة للأسطول الإسلامى فى البحر الأبيض :

● وبفتح قبرص صارت هذه الجزيرة أول قاعدة دائمة للأسطول الإسلامى فى البحر الأبيض المتوسط ، وصارت تلك القاعدة تنطلق منها السفن الإسلامية لصد سفن الروم قبل أن تغير على شواطىء الشام ومصر ، وتجنب الحاميات المقيمة على تلك الشواطىء أخطار الهجمات المفاجئة .

● وقد أكسبت حملة قبرص المسلمين تجارب بحرية واسعة وجعلتهم يتطلعون إلى سائر الجزر الأخرى القريبة من شواطئهم ، فقد عرج الأسطول الإسلامى الذى أعاد فتح قبرص « عام ٣٣ هـ » عند عودته بقيادة « أبى الأعور » و« جنادة ابن أبى أمية » أواخر عام ٣٤ هـ وأوائل ٣٥ هـ « ٦٥٤ م » على جزر « خيوس » و« كريت » أو « اقريطش أو كريد » التى أراد معاوية بن أبى سفيان بغزوها اغلاق بحر إيجه تماماً فى وجه الروم ليمنعهم بذلك من الوصول لبلاد المسلمين ، كما هاجموا صقلية ورودس Rhoodes التى كان الاستيلاء عليها لو تم يمثل صدمة عنيفة للروم .(٤)

■ خامساً : استثمار الفوز بازدياد النشاط البحرى الإسلامى :

● وهكذا كان التوفيق الذى لازم الحملتين الإسلاميتين على قبرص عام ٢٨ هـ (٦٤٨ ـ ٦٤٩ م) وعام ٣٣ هـ (٦٥٣ ـ ٦٥٤ م) بداية لمرحلة هامة من النشاط البحرى الإسلامى .

١ ـ ففى السنوات السبع التالية (٢٨ ـ ٣٥ هـ /٦٤٨ ـ ٦٥٦ م) قام المسلمون بسلسلة من الغارات البحرية من قواعدهم فى مصر وسورية .

٢ ـ وفى عام ٣٣ هـ ـ ٣٤ هـ قامت حملة سورية مؤلفة من ٢٠٠ سفينة بقيادة « معاوية بن حديج » فأغارت على « صقلية » وعادت بغنائم

عظيمة وأثبت المسلمون فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم البحرى تفهمهم الجيد لطبيعة الجزر البيزنطية الواقعة فى البحر المتوسط الشرقى التى يمكنهم منها ـ لو استولوا عليها ـ شل تحركات الروم ، ولذلك سارت الإغارات الإسلامية على هذه الجزر وفق خطة مرسومة ومنظمة تهدف إلى تأمين البلاد الإسلامية من الجزر المجاورة

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ .

(٤) ابراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٩٨ و١٠١ ـ ١٠٢ .

والمباشرة لأراضيهم أولاً ، ثم الاستيلاء على غيرها من الجزر المسيطرة فى المضايق البحرية لسد الطريق أمام أسطول الروم ثانياً .

● وقد أظهر المسلمون فى تنفيذ هذا المخطط - سواء معاوية أو من جاء بعده - جلدا وحنكة فائقين ، بدليل أن معاوية بدأ يعد لمهاجمة صقلية التى غدت قاعدة بحرية بيزنطية تستعمل فى الهجوم على مصر لشل التعاون البحرى المصرى الشامى .

● وكانت صقلية بحكم موقعها تتحكم فى مداخل البحر المتوسط الرئيسية وتشرف على صلة شرقه بغربه بواسطة مضيق مسينا Messina ومضيق صقلية - بين طرفيها الجنوبي وشمال أفريقيا - مما جعلها تحصل إلى إمدادات الولايات البيزنطية البعيدة عن المسلمين آنذاك ، لكن مصر احست بالخطر فاتحدت مع الشام وهاجموا صقلية سنة ٣٢ - ٣٣ هـ (٦٥٢ م) وانتصروا على الروم ، وعاد المسلمون للشام بعد أن برهنوا للروم أن ذراع البحرية الإسلامية قادرة على أن تبطش بهم في أي مكان وهى لهم بالمرصاد ، وتروى المراجع العربية أن معاوية بن حديج الكندى كان قائد هذه الغارة الأولى على صقلية ، ثم تتالت عليها الغارات بعد ذلك من الشام ومصر أيضا ، وممن أغار عليها « عبد الله بن قيس الدرقي » الذى أخذ أصنام الجزيرة الذهبية والفضية(٥) .

٣ - وقد انتهز معاوية بن أبي سفيان فرصة انشغال الروم بانشقاق وتمرد « ارمينيا » على الامبراطورية البيزنطية ، فأعد تجهيزات بحرية وبرية لغزو القسطنطينية من البر والبحر ، فقاد معاوية بنفسه الحملة من « ملطية Melitene » واخذ « Ancyre » ثم زحف على دوريليوم « Dorylaeum » ، سنة ٣٣ هـ (٦٥٣ م) مخربا فى طريقه كل التحصينات التى التقى بها ، هذا بينما كانت عمليات إعداد وبناء سفن الأسطول تجرى على قدم وساق فى الاسكندرية بمصر ، وطرابلس الشام وأماكن أخرى(٦) .

٤ - ومن أبرز العمليات البحرية للأسطول الإسلامى فى البحر الأبيض معركة ذات الصوارى البحرية عام ٣٤ هـ (٦٥٤ م) التى وقعت بين الأسطول الإسلامى بقيادة « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » والأسطول البيزنطى بقيادة الامبراطور قسطنطين الثانى حفيد هرقل ، وكتب الله النصر للأسطول الإسلامى الذى لم يمض على إنشائه غير سنوات قليلة على الأسطول البيزنطى بكل ما وراءه من تاريخ حربى طويل .

● بذلك الجهد الذى قام به معاوية ، وقواده البحريون ، لفتوا أنظار المسلمين تجاه البحر المتوسط ، وأوقفوهم على أهمية جزره ، فاستولت حملاته على ما أمكنها الاستيلاء عليه منها ، ثم طرقت غيرها لتمهد الطريق لمن بعدها من بنى أمية وغيرهم من المسلمين لإكمال المهمة .

● وبذلك كفل معاوية للمسلمين قوة بحرية نافست بيزنطة سيادتها على البحر المتوسط ، ثم بدأ يعدها لضرب عاصمة الروم نفسها فيما بعد ، وهى التى رأى المسلمون أنه لا قرار لهم ولا لدولتهم إلا بفتحها والاستيلاء عليها .

←

(٥) صابر محمد دياب : دراسات فى التاريخ الإسلامى ص ٢٥ .

(٦) نفسه : ص ٢٦ .

← . فتح جزيرة قبرص

■ سادساً : اهمية العمل المشترك :

● كان معاوية فى منتهى الحكمة حين حرص على الربط بحرياً بين الشام ومصر فى البحر الأبيض المتوسط ، فقد كانتا من أهم ولايات الدولة البيزنطية فى النشاط البحرى سلماً وحرباً ، وكان التنظيم الإدارى البيزنطى يجمع بينهما فى عمليات بحرية واحدة لإخضاع المتمردين على السلطة البيزنطية أينما كانوا فى بلدان البحر المتوسط .. أضف إلى ذلك أثر العامل الجغرافى الذى ربط بين البلدين بحرياً وبريا ، ثم إن مصر كانت تحتاج لخشب السفن وهو بالشام ، وفى مصر دور صناعة السفن العريقة وهو ما تحتاجه الشام لعدم كفاية دور صناعتها كماً وكيفاً .

● ولقد وضع « عبد الله بن سعد بن ابى سرح » كل موارد مصر البحرية ورجالها فى خدمة معاوية من أجل بناء أسطول إسلامى فى البحر المتوسط ، كما ساهم مع معاوية فى حملاته البحرية ضد الروم ، فخرج بنفسه فى تفان نادر ـ إلا عند أصحاب العقائد ـ لخدمة ونصرة البحرية الإسلامية ، وكانت السفن الأولى لنواة البحرية الإسلامية من بناء دور صناعة مصر أيام ولاية « ابن أبى سرح » الذى أرسلها وقادها بنفسه لمساعدة معاوية على فتح قبرص كما قدمنا .

■ سابعاً : الآثار المعنوية لفتح قبرص :

وأخيراً لا يفوتنا أن ننوه إلى الآثار المعنوية لفتح قبرص باعتبارها أول عملية إبرار بحرى للأسطول الإسلامى وأهم هذه الآثار مايلى :

١ ـ زوال الهيبة من البحر وركوب البحر من قلوب المسلمين .

٢ ـ رفع الروح المعنوية للمسلمين ، وخاصة بعد ان اكتسبوا قدراً من الخبرة القتالية فى العمليات البحرية مما دعم فيها الثقة فى النفس .

٣ ـ القضاء على المخاوف التى ساورت المسلمين عن قوة بيزنطة البحرية .

[تم البحث]



الفكر الغربى
وخطره على العقيدة الإسلامية

للدكتور يوسف عبد الغنى على

■ لقد درس مفكرو الغرب تاريخ الأمة الإسلامية ، ووجدوا ان منابع القوة عند المسلمين تتمثل فى العقيدة الإسلامية المستقرة فى القلوب ، ووجدوا ان آباءهم الصليبيين هزموا قديما بسبب تمسك المسلمين بهذا الدين ، فوجهوا همهم لزعزعة هذه العقيدة وذلك باساليب عدة ، منها إثارة الشبهات حولها ، وإحاطته بالوان من مخترعات العصر ومغرياته ، وفرض اسلوب تربوى يصرفه عن دينه .

ومن الوسائل التى خطط لها الغرب لغزو عقول المسلمين «الاستشراق» وهو حركة فكرية ليست وليدة العصر الحديث ، وإنما هى قديمة عرفتها الحياة الثقافية منذ عهد بعيد (فقد تركت الحروب الصليبية فى نفوس الاوروبيين ما تركت من آثار عميقة .. ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية ، وقد ادت بهم إلى الدراسات العربية الإسلامية لان الاخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوى ، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت اديانا ولغات وثقافات غير الإسلام .

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون فى التبشير بدينهم بين المسلمين فاقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامى . وهناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة ، فالظاهر أن هؤلاء اقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وهى محاولة إضعاف الإسلام ، والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بادعاء أن اليهودية فى نظرهم هى مصدر الإسلام الأول ، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولا ثم دولة ثانيا[1] .

ومن ثمة جند الغرب طائفة من المفكرين اطلق عليهم لفظ (المستشرقين) تخصصوا فى الدراسات الشرقية من علوم وآداب وعقائد تتصل ببلاد الشرق كالعالم العربى وغيره وذلك لكى يتثقفوا فى الدراسات الإسلامية ، حتى يتسنى لهم تحقيق الأهداف التالية :

←

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (د . محمد البهى) ص ٤٣ .

الفكر الغربي

أولا : محاولة تنصير المسلمين ، وذلك بنشر النصرانية بين المسلمين فى البلدان الفقيرة وتشجيعهم على اعتناق النصرانية .

ثانيا : حماية النصارى من خطر الإسلام وذلك بحجب حقائقه عنهم وتحذيرهم من الاستسلام لهذا الدين .

ثالثا : تشكيك المسلمين فى أمور دينهم ، وزعزعة عقيدتهم ، عن طريق إثارة الشبهات واختلاق الأكاذيب حولها .

ولنذكر هنا ـ بعض الشبهات التى أثاروها حول العقيدة الإسلامية ثم نتبع ذلك بالرد عليها ودحضها .

أولا : شبهاتهم حول القرآن الكريم :

يدعى المستشرقون أن القرآن ليس من عند الله ، وإنما هو من صنع بشر ، ثم إنهم تارة يقولون من صنع محمد ، وأخرى يقولون إنه من صنع بحيرى الراهب أو سبيعة النصرانى ، أو جبر أو بلعام[٢] .. إلخ . والحقيقة التى يشهد لها كل ذى عقل سليم ، ونظر سديد أن القرآن من عند الله فليس من صنع محمد ولا غيره من البشر يدل على ذلك أنه :

(١) ورد فى القرآن الكريم أكثر من آية تشير إلى أن هذا القرآن من عند الله قطعا وليس من عند غيره ومن هذه الآيات ما يلى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٣] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾[٤] .

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[٥] .

فالهاء فى (أنزلناه) الأولى والثانية والثالثة ضمير يشير إلى القرآن وهى واضحة الدلالة فى المدعى .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[٦] .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٧] وفى ذلك كله ما يوضح أن القرآن من عند الله وليس من عند أحد غيره تعالى .

(ب) قصة خويلة بنت مالك بن ثعلبة :

وخويلة كانت زوجة لأوس بن الصامت ، وقد غضب عليها يوما فقال لها (أنت على كظهر أمى) وقد كانت هذه العبارة قبل الإسلام تعد طلاقا ، فحسبت خويلة نفسها طالقة من زوجها ، فأخذت أولادها الأربعة وذهبت إلى أبيها ، وبقيت عنده أربعة شهور ، وكان فقير الحال فلقيت خويلة وأولادها خلال هذه المدة حرمانا وضيقا فى المعيشة ، فذهبت إلى رسول الله ﷺ تشكو أمرها ، وقالت له : إن زوجى ظاهر منى فأجابها الرسول ـ ﷺ ـ قائلاً : (حرمت عليه) إذ لم يكن

---

(٢) انظر تفسير الآية ١٠٣ من سورة النحل
(٣) يوسف / ٢ .
(٤) الرعد / ٣٧ .
(٥) القدر الآيات ١ ـ ٤ .
(٦) النساء ٨٢ .
(٧) جامع تفسير ابن كثير فى الآية ٨٨ .

قد نزل فى الظهار شىء بعد فتكررت شكواها وتكرر قوله عليه الصلاة والسلام ـ فنزلت آيات الظهار أول المجادلة وفيها حكم الظهار ، وفى ذلك الدليل القاطع على أن القرآن وحيه تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾[٨] .

ومن ادعاءاتهم الباطلة ـ أيضاً ـ والتى قصدوا بها تشكيك المسلمين فى قرآنهم : أنهم ادعوا أن فى القرآن تباينا واختلافا وهذا الزعم يدحض بذكر الواقعة التالية : تتلخص هذه الواقعة فيما حدث من الشاعر لبيد بن ربيعة الشهير ببلاغته وفصاحة لسانه ورصانة أسلوبه ، هذا الشاعر عندما سمع أن محمدا ـ ﷺ ـ يتحدى الناس بكلامه قال بعض الأبيات ردا على ما سمع ، وعلقها على باب الكعبة ، وحين رأى أحد المسلمين هذا أخذته العزة فكتب بعض آيات القرآن الكريم وعلقها بجوار أبيات لبيد . ومر لبيد بباب الكعبة فى اليوم التالى ولم يكن قد أسلم بعد، فأذهلته الآيات القرآنية حتى انه صرخ من فوره قائلاً : والله ما هذا قول بشر وأنا من المسلمين .

فهذا الشاعر الخبير بأساليب اللغة ، العالم بكل صغيرة وكبيرة فيها ، وجد فى أساليب القرآن وفى نسقه معجزة لا يستطيع أن يقوم بها بشر فأعلن إسلامه ..

أعجز لبيد الذى نشأ بين أحضان اللغة العربية عن معرفة تباين واختلاف أساليب القرآن حتى يجىء هؤلاء الجهال الذين لا يفقهون شيئاً ويقولون إن فى القرآن تباينا واختلافا ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[٩] .

ثانيا : شبهاتهم حول بعثة النبى ﷺ :

وقد أثار المستشرقون شبهة حول بعثة النبى ـ ﷺ ـ قالوا فيها إن الله ـ تعالى ـ أرسل رسله منذرين إلى الأمم السالفة فهو قد أرسل محمدا ليبلغ رسالة الله إلى الأمة العربية ويبين لهم طريق النجاة . ويمكننا أن نرد على هذه الفرية بالنقاط التالية :

أولا : ما ورد فى القرآن الكريم :

(أ) ورد فى القرآن الكريم ما يدل على عموم رسالته ـ ﷺ ـ وأنه أرسل للناس أجمعين يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١٠] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١١] .

(ب) كذلك ورد فى القرآن الكريم ما يدل على بطلان كل دين ما عدا دين الإسلام فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[١٢] .

(جـ) هناك آيات كثيرة فى مخاطبة أهل الكتاب بالخصوص لترك المجادلة ، واتباع الحق والإيمان بالرسول منها : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

←

(٨) النجم ٤ ، ٥ .
(٩) الكهف / ٥ .
(١٠) الأعراف / ١٥٨ .
(١١) سبأ / ٢٨ .
(١٢) آل عمران / ٨٥ .

تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ . يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[١٤] .

ثانيا : ما جاء فى الكتب السابقة :

فقد جاء فى الكتب السابقة ما يدل على أن رسالته ـ ﷺ ـ عامة للناس .

ـ فقد جاء فى سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر : (نبيا أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك ، وجعلت خطابى بفيه ، فيخاطبهم بكل ما أوحيه)[١٥] .

المراد بإخوتهم : بنو إسماعيل .

ـ وجاء فى إنجيل يوحنا : (لكنى أقول لكم الحق : أنه خير لكم أن انطلق ، لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى)[١٦] وجاء ـ أيضاً ـ : (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية)[١٧] .

ثالثا : ما ورد عن الرسول ـ ﷺ ـ :

فقد ورد عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال بعموم رسالته ، وهو نبى ، والنبى لا يكذب ، فيلزم من هذا بطلان دعواهم فقد روى البخارى ـ رحمه الله ـ عن جابر بن عبد الله ـ أنه ـ ﷺ ـ قال : (وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة)[١٨] .

وروى مسلم ـ رحمه الله ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ، ولم يؤمن بالذى أرسلت إلا كان من أصحاب النار)[١٩] .

رابعا : أن النبى ـ ﷺ ـ دعا أهل الكتاب جميعا وغيرهم إلى دين الله عز وجل ، فقد أرسل كتبه إلى خارج الجزيرة العربية يدعوهم إلى الإسلام فقد أرسل ـ ﷺ ـ كتابه إلى النجاشى فقال فيه (بسم الله من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة . سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة المحصنة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخته ، كما خلق آدم بيده ونفخته ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى فإنى رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمى جعفر ومعه نفر من

(١٣) آل عمران / ٧٠ ـ ٧٣ .
(١٤) المائدة / ٦٥ .
(١٥) التوراة السامرية (سفر التثنية) الاصحاح ١٨ .
(١٦) يوحنا ١٦ : ٧ .
(١٧) يوحنا ١٦ : ١٣ .
(١٨) البخارى ١ / ٩٢ .
(١٩) مسلم ١/١٣٤ .

المسلمين ، فإذا جاءوك فأقرهم ، ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل .. وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .. وقد جاء الرد على النجاشي بالإيمان به ـ ﷺ ـ[٢٠] وكذلك أرسل النبي ﷺ ـ إلى هرقل وقيصر ، وكسرى ، والمقوقس وغيرهم .

خامسا : دعوته ـ ﷺ ـ لسائر الأجناس للدخول في دين الله . فقد دعا بلالا وهو حبشي ودعا صهيبا وهو رومي ، ودعا سليمان وهو فارسي ودعا يهود المدينة ودخل منهم في الإسلام عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ وغير هؤلاء كثير . وكذلك نصارى نجران الذين قدم منهم عشرون رجلاً للنبي ـ ﷺ ـ وهو بمكة ، وأسلموا .

روى ابن كثير (فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ـ ﷺ ـ دعاهم رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الله عز وجل ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له ، وآمنوا به ، وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره[٢١] .

سادسا : محاربته ـ ﷺ ـ لمن لم يؤمن برسالته من اليهود وغيرهم . فقد حارب يهود المدينة ، وحارب يهود خيبر وأرسل جيوشه لمحاربة من كفر من أهل اليمن ، فقد روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما « إن رسول الله ـ ﷺ ـ لما بعث معاذ إلى اليمن قال له : إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وفي رواية أن يوحدوا الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله ـ تعالى ـ افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[٢٢] .

ومن الشبهات التي أثارها المستشرقون ـ علاوة على فريتهم حول بعثة النبي ـ ﷺ ـ إنكارهم المعجزات الحسية وعللوا ذلك بأنه مادام القرآن الكريم آية دالة على صدق النبي ﷺ ـ فنحن في غنية عن غيره من الآيات[٢٣] .

وسرت هذه الفرية إلى الكتاب المعاصرين كالدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ، والمستشرق الفرنسي الذي أسلم « دينيه » وزميله السيد سليمان إبراهيم الجزائري ، وقلما نجد أحدا من المؤلفين المتأخرين كتب السيرة يذكر شيئا من المعجزات الحسية[٢٤] .

وقد ترتب على إنكار المعجزات الحسية للنبي ـ ﷺ ـ أن تجرأ بعض المبشرين والمستشرقين إلى الطعن في النبي ـ ﷺ ـ وتفضيل غيره من الأنبياء عليه بحجة أن النبي ـ ﷺ ـ ليس له من المعجزات الحسية ما لموسى وعيسى عليهما السلام .

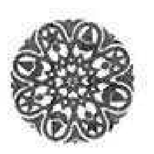
ولا ريب أن هذه الشبهة لا سند لها من الصحة فقد تواتر من طريق المعنى أنه جرت على يد الرسول ـ ﷺ ـ الخوارق الحسية . وبما أن هذه الخوارق قد تواترت في نفسها فقد ثبت بمجموعها أن النبي ـ ﷺ ـ كان يجري عليه في معرض الدعوة من خوارق العادة ما يعجز عنه غيره والمعاني الكلية تثبت بالوقائع التي تنقل أفرادها آحادا وذلك كشجاعة علي بن أبي طالب

(٢٠) سيرة (ابن كثير) ٢/٤٢ ـ ٤٣ .
(٢١) السيرة (ابن كثير) ٢/٤٠ .
(٢٢) أخرجه مسلم .
(٢٣) السيرة (دكتور محمد أبو شهبة) ص ١٨ .
(٢٤) نفس المصدر ص ١٧ .

رضى الله عنه (وهذا مستفيض مُتَلَقّى من أقاصيص نقلت من آحاد وكذلك الطريق فى العلم) كسخاء حاتم الطائى وغيره من المعانى الكلية ، ثم السر فى إثبات هذه المعجزات أنه قد تحقق بالتواتر وباستفاضة تعلقه - ﷺ - بأجناس مختلفة من البدائع ، ولو عارض شخص فى واحد منها لوهت دعواه ، وانطلقت الألسن فيه ، وتحزب أصحابه إلى مرتاب فيه وإلى مدافع عنه تقليداً ، ولا تثر نظام الأمر ، فإذا لم يتعرض أحد لمعارضته فى شيء مما جاء به كان ذلك أصدق آية على تمييزه على جميع الخلائق بالنبوة[٢٥]

يقول الفخر الرازى (والحق أن الأمارات الظنية إذا تواترت أدت إلى حكم العقل جزما بما توافقت عليه فى اثباته وذلك كالتجريبات المعدودة فى الضروريات فإيراد هذه الدلائل التى ذكرناها بمثابة التجارب المؤدية إلى حكم جزم يقينى فهى وإن كانت آحادها غير معتمد عليها لكنها بالجملة تؤدى إلى حكم يقينى وذلك الحكم اليقينى هو صدق نبوة رسولنا محمد ﷺ)[٢٦] ولا يرتاب أحد فى أن معجزة القرآن الكريم هى معجزة الرسول الكبري ، والمعجزات الحسية الأخرى مؤيدة له ..... ومن البديهات أن المعجزات الحسية من الأمور الممكنة ، وقد وقعت قبل ذلك للرسول عليه السلام ، ومادامت ممكنة فما الداعى إلى إنكارها ولو أن المنكرين لها أمعنوا النظر فى كتب الحديث والسير ، وتذوقوا ما فيها لعرفوا أن إنكار المعجزات الحسية بعيد عن جادة الصواب[٢٧] هذه إلمامة يسيرة عما يشنه الغرب من افتراءات حول عقيدة الإسلام ، الأمر الذى يتطلب منا التصدى لها ، وتحصين شبابنا بفقه الإسلام ، وتعاليمه وتوجيهه توجيها سليما حتى لا ينخدع وراء هذه التيارات المغرضة .

والله المستعان . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



(٢٥) راجع العقيدة النظامية ص ٧٥ .

(٢٦) بتصرف (محصل افكار المتقدمين والمتاخرين) الفخر الرازى ص ٢٠٩ .

(٢٧) البيهقى (دلائل النبوة) ص ٢٢٤ .

الدين روح الحياة

ونورها هاديها ومرشدها

للدكتور: زكى مشعل

سبحانك اللهم ربنا ، اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير .

إنه من الثابت لدينا يقينا ان الإسلام حين جاء بما جاء ليختتم جميع الرسالات السماوية ليطوى جميع الكتب ليضمها كتاب واحد ، فبقى ما جاء به من عقائد وعبادات وتشريعات ما بقى الزمن ، وانطلاقا من هذا المفهوم كان العمل بشريعة الله واجبا مفروضاً قد حمله في الماضى امناء بررة اقاموا احكام الشريعة في انفسهم وعرضوها مبسطة سمحة على البشرية فامن بها من آمن واعرض عنها من غلبت عليه شقوته .

واستمر الإسلام بقوته وعقيدته ينير للبشرية طريق الأولى والأخرة ، ليحقق لها عزتها وكرامتها . وصدق ربنا تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة ٣ ، ومن ثم فعلينا جميعاً ان ندرك ان لكل عقيدة قوة تدفع عنها وان لكل قوة عقيدة إيمانية صادقة تحميها وإننا نتساءل : هل ثمة صلة بين العقيدة والأخلاق ؟

وإذا كانت هناك صلة فما هى ؟ وكيف يكون تحقيقها ؟

إن الأخلاق ترتبط بالعقيدة ارتباطا وثيق الصلة . فليست الأخلاق إلا الترجمة العملية للعقيدة المستكنة في باطن النفس الإنسانية وفي القلوب والعقول التى قد أشربت الإيمان الصادق القائم على الحق ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ الأنبياء ١٨ .

إن الأخلاق ملكة نفسية تكون في غاية التمكن من النفس الطيبة العامرة بنور ربها ، ومن المؤكد أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون عقيدة لأن التدين أمر فطرى ومقوم من مقومات الإنسان الذاتية ، يقول سبحانه :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم ٣٠ .

الدين روح الحياة

وعلى هذا يتضح مدى الترابط الوثيق بين العوامل النفسية العميقة وخاصة الفطرية منها والأخلاق والعقيدة ، فالأخلاق ثمرة العقيدة وقد صدق رسول الحق عليه أزكى صلاة وتسليم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1] .

كما قال : « الدين حسن الخلق »[2] وقال تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾

نماذج عقائدية وأخلاقية : لما كانت العقيدة هى الأصل في الإنسان ، وكانت الأخلاق هى الثمرة الصادقة للعقيدة من أجل ذلك فإننا نتعرف على عقيدة الإنسان من أخلاقه وسلوكه ، وصدق قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك ١٤) وقد علمنا فيما علمنا أن القرآن الحكيم قد ذكر نماذج مختلفة وأصنافاً متباينة في تصرفاتها وسلوكياتها النابعة من أخلاقها ، وتبين من هذا قوة عقيدتها أو ضعفها فقد ذكر سبحانه جل شأنه أمثلة في سورة البقرة للمؤمنين الخلص ، والكافرين والمنافقين ، فإذا المؤمنون هم أصحاب العقيدة السليمة مبدأ وشعارا ، فأما المبدأ فهو الإسلام وأما الشعار فهو « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وهذه العقيدة تجعل الإنسان يراقب الله سبحانه في كل شيء ومن ثم فإن أموره وأحواله ومعايشه تصبح عبادة من أرقى العبادات حيث اتسمت بمراقبة السميع البصير على أساس من صدق العهد مع الله عز وجل والإخلاص فيه .

وعلى هذا تتسم أخلاقه الإنسانية النقية ، ويكون سلوكه مصداق عقيدته : طهارة وصفاء ، صدقا وإخلاصا ، وقد قال الله تعالى مبينا هذا الطراز العالى من المؤمنين ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقد جاء في سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ وفى القرآن العظيم سورة تحمل اسمهم ، تلك هى (المؤمنون) مفتتحة بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وذكر سبحانه فيها شيئاً من صفاتهم وأحوالهم وسلوكهم ، وختم ذلك بجزائهم فقال : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

وتلك صورة الكافرين وهى على طرف نقيض من أصحاب العقيدة السليمة لذا ضلوا الطريق ، وتمردوا على الله الذى خلقهم وبيده ناصيتهم .

وإذا كان هناك إنسان قد بلغ به العقوق والتمرد والافتراء إلى الحد الذى يتنكر به لخالقه فيعرض عنه ويتعدى حدوده ويظن أنه في غنى عنه ، وليس في حاجة إليه .

إنسان كذا ما ينتظر منه في معاملته لأخيه الإنسان ؟

(١) مسند أحمد

(٢) صحيح مسلم

ما من شك في أن الإنسان الذي يفقد العقيدة الدينية السليمة مهما يكن جاهه أو منصبه فإنه يفقد الخلق السليم بفقدها، ويصير إنسانا نفعيا، همه حاجته، ولا نفع فيه لبنى جنسه، وهذا جزاؤه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

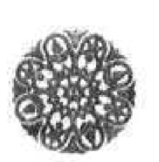
هؤلاء هم الكافرون عقيدة وأخلاقاً، وإليك المنافقين إنهم أعظم خطراً وأكثر فساداً وإلحاداً يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم وقد ذكرهم القرآن الحكيم في اياته كثيراً حتى ان المولى عز وجل - أنزل فيهم سورة كاملة هى المنافقون فضح فيها أعمالهم وكشف باطلهم وما درجوا عليه من الخداع والعيش في ظلمات الضمير، ومعلوم أن أخص خصائصهم أنهم مذبذبون لا تلمس لديهم عقيدة، وصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ (النساء ١٤٣).

فاما أخلاقهم، فيقول المولى - عز وجل - عنها: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٧، ٦٨).

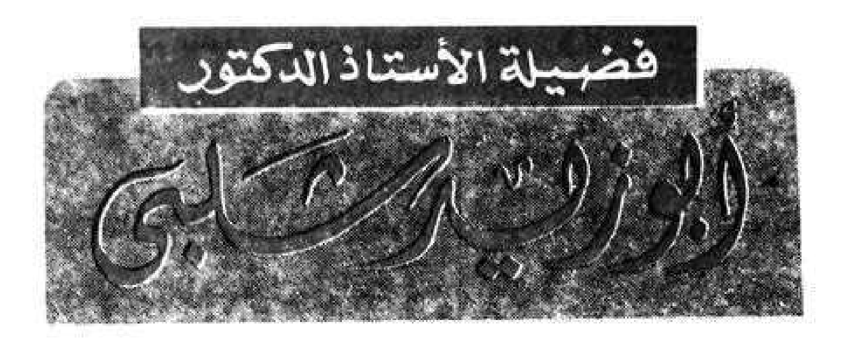
وبعـــد:

فهذه نماذج ثلاثة تبين مدى ارتباط العقيدة بالأخلاق، وهل بعد بيان الله - تعالى - بيان.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾



من أعلام الأزهر



للأستاذ
أبو المعاطي محمد أبو رحاب

معالم حياته : ولد في بلدة المطمر محافظة اسيوط في ١٨٩٩/٨/٢٣م وحفظ القرآن الكريم في بلده ثم ارسل إلى معهد اسيوط (فؤاد الأول) حيث نال الشهادة الأولية ثم الثانوية ، ثم العالمية ١٩٢٥م ثم تخصص في التاريخ والأخلاق .

واظهر جدارة ممتازة وارتشف رحيق العلم من شفاه علماء الأزهر المشهود لهم بالنبوغ والتقدم .

تولى التدريس في معهد أسيوط وكان لعلمه الغزير وفهمه الناضج وأسلوبه البليغ اثر عظيم في علو شأنه ورفع ذكره مما جعله ينتقل إلى كلية أصول الدين ليدرس التاريخ الإسلامي والأخلاق ، ثم رقى إلى أستاذ مساعد ثم إلى أستاذ للتاريخ ولما صدر قانون تطوير الأزهر ١٩٦١ م نقل أستاذاً للتاريخ والحضارة الإسلامية في كلية اللغة العربية واستمر يدرس هذه المادة حتى أحيل إلى المعاش في ١٩٦٤/٨/٢٣م .

وفي نفس السنة تعاقد مع الجامعة الإسلامية بليبيا أستاذا للتاريخ والحضارة الإسلامية ، وظل يقوم بعمله ويؤدى واجبه في همة ونشاط إلى أن وافته منيته يوم الخميس ١٩٦٩/٧/٣٠م .

وقد شارك رحمه الله في جماعة الأزهر للنشر والتأليف وعمل بها أميناً عاماً سنة ١٩٤٤ م ، وكان الساعد الأيمن لكل من العالمين الجليلين المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، والمرحوم الشيخ طه محمد الساكت من علماء الأزهر ومع أنه تخصص في التاريخ الإسلامي والأخلاق إلا أنه قام بتدريس مادتى التفسير والحديث في كلية أصول الدين ، وألف في

هاتين المادتين أكثر من كتاب كان يدرس في الكلية كما كان يلقى أحاديث التفسير في الإذاعة المصرية ١٩٥٢ ضمن علماء التفسير في الكلية .

شيوخه : تتلمذ على كثير من العلماء الأجلاء في عصره وفي مقدمتهم أخواله فضيلة الشيخ محمد فرغلي من علماء الأزهر في معهد أسيوط ، والشيخ سيد فرغلي المفتش العام بوزارة التربية والتعليم ومن علماء دار العلوم ، وفضيلة الشيخ جمال الدين القاضي من علماء الأزهر في معهد أسيوط وهؤلاء جميعاً من بلدته ومن مسقط راسه ، كما تتلمذ على فضيلة الشيخ محمد حميده عضو هيئة جماعة كبار العلماء وشيخ معهد أسيوط الأسبق والشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق والشيخ أمين الخولى وقد درس له في القسم العالى .

معارفه وزملاؤه : كانت تربط المرحوم بعلماء عصره صداقات كثيرة خصوصاً مع الشيخ محمد الأودن ، والإمام الشيخ عبدالحليم محمود ، والإمام محمد عبدالرحمن بيصار وكانا زميلين له في كلية أصول الدين والدكتور بدوى عبداللطيف رئيس الجامعة الأسبق وكانا يشتركان معا في تدريس التاريخ الإسلامي والشيخ صالح شرف عضو جماعة كبار العلماء (وسكرتير عام الأزهر) .

تلامذته : تتلمذ على يديه كثير من العلماء الذين تولوا دفة الأمور فيما بعد منهم على سبيل المثال الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، والدكتور موسى لاشين عميد كلية أصول الدين ، والشيخ محمد الغزالى ، والدكتور يوسف القرضاوى وغيرهم كثير .

أثاره العلمية :

وهذه أسماء الكتب التى ألفها والتى وصلت إلينا .



فضيلة الدكتور ابو زيد شلبى

١ ـ خالد بن الوليد .
٢ ـ الخلفاء الراشدون .
٣ ـ تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي .
٤ ـ رجال الحديث .
٥ ـ الاصباح شرح نور الإيضاح في المذهب الحنفى وقد ترجم إلى اللغة التركية ودرس بها .
٦ ـ مذكرات في الميراث .
٧ ـ الندم والتوبة .
٨ ـ العدالة الاجتماعية .
٩ ـ حكم تلحين القرآن .
١٠ ـ في ذكرى الهجرة .
١١ ـ محاضرات في السيرة النبوية ـ لم تطبع .
١٢ ـ نشأة الأزهر ـ لم يطبع .
١٣ ـ فضل ليلة القدر ـ لم يطبع .
١٤ ـ مذكرات في التفسير ـ لم تطبع .

من أعلام الأزهر

« وفـاتـــه »

وبعد حياة حافلة بجليل الأعمال ونشر الثقافة والعلم في كل من جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية بليبيا وافته منيته يوم الخميس الساعة الثانية والنصف ظهراً في ٣٠/١٠/١٩٦٩ بعد أن ادى دروسه في كلية أصول الدين والتقى بطلابه وزملائه من غير سابق مرض أو شكوى من ألم،ورجعت روحه إلى ربها راضية مرضية في يوم مبارك ودفن في ليبيا بجوار الصحابى الجليل رويفع الانصارى،وودع من الجامعة الإسلامية وداعاً حارا يليق بمكانته وتقبلت فيه الجامعة العزاء .

« كلمة وفاء »

عرفت الفقيد عن قرب فكنت تلميذه في كلية أصول الدين من ١٩٥٢ م إلى ١٩٥٦ م ثم تلميذا له في كلية اللغة العربية في الدراسات الإسلامية شعبة التاريخ الإسلامي ١٩٦٢ م ١٩٦٣ م

كان رضى النفس متواضع الجانب جميل الخلق متهلل الوجه لين العريكة باسم الثغر متسامحا كريما وفيا لزملائه ومحبيه يؤدى واجبه في كل الظروف والأحوال

ـ فجزاه الله عن أعماله خيرا وحشره في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

كلمة قارىء

سنن ابن ماجه

للسيد ابو محمد نصر الدين

كتب السيد / أبو محمد نصر الدين ـ أبو دشيشه ـ بلقاس ـ دقهلية يلفت النظر إلى وجوب تصحيح خطأ وقع بهدية مجلة الأزهر « الإمام ابن ماجه ـ صاحب السنن » وبمراجعة ما كتب السيد المذكور تبين أنه يجب :

(أ) تصحيح ما وقع من خطأ بفهارس الجزء الثاني بسنن ابن ماجه الذى وضعه الأستاذ : محمد فؤاد عبدالباقى بنهاية السنن ص ١٥٤٨ إذ جاء بهذه الصفحة « ٢٩ ـ كتاب العقيقة »

وصحته : ٢٩ ـ كتاب الأطعمة .

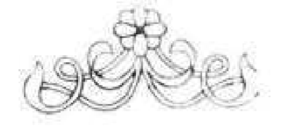
(ب) وبالتالى تبين أن ما كتبه الأستاذ الدكتور عبدالعزيز عزت عبدالجليل ص ٦٠ من هدية الأزهر صحيح ، وذلك حيث كتب « باب الوضوء عند الطعام » والباب هذا موجود بكتاب الأطعمة من السنن ١٠٨٥/٢ ط عيسى البابى الحلبى .

والمجلة تشكر للسيد المذكور تنبيهه الذى أتاح التصحيحين ونود أن يقوم القارىء بتصحيح نسخته من الهدية ، ونسخته من السنن إن كانت بحوزته .

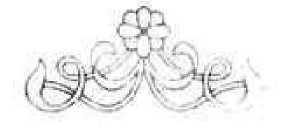
الشعر والشعراء

إعداد
محمد رشاد يوسف

رثاء الأندلس



جزاك الله مغفرة



أيها الشيطان

رثاء الأندلس

للشاعر
أبي البقاء الرندى

لكل شيء ، إذا ما تمَّ ، نُقصانُ
فَلَا يُغرَّ بطيب العَيْشِ إنسانُ

هى الامورُ كما شاهدتُها دولٌ
مَنْ سرَّهُ زَمَنٌ ساءته ازمانُ

وهذه الدارُ لاتُبْقى على احدٍ
ولا يدومُ على حالٍ لَها شانُ

اين الملوكُ ذَوُو التيجانِ مِنْ يَمنٍ
واين منهمْ اكاليلٌ وتيجانُ ؟

واين ما حَازَهُ قارونُ من ذَهبٍ
واين عادٌ وشَدَّادٌ وقحطَانُ ؟

دَارَ الزمانُ عَلَى « دَارَا » وقَاتِله
وامَّ « كسرى » فَمَا آوَاهُ إيوانُ

اتَى عَلَى الكل امرٌ لا مردَّ لهُ
حتى قضوا فكأنَّ القومَ ما كانوا

فجائعُ الدَهْر انْوَاعٌ مُنوعَةٌ
وللزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ واحزانُ

دَهَى الجزِيرَةَ امْرٌ لاعَزَاء لَهُ
هَوَى له "أُحُدٌ" وانهدَّ ثَهْلانُ(١)

اصابها العين في الإسلام فارتزات
حتى خلت منه اقطار وبلدان

فاسألْ بِلَنْسيةً ما شانُ مُرْسِيَةٍ
واينَ شَاطبةٌ ام اينَ جَيَّانُ ؟

الشاعر : هو أبو البقاء الرندى عاش ما بين « ٦٠١ ـ ٦٨٤ هـ » وهو شاعر أندلسى ينسب إلى مدينة رندة الأندلسية التى ولد وعاش بها وقد عاصر أحداثا جساما من الاضطراب والفتنة تمزقت فيها الأندلس دويلات متناحرة ووثب على كل منها الطامعون والمغامرون تطلعا إلى السلطة وتهالكا على الحكم ويسمون في التاريخ « ملوك الطوائف » وكان بعضهم يقاتل أخاه لينتزع منه الملك ويسلك في سبيل ذلك شتى الوسائل حتى ولو حالف ملوك القوط المسيحيين ضد أخيه العربى المسلم ، مما أدى إلى سقوط الأندلس كلها في يد الأعداء بعد أن نعمت بحكم المسلمين أكثر من ثمانية قرون ، وكان آخرها ضياعا وسقوطا مملكة غرناطة ، في الجنوب التي تقع بها مدينة « رندة » التى ينسب إليها شاعرنا « أبو البقاء الرندى » .

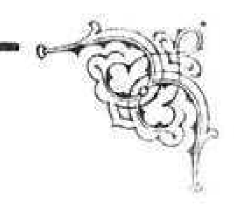
وأين قرطبةُ دارُ العلوم ، فكمْ — من عالِمٍ قدْ سَمَا فيها ، لهُ شانُ
وأين حمصُ وَمَا تحويه مِنْ نُزَهٍ — ونهرُها العذبُ فيَّاضٌ ومَلآنُ
قواعدٌ كنَّ أركانُ البلاد ، فَمَا — عسى البقاء إذا لم تَبْقَ أركانُ
تبكي الحَنِيفيةُ البَيْضاءُ من أسفٍ — كما بكى لفراق الإلْفِ هَيْمَانُ
عَلَى ديارٍ من الإسْلام خاليةٍ — قد أقفرتْ ، ولها بالكُفْرِ عُمْرانُ
حيثُ المساجِدُ قدْ صارتْ كنائسَ ما — فِيهِنَّ إلا نَوَاقِيسٌ وصُلْبَانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جَامِدَةٌ — حتى المنابرُ تَرْثِي وهي عِيدَانُ
يَا غافلاً ولهُ في "الدّهرِ مَوْعِظَةٌ — إنْ كُنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يَقْظَانُ
تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدمها — ومالها مَع طولِ الدهرِ نِسْيَانُ
ياراتعين وراء البحر في رعةٍ — لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكمُ نبأٌ من أهل أندلس ؟ — فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كَمْ يَسْتَغيثُ صَنَاديدُ الرجالِ وهُمْ — قَتْلَى وأسْرَى ، فما يهتزُّ إنسانُ
ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ — وأنتم ـ ياعبادَ الله ـ إخْوَانُ
ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ — أمَا عَلَى الخَيْرِ أنْصَارٌ وأعوانُ
يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بعد عِزِّهِمُ — أحَالَ حَالَهُمُ جَورٌ وطغيانُ
بالأمس كانوا مُلُوكاً في مَنَازِلِهِمْ — واليوم هُمْ في بلادِ الكُفْرِ عُبْدانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لاَ دَلِيلَ لَهم — عليهمُ من ثِيابِ الذُّلِّ ألوانُ
ولَوْ رأيتَ بكاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمُ — لَهَالَكَ الأمْرُ ، واسْتَهْوتْكَ أحْزَانُ
يارُبَّ أمٍّ وطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهمَا — كما تَفَرَّقُ أرْوَاحٌ وأبدانُ
لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ من كَمَدٍ — إنْ كَانَ في القَلْبِ إسْلاَمٌ وإيمانُ

القصيدة : من أشهر القصائد العربية في رثاء المدن والدول والتحسر على المجد الضائع وفيها يتناول الشاعر حال الأندلس بعد أن تقطعت أوصالها وتمزق كيانها إلى دويلات متناحرة متنازعة متصارعة يستعين بعضها على البعض الآخر بمن حولهم من الأعداء ـ حتى قضى الفرنجة على دولة الأندلس في غفلة من أبنائها .

والقصيدة في « نفح الطيب » وهى تصوير مؤلم لحال المسلمين وذلة الولاة والملوك بعد عز ، وحيرة الأبناء والنساء والأطفال وهم أسرى في يد أعدائهم يتخطفهم الموت والأسر، وفي القصيدة استثارة لهمة الراتعين وراء البحر ، همة الأمة الإسلامية وملوكها ذوى العز والسلطان لإنقاذ إخوانهم في الأندلس .

وما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه الأمس باليوم وما أصدق شاعرنا أبى البقاء الرندى وهو يقول :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد — إن كان في القلب إسلام وإيمان



جزاك الله مغفرة

للشاعر: جرير بن عطية التميمي

يا أمّ عمرو جزاك اللهُ مغفرةً رُدّي عليَّ فؤادي كالذي كانا
الستِ املحَ مَنْ يَمْشي على قَدَمٍ يا املحَ الناسِ كلّ الناسِ إنسانا
يَلقى غريمُكمُ من غير عُسْرتِكمْ بالبَذْلِ بُخْلاً وبالإحسانِ حِرْمانا
قد خُنْتِ مَنْ لَمْ يَكنْ يخشى خِيانَتكمْ ما كنت اوّلَ مَوْثوقٍ به خانا
لقد كتمتُ الهَوَى حتّى تَهَيَّمَني لا استطيعُ لِهذا الحُبِ كِتْمانا
كَادَ الهوَى "يَوم سَلْمانَيْنِ" يَقْتلني وكاد يقتلني يوما ببَيْدانا
لا بَارَكَ اللّهُ في مَنْ كَانَ يَحْسَبُكمْ إلاّ على العَهْدِ حَتّى كَانَ مَا كانا
لا بَارَكَ اللهُ في الدنيا إذا انقَطَعَتْ اسْبَابُ دُنْيَاكِ عن اسْبَابِ دُنْيَانا
مَا احْدَثَ الدَّهْرُ مما تَعْلَمين لكُمْ للحَبْلِ صرْماً ولا للعهد نسْيَانا
إنّ العُيُونَ التى في طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمّ لَمْ يُحيينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذَا اللُبِّ حَتّى لا حِرَاكَ بِهِ وهُنَّ اضْعَفُ خَلْقِ اللّه ارْكَانا
يا حَبّذَا جَبلُ الرّيَانِ مِنْ جَبَلٍ وحبّذا سَاكنُ الرّيانِ مَنْ كَانا
وحَبّذا نَفَحَاتٌ من يَمَانِيَةٍ تَاتيكِ مِنْ قِبَلِ الرّيانِ احْيَانا

الشاعر : هو جرير بن عطية التميمى شاعر وجدانى مطبوع يجمع بين فصاحة الالفاظ ووضوح المعانى ومتانة التركيب وعذوبة التعبير ـ امتاز بالوجدانيات من نسيب وغزل ورثاء وهجاء وقد برع فى هجاء الفرزدق ويصفون هجاءه بأنه حلو ومر ، حلو بما ألبسه من حسن اللفظ وقدم بين يديه من الغزل ليشد أسماع السامع ، وهو هجاء مر لما يحويه مما يتألم منه المهجو وقد اجمع النقاد على أن هذا الشاعر الذى ولد فى اليمامة ٦٥٠ م وقال الشعر يافعا مدح معاوية ثم ابنه يزيد وانضم إلى جانب المناصرين لعبدالله بن الزبير ثم تقرب إلى الوليد بن عبدالملك ثم ابتعد عن دار الخلافة حين تولاها عمر بن عبدالعزيز الذى لم يكن يقرب الشعراء ويجيزهم .

تهاجيا هو والفرزدق وتركا تراثا من الهجاء المقذع ويجمع النقاد على أن جريرا قد تفوق على اقرانه فى الغزل والرثاء والهجاء بل إنه تغلب على جميع من هجوه ماعدا الفرزدق والأخطل لأنهما اجتمعا عليه معا ..

وهو الشاعر الذى يقول عنه النقاد إنه كان يغرف من بحر .

القصيدة : الأبيات التي بين أيدينا كانت مقدمة لإحدى نقائضه فى هجاء الأخطل وفيها من العذوبة والرقة والوضوح ما يؤكد منزلة هذا الشاعر العربي الأصيل .

أيها الشيطان

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

سبيلك براق الزخارف يخلب | وواديك سوق بالبهارج يصخب
وليلك صبح ، في النواظر باسم | ومرجك قحل ، بالغواية مخصب
وظلك رفاف ، وانسك غامر | وقولك جذاب ، وصوتك يطرب
تغوص باعماق النفوس موسوسا | فتلفت ساجيها إليك وتجذب
لكل عَصِيٍّ في جرابك حيلة !! | ومن كل ثلم لا يرى تتسرب
وكل عسير في يديك ميسر | وكل بعيد عن جنابك يقرب
وعينك يقظى ليس يغمض جفنها | تنم عن الحقد الدفين وتعرب
تغير على الإنسان في غفلاته | فتلهو به عبر الحياة وتلعب
فبالمراة الحسناء تفتن عابداً | وبالمال تغتال العقول وتسلب
وتمشي بسربال التقى متستراً | وتدعو إلى صدق الحديث وتكذب
كذا ارقم الصحراء املد ناعم | وفي نابه حتف الفرائس يرقب
فإنك يابن النار ابشع محنة | بها نبتلى انى نجيء ونذهب
وإنك بهتان البغاة وزورهم | وسيف لفرسان الضلال مذرب
فذاك الذى الزمت نفسك فعله | فكنت على الإنسان حربا تلهب
ومن اعجب الأشياء .. زيفك رائج | اثير لدى جل النفوس محبب !

• •

رويدك ياشؤم الحياة وبؤسها | بك النفس من نُبل الشمائل تُجدِب
لئن كنت من نار خلقت ومارج | فإنك مقرور ، ونورك غيهب
فنارك يامغرور يبطل فعلها | بماء من النفس التقية يسكب
الم يكفل الرحمن حفظ عباده | بحصن ، ودرع من سهامك تحجب ؟
فكيدك مبتور ، ومكرك محبط | وجيشك مدحور ، وبرقك خلب
وهل يمتطى إبليس عبدا محصنا | يبيت على مهد التقى يتقلب ؟
إذا ما صفا قلب ابن آدم ، وارتقى | اقام على نبع الهداية يشرب

• •

الا ايها الإنسان انت محاصر | وما لك من دون المهيمن مهرب
ولو ان سلطان الورى ونضاره | بكفيك لم يمنعك ما يُتَجَنَّبُ
فبادر إلى حصن القدير ، ولذ به | ففيه امان في الحياة ومذهب

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حسن التفرس

قال أبو السعيد الخراز : رأيت فى الحرم رجلا فقيرا ليس عليه إلا مايستر عورته ، فأنفت نفسى ، فتفرّس فىّ وقال :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ فندمت على ذلك ، واستغفرت فى نفسى ، فقال :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ .

●●●

فاصنع ما أحب الله

تغيظ عبد الملك بن مروان من « رجاء بن حيوة » قال : والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن كذا وكذا ، فلما صار بين يديه ، قال له رجاء : ياأمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله .

فعفا عنه وأمر له بصلة .

كيف يكون التواضع ؟

قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت من هو أكبر منك ، فقل سبقتنى إلى الإيمان والعمل الصالح .

وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقته إلى الذنوب فهو خير منى .

وإذا رأيت إخوانك يعظمونك ويصفونك فقل : هذا فضل أحدثوه .

وإذا رأيت منهم تقصيرا فقل : هذا ذنب أحدثته .

من بعض العلماء

خوفوا المؤمنين بالله .

والمنافقين بالسلطان .

والمرائين بالناس .

قالوا ..

● ماندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلى ، ولم يزدد فيه عملى .

«عبد الله بن مسعود »

● والله لو علمت أن شرب الماء يثلم مروءتى ماشربته طول حياتى .

« الإمام الشافعى »

● الشبع من الحلال أصل كل شر ، فكيف إذا كان من الحرام ؟!.

« أبو حامد الغزالى »

● إذا لم تقدر على قيام الليل ، ولا صيام النهار ، فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والآثام .

« الحسن البصرى »

● اصحب ذوى الفضل وأهل الدين ، فالمرء منسوب إلى القرين .

«أبو العتاهية »

● المـال يـذهب حلـه وحـرامـه
يـومـا ويبقى فى غـد آثـامـه

«يحيى بن معين »

● حقيرة جدا الدجاجة التى تأكل طعام النملة ... ما أكثر الدجاج من هذا اللون !!!

الجَدُّ .. والجِدُّ

الجد - بفتح الجيم - وتشديد الدال المهملة ، من معانيه : الحظ ، والغنى ، والعظمة ، ومن هذا الأخير قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أى عظمته .

ويطلق على القطع ، والحظـوة ، ووجه الأرض ، والجديد ، وعلى الرجل العظيم الحظ ، وعلى الرزق ، وعلى شاطىء النهر ، وعلى أبى الأب والأم .

وأما الجد - بكسر الجيم - فهو الاجتهاد .

الخوف من عقاب الغيبة

مَرَّ داود الطائى يوما بموضع ، فوقع مغشيا عليه ، فحمل إلى منزله ، فلما أفاق سئل عن ذلك .

فقال : ذكرت أنى اغتبت رجلا فى هذا الموضع ، فذكرت مطالبته لى بين يدى الله - تعالى - .

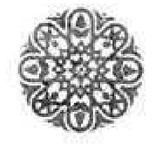
منازل اليد

أعلى الأيدى : المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ، ثم الآخذة بغير سؤال .

وأسفل الأيدى : السائلة والمانعة .

دعـاء

اللهم إنى أبرأ إليك من حولى وقوتى ، وألجأ إلى حولك وقوتك ، وأحمدك إذ أوجدتنا من العدم ، وفضلتنا على كثير من الأمم .



دين الله الإسلام

منبع الشرائع

للأستاذ: نظام الدين عبد الحميد

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

جاء الإسلام لتنظيم حياة الفرد والجماعة ، فاسس منهاجا واضحا للعقيدة لالبس فيه ولاغموض ، ووضع الضوابط للعبادات والمعاملات والعلاقات الداخلية والدولية فهو لذلك دين ودولة جاءت شريعته السمحة بمبادىء عامة وسعت مصالح الناس على اختلاف ميولهم فعاشت فى ظل عدالتها امم كثيرة وفى ذلك مايدفعنا إلى احترام انفسنا اولا ثم إلى المطالبة بهذا الاحترام من الاخرين كثمرة للتطبيق الصحيح لمبادىء ديننا الحنيف واحترام الإنسانية المثالية فى اشخاصنا .

لقد جاءت الحنيفية السمحة بماشرع للافراد والجماعات والامم كيف تكون مسئولية كل منها إزاء نفسها وإزاء الاخرين كى يسير العالم قدما نحو حياة صحيحة .

قال الأستاذ :

اقتضت إرادة الخالق - جل وعلا - إيجاد الوجود ، وشاءت مشيئة خلق النوع البشرى مزودا بأنواع من الملكات والغرائز والهدايات والقوى ، يستعين بها على سلوك مسلك الحياة واجتياز عقبتها على صورته اللازمة ، وكانت أعظم هداية زود بها واكثرها ضرورة له هى هداية الدين . وكانت حكمته السامية قاضية بأن يصطفى من بنى آدم أنفسهم أناسا غلبت قوتهم الروحية على ماديتهم غلبا يمكنهم من أن يكونوا وسطاء عن طريق الوحى بينه - سبحانه وتعالى - وبين بنى البشر لإبلاغهم اوامره ، ورسلا إلى اقوامهم ومللهم ينهجون لهم مايوافق مصلحتهم ، ويشرعون ماتقتضيه ظروفهم ، على ضوء دين الله الأوحد الموحى إليهم جميعا ،

والمفطورة عليه نفوسهم ونفوس البشر جميعا ، حيث إن البارىء تعالى قد فطر النفوس على الدين الفطرى ، ويسر لها اكتناه حقيقته ، لو رفعت عن بصيرتها ستار العماية ، وأزالت عنها حجاب الضلالة .

وإننا لو دققنا أطوار حياة الملحد المنكر الذى لايرى لغير المادة سلطانا ، ولا لغير المحسوسات وجودا ، ولا لغير الصدف عللا وأسبابا ، وفتشنا عن خبايا نفسه فى شتى الظروف والمناسبات ، للمسنا عنده مايؤيد هذا القول ، ولعثرنا عنده على جذور لهذا الدين توجهه للقيام ببعض أعمال البر والخير ، وهى السبب المباشر لكل مايأتيه من عمل إنسانى . وإنى التمس مصداق بعض قولى هذا فى هذه الآية الكريمة الآتية التماسا قويا : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ .

وإننا نرى الملحد المنكر يعزو سبب مايقوم به من معروف إلى دافع الوجدان أو الضمير أو الإنصاف أو الرحمة ؛ ولكننا لو فاجأنا هذا النوع من الإنسان المخدج ، وطلبنا منه أن يفسر لنا مدلول هذه الأسماء تفسيرا ماديا يرفع عنه النقاب ، ويبين المصدر المنبعث منه هذا الذى يسميه تارة وجدانا وتارة ضميرا ، ومرة إنصافا وأخرى رحمة ، لبهت من حراجة المأزق ، ولشده شاخصا إليك لايحير جوابا .

والشىء الذى يكاد يزاحم البديهة عندى ؛ هو أن مدلولات هذه الأسماء هى بعض مدلول كلمة الدين الحقيقى الفطرى ، أو هى فروع متفرعة من دوحة هذا الدين القويم ، أصلها شىء واحد ، وغذاؤها من نبع واحد .

فهذا الدين الفطرى بالرغم من أنه متأصل فى النفوس ، وبالرغم من أن النفوس قد جبلت عليه ، نرى بعض العميان الذين طغت ماديتهم على روحيتهم طغيانا طمس عندهم معالم الاهتداء إلى نور اليقين ، وأخفى عنهم سرج الوصول إلى الحق المبين ، يحاولون عبثا التحرر من سلطانه ، ويبغون ظلما الانسلال من دائرته . لذلك كان من آثار عنايته ، تعالى ، أن يرسل إلى مختلف الأمم فى مختلف الظروف رسلا موحيا إليهم دينه الأوحد ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ يجدد بهم مع بنى البشر عهد الفطرة ، ويجلو بهم صدأ الأوهام والخرافات عن جوهر الدين فى القلوب ، ويجرد بهم أذهانهم مما تعلق بها من الترهات وأسباب النقص والفساد ، ويطهر بهم نفوسهم مما طرأ عليها من أدران الزيغ والضلال ، ويدعو بهم إلى دينه الأقوم : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ [الحق الخالى مما ابتدعته الأهواء ، وأوجدته الأغراض ، من الشوائب التى لاتمت بصلة إلى الدين] حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ - [وحده] - وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . فهذه الآية الكريمة دليل واضح على أن الدين فطرة ، وأن البارىء ، تعالى ، قد فطر الناس على هذه الفطرة ؛ وهذه الفطرة عبارة عن الدين القيم الذي لايعتريه التغيير والتبديل . وهذا الدين هو دين الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، أى دين اسـلام الوجه له سبحانه وتعالى ، والانقياد والخضوع له وحده ، والاستعانة به ، وطلب جميع المآرب منه وحده : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وحدك فقط دون أحد سواك ، لكمال الوهيتك ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وحدك فقط ايضا دون أحد من الكهنة والرؤساء وشيوخ الطرق والأولياء ، ودون شىء من المقابر والأشجار والأحجار ، لكمال ربوبيتك .

هذا وإن الإنسان المتجرد عما ورث من العقائد والآراء ، الخالى الذهن عن كل مايحيط بعائلته ومجتمعه وبيئته من الشعائر والطقوس ←

من روائع الماضي

والأوهام ، لو فكر ساعة بذهن ثاقب في ساعة من ساعات التجلي ، وفي وقت من أوقات يقظة الضمير ، وفي فترة من فترات صفاء الفكر والقلب ، عن السر المحيط بهذا الكون ، وعن الواهب للموجودات الوجود والحركة والنظام ، وعن العلة الأصلية المحركة لدقائق الأمور وجلائلها ، لانجلى أمامه كل غموض ، ولانكشف لديه الحق الواضح الأبلج ، ولاهتدى بعقله وأدرك بأن هذا الارتباط الكلي بين أجزاء الكون الواسع العجيب لايمكن أن يعزى إلى مجرد الصدفة وبأن الكون بمجموعه يهيمن عليه صاحب قوة مدبرة جبارة لانهائية ، أوجد الوجود من العدم ، متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص ؛ تقصر عن درك ذاته الكريمة الأفهام ، وتضل عن اكتناه ماهيته العقول ، وهب الخلق وأوجد مابه يكون كمال الوجود ؛ ولاهتدى بتفكيره إلى أن هذا الواهب للوجود النظام المتقن لايعقل أن يترك البشر وشأنهم دون أن يرسل إليهم رسله مع ماتستوجبه عدالته ، وماتستلزمه حكمته ، وما تقتضيه ظروف البشر أنفسهم من الأوامر والنواهي والإرشادات لينتظم سير الحياة ؛ ولاهتدى أيضا إلى أنه لايمكن للعدالة الإلهية أن تترك المحسن دون ثواب ، وأن تترك المسيء دون عقاب ؛ ولأيقن بأن ثواب الصالحين المحسنين الممتثلين أوامر هذا الخالق ، والمتجنبين نواهيه ، وعقاب الطالحين المسيئين المخالفين أوامره والمقدمين على نواهيه ، يتحقق في يوم لاريب فيه ، يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه ، وذلك هو يوم القيامة ، يوم الحساب والعدالة ، يوم الفزع الأكبر . أليس من واجبه إذن أن يتوجه بقلبه إلى هذا الخالق عابدا ، ويسلم وجهه لهذا البارىء طائعا ، ويستمد ويطلب العون والتوفيق من هذا الرب وحده ، ويمتثل أوامره ويتجنب نواهيه ؟ بلى وربي ! .

فكل هذا الذي يتجلى لثاقب الذهن المفكر ساعة إشراق النفس ويقظة القلب وصفاء الروح ، المتجرد عن كل مايعكر صفو الفطرة ، هو الدين الحقيقي القيم ، دين الفطرة الذي فطر عليه النفوس جميعا ، دين اســلام الوجه له سبحانه وتعالى اســلاما يثبت له ، تعالى كمال الألوهية والربوبية .

نعم : الإسلام دين الفطرة ، هو دين جميع الأنبياء . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . فهذه الآية الكريمة نص صريح على أن الدين الحقيقي المقبول عند الله هو الإسلام ، وأن أهل الكتاب ماحادوا عن الحقيقة وما اختلفوا في الدين إلا من بعد أن افهموا بالحقيقة ، وأعلموا ماهية الدين ،بغيا بينهم . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا [في دين الله يعادي بعضهم بعضا ، ضالين عن المحجة البيضاء] لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ وقال تعالى :﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ [وهو بيان حقيقة دين الله وروحه الذي لايقبل التغيير والتبديل والتعدد] وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ [الدين المعروف الموحى إليكم جميعا] وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [مللا ونحلا يخاصم بعضكم بعضا ، وتفتحوا للتفرق والإحن والبغضاء والعداوات أبوابا] كَبُرَ عَلَى

﴿ ...الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

فهذه الآيات الكريمات ، والحكم العاليات ، براهين واضحة وحجج ساطعة على ان دين الله واحد لايقبل التغيير والتبديل والاختلاف ؛ فهو يقرر شيئا واحدا على لسان كافة الانبياء والمرسلين ، ويرمى إلى غاية واحدة ، ويستهدف هدفا واحدا عند جميعهم .

أما الذى قبل التغيير والتبديل ، وتغير وتبدل ، فهو الشرائع فقط ؛ إذ كان لكل رسول وكل إليه امر تجديد هذا الدين ، بين فترات واخرى ، شريعة خاصة متميزة عن باقى الشرائع تحمل صبغة تتوائم والعصر الذى أتت فيه ، وطبيعة الملة التى جاءت إليها ، والعقلية والظروف والأحوال السائدة آنذاك ، حتى تواجه المشاكل بالحلول المعقولة ، وتتكفل قضاء مصالح الناس المتشابكة بالطرق المقبولة . وكان العمل بمقتضى تعاليم شريعة من الشرائع مقصورا فى حدود مدة معينة من الزمان ، تنسخ أحكامها أحكام شريعة لاحقة ، حالة فى محلها من حيث وجوب العمل بمقتضاها .

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والرسل من شاء أن يرسل ، وبدل من الشرائع وغير ماشاء أن يبدل ويغير ، إلى أن أرسل خاتم المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة وأكمل سلام ، ليدعو إلى دين الله القويم ، فدعا إلى فطرة الإسلام ، ودعا إلى الأصول الجوهرية المنزلة على الأنبياء والمرسلين جميعهم بأمره تعالى القائل له : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ والقائل له : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

نعم أتى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، داعيا إلى فطرة الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، بدليل ما استشهدت به من الآيات ، وبدليل ما سأستشهد به من الآيات ، وبدليل ما تركت الاستشهاد به من الآيات ؛ ومعه الشريعة المرنة الخالدة التى تسمى هى أيضا بشريعة الإسلام ، الشريعة التى لم تختص بزمان دون زمان شأن ما سبقها من الشرائع ، ولم تتعين فى قوم دون قوم ، أو ملة دون أخرى ، أو جنس دون جنس شأن ماسبقها من الشرائع ؛ لانها فى كليتها كالدين لايعتريها النسخ والزوال ، فهى باقية بقاء الأرض والسموات ؛ لما فيها من الأصول العامة مايحقق لها الحياة الأكمل فى كل زمان ومكان . فجزئيات مسائلها وأحكامها فى تطور مستمر حسبما تتطلبه الأحوال وتقتضيه الظروف والمقتضيات ، وممعنة فى السير نحو التجديد سيرا لاينالها الخور والكلال ؛ ولأنها شريعة غذاؤها من فطرة الإسلام ، واستمدادها هدى الله ؛ ولأنها الجامعة لروح جميع الشرائع ، والمحيطة بأطراف جميع الشرائع ، والمجمع الذى تلتقى عنده كافة الشرائع .

فهذه الشريعة تلزم معتنقيها الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، وبكتبهم ، وبما أتوا به من الشرائع ؛ وتحتم عليهم إجلال هؤلاء الرسل والأنبياء واحترامهم ، إجلالا واحتراما يضاهيان مايحملون فى قلوبهم من الإجلال والاحترام لرسولهم محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ؛ وتقرر بعدم وجود فرق بين هؤلاء الهداة الذين قادوا البشرية كل فى وقته وزمانه نحو الكمال والسعادة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

من روائع الماضي

حَقًّا . وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وإن تعدد الشرائع يقتضى لها - للشرائع - تعدد الأسماء ، ويقبل الاختلاف فى التسمية ، فتسمى هذه مثلا بالشريعة النصرانية ، وتلك بالشريعة اليهودية ، وهذه بالشريعة الاسلامية .. الخ .

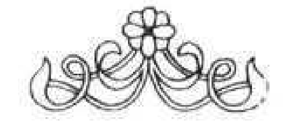
أما وحدة الدين فلا تقبل التعدد فى التسمية ، فهى تلزم وحدة الاسم ، لذا يلزم أن نسمى الدين باسمه المسمى به فى اصطلاح الوحى الموافق لفطرة الفطرة . أما إذا قلنا الأديان السماوية ، أو قلنا الدين المسيحى أو الدين اليهودى ، فالتسمية فى هذه الحالة لاتكون على حقيقتها ، وإنما تكون على سبيل الاستعارة ، أو تكون من قبيل إطلاق الخاص على العام . وإنى أجيز لنفسى أن التمس هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا . قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ولا أرى لدى مانعا من أن التمسه أيضا من قوله عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة ، إنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . الفطرة هى الدين ، والدين هو الدين الحقيقى ، دين الله الإسلام .

فكل مولود يولد خالى الذهن والفكر عن كل ماابتدع من العقائد ، وما التصق بالدين من الآراء ... فهو بما ركز فيه من القوى والغرائز ، وبما زود به من الهدايات ، مهتد بهداية الدين الفطرى ، ومطبوع عليها ، ولكن البيئة والعائلة ، وفيها الأبوان ، هى التى تطفىء سراج هداية هذا الدين الفطرى فى نفسه ، وتعكر نبع الإسلام فى قلبه ؛ فتبعده عن الحقيقة أيما إبعاد ، فتنصره موحية إليه أن الدين المقبول هو الدين النصرانى ، وكل ما تقرره النصرانية يقبل من دون مناقشة؛ أو تهوده موحية إليه أن الدين هو الدين اليهودى ، وكل ماتقرره اليهودية وما يأتى به الكهان من الشعائر والطقوس هو من صلب هذا الدين : أو تمجسه ، تنجسه ، موحية إليه أن المجوسية هى الدين الحق الكامل وأن معتنقيها هم المهتدون الفائزون وغيرهم ضالون خاسرون . فينشأ المولود ، ماقتا كل نحلة غير نحلته ، وكل فرقة لاتنتمى إلى جماعته ، وكل عقيدة تخالف عقيدته ، فيحارب الدين باسم الدين ، ويأتى باسم الدين من المنكرات ماأتى الدين لمحاربتها واجتثاث جذورها فى المجتمع ، ويزيد ويعقد المشاكل والعقبات الحائلة دون السير الإنسانى نحو الهناء والكمال ، ويرتكب من الأعمال المستهجنة ماتستوجب تأصل أسباب العداوة والبغضاء والشقاق والتفرقة بين بنى البشر قرونا وقرونا .

ولو أن رجال الدين فى كل فرقة ونحلة أرادوا وأحبوا أن تدرك الإنسانية المثل الأعلى فى معيشتها ، وتجردوا عن أهوائهم الشخصية ، وعقلوا ماهية الدين وكنهه ؛ لنبذوا كل سبب من أسباب التنكر والعداوة والتفرق ، ولتآلفت نفوسهم وتوحدت قلوبهم : ولتصافوا وتصافحوا واجتمعوا فى مائدة واحدة يلتمسون على ضوء دين الله الأوحد ما يتكفل هناء العيش البشرى وسعادته وأخوته على بساط الرحمة والصداقة والكمال .

العلوم الكونية

الأجيال الجديدة من التقنيات



المخدرات والمسكرات

الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة



ا. د. أحمد فؤاد باشا

(ب) اجيال المجاهر (الميكروسكوبات) :

المجهر (الميكروسكوب) هو جهاز لتكبير الدقائق الصغيرة ، وابسط انواعه عبارة عن عدسة زجاجية لامّة توضع امام العين فتزيد من قدرتها على رؤية التفاصيل الدقيقة للاشياء بصورة افضل .

ففى عام ١٦٧٤ اكتشف العالم الهولندى « فان ليفينهوك » تحت عدسته المكبّرة عالما جديداً في قطرة ماء .

ومنذ ذلك الحين قطعت التقنية شوطا بعيدا في تطوير العدسات والمجاهر وفنون فحص المكوّنات الدقيقة للمادة .

واسفرتْ جهود العلماء والتقنيين المتواصلة عن ظهور اجيال متعاقبة من المجاهر المتنوعة في تصميماتها ومجالات استخدامها ، نذكر منها :

١ ـ المجهر المركب Compound microscope ، ويتكون من مجموعة من العدسات الشيئية (أى التى تواجه الشىء المراد تكبيره) والعينية (أى التى ينظر المشاهد خلالها بعينيه ليرى الشىء مكبرا) ، وهو ما نراه عادة في معامل البحوث العلمية والتحاليل الطبية والطبيعية . وقد أمكن تطوير هذا المجهر وزيادة قدرته على التكبير إلى أكثر من ألف مرة .

وأفاد ذلك علماء البيولوجيا ومهندسى التعدين وعلماء الأراضى والمياه الجوفية والأحياء المائية والمشتغلين بالبحث العلمى في تكبير الميكروبات وفحص تفاصيل المقاطع والعينات الدقيقة .

٢ ـ المجهر الإلكترونى Electron microscope ، وهو ثمرة تطبيق العلوم الحديثة لخصائص الإلكترونات[١] في الأجهزة البصرية ،

---

(١) من اهم هذه الخصائص ان شعاع الإلكترونات العادى يكون مصحوباً بموجات تقع في مدى موجات الأشعة السينية القصيرة جداً ذات الطول الموجى القريب من وحدة الانجستروم (نظرية دى برولى) .

حيث يتم فيه تكثيف شعاع من الإلكترونات بواسطة عدسات مغناطيسية أو كهروستاتيكية وتظهر الصور المكبَّرة واضحة على شاشة عرض كمثل التى تستخدم في أجهزة التليفزيون ، وقد تمكن الباحثون بواسطة المجهر الإلكترونى من اكتشاف أضأل « الفيروسات » وفحص تفاصيل أدقّ في الخلايا والجراثيم ودراسة العوامل الوراثية .

ومن المعروف أن رؤية الأجسام تتم إذا كانت أبعادها وأحجامها تقع في حدود الطول الموجى للأشعة المستخدمة في رؤيتها .

لهذا كانت المجاهر الضوئية المركبة محدودة القدرة على التكبير عن المجاهر الإلكترونية ، لأن الأخيرة تعتمد على الإلكترونات التى يمكن التحكم في قصر طولها الموجى بزيادة سرعاتها . ومن ثم ، فإن مبدأ الاستعاضة عن الضوء بالالكترونات في المجهر الإلكترونى من شأنه أن يساعد على تحقيق زيادة تكبير ووضوح التفاصيل الدقيقة التى تبلغ من الصغر ما قيمته عدة نانومترات[٢] .

وقد بذل العلماء حديثا جهوداً مضنية لتطوير المجهر الإلكترونى ، وتمكنت بعض الدول الكبرى من زيادة قدرته على التكبير إلى مليون مرة بعد أن غذّته بجهود كهربية فائقة الارتفاع تبلغ ما يقرب من المليون فولت ، فانفتح بذلك مجال أكبر لرؤية دقائق الكون المتناهية في الصغر .

٣ ـ مجاهر السُبُر المسحى **Scanning probe microscopes** ، التى تعتمد على الحاسبات الإلكترونية في تظهير الصور ومعالجتها ، وقد ساعدت أنواع هذا الجيل الجديد من المجاهر على جعل العلماء يتمكنون من « رؤية » وتصوير جزيئات المادة وذراتها ، كما أنها قد زودتهم بطرق متقدمة لوصف « تضاريس » الخلية في أبعاد ثلاثة . ويكفى أن نذكر من بين أحدث هذه الأنواع ـ على سبيل المثال ـ مجهر المسح النفقى Scanning tunneling microscope (STM) الذى ينتمى لمجموعة الأجهزة غير المدمِّرة لعينات البحث (مقارنة بما يحدث عند استخدام المجاهر الإلكترونية ومجاهر الأشعة السينية)[٣] .

ويعتمد عمل هذا المجهر على حركة إبرة دقيقة جداً من « التنجستون » ، يتم التحكم في موقعها بدقة متناهية على بُعد ثابت ، يقدر ببضعة انجسترومات[٤] ، من السطح المراد فحصه ، ثم يولَّد فرق صغير في الجهد الكهربى يعمل على أن تشق الإلكترونات « انفاقا » عبر الفجوة بين الإبرة والسطح بمعدل يتناسب بدقة مع المسافة ، وذلك طبقا لظاهرة معروفة في ميكانيكا الكم Quantum mechanics باسم « تأثير النفق » Tunnel effect ، وبينما تمسح الإبرة سطح العينة اقترابا أو ابتعاداً للمحافظة على المسافة الصحيحة المحددة لاستمرار عملية شق النفق ، فإن أجهزة بالغة الحساسية تقوم بترجمة تيار الإلكترونات التى تشق النفق إلى صورة ثلاثية الأبعاد (أي مُجسَّمة) لكل « طوبوغرافية » (تضاريس) السطح ، حيث تظهر الذرات المستقلة على شكل نتوءات واضحة على السطح .

ولما كان استخدام المجهر النفقى مقصوراً على المواد الموصلة كهربيا ، فإن جهود الباحثين قد توجت باستحداث جهاز جديد أكثر فعالية لتصوير الجزيئات المعقدة ، حيث تمكن علماء جامعة ستانفورد في عام ١٩٨٦ من صنع « مجهر

←

(٢) النانومتر يساوى : واحداً على الف مليون من المتر ، أو $١٠^{-٩}$ متراً .

(٣) من المعروف ان الإشعاعات المختلفة تؤثر على خواص المادة بدرجات متفاوتة ، خاصة إذا ما تعرضت لها لفترات طويلة ، وهو ما يطلق عليه اسم « الإتلاف الإشعاعى » Radiation damage .

(٤) الانجستروم يساوى : واحداً على عشرة الاف مليون من المتر ، او $١٠^{-١٠}$ متراً .

القوة الذريـة « Atomic Force microscope (AFM) الذى استمدت فكرته من « مجهر المسح النفقى » ، على أن يتم نقل حركة إبرته الماسية إلى نابض موصول بمجسّ ، وكأنه أشبه ما يكون بجهاز الحاكى (الجرامافون) المصغَّر . وقد حقق العلماء بهذا المجهر نجاحاً مبدئيا يتمثل في تصوير الجزيئات المفردة للأحماض الأمينية والبروتونات .

ويسعى أهل الاختصاص الآن إلى تطوير هذه التقنية للاستفادة منها قريبا في مراقبة ومتابعة التفاعلات البيوكيميائية أثناء حدوثها ، وفي رؤية البنيات الداخلية للخلايا .

(حـ) أجيال المقاريب (التلسكوبات) :

المقراب (التلسكوب) هو جهاز النظر إلى الأجسام البعيدة وتكبيرها ، ويتكون في أبسط صوره من عدسة شيئية كبيرة تجمع أكبر قدر ممكن من الضوء الصادر عن الجسم المراد رصده ، وعدسة عينية للنظر من خلالها إلى الصورة المكبرة للجسم .

وعندما واجه الباحثون صعوبات بالغة في عمل عدسات كبيرة كاملة وخالية من العيوب ، لجأوا إلى استحداث مقاريب انعكاس فلكية تستخدم مرآة مقعرة مكان العدسة الشيئية ، وتقاس قدرة مقاريب الانكسار أو الانعكاس الفلكية بأقطار عدساتها أو مراياها .

ويمكن تصوُّر مدى التقدم الهائل الذى طرأ على أجهزة البصريات الفلكية من خلال تتبعنا لتاريخ أجيال المقاريب التى نذكر من أهم أنواعها :

١ - المقاريب الضوئية الأرضية ، وكان العالم الإيطالى « جاليليو جاليلى » هو أول من استخدم أبسط أنواعها المعروف باسمه في عام ١٩٠٦ م ، وبالرغم من ضآلة درجة تكبير مقراب جاليليو التى كانت تزيد على مقدرة تمييز العين البشرية عشرين ضعفا فقط ، إلا أنه مكّنها حينذاك من رؤية أوجه كوكب الزهرة ، والأطواق المحيطة بكوكب زحل ، والأقمار المنيرة حول كوكب المشترى ، وجبال قمر الأرض ووهاده ، والنجوم الكثيرة في درب التبانة .

وقد تلا ذلك تطور تدريجى في كفاءة المقاريب ، وكثر استخدامها في المراصد المنتشرة في مختلف البلدان ، فكان مقراب مرصد « هيل » Hale في قبة « أرت ديكو » Art Deco ، على سبيل المثال ، يعتمد على حاسبات ميكانيكية ، ويحتوى على ٣٦ آلية للروافع ، يتألف كل منها من عدة مئات من الأجزاء المتحركة تعمل كدعامات للمرآة ، أما اليوم ، فيعتبر المرصد المقام على جبل القوقاز بالاتحاد السوفيتي بالقرب من البحر الأسود من أقوى المراصد ، حيث يبلغ قطر مرآتـه ٦٠٠ سم . ويناظره في أمريكا ذلك المقراب العملاق القابع فوق جبل « بالومار » منذ عام ١٩٤٨ ، حيث يبلغ قطر مرآته ٥٠٠ سم ، وأمكن بواسطته الكشف عن أجسام يقل ضياؤها مليون مرة عن تلك التى أمكن لجاليليو أن يراها .

ويغلب أن تقام المقاريب الضوئية الكبيرة في أماكن مرتفعة ، أو على قمم الجبال للتقليل من تأثير الغلاف الجوى الذى يمتص جزءاً كبيراً من موجات الضوء ويحول دون تمييز الأجسام البعيدة أو الصغيرة بوضوح .

٢ - المقاريب الضوئية الفضائية التى بدأ استخدامها بنجاح بعد تقدم أبحاث الفضاء خلال العقدين الأخيرين لتعمل فوق متن المعامل الفضائية ، فقد حمل معمل الفضاء الأمريكى « سكاى لاب » أول مقراب فلكى معلق في الفضاء لالتقاط صور الشمس والنجوم والمذنبات من مدار عال على ارتفاع ٤٣٥ كيلومترا ، دون أي تعويق من الغلاف الجوى للأرض أو من السحب

المحيطة بها ، وسوف يشهد هذا العقد الأخير من القرن العشرين إطلاق « تلسكوب هابل الفضائي »[٥] Hubble space telescope من فوق متن المكوك الأمريكي ، لكي يسبح لسنوات طويلة في مدار ثابت حول الأرض ، وعلى ارتفاع يزيد على ٦٠٠ كيلو متر حتى يتجنب كل الآثار السيئة لجو الأرض ، ويتحرر من كل العوائق التى تعوق عمل المقاريب الأرضية .

وسوف يعمل « مقراب هابل » بواسطة أشعة الضوء المرئي ، كما سيعمل بالأشعة فوق البنفسجية ودون الحمراء ، ومن المتوقع أن يصل مجال رؤيته إلى نحو ١٤ الف مليون سنة ضوئية ، وهذا يعنى إمكانية رؤية بعض الأجرام السماوية بحالتها التى كانت عليها منذ مدة تبلغ أكثر من ثلثى العمر المقدر للكون على وجه التقريب ، ويأمل العلماء من خلال تدفق سيل المعلومات الجديدة عبر هذا المقراب أن يعرفوا المزيد عن مستقبل الكون وماضيه في الزمن البعيد ، كأن يستدلوا على الطريقة التى نشأ بها الكون ، أو يتمكنوا من دراسة المناطق التى تشغلها بقايا النجوم المنفجرة المعروفة باسم « السوبر نوفا » . وربما يساعد كل ذلك على اكتشاف وجود كواكب سيارة حول بعض النجوم ، وقد تكون هذه خطوة أولى في مجال الإجابة عن سؤال :

هل نحن وحدنا في هذا الكون ؟![٦] .

٣ - المقاريب الإشعاعية (الراديوية) **Radio telescopes** التى تعمل في مدى أمواج الطيف الكهرومغناطيسى غير المنظورة[٧] . وقد لجأ إليها العلماء بعدما تبيَّن لهم أن ما يرونه بواسطة المقاريب الضوئية لا يمثل إلا جزءاً يسيراً من مادة هذا الكون التى تكون محماة لدرجة الابيضاض حتى تظهر مضيئة ويصدر عنها ضوء قوى ، كما هى الحال بالنسبة للشموس والأجرام المتوهجة والأقمار المنيرة الساطعة .

اما اغلب مادة الكون فهى تسبح في الفضاء على هيئة مادة معتمة لا ينبعث منها أي ضوء ، أو على هيئة أجرام باردة أو نجوم اقل توهجا ، لا يمكن استقبال اشعاعاتها بالعين المجردة أو بالمقاريب الضوئية المعتادة .

لهذا استخدمت الاشعاعات غير المرئية ، مثل الأشعة السينية والأشعة تحت الحمراء واشعة جاما وموجات الراديو ، في رصد الأجرام السماوية ، واقيمت لها أنواع خاصة من المراصد الفضائية التى ساعدت على جمع قدر كبير من المعلومات الهامة عن الانفجارات النووية والسحب الكونية التى تقع بين النجوم .

وبالنسبة لموجات « الراديو » التى تستطيع أن تخترق جو الأرض دون تغير يذكر فقد تزايد استخدامها في المقاريب الراديوية لرصد اعماق الفضاء ، وساعد هذا النوع من المراصد الراديوية على تقدم علم الفلك الإشعاعى واكتشاف عالم جديد في أغوار الكون لم يكن معروفا للإنسان حتى عهد قريب ، قوامه نبضات

←

---

(٥) اطلقت هذه التسمية تكريما لعالم الفلك الأمريكي الشهير « إدوين هابل » Edwin Hubble وقد تأجل إطلاق هذا المقراب لعدة سنوات بسبب حادثة انفجار مكوك الفضاء الأمريكي « تشالنجر » عام ١٩٨٦ .

(٦) انظر : د . أحمد مدحت إسلام ، « هل نحن وحدنا في هذا الكون » ؟ مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٠ .

(٧) نعلم أن الطيف الكهرو مغناطيسى Electromagnetic Spectrum يتكون من إشعاعات اخرى يستقبلها سطح الأرض خلاف أشعة الضوء المرئي ، مثل موجات الراديو والأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية والأشعة السينية واشعة جاما ، ويقع الاختلاف بين كل هذه الأنواع من الإشعاعات في طول موجاتها ، وتعتبر موجات الراديو من اطولها .

راديوية شمسية أو كوكبية ، ونجوم نابضة Pulsars كان العلم قد تنبأ بها نظريا في أول الأمر ، وأشباه نجوم Quasars ومجرات وغيوم عملاقة من الجزيئات .

كذلك تم اكتشاف مجموعة من النجوم الثنائية التي يبدو أحدها كثقب أو فجوة سوداء لأن كثافته تكون عالية جداً لدرجة أن جاذبيته تعمل على إعادة الضوء الصادر منه إليه ولا تسمح لأشعته الضوئية بالهروب منه على الإطلاق .

ولا تقتصر أهمية الموجات الراديوية Radio waves على أنها تكشف عن عالم جديد من الظواهر الفلكية فحسب ، بل إنها تتميز بمقاومتها لأي تشوّه ينتج عن اضطرابات الغلاف الجوي أو العيوب الصغيرة في المقراب لكونها أطول بكثير من الموجات الضوئية .

وقد لجأ العلماء حديثا إلى استخدام وسائل مبتكرة لتطوير هذا الجيل الجديد من المقاريب ، وذلك عن طريق زيادة مدى التقاط موجات الراديو بمساعدة مجموعة من الهوائيات التي تشبه الصحون ، يبعد كل منها عن الآخر عدّة كيلومترات ، وتستخدم معا في تجميع موجات الراديو القادمة من الفضاء مهما كانت ضآلتها . ويستعان بحاسبات الكترونية متقدمة لتنسيق العمل بين كل هذه الهوائيات واستقبال المعلومات الواردة منها في محطة مركزية .

ويجرى حاليا في أمريكا تصميم مقراب راديوى على شكل شبكة تتكون من عشرات الهوائيات ، وتتوزع على مساحة هائلة يبلغ قطرها نحو ثمانية آلاف كيلومتر ، أي ما يزيد على نصف قطر الكرة الأرضية ، وستبلغ قدرة تمييز هذا المقراب قدراً أفضل ألف مرة من قدرة تمييز أضخم المقاريب الضوئية الأرضية التقليدية .

وينتظر لهذا المرصد الفلكي ، الذي أوشك بناؤه الآن على الانتهاء مع أوائل العقد الأخير من القرن الحالي ، أن يمكن العلماء من الحصول على صور واضحة لقلوب الكوازارات ونوى المجرات ، وأن يبين تفاصيل العمليات الدافعة لها والتي يعتقد بأنها تستمد طاقتها من الثقوب السوداء .

من ناحية أخرى ، يخطط الآن علماء الفلك في الاتحاد السوفيتي لإطلاق عدد من المقاريب العملاقة إلى الفضاء عن طريق استخدام صواريخ « إنيرجيا » القوية جداً ، وسوف تكون هذه المقاريب ضوئية وراديوية بأحجام أضخم بكثير من كل ما عرف منها على سطح الأرض حتى اليوم ، ويتوقع أن يحدث اتصال بين هذه المقاريب لتشكل مركز مراقبة هائلا على بعد هائل من الأرض .

٤ ـ مراصد الموجات الجاذبية : وهي أحدث أنواع المراصد التي تم بالفعل بناء واختبار نماذج أولية لها تعتمد على مقاييس تداخل ضوئي ليزرية لكشف نوع جديد من الموجات يطلق عليه اسم الموجات الجاذبية[8] Gravitational waves ، ومن المتوقع لمراصد هذا الجيل المزمع إنشاء بعض أنواعها قبل حلول القرن الحادي والعشرين أن تعطينا معلومات جديدة عن مصادر هذه الموجات في مختلف أرجاء الكون .

وأن تتيح لنا ولأول مرة رؤية واضحة للعمليات التي لا نراها اليوم باستخدام الموجات الكهرومغناطيسية إلا لماما .

---

(٨) هذا النوع من الموجات تنبأت به نظرية النسبية العامة لأينشتين ، حيث تعتبر الكرة الأرضية ـ طبقا لهذه النظرية ـ مغمورة على الدوام بالطاقة القادمة إليها من التفاعلات الجاذبية المتبادلة بين النجوم الثنائية ، وتنتشر الطاقة المتحررة نتيجة الاضطرابات الكونية ، كانفجار أحد النجوم ، بموجب هذه النظرية نحو الخارج بسرعة الضوء على شكل موجات جاذبية . وتسبب حركة هذه الموجات تشوّها في شكل مناطق الفضاء الذي تخترقه ، ويمكن من حيث المبدأ الكشف عن هذه الموجات إذا ما أتت من أجرام سماوية ثنائية ذات كتل أضخم من الشمس وكانت تتحرك بسرعات تقارب سرعة الضوء .

المخدرات والمسكرات

وأضرارها على المجتمعات

كيميائى
منير عبد الفتاح عبد الحميد

الحمد لله الذى احل لنا الطيبات لما فيها من المنافع والمصالح وحرم علينا الخبائث لما اشتملت عليه من المضار والمفاسد فقال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الاعراف آية (١٥٧) .

وروى الإمام احمد وأبو داود عن ام سلمة أن رسول الله ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر قال العلماء : المفتر ما يورث الفتور وتخدير الأطراف ، وذلك التخدير والنهى إنما هو لحرص الإسلام على عدم الإضرار بالنفس او بالغير أو بالمجتمع فهل تسبب المخدرات وتوابعها أو المسكرات وأنواعها هذه الأنواع الثلاثة من الأضرار ؟ سنحاول بعون الله تعالى أن نجيب عن ذلك فى هذا المقال .

المخدرات النباتية :

١ ـ الأفيون والخشخاش :

يستخرج الأفيون من نبات الخشخاش المعروف فى بلاد فارس ومصر وأسيا الوسطى .

وكان الكيميائيون وعلى رأسهم «سيجان» المرافق لجيش نابليون أول من اكتشف المورفين فى الأفيون . ثم استعمل بعد ذلك حقنا تحت الجلد فى أواسط القرن التاسع عشر كمسكن ثم تحول من مسكن إلى مادة تؤدى إلى النشوة ثم الإدمان .

ويستخرج من الأفيون الخام ما لا يقل عن ٢٥ مركبا من القلويدات (alcaloids) منها المورفين والكودايين والناركوتين وجميعها مخدرة .

٢ ـ القنب الهندى والحشيش :

نبات نشأ فى أسيا الوسطى ثم انتشر بعد ذلك فى البلاد الأخرى وصدر من الهند إلى الشرق

←

الأوسط (إيران ـ تركيا ـ مصر .. الخ) وتمت الدراسات الأولية على هذا النبات أثناء حملة نابليون على مصر من قبل علماء أمثال سيلفستر د. ساسى وروبيه بينما كان ينقل إلى البعض لتحليله ويعرف الآن أكثر من (٣٥٠) اسما مختلفا فى العالم والمركب الفعال فى كل هذه الأشكال هو رابع هيدرو كانا بينول (T.H.C) وإذا ما استخرج صافيا من النبات ، فإنه يتمتع بخاصية شبيهة بخواص الـ (L.S.D) الموجود فى (المهلوسات)[1] .

٣ ـ المهلوسات :

تنبت فى أمريكا الوسطى والجنوبية وهذه النباتات لها خواص مهلوسة ومن أشهرها الميسكالين وهو مستخلص من نبات ينمو فى المكسيك يدعى البيوتل (Peyotl) وكذلك البسيلوسيبين Psilocybine المستخرج من بعض الفطريات المكسيكية مثل فطر البسيلوسيب المكسيكى ومنها أيضاً الـ (L.S.D. 25) المستخرج من عدد من الفطريات النباتية كمهماز الشيلم (الجوادر) .

وقد عرفت المهلوسات فى أحد مؤتمرات الطب النفسى بأنها : مركبات تؤدى إلى اضطراب النشاط العقلى ، وإلى الاسترخاء العام ، وإلى تشوش فى الحكم على الأشياء ، وهى مولدة للأوهام وانفصام الشخصية والقلق الشديد .

المخدرات الصناعية :

تم بعد ذلك معرفة التركيب الكيميائى لهذه الأصناف المختلفة من المخدرات النباتية وأمكن تحضيرها معمليا (صناعيا) وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية بالتحديد قامت الصناعة الدوائية بتحضير مركبات صناعية للتخدير ، وهى تحضر من مخلفات القطران الفحمى ومن مشتقات البترول .

أول ما حُضِّرَ فى هذا المضمار ، مركبات لها تأثير مشابه للأفيونيات الطبيعية وهذه المركبات مثل البتيدين (Pethidine) الذى يباع بأسماء تجارية مختلفة كالدولوزال أو الدولانتين أو الديميرول ويستعمل أساسا كمضاد للتشنج ، ومسكن للآلام ومشابه لفعل المورفين ومثل الميثادون (Methadone) والأوكسى كودون Oxy codone .

بقى المورفين إلى فترة طويلة المركب الأساسى المستعمل للمداواة ، ثم حل محله مع الزمن أحد مشتقاته الصناعية الهامة وهو الهيروين (Heroine) الذى يسمى علميا ثانى استيل مورفين (Diacetyl morphine) ويدخل هذا المركب إلى البدن بكل الطرق الدوائية المعتادة : كالأنف والفم ومخاطية الجلد ، كما يمتاز بسهولة الاستعمال والقدرة الهائلة على السيطرة على المريض ، وهو أكبر فعالية من المورفين بخمس مرات .

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من الأدوية المنتشرة فى أسواق المداواة العالمية والتى طرحت للمعالجة على أنها سليمة تماما ولا تسبب الإدمان ـ تبين من خلال التجارب العلمية والإحصائية فى أقطار مختلفة أنها مركبات تقود إلى الإدمان والسيطرة على المريض .

وقد درس ديروبر (Derober) الإدمان على مركبات البيتيدين ، ولوحظ أنه مشابه تماما

(١) من معانى الفعل هلس ـ بابه ضرب : قال الجوهرى : رجل مهلوس العقل أى مسلوبه ورجل مهتلس العقل : ذاهبه . ا هـ لسان وليس فى المادة الفصيحة : هَلْوَسَ ، ويطلقها العامة ويريدون بها المعنى الفصيح .

للإدمان على الأفيونيات : كالنحول الذى يمكن أن يستمر حتى جفاف الجلد . وكذلك فإن الحقن ينجم عنها ليس فقط حالة من النشوة ، بل يترافق ذلك بحالة هيجان عرضى يتجدد بتكرار الحقن . لذلك وضعت القوانين والضوابط التى تحكم صرف هذه الأدوية للعلاج فى أضيق الحدود ، ومع ذلك فهى لا تزال تحمل تأثيرها الضار والفتاك على المريض ، وأقل ما يقال فى شأنها أنها تؤدى إلى الإدمان ، ونتمنى أن يأتى اليوم الذى يجتهد فيه العلماء المسلمون (فى الصيدلة والكيمياء) لإيجاد أدوية لا تحتوى على أى مادة مخدرة ، فإن الله تعالى لم يجعل فيما حرم علينا دواء[٢] .

كيف يبدأ الشخص استعمال الحشيش أو المخدر :

كثير من الأشخاص يستعملون المخدر نتيجة لغوايات قرناء السوء فبداية تعاطيه تكون غالباً تحت وطأة الضغط الذى يزاوله الرفقاء لكى يصبحوا (أعضاء جماعة واحدة) ولكن لابد أن يعلم الشباب وغيرهم أن مغبة هذا الأمر خطيرة فى الدنيا والآخرة وعندما يدخن الشخص الحشيش أو المخدر فإن المادة الفعالة فيه تمتصها معظم أنسجة الجسم وأعضاؤه .

وتوجد فى الأنسجة المختزنة ، ذلك لأن الجسم فى محاولته للتخلص من هذه المادة الكيميائية (الفعالة) يحولها إلى مواد دهنية أو مواد مختزنة . وقد أظهرت نتائج (تحليل البول) وجود هذه المواد فيه وذلك لفترة استمرت حوالى سبعة أيام بعد تدخين الحشيش كذلك أظهرت (الاختبارات الإشعاعية) وجود هذه المواد فى بول حيوانات التجارب لمدة تصل إلى شهر وهذا يعنى أن الجسم لا يتخلص منه بسهولة لأنه يتحول إلى دهنيات .

الأعراض والأطوار المختلفة التى يمر بها المدمن

المراحل	الأعراض		
	الأفيونيات	الحشيش	المهلوسات
المرحلة الأولى :	١ ـ التثاؤب . ٢ ـ التعرق . ٣ ـ سيلان الدمع . ٤ ـ السيلان الأنفى .	١ ـ طور النشوة المنبه : بعد ساعة أو ساعتين من تناول العقار يبدأ المرء بالإحساس بارتقاء نفسى وجسمى وسرور داخلى وفرح ذاتى لا يمكن تحديده .	تبدأ الأعراض بالشعور بالسعادة والفرح والضحك بدون سبب واضح . وازدياد فى النشاط العقلى .
المرحلة الثانية :	تفاقم الأعراض السابقة بالإضافة إلى : ١ ـ توسع حدقة العين .	٢ ـ مرحلة الهيجان العاطفية وفقدان الاتزان . يصبح المرء مرهف الإحساس والشعور وأقل	تسبب المهلوسات بعد ذلك أعراضا تنقل الشخص إلى طور تتخرب فيه الإدراكات وتضطرب فيه القدرات

(٢) عن أم سلمة عن النبى ﷺ قال : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » أخرجه البيهقى وصححه ابن حبان ، وأخرجه أحمد وذكره البخارى تعليقا على ابن مسعود .

المراحل	الأعراض		
	الأفيونات	الحشيش	المهلوسات
	٢ ـ قشعريرة فى الجلد . ٣ ـ نفضات عضلية . ٤ ـ آلام عظمية . ٥ ـ فقدان الشهية .	حركة بجانبه يقابلها طنين هائل ويتطور الأمر فيشعر المتعاطى أنه يعيش فى عالم واسع من الخيال والأحلام وتختلف المقاييس لديه فلا يعرف الأطوال والأبعاد والعرض .	العاطفية والعقلية والسلوكية .
المرحلة الثالثة :	إضافة إلى الأعراض السابقة : ١ ـ الأرق . ٢ ـ التوتر الشريانى وزيادة ضربات القلب . ٣ ـ تأخر وانهيار فى الصحة العامة . ٤ ـ غثيان .	٣ ـ مرحلة النشوة العظمى (مرحلة الكيف) : تستمر معه الخيالات والأوهام ثم يشعر المرء بالعجز العميق بحيث لا يقوى أن يبرى قلما أو يتناول كوبا من الماء وغالبا ما يصاب فى هذه المرحلة بانفصام فى الشخصية .	الشعور بأن أعضاءه مفككة الأوصال وينعدم الانفعال ويصاب باللامبالاة ويترافق معها غثيان ـ تجشؤ ـ شحوب الوجه ـ تعرق ـ توسع حدقة العين ثم الاختلال العقلى فالانحطاط فالانتحار أو انفصام الشخصية .
المرحلة الرابعة :	تفاقم الأعراض السابقة بالإضافة إلى : ١ ـ تلون رصاصى . ٢ ـ جلسة الكلب المتوفز (الاقعاء) . ٣ ـ اقياءات متكررة . ٤ ـ فقدان الوزن ٢ كجم/اليوم . ٥ ـ قصور كلوى وظيفى . ٦ ـ قذف منوى أنى أو عِنَّة . ٧ ـ ابيضاض الدم (زيادة كرات الدم البيضاء) . ٨ ـ زيادة سكر الدم .	٤ ـ مرحلة الانحطاط والنوم واليقظة . تنزل على المدمن سكينة من النوم ولا يستيقظ إلا فى اليوم التالى مصابا بالدهشة قليلاً . ـ القهر والإذعان وانحطاط الفرد فى المجتمع . ـ غالبا ما تؤدى إلى إدمان الهيروين .	

ويمكن إضافة مرحلة اخيرة لجميع أنواع المخدرات وهى (مرحلة الاستعباد) وهى التى يسترق فيها المصاب ، ويذعن إلى سلطة العقار كليا من الناحية البدنية والنفسية والعصبية ، بحيث يصبح بالنسبة إليه حاجة مستمرة قد يؤدى فقدانها إلى نتائج وخيمة :كالاسترخاء البدنى التام والميوعة الخلقية والنفسية والجرائم التى يلجأ إليها المدمن (أو المستعبد) لجلب المال حتى وإن أدى الأمر إلى قتل النفس .

آفات المخدرات :

يشترك جميع المدمنين تقريباً فى الأضرار البدنية التى تلحق بهم ويمكن ان نلخص معظمها فى الآتى :

١ ـ العينان :

ارتعاش واهتزاز (يظهر بوضوح فى حالة الهيروين) ـ اصفرار الملتحمة ناجم عن التهاب الكبد ـ انقباض الحدقة (يظهر بوضوح فى الأفيونيات) ، أو اتساع الحدقة (ينجم عن وجود L.S.D أو الحشيش أو الاتروبين وغيرها) .

٢ ـ الأذنان :

طنين يتفاوت فى شدته تبعا لنوع المخدر .

٣ ـ الأنف :

انثقاب الحجاب الأنفى (يظهر بوضوح فى حالة تعاطى الكوكايين) .

٤ ـ الفم :

الأسنان بحالة سيئة أو مفقودة مع صعوبة فى المضغ أحياناً .

٥ ـ العنق :

إصابة الوريد الوداجى بندبات اصطباغية ـ اضطراب الغدة الدرقية فى وظائفها .

٦ ـ القلب :

التهاب شغاف القلب (غالبا) ـ إصابة صمامات القلب (نصف الحالات تقريباً) ـ قصور الشريان الأبهر ـ ارتفاع الضغط الرئوى ـ قصور القلب الأيمن والأيسر ـ اضطراب النظم القلبى .

٧ ـ الرئتان :

ارتفاع الضغط الرئوى ـ الالتهاب الرئوى ـ الربو .

٨ ـ الجهاز البولى التناسلى :

قصور كلوى ـ التهاب الكبد الكلوية المزمن ـ آلام فى الحالبين مشابهة للنوبات الحصوية ـ عجز جنسى ، عقم ، قذف مبكر (للرجل) ـ نقص الشهوة (للمرأة) ـ انتشار البغاء والزنى ـ بواسير ـ اللواط .

٩ ـ الكبد والطحال والبنكرياس :

التهاب الكبد الوبائى ـ اضطراب وظائف الكبد ـ آفات الكبد (الموت فى أقل من ٣ سنوات) ـ تضخم الكبد (١٥ سم) ـ تضخم الطحال ـ التهاب البنكرياس المزمن .

١٠ ـ الاضطرابات العصبية :

الالتهاب السحائى ـ التهاب الدماغ ـ نوبات صرعية ـ نوبات صرعية لدى أطفال الأمهات المدمنات .

١١ ـ النقص المكتسب فى مناعة الجسم :

وهو ما يعرف (بالإيدز) وفى طليعة المصابين بهذا الداء الشواذ جنسيا (وغالبا ما يكونون مدمنين) يليهم المدمنون .

المشروبات الكحولية :

تشتمل المشروبات الكحولية جميعها على مركب كيميائى هو الايثانول أو الكحول الايثيلى ورمزه الكيميائى هو (ك٢ يد٥ أ يد C_2H_5OH) وإذا كان نقيا فهو سائل عديم اللون ، طيار وذو رائحة خفيفة ، طعمه حارق وشديد ، يهيأ عادة من تخمير وتقطير العصارات السكرية الطبيعية كالثمار والحبوب والخضار والنباتات السكرية أو النشوية .ويدخل الكحول فى تركيب ثلاث مجموعات متميزة من المشروبات وهى :

١ ـ البيرة (تحتوى على ٦٪ كحول .

٢ ـ الخمور (١٢٪ ـ ٢١٪ كحول) .

٣ ـ المشروبات الروحية (٤٠٪ كحول) .

المخدرات والمسكرات

ولا تحتوى هذه المشروبات على أى أثر من الفيتامينات أو المعادن أو البروتينات . بل تعتبر مركبات سامة ، وتستحق المشروبات الكحولية بلا منازع أن تتصدر قائمة العقاقير المخدرة الخطيرة فهى مواد معروفة منذ القدم ومنتشرة فى أرجاء الأرض وأنواعها لا حصر لها ، وحوالى ٨٠٪ من أفراد الشعوب الغربية تأتلف حياتها اليومية على هذه المشروبات . وتستحق الصدارة أيضاً لما تسببه من أضرار اجتماعية فهى مسئولة عن أعداد هائلة من حالات الوفيات ، كما ينسب إليها ما يزيد على نصف وفيات حوادث الطرق فى العالم ، وما يزيد على نصف الحوادث الإجرامية المضبوطة من قبل السلطات وترتبط بها غالبية حوادث الاعتداء والاغتصاب .

وتسبب المشروبات الكحولية وادمانها تموت فى الخلايا الدماغية والعصبية وإصابة الغدد الدماغية وأمراض القلب وأمراض المعدة كالقرحة ، وتعطل المشروبات الكحولية الوظائف الكبدية وتمنع تخزين السكريات والفيتامينات الضرورية للبدن .

وتصيب الجهاز التناسلى بالعجز ، وتصيب الأطراف بالارتعاش ، وتصيب الأوعية الدموية والمفاصل والأعصاب وفى النهاية يؤدى الإدمان إلى داء يسمى (داء الغَلَـة) أو الكحول (Alcoolisme) وهو داء مزمن يفقد فيه المريض السيطرة على استهلاك هذا المشروب .

أعراض هذا الداء هى ضعف الذاكرة ، والإفراط والانهماك فى السكر ، والإحساس بالذنب وتَشَمُّع الكبد والاختلالات السلوكية : كالاضطرابات العائلية ، والصعوبات المالية ، وفقدان العمل أو الوظيفة والانحراف وحوادث الطرق .

مما سبق تتضح بجلاء خطورة المخدرات والكحوليات على البدن وعلى المجتمع وبين الأفراد بعضهم بعضا . وفى إحدى الندوات التى تعقد فى مصر عن مشكلة المخدرات اوضح الدكتور حمدى السيد أنه «حتى عام ١٩٨١ - ١٩٨٢ كانت مشكلة تهريب المخدرات مشكلة اقتصادية بالدرجة الأولى فى مصر إذ تهرب أموالنا للخارج لجلب المخدرات .. وأضاف أن عدد المدمنين من الشباب يتزايد وقد بلغ عشرين الف شاب (على اقل تقدير) وهم فى حالة استعداد دائم للإجرام وأصبح لدينا الآن أصناف من الجريمة جديدة تماما على هذا المجتمع ، منها : الاغتصاب ، وخلفية هذه الجرائم ترجع إلى المخدرات » .

ونود فى هذه المقالة أن نلفت النظر إلى أن الانجليز قد تمكنوا من السيطرة الكاملة على الصين أيام الاحتلال - برغم ضخامة الصين حجما وبشرا - وذلك لأنها زرعت الأفيون وادمنه الصينيون ووصل الأمر إلى أن الأب كان يبيع بناته ليشترى بالثمن جرعات أفيون .

واحدث ذلك انهياراً سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ولم ينج الصين من هذه الكارثة إلا بعد أن شنت الحرب على المدمنين والجالبين عام ١٩٤٩ وطبقت عليهم أحكام الإعدام .

وهاهو الاتحاد السوفيتى يكتشف أن الخمور ضارة تماما مثل المخدرات وتعزى إليها الكثير من الحوادث والجرائم ، وتؤثر على عجلة الإنتاج بطريقة ملحوظة وأن الشعب كله اصبح من السكارى فصدر قرار رئيس الحزب ميخائيل جورباتشوف فى عام ٨٤/٨٥ بحظر بيع الخمور أو فتح المحال فى النهار ، وتم رفع ثمنها إلى أضعاف مضاعفة ،

البقية ص ٢٢٩

من قضايا الاختزال في كلام العرب

(٥)

للأستاذ: عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد

حذف المفعول به عند البلاغيين:

اهتم «عبدالقاهر الجرجاني» بحذف «المفعول به»، وقد بين في مقدمة حديثه عن ذلك[٢٤] أصلا مهما - فيما يبدو لي - وهو: أن حاجة الفعل إلى المفعول به الذى يتعدى إليه كحاجته إلى الفاعل، فإذا قلت: ضرب زيد، فأسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له، لا أن تفيد وجود الضرب في نفسه على الإطلاق، كذلك إذا عديت الفعل إلى المفعول فقلت: ضرب زيد عمرا، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه، فقد اجتمع «الفاعل» و «المفعول به» في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم المعنى الذى اشتق منه بهما، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول به ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه، ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه، بل إذا أريد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير أن ينسب إلى فاعل أو مفعول .. فالعبارة فيه أن يقال: كان ضرب، أو وقع أو وجد ضرب، وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد في الشيء ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:

١ - عمل الرفع في الفاعل للإشعار بأن الحدث كان منه، وعمل الفعل النصب في المفعول به لإفادة وقوع الحدث عليه.

٢ - تعلق الفعل المتعدى بالمفعول به كتعلقه بالفاعل من حيث احتياجه إلى كل منهما.

٣ - إذا أريد إثبات لشيء دون تعرض للفاعل أو المفعول يُصَاغُ التركيب صياغَةً تختلف عن صياغته التي تُفيد تعلق الفعل بالفاعل أو المفعول به.

وبعد هذا التمهيد للموضوع ينتقل الجرجاني للأفعال المتعدية التي حذف مفعولها مبينا أسرار ذلك فيقول: «اعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدى كغير المتعدى في أنك لا ترى له مفعولا لَفْظاً ولا تَقْدِيرا»[٢٥].

(٢٤) انظر دلائل الإعجاز ص ١١٨ دار الفكر ١٩٧٨.

(٢٥) المرجع السابق ص ١١٨، ١١٩.

من قضايا الاختزال

ثم قدم «الجرجاني» الأمثلة على ذلك قائلا : ومثال ذلك قول الناس : فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ، ويضر وينفع ، وكقولهم : هو يعطى ويجزل ، ويقرى ويضيف ، المعنى فى جميع ذلك على إثبات المعنى فى نفسه للشىء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت : صار إليه الحل والعقد والأمر والنهى ، والضر والنفع ، ومن ذلك فى أسلوب القرآن قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر ٩) فالمعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (النجم ٤٣ ، ٤٤) ، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ (النجم ٤٨) .

ثم يوازن «الجرجانى» بين نمطين تعبيريين ، الأول : هو يعطى ، والثانى : هو يعطى الدنانير .

فدلالة الأول : إثبات الإعطاء للفاعل فقط ، دون تعرض للمفعول به ، ودلالة الثانى : القصد إلى إعلام السامع أن الدنانير داخلة فى عطائه أو أنه يعطيها خصوصا دون غيرها أى أن الهدف بيان جنس ما تناوله الإعطاء لا الإعطاء فى نفسه ، ولم يكن كلامك مع من نفى أن يكون كان منه إعطاء بوجه من الوجوه ، بل مع من أثبت له إعطاء إلا أنه لم يثبت إعطاء الدنانير ونلحظ فى عمل «الجرجانى» ـ هنا ـ ما يلى :

١ ـ الموازنة بين دلالة الفعل حين يعدى إلى المفعول به ، وحين يُعْدل عن تعديته .

٢ ـ إظهار المقام الذى يقال فيه كل من الصياغتين (هو يعطى ، هو يعطى الدنانير) ويبين «الجرجانى»[٢٦] أن هناك أفعالاً متعدية مفعولها معلوم مقصود إلا أنه يحذف من اللفظ لدلالة الحال عليه ، ومن أمثلة ذلك قولهم : أصغيت إليه وهم يريدون «أذنى» ، وأغضيت عليه والمعنى : جفنى ، فالمفعول معلوم ، لكنه حذف اعتمادا على دلالة الحال والمقام عليه .

وقد يكون المفعول معلوما من سياق الحال أو المقام إلا أن صائغ العبارة ينسيه نفسه ، ويتعمد اخفاءه هادفا إلى معنى يقصد إليه ، ومن امثلة ذلك قول البحترى :

شجو حساده وغيظ عداه
أن يرى مبصر ويسمع واع

يقول «الجرجانى» فى دلالة الاعجاز[٢٧] : « المعنى لا محالة : أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره وأوصافه » ، فالمفعول معلوم ، ولكن الشاعر سرق علم ذلك من نفسه ودفع صورته عن وهمه قاصدا إلى معنى وغرض خاص وهو : أن ما يشجى الحساد ويغيظ الأعداء أن يكون فى الدنيا من له عين يبصر بها ، وأذن كى يعى معها حتى أنهم يتمنون الا يكون هناك من له عين او اذن ، وبذلك تختفى محاسنه التى ترشحه للإمامة والزعامة ، فيجد هؤلاء الحساد سبيلاً إلى منازعته إياها[٢٨] .

ويكشف «عبد القاهر الجرجانى» عن أن التركيب يختزل فيه المفعول به المعلوم لأن ذكره والتصريح به قد يوهم غير المراد ، ومن أمثلة ذلك قول «عمرو بن معدى كرب» :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

فالفعل « أجرت» متعد ، ومعلوم أنه لو عداه

---

(٢٦) دلائل الإعجاز ص ١٢٠ .
(٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،) انظر دلائل الإعجاز ص ١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ بتصرف يسير .

لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم فيقول : ولكن الرماح أجرتنى ، لأنه لا يتصور أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه لاستحالة أن يقول : فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت غيرى ، ولكن المعنى - فى نظر الجرجانى - يلزمك ألا تنطق بهذا المفعول ، ولا تخرجه إلى لفظك ، والسبب فى ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض ، وذلك أن الغرض هو : أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق ، ولو قال أجرتنى جاز أن يتوهم انه لم يعن بأن يثبت للرماح إجرارا ، بل الذى عناه : أن يثبت أنها أجرته ، فلما كان فى تعديته ما يوهم ذلك ، وقف فلم يعد البتة ، ولم ينطق بالمفعول لتخلص العناية لإثبات الإجرار للرماح ، وتصحيح أنه كان منها ، وتسلم بكليتها لذلك[29] .

وهكذا يقرر «عبدالقاهر» أن حذف المفعول به قد يكون الهدف منه هو : إثبات الفعل للفاعل فقط ، وقد يضم إلى ذلك الهدف شيء آخر ، ثم يعود إلى إظهار ذلك الأمر قائلاً : وإن أردت أن تزداد تبيينا لهذا الأصل ، أعنى وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب ، فانظر إلى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ . . . ﴾ (القصص ٢٣ ، ٢٤) .

ففيها حذف مفعول به فى أربعة مواضع إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم ومواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما ، وقالتا لا نسقى غنمنا فسقى لهما غنمهما ، ثم إنه لا يخفى على ذى بصر أنه ليس فى ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقا ، وما ذاك إلا أن الغرض فى أن يعلم أنه كان من الناس فى تلك الحال سقى ومن المرأتين ذود ، وأنهما قالتا لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء ، وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقى ، فأما ما كان المسقى أغناما أم إبلاً فخارج عن الغرض وموهم خلافه ، وذاك أنه لو قيل : وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما ، جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود ... »[30] .

وعند عبد القاهر الجرجانى يختزل المفعول به قصداً إلى «البيان بعد الإبهام» ليكون أوقع فى النفس ، ويتحقق ذلك فى حذف «مفعول فعل المشيئة» ، مثل قول الشاعر :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم
كرما ولم تهدم مآثر خالد

يقول « عبد القاهر » بعد هذا البيت[31] : الأصل لا محالة : لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته فى الثانى عليه ، ثم هو - الحذف - على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة ، وهو على ما ذكرت لك من أن الواجب فى حكم البلاغة ألا ينطق بالمحذوف ، ولا يظهر إلى اللفظ ، فليس يخفى عليك أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت : لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت إلى كلام غث ، وإلى شيء يمجه

←

(٣٠) انظر دلائل الإعجاز ص ١٢٤ بتصرف يسير .

(٣١) المرجع السابق ص ١٢٦ .

من قضايا الاختزال

السمع وتعافه النفس ، وذلك أن فى «البيان بعد الإبهام» وبعد التحريك ، التحريك له أبداً لطفا ونبلاً لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك ، ومجىء المشيئة بعد «لو» ، وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة إلى شىء كثير شائع كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ (الانعام ٣٥) ، ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الانعام ١٤٩) والتقدير فى ذلك كله : ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم ، ولو شاء أن يهديكم اجمعين لهداكم إلا أن البلاغة أن يجاء به كذلك محذوفا[٣٢] .

وقد يتفق فى بعضه ـ فعل المشيئة ـ أن يكون إظهار المفعول هو الأحسن وذلك إذا كان المفعول شيئاً غريبا مثل قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وسبب حسن ذكر المفعول هنا : أنه من الغريب العجيب أن يشاء الإنسان أن يبكى دما ، فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره فى نفس السامع ويؤنسه به[٣٣] .

ويقول «ابن الأثير»[٣٤] : ولقد تكاثر هذا الحذف فى «شاء» و« أراد » حتى انهم لا يكادون يبرزون المفعول إلا فى الشىء المستغرب كقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الزمر ٤) .

ومن حذف المفعول المعلوم قول الشاعر «البحترى» :

إذا بعدت أبلت وإن قربت شفت
فهجـرانها يبـلى ولقيـانهـا يشفى

يقول الجرجانى عقب ذلك البيت : قد علم أن المعنى : إذا بعدت عنى أبلتنى وإن قربت منى شفتنى ، إلا انك تجد الشعر يأبى ذلك ويوجب إطراحه ، وذلك لأنه أراد أن يجعل «البلى» كأنه واجب فى بعادها أن يوجبه ويجلبه ، وكأنه كالطبيعة فيه ، وكذلك حال الشفاء مع القرب حتى كأنه قال : أتدرى ما بعادها ؟ هو الداء المضنى .

وماقربها ؟ هو الشفاء والبرء من كل داء ولا سبيل إلى هذه اللطيفة إلا بحذف المفعول البتة فاعرفه[٣٥] .

ومن دواعى اختزال المفعول بـه لدى البلاغيين[٣٦] :

□ استهجان ذكره ، كقول عائشة ـ رضى الله عنها : « ما رأيت منه ولا رأى منى » تعنى : العورة .

□ رعاية الفواصل كقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ أى وما قلاك أى أبغضك .

□ العلم به كقوله تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ (الكهف ٢) .

(٣٢) دلائل الإعجاز ص ١٢٦ .
(٣٣) دلائل الإعجاز ص ١٢٦ .
(٣٤) المثل السائر ٢/٣٠٧ .
(٣٥) دلائل الإعجاز ص ١٢٥ .
(٣٦) انظر علوم البلاغة ٨٩ .

أى لينذر العباد ، أو لينذركم ، أو لينذر الذين كفروا[٣٧] .

ومن خلال هذا العرض لدراسة ظاهرة «حذف المفعول به» عند النحاة والبلاغيين يبدو لى ما يلى :

□ أثار النحاة بعض ما قاله البلاغيون .

□ يختلف تناول البلاغيين لحذف المفعول به عن تناول النحويين ، وذلك واضح جلى من كلام عبد القاهر الجرجانى السابق .

□ يدرس الجرجانى هذه الظاهرة دراسة ذوقية جمالية وذلك عن طريق إظهار المعنى مع الحذف ، وإبراز فساد ذلك المعنى عند ذكر المفعول به .

□ يقرر الجرجاني أن «حذف المفعول» ليس لنتائجه نهاية ، حيث إنه طريق إلى ضروب من الصنعة ، وإلى لطائف لاتحصى[٣٨] .

والذى يدرس هذه الظاهرة ـ حذف المفعول به ـ محتاج إلى ما قاله النحاة والبلاغيون معا ليقف على الأسرار التى تكمن وراء ذلك الحذف ، ونحن فى حاجة إلى الدمج بين النحو والبلاغة عند البحث عن أسرار هذه الظاهرة فى العربية .

وبالله التوفيق .

---

(٣٧) انظر التبيان فى اعراب القرآن ٢/٨٣٧ وعلم وعلوم البلاغة ٨٩ .

(٣٨) دلائل الإعجاز ص ١٢٥ .

المخدرات والمسكرات ـ بقية ـ

ومعاقبة سائقى السيارات المخمورين بسحب رخصهم نهائيا ، واصبح مالوفا هناك ان تجد ضابط المرور يوقف السائق الذى يشتبه فيه ويجرى عليه اختبارات ليتاكد من انه لم يحتس اى جرعة من الخمر مهما قلّت .

والولايات المتحدة الأمريكية ايضاً قد اعلنت الحرب الضروس على تجار المخدرات ورصدت لذلك الأموال الطائلة ؛ بل جندت قوات خاصة من الجيش وذلك لخطورة الموقف والاضرار البالغة التى تحدثها هذه السموم وتجارتها . ولابد إذن من شن الحرب على تجارة المخدرات والمسكرات فى بلدنا المسلم وقد اجاز بعض علمائنا تطبيق عقوبة الإعدام على جالبى المخدرات كذلك ندعو إلى إلغاء بيع وتداول الخمور (وتجريمها) تماما مثل المخدرات .

روى الإمام احمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها »[٣] والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(٣) الحديث رواه الإمام احمد بسند صحيح ورواه ايضاً ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح .. أ هـ .

التليفزيون

بين الترفيه والإثارة

للأستاذ : عاطف شحاته زهران

الترفيه مادة لا تستغنى عنها اية وسيلة إعلامية ، وهى إحدى وظائف الإعلام الهامة ، لاسيما فى عصر ازدادت فيه الصراعات لأسباب كثيرة ، فالإنسان الغارق لأذنيه بين مطالب الأسرة ومطالب الحياة الملحة ومشاكل العمل والمواصلات والأسعار قد يستسلم فى آخر يومه « للتليفزيون » باحثا عما يسليه وينتشله من واقعه . وقد استثمرت كل وسائل الإعلام هذه الحاجة وتنافست على جذب « المتلقين » إليها لتقول من خلال الترفيه ما تشاء من آراء وأفكار ، وتصب كل ذلك فى قالب جذاب وخادع قد لا يفطن إليه الكثير ، وقد يدركه ـ أو شيئاً منه ـ القليلون إلا أنهم يشتركون جميعاً فى استيعاب المادة بما فيها لضحكة عابرة ، أو عقدة مفتعلة ، أو تسلسل أحداث مع مشاهد وإضاءة ومؤثرات أو مثيرات أخرى تستلب عقل المتلقى مع سمعه وبصره ، وتجعله يعيش المشكلة المعروضة أمامه وينغمس فيها إلى حد كبير يقول « أريك بارنو » مؤرخ التليفزيون الأمريكى :

إن مفهوم الترفيه فى تصورى هو مفهوم شديد الخطورة . إذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه فى أنه لا يتصل من بعيد أو من قريب بالقضايا الجادة للعالم . وإنما هو مجرد شغل ساعة من الفراغ والحقيقة أن هناك « أيديولوجية » مضمرة بالفعل فى كل أنواع القصص الخيالية فعنصر الخيال يفوق فى الأهمية العنصر الواقعى فى تشكيل آراء الناس »[1] !

ولعل الخطورة تزداد حين توجه الرسالة لمجتمعات تزيد الأمية فيها على ثلاثة أرباعها فأولئك الأميون حينئذ أكثر استعداداً لتقبل هذه الأفكار التى تأتيهم عبر ساعات طويلة يقضونها أمام التليفزيون بين أفلامه ومسرحياته ومسلسلاته وإعلاناته وهم بذلك يوفرون مناخاً جيداً لانتشار الأفكار التى تحتويها المادة الترفيهية وتركز عليها بطرق خفية أو ظاهرة .

فعلى سبيل المثال : ساعدت أجهزة الإعلام عندنا وعلى رأسها التليفزيون فى نشر قيم سلبية استورد معظمها من مجتمعات أجنبية كالعنف

---

(١) انظر كتاب « المتلاعبون بالعقول » هربرت شيللر ـ ترجمة عبد السلام هارون ـ عالم المعرفة ـ الكويت ص ١٠٤ .

وحرية[٢] الفتاة المطلقة ، وخلوة الرجل بالمرأة والمعنى الحسي للحب .. إلى غير ذلك . وحسبك أن تناقش جماعة حول الحشمة في لباس المرأة الشرقية ، أو التزام الفتاة بأخلاق الأسرة والدين الحنيف .. فتستمع جواباً مكرراً : إننا في عصر الحرية وقد يصفون الحشمة بالرجعية ، والتمسك بأخلاق الدين وتقلص معنى المدنية والحضارة في اللباس القصير والشعر المكشوف ومسايرة أحدث خطوط « الموده » في فرنسا ولندن وهي بلا شك تكشف ما أمر الله بستره صيانة للمرأة وكرامتها وحفظاً لعفتها وطهارتها ، وشغلت الأمهات بذلك عن تربية أبنائهن وحقوق أزواجهن فأضعن ما أمر الله بحفظه .

غزا التليفزيون بيوتنا فعرض على نسائنا وبناتنا صور المرأة الكاسية العارية . فألف النسوة عندنا ذلك حتى القرى التي ظلت متمسكة بأخلاقها إلى زمن قريب ـ بدأت تتغير وتفكر بعقل « البطلة » في « الفيلم » أو « المسرحية » .

ولن يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبني وغيرك يهدم !

وعلى نفس الطريقة تغيرت العلاقة بين الشباب والفتيات لما رأوا الشاشة الصغيرة تعرض عليهم صوراً للعلاقة بين الطرفين .. كخروج الفتاة للنزهة مع صديقها وممارسة الحب والخلوة واللمس والعناق والتقبيل .. فإذا حاولنا افهامهم أن ما يعرض مخالف لواقعنا قوبل الرفض منا بالسخرية والاستهزاء .

إن الإسلام لم يحرم الترفيه الهادف والموجه الذي يقدم فلسفة مرسومة لصلاح المجتمع والحفاظ على أخلاقه ودفعه إلى العمل والرقي . والمفروض أن تحرص المادة الترفيهية على تقديم مبادىء أو اتجاهات مرغوبة من خلال هذا الوقت الذي يقضيه الناس في متابعتها في إطار ديننا وقوميتنا .

في إحدى المسرحيات رأى المشاهدون بطلتي المسرحية تسعيان لزواج البطل بإحداهما ، وهو معهما في بيت واحد ، فتقول لأختها : « اغريه يابت » وتأمرها بكشف ساقها لهذا الشاب الغريب لإغرائه حتى يعجل بالزواج منها . وحين يصب ذلك في قالب ساخر يضحك منه المشاهدون . فهي في الواقع تغري آلاف المشاهدين من الشباب . فهل نسمي ذلك ترفيها !؟

ولا مراء في أن العاملين على التليفزيون يدركون الفرق بين الترفيه والإثارة .. الترفيه البريء الذي يعين المشاهد على مواصلة مسيرته في الحياة على مابها من مكدرات ، ويجدد نشاطه

←

---

(٢) أن الأوان للحديث عن هذه الحرية .. إنها هنا مجاز محض ، وليست هي الحرية المعروفة لغوياً ومعنوياً ، ذلك أن الحقيقة تبين أن الفتاة ، ومثلها الفتى إذا ماتم من عمره ستة عشر عاماً لم يعد لوالديه أدنى حق لهما قبل الفتى والفتاة مطلقاً ، وكثير من أهل الغرب يتخلصون من أولادهم عند بلوغهم هذه السن ، وبعضهم يستخدم ـ لذلك ـ طرد الفتى والفتاة ، وما من شك أن الفتاة في هذه السن التي لا تحكمها قيادة حكيمة ، ولا توجهها إرادة رحيمة تكون فريسة لأول غاصب في هذه السن البريئة ، وحسبك ما يتركه هذا الغصب في نفس الفتاة من مشاعر اليمة وعقد كريهة في مستقبل عمر الزهور ، فأي قيمة تأخذ من نفسها موضعا كريما ، أو نظرة سليمة ، أو عناية بتنمية لفضيلة في مجتمع الذئاب هذا .

إن « رد الفعل » حينئذ معروف وهو الاستهتار التام بكل القيم ، وهو الذي نطلق عليه الحرية

والحرية منه براء .. (الخطيب) .

التليفزيون بين الترفيه والاثارة

وحبه لعمله ووطنه ، ويدفعه لزيادة الإنتاج بعيداً عن الإسفاف الخلقى والإثارة ودغدغة الغرائز .

إنك تتساءل فى دهشة ـ لو أن الأمر فى إطار ديننا الحنيف : أى فائدة « لبحيرة البجع » فى حياتنا ، وما القيم السامية التى يمكن أن تغرسها فى نشئنا وهل هى ترفيه ، أم « أكل عيش » على حساب كل قيمنا ؟!

ثم إن « هناك » فيلما يدور حول الخيانة الزوجية ويحرض عليها كدواء للمشكلات الزوجية حسب قول بطل الفيلم الذى يتخذه شعاراً :

« كيف تخون زوجتك وتسعدها » !؟ ويعلم أصحابه أصول الفن ، ويدخلون جميعاً فى علاقات محرمة مع نسوة أجنبيات للتغلب على المشكلات التى تواجههم بتحريض من كبيرهم ، لأنه صاحب تجارب ومغامرات كثيرة ومثيرة فى هذا الميدان ، ونصائحه تضمن لهم سعادة زوجية لمدة خمسة وعشرين عاماً ..

تساءل ما شئت : لمن هذا الفيلم ؟ وما المطلوب من أهدافه ؟إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

لقد سئم الناس فى الغرب مشاهد العرى فى التليفزيون وغيره من وسائل الإعلام .

أثبتت إحصائية أمريكية نشرت مؤخراً أن ٥٤٪ من الأمريكيين يعتقدون أن مشاهدة العرى فى وسائل الإعلام تقود إلى جريمة الاغتصاب ، وأن ٨٩٪ من النسوة يعتقدن أنه يجب أن يكون هناك تضييق أكبر من المطبوعات التى تروج للعرى .

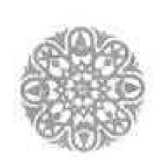
لقد لمسوا سوء مصيرهم من جراء تلك الاباحية والإثارة مما ادى إلى انتشار أمراض خطيرة لم تكن فاشية فيمن قبلهم ، وتفكك أسرى وكثرة الأبناء غير الشرعيين ، وإقبال على المخدرات بكل صنوفها فلا عجب أن يعلنوا رفضهم للعرى .. قد نتوقع أن يتهمهم أتباعهم الشرقيون بالرجعية أو الردة .. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

وبعد :

فما أكثر ما سمعنا قول الله سبحانه يتردد بيننا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة/٢ . والأمر موجه لكل المسلمين على مختلف طاقاتهم ومنازلهم ، و« البر » معنى جامع لكل خير وصلاح ، و« الإثم » معنى شامل لكل فساد وافساد .

نسأل الله أن نكون من أهل البر ..

والله من وراء القصد .



النظرية السياسية الإسلامية

في حقوق الإنسان الشرعية

دراسة مقارنة

تأليف : د. محمد أحمد المفتي   د. سامي صالح الوكيل

عرض وتحليل

لواء أ.ح. فوزي محمد طايل

لقد صارت عبارة « حقوق الإنسان » من أكثر العبارات تداولا واستخداما في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي ، وهي عبارة حديثة المنشأ نسبيا ، مرنة مطاطة ، يفتن بها العامة من الناس ، وهي خلاصة القيم الغربية النصرانية ، وإن احتوت على مبادىء عامة لايقرها شرع سماوي .

وقد تحولت عبارة « حقوق الإنسان » من مجرد قيمة عليا من قيم النظم الديمقراطية الغربية ، وإفراز من إفرازات حضارة الغرب المفرطة في المادية ، للحد من غلواء هذه المادية ، ولتسكين مشاعر العامة كي لا تثور على الممارسات غير العادلة للرأسمالية في مجتمعات الغرب .

أقول : تحولت عبارة « حقوق الإنسان » إلى وسيلة ضغط ، بل قهر في مجال العلاقات الدولية ، ووسيلة لتسلط الولايات المتحدة الأمريكية ، نيابة عن الدول الغربية ، على شعوب « العالم الثالث » التي يشكل المسلمون جزءا كبيرا منها .

ولاغرو ، فالمتتبع للتقرير الذي تقدم به إرنست ليفيفر Ernest W.Lefver مساعد الرئيس « رونالد ريجان » لحقوق الإنسان ، إلى الكونجرس الأمريكي فأقر ماجاء به ، ونشرته مجلة «Policy Review» في عددها الصادر في شتاء ١٩٧٨ م ، ليجد أن التقرير يدعو إلى وجوب القيام بالضغط المادي والمعنوي على الدول الأخرى من أجل تغيير مؤسساتها الداخلية ، وممارساتها السياسية الداخلية بما يجعلها تلتزم بما جاء في مبادىء حقوق الإنسان ... ثم يضيف « ليفيفر » أن هذا لن يكون إلا إذا نصبت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها قاضيا على المجتمعات الأخرى التي لا تشاركهم نفس القيم ، بل ومنفذ يحدث اضطرابا في السياسات الداخلية والخارجية لتلكم المجتمعات ، وإليكم

←

النظرية السياسية الاسلامية

نص ما تضمنه التقرير :

«To do so is to set our selves up as the judge of other societies which may not share the same values as we do, and to confuse domestic and foreign policy».

ولعل ما نشهده فى عالم اليوم منذ نهاية الثمانينيات من ضغوط معنوية ومادية(باستخدام القروض والمعونات الاقتصادية والمعونات المسماة « بالإنسانية ») لحمل دول العالم الثالث على تبنى « الديمقراطية » ، ومراعاة « حقوق الإنسان » ليقف خير شاهد على ماندعيه ... وعلى سبيل المثال : فقد قطعت الولايات المتحدة الأمريكية معوناتها الاقتصادية عن كل من السودان والصومال للسبب المذكور ... وهددت دولا أخرى بنفس المصير ، كالعراق مثلا .

يأتى مانقوله هذا فى إطار الهجمة الصليبية الشرسة التى ينتظر أن تبلغ مداها خلال سنوات قليلة جدا مركزة على تدمير أو محو قيم الإسلام وإحلال غيرها بدلا منها .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الكهف الآية (٢٠) :

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ويقول : عز وجل ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً[1] وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ التوبة الآية ١٠ .

مما سبق تتضح لنا اهمية الكتاب الذى نعرض له ، إذ يتناول بالنقد والتحليل احد الأبواب التى يوشك أعداء الإسلام أن يلجوا منها لتدمير القيم الإسلامية من خلال إحداث خلط للمفاهيم وإخال ماليس من الإسلام فيه .

والكتاب الذى نحن بصدده هو الإصدار الخامس والعشرون من إصدارات كتاب الأمة فى شوال ١٤١٠ هـ . ويقع متن البحث فى نحو تسعين صفحة من القطع الصغير مقسما إلى (مقدمة) و (اربعة ابواب) و (خلاصة) ، وهو بهذا يقدم للقارىء المسلم المتخصص وغير المتخصص مادة علمية ميسرة توضح موقف الاسلام من فكرة « حقوق الإنسان » ... وهذا ما نجح الباحثان فيه إلى حد كبير مستخدمين فى ذلك أسلوب الدراسة المقارنة .

●●●

هذا وقد تصدر الكتاب تقديم مناسب بقلم الأستاذ عمر عبيد حسنة ، أكد فيه أن منهاج الإسلام يقوم على أساس أن المسلم مكلف بواجبات مستشعر للمسئولية لامطالب بحقوق .. وذلك لاختلاف طبيعة نشأة وتطور المجتمع الإسلامى عن المجتمعات فى أوروبا ، إذ عاشت هذه الأخيرة قرونا فى ظل تسلط البشر بعضهم على بعض ، فاتخذ ذلكم التسلط صورا وأشكالا أهدرت فيها كرامة الإنسان ، فى حين كان موقف الإسلام منذ البداية هو تكريم الإنسان وتسخير الكون له ، بل وتفضيله على كثير من خلق الله . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ﴾ (الإسراء الآية ٧٠) .

فكرامة الإنسان فى الإسلام دين من الدين ،

(١) أى لا يحترمون عهدا ولاحلفا للمسلمين .

لايجوز المساس بها ، أو حتى التنازل عنها . وحماية الإنسان في دينه ، ونفسه ، وعقله ، وعرضه ، وماله مقصد الشريعة وغايتها ، وماشرع الله تبارك وتعالى الحدود إلا لحمايتها ، فحماية كرامة المسلم حق وواجب في آن واحد ، وهي تكليف للفرد من حيث كونه فردا ، وللمجتمع كله في آن واحد .

هذا ، وقد أشار التقديم بوضوح إلى مخططات الغرب لإسقاط الإسلام من نفوس ابنائه من خلال لجان حقوق الإنسان ، ومنظمات العفو الدولية وما إليها . ويضيف قائلا :

إذا كان العقد الاخير من القرن العشرين يسمى « عقد حقوق الإنسان » فأين موقع الخطاب الإسلامي ؟

ولماذا لانستغل التسهيلات الإعلامية الخاصة بالبث المباشر للإذاعة المرئية (التلفاز) للوصول بالخطاب الإسلامي إلى العالم ، فنعيد الإسلام إلى مرحلة الشهود الحضاري .

●●●

فإذا ما انتقلنا إلى متن البحث نجد ان الباحثين يؤكدان على حقيقة : ان المفاهيم الغربية عن « حقوق الإنسان » قد وجدت طريقها إلى العقل المسلم ، بل وترسخت لدى الكثيرين ، بسبب غياب المفاهيم الإسلامية ؛ لذا فقد جعل الباحثان هدفهما من البحث كشف الأصول والقواعد الفكرية التي بنيت عليها فكرة « حقوق الإنسان » حسب الصياغة والمفهوم الغربيين ، ثم تبيان تناقض ذلك والتصور الإسلامي لما سماه الباحثان « الحقوق الشرعية للإنسان » .

●●●

وقد جاء الباب الأول تحت عنوان « حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي وفي الشرع الإسلامي (التنظير والممارسات) » ، فعرض للأصول الفكرية الغربية القائمة على فكرة (الحقوق الطبيعية المتساوية لكل البشر) ، والتي كان الافراد يتمتعون قبل قيام الدولة ، فإذا ما انتقلوا للعيش في جماعة كان لزاما أن تحترم حقوقهم وحرياتهم الطبيعية ، بل وإن تعلو هذه الحقوق والحريات على سلطان الدولة التي تقيد لصالحها ، ومن خلال هذا المفهوم يتم حل التناقض بين السلطة والحرية وبتطور الممارسات في أعقاب الثورتين الامريكية والفرنسية ، ثم ممارسات الحربين العالميتين : الأولى والثانية ، اكتسبت فكرة « حقوق الانسان » بعدا دوليا ، فأصدرت الأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ م (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) باعتباره اتفاقية مفتوحة يلتزم بها كل من وقع عليها . وتلا ذلك صدور « العهد الدولي بشأن الحقوق المدنية والسياسية » عن منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٦٦ .

وقد أثبت البحث تهافت هذا المفهوم «تنظيرا وواقعا » إذ بني على محض افتراض وخيال بعيدين عن الحقيقة والواقع .

وفضلا عن تناقض الفكرة مع نفسها فإن الدساتير والمواثيق الوضعية لم تحدد الحقوق بشكل قانوني واضح ، وإنما قررت الحرية والمساواة باسلوب عاطفي ادبي . وهذا مايجعل حقوق الإنسان خاضعة لاعتبارات ذاتية ترتبط بمصلحة الدولة . وهذا ما اعترف به المفكرون الغربيون ، إذ يقول ديفيد مكليلان David s. Mclellan أستاذ العلوم السياسية بجامعة ميامي ، في نفس

←

النظرية السياسية الاسلامية

المعنى ، ومصداقا لما قرره البحث الذى نعرض له «One would have to recognize that: no single comprehensive measure or standard of human rights is possible» .

وفى إطار تحليل البحث لفكرة « حقوق الإنسان » يقرر ـ بحق ـ أنه طالما أن الفكرة فى ذاتها تحكمية فإنها بطبيعتها تؤدى إلى انتهاك كرامة الأفراد ، ويتقلص عدد المنتفعين عمليا مما تحتويه من ألفاظ رنانة فخمة .

هذا ، وقد خصص الباحثان فصلاً من هذا الباب لتبيان أن المقابل الإسلامى لفكرة « حقوق الإنسان » قد قررها الشرع الإسلامى فى « تكريم الإنسان » ، وشتان بين النظرية الغربية ، وبين ما جاء به شرع الله ؛ فغاية شرع الله تحقيق عبودية الخلق لله عز وجل وحده وحفظ مقاصد الشريعة ، لذا فقد أخطأ من انساق من مفكرينا المعجبين بالفكر الغربى وراء محاولات إيجاد تشابه بين فكرة « حقوق الإنسان » الغربية ، وما سماه المؤلفان « حقوق الإنسان الشرعية » ، وذلك للاختلاف التام بين الأمرين من حيث المصدر ، والمضمون ، والنتائج .

وقد وضع الباحثان أيديهما على فرق هام بين « الحقوق » بمفهومها الغربى وبين ماسمياه « الحقوق الشرعية » ، إذا أن للأولى مفهوما سلبيا ، بينما للثانية مفهوم إيجابى ، فهناك تلازم بين الواجب والحق فى الفكر الإسلامى .

ذلك ، وقد جاء الباب الثانى بعنوان « الحقوق الشخصية والاجتماعية للأفراد فى الشريعة » ، ليقرر حقيقة أن الدولة فى الإسلام ضرورة ، وأن السلطة فى الدولة الإسلامية لابد أن تكون قوية ، فهى ليست « شرا لابد منه » ، قامت فقط لحماية حقوق الأفراد ، كما هو شأنها فى نظم الديمقراطيات الغربية ، ولا هى كيان مؤقت قامت لتحقيق « دكتاتورية طبقة » وصولا إلى الحالة التى يتم الاستغناء فيها عن سلطة الدولة تماما كما هو شأن الانظمة القائمة على الفكرة الماركسية .

فالسلطة فى الإسلام إنما يناط بها تطبيق شرع الله ورعاية شئون العباد سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين . وأحكام شريعة الله إنما تخاطب الكافة حكاما ومحكومين ... فلا تناقض إذاً بين السلطة والحقوق والحريات .

وقد جاء البحث باجتهاد طيب ومحاولة لاستخراج الحكم الشرعى فيما يختص بمدى حرمة المسكن عندما يتعارض وضرورة البحث عن المشتبه فيهم فى جريمة من الجرائم ، فجعل حرمة المسكن مقدمة على غير ذلك من المصالح ، فلا يجوز دخول البيوت لغير إذن أهلها مطلقا ، وإنما يجوز إخراج أهل المنكر منها دون دخول البيت عنوة أوبغير إذن أهله .

وفى إطار قيام البحث باجتهاد آخر فيما يختص بعدم جواز التجسس ، لم يجز الباحثان قيام الدولة بالتجسس على الأفراد فى المرحلة السابقة على ظهور المنكر استنادا إلى حرمة التجسس مطلقا بين المسلمين .

كما أوضح البحث فى نفس هذا الباب حرمة التعذيب أو إيذاء المسلمين أو ترويعهم وإخافتهم استنادا إلى النصوص القرآنية والسنية ، واستنادا إلى الأصل العام فى تكريم الإنسان ، فلا يكون المساس بالإنسان جائزا إلا تطبيقا لحد

أو لعقوبة قضائية مما هى دون الحدود .

●●●

أما الباب الثالث فقد خصصه الباحثان « للحقوق السياسية » فركزا على حرية إبداء الرأى فى النظم الديمقراطية الغربية ، فعرفاها ثم أوضحا الانفصال الكامل بين الفكرة النظرية وبين التطبيق العملى بسبب الاحتكارات الرأسمالية وسيطرتها على وسائل النشر والإعلام ، بل وعلى الأصوات الانتخابية ، كما أوضحا أن اعتبارات الأمن الداخلى وحماية النظام الاجتماعى تشكل هى الأخرى قيدا يحيل حرية الرأى فى الغرب إلى فكرة نظرية .

ومن خلال عرض البحث لمصدر الحقوق السياسية فى الغرب يخرج بنتيجة مؤداها أن من الخطأ جعل الحرية السياسية قاعدة يبنى عليها السلوك السياسى فى الدولة الإسلامية ، ويدلل على استنتاجه هذا بمسلك الخلفاء الراشدين ... فإبداء الرأى فى الإسلام « مقيد بالأطر الشرعية التى وضعها الإسلام ، والتى لايجوز لمسلم تجاوزها » ... ومن هذا المنطلق أيضا لايجيز الإسلام تكوين الجماعات ، والأحزاب السياسية[٢] التى تبنى على مفاهيم عقائدية مخالفة للشرع ... كما أن قول البعض بأن الأمة ـ فى الإسلام ـ هى مصدر السلطات ، أو أن الشعب هو صاحب الكلمة العليا فى شئون الحكم . كلها أقوال تضاهى الفكر الغربى ، فهى رد ، وغير صحيحة .

إن إبداء الرأى فى الإسلام واجب شرعى ، « فالدين النصيحة » ، ولا يجوز السكوت عن الحق إذا ظهر ، و « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » قيمة عليا فى الإسلام ، لعن أقوام قبلنا تركوا العمل بهما .

ولئن كان الإسلام قد أجاز المعارضة من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن المعارضة المنظمة والدائمة لسلطة الدولة غير جائزة فى نظر الباحثين . فالأصل فى الإسلام طاعة ولى الأمر فيما أحب الإنسان وماكره مالم يأمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ... وهذا ما تدل عليه نصوص السنة التى ساق منها الباحثان قدرا مناسبا .

هذا ، ولم تكتف الشريعة الإسلامية بفرض « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وتقرير واجب محاسبة الحكام إذا ماتنكبوا الطريق السوى ، بل قررت ضمانات عملية لكفالة ماسماه الباحثان بالحقوق السياسية فى الشريعة » .

وأخيرا نصل إلى الباب الرابع وهو بعنوان « حقوق الإنسان التعبدية والاعتقادية » وهو باب يبحث فيما جاءت به المادة الثامنة عشرة من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، والتى تقرر للشخص « ... حرية تغيير ديانته أو عقيدته ، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرا أم مع الجماعة » .

إن هذا النص يحتوى على قدر كبير من النفاق ، وهو بعيد كل البعد عن التطبيق العملى فى بلاد الغرب ، وفى البلدان التى لما يزالون

←

(٢) فى كلمة للإمام الأكبر نشرت بعدد المحرم ١٤١١ هـ تبين أن المسلمين جميعا حزب واحد ، وأن الإسلام لايقر قيام حزب يخص جماعة على ماهو الشكل الحديث .

يسيطرون عليها ويتحكمون فى اقواتها . فأعمال التنصير التى تتم من خلال الضغط المادى والمعنوى فى افريقيا وآسيا ، بل وفى بعض البلدان ذات الأغلبية الإسلامية الكبيرة ، ووضع القيود على الأقليات الإسلامية فى بلدان الغرب ، وعدم حماية الدين الإسلامى فيها بنفس قدر الحماية التى تنالها النصرانية واليهودية فى بلادهم ، بل والسماح بالنيل من الإسلام فى هذه البلدان .. كل هذا يجعل المادة الثامنة عشرة المذكورة محض زيف وخداع .(٣) .

وعلى الجانب الآخر نجد الإسلام وقد عالج هذه المشكلة بكل الوضوح ، يجبر غير المسلم على الدخول فى الإسلام لقول الله تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ (البقرة/ ٢٥٦) ... ويضيف الباحث أن الفقهاء يكادون يجمعون على عدم جواز حمل الدولة الرعية بالوسائل القهرية على فهم واحد للدين فى الأمور الاجتهادية ، ولايجوز بالتالى فرض الرأى المذهبى فى المسائل التى يتنازع عليها اهل المذاهب .

ومع ذلك فلايجيز الإسلام الردة لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى : (من بدل دينه فاقتلوه) . ومن الردة اعتناق دين سماوى غير الإسلام كالنصرانية أو اليهودية ، أو عقيدة غير سماوية كالبوذية أو القاديانية أو البهائية أو ما إليها ..... ومنها أيضا اعتناق العقائد الداعية إلى المادية وترك الدين أو فصله عن الحياة كالماركسية والعلمانية .

هذا وتعاقب الردة بالقتل ، لأن التساهل فى هذه الجريمة يؤدى إلى زعزعة النظام الاجتماعى .يقول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة / ٢١٧) .

وبعد فالكتاب قد اشتمل على مادة علمية تسد ثغرة ثقافية فى المكتبة الإسلامية ، وإلا ملأتها الثقافة الغربية ، وقد قام الباحثان بمجهود يستحقان عليه الثناء .

بيد أن الأمانة العلمية تقتضى منا إبداء بعض الملاحظات الهامة التى لا تنتقص من قدر المجهود العلمى المشكور والمأجور إن شاء الله :

لقد انزل الله تبارك وتعالى على عبده محمد ﷺ القرآن فيه آيات محكمات تحتوى على أحكام عملية ، وكذلك جاءت السنة النبوية ، بل إن فقهاء الإسلام لم يهتموا فى أى عصر من الاعصار بالفروض والنظريات التى يلزم عرضها على التطبيق لتثبت صحتها ، لذا فمن الاجدر بنا التخلص من لفظ « النظرية » عند عرض حكم الإسلام فى مسألة من المسائل ولو كان ذلك من خلال دراسة مقارنة .

إن من كمال البحث فى موضوعنا هذا تناول « خطبة حجة الوداع » بالبحث والدرس ، فقد تناولت الكثير من الأمور التى توضح بجلاء تفوق شرع الله ، وتهافت مادونه .

وأخيرا فإن دراسة مقارنة لمثل هذا الموضوع

(٣) عندما اعلن . «كلاى » إسلامه اجتمع مجلس الأمن القومى الأمريكى لينظر فى مدى خطورة إسلام .. « محمد على كلاى » على الولايات المتحدة وفقد مستر « روبرت كراين .

كانت جديرة بالاعتماد على عدد مناسب من المراجع باللغات الأجنبية لتنقل لنا بدقة وجهة النظر المقابلة ليكون القارىء أكثر اقتناعا واطمئنانا ، كما أن دراسة « لحقوق الإنسان » ماكان لها أن تتجنب النصوص الأصلية التالية فتعرض لها وتحللها وتنتقدها :

١ - الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ م الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة .

٢ - العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية الصادر عن نفس الجهة فى الأول من ديسمبر ١٩٦٦ م والذى بدأ نفاذه فى ٢٣ مارس ١٩٧٦ م .

٣ - العهد الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر عن نفس الجهة فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ م ، والذى بدأ نفاذه فى ٣ يناير ١٩٧٦ م .

٤ - الميثاق الافريقى لحقوق الإنسان والشعوب والصادر عن منظمة الوحدة الافريقية فى ٣٠ يوليو ١٩٧٩ م ، والذى أجازه رؤساء الدول الأفريقية ، (ومنها ٢٢ دولة إسلامية) ، فى شهر يونيو ١٩٨١ م .

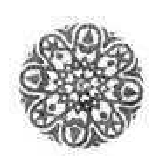
٥ - مشروع الميثاق العربى لحقوق الإنسان ، والذى لم تتم الموافقة عليه لمخالفة بعض نصوصه للشريعة الإسلامية ، وقد قامت الجامعة العربية بإعداده .

٦ - البيان العالمى عن حقوق الإنسان فى الإسلام ، الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامى فى ٢١ من ذى القعدة ١٤٠١ هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٩٨١ .

٧ - نموذج الدستور الإسلامى ، الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامى فى السادس من ربيع الأول ١٤٠٤ هـ الموافق العاشر من ديسمبر ١٩٨٣ م .

هذا وبالله التوفيق .

﴿ رَبَّنَا لَاتُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران / ٨) .



أنباء وآراء

إعداد: صفوت عبد الجواد

● افتتح الرئيس محمد حسنى مبارك بكلمة كلا من مؤتمرى : القمة العربية الطارئة للملوك والرؤساء والأمراء العرب، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية .

انعقد كلا المؤتمرين بقاعة المؤتمرات الدولية بالقاهرة - مدينة نصر .

● حضر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق جلسة افتتاح مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بصحبة فضيلة الشيخ محمد بدر الدين حسام الدين وكيل الأزهر وكبار الشخصيات الإسلامية .

أدى المؤتمرون صلاة الجمعة بالجامع الأزهر وحضر الصلاة فضيلة الإمام الأكبر ، والدكتور عصمت عبدالمجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

● اعتمد المجلس الأعلى للأزهر برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - فى اجتماعه الأخير - قواعد وشروط القبول للطلاب المصريين والوافدين لكليات جامعة الأزهر للعام الدراسى ٩٠/١٩٩١ .

● وقرر المجلس أيضاً إنشاء كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمدينة قنا ، تتبع جامعة الأزهر .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد زكريا كانداو الحاكم الإقليمى لمناطق الحكم الذاتى بجنوب الفلبين ، بحث فضيلته مع الحاكم وضع المسلمين فى جنوب الفلبين ، والمساعدة الثقافية لهم ، وزيادة المنح الدراسية الأزهرية ، لطلبة الفلبين المسلمين ، ووضع أولوية لمبعوثى الأزهر فى العمل بين ابناء الأقاليم الإسلامية الأربعة لهذه البلاد .

حضر اللقاء حكام الأقاليم الأربعة ، وسفير الفلبين بالقاهرة السيد/ حسن مرهوم .

● التقى فضيلة الإمام بوفد إيران الذى شارك فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية . يرأس الوفد حجة الإسلام محمد على تسخيرى - بحث فضيلة الإمام مع رئيس الوفد التقارب بين المذاهب الفقهية ، وإمكانية التعاون فى مجالى التعليم والدعوة .

« الشئون الفنية لمكتب الإمام الأكبر »

● ● ●

● عقد بجامعة الأزهر مؤتمر نوادى هيئات التدريس ، وأوصى بإنشاء مركز إسلامى دولى للقدس بجامعة الأزهر ، كما اهتم اهتماما خاصا بكافة القضايا المتعلقة بفلسطين ، وحذر - إلى جانب تحذيره من خطورة الهجرة اليهودية - من قيام إسرائيل بسرقة المياه الجوفية فى سيناء

لاسيما وقد اصيبت بعجز مائي يمثل ٥٠٪ من احتياجاتها .

● عقد بالقاهرة مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية فى ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة - بفندق سفير بالدقى - تحت رعاية السيد وزير التربية والتعليم الدكتور أحمد فتحى سرور (٧ المحرم - إلى ٩ المحرم ١٤١١ هـ) .

أشادت بدور الأزهر الشريف فى هذا المؤتمر الأستاذ الدكتورة فوقية حسين الأستاذ المتفرغة للدراسات العليا بعين شمس .

ضباط يهود

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن الحركة القاديانية قد شكلت فرقا عسكرية من مختلف الأعمار يتولى تدريبهم ضباط من اليهود يعملون لتنفيذ مخططهم الرامى إلى إنشاء دولة قاديانية لهم فى كشمير ويشنون هجماتهم على المسلمين بكشمير .

نشاط الفاتيكان

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية فى خبر لها عن حركة التنصير التى يقودها (يوحنا بولس الثانى) فى العالم الثالث مفادها أن الفاتيكان قد يئس من إمكانية نشر النصرانية فى المجتمعات الأوروبية بعد تفشى الفساد والعلمانية فيها . وقد دفعه ذلك مع رجال الكنائس إلى التوجه بنشاطه نحو دول العالم الثالث وقد قدمت الكنيسة الكثير من التنازلات للمحافظة على بقائها الشكلى فى هذا العالم ، ومن هذه التنازلات :السكوت عن حق الطلاق المحظور عند الكاثوليك ، وقبول مبدأ إجهاض النساء وغير ذلك من الأمور الأخرى التى غضت الكنيسة النظر عنها .

هذا وقد أعلن يوحنا بولس أنه سيقوم قريباً بجولتين تنصيريتين فى بعض الدول الأفريقية .

المسلمون فى الصين الوطنية

صدرت إحصائية مؤخراً عن الإسلام فى الصين الوطنية نقلتها وكالة الأنباء الإسلامية الدولية مفادها :

أن عدد المسلمين فى الصين الوطنية يصل إلى أكثر من (١٢٠ الف مسلم) يقيم فى (تايبيه) العاصمة حوالى ٣٥ الف مسلم .

أكبر المساجد المسجد الجامع وسط (تايبيه) العاصمة وهو مشيد على الطراز الإسلامى ومقام على مساحة كبيرة .

فى المسجد قاعة خاصة بالمؤتمرات والندوات والاحتفالات بالمناسبات الإسلامية .

وملحق بالمسجد مكتبة إسلامية كبيرة تحوى كتبا مترجمة إلى العربية وكتباً مترجمة إلى الصينية

استمرار المذبحة الكبرى التى يرتكبها متمردو التاميل فى سيرلانكا ضد المسلمين

قامت مجموعة من التاميل باقتحام مركز للبوليس فى شرق سيرلانكا وقتلوا ٣٨ جنديا مسلما من قوة الاحتياطى، وكذلك اقتحمت مجموعة أخرى أحد المساجد وقت صلاة العشاء وأمطرت المصلين بوابل من الرصاص وقد استشهد حوالى ٢٠٠ (مائتين من المسلمين) .

وفى خبر من وكالة انباء الشرق الأوسط يوم الأحد ١٢ أغسطس أن متمردى التاميل هاجموا ثلاث قرى مسلمة فقتلوا مائة مسلم آخرين .

لوائح تحدد علاقة أسبانيا بالاسلام

نتيجة لاعتراف الحكومة الاسبانية بالدين

←

الإسلامى فى ١٤ يوليو عام ١٩٨٩ م كأحد الأديان الأساسية فى أسبانيا التى يوجد بها أكثر من ٣٠٠ الف مسلم .

تم الاتفاق على وضع اللوائح الخاصة المرتبطة بعلاقة أسبانيا بالدين الإسلامى . شمل الاتفاق تدريس اللغة العربية وتمويل المشروعات الإسلامية ومنح أراض لإقامة المساجد والمراكز الإسلامية عليها .

إيطاليا تقرر عقوبة السجن لمن يسب الإسلام

تقدمت المحكمة الدستورية الإيطالية بمشروع قانون إلى البرلمان الإيطالى ينص على عقوبة السجن لمن يسب الدين الإسلامى والنبى محمد (ﷺ) .

الجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى إيطاليا يبلغ أكثر من عشرة آلاف مسلم من أصل إيطالى بالإضافة إلى ما يربو على ٣٠٠ الف مهاجر مسلم يقيمون فى إيطاليا .

ويتركز المسلمون فى إيطاليا فى مدينة ميلانو وبها مركز إسلامى ومسجد كبير .

مجلة الأزهر :

نلاحظ أن هذا العمل تقدمت به المحكمة الدستورية وليس كنيسة الفاتيكان .

إنشاء مسجد كبير فى غينيا بيساو

شهدت العاصمة (بيساو) حفلاً إسلامياً هذا الشهر بمناسبة وضع حجر الأساس للمسجد الجامع الكبير الذى يمول من منظمة المؤتمر الإسلامى وتبلغ تكاليف هذا المسجد مليونين و ٤٠٠ الف دولار أمريكى وقد خصصت له مساحة (١٨٠٠) متر مربع .

فرنسا تدعم الصليبية

تعكف دار الإفتاء التشادية على إعداد خطة لمواجهة الأنشطة الكنسية فى "تشاد" التى تشرف عليها وتتبناها المؤسسات الكنسية الفرنسية حيث عمد مجمع الكنائس التشادى إلى عقد دورات تدريبية لربات البيوت المسلمات فضلاً عن إرسال مدرسات إلى بيوتهن لتعليمهن مبادىء النصرانية .

جدير بالذكر أن تشاد جمهورية إسلامية .

شعبة جديدة بالأزهر للتعليم الأساسى والطفولة

تقرر افتتاح شعبة للدراسات التربوية بكلية الدراسات الإنسانية للبنات بجامعة الأزهر وتضم قسمين للتعليم الأساسى وتربية الطفولة .

من المقرر أن تستوعب هذه الشعبة الجديدة نحو (مائتى) طالبة هذا العام ١٩٩١/٩٠ من الحاصلات على الثانوية الأزهرية شعبة أدبى ، تمهيدا لتحويل الشعبة إلى كلية تربية للبنات .

شهادة أمريكية

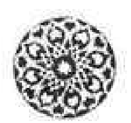
اتهمت منظمة أمريكية لحقوق الإنسان الجيش الإسرائيلى باستخدام أساليب ومعدات تصلح للحروب فى مواجهة الانتفاضة الفلسطينية .

وأكدت المنظمة الأمريكية أن السلطات الإسرائيلية تسمح للجنود بإطلاق النار على الفلسطينيين دون خوف من العقاب ، وخاصة أن جيش الاحتلال لا يبالى بشهادة الشهود الفلسطينيين وأن كثيراً من الفلسطينيين قتلوا لمجرد محاولتهم الهرب من الاعتقال .

الفهـــرس

Islam has a claim upon the attention of every thinker and reformer, not only because it is the most civilizing and the greatest spiritual force of the world, but also because its offers a solution to the most baffling problems that confront mankind to day. Materialism, which has become humanity's ideal in modern times, can never bring about peace, mutual trust and cooperation among the nations of the world. Christianity has already failed to do away with race and colour prejudices. Islam is the faith, which has succeeded in blotting out those distinctions, and it is only through Islam that the great problems of the modern world can be solved. Islam has proved its universality as an international religion, it is only before the universal ideal of Islam, the ideal of equality of all races and the unity and brotherhood of the human race, that the curse of nationalism - which has been and is responsible for the troubles of the ancient and the modern worlds - can be swept away.

Islam achieves and maintains social justice and human rights of the highest order without contradicting the spiritual mainsprings of human life. Islamic culture does not impose its own creed on mankind by force of coercion "There is no compulsion in religion: Truth stands out clear from Error .... " (Surat al-Baqarah, II : 256, in part). The world of to-day with its major problems and odious forms of social prejudices, and with the shadows of war always hanging over it, cannot but turn towards the magnanimity of Islamic doctrines, the only future hope, and the only way to establish and maintain peace and stability on this planet.



tolerance, leniency, magnanimity, ecumenism, love, concord, sympathy, co-operation and kindness, have been the message of every religion. These root values are inborn in mankind, and they are further developed by spiritual aptitudes.

The doctrines of Islamic teachings are no doubt, the greatest unifying force in human history. The unification is the true basis of human civilization. Fourteen hundred years ago, the Divine Message of Islam was revealed to redeem the collapsing human civilization of Christianity to a new civilization whose integrated totality encompasses all needs of human life by new edifice of culture and ethics, a pattern of unity of the human race as a whole was introduced into the world; an idea so mighty that it welded together nations in one cohesive belief. A man arose, who, by his personality and by honest claim to direct Divine guidance, actually brought about the impossible. That miracle not only commented together the warring tribes of one country but it also established the concept of brotherhood among all nations of the world; even joining together those who had nothing in common except their humanity. It obliterated differences of race, colour, language, geographical boundaries and even differences of culture. It united man with man as such, and the hearts of humanity began to beat in harmony and unison of Faith. Islam has the unification of many races throughout the world, and several fraction within the other races. This unification precipitates the essential elements of human attachment and fidelity, and provides the ground for human security and peace. Spiritual emotions developed by common beliefs and faith have proved to be the strongest force binding the various fractions of global human societies. Based on such human unity and fidelity in faith, the milieu of peace will supervene.

The paradigm of social stability in Islamic thought is the unification of humanity through common belief. This basic fundamental premise obliterates all human differences of race, language, rank, colour, sex, and optimizes the doctrine that all humanity are equal in their interface and direct relationship with Allah - The Creator. Such structural buildup of humanity and its intimate direct relationship with the Divine Transcendent, compels and mandates the existence of social justice and human rights. There is nothing more demanding and essential for peace in the life of humanity, than social justice and human rights. The exact understanding and dimensions of these two terms, only originates from true spiritual emotions. The doctrinal teachings of Islam provide a wholesome comprehensive integrated system of principles and safeguards to implement and ensure social justice and human rights.

With the coming of Islam, religious conceptualization received new dimensions of significance. Firstly, it is to be understood not as a dogma, but as a science based on the universal experience of humanity. The Divine revelation is recognized as a necessary factor in the evolution of man; hence while in its crudest form, it is partly the universal experience of humanity, in its highest form, it is a prophetical revelation, a Divine gift bestowed upon all the elements of Mankind. The idea of the scientific understanding of religion was further strengthened by presenting its doctrines as principles of actions. Every single doctrine of religion formulates the basis of action for the development of man to higher and higher stages of freedom, justice and ecumenic understanding of life.

Secondly, the sphere of religious understanding is not confined to the Hereafter, its primary concern is rather with this life, and that man, through a righteous life, and that man, through a righteous life here on earth, may attain the levels of higher existence in the Hereafter. The Glorious Qur'an deals with the great variety of subjects which affect man's life. It deals with the ways of devotion, with the forms of worship, with the means which make man attain communion with Allah; and also in richer detail, with problems of the world, questions of relations between man and man, his social and political life, institutions of marriage, divorce and inheritance, the division of wealth and the relations of labour and capital, the administration of justice, social organization, matters and problems of peace and war, national finances, debts and contracts, rules for the service of humanity, laws for the help of the poor, the orphan and the widow, and hundred of other matters pertaining to human life on earth.

It lays down rules not only for individual progress, but also for the advancement of society as a whole, of the nation and of humanity. It deals with problems of the relations between individuals, between social fractions, and between nations. All the various codes, rules and laws are made effective by faith in Allah.

The doctrinal teachings of Islam are the basis of a lasting civilization. As a matter of fact, the root values of human civilization as it stands to day are based on religions concepts. Religion has made possible continue to save humanity from total collapse and disruption. In spite of the current shift of human societies to secular, materialistic, and mundane patterns of life, the root values of credence remain inherently instinctive in the mental attitude and psychosynthesis of mankind. The essentials of unified cohesion of human elements, the proliferation of liberalism, the promotion of

revolutionized the world changed human thought and understanding, and determined destinies of nations. Islam is not only the last religion, it is an all-inclusive religion which contains within itself and religions that went before it. Islam is all the Divine Messages in one, and one of its most striking characteristics is that it requires from its followers to believe in all Divine Messages and Prophets that have preceded Islam and the Prophet Muhammad. This understanding is well documented in the Holy Qur'an "The Apostle believes in that which has been revealed to him from his Lord, and so do the believers; each one (of them) believes in Allah and His angels and His books and His apostles; "we make no distinction (they say) between one another of His apostles" .... " (Surat al-Baqarah, II, 285, in part).

A Muslim, therefore, is one who believes in the Prophets and divine scriptures. Islam is, therefore, an all-comprehensive religion within which are included the essentials of all religious; and similarly, its sacred Book, the Glorious Qur'an, is spoken of as a combination of all the divine sacred scriptures of the world. "Pure pages wherein are all the right scriptures". "Surat al-Bayyinah, XCVIII, 2 and 3). The totality of Islamic culture optimizes the understanding of peace among the various elements of the Human race. The genesis of this peace is the love of Allah, and the love of fellow human beings. The proliferation of love in human societies develops by establishing a common system of greeting. In Islam, the basic module of greeting is "Assalamu 'alaykum' - peace be upon you - a promise, an engagement and an invitation to make peace, respect and honour.

The doctrinal teachings of Islamic Theism are the perfect expression of the Divine will. The Glorious Qur'an states: "This day have I perfected for you your religion and completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion...." (Surat Al-Ma'idah, V: 4, in part).

The paradigm of human spiritual consciousness has developed slowly and gradually through the ages, and the revelation of the ultimate truth was finally brought to perfection in Islam. It is to this Ultimate Truth that the words of Jesus Christ - peace be upon him - allude : "I have yet many things to say unto you, but ye cannot bear them now. How be it when he, the spirit of truth, is come, he will guide you into all truth" (Jn. 16 : 21 and 13). Therefore, it is the great mission and message of Islam to bring about peace in the world by establishing brotherhood of all mankind, through the love of the Transcendent Creator - Allah.

ISLAM AND WORLD PEACE

By Lotfi Ali Sultan B.A. (Hons.), M.Ed. M.A.

Islam is the religion of peace. The doctrines, morals, ethics, legislations, institutions, teachings and values that are preached to be adopted by the human race at all levels of the individual family, community, nation and humanity are structured to achieve peace, and prosperity for all mankind.

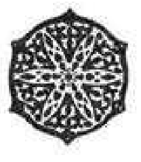
Among the great religious of the world, Islam enjoys the distinction of bearing a very significant name, a name that points to its very nature and essence. The root-meaning of the word Islam is to enter into 'salm', 'slim' and 'salam' signify peace. All these words are used in the Glorious Qur'an itself in the sense of peace. Therefore, Islam means entering into peace; and a Muslim is one who initially makes peace with his Creator - Allah, and consequently with mankind. Peace with Allah implies complete submission to His will; and peace with man is to refrain from evil or injury to others, and to do good. Both these ideas find expression in the Holy Qur'an as the true essence of the religion of Islam: "Nay, whoever, submits his whole self to Allah, and he is the doer of good to others, he will get his reward from his Lord, and on such shall be no fear, nor shall they grieve. "Surat al-Baqarah, II: 112).

Islam is therefore, from its very inception, the religion of peace and its two basic doctrines, the unity of Allah and the unity of brotherhood of mankind. This wider significance is also retained in the strictly legal usage of the word, for, in law, Islam has a two fold significance. A simple profession of faith - a declaration that there is nothing worshipped but Allah, and that Muhammad is the messenger of Allah; and a complete submission to the Divine will which is only attainable through spiritual perfection. In other words, Islam in law is of two kinds; one is a simple confession with the tongue, the other is belief in the heart and a fulfillment in practice and resignation to Allah in whatever He brings to pass or decrees.

The Prophet of Islam is the seal of the prophets, and Islam is the last of the Divine religions - those religious movements which have



Hadith give precise dictates to practice justice at all levels of individual and social interactions. These facts were very vivid in the mind of Omar ibn Al-Khattab; his personality intensified and distinctly optimized the paradigm of justice and human rights to be the brilliant radiance in the regime of Omar ibn Al-Khattab. Indeed, the root of sovereignty is justice.



city in the reign of Abu Bakre, and remained as such during the reign of Omar ibn Al-Khattab and later till the start of Umayyad dynasty.

Two aspects of cardinal significance remain to be mentioned which distinguish the regime of Omar ibn Al-Khattab as the most outstanding governmental regime in the history of all nations. All chroniclers agree without difference or dispute that the regime of Omar ibn Al-Khattab was an optimized regime of the highest order of distinction. The two aspects of paramount importance which classify that regime as one of supreme dominant dignified reputation; are the practice of consultation, and the implementation of the most explicit form of justice. The practice of consultation is mandatory in the Holy Quran; and in Islamic teachings, justice is the root of sovereignty.

The practice of consultation is confering with other men of talent to reach an expert opinion. This practice is a mandate in the Holy Quran, was strictly adopted by the Prophet, and was strictly practiced by Abu Bakre Al-Siddiq during his period of office as Khalifah of Rassul-Allah. This practice of consultation became well established as a salient feature in the regime of Omar ibn Al-Khattab. The growth of duties and responsibilities upon the regime of administration, and the demand for decision making, justified the need for confering opinion with others in matters of cardinal importance. Omar ibn Al-Khattab practiced consultation in all matters of state that had no analogues in the Holy Quran or the Honourable Hadith, in order to draw upon them in comparative analysis. He also consulted men of knowledge in matters dealing with the implementation of Islamic doctrines of jurisdiction, and jurisprudence. Several intimate companions to the Prophet acted as consultants and advisors to Omar ibn Al-Khattab. Among there were Al-Abbas ibn Abd-Al-Mutaleb, Abd-Allah ibn Abbas, Aly ibn Abi Taleb, Osman ibn Affan, Abd-Al-Rahman ibn Aof, and others. On several occasions, Omar ibn Al-Khattab resorted to public opinion by consulting people themselves. The regime also dictated that Omar's deputies in the various territories, and also army commanders should according to the teachings of Islam, consult those of skill, wisdom, knowledge and experience in order to reach the aphorism of opinion. Consultation was fundamental standing practice in the regime of Omar ibn Al-Khattab.

The implementation of justice at all levels was another characteristic feature in the regime of Omar ibn Al-Khattab. Injustice is absolutely banned rejected and refuted under any circumstance by Islamic doctrines. One of the Attributes of Allah is "The Just", the Quranic Text, and the Honourable

social lattice of the Muslim nation. The resultant social respect and integrity advanced the various sectors of the Muslims to a closer well organized cohesive theo-political unity. This unity gave support to the regime and at the same time had the dignity and freedom to control its actions.

This theo-political unity and the governmental regime had a unity of purpose, a unity of thought, and a unity of common interest. This regime was authorized in the person of Omar ibn Al-Khattab as Ameer Al-Momineen. The most basic achievement in support of this unity was the establishment of the Hijrah calender which was chronologized by Omar ibn Al-Khattab to start its dating from the day of Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Maccah to Al-Madinah. The most crucial outstanding significant turning point in early Islamic history.

The regime of Omar ibn Al-Khattab demanded continual intimate supervision over the Muslim warriors crusading in Iraq and Syria. Omar was always very close to the events, drawing plans and strategies, writing to army commanders, receiving from them, indulging with foresight sagacity an perceptive clairvoyance in matters of the stability of new territories gained under the banner of Islam. The regime of Omar ibn Al-Khattab was perpetually developing to accommodate the changes incident upon the Muslim nation. This development was continually maturing itself within the essential framework of Islamic doctrines.

Omar ibn Al-Khattab commissioned deputies to the various tribes. These deputies instituted the teachings of Islam, educated the people and collected the revenues of the Zakah. The internal affairs of each tribe was left to the managed by tribal chiefs, with absolute independence from the authority at Al-Madinah. The linked to Al-Madinah was a confederate link of interest regarding the general policy of the whole nation, its theo-political unity, its socioeconomic standing, its territorial expansion and the proliferation of Islamic culture.

The capital of this tribal confederacy was Al-Madinah without challenge or competition. Al-Madinah was the destination of the Prophet's Hijrah, the second home of the Holy Revelation. It was the place where the Prophet lived and was buried after his death. The great Masjid "mosque" was at Al-Madinah. It was the home of the Muhagereen and Ansars. It was the core of Islamic culture, and the institution where the crucible in which the pioneer Muslim Community crystalized to face the consortium masses of pagan Quraysh at the battle of Badre and defeat them. It was the capital

During the reign of Abu Bakre Al-Siddiq, the theistic unity of the clans rejected the authority at Al-Madinah invested in Abu Bakre. Several other exogenous and endogenous factors interfered to culminate into tribal apostasy defecting from the authority at Al-Madinah. After one year, the wars of the Apostates had ended by unchallenged triumph of Abu Bakre who engineered the strategy of Muslim armies throughout the whole Arab Peninsula. This Muslim victory brought about the crystallization of a coherent theo-political unity, with the authoritative administration at Al-Madinah. The complete patterns of this administration were based on Islamic doctrines of jurisprudence and jurisdiction. The events that followed during the short reign of Abu Bakre brought about the Muslim crusades in both Iraq and Syria. These crusades certainly strengthened the theo-political unity of the Arab tribes, confirmed and established the administrative authority at Al-Madinah, and proved the unchallenged success of its regime.

The reign of Omar ibn Al-Khattab was essentially a continuation of what Abu Bakre had achieved and established. However, the vast territorial expansions that took place, the increasing affluence of Muslim communities, the influx of non-arab racial elements into Islam, the near and distant future of the rapidly growing Muslim nation with its expanding geographical distribution; all these matters added to the responsibilities of the regime of Omar ibn Al-Khattab, and the administrative authority invested in him as the head of state. The personality of Omar ibn Al-Khattab coupled and augmented by the Islamic principles of government to which Omar fully adhered, resulted in a regime of government whose supreme success was analyzed as unparalleled in the history of mankind, excepting Prophetic times through the ages.

The theo-political unity of the tribes of the Arab Peninsula was completed during the early reign of Omar ibn Al-Khattab by the evacuation of the Christians from Negran to Iraq, and the Jews from Khaybar to Syria; with recompenses of land ownership and money, and guarantees of good social relationships. The second accomplishment to ensure and solidify the theo-political unity was the dissolution of social differences and discriminations, the establishment of individual dignity and freedom within the overall framework of Islamic principles and culture. All Muslims were equal in social rights and individual dignity like the teeth of a comb, what distinguishes one Muslim from another is piety; that was the ordinance of Islamic teachings. Omar ibn Al-Khattab optimized that principle and coined it at the very bottom of the extensively heterogenous

imposed upon the head of state an alertness of foresight, perceptive mental capacity, and a comprehensive brilliance of intellect. The profound divine elements of Islamic system of government were the concrete corner stones and dimensions by which all matters of state and government were evolved and organized.

The heads of state that came to authority after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were very intimate companions of the Prophet, and who during his lifetime functioned as ministers and counselors to the Prophet. They were fully instructed in Islamic doctrinal teachings, gaining the optimal knowledge of Islamic cultural wisdom pertaining to the dynamics and psychological socio-kinetics of various human elements. The attributes of such qualities, and the inherent constitutional characteristics of the personalities of Abu Bakre Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab, enriched their patterns of government, and introduced novel models of administration that were most appropriate and suitable for the rapidly expanding growing Muslim nation at the time.

These patterns of government were not borrowed from Persian nor Byzantine cultures prevalent of the time. They originated from Islamic thought, and developed to conform with the requirements of a progressively growing expanding nation; and to accommodate the theistic, social, economic and aspirational demands and necessities of that nation.

During the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the compelling dominant challenge was the proliferation of Islam in the Arab Peninsula, and the ultimate theistic unity of the Arab tribes and clans resident on the Peninsula. This was achieved, and the Prophet sent his companions to the various clans to educate people the teachings of the Faith. The command of these clans was reserved for the chieftains of the tribes to administer their affairs according to traditional customs, preserving the teachings of Islam in all its dimensions. In the late years of his life, the Prophet drew the attention to the prominent importance of security and safeguards. The Prophet justified his foresight, and personally took action to that purpose by commanding a very strenuous arduous expedition to Tabouk at the northern borders of the Peninsula. The aim of the expedition was to proclaim Muslim presence north of the Peninsula neighbouring the Byzantine Roman Empire in Syria. Therefore, the regime at Al-Madinah at the time of the Prophet was centered around the education and proliferation of Islamic doctrinal teachings among the Arab tribes, with the aim of theistic unity; and security and safeguards of this unity of the juvenile Muslim nation.

OMAR IBN AL KHATTAB

"THE REGIME"

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD, Ph.D.

The Muslim territorial expansion outside the boundaries of the Arab Peninsula was beyond all expectations. The reign of Abu Bakre Al-Siddiq and the early years of the administration of Omar ibn Al-Khattab, brought about regional growths and socioeconomic changes that necessitated corresponding evolution in the systems and patterns of government. The ultimate Muslim domination over Iraq and Syria, and the total expulsion of Persian and Roman presence from these territories, was subject to rigorous analysis by historians and chroniclers. It became evident that the supreme success of Muslim crusades in Iraq against the Persians, and in Syria against the Romans was essentially the outcome of three major justifications. The first, and by far the most prestigious, was the spiritual superiority of the Muslim warriors, crusading into new lands to proliferate the teachings of the divine message of Islam; that Message that absorbed their minds, hearts, and their whole life. The second was the psychological vacant emptiness of both Persians and Romans of any rational ideology to defend. The third and the most significant paramount for the continuous triumphant expansion was the optimized regime and superiorly competent administration of the authority at Al-Madinah.

Through the years that followed the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the Muslim system of administration passed through several phases of sequential developments. These were based essentially on the doctrinal teachings of Islamic constitutional jurisdiction, and the traditions of the Prophet, the system of regime evolved through progressive changes of maturity and growth. The genesis of the administrative patterns originating from the essential teachings of Islam, provided strength, confidence, respect, and a deep rooted belief that the regime carried on its shoulders the Message for human civilization and ecumenical enlightenment. The rapid growth of the Muslim nation, demanded an equally rapid development in the patterns of regime in order to adjust to the new expansions of administrative responsibilities. This

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART II

SAFFAR, 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

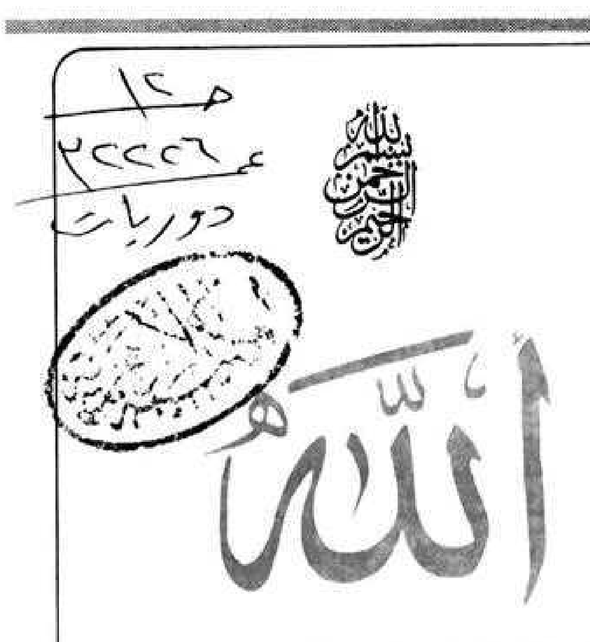
AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION







الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٠٥٤٧٣ / ٩٠٠٥٠٦

الجزء الثالث
السنة الثالثة والستون
ربيع الأول ١٤١١ هـ
اكتوبر ١٩٩٠ م

ربُنا ، لاإله إلا انت ، الحى القيوم ، وسعت كل شىء رحمة وعلما ، خالق كل شىء ورب كل شىء ، بيدك الخير ، وانت على كل شىء قدير .

الغنى ذو الرحمة ، خير الرازقين ، ذو القوة المتين ، لك الخلق والأمر والحجة البالغة ، والنعمة السابغة : سبحانك .

اين من حفظك فلم تحفظه ، ومن شكرك فلم تشكره ، ومن اطاعك فلم تنصره ؟!

عطاؤك لنا موفور ، وحَمْدُنَا إياك مشتور ، وانت ـ على ذلك ـ جواد كريم ، ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وانت القاهر فوقهم .

لا إله إلا انت .

ليت بعض الناس وقّروا اسمك الجليل ، وعظموا « الله » حق التعظيم وصانوا اسمك الأعظم « الله » « قولا » و« فعلا » .

وهذا قليل مما (فعلوه) باسمك العظيم :

تسابقوا - إزاء الموت - لأمور - يعلمها الله - فكتبوا عقب « البقاء لله » فى الصحف ما اختاروه من آيات كتابك العزيز ، وتوالت تحتها أسماؤهم ، ثم أَلْقَوْا بها فى الطريق ، بل جعلوها لفائف حاجياتهم .. أستغفرك ربى وأتوب إليك وأنت العليم الخبير ، إن منهم من جعلها ممسحة لما هو طاهر ، ولغيره ، ثم انتهت إلى أقدام الناس .

ولقد سَبَقَ صحفيون يخشون ربهم ويُجِلُّونَه فكتبوا فى مكان بارز بالصفحات التى فيها آياتُ رَبِّنا وأسماؤه تنبيها بلفت نظر القراء إلى حفظ هذه الصفحات أو التصرف فيها تصرفا مقبولا شَرْعًا احتراما لاسم المولى وآياته .

وذلك أضعف الإيمان فإذا كنا نحذر « المدخنين » بكلمة على كل علبة « لفائف » خوفا على صحتهم ، أفلا نحذرهم حَيْطَةً لدينهم ؟!

وترك البعض أطفالهم فى نهاية كل عام دراسى يتخلصون من كتبهم ودفاترهم/وفيها مافيها من قرآنك الكريم واسمك العظيم فألقوا بها إلى الشوارع على ما فيها من ماء .. « معروف » فكيف غاب عن الآباء وربات البيوت واجبهم لحفظ آيات الله ، وما فى هذه الكتب من نافع مفيد .

ونشط بعضهم - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - فطبعوا لشهر رمضان « إمساكيات » زينوا أطرافها بأجمل آياتك .. آية الكرسى « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » ثم انتهت إلى ذات المصير .

وإن أحدهم لا يرضى لنفسه أن يمزق خير صُوَرِه ويجعلها تحت قدميه ولا يرضى ذلك لأحب الناس إليه . فكيف غفل عن اسمك الجليل .

ورضى البعض أن يزين مكتبه بآياتك البينات ، ثم وضع فوقها أكواب « الشاى » والقهوة .. وطُبِعتْ « يَس » .. و« الواقعة » وغيرهما من كتابك العزيز وسارع بها « الشحاذون » إلى وسائل المواصلات يلقون بها فى حجور الناس رجالا ونساء ، من آمن منهم بها ومن لم يؤمن وعلى من كانت على حال يسمح لها بمس المصحف ، ومن لم تكن .. وكم فى ذلك من خطر رهيب !!

عفوا يارب وصفحا . اللهم اهدنا لنصون اسمك الجليل .

وَاسْتَمِعْ عجبا :

قائل يقول : أَمْرٌ عَمَّت به البلوى !!

وأعجب منه من يقول :

لا تحزن ؛ إنه ما أن يُلْقَى الاسم العظيم حتى يُنْزَعَ عنه سِرُّه .

ما هذا الهراء ؟! من أين هذا العلم ؟!

أحين تقع عيناى على اسم الله - وهو ملقى - هل أقرأ أو أفهم غير معناه ؟!

فَلِمَ هذا الضرب من الإيعاز للنفس بأن لاشىء عليها إزاء هذا الإهمال الخطير .

إنه سواء كان المسلم مع هَوَى « عموم البلاء » أو أهل « السر المنزوع » أو من أصحاب أى رأى كان ، واقتنع به ؛ فكم أخشى أن يكون شريكا فى الإهمال والرضى بهذه الفعال .

وما من شك أن لنا مَرَافِقَ مختلفة ، عليها مسئولون لا نشك فى دينهم ولا فى الحرص على مرضاة ربهم ، فأضرع إلى الله أن يتقرب إليه كل مسئول أعطاه قِطَاعُهُ الحَقَّ فى منع هذا البلاء أن يسارع فى حسم هذا الإهمال حسبة لله .. ربنا ونعم الوكيل .

د. على أحمد الخطيب

بيـــان
من الأزهــر الشـريف
حول أحداث الكويت وما تبعها

لقد وجه الأزهر الشريف نداء إلى شعوب الأمة العربية والإسلامية وقادتها أذيع ونشر يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم ١٤١١ هـ العاشر من أغسطس ١٩٩٠ م مواكبا لانعقاد القمة العربية بالقاهرة فى ذات اليوم بدعوة من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، لتدارك الآثار الوخيمة التى تلحق بالأمة العربية والإسلامية بسبب تدخل قادة العراق وعدوانهم على دولة الكويت واجتياحها عسكريا ، واحتلال ارضها ، وانتهاك حرمات أهلها ، وما أذيع عن انتهاب الأموال وتحطيم الممتلكات ، وإجماع العالم على استنكار هذا الحدث الخطير ، وما اتخذته كافة المنظمات الدولية من إجراءات : منظمة المؤتمر الإسلامى ـ ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ومجلس جامعة الدول العربية ، ومجلس الأمن .

كل ذلك يوم وقوع الكارثة فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ .

هذا .. وقد مضى وقت على هذا الحدث الذى فزع له العالم وتواكبت إلى موقعه فى ساحتنا العربية أساطيل الدول وجيوشها بمختلف أسلحة الدمار والتخريب .. ولا يزال قادة العراق معرضين عن الاستجابة للنصح ، والنزول عند حكم الله الصريح فى كتابه .. فقد دعا القرآن إلى نصرة المظلوم ووقف الظلم حتى درجة القتال .

لذا .. فإن الأزهر الشريف ليعبر اليوم عن قلقه الشديد على مستقبل الأمة العربية والإسلامية إزاء الإصرار على هذا العدوان الأثيم والتمادى فيه .

ولقد ناشد الأزهر ويناشد الرئيس صدام حسين وحكومته صدق الانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية والعدول عن هذا المخطط الذى أجهض صلاحيات الأمة العربية للتقدم والنمو ، وأوقعها فى مجال التهلكة التى تأتى على الأخضر واليابس ، والذى نزل بقدرها بين الأمم ، وأفقدها وسائل التعاون والتراحم والمودة فيما بينها . بيدها لا بيد الآخرين .. بأن شذ نفر من قادتها عن الطريق القويم المستقيم فاجتاحوا بلداً وشعباً آمنا مطمئنا ، يؤدى واجبه نحو أمته فى كافة المجالات ، وروعوا النساء والأطفال والشيوخ فى مهاجعهم فى غسق الليل ، وما كان هذا صنيع المسلمين !!

والرسول ـ ﷺ ـ يحذر من ترويع المسلم . فقال فيما رواه أبو داود : « لايحل لمسلم أن يروع مسلما » .

←

وفى حديث آخر رواه البزار وغيره : « لا تروعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلم عظيم » .

وفى حديث أبى هريرة الذى رواه الطبرانى :

« من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة » .

كما نهى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يروع المسلم بالإشارة إليه بالسلاح .. فقال فيما رواه الشيخان : « لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » .

فى رواية لمسلم عن أبى هريرة : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » .

وفى حديث ابن مسعود فيما رواه البخارى :

« سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » ..

فأين هذا مما أحدثه جيش العراق بالكويت من تدمير وتخريب وقتل وترويع وتشريد وانتهاب للثروات وانتهاك للحرمات ؟

وأين هذا من نهى الإسلام عن ترويع غير المحاربين وقتلهم وتعذيبهم ؟

إلا أن ما حدث وتناقلته الأنباء من أعمال غير إنسانية اقترفها جيش العراق بالكويت وأهله أمر مفزع محزن يرفضه الإسلام ، ويأباه خلق المسلمين .

إن هذا الذى أوقعت فيه العراق هذه الأمة من موقف لا تحسد عليه إعداداً واستعداداً لمواجهة الكارثة التى توشك أن تقضى عليها لو استمر قادة العراق فى المضى إلى آخر الشوط المخرب ، يقتضى أن تتجاوب الأمة العربية والإسلامية ، وتتنادى إلى التناصر ضد هذا البغى .

إن مقتضى الدفاع عن النفس وعن الأمة أن تسارع جيوشها إلى الإحاطة بالباغى حتى لا يمتد بغيه وأن تحاصره كما يحاصر الحريق .

إن الله سبحانه قد أذن بقتال الباغى .. ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾(1) . ومع هذا فإن القوات العربية والإسلامية التى تنادت إلى مؤازرة باقى الدول التى تتعرض لشرر هذه الكارثة ، قد تعاونت على حصر الكارثة فى محاولة لإيقافها حتى يعقل القائمون بها مدى العائد والفاقد من هذه الفعلة النكراء من احتلال لشعب عربى مسلم له حرمة الجوار بقوة عسكرية تفوق عدته وعدده والتنكيل به .. ولينظر هؤلاء الذين يحاولون تفجير المنطقة وتدميرها بعد أن انتهكوا حرمة بلد وشعب .. ماذا عاد عليهم من خير بما فعلوا من منكر ؟

وماذا فقدت الأمة ؟ وهل يستويان ، اللهم لا ..

إن الضرر كبير بما لحق الأمة فى كرامتها ومقدراتها ، وإذا كان جيش العراق وقادته قد انتهبوا مالا ، أو اقترفوا آثاما فإن ذلك ليس كسبا ، وإنما هو من باب البغى الذى حرمه الله ، وحذر من عواقبه ، وأمر بالتصدى له .

إن القوة التى اجتاحت الكويت قد أعدت نفسها واستعدت ، وبيتت بليل دون سابقة إنذار ، بل وفى ظل عهود ووعود قطعها قادة العراق على أنفسهم ألا يقدموا على ما فعلوا ، وأن يجلسوا مع جارهم للحوار والعتاب فيما اختلفوا عليه .

وكانت المفاجأة الفاجعة أن تكتسح الكويت وشعبه الآليات الحربية الثقيلة والمدافع والصواريخ وكل

آلات الحرب المعاصرة !! وماكان هذا من شجاعة العرب والمسلمين بل ما كان من طبيعة العربى أن يرفع سيفه إلا على من كان بيده السيف ، ولم يكن يباغت آمنا ولا يهاجم خصما أعزل من السلاح .

أين هذا مما حدث ؟! هل انخلع هذا الجيش المهاجم من خلق العرب وطبائعهم ، التى كانت تجرى فى نطاق أحكام الإسلام الذى يمنع المباغتة أو الهجوم المفاجىء لقتل العزل من السلاح ؟!

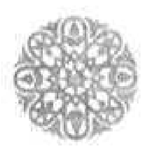
وإذا كانت الشعوب العربية من حول الكويت قد فجعت وفوجئت بما فعله جيش العراق واستنجدت بجيوش الدول العربية والإسلامية وبغيرها من الدول التى تملك الأسلحة المتكافئة مع ما اعتدى به جيش العراق على الكويت فإنه لا ضير فى ذلك ، لأن استنجادها بتلك القوات على اختلاف جنسياتها إنما هو قائم على مبدأ الاتفاقات والتعاهد الدولى .. ومن حقها أن تدافع عن نفسها وأن تحمى أرضها وحرماتها من هذا الشقيق الغادر الذى لم يرع عهدا ولا وعداً ولا ذمة ..

وإدعاء العراق أنه بفعله هذا يكون مجاهدا غير صحيح ، لأن الجهاد لا يكون بغيا ولا عدوانا على الجار المسلم الشقيق . كما أن الادعاء بأن القوات الوافدة قد دنست الأرض والحرمات ليس صحيحا لأنها وافدة بإذن أصحاب هذه البلاد ، ولرد العدوان عنها .. وهى قوات مسلمة أو معاهدة ، والاستعانة بمثل هذه القوات أمر مشروع فى الإسلام ، بل إن من أسس الإسلام ؛ ومن حقوق المسلم على المسلم أن ينصره ويرد الظلم عنه ، وكذلك الشأن فى المعَاهَد أيضا ..

والقول بانتهاك الأرض المقدسة بدخول القوات غير المسلمة أرض المملكة السعودية غير صحيح ، لأن هذه القوات إما مسلمة أو معَاهَدة وقد جاءت لرد العدوان ولدفع الظلم .

وأن الأزهر الشريف بالرغم من هذا الواقع المؤلم ، ورغبة فى تجاوزه ، بل وكشف الضر الذى حل بالأمة ، ليدعو قادة العراق إلى العدول عما أقدموا عليه ، وسحب جيوشهم داخل بلادهم ، وعودة حكومة الكويت الشرعية إلى بلدها وأهلها ، وهذا من باب الرجوع إلى الحق ، والعدول عن الخطأ والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، وخير الخطائين التوابون .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٢] .



---

(١) سورة الحجرات ٩ .

(٢) سورة الأنفال ٢٤ ـ ٢٥ .

حوادث العراق والكويت

تحقيق صحفي لصحيفة الاتحاد الظبيانية

أجراه مع فضيلة الإمام الأكبر - الشيخ جاد الحق على جاد الحق

● **ما رؤيتكم للأحداث المتلاحقة التي تشهدها منطقة الخليج بين قطرين إسلاميين ؟**

- إن ما حدث من اجتياح العراق أرض دولة الكويت بصورة مفاجئة ، ولكنها فيما يبدو مبيتة ومدبرة بليل .. هذا الذى حدث أمر مؤسف ومحزن لكل عربى ومسلم .. بل لكل إنسان .. ويزيد الأمر أسفا وحزنا أن العدوان من جانب رئيس دولة مسلمة على دولة مسلمة أخرى.. بينهما حقوق الأخوة الإسلامية وحقوق الجوار .. تلك الحقوق التى أكد عليها الإسلام ونماها ووثقها فى كتاب الله ، وسنة رسول الله - ﷺ - فالله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وبهذا جعل الإسلام تلك الأخوة هى الرباط القوى ، والحبل المتين الذى يصل المسلمين ، ويحدد الحقوق والواجبات .. ثم هذا رسول الله - ﷺ - يقول فى حديثه الشريف الذى رواه مسلم فى صحيحه :

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا (ويشير ﷺ إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم .. كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » .

وما حدث قد تجاوز كل هذه النصوص ، وما قررته من حقوق وواجبات .. وما كان ينبغى أو يتوقع أن يحدث هذا من السيد رئيس دولة العراق .. بالرغم من كل المساعى الحميدة التى سبقت هذا الحدث من بعض الزعماء لاسيما السيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى ظل يوما كاملا متنقلا بين بغداد والكويت وَجُدَّة حتى اطمأن إلى استقرار السلم واستمراره من جانب العراق .. وكانت المفاجأة .. بل كانت الكارثة التى هزت كيان العرب كافة .. والتى جعلت بلادهم عرضة للدمار ، ومطمعا للآخرين .. بل وموضع تنافس بين أصحاب المصالح فى تلك المنطقة .

وإنه لمن العبث بمقدرات هذه الأمة أن يستمر هذا الوضع ، وأن يستمر حكام العراق مصرين على استمرار هذا الخطأ الجسيم الذى أذل أمتهم بين الأمم ، ونكس رايتها ، وجعلها نهبا ومطمعا للطامعين .. ونحن أمة تستظل بالإسلام الذى أعلى شأن الأخوة .. حتى شبه المسلمين جميعا بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

فما بالنا بمن يقطع أوصال هذا الجسد .. هل حفظ للأخوة حقوقها ؟ وهل احتفظ للجوار بواجباته ؟؟

● هل تعتقد فضيلتكم أن لدولة إسلامية الحق فى فرض الوحدة على دولة أخرى مجاورة لها ؟ وما رؤيتكم لما يقول العراق: إن العمل الذى أقدم عليه تجاه الكويت يمثل مصلحة للشعوب والأمة العربية ؟

- إن الأخوة الإسلامية فرضها الله سبحانه وتعالى ، وجعلها عنوانا للعلاقة الإنسانية الإسلامية ، وإذا كان الواقع الإسلامى فى هذا العصر : أن المسلمين قد اختصت كل جماعة منهم بأرض وحدود ، واتخذت سمة الدولة المعاصرة وصفتها ، وصار ذلك أمرا مستقرا ، ومحترما فى العلاقات الدولية ومعترفا به من المنظمات الدولية .. سواء تلك المنظمات الإقليمية كمنظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية ، أو المنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة وفروعها وغيرها من المؤسسات ذات الصبغة الدولية .

وإذا كانت الكويت دولة مستقلة ذات كيان سياسى ودستورى وحدود مرسومة فإن العدوان عليها أمر مؤثم فى الدين والدنيا .. أما الدين ، فاحترام الملكية والخصوصيات مما قرره الإسلام فلا عدوان على الملكية الخاصة لجماعة من المسلمين .. وهذه الدولة قد توافق بناؤها على إقامة كيانهم واستقرت أوضاعهم دولة بمنطق هذا العصر .. فالعدوان عليها عدوان على ملكية خاصة لجماعة من المسلمين وفى هذا خروج على حدود الله فى احترام الملكية .

وأما فى الدنيا .. فإن النظم التى ارتضاها المجتمع الإنسانى فى هذا العصر قد اعترفت بكيان هذه الدولة « دولة الكويت » فالعدوان على هذا الكيان باحتلاله عسكريا .. ثم بإعلان ضمه إلى العراق عدوان أثيم فى نطاق القوانين الدولية التى يلتزم بها المجتمع الإنسانى .

وفرض الوحدة بين دولتين من إحداهما على الأخرى لا يكون إلا بالرضا التام ، والمشورة بين الشعبين وقادتهما بمنطق الإسلام ..

هذا والأمة الإسلامية واحدة وإن تكونت من دول ودويلات فى هذا العصر .. لكنها جميعا تتعامل بأحكام الأخوة والجوار فى الإسلام ، وتترابط بهذا المعيار والآداب التى تغيا الإسلام أن تسرى بين الشعوب الإسلامية حتى ترتفع من بينها العصبيات العرقية والإقليمية .. فلا انتساب للجميع إلا إلى الإسلام وإن اختلفت أوطانهم شأن الاختلاف فى الدور ، واختصاص كل أسرة بدارها .

ولا مصلحة للشعوب العربية فيما حدث من هذه الهجمة العراقية الشرسة على الجار العربى المسلم الموادع .. بل هى فيما يبدو المطامع الذاتية لحكام العراق فيما تحوزه دولة الكويت الوادعة من ثروات .. إذ أية مصلحة فى هذا العبث والإفساد الذى وقع على الممتلكات والحرمات .. والانتهاب بل ربما السرقات بالإكراه ؟ وأى مصلحة للأمة والشعوب العربية فى هذا العار الذى لحقها بين أمم العالم .. حيث كان هذا الحادث الذى يدخل فى نطاق السطو المسلح الذى تقوم به العصابات ، وليس من شأن الدول ذات الكيان السياسى والدستورى أن تقدم عليه .

أى مصلحة للشعوب والأمة العربية فى هذا الإفساد والهدم الذى حل بأرض الكويت وشعبها ؟ وأى مصلحة للأمة والشعوب العربية وقد توارت خلف هذا الحدث كل قضايا الأمة الإسلامية التى كانت

منظورة على الساحة الدولية تهتم بها كل المؤسسات ، وتتواكب لاقتراح الحلول لها ؟ إنها انتكاسة خطيرة ، ومأساة توقفت بسببها خطوات هامة فى حياة الامة العربية .. بل والإسلامية فأية مصلحة فيما حدث ؟ ولمن هذه المصلحة ؟ إنها مأساة بشعة ، يتحمل وزرها من اقدموا عليها ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ . .

● هل تعتقد فضيلتكم ان دعوة العراق لشعوب الامة العربية والإسلامية ، وحثها على الجهاد ضد القوات الأجنبية المتواجدة بالمنطقة تقف على أرض سليمة او صحيحة من الواقع ؟ وهل ترون توافق تلك النداءات والدعوات مع ما نص عليه الإسلام حيال فريضة الجهاد ؟

- إن هذه الدعوة إلى الجهاد من حكام العراق فى الحالة القائمة مما يدخل تحت باب : تلبيس إبليس فأى جهاد هذا الذى يدعون إليه ؟! ومن الذى الجأ جيران العراق إلى الاستعانة بجيوش أخرى عربية وغير عربية ؟! وضد من تدافع ؟ وممن تخوفت ؟!

فهل لهؤلاء الذين افترسوا الكويت بعد ما بذلوا من عهد ووعد بانتهاج السلام فى حل المشكلة .. هل لهؤلاء من حق فى النطق بكلمة « الجهاد » ؟!

وهل من أحد من الشعوب العربية والإسلامية يصدقهم أو يصادقهم على مفهوم الجهاد الذى يدعون إليه ؟!

إنه العدوان الاثيم الذى يريد أن يخلى الطريق أمامه ، لينال مآربه من المسالمين الآمنين والذين هم فى واقع الأمر فى موقع وموقف الجهاد والدفاع عن النفس وبهذا .. فإن تلك الدعوة إلى الجهاد ممن اغتصبوا وافترسوا أرض الكويت وأهله كلمة حق يراد بها باطل ، وليست من الإسلام فى شىء .. وعلى الشعوب العربية والإسلامية أن تفرق بين كلمة الحق ، وكلمة يراد بها باطل .. فتنصر الحق وتناصره ، وتمنع الظالم والباغى من استمرار بغيه وعدوانه .. كما أوصى رسول الله - ﷺ - .

● هل يرى فضيلة الإمام الاكبر إمكانية قيامه بدور الوسيط لإقناع العراق لاحتواء تلك النزاعات والحيلولة دون وقوع كارثة اخرى على الأمة الإسلامية ؟

- إن الأزهر الشريف لا يتوانى عن الدعوة إلى السلم والسلام بين الناس جميعا لاسيما بين المسلمين .. ذلك لأن الإسلام باسمه وسمته ورسمه ومصادره .. هو السلام .. السلام مع الله .. والسلام مع النفس .. والسلام مع الناس .. ولا يتخلى الأزهر عن الدعوة إلى كل ذلك .. وقد جرت الوساطات لحل هذا النزاع على مستوى الزعماء المسلمين العرب،بل وعلى مستوى قمتهم فى الاجتماع الأخير .. وكان الرفض واستمراره بل والتهديد من جانب مسئول كبير من حكام العراق لوزير خارجية دولة خليجية مجاورة للعراق تهديدا علنيا .. سمعته وانا فى شرفة قاعة مجلس القمة وسمعه كل الحاضرين فى القاعة الامر الذى يجعل التفكير فى التدخل من جانب الأزهر بعيد القبول من الطرف الآخر .. إذ قد احتدم فى انفس حكام العراق أمر الاستمرار فيما وقعوا فيه من كارثة لا يقتصر أثرها عليهم ولا على الكويت التى افترسوها . وإنما تمتد وتمتد وتصل آثارها إلى سائر شعوب المنطقة ، وربنا سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه الكريم : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ الأنفال ٢٥ .

ومع هذا .. وفى هذه المناسبة فإننى أناشد السيد الرئيس صدام حسين رئيس العراق الاستجابة إلى دعوة السلم والجلاء عن أرض الكويت ، وسحب القوات العراقية المهددة لحدود الدول الخليجية المجاورة الأخوة الأشقاء الذين ينتسبون جميعا إلى الأمة العربية والإسلامية ، وفى هذه الاستجابة وقف لامتداد الآثار المدمرة المرتقبة إذا وقعت الواقعة ، واشتعلت نيران الحرب التى يتوقع الا تبقى ولاتذر وهو المسئول الأول عن إشعال هذه الفتنة واشتعال هذه النيران على ارض العرب والمسلمين وفيما بينهم .

والأزهر الشريف ينأى بالعراق الشقيق وأهله أن يكتب التاريخ عنهم انهم أوقعوا شعوبهم فى انتكاسة قاتلة ومأساة دامية .. ليس العرب فحسب وإنما كل الشعوب الإسلامية .. والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل .. وخير الخطائين التوابون ، ومصلحة الأمة فى رفع هذه الغمة ، وليس فى إشاعة الضباب والغيوم فى سمائها حتى لا ترى ما تحت قدميها .

● بماذا يفسر فضيلة الإمام الأكبر نشوب الخلافات وسرعة تفاقمها بين الدول العربية والإسلامية ؟

وما رؤية فضيلتكم لكيفية تحقيق الوحدة والتنسيق بين الاقطار الإسلامية ؟

وهل تنصحون بقصر حل المشكلات التى تنشا بين الاقطار الإسلامية او العربية على وساطة الأشقاء فى جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ؟ وَألاّ يتنافى تدخل اطراف اخرى ـ خاصة إذا ما اتهموا بانهم اعداء او صليبيون ـ بين المسلمين لمعالجة قضاياهم .. الا يتنافى ذلك مع ما قرره الإسلام ؟

ـ إن وحدة الأمة الإسلامية مستمدة من أصول الإسلام : من كتاب الله .. القرآن الكريم ، ومن سنة رسول الله .. محمد ـ ﷺ ـ وهى غاية وصل إليها الأوائل من المسلمين .. وكانت الأمة الإسلامية دولة ذات سياسة وسيادة .. امتدت رقعتها إلى أقصى الشرق وإلى أقصى الغرب والشمال والجنوب فى فترة وجيزة فى عمر الأمم ونشوئها ، وقدرة الدولة على تثبيت أركانها .

وإذا كانت الأمة الإسلامية فى هذا العصر قد تحولت إلى دول بالمنطق السائد ، وكان للاستعمار اثر ظاهر فيما حدث ، وغرس أسباب الشقاق والفرقة والانعزال وإثارة العنصرية والعرقية والإقليمية خشية أن تعود للأمة الإسلامية وحدتها .. فإن ذلك لا يحول دون وحدة العمل ، ووحدة الرأى والفكر بين الشعوب الإسلامية على اختلاف مواقعها بغض النظر عن الحدود السياسية لكل قطر أو جماعة او شعب ، لأن كل أولئك هم الأمة الإسلامية التى يجب أن تسعى إلى تحقيق هدفها الذى قامت عليه العبادات المفروضة ، والمعاملات المشروعة .. وبالجملة ، الذى قام عليه الإسلام عقيدة وشريعة : فالقبلة فى الصلاة واحدة ، والصوم فى شهر واحد ، والزكاة مفروضة على الأغنياء جميعا ، والحج إلى بيت الله الحرام والمناسك من حوله . فأى دعائم للوحدة اقوى وانقى من هذه ؟

وعلى هذا .. فإن وحدة المسلمين كأمة ـ مرة أخرى بغض النظر عن الحدود السياسية والجغرافية لكل قطر ـ تستند إلى الوحى الإلهى الآمر فى كتاب الله وسنة نبيه ـ ﷺ .

فهل نبتغى دعائم أخرى للوحدة ؟

وإذا كنا نتساءل عن طرق تنفيذ أو تحقيق هذه الوحدة ، فإن لنا أن نأخذ أقصر الطرق وأقربها من عصرنا وما يجرى فيه .. فنحن نرى مجموعات من الدول ذات الحدود الجغرافية والسياسية المنفصلة

ولا تصل فيما بينها أية روابط أخرى كالتى تربط الأمة الإسلامية .. نجد هذه الدول قد بدأت خط الوحدة من الصفر .. أى دون مقومات إلا المصالح المشتركة التى رأت فيها القوام لها والحماية والقوة .. فبدأت بالتنسيق الاقتصادى والتجارى .. ثم بتشكيل المجالس واللجان الفنية التى تتدارس مشاكلها الآنية والمستقبلة ، لترسم كيف تواجه هذه المشكلات بالتنسيق فيما بينها ، وبوحدة الرأى ، وبإتْبَاع القول العمل .. ونشأت فى عالمنا فى هذا الطريق مجموعات من الدول تتسابق نحو التنسيق فيما بينها .. وصولا إلى الوحدة الكاملة مع احتفاظ كل دولة بحدودها ونظمها الداخلية ، وكل ما يتعلق بمقوماتها .. ولكنها كوحدة قد توحدت فى سياستها الخارجية ، والاقتصادية والتجارية بل والصناعية بحيث تتكامل فى كل ذلك ولا تتناقض أو تدافع .

وعلى الأمة الإسلامية شعوبا وحكومات أن تأخذ هذا الطريق فتبدأ فى التنسيق فيما بينها تنسيقا يؤدى إلى تكاملها فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والسياسية والصناعية ، ولتعالج المشكلات التى تطرأ بالمبدأ الإسلامى الذى أقره الله فى كتابه حين قال سبحانه : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى ٣٨ .

ولعل التحكيم عند ظهور المشكلات الحادة هو مبدأ إسلامى أو قانون إسلامى وجه الله إليه فى كتابه ، والعدل فى الحكم من أسس الإسلام .. ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء ٥٨ ـ بل إن الله سبحانه أمر بالعدل حتى مع المخالفين .. فقال : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة ٨ ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ . . . ﴾ البقرة ٢٣٧ .

والتحكيم الذى أمر به الإسلام بدأ بنظام الأسرة ، فهذا قول الله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء ٣٥ .

وفى شأن جماعة المسلمين قال الله : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات ٩ ـ ١٠ .

وبهذا كان التحكيم عند طروء المشكلات بين المسلمين مأمورا به فى القرآن الكريم ، وكان واجب الامتثال من المسلمين أفرادا وَأُسَرًا وأمة .. فإذا أغضينا عن هذا الأمر الإلهى وقعت الواقعة ، وكان ما نواجهه الآن من هذه النار التى توشك أن تكون ضراما لا تبقى ولا تذر .. مع أن الإسلام يأمرنا بهذه الآيات أن نأخذ على يد الظالم المعتدى ، وأن نمنعه من الظلم .. كما جاء فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ

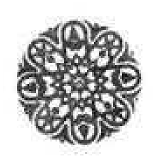
والتحكيم الشرعى هو وسيلة حل المشكلات ، وقد أهملناه مع أن فى شعوبنا الحكماء العدول ، وإذا كانت المنظمات الدولية فى عصرنا قد صارت حقيقة واقعة ـ وإن لم تكن لها الهيبة المقنعة ـ فإن لدينا فى أمتنا المؤسسات المعترف بها من شعوبنا ودولنا .. فأين هى ؟

هل غيبت أو تغيبت ؟ فلم تقل كلمتها ، ولم تنفذ مواثيقها ، وإنما اكتفت بأن تجتمع وتنفض ثم يجرى التراشق بألسنة حداد وبتناقل الشائعات والدعايات المضللة دون أن يكون لها صوت حتى بإحقاق الحق

وإنكار الباطل والزور .. ولا مراء فى أن هذه الحال هى من سقوط هيبة هذه المنظمات لدى الحكومات ، وكان علينا لو انتصفنا من أنفسنا أن نقيم لهذه المؤسسات هيبتها ووزنها ، وننمى قوتها حتى تأخذ دورها الملزم فى التحكيم والحكم فيما يقع من مشكلات فى عالمنا العربى والإسلامى ، وأن نضع ثقتنا فيها ، ونوسد أمور الخلاف إليها .. بمعنى أن نتحاكم عندها لا أن نمتشق الحسام ، ونتدافع بأسلحة الدمار المخربة والمهلكة .. بل ونعتدى على الأموال والحرمات .

وللمعتدى عليه حق الدفاع عن نفسه بنفسه بل هو واجب ، وله أن ينتصر بغيره من إخوته المسلمين أو بمن بينه وبينهم عهود ومواثيق .. أو بلغتنا المعاصرة : معاهدات وأحلاف ، والإسلام يقر المواثيق التى لا تتناق مع أصوله وأحكامه ، والقرآن الكريم صريح فى ذلك،ومن هنا فإن وجود معاهدات أو اتفاقات دفاعية بين دولة مسلمة وأخرى غير مسلمة لا حرج فيه ، ولا يتناق مع أحكام الإسلام التى أجازت عقد المعاهدات مع غير المسلمين واحترامها .

أما نشوب الخلافات بين المسلمين وسرعة تفاقمها فإن ذلك راجع إلى انفلات هؤلاء الذين يثيرون المشكلات من الإسلام وأحكامه ، وذلك هو ما عبر عنه القرآن الكريم فى قول الله : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا .. ﴾ الآية ٩ الحجرات .. حيث دعا القرآن إلى التدخل بالصلح بين المتقاتلين .. ثم أمر بمقاتلة الباغى .. أى الذى لم يرضخ للتحكيم والحكم فى النزاع فلو أن قادة هذه الأمة التزموا بأحكام الإسلام ، ونزلوا عند قضائه بعرض الخصومة على حكام من المسلمين ومن منظماتهم الدولية ـ منظمة المؤتمر الإسلامى ـ جامعة الدول العربية ـ لوجدوا حلول المشكلات بالعدل والقسطاس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة ٥٠) .



من سيرة المصطفى

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ/عبد المنعم محمد عمر

لقد كانت هجرة رسول الله ﷺ إلى «المدينة المنورة» بداية لعهد جديد فى تاريخ البشرية، فقد كانت فاتحة لجهاد طويل فى نشر الإسلام وتعاليمه.

والإسلام يرتفع بالإنسان فوق مستوى عبادة الأصنام والشرك بالله إلى عبادة إله واحد لاشريك له والإيمان برسوله وما انزل عليه وكان لابد للنجاح فى الوصول إلى هذا الغرض السامى من بناء امة جديدة تؤمن بالله ورسوله وبالمنهج الإسلامى الذى يامر بالعمل على نشر القيم الكريمة التى يدعو إليها هذا الدين فى آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران ١٠٤.

وقد أراد رسول الله ﷺ أن يكون بناء هذه الأمة على ما أراد الله ـ تعالى ـ قائما على أساس الإيمان بالله ورسوله وعلى تقوى الله، تنفيذا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد ٢٨، وأن يكون الناس هذا هذا المجتمع الجديد أحرارا، وان يتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى حتى يعيشوا فى سلام واخوة إسلامية متساوين فى جميع الحقوق والواجبات، ويكون أرفعهم عند الله منزلة فى الدنيا والآخرة اتقاهم، عملا بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات ١٣..

وكان رسول الله ﷺ يبذل أقصى ما يستطيع لبناء الأمة الإسلامية فى «المدينة المنورة»، ويعمل على إنشاء الدولة الإسلامية التى تحمى هذه الأمة من العدوان الخارجى، وتسهر على نشر وصيانة السلام داخل «المدينة المنورة»، وعلى تنفيذ المنهج الإسلامى بين أفراد المجتمع الجديد الذى أنشأه الرسول الكريم، كما تعمل على نشر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، ثم على نشره فى أرجاء العالم، حتى يصبح العالم كله أمة واحدة يعمها الأخوة والسلام.

(*) الكاتب المدير العام لدار الكتب والوثائق القومية، ووكيل وزارة الثقافة الأسبق، ورئيس احياء التراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ماقبل الوحدة الإسلامية[1] :

كان رسول الله ﷺ يبذل كل هذه الجهود فى بيئة أمية لم تعرف من قبل ماهى الأمة الواحدة المتعاونة ، ولم تألف أن تعيش خاضعة لحكومة مركزية تقيمها دولة ، ولم تذق قبائلها قبل ذلك طعما للسلام والمحبة والأخوة ، ولكنهم عاشوا قرونا يدينون بالولاء للقبيلة وما تشتمل عليه من البطون والعشائر ، وكانت هذه البطون والعشائر لاتسمح لواحدة منها أن تعلو أو أن تستأثر بالتفوق والنفوذ على مثيلاتها فى القبيلة ، ولذلك كان ولاء الأفراد للبطون والعشائر يطغى أحيانا على الولاء للقبيلة نفسها . وكانت كل قبيلة تعيش مستقلة عن القبائل العربية الأخرى إلا إذا كان بينها وبين بعض القبائل الأخرى حلف يساعد على أن تعين كل منها الأخرى عند الشدائد ، وخاصة عند حدوث أى عدوان على طرف من أطراف هذا الحلف الذى تنتمى إليه ، وبذلك فى بيئة كثيرا ماكان يحدث بين قبائلها خلاف وتنازع وحروب تجعل أفراد القبيلة دائما غير مطمئنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ومن هنا يستطيع المؤرخ أن يدرك لماذا تغير الوضع بعد أن ملأ الإيمان قلوبهم فى « المدينة المنورة » فأصبح ولاؤهم لله الواحد الأحد ، ثم لرسوله ﷺ وللشريعة الإسلامية السمحة .

فالعقيدة الإسلامية هى التى وحدت بين المسلمين فى المدينة المنورة ويسرت للنبى الكريم تكوين الأمة والبدء فى إنشاء الدولة .

وفى ظل الجهود التى كان يبذلها رسول الله ﷺ لبناء الأمة الإسلامية الناشئة وتكوين الدولة التى تسهر على حمايتها ، عاش الرعيل الأول من المسلمين فى المدينة المنورة يغمرهم السلام وتربط بينهم روابط الأخوة الإسلامية ، آمنين على أنفسهم وأعراضهم ، وعلى حرياتهم وجميع حقوقهم التى ضمنتها لهم الشريعة الإسلامية ، فازدهر المجتمع الإسلامى برغم قلة الموارد الاقتصادية فى بداية نشأة هذا المجتمع حتى أغناهم الله من فضله ، وسنحاول أن نذكر - مع ما نستطيع من الإيجاز - أهم الجهود التى بذلها فى هذا السبيل خاتم الأنبياء والمرسلين .

المؤاخاة :

لما تمت بيعة الأنصار الثانية لرسول الله - ﷺ - أمر النبى الكريم - ﷺ - المسلمين الموجودين فى مكة بالهجرة إلى يثرب ، وقال لهم : « إن الله - عز وجل - قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها »[2]

وقد أراد الله - سبحانه - لرسوله ﷺ بعد وصوله إلى يثرب - أن يرى ضرورة الإسراع فى إدخال إصلاح جذرى فى تكوين المجتمع الإسلامى ، الذى بدأ ينمو ويتكون فى المدينة المنورة ، إصلاحا يؤدى إلى تربية الفرد المسلم تربية إسلامية صحيحة تؤدى إلى زيادة الترابط والتآلف بين المهاجرين والأنصار ، وتوثق عرى التعاون والمحبة بينهم ، بحيث تسمو هذه العلاقة فلا تكون قائمة على مالقيه المهاجرون من الإكرام فى الضيافة ، كما تسمو على الانتماء إلى القبيلة أو العشيرة ، وتكون أوثق من الارتباط الوجدانى بالأسرة وصلة الرحم والعصبية أو الجنسية ، ولذلك فقد خطط لبناء العلاقة بين المهاجرين والأنصار منذ بداية استقراره فى « المدينة المنورة »[3] على أن يكون أساس الارتباط بينهما هو الإيمان بالله ورسوله والولاء للإسلام ، وقد

(١) بعض العناوين الفرعية من إعداد التحرير .

(٢) انظر : السيرة تنقيح ابن هشام ص ٤٦٨ - ٤٧٩ ، وسبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٣١٣/٣ - ٣٢٤ .

(٣) السيرة لابن هشام ، جـ ١ - ص ٥٠٤ - ٥٠٧ ، وكذلك « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » للصالحى جـ ٣ ص ٥٢٧ - ٥٣٦ والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ص ٩٦ - ١٠٠ ، وجوامع السير لابن حزم ص ٧٣ - ٧٤ ، ونهاية الأرب جـ ١٦ ، ص ٣٤٧ .

من سيرة المصطفى

بارك الله ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ .

وكانت الخطوة الأولى لبناء صرح المجتمع الإسلامى الجديد فى « المدينة المنورة » على أسس سليمة هى « المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار » .

لقد آخى رسول الله ﷺ فى هذا الإصلاح بين العربى وغير العربى ، وبين الحر والعبد ، وبين الزعيم فى القبيلة واحد الموالى ، وبين الغنى والفقير فآخى على سبيل المثال بين « بلال بن رباح الحبشى » مولى أبى بكر الصديق وبين « أبى رويحة عبد الله الخثعمى » أحد زعماء الأنصار وأولى الراى فيهم[4] كما حالف بين « عمار بن ياسر » حليف بنى مخزوم القرشية وبين « ثابت ابن قيس » أحد رجالات الخزرج وخطيب الأنصار وخطيب رسول الله ﷺ ، وكذلك آخر بين « ابن مسعود » خادم رسول الله ﷺ وبين « سهل بن حنيف » أحد زعماء الأوس ومن شجعانهم ، وهو أحد الذين ثبتوا يوم أحد ، وكان يرمى بالنبل عن رسول الله ﷺ .

وبهذا التآخى كون رسول الله ﷺ أسرا إسلامية جديدة تآلفت قلوبها وتعاقدت على أن تسير فى حياتها وفق المنهج الإسلامى الذى يرتقى بالسلوك البشرى إلى درجة لم تصل إليها الإنسانية من قبل . وأصبح التكافل الاجتماعى بين أفراد الأسرة الإسلامية التى أنشأها رسول الله ﷺ اهم دعامة تقوم عليها سعادتها ، ويقوى به كيانها .

وارتقى الرسول الكريم بهذا التآلف والتآخى والتحالف وأعلاه .

المعايشة السلمية فى المدينة المنورة :

ولما اكرم الله ـ سبحانه ـ المسلمين فى المدينة المنورة ، فآلف بين قلوب الإخوة المتحابين فى الله من المهاجرين والأنصار ، وانتشر السلام بين أفراد الأسر التى يتكون منها المجتمع الإسلامى فى مدينة رسول الله ﷺ وفق الله ـ سبحانه ـ رسوله ـ ﷺ ـ فراى بسامى حكمته وثاقب فكره أن يعمل لتصبح المدينة المنورة يسودها السلام ، وتنتشر بين جميع اهلها المحبة والتعاون ، بحيث يعيشون فى أمن وأمان ، ويكون جميع سكانها ـ من المسلمين ويهود ومن العرب غير المسلمين الذين كانوا مايزالون على عبادة الأصنام ـ يكونون جميعا مجتمعا متعاونا ، يحسن كل فرد فيه جوار الآخرين ، وأن يشتركوا جميعا فى الدفاع عن قريتهم ، ولذلك كتب رسول الله ﷺ بينهم جميعا صحيفة تعاهدوا فيها على أن تسود المعايشة السلمية والتعاون فى أنحاء قريتهم بما يضمن لسكانها حياة آمنة مطمئنة تكون سببا فى سعادة المجتمع المدنى ، وفى الازدهار الاقتصادى لجميع أفراده .

كان إبرام هذه « الصحيفة » التى يطلق عليها فى زماننا هذا لفظ « المعاهدة » هو الوثيقة التى اعلنت قيام « الأمة الإسلامية » وقد نص على ذلك رسول الله ﷺ صراحة فى مقدمتها ، وقد جاء تكوين هذه الأمة تنفيذا لما أمر الله به سبحانه فى كثير من آيات الكتاب الحكيم مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٩٢ .

البقية ص ٣٠٢

(٤) اعتمدنا فى اختيار هذه الأمثلة على « أسد الغابة لابن الأثير » .



صلى الله عليه وسلم

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي على القرني

انوار صاحبت مولده :

لم يحظ بشر بما حظى به النبى - صلى الله عليه وسلم - من شرف النسب ، وطهارة المولد ، وكرم المحتد ، وكثرة الإرهاصات ، وصدق البشارات ، وحسن الاستقبال يوم مولده الكريم ، فقد احتفلت الدنيا باسرها به ، وازدانت الطبيعة بمقدمه ، وتجمل الكون كله بمطلعه ، وقد بشر الأنبياء جميعا برسالته وبعثته ، حتى لقد اخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - بذلك حين قال : « انا دعوة إبراهيم ، وبشر بى عيسى بن مريم ، ورات أمى حين وضعتنى خرج منها نور اضاء له قصور الشام » .

مجمع الزوائد جـ ٨ صـ ٢٢١ عن ابى امامة وابى بن كعب ، وفى جمع الجوامع برقم ١٤٩٩/٤٠١١ -

وفى رواية أخرى : « انا دعوة ابى إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ، ولما ولدت خرج من أمى نور اضاء ما بين المشرق والمغرب » - جمع الجوامع برقم ١٥٠٠/٤٠١٢ .

اسماء طيبة فى استقباله - صلى الله عليه وسلم - ..

وقد تضافرت الأسماء الجميلة على استقباله ساعة مولده ، فقال بعض الرواة : إن الشفاء ام عبدالرحمن بن عوف حضرت ولادته ، كما حضرتها فاطمة بنت عبدالله وهى أم عثمان بن أبى العاص الثقفى ، وروى عنها قولها : « شهدت ولادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين وضعته امه أمنة ، وكان ذلك ليلاً ، قالت : فما من شىء انظر إليه من البيت إلا نوّر ، وإنى لأنظر إلى النجوم تدنو حتى اقول : « يَقَعْن على » - الإصابة فى تمييز الصحابة ٦٧/٨ .

وحضنته أم أيمن واسمها بركة ، وقد شهرت بكنيتها وهى أم أسامة بن زيد وأرضعته حليمة السعدية .

فهذه أسماء كلها تشير إلى الشفاء واليمن والبركة والحلم والسعد ، بالإضافة إلى الأمن الذى يحمله اسم أمه - صلى الله عليه وسلم - .
وهذه التوافقات الإعلامية العجيبة لا تكون إلا من قبيل الإعجاز الذى أكرم الله به سيد البشر - صلى الله عليه وسلم - .

النبى ﷺ يفتخر بنسبه :

ولقد تحدث النبى - صلى الله عليه وسلم - عن شرف نسبه فقال : « أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر[1] بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وماافترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى ، فلم يصبنى شىء من عهد الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا » .

الجامع الصغير برقم ٢٦٨٢ -
وذكر المناوى مناسبته فقال :
بلغ النبى - صلى الله عليه وسلم - أن رجالاً من كندة يزعمون أنه منهم ، فقال : « إنما يقول ذلك العباس وأبو سفيان إذا قدما إليكم ليأمنا بذلك ، وإنا لا ننتفى من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة » ، ثم خطب الناس فقال : « أنا محمد .. » الحديث السابق ..
جمع الجوامع برقم ٣٩٧١ / ٨٤٥٩ .

ويحق للنبى - صلى الله عليه وسلم - أن يتحدث عن شرف نسبه فى بيئة تعتز بشرف النسب وطهارة المولد وكرم المحتد .
وحين استعطفت قتيلة بنت الحارث النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد أن قتل أخاها النضر ؛ لأنه كان يؤذى المسلمين بشعره قالت :

أمحمد أو لست ضنء نجيبة
من قومها والفحل فحل معرق ؟
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق

فدمعت عينا النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال لأبى بكر : « لو كنت سمعت شعرها ما قتلته » .

أسد الغابة ٧/٢٤٢ - فقد مدحته بشرف المولد والأصل والنسب .

العرب يعيرون بهجانة النسب :

ولما أراد حسان أن يهجو قريشاً لأنهم آذوا النبى - صلى الله عليه وسلم - بشعرهم هجاهم بأحسابهم . وكان أشد شعر على النبى - صلى الله عليه وسلم - شعر أبى سفيان بن الحارث ، وهو ابن عمه ، فدعا عبدالله بن رواحة واستنشده فأنشده ، فقال له : أنت شاعر كريم .
ثم دعا كعب بن مالك فاستنشده ، فأنشده ، فقال له : أنت تحسن صفة الحرب .

ثم دعا بحسان بن ثابت فقال له : أجب عنى ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته [2] ، ثم قال :

---

(١) وفهر - هو قريش عند المحققين .

(٢) طرف أنفه .

والذى بعثك بالحق ما أحب أن لى به مقولا فى معد ..

ثم سأل النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يمس من أبى سفيان .

فقال : كيف وبينى وبينه الرحم التى علمت ؟

قال : أسلك منه كما تسل الشعرة من العجين .

فقال له : اذهب إلى أبى بكر - وكان أعلم الناس بأنساب قريش وسائر العرب - فمضى حسان إليه ، فذكر له معايبه .

فقال حسان :

وإن سنام المجد من آل هاشم
بنو بيت مخزوم ووالدك العبد
لقـد ولدت أبنـاء زهرة منهم
كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمـه
ولكن لئيم لا يقـوم له زنـد
وإن امرءا كانت سميـة أمه
وسمراء مغمور إذا بلغ الجهد
وأنت زنيم نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبى قحافة .

وقد فسر الحصرى صاحب زهر الآداب هذا الشعر فقال :

يعنى ببنى بيت مخزوم عبدالله وأباطالب والزبير أبناء عبدالمطلب بن هاشم ، فإن أمهم هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء وهى أم حكيم ، والبيضاء جدة عثمان بن عفان ، أم أمه .

وقوله : وقد ولدت أبناء زهرة كرام . يعنى أميمة ، وصفية أم الزبير بن العوام ، أمهما هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة .

وقوله : ولست كعباس ولا كابن أمه ، يعنى أن العباس أمه نتيلة امرأة ابن جعفر بن واسط وأخوه لأمه ضرار بن عبدالمطلب .

وقوله : وإن امرءا كانت سمية أمه وسمراء يعنى سمية أم أبى سفيان بن الحارث وسمراء أم أبيه ..

زهر الآداب جـ ١ صـ ٦٢ .

فهذا الهجاء كان من أشد الهجاء على أبى سفيان .. فهو وإن لم يعيره بفحش إلا أنه أشار إلى أن من ذكر من نسبه دون نسب غيره وشرفه .

نفى شـــبهة :

ولا بأس من الإشارة هنا إلى شبهة أثارتها بعض الأقلام وبددها الثقات من المحققين الأعلام ، ذلك أن بعض المفسرين أشار عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ « النساء ٢٢ » إلى أن هذا الاستثناء ورد لئلا ليعاب نسب النبى - صلى الله عليه وسلم - وليعلم أنه لم يكن فى أجداده نكاح سفاح ، ذلك أن خزيمة بن مدركة حين مات خلفه ابنه كنانة على زوجته برة بنت اد بن طابخة ، فولدت له النضر بن كنانة .

ولكن الجاحظ فى كتابه - الأصنام - بدد هذه الشبهة فقال : حقاً لقد خلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته وهى برة بنت أد بن طابخة ، ولكنها لم تلد له ذكراً ولا أنثى ، ولكن كانت ابنة أخيها برة بنت مر بن أد بن طابخة تحته وهى التى ولدت له النضر بن كنانة ، وجاءت الشبهة من تشابه اسم المراتين . ثم قال : معاذ الله أن يكون أصاب نسب النبى - صلى الله عليه وسلم - نكاح مقت ، وقد قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : مازلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام

حتى خرجت بين أبى وأمى ، والحمد لله الذى نزهه عن كل وصم وطهره تطهيراً » .

النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مرآة أصحابه صـ ٢٠ ، وحياة الحيوان للدميرى ٤٣٤/٢ ط التحرير .

انا ابن العواتك

وإذا كان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد افتخر بآبائه ، فقد افتخر كذلك بأمهاته . فقد ذكر الرواة أنه قال فى غزوة حنين « أنا ابن العواتك من سُلَيْم » .

الجامع الصغير برقم ٢١٨٠ ، وذكره الطبرانى ورمز له بالصحة وفى جمع الجوامع برقم ٨٥٨٥/٤٠٩٧ عن سيابه بن عاصم السلمى .

وقبل أن نذكر أسماء هؤلاء العواتك نشير إلى ماذكره ابن منظور حول مفهوم هذا الاسم . قال :

عَتَك يَعْتِك عتكاً إذا كر . قال الشاعر :

تتبعهم خيـلا لنـا عـواتكـا
فى الحرب حُرُدًا تركب المهالكا

وحردا أى مغتاظة عليهم .

وعتك فى الأرض يعتك عتوكاً إذا ذهب وحده - وهذا يعنى الانفراد -

والعاتك الراجع من حال إلى حال .

وعتكت القوس احمرت من القدم وطول العهد .

وامرأة عاتكة محمرة من الطيب ، ويقال : لون عاتك أى خالص ، أى لون كان ، وكل كريم عاتك .

وسميت المرأة عاتكة لصفائها وحمرتها . أما ابن سعد فى طبقاته فقال : تسمى عاتكة لطهارتها .

ولا مانع من نقل العلم من هذه المعانى المختلفة .

ونعود إلى الحديث الوارد « أنا ابن العواتك من سليم » وقد علق عليه ابن منظور تعليقاً طريفاً لا بأس من الإشارة إليه . قال :

والعواتك جمع عاتكة وهى المتضمخة بالطيب .

والعواتك من سليم ثلاث - يعنى جداته - صلى الله عليه وسلم - وهن :

عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أم عبد مناف بن قصى جد هاشم .

وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أم هاشم بن عبد مناف .

وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أم وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أمه آمنة بنت وهب .

فالأولى من العواتك عمة الوسطى ، والوسطى عمة الأخرى .

ويستطرد ابن منظور قائلاً : وبنو سليم تفخر بهذه الولادة .

ولبنى سليم مفاخر منها أنها (ألفت) معه يوم فتح مكة . يعنى أنه شهدها منهم مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ألف رجل ، وأن النبى - صلى الله عليه وسلم - قدم يومئذ لواءهم على الألوية ، وكان لونه أحمر .

ومنها أن عمر - رضى الله عنه - كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام أن ابعثوا إلى من كل بلد أفضله رجلاً .

فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمى .

وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمى .
وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمى .
وبعث أهل الشام أبا الأعور السلمى ...
فتوافق الأفاضل جميعاً فى سُليم .
وهناك عواتك أُخَر فى أمهات النبى - صلى الله عليه وسلم - من غير بنى سليم .

قال ابن برى - فيما يحكيه ابن منظور - أيضاً - : والعواتك اللائى ولدنه - صلى الله عليه وسلم - اثنتا عشرة ، اثنتان من قريش ، وثلاث من سليم ، واثنتان من عَدْوان ، وواحدة كنانية ، وواحدة أسدية ، وواحدة هُذلية ، وواحدة قضاعية ، وأخرى أزدية .
وإن كان ابن سعد فى طبقاته عدهن ثلاث عشرة عاتكة .

الفواطم من أمهاته :

وإذا كان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد افتخر بأنه ابن عواتك سُلَيْم ، فقد اعتنى الرواة بإحصاء الفواطم من أمهاته .
ومعنى الفاطم مأخوذ من الفطم وهو فصل الولد عن الرضاع .
وتسمى المرأة فاطمة وفطام وفطيمة وفاطم أيضاً .

والفواطم اللاتى ولدن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : واحدة قرشية ، واثنتان من قيس ، واثنتان من اليمن ، وواحدة أزدية ، وأخرى قراعية .
قال ابن منظور : وقيل للحسن والحسين - رضى الله عنهما : ابنا الفواطم .
ذلك أن أمهما فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفاطمة بنت أسد جدتهما لأبيهما على بن أبى طالب ، وفاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم جدة النبى - صلى الله عليه وسلم - لأبيه ..
وقد استقرأ ابن سعد فى طبقاته أسماء هؤلاء الأمهات من الفواطم والعواتك فى حديث شهى يذكر بعناية الرواة بنسب النبى - صلى الله عليه وسلم - الزكى ، ويشير إلى ما شرفه به ربه من عظيم العناية وكريم الرعاية .. حتى اجتمعت فيه كل مقومات الكمال ، وتوافقت فى عنصره الشريف كل ميزات الجلال والجمال .
لقد وهبه الله إلى جانب ما وهبه من شرف النسب وطهارة الأصل ، وطيب العنصر ، وجمال المظهر وحسن المخبر - كمال الخلق وعظيم السجايا ونبل الصفات حتى اجتمع فيه الكمال من أقطاره ..
ولقد زكاه ربه بأعظم تزكية حيث قال فى حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ « القلم ٤ » .
ودعا إلى الناس به فقال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ « الأحزاب ٢١ » .
وليس غريباً بعد ذلك أن يتفنن الواصفون فى وصفه والمادحون فى مدحه ، مع شعورهم جميعاً بالتقصير فى حقه . وقد أحسن البوصيرى - رحمه الله - صنعا حيث قال فى بردته :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
وأحكم بما شئت قولاً فيه واحتكم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم ..

لقد كان مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - مطلع خير على الإنسانية جمعاء ، أطلق لسان أمير الشعراء أحمد شوقى بقوله الذى نقوله معه :

يا خير من جاء الوجود تحية
من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بك بشر الله السماء فزينت
وتضوعت عطراً بك الغبراء..

- صلى الله عليه وسلم -

القربان

لفضيلة الشيخ
محمد على الطعمى

دخل عبد المطلب داره محزون النفس عابس الوجه مزموم الشفتين ، يقلب كفيه فى صمت رهيب وسكون غامض ، وراح يجمجم تارة ويئن اخرى ، وفى كلتا الحالتين ترتفع الجمجمة ويزداد الانين ولا يجد عنهما مخرجاً ، وجلس عبد المطلب ـ شيخ قريش ـ على حصيرته التى اعتاد الجلوس عليها ، تظلله افكار سود عاتية ، فاخذ يفتح عينيه ويغمضهما ، ثم اتكا على وسادة من ليف وقال يحدث نفسه :

إن قريشا لازالت تلاحقنى بالأسى وتتابعنى بالأذى حتى حرمتنى من هجعة الليل ولذة اليقظة ، وجعلتنى أضيق ذرعا بالإقامة فى مكة الطيبة وحرمها الآمن ، وجعلتنى أيضاً أتأفف من سمر السمار وحديث الركبان وأخبار العرب الغابرين والحاضرين .

ثم قال : ياعجبا من قومى الذين شغلهم جمع المال عن كل شىء ، وسيطرت عليهم رحلة الشتاء والصيف ، فأصبحوا لا يكلون من سفر ، ولا يخنعون لإقامة ، ولا يحبون أن يستريحوا من تعب ، حتى اكتظت بيوتهم بالذهب والتحف والرياش ، ومع ذلك لم يقنعوا ، فسولت لهم انفسهم ان يستحوذوا على الكنز الذى وجدته أثناء حفر زمزم ، ولولا أننى خوفتهم من غضب الآلهة وسخط رب البيت لاقتسموه فيما بينهم ، ولولا أننى قلت لهم هذا مال الله ويجب أن يوضع فى خزانة الكعبة سدا لحاجتها لامتدت إليه أيديهم وأضافوه إلى أموالهم ، وهاهم اليوم يريدون

● الكاتب : مفتش الوعظ ورئيس المكتب الفنى سابقاً .

أن يزاحموا الحجيج على الماء ـ ماء زمزم ـ ويشربوه شربا وينزحوه نزحا فى جراة ونهم لا يليقان .

وخرج الرجل من بيته مغاضباً فى طريقه إلى الكعبة ، فألفى قومه جلوسا يتداولون فى شأن بئر زمزم ، وكيف أنه ـ عبد المطلب ـ يطمع أن يسقى الحجيج قبل أن يسقيهم ، ويروى بالماء الوافدين من مشارق الأرض ومغاربها قبل أن يرويهم ، علما أنهم قائمون على خدمة البيت كما هو قائم وحراس عليه كما هو حارس ، ويقدمون للضيوف الخراف والثريد والحلواء كما يقدم ، فلماذا يفضل البعداء على القرباء ، والحال اننا ابناء عمومته نرث فى مجد مكة وشرف الحرم التليد ؟ ومن قال إن هذا الماء وقف على ناس دون ناس ؟ ولو انصف عبد المطلب لتركه مباحاً لنا ولغيرنا وللطير والحيوان على حد سواء ، وقال القرشيون ، ونحن بدورنا لانسكت على هذه المعرة التى لحقتنا ، ولسوف نقف فى وجه هذا الشيخ معاندين بأولادنا الكثر وسلاحنا البتار .

وقال عبد المطلب يخاطبه أهل من قريش .. لقد تكلمتم وسمعت كلامكم ، واعلموا اننى ما حفرت بئر زمزم عن أمرى ، وإن هاتفاً اتانى ودعانى إلى حفرها وعرفنى مكانها ، وكانت اندثرت وذهبت معالمها ، فنفذت الأمر راضياً وأعاننى على ذلك ابنى الحارث ، وكنا نحن نشق الأرض شقا ونخلع الحجارة ونرفع الرمال ، وكنتم أنتم تسخرون منا وتضحكون علينا ، فلما ظهر الذهب فى جوف البئر جادلتمونى فى أخذه ، ولولا التحكيم للآلهة لاغتصبتموه لأنفسكم ، وبعد الذهب نبع الماء ، فجئتم ثانيا تتزاحمون عليه وتجعلونه لكم أولاً وللحجيج ثانياً ، بينما الحجيج ضيوف الله ثم ضيوفكم ، فمن الواجب أن نكرم وفادتهم ونيسر لهم ما تعسر من الأمور ، فإن لم تفعلوا أخشى أن تصيبكم الآلهة بقارعة قاسية وتصب عليكم البلاء صبا ، وقال عبد المطلب ياقومى .. أراكم أسرفتم فى الجدل وتحاملتم علىَّ حتى نفد صبرى ووهن عظمى ، وإنى اكره الضغوط والجدل والإسراف فى الكلام ، ثم ماذا ؟ ثم إنكم تفاخروننى بكثرة أولادكم ووفرة عددكم مستغلين ذلك فى تنفيذ مصالحكم .. اقول لكم .. لله على نذر إن رزقنى الله بعشرة أولاد لأذبحن منهم ولدا ..

وسمع بنو عبد مناف نبأ النذر وضراعة الشيخ فعضوا على النواجذ من الغيظ ، وتعصبوا لابن عمهم عبد المطلب ، وكادت قريش يضرب بعضها رقاب بعض وتدخل الأرض الحرام حرب مسعورة ، لولا أن عبد المطلب أخذهم باللين ودعاهم إلى التروية وحذرهم عاقبة الشرور .

ومضى الزمن يجرى غير وان ولا بطىء ، وتكامل لعبد المطلب عشرة أولاد كلهم ذكور تنشرح لهم الصدور وتفرح بهم القلوب ، ورأى عبد المطلب فى أولاده قوة ومنعه وجاها ، ورآهم ملء العين والسمع والفؤاد ، ورآهم يغدون فى دروب مكة ويروحون كأنهم جند مرصوص ، فحمد الله وأثنى عليه وتذكر نذره المحتوم .

وقال عبد المطلب لبنيه : يابنى إنكم لتعلمون ما أصابنى من ضر عند حفر زمزم ، وكيف أن أهلى من قريش أرادوا أن يغلبونى على امرى فنذرت لله أن أذبح ولدا ، إن رزقنى

القربان

الله عشرة أولاد يمنعون عنى هنات قريش وغمزات الغمازين ، وها أنتم تكاملتم عشرة فماذا تقولون ؟

قال بنوه .. سمعنا وأطعنا ، وما كنا لنعصى لك أمراً أو نغمطك حقاً ، وإن شريعة قريش توصى الأبناء باحترام الآباء ، وتؤكد عدم الاعتراض عليهم فيما يأمرون .

وكتب كل واحد من هؤلاء الأبناء اسمه على قدح ، وذهب بها عبد المطلب عند صاحب القداح فى جوف الكعبة ، لكى يضربها عند « هبل » كبير . . . الأصنام ، ولما ضربت القداح ، خرج القدح على عبد الله ، أنضر أخوته وجها ، وأحلاهم طلعة ، وأصغرهم سنا ، وأعزهم على أبيه من سائر البنين .

وقاد شيخ قريش ابنه إلى المذبح عند زمزم لينحره بين إساف ونائلة ، ورأت قريش كيف انقاد عبد الله لأبيـه ؟ فتأكـد لها أن عبد المطلب جاد فيما يقول ، وأنه غير هازل فى تنفيذ وعده ، فسارعت لتصده عن جريرته صدا ، وتحول بينه وبين ما يريد .

وقام فتية من شباب قريش بثورة عارمة ، وقالوا .. إن الناس اعتادوا أن يتقربوا إلى الآلهة بما يشاءون وكما يشاءون من الأنعام ، ولكن عبد المطلب خالف تلك التقاليد ، وجنح إلى الهوى واتسم بالجفوة وسوء التقدير .. وإنا لمانعوه من هذا الخطل منعا ، خشية أن يحدث سنة سيئة فى قريش ، يذهب ضحيتها الشباب من أمثالنا الأبرياء .

وأنذر بنو مخزوم .. عبد المطلب وحذروه عاقبة أمره إن هو قدم ابن أختهم قربانا ، وتوعدوه بحرب مسعورة تأكل الأخضر واليابس وتفنى الكبير والصغير ، وقالوا له : من المحال أن يكون عبد الله ضحية ونذراً وأخواله بنو مخزوم أقوى العرب شكيمة وأصبرهم بأسا وأعزهم نفـرا .. ولكن عبد المطلب لم يحفل بهذا كله ، وسار فى طريقه إلى المذبح ، وهنا هب إخوة عبد الله وأخواته يستصرخون قريشاً ، فوقف بنو مخزوم على أهبة الاستعداد للقتال ، ومن ورائهم قريش عن بكرة أبيها متأهبة للخصومة والنزاع .

وقال عبد الله المخزومى : لقد تجاوزت المدى ياعبد المطلب وبلغت أمراً إِدّاً ، ومع ذلك فإنا على استعداد لكى نتعاون معك ، ونفتدى ابنك بما يشاء « هبل » من مال ، فاقبل التحكيم وتضرع لرب البيت الذى وسعت رحمته السموات والأرض ، وإن لم تفعل انفصمت وحدة قريش ودخلتها الحرب وظللها دخان مبين .

وبعد أخذ ورد ومباراة فى الجدل ومشادة فى الكلام رضى عبد المطلب بالتحكيم ، وقدم الإبل كما قالت الكاهنة عشرا عشرا ، والقداح تخرج على عبد الله ، حتى إذا بلغت الإبل مائة خرجت القداح عليها ، ولم تصب ذلك الابن الطيع الصبور ، فهتفت قريش بالتهليل وقالوا لعبد المطلب : لقد رضى عنك ربك ورضيت عنك قريش فاهنأ ياشيخ العرب بمرضاة الآلهة .

وأمر عبد المطلب أن تذبح الإبل كل الإبل ، وتطرح فى العراء ليأخذ منها من يشاء كما يشاء ، من إنسان ووحش وطير ما عدا بنى هاشم ، فإنهم يأكلون من غيرها ، ويطعمون من لحم غير لحمها .

وهدأت مكة وسكن القرشيون ، وقضوا يوما من أسعد أيامهم ، أكلوا فيه وطربوا ، وتمتعوا بأطايب الحياة ونعيمها الذى هبط عليهم ، وكانت ألسنتهم لا تفتأ تذكر عبد المطلب ونذره وفداءه وترى فى شأنه حديثاً عجباً مليئاً بالتسلية والشجون .

وفكر عبد المطلب أن يفرح بولده عبد الله ، وأن يدخل عليه الفرح ، فأزمع على زواجه فذهب إلى ديار بنى زهرة وخطب له آمنة بنت وهب سيد قومه ، وفى اليوم الثانى دخل بها عبد الله ، فرأى فيها زوجة مثالية تتمتع بالحياء والحنان وصفاء القلب ونقاء السريرة فبادلها حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص حتى حسدت نساء قريش آمنة على ما أفاء الله عليها من زوج صالح هو زين الشباب ورائدهم المعدود ، ولم لا،وقد اختارته الآلهة من بين الفتيان ليكون ذبيحا ومن المقربين .

وتأهبت قريش لرحلة الصيف وأمر عبد المطلب ابنه عبد الله أن يتجهز للسفر ليرعى تجارته ويعرضها فى الشام ، فذهب إلى آمنة فودعها وودعته ، ووعدها أن يحضر لها ما تحب وفوق ما تحب من هدايا الشام .

وخرجت القافلة من بطن مكة تحفها عيون المودعين وتلاحظها عناية السماء ، فوصلت أرض « غزة » سالمة ، وفيها باع عبد الله ما معه واشترى ما أراد ، وفى رجعته منها عرج على أخواله بيثرب ، ليستريح من لوعة السفر ووعثاء الطريق ومرض خفيف بدت عليه عوارضه .. ودخلت عير قريش مكة راجعة من الشام ، تحمل مالذ من الطعام وما خف من الثياب وما غلا من العطور ، فاستقبلها المكيون بالطبول والرقص والغناء ، وكان عبد المطلب فى معية المستقبلين ، فلم ير لعبد الله ظلا ، فأخذته خطفة وتغشاه رعب ودب فى قلبه شك من الغائب المجهول ، وبالسؤال عن ابنه نبىء أنه أصيب بالداء وأنه تخلف فى يثرب ليتمرض عند أخواله .. وأرسل عبد المطلب ابنه الحارث أكبر أولاده ، ليكشف الحقيقة ويعلم ما سار إليه أمر عبد الله ، وفى المدينة علم الحارث أن أخاه قضى نحبه ودفن فى مقابر أخواله بنى النجار ، فرجع إلى مكة يتململ من هول المصيبة ويغلى دمه من كثرة الأحزان .

وعلم عبد المطلب بموت ابنه عبد الله ، فاهتز وجدانه وبكاه من عينه وقلبه ، ودهمته نكسة عارمة ، ترنحت لها شيخوخته .

ومضى الزمن أيضاً يروى من أنباء الذاهبين للاحقين ، وإذا بآمنة بنت وهب حامل ، وإذا بها لا تحس فى هذا الحمل نصبا ولا وصبا ولا بما يلقاه النساء الحوامل من امتعاصه ووحم ، وإذا بها ترى فى نومها ويقظتها خوارق تشبه المعجزات ، كأن السماء اصطفتها على نساء العالمين .

وفى ١٢ من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٠ أغسطس سنة ٥٧٠ وضعت آمنة بنت وهب أكرم نبى وأعظم رسول ، فتفجر النور شرقاً وغرباً ، ومادت العروش وتحطم إيوان كسرى .

وقال الناس للناس .. إن هذا لشىء عجاب .

وبعد :

فسلام على صاحب الذكرى فى موعد الذكرى ، سلام على محمد الذى بعث للأبيض والأسود ، فحرر الإنسان المستعبد وأنار الطريق للمدلجين ، وحطم « هبل » وما حوله من الأصنام ، وجعل العبادة خالصة لله .

من فقه الكتاب والسنة



لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة

تحية المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب

١ ـ أخرج مسلم فى صحيحه بسنده إلى جابر بن عبدالله قال : « جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب فجلس ، فقال له ياسليك : قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما ، ثم قال : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » .

٢ ـ أخرج أصحاب الكتب الستة بأسانيدهم إلى أبى هريرة قال : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت » .

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فليتجوز فيهما : معناه وليخفف صلاته فلا يطيل فى القراءة والركوع والسجود .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد لغوت : أى أتيت بما لا يفيد .

قال العلماء : معناه بطل أجر جمعتك ، وليس المعنى بطلت صلاتك للإجماع على سقوط الفرض عنه . قد استنبط العلماء من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليركع ركعتين أى من دخل والإمام يخطب الجمعة فليصل ركعتين خفيفتين وهما سنة ، وقال بهذا الشافعى وأحمد واسحاق والحسن وابن عيينة .

واستنبط العلماء من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الثانى (فقد لغوت) أن من دخل يوم الجمعة والإمام يخطب فعليه الجلوس وتكره له تحية المسجد .

وقال بهذا أبوحنيفة [٢] ومالك [١] والليث وشريح وابن سرين والنخعى والثورى . والواضح مما تقدم أن كلا من الحديثين صحيح وأن بين الحديثين تعارضا لأن الأول يفيد سنية الصلاة والثانى يفيد كراهتها .

ومن هنا اختلف العلماء فالقائلون بالسنية من أهل الترجيح يرجحون الحديث الأول لأن دلالته على السنية بطريق الدلالة : مفهوم الموافقة ؛ لأن النهى عن المنكر إذا أنهى عنه فى الحديث الثانى فقد نهى عن الصلاة بالطريق الأولى فالترجيح هنا بقوة الدلالة والقائلون بتقديم الجمع على الترجيح قالوا إن الحديث الأول مخصص للثانى

(١) « الشرح الصغير » مع حاشيته جـ ١ صـ ١٦٨ .

(٢) « فتح القدير » تحية المسجد جـ ١ صـ ٤٢١ .

لأن محل الحكم باللغو إذا لم يدخل المسجد فى أثناء الخطبة ، وفى العمل بالحديث الأول الجمع بين الصلاة واستماع الخطبة لأن المصلى إذا أداهما خفيفتين لا يمنع ذلك من الاستماع والانتفاع بنصائح الخطيب .

والقائلون بالكراهة رجحوا الحديث الثانى لأنه مانع للصلاة والأول مبيح لها والمانع مقدم على المبيح ، والقائلون بالجمع منهم ، أجابوا بأن الحديث الأول كان فى واقعة معينة لا عموم لها .

ورجحوا رأيهم من حيث المعنى بأن الجلوس عند الدخول وترك الصلاة يساعد على الانتفاع بنصائح الخطيب ..

ويجاب عن هذا بأن الترجيح الأول أقوى لأنه ترجيح بقوة الدلالة وهو مقدم على الترجيح بالحكم ، وبأن قولهم أن أمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ للداخل بالصلاة كان واقعة معينة ممنوع بل هو حكم عام بدليل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث : (إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما) .. وعمومه من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى مناقشة .

وبهذا يتبين أن الرأى القائل بسنية تحية المسجد لمن دخل حال الخطبة هو الراجح .

هذا استنباط الفقهاء وبحثهم فى الأدلة فلنسمع لما قاله مؤلف كتاب « السنة النبوية » فى صـ ٢٦ : « لقد فكرت فى السبب الذى جعل الأحناف والمالكية يكرهون تحية المسجد والإمام يخطب مع ورود حديث بطلب هذه التحية وبعد تأمل يسير رأيت أن خطبة الجمعة شرعت بعد الهجرة ؛ ثم قال : إن السكوت والاستماع طلب لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخطب الناس بالقرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، قال وحديث سليك كان واقعة خاصة والسنة العملية تمنع الصلاة فى أثناء الخطبة . انتهى فقد ترك التفكير فيما ألف الكتاب من أجله فلن يبين درجة الحديثين وفكر فى بيان الحكم على خلاف قواعد الأصول وما كنا نحب له أن يجهد نفسه فى هذا المجال .

٢ ـ صلاة النساء فى المساجد

١ ـ أخرج البخارى بسنده إلى ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »(٣) .

٢ ـ وأخرج أبو داود بسنده إلى حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن » وصححه ابن خزيمة .

٣ ـ وأخرج مسلم بسنده إلى أم عطية قالت : « أمرنا ـ يعنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نخرج فى العيدين العواتق وذوات الخدور وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين » .

٤ ـ أخرج أحمد والطبرانى بسندهما إلى أم حميد الساعدية « أنها جاءت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : « يارسول الله إنى أحب الصلاة معك فقال : قد علمت وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجد الجماعة) ، قال ابن حجر والحديث من إخراج أحمد حسن .

والحكمة من أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل هو التأكد من البعد عن الفتنة ، ويؤكد ذلك حديث عائشة الآتى ..

٥ ـ وأخرج البخارى بسنده إلى عبدالله بن

(٣) « كتاب الجمعة » باب ١٣ .

عمر عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إذا استأذنكم نساؤكم إلى المسجد فأذنوا لهن » (٤) .

٦ - وأخرج مسلم بسنده إلى أبى هريرة - رضى الله عنه - كان يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » (٥) .

٧ - أخرج البخارى بسنده إلى يحيى بن سعيد عن عائشة - رضى الله عنها - قالت (لوأدرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماأحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل) .

قلت : أو منعن ؟ قالت : « نعم » (٦) .

المراد بإماء الله النساء البالغات ، والخطاب فى قوله - صلى الله عليه وسلم - إذا استأذنكم نساؤكم . للأزواج والأولياء ، العواتق : الفتيات إذا بلغن وسمين عواتق لإعفائهن من بعض الخدمة فى البيت ، والخدور : البيوت .

قوله : « أصابت بخوراً » بفتح الباء ؛ ويلحق بالبخور كل مايستميل الرجال كالزينة والثياب اللافتة ، ووسوسة الأساور ، ورنين الخلاخيل ..

وحديث عائشة يدل على كراهة خروج الشابات إلى المساجد لأن الغالب من حالهن فى العصور المتأخرة الإفراط فى الزينة والتبرج وافتتان الرجال بهن ، وبهذا قال أبوحنيفة ومالك وأبو يوسف ومحمد .

ومذهب أحمد كما قال ابن قدامة فى « المغنى » (٧) جواز الصلاة فى المسجد مع الجماعة بشرط عدم الزينة بأنواعها وبشرط أمن الفتنة بهن وصلاتهن فى بيوتهن خير لهن لحديث أبى داود السابق (لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن) ، ولحديث أحمد السابق (صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها) (٨) ، واتفقوا على جواز خروج العجائز إلى المسجد .

وقال ابن حزم يندب للمرأة الخروج إلى المسجد إذا لم يكن بها مانع من الصلاة ولا ما يدعو إلى الافتتان بها كالزينة والطيب ولا يحل لزوجها ولا لوليها منعها إذا استأذنت واستدل بحديث « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » .

وفى رواية : « وليخرجن تفلات أى غير متطيبات » . وبما أخرج مسلم وغيره بسنده إلى عائشة - رضى الله عنها - قالت : « أن كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس » .. أى الظلمة .

وبما أخرج مسلم عن أم عطية من أمره - صلى الله عليه وسلم - بإخراج العواتق وذوات الخدور يوم العيد ليشهدن الخير مع المسلمين .

ووجه الدلالة على رأيه أن الأمر فى الحديث الأول « وليخرجن تفلات » أقل حالاته أن يكون للندب ، ووجه الدلالة من حديث عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - دعاهن إلى الصلاة معه فى المسجد ، ولو كانت الصلاة فى البيت أفضل كما يقول أحمد أو كانت مكروهة ، كما يقول باقى الأئمة لما أقرهن على الصلاة معه أمداً طويلاً .

والجواب أن الأمر فى الحديث الأول إنما هو بعدم التطيب لا بالخروج إلى المسجد إذ القاعدة

---

(٤) « كتاب الأذان » باب ١٦ .
(٥) « كتاب الصلاة » باب خروج النساء إلى المساجد .
(٦) « مسلم » « كتاب الصلاة » باب خروج النساء إلى المساجد .
(٧) جـ ٢ ص ٨١ .
(٨) وهو مذهب الشافعى كما يفهم من « مغنى المحتاج » جـ ١ صـ ٢٣٠ .

أن الأمر بالمقيد يكون منصباً على القيد لا على المقيد .

والجواب عن الحديث الثانى والثالث أن الخروج كان مباحاً فى العصور الأولى حيث لم توجد فى الزمان الأول المفاسد التى بيننا ، أما وقد وجدت فيتغير الحكم بتغير الحال .

قال الشيخ الغزالى فى كتاب « السنة » إذا قامت المرأة بما عليها فى البيت فلا يجوز لرجلها أن يمنعها من الذهاب إلى « المسجد » .

والواقع أن للزوج أن يمنعها لحق من حقوق الزوجية ثم قال : بيد أن الازدهار الذى أحدثه الإسلام فى عالم المرأة أخذ يتعرض للذبول والتلاشى . ص ٦٢ .

وذكر الحديث الذى سبق إخراجه من مسند أحمد وحكم عليه بالوضع متبعاً لابن حزم ، وقدمنا عن ابن حجر أنه حديث حسن ، وهذا الحديث لا يمنع من الصلاة فى المسجد لكن يبين أن الصلاة فى البيت أفضل منها فى المسجد ، فلا يتنافى مع صلاة النساء مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسجده بل هو من باب (أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة) .

وقدمنا أن الدليل على ما قاله أكثر العلماء من كراهة خروج الشابات إلى المساجد هو حديث عائشة : (لو علم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماأحدث النساء لمنعهن المساجد) فإن خلاصته أن مفاسد حدثت بين النساء فى العصور المتأخرة لم تكن موجودة فى عصر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تؤدى للافتتان بهن فهو من باب تغير الحكم بتغير علته كالنهى عن المنكر إذا ترتب عليه مفسدة أشد من مفسدة المنكر ، وكالمنع من قضاء القاضى بعلمه بعد أن كان جائزاً أو من القضاء بالشهود من غير تزكية اعتماداً على ظاهر العدالة كل هذا من المفاسد الطارئة لتغير أحوال الناس .

وقد أمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإخراج ذوات الخدور يوم العيد ليستمعن النصائح ويشهدن الخير مع المسلمين ومع هذا أفتى الفقهاء بكراهة الخروج للمفاسد التى حدثت .

قال النووى : وأجابوا عن إخراج ذوات الخدور والمخبأة بأن المفسدة فى ذلك الزمن كانت مأمونة بخلاف اليوم ، ولهذا صح عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ « لو رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماأحدث النساء لمنعهن المساجد » . انتهى فالازدهار الذى حدث فى أول الإسلام لم يتعرض للذبول ، كما قال المؤلف بل للزيادة لأن الحفاظ على المرأة وعلى الآداب العامة يجب على الفقهاء وأولى الأمر مراعاته والعمل على تحقيقه .

وقد حكم المؤلف على الأحاديث الدالة على أفضلية صلاة المرأة فى بيتها بالشذوذ والرد :

والشذوذ فرع التعارض ، ولا تعارض بين صلاة النساء فى المسجد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والأحاديث الدالة على أن صلاتها فى بيتها أفضل لأن الكلام فى فاضل ومفضول ، لا فى حرام وحلال ، ولا يدل شىء من الأحاديث على أن صلاة المرأة فى المسجد حرام إلا عند وجود الموانع التى ذكرناها .

ثم نسأل المؤلف من من الفقهاء أصدر حكماً عاماً بتحريم خروج جميع النساء إلى المساجد صـ ٦٤ هذا تجن على الفقهاء ..

٣ ـ « حكم شهادة المرأة فى الحدود والقصاص »

اتفق الأئمة الأربعة على أنه لا تجوز شهادة النساء فى الحدود والقصاص لما أخرج ابن أبى شيبة عن الزهرى قال : « مضت السنّة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخليفتين من بعده ألا تجوز شهادة النساء فى الحدود

والدماء ». وهذا حديث مشهور لتلقى الأمة له بالقبول وقد عمل به جمهور العلماء.

ولأن شهادة النساء فى قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ (٩) فيها مانعان من الشهادة على الحدود والقصاص.

الأول: قلة الضبط كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ فإن الضلال هو النسيان وهو أمارة قصور العقل فى جنسهن فلا ينافى أن منهن من هى أذكر من بعض الرجال.

الثانى: شبهة البدلية: فإن قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾ الآية: ظاهرة أن شهادة الرجل والمرأتين إنما تكون عند عدم الرجلين: كما فى قوله تعالى فى كفارة اليمين: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾.

وفى التيمم: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾. ولكن جرى العمل من لدن الصحابة - رضى الله عنهم - على قبول شهادة الرجل والمرأتين وإن وجد رجلان يشهدان، والحدود والقصاص تُدرؤ بالشبهات لأنها أحكام مغلظة متعلقة بالدماء والأعراض ما بين قتل وقطع وجلد بخلاف الأحكام المتعلقة بالأموال.

قال الشيخ الغزالى صفحة « ٦٧ »: بعد أن اعترف بأن المرأة أقل ضبطاً من الرجل: - يعترض على جمهور الفقهاء ويسخر منهم .. « لكن تياراً ينشأ فى الفكر الدينى يستبعد شهادتهن استبعاداً تاماً فى أهم ميادين التقاضى وهى الحدود والقصاص، والقتلة يرتكبون الجرائم ليلاً ونهاراً، ثم يقول: وإذا كان المسلمون الآن أكثر من مليار نفس فما معنى التطويح بكرامة خمسمائة مليون امرأة لقول أحد من الناس: « المأساة أننا نحن المسلمين مولعون بضم تقاليدنا وآرائنا إلى عقائد الإسلام وشرائعه لتكون ديناً مع الدين. وهدياً من لدن رب العالمين وبذلك نصد عن سبيل الله.

واذكر هنا قصة الناقة التى عرضها صاحبها بعشرة دراهم واشترط أن تباع قلادتها معها بألف درهم. فكان الناس يقولون: ماأرخص الناقة لولا هذه القلادة الملعونة؟ واقول كذلك ما أيسر الإسلام وأيسر أركانه وما أصدق عقائده وشرائعه. لولا ما أضافه أتباعه من عند أنفسهم واشترطوا على الناس أن يأخذوا به ويدخلوا فيه » انتهى.

فيا فقهاء الشريعة ويأصحاب العقول بعد أن سمعا أدلة الفقهاء هل المسألة هى الاحتياط فى أحكام الله المتعلقة بالعقوبات أو هى مراعاة عدد النساء فى العالم؟

وهل قصر الشهادة فى الحدود والقصاص على الرجال قول أحد من الناس أو هو قول جمهور الفقهاء؟

هل جمهور الفقهاء عندما أخذوا أخذوا بهذا الرأى كان عملاً بالتقاليد أو كان استدلالاً بما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته؟

الحق أن هذا إسراف تورع عنه أعداء الإسلام ومنتقدوه أمثال « جولد زيهر » و« شخت »، وهل يليق أن يبلغ بنا التندر والإسفاف إلى حد أن يمثل اجتهاد المجتهدين وفقه الفقهاء الذين فسروا أدلة الشريعة واستنبطوا أحكامها وكانوا ورثة النبى - صلى الله عليه وسلم - على مر العصور: فى بيان أحكام

---

(٩) سورة البقرة آية « ٢٨٢ ».

الله : بالقلادة الملعونة التى حالت بين المشترى وبين الناقة ؟

ومعنى هذا أن فقه الفقهاء هو الذى حال بين الناس وبين تمسكهم بالشريعة .

الحق أن المؤلف قد نال مما عرفه الناس به وهو الدعوة إلى الإسلام لأن كلماته هذه تنفر من علماء الإسلام ، وهل اختلاف الفقهاء فى فهم أدلة الشرع لاختلاف أصولهم أو ملكاتهم أو حكمهم على الحديث : والخلاف طبيعة فى بنى الإنسان : يجعل الفقه من الدين كالقلادة الملعونة من الناقة .

الحق أنك أخطأت الحكم وأخطأت الأسلوب فاستعرت الأسلوب الروائى فى تجريح العلماء .

أما ما جاء فى ابن حزم فى المحلى جـ ٣ صـ ١٢٩ : من الاعتراض على خبر الزهرى الذى استدل به الفقهاء على أن شهادة المرأة لا تقبل فى الحدود والقصاص واستدلاله هو بأقضية مروية عن شريح والشعبى وإياس :

فالفقهاء يردون عليه بأن خبر الزهرى مشهور لتلقى العلماء له بالقبول والطعن فيه بالإرسال والضعف مردود فضلاً عن أن المرسل حجة عند جمهور الفقهاء وما روى عن هؤلاء التابعين على فرض صحته لا حجة فيه إذ لا حجة فى آراء التابعين ولهذا لم يلتفت الفقهاء إليه .

وماادعاه ابن حزم من جواز شهادة النساء فى الزنى يرده نص القرآن قبل أن يرده خبر الزهرى فإن قوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ (١٠) .

وقوله فى سورة النور : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ (١١) : نص فى أن عدد الشهود فى الزنا أربعة ولو قبلت فيه شهادة النساء بأن يوضع مكان الرجل امرأتان لكان العدد أكثر من أربعة وهو مخالف لما فى كتاب الله والمناقشة موجهة إلى ابن حزم .

أما المؤلف صفحة « ٦٩ » ، فنحن نناقشه فى أنه قال : « إنى أعتصم بكتاب الله والمشتهر من السنة » ، وقد أعلمناه أن كتاب الله نص فى الزنى على أربعة وقبول النساء فيه مغير للنص ونناقشه ، بأن السنّة مبينة للكتاب وقوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ يبين المراد منه حديث الزهرى السابق المشهور .

وبعد فقد قال الشيخ الغزالى فى كتاب « السنة » فى مطلع كلامه عن قضايا المرأة صفحة « ٤٣ » إنه يريد للصحوة الإسلامية إعطاء صورة عملية للإسلام تعجب الرائين وتمحو الشبهات القديمة وتنصف الوحى الإلهى ، وقد وضح أن الرائين ليس المراد بهم أهل الفقه والاجتهاد بل المراد بهم بعض أهل العصر الذين يدعون التسوية فى الحقوق بين المرأة والرجل فى الأمور الاجتماعية ، كرياسة الأمة والقضاء والشهادة فهو من أجل ذلك : كتب كتابه ليتجرأ على الفقهاء ويقتحم عليهم علمهم واجتهادهم .

لكنه والأسف يملأ القلب كان ، كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح ، وليته ظل فى المجال الذى ابتدأ حياته فيه حتى نبغ وهو مجال الدعوة فإنى أشهد : أنه داعية قل نظيره !!

---

(١٠) سورة النساء آية « ١٥ » .

(١١) سورة النور آية « ٤ » .

الإسلام
يترفع بالمسلم عن ذل السؤال

لفضيلة الشيخ
أحمد بن محمد طاحون

الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه السائل إلى العمل :

جاء في سنن أبي داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال : « أما في بيتك شيء ؟ » قال : بلى حِلْسٌ[1] نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقَعْبٌ نشرب فيه الماء ، فقال : « ائتني بهما » فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : « من يشترى هذين ؟ » قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : « من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا » ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصاري ، وقال :

« اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتني به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ، ثم قال له : « اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما » .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله ﷺ :

« هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع » .

ها نحن نرى أن الرسول ﷺ كره لهذا الأنصاري - على الرغم من حاجته الظاهرة - أن يسأل ويطلب الصدقات مادام هناك سبيل للحصول على ما يسد الحاجة بعرق الجبين والسعي ، لأن ذلك أكرم للإنسان .

إن الحبيب المصطفى ﷺ أقام مزاداً لهذا الأثاث المتواضع حتى حصل للرجل على درهمين ، ثم وجهه إلى إنفاق درهم منها لسد

(١) الحلس ، بكسر الحاء : كل ماولى ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج ومايبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع وجمعه أحلاس وحلوس .

الحاجة العاجلة لنفسه وأهله ، أما الدرهم الباقى فاشترى به قدوما بتوجيه من الرسول الكريم - ﷺ - ثم ذهب واشتغل ، واستعان بقدومه فى قطع الحطب وغصون الشجر ، وباع وكسب ، ومع الاستمرار والصبر يبارك الله وتنمو الثروة ، ولهذا بين له الحبيب المصطفى ﷺ :

هذا الجهد الذى بذلته فى جمع الحطب ، والعرق الذى تساقط فى سبيل لقمة العيش افضل لك من ذل السؤال فى الدنيا ، ومن أن تجىء المسألة علامة مميزة فى وجهك يوم لقاء ربك ، ثم بين الرسول ﷺ فى هذا الحديث وفى أحاديث كثيرة الحالات التى تلجىء المسلم للسؤال ، وتضطره إليه :

إن المسألة لا تصلح إلا لفقير يعجز عن الحصول على مايسد حاجته الضرورية ، وليس لديه مايقيمه لفقره المدقع اى فقره الشديد المذل ، أو لإنسان عليه دين وحل أجل الوفاء به ولا يملك من المال ما يمكنه من تأدية ما فى ذمته ، وكذلك الرجل يتحمل الديات لمروءته ونبله لكى يحقن الدماء ، ويصلح بين المتخاصمين ، أو الشخص الذى يطالَب بالدية لجناية وليس معه مايفى بما طُلب منه .

وهذا ما جاء فى الحديث الشريف : « إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع ، أولذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع » فالفقر المدقع : هو الفقر الشديد الذى لايحتمل كأنه ألصق صاحبه بالدقعاء وهى التراب لشدته .

والغرم المفظع : هو أداء مايتكلف به الشخص ويشتد عليه ويؤذيه .

والدم الموجع : أن يتحمل إنسان دية فيسعى فيها يؤديها إلى أولياء المقتول وإن لم يؤدها قتل المتحمل عنه وهو صديقه أو نسيبه فيوجعه قتله .

وحذر الرسول ﷺ من سؤال الناس أموالهم من غير اضطرار شديد وبين أن هذا السؤال من أقبح الأعمال التى لا تليق بالمسلم .

اخرج الترمذى عن حبشى بن جنادة السلولى - رضى الله عنه - قال : « اتى أعرابى رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة فاخذ بطرف ردائه وساله إياه ، فأعطاه إياه ، فذهب به معه ، فعند ذلك حرمت المسألة ، فقال ﷺ : « إن الصدقة لا تحل لِغَنِىّ ولا لذى مِرَّةٍ سوىٍّ ، ولا تحل إلا لذى فقر مدقع ، أو غرم مفظع ، أو دم موجع ، ومن سأل الناس ليثرى به ماله كان خُموشا فى وجهه يوم القيامة ، ورضفا ياكله من جهنم ، فمن شاء فَلْيُقِلّ ، ومن شاء فَلْيُكْثِرْ » .

وزاد رزين - رحمه الله : « وإنى لأعطى الرجل العطية فينطلق بها تحت إبطه أو جاعلها فى بطنه وماهى إلا نار ، فقال له عمر رضى الله عنه : فَلِمَ تعطى يارسول الله ماهو نار ؟ فقال : أبى الله لى البخل ، وأبوا إلا مسألتى .

قالوا : وما الغنى الذى لاينبغى معه المسألة ؟ قال : قدر ما يغديه أو يعشيه .

وذو المرة السوىُّ : هو الشديد القوى التام الخَلْق السليم من الآفات . والرضف . جمع رضفه ، وهى الحجارة المحماة .

وما كان بالجهدُ أولى :

ومع إباحة التعرض للسؤال عند الضرورة الملحة ، فإن الإسلام حبب إلى المؤمن أن يبذل من سعيه ومن عرق جبينه للحصول على الكسب الشريف ولا يعرض نفسه لسؤال الناس أعطوه أو منعوه .

الاسلام يترفع بالمسلم

أخرج البخارى عن الزبير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لأن يأخذ أحدكم أَحْبُلَهُ ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أَعْطَوْهُ أو منعوه » .

واخرج النسائى عن عائذ بن عمرو قال : « سأل رجل رسول الله ﷺ فأعطاه ، فلما وضع رجله على أُسْكُفَّةِ الباب ، قال ﷺ : « لو تعلمون ما فى المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئاً » .

ويأويل من يسأل الناس من أموالهم ولديه ما يغنيه عنهم خصوصا إذا كان سليم الجسم ، وسبل العمل ميسرة له ، أو عنده ما يكفيه ويستر بدنه ، وله دار تؤويه ومن يعولهم .

اخرج مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال ، قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس تَكَثُّرًا ، فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر » .

والمسكين المستحق هو الذى حدد ملامحه الحديث الشريف الذى أخرجه الستة إلا الترمذى **عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يُفطن به فيُتصدَّق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » .**

ويوجه الرسول ﷺ المسلمين إلى الاستعانة بالله عز وجل عند الشدة وحسن التوكل عليه مع الأخذ بالأسباب بدلا من الركون إلى الناس واستجدائهم **فيقول ﷺ فى الحديث الذى رواه ابن مسعود - رضى الله عنه - : « من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل » .**

وسمع على - رضى الله عنه - رجلا يسأل الناس يوم عرفة فقال - منكرا عليه : أفى هذا اليوم ، وفى هذا المكان تسأل من غير الله ، وخفقه بالدرة .

وفى تقبيح السؤال ، والتنفير من ذلك يروى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحديث الذى أخرجه الشيخان والنسائى أن رسول الله ﷺ قال : **« لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مُزْعَة لحم » .**

والمزعة : القطعة من اللحم صغيرة كالنتفة من الشىء .

وأخرج أصحاب السنن عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته فى وجهه خموش أو خدوش أو كدوح ، قيل : وما يغنيه ؟ قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب » .

وفى التحريض على التعفف والحفاظ على ماء الوجه **قال أبو سعيد الخدرى فى الحديث الذى رواه الستة : « سأل ناس من الأنصار رسول الله ﷺ فأعطاهم ما سألوا ، ثم سألوه فأعطاهم ماسألوه ، ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه ، حتى إذا نفد ما عنده قال : مايكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يُعِفُّهُ الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى**

أحد عطاء هو خير له واوسع من الصبر »
وزاد رزين رحمه الله :

« وقد افلح من اسلم ورزق كفافا ، وقنَّعه الله بما آتاه »
والكفاف : هو الذى لايفضل عن الحاجة ولا ينقص .

وفى الحث على الصدقة وعلى العفاف يقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى اخرجه مسلم والترمذى :

« ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

قبول العطاء :

وإتماما للبحث نشير إلى توجيهات نبوية كريمة تلفت المسلم إليها فهو ﷺ هادينا ومعلمنا ومرشدنا فى طريق الخير والبر والهدى .

أخرج الشيخان والنسائى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ يعطينى العطاء ، فاقول : أعطه من هو افقر إليه منى ، فيقول : خُذْهُ ، وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه ، فتموّله ، فإن شئت فكله ، وإن شئت فتصدق به ، وما لا فلا تتبعه نفسك » قال سالم : « فلأجل ذلك كان عبد الله لا يسال احداً شيئاً ولايرد شيئاً اعطيه » .

والمراد بقوله : (وأنت غير مشرف) أى غير طامع فيه ولا طالب له .

وقوله : (وما لا فلا تتبعه نفسك) : أى ومالا يكون على هذه الصفة بل آثرته نفسك ومالت إليه فاتركه .

واخرج الشيخان والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس »
والعرض : هو ما يتموله الإنسان ويقتنيه من المال وغيره .
وعن ابن الفراسى كما فى سنن ابى داود أن الفراسى قال لرسول الله ﷺ : أسال يارسول الله ؟ فقال النبى ﷺ : « لا وإن كنت سائلاً لابد ، فاسال الصالحين » .

وفى سننه ايضا ان عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ﷺ : « إذا أُعطيت شيئا من غير ان تساله فكل وتصدق » .
وفى سنن أبى داود عن احمد بن حنبل حديث رواه مالك بن نضلة قال : قال رسول الله ﷺ « الأيدى ثلاثة : فيد الله العليا ، ويد المعطى التى تليها ، ويد السائل السفلى ، فاعط الفضل ولا تعجز عن نفسك » .

إن الإسلام يرفع من قدر الإنسان ، ويكرمه ويضعه فى مكانه اللائق به ، فطوبى لمن انتفع بتوجيهات الإسلام وفضائله ومبادئه .

سعد بن أبى وقاص

فارس الحرب والسلام

أ . د . عبد العزيز غنيم

فى الجاهلية ..

لا يعرف التاريخ عن سعد فى الجاهلية غير النزر اليسير . والسر فى هذا هو انه اعتنق الإسلام وهو غلام لم يبلغ السابعة عشرة من عمره[1] فلم تتضح سمات شخصيته ولا ظهرت مخايل ذكائه وفطنته . ومن القليل الذى وعته عنه ذاكرة التاريخ هو انه قد ولد فى مكة ، وان مولده قد كان فى السنة السابعة عشرة قبل البعثة وانه قد كان محبباً إلى أمه عطوفا عليها لا يعصى لها امراً ولا يخالف لها رايا .

ولا خلاف بين الناسبين[2] فى أن سعد بن أبى وقاص قد كان قرشيا . وكان من بنى زهرة أحد بطون قريش العشرة .. ولأن آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ قد كانت من هذا البطن : فإن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان يقول عن سعد : إنه خالى وكان يزهو به بين الناس ، وروى ابن سعد وغيره من أصحاب المغازى والسير أن سعداً اسأل رسول الله ﷺ عن اسمه[3] . فقال : «أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة من قال غير ذلك فعليه اللعنة» .

ويظهر من هذا الحديث أن بعض شانئى سعد قد كان يشكك فى نسبه فقطع النبى عليه الصلاة والسلام ـ فى هذه القضية وقال فيها قوله الفصل .

تزوج سعد كثيراً[4] وانجب كثيراً فكان له من الذكور ثمانية عشر ، وكان له مثلهم من الإناث ، اما أزواجه فقد كن إحدى عشرة امراة عدا ما كان فى ملك يمينه من الجوارى والإماء .

(١) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ جـ ٣ ص ١٣٩ ط دار بيروت للطباعة والنشر .
البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ جـ ٨ ص ٧٢ ط ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .
(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ـ لابن حجر جـ ٢ ص ٣٣ ط دار الفكر بيروت .
(٣) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ جـ ٣ ص ١٣٧ .
(٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ مرجع سبق ذكره جـ ٣ ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .

والتاريخ لم يحدثنا عن مهنة سعد لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام ويظهر انه كان كغيره من شباب قريش يحترف التجارة ، ويخرج عن مكة من اجلها فى رحلتى الشتاء والصيف ، والدليل على هذا انه قد كان من الثراة واصحاب المال ، فقد روى : انه كان يلبس الخز ويتختم بالذهب[٥] وذلك لا يكون إلا فى الجاهلية ؛ لأن النبى ﷺ قد أمسك الحرير والذهب وقال : هذان حرام على ذكور أمتى حل لنسائها . ويظهر ان سعد قد تربى فى الجاهلية تربية عسكرية والدليل على هذا ما اشتهر به من الرمى بالسهام والضرب بالسيوف والطعن بالرماح وسنعود إلى ذلك مرة ثانية ونحن نتحدث عن جهاده فى ميادين الحرب فى حياة النبى ﷺ وفى حياة الشيخين : ابى بكر وعمر .

وجملة القول ان سعد بن ابى وقاص قد كان من ثراة قريش وحلمائها ، وانه قد اوتى من سداد الرأى ورجاحة العقل والقدرة الفائقة على التمييز بين الطيب والخبيث ما مهد الطريق أمامه ليكون له فى الإسلام دور أى دور ومقام اى مقام .

فى الإسلام ..

وجاء الإسلام فكان سعد احد النفر الذين دعاهم إليه ابو بكر الصديق - رضى الله عنه - فلم يشاور فيه ولم يتردد فى اعتناقه وإنما مضى من فوره إلى النبى ﷺ فسمع منه ونطق بالشهادتين بين يديه . ويتحدث سعد عن نفسه فيذكر أنه قد جاء عليه وقت وهو يعد نفسه ثلث[٦] الإسلام وأنه ما سبقه إليه أحد إلا ان يكون قد اسلم فى اليوم الذى أسلم هو فيه ، وجاء فى ابن سعد وغيره ان ام سعد بن ابى وقاص قد انكرت عليه دخوله فى الإسلام واقسمت الا تذوق الطعام والشراب حتى يعود إلى دين آبائه واجداده أو تموت هى من الجوع وأن سعداً لما يئس من إثناء إرادتها عما اعتزمته قال لها غاضباً : والله لو كانت لك الف نفس ثم خرجت منك نفساً نفساً ما تركت[٧] الدين الذى دخلت فيه وقد نزل القرآن الكريم يسجل هذا الحدث ويعاتب سعداً على سلوكه نحو أمه ويعلمه الطريقة التى يجب ان يلتزمها نحوها .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٨] .

وما أشك فى ان سعداً - رضى الله عنه - قد كان يلازم النبى - ﷺ - وهو فى مكة ، وكان يصلى خلفه فى شعابها ، وما اشك كذلك فى انه قد كان يأتيه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ويطيل الجلوس معه ، ويصغى إلى دروسه التى كان يلقيها فى هذه الدار على أصحابه فتصقل عقله ، وتجلى ذهنه ، وتعمق الإيمان فى حبات قلبه ونياط فؤاده ولا جدال فى ان سعداً قد كان يُؤْذَى فى مكة كما كان يُؤْذَى اقرانه ، وكان يُضَيَّقُ عليه فيها كما كان يُضَيَّقُ عليهم ولكنه لم يكن من المستضعفين لأن عشيرته قد كانت إحدى العشائر القوية فى قريش وكانت تشد أزره ،

(٥) الطبقات الكبرى - ابن سعد - جـ٣ ص ١٤٣ .

(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة - ابن حجر جـ ٢ ص ٣٣ ، البداية والنهاية - لابن كثير جـ ٨ ص ٧٢ .

(٧) أسد الغابة - لابن الأثير - جـ ٢ ص ٣٦٨ ط - دار الشعب .

(٨) سورة لقمان ١٤ ، ١٥ .

سعد بن أبى وقاص

وتقف إلى جانبه ، شأنه فى هذا شأن غيره من ذوى الوجاهة والعصبية ولما اذن النبى ﷺ لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة هاجر سعد وهاجر معه أخوه عمير ونزلا فى دار أخيهما عتبة[٩] بن ابى وقاص وكان هذا الأخير قد أصاب دماً فنزل فى بنى عمرو بن عوف بعد هربه من مكة وظل فى هذا الحى حتى هاجر إليه أخواه ويقول الرواة: إن فرار عتبة قد كان قبل بعاث .

بعد الهجرة :

وزاد نشاط سعد ـ رضى الله عنه ـ بعد الهجرة إلى المدينة واتضحت دلائل نبوغه وعبقريته . فقد آخى[١٠] النبى بينه وبين مصعب بن عمير وهو أحد ابطال المهاجرين وآخى بينه وبين سعد بن معاذ وهو أحد سادات الأنصار ، وأنابه النبى ﷺ عنه فى قيادة الكثير من السرايا ثقة فيه واطمئنانا إلى شجاعته وحسن قيادته ، وكان سعد أحد الرماة المشهورين من أصحابه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وكان أول[١١] من رمى بسهم فى الإسلام . وقد كان شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يضرب ببطولته وصدق بلائه فيها الأمثال ، وإن ينس التاريخ فلن ينسى موقفه يوم أحد ، عندما فر الناس واصعدوا فى الجبل واستولى عليهم الدهش فلم يعودوا يميزون بين من هو منهم ومن هو من عدوهم فقد ثبت سعد إلى جانب النبى ﷺ وراح يرمى الأعداء بين يديه والنبى يقول معجبا به ومطريا له : ارم سعد فداك أبى وأمى[١٢] ولم يجمع ـ صلوات الله عليه ـ بين أبيه وأمه لأحد قط سوى هذا البطل المغوار ولقد طلب سعد من النبى ﷺ أن يدعو الله يجيب[١٣] دعاءه فدعا له فما كان يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه .

ولقد كان أصحاب النبى ـ رضى الله عنهم ـ يخشون أن يغضبوه حتى لا يدعو عليهم فيستجيب الله له فيهم ، وكم من ليلة أحس النبى ﷺ بالخوف من عدوه وتوقع أن يهاجموه وليس يحرسه أحد وإذا هو يسمع قعقعة سلاح سعد ووقع خطواته : فيقول له : ما الذى أتى بك فى هذا الوقت والليل ساج والناس نيام فيقول : بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد خشيت الغدر من عدوك فجئت أحرسك وأبيت على بابك . ولقد كان النبى ﷺ يبادله وداً بود وحباً بحب .

مرض سعد ذات يوم فجاءه النبى ﷺ يعوده فوجده قلقا فسأله : ما يقلقه فأخبره أنه يخشى أن يموت فى مكة فيدفن فيها[١٤] وهو لا يريد أن يدفن فى بلد هاجر منها إلى غيرها ، فرق له النبى وقال لرجل كان يمرضه : إذا مات سعد فواريه التراب فى طريق المدينة .

واسمع هذا الحوار الذى دار بينه وبين النبى فى شأن وصيته بعد موته .

« قال سعد : جاءنى النبى ﷺ يعودنى وأنا بمكة ، وهو يكره أن أموت بالأرض التى هاجرت منها فقال : يرحم الله ابن عفراء .

فقلت : يارسول الله أوصى بمالى كله .

---

(٩) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد جـ ٣ ص ١٣٩ .
(١٠) الطبقات الكبرى ـ بن سعد ـ جـ ٣ ص ١٤٠ .
(١١) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ـ لابن عبد البر ـ جـ ٢ ص ٢١ ، دار الفكر بيروت .
(١٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ جـ ٨ ص ٧٣ الروض الأنف ـ السهيلى جـ ٣ ص ٢٩ ط دار النصر للطباعة .
(١٣) الإصابة ـ لابن حجر ـ جـ ٢ ص ٣٣ .
(١٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ جـ ٣ ص ١٤٥ .

قال : لا .
قلت : فالشطر .
قال : لا .
قلت : الثلث[١٥] .

قال : الثلث والثلث كثير ! إنك إن تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فى ايديهم وانك مهما انفقت على اهلك من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فم امراتك ، وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك قوم وينصر بك آخرون » .

وواضح من هذا الحوار ان النبى ﷺ قد كان يشارك سعداً فى ان من هاجر من بلد لا ينبغى له ان يجعله مثواه إذا هو صعد إلى الرفيق الأعلى وواضح منه كذلك ان الإنسان لا يجوز له ان يتصدق بما يزيد على ثلث ماله ، لأن تركه اولاده اغنياء احب إلى الله تعالى من ان يتركهم عالة يتكففون الناس ولكى لا يُيْئِسَ النبى ﷺ سعداً من الأجر الذى اعده الله تعالى للمتصدقين فإنه قد افهمه انه ما من نفقة ينفقها على اهله او ولده ابو بكر حتى اللقمة التى يرفعها إلى فم زوجته فإن الله سبحانه يعتبرها له صدقة .

واخيراً هذا الدعاء الذى ختم النبى ﷺ به هذه المحاورة وهو سؤاله ربه أن يبقيه حتى ينتفع به قوم ويُنصر به آخرون .

وصفوة القول ان سعداً رضى الله عنه قد كان من السابقين الأولين[١٦] وكان من المؤمنين المجاهدين ـ شهد المشاهد وقاد السرايا ووقف إلى جانب النبى ﷺ يحميه بسيفه ويفديه بنفسه ويحرص على الموت دونه وقد بشره[١٧] صلوات الله وسلامه عليه بالجنة ولقى الله وهو عنه راضٍ وبه قرير عين .

فى خلافة الشيخين :

وكما كان سعد شديد الإخلاص للنبى ﷺ فقد كان شديد الإخلاص لخليفتيه ابى بكر وعمر كذلك ، شأنه فى هذا شأن غيره من المهاجرين والأنصار الذين كرسوا جهودهم لحماية الإسلام والعمل الجد فى إعلاء راتبه واتساع نفوذه . وإذا كان ابو بكر ـ رضى الله عنه ـ لم يشركه فى قيادة الجيوش التى حشدها لإطفاء لهيب الردة ، ولا فى تلك التى اعدها لقتال الفرس والروم فإنه قد استبقاه إلى جانبه ليشير عليه فى كل ما كان يعرض له من امر . او يواجهه من خطر ، فإن الخليفة ـ رضى الله عنه ـ قد كان يأنس إلى سعد وامثاله ، وكان يفضل بقاءهم إلى جانبه يشدون ازره ويقوون ساعده ، وقد يكون هذا هو السر الذى من اجله لم يقلد علياً ولا عثمان ولا سعداً ولا طلحة منصباً سياسياً او وظيفة قيادية .

صحيح انه قد كان ينيط بهم بعض المهمات التى لا تستغرق غير اليسير من الزمن حتى لا يبتعدوا عنه ، ولا يطول غيابهم عن حضور مجلسه ، وقد مات ابو بكر وهو فى واحدة من هذه المهام فقد ارسله ـ رضى الله عنه ـ إلى هوازن[١٨] من نجد لجمع صدقاتها واسْتُخْلِفَ عمر ـ رضى الله عنه ـ وهو فى هذه المهمة وجاءت الأنباء من قبل المثنى ابن حارثة تقول : إن الفرس قد اجتمعوا تحت راية رجل من أبناء كسرى اسمه

---

(١٥) البداية والنهاية ـ ابن كثير جـ ٨ ص ٧٥ ، الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(١٦) الروض الأنف ـ السهيلى ـ جـ ٣ ص ٢٩ .
(١٧) الإصابة ـ لابن حجر ـ جـ ٢ ص ٣٣ ، الاستيعاب ـ لابن عبد البر ـ جـ ٢ ص ١٩ .
(١٨) تاريخ الأمم والملوك ـ للطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٤ ـ ط ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان .

سعد بن أبى وقاص

(يزدجرد) وأنهم بايعوه على الإخلاص له والقتال تحت لوائه حتى يعيدوا للامبراطورية الفارسية هيباتها ويعطوا العرب الذين اجترءوا عليهم واقتطعوا جزءاً من بلادهم درساً لا ينسوه .

وازعجت عمر هذه الأخبار وراح يدعو كل من له رأى أو سلاح ، وفكر طويلاً فى قيادة الجيش الذى سوف يخرج لقتال الفرس وأفهم الناس أن دولة الإسلام يجب الا تقهر ، وأنهم إن غلبوا المسلمين فسوف لا تقوم لهم قائمة ولا ترتفع لهم راية ، ونَبَّه ذوو الرأى والحجى الفاروق إلى ما فى قيادته للجيش من الخطورة على الإسلام ودولته ، وأن الرأى السليم أن يبقى هو وينيب عنه من يشاء من كبار أصحاب النبى ﷺ فإن انتصر فذلك ما يريد ، وإن كانت الهزيمة بعث آخر بدلاً منه وهكذا حتى يبلغ المسلمون الغاية ، ويدركوا الهدف وعرف سعد ما يدعو إليه عمر من دعوة كل ذى رأى أو سلاح فانتخب له من نجد ألف فارس وكتب إليه يقول :[19]

إنى قد انتخبت لك ألف فارس مؤد كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع زمارهم ، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم ، وصادف وصول هذا الكتاب إلى عمر سؤاله للناس عمن يصلح من أصحاب رسول الله لإلقاء هذه المهمة على عاتقه . فقال الكل : قد عرفته ياأمير المؤمنين : قال ومن هو ؟ قالوا : الأسد عادياً سعد بن مالك بن وهب خال رسول الله ﷺ . فوافق عمر على هذا الاختيار واقره ، وأرسل إليه فقدم عليه . فَأَمَّرَهُ على حرب العراق وأوصاه فقال : ياسعد سعد بنى وهيب[20] : لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله ﷺ ، وصاحب رسول الله ، فإن الله لا يمحو السيئة بالسيىء . ولكنه يمحو السيىء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر ، هذه عظتى : إياك إياك أن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

ولما أراد أن يسرِّحَهُ دعاه فقال :[21] إنى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم أن لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر . فالصبر . الصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين : فى طاعته واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة . وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية فأما العلانية . فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبته الناس فلا تزهد فى التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم وأن الله إذا أحب عبدا حببه ، وإذا أبغض عبدا بغضه فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك[22] .

وواضح من هذه الوصية الجامعة أن عمر قد بين لسعد ما يفعله نحو نفسه ونحو جنده

(١٩) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٤ .
(٢٠) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٤ .
(٢١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٥ .
(٢٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٥ .

وما ينبغى أن يتركه بالنسبة لهما وعظم له المهمة التى وضعت على عاتقه ، وانه لا سبيل إلى اضطلاعه بها إلا بطاعة الله والصبر على لقاء العدو حتى يخور عزمه وتهن قوته ومضى ـ رضى الله عنه ـ فى أربعة آلاف وراحت الجنود تنضم إليه حتى بلغ جيشه اثنين وثلاثين الفا وقبل أن تدور بين الفريقين (معركة القادسية) كتب إليه أمير المؤمنين عمر يقول : بعد كلام طويل :

وإذا انتهيت[23] إلى القادسية باب فارس فى الجاهلية وهى أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة ، فتكون مسالحك على انقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات المدر والجراع بينهما : ثم الزم مكانك فلا تبرحه .

ومضى ـ رضى الله عنه ـ يقول : فإن انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابدا إلا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى كان الحجر فى ادباركم فانصرفتم من ادنى مدرة من ارضهم إلى ادنى حجر من ارضكم ثم كنتم عليها اجرأ وبها اعلم وكانوا عنها اجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة .

وعلى الرغم من كثرة عدد الجيش الفارسى وكثرة عُدَدِهِ وإصرار قادته على الموت أو النصر ، وعلى الرغم من أن سعداً قد اضناه المرض وبرحت به العلة فى معركة القادسية هذه فإنه قد أدارها إدارة الحكيم الملهم حتى انقادت له ومالت كفة القتال فيها لصالحه وسطر التاريخ له ـ رضى الله عنه ـ من قصص البطولة والشجاعة ما تجرى به الركبان وما يحكيه الزمان للزمان .

ولم تكن معركة القادسية هذه وحدها هى كل ما سجله التاريخ لسعد بن أبى وقاص فى خلافة عمر من الأمجاد الحربية فقد فتح (المدائن)[24] ودخل قصر كسرى ورفع عليه وعلى المدينة رايات الإسلام عالية خفاقة وادار معركة (جلولاء)[25] بعد أن كتب إلى أمير المؤمنين عمر يبين له أن الفرس بعد أن هربوا من المدائن قد تجمعوا لقتال المسلمين وعزموا على غسل العار الذى لطخ راياتهم فى كل من القادسية والمدائن ، وكما كتب الله النصر لسعد فى المعركتين السابقتين فقد كتب له النصر فى معركة جلولاء كذلك ، وهكذا صار ابن أبى وقاص قائداً لا يُشق له غبار ولا يُجرى معه فى مضمار .

وبعد سنتين وشهرين من وضع سعد يديه على المدائن بنى مدينة الكوفة[26] والسبب فى بنائها هو ما لاحظه أمير المؤمنين عمر على وجوه الوافدين إليه من المدائن وأجسامهم من الوهن والضعف وتبين له أن وخامة الأجواء التى يعيشون فيها هى السبب فى هذا التغير وأن العرب لا يصلحهم إلا ما يصلح إبلهم وشاءهم ، وقد بنيت هذه المدينة أول ما بنيت بالقصب فلما احترقت استشار سعد عمر فى بنائها باللبن فأذن له وكان سعد كثير الكتابة إلى الخليفة فى المدينة ، ويظهر أن شدته فى الحق وصرامته فى أداء الواجب قد كهربت الجو بينه وبين رعيته فكانوا يتلمسون له الأخطاء ويفتاتون عليه الهفوات ويرفعون عقائرهم بالشكوى[27] إلى أمير المؤمنين عمر حتى استطاعوا أن يعزلوه ويحل غيره محله والدليل على أن سعداً قد كان نقى الثوب طاهر

(٢٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٩ .
(٢٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ١٧٠ ـ ١٧٤
(٢٥) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٢٦) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ص ١٨٩ وما بعدها ، الإصابة ـ لابن حجر جـ ٢ ص ٣٣ .
(٢٧) الاستيعاب ـ لابن عبد البر جـ ٢ ص ٢٢ .

سعد بن أبى وقاص

المظهر والمخبر ما أعلنه الفاروق ـ رضى الله عنه ـ من أنه لم يعزله عن ضعف ولا عن خيانة وليس هذا وحسب ولكنه أوصى[٢٨] من يتولى أمور المسلمين من بعد أن يوليه ويعتمد على كفاءته وكفايته ولما طعن أمير المؤمنين عمر جعل سعداً ضمن الستة المرشحين للخلافة وذكر أن السبب فى اختياره لهم وترشيحه إياهم أن النبى ﷺ قد مات وهو عنهم راض .

فى خلافة عثمان وعلى :

وقد بايع سعد عثمان ـ رضى الله عنه ـ فيمن بايعه من المهاجرين والأنصار وكان إلى جانبه يرشده ويسدده ويعينه على أداء الأمانة التى وضعتها الأمة على عاتقه ، وقد عرفت فيما مضى أن عمر قد أوصى من يجىء بعده أن يستعمل سعداً لأن عزله إياه لم يكن عن سوء ولا عن وهن وقد أسرع عثمان إلى تنفيذ هذه الوصية فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وأحل محله[٢٩] سعد بن أبى وقاص ، وكان ذلك فى العام الثانى لاستخلافه والسبب فى أن عثمان لم يستعمل سعداً منذ جلس على أريكة الخلافة هو أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قد أوصى الخليفة من بعده أن يبقى على عماله عاما كاملا ثم يتصرف فى عزلهم أو الإبقاء عليهم كما يشاء ، ونحن نعرف أن سعداً كان هو أول من تأمّر على الكوفة فى عهد الفاروق لأنه هو الذى بنى هذه المدينة بعد انتصاره المؤزر على الجيوش الفارسية فى القادسية والمدائن وقد بقى سعد فى عمله هذا الجديد عاماً وبعض عام ثم عزله أمير المؤمنين عثمان وولى الوليد بن عقبة بدلاً منه .

لم يؤثر العزل فى نفس سعد ولم يوغر صدره على عثمان فقد ظل إلى جواره فى المدينة يزوره ويشهد مجالسه ، ويدفع شائعات السوء التى أثارها خصومه حوله وقتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ فحزن سعد على قتله كما حزن غيره من أصحاب النبى ﷺ ودخل فى بيعة علىّ كما دخل من سواه من المهاجرين والأنصار غير أنه اعتزل الحروب التى اشتعلت نارها بين علىّ ـ رضى الله عنه ـ وبين خصومه وكان إذا طولب بالانحياز نحو أحد الفريقين والقتال تحت ألويته قال : والله لا أقاتل حتى تؤتونى[٣٠] بسيف له عينان ولسان وشفتان يقول هذا مؤمن وهذا كافر ، وجاء فى أُسدُ الغابة أن عمر[٣١] بن سعد وابن عمه هاشم بن عتبة طلبا منه أن يدعو إلى نفسه ، فأبى . وليس معنى هذا أنه قد كان يرى أن غيره احق منه بهذا المنصب . فقد كان يقول : ما أزعم انى بقميصى[٣٢] هذا احق منى بالخلافة . قد جاهدت إذ انا أعرف الجهاد ولا ابخع نفسى إن كان رجل خيراً منى .

كان ـ رضى الله عنه ـ مطمئنا إلى أن الصواب فى اعتزال الفتنة ، واجتناب الحرب ، وقد عاش سعد حتى الخامسة والخمسين ، ولقى ربه فى العقيق[٣٣] ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن فى البقيع بعد أن صلى عليه مروان ومن حضر من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ممن بقى منهم على قيد الحياة .

فرحم الله سعداً وأجزل له الأجر والمثوبة فقد كان آخر المهاجرين وآخر العشرة المبشرين ، تلبية لنداء ربه وصعوداً إلى ما أعده سبحانه للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

---

(٢٨) الإصابة ـ لابن حجر ـ جـ ٢ ص ٣٤ .
(٢٩) الإصابة ـ لابن حجر ـ جـ ٢ ص ٣٣ .
(٣٠) طبقات ابن سعد ١٤٣/٣ .
(٣١) أسد الغابة لابن الأثير ٣٦٨/٢ .
(٣٢) طبقات ابن سعد ١٤٣/٣ .
(٣٣) الاستيعاب ـ لابن عبد البر ـ جـ ٢ ص ٢٥ ، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ جـ ٣ ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

ليبريا والإسلام

٣

للأستاذ / محمد المتناوى

الوضع العام للشعب

ماسبق يوضح الوضع العام للشعب ، ومنه يمكن ان تلم بطوائف الشعب الليبيرى الثلاث :

الأولى :

الطائفة العاملة فى الماس ، ومن لهم وظيفة ذات نفوذ ، او لها حق الرقابة على التجارة والصناعة وما شابه ذلك .

الثانية :

الطبقة المتوسطة . وتعمل فى انواع التجارة البسيطة . او الزراعة بالطريقة البدائية .

الثالثة :

الطبقة الدنيا .

ومن عجب ان تتراوح بينهم وجبات الطعام فهى ثلاث لأعلاها ، واحدة لأدناها، ثنتان فقط للوسطى .. وعلى هذا يمضى يوم هؤلاء جميعا .

الوجبة الرئيسية لهذه الطوائف

هى غالبا ما تكون من الأرز ، مع بعض الأدم ، من ورق الكافا أو ورق البطاطا ، المطبوخ ، أو (السلمون) المستورد . أو السمك المستورد الذى يباع بالواحدة وليس بالوزن .

وقد أدى إلى هذه الحالة الاقتصادية التى تشق على العامة من الليبيريين أسباب :

١ ـ بطء الحياة لما يضرب فى أطنابها من خمول وجنوح إلى الراحة فصارت تسير سير السحلفاة

ولقد تجد من المناظر المألوفة أن تجلس امرأة إلى أخرى ساعات عديدة لتمشيط شعرها ، الذى تجعله أكثر من ثلاثين ضفيرة متواصلة .

٢ ـ نوع العملة المستعملة ، وإن كانت العملة المعترف بها هى الدولار الأمريكى إلا أنه قد ظهرت عملة معدنية محلية ثقيلة الوزن فئة خمسة دولارات ، واجزاؤها . وهى السائدة والمستعملة ، واختفى الدولار الورقى الأمريكى ، وضورب به سراً حتى غطت قيمته ٢,٣٥ فى المائة

←

من العملة المحلية فصار كل مائة دولار امريكى بنحو (٢٣٥) دولارا محليا .. والارتفاع فى قيمة الدولار الأمريكى مفتوح على عكس قيمة الدولار الوطنى ، فالأول قابل للزيادة باطراد . لذلك زادت الأسعار زيادة رهيبة .

٣ ـ يتقاضى موظفو الدولة مرتباتهم على شكل (شيكات) . ويحتاج الموظف إلى السفر الشاق الذى يكبده مصروفات هو فى حاجة إليها ليصرف (الشيك) فأصبح من المتبع ، أن يبيع الموظف (الشيك) إلى تاجر متنازلاً عن (١٥٪) من قيمته . مع ضآلة المرتب .

٤ ـ تأخر صرف المرتبات ، وقد وصل أحيانا إلى خمسة شهور ، وكل ذلك يضاعف عوامل الإحباط كما يقضى على الحماس للعمل .

وادى إلى ترسيخ نظام [L.B.A] الذى يقضى بتنازل الموظف عن استلام راتبه لأحد التجار ، نظير أن يمده بما يحتاج إليه من سلع يبيعه إياها بأضعاف ثمنها فى سوق الشراء ، ويزداد الأمر سوءا إذا احتاج الموظف إلى نقود سائلة حيث يبيعه نفس التاجر كمية من السلع بهذا السعر المبالغ فيه . ثم يشتريها التاجر نفسه منه بثمن يصل أحيانا إلى نصف الثمن الذى اشترها به الموظف ... فى عملية ربوية رهيبة تقضى على الموظف بدين أبدى لايجد منه مكاكا .

والأمر كذلك إذا استدانها سائلة إذ يبلغ الربا فيها ٧٠٪ .

الناحية الدينية

ليبريا دولة نصرانية تحكمها حكومة صليبية ، ومع ذلك توجد مادة من مواد دستورها تنص على حرية الأديان ، فكل مواطن حر فى اعتناق مايشاء من دين لذلك تجد فيها أديانا متعددة وعقائد كثيرة متباينة ؛ ففيها الإسلام ، والمسيحية ، والوثنية ، والوجودية ، وعباد الشيطان (الدباليين) ومنهم من لايعرف له عقيدة ولادين .

الإسلام أول دين سماوى فى ليبريا :

كان للإسلام دعاة منذ كان فى الجزيرة العربية ثم انتشرت أشعته إلى خارجها ، وكان لهؤلاء الدعاة أسلوب أكسبهم كرامة وعزة ، فقد اعتمدوا ـ ثقة فى الله ـ على علم دقيق ، وفهم غزير لهذا الدين ، وحين سلكوا بطريق الدعوة النزوح من شمال أفريقيا إلى جنوبها شيئا فشيئا كانوا يتاجرون فى بعض السلع ليجدوا القوت الكريم الذى يغنيهم عن أيدى الناس وهم يدعونهم إلى الوحدانية ، وعلى هذا المبدأ نزحت بعض القبائل الموريتانية ودخلت ليبريا فى القرن الحادى عشر ، وبخاصة فى أوائل نصفه الأخير ، وعلى التحديد عام (١٠٦٢) م .

كان يحكم البلاد فى ذلك الوقت (الملك بارى) الذى احترم نشاط أولئك الدعاة الكرام ، ولم يقف حجر عثرة أمامهم .

كان الدعاة يؤدون الإسلام سلوكا وخلقا : أمانة فى المعاملة ، صدقا فى القول . سماحة فى العشرة ، إخلاصاً فى التطبيق ، إرشاداً إلى الحق ، إهداراً للسحر والخرافات ، فبطل السحر والسحرة أمامهم ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

اول القبائل إسلاما

تعتبر أول القبائل إسلاما قبيلة (غولا) فقبيلة (الفاو) التى عرفت منذ القرن الخامس عشر الميلادى ويطلق عليها قبيلة (واى) أيضا . وقد نشأت هذه القبيلة على طابع إسلامى ومعظم ابنائها مسلمون ومن هذه القبيلة أسرة كبيرة تسمى بأسرة الشريف كل أفرادها مسلمون ،

وترجع هذه الأسرة إلى رجل عربى أبيض قدم من شمال أفريقيا وتزوج بإحدى نساء القبيلة .

قبيلة المادنجو

إحدى أكبر القبائل بغرب أفريقيا ، ولها بطون كثيرة فى أماكن شتى من أفريقيا ، وليس بين أفرادها من يدين بغير الإسلام ، ولتمسكها بإسلامها واتساع انتشارها بين سكان الغرب عُرف الإسلام بها ، فغير المسلمين يطلقون على الإسلام « دين المادنجو » كما يسمون القرآن الكريم (انجيل المادنجو) ، وكان لهذه القبيلة مملكة ـ يوماما ـ بالقرب من حدود غينيا وليبريا .

وقد تعاونت القبيلتان (المادنجو) و(الفاو) على نشر الإسلام بغرب افريقيا ، وسهل لها تلك المهمة تلك الصداقة التى كانت تجمع بين زعيم (المادنجو) فى ذلك الحين : (احمد كونى) وملك هذه المنطقة المسمى (زالوما) .

ديانات طارئة :

بينما كان الإسلام ينتشر فى المنطقة ويأخذ وضعه الأمثل ، كانت تجارة الرقيق تحتضر ، وتلفظ أنفاسها الأخيرة فى أمريكا والغرب كله .

بدأت تلك التجارة تقريبا منذ سنة ١٥١٠ م ـ ١٧٨٧ م حيث كان النخاسون (القراصنة البرتغال) يخطفون الافارقة من الساحل الغربى لأفريقيا لبيعهم رقيقا ، للعمل فى مزارع الدول الغربية ، حتى كانت الاعوام ١٧٨٧ م ـ ١٨١٠ م وحرر الرقيق ، ووصل كثير من المحررين إلى موانى أفريقيا الغربية عائدين بديانات أسيادهم التى أجبروا على اعتناقها ، وورثها الأبناء عن الآباء .

وقد كتب أحد الأدباء الأمريكان من (الزنوج) وهو من سلالة هؤلاء المحررين من ارق قصة (الجذور) وهى عن إحدى هذه الأسر : التى بيع مؤسسها (كونت كونتى) بأمريكا ، وأجبر على اعتناق المسيحية . وعرض الكاتب فى أحداث قصته نحواً من عشرة أجيال ، وهى قصة حقيقية تحكى تاريخ أسرة هذا الكاتب الموجود على قيد الحياة وأعلن عن أنه سيعود إلى الإسلام : دين آبائه الأولين .

وبوصول هؤلاء المحررين معتنقى النصرانية إلى أفريقيا تسللت النصرانية إلى غرب أفريقيا .

إعلان جمهورية ليبريا (١٨٤٧) م

فى عام ١٨٤٧ م حصلت ليبريا على استقلالها ، وأعلنت جمهورية ليبريا ، واعترف بها عالميا ، وخصوصاً من الولايات المتحدة الأمريكية ، وجعلت العملة المتداولة رسميا هى الدولار الأمريكى .

وعُين رئيسا للجمهورية احد هؤلاء المحررين العائدين من أمريكا . وهو (ج . ج . روبرت) . [G.G.R] ، وقد نصب له تمثال كبير على ربوة عالية ، أمام فندق الديكور ، بالعاصمة ، [منروفيا] . وكان مسيحيا .

وفى نفس السنة وضع دستوراً للبلاد خططت له البعثات التبشيرية . فنص على أن دين الدولة الرسمى هو المسيحية مع منح أصحاب الأديان الأخرى حق البقاء على عقائدهم .

البعثات التبشيرية الصليبية والكنائس :

بعد ولادة هذا الدستور وجد الغرب له عضدا يحميه ، فبادرت أمريكا وغيرها من دولة ، بإرسال البعثات التبشيرية لهذه المنطقة ، مزودة بكل الوسائل ، والإمكانات المادية ، والبشرية ، والعلمية والإعلامية المعينة لهدفها ، وأول من قام بالتنصير لأفراد القبائل . المبشر (لوت كارى) ،

ونشطت هذه البعثات فى العمل لإنشاء كنائس بالبلاد .

كان لأمريكا يد السبق فى هذا المضمار ، فأقامت فى ليبريا [١٨٢٢ م] أول كنيسة [بابتست] ، ثم تبعتها الكنائس العالمية فأنشئت كنيسة (بروتستانتية) [١٨٣٠ م] كذلك كنيسة [ميتود ست] [١٨٣٣ م] ثم كنيسة [لوثرن] ١٨٦٥ م .

مهمة هذه البعثات

كانت المهمة الأساسية من إرسال هذه البعثات ، هى نشر العقيدة والفكر الصليبى فى المنطقة وتنصير أهلها ، فاستعانت لنجاح مهمتها بالوسائل الآتية :

١ ـ فتح المدارس التى تخدم هدفها فى جميع أنحاء البلاد .

٢ ـ إنشاء المستشفيات لتزيد قربا من المواطنين ؛ إذ أقرب إنسان لقلب المريض طبيبه .

٣ ـ فتح النوادى العامة لأبناء الشعب الليبيرى ، وتسهيل وتيسير الانتماء إليها .

٤ ـ إقامة إذاعات تبشيرية عدة تذيع بمختلف لغات القبائل .

٥ ـ تقديم الهدايا من أدوات منزلية وكهربائية وغيرها من كتب تبشيرية بلغات البلاد من مختلف هذه المراكز .

وعن طريق المدارس والكنائس والمستشفيات والنوادى والهدايا وغيرها تقوم هذه المؤسسات بمهمتها .

شىء من أسباب نجاح هذه البعثات :

١ ـ فى بادىء الأمر كان المواطنون لايأمنون هذه البعثات من ناحية ، وتشتد كراهيتهم لها من ناحية أخرى ، لاعتقادهم ، أن هؤلاء البيض ، هم الذين خطفوا إخوانهم وباعوهم عبيداً أرقاء ، ومن ثم كانت تقوم بينهم معارك دامية ، لكن هذه البعثات وحدت جهودها ، متضامنة مع الجهات الرسمية ، فى ذلك الحين تحت ظل الدستور ، المشار إليه سابقا فبذلوا مافى استطاعتهم فى محاولة لكسب ثقة المسلمين ، ثم كان منهم :

٢ ـ الاختلاط بالقبائل ومعايشتهم ، وتقديم الهدايا المغرية لهم ، ولزعمائهم .

٣ ـ تقديم مالذ وطاب ، من أطعمة ، لمن يحضر كنائسهم ومستشفياتهم يوم الأحد .

الثمار الشهية لهذه البعثات

لم تفلح المحاولات التبشيرية السالفة وأمثالها من مخاطبة (الفكر) فى نزع الإسلام من النفوذ فلجأت البعثات ـ فى ذلك الحين ـ بالتخطيط مع الحكومة ، وتمخض ذلك عن :

أ ـ وجوب تبديل الأسماء الإسلامية بأسماء صليبية ، واعتبار ذلك شرطا أساسيا للقبول بالمدارس .

ب ـ تبع ذلك دس الشبه ـ ضد الإسلام ـ معتقدا وشريعة داخل هذه المدارس فضلا عن محاضرات المستشفيات أيام الآحاد وغيرها .

جـ ـ ساعدت الضحالة الثقافية الموجودة بنفوس المسلمين فى البلاد ، وهى ثقافة محدودة جداً تكاد تقتصر على أداء الشعائر ، دون معرفة عميقة بالدين تساعد على رد هذه الشبهات .

د ـ فرض الحضور إلى الكنيسة على الطلبة المسلمين إجباريـا ، حتى ليعاقب المتخلف بالضرب ، مع أن الضرب وسيلة غير حضارية فى التعليم ، لكن هذا الأمر لايزال ينفذ .

وليس من شك فى أن مخطط الكنيسة الغربية الذى أوقع المسلمين جميعا فى معاناة اتخذت أشكالا : اقتصادية ، وضآلة انتمائية ، وانصرافا

يكاد يكون تاما عن معاضدة بعضهم لبعض ، وقصورهم فى معالجة ممارسة الإسلام عمليا فى ديارهم ، بل ، ومجاوزتهم ذلك إلى الحد من تقاليده ... كل ذلك وغيره يكون السبب الرئيسى لنجاح هذه البعثات فتلك الغفلة أقصت المسئولين المسلمين ـ فى العالم أجمع ، إلا من عصم الله ـ عن مد أيديهم إلى هذه المنطقة لتخفيف ويلاتها .

ولم يبق فى الميدان يطرق هذه البلاد إلا بعثات الأزهر الشريف أعانها الله ـ عز وجل ـ ويسر لها من العالم الإسلامى من يتنبه لواجبه حيال مسلمى ليبريا[1]

موقف المسلمين أمام هذه التيارات

أمام هذه الظروف ، وهذه التيارات الجارفة ، والمسلحة بقوة المال والحكم ، والدستور ، وأمام الظروف الاقتصادية لشعب هذه البلاد المحاصر من جميع الجهات ، المحروم من ثروات بلاده تحول الكثير إلى الديانة المسيحية ، أما قبيلة المادنجو والغولا (بالغين) ، ومعظم قبيلة (الفاو) ، وبعض القبائل الأخرى مثل الفولا (بالفاء) والسومو ، وغيرهم ممن تمسكوا بالإسلام وعضوا على عقيدتهم بالنواجز فهم فى حيرة وكمد وإحباط بسبب أبنائهم ، فهم إن أرسلوا إلى المدارس ضاعت عقيدتهم ، وإن لم يرسلوا ضاعوا فى غمار الأمية .

وقد آثر أكثرهم إهمال أمر التعليم إبقاء على دين أبنائهم .

ولهذه الخطوة أيضا نتيجة مقصودة الهدف لدى الكنيسة فى تخطيطها ، فهذه الحال تعنى ـ مباشرة ـ إقصاء هؤلاء الأبناء عن مزاولة أعمال الدولة كموظفين فى مختلف مرافقها ، ويعنى ذلك استسلام البلاد المسلمة أصلا إلى سياسة الكنيسة العالمية ، ودوران البلاد فى فلك الغرب ، وقطع أوصاله تماما عن المسلمين .

تباشير نهضة إسلامية

سئم المسلمون هذه الحياة فهم فى عزلة عن العلم والعلماء ليس لهم جمعية تجمعهم ، ولاقائد عام يرشدهم ، أو داعية إسلامى يعلمهم ، وتحيط بهم من جميع الجهات مؤسسات التبشير بإمكاناتها الهائلة ، من مدارس ، وكنائس ، ومبشرين ، مزودين بالعلوم ، والمكتبات والمعدات والأموال .

لذلك رأى الجميع أن يحركوا ساكنا ، فاجتمع رؤساء القبائل ، والعشائر وأصحاب الرأى فيهم ، ثم بعد مناقشة وجدال اجتمع الرأى على بناء المسجد الجامع الأول فى العاصمة ، وقد ساهم الجميع فى البناء والتكاليف ، حتى ارتفع البناء ، وارتفع فيه الأذان ، وأصبح يقام فيه صلاة ، الجمعة ، والجماعة ، وكان هذا سنة ١٩٥٥ م

فجمع الشمل ووحد الصف ، وأثمرت الحكمة من تشريع (صلاة الجماعة) التى جمعت المسلمين فى مكان واحد ، وتبادلوا الرأى والمشورة فيما بينهم . وكان مولد الجمعيات الإسلامية .

يتبع

(١) لقد يعلم ـ القارىء ـ شيئا مُقارَنتهُ تفتت الكبد : هذا « سومرست موم » الروائى الانجليزى الذى كتب رواية « الأمطار » فكشف فيها عن نفوذ (المُبَشِّر) فى المنطقة التى يزاول فيها نشاطه ، وقد أجرى الله ـ سبحانه ـ الحق على لسانه ، لأمر قدره وهو ـ سبحانه ـ بَالِغُ أمره . كتب « سومرست موم » فى هذه الرواية أن نفوذ المبشر فى منطقته أعلى من نفوذ سفير بلاده بها إلى الدرجة التى قد يرتعد منها هذا الأخير إذا خالف المبشر ، ولم ييسر له سبل أهدافه .

ويالها من شهادة شاهد من أهلها ... (الخطيب) ...

وقد أوضح النبى الكريم فى هذه الصحيفة المنهج[*] الإسلامى الذى ينظم حياة هذه الأمة فى جميع نواحيها ، وهو يقوم على التقوى والإيمان بالله ورسوله ، والعمل الصالح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن الحكم بين الناس مرده إلى الله وإلى رسوله الذى كان يسهر على وحدة هذه الأمة .

وقد نتج عن إبرام هذه الصحيفة (أو المعاهدة) أن أصبحت « المدينة المنورة » قاعدة الإسلام حيث يعيش المجتمع الإسلامى الجديد المكون من « المهاجرين والأنصار ومن تبعهم فلحق بهم ، وحل محلهم وجاهد معهم » وبهذا فتح المجال لأن تصبح « المدينة المنورة » ملجأ يهرع إليه المسلمون الموجودون خارجها إذا ساعدهم الله وهداهم إلى مخرج يتيح لهم الهجرة ، كما أتاح الفرصة لإسلام عرب « المدينة المنورة » الذين كانوا مايزالون على وثنيتهم عند توقيع هذه الصحيفة ، أضف إلى ذلك أن هذه المعاهدة قد أكملت التوحيد بين الأوس والخزرج ، وجعلته أكثر صلابة وتوثيقا ، لأنها محت آثار ما كان بينهما قبل الإسلام من عداوة وصراع وحروب .

من المهم أن نلاحظ أن موادعة النبى ﷺ ليهود يثرب فى هذه الصحيفة (التى نسميها الآن معاهدة) ، وكذلك موادعته لمن لم يكن قد آمن بعد من عرب يثرب ـ هذه الموادعة لم يكن الغرض منها فقط إصلاح المجتمع ، ولا ضمان المعايشة السلمية بين سكان « المدينة المنورة » فقط ، ولكنها كانت ترمى فوق ذلك إلى بيان سماحة الدين الإسلامى التى وردت فى قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف ٢٩ .

فقد أوضحت هذه الصحيفة تعاليم الإسلام السامية التى تدعو إلى السلام والمحبة والتعايش السلمى ، مما يضمن للناس حرياتهم وأمنهم على أن يكونوا فى قريتهم جيرانا متعاونين ، وأن يدافعوا معا عن هذا البلد الذى يعيشون فوق أرضه ، وأن يلتزموا بالوفاء بما أبرموا من عهود ومواثيق .

لقد عاملهم رسول الله ﷺ فى هذه الصحيفة معاملة المواطنين الذين يملكون كافة الحقوق المشروعة لكل مواطن ، وعلى كل منهم جميع الواجبات المفروضة على كل مواطن ، فقد عاهدهم واشترط عليهم كما شرط لهم ، وقد كان ذلك فى زمن لم تكن الحضارة الإنسانية قد عرفت فيه بعد حقوقا للمواطن إذا اختلف فى دينه مع دين الحاكم ، وخير شاهد على ذلك ما لاقاه أقباط مصر ، رغم أنهم كانوا مسيحيين من الاضطهاد والتعذيب على يد الكنيسة البيزنطية ، لأنهم تمسكوا بالمذهب المسيحى الذى كانوا يؤمنون به ، ورفضوا أن يؤمنوا وأن يتبعوا مذهب الكنيسة البيزنطية الذى كان يؤمن به امبراطور الدولة الرومانية الشرقية .

وكان إقرار اليهود وعرب « المدينة المنورة » الذين كانوا لايزالون على عبادة الأصنام ولم يؤمنوا حتى كتابة هذه الصحيفة ، ـ كان إقرارهم أنه إذا حدث فى « المدينة المنورة » شجار أو اختلاف يخشى منه ، فإن الحكم فيه يكون لله ورسوله ، وكان هذا الإقرار اعترافا منهم بأن « محمداً ﷺ » هو حاكم « المدينة المنورة » وإليه يرجع الفصل فى كل خلاف ينشأ بين المتعاقدين ، وأنهم ينزلون على حكمه .

(*) يطلق على هذا المنهج الآن لفظ (الدستور) .

تقرير عن مشروع
إلغاء القسم العالى
من معهدى اسكندرية وطنطا

بقلم فضيلة الشيخ
محمد الأحمدى
شيخ الجامع الأحمدى بطنطا
رحمه الله

هذا التقرير من الوثائق الهامة التى تنشر هنا لأول مرة ، وننفرد بنشره على صفحات مجلة الأزهر الغراء ، فهى الوحيدة التى تضطلع بنشر تراث الأزهر ، جعلها الله حارسا ومدافعا عن تراث الإسلام .

د . مجاهد توفيق الجندى

(بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتى

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

أشار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المدير العام فى تقريره الذى رفعه إلى مجلس الأزهر الأعلى إلى انه قد يكون من المفيد ان تكون الأقسام العالية بالمعاهد بدائرة واحدة هى دائرة الأزهر .

وقد أجل المجلس هذا الموضوع للمناقشة ، ولا خفاء فى انه موضوع هام قد يفهم أن معناه غلق مدرستين عاليتين من مجموع المدارس العليا الثلاثة التى تخرج العلماء وذلك بإلغاء القسم العالى من معهدى اسكندرية وطنطا وجعلهما مدرستين ثانويتين فقط .

ولا شك فى أن الدافع لعرضه الآن إنما هو مجرد حب الخير للمعاهد ، وتعرف المصلحة فإذا تبينت فى غير هذا المشروع كان عارضوه من أول المعرضين عنه كما أنها متى تبينت فيه وجب تشجيعه .

ولقد أدانى بحثى إلى عدم صلاحيته للأسباب الآتية ، إلا أن ذلك لا يمنعنى من الرجوع إلى الحق متى تبين أنه فى غير ماوصلت إليه .

ولا شىء أضر بالمصالح من التعصب للرأى الأول ، أو متابعة الهوى والميل الشخصى ، أو إصدار الحكم النهائى فى المسائل قبل توفيتها حقها من الأخذ والرد .

وهأنا عارض نتيجة بحثى فيما يلى مقسما ذلك إلى قسمين :

القسم الأول فى الوجوه التى تقتضى عدم الإلغاء .

والقسم الثانى فى مناقشة ما عساه يكون سببا يبرر الإلغا .

القسم الأول
فى بيان الوجوه التى تقتضى عدم الإلغاء وهى ١٤[١] وجها

الوجه الأول .

وهو أجدر ما ينبغى أن ينظر إليه فى معاهد الدين ـ أن الإلغاء لا يتلاءم مع المبادىء الإسلامية المقررة القاضية بتسهيل سبيل العلم للمتعلمين وتقريبه من ناحية ، والإكثار من دُوره ومعاهده ، وذلك هو ما دعا الملوك والأمراء فى التاريخ القديم والحديث إلى أن ينشئوا دور العلم بجوار دور العلم فى البلد الواحد فضلاً عن البلاد المتعددة ، وذلك هو ما دعا من قبل إلى وجود الجامع الأحمدى ومعهد اسكندرية فهل جد الآن ما يقتضى العدول عنه (لا فى تجديد ما لم يكن بل فى إلغاء ما هو موجود) مع أنه لا يعدل عنه إلا لمفسدة .

هل هناك مفسدة فى بقاء معهدى اسكندرية وطنطا عاليين يخرجان العلماء كما وجدا من قبل ؟

الوجه الثانى :

إن الإلغاء ينافى مصلحة التعليم نفسه وارتقاءه ، فإن تعدد المعاهد المتناظرة فى شىء واحد أدعى إلى التنافس والتبارى فى ميدان السبق والتنافس وهو الأساس فى كل نوع من أنواع التقدم الأدبى والمادى ، فلولا تعدد المصانع وتنافسها ما ترقت الصناعة ، ولولا تعدد الشركات ما تحققت رغبة الجمهور ، ولولا تعدد معاهد العلم وتنافس رجاله ما ارتقى نظام التعليم .

ومن أقرب ما يدل على ذلك فى موضوعنا أمران :

الأول : ذلك التنافس الواقع الآن بين المعاهد فى الشهادات المشتركة وهى الشهادة الأولية والشهادة الثانوية .

والثانى : ذلك التنافس الظاهر والخفى بين المعاهد الثلاثة الكبيرة فى شهادة العالية النظامية وغير النظامية .

الوجه الثالث :

أن ذلك ينافى مصلحة الطلبة ؛ فإن معظمهم من الطبقات الفقيرة وكثير منهم لا يمكنه الابتعاد بالكلية عن بلده فهو لذلك يؤم المعاهد القريبة ليمكنه موالاة أهله ومراعاة معاشه من آن إلى آخر ، وذلك سرّ تعدد المعاهد ؛ فنحن بإلغاء هذا القسم سنعرضهم إلى أحد أمرين :

إما إلى ترجيح جانب المعاش والانقطاع عن العلم وفى ذلك ما يشبه الصدّ عن سبيله ولا يقول

(١) تركنا كتابة الرقم بالحروف محافظة على مادة الوثيقة كما رفعت إلينا ..

رئيس التحرير

به أحد .

وإما أن يجشمهم من المشاق ما لايقدرون عليه . والواجب أن نكون ميسرين ، وأن نزيل العقبات من سبيل طلاب العلم والدين .

الوجه الرابع :

أن ذلك سيؤدى إلى ضعف معهدى طنطا والاسكندرية فى الأقسام الأولية منها التى ستبقى فيها ، وإلى انفضاض الطلاب تدريجيا عنهما فقد دلت التجربة على أن معظم الطلبة إنما يقصدون من أول الأمر المعهد الذي يمكن أن يتموا فيه دراستهم وذلك هو سرّ عدم الإقبال على المعاهد الصغرى حتى ممن يجاورونها كدسوق ودمياط ؛ ولأن أباء الطلبة المبتدئين إنما يرسلونهم حيث يكون طلبة القرية الكبار ليكونوا تحت إشرافهم .

الوجه الخامس :

إنه إذا قورنت نتائج الشهادات التى كان يشترك الأزهر ومعهدا الاسكندرية وطنطا فى التقديم إليها لم يوجد ما يبرر هذا الإلغاء ومن الجدول الآتى تتبين الحقيقة .

الشهادة الاولية	نسبة الناجحين فى الأزهر	نسبة الناجحين فى اسكندرية	نسبة الناجحين فى طنطا
سنة ١٣٣٤ ـ ٣٥	٪٥٦,٩٠	٪٧٣,١٣	٪٧٧,٩٤
سنة ١٣٣٥ ـ ٣٦	٪٦١,٣٤	٪٧٠,٢٤	٪٨٣,٠٨
سنة ١٣٣٦ ـ ٣٧	٪٧٧,٦	٪٣٣,٣	٪٨٤,٧

الوجه السادس :

أن المعروف عن عهد حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان أنه عهد تجديد ونشر للعلم لا عهد إلغاء وتقليل للمعاهد الكبيرة ! كيف وهو صاحب الأيادى البيضاء على رجال العلم والدين ، ومؤسس الجامعة المصرية ، ومنشىء القسم الثانوى بمعهد أسيوط ؛ فإذا كان فى بعض المعاهد نقص أفنعجز عن خدمة رغباته الشريفة وسد نقصها بغير الإلغاء ؟ اللهم إنا لا نرضى إلا أن يكون عهده عهد إصلاح وزيادة عما فعل الأولون .

لقد وكل ـ حفظه الله ـ إلى مجلس الأزهر الأعلى أمر المعاهد فجدير به أن يسعى فى تحصيل كل وسائل العلاج دون الالتجاء إلى إجراء عمليات البتر ، وذلك ما توجبه علينا خدمة الدين وخدمة ذاته الشريفة ومقاصده العالية .

إذا كانت إدارة هذين المعهدين ناقصة فلنكملها وإذا كان المشرفون عليهما غير قائمين بواجبهم فلنغيرهم ،وإذا كانت طرائق التعليم معتلة فلنصححها ، وإن كان زمن الدراسة قصيرا فلنعطه من العلوم مقداره أو لنمده ، لنفعل هذا وأكثر منه دون أن نلتجىء إلى عملية الإلغاء التى هى أعظم تسجيل للفشل والعجز عن تحقيق الرغبات السلطانية وعن المحافظة على ماوجد من قبل من معاهد التعليم وحق الاستمرار فى مركز الرقى ونشر العلم الإسلامى التى وجدت من عهد غير قريب .

الوجه السابع :

أن ذلك ينافى التقاليد التاريخية للمعاهد التى يراد إلغاء الأقسام العالية منها ، وهى اسكندرية وطنطا : « دينة الاسكندرية لم تزل منذ العصور

←

من تاريخ الأزهر

الأولى مشرق شمس المعارف وواسطة الاتصال العلمي بين الشرق والغرب ولما فتحها المسلمون كانت محط رحال كبار علماء الإسلام من المحدثين والأصوليين كابن الحاجب وابن هرمز ومن في طبقتهما ، ولا تزال قبورهم بها مشهورة ، ولما ضرب الزمان ضرباته انحط فيها كغيرها أمر العلم الإسلامي ، حتى اراد الله أن ترجع إليها سيرتها الأولى وانشىء بها ذلك المعهد الإسلامي العالى الجليل في عهد العائلة العلوية المباركة ، ومازال متعهداً من قبلها حتى نما واثمر . افبعد هذا يجوز أن ننقصه ؟ وأن نحرم هذه المدينة من التعليم الديني العالى ؟ افي مثل هذا الوقت الذى لا تكاد تحصر فيه معاهد التعليم والكليات الأوروبية في الاسكندرية نريد أن نختزل المعهد الإسلامي ؟! أليس من سبيل إلى المحافظة عليه وفعل ما يضمن بقاءه زاهيا زاهرا تاما ؟.

●●●

اما الجامع الأحمدى :

فهو ثانى معهد انشىء للتعليم وتخريج العلماء في هذا القطر ومازال منذ أسس يعلم فيه التعليم العالى ، ويتخرج فيه العلماء كما يتخرجون في الأزهر ، وشبهه بالأزهر شهد به المؤرخون .

قال المرحوم على مبارك باشا في خططه ما نصه : (وبه نحو الستين عموداً من الرخام الأبيض وله في تدريس العلوم به شبه بالجامع الأزهر وفيه نحو ألفى طالب غير المدرسين ولهم شيخ كشيخ الأزهر) .

الوجه الثامن :

أن ذلك يناق التقاليد التاريخية المعروفة في الممالك الإسلامية ففى كل أدوار التاريخ الإسلامي كان الملوك يبنون دور العلم زائدة عما بناه من قبلهم وكان تخريج العلماء غير مقصور على بلد دون بلد ولم نسمع في أى عصر أن عُمِدَ إلى معاهد زاهية زاهرة بالعلم يقصدها آلاف الطلبة من كل جانب ، ثم اجتثت من رءوسها وفوجىء أهلها وهم عاكفون على بذل المجهود في العلم بمثل هذه الحركة الشديدة المزعجة القاضية بإلغاء أعظم قسم من المعهد .

الوجه التاسع :

أن حركة المعارف الأهلية في البلاد حركة تبسط ومد وتوسيع ، فلقد اكثرت الحكومة من المدارس الابتدائية ، وأوجدت في عواصم الأقاليم مدارس ثانوية بعد أن لم تكن ، **ويوشك جريا على ناموس البلاد الراقية ان يوجد في بعض تلك العواصم التعليم العالى متى سنحت الفرصة** فكيف مع هذا نجرى نحن في التعاليم الإسلامية على طريقة التضييق والجذر والطى وإلغاء ثلثى الأقسام العالية في المعاهد وكيف يكون ذلك في القطر المصرى مهد العلوم الإسلامية .

الوجه العاشر :

أن الإلغاء يناق المبادىء الاجتماعية العامة فقد أجمع العالم المتمدين على أن انتشار ربوع العلم ومعاهده من أهم ما يجب أن تعنى به الحكومات والأمم وأكثروا من الكليات والجامعات التى تعلم التعليم العالى في المدن الكبرى ولم يقصروها على عاصمة المملكة فقط ، ففى فرنسا وفى انجلترا وفى غيرهما توجد بعاصمة كل إقليم مدرسة جامعة فيها التعليم العالى بسائر اقسامه ، ولو انه قيل هناك : انه يراد إلغاء بعض الجامعات أو الاكتفاء بجامعة لندن أو باريس

لكان هناك إجماع على معارضة المشروع ؛ فإذا كنا لا نريد أن نتبع ذلك السنن المعروف ونزيد عدد أقسام التعليم العالى فى نحو معهد أسيوط عند تمام التعليم الثانوى فيه فلا أقل من ألا نهدم ما وجد منذ التاريخ القديم كمعهدى الاسكندرية وطنطا .

الوجه الحادى عشر :

أن ذلك ينافى رغبات الجمهور وطبيعة الإقبال على الجامع الأحمدى فمازال مقصوداً من الغربية والمنوفية والبحيرة والشرقية والدقهلية ، ولقد تقدم إلى الانتساب إليه فى هذا العام عدد ٧٠١ وتقدم إليه بعد فوات الميعاد متطوعون عدد ١٢٧ ، ولا أدرى : اينقص عدد من ينتسب إلى الأزهر عن ذلك أو يزيد ، وهؤلاء إنما أقبلوا بمحض اختيارهم يقصدون تتميم دراستهم بهذا المعهد مع علمهم بتفتح أبواب الأزهر لكل طالب ، وأنه لا يصد عنه صاد أفيصح مع هذا أن نضيق دائرة هذا المعهد لقاصديه ، ونصادر الناس فى رغباتهم .

الوجه الثانى عشر :

أن القسم العالى النظامى لم يوجد بعد فى الأزهر ، أو ليس الأجدر (ألا نهدم هنا إلا بعد أن نتم البناء هناك) ووقتئذ فقط يصح أن ننظر هل يصح الإلغاء أم لا ؟! ولو أن هناك ضرورة أو مفسدة يجب دفعها فوراً لصح ذلك بدون مبالاة ؛ ولكن هذا ما نتساءل عنه .

إن المسألة إبقاء ماهو موجود لا إيجاد ما هو مفقود ، أفلا يحسن التأنى والتروى فى الظروف الحاضرة ، وهل هذا هو وقت ذاك ؟ وهل هذا من المسائل المستعجلة ؟

إننى أعتقد أنه ما أضر بالأنظمة والتعاليم بالمعاهد إلا كثرة توارد خواطر الإصلاح ، والسرعة فى تنفيذها بحسن نية ، وإذا كان هناك ما نشكو منه الآن فإن سببه ذاك .

الوجه الثالث عشر :

أن فى إلغاء القسم العالى بالجامع الأحمدى تعطيلاً لشروط الواقفين الذين فرضوا فى وقفياتهم على العلماء والطلبة الدراسة العالية بالجامع المذكور طبقا للمعروف فى تاريخه من الزمن القديم .

الوجه الرابع عشر :

أن مثل هذا العمل خصوصا فى مثل هذا الوقت قد يكون له من الأثر فى نفوس الناس وإيجاد فرصة للمؤولين الذين يحاولون تشويه الحقائق ما نحن فى غنى عنه الآن .

القسم الثانى

فى الوجوه التى عساها تقتضى الإلغاء ومناقشتها

مايمكن أن يقال فى هذا الباب لا يكاد يعدو واحدا من أربعة :

الأول : العمل على رفعة شان الأزهر بإلغاء ما عداه من الأقسام العالية .

الثانى : ترقية المستوى العلمى فى المتخرجين .

الثالث : سوء النتيجة فى هذا العام فى المعاهد الثلاثة .

الرابع : فكرة التوحيد .

وساذكرها بهذا الترتيب مبينا وجه خطئها :

البقية ص ٣٢٣

الفدائية والتهلكة

للدكتور
محمد رجب البيومى

يسوء الذين فى قلوبهم مرض ، ان يجدوا روح التضحية تسرى فى نفوس الشبيبة المسلمة ، فيقدمون على النضال مستبسلين ، وتعجزهم الحيلة فى ان يصدوا الأبطال عن جهادهم المرموق ، فيستعينون تارة بما لا يصح من مسائل علم النفس التى لم تتاكد بعد ، كما يستعينون تارة بتاويل الصريح من كتاب الله تاويلاً يخرج به من الحقيقة إلى الضلال ، ولهم وراء ذلك ابواق عالية الرنين تردد ما يقولون ، وكانه حق لا مريه فيه ، ولكن الذين يقفون على اللباب الخالص من مقررات الإسلام ، يعرفون الصدق من الكذب ، ويميزون الطيب من الخبيث فيتصدون للباطل باسلحة لا تفل من البرهان الصريح ، ومن عجائب القدر ان تكون البداية الواضحة محل بحث يتسع للاخذ والرد ، وكانها غوامض مستعصية من دقيق الأحكام ، من عجائب القدر ان يدعو القران فى مواضع كثيرة إلى الجهاد فى سبيل الله ، ويعدُ المجاهد بإحدى الحسنيين ، ثم يجيء من يحاول ان يجعل من قشور علم النفس ضبابا يكسف نور الحقائق ! وعلم النفس سلاح ذو حدين ، فهو يهدى إلى الحسنى متى استقامت قضاياه على صراط الحياد الملتزم ، ويضل السبيل حين يصبح متنفسا للاحقاد المكظومة ، تلوى به الألسنة المغرضة فى تشدق واستعلاء .

زيف صريح

فهل صحيح أن الفدائية الباسلة أنانية مريضة ، لأن المستشهد فى سبيل المبدأ الصريح لا يقصد نصرة المبدأ ولكن أعماقه الدفينة تمتلىء بحب الاشتهار الكاذب ، حين يندفع إلى القتال ، فيحسب فى سجل الشهداء ، ويتلو الناس حديث بطولته بعد رحيله ، فيكسب فخراً يتردد على الألسنة ، ويعود على أسرته بالزهو والخيلاء ! هذا ما يقوله الذين يبغّضون الناس فى الفدائية الباسلة ، إذ عجزوا عن أن يصدوهم عن ميادين الكرامة ، فحاولوا أن يصموهم بالأنانية وحب الذات ! ونحن نتساءل :

أيشعر الميت بعد رحيله بالفخر والمباهاة فى الحياة الدنيا حتى يقدم على الاستشهاد ليتردد

اسمه بين الناس ؟

أيكون الثاوى فى ضريحه ذا سمع راصدٍ لما يقوله الأحياء فينتشى بعبير الزهو والخيلاء ! أيعقل أن يحدث ذلك ، ويقول به أناس يدعون البراعة فى كشف السرائر ، وتحليل النوازع المختفية بين اللحم والدم فى أطباق الصدور !! لو كان هؤلاء صادقين فى نظرتهم اللئيمة ، لانتقلوا بالأمر إلى مكانه الصحيح ، فنصوا فى صراحة على أن المؤمن المستشهد يثق بوعد الله إذ ﴿ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾(١) وهنا يقدم المستشهد على ربه ، وقد زهاه فى الفخر لا بما سيقال عنه فى الحياة من ثناءٍ ، ولا بما سينتهى إلى أسرته من فخر موقوت ، ولكن بما أعد الله له فى فردوسه من نعيم ! لو كان هؤلاء المحللون صادقين لقالوا ذلك مستندين إلى ما يعلمون من واقع الشهداء قبل أن يندفعوا إلى الميدان ، ولكنهم ماديون لا يؤمنون بالبعث ، ولا يحاولون أن يوحوا للناس أن هناك إلهاً يجازى على الخير والشر ، وإذن فكل حديث عن ثواب المستشهد فى جنة الله مرفوض مرفوض ، وعليهم أن يصموا آذانهم عنه فى مجال التحليل ، فلم يبق إذن غير التلفيق المموه للأباطيل ، والاحتيال الخادع للمبررات ! بل لم يبق إلا الطعن فى المستشهد ، ومحاولة تشويهه بالفرض الكاذب لتنمحى البطولة من النفوس وليفرح هؤلاء بجبن المدافعين وخور المنهزمين !

صخرة صلبة

والذين يحاولون استهجان البسالة الفدائية ينطحون برءوسهم صخرة صلبة تفتت تلافيف أدمغتهم فلا يستطيعون البقاء ، لأن آيات الاستشهاد ، وأحاديث التضحية ومواقف السلف الصالح من الإقدام المستهين بالأرواح مما لا يكاد يقف عند حصر ، وطلاب المدارس يعرفون من تاريخ الفدائيين فى الإسلام ما يجعل التطبيق العملى للوحى القولى حقا لاشك فيه ، ولا أخال أحداً من المسلمين يجهل موقف علىٍّ بن أبى طالب ليلة الهجرة ، إذ نام على فراش ابن عمه ـ ﷺ ـ وهو يتأكد الموت الخاطف طعنا بالرماح ، وضربا بالسيف ، وهو فرد أمام جموع وقد مكث الليل الأطول ينتظر الموت ما بين لحظة ولحظة ، ولم تكن هذه التضحية فريدة فى بابها ، فمواقفه فى الغزوات المتتابعة تسجل تغلغل هذه الفدائية فى نفسه وفى يوم الخندق تقدم وهو شاب فتى لينازل فارس العرب أجمعين : عمرو بن ود ، حين صاح البطل المتكبر : هل من مبارز ؟ وتقاعس المسلمون عن مواجهته مشفقين ونهض علىٌّ ، فهم الرسول بإمهاله كى يتبين حقيقة ما سيقدم عليه ، ولكن الأمر كان كما وصفه الشاعر حين قال :

إذا ما هم أقعده أخوه
وزاد إلى اللقاء هوى فقاما

وتمكنت الفدائية من نفس علىٍّ ، فتقدم ، وأذن الله باندحار غريمه على يديه فى غير انتظار ، ولو كان الإمام ـ كرم الله وجهه ـ يحفل بالعاقبة لتأنى بعض الشىء ولكنه باع لله نفسه ، فكتب له النجاة .

ولن تنحصر الفدائية فى عمل تقف عنده ، بل إن ضروبها تختلف باختلاف ما يراه الفدائى حاسماً فى أمره ، فقد تكون التضحية فى بث الألغام الناسفة لقوة العدو ، أو سلب الذخيرة الفاتكة دون مبالاة بانفجار أو قذف صاعق ،

(١) سورة التوبة (١١١) .

الفدائية والتهلكة

وصاحبها لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، فإن كتبت له النجاة فهى خارقة نادرة ، وإن كانت الأخرى فتلك أعز ما يشتهى ويأمل .

ولن نذكر علياً وحده ، بل نقرنه بالمثنى بن حارثة الشيبانى إذ كان العربى الأول الذى تحدى جيوش فارس ، قبل أن تتقدم إليها كتائب الإسلام ، حتى تساءل عنه أبو بكر الصديق فى دهشة ، ثم تسلم قيادة المسلمين فى معركة « البويب » فهجم الفرس بمئات الفيلة ، وأدهشوا المسلمين الذين لم يروا فيلا من قبل ، وظنوه سلاحا وحشيا لا يقهر فتحاجزوا دهشين ، وهنا تقدم المثنى البطل هاجماً بسيفه على الفيل ومن ورائه أخواه المعنى ومسعود ، ونظر المسلمون فإذا خيول الأبطال الثلاثة تقتحم الفيلة ، فأخذتهم الحماسة واندفعوا وراءهم دون تهيب ، وغنموا النصر بفدائية المثنى وأخويه ، ومازال حديث الفيل مفخرة بنى شيبان لعشرات من السنين حتى قال قائلهم فى العصر الأموى :

ومنا المثنى قاتل الفيل وحده

ببابل إذ فى فارس حكم بابل

هذا فى فارس ، أما فى مصر فقد وقف المسلمون عاجزين أمام الأسوار الناهضة من حصن بابليون ، وطال الانتظار دون جدوى ، فرأى الزبير بن العوام أن يصعد إلى أعلى السور ، ويقذف بنفسه إلى داخل الحصن مكبرا ، فيردد المسلمون التكبير من الخارج ، وكانت مخاطرة رهيبة إذ ما كاد البطل يهتف بالتكبير حتى ظن المحاصرون أن باب الحصن قد فتح ، وأن المسلمين قد هجموا ، فترك الحراس الباب مذعورين ، وعمد الزبير إليه ففتحه ، ليتقدم الجيش المستبسل وتم النصر بفدائية نادرة ، ولو يكن للزبير بن العوام غير هذا الموقف لكفاه .

ويطول بنا القول لو بحثنا عن أمثال هذه الروائع فى التاريخ الإسلامى على مدى خمسة عشر قرنا ، ولكننا نقدم الشاهد فحسب .

الإلقاء فى التهلكة

أما تفسير آيات الكتاب على غير وجهها الصحيح عند هؤلاء ، فما أكثر ما تورطوا فى الفهم البعيد احتيالا على مايريدون وتلفيقا يروجون ، وقد تأتى رواية ضعيفة تشير إلى غير الظاهر من المراد ، فيطيرون بها كل مطار ، ويرجحونها على الروايات الجيدة ذات الإسناد الصحيح ! ونذكر بهذا الصدد قول الله عز وجل ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) فإن معنى التهلكة عدم الإنفاق على شئون الحرب والإهمال فى إعداد الذخيرة الحربية ، لذلك صُدرت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وختمت بقوله عز وجل : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

يقول أبو أيوب الأنصارى - من رواية للترمذى نقلها القرطبى فى تفسيره - إنكم تتأولون الآية الكريمة هذا التأويل - وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سرا دون أن يعلم رسول الله : إنما أموالنا قد ضاعت وأن الله عز وجل قد أعز الإسلام ، وكثر ناصروه ، فلو أقمنا فى أموالنا ، فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فكانت التهلكة فى إقامتنا على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ،

---

(٢) البقرة : ١٩٥ .

يقول القرطبي ، ومازال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[٣] وإنما قال أبو أيوب ذلك حين كان المسلمون يجاهدون الروم ، فخرج الأعداء إليهم في صف عظيم ، وخرج من المسلمين من يعادلونهم وأكثر ، فحمل رجل » من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ، فصاح الناس وقالوا : ياسبحان الله يلقى بيده إلى التهلكة ، فنهض أبو أيوب ليوضح معنى الآيات وأسباب النزول بما لم يدع شكا لمستريب ، وهناك روايات أخرى تفترق في التفصيلات وتنتهي إلى النتيجة الحاسمة التي توضح معنى التهلكة بما أوضحه أبو أيوب ، ومكانها كتب التفسير فلا نطيل .

إذا علم هذا المعنى ، فمن الغريب أن يجهله بعض من يستشهدون بالآية في غير موضوعها الصريح ، لأن واجب المستشهد أن يعرف أقوال المفسرين وما رووا من أسباب النزول لا أن يكتفي باللفظ المباشر دون أدنى مراعاة للسياق الكريم .

من يقتحم المهالك وحده

في كتب التشريع والتفسير أحكام واضحة لمن يقتحمون المهالك من المجاهدين وهم يتأكدون النهاية السريعة ونحن نلخص المهم منها عن تفسير القرطبي رحمه الله . كيلا نبقي أقل بادرة ظن لدى من يقفون عند المعنى الحرفي بعيداً عن المراد من النص الشريف .

لقد اختلف الفقهاء في اقتحام الرجل ساحة الحرب ، وحمله على العدد الكثير وحده ، فقال قوم لا بأس إذا كان لديه قوة ، وعنده النية الخالصة ، وذلك بين من قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٤] .

٢ ـ وقال آخرون : إذا حمل الرجل على جماعة كثار من اللصوص أو المحاربين ، فإن علم أنه سيقتل من حمل عليه وينجو ، فحسن ، ولو غلب على ظنه أنه سيقتل ولكنه سيبلى بلاء حسنا في الأعداء فجائز أيضا ، ومن هذا ما روى أن رجلا أتى النبي ـ ﷺ ـ « فقال : أرأيت إن جاهدت بنفسي ومالي فقتلت صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، أدخل الجنة ؟ قال : نعم » . مسند أحمد ٣٢٥/٣ الميمنية .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد ، في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : من يردهم عنا وله الجنة ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة .

٣ ـ قال محمد بن الحسن : لو حمل رجلٌ واحد على ألف رجل من المشركين ، وهو وحده ، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة ، أو نكاية في العدو ، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة للمسلمين ، فإن كان قصده تجرئة للمسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه ، لأن فيه منفعة للمسلمين على بعض الوجوه ، وإذا كان قصده إرهاب العدو ، ليعلم صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه ، وإذا كان فيه نفع للمسلمين فأتلف نفسه إعزازاً لدين الله ، وتوهينا للكفر فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾[٥] وكلام الإمام ابن الحسن ذو دقة ، واحتراز يظهران في مثل قوله : فلا يبعد جوازه ، وهكذا شأن الأصلاء من أعلام التشريع .

وبعد ، أفترانا أوضحنا المراد من معنى التهلكة ، كما جندنا الاستشهاد الفدائي بما نملك من الدليل ؟ أظن المسألتين من الوضوح بحيث لا تحتملان النقاش الجديد .

---

(٣) تفسير القرطبي ص ٧٣٦ ط دار الشعب .
(٤) البقرة : ٢٠٧ .
(٥) سورة التوبة : ١١١

فضيلة الرضا

للأستاذ
السيد عبد الفتاح خضير

الإنسان دائماً فى صراع بين متطلبات أمور دينه ورغبات هواه ، ولن يكون مؤمنا حتى يكون هواه تبعا لدينه ، وهذا ما حكم به المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ، والإنسان فى امتحان مستمر بين الرضا والجزع والخير كل الخير فى الرضا بالقضاء والقدر ، فإنه لا يسعد القلوب ببرد الرضا مثل صبر الجوارح على مواقع القضاء وما أجمل قول بعض العلماء :

أما فى رسول الله يوسف أسوة
لمن كان محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر فى الحبس برهة
فآل به الصبر الجميل إلى الملك

وصدق الله العظيم إذ يقول .

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر ـ ١٠ ـ

ومرضاة الله كامنة فى قلب كل مؤمن وإيمانه بالقضاء والقدر ورضاه بخيره وشره وتسخير جوارحه فيما خلقت له ومن أجله وتطويعها لذلك ، بالنظر إلى من هو فوقها فى الدين فتحاكيه أو تزيد وبالنظر إلى من هو دونها فى الدنيا فتحمد الله وتشكر فيكون لها المزيد ..

وهذا هو الإيمان فى واقعه ، والعقيدة فى تطبيقها بأن يكون الرضا عن سرور بما قسم الله والامتثال لما أمر ولذا لما سمعت « العابدة » رجلاً يقول : اللهم ارض عنى . ياأخى ارض عن الله يرض عنك » وهى تعنى أن من يطلب الرضا من ربه فعليه أن يرضى هو عن ربه بأن يحب قضاء الله كله فيمتثل أمره عن رضا ويكره ما حرم عن إيمان وأن يجعل الرضا ركنا شديداً يأوى إليه ، فينطلق شاكرا لله على النعمة ويتسلح صابرا عند النقمة مستلهما هدى نبى الهدى ـ صلى الله عليه وسلم ..

● « عجباً لأمر المؤمن : إن أمره كله خير إن أصابته نعماء شكر ، فكان ذلك خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان ذلك خيراً له .

ويكون رضاه عملاً لا قولاً ، وتكون التقوى ساحته ، تلك التقوى التى يفسرها الإمام على ـ كرم الله وجهه ورضى عنه وعن كل الصحابة

أجمعين ـ بقوله : التقوى : أن تؤمن بالتنزيل وترضى بالقليل ، وتعمل لما بعد الرحيل » .

وإذا كان الرضا جزءا من التقوى وهي من أعلام الشريعة الإسلامية فإنه يتجاوز ذلك إلى التعامل بين الناس والتنازل عن هفواتهم وغفران زلاتهم ، والتسامح لهم بدل التصيد لأخطائهم وعد مساوئهم ورصد عين السخط لهم .. والخوف من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النور ـ ١٩ ـ

ولله در القائل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

وعـين السخط تبدى المساويا

ونظراً لفضيلة الرضا نجد الإسلام يجعل لها موقفا مشرفا عند الزواج فلا اعتداد للعقد إلا برضا الأنثى .

وبالرضا تهون جميع الصعاب وتزلل كل العقبات بين الناس فيرضون عن بعضهم ويرضى عنهم ربهم ، فرضا المؤمن بما قضى الله رضا من الله عليه ، فإنه إذا أحب الله عبدا نادى ملائكته أن الله يحب فلانا فأحبوه وقد حكم الله سبحانه في علاه برضاه عن خيار عباده من البشرية فهم ﴿ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ البينة ٧ ، ٨ .

ورضا الله عنهم انعم مما اوتوه من النعيم المقيم .

والرضا مطلوب أمام مخبوء الغيب وما يعترى الإنسان في حياته من نزلات وأزمات ونكبات ووصب ونصب وملمات مادامت النتائج مختبئة عنا فربما يأتينا ما نتطلع إليه من وراء ما نتخوف منه ..

رب أمر تتقيه | جر أمرا ترتضيه
خفى المحبوب منه | وبدا المكروه فيه

وصدق الله العظيم : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ البقرة ـ ٢١٦ وخوفا من الطرد من ساحة الرضوان والرضا يجب الرضا بالقضاء والقدر .. ويقول تعالى في الحديث القدسي : « **انا الله لا إله إلا انا من لم يرض بقضائي ويشكر على نعمائي ويصبر على بلوائي فليطلب ربا سوائي وليخرج من تحت سمائي** » .

والإيمان الكامل كامن في مواقع الرضا بما قسم الله ..

دخل النبي ﷺ على الأنصار وفيهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وعن كل الصحابة اجمعين فقال : أمؤمنون انتم ؟ أمؤمنون انتم ؟ أمؤمنون انتم ؟ قالها ثلاثا وهم سكوت ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : نعم مؤمنون والحمد لله يارسول الله . فقال ﷺ : وما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر في النعماء ونرضى بالقضاء ..

فقال ﷺ : « مؤمنون ورب الكعبة » .[1]

ينبغى أن يكون هذا منا منهاجا لسلوكنا نحن المسلمين ، وان نعلّم ذلك لأبنائنا منذ نعومة اظفارهم : حتى يشبوا على ذلك .

وينشا ناشيء الفتيان مـا

على ماكان عوده ابوه

لك الحمد ياربنا حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت وصلاة وسلاما على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

(١) رواه الطبراني في الاوسط

كشمير المسلمة

للأستاذ
أحمد تقى الدين

ما يقرا قارىء عن كشمير وماساتها إلا وترتبط فى ذهنه فلسطين واحداثها ، فكلا البلدين متعاصران فى الحوادث ، متشابهان فيما حيك لهما من مؤامرات ، فكل من اهل كشمير واهل فلسطين إبان فترة حكم الاستعمار الانجليزى منعوا من التزود ـ حتى فى بيوتهم ـ من سكين المطبخ ، بينما سمح للعنصر المقابل بما اشتهى من سلاح حتى إذا انتهى الاستعمار عن شبه القارة الهندية ، والانتداب الإنجليزي على فلسطين ظهرت كشمير تحت وطاة الاستعمار الهندى ، وفلسطين تحت وطاة الاستعمار الصهيونى .

واسرعت إسرائيل إلى الهند ترتبط معها باكثر من معاهدة ، وبخاصة بعد ان تزودت الهند بمفاعل ذرى ، حتى اصبحت المعلومات الناتجة عن هذه المفاعلات فى منطقة الشرقين : الأدنى والأوسط تتبادل ـ كانها ضرورة ـ الأضلاع لمثلث مضطرب .

وعلى المستوى العنيف من الكراهية الأشد مقتا فى نفوس اليهود للعرب ، يجد مسلمو كشمير نفس الروح لدى البراهمة الهنود الذين يعتبرون مجرد الحديث إلى مسلم أو لمسه يوجب الغسل للتطهير ..

ونجح الاستعمار الدولى الدارس للثقافات فى الشرق أن يستغل هذه المشاعر ليجعل من كشمير وفلسطين .. كل فى مكانها بؤرة من الجحيم المستعر الذى يترك المنطقة قلقة لا تستقر على وحدة ، أو تلتفت إلى تنمية فضلاً عن النهوض بشعب أو مسايرة حضارة .

كلا البلدين : فلسطين وكشمير ، بلد مسلم ، وكلاهما اعتدى عليه شعب غريب ، وكلاهما يدافع ويناضل ليدفع شر هذا العدو الشرس ثم إن مأساة كشمير هى مأساة إسلامية تهدد أكثر من ثلاثة ملايين نسمة من المسلمين يعيشون فى الهند ويتعرضون للأذى والإهانة .

وفيما خطه كتابا : (حرب أم سلام) لـ « جون فوستردلاس » و(مـأساة كشمـير المسلمة) للدكتور « إحسان حقى » نستطيع أن نلم بالواقع المرير لكشمير ، فالأول يوضح ـ فى جلاء : كيف اتخذت قضية استقلال باكستان تكأة لتقسيم فلسطين ... هكذا بلا مواربة لتنمو بعدها قضية كشمير على أشد ما تكون مأساة بشرية فى عصرنا الحديث .

وبالرغم من أن كشمير ـ كما يراها د . حقى ـ تقع فى الشمال الشرقى من باكستان كمكان طفلة بين ذراعى أمها ؛ فإن عنت الهند أمام حقوق كشمير الطبيعية يقف حائلاً امام مطالب كشمير العادلة ، وما من شك فى دقة تشبيه د . حقى ، فإن باكستان تحيط بكشمير من جزء من شمالها الغربى ، ومن غربها ، ومن جزء من جنوبها الغربى ، وتحدها الصين من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقى وتحدها الهند من جزء من جنوبها .

وتبلغ مساحتها نحو (٨٤٤٧١ ميلا مربعا) ويبلغ عدد سكانها نحو أربعة ملايين نسمة منهم نحو ٨٠٪ مسلمون ، والباقى من الهنادكة والسيخ والبوذيين وغيرهم .

وهى بلاد جبلية فيها واديان هما : (وادى جمو) و(وادى كشمير) ، وهى طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات ، وأنهارها الكبيرة ثلاثة : السند وجليم وجناب وهى الأنهار التى تنساب إلى باكستان وترويها .

وتتساءل عن المبادىء البراقة ... حتى تقرير المصير : أين هو لشعب كشمير ؟ .. والإجابة تحمل نفس المرارة لحق تقرير المصير لعرب فلسطين ...

إنه مبدأ بلا قرار لم يحظ الشعبان منه بشىء ، ولا يزال مواطنو كشمير المسلمون يطالبون بهذا الحق ، وتعضده باكستان ، وراح ضحية الاستمساك به قرابة ربع سكان كشمير قتلا وتشريداً وجوعاً وحرقاً ويتحدث عنه د . حقى ، فيما يبسط من الحق .. ولقد رأينا ورأى العالم حوادث مقاومة أطفال الحجارة فى فلسطين وكيف تعرضوا لفقء العيون وصلم الآذان ، وظهر جندى إسرائيلى على الشاشة الصغيرة يكسر ذراع طفل عربى .

وكشمير اليوم قسمان : كشمير الحرة التى أعلنت استقلالها .

وكشمير التى استولت عليها الهند .

ولم يكن هذا التقسيم إبان الاحتلال الانجليزي فقد تألفت إمارة كشمير وقتها من ثلاث مناطق إدارية : جمو ، كشمير ، منطقة الحدود .

وترتبط كشمير بباكستان بأكثر من رباط طبيعى فضلاً عن الصلات الجغرافية والدينية فليس لكشمير من طريق يصلها بالعالم الخارجى إلا باكستان ، كما أن أنهار باكستان الثلاثة : السند وجليم وجناب تنبع من كشمير ، وليس لكشمير ميناء بحرى غير كراتشى .. إلى هذا الحد وصل الترابط الطبيعى بين كشمير وباكستان .

إن وحدة البلدين جلية فى أكثر من رباط وسبب ، ومن قبل ذلك وبعده ما بين البلدين من وحدة فى الدين ، وصلات القربى فى العائلات التى جعلت من الكشميريين والباكستانيين ذوى قومية واحدة .

●●●

وكما يتحدث « دالاس » فى غير مبالاة بالعرب ، يبين د . حقى عدم مبالاة الهنود بمسلمى كشمير ، ويذكر شيئًا عن معاناتهم مع الهنود .

فالهندوكى يحتقر المسلم ، ويعتبره نجسا : جسده ، وثيابه ، وأوانيه فهو أقل قيمة من بقرة أو قرد ، واحتقاره لأهل الأديان الأخرى ـ عَدَا دينه ـ أقل وطأة من احتقاره للمسلم .

ينظر الهنادكة إلى المسلم تلك النظرة ، وهم الذين يكفرون عن ذنوبهم ، حسب معتقدهم : بأقبح طريقة حيث ينبغى على الهندوكى أن يمزج بول البقرة بخثيها (روث) ولبنها وزبدتها ويشرب هذا المزيج ليطهر من ذنبه ، كما يستخدم خثيها ـ فى الغسل ـ بدلاً من الصابـون والهندوكى حين يغتسل تكفيراً عن ذنبه فى

مخاطبة مسلم يستخدم هذا الخشى ليطهر ... والعياذ بالله .

ويذكر (ول ديورانت) فى (قصة الحضارة) فى حديثه عن الهند أن تحريم اللحم لم يكن أساسا بتلك العقيدة الهندوكية إنما طرأ عليها حين تغلبت (البوذية) على (الهندوكية) فوجد رجال الدين أنه لا فارق بينهم وبين البوذية إلا فى تحريم اللحم فحرموه وليس يعنى ذلك أنهم لم يمارسوا أكل اللحم سرا ، فالردة الدينية التى حدثت لدى كبار قساوسة البوذية لم يكن مستحيلاً حدوثها لدى البراهمة .

ورأى مسلمو الهند أن من المستحيل أن يجمعهم والهند وفاق وطنى واحد،فكان التقسيم الذى تم عام ١٩٤٧ ، قبل إعلان (إسرائيل) بعام واحد .

ويذكر د . حقى أنه بعد التقسيم بقيت خمس وستون وخمسمائة إمارة تحت سلطة أمراء منهم هنادكة ومنهم مسلمون ، وكانوا مستقلين داخل حدود إماراتهم ولهم محاكمهم وشرطتهم وماليتهم الخاصة ، ولكنهم كانوا مرتبطين عسكريا وسياسيا بحكومة المستعمر ، وكان أهل الهند يطلقون على هذه الإمارات اسم (دياست) وكانت هذه الإمارات تسيطر على ما يقرب من ٥٠٪ من مساحة شبه الجزيرة الهندية وكان من حق هذه الإمارات أن تبقى مستقلة عن الهند وباكستان .

ويمضى د . حقى فيقول :

« وقد انضمت هذه الإمارات إلى الهند وإلى باكستان حيث تم الاندماج فى كيان الدولة التى تقع الإمارة فى نطاقها ، وهكذا طويت صفحات هذه الإمارات ما عدا أربعا منها كان لها وضع خاص وهى : (كبور تهله) (جونـاكده) (حيدرأباد) (كشمير) .

وقد كانت كشمير زمن الاستعمار البريطانى إمارة من إمارات الهند وكانت على كثرة خيراتها فى أسوأ حال ، وعلى الرغم من أن المسلمين فيها كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة إذ لم تكن لهم حقوق مصانة ، وكان جيش الإمارة يتكون من ثلاثة عشر فوجا كل جنودها من غير المسلمين إلا فوجا واحداً فقط ولم يكن يسمح للمسلمين بحمل السلاح ، وكان ذبح البقر ممنوعاً فى الإمارة ، ولم يكن يسمح للهندوكى باعتناق الإسلام إلا إذا أعلن تنازله عن كل ما يملك ، وقد فرضت الحكومة الضرائب حتى على نوافذ المسلمين باعتبارها نوعا من الترف .

وقد أدى ذلك إلى إعلان الثورة الإسلامية بقيادة الشيخ (محمد عبد الله) الذى عرف باسم (أسد كشمير) .

ثم كانت المؤامرة التى تمت لضم كشمير إلى الهند بالرغم من تقسيم الهند إلى دولتين على أساس دينى كان يعطى كشمير الحق فى الانضمام إلى الباكستان .

ولما كان من المقرر أن تعلن جميع الإمارات رأيها بالانضمام إلى إحدى الدولتين الهند أو باكستان قبل ١٥ أغسطس ١٩٤٧ فقد أبلغ زعماء كشمير رئيس الوزراء فى ذلك الوقت (بندت كاك) رغبة الشعب فى الانضمام إلى باكستان إلا أن الأمير[١] كان يعمل لضم الولاية إلى الهند وقد زار غاندى ولاية كشمير وتعرف على رغبة أمير كشمير (هرى سنج) وأرسل غاندى رسالة إلى نهرو يقول فيها : (لقد قابلت الأمير والأميرة وهما على رغبة فى الانضمام إلى الهند) .

وهكذا شارك غاندى نفسه فى المأساة .

(١) أمير كشمير وهو هندوكى اسمه هرى سنج .

عقد أمير كشمير اتفاقية مع باكستان تقضى بإبقاء وضع الولاية على حاله كما كان زمن الاستعمار الإنجليزى وأصبحت باكستان بمقتضى هذه الاتفاقية تمثل كشمير دبلوماسياً وتدافع عنها عسكرياً .

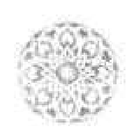
ويوضح د . حقى قمة المؤامرة فى قوله : وقد أرسل أمير كشمير رسالة إلى حاكم الهند فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٧ يعلمه برغبته فى ضم كشمير إلى الهند ، وفى ٢٦ أكتوبر أرسلت الهند مندوبها يحمل وثيقة طلب الانضمام إلى هذا الأمير لتوقيعها فوقع على الرغم من أنه كان قد فر من كشمير ولم يعد حاكماً لها . وقد أقرت الهند هذا الإنضمام فى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ ، وقامت بنقل قواتها المسلحة بالطائرات إلى كشمير لتبدأ حملة واسعة للقضاء على المسلمين وإجهاض ثورتهم .

وراح ضحية ذلك سبعة وثلاثون ومائتا ألف قتيل من مسلمى كشمير إلى جانب نصف مليون مسلم لجأوا إلى باكستان .

ولم تعد الجهود الدولية تأتى بطائل فى النزاع بين الهند وباكستان بشأن كشمير على الرغم من أن ثمة اتفاقيات توصلت إليها هيئة الأمم المتحدة فى هذا الشأن لا تزال تراوغ فى أمرها وترفض إجراء استفتاء لتقرير المصير ، وتتمسك بطلب الأمير هرى سنج وهو باطل ، إذ لم يكن أميراً حينها للبلاد ، ولم تكن إرادة الشعب مصونة فيه .

على أن مسلمى كشمير لم يفقدوا الأمل فهم يعملون من خلال : (جمعية أهل الحديث) على وضع بذور الإصلاح ليتمكن المسلمون من ممارسة تقاليدهم الإسلامية الصحيحة وليتخلصوا مما ابتلوا به من غريب العادات ، وإن كان الطريق شاقاً لقلة الدعاة وضعف الوسائل المادية .

ويذكر لنا د . حقى إلى جانب ذلك كيف تمكن المسلمون بكشمير من إنشاء الكلية السلفية عام ١٢٩٧هـ وسط العاصمة (سرينجار) لتكون نواة لجامعة إسلامية عربية ، والأمل كبير فى أن يذكر المسلمون فى كل مكان إخوانهم بكشمير وبمناطق أخرى فى حاجة إلى العون والوحدة حتى ينطلق للإسلام والمسلمين فجر جديد .



في العمائر الدينية الإسلامية
من العناصر الهامة

المحاريب

بقلم
أحمد رجب محمد على

مفهومها القديم والحديث - اهميتها - انواعها - زخارفها

مقدمة :

تعد المحاريب من العناصر المعمارية الهامة فى العمارة الإسلامية والمحراب هو ذلك الجزء المجوف غالبا ويتوسط جدار القبلة - غالبا - فى العمائر الإسلامية من مساجد ومدارس واضرحة و (خانقاوات) .... إلخ .

وفى بحثى هذا احاول ان اتتبع نشاة هذا العنصر ومدلولات كلمة محراب فى محاولة للرجوع به إلى جذوره الاولى من قبل الإسلام ، لنعرف : من اين جاءت هذه التسمية . وذلك من خلال ما ورد فى القرآن الكريم من ذكر للمحاريب مع تحليل مدلولات هذه الكلمة فى كل آية وردت فيها . وكذلك ما اورده علماء اللغة فى معاجمهم من مدلولات لكلمة محراب ثم ما ورد فى الروايات التاريخية عنها ، ثم مناقشة اهمية هذا العنصر ودوره فى العمارة الإسلامية من خلال العمائر الدينية القائمة فى مدينة القاهرة .

مدلولات كلمة محراب فى القرآن الكريم والمعاجم اللغوية :

تعددت مدلولات كلمة محراب فى القرآن الكريم والمعاجم اللغوية ، ولقد ورد لفظ (محراب) فى القرآن الكريم فى عدة مواضع هى قوله تعالى :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ آل عمران - ٣٧ .

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ آل عمران ٣٩ .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم ١١ .

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ص ٢١ .

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ سبأ ١٣ .

لو تأملنا الآيات الكريمة السابقة نجد انه فى

الآية الأولى والتى يتحدث فيها الله سبحانه وتعالى عن السيدة مريم تعبر كلمة محراب عن (مقر عبادة السيدة مريم) ـ وقد ذهب المفسرون إلى القول بأن زكريا عليه السلام قد اتخذ لها مكانا شريفا من المسجد لا يدخله سواها فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها وتلازم العبادة ليلها ونهارها[1] ، فكلمة محراب فى هذه الآية تعبر عن غرفة السيدة مريم عليها السلام .

أما الآيتان الثانية والثالثة فكلمة (محراب) فيها تعنى المسجد حيث ذكر الجوهرى فى معجمه (الصحاح) فى تفسير مدلول كلمة محراب فى قوله تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ قال من المسجد[2] . بينما ورد فى المعجم الوسيط أن كلمة محراب فى هذه الآية تعنى الغرفة[3] .

أما الآية الرابعة وهى من حديث الحق سبحانه وتعالى عن سيدنا داود والخصمين اللذين تسورا محرابه فكلمة محراب فيها تعنى مكان عبادته ، ويبدو أنه كان حوله فناء مكشوف مسور حيث إن الخصمين تسورا السور أولا ، ثم دخلوا على سيدنا داود ثانيا ، وسيدنا داود عليه السلام لم يفزع عندما تسور الخصمان المحراب وإنما فزع عندما دخلوا عليه .

ـ أما الآية الخامسة وهى حديث الحق سبحانه وتعالى عما سخره لسيدنا سليمان فيذكر ابن كثير فى تفسير هذه الآية أن كلمة محاريب هنا تعنى الأماكن الحسنة وصدور المجالس ويفسر اقتران كلمة (محاريب) بكلمة (تماثيل) بأن المقصود بالتماثيل هنا (الصور) فى الجدران وكان هذا سائغا فى شريعتهم وملتهم[4] .

على انى أرى أن كلمة محاريب هنا تعبر عن القصور وذلك لعدة اعتبارات :

١ ـ الآية تتحدث عن مفردات المدن ولم يرد فيها ذكر القصور أو المنازل وهى من أهم مفردات المدن .

٢ ـ اقتران كلمة محاريب بكلمة تماثيل مما يعزز الاعتقاد بأنها قصور وليست مساجد ؛ لأن القصور يستحب فيها التصوير اكثر من المساجد .

٣ ـ ورود روايات عديدة تؤكد أن الجن بنوا لسليمان عليه السلام عدداً كبيراً من القصور منها ما ذكره ياقوت الحموى فى معجمه أن سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء وهما « غمدان ـ وسلحين ـ وبنيون » وأن هذه القصور كان بها تماثيل[5] .

٤ ـ يذكر ابن منظور أن العرب تسمى القصور محاريب حيث قال « كانت العرب تسمى القصر محرابا لشرفه »[6] . ولما كان القرآن قد نزل بلسان عربى مبين فربما كانت كلمة (محاريب) هنا تعبر عن القصور التى بناها الجن لسيدنا سليمان عليه السلام إشارة إلى شرفها وحسن صنعها .

كذلك قال : ابن منظور عن الاحمص عن أبى عمرو بن العلاء قال : « دخلت محرابا من

←

(١) ابن كثير ـ قصص الأنبياء ـ الطبعة الأولى ـ الأسكندرية ١٩٨١ ـ ص ٥٦١ .

(٢) الجوهرى (الصحاح) الجزء الأول ـ ص ٤٢ .

(٣) عبدالسلام هارون ـ المعجم الوسيط ـ الجزء الأول ص ١٦٤ .

(٤) ابن كثير ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٢ .

(٥) ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ المجلد الرابع ـ طبعة بيروت ١٩٨٤ ص ٢١٠ .

(٦) ابن منظور ـ معجم لسان العرب ـ الجزء الأول ـ طبعة بولاق ـ ص ٢٩٦ ـ مادة حَرَبَ .

المحاريب

محاريب (جِمْيَر) فنفخ فى وجهى ريح المسك ، ويعلق ابن منظور على هذه الرواية قائلا : « أراد قصرا أو ما يشبهه[7] . كذلك يذكر لنا ابن منظور[8] مثلا اخر لإطلاق كلمة محراب على القصور أو حدودها ومقاصيرها وهى محاريب غمدان باليمن[9] .

ومن مدلولات كلمة محراب أيضاً (الغرفة) التى يرتقى إليها وهو ما نفهمه من الرواية التى أوردها لنا ابن منظور : أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث عروة بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ إلى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محرابا له فأشرف عليهم عند الفجر ثم اذن للصلاة قال وهذا يدل على انه غرفة يرتقى إليها[10] .

ومن مدلولات كلمة محراب ايضا صدور المجالس وهو ما ذكره الجوهرى[11] فى صحاحه وابن الأثير الذى أورد لنا رواية فحواها أن أنس ـ رضى الله عنه ـ كان يكره الجلوس فى المحاريب .. اى انه لم يكن يحب أن يجلس فى صدور المجالس ويترفع على الناس[12] .

ويذكر ابن منظور نقلا عن الأزهرى أن المحراب سمى محرابا لانفراد الإمام فيه وبعده عن الناس قال : ومنه يقال : فلان حرب لفلان إذا كان بينهما تباعد ويذكر أيضا من (معانى) كلمة محراب أنه يطلق على (بيت الأسد) ، وأن المحراب سمى محرابا لأن الإمام إذا قام فيه لم يأمن أن يلحن أو يخطىء فهو خائف كأنه فى مأوى الأسد .

ويذكر كذلك نقلا عن ابن الأعرابى أن المحراب مجلس الناس ومجتمعهم كما يذكر أن محاريب بنى إسرائيل هى مساجدهم[13] .

وأخيرا فمن العرض السابق لمدلولات كلمة محراب فى القرآن الكريم والمعاجم اللغوية نخرج بالنتائج الآتية :

١ ـ إن كلمة محراب كلمة قديمة سابقة على الإسلام أطلقها العرب على قصورهم ، وأطلقها بنو إسرائيل على أماكن عبادتهم .

٢ ـ إن كلمة محراب قد استخدمت فى أغلب الأحيان للدلالة على أماكن العبادة سواء كانت أماكن عبادة فردية (غرف) أو أماكن عبادة جماعية « مساجد » .

٣ ـ أن كلمة محراب قد استخدمت للدلالة على صدور المجالس وأشرف مواضعها ومن هنا أطلقت على الجزء المجوف الذى يتوسط جداراً فى المساجد فى العصر الإسلامى نظراً لكونه يتصدر المساجد من ناحية ، وأكثر أماكن المسجد شرفا وقدسية من ناحية أخرى .

٤ ـ كان لكلمة محراب مدلولات أخرى بعيدة عن العمائر مثل إطلاق كلمة محراب على الرجل الشجاع ـ على وزن مفعال أى كثير الحرب .

المحراب فى المسجد (اهميته) :

يعد المحراب من العناصر الهامة فى المسجد وكما سبق القول فلقد أطلقت كلمة محراب على

---

(٧) ابن منظور ـ المعجم السابق ـ نفس الجزء ص ٢٩٧ .

(٨) ابن منظور ـ المعجم نفسه ص ٢٩٧ .

(٩) غمدان موقع بين صنعاء وطيوه بنى فيه قصر كبير يحتوى على عدد كبير من المقاصير والأبنية والتماثيل وقيل إن سليمان بن داود هو الذى بنى هذا القصر وقد هدم قصر غمدان فى أيام عثمان بن عفان ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ المجلد الرابع طبعة بيروت ـ ١٩٨٤ ص ٢١١ .

(١٠) ابن منظور ـ المعجم السابق ص ٢٩٧ .

(١١) الجوهرى ـ المعجم السابق ـ الجزء الاول ص ٤٢ .

(١٢) نهاية ابن الاثير ـ الجزء الاول ص ٢١٢ .

(١٣) ابن منظور ـ المعجم السابق ص ٢٩٦ .

الجزء المجوف الذى يتوسط جدار القبلة ، نظراً لكونه يقع فى مقدمة المسجد فضلا عن أنه أشرف مكان فيه ، ثم إن أهم وظيفة للمحراب فى المسجد هى تحديد اتجاه القبلة ، ومن الجدير بالذكر أن المعمارى المسلم عند تصميمه لإحدى المنشآت الدينية يجعل أحد أضلاعها تجاه الكعبة المشرفة فالضلع كله يعد قبلة للمنشأة ، وكان المعمارى يصيب أحياناً ويخطىء أحياناً فى تحديد الاتجاه ولذا نجد بعض المنشآت الدينية تحتوى على محاريب صحح بها اتجاه القبلة ، وفى هذه الحالة تلغى وظيفة المحاريب القديمة ويقتصر دورها على كونها حنايا تدعم الجدران إذا كانت مجوفة .

ومن أمثلة المحاريب التى صحح بها اتجاه القبلة محراب (قايتباى) بضريح (الإمام الشافعى) . والذى يتجه ناحية الزاوية الجنوبية الشرقية من الضريح وهو اتجاه الكعبة المشرفة فى حين أن المحاريب التى تعود إلى عهد الملك الكامل منشىء الضريح ٦٠٨ هـ تتجه ناحية الجنوب .

والجدير بالذكر أن هناك نوعين من المحاريب فى المساجد :

١ ـ المحاريب المسطحة وقد وصلتنا منها أعداد قليلة .

٢ ـ المحاريب المجوفة وهى أغلب المحاريب ، هذا إضافة إلى المحاريب الخشبية المتنقلة التى كانت تخص بعض المساجد .

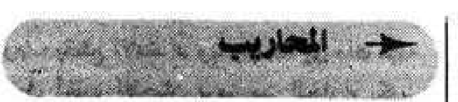
المحراب المجوف ضرورة معمارية :

وفى الواقع أن وجود المحراب المجوف فى جدار القبلة لا يقتصر دوره على تحديد اتجاه القبلة فحسب لكنه يقوم أيضاً بدور معمارى كبير إذ أن المحراب المجوف عادة ما يكون فى وسط جدار القبلة فيقوم بتدعيمه ويقسم امتداده إلى قسمين متساويين ؛ لأنه كلما طال امتداد الجدار كلما ضعفت مقاومته وقلت متانته . ولذا فهذا التجويف يقطع الامتداد وبالإضافة إلى ذلك فإنه يقابله فى أغلب الأحيان بروز من الخارج يكون بمثابة الكتف الساند لهذا الجدار ضد ضغط العقود التى عادة ما تكون متعامدة على جدار المحراب فى بلاطة المحراب .

ويذكر بعض العلماء أن وجود المحراب فى وسط جدار القبلة على محور الباب يعتبر عنصراً مستمداً من المعابد المصرية القديمة حيث يوجد قدس الأقداس على محور الباب ، ومن الكنائس حيث توجد الحنية على محور الباب ، ولكن الحقيقة أن هذا العنصر لم يستمد من المعابد المصرية القديمة ولا من الكنائس فوجوده على هذا النحو ناتج عن ظواهر معمارية بحتة ؛ فالباب يتوسط الجدار المقابل لجدار المحراب ، ولا يوجد فى أحد أطرافه حتى يكون هناك توازن فى المساحة على جانبى الباب وحتى يقطع امتداد هذا الجدار فلا يكون ما على يمينه ممتدا على حساب ما على يساره أو العكس . وكذلك المحراب فى جدار القبلة حيث يقسم هذا الجدار إلى قسمين متساويين ، ولما كان جدار المحراب غالبا بنفس طول الجدار المقابل ولما كان موازيا له غالباً ـ أيضاً ـ فلقد جاء المحراب على محور الباب .. ويذكر العلماء من فوائد المحراب المجوف أنه يعمل على تجميع الصوت وإعادة إرساله قويا حتى يتمكن من سماعه كل المصلين .

تعدد المحاريب :

من الملاحظ أن بعض المساجد تشتمل على عدد كبير من المحاريب قد يصل إلى خمسة أو ستة محاريب . ويعلل المؤرخون والعلماء هذه الظاهرة بعدة تعليلات ، ويذكرون من أسباب تعدد المحاريب .



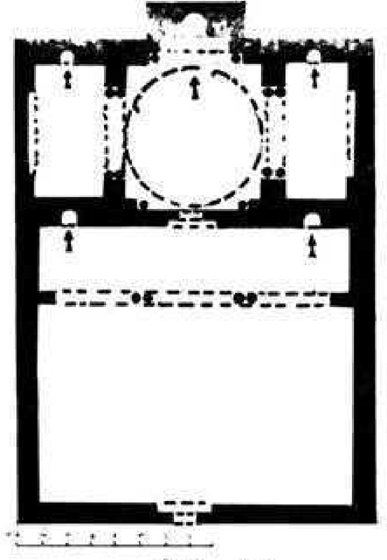
١ ـ تصحيح اتجاه القبلة بمعنى إقامة محراب جديد إذا ثبت خطأ المحراب القديم فى الاتجاه .

٢ ـ تعدد المذاهب وهو ما ذكره الدكتور حسن عبدالوهاب اعتماداً على ما أثبته ابن كثير من أن الصاحب تقى الدين بن مراحل ناظر الجامع الأموى عمل فيه محرابين للحنفية والحنابلة سنة ٧٦٤ هـ[١٤] .

٣ ـ إثبات الإصلاحات ـ وهو ما ذكرته الدكتورة سعاد ماهر حيث ذكرت أن المحاريب التى تضاف إلى المساجد بعد عمليات الترميم والتجديد إنما تقوم مقام اللوحة التذكارية التى يكتب عليها تلك العمليات فى عصرنا الحاضر[١٥]

وفى اعتقادى أننا يمكننا أن نضيف إلى الأسباب السابقة سببا آخر هو السبب المعمارى وخير مثال على هذا هو مشهد السيدة رقية (٥٢٧ هـ) الذى يشمل خمسة محاريب لا تنطبق عليها الأسباب الثلاثة السابقة الذكر فكلها من إنشاء أرملة الخليفة الأمر ، وفى اعتقادى أن السبب فى تعدد المحاريب فى هذا المشهد هو تخطيط البناء ، فالمشهد كما يبدو من تخطيطه شكل (١) يتكون من قسمين : القسم الأول عبارة عن فناء مكشوف ، والقسم الثانى عبارة عن بيت للصلاة مكون من ثلاثة مربعات يتقدمه رواق من الجهة الشمالية الغربية ، وفى القسم الثانى توجد المحاريب الخمسة منها ثلاثة فى بيت الصلاة واثنان فى الرواق الذى يتقدمه من الناحية الشمالية الغربية .

لو بدأنا بالثلاثة الخاصة ببيت الصلاة نجد



شكل (١)

أن التخطيط تحكم فى وجود المحاريب الثلاثة فى بيت الصلاة هذا والذى لا تتجاوز مساحته الثمانين مترا (مربعاً) . فلقد أراد المعمارى أن يشيد قبة أمام المحراب الرئيسى ومن ثم فقد أقام جدرانا أربعة حتى تحمل هذه القبة مما ترتب عليه أن أصبح بيت الصلاة مكونا من ثلاثة مربعات تتصل ببعضها من خلال فتحات تشبه فتحات الأبواب فأصبحت أشبه بثلاث حجرات مستقلة فأصبحت كل (مربعة) فى حاجة إلى محراب خاص بها ، أما الرواق الذى يتقدم بيت الصلاة فهو منفصل ووسيلة الاتصال بينه وبين بيت الصلاة فتحة باب ضيقة ومن ثم كان هذا الرواق فى حاجة إلى محراب ولما كانت فتحة الباب هذه تتوسط جدار القبلة فى هذا الرواق ولما كان مكان المحراب الطبيعى هو وسط جدار القبلة فقد قام المعمارى بعمل محرابين أحدهما على يمين فتحة الباب والآخر على يسارها حفاظا على سمة التماثل التى تميزت بها العمارة الإسلامية .

---

(١٤) د . حسن عبدالوهاب ـ تاريخ المساجد الأثرية ص ٣٩ .

(١٥) د . سعاد ماهر ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ الجزء الأول ١٩٧١ ص ١٤٩ .

السبب الأول :

أن يقال إن الغرض المحافظة على سمعة الأزهر ورفعة شأنه وهو المعروف فى سائر الأقطار ، وقد كان يمكن أن يقال هذا لو توقفت رفعة شأنه على نقص غيره أو كان معهدا اسكندرية وطنطا منفصلين عنه تمام الانفصال أما والحقيقة أنهما خاضعان لرياسته ولمجلسه الأعلى ؛ فإن نموهما بجانبه مما يزيد فى رفعة شأنه ، وماهما بالنسبة له إلا ملحقات وروافد .

وبعد : أفهل تتوقف رفعة شأن الأزهر على نقص العالى من الغير ؟! أيقتل الأبناء لتضم أملاكهم إلى الوالد ليقال إنه واسع الثروة ؟! ألا من سبيل إلى تنمية ثروة الوالد بلا إعدام أبنائه ؟! ألا يمكن أن يرفع من شأن الأزهر بدون إنقاص غيره ؟!

إنى أقدم إلى ذلك مشروعا آخر يجمع بين رفعة شأن الأزهر وعدم هدم المعاهد الأخرى ، ألا وهو تنفيذ ما أشار إليه القانون بإيجاد هيئة كبار العلماء ، وهو إحياء سنة التخصص فى العلوم كما كان عليه السلف ، وكما هو موجود الآن فى البلاد الراقية ، وذلك إنما يكون : إذا أعطيت دراسة هيئة كبار العلماء حظها من العناية ، ووجدت شهادة امتياز عقب الانتهاء منها تحمل حائزى شهادة العالمية على التلقى عن كبار الشيوخ والتخصص فى العلوم الدينية والعربية ، وتكون نسبة تلك الشهادة إلى العالمية كنسبة (الدكتوراه) إلى (الليسانس) فذلك من خير ما يفيد فى رفع المستوى العلمى ، وفى رفع شأن الأزهر ، وخير ما يذكر على ممر السنين والأحقاب بمزيد الفخر وعظيم الإعجاب لعهد مولانا السلطان فؤاد حفظه الله .

وشتان بين أن يقال : رفعوا من شأن الأزهر بإلغاء الأقسام العالية من المعاهد الأخرى ، وبين أن يقال : رفعوا من شأن الأزهر بإيجاد دراسة ممتازة فيه تخرج فحول الاختصاصيين أمثال : سيبويه والزجاج وشيخ الإسلام والغزالى .

السبب الثانى :

أن يقال : إن الغرض من إلغاء تلك الأقسام العمل على رفع المستوى العلمى بحشد الأكفاء من العلماء فى الأزهر ، وإناطة التعليم العالى بهم ليزول ذلك الضعف فى المتخرجين الذى يحس به الآن .

وهذا السبب يناقش من وجهين :

الأول : أنه إذا كان عندنا أكفاء منتشرون فى المعاهد بمقدار ما يلزم لطلبة الأقسام العالية فليعهد إليهم أمر التدريس فى المعاهد الثلاثة ، ولا حاجة إلى توحيد المكان ، ولا فائدة منه ؛ بل هو ضار ؛ لأنه يفقد ميزة التنافس .

وإن لم يكن هناك أكفاء يَفُونَ بكل مايلزم لكل الطلبة فأى فائدة فى توحيد المكان اللهم إلاّ ألاّ يقبل فى القسم العالى إلا عدد محدود وذلك ما ينافى المبدأ الإسلامى العام وهو عدم الحجر فى التعليم الديني .

الوجه الثانى : وهو الأهم أن انحطاط المستوى العلمى لا يرجع إلى قلة الأكفاء ، فهم على ما أعتقد كثير يَفُونَ بالحاجة ؛ بل يرجع إلى علل أخرى هى أم الداء ، ومالم تعالج لا يرتفع المستوى ولو حصر القسم العالى فى فصل واحد فى دائرة واحدة وتعدد المعاهد العالية بما فيه من المنافسة يعتبر نوعا ما علاجاً ملطفا لتلك الأدواء لا مضاعفا لها ، وأريد أن أبسط الكلام فيها وأوجه إليها النظر بنوع خاص ، فإنه مادام هناك التفات لترقية التعليم فالواجب بادىء ذى بَدْءٍ إحكام تشخيص الداء ، وقد أشرنا إليها فى تقاريرنا السنوية) .

يتبع

أحذر قبل فوات الأوان

شعر: رشاد محمد يوسف

ابالله يا ايها الغافلون ؟ ... ابالحق والذكر تستهزئون ؟
أَبِاللهِ وهو العزيز القدير ... تبيتون في غيكم تسخرون ؟
باسمائه جل سبحانه ... بكل مجال لكم تعبثون
وبالانبياء الكرام الهداة ... تزيدون في اللغو بل تسرفون
كفرتم بكل معاني الجمال ... وكل الجلال الا تتقون ؟
وبالضاد والأحرف الطيبات ... على مسرح اللهو تستنكرون
وبالزى زى الدعاة الكرام ... سخرتم به وبمن يلبسون
اقمتم على الإثم صرح الفنون ... الا تسامون الا تطهرون ؟
اليس لكم غير هذا السبيل ... على درب اشواكه تخطرون ؟
اغابت عن الحق افهامكم ... الا تفهمون ... الا تدركون ؟
هل الفن هتك التراث الجليل ... وتشويه ما عندكم من فنون ؟
هل الفن هذا الهراء السخيف ... له تضحكون وتسترجعون ؟
هل الفن غيبوبة الغافلين ... وانتم على إثرهم غافلون ؟
هل الفن جنس رخيص الثمار ... وانتم لاثماره تقطفون ؟
أُحَذِّرُ قبل فوات الأوان ... وقبل الرحيل وقبل المنون
احذر كل دعاة الفساد ... ومن خلفهم كل من يفسدون
احذر للشرّ من يرسمون ... وانذر من للخنا يكتبون
ومن يعبثون بفكر العباد ... ومن بعقول الورى يتجرون
ومن يغرسون بذور الضلال ... ومن بجلال الهدى يلمزون
سيسدل خلف الحياة الستار ... فلا تدركون ولا تبصرون
وياتي الحصاد فما تملكون ... واى ثمار لكم تحصدون ؟
وَكُلٌّ له دوره في الحياة ... وعن كل دور غَدًا تسالون
وليس يصح خلاف الصحيح ... وليس سوى الحق لو تعلمون
وللحرف طهر وللحرف نور ... وللحرف صدق متى تصدقون ؟

تحية شعرية لمصر الحبيبة

للشاعر محمد ضياء الدين الصابوني●

حيِّ « الكنانة » حيِّ القادة النجبا وحيِّ كلَّ ابيٍّ طاول الشهبا
وحيِّ كلَّ اديب عالمٍ اربٍ قد نال مرتبةً بل شرّف الرتبا
و « مكة الخير » تهديكم تحيتها تبثكم شوقها - والودُّ ما كذبا
قد حملتني اشواقاً معطرةً كأنها نسماتٌ من جنان « قُبا »
وقد اتيتك والأشواق عاصفة وهذه « مصر » ناجت فرحةً « حلبا »
ركنان للضاد والأيام شاهدة ودولة المجد مدّتْ بيننا سببا
و « احمد »[1] فيهما غنَّى روائعه وشعره ملأ الآفاق والكتبا
« انا الذي نظر الأعمى إلى ادبي » قد قالها من فؤاد ينفث اللهبا
غنىَّ فغنت له الدنيا مرددة : عرائس الشعر تيهي وارقصي طربا
حييتك « مكةُ » وادي النيل في جذل لازلت يامصر أماً للعلا وابا
قلب العروبة ، حصن المجد ، قلعته ملاذ كل ضعيف للهوان ابى
فانت سيدة البلدان بهجتها والنيل يمنحها من مائه الذهبا
ام الحضارة ، مهد العلم ، قبلته تعلمين الدنى الأخلاق والأدبا
يادرّةً في جبين الدهر ساطعةً وكعبة العلم والآداب لا عجبا
ماكان اهنأنا والشمل مجتمع ماكان اسعدنا والعيش قد عذبا
« يامصر » مانبغت نفس ولا برزت إلَّا وكنت لها الأزهار والقشبا
تالله ما ارتفعت للعلم منزلة إلَّا و « ازهرُها » قد مدها سببا
وكل فضل إذا مارمت تنسبه تلقاه « للأزهر » المحبوب قد نُسبا
ولا سما الشرق إلا في حضارتها وقد بعثت لنا الأمجاد والحقبا
إنى احبك من قلبي وعاطفتي حباً تغلغل في الأعماق ملتهبا
« اميرك[2] » الفذ تشجينا روائعه وكم حفظنا له الأشعار والنخبا
ربّ القوافي ، وكم غناك ملحمة « أَعادَتِ الرَّاحة الكبرى لمن تعبا »
هانحن في « مصر » في امنٍ وفي دعة نجر فيها ذيول الغبطة القشبا
إذا سرى النيل ناجي شاكياً « بردى » او هبّ وهنا نسيم شمتُ نفح صبا
حيّاكم الله ، حيّا طيب عنصركم غمرتمونا بعطف حقق الأربا
شعرت انى في اهلي وفي وطني وَلَمْ اكن في رحاب النيل مغترباً
لا كنت « حسان » إن قصرت نحوكم والله يجزيكم عنا وقد وجبا
وصلِّ يارب يامولاي ياسندي على « الحبيب » الذى قد شرّف العربا

● شاعر طيبة : محمد ضياء الدين الصابوني عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، المدرس بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة بمكة المكرمة .

(١) المتنبى : مالئ الدنيا وشاغل الناس (٢) أمير الشعراء أحمد شوقى

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

لامية العجم "للطغرائي"

اصالة الراى صانتنى عن الخطل ... وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى اخيرا ومجدى اولاً شرع ... والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى ... بها ولا ناقتى فيها ولا جملى
طال اغترابى حتى حن راحلتى ... ورحلها وقرى العسالة الذبل
اريد بسطة كف استعين بها ... على قضاء حقوق للعلا قبلى
والدهر يعكس آمالى ويقنعنى ... من الغنيمة بعد الكد بالقفل
حب السلامة يثنى هم صاحبه ... عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا ... فى الارض او سلما فى الجو واعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل
إن العلا حدثتنى وهى صادقة ... فيما تحدث ان العز فى النقل
لو ان فى شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
اعلل النفس بالآمال ارقبها ... ما اضيق العيش لولا فسحة الامل
لم ارض بالعيش والأيام مقبلة ... فكيف ارضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة النصل ان يزهى بجوهره ... وليس يعمل إلا فى يدى بطل
تقدمتنى اناس كان شوطهم ... وراء خطوى إذ امشى على مهل
وإن علانى من دونى فلا عجب ... لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
اعدى عدوك ادنى من وثقت به ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول في الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة   فظن شرا وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت   مسافة الخلف بين القول والعمل
ياواردًا سؤر عيش كله كدر   انفقت صفوك في ايامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه   وانت يكفيك منه مصة الوشل
ترجو البقاء بدار لاثبات لها   فهل سمعت بظل غير منتقل
وياخبيرا على الأسرار مطلعا   اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمر لو فطنت له   فاربا بنفسك أن ترعى مع الهمل

الشاعر: الطغرائي هو ابو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد وله عدة القاب عرف بها منها ، العميد ، والمنشيء ، والأستاذ ، والأصبهاني ، نسبة إلى اصبهان المدينة الفارسية التي ولد بها عام ٤٥٣ هـ لأسرة يرجع تاريخها ونسبها إلى ابي الأسود الدؤلي ـ كما ورد في مختصر وفيات الأعيان للبارزي وكما ورد لدى ابي الفداء وابن الوردي ، فهو بذلك اصبهاني المولد والنشاة،عربي الأصل والنسب مثل صاحب الأغاني : ابو الفرج الأصبهاني .. الذي يتصل نسبه بالبيت الأموي .

كان الطغرائي شاعراً طموحاً إلى المعالي والمناصب العالية ، تقرب إلى السلاطين السلاجقة فخدم السلطان ملك شاه ثم ولده محمد ـ وازدادت صلته بمعين الدولة مما ارضى ما بنفسه من آمال كبار حتى إذا عزل معين الدولة واودع السجن ، ظهر وفاء الطغرائي له ووقوفه إلى جانبه ، ومدحه بالعديد من قصائده .

عاصر الطغرائي فترة الصراع على السلطة بين اولاد ملك شاه وفي عام ٥٠٤ هـ حظي بمنصب نائب في ديوان الطغراء ثم اصبح الصدر الأعظم في هذا الديوان ، ولما عزل من منصبه ثقلت عليه الإقامة ببغداد ، ونظم القصائد التي تصور محنته ، منها هذه القصيدة اللامية التي نقتطف منها الأبيات المنشورة .

القصيدة : شريحة نفسية صادقة لمشاعر الطغرائي واحاسيسه من طموح واعتداد بالنفس واعتزاز بها وانفة من الصَّغَار ثم إشادة بعلو همته ورفعة شانه في الأدب والعلم والبلاغة والفصاحة وسداد الراي والحكمة ، مما يرشحه لكل رفعة وسؤدد . فإذا خيبت الأيام ظنه ولم يحالفه ماكان يرجو من طموح يفزع إلى الشعر يودعه سره ويبثه آلامه وشكواه ـ فهو يستهل القصيدة بالفخر والاعتداد ، وبحديث العلا تخاطبه بحكمة بالغة مضمونها ان العز قرين الارتحال ، ويرى ان الحظ يمتنع عنه ويعطي الجهلة والخاملين،وهو يهتدي إلى حكمة الصبر فالأيام دول ولابد من تبدل الأحوال ، وفسحة الأمل تزيد من التمسك بالحياة ، وتحمل اوضارها ولكن الذي لا يمكن احتماله او الصبر عليه هو غدر الناس،ولؤم الطباع وعدم الوفاء .

فالقصيدة في مضمونها شحنة من القلق المبدع والمشاعر الإنسانية لشاعر عايش التجربة بكل عواطفه واحاسيسه وثورته الجامحة وهدوئه العاقل وحزنه الوقور وحكمته العميقة البالغة .

شعراء في محراب النبوة

كعب بن مالك الأنصاري

للأستاذ
أيمن محمد ميدان

سنوات قليلة العدد، مكتظة بالعذاب والآلام عاشها نبى الرحمة المهداة ورفاقه بين قفار مكة وسهولها، مامن يوم يتوارى إلا وعذاب صناديد مكة وكفارها يزداد حدة وضراوة، ومحاصرتهم تزداد إحكاما، وصرامة .. ويبدو افق الدعوة الإسلامية مظلما لا يأتلق فى جنباته نجم يبث بصيصا من ضوء يوشى بانبثاق فجر، او ينبىء ببزوغ شمس.

ووسط هذا المناخ المفعم برائحة القهر تصبح الهجرة إلى المدينة مطلبا ملحا ومنحنى خطيرا وهاما على درب الدعوة الإسلامية، وفى المدينة يجد النبى ﷺ المناخ مهيئا لاحتضان دعوته، فيتخذ منها مقرا له، ونقطة انطلاق .. وفى المدينة تنقشع السحب المغلقة لنجم الدعوة الإسلامية ويتبدد، ويزداد - بالتفاف المهاجرين والأنصار حول الرسول - ائتلافا، فيذيع خبر محمد ﷺ وتنتشر مبادىء دعوته السمحة، فتتوافد على المدينة وفود متلاحقة مسلمة ومبايعة. وما من يوم ينقشع ظلامه الجاثم على صدر الأرض إلا وتثبت للإسلام قدم جديدة، ويغطى سناه منطقة أخرى، وينطوى تحت لوائه انصار جدد.

وهنا تثب قريش لتدافع عن سلطانها بين القبائل، والتى ظلت ردحا طويلا من الزمان تتضور أن محاولة الاقتراب منه - ولا أقول زعزعته والإتيان عليه - ضرب من ضروب المستحيل .. وها هى ترى بنيانه يتداعى أمام أعينها .. من أجل هذا لم تدخر قريش أى نمط من أنماط المجابهة، لايحكمها فى حربها الشعواء تلك سوى غاية واحدة فقط تتبلور فى القضاء على محمد ﷺ والإتيان على دعوته.

ووسط مناخ كهذا يأتلق الشعر كسلاح ماض، له دور هام، وأثر بالغ الخطورة على أناس كان الشعر صناعتهم الأولى وبضاعتهم الرائجة، وبيئة تقدر للكلمة الشاعرة حق قدرها، فقديما قال امرؤ القيس:

وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ اليَدِ[1].

فانبرى شعراء قريش يعلنونها حربا شعواء لاهوادة فيها أو تراخ، لم يتركوا وترا من أوتار قيثارتهم الشعرية إلا عزفوا عليه، او معنى

(١) ديوان امرىء القيس ١٨٥.

فاحشا إلا دبّجوا به صدور أشعارهم ، وجاء فى مقدمتهم عبدالله بن الزِّبَعْرَى وضرار بن الخطاب الفهرى والحارث بن هشام وهبيرة المخزومى .... وأمية بن أبى الصلت وشعراء اليهود وفى مقدمتهم كعب بن الأشرف وسماك اليهودى ... إلخ .

وأمام هذه الهجمة الشرسة التى شنها القرشيون متخذين من أسنة الحراب .. وقوافى الشعراء أداة للفتك بالمسلمين والنيل من أعراضهم لم يجد النبى ﷺ بدًّا من منازلتهم فى ميدانهم الذى ارتضوه مسرحا للقاء ، وبالأداة التى قبلوها لغة للحوار .

فهب شعراء الدعوة الإسلامية - وبتشجيع من النبى ﷺ يسنون حراب قوافيهم ، ويشحذون سهام ألفاظهم ، ويشذبون أوزان أشعارهم مسددين إياها صوب صدور صناديد قريش ، فكانت شديدة الأثر على نفوسهم ، عنيفة الوقع على آذانهم ، وجاءت كلمات رسول الله محمد ﷺ لكعب بن مالك مُجَسِّدَة هذا الأثر وذاك الوقع ، فقال : « لهذا أشدّ عليهم من وقع النبل » [٢] .

ومن بين شعراء الدعوة الإسلامية فى طورها الأول سوف نتناول بالعرض والتوضيح نتاج عدد منهم ، وهم : كعب بن مالك الأنصارى وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير والنابغة الجعدى ... مسلطين الضوء على الموضوعات التى ارتضوها محاور يتحركون عليها فى أداء رسالتهم متتبعين آثار المبادىء الإسلامية السمحة ، ومدى انعكاسها على مراياهم الشعرية .

كعب بن مالك الأنصارى

شاعرنا اليوم يدعى كعب بن مالك بن أبى كعب الخزرجى الأنصارى ، ويكنى : أبا عبدالرحمن وأبا عبد الله ، ويعد واحدا من ألمع شعراء الدعوة الإسلامية فى طورها الأول ، فقد كانت أول صلته بالنبى ﷺ يوم العقبة الثانية ، التقى وسبعون من أهل المدينة بالنبى ﷺ فآمنوا به وبرسالته ، وبايعوه على أن يمنعوه مايمنعون منه نساءهم وأبناءهم [٣] .

أخلاقه :

كان كعب بن مالك مؤمنا قوى الإيمان ، تقيا شديد التقى ، وفارسا لايشق له غبار ، مقداما لا يعرف الخوف طريقا إلى قلبه ، يقول القول مقرونا بالفعل ، شارك فى كثير من الحروب الإسلامية [٤] ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، حتى أنه جرح يوم «أحد » أحد عشر جرحا ، وكان إكرام الرسول بأن لبس لأمَةَ كعب ، وطرح لأمته الشريفة على كعب .. تتويجا لمجهود مُضْنٍ بذله ، وبلاء شديد خاضه وتحمل مشاقه .

على أن لكل جواد كبوة ، فقد تخلف كعب بن مالك عن الانضواء تحت لواء المجاهدين فى غزوة «تبوك » وكان لهذا الحدث أثر فادح وعميق على نفسه ، يقول ابن هشام فى سيرته [٥] : « ... وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين على غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : لاتكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة » . ومكث كعب لايكلمه

←

---

(٢) الأغانى (ط ساس) ٢٩/١٥ .
(٣) السيرة ٤٤١/١ - ٤٤٣ .
(٤) الاستيعاب ٢٢٣/١ .
(٥) السيرة ٥٣١/٢ .

كعب بن مالك الأنصارى

أحد خمسين يوما ، عانى خلالها كثيرا من الآلام . ويضيف ابن المعتز فى طبقات الشعراء [٦] أن قومه دفعوه إلى الاعتذار للنبى ﷺ ، وقالوا : « لو اعتذرت إلى رسول الله ﷺ ببعض مايعتذر به الناس عذرك !! فقال : إنى لاصنعهم لسانا وأقدرهم على ذلك ، ولكن والله لا أعتذر إليه بكذب ، وإن عذرى فيطلعه الله عليه » . وظل كعب قابعا فى بيته ، منعزلا عن الناس حتى نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٧] .

مكانته لدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كان كعب بن مالك أثيرا لدى النبى ﷺ يحبه ، ويقربه من مجالسه فسمع منه الحديث ، وحفظه ورواه ، فهو لذلك معدود من رواة الحديث[٨] . وكان يشجعه على قول الشعر وتقويمه وتجويده ، يروى : أن كعب سأل النبى يوما فقال : يارسول الله : ماذا ترى فى الشعر ؟ فقال رسول الله : « المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه »[٩] .

ويروى : أن كعب بن مالك نهض إلى رسول الرحمة المهداة يستأذنه فى هجاء أبى سفيان ردا على هجائه الحاد للنبى ، فقال : ايذن لى . فقال : أنت الذى تقول : « هَمَّت » . قال : نعم يارسول الله أنا الذى أقول :

هَمَّتْ سَخِينَةُ أَنْ تُغَالِبَ رَبَّها
وليغلبن مُغَالِبُ الْغَلَّابِ

فقال رسول الله ﷺ : « اما أن الله لم ينس ذلك لك »[١٠] وكثر ما كان النبى يثنى على شعر كعب ، فيقول : «إنك لحسن الشعر »[١١] .

وقد عاش كعب زمنا ادرك فيه الفتنة التى اطاحت بخليفة المسلمين عثمان بن عفان ، فهب يزجر الأنصار ويقرعهم لتقاعسهم عن نصرة عثمان ، فقال[١٢] .

من مبلغ الأنصار عنى آية
رسلا تقص عليهم التبيانا
أن قد فعلتم فعلة مذكورة
كست الفضوح وأبدت الشنآنا
بقعودكم فى داركم وأميركم
تحشى ضواحى داره النيرانا
بينا يرجى دفعكم عن داره
ملئت حريقا كابيا ودخانا

وعاصر أيضا الخلاف الذى دب بين كل من على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ وتوفى سنة خمسين ـ وقيل سنة ثلاث وخمسين ـ عن عمر يناهز سبعا وسبعين عاما ، وقد ذهب بصره[١٣] .

شعره :

دار شعر كعب بن مالك ـ الذى أفرزته قريحته الشعرية بعد انضوائه تحت لواء الإسلام وانخراط مبادئه السمحة فى أعماق ذاته ـ حول محاور متعددة تتمثل فى : «مدح الرسول والإشادة بدعوته ، وتمجيد أصحابه ، وهجاء أعداء الإسلام والرد عليهم وردعهم ، ورثاء الشهداء والترحم عليهم ، والتنويه

(٦) طبقات الشعراء ١٨٥ .
(٧) التوبة آية ١١٨ .
(٨) الأغانى ٢٨/١٥ .
(٩) المصدر السابق ٢٨/١٥ .
(١٠) المصدر السابق ٢٨/١٥ .
(١١) الاستيعاب ٢٢٥/١ .
(١٢) الأغانى ٢٧/١٥ .
(١٣) معجم الشعراء ٢٢٩ ، وخزانة الأدب ٢٠/١ .

بمنزلتهم عند الله ...إلى غير ذلك مما اقتضته ظروف الصراع العنيف بين المعسكرين الدينيين في مكة والمدينة..»[١٤] .

ولكعب مدائح كثيرة اتخذت من شخص النبى ﷺ محورا ، ونقطة انطلاق جاءت موشحة بوشاح القرآن الكريم ، تعمرها روح إسلامية ، تناولت مكانته وفضله وأخلاقه . فيقول[١٥] :

فإن يك موسى كلم الله جهرة
على جبل الطور المنيف المعظم
فقد كلم الله النبى محمدا
على الموضع الأعلى الرفيع المسوم
فهذا نبى الله أحمد سبحت
صغار الحصى فى كفه بالترنم

ولم يقف كعب بن مالك عند محور مدح النبى ﷺ على كثرة ماأنشد فيه ـ بل تعداه إلى منازلة شعراء قريش ومن آزرهم من شعراء الطائف واليهود ، محاولا النيل منهم ، فهجاهم هجاء لاذعا ، كان له كبير الأثر على نفوسهم ، وحدة الوقع على آذانهم ، فدار هجاؤه حول الضعة والخبث وفساد الخلق والسفاهة واللؤم ... وما إلى ذلك من معان ذائعة الصيت لديهم ، منتشرة ـ وبكثرة ـ فى أشعار الجاهلية ، من ذلك قصيدته التى هجا فيها عبد الله بن الزبعرى ردا على شعر له ، هجابة الرسول ﷺ فقال[١٦]

سألت بك ابن الزبعرى فلم
أُنَبَّأْك فى القوم إلا هجينا
خبيثا تطيف بك المنديات
مقيما على اللؤم حينا فحينا
تبجست تهجو رسول المليـ
(م) ـك قاتلك الله جلفا لعينا
تقول الخنا ثم ترمى به
نقى الثياب تقيا أمينا

وتناول أيضا مواطن الفخار لدى كل مسلم ، فافتخر بشجاعتهم وانتصارهم المروع فى بدر فلننظر إلى هذه الأبيات التى يتحدث فيها عن انتصار «بدر» ، وقد جاءت الفاظه قوية تستمد قوتها من انتمائها إلى المعجم القرآنى ، والمعانى الإسلامية ، فهو يفتخر برسول الله ، ومناصرة ملائكة الله له ، فيقول :[١٧] .

لعمر أبيكم يابنى لؤى
على زهو لديكم وانتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر
ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يجلو
دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بأمر
وأمر الله أحكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر
ومارجعوا إليكم بالسواء
فلا تعجل أبا سفيان وارقب
جياد الخيل تطلع من كداء

(١٤) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ٢٤٧ .
(١٥)ديوانه ٢٧٠ .
(١٦) ديوانه ٢٢٧ ، المنديات : المخزنات . والجلف : الجافى السيء الخلق .
(١٧) السيرة ٢٦٨/٢ . الانتخاء : الكبر والخيلاء . وكداء : موضع بمكة ، ورد ذكره فى قصيدة لحسان بن ثابت يقول فيها :
عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات
على أكتافها الأسل الظماء
والملاء : الأشراف من الناس .

كعب بن مالك الأنصارى

بنصر الله روح القدس فيه
وميكال فيا طيب الملاء

وإذا كان كعب بن مالك قد مجد نصر المسلمين فى غزوة « بدر » ، فإنه أيضا تناول غزوة «أحد» تناولا يستثير الإعجاب فى نفوسنا ، ويدفعنا إلى ضمه إلى قائمة شعراء «المنصفات» فى شعرنا العربى .. فقد صور هول المعركة ، وما أصاب المسلمين من أذى حل بهم ، وهزيمة فادحة لحقتهم .. على انه يسارع فيدفع شكا ربما يتبادر إلى الذهن محتواه أن هزيمة المسلمين كانت محصلة تخاذل اتسم به فريق محمد ﷺ أو تقاعس أو ضعف اعتقاد ... فيقرر أن الهزيمة كانت نتيجة قلة فى عدد المسلمين ووفرة غامرة لدى المشركين ، فيقول :[18] .

فجئنا إلى موج من البحر وسطه
أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصيبّة
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع
نغاورهم تجرى المنية بيننا
نشارعهم حوض المنايا ونشرع

ويبقى لوتر الرثاء لدى كعب بن مالك تفرد يميزه عما عداه من أوتار ، فقد جاء رثاؤه كثيرا ، يفيض بالحزن والأسى ، رثاء حزين متفجع احتوته المأساة ، وحاصره الإحساس الشديد بالفقد ، فهاهو ذا يرثى نبى الرحمة المهداةﷺ عندما لقى ربه بقصيدة شجية ، صادقة تفيض أسى ، يقول فيها[19] :

ياعين فابكى بدمع ذرى
لخير البرية والمصطفى
على خير من حملت ناقة
وأتقى البرية عند التقى
نخص بما كان من فضله
وكان سراجا لنا فى الدجى
وكان بشيرا لنا منذرا
ونورا لنا ضوؤه قد اضا
فأنقذنا الله فى نوره
ونجى برحمته من لظى

وله فى رثاء حمزة مرات كثيرة ، ننتقى من إحداها هذه الأبيات التى يرثى بها حمزة ويرد على هند بنت عتبة شماتتها ، فيقول[20] :

بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا
أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلون به جميعا
هناك وقد أصيبَ به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت
وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك فى جنان
مخالطها نعيم لايزول

....

الا ياهند لاتبدى شماتا
بحمزة إن عزكم ذليل

وفى غزوة مؤته يسقط زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة وجعفر بن أبى طالب شهداء فينتفض كعب راثيا إياهم ، رثاء مفجوع يلعق الصبر ، فقال[21] :

(18) السيرة ٢/١٣٣ ـ ١٣٥ .
(19) الطبقات الكبرى ٢/٩٢ ـ ٩٣ .
(20) ديوانه ٢٥٢ .
(21) ديوانه ٢٦٠ .

نام العيون ودمع عينك يهمل
سحا كما وكف الطباب المخضل
فى ليلة وردت علىّ همومها
طورا احن وتارة اتململ
واعتادنى حزن فبت كأننى
ببنات نعش والسِّماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشى
مما تأوبنى شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا
يوما بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية
وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
حذر الردى ومخافة أن ينكلوا

اثر الإسلام فى شعره :

إن نظرة ثاقبة لديوان كعب بن مالك الأنصارى لتؤكد على أن ثمة اثرا واضحا وانعكاسا دقيقا لمبادىء الدين الإسلامى السمحة على مرآته الشعرية تمثل فى اللفظة المفردة والتركيب والمعانى ، وبدا واضحا أن القرآن الكريم أخذ طريقه صوب إبداعات شعراء الدعوة الإسلامية فى طورها الأول والمبكر ، وترك بصمات واضحة ومميزة ، من ذلك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ قول كعب :(٢٢)

فإن يك موسى كلم الله جهرة
على جبل الطور المنيف المعظم

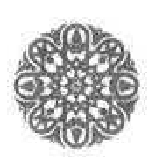
فنلاحظ أنه مستمد من قول المولى عز وجل فى سورة القصص(٢٣) ﴿ وَمَاكُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ .

وقوله (٢٤)

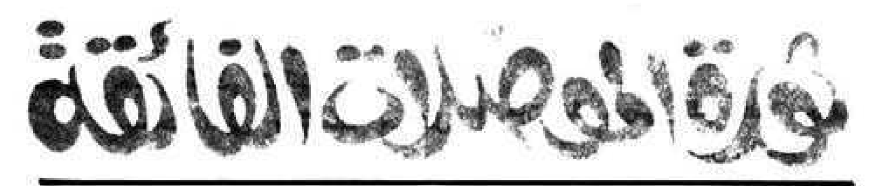
وكان رسول الله قد قال : اقبلوا
فولوا وقالوا : إنما انت ساحر

مستمد من قوله تعالى فى سورة ص(٢٥) : ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ .
الا لعنة الله على الكافرين.

تلك رحلة قصيرة فى أعماق كعب بن مالك .. الإنسان .. والفارس ... والشاعر . رحم الله كعب بن مالك ورضى عنه ، فقد كان تقيا شديد التقى ، وفارسا لايشق له غبار وشاعرا لايبارى .



(٢٢) ديوانه ٢٧٠ .
(٢٣) الآية ٤٦ . وانظر اوائل طه . والنمل . وآية النساء ١٦٤ .
(٢٤) السيرة ٢/١١٤ .
(٢٥) الآية ٤ .



ثورة الموصلات الفائقة عالية الحرارة

أ.د. أحمد فؤاد باشا

عندما تجتاح العالم كله انباء اكتشاف علمي او اختراع تقني ، تتناقله الأوساط العلمية والثقافية في كل مكان ، وتُتابع الصحف العالمية احدث تطوراته بصورة دائمة في عناوين بارزة على صدر صفحاتها الأولى ، ويصل الاهتمام به استراتيجيا إلى مستوى الرؤساء والحكومات في الدول المتقدمة ، فإننا نكون حينئذ امام ثورة علمية او تقنيّة خطيرة ذات اثر مباشر على حياة الإنسان ومستقبله . ويزخر تاريخ العلوم وتقنياتها بالكثير من الكشوف والمخترعات التي اعتبرها المؤرخون ثورات علمية كبرى .

والموصّلات الفائقة عالية الحرارة ثورة تقنية جديدة تتردد اخبارها الآن على كل لسان .

فما قصتها منذ انطلقت شرارتها وتتابعت اجيالها ؟

وما اهم تطبيقاتها التي تَعِدُ بها ؟

وماذا عن احتمالات نجاحها في تحقيق ما تبشّر به من إنجازات ؟

هذا ما سنعرض لشرحه وتفصيله بإذن الله تعالى .

ظاهرة التوصيل الفائق .. ماذا تعني ؟

تعود بداية القصة إلى عام ١٩١١م ، عندما كان عالم الفيزياء الهولندي « هيك كمرلنج أونز » Heike Kamerlingh-Onnes يدرس الخواص الكهربائية للزئبق أثناء تبريده ، واكتشف أن المقاومة الكهربية قد انخفضت فجأة إلى الصفر عند درجة الحرارة ٤,٢ كلفن (أي ـ ٢٦٩°م) ، فأدرك أن الزئبق تحول إلى حالة كهربائية جديدة أطلق عليها اسم حالة « التوصيل الفائق » Superconductivity . كما أطلق اسم « الموصلات الفائقة » Superconductors على تلك المواد التي تتمتع بهذه الخاصية ، أي التي توصل التيار الكهربي بدون مقاومة عند تبريدها إلى ما دون درجة حرارة معينة تميز كل مادة وتسمى « درجة حرارة الانتقال Transition

temperature . وهذا يعنى أن تيارا كهربيا فائقا Supercurrent يمكنه أن ينساب باستمرار فى حلقة معدنية من مادة فائقة التوصيل طالما أنها موجودة تحت درجة حرارة الانتقال[1] . فكما أن ارتفاع درجة حرارة الماء فوق درجة حرارة معينة (الصفر المئوى مثلا) يجعله سائلاً وانخفاضها عن تلك الدرجة يجعله جليداً جامداً ، كذلك هناك نقطة انتقال أو تحوّل معينة تكون المادة عادية عند درجات الحرارة الأعلى منها وتصبح فائقة التوصيل عند درجات الحرارة التى تقل عنها . ويؤثر الضغط على نقطة التحوّل هذه ، تماما كما يرفع الضغط العالى نقطة تجمد الماء . وفى الموصلات الفائقة تتأثر نقطة التحول أيضا بالتيارات الكهربية والمجالات المغناطيسية ، وهى تأثيرات هامة بالنسبة لجدوى التطبيقات .

وظل العلماء على مدى عقدين من الزمان يعتقدون بأن الموصلات الفائقة لها نفس خواص المواد العادية فيما عدا أنها توصل الكهربية عند درجات الحرارة المنخفضة بدون أن تولد حرارة أو تفقد قدرة . لكن الفيزيائى الألمانى « والتر مايسنر » Welther Meissner استطاع فى عام ١٩٣٣م أن يثبت خطأ هذا الاعتقاد عندما وجد أن الموصل الفائق الموجود فى مجال مغناطيسى معتدل يطرده فجأة إذا ما تم تبريده إلى مادون نقطة التحول ، وهو ما يعرف « بتأثير مايسنر » Meissner effect المشهور الذى يجعل قطعة من الموصل الفائق تحلقّ فوق مغناطيس .

ويمكن تفسير الكثير من سلوك الموصلات الفائقة استنادا إلى نظرية ـ بى سى إس أو B C S Heory ، التى سُمِّيت بأسماء واضعيها « ج . باردين » J. Bardeen و« ل . ن . كوبر » L.N. Cooper و« ج . ر . شريفر » J.R. Schrieffer فى عام ١٩٥٧[2] . وتفترض هذه النظرية وجود تجاذب إجمالى بين أزواج الكترونات التوصيل يربط بينها بطريقة لا تستطيع معها التشتت ، وذلك بسبب القوة التى تنشأ من وحدات اهتزاز الذرات التى تسمى « فونونات » Phonons الموجودة فى الشبيكة البللورية Crystal lattice للموصل الفائق ، وهى نفس الاهتزازات التى تشتت الكترونات التوصيل فى حالتها العادية .

وفى عام ١٩٦٢ تنبأ الفيزيائى الإنجليزى « بريان د . جوزيفسون » B.D. Josephson من جامعة كمبردج بأن أزواج الالكترونات Electron pairs يمكنها ، فيما أسماه « بوصلة النفق » Tunnel junction ، أن تجتاز الحاجز بين موصِّلين فائقى التوصيل تفصلهما طبقة اكسيد رقيقة عازلة . وبناء على ذلك ، فإن وجود « وصلة نفقية » فى حلقة من مادة فائقة التوصيل يمكن أن يطيل بقاء تيارات فائقة ضعيفة تسمى « تيارات جوزيفسون » ، كما أن الظاهرة نفسها ←

(١) تمكن « كمرلنج ـ أونز » فى عام ١٩٠٧ من خفض درجة الحرارة لحدوث ظاهرة التوصيل الفائق وذلك عندما نجح فى إسالة غاز الهيليوم عند درجة ٤,٢ كلفن فى ظروف الضغط الجوى . وفى عام ١٩١٣ م منح جائزة نوبل فى الفيزياء تقديرا لأبحاثه المتميزة فى درجات الحرارة المنخفضة .

(٢) مُنح العلماء الثلاثة جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٧٢ على هذه النظرية .

ثورة الموصّلات الفائقة

تعرف باسم « تأثير جوزيفسون »[٣] . وهى الآن أساس مجموعة من الأجهزة الالكترونية فائقة التوصيل .

أجيال الموصّلات الفائقة :

لقد أدركت المزايا التقنية المحتمل تحقيقها من استخدام ظاهرة التوصيل الفائق حال استكشافها . فعندما تمت مراقبة سلوك الرصاص والقصدير عند أربع درجات كلفن ، بعد مرور عامين على ملاحظة الظاهرة لأول مرة فى الزئبق المبرّدبالهليوم السائل ، كتب كمرلنج ـ اونز : « يمكننا الآن إنجاز انواع التجارب الكهربائية بأجهزة دون مقاومة ..

إن الصفة غير العادية لحالة « التوصيل الفائق » هذه يمكن إيضاحها جيداً من خلال صلتها بمشكلة إنتاج مجالات مغناطيسية شديدة باستخدام ملفات بدون قلوب حديدية » . لكن الأمل خاب فى الحصول على مغناطيس فائق التوصيل من القصدير أو الرصاص لعدم قدرتهما على نقل تيارات كهربية كبيرة كافية . كما انّ تكاليف استخدام الهليوم الغالى الثمن لأغراض التبريد قد حدّت كثيراً من تطبيقات الظاهرة والإفادة الكاملة منها . وأدى ذلك إلى البحث عن مواد لها نقطة تحوّل فى مدى درجات الحرارة الذى يمكن بلوغه بسهولة ، فانقضى وقت طويل قبل أن ينجح الباحثون فى تطوير موصلات فائقة جديدة لها نقطة تحوّل عالية الحرارة . ويمكن تصنيف أجيال الموصلات الفائقة التى تم اكتشافها حتى الآن على النحو التالى :

١ ـ **الجيل الأول** : ويشمل مئات المواد التى توالى اكتشاف خاصية التوصيل الفائق فيها عند درجات الحرارة المنخفضة ، بعد اكتشافها فى الزئبق . وقد تضمنت هذه المواد معظم العناصر الفلزية ، كالألمونيوم والقصدير والرصاص ، بالإضافة إلى العديد من المركبات والسبائك المعدنية . وكانت درجة حرارة الانتقال لمعظم هذه المواد اقل من عشر درجات كلفن ، اللهم إلا بعض السبائك والمواد التى أظهرت خاصية التوصيل الفائق عند درجات حرارة أعلى قليلاً ، بلغت اقصاها عند ٢٣,٥ كلفن لسبيكة من عنصرى النيوبيوم والجرمانيوم . لكن تبريد هذه المواد كان يتطلب غمسها إما فى الهليوم السائل (نقطة غليانه ٤,٢ كلفن) ، وهو غالى الثمن ويصعب حفظه من التبخر ، وإما فى الهيدروچين السائل (نقطة غليانه ٢٠,٣ كلفن) وهو قابل للاحتراق .

٢ ـ **الجيل الثانى** : ويمكن التأريخ لبدايته

---

(٣) نظرا لأن الالكترونات تخضع لقوانين ميكانيكا الكم Quantum mechanics ، فإن لها خواصا لا يمكن وصفها بقوانين الميكانيكا الكلاسيكية . ذلك ان الالكترونات فى ميكانيكا الكم تعامل على أنها موجات ، وتمثّل بدوال موجية Wave functions مرتبطة بقيمة احتمال وجود الكترون فى مكان بعينه . وبينما تبقى سعة هذه الموجات محددة قرب سطح الفلز ، فإنها تقلّ سريعا خارجه . كذلك لا يمكن للالكترون ان يمرّ بين فلزين غير متصلين إلا إذا كانت المسافة بينهما صغيرة جدا ، فى حدود عدة أضعاف المسافة الفاصلة بين الذرات . وتعرف هذه الظاهرة فى ميكانيكا الكم باسم « الظاهرة النفقية » . وقد فاز « جوزيفسون » بنصيب من جائزة نوبل فى الفيزياء لعام ١٩٧٣ على عمله فى هذه الظاهرة . ويزيد من روعة هذا الإنجاز أن التنبؤات النظرية تمت وهو مازال طالبا بالدراسات العليا وعمره ٢٢ عاما . (راجع مجلة العلم والمجتمع ، العدد ٧١ (١٩٨٨) إصدار اليونسكو .

بعام ١٩٨٦ عندما تمكن العالمان كارل مولر K.A. Müller وجوهانز بدنورز J.G. Bednorz من اكتشاف مادة خزفية (سيراميكية) مكونة من اكاسيد اللانثنوم والباريوم والنحاس (La - Ba - Cu - O) وتتمتع بالقدرة على توصيل تيارات كهربية بدون مقاومة عند ٣٥ كلفن . وكانت هذه المادة هى الأولى فى مجموعة جديدة من الموصلات الفائقة تعرف باسم « الموصلات الفائقة عالية الحرارة » .

ومما يثير الدهشة أن هذا الإنجاز قد تحقق بإجراء تجارب على مواد عازلة فى حالتها العادية[٤] . ومنذ ذلك الحين ، شرعت مجموعات أخرى من العلماء فى تكثيف البحث المتواصل من أجل اكتشاف اكاسيد خزفية فائقة التوصيل عند درجات حرارة أعلى من حاجز النتروجين السائل الذى يغلى عند ٧٧ كلفن ، وعندئذ يتحقق إنتاج الموصلات الفائقة بتكلفة أقل نسبياً وجاءت بشائر الثورة الجديدة على أيدى الباحثين بقيادة « باول تشو » P.C.Chu بجامعة « هيوستن » Houston فى أواخر شهر فبراير من عام ١٩٨٧ عندما أعلن عن درجة حرارة انتقال ٩٤ كلفن لأكسيد خزفى يحتوى على الايتريوم والباريوم والنحاس (Y - Ba - Cu) . وفى نفس الوقت تقريباً ، سجل العلماء الصينيون واليابانيون درجات حرارة مماثلة لمواد ذات نسب أولية مختلفة من تلك العناصر ، فوضعوا بذلك حداً لنهاية جيل من الموصلات الفائقة تخطى حاجز النتروجين السائل ، وبداية جيل جديد تُدفع فيه درجة حرارة الانتقال إلى قيم أعلى .

٣ ـ **الجيل الثالث** : وهو الجيل الحالى من الموصلات الفائقة التى تجددت ثورتها مع بداية عام ١٩٨٨ باكتشاف موصلات « الثاليوم » الفائقة عند درجات حرارة انتقال بلغت ١٢٥ كلفن . ويتنبأ بعض العلماء الآن بأن إجراء المزيد من التجارب على هذه المواد من شأنه أن يدفع درجة حرارة الانتقال إلى ١٨٠ كلفن أو أعلى .. وقد زاد هذا من أمل الباحثين فى الكشف عن مادة فائقة التوصيل عند درجة حرارة الغرفة ، أو على الأقل عند درجة أعلى من نقطة التجمد للماء (الصفر المئوى) . كما وصل الاهتمام بهذه التقنية « استراتيجيا » إلى أعلى المستويات فى الدول المتقدمة[٥] .

آفاق استخدام الموصّلات الفائقة :

تشمل التطبيقات الممكنة والمحتملة للموصلات الفائقة جميع مجالات الكهربية والمغناطيسية ، سواء عن طريق توليد القوى الكهربائية وتوزيعها وتخزينها ، أو فى ميادين النقل والاتصالات

←

(٤) حصل بدنورز ومولر على جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٨٧م لأنهما استطاعا أن يحققا وثبة ثورية فى تقدم العلم والتقنية بالتخلىّ عن المواد التقليدية المستخدمة فى دراسة الموصلات الفائقة والتركيز ، بدلاً منها ، على استخدام الأكاسيد المعدنية الخزفية . وذاعت أنباء الكشف العظيم فى جميع أنحاء العالم .

(٥) فى فبراير ١٩٨٧ اقترح الرئيس الأمريكى رونالد ريجان مرسوماً للمنافسة فى مجال الموصلات الفائقة ، وطالب باستثناء المعلومات التى تنتجها معامل الأبحاث الحكومية ، ويتوقع أن تضر بالمركز التنافسى الاقتصادى والأمن القومى للولايات المتحدة الأمريكية ، من « قانون حرية المعلومات » Freedom of Information Act (FOIA) . لكن حشداً من الشهود الأكاديميين والصناعيين كان قد مثل بعد ذلك بشهر واحد أمام إحدى اللجان الفرعية فى مجلس الشيوخ للاعتراض على هذا الإجراء (راجع ماجاء تحت عنوان « العلم السرّى » Secret Science فى مجلة العلوم ص ٣٤ ، مجلد ٦ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٩ .

ثورة الموصّلات الفائقة

والبحوث العلمية ومعالجة المعلومات وتقنية الحاسبات والأجهزة الألكترونية وغيرها .

واحد التطبيقات الهامة التى يدور النقاش بشأنها حاليا هو مشروع تطوير « قطار ماجليف » Maglev او Magneti cally levi- tated vehicle ويعنى « المركبة السابحة فى الهواء مغناطيسيا » . وتتولى الشركة اليابانية للخطوط الحديدية رعاية هذا المشروع الطموح ، فتعمل مغناطيسات فائقة التوصيل على تسيير القطار بالتفاعل مع المجال المغناطيسى الناتج من التيارات الكهربية المارة فى ملفات موضوعة فى مسار توجيه اختبارى يبلغ طوله سبعة كيلو مترات . إن السرعة العالية لمثل هذا النوع العجيب من القطارات الحوّامة قد تجعله فى المستقبل منافسا قويا للرحلات الجوية بين المطارات الداخلية .

من ناحية أخرى ، ظهرت تطبيقات متنوعة « لتأثير جوزيفسون » ، وخاصة فيما يسمى بأجهزة التداخل الكمى فائقة التوصيل (سكويد)(٦) . التى تستخدم للكشف عن التغيرات الطفيفة فى المجالات المغناطيسية والتيارات الكهربية بحساسية بالغة . وقد شقت هذه الأجهزة طريقها لتستخدم فى أغراض التشخيص الطبى وبحوث الطاقات العالية ، كما يستخدمها الجيولوجيون فى استكشاف النفط والمياه والترسبات المعدنية التى تحدث تغيرات فى مجال الأرض المغناطيسى . ويمكن لوصلات « جوزيفسون » أن تمدنا بكاشف جديد للإشعاعات الكهرومغناطيسية تبلغ كفاءته حدود الكمّات دون الذرية ، فيكشف كل الكترون امتص « فوتونا » . ومن المحتمل أن تكون التطبيقات الأولى لهذا الكاشف الجديد فى المجالات العسكرية كالرادارات وأجهزة الاستشعار والاتصالات الفضائية .

وتشير الدراسات المستقبلية المتفائلة إلى أن إنتاج الموصلات الفائقة عالية الحرارة على نطاق واسع يمكن أن يتحقق فى غضون عقد أو عقدين على أكثر تقدير . وقد بنيت هذه التقديرات على أساس ما تم من تطور وتطبيقات تجارية بالنسبة لتقنيات أخرى مثل أشباه الموصلات والحاسبات الالكترونية والتقنية الحيوية . لكن التحديات التى تواجه تقنية الموصلات الفائقة لا تقتصر على دفع درجة حرارة الانتقال إلى قيم أعلى ، بل تمتد لتشمل توفير مجموعة كبيرة من الخصائص الفيزيائية للمواد طبقا للتطبيقات المطلوبة ، كأن تكون هذه المواد مستقرة كيميائيا ، وأن تكون قابلة للسحب والتشكيل بسهولة ، وقادرة على حمل تيارات كهربية عالية الكثافة . فهل سينجح العلماء والباحثون فى المستقبل القريب فى التغلب على هذه التحديات لتحقيق جيل جديد من الموصلات الفائقة ، أعلى حرارة وأكثر قوة وأسهل تشكيلاً ؟!

هذا هو السؤال المطروح الآن أمام قادة الأبحاث فى الاختصاصات المختلفة .

د . احمد فؤاد باشا

---

(٦) اسم الجهاز باللغة الانجليزية Superconducting Quantum Interface Device «SQUID» .

الأشعة الكونية

للأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

يتعرض الإنسان منذ نشاته إلى جرعات إشعاعية معينة صادرة من البيئة التى يعيش فيها ، ومن الغذاء الذى يتناوله ، والهواء الذى يتنفسه ، وتعرف هذه الجرعات بالجرعات الإشعاعية الطبيعية الناتجة عن البيئة ، ولا تشكل هذه الجرعات الطبيعية خطورة حيث إن كمياتها غالبا ماتكون اقل مما قد يحدث ضررا صحيا .

تعتبر الأشعة الكونية من اهم مصادر الجرعات الإشعاعية الطبيعية التى يتعرض لها الإنسان .

تاتى الأشعة الكونية من الفضاء الخارجى ومن الشمس وتحتوى هذه الأشعة على انواع مختلفة من الإشعاعات المُؤيِّنَة[1] ، ومن نويات ذرات ذات اعداد كتلية مختلفة وذات طاقات عالية تقع فى المدى[2] من مليون الكترون فولت إلى ١٠^١٠ مليون الكترون فولت ولذلك يعتقد انها تعجل فى المعجل الكونى[3] .

وتنقسم الأشعة الكونية إلى :

١ ـ الأشعة الكونية الابتدائية (على ارتفاع ٢٥,٣ كم من سطح البحر).

تعتبر هذه نوعا من الإشعاعات التى تدخل فضاء الأرض من الفضاء الخارجى ، ويرجع أصل الأشعة الكونية الأولية أساسا إلى أن الجسيمات المشحونة فى هذه الأشعة تحصل على طاقتها نتيجة التعجيل الناتج من المجالات الكهرومغناطيسية للنجوم والشمس وهذا النوع من التعجيل يجب أن يأخذ دورة تدريجية تشابه تعجيل الجسيمات فى معجل الكترونى . إضافة إلى ذلك فإن جزءا من هذه الأشعة الكونية الأولية ينتج من الجسيمات الأولية المنطلقة من

(١) مؤين : الجزىء الكيميائى من ذرتين او اكثر وعند امتصاص الاشعة المؤينة فى روابط هذه الجزي‍ءتنفك مكوناته من الذرات نتيجة امتصاص الطاقة الإشعاعية فى هذه الروابط ، وتسمى هذه الظاهرة بالتأين ، والأشعة التى يحدث منها هذا تسمى أشعة مؤينة مثل الأشعة السينية وأشعة (جاما) وجميع الجسيمات الموجودة فى نواة الذرة .

(٢) المدى : مساحة محددة من الطاقة .

(٣) المعجل الكونى : عبارة عن عملية تعجيل أو سريان بسرعة اكثر للجسيمات الموجودة .

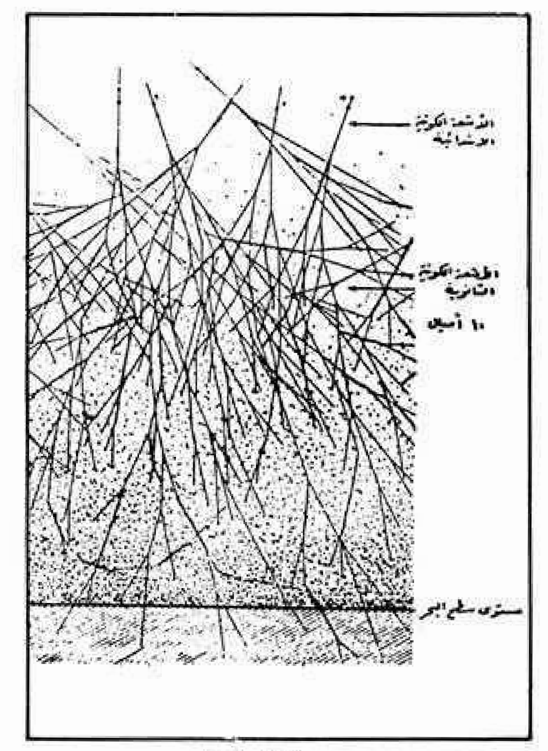
الأشعة الكونية

الشمس . تزيد كثافة هذه الجسيمات أثناء الانفجارات الشمسية .

تتكون هذه الأشعة من البروتونات (٩١,٥٪) وجسيمات الفا (٧,٨٪) ونسبة قليلة من جسيمات ذات طاقات أعلى ، والكترونات وفوتونات ونيوترونات .

الأشعة الكونية الثانوية (على ارتفاعات منخفضة) أقل من ٢٠ كم :

تتكون الأشعة الكونية الثانوية نتيجة للتصادم غير المرن بين الجسيمات الأولية المكونة للأشعة الكونية الابتدائية (عن طاقات أكبر من ٥×١٠^٩ الكترون فولت) وذرات الأوكسجين والنتروجين الموجودة فى الطبقات العليا من الغلاف الجوى . وهذه التصادمات تعجل انشطار أحد الجسمين المتصادمين أو الجسمين معا إلى عدد من القطع النووية الأصغر منها ، تحمل كل قطعة منها بعض الطاقة الابتدائية ، وتصطدم هذه الجسيمات السريعة بدورها بنوى اخرى ، وتسمى هذه الجسيمات جميعا : بالأشعة الكونية الثانوية ، ويوضح شكل (رقم ١) رسما تخطيطيا لتوضيح الأشعة الكونية الثانوية الناتجة من الأشعة الابتدائية التى تدخل الغلاف الجوى وتحتوى بعض الجسيمات على جسيمات غير ثابتة تعرف باسم (الميزونات) وهى عبارة عن : جسيمات مشحونة ، كتلة كل منها تعادل مئات المرات كتلة الالكترون ، ولكنها أخف من (البروتون) ، وهى إما أن تكون ميزونات (باى) سالبة أو موجبة الشحنة كما ينتج (ميزونات) متعادلة ، والبروتونات والنيوترونات . بالإضافة إلى ذلك فقد



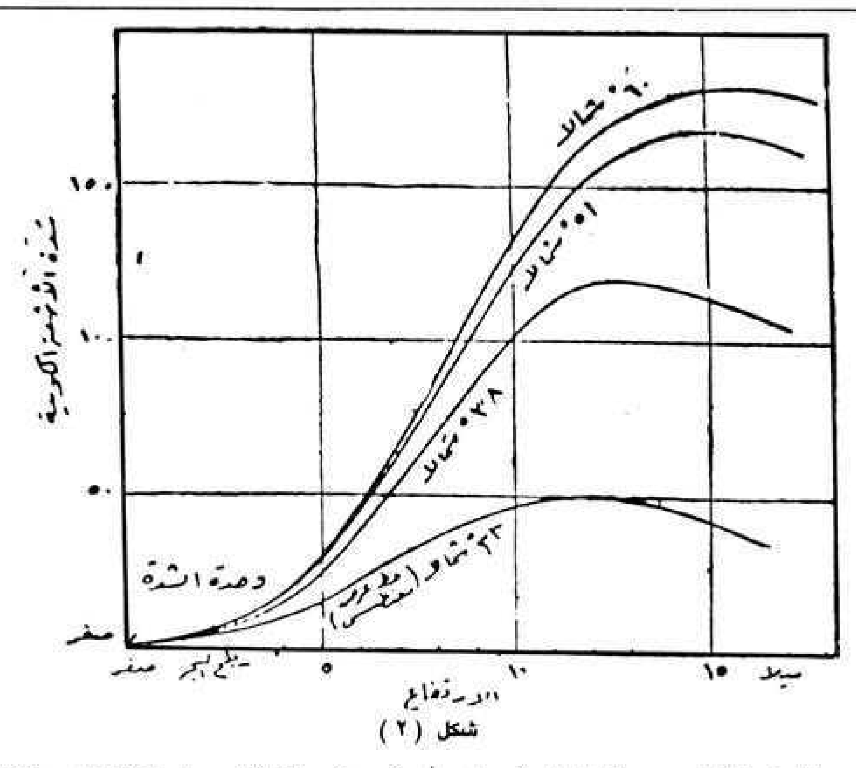
شكل (١)

وجد أنه نتيجة اقتراب بعض (الفوتونات) عالية الطاقة (اشعة جاما) المتكونة بفعل الأشعة الكونية من نواة أحد الذرات ؛ فإن المجال الكهربى للنواة يكون شديدا بدرجة كافية لإفناء هذا (الفوتون) وخلق زوج من الجسيمات الكترون و(بوزيترون) (الالكترون الموجب + e) منه ، وكتلتا هذين الجسمين متساويتان ، كما أن شحنتاهما متساويتان ومتضادتان .

ومن الملاحظ أن الأشعة الكونية الثانوية تتكون بدورها من قسمين :

الجزء الأول ذو طاقة منخفضة يُمتَصُّ بسهولة ، ويمكن إيقافه بطبقة من الرصاص ذات سمك من (١٠ إلى ١٥ سم) .

أما الجزء الآخر فهو ذو طاقة عالية ويحتاج لسمك أكبر من الرصاص لامتصاصه .



شكل (٢)

يتكون الجزء الأول بصورة أساسية من الالكترونات والبوزيترونات والفوتونات ، والجزء الثانى من باى ميزونات والبايونات .

تشكل النوى الذرية لباقى العناصر حوالى ١٪ ويبلغ معدل طاقة دقائق الأشعة الكونية الأولية حوالى عشرة الكترون فولت .

تعتمد الجرعة الإشعاعية التى يتعرض لها الإنسان من الأشعة الكونية على المكان والضغط والارتفاع عن سطح البحر كذلك على النشاط الشمسى .

وتتكون الأشعة الكونية المشحونة عند مستوى سطح البحر من ميزونات بنسبة ٧٠٪ تقريبا ، ولذلك باى ميزونات بنسبة ٢٩٪ تقريبا وجسيمات أثقل مثل البروتونات والديوترونات وجسيمات الفا بنسبة ١٪ تقريبا ، ويبين جدول رقم (١) الجرعات الناتجة من الأشعة الكونية فى بعض الاماكن وعلى ارتفاعات مختلفة من سطح البحر .

ويتضح من الجدول أن الجرعة الناتجة من الأشعة الكونية تعتمد اعتمادا كبيرا على الارتفاع عن سطح البحر ، حيث إنه عند الارتفاع عن سطح البحر بمقدار ٣ كم تتضاعف الجرعة السنوية الناتجة من الأشعة الكونية ، وكلما زاد الارتفاع زادت هذه الجرعة حيث تصبح شدة الأشعة الكونية عند قمة الغلاف الجوى أكبر بحوالى خمسين ألف مرة من شدته عند سطح البحر .

ومن ذلك يتضح دور الغلاف الجوى من الأشعة الكونية ، فإنه يمكن اعتباره مكافئا لحاجز مائى سمكه ١٠,٣ متر ويمثل شكل (٢)

الأشعة الكونية

رسما توضيحيا للعلاقة بين شدة الأشعة الكونية والارتفاع عن سطح البحر .

بالإضافة إلى ذلك فقد أثبتت الدراسات أن الأشعة الكونية تتغير مع خطوط العرض ، فهى أقل بمقدار ١٥٪ عند خط الاستواء مما هى عليه عند القطبين ويفسر الانخفاض فى شدة الأشعة الكونية عند خط الاستواء المغناطيسى على أنه راجع للمجال المغناطيسى الأرضى فتنحنى جميع المسارات المشحونة التى تعبر المجال المغناطيسى الأرضى بتأثير قوة عمودية على اتجاه المجال وتكون النتيجة أن ينحرف بعض الأشعة الداخلة فى مجال الأرض ثانية إلى الفضاء الخارجى دون الوصول إلى سطح الأرض ولقد وجد أن الجسيمات الموجبة فى الأشعة الكونية تحيد بتأثير المجال المغناطيسى الأرضى فى اتجاه الشرق بينما تحيد الجسيمات السالبة فى اتجاه الغرب .

ويوضح شكل (رقم ٣) تأثير المجال المغناطيسى الأرضى فى الأشعة الكونية الابتدائية .

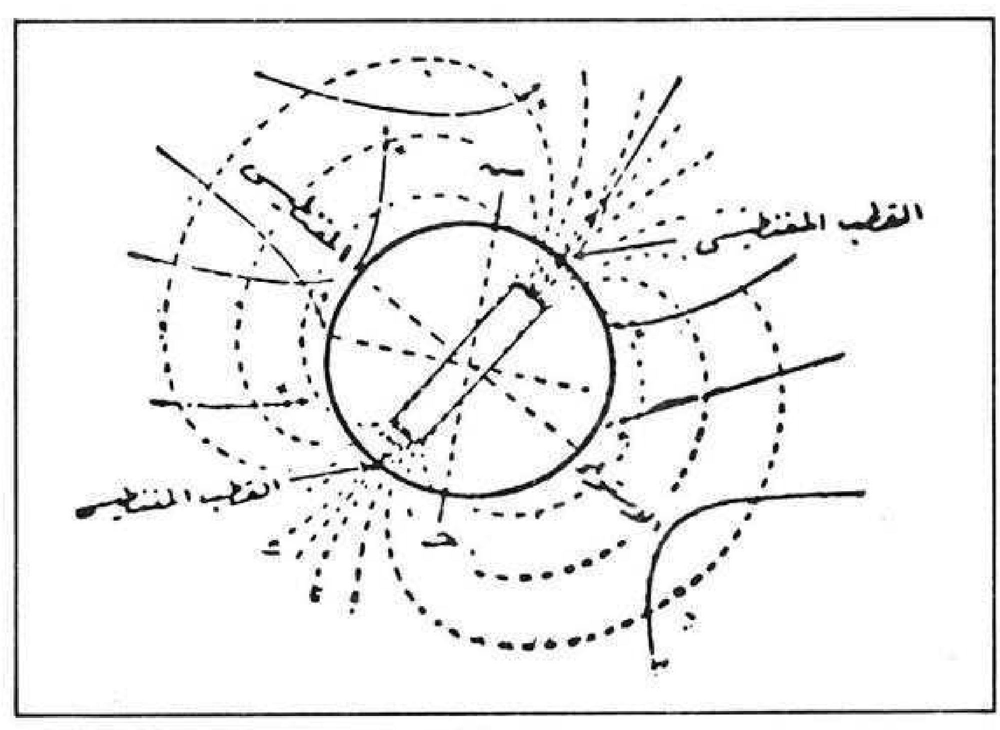
لقد اثبتت الدراسات وجود حزامين مشعين تعرفان ضمن مجموعة (فان الن) نسبة إلى مكتشفها حول كوكبنا وقطبيه المغناطيسيين وهذه الأحزمة تختلف بالطول والسمك والمسافة عن سطح الأرض فهما يتسعان عن شمال وجنوب خط الاستواء المغناطيسى للأرض ، بينما يتقلصان فى المناطق القطبية بحيث تنعدم أهميتهما ، وهذه الأحزمة تحتوى على نسبة كبيرة من الأشعة الكونية (بالمقارنة بتلك الموجودة عند ارتفاعات منخفضة) .

إن تكون هذه الأحزمة يكون دائما مرتبطا بتجميع الجسيمات المشحونة بمساعدة المجال المغناطيسى للأرض . وقد وجد أن الحزم الإشعاعى الداخلى يمتد من (٦٠٠ إلى ٦٠٠٠ كم) من سطح البحر ، ولكن عند مناطق محدودة فانه ينخفض إلى ارتفاعات تبلغ ٣٠٠ كم ، ويتكون هذا الحزام أساسا من بروتونات عالية الطاقة تصل إلى (١٠٠ مليون الكترون ڤولت) بينما عند الحزام الخارجى من (٢٠ إلى ٦ × ١٠ كم)[١١٤] من سطح البحر ويتكون هذا الحزام أساسا من الالكترونات الناتجة من الشمس والتى تبلغ طاقتها اقل من ١٠٠ كيلو الكترون ڤولت .

بالإضافة إلى التأثير المباشر للأشعة الكونية على الكائنات الحية فإنها قد تؤدى إلى إنتاج بعض (النويدات) المشعة فى الغلاف الجوى نتيجة تفاعلها مع مكونات هذا الغلاف حيث تتفاعل النيوترونات الكونية مع النتروجين ـ ١٤ (أحد نظائرالنتروجين) مكونة كربون ـ ١٤ المشع (أحد نظائر الكربون) طبقا للتفاعل التالى (نيتروجين ـ ١٤ + نيوترون ——— كربون ـ١٤+ بروتون) .

وينتشر الكربون ـ١٤المشع فى الغلاف الجوى حتى يصل إلى سطح الأرض ، فيدخل فى تركيب جميع الكائنات الحية الموجودة على الأرض بنسبة ثابتة كذلك تتكون بعض النظائر مثل (الكالسيوم ـ٤١ والبوتاسيوم ـ ٤٠ والكلور ـ ٣٦ بالإضافة إلى التريتيوم ـ٣ والبريليوم ـ٧ .

(٤) الفوتون : هو الطاقة الإشعاعية الموجودة على الحزمة الكهرومغناطيسية .



شكل (٣)

جـــــدول

الجرعات السنوية الناتجة عن الأشعة الكونية فى بعض الاماكن

وعلى ارتفاعات مختلفة من سطح الأرض

المكـــــان	الجرعة السنوية (ميلى ريم)
سطح البحر عند خط الاستواء	٢٣
الجزر البريطانية	٥٠
على ارتفاع ٢ كم من سطح البحر	٥٦
على ارتفاع ٢٠كم من سطح البحر	حتى ٥٦٠٠

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

رغم أنف المكابرين والملحدين

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

معجزة

قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

الملل

كان عمرو بن العاص يركب بغلة قد شمط وجهها هرما ، فقيل له : اتركب هذه وأنت على اكرم مكانة بمصر ؟

فقال : لاملل عندى لدابتى ما حملتنى ، ولا لامراتى ما أحسنت عشرتى ، ولا لصديق ماحفظ سرى .

إن الملل من كواذب الأخلاق .

المأمون والخادم

نادى المأمون بالخادم ، فلم يجبه ، ثم نادى ثانيا وصاح : ايا غلام .

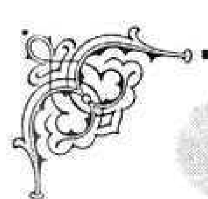
فدخل غلام تركى يقول : اما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ أكلما خرجنا من عندك صحت ياغلام ، ياغلام !!

فنكس المأمون رأسه ؛ فما شك أحد أنه سيأمر بضرب عنق الغلام ، ولكنه قال : إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ؛ ساءت اخلاق خدمه وإذا ساءت أخلاقه حسنت اخلاق خدمه . ولا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا .

سيجعل الله بعد عسر يسرا

حدث محمد بن يزيد ، قال : كان ثابت قطنة قد ولى عملا من أعمال خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر .

فقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عى بيانا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوَّال .



وإلا أكن فيكم خطيبـا فـإننى
بسيفى إذا جـد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان . [ويقال : الأحنف بن قيس]

فقال : والله ماعلا ذلك المنبر أخطب منه .

هذا صوت رحمته

كان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الله أيام خلافته فسمع صوت رعد ، ففزع سليمان ووضع صدره على مقدم رحله

فقال له عمر : هذا صوت رحمته فكيف صوت عذابه ؟

أقبح الأعمال

- أقبح عمل الظالمين : الانتقام .
- وأقبح عمل الواعدين : البخل .
- وأقبح عمل القادرين : الظلم .
- وأقبح عمل الأشراف : الكبر .
- وأقبح عمل السلطان : الجور .

فصاحة امرأة

جاءت امرأة إلى قيس بن سعد بن عبادة فقالت له : مشت جرذان بيتى على العفاء .

فقال : سأدعهم يثبون وثوب الأسود ، ثم أرسل لها ما ملأ البيت ؛ من سائر الحبوب والأطعمة .

والعفاء : التراب

ومرادها : أنه لم يبق فى بيتها شىء يأكله الفأر .

لا تطيلوا الجلوس

دخل قوم على مريض فأطالوا ، ثم قالوا عند انصرافهم : أوصنا شيئاً .

فقال : أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا أعدتموه .

كريم النفس

قال حاتم الطائى :

شربنا بكأس الفقر يوما وبالغنى
وما منهما إلا سقانا به الدهـر
فما زادنا بغيا على ذى قـرابة
غنانا ولا أزرى بأحسابنـا الفقر

السوء والفحشاء

الفرق بين السوء والفحشاء : أن السوء مقدمات الزنا ، والفحشاء نفس الفعل.

وقيل السوء : الفعل بجهالة فى الصغر والفحشاء : الفعل بجهالة فى الكبر .

دعـــاء

اللهم اغفر لى كل ذنب أذنبته ، وكل خطيئة أخطأتها .

اللهم إنى أتقرب إليك بذكرك ، وأستشفع بك إلى نفسك ، وأسألك بجودك أن تدنينى من قربك ، وأن توزعنى شكرك ، وأن تلهمنى ذكرك .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

عبدة الأهواء

لفضيلة الأستاذ الشيخ
محمد محمد المدنى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

من سمات الشرائع السماوية محاربة الهوى . لانه اوسع الأبواب إلى الشرك بالألوهية .
والله الذى خلق النفوس ابتلاها بالهوى حتى يتبين المفسد من المصلح .
والنفس البشرية نزاعة دائماً إلى الهوى . تهفو إليه وتصبو إلى داعيه ، وهنا يظهر الوازع الدينى الذى يصد الهوى ولكنه يتفاوت قوة وضعفا فإذا كانت الأنانية متسلطة والفردية مُؤْثَرَةٌ ، ضعف الوازع واصبح الإنسان اسير هواه .
اما إذا كان الوازع الدينى هو المهيمن والمسيطر . توارى الهوى خجلا وانزوى فلا تكاد تسمع له ركزا .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

يقول أهل العلم : إن من المقاصد التى جاءت لها الشرائع ، إشعار الناس بأنهم عبيد لله اختياراً ، كما انهم عبيد له اضطرارا .

ومعنى هذا : أن الناس جميعاً مخلوقون لله عز وجل ، وأنهم معتمدون فى بقائهم مدة ما يعيشون على فضل الله ورحمته وإمداده ، فإذا انقطع عنهم هذا الفضل وذلك الإمداد طرفة عين هلكوا ، واصبح علمهم وتجاربهم وما لهم من حيل أو عمل باطلا لايغنى عنهم فتيلا ، ولا ينفعهم نقيراً ؛ وهم لذلك عبيد لله فى الواقع ، لايرجع الأمر فى ذلك إلى اختيار منهم ، فهم مربوطون بهذا الكون لا ينفكون عنه ، مأخوذون بسنته رضوا أم ابوا .

ومن جهة أخرى هم خاضعون لإرادة الله فى وجودهم وهيئاتهم ، ودرجات عقولهم وحظوظهم ؛ فإن أحدا لم يوجد فى هذه الحياة باختيار منه ، ولم يختر الهيئة التى صور عليها من طول أو قصر ، أو جمال او دمامة ، أو قوة أو ضعف ؛ وإن أحداً لم يختر لنفسه ان يكون على درجة كذا من العقل ، أو أن يكون ذا قسط معين من حظوظ الحياة ، فالحياة تجرى على ما اراده الله لها ، والناس يجرون كما خلقهم الله ، والكل خاضعون خضوعا فعليا اضطراريا لما هم عليه ، أو لما هم فيه ، لا يحاولون ولا يستطيعون منه فكاكا .

هذا الخضوع الواقعى الاضطرارى هو عبودية الناس ، بل عبودية كل شىء لله سبحانه خلقاً وتكويناً : أما العبودية التى قصدت الشرائع

أن يشعر بها الناس : فهى عبودية الطوع والاختيار ، وذلك إنما يكون بالنزول على حكم الله ، مع الثقة بأنه الخير والحق والرشاد .

* * *

إن النفوس البشرية نزاعة دائما إلى اتباع الهوى ، فقد فطرت على ماتسميه « بالأنانية » فكل امرىء يريد أن يكون هو الفائز بأكبر قسط من متاع الدنيا ، وكل امرىء يريد أن يكون هو الناجي من جميع آلامها وصعابها ، وهو لهذا ينظر إلى الأشياء بعين نفسه ، ويزن الضار والنافع بمقدار مايعود عليه هو من النفع والضرر ، وقلما يخرج الإنسان على هذه الطبيعة ، وإن تحمل وتجمل وتهذب ولبس ثوب الإيثار ، فإنه سيظل فى أسر هذه الطبيعة ولو بعقله الباطن ، وتصرفاته « اللاشعورية » ؛ ولهذا لم يكن بد من أن يحال بين هذه الطبيعة السارية فى جنس الإنسان ، وإفساد هذا الكون ؛ ولهذا كانت الشرائع ، وكان أهم شىء فيها هو محاربة « الهوى » لأن الإنسان إذا تحرر من هواه ، فقد تحرر من أخطر أنواع الشرك بالألوهية ، وألقى بنفسه بين أحضان الإيمان الصحيح ، والتوحيد الخالص ، وكان عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً .

وإننا لنجد فى القرآن الكريم بيانا واضحا لهذا المعنى : فالله سبحانه وتعالى يصف « الهوى » بأنه إله إذ يقول : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ ؛ وذلك تصوير بليغ لانسياق الإنسان واندفاعه وراء ميوله ورغباته ؛ كما يندفع العابد فى تحقيق أمر معبوده ، طلبا لرضاه ، وتقربا إليه .

وقد يتصل بهذا أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ فإن هذه الآية إذا نُظر فيها مع قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ تبين أنها تشير إلى خطر الأهواء وشدة إفسادها للسموات والأرض إذا حكمت ، فإن الله لم يذكر فساد السموات والأرض على هذا النحو إلا حين تحدث عن التعدد فى الألوهية ، واتباع الحق أهواء المبطلين .

وقد حذر الله من هذا الفساد نبيا ملكا من أنبيائه الكرام ، هو داود - عليه السلام - إذ يقول : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . وإذا كان ملك الله - جل جلاله - وهو السموات والأرض ومن فيهن ومالا يعلم إلا الله ، معرضا لأشد الفساد إذا اتبع الحق أهواء المبطلين ؛ فأولى بذلك ملك الناس ولو كانوا ملوكا أنبياء .

وقد صرنا إلى زمان اتبعت فيه الأهواء ، وسيطرت على الدول والأمم فيه النزعات والمذاهب البشرية ، فمن نازية إلى فاشية إلى ماركسية إلى ديمقراطية تتلون بلون الانجليز تارة ، وبلون الفرنسيس تارة ، وبلون الأمريكان أحيانا ، بل يكون لها معنى فى الغرب ، ومعنى فى الشرق ، ويعرفها المستعمرون على وجه ، والمستعمرون على وجه آخر ، أو على وجوه أخر ، وهكذا ظلمات من الأهواء بعضها فوق بعض ، والشعوب تتلظى بنيران المتخاصمين عليها ، والمتعصبين لها ، فلا تفيق من حرب إلا إلى حرب ، ولا تعالج مشكلة إلا لتقع فى مشكلات ، وكلما امتد الزمان بهذه الأهواء المتضاربة ، والنحل المتغالبة ، افتن أصحابها فى ابتكار وسائل الهلاك والدمار ، والحرب الغازية تتلوها « القنبلة الذرية » ثم حروب الأمراض والأوباء تبث فى الناس فتعمى بها الأبصار ، وتشوى بها الجلود والأبشار ،

من روائع الماضى

وينتقل بها سكان الأكواخ والقصور، إلى الأرماس والقبور. ذلك وما يعانيه الناس من الفاقة والضيق، والخوف والعوز، أشد عليهم وأنكى من هذا الموت المرتقب؛ فإنه ما من شعب الآن إلا وقد ضوت منه الجسوم، وخوت البطون، وشحبت الوجوه، واضطربت الأعصاب، وغامت العيون وكأنما هى سنو يوسف غير أنها ليست سبعا، وقد مضى منها حتى اليوم عشر، ولا يدرى أحد إلا الله إلام تمتد، وهل تخف حدتها أو تشتد.

لعمرى ما نكبت البشرية بذلك إلا من اتباع الأهواء، وازورار الناس عن أن يكونوا عبيداً لله اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً.

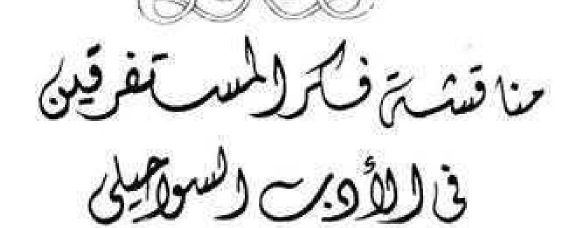
إن أمر الناس والأديان اليوم دائر بين أمة خلعت رداءها، ونبذت أحكامها وتكاليفها، وتحللت منها علانية فى غير خفاء ولا تورع، وأمة تمسكت بها رسماً لاحقيقة، واحتفظت بها كتقليد ورثته فأبقت على صورته؛ ولاتكاد تجد أمة تتمسك بدينها، وتبنى جميع أمورها عليه، وتدير شئونها حسب رسومه، ومن عجب أنهم يعتبرون ذلك رقياً فى الحياة، وتخلصاً من آثار القرون الأولى، وانفلاتا من قيود الرجعية؛ وإذا رأوا داعياً إلى الدين، ومنذراً ينذرهم لعلهم يرجعون، سخروا منه، ورموا بأباطيلهم فى وجهه، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴾

لقد قلت ومازلت أقول: «إن العالم لفى حاجة إلى دعوة صادقة مخلصة ترسم له سبل الحياة السعيدة، وتصنع له أسس الاستقرار والسكينة، وتجمع فى تعاليمها بين المادية والروحية: فلا تسمح لإحداهما بأن تطغى على الأخرى، ويشعر فى ظلالها كل فرد بأنه لبنة فى بناء المجتمع، وتأخذ الفطرة الصافية فيها حظها الطبيعى فى كل ناحية من نواحى الحياة، فلا أثرة ولا استئثار، ولامعاندة لما طبع الله عليه العالم من التفاوت فى المال، والمواهب والاختصاص، ولا تحكم ولاتمرد، ولاعصبية لجنس على جنس، ولا امتياز للون على لون، ولاغمط لحق، ولا انتصار لباطل، ولاترويج لرذيلة، ولاتنكر لفضيلة. ولن يجد العالم هذه الدعوة الصادقة المنقذة إلا فى «الإسلام» ولو ظل قرونا من الدهر ينظر إلى «الكتلتين»، ويرجع البصر كرتين. فليت شعرى إلام يقبع المسلمون فى ديارهم وأوطانهم منكمشين يطرقها عليهم الطارقون، فإما فتحوها لهم كارهين، وإما ظلوا من ورائها خائفين يترقبون!

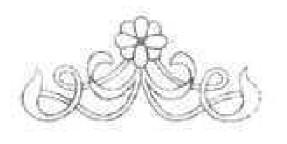
الا إنهم لأرباب دعوة، وأصحاب فكرة، ودعوتهم هى النور المبين الذى به تمحى ظلمات الجهل والشرك والهوى والفساد، والعلاج الحاسم لأدواء هذا العالم التى حار فيها المتطببون؛ فليخوضوا بدعوتهم كل مخاض، وليعرضوها على العقول بيضاء نقية؛ كما جاء بها محمد - صلى الله عليه وسلم - وليلقوا بها فى وجوه أهل الباطل وما اصطنعوا من دعوات الهوى والضلال، فإن الحق سيزهق الباطل، وإن عصا موسى ستلقف ما يأفكون.

اللغة والأدب والنقد

ذلك المجمع المفتوح في لغتنا الخالدة



مناقشة فكر المستشرقين
في الأدب السواحيلي



محمد إقبال ويوم من حياته

ذلك الجمع المفتوح في لغتنا الخالدة

بقلم
د. عبد الرءوف محمد عثمان

* الا وإنما نقصد بالجمع المفتوح ما اعتاد المعربون ان يطلقوا عليه جمع المؤنث السالم وهى تسمية فيها شيء من التسامح . ورحم الله ابن هشام إذ يقول[1] « .. ولذلك عدلت عن قولهم جمع المؤنث السالم إلى ان قلت الجمع بالألف والتاء لأعم جمع المؤنث وجمع المذكر وما سلم فيه المفرد وما تغير ، وهو فى ذلك تابع لإمام المتاخرين ابن مالك حيث يقول فى خلاصته « الألفية » .

وما بتا وألف قد جمعا
يكسر فى الجر وفى النصب معا

ومع أن هذا الجمع مفتوح ليدخل فيه ما شاء الله أن يدخل من شتى المفردات مذكرها ومؤنثها سالمها من التغيير فى المفرد كضخْمة وضخْمات وغير سالمها كسجْدة وسجَدات وحبْلى وحبْليات وصحراء وصحراوات ، فإن الأول محرك الوسط فى الجمع والثانى قلبت ألفه ياء والثالث قلبت همزته واوا ـ فقد اشترطوا فى الألف والتاء أن تكونا مزيدتين معا ، فلو كانت التاء أصلية كما فى بيت وأبيات وميت وأموات فإن الجمع ينصب بالفتحة على الأصل قال تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾[2] وإن كانت الألف أصلية كما فى قضاة وغزاة فإن أصل قضاة قُضَية وأصل غزاة غُزَوة لأنهما من قضيت وغزوت فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفين فلذلك ينصبان بالفتحة على الأصل تقول رأيت قضاةً وغزاةً .

ويقتضينا المقام هنا أن ندلل على ما لهذا الجمع من مزية انفتاح دون ماسواه من الجموع ، فنسوق ما يطرد فيه هذا الجمع أولاً ، ثم نسوق ما يغزوه من مفردات قد تكون أحياناً بمنأى عنه .

اولا ما يطرد فيه هذا الجمع وهو نوعان :
النوع الأول ما يطرد فيه من جنسه « التانيث » ، وذلك فيمايلى :

---

(١) انظر قطر الندى وبل الصدى ص ٥١ بتحقيق العلامة محمد محيى الدين عبد الحميد تغمده الله برحمته .
(٢) من الآية ٢٨ من سورة البقرة .

١ - أعلام الإناث مختومة بالتاء كفاطمة وعائشة أو مجردة منها كزينب ومريم .

٢ - ما ختم بالتاء مطلقاً سواء أكان اسما كشجرة وزهرة ونملة أو وصفا لأنثى كعاقلة ومنصورة ونبيهة ، أو علما لمذكر كحمزة ومعاوية وطلحة ومن هذا قول الشاعر :

رحم الله أعظماً دفنوها
بسجستان طلحة الطلحات[٣]

ويستثنى مما ختم بالتاء مايلى :

(أ) امرأة فإنها تجمع على نساء أو نسوان بكسر النون فيهما ، ونسوة بكسر النون وضمها .

(ب) أَمَة وهى المملوكة وجمعها إماء وزان كتاب ، أو إموان وزان إخوان ، أو آمٍ وزان قاضٍ .

(جـ) أُمَّة بضم الهمزة وتشديد الميم وهى الطريقة والدين كقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[٤]اى كنتم خير اهل دين ، والامة ايضاً الحين وفى التنزيل : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[٥] وفيه ايضاً : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾[٦] . وجمع امة امم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[٧] وقوله ايضاً : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾[٨] وقوله اخيراً : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[٩] .

(د) شفة أصلها شفهة وتصغر على شفيهة وينسب إليها فيقال شفهى وتجمع شفة على شفاة .

(هـ) شاة وتجمع على شياه بانهاء لأى عدد من ثلاث إلى العشر فإذا جاوزت العشر فالجمع : شاء بالهمزة تقول هذه شاء كثيرة وجمع الشاء شَوِيّ وزان غنيّ .

(و) ويستثنى كذلك نحو لؤلؤة وجوهرة فإن جمعها لآلىء وجواهر .

٣ - ماختم بألف التأنيث المقصورة ؛علما كسلوى ونجوى تقول فيهما سلويات ونجويات،أو وصفا ككبرى وفضلى فإنك تقول فيهما كبريات وفضليات ، ويستثنى من ذلك فعلى مؤنث فعلان كغضبى وعطشى وريَّا وظمأى فإنها تجمع جمع تكسير على فِعال (بكسر الفاء) فتقول فيها غِضاب وعِطاش ورِواء وظِماء ، ولا يجوز أن تجمع بالألف والتاء ، كما لايجوز أن يجمع مذكرها غضبان وعطشان وريَّان وظمآن بالواو والنون وإنما تجمع جمع تكسير كما فى قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا

٤ - ماختم بألف التأنيث الممدودة اسما كصحراء وحرباء ، ووصفا كهطلاء تقول جبت الصحراوات وعجبت من تلون الحرباوات وتقول ديمة هطلاء وديم هطلاوات ويستثنى من ذلك فَعْلاء مؤنث افعل مثل صماء مؤنث أصم وبكماء مؤنث ابكم وعمياء مؤنث اعمى وزرقاء مؤنث أزرق وخضراء مؤنث أخضر فإنها تجمع مؤنثة

←

---

(٣) سجستان اسم بلد وهو معرب سكستان وطلحة الطلحات هو طلحة بن عبيدالله بن خلف وسمى بذلك لأن امه صفية بنت الحارث بن طلحة رضى الله عنه .
(٤) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران .
(٥) من الآية ٤٥ من سورة يوسف .
(٦) من الآية ٨ من سورة هود .
(٧) من الآية ٤٢ من سورة الانعام .
(٨) من الآية ٣٠ من سورة الرعد .
(٩) من الآية ٦٣ من سورة النحل .

← ذلك الجمع المفتوح

ومذكرة على فُعْل ، بضم فسكون ، وإلى ذلك يشير ابن مالك .

فُعْل لنحو احمر وحمرا[10]

قال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[11] وقال : ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[12] وقال أيضاً : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ ﴾[13] .

لكن إذا غلب جانب الاسمية على الوصفية جاء الجمع بالألف والتاء كما في « ليس في الخضروات صدقة » وهي البقول .

النوع الثاني مايطرد فيه من غير جنسه « التانيث » وذلك فيمايلي :

١ ـ مصغر ما لا يعقل كنهير وجبيل تقول فاضت النهيرات وتسلقت الجبيلات .

٢ ـ صفة ما لا يعقل مثل شاهق وشامخ وهما صفتان للمرتفع من الأبنية وغيرها تقول هذه قصور شاهقات ، وتلك جبال شامخات .

٣ ـ كل خماسي لم يسمع له جمع تكسير مثل سرادق وهو مايمد فوق سطح البيت ، وحمام واصطبل « موقف الدواب » وعنوان ، تقول في جمعها على التوالي سرادقات وحمامات واصطبلات وعنوانات لا عناوين .

٤ ـ ماصدر بابن أو ذي من أسماء ما لايعقل كابن آوى وذي الحجة تقول فيهما اختبأت بنات آوى ، ومرة ذوات الحجة .

٥ ـ كل مصدر جاوز فعلة ثلاثة أحرف: فمن مصدر الرباعي تنبيه وتنبيهات وتنظيم وتنظيمات ، ومن مصدر الخماسي انتصار وانتصارات واحتمال واحتمالات ، ومن مصدر السداسي استفسار واستفسارات واستنتاج واستنتاجات[15] .

ثانياً : مايغزوه هذا الجمع من مفردات وهي نوعان :

النوع الأول مايغزوه من جنسه « التانيث » وذلك فيمايلي :

١ ـ حَصَان : بفتح الحاء تقول هذه امرأة حصان إذا كانت عفيفة أو متزوجة جمعها حصانات .

٢ ـ خَوْد : بفتح فسكون وهي الفتاة الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة جمعها خودات « بسكون الواو » وهذا هو الأصل ، ولها جمع آخر غير قياسي هو خود « بضم أوله » على وزن فُعْل .

٣ ـ أرض : وهي اسم جنس مؤنثة ، وكان حق الواحدة فيها أن يقال لها أرْضه بسكون الراء ، ولكنهم لم يقولوا ذلك ، جمعها أرَضات بفتح الراء ، وتجمع قياساً على أُروض بالضم ، وأراض بالمد وسماعاً على أراض .

٤ ـ الكأس : الإناء يشرب فيه مؤنثة مهموزة ، جمعها كاسات وتجمع قياساً على أكؤس وكئوس بالضم وكئاس بالكسر وأكواس لكن هذا الجمع

---

(١٠) والمشطور الآخر .... وفِعْلة جمعا بنقل يدرى .
(١١) من الآية ١٨ من سورة البقرة .
(١٢) من الآية ١٠٢ من سورة طه .
(١٣) من الآية ٣١ من سورة الكهف .
(١٤) الفيصل في ألوان الجموع للأستاذ عباس أبو السعود ط /دار المعارف .
(١٥) المرجع السابق .

الأخير لم يرد فى المعاجم ولكنه ورد فى الشعر قال العرجي :

فبت أسقى بـأكواس أعـل بهـا
من بارد طاب منها الطعم والنسم

٥ ـ الشناط : بكسر الشين هى المرأة الحسنة اللحم واللون ، جمعها شناطات وتجمع قياساً على شنائط لأن المفرد رباعى مؤنث كشمال وشمائل .

٦ ـ السراويل : ثوب معروف مؤنثة وقد تذكر جمعها سراويلات ، وقيل إنها جمع سروال أو سروالة بكسرها .

٧ ـ السلاح : مايقاتل به فى الحرب ويدافع جمعه سلاحات على أنه مؤنث .

النوع الثانى مايغزوه من غير جنسه « التأنيث » وذلك فيما يلى :

١ ـ جوز : بفتح فسكون وهو وسط الشيء ومعظمه ، وهو أيضاً ثمر معروف معرب « كوز » جمعه جوزات .

٢ ـ أهل : أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه ، جمعه أهلات بسكون الهاء وفتحها ويجمع أيضاً على أهال قياساً وسماعاً على أهال ويجمع أيضاً على أهلين فيلحق بجمع المذكر السالم فهو إذاً مشترك بين الجمعين قال تعالى : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾(١٦) وقال الشاعر :

ومـا المال والأهلـون إلا ودائع
ولابد يومـا أن ترد الـودائع

٣ ـ الحديد : معدن معروف وسمى بهذا الاسم لأنه منيع جمعه حديدات ويجمع أيضاً على حدائد جمعا غير قياسى .

٤ ـ الطاق : ماعقد من الأبنية جمعه طاقات ، ويجمع قياساً على طيقان بالكسر كتاج وتيجان ونار ونيران .

٥ ـ رمضان : وهو شهر الصوم المعروف جمعه رمضانات على لفظه وله جموع أخرى غير قياسية : هى ارمضة وارمض ويشترك مع جمع المذكر السالم فيقال فيه رمضانون .

٦ ـ الساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق ، جمعه ساباطات على لفظه ويجمع أيضاً على سوابيط وزان فواعيل .

٧ ـ الهواع : بضم الهاء وزان غراب اسم ذى القعدة جمعه هواعات ويجمع أيضاً جمعاً قياسياً على اهوعة .

٨ ـ الصعيد : بلاد بأعلى مصر ويطلق على التراب وعلى وجه الأرض جمعه صعدات ومنه « إياكم والقعود بالصعدات » .

اثر الانفتاح فى هذا الجمع :

أولاً : قلة الملحق بهذا الجمع بالقياس إلى أخيه جمع المذكر السالم،فلم يلحق به إلا لفظة واحدة وهى أولات اسم جمع بمعنى ذوات لاواحد له من لفظه مفرده فى المعنى ذات بمعنى صاحبة قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ ﴾(١٧) وقال أيضاً : ﴿ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(١٨) .

وقد ألحقوا بهذا الجمع ماسمى به من جمع المؤنث السالم ، ونتيجة لانفتاح هذا الجمع أبقوا إعرابه على ما كان عليه قبل التسمية ، ولا يحذف تنوينه لأنه تنوين المقابلة .

قال الأخفش : إنما نون لأن التاء فيه صارت بمنزلة الياء والواو فى مسلمين ومسلمون وصار

(١٦) من الآية ٦ من سورة التحريم .
(١٧) من الآية ٦ من سورة الطلاق .
(١٨) من الآية ٤ من سورة الطلاق .

ذلك الجمع المفتوح

التنوين بمنزلة النون فيهما ، ولهم فيه إعرابان آخران :

أولهما : حذف تنوينه مراعاة للعلمية والتأنيث ، ولكن يعربه على ماكان عليه قبل التسمية ، فيجره وينصبه بالكسرة ومن هؤلاء سيبويه[19] .

وبعضهم يعربه إعراب ما لا ينصرف فيحذف تنوينه ، ويجره وينصبه بالفتحة وروى بالأوجه الثلاثة السابقة قول امرىء القيس في محبوبته :

تنورتها من أذرعات وأهلها
بيثرب أو في دارها نظر عالى[20]

روى بالجر بالكسرة مع التنوين مراعاة لحال الجمع وبالجر بالفتحة مراعاة للعلمية والتأنيث وبالجر بالكسرة بدون تنوين مراعاة للحالين ، وهذه الأوجه الثلاثة أثر من آثار الانفتاح في هذا الجمع ، ولذلك فإننا لا نجد هذه الميزة فيما سمى به من أعلام الأناسىّ التى أصلها جمع مذكر سالم ، فإنها تعرب على الأرجح بالحركات على النون رفعاً ونصبا وجرا تقول: فاز زيدونٌ وأكرمت زيدوناً وشكرت لزيدونٍ .

ثانياً : وجوب فتح عين هذا الجمع إذا توافرت فيه هذه الشروط :

١ ـ أن يكون اسما لا صفة:فخرج نحو ضخمة .

٢ ـ أن يكون ثلاثيا: لا نحو زينب .

٣ ـ أن يكون ساكن العين سالمها فخرج بذلك شجرة ، وجور[21] وجنة مثلثة الجيم .

٤ ـ أن يكون مفتوح الفاء:لا نحو دمية ، وذروة .

فما استكمل هذه الشروط مختوماً بالتاء حملة وسجدة وظبية ومجرداً منها دعد وشمس تقول في جمعها حملات وسجدات وظبَيات ودعدات وشمسات بفتح العين في جمعها جميعها ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾[22] بفتح السين وقول عبد الله بن عمر العرجي في محبوبته ليلى :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا
ليلاى منكن أم ليلى من البشر[23] .

بفتح الباء في ظبيات وأما قول بعض العذريين « هو عروة بن حزام في محبوبته عفراء » .

وحُمِّلتُ زفْرات الضحى فأطعتها
ومالى بزفْرات العشىّ يدان[24]

بتسكين فاء زفرات فضرورة « الزفرات جمع زفرة وهى خروج النفس مع أنين لكثرة الأحزان » أما إذا انتفى الشرط الأخير بأن كان المفرد مضموم الفاء أو مكسورها فإنه يجوز فى عين الجمع ثلاثة أوجه : الفتح والإسكان ، وإتباع العين للفاء فى الضم والكسر .

فمن مضموم الفاء مختوماً بالتاء : غرفة

---

(١٩) الكتاب لسيبويه .
(٢٠) أذْرِعات بكسر الراء وقد تفتح بلدة بالشام ينسب إليها الخمر .
(٢١) جور : اسم بلد بفارس بناها بهرام من ملوك الفرس ، وتنسب إليه فيقال : بهرام جور ، وينسب إليها الورد الأحمر الجورى . انظر هامش شذا العرف تحقيق الأستاذ مصطفى السقا باب كيفية جمع الاسم جمع مؤنث سالما .
(٢٢) من الآية ١٦٧ من سورة البقرة .
(٢٣) القاع أرض سهلة مطمئنة وغالبا مايكون مليئا بالظباء .
(٢٤) شذا العرف فى فن الصرف ص ١٠٥ ط / مصطفى البابى الحلبى وأولاده .

وفرصة وقدرة ومجردا منها نحو : جُمْل بضم فسكون علما لأنثى تقول فى جمع الاسم الأول غَرَفات بفتح الراء وغُرْفات بسكونها وغُرُفات بضم الراء اتباعاً لضمة العين وكذا بقية الأمثلة ، ومن مكسور الفاء مختوماً بالتاء رحلة وقرية ونعمة ومجرداً منها : هند . تقول فى جمع الاسم الأول منها رِحَلات بفتح الحاء ورِحْلات بسكونها ورحلات بكسرها اتباعاً لحركة الراء وكذا بقية أخواتها .

وإذا كانت لام مضموم الفاء ياء كدمية للصورة المنقشة وزُبية لحفرة الأسد أو لام مكسورها واوا كذروة لأعلى الشيء ، وحذوة للعطية امتنع الاتباع لثقل الضمة قبل الياء فى جمع المثالين الأولين ، ولثقل الكسرة قبل الواو فى المثالين الأخيرين ، ويبقى فى جمع كل منها الفتح والتسكين[٢٥] .

تقول فيها دمَيات بفتح الميم ودمْيات بسكونها ، وكذا زبيات بفتح الباء وزبيات بسكونها ، وذروات بفتح الراء وذروات بسكونها ، وحذوات بفتح الذال وحذوات بسكونها وشذ من مكسور الفاء قولهم جروات بكسر الراء اتباعاً لكسرة الجيم جمع جِروة وهى الأنثى من ولد الكلب والسبع .

وإلى كل ذلك يشير ابن مالك فى خلاصته بقوله :

والسالم العين الثلاثى اسما أنل
اتباع عين فاءه بما شُكِل
إن ساكن العين مؤنثا بدا
مختتما بالتاء أو مجرداً
وسكن الثانى غير الفتح أو
خففه بالفتح فكلاً قد رووا
ومنعوا اتباع نحو ذروة
وزُبية وشذّ كسر جِروة

ثالثاً : ينصب هذا الجمع بالكسرة نيابة عن الفتحة فى نظير أن تنوب الفتحة عن الكسرة فى الممنوع من الصرف ، ونتيجة لهذا الانفتاح لم يلتزموا النصب بالكسرة فى محذوف اللام الذى لم ترد إليه فى الجمع كما فى لغات[٢٦] وبنات وثبات ، فقد أجاز بعض النحاة[٢٧] نصب مثل هذه الجموع بالفتحة لا الكسرة كما هو معهود فى نصب جمع المؤنث السالم .

فإن ردت اللام فى الجمع نصب بالكسرة كما فى سنوات وأخوات وهنوات .

صلة الجمع المفتوح بغيره من الجموع :

يشارك جمع المؤنث السالم جمع التكسير[٢٨] فى أوزانه الدالة على القلة وهى أفعِلة ، أفعُل ، فِعْلَة أفعال إلا إذا اقترن جمع المؤنث بأل الدالة على الاستغراق كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾[٢٩] فإنه حينئذ يدل على الكثرة كما

(٢٥) الفيصل فى ألوان الجموع .

(٢٦) اللغة اصلها لُغَو او لُغَى على وزن فُعَل فى كل منهما تحركت الواو او الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ثم حذفت وعوض منها التاء .

(٢٧) فقد حكى احمد بن يحيى ثعلب ان من العرب من ينصبه بالفتحة الظاهرة نحو سمعت لغاتهم ورأيت بناتك ووافقه على ذلك الكسائى وابن سيده ورووا على هذه اللغة قول ابى ذؤيب الهذلى :

فلما جلاها بالأيام تحيزت ثباتا عليها ذلها واكتئابها

(٢٨) انظر هامش اوضح المسالك تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ص ٦٩ وكذلك يشارك جمع المذكر السالم جمع التكسير فيما شارك فيه جمع المؤنث السالم .

(٢٩) من الآية ٣٥ من سورة الأحزاب .

ذلك الجمع المفتوح

فى الآية السابقة التى جمعت بين جمعى التصحيح .

وكذلك إذا وصف جمع المؤنث السالم فإنه حينئذ يدل على الكثرة وقد اجتمع الأمران « اقتران أل مع الوصف » فى قول حسان بن ثابت - رضى الله عنه .

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[٣٠]

والفخر بالكرم يقتضى وفرة الجفنات .

٢ - ونجد اسم الجنس الجمعى الذى يمتاز واحده بالتاء كشجرة مفرد شجر وزهرة مفرد زهر ، نجد مفرد هذا الجمع يجمع جمع مؤنث سالم فتقول فيه شجرات وزهرات ، وحتى اسم الجنس الجمعى الذى يمتاز واحده بالياء كما فى العرب الذى يقال فى مفرده عربى ، فقد قالوا إنما سموا عربا لأن البلاد التى سكنوها تسمى العربات .

٣ - ونجد هذا الجمع المفتوح يشارك جمع المذكر السالم فى أن كليهما يدل على القلة لا الكثرة كما أسلفنا ، كما تشترك بعض المفردات بين الجمعين كما فى أهل فإنها تجمع على أهلات وعلى أهلين ، وكما فى رمضان فقد قالوا فى جمعه رمضانات ورمضانون .

بين الجمع المفتوح والجمع المحكم :

يجرنا الحديث عن الجمع المفتوح إلى جمع آخر هو جمع المذكر السالم وهو ما نعنيه بالجمع المحكم وإنما كانت المقارنة بينهما لوصف كل منهما بالسلامة . هذا الجمع المحكم له شروط قاسية لا نجدها فى أخيه ذلك الجمع الذى معنا فلا يجمع جمع مذكر سالما إلا أعلام الذكور وأوصافهم ثم اشترطوا فى العلم[٣١] شروطا هى : أن يكون علما لمذكر عاقل خالياً من تاء التأنيث ومن التركيب . فإن لم يكن علما لم يجمع بالواو والنون فلا يقال فى رجل رجلون نعم إذا صغر جاز لأن التصغير وصف فى المعنى فتقول فى رجيل رجيلون ، وإن كان علما لغير مذكر لم يجمع بهما فلا يقال فى سعاد سعادون ، وكذا إن كان علما لمذكر غير عاقل فلا يقال فى لاحق « اسم فرس » لاحقون ، وإن كان فيه تاء التأنيث لم يجمع هذا الجمع ، فلا يقال فى طلحة طلحون ، وكذا إذا كان مركبا فلا يقال فى سيبويه سيبويهون[٣٢]كما اشترطوا فى الوصف أن يكون صفة لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث ليست من باب أفعل فعلاء ولا من باب فعلان فعلى ولا ممايستوى فيه المذكر والمؤنث :

فلا يجمع هذا الجمع ما كان صفة لمؤنث فلا يقال فى حائض حائضون ، وكذلك ماكان صفة لمذكر غير عاقل مثل سابق (صفة لفرس) فلا يقال سابقون ، ولا مافيه تاء التأنيث مثل علاّمة فلا يقال فيه علامون ولايقال فى أحمر ومؤنثه حمراء أحمرون وكذلك نحو سكران ومؤنثه سكرى سكرانون ، وكذلك نحو صبور وجريح ممايستوى فيه المذكر والمؤنث لايقال فيهما صبورون وجريحون .

إذاً فجمع المذكر السالم لابد فيه من هذه الشروط ، وليس هذا فقط بل لابد أن يسلم فيه

---

(٣٠) الجفنات = القصاع ، الغر والبيضاء والملألئة النجدة = الشجاعة والقوة .
(٣١) يعبر أحيانا عن العلم بالاسم الجامد ليقابل الصفة الآتى ذكرها .
(٣٢) قطرات من علمى النحو والصرف لصاحب هذا البحث .

بناء الواحد زيادة فى الإحكام ، فما لا واحد له من لفظه أو له واحد غير مستكمل لهذه الشروط فليس بجمع مذكر سالم بل هو ملحق به [٣٣] وهذا الملحق إما ألفاظ بعينها وإما أبواب تحتها ألفاظ .

أولا الألفاظ الملحقة :

فقد ألحقوا بهذا الجمع فى إعرابه بالواو والنون رفعا وبالياء والنون نصبا وجرا ألفاظا كثيرة منها :

١- **أولو** : بمعنى أصحاب قال تعالى :﴿ وَمَايَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُو ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣٤]وقوله أيضا : ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٣٥] .

٢ - **ذوو** : جمع ذو بمعنى صاحب قال تعالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٣٦] .

٣ - **أهلون** : جمع أهل ومنه قوله تعالى : ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾[٣٧]وقوله : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [٣٨] .

٤ - **عالمون** : جمع عالَم بفتح اللام وهو الخلق قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٣٩] .

٥ - **ياسمون** : جمع ياسم بفتح السين وكسرها وهو زهر أبيض وأصفر .

٦ - **بنون** : جمع ابن قال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٤٠] وقوله أيضا : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[٤١] .

٧ - **قفون** : جمع قفا ، وتقول قفوت فلانا قَفْوا وقُفُوا إذا ضربت قفاه وقذفته بالفجور صريحا .

٨ - **مرعون** : فى جمع مرء بفتح فسكون .

٩ - **الأقورين** : وفى الصحاح عن الكسائى : « لقيت منه الأقورين » وهى الدواهى العظام ، قال الكميت :

ومن يطع النساء يلاق منها
إذا أغمزن فيه الأقورينا

١٠ - **الأبدين** : وفى الجمهرة قالوا : لا أفعله أبد الآبدين .

١١ - **أسودين وأحمرين** : جمع أسود وأحمر ومنه قول حكيم بن الأعور بن عباس الكلبى :

فما وجدت بنات بنى نزار
حلائل أسودين وأحمرينا

١٢ - **أرضون** : جمع أرض ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : من اغتصب قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة[٤٢] .

(٣٣) المرجع السابق .
(٣٤) من الآية ٢٦٩ من سورة البقرة .
(٣٥) من الآية الثانية من سورة الحشر .
(٣٦) من الآية ١٧٧ من سورة البقرة .
(٣٧) من الآية ١١ من سورة الفتح .
(٣٨) من الآية ٦ من سورة التحريم .
(٣٩) من الآية ١٩٢ من سورة الشعراء .
(٤٠) من الآية ٤٦ من سورة الكهف .
(٤١) من الآية ٧٢ من سورة النحل .
(٤٢) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق/٢ ،ومسلم فى المساقاه ١٣٧ - ١٤٢ .

ثانيا الأبواب الملحقة :

١ ـ **سنون وبابه** : من كل اسم ثلاثى حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر فإن كسر كشفه وشفاه لم يستعمل هذا الاستعمال وبالتالى لايعرب إعراب جمع المذكر السالم . قال تعالى : ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾(٤٣) وعزون جمع عزة وهى الفرقة من الناس قال تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾(٤٤) . وثبون جمع ثبة بضم ففتح وهى الجماعة والعصبة من الفرسان ، ومئون جمع مائة وفئون جمع فئة ، ومن ذلك عضون جمع عضة بكسر ففتح وهى الكذب والبهتان وفى التنزيل ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾(٤٥) ، وظبون جمع ظبة وهى حد السيف أو السنان ولدون جمع لدة بكسر اللام فيهما وهى الترب .

٢ ـ **عشرون وبابه** : وهى الفاظ العقود من عشرين إلى تسعين فهى تشبه جمع المذكر فى الصورة مع أنها لاوحدان لها قال تعالى : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ﴾(٤٦) .

٣ ـ **بعض الفاظ الأسماء الستة** :فقد قالوا أبون فى جمع الأب قال شاعرهم :

بكين وفديننا بالأبينا

وقالوا أخون فى جمع الأخ قال شاعرهم :

وكنت لهم كشر بنى الأخينا

وقالوا حمون فى جمع الحم وهو كل ماكان من قبل الزوج كأبيه وأخيه وفى جمع الهن هنون والهن كناية عما يستقبح ذكره ومنه الحديث : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولاتكنوا »(٤٧) .

٤ ـ كل اسم يشبه لفظه جمع المذكر السالم سواء أكان نكرة كياسمين أوعلما لموضع كصفين وقنسرين وفلسطين ونصيبين ويبرين وأندرين وعليين . تقول فى حالة الرفع نضج الياسمون قال الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسمـ
ـون والمسمعات بقصابها(٤٨) .

وصفون موضع على الفرات كانت به الوقعة العظيمة بين على ومعاوية ، وقنسرون كورة بالشام ، وعليون اسم لديوان الملائكة ترفع إليه أعمال الأبرار الصالحين(٤٩) قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾(٥٠) .

وتقول فى حالة النصب شممت الياسمين وزرنا صفين وقنسرين وفلسطين ونصيبين ويبرين وأندرين ، ووددت أن أرى عليين ومثل ذلك يقال

(٤٣) من الآية ١٢ من سورة الإسراء وكذا من الآية ٥ من سورة يونس .
(٤٤) من الآية ٣٧ من سورة المعارج .
(٤٥) من الآية ٩١ من سورة الحجر .
(٤٦) من الآية ٦٥ من سورة الأنفال .
(٤٧) مسند الإمام أحمد ج ١٣٦/٥ .
(٤٨) الجل = الورد ، المسمعات = المغنيات واحدتهن مسمعة ، القصاب = جمع قاصب وهو الزامر .
(٤٩) وقيل اسم لأعلى الجنة انظر القطرات .
(٥٠) الآيتان ١٨ ، ١٩ من سورة المطففين .

فى حالة الجر قال عمرو بن كلثوم :

الاهبى بصحنك فاصبحينا
ولاتبقى خمور الأندرينا

هذا هو الكثير الشائع وبعضهم يلزمها كلها الياء فى كل حال [٥١] .

وهذه هى الملحقات بجمع المذكر السالم ، ماأكثرها ! فأين ما الحق إذاً بالذى جمع بالألف والتاء ؟ لا تعجب إنها لفظة (أولات) ولفظة واحدة ليست بشيء إذا قيست بالكثرة الكاثرة مما الحق بجمع المذكر السالم ، أليس هذا دليلا وأى دليل على رحابة وسعة صدر جمع المؤنث السالم ، هذا الذى فتح ذراعيه مرحبا بكثير من الألفاظ إلا لفظة (أولات) [٥٢]وكان بوسع النحويين أن يدخلوها فى هذا الجمع المتسامح ، ولهم فى هذا مخرج ومخرج لولا خوفهم من غضب جمع المذكر السالم ، فرأوا أن يلحقوا شيئا ولو يسيرا بجمع المؤنث حتى يشمل الالحاق كلا الجمعين السالمين .

وبعد : فهذا الجمع العظيم فى لغة العرب لغة القرآن الخالد إلى يوم الدين ، وحسبك برهانا على عظمته أنه جمع المؤنث السالم وهو الجمع بالألف والتاء المزيدتين وهو الجمع الكريم وأخيرا هو الجمع المفتوح ، وتعدد الأسماء دليل على عظمة المسمى ، فسلام عليك من لغة الضاد أيها الجمع ، والسلام هو مسك الختام .

د . عبد الرءوف محمد عثمان

ثبت باهم المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم .
٢ - الكتاب لسيبويه .
٣ - أوضح المسالك تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
٤ - اوضح المسالك تحقيق محمد عبد العزيز النجار .
٥ - شذور الذهب تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
٦ - شذور الذهب تحقيق عبد الغنى الدقر .
٧ - قطر الندى وبل الصدى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
٨ - شذا العرف فى فن الصرف للأستاذ الشيخ احمد الحملاوى .
٩ - الفيصل فى الوان الجموع للأستاذ عباس أبو السعود ط/ دار المعارف .
١٠ - قطرات فى علمى النحو والصرف لصاحب هذا البحث .

(٥١) الفيصل فى الوان الجموع .
(٥٢) لايُعترض علينا بما سُمِّىَ به من جمع المؤنث السالم كأذرعات لأن فيه ثلاثة إعرابات أحدها إعراب جمع المؤنث السالم .



في الأدب السواحيلي

تأليف الدكتور
محمد إبراهيم محمد أبو عجل
عرض وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

لقد تعرضت منطقة شرق افريقيا لعدة هجرات إسلامية من اهمها تلك الهجرة التى اشار بها الرسول الكريم .. ﷺ .. على اصحابه ان يفروا بدينهم إلى الحبشة ؛ ذلك لان فيها ملك لا يظلم عنده احد .

وطاب للمسلمين المقام عند ملك الحبشة ، واكرمت وفادتهم ، ومنعوا حين أرسلت قريش في طلبهم ، واعطت تلك الهجرة للمسلمين الفرصة لعرض الإسلام وشرح مبادئه السمحة لأهل الحبشة فأسلم منهم من شاء الله له أن يسلم ، ولم تقتصر هجرة المسلمين إلى شرق افريقيا على تلك الهجرة ، بل يذكر لنا التاريخ العديد من الهجرات الإسلامية التى كان لها أثر كبير في نشر الإسلام في شرق افريقيا .

وقد أدى انتشار الإسلام في شرق أفريقيا بطبيعة الحال إلى اصطباغ الأدب السواحيلي بصبغة إسلامية .

وقد تعرض هذا الأدب لاعتداءات عنيفة للنيل منه-بخاصة وقد صار أدبا إسلاميا - ولعل اختيارنا لكتاب «مناقشة فكر المستفرقين في الأدب السواحيلي» للدكتور محمد إبراهيم أبو عجل يستمد اهميته من كون الكتاب محاولة أولى للرد على افتراءات الحاقدين والدفاع عن هذا الأدب وما حواه من أفكار هي في جملتها أفكار إسلامية صادرة عن أناس مسلمين فهموا الإسلام واستوعبوه بقدر ما فهم واستوعب الكثير من المسلمين في العالم الإسلامي .

وينقسم الكتاب إلى قسمين ، القسم الأول منه مكتوب باللغة العربية ويقع في ست وثمانين

صفحة من القطع المتوسط .. أما القسم الثانى فمكتوب باللغة السواحيلية ويقع فى ست وتسعين صفحة «صادر عن قسم اللغات الافريقية بكلية اللغات والترجمة / جامعة الأزهر / فى طبعته الأولى عام ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م » .. وقد مهد المؤلف لكتابه بأنه وهو يتجول بين أشعار السواحيلية وأدبها استوقفته ظاهرة غريبة من نوعها تمثل بونا شاسعا بين ما فى هذا الأدب من أفكار وبين تحليل وتعليق بعض المستغرقين الاوروبيين لها .

والكاتب يقرر أن ما فى الأدب السواحيلى من أفكار إنما هى فى مجملها أفكار إسلامية وفكر مستقيم يعكس فى مجملـه عشق الشعب السواحيلى فى شرق القارة الأفريقية للإسلام وتعاليمه وفلسفته .

ويوضح الكاتب أيضاً أنه وجد أن بعض هؤلاء المستغرقين يحاولون «مغرضين» النيل - سوءاً وافتراءً - من ذلك الفكر المستقيم لا لشىء إلا لمجرد أنه إسلامى .

وهم يحاولون طمسه وتشويهه وتقديمه فى صورة فكر متخلف عاجز عن اللحاق بالعصر .. ثم يختتم المؤلف تمهيده باظهار أن الهدف من ذلك الكتاب هو مساعدة القارىء فى أن يكون هو الحكم على ما إذا كان فكر الأدب السواحيلى الإسلامى - كما يقول بعض المستغرقين .. يستهدف العزلة والرهبانية والتواكل والتأخر واستعباد المرأة .. أم أن العكس تماما هو الحق والصواب .. وأن ما يدعيه هؤلاء إنما هو مردود عليهم وإليهم ؟

وقد ذكر المؤلف عددا من هؤلاء الذين تطاولوا على الإسلام وعلى هذا الأدب السواحيلى الإسلامى منهم : الأسقف ادوارد ستير ، والمبشر وليام تيلور ، والراهبة اليس فارينار، والقس الألمانى البروفيسور كارل ماينهوف ، والقس الألمانى البروفيسور ايرنست دامن .

هؤلاء القسس المستغرقون تمكنوا من جمع الكثير من الأشعار السواحيلية وقاموا بترجمة معظم ما جمعوه إلى الانجليزية والألمانية .. مع بعض التعليقات التى تخدم مناهجهم واتجاهاتهم مهما كان ذلك مجافيا للمنطق وللحقيقة .. ثم يناقش المؤلف أحد هؤلاء المستغرقين وزعيمهم ، رجل اللاهوت ، الهولندى الأصل ، الدكتور جان كنابرت صاحب كتاب :

«الشعر السواحيلى التقليدى : تحقيق فى مفاهيم إسلام شرق افريقيا فى ضوء أدب قصائد التنزى» .

فيوضح أن صاحب الكتاب بدأ كتابته معتقدا[1] أن هناك أكثر من إسلام واحد وأن الإسلام يتعدد بتعدد بيئاته ومواقعه الجغرافية .

ولكن المؤلف يرى فى موضوعية تامة وحيدة مطلقة أن يقتصر فى مناقشة صاحب الكتاب على ما ألصقه بالإسلام والمسلمين مدعيا استنباطه من النص الشعرى السواحيلى .. ويسوق المؤلف عدة أبيات توضح افتراءات صاحب الكتاب

(١) للأسف الشديد ليس ذلك عن عقيدة ، إنما هو تصميم المستشرقين على تصوير الإسلام بهذه الصورة نجد ذلك فى لندن كما نجده فى هولندا ، حين يبدأ أحدهم محاضرته عن الإسلام بقوله : أحدثكم عن إسلام فلان أو إسلام فلان .. الخ ليلقى فى قلوب السامعين أن الإسلام مختلف فى عقيدته .

مناقشة فكر المستغربين

نقتصر فى هذا العرض على تقديم بعض منها :

١ ـ حرية العقيدة :

يقول المؤلف : جاء فى صفحة ٢٨ البيت التالى :

خـالـق السمـوات
والمـوت والحيـاة
والأرض والمـاء
وسـاكنيها

ساق المؤلف «جان كنابرت» هذا البيت بعدما قدم له بالتقديم التالى : « بالرغم من أن الإنسان نظرياً له إرادته الحرة فى تبنى ما يعتقد أنه الأفضل إلا أن الشريعة لا توصى بأى تعويل على الذات فى أمور العقيدة .. فيجب على الإنسان الا يحاول أن يكون حر نفسه .. وفى الواقع فإنه ليس لنا من اختيار سوى أن نطيع ونتبع الشريعة كما أملاها الله » .

فالمتيقن لهذا التقديم يجده يشير إلى قضيتين : الأولى : تصوير المسلم وكأنه مكره على دينه والثانية جعل المسلم مسيرا لا مخيرا فى كل ما يأتى به من أمور الإسلام .

فهل فى البيت الشعرى ما يشير إلى مثل هذا من قريب أو بعيد ؟

فمن اين إذن اتى المؤلف بهذا الاستنتاج ؟
اتى به من عند نفسه إذ ان البيت لا يقول ذلك كما أن مصدرى الإسلام «القرآن والسنة» لا يخبران به .

فالقرآن يقول : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة ٢٥٦ ، والرسول ـ ﷺ ـ يقول إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . رواه ابن ماجه والبيهقى وهو الحديث ٣٩ فى الأربعين النووية .

من هنا يبيت واضحا أن ما ادعاه المؤلف «جان كنابرت» لا يمثل ما جاء فى البيت صراحة او كناية وإنما كان من خيال اعتقاداته التى يبرأ منها الإسلام .

٢ ـ القضاء والقدر :

وعن القضاء والقدر يقول : واتصالا بالقضاء والقدر والجبر والاختيار ذكر المؤلف «ص٨٣ ـ ٩١» تحت عنوان «ابليس» ثمانية وأربعين بيتا جميعها تتفق والفكر الإسلامى وتتلخص افكارها فى مطابقتها لما جاء فى سورة الحجر «الآيات ٢٦ ـ ٤٢» .. ولكن المؤلف راح يستنبط من هذه الأبيات ما ليس فيها فيقول : «إن رجال الدين الإسلامى وخاصة الكتاب السواحيليين دائما ما يؤكدون بقوة على أنه لا مفر من سلطان إرادة الله وأنه على ذلك فلا وقوع لشئ بدون أمره ، ومن هنا فلا يتصور بهذا المفهوم أن يأتى إبليس بإغوائه الباطن بدون رضا الله ـ أجل حقا ـ بدون أوامر الله .

فواضح أن المؤلف «جان كنابرت» يخلط فيما بين إرادة الله وبين أمره ورضاه .. فالله يريد الإيمان للمؤمن والكفر للكافر إذ لا يمكن أن يقع فى ملك الله ما لم يُردْه .. ولكن بالنسبة للأمر فالله يأمر البشر بأن يؤمنوا ولا يأمرهم بغير ذلك إذ انه ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ «سورة النحل الآية ٩٠» .. كما أن الله يرضى لعباده

الإيمان ولا يرضى لهم الكفر ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ . . . ﴾ الآية ٧ سورة الزمر .. ولذلك لو أراد المؤلف «جان كنابرت» أن نعيد له صياغة مقولته السابقة طبقا للعقيدة الإسلامية الواردة في الشعر السواحيلي لقلنا :

إن رجال الدين الإسلامي وخاصة الكتاب السواحيليين دائما ما يؤكدون بقوة على أنه لا مفر من قضاء الله وأنه لا وقوع لشيء بدون إرادته وأن الله لا يأمر إلا بالعدل والإحسان .

ومن هنا فإبليس عندما يأتي بإغوائه للبشر يأتيهم بعلم الله وليس بأوامر الله ، فالله قال لإبليس : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ .

والبيت الشعرى يقول :

والـذى لا يطيعك يـاإبليس
عسـير عليـك اتيـانـه
فـهـو المخلص المهـتـدى
وفي الجنـة اروح عنـه

وهكذا يقرر البيت صراحة أن إبليس يوسوس للجميع باختياره ويستطيع إغواء غير المخلص .. ثم يصل المؤلف «جان كنابرت» إلى قمة اجترائه على الله وعلى الإسلام وأهله في مقولته ص ٩١ : «إبليس ما هو إلا خادم يعامل بأقصى درجات القسوة على خدماته ، إذ ليس بمقدوره فعل شيء سوى اقتراح وتزيين الفعل ، وعلى الله المصادقة والأمر له بتنفيذ الإغواء ونشر الشر ، ويأتي الشعراء بعد كل هذا ويركزون في جميع تعبيراتهم على الكراهية والاستياء من إبليس ـ الخادم ـ لأن الله لا يمكن أن يلام أو أن يحاكم بل يُتقى فقط . هكذا نجد المؤلف « جان كنابرت » في مقولته هذه يدعو بطريق مباشر أو غير مباشر إلى محاكمة الله والعياذ بالله ـ ومؤاخذته بدلاً من مؤاخذة إبليس .. فإبليس عنده هو الخادم المطيع الذى لا يفعل سوى ما يطلبه الله منه ونسى المؤلف « جان كنابرت » أن ما سماه الخادم المطيع هو الذى عصى الله ولم يطعه ، وذلك عندما رفض أمر الله بالسجود لآدم وقال « جان كنابرت » : إن إغواء إبليس لبنى البشر إنما يتم بناء على أوامر الله[٢] .. وهذا القول يتنافى كلية مع ما جاء في القرآن الكريم ومع ما جاء به الشعر السواحيلي كما رأينا آنفاً .

والغريب أن المؤلف اعتمد في استنتاج قوله هذا على البيت القائل :

إذا هـديـت إنسـانـا

←

(٢) هذا على أن الدراسة العميقة لهذا الدين القويم تقرر : «أن الله يحفظ عباده حفظا تاما من إبليس وجنوده حتى إذا عصى العبد ربه قطع عن نفسه ستار حفظ الله له ، فتركه سبحانه لنفسه فسهل إغواؤه» .

وحتى يتبين للقارىء كيد «جان كنابرت» للإسلام وفساد قوله : «إن اغواء إبليس لبنى البشر إنما يتم بناء على أوامر الله» نقول ـ بعد بياننا لقاعدة حفظ الله لعباده ـ أن الله سبحانه يقول مخاطبا إبليس ـ بشأن الصالحين من عباده : «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» وصريح الآية يقرر تعهد الله ـ جل جلاله ـ بحفظ هؤلاء المخلصين . وهذا ما يعلمه إبليس إذ يقول : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الحجر الآيات (٤٢) ـ (٣٩ ـ ٤٠) ، فتابع إبليس تبعه برضاه ، وأنى لـ «جان كنابرت» هذا أن يرقى لهذه المعارف أو يعلم الفرق بين الإرادة والأمر والرضا .

فليس لك إليه من طريق
حيث يصعب عليك الاقتراب منه
والدخول إليه

فأين ما يدل فى البيت على أن الله هو الآمر لإبليس بالإغواء ؟ إن ما فى البيت هو عكس ذلك تماما حيث إن الله يؤكد لإبليس أنه لن يستطيع الاقتراب من عباده الصالحين المخلصين .

٣ - الإسلام والمرأة :

وعن الإسلام والمرأة يقول فى كتابه من ص ٥٤ حتى ص ٥٩ تحت عنوان «النظرة لوضع المرأة» :

يبدو أن قولك «احترم أخاك» يقصد به الرجل فقط وأن المرأة عادة ما يكون احترامها أقل - هذا إذا ما كانت أصلا لا تحتقر - وذلك لأن شعراء عديدين خصصوا لها أبياتا فى قصائدهم يؤكدون فيها على احترام المرأة وحبها وملاطفتها كما فى هذه الأبيات :

لا ترتكب عملا
تكرهه أمك
وتذكر تربيتها لك
فهى قد ربتك مرتين
مرة وأنت جنين
وحتى جاء وقت ولادتك
فبكل ما لديها من قوة
أوضحت لك الطريق
للخروج والوضع كرها
وقاست فى ذلك منك

وحين وضعتك تنهدت
تنهيدة الكرب والخوف

وفى نفس القصيدة الوعظية هناك أبيات طويلة عن كيفية معاملة الإنسان لزوجته :

أيتها الزوجة : أطيعى زوجك
ويأيها الزوج أطع زوجتك
ولا تسمحا لقلبيكما بالانكسار
فيمسكما الضر

ثم يقول :

وعليك تحقيق احتياجاتها
من ملبس ومأكل
وعدم إشغال بالها
ومعاشرتها بشرع الله
يجب عليك أن تفهم
أن المرأة طفل
فلا تحملها كل ما هو ثقيل
لا يتحمله إلا الرجل
ربيا بعضكما البعض
وكأنكما أم وطفل
فلا تدخليه
فيما لا يحبه

فالمؤلف «جان كنابرت» قال آنفا : «إن عبارة «احترم أخاك» لا يقصد بها سوى الرجل وأن الانطباع العام الذى يحصله الإنسان هو أن المرأة فى أحسن الأحوال تعامل معاملة الصداقة التى فيها تنازل .

هذا ليس موجودا لا فى الأبيات ولا فى القرآن ولا فى السنة المطهرة فالأبيات مذكورة أمامنا يقرأها القارىء ويشاهدها ليحكم عليها أما القرآن الكريم فيقول : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ

فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ النساء الآية ١٩ . والأفضلية فى الإسلام ليست جنسية أو عرقية ولكن الأفضلية فى الإسلام بالتقوى جاء ذلك صريحا فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات الآية ١٣ .

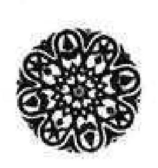
فنظرة الإسلام للرجل والمرأة لا ترتكز إلا على صلاح وتقوى كل منهما فيقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ النساء الآية ١٢٤.. والرسول ﷺ يقول «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذى.. رياض الصالحين ص ٩٤ وهذا يشرح سر اهتمام الشعراء السواحيليين بالمرأة ودعوتهم الدائمة لاحترامها وحبها وملاطفتها إذ أن القرآن والسنة يأمران بذلك وليس مثلما ادعاه المؤلف «جان كنابرت» ـ زورا ـ من أن اهتمام الشعراء بالمرأة راجع لاحتقار المسلمين لها .

وبعد ، فهذا قليل من كثير تعج به صفحات ذلك الكتاب القيم «مناقشة فكر المستغرقين فى الأدب السواحيلى» لمؤلفه الدكتور/ محمد إبراهيم أبو عجل .. والذى يعد ـ بحق ـ إضافة طيبة للمكتبة العربية التى ظلت لفترة طويلة فى حاجة إلى مثل هذه المناقشات الموضوعية لما كتب عن الإسلام بلغات أخرى وخاصة باللغة السواحيلية فضلاً عن إنمائه لروابط الروح والأخوة بين المسلمين ومسلمى أفريقيا وزيادة فى التعريف بهم وبمشاكلهم وما يتعرضون له من غزو فكرى وعقائدى فاسد ، وإنه لتبصرة هادفة لكل ذى مسئولية تمد يد العون لهؤلاء الإخوة المسلمين الأبرار .

والكتاب يعد دعوة جادة لكل المشتغلين فى هذا المجال لبذل الجهد فى سبيل إظهار الحق وإماطة تلك المفتريات التى يضعها المستغرقون والمستشرقون وكل من يتربصون بالإسلام .

وإن كان صدور الكتاب بلغتين هما العربية والسواحيلية لا يغنى عن صدوره باللغة الانجليزية ، ذلك أن الكتاب فى نظرى يستحق القراءة ليس من القارىء المسلم أو العربى فحسب بل يستحق أن يقرأه هؤلاء الذين قرأوا كتاب جان كنابرت ـ بالانجليزية ـ وصدقوا ما فيه من أباطيل .

وجزى الله رجال الأزهر خيرا لقاء ما يقدمون من عطاء فياض مستمر لخدمة دين الله ، ومنهم مؤلف «مناقشة فكر المستغرقين فى الأدب السواحيلى» .



محمد إقبال

ويوم من حياته

للأستاذ
محمد شلبي

من فضل هذا الدين على هذه اللغة ان افرد لها ميداناً خصه بشعراء إسلاميين ، فإذا ذكرنا عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكرنا عبدالله بن رواحة ، وحسان ابن ثابت وكعب بن مالك ـ رضى الله عنهم ـ وغيرهم ، وما نمر بعصر من عصور الإسلام إلا وجدنا لهذا الميدان فرسانه حتى إذا القى بنا التسيار إلى العصر الحديث وجدنا فرساناً غمر الإسلام افئدتهم ، فإذا هم هوى الإسلام والإسلام هواهم ، وما نشك أن من امرائهم محمد إقبال ـ رحمهم الله ـ

لقى إقبال الرفيق الأعلى عام ١٩٣٨ ، يقول صاحب الرسالة عن طبيعته : « نفخ فيها الإسلام من روحه فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة » ..

هو شاعر فيه إخلاص الحق وسطوع الهدى وصفاء الفطرة ـ لذا كان من خير الشعراء فى عصرنا الذين أشادوا بالإسلام « يفسر القرآن بالحكمة ، ويصور الإيمان بالشعر » ، كما قال عنه صاحب الرسالة ايضاً :

« دعا إلى استقلال الذات فى الفرد عن طريق الإيمان والعبادة فى ديوانه « أسرار خودى » .

وإلى يقظة الوعى الإسلامى فى المجتمع عن طريق الثورة والجهاد فى كتابه (باك درا) أو صلصلة الناقوس .

وإلى توثيق الأخوة الإسلامية .. عن طريق التوحيد والتعاون فى ديوانه (بيام مشرق) أو رسالة الشرق .

تذوق العرب شيئاً من شعر إقبال بقلم صديقه عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ وكم أهدى عزام لجيله ومن بعده من ايد حسان بالاشتراك مع إقبال ـ رحمهما الله ـ فى ديوانى رسالة الشرق ، وضرب الكليم .

ولقد استطاع الكاتب الباكستانى ممتاز إحسان أن يلقى ضوءاً على يوم فى حياة إقبال بمقابلة شخصية مع خادمه (على بخش) الذى لازم الشاعر طوال حياته ، وتمت المقابلة مساء الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٥٧ م فى (لاهور) ، بمنزل (جاويد محمد إقبال) نجل الشاعر الذى حضر المقابلة كما حضرها من

الأصدقاء : فيروز الدين مدير مصنع لسك النقود في (لاهور) ، وكان الحوار التالي باللغة البنجابية ، وهي اللغة الأم للخادم :

● متى كان يستيقظ العلامة « إقبال » عادة كل صباح ؟

ــ مبكراً جداً ، وفي الحق كان ينام لماماً ، كما كان حريصاً على أداء فريضة « الفجر » ، وعقب الصلاة يقرأ القرآن الكريم ، وقد تعود أن يرتله ترتيلاً بصوت واضح ومنغم ، وذلك قبل إصابته بمرض في حنجرته ، وبعد ما أصيبت حنجرته تعود أن يقرأ القرآن بصوت منخفض .

● ماذا كان يعمل إقبال بعد أن ينتهي من صلاته وقراءته للقرآن ؟

ــ لقد اعتاد أن يجلس مسترخياً ، ثم يبدأ في قراءة ملخصات القضايا التي سوف تنظر في المحكمة ، ومن حين لآخر بينما هو مازال ينظر في أوراقه كان يعطي نفسه دقائق للتأمل والراحة .

● وكيف تعرف أنه في حالة تأمل ؟

ــ كان ينادي عليّ قائلاً : احضر لي (نوتة) المذكرات وقلمي الرصاص ، وحينما أحضرهما فإنه يبدأ في كتابة شعره بالقلم الرصاص ، ومن حين لآخر ، حينما كان يشعر بأنه غير راض عن شعره يبدو قلقاً جداً ، وحينما ينظم شعره فإنه دائماً يطلب مني أن أحضر المصحف ، وكان يطلبه عدة مرات في اليوم ..

● في أي وقت كان يذهب إلى المحكمة حينما كان محامياً ؟

ــ كان دائماً يخرج قبل موعد بدء العمل بخمس عشرة ، أو عشرين دقيقة ، وذلك حين كان يقطن شارع « أناركلي » في وسط لاهور ، وكان قد تعود أن يذهب في عربته ذات الحصان ، ثم بعد ذلك اشترى سيارة ..

● كم سنة ظل نشيطاً في عمله القضائي ؟

ــ ظل نشيطاً في عمله القضائي إلى أن أصيب بمرض في حنجرته وكان ذلك في سنة ١٩٣٢ ، أو سنة ١٩٣٣ م .

● ما سبب إصابته ؟

ــ كان الوقت شتاء ، وفي الصباح ذهب ليصلي « صلاة العيد » ثم عاد إلى منزله ليلاً ، وتناول (مكرونة وزبادي) وهو الطبق المفضل لديه ، وتأثرت حنجرته ، وظل طوال الليل يسعل حتى الساعة الثانية أو الثانية والنصف ، وفي الصباح .. فقد قوة صوته ! وظل هذا المرض ملازماً له إلى أن لقي ربه ..

● وإذا عدنا إلى حياته اليومية ، ماذا كان يعمل حينما يعود من عمله القضائي ؟

ــ كان يتخلص من الملابس الرسمية ، بمجرد أن يعود إلى منزله ، ثم ينظم الشعر حينما كان يشعر أنه في حاجة إلى أن ينظم ، ولكي يتم له ذلك ، كان ـ كما سبق أن عرفت ـ يطلب مني (نوتة) المذكرات والقلم الرصاص والمصحف ، وكان ينام بعد الغذاء من وقت لآخر ، فلم يكن إقبال نؤاماً ، فقد كانت توقظه أقل حركة .

● هل كان يتحمل آلام المرض ؟

ــ لا ، لم يكن قادراً على أن يتحمل الآلام ، ولم يكن قادراً على أن يرى إنساناً يتألم ، ذات مرة حينما كان ابنه « جاويد » طفلاً صغيراً أصيب

بجرح فى حاجبه ، ونزف بعض الدم وحينما شاهد إقبال هذا المنظر أغمى عليه .

● متى كان إقبال يتناول طعامه ؟

ــ ما بين الساعة الثانية عشرة والواحدة ظهراً ، وكان يتناول وجبة واحدة فقط ، وعادة لم يكن يتناول طعام العشاء .

● ماذا كانت هواياته ؟

ــ فى أوائل أيامه كان مغرماً بتربية العصافير .

● هل كان من عادات إقبال الخروج ليلاً ؟

ــ قليلاً ما كان يخرج ليلاً .

● متى كان ينام ليلاً ؟

ــ كان بعض أصدقائه يزورونه ليلاً ، وبعد ذلك كان يجلس هو وصديقه « شودرى محمد حسين » وكان آخر من يتركه ، كان يجلس معه ابتداء من التاسعة أو العاشرة مساء ، فإذا انصرف جلس بمفرده .

● كم ساعة كان يجلس معه صديقه « شودرى » ؟

ــ أحياناً من منتصف الليل إلى الواحدة صباحاً ، وبعد ذلك يذهب الدكتور إقبال إلى فراشه ، ولكنه كان يقوم ليتهجد بعد أن يكون قد نام مدة ساعتين أو ثلاثا .

● هل حدث ذات مرة أن فقد أعصابه ؟

ــ كان دائماً طيب القلب بطبيعته ، ولم يغضب إلا نادراً :

أذكر ذات مرة أن قبضنا على لص فى منزل إقبال وضربناه ، فما كان من إقبال إلا أن طلب منا ألا نضربه ، ثم أعطاه طعاماً وأطلق سراحه !

● هل كان إقبال يتهجد بانتظام ؟

ــ نعم : دائما وأبدا ..

● وبعد التهجد ، ماذا كان يعمل ؟

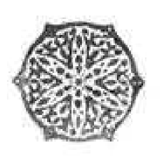
ــ كان قد تعود أن ينام قليلاً إلى أن يحين وقت « صلاة الفجر » فيستيقظ ثانية .

● هل كان ينظم شعره ليلاً ؟

ــ نعم .. حينما كان يُلهم ، وغالباً ما يكون ذلك فى الساعة الثانية أو الثانية والنصف صباحاً ، وعندئذ يطلب نوتة المذكرات ، وقلمه الرصاص ليسجل ما تجود به قريحته ، من شعر خالد » أ هـ

كان الدين نبراسه وقائده الذى أنار لروحه فأشرقت بروائع الجمال . قال :

وإذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يُحى دينا



أنباء وآراء

كتبت الشئون الفنية لمكتب الإمام الأكبر

● أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الدفاع عن المملكة العربية السعودية بدعوة منها يعد واجبا لحماية دولة شقيقة وشعب مسلم من عدوان كالذى حدث للكويت .

وقال فضيلته :

إن الذى دفع السعودية إلى الاستعانة بالغير إنما هو هذا الغزو وما صحبه من تهديدات تجعل للسعودية الحق فى الدفاع عن أرضها وشعبها .

● صرح فضيلة الإمام الأكبر بأن مشاركة القوات المصرية المسلحة فى حماية الأراضى المقدسة واحد من واجبات مصر تنفيذا لقرار مؤتمر القمة العربى الطارىء الذى دعا إليه - تحاشيا للأزمة - السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

● افتتح الإمام الأكبر الدورة الإعلامية الأولى للمعلمين والوعاظ الأزهريين المبتعثين للخارج .

عقدت الدورة بمركز البحوث والدراسات الإعلامية بالهيئة العامة للاستعلامات .

يشارك فى إلقاء المحاضرات صفوة من كبار العلماء ورجال السياسة والاقتصاد والإعلام .

هدف الدورة تزويد المبتعثين بالمعلومات وبالخبرات التى تيسر لهم فرص النجاح فى أداء رسالتهم .

● غادر القاهرة إلى تاشقند - بالاتحاد السوفيتى - فضيلة وكيل الأزهر الأستاذ محمد بدر الدين حسام لحضور المؤتمر الإسلامى الذى يعقد بـ « تاشقند » بجمهورية أوزبكستان فى الفترة ٢٤ - ٢٦ من صفر ١٤١١ هـ / ١٤ - ١٦ من سبتمبر ١٩٩٠ م - بمناسبة مرور مائتين وألف عام على ميلاد الإمام أبى عيسى الترمذى صاحب الجامع الصحيح - أحد المسانيد الستة الصحاح .

- وكتب محرر الأنباء بالمجلة :

- مع المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة :

● سافر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى السعودية للمشاركة فى أعمال مؤتمر علماء المسلمين الذى عقد بالمملكة فى الفترة « ٢٠ - ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ ، ١٠ - ١٣ من سبتمبر ١٩٩٠ م » لمناقشة أوضاع الخليج الراهنة عقب الاعتداء العراقى على الكويت .

● قال الإمام - فى كلمته - لأعضاء المؤتمر :

إن كلمة علماء المسلمين - فى تلك القضية الخطيرة يجب أن تكون حكما يلتزم به كافة

المسلمين حكاماً ومحكومين إجراء لحكم الله - عز وجل - وحكم رسوله ﷺ .

● أدان المؤتمر هذا العدوان ، وطالب الرئيس صدام حسين بالانسحاب الفورى عن الكويت لتعود الشرعية إليه .

كذلك أبدى المؤتمر ارتياحه لدعوة قوات من دول إسلامية وغيرها للدفاع عن دول المنطقة فى حال العدوان عليها .

ودعا الشعوب الإسلامية إلى العمل من أجل التنمية بدلاً من تبديد طاقاتها فى الحروب والخلافات ، وأن تساعد الدول الغنية شقيقاتها لتنفيذ مشروعات التنمية التى تحتاج إليها .

وقد أصدر المؤتمر فى ختام أعماله وثيقة دعا فيها إلى بناء القوة العسكرية الإسلامية بسرعة لأن بناءها هو الضمان الحقيقى والدائم بعد توفيق الله لعزة الإسلام والمسلمين واستقلالهم .

● ودعت الوثيقة كذلك إلى ضرورة التزام الدول العربية والإسلامية بالعهود والمواثيق والأعراف الدولية التى تمنع الاعتداء والتدخل فى الشئون الداخلية للدول وتعمل على إفشاء السلام فى المنطقة وفى العالم كما دعت الوثيقة الدول الإسلامية إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وفقاً للشريعة الإسلامية وتبعاً لمنهج الأمة فى احترام الحقوق وتحريم الاعتداء والاستيلاء عليها بالقوة .

● وأكدت الوثيقة أن شريعة الإسلام تتسع لمثل هذا الإجراء وتستوعب هذه الضرورة وأن هناك تلازماً بين احتلال الكويت والتهديد العراقى للسعودية ودول الخليج ووجود القوات الأجنبية فإذا زالت هذه الأسباب انتفت الضرورة لوجود هذه القوات كما أكد المسئولون السعوديون .

● وطالبت الوثيقة العالم العربى والإسلامى بالتخلى عن العلمانية وتطبيق الشريعة الإسلامية فى صميم المجتمع والدولة ، لأنه لا يمكن موضوعيا وعلميا أن يُطَبَّقَ الإسلام أو يصدق فى الأخذ به نظام علمانى اتخذ العلمانية منهجا فى الحياة .

● وأضاف المؤتمر فى الوثيقة التى أصدرها أنه لا يرى مبررا لإقتحام الحرمين الشريفين فى هذا الخصام السياسى والإعلامى فليس فى الأراضى المقدسة وجود أجنبى .

وأوضحت الوثيقة أن أزمة الخليج الراهنة حلقة من المخططات التى يبرها الأعداء لإيقاد الفتن والحروب فى العالم الإسلامى ، وأن غزو العراق للكويت مع منافاته للإسلام قد أتاح الفرصة لأعداء الإسلام لتشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام الرأى العام العالمى .

● ودعت الوثيقة علماء المسلمين إلى القيام بواجب البيان لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ تجاه أبناء الأمة الإسلامية ودعوتهم إلى جمع كلمتهم والتشاور فيما بينهم ليصدروا عن موقف واحد فتتحد الأمة من ورائهم .

● دعت الوثيقة كذلك حكام المسلمين إلى تحكيم شرع الله فيما بينهم وإلزام أجهزة الإعلام والتعليم بحمل رسالة الإسلام وتطبيق مبدأ الشورى الذى يغنى الأمة عن التطلع إلى مفاهيم الديمقراطية والذى يعصم الأمة من الاستبداد الذى يجعل مصائر الأمة ضحية للأهواء الفردية .

إمام الأنصار بالسودان .

يشيد بدور مبارك فى احتواء أزمة الخليج .

وفى السودان أشاد أحمد عبد الرحمن المهدى إمام الأنصار بالسودان بالدور المصرى وبالتحرك القيادى البناء الذى بادر به الرئيس حسنى مبارك منذ تفجرت أزمة الخليج .

وأكد المهدى أن مبادرات الرئيس مبارك المتكررة كان لها الأثر الحاسم فى تلافى الأحداث

لما لا تحمد عقباه ، وإنقاذا لما يمكن إنقاذه من الحطام الذى خلفته التصرفات المخزية التى لا تليق بالأمة العربية وحضارتها وأخلاقها .

وقال فى رسالة بعث بها للرئيس أن الأحداث الأخيرة تؤكد أن القيادة المصرية تقع على عاتقها مسئولية عظمى تجاه العالم العربى والإسلامى .

وأعرب فى رسالته عن ارتياحه لمساعى مصر والرئيس مبارك المتواصلة لإيقاف الحرب فى جنوب السودان ووصف الحرب بأنها مخربة وتشكل خطراً كبيراً على الأمة العربية .. مؤكداً على ضرورة تأمين ظهر الأمة العربية خاصة فى الظروف الراهنة .. وأعرب عن ثقته فى أن الرئيس مبارك بحكمته وبصيرته ومن خلال موقعه القيادى المرموق سوف يصل إلى الغايات المنشودة .

الغزو العراقى للكويت يعد ضربا للصحوة الإسلامية .

وفى القاهرة أكد الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية على أن الغزو العراقى للكويت يعد ضرباً للصحوة الإسلامية فى مقتل ، وتشويها للصورة العامة للمسلمين أمام العالم ، ووصفا النتائج المترتبة على هذا الغزو بأنها باطلة لمخالفته لكافة الشرائع السماوية والقوانين والأعراف الدولية .

جاء ذلك فى اللقاء المفتوح مع شباب الجامعات المصرية بمعسكر أبى بكر الصديق بالاسكندرية .

وطالب الدكتور محجوب الرئيس العراقى بضرورة العودة إلى الصف وتجنيب الأمة الإسلامية ويلات حرب مدمرة خاسرة ، وأكد حرص مصر الدائم على التمسك بالقيم والمبادىء .

عودة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى القاهرة

قرر مجلس جامعة الدول العربية فى ختام دورته الطارئة التى اختتمت يوم الاثنين ١٠ سبتمبر ١٩٩٠ م الموافق ٢٠ صفر ١٤١١ هـ بالقاهرة الإعلان عن عودة الجامعة العربية إلى مقرها الدائم بالقاهرة ، والتنسيق مع دولة المقر الدائم « مصر » وتونس لتنفيذ القرار وانتقال الأمانة العامة بكافة إداراتها وأجهزتها المختلفة إلى القاهرة على أن يتم ذلك فى موعد أقصاه ٣١ أكتوبر القادم .

استمرار حملات الإبادة للمسلمين فى سيريلانكا على أيدى التاميل

فى خبر لوكالة الأنباء اللندنية ذكرت الوكالة أن المتزمتين التاميل قاموا بشنق « ثمانية عشر » مسلماً واختطفوا « اثنين وعشرين » مسلماً آخرين فى أكبر حادث مأسوى يقع للمسلمين هذا الأسبوع .

وذكرت الوكالة نقلاً عن السيد « وفا فارون » أحد كبار زعماء المسلمين فى سيريلانكا قوله : إن متمردى التاميل قد وضعوا منشورا بالقرب من الجثث يهددون فيه المسلمين فى المنطقة بأنهم سيواجهون المصير نفسه إذا لم يتركوا المنطقة خلال أيام .

المسلمون فى التسعينيات ومابعدها

بهذا العنوان عقد الاتحاد الإسلامى بأمريكا الشمالية مؤتمره بمدينة دنتون بولاية أوهايو الأمريكية فى الفترة (١٠ ـ ١٢ من صفر ١٤١١ هـ .

بحث المؤتمر شئون المسلمين فى أمريكا الشمالية وسبل إنجاح الدعوة الإسلامية وذلك للتغلب على ما يعوق نشر الإسلام فى الولايات الشمالية . كذلك اهتم المؤتمر بتزويد مكتبات المراكز الإسلامية بأمهات الكتب حتى يسهل على حديثى العهد بالإسلام فهم تعاليمه .

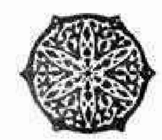
الفهـــرس

understanding that everything of value and consequence, everything of meaning and measure, everything of respect and preciousness, everything of goodness and quality, everything of virtue and grace; should in their totality be considered as elements that require observant care and suitable management manipulation. Everything beneficial in the life of mankind is delicately sensitive and falls within the broad meaning of the Hadith. Family relations between wife, husband and childen, require liniency, strength in knowledge and tender care. The various practices of educational cultural institutions are superior functions in human life that require superior systems of operation. Social culture and adminstration are matters that demand constant attentive supervision. National and International practices and relations, progress, economy, human health and all matters relevant to the life of mankind should be considered aspects that require alertness, efficiency, strength of knowledge, and meticulous managerial capabilities.

The composite meaning of the Hadith portrays that all matters related to the functional activity of human life, should be guided and manipulated with utmost care. The advice given by the Prophet actually pertains and implies all elements of existance. It involves the most fundamental roots of human value systems. Careful nuturing of these roots results in progressive prosperity of man's communal life. That was the generality of purpose of this Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

---

* This article was translated from the Arabic original by : Dr. Anas Moustafa El-Naggar.



The traditions of the Prophet originating from Quranic precepts, certainly brought about radical metamorphosis in the conceptual cultural understanding of the proper functional capacity and potency of the female component of the human society. This ecumenic social transformation was part of a generalized cultivation of the mind, refinement of understanding which were introduced by the Divine doctrines of Islam, to induce a developmental refinement of mankind, to enlighten the human mind from ignorance to kowledge.

The present Hadith, also posseses a generality of purpose, and therefore becomes presumptive and implicative to all aspects of life. Scholars agree that the essentials of jurisdiction are evidentially contingent on the generality of purpose, rather than the particularity of occasion. Conceding with this premise, the term "Quareer" (Ewers) in the Prophet's Hadith signifies the general understanding of every article of value in our life. This includes our utensils, our instruments of work, machinery, devices, apparatus, implements, tools, automation systems, everything that is the outcome of man's invention and innovation throughout the ages of progress. These organs of resources are considered articles of extreme value and delicate nature in the life of man. The giant factories, the precision instruments, from the simple forceps to the most advanced technology fall under the general understanding of Quareer, (Ewers) in the Hadith. Every instrumental device is the product of scientific progress, and a masterpiece of supreme carftsmanship; and should be attended with true attention, concern, observance, and optimized safe handling. They are objects of extreme value in human life, and should be, according to the meaning of the Hadith, handled and manipulated with utmost diligent meticulous watchful attention.

This general implication of the Hadith, signifies that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was the first to advocate in advising premonition to the whole Human race, that our instruments and faculties of progress should be thoroughly presevefd by careful manipulation and precise delicate handling. Coarse, crude uncouth and unrefined management of such sophisticated delicate agents of human progress, will result in retardation of continuity of progress. The whole spectrum of human race should be taught to respect in esteem the elements of progress and advancement.

This broad understanding of the Prophet's Hadith comprises the dimensional extremes of human existance and function. It includes the

component of the human race, with respect, and above all with indulgent gentleness.

Such functional appropriation came about in Islamic thought as an ecumenic civilized attitude towards the liberation of women to find their proper status in the human society. The Prophet of Islam focussed the attention on the real understanding of the dimensions of the position, duties, and responsibities of women in the human society as qualified and justified by Islamic teachnigs. At a time when all human societies regarded women as creatures with no right and no responsibilities, only as an article to be used; Islamic doctrines came about to grant women social identity, a body to chastise and respect, a mind to think, and a soul to honour. With these qualities, women in Islam became emancipated to have rights, responsibilities and functions in life.

The Hadith in its context is a corelation to the congruent similarity of the woman to the ewer. There is reference to the frail elegance, the elaborate ornamentation of the woman, and also of the ewer. The woman carries with her the continuity of human life through the function of the womb. Her patient nature emotional feelings, supreme sensitiveness, all form part of her feminine constitution. The ewers are easy to break and damage; women are also very sensitive to pyschological injury, and hurt of feelings. For such reasons the purpose of the Prophet's Hadith remains true to the present day and will remain so to eternity. Indeed with the existing human stress and complexity of human life, feminine nature requires careful liniency but not neglect, support in strength but not brutality. A woman is unhappy in association with masculine cruel ruthlessness, and indeed most unhappy if treated with neglect, inattention, thoughtlessness and indifference.

The Hadith signifies that Islamic thought optimizes the paradigm of women in human communities. The profound completeness of her feminine roie, the intricate ultrasensitive constitution of her spititual matrix, and the complex microanatomical structure of her psychology. This makes the female highly ornamented and beautified in her external appearance; and also exceedingly passionate, tender, emotional, and gentil at the inner depths of her character. Any infringement on these highly sensitive characteristics is detrimental to the feminine natural responses, and conducive to behavioral alterations.

THE ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

"TENDERNESS TO THE EWERS"

BY. ABDEL-HAKIM AHMAD TAHA

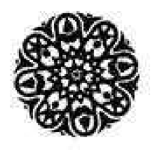
Tenderness is an emotional state of linience, concern and watchful attention. It is a compound condition of attentiveness that demands diligence, thoroughness, loving care, strength, knowledge and concept. The word also comprises the understanding of fostering, nuturing, to favour and sympathize, render assistance and support with gentle clemency and tolerant compassion.

The "Ewers" is the plural of "Ewer" which is a recepticle of glass, ceramic, porcelain, glod, silver, used for keeping liquids and fluids of any kind. Such recepticles are characterized by elaborate ornamentation, embellished beauty, and expensive make. They are also very frail, vulnerable, sensitive to feeling and to touch, easily damaged, difficult to heal or repair. Every article of delicate elegance, attractive beauty, expensive value and of significant importance is classified in this context as an "Ewer". The arabic syntax of the root word is "Qarourah", plural "Quareer", which is a recepticle of meticulous make, elegant beauty and therefore effeminate in nature, and properties.

The present Hadith of the Prophet signifies a particularity of occasion and a generality of purpose. The occasion was when a camel driver companion to the prophet, frightened some of the women by severely handling their camel. The Prophet addressed the man by the famous Hadith- "Rifqqann be-al-quareer" (Tenderness to the Ewers). Therefore the Hadith was a particular instruction, an advice and admonition from the Prophet to be tender, linient and graceful to women. In practice, the Prophet himself was very gallant, courteous, well behaved, respectful and refined during his associations with women. He was aware of their femininity, their physical sensibility, and their affectionate passionate nature. On several accasions, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) advised that women should be dealt with dignity as an integral

Indeed during the reign of Omar Ibn Al-Khattab, the implementation of the standards of governance developed to compose within itself the rapid growth of the Muslim nation. It was a growth in territorial expansuion, social and economic changes, cultural interactions of the various tribal origins in the region, and above all the theological impact of the Muslim faith and Muslim law of Shariah.

The new system of governance was totally Islamic founded on "Authority through Consultation", and the real Authority of government of office was by public proclamation of fealty to the head of state. The man in office of authority was completely restricted and governed by the doctrines of Islam. The individual dignity, self respect, and sense of freedom energized a social environment of stability and equality. Every man was within the responsibility of what the Quran and Sunnah decreed, no man was exempt. These were the elements of Islam enlightment of humanity, and the roots of social promotion, civilization and liberation of mankind.



The formulation of a seperate Fiscal System in the reign of Omar Ibn Al-Khattab imposed itself, and became necessary as another independent administration due to the extensive incomes and revenues that paralleled the geographic territorial Muslim expansions. This new socioeconomic impact on the Muslim community had to be administrated with maximum proficiency. The proper use of expenditure and distribution of wealth was a major concern of Omar. This major issue of importance, unprecedented in Arab or Muslim history, induced Omar to resort to consultation. He consulted the most eminent of Prophet's companions, men of knowledge, the Muhagereen and the Ansars. The final resolution was to construct a register of all people. This register included all the names of the members of every clan and tribe. This included men, infants, children, widows, orphans, and old age. Omar Ibn Al-Khattab entrusted the task of the register to Uqail Ibn Abi Taleb, Makhzamah Ibn Nofal, and Jubayr Ibn Mutaam. The purpose of the register in the mind of Omar was to leave the Arab warriors totally free to crusade on the path of Allah. This register indicated the name of every individual, and the amount of payment alloted to him. Omar Ibn Al-Khattab declared "The allowance of the shephard and herdsman in the distant valley of this land should reach him where he is". The register included every member of the Arab population, nobody was left out. The annual allowance was prescribed according to the effort spent in Islam, the individual needs, and the duties imposed. Every tribe and clan had its own register kept in the custody of the head of the clan, or kept in the responsibility of the commissioner of every region in the domain of Muslim territories.

This complex function necessitated the organization of a revenue administration, and a treasury. The revenue administration was the responsibility of Arfagah Ibn Harthamah, Utbah Ibn Farqad, and Abd-Allah Ibn Al-Muttam. The inhabitants of Iraq, Syria, and Palestine were the owners of their lands. The purse of the Zakah and the other charity funds were distributed among the inhabitants of these regions. Muslim warriors in these territories were not allowed to own land property in these regions. The construction of the registry took place between the fifteenth and twentieth year of Hijrah. The registry and the treasury were established for the first time in Arab countries in the regin of Omar Ibn Al-Khattab. Associated with that, Omar established a mint factory for coinage. A separate municipality was erected in each territory to be the office of the commisar where he performed his duties. At Al-Madinah, Omar Ibn Al-Khattab took his office at part of the Masjid, similar to what Abu Baker and the Prophet had done before.

appointed judges to settle disputes between people. Omar entrusted the judiciary matters at Al-Madinah to Aly Ibn Abi Taleb, and Umair Ibn Amer Ibn Al-Khazraj. Other famous personalities that were appointed as judges were Shurayh Ibn Al-Hareth Al-Kandy.; Abu Mousa Al-Ashary, Qays Ibn Abi Al-Aas Al-Sahmii, Ias Ibn-Subaih, Kaab Ibn Sur Al-Azadi and others. These judges were totally independent in jurisdiction, they practiced the Muslim law of Shariah as doctrined by the Holy Quran and Traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Omar himself was highly educated and conversant in the subject of Islamic law of Shariah. His life as the Prophet's companion, and minister to Abu Beker enriched him with copious knowledge in this field. This knowledge enabled Omar to nominate and choose the judges from among those who were pious and knew best the intricate matters of Islamic administration of justice.

The deep seated sense of justice in Omar's mind, and his knowledge of its basic precepts, made him formulate rationalities in magistrate arbitration and legal actions. He wrote "The administration of justice is a divine ordinance and a tradition to follow. The duty of the judge is to conceive the evidence, and to decide when confidently sure. It is fundamental to treat opponents with equality. The prosecutor provides evidence, and the defender is under oath. Amenities between oponents are encouraged, except those that infringe on the rulings of Quranic Decrees. Truth is old and far-rooted, returning to it is justice, defecting from it is inequity. Abstain from impatience, nervousness and irrational decisions. Justice when justified adds to the confidence and purifies the intention". These were few of what Omar wrote as elements of widsom to impress upon the mind the essential dimensions of the firm and continuous desire to render to every individual that which is rightly his.

The institution of Judiciary office as a separate function from the state authority was an act of wisdom and supreme administration. This action developed through the years that followed into an established system of the Muslim State. This separation of the judiciary function from the state authority prevented the totalitarian dominance of the state, and therefore safeguarded the implementation of individual rights, social justice, communal dignity, and the concept of freedom. The independance of jurisdiction provided a status of prestige and dignity to the position of judge. This position necessitated wisdom, knowledge, intelligence, discretion, scrupulous character, piety, and confident self respect.

Omar wrote to the heads of Muslim States who were acting on his behalf "Make the people equal in rights, beware of bias and discrimination, institute rational logic do not pass judgement in anger, and always be on the footing of justice". Omar carried the responsibility for the action and conduct of his commissioners, for they were his choice to act on his behalf to govern the affairs of Muslims.

Omar Ibn Al-Khattab commissioned several commisars to govern the various Muslim states. These governers were selected with precision, and remained under permanent observation by Omar himself, and by public opinon from the people. Several of these governers and commisars remained several years in office, some were withrawn and replaced by others. Some of Omar's commisars that remained a considerable period in office were Attab Ibn Assied at Maccah, Osman Ibn Abi Al-Aas at Al-Tayef, Yaala Ibn Muniah at Al-Yamen, Huzaifah Ibn Mihsan at Uman and Al-Yamamah, Al-Aala Ibn Al-Hadramy at Bahrain, Abu Ubaydah Ibn Al-Garrah at Syria, Saad Ibn Abi Waqqas at Al-Koufa, Al-Mugherah Ibn Shubah at Al-Basrah, and Amre Ibn Al-Aas at Egypt. Several other personalities were popular as Omar s commisars, of these were Abu Mousa Al-Ashary, Umair Ibn Saad, Muawiyah Ibn Abi Sufyan, Rabie Ibn Al-Afkal and others. Omar carried out periodic consultations with these governners; and solicited news of their performance in office by meeting with the people during the Hajj season. Omar Ibn Al-Khattab always made certain that strict standards of justice were instituted by the commisars in the various Muslim states.

The policy of Omar in this respect aimed at optimizing the standards of governance to be strong in practice and most efficient in justice. The commisars of Omar were cognizantly perceptive of the precise understanding of governance. In a speech by Umair Ibn Saad, one of Omar's commissioners; he said "Islam will remain strong with the strength of rule, however, the strength of rule is not by brutal force, it is by the foundation of right and the implementation of justice".

During the early years of Omar's office, these commisars were responsible for every aspect of rule. They combined the duties of military commanders, attending to judiciary matters, implementation of standards, and other duties. When responsibilities expanded and increased, Omar Ibn Al-Khattab separated the responsibility of judiciary and tribunal affairs, and

requirements and demands of the community. Every man, woman, child, and infant was a responsibility of Omar. From his experience with such practice of proximal relationship with the people, Omar could reach standards of social legislations that were very justifiable to the needs of the community. These legislations conformed with the intricate teachings of Islam of which Omar was very aware. The precise implementation of kindness, the cognizance and attention to the needs of the community, formlated a popular potentate chancellor of the people who was grealty loved, respected and avowed. Omar personally attended to every detail of administration, the strategy of the crusades in Iraq and Syria, the supervision of governers in the various states, the administrative policy of the nation, the judiciary matters, and the personal solicit of every element matter. He was observed once following a stray camel, and when asked, he answered "That was a stray camel that belonged to the state, I had to retrieve it". To that meticulous degree Omar Ibn Al-Khattab was consciously apprehensive of the duties of his office.

The administration of Omar Ibn Al-Khattab was distinctive by a supreme opitimized practice of justice, which became throughout human history very portrayal in its thoroughness, and exemplary of its quality. The basic codes of jurisdiction upon which the dimensions of such system of justice were structured, were the laws of Islamic Shariah in their most comprehensive concepts. To his kinsmen, Omar was very strict inded, making them as example to others. He ardently believed that the institution of justice was the most concrete foundation for human promotive culture, and progressive human civilization of refined enlightment. That was the path to human freedom, emancipation, dignity and respect.

Omar Ibn Al-Khattab developed a self composed system of selective discretion for the choice and oppointment of the various governers for the different states to act as his deputies. His famous words were "people are always on the right path, as long as their governers are straight". Throghout all Muslim territories from the north regions of Syria and Iraq, to the south coast of the Arab peninsula, justice became a popular common social standard ensured for all individuals at all levels of the society; from the governer to the ordinary man, from the richest to the poorest, and from the oldest to the youngest infant. The governers, answering to the function of office were strictly responsible for the administrative institution of justice.

OMAR IBN AL-KHATTAB

The IMPLEMENTATION

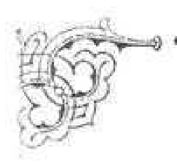
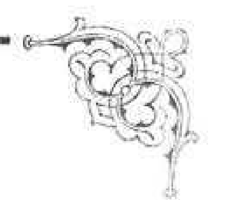
By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, Ph. D.

The reign of Omar Ibn Al-Khattab was characterized by an optimal practice of the basic precepts and injunctions of Islamic standards and guidelines. Omar Ibn Al-Khattab functioned as an intimate close companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and after that as an advisor to Abu Bakre Al-Siddiq. His knowledge of Muslim Theism, Arab history, tribal socio-psychology, human trends and nature; were indeed excellent. His insight, preceptive wisdom, piety, war strategy, peace administration, and his unequalled discriminative rationality enabled him to continue the implementation of standards of the regime founded by the Prophet, and established by Abu-Bakre Al-Siddiq.

The concept of authority in the mind of Omar Ibn Al-Khattab was very specifically clear, precise, subject to a rigorous system of self judgement and analysis. He conceived authority as grave responsibility extorting for itself the reverence of incumbent moral obligation of its sacred duty. He denied in absoluteness the spectacle of ornate flagrance and ostentatious pageantry associated with authority. This great apprehension was expressed as he said "How can I concern myself with the affairs of the people, unless I share the tribulations they endure".

The geographical expansions, and the affluence of the Muslim nation in the reign of Omar Ibn Al-Khattab did not change his humble primitive style of life. His supreme sense of office made him conceive his duty towards every individual of the Muslim nation, their welfare, their property, their culture, their unity, their freedom, their rights and their most intimate social relationships. He understood that social kindness, love, magnanimity, amiability, sincerity and devotion were essential requirements for prosperity and social resplendence.

The annals of Islamic history are very rich with narratives of how Omar Ibn Al-Khattab was very intimately close to the daily life,

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART III

Rabie Al-Awal, 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع
السنة الثالثة والستون
ربيع الآخر ١٤١١ هـ
نوفمبر ١٩٩٠ م

مُنَزِّلُ الكتاب بهذا الدين السمح على رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم -.

وهذا الدين لمن يرغبه ، وثمارهُ لمن يبذرها عن حُبّ ، ويتعهدها بملازمة فيجنيها زاهرة يانعة ، تسعى إليه قبل أن يسعى إليها ، وتأنس إليه أضعاف شوقه إليها ... وأية غرابة في ذلك .. ؟!

تلك سنة الله ... قانونه الفطرى الذى لا يتخلف ، وهل مِنَّا أحد ينفر ممن يحبه ، أو يرضى بهجره ؟! فما بالك بدين هو .. بطبيعته يحسن إلى من أساء.إذا سعى إلى الله بتوبة صِدْقٍ شِبْراً سعى الله إليه ذراعاً ، وإذا سعى إلى الله ذراعاً سعى إليه - تعالى - باعاً[1] ، وفَرِحَ - جل وعلا - بتوبته أشد مما يفرح العبد بتحقيق رغبته ، بل يضيف إليه حُبَّ الناس فيه .

هؤلاء المحبون يهديهم الله لنوره ، ويتقبل منهم أحسن ماعملوا ، ثم هم الأبرار في عليين .

عزيز عليهم اسمه تعالى ... يحفظونه « قولاً » و « فعلاً » ، ولا يتهاونون بشأنه على أى حال ... هو على ألسنتهم ذكر ، وهو في قلوبهم تقوى .

الله

روى ابو بكر احمد بن محمد المروزى فى « الورع » عن الإمام ابى عبد الله احمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه ـ قال :

عن ابان عن انس قال ، قال رسول الله ﷺ :

من رفع قرطاساً[٢] فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) إجلالاً لله ان يُدَاس ، كُتِبَ عند الله من الصديقين ، وخُفِّفَ عن والديه العذاب وإن كانا مشركين » ، فما بالنا بقوم غفلوا عن منزلة هذا الاسم الجليل ؟! وتهاونوا فى حقه ، وما اكثرهم من المسلمين الذين نَسُوا الله فأنساهم انفسهم .

يتندرون بأسماء الله ، ويتلاعبون بها ، ويستكثرون من الخلط فيها رغبة فى إضحاك الناس ، وسعياً إلى (شهرة) مثيرة، و (مال) وفير .

وابرز مايكون هؤلاء عصبة من اهل الفن لا تخلو ـ ابداً ـ مسرحية لهم ، او فصل فكاهى فيها عن هذا التلاعب بالخلط والتلبيس وإخراج اسماء الله مختلفة تماماً عن اللفظ الصحيح ، وخذ إلى ذلك من آيات الله تعالى ، وأسماء أصحاب رسول الله ـ ﷺ ماشاءت هذه العصبة :

يقولون، والناس يضحكون !

غفلة مِمَّن ضَحِك ، وجُرْمٌ مِمَّن أَضْحَك !

ولستَ تطلب ترويحاً عن نفسك بعد يوم شاق امام مسرحية من هذه ، او رواية ، او فصل عارض إلا قمتَ آثما مما سمعت وشاهدت من طعن فى هذا الدين على ألسنة هؤلاء الفنانين .

وما كان لى ان اطلق عليهم لفظ (الفنانين) او على احدهم لفظ (الفنّان) إلا انهم رضُوْها لأنفسهم ، وليس بصارف معناها الأصلى إضافة حديثة ضمها (المعجم) فالمُوَلَّدُ غير الصريح .

ثم لاعلينا :

إن الله أنذر ، وبَيَّنَ ، ولا حجة لأحدنا فى الإنصات إليهم ..

يقولون : لهو برىء ...، وأي براءة وهم يؤذون الله ورسوله والمؤمنين .

يقولون : « إنما كنا نخوض ونلعب » .

ويقول المولى عز وجل :

﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ التوبة ٦٥ ـ ٦٦ .

فأما نحن ـ المشاهدين والسامعين ـ ونسأل الله أن يتوب علينا ، فقد قال تعالى ـ لنا :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ .

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ النساء ١٤٠ .

نعم من رضى بهذه الفِعال ، وجلس يستمتع بها ويضحك لها ، فهو تماماً مثل الذى اضحكه .. هذا قال فأفرط ، وذاك شَجَّع واستكثر .

نسأل الله التوبة والعصمة من الزلل .

د. على أحمد الخطيب

(١) الباع : مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالاً .. الوسيط .

(٢) ورقة

الاحتفال بمولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

نص خطاب الرئيس

محمد حسني مبارك في حفل مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

في ذكرى ميلاد الرسول محمد

صلى الله عليه وسلم

بيان

من الأزهر الشريف

نص خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك





صلى الله عليه وسلم

فى ليلة الثلاثاء التى تشرق على الناس بميلاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى مسجد محمد على بالقلعة القى الرئيس خطابه التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

● الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الإخوة والاخوات الأعزاء ..

يسعدنى كل السعادة ان التقى بكم فى هذا الملتقى الكريم ، لكى نحتفل معاً بذكرى ميلاد نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -

كما يسعدنى غاية السعادة ان اقدم اخلص التهانى لكم ، ولكل المواطنين فى مصرنا الحبيبة ، وإلى كل الأشقاء فى امتنا العربية المجيدة ، وإلى جميع الإخوة فى عالمنا الإسلامى العزيز .

وابتهل إلى الله عز وجل فى هذه الليلة المباركة ، ان يكشف عن امتنا الغمة وان يصون ابناءها من كل ملمة ، وان يحفظ عليها نعمة الوحدة ، ويربط بين قلوبها برباط المحبة ، وان يبسط عليها مظلة السلام ، ويجعل رحمته درعاً تحميها من كل الاخطار ورعايته حصناً يحفظها من كيد الأشرار ..

فى الذكرى قيم إسلامية رفيعة .

● وبعد أيها الإخوة .. فهذه الذكرى ينبغى أن تذكرنا بتلك القيم الإسلامية الرفيعة التى أرساها صاحب الذكرى - صلوات الله وسلامه عليه ، تلك القيم الخالدة الإنسانية ، التى جاء بها وحياً عن ربه لصالح البشرية ولدفعها إلى آفاق التقدم ، والصعود بها فى مراقى السمو والتحضر ، ولاسعادها فى ظلال الأمن والوئام والاستقرار والازدهار والسلام ..

وليس الأمر أمر تذكير فقط ، وإنما الأمر أمر أخذ بتلك القيم ، وبالعمل بما توجبه من سلوكيات ، وما

تفرضه من علاقات وسياسات .. وبهذا تكون احتفالاتنا بالذكريات المجيدة استلهاماً يدفع إلى خير الأمة، ودرساً ينتج نجاح الجماعة، ومنهاجاً يوجه إلى الطريق القاصد ويصل بنا - نحن العرب والمسلمين - إلى الأمل المنشود.

على أن هذه القيم المحمدية الخالدة ليست مجرد تجريدات ونظريات، وإنما هى مبادىء عملية قد زُرعت فأثمرت وُطبقت فأبدعت، وكان من ثمارها وإبداعها ماأحدثت من تغيير شامل فى حياة العرب أولاً، ثم فى حياة بقية الشعوب ثانياً، ثم فى صنع الدولة الإسلامية الشامخة والحضارة الإسلامية الباذخة. ومعروف أن الدولة الإسلامية كانت فى عهود ازدهارها - التى استمرت عدة قرون - أرقى الدول، كما كانت حضارتها واحدة من أعظم الحضارات .. ولم تتخل تلك الدولة عن مركز الصدارة إلا حين تخلت عن تلك القيم، وتنكبت طريق تلك المبادىء .. ولذا كان علينا أن نعود إلى تلك الدعائم الإسلامية الإنسانية الرفيعة - التى أرساها صاحب الذكرى العطرة - لكى نعيد صياغة حياتنا على مثلها، ونعلى بناء أمتنا على أصولها وبهذا نصلح ما فسد من أمورنا، ونقوِّم ما أعوج من سبلنا، ونصبح بذلك جديرين بالانتساب إلى نبينا والانتماء إلى ديننا ..

حياة العرب قبل الإسلام

أما حياة العرب، فقد حدث فيها بالإسلام ما يشبه المعجزة الكبرى التى يعرفها كل من له إلمام بالتاريخ العربى والإسلامى .. فقد كان العرب قبل الإسلام يحيون حياة جاهلية متخلفة أهم مظاهرها القبلية الممزقة، والعدوانية الغاشمة والاستبدادية المتحكمة، والطبقية المتسلطة والتفرقة الظالمة .. فالقبائل شتى، وهى تتصارع دون تعقل وتعتدى دون رفق ويتسلط رؤساؤها دون مشورة، كما يتمايز فيها الناس بالأصول والعروق، ويتفاخرون بالأحساب والأنساب، ويعتزون - دون رادع - بالقوة الباغية، ويستمتعون - دون تحضر - بالهمجية الطاغية، كما ينقسم الناسُ فى تلك الحياة القبلية الجاهلية، إلى سادة متجبرين وعبيد مقهورين، وإلى أقوياء معتدين وضعفاء مسلوبين، وكانت بعض الحروب - فى أيام العرب الجاهلية - تستمر سنوات وسنوات، بينما تكون قد شبت لأتفه الأسباب، بل كثيراً ما اشتعلت الحرب لمجرد الرغبة فى إظهار القوة واستعراض السطوة والتباهى بالغلبة، فإذا لم يجد المعتدى عدواً يوجه إليه غارته، كان يشن تلك الغارة على قريبه بل على أخيه، ومن هنا قال شاعرهم مفتخراً بغارات قومه على أقربائهم وإخوتهم من قبيلة بكر:

واحيانـا على بكـر اخينـا إذا لم نجـد إلا اخانـا

دعوة الإسلام إلى إقامة دولة متحضرة

ثم جاء الإسلام فدعا إلى الترابط والوحدة وإقامة الدولة المتحضرة ونبذ التفرق والتمزق وقضى على القبلية المتخلفة ودوى فى الآفاق صوت الحق سبحانه:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

وقوله جل شانه: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

كما دعا الإسلام إلى الإخوة والمحبة . واحترام حرية الغير وتقديس حرمة دم الإنسان وعرضه وأرضه فقد علت صيحة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – : « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » بل جعل المسلم هو « من سلم الناس من لسانه ويده » . ثم ختم تعاليمه الإنسانية الرفيعة بقوله الخالد فى خطبة حجة الوداع : « أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا » .. كذلك دعا الإسلام إلى المساواة بين الناس . ونبذ كل تفرقة أساسها الأنساب والأحساب أو الأجناس والألوان ، فنقل محمد إلى البشرية وحيا عن ربه : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . ثم فسر هذا الدستور الخالد بقوله – صلوات الله عليه – : « الناس سواسية كأسنان المشط ، ليس لعربى فضل على عجمى ولا لأبيض فضل على أسود إلا بالتقوى » .. وأكد تلك المساواة بقوله الحاسم : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ..

ورسم الطريق الحق أمام الله وأقرب الناس إليه ، حين نهاهم أن يأتوه بأحسابهم على حين يأتيه الناس بأفعالهم .. بل إنه – صلوات الله عليه – تلقى وحياً عن ربه سورة من سور القرآن الكريم تقبح مسلك عم من أعمامه وتنذره بنار جهنم ، وذلك جزاء لما قدمت يداه من آثام ضد قيم الإسلام ونبى الإسلام . ذلك العم هو أبو لهب ، الذى أنذره الله بأنه ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ والذى لم تشفع له قرابته – الحقيقية – للرسول ، أو تحل بينه وبين أن يكون – بسبب عمله وشره المستطير – من المستحقين لجهنم وبئس المصير .

كذلك دعا الإسلام إلى التعاون والتكافل والمسئولية المشتركة حين يتعلق الأمر بسلام الأمة وكيان الجماعة ومن هنا نادى بدفع الظلم والتصدى للبغى والضرب على يد المعتدى .. وما أروع قول الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – : « إذا رأيتم الظالم ولم تأخذوا على يديه ، يوشك أن يعمكم الله بعذاب من عنده » بل ما أبلغ تلك الصورة التى قدمها الرسول – صلوات الله عليه وسلامه – ليجسد أمامنا بشاعة المعتدى على حق المجتمع بزعم أن ما يفعله إنما هو حقه ، وفى نهاية تلك الصورة يوضح الرسول عاقبة السلبية فى معاملة هذا العادى على حق الجماعة وهى عاقبة وخيمة وبيلة ، لأنها الهلاك للمعتدى وللساكتين السلبيين جميعاً .. أما تلك الصورة ، فهى تمثيل المجتمع بقوم ركبوا سفينة فاقتسموا أماكنهم فيها . ثم جاء أحد الراكبين وراح يثقب المكان الذى تحت قدميه بحجة أنه يخصه ولا شأن لسواه به .. ثم يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – حاثاً للجميع على الضرب على يد هذا المهدد لأمن الآخرين وحياتهم :

« فإن هم أخذوا على يديه نجا ونجوا ، وإن هم تركوه هلك وهلكوا » .

وإلى جانب ما تقدم من قيم رفيعة ، دعا الإسلام إلى الصدق والأمانة واحترام العهد والوفاء بالوعد ، كما دعا إلى الوقوف إلى جانب الضعفاء والمقهورين ، ونجدة المستجيرين والمظلومين .. عملاً بمبادىء الشرف ، وتمسكاً بقيم المروءة ، واحتراماً لإنسانية الإنسان الذى كرمه الله وجعله خليفته فى أرضه قصداً إلى إعمارها وازدهار الحياة بالحق والخير والعدل وصالح الأعمال فيها .

نضال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لإرساء المبادىء الإسلامية

وناضل الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – من أجل إرساء هذه المبادىء ، وتحمل فى سبيل نشرها وتغيير المجتمع العربى على نهجها . وظل – صلوات الله وسلامه – عليه يكافح ثلاثة عشر عاماً فى مكة ويتحمل فى هذا الكفاح ما يفوق طاقة البشر ، ثم انتقل مهاجراً إلى المدينة . وظل عشر سنوات بها فى معارك من أجل تدعيم هذه القيم وترسيخ تلك المبادىء .. وأخيراً لقى ربه وقد ترك فينا هذا الدين

القويم ، الذى تتألق فيه هذه القيم والمبادىء كما تتألق النجوم فى السماوات العلى ، وهذا الدين دستوره القرآن الكريم وشرحه وتفصيله السنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة ، وفى القرآن والسنة يقول ـ صلوات الله عليه ـ : « فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » ..

بتلك القيم والمبادىء تغيرت حياة العرب

وهكذا تغيرت حياة العرب بتلك القيم والمبادىء الإسلامية الإنسانية الخالدة ، فتجمعوا بعد تفرق وتوحدوا بعد تمزق وصارت لهم دولة مهيبة موقرة بعد أن كانوا يعيشون فى قبائل مشردة مبعثرة وحل الحب بينهم والسلام ، محل العداء والحرب والخصام ، وصار مجتمعهم يقوم على المساواة الإنسانية لا على العنصرية ولا الطبقية وأعليت بينهم قيم الحرية وتقديس حق الغير ، وحرمة دمه وعرضه وماله ، فلا بغى ولا عدوان ولا ظلم ولا طغيان وإنما إخاء وتعاون وأمن وأمان .

وبهذا التغيير الرائع فى حياة العرب ـ والذى يشبه المعجزة ـ أصبحوا قادرين على حمل رسالة محمد إلى الآخرين ، فساروا بها شرقاً وغرباً هداة مبشرين ، لا محتلين ولا مخربين .. ولم تكن حروبهم ـ شأنها شأن غزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا حروبا دفاعية ضد معتدٍ جائر أو حروباً وقائية ضد عدو متربص مهدد أو حروباً تحريرية ضد مستبد طاغ يستذل الضعفاء ويقهر البسطاء ويحول بينهم وبين أن تصلهم رسالة السماء .

على أن هذه الحرب كانت دائماً لا تقصد إلا المحاربين الذين يحملون السلاح ويوجهونه إلى صدور المسلمين . أما النساء والأطفال والشيوخ ، بل الناس من غير المحاربين ، فكانوا دائماً آمنين . بل إن سفراء الأعداء وحاملى رسائلهم ، ومثلهم العباد والرهبان من أصحاب الديانات الأخرى ، كانت لهم دائماً حرماتهم وحرياتهم ، عملاً بوصايا النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهات خلفائه الراشدين ، وأخذاً بمبادىء الإسلام السمحة وقيمه الإنسانية الرفيعة .

هذا ما كان من جهاد المسلمين ، وهذا ما كان من أسباب حملهم للسلاح وخروجهم للحرب . أما العدوان من مسلمين على مسلمين أو من عرب على عرب ، فهذا لم يكن إلا ممن خرج على الجماعة ، واستحق الإدانة بما سود من صفحات التاريخ ، وأراق من دماء الأبرياء ، وخاصة آل البيت أو الصحابة والتابعين ، أو الأئمة والمفكرين والصالحين .

بالقيم الإسلامية تغيرت حياة الأمم الأخرى

ذلك ما فعل الإسلام من تغيير شامل فى حياة العرب ، أما ما فعله بحياة الأمم الأخرى التى كانت خارج نطاق بلاد العرب ، فحسبنا أن نتذكر هنا أن العالم كان ـ قبل الإسلام ـ قسمة بين دولتين كبريين ، هما الفرس والروم ، وكانت هاتان الدولتان تعيشان على نظم بعيدة عن قيم الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل ، كما كانتا تحولان دون وصول العقيدة الصحيحة والقيم الإسلامية الإنسانية الرفيعة إلى الرعايا المقهورين والمستعمَرين المغلوبين .. وبعد أن وصلت طلائع الدعوة المحمدية إلى تلك الدول ونصر الله الحق ، وبعد أن دخل الناس ـ من أهل تلك البلاد ـ فى دين الله أفواجا ، عملت القيم الإسلامية عملها ، فحلت الحرية محل العبودية ، وقامت المساواة مقام العنصرية والطبقية وانتصر العدل وقهر الظلم ، وعم السلام ، وأصبحت تلك البلاد ـ بفضل الإسلام ـ من مكونات الدولة الإسلامية الكبرى ، التى كانت تمتد حدودها من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ، ومن جنوب فرنسا شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً .. كما أنتجت تلك القيم الإسلامية الرفيعة القائمة على الحرية والمساواة ،

والديمقراطية والعدل والتى تعلى كرامة الإنسان وتقدس حرمة دمه وماله وعرضه والتى تحض على العمل ، وتدعو إلى الإنتاج وتقصد إلى تعمير الحياة وترقيتها بالعلم النافع والفكر الصحيح والفن الرفيع ـ انتجت تلك القيم ، تلك الحضارة الإسلامية العظيمة ، التى كانت لها مراكز متألقة فى المدينة ودمشق وبغداد ، والقاهرة والقيروان وقرطبة ، وغير هذه وتلك من العواصم الحضارية الإسلامية الكبيرة ، التى نبغ فيها العلماء والمفكرون والأدباء والفنانون من كل الأجناس والألوان والطبقات ، حيث وحد بين الجميع الفكر الإسلامى الراقى ، وأزال الفوارق بينهم الروح الإسلامى السمح ، وأضاء قلوبهم نور الإسلام الوضاء .. وهكذا قامت دولة الإسلام الكبرى ونهضت حضارته العظمى على أساس من تلك القيم التى لا تعرف العداء ، ولا تقر البغضاء ، والتى ترفض التفرق وتمقت التمزق ، كما تحرم العدوان وخاصة على الجار والأخ ، والمشارك فى شهادتى « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ..

■ الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الإخوة والأخوات والأبناء ...

ماأحوجنا دائماً إلى أن نتذكر هذه القيم التى أرساها نبينا الكريم ، الذى نحتفل الليلة بذكرى مولده العطرة .. وما أحوجنا إلى أن نترجم هذا التذكر إلى منهاج عمل وخطة إصلاح وأسلوب علاج .. بل ماأشد حاجتنا فى تلك الأيام بصفة خاصة ، إلى أن نسارع إلى تلك القيم المحمدية السامية لكى نتخذ منها طاقة نور نهتدى بها فى ظلمات حجبت عن البعض نور الحق .. إن أمتنا الإسلامية قد بدأ ضعفها منذ انحرفت عن طريق تلك القيم ، وقد وصل بها الضعف أحياناً ، إلى وقوعها تحت سيطرة الاستعمار ، بعد أن تفرقت وتمزقت ، فهانت وتخلفت .. ولكن رحمة الله أدركت هذه الأمة ـ منذ سنوات ـ فنهضت بعد كبوة ، واستيقظت بعد غفوة ، ودب فيها روح البعث بفضل زعماء مخلصين ، ومفكرين مصلحين وثوار فدائيين . وأخيراً حمل الاستعمار عصاه ورحل عن بلادنا ، وبقى أن نصلح ما أفسده ونعمر ما خرب ونعوض ما فات .. وكنا قد تجمعنا بعد فرقة ، وتصافينا بعد جفوة ، وأخذنا طريقنا نحو إعادة بناء مجد أمتنا وسابق نهضتنا وماجد حضارتنا،،

رِدَّة جاهلية مقيتة

وفجأة حدثت المحنة التى نسأل الله أن يهدى إلى النجاة منها .. وكأن هذه المحنة قد أراد الذين من ورائها أن يعيدوا حياة أمتنا إلى جاهليتها الأولى ، فيعتدى القوى على الضعيف ، ويسلب حامل السلاح الأعزل روحه وماله وأرضه وعرضه ، وتحل الفرقة والتمزق محل الوحدة والتجمع ، ويشيع الصراع والقتال والخصام ، بدلاً من الوفاق والوئام والمحبة والسلام ، ويتجدد الاعتزاز بالأنساب والأعمام والأخوال ، بدلاً من الاعتزاز بالمبادىء والخلال وصالح الأعمال .. أجل أيها الإخوة والأخوات الأعزاء ، نحن الآن فى أمس الحاجة إلى تعاليم صاحب الذكرى العطرة ، وإلى تذكر ما فعلت تلك التعاليم بالعرب ، وما صنعت بالعالم خارج نطاق العرب ، وإلى تأمل كيف بنت تلك التعاليم وشادت وأنجزت ، وكيف أن محاولات إغفالها قد أخرت وعوقت ، بل هدمت ودمرت .. وأكثر من التذكر والتأمل ، نحن محتاجون أكثر من أى وقت مضى للعمل بمقتضى هذه التعاليم إذا أردنا النجاة مما يهددنا من أخطار ، وإذا أردنا أن نتجنب ما نساق إليه من دمار ، وإذا شئنا أن نعود ـ كما أراد الله لنا ـ ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .. لأن الإسلام ليس كلمة تقال ولا لقباً يحمل .

إنما هو الفعل والعمل والسلوك والأخلاق ، وناتج المبادىء والقيم .. ولأن القيم الإسلامية السامية والتعاليم المحمدية الراقية ، هى التى صنعت أمة العرب ، وأقامت دولة الإسلام ، وصاغت حضارة المسلمين ، تلك الحضارة التى تتألق صفحاتها مشرقة وضاءة فى سجل الحضارات كلها والتى عاشت فى

ظلها البشرية ناعمة سعيدة قروناً عديدة ، ومازالت معالمها إلى اليوم منارات باهرة ، كما كانت إنجازاتها بالأمس كنوزاً عامرة .

أليس مما يبعث على الأسى أن نتخلى عن تلك القيم بينما يأخذ بها الآخرون ، وهى القيم التى صلح بها أمر أمتنا أولاً ، وليس بغيرها يصلح أمر أمتنا آخراً ؟!..

أليس مما يثير العجب أن يقوم بيننا من يحاولون ردنا إلى جاهلية مقيتة قضى عليها الإسلام ، وتجاوزتها حياة العرب ، وأصبحت أثراً بالياً لا يحمل إلا أبشع الوصمات ، ولا يثير إلا أسوأ الذكريات ؟! .. ألم يحرم الإسلام العدوان وينهى عن تفريق الجماعة وإشاعة الفتنة فى صفوف الأمة ؟

ألم ينبذ الإسلام الأنانية والفردية والطمع والجشع والاستعلاء بالباطل والزهو بالقوة الغاشمة ؟

ما بال أقوام يريدون أن يشوهوا صورة الإسلام ويسيئوا إلى تعاليم محمد - صلى الله عليه وسلم -؟

ما بال أقوام يريدون أن يلوثوا كل ما هو طاهر ونبيل وكريم ، من مبادىء ديننا وقيم تاريخنا العظيم ؟

ما بال أقوام يريدون أن يمزقوا ما توحد من أمة العرب ، ويفرقوا ما تجمع من شمل المسلمين . ويهيلوا التراب على ما أنجز المصلحون وما شاد المخلصون وبنى المجاهدون والصابرون ؟

لماذا تخلق الأزمات تلو الأزمات ، وتشن الحروب بعد الحروب ، وتثار الفتن بعد الفتن ؟ ونحن أشد ما نكون حاجة إلى الأمن والاستقرار حتى ندرك ركب الحياة الزاحف ، وحتى نهيىء لشعوبنا ما هى جديرة به من تقدم وازدهار .

وأعجب العجب أيها الإخوة والأخوات أن من يريدون ردنا إلى الجاهلية الأولى ، يفعلون مايفعلون حاملين راية الإسلام بعد أن تنكروا لكل مبادئه وداسوا كل تعاليمه وأساءوا أبلغ الإساءة إلى جميع قيمه ، وكأن راية الإسلام أصبحت لديهم إحدى وسائل الخداع فى معارك العدوان والتفريق والتمزيق والصراع .

كيف كنا .. وكيف أصبحنا ؟

نعم أيها الإخوة . نحن فى حاجة اليوم أكثر من أى وقت مضى ، إلى تصور كيف كنا بقيم الإسلام وكيف أصبحنا بغيرها ، ماالذى أنجزنا حين عدنا إلى تلك القيم وماالذى فقدنا حين خرجنا عليها .. إننا - ونحن فى بداية الرجوع إلى قيم ديننا - كنا قد حققنا صورة طيبة من صور الوحدة . وشكلاً كريماً من أشكال التعاون وبداية مأمولة من بدايات التقدم ، وكنا قد أوشكنا أن نفرغ إلى تصحيح ما فسد من أمورنا واسترداد ما ضاع من أراضينا ، ورعاية من ظُلم من شعوبنا وتنمية ما نضب من مواردنا وتجديد ما بلى من حضارتنا وتعويض ما فات من تقدمنا .. وبدا العالم من حولنا يتعاطف معنا ويتبنى قضيتنا ويحترم نضالنا ويساند حقوقنا .. ثم حدث ما حدث .

تضرع إلى الله - عز وجل -

فاسألوا الله أن يقى أمتنا شرور ما حدث واضرعوا إلى المولى - فى هذه الليلة المباركة - أن يهدى كل مسئول عما حدث ، وأن يبصره بنعمة الرجوع إلى الحق ، « فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل » وابتهلوا إليه سبحانه لهذه الأمة المجيدة . أن يكشف غمتها ، ويفرج كربتها ، ويصون وحدتها وأن ييسر ما تعقد من أمرها ، ويصون عليها أمنها وأمانها ، وأن تخرج من أزمتها دون إراقة دماء ، ودون مضاعفات لما حل بها من ابتلاء .. والله حسبنا ونعم الوكيل ، وهو - سبحانه - الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

● وكل عام وأنتم بخير .... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

في ذكرى ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

ما اشبه الليلة بالبارحة كان مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر ابريل سنة ٥٧١م والعالم حينذاك يقاسى تفكك الخلق، وضياع المثل الاعلى، فكان اكمل ما فى حياة هذا المولود خلقا عظيما شهد به الله فى القرآن الكريم، ورجولة كاملة خضع لها الناس، وامانة شاملة تفرد بها فى قومه حتى لقبوه (الامين) ودينا جمع بين سعادتى الدنيا والآخرة.

كانت ولادة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وقت تكابد الإنسانية عوامل البلى، فالوثنية تهلك الروح، والمادية ترهق الجسد، وكانت الولايات فى عالم الناس لأناس أوهنهم الترف والفسوق وهدهم الطمع والخيانة وكانت أمم الناس فى تيه من الضلال عن الحق كل الحق، إلا شعبا اعتصم بفطرته بالصحراء ونجا بخلقه مما ساد من فساد شامل، نشأ فى أحضان الصحراء على سجاياها الطليقة من كل قيد، فما عبث بضميره صاحب سلطة، وما استبد بخلقه طاغية، بل كان الغزو المتوالى مصفاة أودت بالضعيف وأبقت على القوى، حتى كان العرب فى جملتهم آنذاك أصلب الأمم عودا وأصبرهم فى البأساء، وكأن الله سبحانه قد احتجزهم فى صحرائهم ليستخرج من أصلابهم تلك النخبة التى اختارها لقيادة الشعوب الحائرة، واختار من بين هذه النخبة محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحمل وإبلاغ رسالته الأخيرة العامة لكل البشر، تعالت سماحة آياته وتسامت فكان خيارا من خيار.

كانت ولادة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلمة الهدى من الله ونفحة للبشرية من قوة الحق كانت بشريات الرسالة الأخيرة من الله وظهور الرسول المنتظر قد لاحت واستجابة دعوة إسماعيل عليه السلام قد بزغ نورها ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

سبحانك الله ما ابلغ حكمتك .

لقد شاء الله لنوره وبرهانه أن يشرقا فى منزل عبد الله بن عبد المطلب وزوجه آمنة بنت وهب ، ذلك المنزل المتواضع ، وشاء العلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا اليتيم الأمى ، لتكون آيته ابهى وأبهر ، ودعوته أقوى وابرع ، وكلمته ألصق بالأفئدة وادخل فى العقول .

نشأ كما ينشأ اترابه من الصبية فى رحاب مكة ولكن الله الذى رباه وسواه وصنعه لرسالته جعله المثل الأعلى للإنسان الكامل والقدوة والأسوة التى تحتذى ، فقد صوره خلقا سويا وخلقا قويما : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ورباه لينظم الحياة بالقدوة ويعلم الدين بالعمل ، فاجتمع فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تفرق فى جميع الناس من خصال حميدة وخلال البطولة : ﴿ . . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ . . ﴾ .

نعم : أغناه ربه فلم يكن عيالا على أحد بل رعى وسعى واتجر فى كل أموره الجليلة والضئيلة وثيق الذمة راجح العقل ، صادق العزم ، حلو المعاشرة كما وصفته زوجه خديجة (**تحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق**) ثم كان الإعداد من الله والاستعداد للرسالة إلى الخلق ، فكان غار حراء وكانت دار الأرقم وكان جبل ثور وكانت دار أبى أيوب فى يثرب ، ثم كان مسجده الجامع حيث شاء الله أن يثبت رسالته ويؤدى مهمته ثم كان الرفيق الأعلى بعد أن أدى الرسالة بصدق الجهاد واحتمال مكاره الدعوة .

كانت ولادة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيذانا بعهد جديد للإنسانية وكان فى ذاته حاملاً رسالة ربه ، مجاهداً نبيها بالصدق ، مجالداً بالصبر ، مجادلا بالمنطق مصاولا بالرأى مؤثرا بالحجة والبيان ، ثم قاهراً عدوه باليد ، جدد أسلوب الحياة وأقام موازين المجتمع فى العلم والسياسة والخلق والتشريع وفى الحرب وفى السلم .

وإن من أسس الإسلام أن نطيع الله فى قرآنه ونطيع الرسول فى سننه وآدابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ . ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

فأين العرب والمسلمون اليوم من هذه الذكرى وهى تمر بهم وقد ارتطموا يتمرغون فى الخمول ، حتى رضوا بالهون وقنعوا بالدُّون وتخلوا عن مكانهم ومكانتهم فى صدر هذه الحياة .

ذلك لأنهم لم يتخذوا من قرآن ربهم ومن سنة نبيهم منهاجا ولادوائهم علاجا ، ومن حياة أولى العزم من أسلافهم قوة وقدرة وأسوة أليس صحيحا أنه ما أشبه الليلة بالبارحة ؟

نعم ما أشبه أمة العرب والمسلمين اليوم بحال العالم حين ولد رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهم يعيشون اليوم صوراً ممزقة وأشياعا متفرقة واتباعا لغيرهم ، تعنو جباههم لأصحاب القوة بعد أن افتقدوها بل قد أضاعوها بفرقتهم واختلافهم وتخلفهم فى العلوم والمعارف والصناعات والزراعات

نص خطاب فضيلة الامام الأكبر

وأصبحوا عيالا يتكففون الأمم الأخرى كل وسائل العيش والحياة وأسباب القوة .

هاهم يتظالمون حيث صال القوى على الضعيف ، وتحيف الغنى على الفقير ، وروع المسلم أخاه واغتصب أرضه وأخرجه من داره ، وعقاره ، وصيره بائسا .

وغفل أولئك الذين اصطنعوا القوة والفتوة على إخوتهم الذين أمنوا بجوارهم واطمأنوا إلى أنه ليس من الإسلام ولا من أخلاق العرب والمسلمين الغدر والاغتصاب ، وصيال القوى على الضعيف ، تغافلوا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى رواه أبو داود **(لا يحل لمسلم أن يروع مسلما)** والحديث الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة **(لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه، لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار)** هذا إذا أشار إليه بالسلاح فكيف بمن صال وجال ، ومن اعتدى وبغى وهدم الدور ، وانتهك الأعراض وانتهب الأموال والممتلكات واغتصب أرض جيرانه وإخوته المسلمين وشرد مئات الآلاف من العاملين ، ومنع الناس أرزاقهم بل ورزأهم فى مدخراتهم .

لقد غفل البغاة الصائلون على إخوتهم المسلمين عن قول الله سبحانه فى سورة غافر : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ وقوله : ﴿ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ ألم يسمعوا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى خطبته فى حجة الوداع : (.. **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم**) .

ألا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال : **(ألا هل بلغت ؟ ألا هل بلغت . قلنا نعم . قال : اللهم اشهد)** .

فما بال قوم من هذه الأمة استحلوا الأموال والأعراض والدماء فقتلوا وشردوا وروعوا المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا .

ألم يقرأوا أو يسمعوا قول الله سبحانه : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ .

ألا إن ما حدث من عدوان العراق على الكويت وما ترتب عليه من أوضار وأضرار وإذلال للأمة العربية والإسلامية أمر كبير وإثم عظيم : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

ألا إن السكوت على هذا الظلم والعدوان قد استنكره سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - حين قال : (ياأيها الناس إنكم تقراون هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده) .

فما أجدر الأمة العربية والإسلامية وقد نكبت فى أمنها بيد بعض أبنائها ما أجدرها فى ذكرى مولد

الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تأخذ من أحكام الله منهاجا ومن سنة رسول الله صاحب الذكرى علاجا ، وأن تُجمع أمرها وتقيم الشورى حكما عدلا وما أجدر هذه الأمة أن تنزع عما ارتكبت من آثام وما شغلها من أوهام ، وما أغواها مما أُدخل على ثقافتها من أباطيل تدحضها حقائق الإسلام .

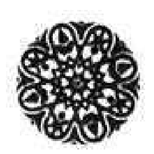
ما أحرى أولئك الذين ظاهروا العدوان أن يفيئوا إلى أمر الله وينزلوا عند حكم رسول الله ويردوا الظلم بمنع الظالم من المراء والاستمرار فى ظلمه الذى أوقع به الأمة فى كارثة العصر وجعلها عبرة للأمم .

ولتجتمع الأمة على كلمة سواء ليحاول المخلصون أن يتجاوزوا هذه الحال وأن يعلوا فوق كل محال فهذه الذكرى المجيدة التى كانت فتحا وبشرا للإنسانية ينبغى أن تخشع قلوب الأمة كلها إجلالا حيث قام صاحبها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أمته على التوحيد والوحدة والوئام والمحبة .
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

اللهم فى هذه الذكرى صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كان الله ورسوله أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم وأموالهم ، وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، بل صبروا وصابروا وجاهدوا حتى انتصروا ونشروا دين الله ودخل الناس فيه أفواجا .

اللهم فى ذكرى مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألف بين قلوب زعماء الأمة واكشف عنها بفضلك ورحمتك هذه الغمة ، فليس لها من دون الله كاشفة ، اللهم اربط كل قلوب أوليائك وثبتهم على الحق وأيد الحق بهم ، واهد من ضل الصراط المستقيم وجنب الأمة ما يراد بها من هلكة ولا تؤاخذها بفعل سفهائها .

اللهم قلت وقولك حق ووعدك صدق : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فلنقبل على التوبة إلى الله واستغفاره ، والندم على ما فرط من إهمال وبعد عن العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ولنقنت فى صلواتنا توبة ودعاء واستغفارا ورجاء ولتكف تلك الأصوات المثيرة للشقاق والمؤججة للنيران . وتلك الأقلام التي دأبت على الإثارة وافتعال المعارك فى غير ما ميدان ، فإن الأمة تمر بوقت عصيب تحتاج فيه إلى العودة إلى الله فى كتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب الذكرى ، واتركوا لجمع الكلمة مكانا ولإطفاء الفتنة قوة وكيانا واتركوا الجدل والمراء فى الحق ، والأمة فى حاجة للنصح ، وكلنا يحفظ الحديث الذى رواه مسلم وقد قيل إن عليه مدار الإسلام وقيل أحد أرباع الإسلام (الدين النصيحة) قلنا لمن ؟ قال : (لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .



بيـــان
من الأزهــر الشــريـف

إن الحوادث المؤسفة التى وقعت فى المسجد الاقصى من العصابات الإسرائيلية التى هاجمت المسجد ومن القوات الإسرائيلية التى داهمت الفلسطينيين الذين يدافعون عن المسجد وملحقاته فقتلت منهم العشرات واصابت اكثر من الف نفس .

هذه الحوادث المؤلمة التى تدل على ان الإسرائيليين على مختلف مستوياتهم قد تخلوا عن الإنسانية ، وأن الحكومة الإسرائيلية قد خرقت المواثيق الدولية التى تؤكد على الحفاظ على حقوق الإنسان واحترام دور العبادة وحمايتها وهى بهذا العمل قد شاركت فى انتهاك حرمة المسجد الاقصى ، ولم تحترم شعور مليار مسلم من كافة شعوب الارض .

وإن الأزهر الشريف ليستنكر هذه الافعال الهمجية المؤسفة التى لم ترع حق الله ولا حق الناس .

ويهيب الأزهر الشريف بمنظمة المؤتمر الإسلامى ان ترفع امر هذه الحوادث الشنيعة إلى منظمة الامم المتحدة بكافة هيئاتها لتنظر فى هذا الجرم الفظيع الذى ارتكبته إسرائيل حكومة وشعبا .

كما يهيب بمنظمة الامم المتحدة التى اقامها العالم حفاظا على الحقوق الإنسانية والمقدسات لدى كافة الشعوب ، ان تضطلع بمسئوليتها تجاه هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الأزهر الشريف بالدول الخمس الكبرى صاحبة الراى الحاسم فى مجلس الأمن ان تتضافر جهودها فى رد هذا العدوان بالإجراءات الحازمة الحاسمة التى تحمى مقدسات المسلمين فى الأرض المحتلة وفى فلسطين وتحمى الفلسطينيين من هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الأزهر الشريف بالشعوب الإسلامية والحكومات ان يتخذوا موقفا موحدا إزاء هذا العدوان على المسجد الاقصى والذى قتل وشرد الانفس البريئة التى تدافع عن المقدسات والحرمات .

ويحث الأزهر الشريف الحكومات ان تدعم الشعب الفلسطينى فى القدس والارض المحتلة .

كما يهيب الأزهر الشريف بالفلسطينيين بالقدس والارض المحتلة ان يثبتوا فى مواقعهم ولا يتخلوا عن ارضهم ولا عن مقدساتهم مدافعين عنها ولو باجسادهم ولا يوهن من عزمهم ذلك الخلل الذى بدا فى صفوف الامة العربية والإسلامية فلعل ماحدث فى القدس يكون دافعا لجمع كلمة العرب والمسلمين ووحدة صفهم للدفاع عن مقدساتهم وكافة حقوقهم .

وعلى الفلسطينيين فى القدس والارض المحتلة ان ينزلوا عند حكم الله سبحانه فى قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

١٩ من ربيع الأول ١٤١١ هـ
٩ من اكتوبر ١٩٩٠م

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير الولايات المتحدة بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ السيد فرانك وزنر سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة وبرفقته السيد / ستانلى جوملر اسكودرو مستشار السفارة للشئون السياسية والسيد / رونالد شلكير المستشار بالسفارة وذلك بمكتب فضيلته فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الأربعاء ٢٤ من المحرم الموافق ١٥ من اغسطس ١٩٩٠ .

وقد بدأ اللقاء بالشكر والترحيب ثم استأذن السيد السفير من فضيلة الإمام فى التحدث باللغة الانجليزية قائلاً : إنه اعتاد أن يزور فضيلة الإمام الأكبر كل عام للتشاور والاستفادة بالنصح وقد جاء اليوم لشرح موقف حكومته من الأحداث الجارية الآن فى الخليج العربى ، وأن هذا الموقف قد أثر فى الجميع تأثيراً مريراً ، وأن الولايات المتحدة قد أرسلت قواتها بناء على طلب المملكة العربية السعودية للدفاع عن أراضيها وأنه متى انتهت المشكلة سينتهى الموقف وتعود القوات لأنهم يريدون الاحتفاظ بصداقتهم وعلاقاتهم مع شعوب المنطقة والوقوف أمام الغزو العراقى والعمل على سحب قواته وإرجاع الحكومة الشرعية للكويت ، وأن هذا العمل الذى قامت به الولايات المتحدة جاء موافقاً لما قرره مؤتمر الدول الإسلامية وجامعة الدول العربية .

وقد عقب فضيلة الإمام : إن أحداً لا يوافق ولا يصدق ما حدث فى الخليج ، إذ أنه فى الوقت الذى سعى فيه الرئيس محمد حسنى مبارك فى أكثر من عشرين ساعة طيران بين الدول المعنية فى المنطقة لاحتواء الأزمة قبل وقوعها ، كانت الأمور مدبرة والنية مبيتة على هذا الغزو وربما شعر سيادة السفير بما دار فى الشارع المصرى وانطباعات الهيئات والأفراد فى مصر ، كما أنه عرف بالطبع ما جاء فى قرارات منظمة المؤتمر الإسلامى ومؤتمر القمة العربى وتصديق الأغلبية على القرار الصادر عن المؤتمر ، وأن الشعب المصرى شجب ورفض هذا الوضع المؤسف وأيد خطوات الرئيس حسنى مبارك لمجابهة هذا

الغزو وإعادة الحكومة الشرعية فى الكويت .

فقال السيد السفير : فى الواقع لقد اتخذت الولايات المتحدة موقفها بناء على قرارات منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وقد أيد المجتمع الدولى هذا الموقف متمثلاً فى أوروبا وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

فقال فضيلة الإمام : إنه يأمل فى أن يأتى هذا التجمع وهذه الضغوط وهذا الحصار على العراق بالثمرات المرجوة دون حاجة لاستخدام كل هذا الكم الهائل من الأسلحة فى منطقة الخليج ، وأنه من المأمول أن يكون هناك ضبط للنفس ومحاولة الوصول إلى حل بالطريق السلمى وألا تستخدم القوة العسكرية إلا فى حالات الضرورة القصوى .

فقال السيد السفير : بأنه يؤيد هذا تماما وأنه من أجل الحفاظ على حياة وأرواح آلاف الشباب ليس للعراق والكويت فقط ولكن للولايات المتحدة والسعودية ومصر وكل المشاركين وأنه بالطبع سيكون الأفضل لو امتثل العراق للضغوط وتراجع عن موقفه وسحب قواته وإلا سيتسبب ذلك فى وجود سابقة خطيرة وربما تشهد الخمسون عاما القادمة من جراء ذلك مزيداً من العنف والقلاقل إذا ترك هذا الوضع للعراق ، ولكننا نحاول ومعنا جميع أصدقائنا من أجل حماية سلام وأمن ورخاء المنطقة كما أن هذا الموقف سيتسبب فى متاعب لمصر وخاصة فى الجانب الاقتصادى .

فقال فضيلة الإمام :

إن هذا الوضع وهذه المتاعب لن تكون من نصيب مصر وحدها ولكنها ستؤثر فى جميع دول المنطقة وفى الغرب أيضا وكل ما نأمله أن يعمل مجلس الأمن على سرعة تنفيذ قراراته الأخيرة وأن يكون هناك موقف موحد لكل هذا التجمع ولا تتغلب المصالح والأهواء والخلاف فى الرأى حتى لا يزيد ذلك من تصلب العراق وتشدده وخاصة أننا سمعنا فى الآونة الأخيرة بوجود بعض الخلافات فى تطبيق قرارات مجلس الأمن الخاصة بالدفاع والحصار من جانب الأعضاء الخمسة الدائمين .

فقال السيد السفير : فليسمح لى فضيلة الإمام الأكبر بتوضيح وشرح هذه النقطة حيث أنه فى ميثاق الأمم المتحدة المادة ٥١ والمادة ٤٢ يوجد خلاف فى شأن طلب دولة من دولة أخرى التدخل للدفاع عنها ففى المادة ٥١ تنص على أنه من حق أى دولة عضو فى هيئة الأمم المتحدة طلب الدفاع عنها من قبل دولة أخرى من الهيئة ، وقد أخذت الولايات المتحدة بهذه المادة فى حين أن المادة ٤٢ تنص على أنه فى حالة طلب الدفاع فإنه لابد من صدور قرار هيئة الأمم المتحدة ، وقد أخذت بهذا فرنسا ، ونحن الآن ننسق العمل فيما بيننا لوضع حد لهذا الاختلاف ، وقد أبلغ السيد فرانك وزنر سفير الولايات المتحدة تحيات وتقدير شعب أمريكا وحكومة ورئيس الولايات المتحدة لفضيلة الإمام الأكبر وقدم شكره الخاص لفضيلة الإمام على هذا اللقاء المثمر وأنه سيبلغ حكومته وجهة نظر الأزهر وفضيلة شيخ الأزهر وما طلبه فضيلته فى محاولة ضبط النفس واستخدام الحل عن الطريق السلمى وأن السلام دائما أصعب .

ومرة أخرى رحب به فضيلة الإمام الأكبر وحمله تحياته وشكره لشعب وحكومة ورئيس الولايات المتحدة وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب .

والله الموفق ..

حضر اللقاء وسجله

أحمد عبد الخالق محمد

المترجم بمكتب شيخ الأزهر

مع المؤتمر الإسلامي

العالمي بمكة

٢١ - ٢٣ صفر ١٤١١هـ



لمناقشة الأوضاع الحاضرة فى الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل ومنه نستمد العون والتوفيق .

فى يوم الاثنين الموافق ٢١ من صفر ١٤١١ هـ إلى يوم الأربعاء ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ انعقد «بمكة المكرمة» المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة الأوضاع الحاضرة فى الخليج . وحضره ممثلون لعلماء المسلمين وقادة الرأى فى الأمة والعاملين فى حقل الدعوة ومندوبى المنظمات والحركات والجمعيات الإسلامية من انحاء العالم ، لتدارس احتلال العراق للكويت وضم اراضيه بالقوة وتهديده لأمن الخليج وتعريضه لمصالح الأمة الإسلامية للخطر وما ترتب على ذلك من آثار خطيرة ، وبيان حكم الإسلام فى هذا الحدث وما نتج عنه من آثار اليمة اضرت بسمعة الأمة الإسلامية وعرضت حقائق الإسلام وقيمه للتشويه .. والتوصية بالمخرج من المحنة فى ضوء هدى الإسلام واحكام شريعته حتى يتحقق البيان الذى اوجبه الله على العلماء .

إن تطبيق شريعة الله والتزام منهجه فى كافة مجالات الحياة وعرض ما يقع للمسلمين من قضايا ومشكلات على كتاب الله وسنة نبيه والنزول على حكم الشرع واجب هذه الأمة .

ذلك أن إعلان الإيمان بالله والإقرار بأن شرعه هو الحق وأن حكمه هو العدل ، لا يستقيم مع عدم النزول على حكمه بمقتضى قول الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[2] .

وما اكتنف المسلمين من وهن وفرقة وتظالم وتدابر إلا بعد أن ضعفت صلتهم بهذا النهج واتبع كثير منهم أهواءهم . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[4] .

وعليه فقد قرر المؤتمرون بالاجماع إعلان الوثيقة التالية شهادة بالحق ورعاية للأمانة

(١) سورة النساء : ٦٥ . (٢) سورة الأحزاب : ٣٦ . (٣) سورة طه : ١٢٤ . (٤) سورة البقرة : ١٢٠ .

ونهوضا بالمسئولية وبلاغا إلى الأجيال :

إن مقاصد الشريعة القطعية ومبادئها الكلية وادلتها الجزئية توجب الحفاظ على الأنفس والاعراض والأموال والذود عنها وتعد الموت من اجل كل ذلك شهادة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٥) . وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام ..... إلخ » . صحيح البخارى ومسند أحمد . وقال عليه الصلاة والسلام : «من قتل دون ماله فهو شهيد» صحيح البخارى .

وفى نور هذا الهدى الربانى المبين يعلن المؤتمر :

إن عدوان النظام العراقى على الكويت إهدار صريح وانتهاك سافر لهذه الحقوق والمقاصد التى حفظها الإسلام وهو منكر عظيم وفساد كبير وسنة سيئة يشهد على ذلك أهل العلم والعقل .

ومن ثم فلا يزول هذا المنكر ولا يرتفع هذا الفساد إلا بانسحاب الجيش العراقى الكامل من الكويت وإبطال كافة الآثار المترتبة على هذا المنكر وذلك الفساد .

ومما ترتب على هذا العدوان وجود قوات أجنبية فى الخليج إذ اضطرت المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى إلى طلب قوات إسلامية وأجنبية لمساندة قواتها الدفاعية فى مواجهة عدوان وشيك من القوات العراقية المحتشدة على حدود المملكة العربية السعودية .

ولقد تقرر عند أولى العلم أن شريعة الإسلام تتسع لهذا الإجراء وتستوعب هذه الضرورة ومن هنا فإن ثمة تلازما بين احتلال الكويت والتهديد العراقى للمملكة العربية السعودية ودول الخليج ووجود القوات الأجنبية فإذا زالت هذه الأسباب انتفت الضرورة لوجود هذه القوات كما أكد أولو الأمر فى المملكة العربية السعودية على ذلك .

ولا يرى المؤتمر مسوغا لإقحام الحرمين الشريفين فى هذا الخصام السياسى والإعلامى فليس فى الأرض المقدسة وجود أجنبى ولا يجوز أن يقحما فى الصراعات والشعارات والخلافات والمزيدات السياسية فالنأى بهما عن هذه الصراعات والمزايدات مظهران من مظاهر تعظيمهما واحتراما : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(٦) .

والمؤتمر مدرك حرص المملكة الدائم على إبقاء الحرمين الشريفين بعيدين عن الصراع السياسى والمذهبى كما يقدر الجهود الدائبة المخلصة التى تبذلها المملكة فى خدمة الحرمين الشريفين والحفاظ على طهارتهما وقدسيتهما .

كما يشيد المؤتمرون بتطبيق المملكة العربية السعودية للشريعة الإسلامية ودعمها للمسلمين فى شتى بقاع الأرض وحرصها على تضامنهم .

والمؤتمر يدرك أن من مخططات الأعداء الثابتة والمتجددة إيقاد نيران الفتن والحروب فى العالم الإسلامى وكأن المستثنى وحده من فرص الهدوء والاستقرار التى يتمتع بها غيره فى ظل الوفاق الدولى الجديد .

وتعتبر أزمة الخليج الراهنة حلقة فى هذا المخطط الذى لا يريد لأمتنا خيرا ولا نهضة ولا تقدما . ومن المحزن أن يجد هذا المخطط من ينفذه من أبناء الأمة العربية والإسلامية .

إن أزمة الخليج قد صدعت العلاقة الأخوية بين الشعوب الإسلامية وفرقت كلمة المسلمين خاصتهم وعامتهم وحرمتهم من الإحساس بالأمن على أنفسهم وأموالهم وديارهم وأعراضهم وصرفت الجهود والهمم عن قضايا الإسلام والمسلمين كقضية الجهاد الأفغانى والانتفاضة الفلسطينية وهجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين المحتلة وسائر القضايا الإسلامية .

---

(٥) سورة الأنعام : ١٥١ . (٦) سورة الحج : ٣٢ .

وثيقة مكة المكرمة

إن غزو العراق للكويت مع منافاته للإسلام قد أتاح الفرصة لأعداء الإسلام لتشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام الرأى العام العالمى حيث حرصت أكثر وكالات الأنباء العالمية على إظهار الإسلام وأهله بصورة دموية لا تحفظ العهود والمواثيق ولا ترعى حق الجوار ولا ترحم صغيرا ولا تعرف حق كبير .

وتدبر المؤتمر أسباب الضعف والتخلف والخذلان والفرقة والاضطراب فى الأمة فوجد أن من أخطرها وأبرزها ما يلى

أولا : الاستبداد الذى أتاح لفرد واحد أن يقرر اجتياح بلد عربى مستقل ويتصرف فى مقدراته ويعبث فى مصائر الأمة ويعبث فى أهم قضاياها الأمنية والسياسية والاستراتيجية .

ثانيا : تمزيق الأمة بالشعارات العرقية والقومية والعلمانية والطائفية .

ثالثا : ضعف البناء الذاتى فى التربية والتعليم والصناعة المدنية والعسكرية وترك الاستعداد للجهاد .

رابعا : الحملات الإعلامية المعادية والغزو الثقافى والفكرى وضعف أعلام المسلمين عن التصدى لها .

خامسا : القصور الظاهر فى سلوك الأمة وفشو مظاهر العصيان والمخالفات كالتعامل بالربا وصور الفسوق فى البيت والشارع .

سادسا : الغفلة عن مخططات الأعداء وتدبيرهم ومكرهم . وعلاجا لهذه الأوضاع يؤكد المؤتمر : وجوب العودة إلى الله تعالى عودة صادقة والالتزام بكتابه وسنة رسوله - ﷺ - إذ هما ركيزتا العمل المخلص والجاد فى سبيل إحياء الأخوة الإسلامية وبناء الأجيال على أسس سليمة والعزم البصير على ترسيخ النهضة الإسلامية الشاملة .

ودعوة العلماء إلى القيام بواجب البيان لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾(٧) .

ودعوتهم إلى جمع كلمتهم والتشاور فيما بينهم ليصدروا عن موقف واحد فتتحد الأمة من ورائهم ونحذرهم من الوقوع تحت الضغوط ترهيبا وترغيبا فإن الله يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٨) .

وندعو حكام المسلمين وقتئتهم إلى تحكيم شرع الله فيما بينهم فإن الله سبحانه يقول : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٩) .

وندعوهم إلى الزام أجهزة الإعلام والتعليم بحمل رسالة الإسلام وتمثلها ، وإلى أن تكون أدوات صالحة لتهيئة أجواء الاستقامة النفسية والفكرية والخلقية والسلوكية : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(١٠) .

وندعو إلى تطبيق مبدأ الشورى الذى يغنى الأمة عن التطلع إلى مفاهيم الديمقراطية الغربية والذى يعصم الأمة من الاستبداد الذى يجعل مصائر الأمة ضحية للأهواء الفردية .

وندعو إلى الوحدة الإسلامية وفق مقوماتها العقدية والفكرية والتربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية والأمنية والدفاعية : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(١١) .

(٧) سورة آل عمران : ١٨٧ . (٨) سورة البقرة : ١٧٤ . (٩) سورة النساء : ٦٥ . (١٠) سورة الحج : ٤١ . (١١) سورة الأنبياء : ٩٢ .

ان هذه الوحدة الإسلامية المفروضة والمطلوبة هى ـ بعد عون الله ـ سبيل المسلمين إلى حياة كريمة قوية فى ظل الكيانات الكبيرة التى يعاد بناؤها فى العالم فى مناخ الوفاق الدولى فوق كوكبنا الأرضى .

وندعو إلى بناء القوة العسكرية الإسلامية بسرعة وعزم وإلى الاستعداد بمفاهيمه الشرعية الصحيحة وهى إعلاء كلمة الله ودفع الظلم والذود عن المقدسات والقتال دون النفس والأهل والمال .

إن بناء القوة العسكرية الإسلامية الجهادية هى الضمان الحقيقى والدائم ـ بعد توفيق الله ـ لعزة المسلمين واستقلالهم وسيادتهم ومكانتهم المرموقة بين الأمم .

وندعو كافة الدول العربية والإسلامية ودول العالم إلى الالتزام بالعهود والمواثيق والأعراف الدولية التى تمنع الاعتداء والتدخل فى الشئون الداخلية للدول وتحض على إفشاء السلام فى المنطقة وفى العالم وعلى التعاون وحسن الجوار وحل الخلافات بالطرق السلمية وعدم فرض الإرادة الخارجية عليها .

وندعو الدول الإسلامية كافة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وفقا للشريعة الإسلامية لا وفقا للمفاهيم الطبقية ونوازع الأحقاد والضغائن ـ وتبعا لمنهج هذه الأمة فى احترام الحقوق ، وتحريم الاعتداء والاستيلاء عليها بالقوة . ويجب كذلك إشاعة روح التعاون بين الدول الإسلامية والتكافل بين شعوبها ، ورفض كل شكل من أشكال الاغتصاب للحقوق والممتلكات دون مبرر ، وإحياء روح المحبة والألفة بين ابناء هذه الأمة واستنكار كل قول وعمل وسلوك يسعى إلى إثارة الفتنة والحساسيات بين الشعوب العربية والإسلامية والدعوة إلى مواجهة هذه النزعات والتصرفات بالمزيد من الوعى والإدراك لما تؤدى إليه من انقسامات خطيرة من شأنها أن تدمر الروابط العميقة بين هذه الشعوب وتقضى على أسباب قوتها وتماسكها وتفتح اوسع الابواب لكيد الأعداء .

وندعو شعوب الأمة الإسلامية فى مختلف انحاء الأرض إلى ممارسة أقصى درجات الوعى واليقظة والحذر تجاه المحاولات الرامية إلى استغلال عواطفها الدينية الجياشة وحساسيتها المفرطة نحو مقدساتها العظيمة فى الخلافات السياسية ، والبرامج الدعائية التى لا تعرف تقوى الله ـ عز وجل ـ ولا تلتزم مراقبته فى بواعثها وأهدافها .

وندعو إلى حياة إسلامية صحيحة فى سائر مناحى حياة المسلمين فالإسلام ليس شعارا موسميا يرفع بغتة لهذا الغرض أو ذاك .. إنما الإسلام منهج يطبق فى شعب الحياة جميعا مهما اتسع نطاقها وتنوعت مواقعها .

والمقياس الصحيح للولاء للإسلام هو التخلى الكامل عن حياة الجاهلية بعصبيتها وحزبيتها إذ لا تصح دعوى من يدعى الإسلام وهو لايزال متلبسا ومتشبثا بالأصل العلمانى واللادينى للحياة والحكم .

ويأتى بعد التخلى عن العلمانية : تطبيق شرائع الإسلام وشعائره فى صميم المجتمع والدولة ، ذلك أنه لا يمكن موضوعيا وعمليا ان يطبق الإسلام أو يصدق فى الأخذ به نظام علمانى اتخذ العلمانية منهجا فى الحياة ولم يزل كذلك .

كما ندعو إلى استتباب السلام فى المنطقة وفى كافة دول العالم والحرص على عدم اللجوء إلى الحروب كوسيلة لإنهاء الخلافات .

ونسأل الله ـ عز وجل ـ أن يلهم هذه الأمة رشدها وأن يبصرها بمواضع الضعف فيها .

وأن يريها الحق حقا ويرزقها اتباعه ويريها الباطل باطلا ويرزقها اجتنابه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

قرارات وتوصيات

المؤتمر الإسلامي العالمي

لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج

المنعقد بمكة المكرمة في الفترة من ٢١-٢٣/٢/١٤١١

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين . وبعد :

فنظرا للأحداث الجلى التى نزلت بمنطقة الخليج من اجتياح القوات العراقية للكويت وتهديدها المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى وما تبعه من الاستعانة بالقوات العربية والإسلامية والأجنبية لمساندة قواتها .

فقد دعت « رابطة العالم الإسلامي » إلى مؤتمر إسلامي عالمي ضم علماء المسلمين ومفكريهم من انحاء العالم حيث انعقد في الفترة من ٢١ - ٢٣ صفر ١٤١١ هـ - الموافق ١٠ - ١٢ سبتمبر ١٩٩٠ م .

وقد تداول اعضاء المؤتمر في الأحداث الخطيرة انطلاقا من واجبهم الديني ومسئوليتهم الإنسانية والتاريخية .

وحرصا على استمرار وازدهار اواصر الأخوة والقربى والجوار .

وإدراكا للأخطار والتحديات التى تهدد الأمة في حاضرها ومستقبلها ، في كيانها المعنوى والمادى .

وبعد مداولات استغرقت ثلاثة ايام واتسمت بروح الأخوة الإسلامية والصراحة والموضوعية .

اصدر المؤتمر القرارات والتوصيات التالية :

اولا : لما كانت نصوص القرآن والسنة قد قضت بأن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . فإن المؤتمر يقرر إدانة العدوان العراقى على الكويت وانتهاب الأموال والممتلكات وتدمير المؤسسات واستباحة الحرمات وإدانة حشد القوات العسكرية على حدود المملكة العربية السعودية تهديداً لأمنها وأمن دول الخليج .

ثانيا : يطالب المؤتمر النظام العراقى بسحب قواته من ارض الكويت فورا ودون شرط وبسحب القوات التى حشدها على حدود المملكة العربية السعودية وعودتها إلى داخل أراضى العراقى وإنهاء كافة آثار الاحتلال والتهديد وتحمل كافة التعويضات عما احدثته قوات الاحتلال العراقى من اتلاف وسرقات .

ثالثا : يطالب المؤتمر بعودة الشرعية الكويتية إلى تسلم مقاليد الحكم في بلادها .

رابعا : لما كانت قواعد الشريعة الإسلامية تلزم بالوفاء بالعهود والمواثيق للمسلمين وغيرهم وتحمى الرسل والسفراء والمقيمين فى البلاد الإسلامية من غير المسلمين فى انفسهم وأموالهم ووفقا لما قررته القوانين الدولية والأعراف الدبلوماسية ، فإن المؤتمر يطالب النظام العراقى بالالتزام بهذه المواثيق واحترامها .

خامسا : فيما يتعلق بالاستعانة بالقوات الأجنبية فإن المؤتمر بعد الاطلاع على بحوث العلماء يقرر أن ما حدث من استعانة المملكة بقوات أجنبية لمساندة قواتها فى الدفاع عن النفس إنما اقتضته الضرورة الشرعية والشريعة الإسلامية تجيز ذلك بشروط الضرورة المقررة شرعا .

ومتى زالت أسباب وجود هذه القوات من انسحاب العراق من الكويت وعدم تهديد المملكة ودول الخليج فإنه على هذه القوات مغادرة المنطقة .

ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية تكوين قوة إسلامية دائمة تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامى تلجأ إليها الدول الإسلامية عند حدوث النزاعات بينها .

سادسا : يرى المؤتمر انه يتعين على المسلمين تجديد التوبة والرجوع إلى الله تعالى وتصحيح المسار فى جميع شئون الحياة وفقا للكتاب والسنة كما يتعين عليهم تكوين الشباب إيمانيا وعسكريا حتى يواجهوا الأخطار المحدقة بالأمة للدفاع عن بيضة الإسلام . كما يقرر المؤتمر أن إعداد القوة اللازمة لحفظ أمن المسلمين فى مجتمعاتهم والدفاع عنهم ضد الأخطار قد أصبح فرضا متعينا على المسلمين .

سابعا : يناشد المؤتمر الحكومات والهيئات الإسلامية السعى لمنع وقوع الحرب وتحقيق الأمن والسلام فى المنطقة .

ثامنا : يناشد المؤتمر الحكومات والهيئات والشعوب الإسلامية بذل الجهود لتحقيق وحدة المسلمين بإقامة سوق إسلامية وتكامل اقتصادى فيما بينها ومعاهدة دفاع مشترك .

تاسعا : يناشد المؤتمر الحكومات الإسلامية بتطبيق الشرعية الإسلامية فى كل مناحى الحياة القضائية والسياسية والاقتصادية وغيرها مع العناية بإقامة الشورى فى حياة المسلمين وتطهير المجتمعات الإسلامية من آفة الربا وتنقية وسائل الإعلام مما يخالف تعاليم الإسلام .

عاشرا : يستمر هذا المؤتمر فى حالة انعقاد دائمة وتكون له لجنة لمتابعة أعماله والتنسيق مع الهيئات والمنظمات الإسلامية فى معالجة الموقف وتكوين وفود للدول والشعوب والهيئات الإسلامية لبيان حقيقة ما جرى وخطورته على مستقبل المسلمين وضرورة الإسهام فى معالجة المشكلة .

كما يدعو المؤتمر العلماء والمفكرين المشاركين فيه إلى الإسهام فى معالجة القضية من خلال مجال عملهم والهيئات العاملين فيها كل حسب اختصاصه .

حادى عشر : يدعو المؤتمر الهيئات الإسلامية إلى إقامة مؤتمرات وندوات لتوعية المسلمين فى الموضوعات التى عالجها المؤتمر مستفيدة من الأبحاث والدراسات التى قدمت فيه .

ثانى عشر : يؤكد المؤتمر على ضرورة مشاركة المنظمات الإسلامية الإغاثية وفى مقدمتها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية والهلال الاحمر الدولى فى إغاثة منكوبى كارثة الخليج فى كافة الدول ذات العلاقة .

ثالث عشر : يؤكد المؤتمر على أن هذه الفتنة المفجعة يجب الا تشغل المسلمين عن قضاياهم الأساسية والمصيرية وفى قدمتها قضية المسجد الأقصى والقدس وفلسطين وقضايا المجاهدين الأفغان وقضية كشمير وقضايا الأقليات المسلمة المضطهدة فى العالم .

رابع عشر : يقدم المؤتمر بمناسبة انتهاء أعماله الشكر للحكومات والهيئات والشعوب الإسلامية التى وقفت مع الشعب الكويتى فى محنته وشجبت العدوان العراقى الغاشم وأيدت المملكة العربية السعودية فيما اتخذته من إجراءات . ويخص بالذكر حكومة خادم الحرمين الشريفين والشعب السعودى وحكومات الشعوب الإسلامية الأخرى على وقوفها مع الشعب الكويتى المسلم والرعاية التى أحيط بها . كما يشكر المؤتمر الأمانة العامة ، لرابطة العالم الإسلامى ، على دعوتها لحضور هذا المؤتمر والترتيبات الممتازة التى وضعتها مما ساعد على إنجاز أعماله فى الوقت المحدد له .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
والحمد لله رب العالمين .

صدر فى مكة المكرمة
بتاريخ ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ



(عن ابى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) (الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : «إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط) .
رواه مسلم .)

للأستاذ :
محمد صابر البرديسى

اللغة :

١ ـ يمحو = يزيل ويذهب .
٢ ـ إسباغ الوضوء = اتمام الوضوء .
٣ ـ على المكاره = الشدائد فى نحو برد شديد .
٤ ـ فذلكم الرباط = اى الجهاد فى سبيل الله

ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ الشهور والايام مواقيت للعبادة والأعمال .
٢ ـ وجوب المداومة على العبادة .
٣ ـ قيمة الأعمال فى إتقانها والإخلاص لله .

البيان

١ ـ الشهور والأيام مواقيت للعبادة والاعمال :

إن الشهور والاعوام والليالى والايام ، كلها مواقيت للأعمال ، وأزمان للعبادة ، ومقادير

للآجال ، فهى تنقضى جميعا ، وتمضى سريعا ويبقى الله الذى أودع فيها الفضائل ، وخصها بالمحامد ، فهو باق لا يزول ، ودائم لا يحول ، رقيب على أعمال عباده ، مطلع على نواياهم وأسرارهم .

ومن رحمته بهم أنه يسبغ عليهم فواضل النعم ، ويعاملهم بغاية الجود والكرم ، فهناك شهر الصيام ، فشهر الحج إلى بيت الله الحرام ، فما من يوم من الأيام إلا ولله على عباده وظيفة من وظائف طاعته يتقرب بها إليه ، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته ، يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه ، فالسعيد من وفق للعبادة وتقرب إلى الله بفرائض الطاعات ، ونوافل العبادات ، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد فى دنياه وأخراه .

عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) (اطلبوا الخير دهركم كله ،

وتعرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن لله نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، وسلوا الله تعالى أن يستر عوراتكم ، وأن يُؤَمِّنَ روعاتكم) رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية .

٢ - وجوب المداومة على العبادة :

وقد أمر الله عباده بأن يعبدوه حتى يلقوه لأنه لم يجعل لعمل المؤمن منتهى إلا الموت . قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ الحجر ٩٩ .

ومعنى الآية : الاستمرار على الطاعة حتى آخر لحظة من حياتك ، وأن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتا فيصلى بحسب حاله ، كما ثبت فى صحيح البخارى : عن عمران بن حصين (رضى الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال : «صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب» .

وقد ذهب بعض الملاحدة إلى أن المراد باليقين «المعرفة» وادعى أنه إذا ذهب أحدهم ووصل إلى المعرفة سقط عنه التكليف ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا ثم أصحابهم أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، فظهر من هذا أن المراد باليقين فى الآية إنما هو (الموت) وكثير من الناس يقبلون على العبادة وذكر الله فى زمن بعينه كرمضان ، فإذا ما انتهى شهر الصيام رجعوا إلى ما كانوا عليه فى سابق الأزمان ، يتعبدون فى رمضان ولا يتعبدون فى غيره ، إنهم ضلوا السبيل وكذبوا مع الله ، فبئس القوم قوما لا يعرفون لله حقا إلا فى رمضان .

قال بعض الناس : إنا إذا أدينا الفرائض ، لم نبال الا نزداد . فقال لهم بعض من سمعهم من الصحابة : ويحكم ؛ والله لقد قام رسول الله «ﷺ» حتى تفطرت قدماه . أى تشققت قدماه (ﷺ) إن الإنسان قد يحصل منه بعض النقص أو التقصير فى الفرائض فتكون النوافل بمثابة الترقيع لخلل الفرائض ، كما أن الغيبة تخرق الصيام ، والاستغفار يرقعه .

إن الله سبحانه أول ما ينظر فى أعمال العبد يوم القيامة ، فى صلاته ، فإن كملت فقد افلح ونجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر .

وهكذا الاعمال تجرى على هذا المنوال .

ما يمحو الله به الخطايا

قيمة الأعمال في اتقانها والاخلاص لله :

على المسلم أن يؤدى عمله في اتقان وتجرد لله ، وإخلاص له ، وبذلك يجد لعمله متعة ولذة ، لا مجرد العمل ، فإن ذلك لا يكون له اثر في حياة الإنسان ولا يتخلل مشاعره ، ولا ينبض به قلبه .

وإن الله سبحانه وتعالى يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه ، ويداوم على استمراره ، وعدم احباطه وإبطاله ، وقد قيل : (إن من علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها ، ومن علامة ردها أن تعقب تلك الطاعة بمعاصٍ بعدها تفسدها وتحبط ثوابها) .

يقول الله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ البقرة ٢٦٦ .

هذا مثل ضربه الله لمن له أعمال صالحة ، من صيام وصلاة وحج وصدقات ، فكانت أعماله الصالحة بمثابة الحديقة فيها من كل الثمرات وحينما تقدمت به السن ، تسلطت عليه أفعال المنكرات وارتكاب الموبقات ، وترك الطاعات والأعمال الصالحات ، فينزل على هذه الحديقة عاصف من الإعصار يحرقها فلا ينتفع بشيء من ثمرها ، مع مسيس حاجته إليها ـ هكذا المعاصي تحرق الطاعات وتهلكها وتمحوها .

إن الحسنات يذهبن السيئات ، والموبقات يبطلن الأعمال الصالحات وما أقبح المنكرات بعد الأعمال الصالحة تمحقها وتمحوها ، وما أجمل الأعمال الصالحات تكفر السيئات ، ففي الحديث :

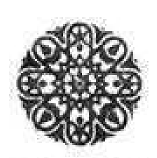
(الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) رواه مسلم .

وكذلك إسباغ الوضوء في نحو برد شديد ، وكثرة الخطا إلى المساجد للصلاة واستماع العلم ، وترقب الصلاة التالية لصلاته التي أداها فإن ذلك له أجر عظيم ومكفر للذنوب مثل الجهاد في سبيل الله . وعلى كل فإنه لا أفضل من مؤمن يؤدى صلاته أو صيامه ، أو صدقته بإخلاص ، وإتقان واحتساب لله .

وإن الموتى يتحسرون في قبورهم على ما فاتهم من المداومة على الأعمال الحسنة ، ويتمنون الرجعة إلى الدنيا ليزدادوا من الأعمال الصالحة ، والمفرط منهم يقول :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون ٩٩ ـ ١٠٠) فلا يجابون إلى ما سألوا ، وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون وأحرى بالمسلم أن يحافظ على الفرائض ، ويتزود من دنياه لآخرته .

والله الموفق ..

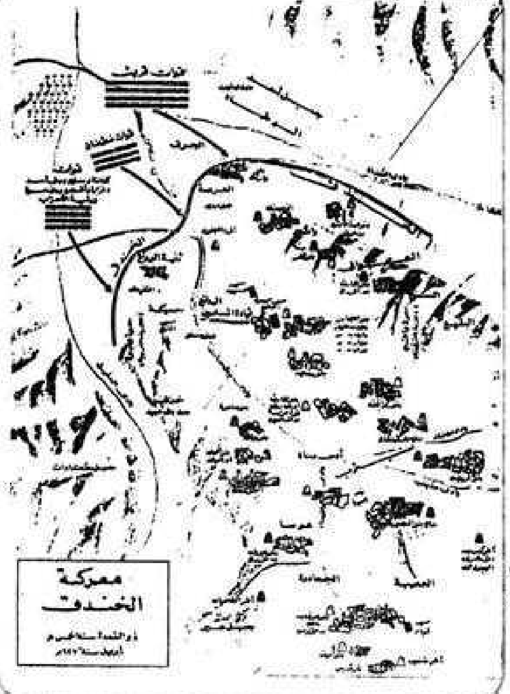


التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة

فى غزوة الأحزاب

لواء - أ . ح

محمد جمال الدين محفوظ



(د . حسين مؤنس
اطلس تاريخ
الإسلام)

الخندق لأول مرة فى الإسلام :

● علم الرسول ﷺ بتجهز المشركين لمهاجمة المدينة فشاور اصحابه فاشار سلمان الفارسى بحفر خندق للدفاع عن المدينة ، ولم يكن حفر الخنادق للاغراض الدفاعية معروفا عند العرب من قبل .

قال سلمان : «يارسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا خفنا العدو خندقنا علينا»[(1)] .

● وقد أخذ الرسول - ﷺ - بما أشار سلمان وخرج فى نفر من المهاجرين والانصار يستطلع الأرض ، فارتاد موضعا فى شمال المدينة واختط فيه الخندق ، وكان شمال المدينة هو الناحية المكشوفة التى يستطيع المشركون أن يدخلوا المدينة منها (انظر الخريطة) .

وجاء فى مغازى الواقدى : « وكان الخندق مابين جبل بنى عبيد بخربى ، إلى راتج فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج ، وكان للانصار مابين ذباب إلى خربى ، فهذا هو الذى حفره رسول الله - ﷺ - والمسلمون وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وهى كالحصن وخندقت بنو عبد الأشهل على نفسها مما يلى راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من

(1) على بن برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٦٣١ .

التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة

وراء المسجد ، وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أُبَيّ ، ورفع المسلمون النساء والصبيان إلى الآطام (الحصون) »[٢] .

العوامل التى حكمت تخطيط الخندق :

● لقد كانت طبيعة الأرض فى المنطقة من أهم العوامل التى حكمت تخطيط الخندق وقضت أن يكون « خط الدفاع الرئيسى » عن المدينة من الجهة الشمالية ، فقد كانت المدينة محاطة بموانع طبيعية فى الجهات الثلاث الأخرى ، فمن جهة الشرق كانت حرة[٣] واقم ، ومن الغرب كانت حرة وبرة ، ومن الجنوب كان جبل سلع .

● وبالإضافة إلى ذلك كانت آطام (حصون) بنى قريظة فى الجنوب الشرقى تكمل نطاق الأمن من جهة الجنوب إلا إذا غدر بنو قريظة بعهدهم الذى كان بينهم وبين المسلمين بألا يناصروا عليهم عدوا .

● كما أن بقية المدينة قد تم تحصينها بسد الفرج بين البيوت حتى أصبحت كالحصن .

التنظيم الهندسى للخندق (انظر الرسم)

اتساع الخندق

● لم نوفق فى المصادر والمراجع لنص صريح موثق يحدد اتساع الخندق ، ولكن يمكن أن نصل إلى معرفة اتساعه على وجه يكون أقرب ما يمكن إلى الحقيقة بدراسة العوامل الآتية :

(١) لقد كان الغرض من حفر الخندق هو منع فرسان العدو من اقتحامه وعبوره ، فلابد أن يكون اتساعه وعمقه بحيث لا تستطيع الخيل اقتحامه .

(٢) الجواد العربى يستطيع تخطى الخنادق التى اتساعها ثمانية أمتار ، وذلك طبقا لرأى الاتحاد المصرى للفروسية الذى استطلعنا رأيه فى هذا الشأن (انظر الخطاب) على أنه يمكن تخفيض هذا الرقم قليلا بالنظر إلى اختلاف ظروف وإمكانات إعاشة الخيل والعناية بها وتدريبها على القفز بين ذلك الوقت والوقت الحاضر .

(٣) ورد فى الموسوعة العسكرية[٤] أن عرض الخندق فى غزوة الأحزاب كان حوالى ٦ أمتار . كما جاء فى كتاب : « الفن الحربى فى صدر الإسلام » مايلى : « وأظن أن قفزة الجواد الجيد تقارب الأمتار الستة »[٥] إلا أننا نقدر عرض الخندق مابين ٦,٥ م إلى ٧ أمتار ودليلنا على ذلك مايلى :

أ ـ أدرك فرسان المشركين بعد استطلاعهم للخندق أن اتساعه يتجاوز قدرة خيلهم على القفز الطويل ، فجعلوا يطوفون بالخندق بحثا عن مكان يضيق فيه ليعبروا منه ، وحتى عند محاولتهم العبور فى المكان الضيق لم يكن الأمر سهلا بل إنهم اضطروا إلى استخدام القسوة مع خيلهم حتى تعبر .

روى البيهقى عن ابن اسحاق ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قال : « فجعلوا (أى المشركين) يطوفون بالخندق يطلبون مضيقا ، يريدون أن يقحموا خيلهم إلى النبى ـ ﷺ ـ فتيمموا (اتجهوا إلى) مكانا من الخندق ضيقا قد أغفله المسلمون فجعلوا يكرهون خيلهم ويضربونها حتى اقتحمت »[٦] .

ب ـ بعض الذين حاولوا اقتحام الخندق فشلوا وسقطوا فيه .

فقد روى أبو نعيم أن رجلا من آل المغيرة قال : لأقتلن محمدا ، فأوثب فرسه فى الخندق فوقع ، فاندقت عنقه »[٧] .

● أما عرض الخندق عند القاع فيقدر بأربعة أمتار ونصف تقريبا لضرورة ذلك هندسيا لضمان ثبات

---

(٢) مغازى الواقدى جـ ٢ ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .
(٣) الحرة : أرض فيها حجارة سود متشيطة (أى صخور بركانية) .
(٤) الموسوعة العسكرية : جـ ٢ ص ١٨٢ (لفظ : خندق التحصينات) .
(٥) عبد الرءوف عون : الفن الحربى فى صدر الإسلام ص ١٩١ .
(٦) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ٤ ص ٥٣٢ .
(٧) المرجع السابق ص ٥٣٦ .

الأبعـــاد التقريبيـــة للخنـــدق

إلى المدينة
ساتر من ناتج الحفر
أحجار
١,٨م
٦,٥ - ٧م
٣م
٤,٥م

الرمال عند حافتى الخندق ، وعدم انهيارها إلى داخله .

عمق الخندق

كان عمق الخندق حوالى ثلاثة أمتار (أى خمسة أذرع ومتوسط طول الذراع ستون سنتيمترا) .

فقد ذكر الحلبى وهو يصف قدرة سلمان الفارسى الخارقة عند حفر الخندق : « كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع »[8] وهذا العمق مع الاتساع السابق ذكره يحقق الهدف المطلوب وهو منع الخيل من اقتحام الخندق .

نصيب الفرد الواحد فى الحفر

روى الطبرانى بسند لابأس به عن عمرو بن عوف المزنى « أن رسول الله - ﷺ - خط الخنـدق من أجم الشيخين طرف بنى حارثة حتى بلغ المزاد فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا »[9] أى أن نصيب الفرد الواحد كان أربعة أذرع (٢٥٠ سم) .

طول الخندق

إذا كان نصيب الفرد الواحد أربعة أذرع وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف ، فيكون طول الخندق اثنى عشر ألف ذراع أى حوالى ستة كيلو مترات أو يزيد .

المدة التى استغرقها الحفر

وردت فى مدة حفر الخندق روايات مختلفة كان أقصرها ستة أيام وأطولها ما يقرب من شهر ، ونقدر أن تكون هذه المدة حوالى أسبوعين بالنظر إلى حجم العمل .

أدوات الحفر

استخدم المسلمون أدوات الحفر الآتية :

(١) المساحى : جمع مسحاة (بكسر الميم وبالسين المهملتين) وهى المجرفة من الحديد (الجاروف) - والسحو : الكشف والإزالة .

(٢) الكرازين : جمع كرزين وهو الفأس .

(٨) السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٦٣٤ + سبل الهدى والرشاد حـ ٤ ص ٥١٥ .

(٩) سبل الهدى والرشاد : حـ ٤ ص ٥١٥ وقد روى ابن كثير فى سيرته مثل ذلك .

التنظيم الهندسي للدفاع عن المدينة

(٣) المكاتل : جمع مكتل وهو زنبيل يعمل من الخوص لنقل الرمال والأحجار .

تقسيم العمل

● وفضلا عن تحديد نصيب لكل فرد فى الحفر وهو أربعة أذرع (٢,٥ م) كما قدمنا فقد قسم الرسول - ﷺ - الخندق بين المهاجرين والأنصار ، فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج إلى ذباب ، وكان الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل أبى عبيدة .

ساتر الوقاية

● وقد جعل المسلمون الردم والأحجار الناتجة من الحفر إلى جانب الخندق من ناحية المدينة وعلى مسافة مناسبة من حافته (متر أو مترين مثلا) لمنع تساقط الرمال داخل الخندق ، وهذا الساتر له دور كبير فى الدفاع إذ يحقق مايلى :

١ - تأمين حماية المقاتلين المسلمين من أنظار العدو وسهامه مع تأمين ظروف أفضل لهم للرصد والرمى والحركة ، من أجل ذلك يمكن تقدير ارتفاع الساتر بثلاثة أذرع تقريبا أى حوالى ١٨٠ سنتيمترا .

٢ - حماية حرية المناورة بالقوات خلف الساتر وخاصة القوات المكلفة بالقيام بالهجوم المعاكس .

٣ - تيسير عمليات الإخلاء (إخلاء الجرحى) وعمليات إمداد القوات بمطالبها الإدارية .

● أما الحجارة فقد جعلت فى أكوام متقاربة وراء الساتر على طول الخندق لكى يستخدمها المسلمون عند الحاجة فى رمى المشركين الذين يحاولون اقتحام الخندق أو يسقطون فيه كما سيأتى .

القيادة والسيطرة

● وقد أحكم الرسول القائد - ﷺ - سيطرته - فى إطار القيادة والسيطرة على المعركة - على أعمال التنظيم الهندسى وحفر الخندق وتجلى ذلك فيما يلى :

١ - تقسيم العمل بين المهاجرين والأنصار وتحديد نصيب الفرد كما قدمنا .

٢ - إشرافه - ﷺ - على أعمال الحفر بل والمشاركة فيه .

٣ - عدم ذهاب أى فرد إلى أمر خاص (كقضاء الحاجة) إلا بعد الاستئذان منه - ﷺ - .

قال ابن إسحاق : « وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد منها ، يذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير واحتسابا له»[١٠] .

٤ - اتخاذه - ﷺ - مركز قيادة فى قبة (خيمة) صغيرة مستديرة .

٥ - استمرار العمل طوال النهار مع الراحة ليلا .

٦ - استعماله - ﷺ - ابن أم مكتوم على المدينة[١١] .

٧ - حل المشكلات وإزالة العقبات التى تعترض المسلمين .

قال ابن إسحاق كان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية[١٢] ، فشكوها إلى رسول الله - ﷺ - ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا لانهالت (تفتت) حتى عادت كالكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة[١٣] . كما روى ابن إسحاق أن سلمان الفارسى قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغلظت علىّ صخرة ، ورسول الله - ﷺ - قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىّ ، نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة .

قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى .

قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى .

قال : قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ماهذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما الأولى فإن الله فتح

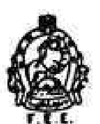
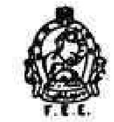
(١٠) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الثانى (جـ ٣ - ٤) ص ٢٦١ .

(١١) نفسه : ص ٢٢٠ .

(١٢) الكدية : الأرض الغليظة أو الصلبة لاتعمل فيها الفأس .

(١٣) ابن هشام : المرجع السابق ص ٢١٨ .



R. A. E.
Tel.
Telex 93000 UN - OLY

القاهرة في ١ / ١٠ / ١٨٨ — Le Caire / / 19

السيد اللواء أ ح جمال محفوظ
تحية طيبة وبعد ،
إشارة إلى خطاب سيادتكم المؤرخ أول سبتمبر ١٩٨٨ بطلب معلومات فنية عن مقدرة الجواد العربي .
نتشرف بإفادة سيادتكم بالآتي
أولاً . يستطيع الجواد العربي تخطي الخنادق باتساع حوالي ٨ متر .
ثانياً . من ناحية قدرة الجواد العربي على الصبر على مدى يوم كامل . يستطيع قطع مسافة حوالي ٥٠ كيلومتر في اليوم كما يمتاز الجواد العربي بقوة التحمل والصبر لمسافات طويلة . على أن يكون معداً إعداداً جيداً من ناحية التدريب وكذا من الناحية الصحية والبدنية .
وجدير بالذكر أن الجواد العربي أكفأ خيول العالم من قوة التحمل والصبر على جميع أنواع الأراضي وخصوصاً في سير الصحارى .
وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ..

لواء /
([illegible])
وكيل الاتحاد المصري للفروسية



عليّ بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق[١٤] .

حراسة الخندق وصد محاولات اختراقه

● وكان رسول الله ـ ﷺ ـ والمسلمون قبالة عدوهم لايستطيعون الزوال عن مكانهم يعتقبون خندقهم يحرسونه[١٥] أي يتناوبون حراسته ليل نهار لرصد حركات العدو وكشف محاولاته لاقتحام الخندق والقضاء عليها .

روى محمد بن عمر عن ام سلمة رضي الله عنها قالت : كنت مع رسول الله ـ ﷺ ـ في الخندق ، وكنا في قر شديد (أي برد) فإني لأنظر إليه ليلة قام فصلى ماشاء الله ان يصلي في قبته ، ثم خرج فنظر ساعة فأسمعه يقول : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ، ثم نادى عباد بن بشر .

فقال عباد : لبيك .

قال : أمعك أحد ؟

قال : نعم ، أنا في نفر من أصحابي حول قبتك .

قال : انطلق في أصحابك فأطف بالخندق ، فهذه خيل المشركين تطيف بكم ، يطمعون أن يصيبوا منكم غرة ، اللهم فادفع عنا شرهم ، وانصرنا عليهم واغلبهم ، فلا يغلبهم أحد غيرك ، فخرج عباد في أصحابه فإذا هو بأبي سفيان بن حرب في خيل المشركين يطوفون بمضيق من الخندق ، وقد تدربهم (أي علموا وحزروا) المسلمون فرموهم بالحجارة والنبل (السهام) حتى أذلقهم المسلمون بالرمي ، فانكشفوا منهزمين إلى منازلهم[١٦] .

● وكانت في الخندق ثلمة[١٧] (أي مضيق) لم يوضح المؤرخون طبيعتها او سببها ، والمرجح ان يكون المسلمون تركوها لأنها تؤدي إلى أرض سبخة وهي أرض ذات نز[١٨] وملح تصعب فوقها الحركة والمناورة مما يجعلها ، أرض قتل ، وفخا إذا وقع فيه من يحاول اقتحام الخندق يسهل القضاء عليه .

قال : ابن إسحاق : « ثم اقبلوا تعنق بهم خيلهم (أي تسرع) حتى وقفوا على الخندق .. وثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في نفر

(١٤) نفسه : ص ٢١٩ .
(١٥) سبل الهدى والرشاد : جـ ٤ ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩ .
(١٦) نفسه ص ٥٢٩ .
(١٧) الثلمة : الخلل في الحائط وغيره ، يقال : ثلم الجدار وغيره ثلما : أحدث فيه شقا ، وثلم الوادي : انكسر جانبه (المعجم الوسيط) .
(١٨) النز والنز : مايتحلب من الأرض من الماء .

التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة

معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم .. » ثم جرت مبارزة بين على وبين عمرو بن عبد ود قتل فيها عمرو ، فخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة[19] .

● وبالنظر للأهمية التكتيكية لهذه الثغرة أو المضيق ، فإن الرسول - ﷺ - كان أحيانا يحرسها بنفسه .

فقد روى محمد بن عمر عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « كان رسول الله - ﷺ - يختلف إلى ثلمة فى الخندق يحرسها »[20] .

● ثم إن المسلمين كانوا يعبرون من خلال هذه الثلمة لمطاردة أولئك الأعداء الهاربين ، فحينما قتل عمرو بن عبد ود رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير - رضى الله عنه - كما تبعهم كذلك عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -[21] .

الأمن والسرية

● كان الخندق مفاجأة للمشركين لم يكونوا قط يتوقعونها حتى قالوا : هذه مكيدة لم تكن العرب تكيدها[22] .

فدل ذلك على أمرين فى غاية الأهمية :

(١) أن المسلمين كانوا على علم مسبق بنوايا أعدائهم بالخروج من مكة لمهاجمتهم وذلك بفضل يقظة رجال استخباراتهم فقد بعث العباس عم النبى - ﷺ - برسالة تحمل هذه المعلومات مع رسول سريع الحركة حتى أنه قطع المسافة من مكة إلى المدينة فى ثلاثة أيام .[23]

(٢) أن استخبارات المشركين عجزت على المستويين الاستراتيجى والتكتيكى عن اكتشاف أمر الخندق وذلك رغم أن حفره استغرق مدة ليست بالقصيرة (حوالى أسبوعين)

● واستخدم المسلمون يوم الخندق شعارا (وهو المعروف بكلمة سر الليل) هو : « حم ، لاينصرون »[24] ، ولقد خرجت طليعتان (مفرزتا استطلاع) للمسلمين فالتقتا ولا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون إلا أنهم العدو ، فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار « حم لاينصرون » فكف بعضهم عن بعض ، فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم[25] .

حماية الجبهة الداخلية

● ولم يغفل المسلمون أمر الجبهة الداخلية (المنطقة الإدارية) فى المدينة فاتخذوا الإجراءات الكفيلة بتأمينها وحمايتها وخاصة من الخطر الذى قد يأتى من جهة يهود بنى قريظة إذا نقضوا عهدهم ، ومن ذلك مايلى : -

(١) رأت صفية عمة الرسول - ﷺ - وكانت فى أحد الحصون الخلفية عشرة من اليهود يستترون ويرمون الحصن ، ودنا أحدهم إلى باب الحصن ، فأخذت سيفا (أو عمودا) ثم نزلت فقتلته به ، وألقت برأسه على اليهود ، فتفرقوا »[26] .

(٢) أراد الرسول - ﷺ - أن يتحرى عما بلغه من نقض بنى قريظة للعهد ، فبعث سعد بن معاذ بن النعمان ومعه بعض الصحابة ، وقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه (أى يقولون كلاما يخالف ظاهره معناه ، بحيث لايفهمه إلا الرسول - ﷺ -) ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس (حرصا على الروح المعنوية للمسلمين) ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس ، قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم[27] .

(٣) وبعث الرسول - ﷺ - مفرزتين قويتين لحراسة المدينة ، الأولى تتألف من مائتى رجل بقيادة سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلى .

والثانية تتألف من ثلاثمائة رجل بقيادة زيد بن حارثة ، وكانوا يظهرون التكبير ، فكان لذلك أثره فى إيقاع الرهبة فى قلوب بنى قريظة وردعهم ، فرجعوا عما كانوا قد هموا به بالإغارة على المدينة ليلا[28] .

(١٩) ابن هشام : المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٢٠) سبل الهدى والرشاد : المرجع السابق ص ٥٢٩ .
(٢١) السيرة الحلبية : المرجع السابق ص ٦٤٣ - ٦٤٤ .
(٢٢) ابن هشام : المرجع السابق ص ٢٢٤ .
(٢٣) سبل الهدى والرشاد : ص ٥١٤ .
(٢٤) ابن هشام : ص ٢٢٤ .
(٢٥) سبل الهدى والرشاد : ص ٥٣٧ .
(٢٦) نفسه ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .
(٢٧) ابن هشام : ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
(٢٨) سبل الهدى والرشاد : حـ ٤ ص ٥٢٨ .



الإعلام الإسلامى فى مواجهة التبشير

بين الإعلام .. والأمية :

مما يؤسف له أن واقع المجتمعات الإسلامية يضعف من قوة الإعلام الإسلامى ـ لا أى إعلام ـ فمن الإعلام ما يفسد على المرء دينه وذلك لأن الإعلام الإسلامى يتفاعل على ما هو عليه ، فإنه لا يتحرك فى فراغ ، ومما يعرقل رسالة هذا الإعلام بصفة عامة والإعلام المطبوع بصفة خاصة تلك الأمية المنتشرة فى شتى أنحاء العالم الإسلامى ؛ فالجهل رأس كل بلية وحسبك أن تطالع التقرير السادس لمنظمة الصحة العالمية لمعرفة نسبة الأمية فى بلاد المسلمين وستعرف أن الإعلاميين المخلصين لهذا الدين يواجهون محنة لافتقادهم للجمهور القارىء والجدول الآتى يبين نسبة* الإلمام بالقراءة والكتابة فى دول الإسلام .

البلـــد	النسبة المئوية (حسب عام ١٩٧٧)	البلـــد	النسبة المئوية	البلـــد	النسبة
باكستان	٢١٪	تونس	٥٥٪	سوريا	٥٣٪
بنجلاديش	٢٢٪	موريتانيا	١٠٪	العراق	٢٦٪
السعودية	١٥٪	مالى	١٠٪	إيران	٥٠٪
النيجر	٨ ٪	اليمن الشمالى	١٠٪	تركيا	٦٠٪
أفغانستان	١٢٪	اليمن الجنوبى	١٠٪	مصر	٤٠٪
نيجيريا	٢٥٪	المغرب	٢٨٪	الأردن	٦٢٪
الجزائر	٣٥٪	الصومال	٥٠٪	لبنان	٦٨٪
				السودان	١٥٪

من الاعلام إلى الأمية فالتبشير

ولقد أدرك المبشرون هذه الحقيقة : «انتشار الأمية بين المسلمين» ولذلك أخذوا بالأسلوب العلمى الصحيح فى مجال الاتصال بالجماهير ، فالقاعدة الإعلامية ترتب افضلية أنواع (الاتصال) وفقاً لطبيعة الجمهور وذلك لضمان أقصى تأثير ممكن .

وحيث تنتشر الأمية فالأفضل أن يكون «الاتصال شخصيا» أو ما يسمى بـ (الاتصال المباشر Personal Communication) فأكثر المخططون الاستعماريون من المبشرين .. وحيث تنتشر المساحات الجغرافية وتتباعد يكون الاتصال الجماهيرى[1] أيسر وأقل تكلفة لكنه ليس أكثر تأثيراً .

وحيث يكون الجمهور على مستوى جيد لا يقل عن نسبة ٨٠٪ يعرفون القراءة والكتابة فإن الاتصال المطبوع من خلال الصحافة يكون أفضل .

ولقد جمع المبشرون بين كل أنواع الاتصال بمهارة فائقة ، وعرفوا أين يستخدمون الاتصال المباشر ، وأين يستخدمون وسائل الإعلام بجميع أشكالها ؟! وقد توافرت لهم الإمكانات الضخمة التى لا تعنى بها الدول الإسلامية والإعلام فى بلاد المسلمين أمام عقبات الأمية ، وأمام تدفق المبشرين بالآلاف فى غزوة عنيفة لم يشهدها العالم الإسلامى عبر القرون الماضية .. أمام كل هذا يقف الإعلام الإسلامى مذهولاً : كيف يرد .. وماذا يقول .. ومتى يقول !! وما وسائله عندما يقول ؟!

وقبل أن نناقش موقف الإعلام فى بلاد المسلمين نشير سريعاً بالأرقام فقط إلى ذلك الهجوم المنظم على بلاد المسلمين ، وإلى تلك الغارة الوقحة التى تدمر أمامها كل شىء ثم بعد معرفة جيدة بأساليب أعداء الإسلام ، يمكن لنا أن نقترح استراتيجية إعلامية فعالة تقف أمام هذا الطوفان من الإعلام المضاد ، سواء فى ذلك (الإعلام الشخصى) فى شكل المبشرين أو (الجماهيرى عبر وسائل الإعلام الحديثة) .

وفيما يلى لمحات سريعة نطوف خلالها ـ بالأرقام ـ أرجاء العالم الإسلامى ، لنعلم حجم التبشير فيه .. ولعل هذه الأرقام تكون تحت بصر العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية والمهتمين بشئون المسلمين فى العالم ، وتجدر الإشارة قبل أن نغادر هذا الموضع إلى غيره إلى ما نشرته مجلة Time تايم الأمريكية فى ١٨/٤/١٩٦٠ منذ سبعة وعشرين عاما حيث نشرت هذه المجلة تحقيقاً صحفيا استغرق اثنتى عشرة صفحة من المجلة تحت عنوان «الدين .. أقوى من الغزو» .

قالت هذه المجلة إن عدد المبشرين فى العالم الآن أى عام (١٩٦٠) كالآتى :

٣٨,٦٠٦ مبشرين كاثوليك ، ٥١,٠٠٠ مبشر بروتستانتى فكم ياترى وصل عددهم عام ١٩٩٠ م .

(١) الاتصال الجماهيرى غير المباشر فالأول هو الاتصال عن طريق (الراديو) .. إلى (القمر الصناعى) وهو اتصال شامل لكنه لا يؤثر فى كل فرد على حدة عكس الاتصال المباشر .

١ ـ قارة آسيا :

١ ـ التبشير فى اندونيسيا :

وهى دولة مسلمة ٩٠٪(٢) من سكانها يعتنقون الإسلام ، ولكن هذه الدولة لظروف اقتصادية صعبة مرت بها ، ولضغوط مختلفة استغلها التيار الصليبى فى العالم لصالحه جعل حجم التبشير فى هذه الدولة كما يلى :

(١) توجد فى اندونيسيا الإسلامية حسب احصائية عام ١٩٦٧ :

٩٨١٩ كنيسة بروتستانتية .
٧٢٥٠ كنيسة كاثوليكية .
٢٦٣٠ قسيسا كاثوليكيا .
٨٥٠٤ مبشراً متفرغا من البروتستانت .
٥٣٩٧ مبشراً متفرغا من الكاثوليك(٣) .

ولعل هذه الأرقام لا تمثل سوى ٢٥٪ من الأرقام الحالية فقد مر على هذه الإحصائية اكثر من عشرين عاما ، ولعلك تدهش لهذا الجيش الجرار من المبشرين فى هجمة شرسة على أندونيسيا المسلمة ، ولقد سمعت بأذنى فى المؤتمر الإسلامى الذى دعا إليه الأزهر الشريف فى عيده الألفى مندوب أندونيسيا يبكى ويعلن ان المخطط التبشيرى يهدف إلى تحويل المسلمين عن الإسلام تماما فى عام ٢٠٠٠ م .

ذلك فى الوقت الذى تتصارع فيه الدول الإسلامية فى حروب طاحنة ما تكاد تنتهى واحدة حتى تنفجر أخرى تحصد الشباب وتبدد المال . لقد كان تقدير الخسائر فى حرب إيران ـ العراق مليونا ونصف مليون قتيل وجريح ومفقود ، إلى ضياع (٣٥) مليار دولار فى شراء آلات الدمار من كل طرف كانت كافية لمسح آلام المسلمين فى شتى بقاع الدنيا .. فهل نتنبه لما يجرى فى اندونيسيا قبل أن تصبح اندلسا اخرى .. نبكى عليها .

(٢) ويوجد فى الفلبين ٤,٨ مليون مسلم(٤)

يقيمون فى المناطق الجنوبية الفقيرة منتشرين فى نحو ثلاث عشرة ولاية ، وحسب تقرير لجنة حقوق الإنسان لسنة ١٩٧٦ يوجد ٢٥ الف مسلم فى السجون والمعتقلات فضلاً عن التبشير العنيف فى الجنوب ، هذا قليل من كثير مما يحدث للمسلمين وبين المسلمين ، ويزداد ضراوة وحدة هذه الأيام ، بعد أن اقتنعت حكومة الفلبين بنظرية الغرب عن الإسلام فتخلت عن وعدها بمنح الحكم الذاتى للمسلمين .

ترى .. كيف يواجه الإعلام الإسلامى مثل هذه الأمور ؟!!

ب ـ افريقيا :

أما فى قارة أفريقيا فإن الأمر جد خطير والتبشير قائم على قدم وساق بشكل علنى سافر ، يتحدى كل مشاعر التسامح والأخوة ، ويتحدى مبدأ حرية العقيدة الذى تشير إليه مبادىء الامم المتحدة .

وفى افريقيا يزور الأسقف الأكبر للفاتيكان مواطن التبشير مرتين فى عام واحد ويعلن فى



(٢) اكثر من ٧٠ مليون نسمة يدينون بالإسلام حسب احصائية سنة ١٩٧٠ م .
(٣) عطية خميس ، تداعت عليكم الامم ص ٦٦ .
(٤) مصادرنا فى هذه الأرقام غير إسلامية ، وعادة ما تتعمد هذه المصادر تقليل عدد المسلمين أيا كانوا .

من الاعلام إلى الأمية فالتبشير

مؤتمر صحفى عالمى «أن على الإسلام أن يخلى مكانه فى هذه القارة» مما حدا بعض كبار الصحفيين فى مصر أمثال جلال الحمامصى ومصطفى أمين أن يردوا عليه فى صحفنا فى مصر ويكفى أن نشير إلى أن قارة أفريقيا يطوف بها شرقاً وغرباً حسب آخر إحصائية لعام ١٩٨٦ أكثر من (١١٥) ألفاً من قسس وغيرهم مستخدمين جميع وسائل الترغيب التى برع فيها المبشرون من علاج وتعليم وقروض ، ومنح ، إلى جميع وسائل الترهيب مثل تدبير الانقلابات العسكرية والتجويع وحظر المعونات والقمح والسلاح .. الخ .

وحتى تكتمل الصورة لدى العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية يحسن بنا أن نشير إلى مقارنة نشرت بجريدة الأخبار فى العدد رقم ٨٥٣ الصادر فى ٢٤ رمضان سنة ١٣٨٠ هـ تقول تحت عنوان «تقرير للكونجرس عن أفريقيا» :

فى هذا التقرير فصل عن أفريقيا والتبشير الدينى الأمريكى فيها يقول :

كان يوجد فى افريقيا فى سنة ١٩٦٢ ـ ٤٧٠ قسيساً .. والآن ٤٤٧٠ قسيساً .

كان يوجد فى أفريقيا فى سنة ١٩٦٢ ـ ٤٣٠ راهبة .. والآن ٣٤٠٠ راهبة .

كان يوجد فى أفريقيا سنة ١٩٦٢ ـ ٧٥ رجلا مع بعثات التبشير .. والآن ٧٥٠٠٠ رجل ، وهذه الاحصائيات عن عام ١٩٨٠ فقط .. فكم هى بعد عشر سنوات ؟!

أما عدد المبشرين البروتستانت فى أفريقيا من الأمريكان .. فقد كان (٢٨٦١) وأصبح فى عام ١٩٦٢ م (٣٤٢٦) يعمل معهم من الأفريقيين (٢٤,٠٠٠) افريقى وفى التقرير عن عام ١٩٧٠ بلغ عدد المبشرين فى أفريقيا ٤٣,٠٠٠ مبشر مسيحى .. قارن الأرقام ولاحظ نمو الأعداد كل عام ، ثم لك أن تعرف كم هم الآن ؟!

وهذا جدول يبين نمو الكنيسة الكاثوليكية فى افريقيا حتى عام ١٩٨٠

جدول رقم (٢)

التاريخ	عدد السكان	عدد الكاثوليك	النسبة المئوية
١٩٠١	١١٨,٠٠٠,٠٠٠	١,١٩٧,٠٠٠	٪١,٠٠
١٩٢٩	١٦٩,٠٠٠,٠٠٠	٩,٢٩٤,٠٠٠	٪٥,٥
١٩٦١	٢٦٠,٩٥٨,٠٠٠	٢٥,٩١٥,٥١٢	٪٩,٩
١٩٧٩	٤٤٣,٤٣٩,٠٠٠	٥٤,٨٤٥,٦٠١	٪١٢,٤
١٩٨٠	٤٥٦,١٠٦,٠٠٠	٥٦,٦٦٧,٦٢٦	٪١٢,٤

في زنزبار :

قامت الصحافة العالمية الصليبية واليهودية بشن حرب شعواء على المسلمين هناك ، وعندما ضم «جوليوس نيريرى» هذه الدولة إلى أراضيه تمت مذابح دامية راح ضحيتها نحو خمسة عشر ألف مسلم بحجة الأعداء البيض .. وإنما كان هؤلاء مسلمين .

وفي نيجيريا : نسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٠٪ شنت عليهم المؤامرات المختلفة عقب الانقلاب العسكرى ضد الرئيس المسلم «أحمد بللو» - رحمه الله - ثم قامت عدة انقلابات عسكرية بعد ذلك تركت البلاد لا تنعم باستقرار .

اثيوبيا : نسبة المسلمين ٥٥٪ حوالى ٢٩ مليون مسلم (حسب تعداد ١٩٧٧) وهو تعداد نشك فيه كثيراً يخفى ما لا يقل عن ٢٠٪ من باقي السكان ، وهناك تحصر الوظائف في غير المسلمين إلى جانب حظر نشاط الدعوة الإسلامية .

اما في اوروبا :

فالأنباء تترى بحوادث ما يجرى للمسلمين في البانيا والمانيا ويوجوسلافيا وبريطانيا ، وهذه الأخيرة تصرفت عن عمد دفاعا عن سلمان رشدى معلنة أنها لا تمنح غير المسيحيين حصانة من الهجوم . أضف إلى ذلك أحوال المسلمين في بلغاريا والمجر واليونان[٥] .

ولم نذهب بعيداً .. هذا لبنان الذى لا يجد فيه المسلمون نفس الحقوق التى للمارونيين .

هذه هى الخريطة مقربة شيئاً ما أمام الإعلامى المسلم ، والداعية المسلم ، نسأل الله التوفيق والسداد .

---

(٥) راجع مجلة الأزهر ربيع الأول ١٣٩٩ هـ / فبراير ١٩٧٩ م .



إعداد قسم التحرير بالمجلة

امتدت حضارة الإسلام إلى القارة الأفريقية منذ بداية القرن الاول الهجرى ، وتحول السكان في شمال القارة - وهم في جملتهم من الحاميين - إلى الإسلام ، واختلطوا بالعرب الساميين ، وتزاوجوا ثم اندمجوا ، حتى اصبحوا شعباً عربياً يشكل الجناح الغربي للعالم الإسلامي ، ولم يلبث الإسلام ان نفذ إلى الصحراء الكبرى ، وعبر ممراتها ودروبها إلى الجنوب ، وحول بحيرة تشاد ووادى نهر النيجر ، ومالى ، ثم استدار على الجانب الغربي للقارة حتى وصل إلى نيجيريا والكاميرون والجابون ، وعلى الجانب الشرقي ماراً بكينيا وتنزانيا إلى موزمبيق ، وازدهرت حضارة الإسلام في شمال القارة وشرقها وغربها ، واكتسب الناس فيها ثقافته وحضارته ، واتبعوا شريعته في الفكر والسلوك ، فمسحت شريعة الإسلام وحضارته عن كاهلهم عبء الوثنية والكهانات والخرافات التي ناءوا بها طويلاً ، ورزحوا تحت اثقالها ازماناً ، وظهر من بينهم العلماء والفقهاء والمحدثون ، الذين اخذوا بايدى الناس إلى نور الإسلام وإنسانيته وسمو مبادئه

ولم يلبث المسلمون أن تراجعوا عن مركز الصدارة في قيادة العالم ، بتراجعهم عسكرياً ، وتقدم الغرب يدنس بأقدامه كل ركن من أركان القارة ، ويسيطر على كل بقعة فيها ، ولما استقر واطمأن في هذه البلاد ، بدأ يحارب الإسلام وحضارته ، محاولاً أن يحل محله حضارته وثقافته ، وهي حضارة تحمل مظهراً مسيحياً خالياً من كل مضمون أنزل على المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - وأخذت مضموناً سياسياً لخدمة أهداف الغرب الاستعمارية لاسيما وهو الآن يتخلى عن تراث المسيحية الأصيل . حتى أنه ليفتقر إلى أبسط المبادىء الخلقية والإنسانية التي تعين على بناء حضارة .

نعم .. لقد تخلى حراس المسيحية وكمنتها ورجال كنائسها عن قدسية الحياة الزوجية ، ولم يعودوا يحاربون الخيانة أو يستهجنونها ، بل إن كبير اساقفة كنتربرى [1] يرفض حتى أن يدين

---

(١) مقابلة مع كبير اساقفة كانتربرى في جريدة التايمز البريطانية يوم الاثنين ٢ مارس ١٩٨٧ م .

الشذوذ الجنسي ، بحجة أن الشواذ قد لا يستطيعون أن يغيروا ما أصيبوا به أو جبلوا عليه ، وقبل تصريح كبير الأساقفة هذا ، كان البرلمان قد وافق على إباحة الشذوذ الجنسي للبالغين ، بل لقد وصلت المهانة والضعة بحراس المسيحية الغربية إلى درجة يصرح معها أسقف بيرمنجهام ذات مساء بأنه قد يتفهم إمكانية أن يكون السيد المسيح ـ عليه السلام ـ شاذاً جنسياً ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [٢]
نعم لقد أضاع حراس المسيحية قيمها ومبادئها ، ولم يبق من العقيدة ذاتها إلا القشور والمظاهر ، فويل لهم مما صنعوا ويصنعون ، ولقد يدهش المرء حين يعلم أن نسبة القساوسة الشواذ جنسياً قد وصلت في بعض الإدارات إلى ٥٠٪ [٣] ناهيك عن حوادث الاغتصاب والسكر والتساهل في أمور الجنس والإجهاض والفواحش المنكرة حتى بلغ الحال ببعض الاتباع إلى الفسق بمحارمه فأدركهم ما أدرك المجوسية ، حيث يتوقع أن تصل حالات فسق الآباء ببناتهم إلى (٦٠٠٠) حالة في العام [٤] .

لا يملك المرء إزاء هذا الخراب الأخلاقي ، والتراجع المشين عن القيم السامية إلا أن يقول كما قال بعض القساوسة : « إن الكنيسة قد ماتت . ولكنها لم تدفن بعد » .

وبعد ، ألم يأن لنا أن تستنهض همم حراس الإسلام وعلمائه وقادته ومفكريه ، ليعملوا جهدهم ، كي ينقذوا البشرية من تراجعها المهين نحو عصور ما قبل الأسرة ، وما قبل الحضارة والأديان .

كانت هذه مقدمة لابد منها لنعود بعدها إلى موضوعنا ، ولقد كنت قد قرأت وكتبت الكثير عن الإسلام والمسيحية في أفريقيا ، ولكن ما قرأته وكتبته لا يقارن بالمشاهدة المباشرة ، والاحتكاك بالمجتمعات الأفريقية وجهاً لوجه ، وهذه تجربة لابد من حكايتها للمسلمين من أبنائنا في الشرق والغرب ، حتى يأخذوا منها عظة وعبرة ، ويتصوروا ما يمكن أن يحل بهم في مستقبلهم إذا جازت عليهم تجارة الغرب بدينه ، وأضلتهم دعايته ومخططاته الخبيثة ، ذلك أننا بأحد الموازين نرى أن حركة تقليد الحضارة الغربية ، بل وحتى حركة اعتناق الديانة المسيحية على الطريقة الغربية تتزايد تزايداً مطرداً وملحوظاً في أفريقية بصفة خاصة ، بل وفي الأجزاء المتباعدة من قارة آسيا ، ويتزايد عدد المقبلين على الثقافة الغربية في صورها المختلفة ، فما الذي يحدث لهؤلاء في حياتهم وسلوكهم ومستقبلهم .

إن ما يحدث على سبيل المثال في مجتمع حديث العهد بالمسيحية وهو المجتمع الكيني ، حيث اعتنقها حوالي ٧٠٪ من أفراد هذا المجتمع ، جدير بالبحث والدراسة وإعمال النظر ، ما يحدث في هذا المجتمع وأنا به زعيم ، وشاهد عيان لا يمكن أن يصدقه عقل ، ولا يمكن أن تقبله فطرة سليمة أو شخصية سوية ، فالجنس في هذا المجتمع مباح بلا قيود ، والخيانة الزوجية شائعة بلا حدود ، وتسأل المرأة : هل أنت متزوجة ؟ تقول : لا ، هل عندك أولاد ؟ نعم ،

---

(٢) مجلة المركز (المركز الإسلامي في الخرطوم) مقالة بعنوان حضارة الغرب إلى أين : حسن مكي ص ٨ (العدد ٤١ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ) .
(٣) جريدة الجارديان البريطانية ٧ مارس ١٩٨٧ .
(٤) التايمز البريطانية ـ الأربعاء ٢٤ يولية ١٩٨٧ .

حضارة الاسلام وحضارة الغرب

ولمن ينتسبون ؟ إلى أبى . وتسأل طالبة الجامعة : هل أنت عذراء ؟ تقول : لا ، وترد ببساطة : وما قيمة ذلك ؛ إن الشباب لا يقبلون على العذراوات ، وكل شاب له عشيقة وكل شابة لها عشيق ، يمارسان الجنس عياناً بياناً ، بعلم الأهل ومباركتهم ، وكانت النتيجة المحتومة ، أطفالا بلا آباء شرعيين ، وأمراضا خبيثة كالإيدز ، بلغت نسبة المصابين به حداً غير معقول ، حوالى ٤٠٪ ، وفى هذا مؤشر خطير ، وفهم جاهلى للحياة الإنسانية ، وتراجع إلى عصر ما قبل الأسرة وما قبل الأديان بقيمها ومبادئها التى أخرجت الإنسان من الظلمات إلى النور ، ومن الحيوانية إلى كرامة الإنسانية ترى الناس سكارى ومدمنين للسكر ، وكثير منهم لصوص يسرقون وينهبون ويقتلون . ثم يذهبون للسكر والعربدة ، حتى افتقد الناس الأمن والأمان وصارت البيوت بما عليها من قضبان حديدية سجونا حقيقية ، ولا يأمن حتى المواطن من السير ليلاً بمفرده فى أى مكان بأطراف المدينة .

ويعجب الإنسان إذا ذهب إلى إحدى الكنائس المحلية فى نيروبى وكأنه فى مسرح . تتعالى فيه الموسيقى صاخبة مجنونة ، ويتراقص فيها الشباب والشابات ، يدعون الرب كى يغفر لهم ، ويمحو عنهم خطاياهم ثم يعاودون الكرة أسبوعاً بعد أسبوع ، وكأن الخطيئة شيء تافه القيمة ، ليست له آثاره المدمرة والقاتلة للروح ، ويمكن غفرانها دورياً أحداً بعد أحد .

وتعال بنا إلى ساحة الإسلام وحضارته فى ذات البلد ، ترى المسلمين وإن أصابهم من مجتمعهم هذا رذاذ متناثر، وشرر متطاير ، تراهم شكلاً فى صورة ترتاح لها الأعين ، وترضى عنها النفس المفطورة على حب الخير والجمال وترى الفتيات محتشمات مغتسلات ، تعلو جباههن سمات الحياء وتشعر فى قلوبهن برقة الإسلام وسماحة التدين ، وتراهم مضمونا ، على قدر من الصدق والأمانة وحسن الخلق ، يراعون الله فى سلوكهم ، ويعبدون الله فى بيوتهم ، يصلون ويصومون ويركعون لرب العالمين .

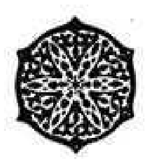
ولطالما ارتفع نعيق الغرب ، وتعالت أبواق دعايته البغيضة ، تعلن أن المسلمين عنصريون ، يفرقون بين الأبيض والأسود ، ويستعبدون السود لصلحة البيض ، ولم أر دليلاً على فساد هذه الأكذوبة من وجوه هؤلاء المسلمين السود ، الذين لا يمكن أن تفرق بينهم وبين غيرهم ، مالم يذكر لك أنه مسلم أو تعرف ذلك من اسمه . ومالنا لا نذكر النموذج العملى للعنصرية الغربية فى جنوب أفريقية ، وهى الدليل الذى يدحض كل شك ويمحق كل باطل ، وألا يذكر الناس مؤخراً كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية قد حجبت معونتها عن « زيمبابوى » لمجرد انتقاد أحد المسئولين فى الحكومة السياسة الأمريكية تجاه دولة جنوب أفريقية العنصرية ؟

* * * *

إن الغرب يعمل على تغيير الوجهة الحضارية والثقافية فى أفريقية إلى وجهة غربية نصرانية ممسوخة ، ويعمد فى سبيل ذلك إلى إبعاد التعليم الإسلامى عن مجالات الحياة فى أفريقيا ، كما يعمل على إبعاد العاملين من أبنائه عن مواقع التأثير فى المجتمعات ، ليحل محلهم أجيالاً مستغربة ممسوخة مشوهة ، ومن سوء الحظ أن الغرب قد نجح فى تحويل الملايين إلى تلك النصرانية المصنعة فى الغرب ، حتى لقد سألت سيدة عن اسمها فقالت لى : اسمى فاليستا عمر . وأمى فاطمة . قلت : أنت إذن مسلمة ؟ قالت : لا .. أنا مسيحية رغم أن أبى وأمى

مسلمان ، وسكينة ونعيمة وآمنة ، قد وجدتهن زوجات لرجال مسيحيين ، كل ذلك فى غياب سلطان الإسلام ، ولقد تحدثت كثيراً مع مسئولين عن الدعوة ، وقلت لهم : أين أنتم ؟ وقد رأيت بعينى رجالاً يصحبون أبناءهم إلى المسجد ، يريدون الدخول فى الإسلام ، ويرغبون فى أن يساعدهم المسلمون لختان أنفسهم وأبنائهم وتعليمهم كيف يصلون ، ولكن ـ بكل أسف ـ حتى هؤلاء لا يجدون من يأخذ بأيديهم إلى نور الإسلام ، فهل عجز المسلمون حتى عن احتضان هؤلاء ، وضمهم إلى ساحة الإسلام ، وإلى الأخوة الإسلامية الشاملة ؟ ومن موقع مسئوليتى أمام الله أقول : رغم كل شىء مازالت هناك فرصة لاجتذاب العديد من الناس إلى رحاب الإسلام ، ولن يتأتى هذا بهذه الأساليب المعمول بها الآن ، بل يجب إعداد خطة شاملة ينسقها ويخططها أصحاب الرأى والعلماء العاملون فى هذا الحقل ، ليس فقط من رجال الدين ، بل من العلماء مهما اختلفت تخصصاتهم ، الذين لهم علاقة ودراية بالأوضاع فى هذه القارة . ومن وجهة نظرى أرى أن أفضل السبل وأقدرها على تحقيق الغاية هو الاعتماد على الكوادر المحلية بعد تدريبها وتثقيفها ورعايتها مادياً ، لأنهم أقدر على الدعوة بحكم انتمائهم إلى ذويهم ومعرفتهم بلغاتهم وثقافتهم ، ويجب أن نتذكر أن الإسلام لم ينتشر فى معظم بلاد الدنيا إلا على أيدى الناس العاديين من الدعاة التجار وغيرهم ، يؤيدهم ويشد من أزرهم قوة الإسلام الذاتية ، وكونه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

وبالله التوفيق



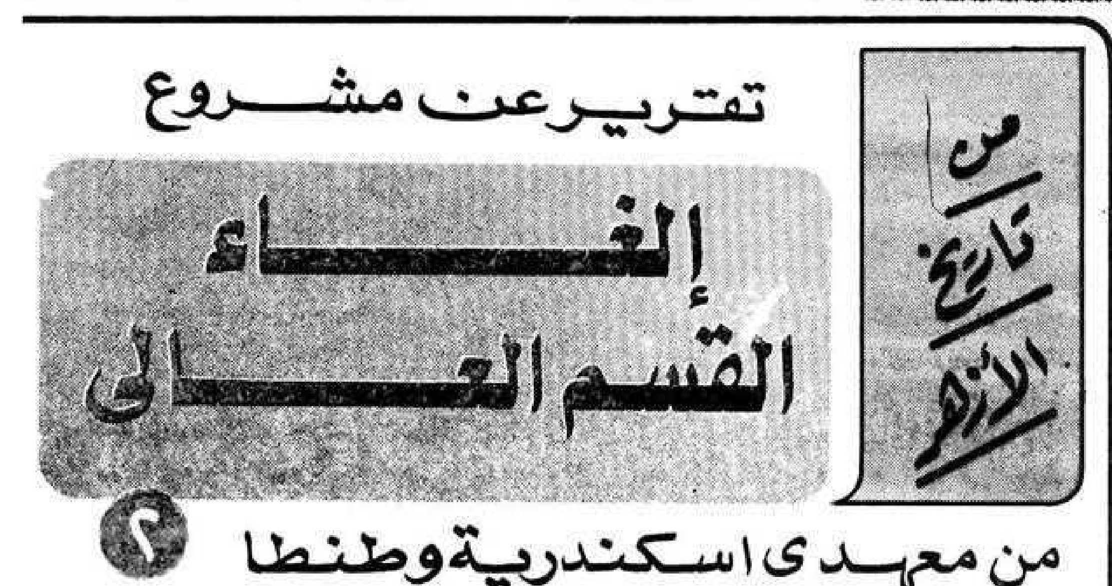
المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة .

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حىّ الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات رأسا إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .



من معهدى اسكندرية وطنطا ٢

بقلم فضيلة الشيخ
محمد الأحمدى
شيخ الجامع الأحمدى بطنطا
رحمه الله

هذا التقرير من الوثائق الهامة التى تنشر هنا لأول مرة ، وننفرد بنشره على صفحات مجلة الأزهر الغراء ، فهى الوحيدة التى تضطلع بنشر تراث الأزهر ، جعلها الله حارسا ومدافعا عن تراث الإسلام .

د . مجاهد توفيق الجندى

أسباب انحطاط المستوى العلمى فى النظام الذى يجب أن يعالج

السبب الأول : فى ذلك كثرة الحصص اليومية على الطالب فقد كانت قبل النظام اثنتين ، وقد يزيد الطالب المتفوق ثالثة ، وصارت فى النظام أربعا لجميع الطلبة ؛ وقد انبنى على هذا ، وعلى كثرة العلوم ، وكثرة المقررات السنوية (كما سيأتى بيانه) أن أصبح الطالب فى أشد أنواع الجهد والكد لا يجد فرصة للمذاكرة ، ولا لإعطاء المسائل حقها من البحث والتفكير بدقة . وعلى مهل كما كان فى الماضى ، وانقسم الطلاب إلى فريقين ..

فريق ضعيف فَهُوَ لَهُ هذه الحصص المتوالية ، والأحجام الكبيرة والمقررات الواسعة فى عويصات المسائل فينهزم أمامها ويحس بالعجز ويولى

وجهه شطر حفظ الملخصات والمتون عساه يفوز بها فى الامتحان .

وفريق قوى لا يزال يجدُّ ويكدُّ ولا ييأس ، ويقتطف بعض الشيء من هنا ومن هناك بقدر ما تسمح به الحال من غير إنضاج .

يكلف الطالب الآن فى القسم العالى بأن يتلقى كل يوم درسا فى الفقه العالى من كتاب (المجموع) أو (المنهج) ودرسا فى الأصول من كتاب (ابن الحاجب) المشهور بصعوبته ، وثالثا فى التفسير من كتاب (النسفى) ورابعا فى البلاغة من كتاب (دلائل الإعجاز) وقد يكون بدل الفقه المنطق من كتاب (الشمسية) أو (التوحيد) من كتاب (الطوالع) .

ومن المعلوم أن طريقة التدريس الأزهرية تقتضى أن يذاكر الطالب الدرس فى أكثر من زمن تلقيه بل قد يصل ذلك فى الكتب الصعبة إلى ضعف زمن التلقى .

ونظراً إلى أن زمن الحصة الواحدة ساعتان إلا ربعا ، وهى أربع فى اليوم ، يكون مجموع مدة العمل نحو (١٨) ساعة على الأقل ؛ فكيف يتصور القيام بهذا وعلى استمرار .

لذلك تجد الطالب يرتقب بعض ساعات أيام الاستراحة كالخميس والجمعة مع بعض ساعات من الليل أو يختلس دقائق بين الحصص ليذاكر فيها مذاكرة لا تجدى فى الغرض الأزهرى المطلوب .

وكثير من الطلبة يتلقى كثيراً من الدروس بلا مذاكرة ، وكل مُلِمٍّ بالطريقة الأزهرية يعلم أن تلقى الدرس بدون مذاكرة ضياع فى ضياع .

هذا هو ما ينهك قوى الطلاب ويجعلهم يشتغلون أضعاف ما كان يشتغل الطالب قبل النظام ثم لا يخرجون بطائل يجدى ، اللهم إلا إلمامات بمعلومات شتى لا تذهب أن تزول فأما (تَمَكُّنٌ) من مادة بعينها أو (ملكة فهم) ومناقشة راسخة فقليل ذلك ، فإلى هذا وغيره يرجع انحطاط المستوى .

وبديهى أن توحيد القسم العالى لا يجدى مطلقاً فى معالجة مثل هذا الداء كما أن بقاء الحال على ما هو عليه لا دخل له فى الضعف بل هو بالعكس مما يقاومه بسبب ما يوجد فى المعاهد من المنافسة .

السبب الثانى : كثرة المقررات السنوية فى القسم العالى على الخصوص ؛ فهناك (صحيح مسلم) كله و(تفسير النسفى) كله و(دلائل الإعجاز) كله و(الشمسية) كلها و(الطوالع) و(ابن الحاجب) والنصف الثانى من كتب الفقه العليا كـ(المجموع) و(المنهج) و(الهداية) وهذا كله غير (الأخلاق) و(نظام القضاء) و(الكيمياء) و(الطبيعة) و(الهيئة) والوقت المحدد لا يتسع لشيء من ذلك .

يكلف الطالب الآن بصحيح مسلم كله من أوله إلى آخره ، ويقال له : عليك أن تستحضره تمام الاستحضار بكل ما فيه من إشكالات ودقائق وآداب وأحكام وغريب لكى يضمن لك النجاح فى الامتحان التحريرى الذى ستفاجأ فيه بالاختبار فى أى نقطة يقع عليها اختيار اللجنة ثم يعطى من الوقت ما تستحيل دراسته فيه وحدها فضلاً عن دراسته أولاً ثم مذاكرته ثانيا فى آخر سِنِى الدراسة .

هذا فى حين أن الطالب من قبل ما كان يكلف بتلقى ذلك فى فن الحديث وما كان يمتحن فيه على

من تاريخ الأزهر

طريق المفاجأة بل يعين له حديث ويعلم به ليذاكره ثم يناقش فيه[1].

ومع هذا فقد كان الطالب الأول متينا ؛ لأن الوقت الذى يمضيه طالب النظام فى الاطلاع على ما لا يحصى من الأحاديث التى يحتويها مسلم والبخارى ويبذل الجهد فى مجرد تلاوتها باسم (إتمام المقرر) كان يمضيه الطالب غير النظامى لا فى ذلك بل فى تربية ملكة البحث فى مواضع خاصة ومتى توافرت لديه الملكة سهل عليه أن يحكم حكما صحيحا فى كل ما يعرض عليه من حديث وغيره ، وإن لم يطلع عليه من قبل و(الحفظ) أمر يعرض ويزول أما (الملكة) و(قوة التفكير) فأمر يدوم وينمو فماذا تنفع كفاءة المدرس للحديث أمام هذا المقرر الذى يحتاج فى مجرد تلاوته إلى أكثر من الزمن المخصص له : أيتقن دراسة القليل ويترك الباقى فى حين أن الطالب سيفاجأ بأسئلة فى أحاديث قد لا يكون اطلع عليها وقد يكون فيها من الغريب والمشكل الشىء الكثير؟! وإذا ترك الأستاذ الباقى فهل يتركه الطالب أيضا أو يذاكره وفى أى زمن يكون ذلك ؟

يكلف الطالب الآن بتلقى (تفسير النسفى) كله ، ويعطى وقتا لا يكفى لثلثه على أن يمتحن فيه امتحانا مفاجئا فى أى آية ليكتب عليها من ناحية : المعنى ، واستنباط الأحكام ، وبيان دقائق البلاغة ، غير ذلك فى حين أن الطالب قبل النظام لم يكن فى الغالب يحضر من التفسير إلا أجزاء يقرؤها الأستاذ مع تمام التروى والتأنى ، ويمتحن الطالب فيها بتعيين آية ليذاكرها فى أيام معدودات ثم يختبر فيها ، فأين هذا من ذاك ؛ وماذا تنفع كفاءة المدرس ، وأمامه المقرر يحتاج إلى ضعف الزمن ، ومن ورائه رئاسة المعهد تستحثه على أن يتمم كل المقرر وإلا اعتبر مخالفا للقرارات واللوائح ؟؟؟!

يفاجأ الطالب فى السنة الأخيرة التى عليه أن يستحضر فيها مقرر القسم كله من فقه وأصول وبلاغة وتفسير وحديث وأخلاق بتكليفه بتلقى كتاب الطوالع الذى لم يكن معروفاً من قبل ، ويفاجأ لأول مرة بتلك المباحث الفلسفية الغامضة المحتاجة إلى نهاية الدقة والبحث والتأمل وهو فى تلك السنة قلق الضمير مشغول البال بأمر الامتحان وبتحضير تلك المقررات الواسعة .

هذا فى حين أن الطالب من قبل إنما كان يمتحن امتحان العالمية فى (شرح السنوسية) فأين هذا من ذاك ؟ وكيف يتسنى للطالب فى مثل هذه السنة دراسة الفلسفة العميقة التى كان لا يشتغل بها من قبل إلا الواحد بعد الواحد من العلماء مثل الشيخ محمد عبده وأضرابه ؟! أفيمكن إتقان دراسة بهذه الكيفية مهما كان الأستاذ كفؤا .

الواقع الجارى أن الأساتذة يرون الزمن أقل مما يكفى فيعمدون إلى أهون الشرين فيدرسون الأهم فالأهم بحسب ما يناسب فى مثل ذلك الوقت الضيق ويتركون آخر السنة يعطى الوقت للطلبة حتى يذاكروا العلوم السابقة .

(١) راجع تصوير العلامة جلال الدين السيوطى : محاضرة ألقاها أمام جمع من شيوخه وزملائه فى تفسير الثلاثة آيات الأولى من سورة الفتح ، تخرج بها أستاذا للتفسير بجامع شيخون بالقاهرة والذى نشرناه لأول مرة فى مجلة الأزهر عدد شهر سنة ١٩٨٣ وهو يعطينا صورة جلية واضحة عن نظام الامتحان قديما وتخريج العلماء بالأزهر وغيره .

السبب الثالث :

كثرة حصص الأستاذ ، فلقد كان المعهود قبل النظام أن الذى يقرأ (جمع الجوامع) مثلا فضلا عن مثل (ابن الحاجب) لا يكاد يقرأ غيره : أما الآن فالأستاذ يقرأ (ابن الحاجب) خمس حصص أخرى فى (الشمسية) أو (الطوالع) أو (العقائد النسفية) فيكون مجموع حصصه عشراً كما قضت اللوائح ، وقد يزيد على العشرة لقلة المدرسين فى المعهد ، يضم إلى هذا كِبَرُ المقرر : فعليه أن يتم الشمسية فى عام ، وأن يتم ثلث ابن الحاجب كذلك ولا شك فى أن كثرة الحصص مع سوق المشيخة للأستاذ حتى يتم المقرر طبقاً لقرارات المجلس الأعلى من أشد الأمور التى توقعه فى الحيرة وتفضى به إلى التساهل خصوصا والطالب أمامه مكدود يتنازعه كل أستاذ طول اليوم بُغْيَةَ إتمام المقرر .

وكثر ما لا يرى أستاذ كل فن وسيلة إلى الإتمام إلاّ بإعطاء حصص إضافية وكثر ما يحول دون ذلك حاجة كل أستاذ إلى ذلك مع عدم وجود وقت عند الطالب لهذا وذاك .

كان الأستاذ من قبل إذا وصل إلى مسألة صعبة لم يتركها حتى ينتهى منها مهما طال الأمر ولكن هل يتأتى ذلك الآن مع هذه الحصص والمقررات ؟ إنى أقرر هذا باعتبار ماهو موجود فى معهد طنطا وهاهو نموذج من دروس فريق من أساتذته فى سنوات مختلفة .

اسم الأستاذ	دروسه فى سنة ٣٤ ـ ١٣٣٥		دروسه فى سنة ٣٥ ـ ٣٦		دروسه فى سنة ٣٦ ـ ٣٧	
	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص
الشيخ ابو المجد الخياط	المنهج	٥	المنهج	٥	ابن الحاجب	٥
	صحيح مسلم	٢	ابن الحاجب	٥	النسفى	٥
	الزبيدى	٢	الزبيدى	٢	الذريعة	١
	الذريعة	١				
	العقائد النسفية	٣				
	مجموع الحصص	١٣		١٢		١١
الشيخ محمد عبد الرءوف جمال الدين	الدرر	٥	الدرر	٥	الهداية	٥
	ابن الحاجب	٥	ابن الحاجب	٥	ابن الحاجب	٥
	تاريخ سن ٨	١	المصطلح	١		
	مجموع الحصص	١١		١١		١٠
الشيخ عبد السلام شرف	النسفى	٥	النسفى	٥	مراقب	
	ابن الحاجب	٥	ابن الحاجب	٥		
	ادب اللغة	١	الذريعة	١		
	مجموع الحصص	١١		١١		

اسم الاستاذ	دروسه في سنة ١٣٣٤ - ٣٥		دروسه في سنة ١٣٣٥- ١٣٣٦		دروسه في سنة ١٣٣٦ - ٣٧	
	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص
الشيخ محمد السيد ابو شوشة	العقائد النسفية حساب سنة ٤ السعد تاريخ سنة ٤	٣ ٣ ٥ ١	العقائد النسفية دلائل الإعجاز صحيح مسلم الخبيصي والوليدية حساب سنة ٤	٢ ٢ ٤ ٢ ٣	العقائد النسفية ابن الحاجب دلائل الإعجاز كله	٢ ٥ ٤
	مجموع الحصص	١٢		١٣		١١
الشيخ محمد غرابة	العقائد النسفية السعد إنشاء وادب اللغة تاريخ سنة ٧ بيان سنة ٣ صرف سنة ٣	٣ ٥ ٢ ١ ١ ١	العقائد النسفية السعد الزبيدى عروض وصرف	٢ ٥ ٣ ٢	التحرير الشمسية دلائل الإعجاز الزبيدى	٥ ٤ ٢ ٢
	مجموع الحصص	١٣		١٢		١٣
الشيخ عفيفى عثمان	الهداية السعد جبر	٥ ٥ ٢	الهداية ابن الحاجب تاريخ سن ٨	٥ ٥ ١	الهداية ابن الحاجب تاريخ سن ٨	٥ ٥ ١
	مجموع الحصص	١٢		١١		١١

السبب الرابع :

عدم تحديد السنة الدراسية بمقدار ما يلزم للدراسة تحديداً دقيقاً مستمراً لا ينخرم مهما كانت الأسباب فالجارى الآن ان المجلس ينظر في تحديد وقت (المسامحة)[٢] والامتحانات في الشهر الخامس من الدراسة ، ونظراً لوجود (بطالات)[٣] لرمضان وللصيف فكثيراً ما ينتهى الأمر بما لا يوافق إتمام المقررات ومن اقرب ذلك ما حدث في العام الماضى حيث لم تتجاوز مدة الدراسة ستة أشهر ، فإن لم يمكن رغما عن بذل كل مجهود إتمام المقررات فيها وترتب على هذا بالنسبة للسنة الثانية عشرة الحالية الصورة الآتية :

لم تكمل مقررات الأصول وهى من الأمور التى لا يجوز استقلال الطلبة بإتمامها وأعطى الأساتذة الذين كانوا يدرسونها عشر حصص غيرها تنفيذاً للنظام وكلفوا في الوقت عينه بصفة غير رسمية بأن يتموا ذلك المقرر مع الطلبة لحاجتهم إليه في حصص غير رسمية فكان المجموع من ذلك لكل أستاذ نحو (١٥) حصة

(٢) كان هذا اللفظ يطلق على وقت (الإجازة) السنوية ، وغيرها ، المحرر .
(٣) إجازات .

وأصبحت الحصص التى يتلقاها الطالب نحو ٢٠ حصة : خمسة فى (الطوالع) وخمسة فى (ابن الحاجب) وأربعة فى (الحديث) وخمسة فى (التفسير) وواحدة فى (الاخلاق) .

فكيف يتسنى له مع هذا أن يذاكر علوم القسم التى سيمتحن فيها ؟

وكيف يتأتى للأساتذة الذين يدرسون (١٥) حصة فى القسم العالى أن يتقنوها ؟

وهل كان يجوز ترك باقى المقررات رأسا أم كان يمكن إتمامها فى مثل تلك السنة الدراسية التى قررها المجلس بالاغلبية مراعيا فى ذلك رمضان وألا يقع فى أثناء السنة الدراسية ؟!

أليس الواجب أن نقدر مدة الدراسة بمقدار ما يلزم لإتمام المقررات تقديرا دقيقا لا ينقص أبدا .

السبب الخامس :

كثرة العلوم فقد كانت العلوم التى تدرس قبل النظام أحد عشر علما ، ثم زيدت إلى أربعة عشر وهى الآن (٣٧) ولا جرم أن قوى الإنسان محدودة فما كان ينفق من المجهود فى شىء أصبح ينفق فى أضعافه ، ويستحيل أن يتفوق الإنسان فى أمثال هذه الأعداد من العلوم .

إن الاجتهاد والإقبال على الدراسة الآن من الطالب والأستاذ أكثر مما كان من قبل النظام ، ولكن تلك العوائق هى التى أضعفت التخريج ، ولو أن هذا الاجتهاد والإقبال . مع الحالة القديمة فحسب لكان النجاح مائة فى المائة دائما ولكان المتخرجون اليوم أرقى بكثير من المتخرجين أمس وإنه عارضٌ فيما يأتى مقارنة بين الحالة القديمة والحالة الجديدة يتبين منها موضع

	الحالة قبل النظام	الحالة بعد النظام
العلوم	أحد عشر علما	سبعة وثلاثون علما
حصص الطالب	اثنتان أو ثلاث على الاكثر	أربع
حصص الأستاذ	من ٥ إلى ١٠ أسبوعيا	من ١٠ إلى ١٤ أسبوعيا
طريقة التدريس	العناية بالجدل وتربية الملكة	العناية بإتمام المقررات وتلخيص المسائل
الأجل المحدد للكتب	الأمر موكول إلى اختيار الأستاذ	مدة معينة ومسئولية عن التأخير مع دلالة التجربة على أنها أقل ما تلزم بكثير فى كثير
المواظبة من الطالب	الأمر موكول لاختيار الطالب وحالة كل طالب فى نفسه	مراقبة وإقبال وعدم كثرة تخلف
المواظبة من الأستاذ	الأمر موكول لاختيار الأستاذ وحالة كل أستاذ فى نفسه	مراقبة وإقبال وعدم تخلف
ميزة الدراسة	تربية ملكة الفهم والعناية بطريقة الجدل على مهل	الإلمام بكثير من العلوم التى كانت مجهولة من قبل مع المواظبة واستخدام كل الوقت فى الاشتغال .
طريقة الامتحان	مجرد تعيين مواضع من كل علم ويعطى الطالب عشرة أيام للمذاكرة ثم يناقش فى هذه المواضع .	أولا : اختبارات تحريرية فى كل مقررات القسم من العلوم الدينية والعربية لا يمكن النجاح فيها إلا باستظهار هذه المقررات مع وجود ملكة فهم . ثانيا : اختبارات شفهية كذلك ثالثا : تعيين على الطريقة القديمة فى ثلاثة علوم مع ملاحظة أن كثرة العلوم وقلتها فى امتحان التعيين وعدمها متقاربتان لأن المدار فيها على قوة الجدل والبحث .

من تاريـــخ الأزهـــر

الضعف وآتي غير عدم كفاءة المدرسين وغير تعدد المعاهد .

السبب السادس :

عدم وضع قواعد للترقى يكون أساسها تشجيع الممتازين المجدين فى التعليم بوجه منضبط لمراجعة المواظبة وحسن النتيجة فإن مكافأة الممتاز فى التعليم من أهم الوسائل التى ترقى التعليم وتوجب التنافس بين العلماء فى ذلك كما أن إهمالها مما يولد الفتور والتراخى عند أهل الاستعداد العالى من المدرسين خصوصاً الحديثين منهم .

فمتى كانت التحسينات أو العلاوات أو الترقيات تمنح عن طريق الأقدمية أو التعميم تفتر عزيمة المجد ويقول فى نفسه لا فائدة من الجد .

وقد حدث عند ورود أول تحسين للعلماء فى سنة ١٩١٧ أن اجتمعت لجنة للنظر فى ذلك وقررت ألا تعمل بآراء مجالس الإدارة ، ولا ترجع لمسألة حسن النتائج لعدم إمكان الحصول عليها فى غير الأقسام النظامية ، بل إلى ما تراه هى ، وكنت من بين أعضائها ، فقدمت إليهم اقتراحا كتابيا يقضى بوجوب عمل مبادىء وقواعد يكون أساسها حسن النتائج والتفوق فى التعليم فقررت أن تمضى فى عملها ، وأن تحيل اقتراحى إلى مجلس الأزهر للعمل به إن وافق فى المستقبل أو المجلس قرر إحالته مع لجنة لتنظر فيه ولم تحصل إلى الآن .

وقد وجدت بعد ذلك عدة تحسينات عامة وارتفعت من جراء بعضها شكاوى عديدة .

إنى أظن أن تسجيل نتائج الأساتذة فى دفتر خاص وكذا مواظبتهم والرجوع إليها فى منح الترقيات مما يفيد فى ترقى العلم وتقليل أو إعدام الشكوى .

لقد كان ترك الحرية قبل النظام للطالب فى اختيار أستاذه من أهم دواعى تنافس العلماء فى التعليم حتى يقبل عليهم الطلبة فالآن وقد قضى النظام بحشد الطلاب للأساتذة قد بطل هذا الداعى ، ولابد من تعويضه ، وأهم مايصلح عوضا له مكافأة الممتازين وإيجاد الوسائل التى تمكننا من معرفة أولئك الممتازين بطريقة صحيحة هذه هى الأسباب التى يرجع إليها ضعف المستوى العلمى وهذه هى الأمور التى يجب التفكير والبحث فيها وإصلاحها ، أما تعدد المعاهد فلا دخل له أبداً بل هو عامل قوى من عوامل الجد وتقوية التخريج بسبب ما فيه من المنافسة كما أسلفنا .

السبب الثالث :

سوء النتيجة فى هذا العام فى المعاهد الثلاثة وهو ما يمكن أن يفهم من إيراد هذا الاقتراح فى تقرير الامتحان فى هذا العام وهو لا يصلح مسوغا وذلك لما يأتى :

(أولاً) : لأن سوء النتيجة ، عاما فى معاهد ثلاثة ، لا يقضى بإلغاء اثنين منها أرأيت لو أن امتحان الدراسة الثانوية فى مدرسة طنطا الثانوية أو مدرسة رأس التين فى اسكندرية ساءت نتيجته عاما أكان يبنى وزير المعارف على ذلك إلغاءهما والاكتفاء بالتوفيقية والسلطانية فى القاهرة ، أقول ذلك بقطع النظر عن أن عدم تأليف لجنة لبحث أوراق الامتحان إنما كان بأدنى أغلبية وبقطع النظر عما شاهده بعض الأعضاء فى الجلسة من أن بعض الأوراق قد وضعت عليها علامة الغلط بدون وجه ، وأن ذلك مما يدعو إلى البحث (فقد يكون له نظير كثير) وبقطع النظر عن طلب بعض الأعضاء تدوين

رأيه في الجلسة وعدم تدوينه (وقد كان خلاصة هذا الرأى أنه مع ميله إلى عدم التسأهل في الامتحان ومع اعتقاده أن إعادة الامتحان مما يغتفر من الوجهة الإدارية فإنه تلقاء ما رآه في الجلسة اتفاقا وعرضه على المجلس من وجود تعليمات لا يظهر وجه لها لا يمكن أن يرتاح إلى التصديق النهائى مع النتيجة من الوجهة الفنية قبل تأليف لجنة لبحث الموضوع طبقا للمتبع من قبل في مثل ذلك .

(**ثانيا**) : لأن سوء النتيجة في شهادة العالمية كان عاما في الأزهر وفي المعاهد .

(**ثالثا**) : لأن هناك سببا هو أول ما يمكن أن تتوجه إليه النفس في التعليل وإن لم يذكره التقرير الا وهو : **توالى الإضرابات في الأونة الأخيرة** الذى قضى بأن يلغى مجلس الأزهر إلا على سنة برأسها من ترتيب سنى دراسته ، وأن تكون السنة التى قبلها والسنة التى بعدها من أقصر السنين الدراسية .

(**رابعا**) : إن التقرير قد عدد وبين أسبابا لسوء النتيجة ولم يجزم بواحدٍ منها ولا تظهر صلة بينها وبين فكرة الإلغاء ؛ فإذا كان السبب هو كثرة المقررات في الأقسام النظامية فليس دواء ذلك إلغاء القسم العالى من طنطا واسكندرية وإبقاءه في الأزهر ، وإذا كان السبب عدم مراقبة المدرسين فإنما الدواء مراقبتهم لا إلغاء بعض الأقسام ؛ وإذا كان السبب التساهل في امتحان النقل فالواجب التشديد فيه ، وإذا كان السبب عدم كفاءة المدرسين فإنما الدواء معالجة ذلك بانتخاب الأكفاء كما ذكر في التقرير .

على أنى أعتقد توافر الأكفاء وأن الضعف له أسباب أخرى بيناها في غير هذا الموضع من هذا التقرير .

السبب الرابع :

أن يقال أن المسألة مسألة توحيد للأقسام العالية وحصرها في دائرة واحدة والتوحيد خير من التكثير وهذا كلام مجمل يحتاج إلى تحليل فإن كان الغرض (توحيد قواعد التعليم ونظامه ومناهجه وكتبه) فذلك أمر لازم وهو حاصل الآن ، فإن المعاهد كلها تسير على منهاج واحد وقواعد واحدة وتخضع لمجلس واحد ، وإن كان الغرض (توحيد المعهد وعدم تعدد المدارس) فذلك ما لا يقال به لأنه ضرب من الاحتكار يضر ولاينفع ؛ فمتى كان تعدد المدارس والمعاهد ضاراً في أى بلد أو أى نوع من أنواع التعليم ؟!!!

إن المشاهد في كل الأقطار هو تعدد أنواع المدارس مع توحد المنهاج والشهادة وذلك هو الموجود الآن في مدارس الحكومة .

وإذا كان في القطر المصرى بعض أنواع من المدارس لم تتعدد فليس ذلك لأنه ضار ، كلاً بل لأن هناك عقبات تحول الآن دون التعدد ويوشك أن تتعدد متى أخذت البلاد حظها من الترقى .

هاهى مدرسة الحقوق مثلا كانت واحدة ، ولكن هاهو قد وجد بجانبها قسم الحقوق من الجامعة بقدر ما سمحت به الفرصة مضموما ذلك إلى مدرسة الحقوق الفرنسية وبذلك أصبحت أقسام التعليم العالى للحقوق ثلاثة في القطر المصرى والتفكير متجه دائما إلى التوسيع فيها وفي غيرها لا إلى التضييق .

ذلك هو ما أدّانى إليه بحثى[٤] رأيت من واجبى الا أكتمه وأن أعرضه على أولياء الأمر علّه يفيد في دراسة مثل هذا الموضوع الهام ولهم الرأى الأعلى والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

شيخ الجامع الاحمدي ـ محمد الاحمدي

١٣ محرم سنة ١٣٤٠ ـ ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢١

(٤) إن في هذا التقرير لفوائد تاريخية وواقعية للرقى بالتعليم ، ولقد شاء الله أن تعود جامعة الأزهر إلى فتح الأقسام العالية بمختلف أقاليم الجمهورية مما يؤكد صحة نظر فضيلة الشيخ الأحمدى ـ رحمه الله ـ . المحرر



للأستاذ: محمد المتناوى

نمو النشاط الإسلامى :

ما إن اجتمع شمل المسلمين فى المسجد حتى وجدوا انهم فى حاجة ماسة إلى جمعية رسمية تسجل بالجهات المختصة فى الدولة ، وتتولى كافة شئونهم وتنسق بينها وتسعى لتوحيد صفوفهم فكانت الجمعيات الإسلامية التالية :

١ - جمعية الرابطة الإسلامية :

واستطاع المسلمون تشكيلها عام ١٩٥٦ م ، وأول من رأسها : (الحاج وامويا شريف) ومقر هذه الجمعية العاصمة (منروفيا) وكان أول أعمالها إنشاء مدرسة ابتدائية إسلامية تهتم بدراسة الدين واللغة العربية إلى جانب العلوم العصرية وقام بتمويل هذه المدرسة :

أ - صندوق الجمعية .
ب - التبرعات المقدمة من المسلمين .
جـ - المصروفات المقررة على كل تلميذ .

وقام بالتدريس فى هذه المدرسة نخبة طيبة من أساتذة أفارقة من « غينيا » و« مالى » يجيدون العربية ، وعلوم الشريعة الإسلامية .

وقد وصلت الأفواج فى مدارس هذه الجمعية إلى المرحلة الثانوية ، ويتلقى الطلبة دروسهم فيها باللغتين : العربية والانجليزية ، وعلى الرغم من أن الشهادة العربية لا يعمل بها فى الدولة :

فإن الشهادة الانجليزية تفتح الطريق إلى العمل ، والأخيرة معتمدة لدى الدولة ضرورة اداء الطلبة امتحانهم لنيلها بمدارس الدولة مع كافة الطلبة الليبيريين . ولما لخريجى هذه المدارس الإسلامية العربية من كفاءة متميزة صاروا فى طليعة الطلبة الذين ترحب بهم مدارس الدولة .

٢ - جمعية اتحاد مسلمى ليبريا (بسانيكولى) .

استحث عمل مسلمى العاصمة همم المسلمين داخل البلاد ، فكان بناؤهم للمسجد ، ثم إنشاء الجمعية ، والمدرسة حافزا للنشاط ، فأسرع مسلمو محافظة (نمبا) الواقعة على حدود غينيا ، وساحل العاج بإنشاء جمعية اتحاد مسلمى ليبريا ، وجعلوا مقرها فى عاصمة المحافظة (سانيكولى) عام ١٩٦٤ م .

ونشطت هذه الجمعية فكان جدول أعمالها الأول يضم العمل من أجل :

أ ـ تجميع جهود مسلمي محافظة « نمبا » تحت لواء هذه الجمعية .

ب ـ بناء مسجد جامع في محافظة « نمبا » مقره عاصمة المحافظة « سانيكولى » .

جـ ـ إنشاء مدرسة ابتدائية إعدادية على وفق مدارس العاصمة التابعة لجمعية الرابطة الإسلامية .

د ـ إنشاء مساجد ومدارس في جميع مدن وقرى المحافظة وقد كان في كل من : (جنتا ـ سكلبى ـ تبتا ـ باربا ـ كامب فور) ولنا وقفة عند بناء مسجد جنتا فقد تضافرت الجهود والمساعى في جنتا ، لبناء مسجد ضخم كبير ، تعلوه أربع مآذن ، وحوله فناء واسع ، أعد ليسع جميع المسلمين من كافة الأعمار في صلاة العيدين . كما يوجد فيه غرفتان لتجهيز الموتى ، وهو المتبع في جميع المساجد .

وفرش المسجد من الداخل بالموكيت ، وكان لى شرف نقش جدرانه بالآيات القرآنية ، كما فعلت في مسجد سانيكولى .

ويوم الافتتاح أعلن زعيم المسلمين عن تكلفة هذا الصرح الشامخ فقال : إنه تكلف مليونا وأربعمائة وأربعين دولارا امريكيا ، (١٠٠٠٤٤٠) وكان لافتتاح هذا المسجد صدى واسع ، وصل إلى جميع دول غرب افريقيا . فقد افتتح في مهرجان كبير ، واحتفال رائع عظيم ، استمر عشرين يوما متوالية وحضره مسلمون من جميع الدول المجاورة ساحل العاج ، ومالى ، وغينيا ، ونيجيريا ، وسيراليون وغيرها .. بالاضافة إلى المواطنين من جميع قرى ومدن ليبريا ، ووزعت الضيوف على منازل المسلمين حسب العشائر .... وبعد هذا الاحتفال العظيم الذى شهد لعظمته جميع الأوساط تحدد يوم خاص ، لحضور رئيس الجمهورية (وهو غير مسلم) لافتتاح المسجد بنفسه ، إرضاء للمسلمين .

هـ ـ تكوين لجنة لتنظيم شئون الدعوة الإسلامية . وتنحصر أعمالها في الآتى :

١ ـ تنظيم برامج دورية للتوعية الإسلامية ، ونشر فكرة مبسطة للخطوط العريضة للشريعة الإسلامية .

٢ ـ دراسة المعوقات التى تقف أمام الدعوة ، ومحاولة تذليلها .

٣ ـ محاربة البدع والخرافات . والطقوس غير الإسلامية .

٤ ـ تكوين فرقة من الدعاة تطوف القرى للتوعية . والاتصال بالجمعيات الإسلامية الاخرى .

٥ ـ التصدى للدعايات المغرضة ، ضد الإسلام ، وإقامة المحاضرات وتوزيع الكتيبات . التى بدأت تصل من الدول العربية والإسلامية .

٦ ـ محاولة إنشاء عيادة طبية في سانيكولى . مقابل مستشفيات التبشير وهذه المحاولة مازالت على الورق ولم تخرج لحيز التنفيذ حتى غادرت البلاد .

٧ ـ تكوين لجنة للتبرعات لرفع أجور المدرسين الأفارقة ، والصرف على المساجد والمدارس والتوسعة فيها .

٨ ـ عقد دروس في المساجد لجميع الأعمار ، لتعليم اللغة العربية .

ليبريا والاســلام

التعاون الإسلامى الثقافى لهذه الجمعية

يمد الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية هذه الجمعية بما يمكنها من ممارسة نشاطها الإسلامى العلمى بين أبناء المسلمين فى هذه البلاد .

كذلك تجد تعاونا طيبا من السعودية ممثلا فى رابطة العالم الإسلامى وعدة جامعات من المملكة إلى جانب إدارة الإفتاء ووزارة الأوقاف السعوديتين وكانت حكومة الكويت تمدها بأكثر من رافد لا يعلم إلا الله ـ تعالى ـ ما تنتهى إليه الأحوال .

كما تتعاون مع الجمعية كل من : البحرين ، والسودان عن طريق المؤسسات العلمية .

٣ ـ جمعية المؤتمر الإسلامى الليبيرى :

أنشأها المسلمون فى العاصمة (منروفيا) عام ١٩٦٦ ، وتعتبر ثالثة الجمعيات الهامة فى ليبيريا ، وقد اهتمت بإنشاء :

المدارس ، ومسجد جامع بالعاصمة يعتبر الثانى فيها . كما اهتمت بالتوعية الإسلامية ، والعمل على نشر الإسلام بين غير المسلمين .

وكان ـ جميلا منها ـ أن تهتم بشراء قطعة أرض تخصها بموتى المسلمين الذين كانوا يدفنون مع موتى غيرهم من أهل الملل الأخرى .

٤ ـ الجمعية السلفية بالعاصمة أيضا .

استطاع مجموعة من المسلمين أصحاب الفكر السلفى ، أن ينشئوا جمعية ثالثة بالعاصمة ، أسموها « الجمعية السلفية » .

وأهم أعمالها الآتى :

١ ـ بناء مسجد جامع ثالث بالعاصمة .

٢ ـ إنشاء المدارس الإسلامية .

٣ ـ التوعية الإسلامية .

ونرجو ألا تأخذ التوعية بالإسلام بين جمعية وأخرى أهدافا تفرق بين المسلمين تحت أى شعار ، فتلك كارثة ـ بمفردها ـ أصابت الدعوة فى العالم الإسلامى ، فرفقا ورحمة بمسلمى هذه البلاد الذين يلمون شعثهم ، ويجمعون كلمتهم ، ويتبارون فى إظهار وحدتهم .

٥ ـ جمعية اتحاد الطلاب المسلمين فى ليبيريا (١٩٨٦ م) .

استطاع الشباب المسلم المثقف ، إنشاء جمعية طلابية مقرها (جَنْتَا) فى محافظة (نمبا) ـ التى اهتمت بـ :

١ ـ توحيد جهود الشباب .

٢ ـ نشر الثقافة الإسلامية .

٣ ـ الاتصال بالاتحادات الطلابية خارج البلاد .

٤ ـ إقامة مؤتمرات ، وتنظيم محاضرات إسلامية .

٦ ـ الجمعية الأم (الجمعية الوطنية لمسلمى ليبيريا) .

فى سنة ١٩٧٤ م اجتمع رؤساء هذه الجمعيات وكلهم عزم وتصميم على تجميع الجهود والعمل على توحيد الصفوف مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[1] وقوله ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[2] ولهذا القصد ، اتفقوا على

(١) آل عمران ١٠٣ .

(٢) الأنفال ٤٦ .

تشكيل الجمعية الأم ، التى تشرف على جميع الجمعيات والمدارس والمساجد فى القطر من أدناه إلى أقصاه .

ويكون مقر هذه الجمعية فى العاصمة « منروفيا » .

وقد اختاروا أول رئيس لها الحاج (واموبا كونى) . ويطلق على رئيس هذه الجمعية (سلطان المسلمين) ويقوم بتمثيل المسلمين فى المؤتمرات الإسلامية التى تعقد فى البلاد العربية والإسلامية .

وقد أصدر رئيس الجمهورية (سير وليم تولبرت) فى ذلك الوقت امراً بتسجيل اعضاء هذه الجمعية ضمن موظفى الدولة فى مقر جمعيتهم ، وصرفت لهم مرتبات شهرية من الدولة بحكم ذلك .

اهم اعمال هذه الجمعية

وضعت الجمعية دستورا لأعمالها معترفا به فى الأوساط الحكومية ، جعل لها حق فض اى نزاع بين المسلمين ، واصبح مقررا فى الأوساط الحكومية رد ما يأتيها من نزاع إلى الجمعية ، وإقرار أحكامها ، وتصدق الدولة على هذه الأحكام فتكون ملزمة ، وخصصت الجمعية مندوبا عنها بكل مديرية من المديريات التسع بليبيريا لمتابعة أحوال المسلمين ، والإحاطة بما يلم بهم من حوادث ، والإشراف على قضاياهم ، والحكم فيها ، فإذا تعسر عليه أمر رفعه إلى الجمعية ، كما يرفع إلى الجمعية تقريرا كاملا عن أحوال المسلمين بمنطقته ، واحتياجاتهم فيها .

واستطاعت الجمعية أن تحجز وقتا فى التليفزيون الليبيرى لإذاعة برنامج إسلامى مبسط بلغات القبائل الإسلامية .

ما بعد الجمعية الأم :

أثارت هذه النشاطات كوامن الدافع الإسلامى فى النفوس فبدت الشخصية الإسلامية تنمو بمميزاتها فى المجتمع الليبيرى ، وكانت الجمعية الأم مصدر نهضة شاملة جعلت هذه الشخصية الإسلامية تنمو وهى على معرفة بأخلاق الإسلام وحقوق المسلم وعدالة الشريعة وأهدافها ، وفضل الأخوة الإسلامية والمساواة بين المسلمين فى الحقوق والواجبات على ما أرادته شريعة هذا الدين السمح الذي يتميز فيه المسلم بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف .

وبدت النهضة واضحة بآثارها فى المدارس والمساجد والدراسات والمحاضرات .. نهضة مباركة عملت على ربط المسلمين فى ليبيريا بإخوانهم فى العالم الإسلامى ، وقد تقدم توضيح لذلك كان من نتيجته إيفاد الدعاة والمدرسين والمناهج والكتب من القاهرة والرياض وغيرهما .

وتقوم الدول العربية والإسلامية مشكورة بتقديم كل عون ممكن كما قدمت المنح الدراسية . لبعض الطلاب الحاصلين على الشهادة الإعدادية والثانوية من المدارس الإسلامية . من كل من :

١ ـ الأزهر .
٢ ـ الكويت .
٣ ـ البحرين .
٤ ـ المغرب .
٥ ـ السعودية .
٦ ـ المركز الإسلامى الأفريقى بالسودان .

ليبيريا والإســــلام

تعداد المسلمين :

وصل تعداد المسلمين بـ « ليبيريا » إلى نحو ٤٥٪ من مجموع السكان البالغ عددهم نحو مليونى مواطن ، والبقية إما نصرانية على دين الدولة الرسمي ، أو وثنية ، كما أن هناك من على الفطرة لا يدين بدين أبدا

وحبذا لو اهتمت الجهات الإسلامية بنشر الإسلام بين هذه الطبقة ، فإنه سريعا ماتستجيب إليه .

وتجدر الإشارة إلى أن نسبة المسلمين تختلف نظرا لموقعها الجغرافى ، فهى كبيرة جداً على حدود غينيا حيث توجد مديريتا « لوفا » و« نمبا » وعلى حدود سيراليون حيث مديرية « كيماوند » .

وتكثر تجمعات المسلمين حيث المدن :
« وينجاما » و« زُورُوبُوَا » و« سانيكولى » و« جنتا » و « بنجا » و« بومى هِلْس » و« تشاين » و« كَكَتَا » . ثم تقل نسبة المسلمين فى غير هذه البلدان .

حِرَفُ المسلمين :

تكاد اكثر أعمال النشاط التجارى تعود إلى المسلمين :

فاكثر المتاجرين فى « الماس » وأكثر من ٨٠٪ من سائقى السيارات إلى حرف كثيرة يقوم بها المسلمون ، فهم لا يكلون عن العمل ، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

الإقبال على الإسلام :

أمام هذا السلوك الممتاز والمتميز للمسلمين الذى ينقادون فيه لدينهم ما أمكن ـ ظهر فضل الإسلام ، واتضح كيانه ، وبرز إحسان شريعته ، فكان ـ من ذلك كله ـ إعلان يفض الدعايات المغرضة ضده ويدفع بالتوجه إليه من أهل العقائد الأخرى مما زاد معه عدد المسلمين ، وجعلهم ـ بالتالى فى خطر عظيم .

الرد الصليبى :

أمام هذا التيار الإسلامى الشديد لم تتوقف إمكانيات البعثات الصليبية ، فكثفت هذه البعثات من جهودها ، فزادت فى إرسال المبشرين فى صورة أطباء ، ومهندسين زراعيين ، وأساتذة من جميع التخصصات وأقاموا أكثر من إذاعة لبث دعايتهم ، منها إذاعة A.L.W.A « الحب الأزلى يرحب بأفريقيا » وتذيع بجميع لغات القبائل إلى جانب العربية والانجليزية والفرنسية .

جماعة شهود « يهوا » :

وهى جماعة تبشيرية غامضة ، وإن دَلَّ لفظ « يهوا » فإنما يدل على صلة وثيقة بالعهد القديم ، ولهذه الجماعة خط تبشيرى خاص :

فهم يستخدمون التبشير لخلط مفاهيم الأديان . وهم أقرب إلى اليهودية منهم إلى المسيحية المتداولة ، وإن تحدثوا باسم المسيحية فهم يركزون على موسى ـ على نبينا وعليه أفضل

الصلاة والسلام . كذلك هم لا يؤمنون بـ « البعث » ويصرحون بذلك فى كتبهم .

وعدم إيمانهم بالبعث يميل بنا إلى الاعتقاد بيهوديتهم ؛ فإن فرقة « الصدوقيين » اليهودية المعاصرة للمسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لم تكن تؤمن بالبعث . ولانشك فى أن هذه المعالم الثلاثة بصمات واضحة تمت بهم إلى اليهودية .

وصلاتهم تؤدى على قرع الطبول والاهتزاز مع الرقص بطريقة لا تنم عن قدسية العبادة أو وقار العابد .

وهذه الجماعة « شهود يهوا » يملكون إمكانات مادية كبيرة تساعدهم على جذب الرواد لاسيما الفقراء الذين تنتابهم حالة اقتصادية صعبة ولهذه الجماعة إذاعة خاصة بها ، ويبدو عليها بوضوح سافر طابع الماسونية إلى أبعد الحدود ، ويوزعون الكتب المزينة بالصور الجميلة .. والمجلات والنشرات الخاصة بهم ، والمطبوعة طبعا فاخرا بأربع وثمانين لغة من لغات المنطقة وغيرها .

كما نرى من حين لآخر سفينة تابعة لهم ، ترسو فى ميناء منروفيا ، « العاصمة » مجهزة بأحدث الأجهزة . بها « السينما » و« الفيديو » كما يوجد على سطحها حمام سباحة ، ما رأيت مثله فى العظمة و« الديكور » . والتجهيز ، وصالة محاضرات ، ومطعم . وما أن تحتويك هذه السفينة حتى تنتقل بك إلى عالم آخر أقرب إلى الخيال ، فهى مدينة متوشحة بجمال غانية تتأوّد على صفحات المياه . وتشد الأفئدة والأبصار ، فإذا جلس من أفراد هذا الشعب الذى غالبيته معدمة ، وبعد غسيل مخ مركز ، وتمتع بما فى السفينة من إمكانيات تشبع الرغبات .. كل الرغبات .. فماذا بعد ؟!

أقبلت السفينة ، وعلى متنها أكثر من مائة وسبعين من المبشرين يتفرقون داخل القطر . حاملين الكتب ، والنشرات ، التى يوزعونها . مستخدمين فى ذلك طريقة تتفق وميول هذه الشعوب . فيقفون فى الشوارع والميادين العامة ، يعزفون على الجيتار ، مع الغناء ، وقد اختاروا لهذه المهمة . أحلى المطربين صوتا ، والعازفين مقدرة وفنا ، فيتجمع حولهم الناس من كل حدب وصوب ، تاركين أعمالهم ، ذلك أن هذه الشعوب مولعة بالموسيقى ولعا شديداً . تهتز أجسامهم لمجرد سماعها كبارا وصغارا . شيوخا وشبانا . فلو وضعت أحدهم فى حانة . من حانات « الديسكو - الموسيقى الصاخبة » لمدة شهر كامل لاستطاع أن يرقص دون انقطاع بلا طعام . وهو فى أعلى درجات النشوة والسعادة .

و(شهود يهوا) يدخلون إليهم من هذا الباب الكبير المفتوح على مصراعيه . ويعرضون عليهم تعاليمهم مرة بالقول ، ومرة بالغناء . لذلك جعلوا ترانيم صلاتهم فى كنائسهم الخاصة على دقات الطبول .

مراسم الدفن عند غير المسلمين :

كان من غريب ما رأيته أثناء إقامتى بهذه البلاد هذه المراسم ، وتبدأ بفتح بطن الميت ، ونزع أحشائه ، ثم إعادة خياطة هذا الفتح ، يلى ذلك حقن الجثة بكمية من « الفورمالين » كنوع مؤقت من التحنيط ، وبعد ذلك ينقلون الجثمان إلى فناء واسع ، يلتفون حوله ليلا رجالا ونساء وشبابا من الجنسين . يرقصون على أنغام الموسيقى الصاخبة . فى حفل يستمر أكثر من أسبوع ، تقدم فيه الخمور ، بكميات هائلة يحضرها الأقارب والأصدقاء ، والجيران ، مجاملة لأهل الميت ، بجانب ما قد جهزه أصحاب العزاء من الخمور .

وتقاس مكانة الفقيد بقوة الرقص ، وارتفاع الموسيقى الصاخبة ، وارتفاع حجم وعدد زجاجات الشراب التى اندفعت داخل

ليبريا والاسلام

« البالوعات » الآدمية ، الموجودة فى الحفل ، ولا يمكن أن يتصور فى هذا الجو أدنى ذرة من حزن ، أو وقار أو قدسية لهيبة الموت . ثم بعد هذا يوارون الجثة التراب بعد أن تكون رائحتها ازكمت الأنوف ، وقلبت الأمعاء . لكنهم معتادون لهذه العادة التى لا نسمع عنها فى اية عقيدة .

سلبيات فى مسلمى ليبريا :

كانت إقامتى فتره طويلة كفيلة بدراسة أحوال المسلمين ، ومن خلال حبى لهم أرجو مخلصا أن يَتَخَلَّوْا عن :

١ ـ التعصب القبلى الشديد الذى يصل بهم ـ أحيانا ـ إلى غمط الحق .

٢ ـ أن يقيموا إمامة الصلاة بينهم على معرفة صحيحة بقواعد هذه الإمامة ، فلا تتسرب إليها صبغة التعصب المقوت .

٣ ـ أن يتفقوا على حل شرعى صحيح يوحد بينهم التعرف المُوَحَّد لرؤية الهلال ، فلا يأتى العيد ، فتقام صلاة العيد أياما عدة .. حتى فى البلد الواحد .

٤ ـ أن يعلموا أن (إرسال اليدين) فى الصلاة أو (قبضهما) ليس خلافا يبطل الصلاة ، أو يدعوا إلى التشابك بالأيدى ، ومن كان « سلفيا » حقا ينبغى أن يتميز بعلم نافع ، وليعلم تماما أن الفتنة داخل المسجد شرما بعده شر ، وأن احتكامه إلى البطش بمن يخالفه ليس من السنة ولا السلفية فى شىء والحمد لله الذى جعل وجود كبار السن ، والجمعيات المحلية ، والجمعية الأم ـ يفض الخلاف الذى ينبغى الا يكون فى صفوف المسلمين .

٥ ـ أن يعلم المسلمون بليبيريا أن الفتوى التى روجت ـ فيما بينهم ـ بإباحة الزواج بأكثر من اربع مجتمعات لرجل واحد باطلة وأشد منها بطلانا ما روجه بعض الادعياء ـ فيهم ـ بإباحة الزواج بتسع .

٦ ـ كذلك ليعلموا أن الرقص ليس مباحا ، وأن تعدد الزوجات ليس بواجب بل عند العلم بعدم القدرة التامة على العدل بينهن عليه بزوجة واحدة فقط ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ وقطع الإمام الطبرى فى تفسيره بحرمة الواحدة أيضا إذا لم يكن عادلا معها فى حقوقها « انظر مقدمة تفسير سورة النساء الآية الثالثة » .

لقد كان الفهم السىء لهذا الوضع سببا مؤديا لسوء الأخلاق الذى يترفع عنه مسلمو ليبيريا .

٧ ـ يجب التوقف عن اعتبار زوجة ، أو زوجات ، الأخ المتوفى تركه يرثها الأخ الأكبر ليكمل بها ، أو بهن نسوته .

بعض معوقات الدعوة :

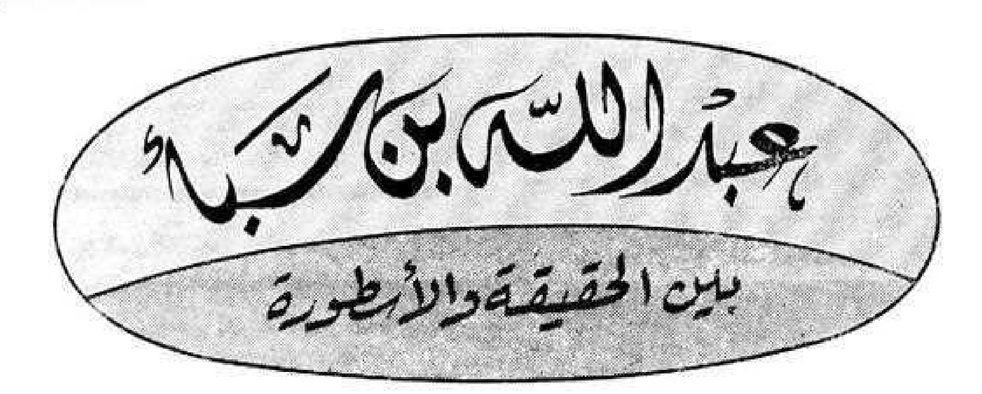
اللغة الغالبة على أهل هذه البلاد هى الإنجليزية ، ومعظم الدعاة المبعوثين لهذه المنطقة غير دارس لها . فيفقد اقوم طريق موصل إلى القوم ، والاستعانة ببعض المترجمين كثيرا ما لا يحقق الهدف المنشود لأسباب :

أ ـ فى مقدمتها عدم استيعاب المترجم لدقائق « العربية » ومفرداتها فتكون الترجمة خطأ .

ب ـ تعصب المترجم لفريقه أو قبيلته قد يتسبب فى كتمان الحقائق .

جـ ـ ليس المترجم ملزما بالترجمة فهو يؤديها تطوعا بلا أجر ، ويؤدى ذلك إلى فوضى الوقت عنده ، فهو غير منتظم ، ويتوقف العمل عند غيابه .

د ـ لا تتوافر الكتيبات الإسلامية المترجمة إلى لغة المواطنين لتعليمهم وبخاصة الناشئة وإنى لأرجو أن يضاعف الأزهر الشريف عنايته بهذا القطر والمبتعثين إليه .



للأستاذ: أحمد عرفات القاضي

أولاً: الدكتور طه حسين والفتنة الكبرى:

لقد خرج الدكتور طه حسين قبل نهاية النصف الأول من هذا القرن وبالتحديد سنة ١٩٤٧ م على الناس بضجة كبرى حملها كتابه الفتنة الكبرى. وقد جاء الكتاب في جزءين، تناول فيه موضوع الفتنة التي أدت إلى مصرع سيدنا عثمان والإمام علي، كل في جزء على حدة.

والدكتور طه حسين يحمل الصحابة مسئولية الفتنة وذلك حيث يذهب إلى أن الفتنة كانت عربية، نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان، ومن حسد العامة لهؤلاء الأغنياء في عهد سيدنا - عثمان رضي الله عنه - فيقول: «ولم يكد نظام عثمان هذا يذاع ويسرع الأغنياء إلى الانتفاع به حتى ظهر الشر»[1].

ثم بدأ يتحدث عن عبد الله بن سبأ فيرى أن هناك قصة أَكْبَرَ الرواة المتأخرون من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدرا لما كان من الاختلاف على عثمان، ولما أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين لم تمح آثارها بعد وهي قصة عبد الله بن سبأ الذي يعرف بابن السوداء .. وإلى ابن السوداء يضيف كثير من الناس كل ما ظهر من الفساد والاختلاف في البلاد الإسلامية أيام عثمان[2].

ويرى الدكتور أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ هذا يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافا شديدا، وأول مانلاحظه ألا نجد لابن سبأ ذكرا في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان. فيرى أنه لم يذكره ابن

(*) الكاتب ماجستير في الفلسفة الإسلامية، وأحد صحفيي جريدة الأخبار.

(١) الفتنة الكبرى ١٠٩/١ المبحث الخاص بسيدنا عثمان.

(٢) المصدر السابق ١٣١/١.

عبـد اللــه بــن سبــأ

سعد حين قص انتقاض الناس على عثمان ، ولم يذكره البلاذرى فى أنساب الأشراف ، والبلاذرى فى رأى الدكتور ، هو أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا[٣] .. والحقيقة أن البلاذرى ورد لديه ذكر ابن سبأ كما سنبين فيما بعد .

ثم يرى الدكتور أن ابن سبأ لم يذكره إلا الطبرى من رواية سيف بن عمر وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر[٤] .

وبعد أن زعزع الدكتور الثقة فى وجود ابن سبأ وحمل الصحابة مسئولية الفتنة مدعيا أنه بذلك يحفظ المسلمين من أن يعبث بعقولهم طارىء من أهل الكتاب[٥] .

بعد ذلك يرى أن خصوم الشيعة فى عصر الأمويين والعباسيين قد بالغوا فى أمر ابن سبأ هذا ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية وليشنعوا على علىّ وشيعته من ناحية أخرى فيزوروا بعض أمور الشيعة على الشيعة وما أكثر ماشنع الشيعة على خصومهم فى أمر عثمان وفى غير أمر عثمان[٦] وعلى هذا فهذه كلها فى رأى الدكتور أمور لا تستقيم للعقل ولاتثبت للنقد . ولاينبغى أن تقام عليها أمور التاريخ . والشىء الواضح الذى ليس فيه شك فى رأى الدكتور طه حسين أن ظروف الحياة الإسلامية فى ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الرأى واختلاف الأهواء ونشأة المذاهب السياسية المتباينة[٧] .

والحقيقة أن الدكتور طه فى حديثه السابق يريد أن يقول شيئا ولكنه يخفف من عبء الصدمة على الناس ، وقد كان فقد وصل إلى بغيته فى الجزء الثانى من الكتاب الذى خصصه لدراسة الأحداث فى عصر الإمام علىّ تحت عنوان « على وبنوه » حيث يقطع الشك باليقين ويلقى إلينا بقنبلته الموقوتة وذلك حيث يرى أن أمر ابن سبأ أمر منحول ، ولا وجود له ؛ لأنه لم يظهر له أى أثر فى (حرب صِفِّين) ، ولا فى اختلاف الصحابة وقت التحكيم ، ولم يظهر له أثر فى فكر الخوارج ، وعلى هذا فإن ابن سبأ لم يكن إلا وهما ، ادخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم ولم يدخروه للخوارج[٨] .

هذا كل ماقاله الدكتور طه حسين فى شأن ابن سبأ وقامت الدنيا ولم تقعد حول كتابه « الفتنة الكبرى » حينذاك فتصدى له الكثير بالرد وتابعه فريق آخر على رأيه السابق .

فهل ياترى كان الدكتور طه حسين صادقا فيما قاله ؟ وهل ماقاله كان حقا من بنات أفكاره ونتيجة لجهده فى البحث والتنقيب أم كان طه حسين مجرد حاطب ليل يغير على ماقاله الآخرون ..؟!

وقبل أن نناقش كلام الدكتور طه حسين يجب أن نذكر رأى المستشرقين فى هذا الموضوع حتى تتضح جميع الآراء قبل المناقشة حسب الأصول الموضوعية والعلمية المقررة .

المستشرقون وابن سبأ :

لايخفى على أحد أن الاستعمار الثقافى أو الاستشراق أخطر أنواع الاستعمار ، وقد عمد المستعمرون إلى هذا اللون من الاستعمار بعد أن فشلوا فى التغلب على المسلمين عن طريق السيف

(٣) المصدر السابق ١٣٢/١ .
(٤) المصدر السابق ١٣٢/١ .
(٥) المصدر السابق ٢٣٢/١ .
(٦) المصدر السابق ١٣٤/١ .
(٧) المصدر السابق ١٣٤/١ .
(٨) الفتنة الكبرى ٩٨/٢ ، ٩٩ على وبنوه .

في ميدان القتال ، وفي اختراق صفوفهم بالدبابات والمدافع الفتاكة والطائرات الحارقة ، وذلك نتيجة أن المسلمين يحاربون أعداءهم من منطلق العقيدة الدينية التي يضحون في سبيلها بالنفس والنفيس لهذا لجأ الاستعمار إلى الاستشراق أو الاستعمار الثقافي لإضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك في كل مابين أيديهم من عقيدة وقيم ومثل عليا ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم فيكونوا عبيدا لها يجرهم حبها إلى حبهم وإضعاف روح المقاومة في نفوسهم[9] وذلك عن طريق تزييف التاريخ الإسلامي وتصويره على أنه مجموعة من الفتن والقلاقل[10] ولهذا نراهم يهتمون بالمتصوفة الغلاة والفلاسفة وأصحاب الحركات الهدامة كالباطنية وغيرهم .

ولاننسى أن ننبه إلى أن اليهود دخلوا إلى حركة الاستشراق كجزء من المجموعة ، ولم ينفردوا وحدهم ولكن التحموا بغيرهم من المستشرقين النصارى الذين لم يكونوا أقل من اليهود عداوة للإسلام ، وعملا على تشويه مبادئه ومثله[11] وكان على رأس المستشرقين اليهود المستشرق الألماني يوليوس فلهوزن « ١٨٤٤ - ١٩١٩ » الذي اشتهر بتعصبه ضد الإسلام ، وعمل على تشويه مبادئه ، وله من المؤلفات كتابان : الأول « تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية » وقد ترجمه الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، والثاني « الخوارج والشيعة » وترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوي .

وفي الكتابين يتعرض فلهوزن لموضوع الفتنة فيحمل وزرها لكبار الصحابة على وطلحة والزبير لأنهم في رأيه كانوا ينتظرون المنافع الشخصية لهذا وقفوا من الخليفة وقت الفتنة موقف المتفرج الذي يظهر أسفه ولا يستطيع عمل شيء ، ولكنهم كانوا يظهرون غير ما يبطنون هذا إلى جانب أنهم لم يعملوا أبدا على إيقاف سير الحوادث آملين أن تنتهي بالفائدة لهم[12] .

وهذا الذي ذهب إليه فلهوزن فيه تجريح لكبار الصحابة المبشرين بالجنة ، ونيل منهم ، ووصمهم بالنفاق ، وبأنهم يظهرون غير ما يبطنون ، مما لا يوافق عليه أي مسلم له أدنى صلة بالإسلام ، هذا فضلا عن كونه موقفا يتعارض مع قواعد الإسلام التي توجب على المسلم أن ينصر أخاه ظالما برده عن الظلم ، أو مظلوما ، والحفاظ على وحدة الصف الإسلامي ، وتفادي الفتنة ، وشق يد الطاعة من أول المسلمات التي يعرفها المسلم ويجب عليه تطبيقها فما بالك بأجلاء الصحابة المبشرين بالجنة الذين بذلوا النفس والنفيس من أجل رفع راية هذا الدين .

وإلى جانب ذلك كله ؛ فإن كلام فلهوزن السابق يحتوي على مغالطة تاريخية ويتناقض مع الثابت والمعلوم تاريخيا فقد أجمعت المصادر على أن الإمام على أمر ولديه الحسن والحسين بالدفاع عن الخليفة وكذلك ذهب محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وقال الإمام على لولديه : « اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلاتدعا أحدا يصل إليه[13] » وبعد أن قتل

---

(٩) الاستشراق والمستشرقون ٢٣ ، ٢٤ د . مصطفى السباعي .

(١٠) التبشير والاستشراق ص ١٩٥ لأنور الجندي .

(١١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٤٩ د . محمود حمدي زقزوق .

(١٢) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ص ٤٨ ، ٤٩ ترجمة د . محمد عبد الهادي أبو ريدة .

(١٣) أنساب الأشراف ٥/٦٩ طبعة مصورة وغير محققة طبعت في بيروت .

عبد الله بن سبأ

سيدنا عثمان وبلغ على وطلحة والزبير وسعد الخبر خرجوا ، وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى أتاهم ، حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا ، وقال على لابنية : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة و... عبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان[١٤] .

ثم يرى فلهوزن أن الثورة على سيدنا عثمان كانت ثورة ضد الظلم ومن أجل الحق والعدل فيقول : « وكان بدء الخلاف فى الإسلام الثورة على عثمان فى سبيل الله ضد الخليفة من أجل الحق والعدل وضد فساد الحكم وظلمه . وهى كلمات لم تستعمل ضد عثمان وحده بل ضد كل حاكم يضل عن سواء السبيل »[١٥] .

وهذا الذى ذهب إليه فلهوزن هو بعينه تفسير اليهود والشيوعيين وأعداء الإسلام ومن تابعهم من المسلمين لكل الانتفاضات والثورات الشعوبية والمجوسية الحاقدة على الإسلام والمسلمين على مر التاريخ ، حيث دأب هؤلاء على وصف تلك الثورات والانتفاضات بأنها كانت ثورة الضعفاء والمظلومين ضد فساد الحكومة وظلمها فهى ثورة أهل الحق والمظلومين قام بها المواطنون الضعفاء طلبا للعدل والمساواة[١٦] !!

ولايخفى على أى عاقل مافى هذا الكلام من المكر والخبث والدهاء وذلك لأنه يرمى من وراء هذا الكلام إلى أن ينفى أى صلة للحاقدين والموتورين من اليهود كعبد الله بن سبأ وغيره بالفتنة وبالأحداث والصراعات التى أدت إلى مقتل الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، لهذا لم يكن عجبا أن نجده يحمل الخوارج وحدهم مسئولية دم الخليفة وليس هذا فقط بل يرى أنهم كانوا يفتخرون بذلك وهؤلاء الخوارج فى رأيه نَبْتَةٌ إسلامية صحيحة وليس بينهم وبين ابن سبأ أدنى صلة[١٧] .

وهذه مغالطة أخرى من فلهوزن حيث أن المعلوم تاريخيا أن الخوارج لم ينشأوا إلا بعد التحكيم بين على ومعاوية أى بعد مقتل سيدنا عثمان بحوالى عامين تقريبا .

وهكذا فإن ابن سبأ فى رأى فلهوزن ـ وهو البحاثة (المنصف العظيم) بعيد عن الأحداث وهو برىء من الفتنة ودم الخليفة المقتول براءة الذئب من دم ابن يعقوب وذلك لأن الفتنة كانت عربية وكان كبار الصحابة أنفسهم ينتظرون أن تنتهى الأحداث بما انتهت إليه وأن الخوارج وهم الأتقياء حقاً كانوا يفتخرون بقتل عثمان .

فإذا كان ابن سبأ بريئا من الفتنة ومن دم الخليفة فمن ياترى الذى وصم ابن سبأ بهذا العار ولطخ شرفه بهذا الدنس ؟؟

إن فلهوزن لا يبخل علينا برأيه فى هذا الموضوع الشائك حيث تتفتح قريحته على الحقيقة وذلك حيث ينتهى إلى أن سيف بن عمر التميمى هو الذى وصم ابن سبأ بهذا العار ولطخ شرفه وعرضه بهذا الدنس فوضع أمر ابن سبأ

---

(١٤) انساب الأشراف ٥/٧٠ .
(١٥) الخوارج والشيعة ٣٩ لفلهوزن ترجمة د . عبد الرحمن بدوى .
(١٦) انظر رسالتنا للماجستير عن الفكر السياسى عند الباطنية وموقف الغزالى منه تقدمت بها للحصول على درجة الماجستير من قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم حيث تعرضت لهذا الموضوع باستفاضة .
(١٧) تاريخ الدولة العربية ص ٦٠ ، ٦١ لفلهوزن .

وانتحله[١٨] لكى يلصق تلك التهمة الشنيعة بهذا اليهودى البرىء ...!؟

هذا ما قاله فلهوزن عن الفتنة وكيف نشأت عربية وليس لابن سبأ سبب فيها ، ولكن العجب العجاب أن فلهوزن رغم نفيه لوجود ابن سبأ فى الفتنة ولشخصيته فإنه يرى أن هناك حزباً نشأ فى الكوفة متأخرا عن الأحداث واتخذ هذا الاسم وليس بينه وبين ابن سبأ أدنى صلة فيقول : « وارتفع فى الكوفة شأن لحزب كان حتى ذلك الحين متواريا فى الظلام واتخذ اسم السبئية ، وقد غير هؤلاء السبئية الإسلام من أساسه وذلك بأن جعلوا من شخص النبى شيئا إلى جانب القانون المستقل عن الأشخاص كما هو فى القرآن والسنة وفوق هذا القانون الذى رضى به الناس بعد وفاة النبى[١٩] اى أن فلهوزن ينفى وجود ابن سبأ ودوره السياسى فى أحداث الفتنة لكنه لم ينكر الأفكار الغالية التى نسبت إلى السبئية ومنها القول بأن عليا وارث محمد وصاحب الحق فى الخلافة[٢٠] . وليس خافيا على أحد أن فلهوزن يبرىء اليهود من تهمة المشاركة فى دم الخليفة المقتول ، ويثبت فى الوقت ذاته تأثر الإسلام باليهودية عن طريق القول بوراثة على رضى الله عنه لمحمد ﷺ كما هو الحال عند الذين يؤمنون لليهودية بوراثة الملك فى بيت داود ، وبوراثة يوشع بن نون لموسى عليه السلام .

فياله من ذكاء بارع وذلك حيث يعمد إلى تبرئة اليهود إذا كان الأمر أمر دس وخيانة وتآمر ، وإلصاق تهم بالإسلام على أنه تأثر باليهودية على اعتبار أنها ديانة ملفقة من فلسفات وأديان ومذاهب وأخلاط شتى ـ وهذا ما حاول أن يبرهن عليه كثير من المستشرقين ـ فلا بأس من وجود فكر ابن سبأ كهمزة وصل ودليل على تأثر الإسلام باليهودية .

فأى موضوعية هذه وأى إنصاف ذلك الذى تمتع به العلامة الكبير والبحاثة المنصف يوليوس فلهوزن ..!!

المهم أن ما قاله فلهوزن عن ابن سبأ ـ فيما سبق ـ ذاع وانتشر بين المستشرقين اليهود وغير اليهود وممن اشترك معهم فى العداوة للإسلام وما أكثرهم ـ على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ـ باعتبار فلهوزن من المتقدمين ومن البارزين فى الحركة الاستشراقية فى الوقت ذاته .

زملاء فكره :

وممن تعرضوا لموضوع ابن سبأ أيضا المستشرق كيتانى الذى ذهب إلى انكار دور ابن سبأ العقائدى وقصره على دوره السياسى فى تأييد الإمام علىّ بن أبى طالب والدعوة إلى خلافته والاشتراك فى الحرب ضد خصومه[٢١] .

وكذلك جولد تسهير اليهودى الذى عاش فى مصر وكان يحضر دروس العلم فى الأزهر مرتديا الزى الأزهرى ، فإنه يرى أن النسابين المسلمين يميلون إلى نسب أصول يهودية لأولئك الذين يكرهونهم لسبب ما[٢٢] . ومن لم يقتنع بما قاله هؤلاء عن ابن سبأ حاول تزييف نسبه وقال : إنه لم يكن من اليهود .

---

(١٨) انظر الخوارج والشيعة ص ٣٨ .
(١٩) تاريخ الدولة العربية ٦٣ ، ٦٤ .
(٢٠) المصدر السابق ص ٦٤ .
(٢١) نقلا عن مذاهب الإسلاميين ٢٠/٢ د . عبد الرحمن بدوى .
(٢٢) نقلا عن أصول الإسماعيلية ص ١١٧ لبرنارد لويس .

عبد الله بن سبا

وهكذا يتكتل هؤلاء اليهود وأشياعهم لتبرئة اليهود من دم سيدنا عثمان .

وبعد هذا العرض الموجز لرأى فلهوزن اليهودى وغيره من المستشرقين فى موضوع ابن سبأ يتضح لنا : أن كلام الدكتور طه حسين السابق عن ابن سبأ لم يكن من بنات أفكاره وليس له أى فضل يذكر ـ ذلك إذا كان تجريح الصحابة والتشكيك فى التاريخ والتراث الإسلامى فضلا يفتخر به ـ فيما كتب بل لم يكن سوى حاطب ليل يغير على ماكتبه الآخرون دون الإشارة إليهم ، ولعل الذى شجع الدكتور طه حسين على الإغارة على ما كتبه فلهوزن أو غيره فى موضوع ابن سبأ هو أن هذه الكتب لم تكن نقلت بعد إلى اللغة العربية وهذا الموقف ليس غريبا على الدكتور طه حسين الذى أنكر من قبل وجود نبى الله إبراهيم عليه السلام وشكك فى القرآن وفيما كتبه عن الشعر العربى فى كتابه « الأدب الجاهلى » الذى اتضح فيما بعد أنه لم يكن له فيه من فضل إلا فضل النقل والسرقة عن الغير دون إشارة أيضا .

وكل مافعله الدكتور طه حسين فى موضوع ابن سبأ هو أنه اتبع اليهود فى تبرئة اليهود وفى هذا يقول الأستاذ أنور الجندى : « وهذا الهدف هو الذى ينفى عن اليهود الشركة فى دم عثمان والتحريض على قتل الإمام فركب مركبا وعرا خالف فيه أسلوب العلماء فى جرح الأخبار وكذب الرواة فى شىء بغير برهان وصدقهم فى شىء آخر بغير برهان أيضا وهو نفسه ينعى على الذين يكذبون الأخبار التى نقلت إلينا ما كان من الناس من فتنة وخلاف »[٢٣] .

والسؤال الآن : ما الذى دفع فلهوزن ورفاقه من المستشرقين إلى تداول أمر ابن سبأ والفتنة فى هذا الوقت بالذات أعنى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؟

غير خاف على كل ذى عقل أن اليهود فى تلك الفترة كانوا قد جمعوا فلولهم المشتتة فى أوروبا فى جماعات وأصبحوا أسياد المال وأربابه فى أوروبا وأمريكا ، وكان كثير من زعمائهم قد تغلغل فى الحياة السياسية وكانوا قد عقدوا العزم على إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين دون سواها حيث عرضت عليهم أماكن أخرى فى أفريقيا وآسيا ولكنهم رفضوها ومن هنا فإنهم كانوا يقصدون بما كتبوه عن ابن سبأ والحركات الهدامة إلى التمهيد لقيام دولة اليهود فى فلسطين ولهذا كانوا يهيئون الجو النفسى العام للمسلمين لاستقبالهم عن طريق طمس سوءاتهم ضد الإسلام والمسلمين وليس هذا بجديد عليهم فقد فعلوا ذلك مع النصارى واستطاعوا أن يحملوا الكنيسة على إصدار فتوى أو بيان بتبرئة اليهود من دم المسيح[٢٤] على ما عند هؤلاء من عقيدة كما عمدوا إلى نشر الإلحاد وهدم القيم عن طريق تغلغلهم فى الحياة الثقافية باسم المذاهب الفلسفية والأدبية والفكرية ، وفى الصفحات القادمة سنرد على هذه الاتهامات التى أثارها المستشرقون حول موضوع الفتنة وشخصية ابن سبأ بالأدلة اليقينية والبراهين الموثقة بما يبطل مزاعمهم ومساعيهم إن شاء الله .

---

(٢٣) محاكمة فكر طه حسين ص ٢١٩ للأستاذ أنور الجندى .

(٢٤) اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٣١٧ ، والتبشير والاستشراق لأحمد الجندى ص ٢٩١ .

المستشرقون والموضوعية

٤

بقلم
الدكتور أحمد عبد الحميد غراب

وضع الحديث :

أما افتراؤه الآخر بأن أحاديث العقيدة وضعها الصحابة وعلماء السلف ـ رضوان الله عليهم ـ فهو افتراء لا يصدقه عاقل

وقد كفانا علماء الحديث أنفسهم مؤونة الرد على هذا الافتراء ؛ وذلك بجهودهم العلمية التى بذلوا فيها أقصى طاقات العلماء المؤمنين فى الحفاظ على سنة رسول الله ﷺ ، وفى وضع قواعد الجرح والتعديل ، والتمييز بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع .

فكيف يمكن ـ بعد هذا كله ـ أن يسمح علماء الحديث وأصحاب السنن بدخول أحاديث موضوعة فى أبواب العقيدة والإيمان ؟

وقد ثبت ثبوتا قاطعاً اشتمال القرآن الكريم والسنة الصحيحة على كل أبواب العقيدة الإسلامية وأركانها وأدلتها وآثارها ، وعلاقتها بالأعمال والعبادات والشريعة والأخلاق ـ فما الحاجة إذن إلى وضع أحاديث ؟

وكيف يعقل أن الصحابة وعلماء السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يفترون الكذب فى باب العقيدة التى تفرض الصدق على المؤمنين ، وتحرم الكذب وتلعن الكاذبين ؟

وكيف يعقل أن هؤلاء الصالحين ـ رضوان الله عليهم ـ يفترون الكذب على رسولهم الكريم ، وهم الذين رووا عنه ـ ﷺ ـ : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (متفق عليه) .

عالمية الإسلام :

قضية أخرى يزعم المستشرق أنها لم ترد فى القرآن الكريم ، وإنما وردت فى أحاديث وضعها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ونسبوها ـ كذباً ـ إلى الرسول ﷺ وهى قضية « عالمية الإسلام

يبدأ المستشرق فيزعم أن القرآن ليس فيه مايدل على أن الإسلام رسالة عالمية للناس جميعاً ، وأن محمداً رسول الله إلى الناس كافة ! ويستدل على زعمه بمايلى :

١ ـ أن محمداً فى القرآن رسول كغيره من الرسل ؛ ومن ثم يكون مبعوثاً إلى قومه خاصة .

المستشرقــون والموضوعيـة

٢ ـ ان معنى « النبى الامى » انه المنتسب إلى امة من غير اليهود ؛ اى العرب . فليس معنى « النبى الامى » الذى لا يقرأ ولا يكتب ، بل معناه « النبى العربى » .

٣ ـ يشير إلى الآيات التى تصف القرآن بأنه نزل « قرآنا عربيا » و« حكما عربيا » و« لسانا عربيا » ؛ ويرى أن معناها أن القرآن موجه للعرب فقط !

٤ ـ ويشير إلى الآية الكريمة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى ٤٢ : ٧) ، ويرى أنها تدل على أن محمدا ﷺ ارسل إلى اهل مكة ومن حولها ؛ اى إلى العرب وحدهم !

ويستخلص مما سبق انه من المستحيل أن يُقبل القول بأن محمداً ﷺ يمكن أن يكون قد اعتبر نفسه رسولاً إلى الناس كافة !

ويستشهد على مزاعمه السابقة بمستشرقين آخرين وبخاصة صديقه المستشرق هرجرنجى فى كتابه : المحمدية .

وبعد الطعن فى عالمية الإسلام وإنكار ورودها فى القرآن ، يصل المستشرق إلى المرحلة الثانية من خطته « المتكاملة » ، وهى الطعن فى الحديث :

فيزعم أن الصحابة رضوان الله عليهم وضعوا أحاديث فى عالمية الإسلام ليبرروا بها الفتوحات الإسلامية التى امتدت ـ بعد وفاة الرسول ﷺ من شبه الجزيرة إلى معظم أنحاء العالم ، وحملت معها الدعوة العالمية للإسلام . ومن هذه الاحاديث حديث : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » (متفق عليه) .

وكذلك رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء .

عالمية الإسلام حقيقة ثابتة فى القرآن الكريم :

وهذه العالمية لم تطرأ على الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ، كما يدعى المستشرق ، وإنما هى حقيقة ثابتة منذ بداية الدعوة الإسلامية فى مكة . ويكفى أن نشير إلى الآيات المكية التى تؤكد هذه العالمية ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ٢١ : ١٠٧) .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(*) (الأعراف ٧ : ١٥٨) .

(من الغريب أن المستشرق يشير إلى هذه الآية ويترجم « يميت » الى « يقتل » ! Kills) .

أما وصف النبى بأنه « النبى الأمى » فمن المعروف أن « أمى » فى اللغة العربية ليست نسبة إلى أمة ، وإنما معناها الذى لا يقرأ ولا يكتب ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت ٢٩ : ٤٨) ولو علم أعداء الإسلام من المشركين واليهود والنصارى فى عصر الرسول ﷺ أنه كان يقرأ ويكتب ما سكتوا عن ذلك ، ولاذاعوا ، فى كل مكان .

وأما وصف القرآن بأنه « عربى » فالمقصود

● لئن افتعل هذا المستشرق معنى خاصا لكل ما تقدم من أيات كما فَعَل من تلقى عنه نفس افكاره ، ونشرها بصحيفة الأهرام من نحو سنتين أعنى به د . خلف الله ، فما هو قائل فى قوله تعالى ـ فى سورة الأنعام ـ ١٩ . ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ اى هو نذير لكل من بلغه ، فمن بلغه القرآن لزمته الحجة ، راجع تفسير ابن كثير والبغوى وغيرهما فى الآية الكريمة . المحرر

ليست النسبة إلى جنس العرب ، بل إلى اللغة العربية ، أى أنه نزل بلغة عربية واضحة وبيان معجز ، كما قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء ٢٦ : ١٩٣-١٩٥) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ فيقول ابن كثير فى تفسيره : («اوحينا إليك قرآنا عربيا» ، اى واضحا جليا بينا «لتنذر ام القرى» وهى مكة «ومن حولها» ، اى سائر البلاد شرقاً وغرباً)

وإرسال الرسل والكتب إلى الملوك والرؤساء فى حياة الرسول ﷺ ، وانتشار الإسلام فى انحاء الأرض بعد وفاته ، إنما هو نتيجة طبيعيه ومنطقية لتحقيق عالمية الإسلام ؛ وذلك بتبليغ دعوته للناس جميعاً ، وإظهاره على الأديان كلها ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة ٩ : ٣٣ والصف ٦١ : ٩) .

وما سبق عرضه من آراء المستشرق فنسنك يبين موقفه من الحديث والعقيدة الإسلامية ومن الإسلام بوجه عام .

وهو موقف لايحتاج إلى تعليق :

ريلاند

« هادريان ريلاند ـ ت ١٧١٨ م ـ » استاذ اللغات الشرقية بجامعة اوترشت بهولندا . له كتاب : الديانة المحمدية فى جزءين : عرض فى اولهما العقيدة الإسلامية معتمداً على مصادر بالعربية واللاتينية . وفى الثانى تظاهر بتصحيح بعض الآراء الغريبة عن الإسلام (على طريقة المحامى الذى يطالب ـ بفتور ـ مراعاة « الظروف المخففة » لموكله وهو يعتقد إدانته !) . وحامت حوله شبهات الكنيسة فحرمت تداول كتابه . ومن المعروف ان الكنيسة الكاثوليكية فى اوروبا فى تلك الفترة كانت تحرم كثيراً من الكتب لاقل شبهة ، وبخاصة إذا اتصلت هذه الشبهة بالإسلام . ولكن لم يكن لشبهات الكنيسة حول مؤلف هذا الكتاب بالذات مايبررها ، فلم يكن يقصد فى الحقيقة إلا شن الحرب على الإسلام بطريقة اكثر فعالية ، كما صرح هو نفسه بذلك .

فهو يدس السم بزعمه اولاً ان بعض تعاليم محمد صحيحة (لاحظ انه ينسب تعاليم الإسلام إلى محمد ﷺ ولذلك يسمى كتابه : الديانة المحمدية) ويدعو إلى الرجوع إلى المصادر العربية لفهم الإسلام فيقول : « ينبغى على المرء .. ان يتعلم اللغة العربية وأن يسمع محمداً نفسه وهو يتحدث فى لغته ، كما ينبغى على المرء ان يقتنى الكتب العربية ، وأن يرى بعينيه هو وليس بعيون الآخرين . وحينئذ سيتضح له ان المسلمين ليسوا مجانين كما نظن ؛ فقد أعطى الله العقل لكل الناس . وقد كان فى رأيى دائماً أن ذلك الدين الذى انتشر انتشاراً بعيداً فى آسيا وافريقيا وفى اوروبا ايضاً ليس دينا ماجنا أو سخيفا كما يتخيل كثير من الناس » .

ويمضى المستشرق فيصرح بهدفه الحقيقى من تاليف كتابه فيقول : « صحيح أن الدين الإسلامى دين سىء جداً وضار بالمسيحية إلى حد بعيد . ولكن اليس من حق المرء لهذا السبب أن يبحث ؟ الا ينبغى للمرء ان يكشف اعماق الشيطان وحيله ؟ إن الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام فى حقيقته لكى يحاربه بطريقة اكثر اماناً واشد قوة » .

المستشرقون والموضوعية

فالمستشرق يدافع أولاً عن موكله « الإسلام » بأنه ليس ماجنا ولا سخيفاً ، ولكنه مع ذلك « دين سيىء جداً وضار بالمسيحية إلى حد بعيد » ..

ثم يصرح بهدفه الحقيقى الذى يتمثل فى شيئين :

أولاً : إثبات رأيه المسبق عن الإسلام وهو أنه من أعماق الشيطان وحيله .

ثانياً : محاربة الإسلام بطريقة أكثر فعالية .

وبهذا التصريح تتضح « موضوعية » هذا المستشرق . وهى موضوعية لا تحتاج كذلك إلى تعليق !

دى ساسى

(سلفستر دى ساسى - ت ١٨٣٨ م)

مستشرق فرنسى تعده بعض المؤلفات من المنصفين لأنه « اهتم بالأدب والنحو مبتعداً عن الخوض فى الدراسات الإسلامية ، وإليه يرجع الفضل فى جعل باريس مركزاً للدراسات العربية ، وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوى » .

ومن الواضح أن مجرد الاهتمام باللغة العربية لا يجعل من أى إنسان منصفاً ، فجميع المستشرقين يشتركون فى هذا الاهتمام ، بل إن نشأة الاستشراق فى الغرب المسيحى ترتبط بالتنصير ، وتتخذ من دراسة اللغة العربية وسيلة لتنصير المسلمين .

وبدأ الاستشراق وجوده الرسمى فى الغرب بقرار المجلس الكنسى فى فيينا سنة ١٣١٢ م بتأسيس كراسى جامعية فى جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وسلامنكا ، لدراسة اللغات الشرقية ، ولا سيما اللغة العربية . وقد صدر هذا القرار بناء على اقتراح قدمه المنصر ريموند لول « ١٢٣٥ - ١٣١٦ م » الذى كان يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية كأفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية ، وبخاصة بعد فشل الحروب الصليبية فى تحقيق أهم أهدافها وهو ردة المسلمين عن دينهم أو إبادتهم جميعاً .

وكذلك أنشىء كرسى اللغة العربية بجامعة كامبردج سنة ١٦٣٦ م « بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون فى الظلمات » !

المستشرق دى ساسى يعد أول مستشرق أوروبى فى العصر الحديث يمثل الاستشراق كمؤسسة سياسية تعمل لخدمة الاستعمار الغربى ، وتثبيت أقدامه فى العالم الإسلامى . فقد كان حلقة الوصل بين الاستشراق والسياسة الفرنسية الخاصة بالمسلمين ، فكان يستشار بانتظام من قبل وزارة الخارجية الفرنسية ، وكذلك وزارة الحربية . وكان من مهامه أن يترجم نشرات الجيش الفرنسى إلى المسلمين، وهو الذى قام بترجمة الإعلان الفرنسى إلى الجزائريين باحتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠ م . وجمع كثيرا من المخطوطات العربية الإسلامية فى باريس ، وعين أول مدرس للغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فى باريس « وأصبح مديرا لهذه المدرسة سنة ١٨٢٤ م » ، كما كان أول رئيس للجمعية الآسيوية الفرنسية وهى الجمعية الاستشراقية التى تأسست فى باريس سنة ١٨٢٢ م

ومع اهتمامه الواضح بالشعر العربى كان إعجابه الحقيقى بالأدب اليهودى ؛ فقد وصف الشعر العبرى بأنه « شعر مقدس حقيقة » . وثقافته الأصلية التى تلقاها فى دير بندكتى ثقافة لاهوتية عميقة ، تعتمد على العهدين القديم والجديد . ونشاطاته كلها تمثل الارتباط الوثيق بين الاستشراق والاستعمار والتنصير ، يتبع»

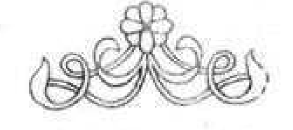
الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

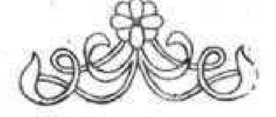
في مدح

آل بيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم



الآخرين



أيام في بغداد

في مدح آل رسول الله

للشاعر: دِعبِل الخزاعي

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار عفاها كل جون مبادر ولم تعف للايام والسنوات
قفا نسال الدار التي خف اهلها متى عهدها بالصوم والصلوات ؟
واين الالى شطت بهم غربة النوى افانينَ في الآفاق مفترقات
وما الناس إلا حاسد ومكذب ومضطغن ذو إحنةٍ وترات
إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ويوم حنينٍ اسبلوا العبرات
لهم كل حين نومة بمضاجع لهم في نواحي الأرض مختلفات
وقد كان منهم بالحجاز واهلها مغاوير يختارون في السروات
ملامك في اهل النبي فإنهم احبَّاي ما عاشوا واهل ثقاتي
تخيرتهم رشدا لامري فإنهم على كل حالٍ خيرة الخيرات
فيارب زدني من يقيني بصيرة وزد حبهم يارب في حسناتي
بنفسي انتم من كهول وفتية لفك عُناةٍ او لحمل ديات
احب قصي الرحم من اجل حبكم واهجر فيكم اسرتي وبناتي
واكتم حبيكم مخافة كاشح عنيد، لاهل الحق غير مواتي
لقد حُفَّتِ الأيام حولي بشرها وإني لارجو الامن بعد وفاتي
الم تر اني من ثلاثين حجة اروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيئهم في غيرهم متقسما وايديهم من فيئهم صفرات

***

فآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد حُفَّلُ القَصَرَات

بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفا عن الأوتار منقبضات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد تَقَطّعَ قلبي إثرهم حسرات

الشاعر : هو دعبل بن علي بن رزين من خزاعة ، نشأ بالكوفة وكان شاعراً هجاء لا يسلم من هجائه كبير ولا صغير حتى الخلفاء توفي عام ٢٤٦هـ وشعره قوي الأسلوب من النوع المطبوع ، وكان جريء النزعة متعصبا للطالبين ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

القصيدة : تظهر بوضوح تحسره على آل البيت وديارهم وأحوالهم ويمتدح بطولاتهم ومواقفهم المشهورة ويؤكد ولاءه لهم ويقارن بينهم وبين بنات زياد في نعيمهم وقصورهم وذلك في شعر قوي واضح .

رشاد محمد يوسف



للأستاذ/ سيد حسن قرون

لا تحزني لا تحزني فالشمس تشرق في غد
وتعود رَبّةُ عصرها في موكب متجدد
تلك الكويت فحيها واهتف بها بتودد
مهما تعنت خصمها ومضى بطرف أرمد
وأتى يجر سلاحه ليشوه الوجه الندى
فالحق فوق سلاحه يعلو ويبطش باليد
أسعاد أنت جنانه ولسانه في المشهد
ناغيه بالشعر الجميل من الفؤاد الأملد
ودعى الضلال وجنده لمصير يوم أسود
وتفاءلي بتحرك من عالم لم يرقد

أيام بغداد

للشاعر: جميل صدقى الزهاوى

أتعود بعد تَصَرُّمٍ وَنَفَادِ   أيامُ بغدادٍ إلى بغدادِ ؟
أيام بغدادَ التى فى مَرِّهَا   كانت عوادى الدهر غير عوادى
إذ ليس بغدادٌ كما تُلْفَى ولا   حكامُ بغدادٍ ذوى استبداد
كانت محطا للعلوم وَأهلَها   وقرارةً للمجد والأمجاد
اليوم هاتيك العلومُ بأسرها   مدفونةٌ بمقابرِ الأجداد
قد عاش دهراً فى نعيمٍ أهلُها   فإذا النعيمُ وأهلُها لنفاد
أيام مد الأمنِ وارفَ ظله   فيها ، فكانت جنة المرتاد
أيام بغداد تضِيءُ جميلةً   فتلوح مثلَ الكوكبِ الوقادِ
أيعاد ما قد مر من عُمرانِها   أم ذلك العمران غيرَ مُعاد ؟
لا ترجِع الرغباتُ نحوَ عِراصِها   أو ترجعُ الأرواحُ للأجساد
فتقوم فيها بالسداد حكومة   وتزول عنها دولة الأوغاد
جاسوا المنازل مفسدين وأوقدوا   نار الإساءة أيما إيقاد
إنى أظنك لا ترى بمكانها   من بعد بضع سنين غيرَ رماد
فهناك أهلٌ يجهلون حقوقهم   وحكومة تعتو ودهر عادى
هم أيدوا الحكام فى تدميرها   فكأنهم ، لو يخجلون ، أعادى
لجأت إليهم حين عز نصيرها   ولقد يجاء إلى ذوى الأحقاد
قضت الفظاظة فى طبائع أهلها   أن لا يكون فؤادهم كفؤادى
قد زال عن بغداد كل حلاوة   لكن كذاك لها قديم ودادى
فلها مع الجور الذى ألقى بها   ود بقلبى نال من أجلادى
بغداد تطلب ذلتى وأعزها   فانظر لبعد البون فى الأضداد
وتريد موتى إذ أريد حياتها   شتان بين مرادها ومرادى

الشاعر : جميل صدقى الزهاوى ، ١٨٦٣ ـ ١٩٣٦ ، شاعر عراقى كبير ولد فى بغداد ونشأ تحت رعاية أبيه مفتى بغداد ، ونظم شعره فى موضوعات شتى تناول فيها كل شىء تقريبا من السياسة والاجتماع ، إلى الغزل ، إلى العلم والفلسفة ويغلب على شعره روح العالم المفكر أكثر من روح الشاعر الأديب ـ ويعتبر الزهاوى من رواد التطوير والتجديد فى بلده ، ويعد أول شاعر عراقى اتصل بالحياة وعالج مشكلات المجتمع ـ رغم بعض النزوات والانحرافات ـ فقد سجل بشعره أنغاما جديدة لا نجدها فى شعر الجيل الذى سبقه .

القصيدة : زفرة حارة وآهة عميقة لما آلت إليه أحوال بغداد وحكام بغداد حيث عاصر وعايش الكثير من المظالم والاستبداد والمتناقضات .

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الله عبد الخالق المشد

نوفمبر ١٩٠٣ - سبتمبر ١٩٩٠

للأستاذ: فتحى بدر

فقد الازهر بفقد الدكتور المشد عالماً جليلاً وفقد المسلمون فقيهاً معطاء ثبت الحجة قوى الإقناع ، كان رحمه الله دارساً واعياً وعالماً محققاً وفقيهاً مجتهداً وإدارياً حكيماً وصاحب نظر صائب وفكر متطور .

كان اول من افتى - فى العصر الحديث - بجواز نقل لحوم الاضاحى إلى خارج مكة المكرمة على الا تباع ، بل لينتفع بها فقراء المسلمين فى بقاع الارض .. ونفذت المملكة العربية السعودية فتواه .



فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية

ولد الفقيد الكريم بديروط - مركز المحمودية - محافظة البحيرة فى نوفمبر سنة ١٩٠٣ .

- حصل على شهادة العالمية النظامية سنة ١٩٢٧ .. بعد أن اجتاز السنوات الدراسية الأربع الأخيرة فى سنتين ، ونال شهادة التخصص فى النحو والصرف والتربية سنة ١٩٣١ ، وعمل - بعد ذلك :

مدرساً بمعهد الأسكندرية الدينى ، وطالب مع بعض إخوانه بتحسين أحوال العلماء ففصلهم المرحوم الشيخ الظواهرى .. ثم أعادهم للعمل المرحوم الشيخ المراغى .

ثم عمل أستاذاً لفقه الحنفية فى كلية الشريعة .

تولى بعد ذلك الإدارة العامة للوعظ والإرشاد سنة ١٩٥٩ ، ثم ندب رئيساً للقسم العالى بجامعة الأزهر سنة ١٩٦٥ وأميناً مساعداً .

من أعلام الأزهر

اختير عضواً بلجنة الفتوى بالأزهر سنة ١٩٧٣ .. وعضواً بلجنة الموسوعة للفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧٧ .. ثم رئيسا لهذه اللجنة ولجنة القرآن والسنة بالمجلس .

- تم تعيينه بلجنة الشريعة الإسلامية المتفرعة من شعبة العلوم الاجتماعية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وقد شارك فى كثير من لجان تقنين الشريعة بمجلس الشعب .. وقد وضع فى هذه اللجان بحوثاً مفصلة وتقارير عن قوانين وأحكام الضمان الاجتماعى ، والتأمينات الاجتماعية والمعاشات والتأمين والربا والمضاربة وطرق الإثبات الشرعية .

عين مستشاراً دينياً لبنك مصر بميدان الحسين - رضى الله عنه - سنة ١٩٨٠ . واختير عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠ . ثم عضواً بلجنة الشريعة والقانون بالمجلس الأعلى للثقافة والإنتاج العلمى سنة ١٩٨٠ ، وفى العام التالى عين رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر ، ثم اختير أستاذاً غير متفرغ بجامعة الأزهر سنة ١٩٨٥ ، ورئيساً للجنة تقنين الشريعة الإسلامية بالمذهب الحنفى بمجمع البحوث الإسلامية ، ومستشاراً للبنك الوطنى للتنمية والمصرف الإسلامى الدولى .

الإنتاج العلمى :

(١) وضع تقريراً عن أحوال المسلمين فى الصومال والحبشة وأريتريا سنة ١٩٥١ .

(٢) « الآداب الدينية والاجتماعية » للمدارس الثانوية مع المرحوم الشيخ على حسب الله سنة ١٩٥٤ .

(٣) « هدى الإسلام » للمدارس الاعدادية مع المرحوم الشيخ على حسب الله سنة ١٩٥٤ .

(٤) « تفسير القرآن الموجز » ، مشترك ، وزارة الأوقاف سنة ١٩٦٠ .

(٥) كتاب عن « على مبارك - حياته ودعوته وآثاره » - سنة ١٩٦٢ مع المرحوم الأستاذ محمود الشرقاوى ونال جائزة مجمع اللغة العربية .

(٦) « الرق فى الإسلام » - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سنة ١٩٦٢ .

(٧) « رسالة فى موقف اليهود من الإسلام والمسلمين فى العصر الأول » - طبع مجمع البحوث - المؤتمر الرابع .

(٨) « رسالة فى وظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر » - طبع مجمع البحوث — المؤتمر الخامس .

(٩) « فى فقه الحنفية المقارن » - طبعة أولى -

(١٠) « مصادر التشريع الإسلامى » (أصول فقه لطلاب المعهد العالى للدراسات العربية والإسلامية) .

(١١) « ألوان من هدى الإسلام » (تحت الطبع)[١] .

---

(١) والكتاب يشمل :
العبادات ميسرة ، والمعاملات ، والملل ، والمذاهب المنشقة الحديثة كالبهائية .. وغير ذلك والقائم - حالياً - على إعداد هذا الكتاب للنشر الزميل : الأستاذ زكى الراغى المستشار بالمعاهد الأزهرية سابقاً والأستاذ فتحى بدر - إدارة البحوث والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية .

(١٢) «مختارات من الفتاوى والأحكام» (تحت الطبع).

الأعمال التى اسندت إليه خارج الجمهورية :

- التدريس بكلية عبية بلبنان - ١٩٤٧/٤٠ .. حيث عمل مع الأستاذ عبد الحميد بك سعيد والأمير شكيب أرسلان على التقريب بين المسلمين من أهل السنة والدروز.

- أوفد إلى الصومال والحبشة واريتريا وعدن سنة ١٩٥١ ووضع تقريرين عن أحوال المسلمين فى تلك البلاد كان لهما شأن كبير..

- سافر إلى القدس والأردن ولبنان وسوريا لحضور مؤتمر الخريجين سنة ١٩٥٦ ..

- راس بعثة إلى لبنان لتهنئة المفتى سنة ١٩٦٧.

- ناب عن الأزهر فى مؤتمر علماء المسلمين المنعقد فى استانبول وأعد فيه أبحاثاً علمية سنة ١٩٧٩.

- أوفده الأزهر إلى سيريلانكا فى مهمة رسمية.

- كما أوفده إلى باكستان لحضور مؤتمر إسلامى سنة ١٩٨٠.

- ناب عن الأزهر فى مؤتمر العلوم الإسلامية المنعقد فى استانبول فى تركيا سنة ١٩٨١.

الأوسمة التى منحت له

(١) وسام الاستحقاق سنة ١٩٦٩.

(٢) وسام الفنون والعلوم من الدرجة الأولى ١٩٨١.

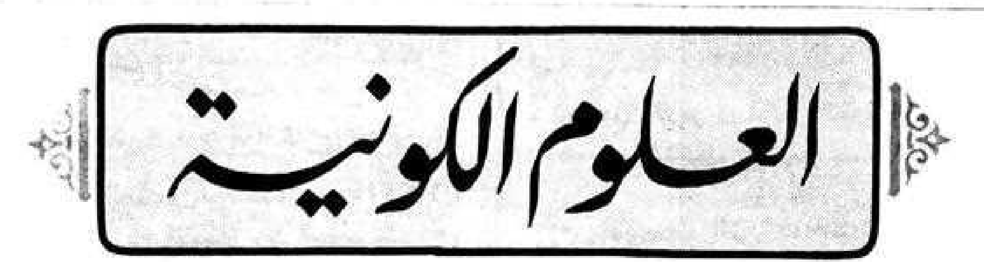
(٣) وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى، ومنحه هذا الوسام الأخير السيد رئيس الجمهورية فى احتفال مصر هذا العام بمولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى أقيم بمسجد القلعة مساء الثلاثاء ١٢ من ربيع الأول ١٤١١ هـ.

هذه نبذة تاريخية يسيرة عن الرجل الذى فقده الإسلام والأزهر فجر يوم الأحد ٣ من ربيع الأول سنة ١٤١١ هـ الموافق ٢٣ من سبتمبر سنة ١٩٩٠.

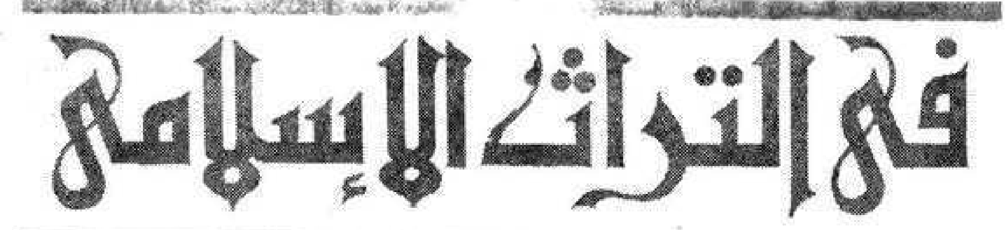
رحمه الله رحمة واسعة.

«إلى حضرات الكتاب»

ترجو ادارة المجلة أن يوافيها حضرات الكتاب . على وجه السرعة . بصورة فوتوغرافية للكاتب مصحوبة ببيان محدد بعنوانه وعمله، أبو بكونه فى (المعاش) مع بيان عمله السابق للأهمية.



لقد مضى زمن طويل ، تخلّف فيه المسلمون عن ركب الحضارة بعد ان كانوا في مقدمته ، واهملوا فيه تراثهم بحجة انه غير ذي قيمة او جدوى في حاضر الأمة او مستقبلها ، وتركوا فيه غيرهم يستاثرون بكتابة تاريخ العلم والحضارة كما يحلو لهم ، فرفعوا من شان بعض الحضارات ، وحطوا من شان البعض الآخر ، بل إنهم غمطوا حق الحضارة الإسلامية وانكروا دورها الرائد في دفع مسيرة التقدم البشري . وإذا كان ماوصل إلينا من تراثنا العلمي - على قلته - يؤكد سبق اسلافنا إلى وضع اصول البحث العلمي السليم ، ويدحض دعاوى الحاقدين وافتراءات المتعصبين الموجهة ضد الإسلام والمشككة في قدرات العقلية الإسلامية ، والمشوهة لحقائق التاريخ والعلم على حد سواء ، فإن اغلب هذا التراث لايزال بكراً في مظانه المختلفة ، ينتظر من يقراه قراءة عصرية متانية ويتناوله بالدراسة العلمية المفصلة وفق منهج تحليلي مقارن . ولا يخفى ما لمثل هذه الدراسات التراثية من اثر عظيم في تاصيل ثقافتنا الإسلامية باعتبارها الأساس لأية نهضة حضارية منشودة ، تاخذ بالعلم والتقنية طريقاً نحو التنمية والتقدم ، طبقاً لمبادىء الدين الإسلامي الحنيف .



أ. د. أحمد فؤاد باشا

وسوف نعرض في دراستنا الحالية لأهم المنجزات التى حققها علماء الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الكونية ، وهي قضايا ونظريات يمكن تصنيفها ضمن مانعرفه اليوم في علوم الفيزياء والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها ، إلا اننا آثرنا أن نعبر عنها بمسمياتها الأصلية كما وضعها اصحابها لأول مرة ، وهي في حقيقة الأمر لا تختلف كثيرا في مدلولاتها عما تعنيه اليوم ، على الأقل من حيث الموضوع والمنهج ، إن لم يكن من حيث المحتوى العلمى ايضاً في اغلب الأحيان .

أولاً : ظاهرة الجاذبية :

من المعروف أن العالم الانجليزى إسحاق نيوتن هو الذى وضع صياغة قانون الجذب العام الذى ينص على أن « كل جسم فى الكون يجذب أى جسم آخر بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب كتلتى الجسمين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما » ، ويعرف ثابت التناسب باسم « ثابت الجاذبية الكونى » Universal gravitational constant وهذا القانون كما نعرفه اليوم هو الذى يشرح حركة الكواكب فى مسارات دائرية تقريباً حول الشمس بفرض أن جذب الشمس وكواكبها هو السبب فى تلك الحركة الدورانية . لكن طبيعة العلم التراكمية ، كما يصفها فلاسفة العلم ومؤرخوه ، تلفت الأنظار إلى ما أكده نيوتن نفسه من أنه ما كان ليتوصل إلى صياغة قوانينه الشهيرة لولا أنه وقف على أكتاف من سبقوه من عمالقة العلماء .

ويقول الخبثاء إن المقصود بمن سبقوه هم علماء عصر النهضة الأوروبية فقط أمثال تيكوبراهى وكبلر وجاليليو وغيرهم . أما المنصفون فينسبون الفضل لأصحابه ، ويعثرون فى تراثنا الإسلامى على ما يؤكد سبق علماء الحضارة إلى اكتشاف فكرة الجاذبية وبلورة مفاهيم جديدة متعلقة بها . ولعل فى سرد القصة من أولها ما يظهر هذه الحقيقة الهامة ، إذ لايشك أحد فى أن الإنسان القديم قد لاحظ سقوط الأجسام من الأعلى إلى الأسفل . مثلما لاحظ نيوتن سقوط التفاحة من الشجرة إلى الأرض ، ثم تعامل مع الموجودات على ضوء هذه الملاحظة .

وكانت أولى محاولات تفسير السقوط الحر للأجسام للفيلسوف اليونانى أرسطو الذى اعتقد بأن سبب سقوط الجسم إلى الأرض يعود إلى « الوحشة الطبيعية » الكامنة فى الجسم نفسه ، تماماً مثلما يميل الطفل إلى حضن أمه كلما بَعُد عنها باعتبارها المكان الطبيعى لإزاحة وحشته ، واتجاه حنينه هو الذى يدفع به إلى مقاومة حالة الوحشة وطردها . ويلاحظ بعض الباحثين فى هذا الموضوع أن أرسطو قد أمعن فى « أنْسَنَة الطبيعة » عندما طبق الأحاسيس الإنسانية على ظواهر الطبيعة وسلوك أشيائها ، فرأى أن الجسم المادى الصغير يجد مكانه الطبيعى حين « يسقط » فى حضن أمه : كوكب الأرض[1] أى أن النظرة « الأرسطية » تقضى بأن الجسم الساقط يميل من تلقائه إلى الحركة نحو الأرض .

ويأتى عصر الحضارة الإسلامية الذى اهتدى فيه العلماء إلى المنهج العلمى السليم فى تحصيل العلوم والمعارف ، فلم يقبلوا تماما البراهين الفلسفية للآراء التى يمكن اختْبار صحتها تجريبيا . وفطنوا إلى أن التفسير العلمى لظواهر الطبيعة يكتسب دقته من مدى تعبيره عن الحقيقة العلمية الكامنة وراء سلوك هذه الظواهر ، إما بوصفها تطابقا للواقع الموضوعى ، وذلك بإطلاق لفظ الواقع على الأمور التى يمكن التحقق منها على نحو يقره الجميع ، وإما باعتبارها تطابقا لقضايا ذهنية ليس لها مسميات فى عالم الواقع ، مثل بعض قضايا علم الرياضيات للأشياء كما هى فى ذاتها ، إذ من الممكن تشييد نسق كامل للتفكير الرياضى .

(١) محمود إبراهيم الصغيرى ، مكانة الهمدانى فى تاريخ تطور مفهوم الإنسان لظاهرة الجاذبية ، مجلة الاكليل ، العدد الخامس ، صنعاء ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

العلوم الكونية فى التراث الاسلامى

استطاع علماء الحضارة الإسلامية ، بهذه الطريقة العلمية الجديدة فى البحث والتفكير والتأمل ، أن يقلبوا تصورات القدماء الفلسفية عن الظواهر الطبيعية رأسا على عقب ، وأن يقدموا لأول مرة أساسا مقبولا لتفسير السقوط الحر للأجسام تحت تأثير الجاذبية الأرضية . ويبدأ الهمدانى هذه الثورة العلمية بقوله ، فى سياق حديثه عن الأرض وما يرتبط بها من أركان ومياه وهواء : « فمن كان تحتها (أى تحت الأرض عند نصفها الأسفل) فهو فى الثبات فى قامته كمن فوقها ، ومسقطه وقدمه إلى سطحها الأسفل كمسقطه إلى سطحها الأعلى ، وكثبات قدمه عليه . فهى بمنزلة حجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد إلى كل جانب..... »[٢] .

ويتضح جليا من هذا النص أن الهمدانى قد ربط ظاهرة الجاذبية بالأرض التى تجذب الأجسام الصغيرة فى كل جهاتها ، وهذا الجذب إنما هو قوة طبيعية مركزة فى الأرض وتظهر آثارها فى مجال فعال حول الأرض أشبه بذلك المجال الذى يتمتع به « حجر » المغناطيس . ولولا هذه الخاصية لكانت كروية الأرض ودورانها سببين أساسيين فى تطاير كل ما على سطحها . وبهذا المفهوم العلمى يكون الهمدانى قد أرسى أول حقيقة جزئية فى فيزياء ظاهرة الجاذبية ، وهى مايعرف بطاقة الموضع أو طاقة الكمون Potential energy الناتجة أصلا عن ارتفاع الأجسام عن الأرض ، وإن كان لم يقل فى النص صراحة أن الأجسام تجذب بعضها البعض ، وهو المعنى الأساسى لقانون الجذب العام لنيوتن [٣] .

وأضاف علماء آخرون تباعا ، فى عصر الازدهار الإسلامى ، حقائق أخرى جزئية على طريق استكمال التصور الإنسانى لظاهرة الجاذبية من خلال دراساتهم لحركة المقذوفات ، من حيث إن حركتها إلى أعلى عند القذف تعاكس فعل الجاذبية الأرضية ، أو أن القوة القسرية التى قذف بها الجسم إلى أعلى تعمل فى تضاد مع قوة الجاذبية الأرضية . فهذا هو هبة الله البغدادى يقول فى كتابه «المعتبر فى الحكمة» : «... فكذلك الحجر المقذوف فيه ميل مقاوم للميل القاذف ، إلا أنه مقهور بقوة القاذف ، ولأن القوة القاسرة عرضية فيه ، فهى تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعى ولمقاومة المخروق ... فيكون الميل القاسر فى أوله على غاية القهر للميل الطبيعى ، ولايزال يضعف ويبطىء الحركة ضعفا بعد ضعف وبطئا بعد بطء حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعى ، فيغلب الميل الطبيعى فيحرك إلى جهته »[٤] .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن البغدادى لايستخدم مفهوم « الميل » كقوة خفية أو « وحشة » طبيعية فى اتجاه الحنين إلى حضن الأم : كوكب الأرض ، مثلما قال أرسطو ، ولكنه عنى به القوة المادية التى تتحكم عمليا فى حركة المقذوف صعودا ضد الجاذبية الأرضية وهبوطا فى اتجاهها . والسؤال الذى طرحه البغدادى فيما يتعلق بهذه القضية العلمية هو : هل يتوقف

(٢) الحسن بن أحمد الهمدانى ، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) ، اعداد وتحقيق : محمد محمد الشعيبى ، مطبعة دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٣ . وكان المستشرق السويدى المعاصر « كريستوفر تول » قد عثر على إحدى النسخ الأصلية لمخطوطة كتاب الجوهرتين فى إحدى المكتبات الأوروبية وقام بتحقيقها وترجمتها إلى اللغة الألمانية عام ١٩٦٨ ، طبعة جامعة أوبسالا ، ثم ظهرت بعد ذلك طبعته المذكورة باللغة العربية .

(٣) د . أحمد فؤاد باشا ، الاتجاه العلمى عند الهمدانى ، مجلة المسلم المعاصر ، ع ٥٨ (١٩٩٠) .

(٤) راجع : د . جلال شوقى ، تراث العرب فى الميكانيكا ، القاهرة ١٩٧٣ .

الحجر المقذوف عند أعلى نقطة يصل إليها حين يبدأ في الارتداد إلى سطح الأرض ؟ ويجيب هو نفسه في نفس الكتاب بالنص الواضح الصريح : « من توهم أن بين حركة الحجر علوا المستكرهة بالتحليق وبين انحطاطه وقفة فقد أخطأ . وإنما تضعف القوة المستكرهة له وتقوى قوة ثقله ، فتصغر الحركة ، وتخفى حركته على الطرف ، فيتوهم أن ساكن »[٥] .

ويثابر المخلصون من العلماء على البحث والتنقيب في كتب التراث الإسلامي ، فيعثرون على المزيد من النصوص التي تتضمن مفاهيم أكثر وأوصافا أشمل لظاهرة الجاذبية . ومن أشهر النصوص التي تعرضت لهذا الموضوع وأوضحها ماقاله البيروني في رده على المعترضين على دوران الأرض حول نفسها والمعتقدين بأن الأرض لو دارت لطارت من فوق سطحها الاحجار واقتلعت الأشجار ، وأكد في هذا الرد أن الأرض تجذب مافوقها نحو مركزها ، فقد جاء في كتابه « القانون المسعودي » أن الناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة ، وعليها أيضا نزول الأثقال إلى أسفل كما أن الخازن قد أوصلته أبحاثه إلى أن الأجسام الساقطة تنجذب في سقوطها نحو مركز الأرض ، فذكر في كتابه «ميزان الحكمة » أن الجسم الثقيل هو الذي يتحرك بقوة ذاتية ابدا إلى مركز العالم فقط ، أي أنه يعني أن الثقل هو الذي له قوة تحركه إلى نقطة المركز . وقد فطن الإمام الرازي إلى تعميم فكرة الجاذبية على جميع الأجسام الموجودة في الكون ، فنجده يتحدث عن انجذاب الجسم إلى مجاوره الأبعد ، مقتربا بذلك من المعنى الشمولي الذي توصل إليه نيوتن .

وينجح البغدادي مرة أخرى في تصحيح ذلك الخطأ الجسيم الذي وقع فيه أرسطو عندما قال بسقوط الأجسام الثقيلة أسرع من الأجسام الخفيفة ، فنراه يثبت حقيقة علمية هامة تقضي بأن سرعة الجسم الساقط سقوطا حرا تحت تأثير الجاذبية الأرضية لاتتوقف إطلاقا على كتلته ، وذلك عندما تخلو الحركة من أي معوقات خارجية ، ويعبر عن هذه الحقيقة بكلماته فيقول : « ... وأيضا لو تحركت الأجسام في الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير والمخروط المتحرك على رأسه الحاد والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة ، في السرعة والبطء . لأنها إنما تختلف في الملاء بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق كالماء والهواء وغيره ... »[٦] .

وهكذا يتضح سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى بلورة المفاهيم الأساسية لظاهرة الجاذبية بعيدا عن الآراء الفلسفية القديمة والتصورات النظرية عن الحركة والسكون ، واستنادا إلى حقيقة ما أثبتوه من مناهج البحث في المعرفة تعتمد على طبيعة موضوعاتها . ولولا هذه الثورة الهائلة التي أحدثوها في منهجية التفكير والبحث العلمي السليم لظلت خرافات القدماء قائمة حتى وقتنا هذا ، ولما وجد اسحق نيوتن من يقف على أكتافهم من عمالقة العلماء لكي يصنع مجده وشهرته . ففي قصة اكتشاف ظاهرة الجاذبية التي قدمناها خير دليل وأوضح مثال .

---

(٥) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ .

راجع أيضا : محمود إبراهيم الصغيري ، مرجع سابق .

(٦) راجع ماكتبناه عن « تطور نظريات الحركة » في مؤلفنا : « فلسفة العلوم بنظره إسلامية » ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٤ ومابعدها .



ترجمها عن ..
« Viprant Life »

الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

يقضى الشخص العادى ذكراً كان ام انثى ثلث حياته فى الفراش على امل ان ينام . وهو ما يقدر بحوالى ثمانى ساعات يومياً .. عملية لا يمل الإنسان تكرارها بالطبع سبعة ايام فى الاسبوع و٣٦٥ يوماً فى السنة . ولا يهم كثيراً المكان الذى تتواجد فيه ولا العمل الذى تشتغل به فالنوم كما يقولون سلطان ، إن حل وقته فلا مجال لتحاشيه او الإفلات من حبائله . اما إن حاولت الاستغناء عنه او العيش بدونه فانت إنما تدعو إلى مخدعك ضيفاً ثقيلاً يفسد عليك كل شىء ، بل إنك لتصاب معه بالأداء الوظيفى المختل والإحساس بالفتور والإرباك الأكيد للعلاقات الشخصية الشديدة التداخل .

وكما هو معروف بالضرورة الا اهمية للبيئة التى تعيش فيها : فإن ذلك يعنى أول ما يعنى أن الوقت الذى تنفقه فى النوم تتقارب مدده أياً كان المكان الذى سكنته من الكرة الأرضية . اما أن تستغرق عملية النوم ثلث مدة حياة الإنسان وهو ما يساوى عشرين عاماً من حياة رجل أو امرأة عاش كل منهما ستين سنة ، فذلك وقت لبس بالقصير . فكر مثلاً فيما كان يمكنك إنجازه لو لم تكن بحاجة إلى تعطيل كل انشطة حياتك وجعلها وقفاً على النوم لا غير .. اما كان يمكنك استخدام كل هذا الكم الهائل من الوقت فى عمل إضافى أو لهو برىء أو حتى فى مجرد القلق والتفكير ؟

ولكنها حكمة الله .

طوائف النُّوَّام :-

الناس إزاء النوم ثلاث طوائف .. فطائفة منهم تنام نوماً عميقاً لو اطلعت عليهم لحسبتهم موتى [وما هم بموتى] لا يوقظهم إلا أن تغرق غرف نومهم فى بحر من الشمس وقد أخذت اشعتها الحامية تغسل بغتةً الفُرُشَ والأسِرَّة . وبعضهم لا يستيقظ إلا عندما تتحطم أوتار السكون وتتكسر لحظات الصمت المطبق على صرخات المنبهات المعدنية المزعجة . وطائفة اخرى تعلو وتهبط ، ترتفع وتنخفض ، تلف وتتلوى ناهضة دون وعى فى كل ساعة عند الوقت المحدد الذى ضبطت عليه عقارب المنبه وأجراسه للاستيقاظ مما يكون واضحاً معه عدم تمكنهم طيلة الليل من الظفر بحظ وافر من النوم المريح المشبع لغريزة أودعها الله طبيعة بنى البشر .. ومن ثم ينتهى

(١) كاتب المقال : ريتشارد . ل . ميل Richard . L . Meil . M.P.

بهم المطاف إلى أن يرفعوا للفجر الجديد ألوية تنبىء عن أعين باتت تحرس ممتلكات ثمينة أو أناس انهمكت ليلها فى عمل ضرائبى شاق .

أما الطائفة الثالثة فلن تسمع أذناك منهم إلا الغطيط والشخير واللهاث وهم يستميتون فى إدارة دفة عربة النوم يقطعون الطريق كدحاً إلى الصباح . وهؤلاء أيضاً كسابقيهم ينتابهم إحساس لا يستطيعون إخفاءه بانعدام النوم المريح للأعصاب ناهيك عما يؤكده العلماء من أنه نتيجة مشاكل متشابكة فإن هذه الطائفة يمكن أن تكون عرضة لمخاطر صحية حقيقية إن لم يكونوا عرضة للموت فى أثناء ما يفترض أنه فترة من الراحة المنعشة الوادعة .

ماهية النـــــوم : ـ

فى هذا الموضوع تثور عدة تساؤلات منها :

ما النوم ؟ ولماذا نحتاج إليه ؟ وما الأسباب التى تدفع به أحياناً إلى أن يكون ضرباً من ضروب الخطر ؟

ـ إن النوم فى تعريفه العلمى الدقيق هو دورة منتظمة متكررة الحدوث من النشاط الجسمانى المتناقص والوظائف العقلية المتغيرة (٢) . وفى أثناء تلك الفترة ذات النشاط الجسمانى المتضائل ينعدم إحساس النائم نسبياً ولا نقول كلياً بالعالم الخارجى وما يجرى فيه من أحداث .

أما لماذا ننام ؟ فذلك سؤال لم يتمكن العلماء بعد من الإجابة عنه إجابة شافية . هذا ومن المعلوم لكل منا أن الأطفال الرضع ينامون نحو ١٦ إلى ١٨ ساعة يومياً ، بينما لايقضون فى اليقظة إلا نحو ٦ إلى ٨ ساعات . أما الأمر بالنسبة لنا نحن البالغين فمختلف تماماً .

كيمائية النــوم : ـ

فى حديثنا عن عملية النوم : نقول إن هناك عناصر كيماوية معينة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية النوم . ولربما اعتمد النوم الهادىء على مقدار توافر هذه الكيماويات فى الجسم . فالنوم العميق المنعش يعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على توافر مادة كيماوية معينة فى المخ تدعى Serotonin وهذا يعنى أنه مالم تتوافر هذه المادة بكمية كافية فى المخ فإنه سيصاب بالفتور مما يثبطه عن إصدار الأوامر لسائر أعضاء الجسم بالنوم . كذلك يمكن لبعض العقاقير والأدوية مثل Reser-pine أن تقلل من مفعول مادة Serotonin فى المخ مسببة الأرق .

وهنا يبرز تساؤل : فى أى المواد تتوافر هذه المادة ؟ وما المصادر التى يمكن للمخ أن يعتمد عليها فى الحصول على الـ Serotonin ؟

يقول العلماء إن اللبن يحتوى على مركب (L - Tryptophan) وهو مركب كيماوى يقوم الجسم بتصنيع الـ Serotonin منـه . والأمهات يعرفن لسنين عديدة أن زجاجة الحليب الدافىء كفيلة بإسكات طفل لا يكف عن الصراخ ؛ بل وجلب النوم الهنىء المريح له . ومن ناحية أخرى فإن الهرمونات كـ (الإدرنـالين) الذى تكمن أهميته فى تمكيننا من التغلب على الضغط والإجهاد اتضح أن لها تأثيراً معاكساً تماماً لما لمادة Serotonin من تأثير حميد .

فالهرمونات ليست فى حقيقتها إلا مواد تساعدنا فقط على البقاء فى حالة من اليقظة والانتباه ولا علاقة لها براحة الأعصاب من قريب أو بعيد .

كيف يتهيا الجسم للنوم : ـ

ماأن يأخذ الشخص مضجعه حتى يمر الجسم ببعض التغيرات المثيرة . فالعضلات تأخذ فى الاسترخاء ، ويصبح النفس أشد عمقاً وأكثر انتظاماً كما تأخذ درجة حرارة الجسم فى الهبوط التدريجي مما يفسر حاجتنا الماسة للغطاء فى ساعات الصباح المبكر . أما التغيرات الأشد إثارة فتحدث فى داخل المخ .

وقد أثبت ذلك بالدليل بعض العلماء الذين تمكنوا بجهود مضنية من تسجيل النشاط الكهربى للمخ ، وذلك باستخدام أجهزة متناهية الصِغر فائقة الحساسية تم توصيلها بالجمجمة .

أن تسجيل النشاط الكهربى للشخص غير النائم أوضح عدم انتظام ذلك النشاط . إنه يشبه ما يمكن لطفل فى الصف الأول الابتدائى أن ينجزه على كثرة أخطائه لو حاول



(٢) هذا وصف وليس تعريفاً للماهية ....

هكذا تنام

رسم خط مستقيم ؛ فعندما يستسلم أحدنا للنوم تتجه محاولة رسم ذلك الخط المستقيم إلى أن تكون أقل اهتزازاً ، كما تميل إلى أن تكون قريبة الشبه ما أمكن برسم أمواج المحيط في يوم اتسم بالهدوء النسبي ، وكلما إزداد النوم عمقاً كلما صار شكل الموج أكثر انسياباً وترقرقاً ، ولا يعني هذا أن الشخص النائم يتجه في رسمه لذلك الخط من طرف إلى طرف دون أي اعوجاج ؛ فإن المسألة تختلف عن ذلك قليلاً . فالنوم المُشبع المُرضي لمزاج الإنسان يتألف في جوهره من مستويات تعلو وتهبط في الاختلاف . فمن النوم الخفيف حيث تميل الأمواج للاهتزاز إلى النوم العميق أو السبات حيث تكون الأمواج أكثر انسياباً وهي عملية تتكرر عدة مرات في الليلة الواحدة . ويستغرق الانتقال من حالة السبات إلى حالة النعاس ثم العودة مرة أخرى إلى السبات من ٩٠ إلى ١٠٠ دقيقة . وللشخص العادي من ٥ إلى ٦ دورات كل ليلة على النسق المذكور آنفاً .

وماذا عن الأحـــلام : ـ

على امتداد ساعات الليل يرى الشخص من حين لحين شيئاً من الأحلام . نعم كلنا نحلم على عكس الفكرة التي تسود لدى الكثيرين منا والتي تتمثل في اعتقاد باطل مفاده أنهم يقضون الليل كاملاً دون أحلام . وهو وهم أكد خطأه قول العلماء : إن الأحلام أو بعضها ليس للذاكرة القدرة على الاحتفاظ بها حتى صباح اليوم التالي ، كما أكدت البحوث العلمية الخاصة بالنوم أن الرؤى والأحلام جزء لا يتجزأ من فترات نوم كل منا ، ولو أنك قمت بمراقبة عيني طفل صغير نائم وجسمه فسوف تلاحظ أن الطفل من حين لآخر يبدو وكأنه يحبس أنفاسه لبضع لحظات قصيرة فقط ، فهو يفغر فاه ثم يشرع في إحداث حركات أشبه ما تكون بحركات (المص) ثم تأخذ مقلة العين في الحركة السريعة جيئة وذهاباً وهذا هو ما يطلق عليه العلمـــاء .. (نـوم المُقَـل سراع الحركات) (Rem - Sleep) وفي أثناء تلك الفترة من النوم على وجه الخصوص يرى الشخص ـ بالغاً كان أم طفلاً ـ الأحلام . ولو تم إيقاظه في هذا الوقت من النوم بالذات لاستطاع أن يحكي لك بالتفصيل الممل عن حلمه وما رأى فيه ، أما إذا دلف الفرد إلى المستوى التالي من النوم العميق دون أن تتمكن من إيقاظه فإن كل أثر لما رأى من أحلام يمكن أن يغيب في متاهات النسيان ويذوي .

وما فائدة الأحلام ؟ إن في داخل كل منا إحساس مطبوع مركوز عميق بأن كماً معقولاً من الأحلام لهو شيء مهم بل جوهري للأداء الوظيفي المناسب لما يوكل إلينا من أعمال بل لحالتنا الذهنية بشكل عام .

واضح إذن أن النوم شديد الأهمية ليس فقط لأجسامنا ـ تمشياً مع الرأي القائل بأهمية الراحة البدنية مما نعاني من مجهودات أثناء النهار ـ بل هو شديد الأهمية كذلك لشتى نشاطاتنا العقلية ، وبرغم جهلنا بسبب حدوث نوم (المُقل سراع الحركات) فإننا نحس أنه وقت يقوم المخ في أثنائه بسد النقص في بعض المواد الكيماوية التي يحتاج إليها أو بتصنيف وتخزين و(أرشفة) الكم الهائل من المعلومات التي كان قد تلقاها في ساعات النهار الفائتة .

الأرق وأسبابه :

إن أبسط تعريف للأرق يقول : إنه عدم القدرة على النوم بطريقة يرضى عنها الإنسان . وهناك أسباب عدة للأرق يمكن تحديدها ـ على تنوعها ـ بأنها عدم القدرة على الاستغراق في النوم أو البقاء في الفراش ساعات طوالا انتظاراً لنوم لا يأتي أو لرغبة في النوم ما إن تصحو . ويرتبط بالقلق كل ما من شأنه إرباك حياة الإنسان كالاكتئاب والحزن والكدر وكلها أمور نفسية داخلية ، كذلك للأدوية تأثير لا ينكر في إحداث القلق وكذا الجداول غير المنتظمة ، ونوبات العمل المتغيرة ، والمشاكل المرضية خصوصاً تلك التي ينتج عنها آلام حادة . بل حتى مجرد الملل البحت باعث على الأرق ، ولو تبينت بوضوح مظاهر مشكلة ما تعاني منها واستطعت حلها لكان في الخلاص منها ببساطة علاج ونجاة الأرق ، أما إذا لم يكن ذلك ممكناً فإن الرجوع إلى الفحوصات المخبرية والتحاليل المعملية الخاصة باضطرابات النوم تحت إشراف طبيب خبير ربما ساعدك ذلك على التغلب أو التخلص من تلك المشاكل المؤرقة .

النوم بلا نفس : ـ

النوم بلا نفس هو أحد مظاهر النوم الغريبة وواحدٌ من مراحله الشائكة . إنها فترة نوم غير عادية لابد من تغطيتها والحديث عنها بشيء

من التفصيل فهذه الظاهرة تعرف باسم (Apnea) وهى كلمة انجليزية تعنى حرفياً (بلا نفس) ، ففى أثناء هذه العملية الشديدة الطرافة يتوقف الفرد فعلاً عن التنفس لثوانٍ معدودات فى كل مرة . وعادة ما يكون هذا الأمر غير خطير ؛ لأن كل شخص منا قد يمر به فى نومه المعتاد كالطفل الذى تقدم ذكره فيما مضى من الصفحات .

لكن الخطر يكمن فى أن بعض فترات (النوم بلا نفس) تزداد وتتكرر فى البعض اكثر مما ينبغى كما تطول مدة كل فترة أكثر مما يجب . فإن حدث ذلك لقى من الجسم رد فعل حاد يتمثل فى أمور منها أن ضغط الدم يأخذ فى الارتفاع كما ان النبض يأخذ فى الازدياد بطريقة مفاجئة ، أضف إلى ذلك ما يمكن أن يصدر عن النائم من حركات عضلية عنيفة غير مرغوب فيها تصل احياناً إلى حد ضرب وركل ودفع النائم إلى جانبه خارج الفراش .. وبسبب انعدام التنفس وتلاشى الاكسجين من الجهاز التنفسى تتغير كيماوية الدم لنقص الهواء النقى ، وعندما تشرع ضربات القلب فى عدم الانتظام وتلك أشد مظاهر (النوم بلا نفس) خطورة . فلو تم حرمان القلب من الاكسجين لفترة طويلة زائدة عن الحد المستطاع لأصيب نبضه بالرتم [٣] البطىء الذى يوصف عادة بأنه مهدد لاستمرار الحياة . ومن نتائج (النوم بلا نفس) الحتمية أن المصابين به عادة ما يستيقظون متعبين مجهدين ليست لديهم الطاقة الكافية لمواجهة ما ينتظرهم من مهام وأعباء طيلة النهار بكفاءة ونجاح .. ومن آثاره التى تأخذ فى الظهور بشكل واضح ما يعترى الشخصية من تغيرات مزاجية تتمثل فى النزقية الزائدة والعصبية الشديدة والمشاكسة والارتباك والاضطراب والتخبط وعدم التوازن . كذلك تشيع فى هؤلاء الناس نوبات الصداع الصباحية . كما يعانى البعض منهم من الدوار والغثيان الذى يزداد سوءاً عند ساعات الصباح الأولى . وعادة ما يتميز هؤلاء الناس بالرقاب الغلاظ والقصار ، ويميلون إلى الوزن الزائد ، ورغم هذا كله فليس الحال على ما يتصور من السوء فمن المهم معرفة أن هناك علاجاً لمعظم هذه المشاكل خصوصاً لدى أخصائى الصحة العامة والمتخصصين منهم فى اضطرابات النوم بالذات .

وبعد ... فإن الحصول على ليلة من النوم المرغوب الهادىء المريح يمثل فقط نصف الصورة ، أما الجانب الآخر للصورة فهو اليقظة ولكى يكون النوم مفيداً مجدياً فلا مناص من استقبال اليوم الجديد بوجه بشوش ضحوك . إذ كلما أخذت ساعات الليل فى الزحف أخذ عمق النوم فى التضاؤل ، وكلما أخذت جيوش الصباح فى التقدم أخذت تموجات المخ فى عدم الانتظام ، دالة على أن الشخص يفيق رويداً رويداً من حالة النوم . فما هو ياترى ذلك الشىء المنوط به إيقاظنا ؟

هذا الجهاز العجيب : لقد استطاع العلماء تحديد جزء من المخ يسمى (الجهاز المنشط الشبكى الصاعد) وهو اختصاراً بالانجليزية (Aras) ويبدو أن هذا المركز من المخ هو المسئول عن إثارة المبادرة الذاتية لدينا للاستيقاظ . ويزداد نشاط هذا الجهاز العجيب كلما اقترب الصبح ، لكن العلم لم يمط اللثام بعد عن طبيعة عمله .

تعقيب للمترجم :

إن من المؤكد أن انعدام القلق ضرورى ليكون هناك نوم عميق ، وهو أمرٌ لا يتوافر إلا للذاكرين الله كثيراً والذاكرات فهم يتمتعون بهذا الصفاء الفطرى وتلك السكينة المطبوعة ، وفى نهاية اليوم عندما يكون النوم أغلى مطالب الجسم وأثمن أمنيات العقل فإننا نخطو آمنين إلى منطقة اللاوعى واثقين موقنين أن الله معنا ، وأنه يرعانا وأن عنايته تحرسنا وتكلؤنا فى وقت ليس لنا فيه من حول ولا قوة إلا بالله سبحانه وتعالى .

وبعد ... فإن من الملائم لنا جميعاً صغاراً وكباراً أن نردد – وقد أخذ كل منا مضجعه – مارواه البراء بن عازب قال : قال لى النبى – صلى الله عليه وسلم – : إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل :

« اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت .

فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به .. قال فرددتها على النبى – صلى الله عليه وسلم – فلما بلغت .. وكتابك الذى أنزلت . قلت : ورسولك . قال : لا .. ونبيك الذى أرسلت » . رواه الستة .

(٣) الرتم : الخفقة .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حكمة امرأة

دخل احد الأمراء على امه وهو يبكى بعد أن سقطت إمارته فى يد الأعداء فقالت له أمه : يابنى إن المُلك الذى يبكى عليه أصحابه لا يعود ؛ إنما يعود المُلك الذى يقاتل عنه أصحابه .

من كثر أدبه

كثر شرفه وإن كان وضيعا . وبَعُدَ صيته وإن كان خاملاً وساد وإن كان غريباً . وكثر حوائج الناس إليه وإن كان فقيراً .

إيثار

قال ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ أُهْدِىَ لرجل من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأس شاة فقال : إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا ، فبعثه إليهم ؛ فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة بيوت ثم رجع إلى من اهدى له .

إياك والعجلة

فإنها تكنى أم الندامة ؛ لأن صاحبها : يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن تصحب هذه الصفة أحداً إلا صحب الندامة وجانب السلامة .

عجبى

كان الناس يراعون بما يفعلون لا بما يقولون ؛ فصاروا يراعون بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراعون بما لا يقولون ولا يفعلون .

الشعر أفضل

امسك على النابغة الجعدى الشعر أربعين يوما فلم ينطق ، وفى أثناء ذلك غزا قومه قوما فظفروا ، فلما سمع فرح وطرب فاستحثه الشعر فذلّ له ما استصعب عليه .

فقال له قومه : بحياتك لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسر من الظفر بعدونا .



من شرط صاحب مصر

كان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته ، فكتب إليه « الصلاح » وزيره مستشفعا :

من شرط صاحب مصر أن يكون كما
قد كان يوسف فى الحسنى لإخوته
ساءوا فقابلهم بالعفو وافْتَقَـروا
فَبَـرَّهــم وتــولاهــم بــرحمتــه

حقيقة

إذا طـالبتك النفس يـومـا بشهـوة
وكـان إليهـا فى الخـلاف طـريق
فخالف هواهـا ما استطعت فـإنما
هـواهـا عـدو والخـلاف صـديق

القناعة

قال سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ : لابنه عمر : يابنى ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال .

وقـال بـعض المفسرين فى قـول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ : إنها القناعة .

نصيحة

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته
اتطلب الربح ممـا فيه خسران
أدب النفس واستكمل فضائلهـا
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ثمانية يهانون

ثمانية إن أُهِينُوا فلا يلومون إلا انفسهم :

- الجالس فى مجلس ليس له بأهل .
- والمقبل بحديث على من لا يسمعه .
- والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه .
- والمتعرض لما لا يعنيه .
- والمتأمر على رب البيت فى بيته .
- والآتى إلى مائدة بلا دعوة .
- وطالب الخير من أعدائه .
- والمستخف بقَدْر السلطان .

حب المال

قال بعض عقلاء الفرس : من زعم أنه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى يثبت صدقه ، فإذا ثبت صدقه فهو عندى أحمق .

على قدرك

نظر رجل من الحذاق إلى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة ، ويتكلم ويلحن .

فقال له : تكلم على قدر ثيابك ، أو البس على قدر كلامك .

« دعـــاء »

اللهم اجعل القرآن لقلوبنا ضياء ، ولأبصارنا جلاء ، ولأسقامنا دواء ، ولذنوبنا مُمَحِصاً ، وعن النار مخلصا .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

حكمة التفاوت بين الناس

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ
محمد محمد المدني

إعداد الأستاذ
عبد الفتاح حسين الزيات

« التفاوت » من سنن الله - عز وجل - في خلقه ، واظهر ما يكون في الإنسان ، فمنه الطويل والقصير ، والأبيض والأحمر والأسمر والأصفر ، والجميل والدميم ، والغنى والفقير .

وانى القيت نظرك على « الطبيعة » ارضا وجوا لوجدت التفاوت .

ولله في ذلك حكمة ، فإن هذا التفاوت نفسه في مصلحة الإنسان .

قال الكاتب : رحمه الله :

سأل سائل عن معنى قوله تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ (١) .

مع ثبوت التفاوت في هذا الخلق على صور شتى ، بيان ذلك : أننا نرى الأرض الواحدة تنبت نوعاً من الثمر بذره واحده ، وغذاؤه واحد ، ويسقى بماء واحد ، ومع ذلك نرى تفاوتاً في خلقه ، فهذه الثمرة حلوة ناضرة قوية في تكوينها ، كانما ادركتها عناية خاصة من بين أخواتها ، وتلك الثمرة ضعيفة ضئيلة حائلة اللون ، فاسدة الطعم ، متغيرة الرائحة ، حتى يكاد الناظر إليها يحسبها جنساً آخر غير الأولى وهي في الحقيقة منها ولعلها أختها في غصنها ، وبين هاتين ثمرات أخرى متفاوتات يقرب بعضها من الأولى وبعضها من الأخرى ، وقد جعل الله تعالى هذا التفاوت آية من آيات قدرته ، ونبه العقول إليه حيث يقول : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

وكذلك نرى بعض البلاد يفضل بعضاً بما له من موقع حسن ، ومناخ حسن ، وبعضها يمتاز

(١) سورة الملك ٣ .

(٢) سورة الرعد ٤ .

بجودة أرضه ، وصلاحية تربته للإنبات والزرع وإخراج الطيبات ، أو بما تنطوى عليه هذه الأرض من منابع الغنى ، وكنوز الثروة ، وإلى هذا يشير الله عز وجل بقوله : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[3] فقوله : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ معناه بخلقه وتقديره وما فضله به على غيره ، فهذا نوع آخر من التفاوت .

والناس أكثر المخلوقات تفاوتاً ، فمنهم الجميل ومنهم الدميم ، ومنهم الذكى ومنهم الغبى ، ومنهم الضعيف ومنهم القوى ، ومنهم الشجاع ومنهم الجبان ، ومنهم الفقير ومنهم الغنى ، ومنهم الرضى فى أخلاقه ، المحمود فى أفعاله ، ومنهم الجافى الغليظ الذى لا يطاق .

وإننا لنجد الأسرة الواحدة من رجل وامرأة يثمران أبناء وبنات يصل أمرهم فى التفاوت الخَلقى والخُلقى إلى مدى بعيد ، يظن معه أن لا صلة بينهم .

وإلى هذا الاختلاف يشير القرآن الكريم فى كثير من آياته ، إذ يقول : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[4] ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ﴾[5] .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[6] .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفى الله التفاوت بقوله : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ ؟

والجواب : أن التفاوت المنفى فى الآية غير التفاوت المثبت فى الآيات الأخرى ، وذلك أن الأشياء كلها متساوية غير متفاوتة من حيث إنها جميعا مصنوعة بالحكمة مقدرة على سننها معطاة خلقها ، وما تصلح به وعليه فى نفسها ، وفى غيرها ، كما أنها مختلفة غير متساوية من حيث إنها أنواع يختص كل نوع بفائدة ، وأفراد يمتاز كل فرد بميزة ، والحكمة تقتضى هذا التفاوت ولاسيما فى الإنسان ؛ فلو أن الناس جميعا كانوا على شاكلة واحدة لبطل التعاون ، واختل نظام الحياة ، ذلك بأن الإنسان ـ كما يقولون ـ مدنى بطبعه يحتاج إلى من يعاونه ويقوم عنه ببعض شئونه ، فإنا لو تصورنا إنساناً منفردا ليس معه غيره لتصورناه مستوحشا كئيبا ناقص التصرف ، معطل المواهب ، مغلوبا على أمره ، لا يستطيع أن يصل إلى ما يصلح به أمره كإنسان .

ولو أن الناس كانوا جميعا على غرار واحد فى الخلق والعلم والقوى والملكات والرزق والحظ ، لبطل التعاون أيضا ، واختل نظام الحياة ، فإن كل واحد يرى أنه كفيره ، ولا يعترف بفضل عليه لمن سواه ، فتبطل الآمال ، وتتعطل الأعمال ، وتموت الرغبات ، ولاتبقى الحياة ميدانا للتزاحم والتسابق ؛ لأن كل امرىء فيها آمن على نفسه وماله ورزقه ، متمتع فيها بحظه ، لا تفاوت بينه وبين غيره ، وليس هناك ما يدعوه إلى نشدان الكمال ، أو التطلع إلى منزلة لم يبلغها ، وهو يرنو ببصره إليها ، وبهذا يصبح كل واحد فى الناس كأنه فرد برأسه ، لم يخلق أحد سواه ، لأنه وإن كان مجتمعا فيما ترى العين ، يعيش بين أفراد

(٣) سورة الأعراف ٥٨ .
(٤) سورة الإسراء ٢١ .
(٥) سورة المائدة ٤٨ .
(٦) سورة هود ١١٨ ، ١١٩ .

من روائع الماضى

من جنسه ، ويروح ويغدو معهم ، لكنه منقطع عنهم بآماله ورغباته ، معتزل حياتهم ، متجنب معترك النشاط والسعى والعمل .

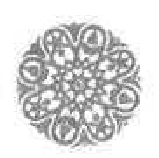
لهذا كان من مقتضى الحكمة ، أن يكون الناس فى سائر أحوالهم متفاوتين غير متساوين ، وأن يحسن هذا من الأعمال والصنائع ما لا يحسنه ذاك ، وأن يمنح هذا من المواهب والقوى ما لا يمنحه ذاك ، ليظل كل منهم معلقاً بمن سواه مشاركا له فى القيام ببعض أعبائه ، متعاوناً معه فى عمارة الأرض ، وتحقيق الخلافة فيها ، مقبلا على ذلك برغبة فيه وميل إليه ، وطمع فيما وراءه : وقد يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(٧) وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾(٨) .

وقوله ﷺ : « كل ميسر لما خلق له » . فإننا لنرى كل ذى صنعة متمسكا بها ، حريصاً عليها ، وإن كابد فيها المتاعب ، ولابس المشاق ، ونرى كل صنف من الناس راضياً بنوعه ، فلا الذكر يتمنى أن يكون أنثى ولا الأنثى تتمنى أن تكون ذكراً . وكل امرىء حريص على أن يصل إلى أحسن الحالات فيما يُسِّر له ، وفُطر عليه .

وقد أشار النبى - ﷺ - إلى المصلحة المترتبة على تفاوت الناس ، واختلاف هممهم ومطالبهم وقواهم وتباين طبقاتهم بقوله فيما يروى عنه : « لايزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تتساووا هلكوا » .

هذا المعنى الواضح البين من شأنه أن يفتح عيون الناس على حقيقة يجب التسليم بها ، والرضوخ لحكمها ، هى أن كل نظام يبنى على ما يخالف تلك السنة ، ويحاول الناس فيه التسوية بين الأفراد ، وقسمة الحظوظ بينهم على سواء ، هو نظام فاسد عليل ، لا يمكن أن يبقى ولو أيدته القوة ، وطنطنت به الدعاوى والخطب والكتب .

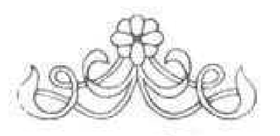
فليعلم ذلك أحلاس « الشيوعية » ومروجو فتنتها ، والمرجفون على الناس بها ، وليسمعوا قول الله عز وجل فى كتابه الكريم : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٩)



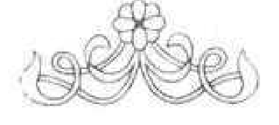
(٧) سورة المؤمنون ٥٣ .
(٨) سورة الإسراء ٨٤ .
(٩) سورة المائدة ٤٨ .

اللغة والأدب والنقد

ملاحظات حول مقال
النقد الأدبي من وجهة إسلامية



قراءة في كتاب
تاريخ الإسلام في أفريقيا



يانع الثمرات

النقـــد الأدبي

من وجهة إسلامية



للأستاذ سيد سيد عبد الرازق

في مقاله المنشور بمجلة الأزهر عدد ذى القعدة الجزء الحادى عشر ، السنة الثانية والستون بعنوان « النقد الادبى من وجهة إسلامية » يحاول الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ان يبلور حركة النقد الادبى الإسلامى قديماً وحديثاً من خلال الرصد التاريخى لهذه الظاهرة منذ بداية عهد الدعوة الإسلامية ، حيث ذكر الباحث أن « بذور النقد الإسلامى تلمس بوضوح في كتاب الله عز وجل » ثم ذكر بعض النماذج النقدية للرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين ، ثم تطرق إلى النقد في العصور الإسلامية ، الأموى والعباسى والأندلسى ، ثم العصر الحديث الذى تحدث فيه عن الرافعى واحمد أمين . □

وعلى الرغم من الجهد المشكور الذى قام به الدكتور البيومى إلا أننا نستطيع أن نبدى بعض الملاحظات والتى نأمل أن تستقطب نظر المهتمين بقضية الأدب الإسلامى ، وتسهم في فتح باب الحوار حول نظرية النقد الأدبى الإسلامى التى لا تزال في مهدها الأول على الرغم من الجهد العملاق الذى بذله الأدباء الإسلاميون في سبيل إرسائهم لـ « هذه النظرية وأسسها الفلسفية ، ومنهجها الجمالى » .

وأول ما يلاحظ أن الدكتور البيومى قد جعل عنوان مقالته : « النقد الأدبى من وجهة إسلامية » .

وهنا يتساءل المرء : هل ثمة وجهة نظر أخرى يؤمن بها الباحث ؟ وهل الأمر مجرد وجهة نظر تحمل طابعاً فردياً ؟ أم هى نظرية نقدية متكاملة ترتكز على رؤية شمولية للكون والعالم ؟ ومن ثم يصبح وصفها بوجهة نظر نوعاً من التحجيم والتقليل من شأن النظرية التى تحتاج إلى مزيد من التطبيق العملى لتثبيت أركانها .

وفى ثنايا المقال تتبدى جمل وعبارات تشير إلى

أن الدكتور البيومى يحصر ميدان النقد الإسلامى فى (الالتزام بمعناه الأخلاقى) وهذا جانب واحد من جوانب الالتزام فى المنظور الإسلامى كما يرى الدكتور محمد إقبال عروى . والبحث عن الجذور التاريخية لنظرية « النقد الأدبى الإسلامى » عمل جاد ومخلص ومفيد ، إلا أنه ليس مقصوداً لذاته بقدر ما هو مقصود من أجل دعم وتركيز النظرية فى واقعها المعاصر ، ومن أجل بيان تميزها وشمولها ، ومن ثم فإن أول ما ينتظر من نتائج البحث عن هذه الجذور هو الإجابة عن بعض التساؤلات التى تثار بين الحين والحين فى وجه النظرية من مثل التساؤلات الآتية :

مامفهوم النقد الإسلامى ؟ وما خصوصيته ؟ وإلى أى مدى استطاع العصر الإسلامى الأول دفع نظرية النقد إلى الأمام ؟ وهل تغير مفهوم النقد فى صدر الإسلام عنه فى العصر الجاهلى ؟

وإذا كان هناك نوع من التغيير ، فهل يعقل أن يكون على مستوى الجانب النقدى فقط . أما على المستوى الإبداعى فيحدث العكس ؟

ثم ماذا عن الحركة النقدية فى العصرين ، الأموى والعباسى ؟ وإلى أى مدى استطاع النقد العربى أن يتحقق بالرؤية الإسلامية ؟ وما الدوافع التى أدت بالنقاد - على الرغم من مكانتهم الدينية والعلمية - إلى عدم التحقق الكامل لهذه الرؤية ؟!!

وفى اعتقاد المرء إن الإجابة عن هذه التساؤلات وأمثالها ، لا تتأتى إلا من خلال العرض الشمولى للتراث النقدى فى ضوء الرؤية الإسلامية ، مع عدم إغفال الظرف التاريخى - للظاهرة المعالجة - وما يحيط به من عوامل مؤثرة سواء أكانت هذه العوامل عقائدية (تصورية) أم سياسية أم اجتماعية أم بيئية أم نفسية .

وهذا ما لم يشر إليه مقال الدكتور البيومى لا من قريب ولا من بعيد ، وما كان له أن يتصدى لهذا العمل الكبير فى مثل هذه العجالة إلا أننا كنا نتمنى أن يتصدى لأية جزئية بقدر ما تتيح له الفرصة .

ثم ما العلاقة التى تربط بين حركة النقد الإسلامى والحركة المضادة ؟ تلك الحركة التى فصلت بين الدين والشعر فى العصر العباسى ، وهل ظل أعضاء هذه الحركة المضادة (للإسلامية) على طول الطريق ؟ أعنى هل خلا موقفهم النقدى من الجانب الأخلاقى ؟

والإجابة عن هذه التساؤلات يعرفها - بلا شك - الأديب الكبير الدكتور البيومى إلا أنه لم يتوقف لحظة ليتحدث عنها فيستفيد بذلك الناقد المسلم ، ونأمل أن يتوفر أستاذنا البيومى على هذه المهمة فى الغد القريب .

ويبدو أن الدكتور البيومى يؤيد القاضى الجرجانى فيما ذهب إليه من أن « سوء الاعتقاد إن وجد لا يخل بمعدن الشاعر الفنى » !! ولست فى حاجة إلى كثير من التطويل لأبين خطأ هذه المقولة ، إذ أن جدلية العلاقة بين الشكل والمضمون لا تخفى - وهنا أطلب من أستاذنا الدكتور البيومى أن يعيد النظر فى هذه المسألة على ضوء النماذج الشعرية ، وبخاصة تلك التى ذكرها لكل من المتنبى والسمسير ، مع مقارنتها بأشعار أخرى لهذين ، لنرى إلى أى مدى يؤثر فراغ المضمون فى انعدام الجمالية الشكلية .

وإذا ما جئنا إلى النقد الإسلامى المعاصر ، وجدنا أن الدكتور البيومى قد اكتفى ببعض الرواد كالأستاذ الرافعى أو الدكتور أحمد أمين ، وهذا فيه تجاهل لجهود عملاقة فى خدمة (نظرية الأدب الإسلامى) - تستحق أن يشاد بها ، ويرفع من شأنها ، إذ أن هذا التجاهل للمنظرين

النقد الأدبى من وجهة إسلامية

هو بعينه تجاهل للنظرية من وجه آخر .

وعلى الرغم من إسلامية الرافعى وأحمد أمين إلا أن الدعوة إلى أدب إسلامى لم تكن حينئذ قد ارتفعت ولم يكن لديهم الوعى الكامل بهذا المفهوم كما هو عند سيد قطب ومحمد قطب وعماد الدين خليل وعبدالرحمن رأفت الباشا ونجيب الكيلانى ومحمد إقبال وعبد الباسط بدر وغيرهم كثير ... وليس هذا مجال الحديث عن الخطى الموفقة التى خطاها هؤلاء بنظرية النقد الأدبى الإسلامى إلى الأمام .

وفى النهاية نشير إلى بعض الأفكار والعبارات التى وردت فى مقال الدكتور البيومى وهى لاتتفق من وجهة النظر الخاصة ـ مع الرؤية الإسلامية :

١ ـ يجمع فى النظرة النقدية بين عبدالملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وهناك فرق واضح بين المرتكزات النقدية التى يستند إليها كل منهما وإذا كنا نجد أن عبدالملك كان يستند أحيانا إلى المرتكز الأخلاقى فهذا لايمنع من وجود مرتكزات أخرى ـ عنده ـ تضاد الرؤية الإسلامية مما نتج عنه استحسانه لأشعار ربما بدت غير مقبولة من وجهة النقد الإسلامى ، بخلاف عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ الذى كان يستند فى حركته الحياتية بكل جوانبها إلى الإسلام وبالتالى كان منظوره النقدى إسلاميا صافيا .

٢ ـ ورد فى حديثه عن عبدالقاهر الجرجانى ودفاعه عن المتنبى مايلى : « وعبدالقاهر مع الذين لايحكمون على الشاعر من زاوية الدين » فهنا تبدو العبارة غير معقولة فى موضعها !! فهل للناقد المسلم وجهة أخرى ينظر إلى النص من خلالها ؟ كما أن كلمة (زاوية الدين) فيها ما فيها من التضاد مع شمولية الإسلامية ومنهجه المتكامل فى تنظيم ووضع الأسس والمعايير للتجربة البشرية فى كافة أبعادها التى منها بالضرورة البعد الأدبى .

٣ ـ كما وردت هذه العبارة « فقد جاء من النقاد من ارتفع بأمثال بشار وأبى نواس وغيرهما من العابثين إلى أرفع مستوى شعرى ، ولو كان الخطب خطب الشعراء لذكرنا قوله ـ تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

ترى هل الناقد في منظور الإسلام هو الملتزم فقط أما الشاعر فهو غير مطالب بالالتزام ؟ وهل كان القرآن الكريم وهو يتحدث عن الشعراء يبرر لهم الموقف العابث ؟ أم هو تحذير وزجر ورفض للسقوط ؟(*)

● قرأت كلمة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ، وكذلك قرأت هذه الكلمة .. وأمام أحاديث أثارها مثيروها بشعار «الأدب الإسلامى » سمعتها فى أكثر من جامعة بعضها عربى ، والبعض باكستانى أثارها ثمة عرب أيضا ، وددت أن نعرف تحديدا دقيقا لمفهوم الأدب الإسلامى ... تعريفا يتوافر له ماللتعريف من حدود ، ولانزيغ عن ذلك بدعوى أن العبارة الأدبية لاتخضع لهذا المنطق .. ذلك أننا حين نقول : أدب إسلامى .. فسوف ندرسه .. وندرس بالتالى خصائصه .. أى أننا فى النهاية سندرس (علم هذا الأدب) فلابد من تحديده تحديدا دقيقا حتى نكون أرفع قيمة من مجرد إثارة قضايا يختلف بشأنها الناس . إن تحديد مفهوم «الأدب الإسلامى » يعنى :

أننا ـ أولا ينبغى أن نفصل بينه وبين الأدب الأخلاقى الذى يدعو إلى التزام الصدق .. والوفاء .. وماإليهما من ضروب الأخلاق الممتازة . ذلك أن هذه الأخلاق ، وإن كانت من الإسلام ، فإنها فى الإسلام وفى غيره من شتى العقائد الدينية وبعض الفلسفات أيضا . والشعر الذى يتضمها ، ومثله النثر ليس بالضرورة يحمل طابع الإسلام الذاتى

وثانيا ـ ينبغى أن يتوفر لهذا الأدب خصائص الإسلام الذاتية التى لايشاركه فيها غيره من عقائد أو فلسفات : فيحمل حينئذ الشعار الذى لايختلف إزاءه اثنان والأدب الذى يتضمن هذه الخصائص الذاتية ، ويحمل لواء إذاعتها عبر أثره الشعرى والنثرى بشتى ألوانهما هو الأدب الإسلامى .. فهل .... الأمر كذلك ... ؟! ... الخطيب



من القرن ٤ - ١٠هـ / ١٠ / ١٦م

اثارت القارة الأفريقية اهتمام الباحثين على اختلاف تخصصاتهم فتصدوا لدراسة تختلف جوانب الحياة فيها من سياسية واقتصادية إلى اجتماعية وجغرافية فلغوية وادبية وتاريخية إلا ان نصيب الباحثين المسلمين فى هذه الإسهامات كان ضئيلاً للغاية بحيث تركوا الساحة تكاد تكون خالية ، او هى خالية فعلاً امام باحثى الغرب . مع أن صلة افريقيا بالعالم الإسلامى اعمق واقدم بكثير من صلتها بالغرب ، ونتج عن هذا أن اصبحت شعوبنا العربية والإسلامية لا تعلم شيئا عن ظروف واحوال تلك البقاع مع انها تشكل فى غالبيتها جزءا من العالم الإسلامى .

والدراسة التى نقدمها تلقى بعض الضوء على تلك البقاع وتقلل إلى حد ما من عمق تلك الهوة الثقافية السحيقة التي تفصل بين المسلمين فى مجتمعهم المعاصر ، والدراسة تحمل عنوان « تاريخ الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء من

تأليف .. الدكتور
دريد عبد القادر نورى

عرض وتقديم :
أحمد السيد تقى الدين

القرن ٤ - ١٠ هـ/١٠ - ١٦ م للدكتور دريد عبد القادر نورى وتتألف من مقدمة وستة فصول وخاتمة منتظمة فى (٣٤٤) صفحة طبع الموصل بدون تاريخ نشر .

فى المقدمة عرض المؤلف خطة بحثه وتقسيماته والهدف من الدراسة الذى حدده فى سد النقص الذى تعانى منه المكتبة العربية بفراغها من هذا النوع من الدراسات .

ويتناول الفصل الأول « أفريقيا جنوب الصحراء قبل دخول الإسلام » ، وذلك فى الجوانب الجغرافية واللغوية والسكانية والعادات والتقاليد والمعتقدات .

فبلاد السودان الكبرى بلاد متسعة الأرجاء يحدها من الغرب المحيط الأطلسى ومن الشرق البحر الأحمر ومن الشمال الصحراء الكبرى

قـراءة فـى كتـاب

ومن الجنوب الغابات الاستوائية الممطرة وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام : السودان الشرقى ، والسودان الأوسط ، والسودان الغربى . أما الساحل الافريقى الشرقى والذى أطلق عليه الجغرافيون العرب اسم « أرض الزنج » فيحده من الشمال الصحراء ومن الجنوب « نهر روفما » ومن الشرق المحيط الهندى ومن الغرب البحيرات الكبرى ، ويسكن تلك البلاد السودان والزنوج ولا يعرف عنهم قبل إسلامهم إلا القليل وهم يتكلمون عدة لغات منها : السودانية ، والبانتو ، والسواحيلية والهوسا . وقد أخذت معتقداتهم قبل الإسلام أشكالاً مختلفة ، فهناك جماعة ليس لهم شريعة يراجعونها بل يسيرون وفق رسوم رسمها ملوكهم ، فى حين أكدت جماعة أخرى على قوة الطبيعة وعبدت الأسلاف ، بينما اعتنقت جماعات غيرها المجوسية والوثنية . وكان السحر والشعوذة القاسم المشترك بين معتقدات هذه الجماعات كما سادها التشويش وعدم الوضوح .

ولهؤلاء عادات قبل الإسلام غلب عليها طابع البداوة منها العرى والعرافة ، وتعظيم شيوخ قبائلهم تعظيماً كبيراً حتى اعتبرهم البعض أربابا من دون الله يطلبون منهم البركة والخصب.

● افريقيا والوطن العربى :

وفى الفصل الثانى يتحدث الكاتب عن « أهمية افريقيا وصلاتها القديمة بالوطن العربى » وفى هذا الفصل يؤكد أن العرب قد عرفوا تلك المنطقة منذ وقت مبكر وخاصة الرحالة منهم والذين سجلوا من مشاهداتهم فى أسفارهم الشىء الكثير ومن أبرز هؤلاء الرحالة « ابن خرداذبة » و« الاصطخرى » و« أبو زيد السيرافى » و« أبو عبيد البكرى » و« ابن فضل الله العمرى » و« ابن بطوطة » .. وغيرهم .

وقد شهدت أفريقيا جنوب الصحراء اتصالا وثيقاً بالوطن العربى قبل الإسلام حيث دلت الآثار على وجود صلات قديمة بين اليمن والساحل الافريقى الشرقى ، كما أكدت المصادر الإغريقية والرومانية على عمق هذه الصلات ، كما كانت هناك اتصالات أخرى مع دول الخليج العربى والعراق ، وكانت التجارة هى المحور الأساسى الذى قامت عليه تلك الاتصالات ، أما الصلات القديمة بين شمال أفريقيا وجنوبها فتبدو واضحة خاصة مع مصر فقد أشارت الدراسات الأثرية إلى أن المصريين كانت تربطهم علاقات مع السودان الغربى .

وفى الفصل الثالث يبحث المؤلف « انتشار الإسلام فى افريقيا جنوب الصحراء » حيث عرض الخلفية التاريخية لدخول الإسلام فى السودان الغربى والسودان الأوسط السودان الشرقى ، ثم الحبشة والقرن الأفريقى .

ففى السودان الغربى كانت « دولة غانة » هى أول دولة عرفت الإسلام بشكل رسمى ودعت إليه ، ثم أعقبتها « دولة مالى » الإسلامية التى ضمت تحت نفوذها « دولة غانة » التى أصبحت تضم مدينة غانة فقط بعد تدهورها ولما ضعفت « دولة مالى » كانت قبائل « صنغاى » التى تشبعت بالإسلام قد قويت وعمد حكامها إلى توسيع دولتهم تحت راية الجهاد من أجل نشر الإسلام ، وما كان منهم إلا أن مدوا نفوذهم نحو الغرب فضموا إليهم دولة مالى المنهارة من أجل تشكيل امبراطورية إسلامية قوية كى تتمكن من مقاومة القبائل الوثنية فى الجنوب .

ويرجع الفضل فى عملية انتشار الإسلام واستقراره فى الصحراء إلى المرابطين . أما فى

الحبشة والساحل الافريقى الشرقى فكان الإسلام قد انتشر بشكل سلمى وبالمحبة والتداخل مع السكان الأصليين عن طريق الهجرة والتجارة ، وقد تغلغل الإسلام فى الساحل الشرقى كله امتدادا من « باجون » فى ساحل « باندر » حتى « موزمبيق » و« جزر القمر » .

● اربعة معابر :

ويشير المؤلف إلى أربعة معابر سلكها الإسلام إلى أفريقيا وهى : التجار الدعاة ، والعلماء ، والأربطة وحركات الفتح .

وفى الفصل الرابع يناقش المؤلف « الكيانات السياسية الإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء » مؤكداً على أن ظهور هذه الكيانات لأول مرة فى تاريخ المنطقة جاء نتيجة طبيعية لظهور الإسلام فيها ، واتخذت بعد قيامها مظهرا إسلاميا واضح المعالم يتمثل فى : خروج المسلمين لأداء فريضة الحج ، واتصالهم بالقوى الإسلامية واتخاذهم اللغة العربية وسيلة للأداء والتعبير الرسمى وكذلك تبنيهم سياسة الجهاد ومن أهم هذه الكيانات :

كيانات السودان الغربى : دولة غانة - امبراطورية مالى - امبراطورية صنغاى .

كيانات السودان الأوسط : امبراطورية البرنو ، امبراطورية كانم .

كيانات السودان الشرقى والحبشة وساحل أفريقيا الشرقى العبدلات - دولة الفونج - مملكة شوا - مقديشو - كاوة .

● الحياة الاقتصادية :

يدور الفصل الخامس حول « الحياة الاقتصادية بما فيها من تجارة وزراعة وصناعة ورعى ، فبعد دخول الإسلام واستقراره فى أفريقيا جنوب الصحراء شهدت الجوانب الاقتصادية بوجه عام والتجارة بوجه خاص تطوراً وازدهارا كبيرا ، وقد أدى ازدهار التجارة إلى ظهور نوع من الترابط المتين بين الوطن العربى والإسلامى مع أقاليم بلاد السودان ، لأن التجارة كانت ومازالت من أهم الوسائل التى تعمل على تسهيل مهمة التبادل الحضارى والفكرى بين الأمم . وكانت التجارة تتم بالمبادلة وبطريقة « التجارة الصامتة » حيث يبدل الملح بالذهب .

فقد كان الذهب هو المنشط الأساسى للتجارة الإسلامية والعصب الذى حرك التطور العالمى فى العصر الوسيط نظراً لأن ذهب السودان كان المورد الأساسى الذى يغذى مصانع ضرب العملة ، ومن الصادرات الأخرى : التوابل وانياب الفيل وريش النعام ، والأخشاب والعطور والأفاوية .

أما أهم الواردات فكان الملح الذى يستخدم فى تجفيف الطعام والمحافظة عليه إضافة إلى الأقمشة والحلى والتمور .

أما الزراعة فقد كانت طبيعة أفريقيا مناسبة لزراعة أنواع عديدة من الحبوب نظراً لتوافر مصادر المياه العديدة ، سواء كان ذلك بوجود أنهار عديدة كالنيل والنيجر والسنغال ، أو وجود مصادر أخرى للمياه كتوافر العديد من الواحات والبحيرات فى السودان الأوسط مثل بحيرة تشاد الكبيرة ، مع توافر مياه الأمطار الغزيرة ، أما اهم المحاصيل الزراعية التى عرفت فى المنطقة فهى الذرة والأرز والقمح إضافة إلى زراعة القطن وأشجار جوز الهند والبرتقال والموز .. إلخ .

كذلك كانت الصناعة مزدهرة ، ومن أشهر هذه الصناعات صناعة النسيج والجلود والصابون والأخشاب والتعدين .

وفى مجال الرعى توافرت عوامل طبيعية مناسبة من أرض ومياه ونمت الأعشاب بكثرة واستمرت حياة الغابات الكثيفة مما قدر لأنواع مختلفة من الحيوانات العيش فى تلك المناطق ، وهكذا قدر لأفريقيا جنوب الصحراء أن تكون

قـراءة فى كتـاب

المورد الأساسى للعديد من أنواع الحيوانات إلى العالم .

وتناول فى الفصل السادس والأخير من الكتاب « النظم الإدارية » وتعنى : نظام الحكم والإدارة الداخلية والقضاء والجيش .

أما نظام الحكم فى أفريقيا جنوب الصحراء بعد الإسلام فقد كان بشكل عام ملكيا وراثيا ولكن بدا فيه نوع من أنواع الانتخاب ، وربما انتقل الحكم من فرع إلى آخر وربما انتقل الحكم إلى أحد كبار رجال الدولة ممن كان معروفا بالشجاعة والمقدرة وكان للملك فى بلاده وعلى شعبه مطلق الصلاحية ، ولم يحدد نفوذه وصلاحياته سوى القاضى المسلم أما مجالس السلطان مع شعبه فكانت بشكل عام عامرة بالحضور من مختلف الطبقات ، وإذا جلس السلطان جلس حوله العلماء والقضاة والطبقة العليا من رجالات الدولة ويحيط بهم السلاح والحراس من كل جانب .

أما إدارة البلاد فكانت من قبل موظفين لا يباشرون أعمالهم فى مكاتبهم ولكن فى حضرة الملك الذى كان يقضى معظم يومه فى إدارة بلاده والنظر فى المظالم والإشراف على الجيش ، ومن المناصب الإدارية وظيفة « النائب » وهو لقب يطلق على القائم مقام السلطان وعرف محليا فى دولة مالى باسم « قنجا » . ثم تأتى وظيفة الحاجب الذى كان وسيطا بين السلطان ورعيته . وهناك الوزير أيضاً .

أما القضاء فهو منصب إسلامى بحت ، ويتمتع القاضى باحترام كبير جداً من قبل المسلمين الزنوج ، وكثيراً ما كان السلطان يستشير القاضى ويطلب منه النصح والإرشاد ، وقد تمتع القاضى بصلاحيات خاصة لحفظ المؤسسات الدينية والتعليمية وفى تعيين الأئمة وإصدار الفتاوى وكثيرا ماكان يتولى بناء المساجد والمدارس أو توسيعها .

أما تعيين القضاة فكان يتم بشكل عام بأمر ومشورة السلطان الذى كانت بيده مطلق الصلاحيات وكانت له وحدة صلاحية النظر فى (القضايا الإجرامية) وخاصة ما يتصل منها بالأمن العام وقضايا المساس بالدولة ، أما القاضى فكان ينظر فى القضايا الشرعية وما يتصل بها .

فأما الجيش فقد كان الاهتمام به ضرورة من الضرورات التى أملتها طبيعة الحال فى المنطقة بعد انتشار الإسلام ، حيث برزت عملية الجهاد بين دول الإسلام والدول الوثنية ، وعليه فقد أصبح لهذه الكيانات جيش ثابت ومنظم يضاف إليه العساكر الاحتياطية ، وهم المتطوعون الذين كانوا يشتركون فى الحروب إلى جانب الجنود النظاميين لأسباب مصلحية أو عقائدية محببة فى الإسلام .

أما مكونات الجيش ففى « غانة » تألف معظمه من عناصر أساسية من قبيلة الملك « الساراكولة » ، وكان الملك هو القائد الأعلى للجيش . وفى « مالى » كان معظمه يتألف من شعب « الملالكة » ومن القبائل الحليفة . وانقسم الجيش فى معظم بلاد السودان والساحل إلى فرق عسكرية لكل فرقة قائد يرأسها . وهؤلاء القادة والأمراء إلى جانب الملك يشكلون القيادة العامة للجيش . وسلاح الجيش بشكل عام كان فى الفترة المتقدمة القسى والنشابة وكذلك الدبابيس وهناك فرقة الفرسان الذين يحملون فى أيديهم الحراب وعلى أكتافهم النشاب ، أما فرقة المشاة فأغلب أسلحتهم الحراب والسهام . وكانوا يعتمدون فى أساليبهم القتالية على الكر والفر ،

وقد حدثت تطورات فى أسلحة الجيش وتنظيماته فى العصور المتعاقبة .

وفى الخاتمة بين المؤلف فضل الإسلام على بلاد افريقيا جنوب الصحراء وسكانها ، إذ بفضله تعرفوا على وحدانية الله تعالى واقاموا كيانات سياسية مستقلة وامتلكوا ثقافة واضحة المعالم استمدوا أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامى .

تعقيب

أول ما يلفت النظر فى هذا الكتاب هو صغر حجمه حيث لم يتجاوز الـ « ٣٤٤ » صفحة مع ضخامة الموضوع الذى يتناول « تاريخ الإسلام فى افريقيا جنوب الصحراء » على مدى ستة قرون كاملة ومن استقراء فصول الكتاب لم نستطع أن نتلمس « منهج البحث » الذى حدده المؤلف لنفسه ، وفى بعض المواطن يشعر القارىء أن المؤلف عمد إلى تركيب المعلومات التى جمعها من مختلف المصادر والمراجع وأوصل بعضها ببعض دون التعليق عليها وكنا نود أن نلمح رأيه فيها .

وأيضاً باستقراء فصول الكتاب يتضح أن كل فصل كان يصلح لأن يكون موضوع دراسة مستقلة بذاتها تماما فالفصل الأول جاء تحت عنوان « أفريقيا جنوب الصحراء قبل دخول الإسلام » والثانى « أهمية أفريقيا وصلاتها القديمة بالوطن العربى » والثالث « انتشار الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء » والرابع « الكيانات السياسية والإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء » والخامس « الحياة الاقتصادية فى أفريقيا جنوب الصحراء » والسادس « النظم الإدارية فى أفريقيا جنوب الصحراء » .

وقد نتج عن ذلك أن الكتاب ذو موضوعات دسمة لم تستوف مضمونها تماما ، فمثلاً فى الفصل الثالث أشار إشارة سريعة إلى المعابر التى سلكها الإسلام إلى أفريقيا ، وكانت وحدها تصلح لأن تكون موضوع بحث هام .

والكتاب ـ وهو يحمل هذا العنوان « تاريخ الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء » له إيحاءات تختلف عما نجده فى هذا الكتاب ، ولو أنه جعل العنوان « تاريخ الإسلام فى بلاد السودان » وتناول أقسام السودان الثلاثة التى ذكرها ، وتاريخ الإسلام فيها لكان أقرب إلى واقع الأمر منه فى هذه التسمية .

وحديثه باسم الإسلام يدفعنا إلى توجيه النظر إلى أخذه وتقريره ـ دون قصد ـ للدعاية التى يبثها الغرب ضد الإسلام باسم العرب حيث سلم سيادة المؤلف بأن أهم السلع التى نشطت تجارتها بعد الإسلام كانت الذهب والعبيد ، وفى هذه العبارة إيحاء كامل بما يريده الغرب من تصوير العرب بأنهم تجار العبيد .

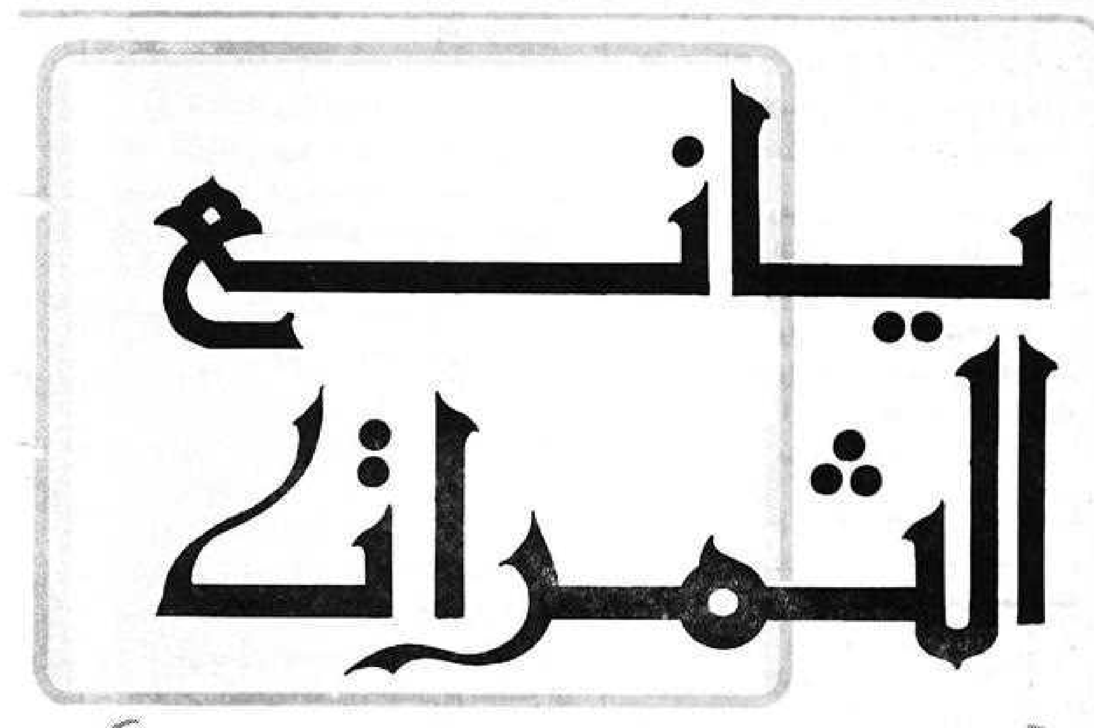
وكان يجب على المؤلف أن يدرس هذه القضية ، ويبين بوضوح :

كيف لحقت هذه الصفة ببعض السكان من أفريقيا فصاروا « عبيداً » ؟ ومن الذى تاجر فيهم .. ؟

وقبل هذا وذاك كان ينبغى ـ وهو المسلم ـ أن يقرر فى وضوح أن الرق الشرعى ، هو الذى يتحقق وجوده فى « الأسرى » من حرب شرعية .. فأين كانت هذه الحرب التى أوقدها العرب ..؟!!

لسنا ندرى : كيف سلم المؤلف ببساطة بهذه القضية .. وما عذره فيها .. ؟

على أننا ـ فى النهاية ـ نشكر للباحث جمع هذه المادة وبيان مصادرها وخاصة المكاتبات والمراسلات والوثائق التى حواها الكتاب .



في الكتاب العزيز قوله تعالى :
﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ العنكبوت / ٢٠ .
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج / ٤٦ .
﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ آل عمران / ١٣٧ .

الأستاذ : عادل خفاجة

في الآيات الثلاث ، وهي من كلام ربنا ـ جل وعز ـ لا يأتيها باطل ، ولا يرتقى إليها شك ـ حديث يتناول أموراً محدودة ؛ هي أن :
السير في الأرض سبيل لمعرفة بدء الخلق ونشأة الكون ، وتلك معرفة تؤكد قدرته ـ تعالى ـ على البعث بعد الموت .
السير في الأرض ينبغي أن يكون مصحوباً بالعقول الباحثة والقلوب الواعية وأداتى ذلك من سمع وبصر فيتم للباحث إدراك الحقائق على أصولها ، وينتهى إلى الفصل الدقيق بشأنها .. أي ينتهى إلى الحق الذى لا يرتقى إليه شك ولا جدال إلا من أعمى البصيرة المعاند للحق المكابر في التصديق به .

والسير في الأرض كما يقف بنا حيث اكتشاف مافيها من (خَلْق) هو كذلك يَشْرُق علينا بسنن الله فيها ، أي بقواعد العدل التى لا تتخلف حيث ترتفع بالمؤمنين إلى أعلى عليين ، وتطيح بالجاحدين إلى أسفل سافلين .

جذبنى إلى هذه الآيات الكريمة قراءتي لها

وإلمامي ببعض التفسير فيها إلى جانب ما قرأته بكتاب « أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق »[1] .

لقد يحلو للبعض أن يفاخر بأمجاد القدماء ، ويقف ليعدد ما أقاموه من حضارة ، خاصة ـ وقد رأى بعينيه الكثير من الشرق والغرب يأتون إلى مصر ـ مثلاً ـ فيقفون مبهورين أمام هذه البنايات الحجرية كيف بنيت بهذه الضخامة على ماعليها من هندسة معمارية في ذلك العصر السالف !!

وإن كان السؤال الذي يجب أن يكون ماثلاً أمامنا ـ وقد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام ـ هو : لماذا بادت تلك الحضارات ولم يبق منها سوى تلك المومياوات ، وهذه الأحجار ؟

وهل يمكننا أن نبني حضارة مماثلة تفوق مجد هذا السلف ولكن ترفرف عليها راية التوحيد ؟

نقول : نعم . ولكن بحقها . فنعم ـ هذه ـ تستوجب منا أن نمارس عمل ما أمر به الله سبحانه وتعالى من سير في الأرض وتدبر لأحوال الأمم السابقة كما بينت الآيات السابقة :

فالأمر بالسير ، والتدبر ، إنما هو لنعلم ماهية تلك (الرَّحَى) التي طحنت هؤلاء الجبابرة على ماكانوا عليه من قوة ، ولنعلم ـ أيضاً ـ السبل التي أدت بهم إلى هذا المصير لخير نتبعه وشر نتجنبه « فاكتشاف سنن السقوط والنهوض من لوازم البناء الحضاري ، وإن شئت فقل : من لوازم الشهادة على الناس والتأهيل لقيادتهم ، والقدرة على اختيار وتمثل الموقع الوسط »[2] .

قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة / ١٤٣ .

قصص القرآن هو القصص الحق ، يحدث به المولى ـ عز وجل ـ الخليقة إلى يوم الدين .. بل إلى ما شاء الله رب العالمين ، وحسبنا أن الله ـ سبحانه ـ هو الذي يقص ، فما غاب عنه الخلق لحظة ـ سبحانه ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وهو ـ أيضاً ـ بكل شيء عليم ، يقول ـ عز من قائل :

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ الأعراف / ٧

في قصص القرآن الكريم نماذج العصاة على ما كانوا عليه :

جحوداً لواجب العبودية لله ـ تعالى ـ إلى استكبار في الأرض يعمي عن الهدى واستبصار بدهيات النتائج لهذا الطغيان .. إلى الرذيلة الآثمة التي سنها قوم لوط ، وخلفها عليهم شر الخلق .. إلى سرقة الناس كيلاً وبخسهم الميزان وقطع الطريق من فعل آل مدين .. ضروب من المعاصي قست لها القلوب ، وعميت بها الضمائر فقدمت أنفسها قربانا للنيران .

ونجا كل رسول بمن آمن معه ..

نجا نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب .. وغيرهم من صفوة الأنبياء المرسلين .

وهوى قارون وفرعون وهامان .. وغيرهم من أهل العظمة الكاذبة والطغيان المبين .

وظلت من بعدهم تلك الأبنية الضخمة تبسط آثارها في الأقصر وأسوان والأحقاف والحجر ، وتدمر .. وغيرها .. وغيرها لتشهد : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

سنة لم تخلق عبثا .. ولم تتخلف أبداً ، ترفع قوما وتردع آخرين .

ثم هي ـ إلى ذلك ـ تدفع الباحثين إلى التماس القوانين الكونية جميعاً للانتفاع بها ومعرفة طريق الحذر من مخالفتها ثم ـ هي بعد ذكرى للذاكرين .

---

(١) من تأليف د . أحمد محمد كنعان .

(٢) على حد قول الأستاذ . عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب أزمتنا الحضارية في ضوء « سنة الله في الخلق » .

أنباء وآراء

اغتيال الدكتور
رفعت المحجوب وحراسه

أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر :
ان ما حدث بالنسبة لاغتيال الأستاذ الدكتور / رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق وطاقم الحراسة الخاصة ، امر يؤسف له وانه اعتداء وإهدار لدم المسلمين دون مبرر ، ذلك أن دم المسلم حرام على المسلم كما اخبر بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية في قوله ـ ﷺ ـ (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

وقال : إن الذين اقترفوا ذلك الجرم وروعوا الآمنين واغتالوا المسلمين إنما ارتكبوا جُرماً عظيماً حرمه الله تعالى ويشجبه المجتمع وما الفت مصر مثل ذلك العدوان واضاف ان مصر فقدت بهذا الجرم الأليم البشع رجلاً قد خدم بلده وامته وابرياء كانوا في رفقته .

يرحمهم الله جميعاً ويعوض مصر وذويهم خيراً ويثيبهم على ماقدموا لأمتهم .

كتبت الشئون الفنية لمكتب الإمام الأكبر :

الامام الأكبر يستقبل وزير العدل المالديفي

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد وزير العدل لجمهورية المالديف .

وقد نقل السيد وزير العدل إلى فضيلة الإمام الأكبر تحيات السيد / مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف .

كذلك قدم السيد الوزير شكر حكومة المالديف على ما يقدمه الأزهر من خدمات جليلة في مجالي العلوم الدينية والثقافة الإسلامية .

الامام الأكبر يشارك في احتفالات النصر

شارك فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر في الاحتفالات التى اقيمت بمناسبة ذكرى انتصار العاشر من رمضان ـ السادس من اكتوبر . فقد حضر فضيلته مراسم الاحتفال الذى اقيم بالنصب التذكارى للجندى المجهول بمدينة نصر صباح يوم الخميس الموافق ٩٠/١٠/٤ .

ثم حضر بعد ذلك الجلسة التى عقدت بقاعة المؤتمرات بمدينة نصر قبل ظهر نفس اليوم والتى القى فيها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك خطابه بهذه المناسبة .

الامام الأكبر يستقبل السيد سفير جزر القمر

استقبل فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح الأربعاء الموافق ٩٠/٩/٢٦ السيد / إبراهيم عبد الله .. سفير جزر القمر بالقاهرة .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير ودار الحديث بعد ذلك حول أوضاع العالم الإسلامى والمسلمين في الوقت الراهن خاصة بعد أحداث الخليج الأخيرة .

الامام الأكبر يشارك في احتفالات ذكرى المولد النبوى الشريف



شارك فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر في احتفال وزارة الأوقاف بذكرى المولد النبوى الشريف الذى اقيم بساحة مسجد محمد على بالقلعة .

الحروف العربية والمساجد في الاتحاد السوفيتي

اعلن الشيخ / محمد صادق (مفتى المسلمين في آسيا الوسطى ورئيس الإدارة الدينية في الجمهوريات السوفيتية) أن المسلمين قد عادوا لتدوين لغاتهم القومية بالحروف العربية .

وقد اكد الشيخ / محمد صادق نجاح مسيرة التقريب التى حققت نتائج طيبة تتمثل في افتتاح العديد من المدارس العربية والإسلامية وأن جميع المساجد في الاتحاد السوفيتي تقوم بدورها في مجال الدعوة والتدريب .

والجدير بالذكر أنه قد عُقد مؤخرا في طشقند مؤتمر إسلامى عن الإمام الترمذى ، وقد مثل الازهر في هذا المؤتمر فضيلة الشيخ محمد حسام الدين وكيل الأزهر نائبا عن فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ، وقد قدم فضيلته للمؤتمر بحثا بعنوان المختار من كتاب (الشمائل المحمدية) للإمام الترمذى (تقديم وتصحيح وتعليق) .

مولد تنظيم إسلامى جديد في الجزائر

تم مؤخرا في الجزائر إعلان ميلاد حركة وطنية دينية تدعى (الحركة الإسلامية للشباب الجزائرى) تهدف إلى نشر الإسلام وحمايته ومحاربة الإلحاد وانحراف الاخلاق .

كما تسعى إلى حماية الثروة والحفاظ على مصادرها والدعوة إلى توظيف هذه الثروات بما يحقق المصلحة الإسلامية .

الاسلاميون يفوزون في انتخابات المدن الفلسطينية

ذكرت صحيفة (هـاآرتس) الإسرائيلية ان الإسلاميين حققوا باكبر عدد من الاصوات خلال الانتخابات التى جرت للجان الإسلامية في المدن المختلفة (عربا - يهودا) .

وقالت الصحيفة انه تم انتخاب اعضاء من الاسلاميين فقط للجان في كل من عكا والرملة واللد .

جمهورية تشاد تعلن اللغة العربية لغة رسمية في تشاد

اعلنت (منظمة الدعوة الإسلامية) ان واجب المسلمين في انحاء العالم تقديم مساعدات سريعة لإخوانهم المسلمين في تشاد ، هؤلاء الذين يواجهون ظروفا مأساوية ، وتشير - في هذا الصدد - إلى أن خبراء التعليم الذين اوفدتهم المنظمة إلى تشاد اوضحوا أن البلاد تحتاج إلى تدريب اربعة آلاف معلم لتنفيذ البرنامج الذى ترعاه الدولة بجعل اللغة العربية لغة رسمية في البلاد .

المسلمون في برلين الغربية

حسب محرر الأنباء :

ذكرت وكالة الانباء الإسلامية في خبر لها نقلته الإذاعة البريطانية صباح ٥ سبتمبر ١٩٩٠م ان عدد المسلمين الذين يعيشون في برلين الغربية بالمانيا الاتحادية حوالى ١٣٠ الف مسلم ، كما يوجد بها مسجد افتتح عام ١٩٢٦ إلى جانب ثلاثين زاوية لأداء الصلاة .

وذكرت الوكالة ان رابطة المسلمين الاتراك ببرلين الغربية اعلنت عن اعتزامها إقامة مسجد جديد على الطراز المعمارى الإسلامى قرب المنطقة التى كانت تُضم المقبرة التركية القديمة في برلين الغربية

الفهــرس

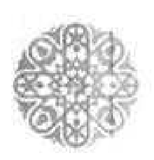
الموضوع — صفحة

One, is that darkness and injustice are both disseminating processes, that start by one point and proceed in proliferative sequence to spread and dominate to curtain light and to conceal justice. It builds for itself a facade of false strength and cruel transgression to devour false strength and cruel transgression to devour all that is right, all that is just, all that is true, and nothing prevails but the abysmal darkness of ignorance.

Another is the both injustice and darkness are frail and weak in constitution. The total darkness of the night cannot conceal a single candle light, because light in its constitution is supreme. Also, the total injustice of mankind cannot suppress even a single word of justice, because justice is the firm and continuous desire to render to everyone that which is his right, and that aim is supreme.

A third is that injustice and darkness are both natural phenomena which stir the opposition of mankind to overcome them. Finally, injustice will succumb to what is rightfully just, and darkness will succumb to the brightness of light. Mankind shall always oppose darkness by inventing light. Also, mankind shall always carry the torch of knowledge, culture, enlightenment, and uninhibited thought to reach the true dimensions and depths of justice; which in its most optimized form is the realization of Divine Truth. The fountain of all knowledge, and the root of all wisdom is Belief, the Eternal Truth, the Lantern of Human Thought, the Absolute Reality.

The path of Injustice is the dark ignorance of the mind; and the true enlightenment of human thought is through Belief. Justice is the implementation of truth; it is right thought directing command and prohibition, it is the supreme act of the normal mental function. It is the dissemination of rightful reality and truth. It exhort for itself reverence, obedience and holds for itself the grand position in human existence.





human enlightenment, obstruction of developmental processes are all acts of injustice. Those who deny to serve the processes of life are parasites, living upon it but fail to actively enhance its advances. A third aspect of self injustice is the contradiction of legal earnings to enjoy the sanctional legitimate lawful fruits of life as authorized by Divine teachings. Injustice is self deprivation of the beauties and delicacies of life; and it is also the excessive wanton demands and lust for such desires. These opposite extremes are mortal to the spiritual processes of human thought and understanding, and in this respect will lead to grave self-injustice.

Injustice to kinsmen is a very bitter and grievous act. It is the injustice inflicted by one upon his own kin, which becomes very difficult to rectify or amend. The bitterness is inherent in the fact that the injustice is from a blood relation. The injustice from husband, from wife, from parents, from children, from relatives to relatives. Blood relations have legitimate rights intrinsic and inclusive in the lifes of individuals. Injustice to kinsmen is a rapidly disseminating process that soon tears the matrix of familial cohesion, and severs the bonds of social structural integration. The ultimate end of such injustice is the total collapse of social enlightenment, and the decay into the dark trenches of ignorance.

The injustice inflicted by an individual upon another, is the hugest mass of the act of injustice. It is the category of injustice most commonly encountered in human societies. It originates from human ego, self indulgence, greed, carnality, corruption, animality, hedonism, and unchaste profligacy. The purposes of Divine Ordinances, legislatives jurisdictions, legal warrants and actions, are to establish systems of social structure that prevents and aborts any action of injustice. All these systems, aim to safeguard mankind from the injustice of mankind. All social codes of ethics, manners, traditions, culture; and religious doctrines are implemented to establish a paradigm of justice with human societies. The degree and extent to which the understanding of the concept of justice and its implementation in any human community, is the basic criteria and indication of its enlightenment, integral humanism and civilization.

The present Hadith "Injustice is abysmal darkness" portrays in distinct precision of linguistic syntax the detrimental qualities that are constantly associated with injustice. The Hadith indicates the broad unlimited dimensions of the similarity between injustice and abysmal darkness in superb eloquent rhetoric. Learned scholars have interpreted several aspects of analogy between "abysmal darkness" and "injustice".

plague from heaven for what they have repeatedly infringed " (Surat Al-Baqarah, II, 59). "Such were their houses in utter ruin, because they practiced injustice. Verily in this is a sign for people of knowledge" (Surat Al-Naml, XXVII, 52). "... A crier shall proclaim between them : "The curse of Allah is upon the injust" (Surat Al-Araf, VII, 44). "Allah will establish in strength those who believe, with the Word that stands firm in this world and in the Hereafter; but Allah will leave to stray those who do injustice ... " (Surat Ibrahim XIV, 27). "All faces will be humbled before Him, The Living, Self-Sustaining, Eternal. Hopeless indeed will be the man that carriers injustice" (Surat Taha, XX, III). These are few of the numerous verses in the Holy Quran which give evidence to the fact that the injust will suffer torment, affliction, tribulation, grievance, and deprivation.

The Muslim concept of "Injústice" is that it arrests the growth and promotion of life, stops its processes, destroys human activity, paralyzes the ingenuity of mankind that Allah has inherently placed in order that mankind bears the responsibility of the Divine purpose of creation. The progress of the human race throughout history had always been associated with justice; and the downfall and retreat of human societies had always been the result of injustice. Progress and injustice are incompatible and inconsistent, also decay and disintegration are incongruous and contradictory to justice. Injustice is analogous to the octopus with multiarm destructive effect. Subjection, cruelty, infringement, violation, inequity, selfishness, atrocity, corruption, malpractice, crime, transgression, sin and all acts that deny justice, are all considered few of the several features of the monstrosity of "Injustice". Learned scholars have classified injustice into three major categories. Self injustice, injustice to kinsmen, and injustice to others.

Self injustice is the deprivation of the self from the natural human rights in this life and in the hereafter. The premier of these is the attainment of Faith through realization of Divine Truth. Such achievement promises dignified confidence in life, and warrants a status of grace in the hereafter. Failure to accomplish such understanding solid belief in Divinity results in atheism which is the darkest identity of injustice, the abyss of obscure ignorance. Transgression on Divine ordinances is a condition of self injustice. Criminal offences are also actions of injustice against the self and against the human society. Another condition of self injustice is the retardation of life's progressive promotion. Deterring knowledge, prohibit

THE ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

"INJUSTICE IS ABYSMAL DARKNESS"

By: Abdel - Hakim Ahmad Taha.

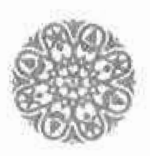
The word "injustice" and its lexicological derivatives are encountered two hundred and eighty nine times in the text of the Holy Quran. The numerous recurrence of that meaning in many different verses, signifies the optimal extreme importance that Islam attributes to the grave issue of "Injustice". The analytical approach to the basic interpretation of the meanings of the various verses, reveals that the word "Injustice" is most often associated with "atheism". Several such associations appear in different verses of the Holy Quran in which both words are intimately concurrently related. From among such verses, the following ones are quoted. "Those who reject faith and do injustice - Allah will not forgive them...." (Surat Al-Nisá, IV, 168). "Behold, Luqman said to his son by way of instruction : O my son ! join not in worship (others) with Allah; for false worship is indeed the highest injustice " (Surat Luqman, XXXI, 13). "Who doth greater injustice than one who invents falsehoods against Allah, as he is being invited to Islam. And Allah guides not those who do injustice " (Surat Al-Saff LXI, 7). "..... and those who reject Faith are the injust" (Surat Al-Baqarah, II, 254). Such recurrent association between "Injustice" and "Atheistic" rejection of faith indicates the extreme ugliness, repugnant vileness, and abhorrent despicableness in the act of "injustice". Injustice leads to ignorance, and ignorance is precursor to atheism. Again, injustice degenerates into destitution, subjugation, insecurity, social chaos and entropy; all of which are channels that result into human degradation, infamy and shameful disgrace.

In the text of the Holy Quran, all attributes of ignominy and vileness are constantly related to those who are unjust; whether pertaining to atheism, or as an act that contradicts justice. "But the injust changed the word from that which has been given them; so We sent upon the injust a

The days of the drought and plague portray the most intimate characteristics of the man who was at the head of the Muslim Ummah at those times of grievous precarious imperilment. His extreme concern for Muslims, his superhuman efforts for their safety - bringing himself the last to be saved. He hated to eat when others were hungry; he despised to be safe when others were imperiled. Omar was also fully concerned with the spiritual status of the Muslim Ummah; he believed that spiritual strength gave the patience and endurance to overcome difficulties and ascend above the acuteness of disasters.

The decision of Omar ibn Al-Khattab to return to Al-Madinah away from the plaque stricken area of Amwas in Syria, represents the ecumenic Muslim concept of Fatalism. The human mind created by Allah was a tool to think and conceive; the results of the processes of thought are utilized in whatever decision is taken. The rationality of decision is what it has behind it of knowledge and thought. Whatever the Muslim decides with the rationality of knowledge and thought is yet the inevitable Divine Will, the ultimate fate of which one has no knowledge of; it is the Divine Will.

During that year, as was his usual habit, Omar ibn Al-Khattab lead the Muslims during the Ḥajj Season. Back to Al-Madinah, Omar resided to spent his utmost efforts to administer the affairs of Muslims. The destiny of Omar as Ameer Al-Moomineen, and the future of the Muslim Ummah were still weaving themselves into a matrix that was beyond anticipation; a matrix that was scribed only in the Divine will, that was more potentially powerful than the decision of men.





The greater problem that remained in Omar's mind was how to save the people in the plague stricken district. He wrote to Abu Ubaydah ibn Al-Garrah to take the people to stay at heights where more air was certainly useful for their health. However, Abu Ubaydah died from the plague, and also Muaz ibn Jabal that succeeded him. Amre ibn Al-Aas addressed the people to go up to the heights of hills and mountains which would be better for their health. The plague lasted about forty days according to most chroniclers. However, most authors agreed that the plague of Amwas was due to the excessive number of of unburied dead bodies after the Muslim-Roman battles. Earlier authors attribute the cause of the plague as Allah's punishment to Muslims in Syria for the indulgence of some groups in the consumption of intoxicants. The plague spread to Al-Basrah, south of Iraq where several thousands of the best Muslim warriors met their death. Finally, the acute phase of the plague ended, and eventually, the epidemic totally subsided.

Omar was then faced with a new critical situation particularly in Syria. On the one hand, the Muslim warriors had suffered great losses who died as victims of the plague; this left the Syrian Crusade subject to recession if the Romans were to think of counterattacking Muslim presence in Syria. On the other hand, the economic situation, the fiscal hereditary rights were in confusing disorder. Such matters must be settled at once, before Muslims disputed each other over matters of fiscal rights. Omar ibn Al-Khattab decided to look into such matters personally. He appointed Ali ibn Abi Taleb to administer the affairs of Muslims at Al-Madinah, and left in company of some and made plans to visit every region in Syria. Omar investigated the conditions of Muslims, discussed and solved matters that intimately concerned their life. Omar arranged for housing projects for the inhabitants; and reorganized the battalions and contingents of Muslim warriors, naming their positions, armament and appointing commanders. Omar gave full attention to solve all matters related to fiscal hereditary rights, and brought it out according to Muslim law of Shariah to become the entitled rights of those who were alive. When Omar had settled with all such matter, he appointed Moawiyah ibn Abi - Sufyan as his chancellor in Syria. At the time of his departure, it was prayer time, and the people requested that Bilal ibn Rabah would be asked to call the Adhan for prayers, and Omar requested from Bilal to do so, which he had ceased to do since the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Bilal called the Adhan, and the people remembered with great sentiment the days that elapsed, but never forgotten, the days of the Great Prophet summoning humanity to the new Faith.

Omar ibn Al-Khattab was the man ot action, the man who fully concerned himself with what concerned the people. The community of the Peninsula who survived the mortification of the drought, emerged into a solid unity and devotion to the person of Omar ibn Al-Khattab. It is at times of affliction and distress that the quality of man proves its worth.

The drought had hardly ended when the news of the plague in Syria and Palestine reached the Peninsula to deliver a thundering blow to its inhabitants who were still recuperating from the effects of the drought. The plague had spread from Amwas in Palestine to reach Syria. The dissemination was rapid, and the numbers of deceased became greater day after day. The total number of deaths was estimated to be twenty five thousands. The plague affected civilians as well as Muslim warriors, nobilities as well as common people. Men like Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, Muaz ibn Jabal, Yazied ibn Abi Sufyan, Al - Harith ibn Hisham, Suhayl ibn Amre, Utbah ibn Suhayl, and many others were victims of the plague.

Omar ibn Al-Khattab had decided to travel to Syria to supervise the arrangement of its administration. He actually left Al-Madinah with some companions to reach a place near Tabuk called Sargh. He was met by his army commanders from Syria who informed him that the plague was virulent to an extent that contradicted Omar and his companions to proceed further north into Palestinian territories. Omar became gravely disappointed as he was informed the details of the plague. Omar gathered a large group of those present at the time to discuss with them the immediate and long term measures to be taken to counteract the spread of the plague by a tight system of isolation and quarantine of the inflicted areas. Omar also asked their opinion whether he were to proceed into Syria with his companions or to return to Al-Madinah. The opinion regarding that issue was controversial, some were in favour of Omar proceeding to his purpose, to face his fate, destiny, the inevitable Divine Will. Others were of the opinion that Omar and those with him were to return to Al-Madinah in detour diverting from facing the detriment of the virulent plague. Omar finally declared his decision to travel back to Al-Madinah saying " We divert from one inevitable Divine Will to another inevitable Divine Will. Finally, Abd-Al-Rahman ibn Awf settled the dispute of that issue, and said that he had heard the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) say "When plague strikes, do not enter the region, and do not depart from it". Omar was satisfied with that Hadith, and proceeded with his companions towards Al-Madinah.

statement "How can I care for the community, unless I concern myself with that which concerns them". Omar ibn Al-Khattab and every member of his family shared the plight and predicament which the Muslims suffered. They cared, tendered helped, and prepared food for those desperate impoverished famished groups who flocked from the barren desert into Al-Madinah. Omar ibn Al-Khattab was the last to taste food, the remnants if anything was left behind, the crumbs and morsels.

Omar ibn Al-Khattab experienced great distress and agony. His health deteriorated he was under extreme stress. He resorted to prayer that Allah may lift the agony and destitution of Muslims. Omar wrote to the commissars in the various lands asking for supplies to save the Muslims of the Arab Peninsula. Omar felt the graveness of the responsibility. He was at the head of the State, he was primarily responsible to plan, scheme, arrange, organize, and find means to save the Muslims of the Peninsula from an impending imminent death through starvation and famine.

The supplies were received with great relief from Syria, Palestine, Iraq;. and Omar ibn Al-Khattab recruited squadrons of people to feed the people, house them, care for them, and look after their comfort. Omar ibn Al-Khattab and his family personally joined in these efforts through the days and nights. Couriers took supplies to distant places in the Peninsula where isolated groups of people where located. These messengers spent great efforts in making sure that everybody received food, clothes and shelter.

For nine whole months, the drought and famine continued, and inspite of the supernatural efforts made by Omar ibn Al-Khattab, his family and the people under his appointment, the death toll increased. People suffered the agony of hunger and starvation. Every evening, Omar prayed and supplicated to Allah to relieve their plight and despair. He wept as he humbly pleaded appealing to Allah to lift the burden of the depressive misery and torment. He entreated people to supplicate and stretch their arms high above in earnest desire and need for Divine Mercy and Transcendent Grace.

Finally, at long last after nine bitter months, the rains came, and the green carpet of the grazing lands soon appeared. Omar ordered the nomad tribes to return to their dwellings, and resume their normal lives. Omar ordered that no Zakah revenue was to be collected during that year. That very exhausting wearisome experience proved by all optimal measures that

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE DROUGHT AND THE PLAGUE

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD, Ph.D.

The Muslim community in the Arab Peninsula were enjoying an era of prosperity and affluence. Muslim warriors in Iraq, Syria, and Palestine were victorious; the Islamic theism was proliferating progressively amongst the inhabitants of these lands. The purpose of the Muslim Crusades into these countries, to Summon and proclaim the teachings of Islam, have been achieved. The richness of these lands introduced into the Arab Peninsula more wealth than had ever been imagined. The whole region flourished through commercial interactions, economical prosperity, political stability, and theological unity. The implementation of a regime that was founded on absolute social justice and human rights, according to the doctrinal teachings of Islam, developed into pattern of life that resulted into intimate cohesion of the social matrix, with a very solid religious infrastructure.

The inevitable hand of destined fate, determined by Divine Will, struck the area with two great disasters that had detrimental impact on man and his total environment including animal and plant life. For two consecutive annums, the seventeenth, and eighteenth years of Hijrah; these two disasters took place following each other. The Drought came first to hit the Arab Peninsula throughout all its regions from the extreme south to the farthest north. For nine complete months, no rains came, total drought, no living matters plant or animal could survive. As the wind blew, dust storms added to the deplorable adversity of the catastrophe. Plants dried, cattle died, mankind resisted to suffer the torments of severe hunger, and the agony of defeat and death. The nomad tribes flocked into urban areas especially Al-Madinah, where food became more increasingly scarce if at all found.

Omar ibn Al Khattab amidst all this shared the plight, the hunger, the deprivation as any member of the community. Omar repeated his famous



AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART IV
Rabie Al-Akher 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

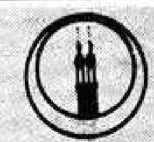
"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الأولى ١٤١١ هـ

نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٠

الجزء الخامس

السنة الثالثة والستون



بسم الله الرحمن الرحيم

ألا من وحدة لهذه الأمة تدفع أشجانها؟

ليس من عربى على شىء من ثقافة لا يعرف امرأ القيس رائد الشعر العربى عصر الجاهلية، وإمام فنونه، النابع لآياته النابغة فى ادائه، لكن قليلا منهم من يعرف، حِكْمَةَ، عَمِّهِ حين وقعت ازمة امرىء القيس التى اطاحت بوالده، واعقبتها صيحة امرىء القيس: اليوم خمر وغدا امر.

ونشط امرؤ القيس للثأر لأبيه، ونفخ العصبية واوقد للحمية فإذا لديه من العرب جمع غرة حشدهم ورأى فيه عزة ونصراً اسلماه لزهو خطير، وركنا به إلى خيال جامح يؤكد له ان معه قوة لا يدركها وهن، وجيشا - على وحدة - لا يفتتها هوى، وهو - به وبهم - بالغ أمره، ومدرك ثاره.

ألا من وحدة لهذه الأمة تدفع أشجانها ؟

أما عمه ، فكان ببصيرته يقول : هيهات !!

كان العم حكيما يريد أن يقتصد فى « المصيبة » وأن يكتفى منها بما أحلت من بلاء ، وكان مقتنعا أن جمع ابن أخيه هباء ، وأن سلاحه خواء ، ودفعه واجبه أن ينصح لابن أخيه ليرده إلى « واقع » يستدرك به « الإنقاذ » وإلى « حكمة » يستثمر بها ما ملكت يداه ، وإلى « أناة » تفسح للحيلة أسباب النجاح ، فقال ـ لامرىء القيس :

« ياابن أخى ، نحن ـ العُرْبَ ـ كالأُسْدِ ، نجتمع فرادى ، ونعيش فرادى » .

وهل سمعنا بأسَدٍ ـ حتى أسَدِ كليلة ودمنة ـ جمعها شأن فتشاورت فى أمر » .

حسبك أن تراها تلمح فريسة حتى يقفز إليها ـ غير عابىء بالآخرين ـ أسرعهم إليها ، وأقواهم عليها ليلتهمها ولا شأن له بالجائعين .

ولم يعبأ امرؤ القيس بالنصيحة ، وغامر هذا الضليل حتى قذفت به الهزيمة من قبيلة إلى عشيرة ، وأحيط بالخوف فسار يلتمس الجوار حتى وقع بين يدى من أجاره طمعا فى نسائه ، وهتك العرض من زوجته ، فانطلق إلى « قيصر » يلتمس النجاة ... وعند قيصر ارتدى ـ من هداياه ـ حلة ، ما إن لبسها حتى تساقط لحمه ، وذهب غير مأسوف عليه يحمل لواءه إلى النار .

●●●

لكن ذلك كان فى « الجاهلية » حيث لم يكن ـ بعد ـ « إسلام » حيث كان الشتات ، والجدب والضياع .

يوم كان « الأجداد الأولون » يعبدون « هُبل » ويذبحون « للات » ويسجدون « للعزى » ويخشون « مناة » وتصتك أليات نسائهم حول الأوثان !!

يوم أكل بعضهم بعضا ، وقتلوا الأبناء ، ووأدوا البنات يوم أنفوا من « العمل » وأقبلوا على « النهب » الأثيم وولغوا فى « الدم » واستباحوا العرض الحرام .

يوم عاشوا سنداً لأثيوبيا فى اليمن ، ولفارس فى الحيرة ، وللروم فى بيروت !!

يوم كانوا شرطة لهؤلاء وهؤلاء ضد بنى جلدتهم من عرب الصحراء .

يوم ... ؟

بل أيام .. !

أيام التعاسة المرهقة ، والقبائل المتحاربة ، والعشائر المتنافرة والبطون الضائعة .

أيام البغايا السافرات ، و« الحزورة » تكيل الخمر إلى جانب البيت الحرام !!

....

أيام لا إسلام

●●●

وجاء « الإسلام » فتدفق السلام ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وأضاء الإيمان ربوعها ووهادها ، وطهرت من آثامها ، وذهب الزنيم واللئيم وكل افاك أثيم .. ، وكر الدين على الفرقة فأبادها وعلى « التَّبَدِّى » فأنهاه ، فأوى « البطن » إلى « العشيرة » والتأمت « العشيرة » فى « القبيلة » والتحمت « القبيلة » بـ « أمة الإسلام » خير أمة أخرجت للناس ، فعز العرب بعزة الإسلام ، وفى دورة من ربع قرن سادوا عالمهم حتى صاروا مثله المرموقة فى كل مكان !!!

كانت « وحدة » وطيدة الأركان ، فذة ، قد انفردت فى عالمها بعزة الحق ، وكرامة العدل ، وحب الخلق .

فما يمنع منها ، وثمارها ليست أحلاما ، وسبلها ليست مستحيلة ولبناتها أوطان متجاورة وشعوب تحبها عن إيمان .

وتنشدها :

وحدة للنماء والانتماء لا شتاتا يذهب بالخصب ويأتى بالإباق .

وحدة تذهب بالعبوس والقنوط وتقضى على هذه الخطوب .

وحدة شديدة على الأعداء رحيمة بالأمشاج .

أبعد إله واحد ، ودين واحد ، وقبلة واحدة ، وشعيرة واحدة يكون هذا الشتات .؟!

لِمَ هذا الشقاق والفراق .. ؟!

◆ ألا من وحدة لهذه الأمة تدفع أشجانها ؟

وهذا المروق وغصب الحقوق ، وأكل الجار ، وخبث الجوار ؟!

لِمَ ، ونحن الأمة التى شرفها الله بالذكر ، وجعل كتابه بلسانها وأى مجد بعد هذا .. ؟!

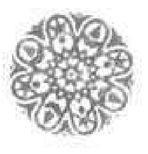
أنختلف ، وكتاب الله بين أيدينا ، وفيه قوله الكريم :

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف ٤٣ ، ٤٤ .

اللهم إنا نسألك لمصر :

العزة والسداد ، فكم تشوفت للوحدة وعانت من أجلها ولم تتخلف عن ركب يريد الحق ويبغى السلام .

د. على أحمد الخطيب



مع الإمام الأكبر

فتويان للإمام الأكبر

عصير الشعير
مالـه ومـا عليـه

◆◆◆◆

متى تستبعد حضانة الأم؟

حديث صحفى لجريدة البيان

لقاء فضيلة الإمام ووزير الدولة
للشئون الإسلامية فى سيرلانكا

فتويان للإمام الأكبر

(أ)

عصير الشعير

ماله وما عليه

بعث السيد / ح . م . الجمعة إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر بالتالى :

نرجو التكرم - أفادكم الله - بالإفادة عن :
شرعية استيراد وبيع شراب عصير الشعير .
وهل هو حلال أم حرام ؟
علما بانه يباع باسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة ويسمى هناك بيره بدون كحول .

الجواب :

إن الخمر التى حرمها الله فى القرآن الكريم بينتها السنة المطهرة فى أحاديث كثيرة منها :

١ - روى فى صحيحى البخارى ومسلم من حديث عمر رضى الله عنه أنه قال : « نزل تحريم الخمر وهى خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ماخامر العقل » متفق عليه .
٢ - عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ : « إن من الحنطة خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا ومن الشعير خمرا وأنا أنهى عن كل مسكر » رواه أبو داود وغيره .
٣ - عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » رواه الخمسة .

٤ ـ روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطنى وصححه عن ابن عمر .

٥ ـ رواه أبو داود عن شهر بن حوشب عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر » ، « والمفتر » كل شراب يسبب الفتور فى الجسم والخمول فى الأعضاء .

يقال فتر عن العمل فتورا من باب قعد ، انكسرت حدته ولان بعد شدته ومنه فتر الحر ـ إذا انكسر ـ فترة وفتورا وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ ﴾[1] أى على انقطاع بينهم ودروس أعلام دينهم ، وهذا المعنى ملحوظ فى تحريم المطعوم أو المشروب المفتر كالمخدرات بمختلف صنوفها طبيعية أو مخلقة ، فالمسكر والمفتر يباعد بين الإنسان وطبيعة خلقه الذى صنعه الله .

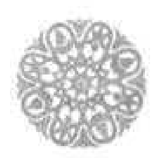
وعلى ضوء هذه الأحاديث التربوية والآثار النبوية يتقرر :

أولاً : إن كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، أسكر أو لم يسكر ، وسواء اتخذ من عنب أو تمر أو زبيب أو قمح أو شعير أو تين أو أرز أو ذرة أو عسل أو لبن أو غيرها مما يسكر ، ولا عبرة بالتسمية فقد أخبر الرسول ﷺ فيما رواه أبو مالك الأشعرى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها » رواه الإمام أحمد وأبو داود .

ثانياً : عصير الشعير المسئول عنه ، إذا ثبت بعد تحليله خلوه من المواد المسكرة وأنه غير مسكر قليله وكثيره وعدم تأثير كثيره فى هذا سواء ، فإنه لا يدخل فى دائرة الخمر المحرمة ، أما إذا ثبت بالتحليل أنه يحتوى على مادة الكحول الموجودة فى الخمر المحرمة فى القرآن والسنة ، فإنه يكون من الأشربة المسكرة والتى يحرم تناول قليلها وكثيرها لثبوت وجود علة التحريم وهى الإسكار وهذا لعموم قوله عليه الصلاة والسلام : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام » ، وما حرم تعاطيه حرم التعامل فيه بيعا وشراء ورهنا واستبدالاً ومن ثم لا يجوز استيراده ولا بيعه ولا أكل ثمنه لقول النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن الخمر : « إن الذى حرم شربها حرم بيعها وأكل ثمنها » .

وهذا إذا كان الحال كما جاء بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم .



(١) سورة المائدة (١٩)



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر سؤال من المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ متضمنا انه لظروف قهرية فارق زوجه بطلاق بائن ، وأن له منها طفلاً يبلغ من العمر عاماً واحداً ، وان من اسباب الطلاق شروع زوجته فى الانتحار عدة مرات بشرب جرعات كبيرة من الأدوية ، او بإلقاء نفسها من شرفة المسكن قصداً إلى الانتحار ، وانها ادمنت الدخان « السجاير » ، وتخرج من المنزل دون إذن وفى منتصف الليل وأثناء غيبته عن المنزل ، وتتلفظ بالفاظ قبيحة وسيئة وقد اقرت بحدوث كل ذلك منها كتابة وشهد بذلك والدها واخواتها . وأودع مع سؤاله اوراقا طبية ومحررات اخرى استدل بها على ماقال ، واضاف ان هناك اموراً كثيرة يتوقف عن ذكرها باعتبارها اما لطفله وكانت زوجاً له .

فهل يحق لهذه المطلقة بحالتها هذه حضانة طفلهما شرعا ؟

والجواب

إن الحضانة مأخوذة من الحضن وهو الجنب .

يقال : حضن الصبى يحضنه حضنا وحضانة ، أى جعله فى حضنه وضمه إلى صدره .

وفى هذا معنى إمساك الولد وتربيته منذ أول وجوده مولودا ، وفى اصطلاح الفقهاء : الحضانة تربية الولد فى سن معينة ، ورعاية شئونه ممن له حق الحضانة شرعا من النساء أو الرجال .

هل الحضانة حق للصغير أم للحاضن ؟

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذا : فذهب الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية إلى أنها حق الحاضنة لاحتمال عدم قدرتها فلا تجبر عليها إلا إذا تعينت لذلك ، بأن لم يوجد غيرها أو لم يكن لوالد الصغير ولا للصغير ذاته مال ، ذلك رعاية لحقه .

وفى قول البعض الآخر من الحنفية أن الحضانة حق الصغير ، ومن ثم تجبر الأم على الحضانة حتى لا يضيع حق الولد ، وهو موافق لأحد أقوال فقهاء المالكية .

وفى « مواهب الجليل » للحطاب المالكى أن الحضانة حق للحاضن ـ وللمحضون وليست حقا خالصا

لأيهما ، ويرون أن حق الولد أقوى وهذا ما نميل للافتاء به ، فإذا أسقطت الحاضنة حقها تعرض الصغير للضرر ولحاجته إلى من يعنى به ويحافظ عليه ويقوم على شئونه فتجبر إذا تعينت .

● حق الحاضنة :

الأصل أن تكون الحضانة للنساء منذ ولادة الطفل ، لتميزهن بالشفقة والحنو والصبر على رعاية الطفل فى سنى عمره الأولى .

والأم أحق النساء بحضانة ولدها مالم يقم بها مانع ، ثم قرابتها من النساء مقدمون على الأب وقرابته فى ترتيب هذا الحق .

ويشترط فى الحاضنة أن تكون حرة عاقلة قادرة على تدبير مصالح المحضون والمحافظة عليه ، خالية مما يعجزها أو يصيب الولد بأذى ، كالمرض المعدى أو المنفر أو الشيخوخة ، والا تكون مشغولة بما يمنعها عن تمام الرعاية والعناية بالطفل بأن كانت كثيرة الخروج من المنزل سواء بسبب مشروع أو غير مشروع ، وأن تكون أمينة مأمونة عليه فى خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ ، والا تكون متزوجة بغير محرم له .

● مدة الحضانة :

لم يشر القرآن ولا السنة النبوية لأمد تنتهى فيه الحضانة ، ومن ثم اختلفت كلمة الفقهاء .

فيرى الحنفية أن حضانة النساء للطفل منذ ولادته وحتى بلوغه السابعة من العمر على القول المفتى به ، وفى قول فى المذهب حتى التاسعة .

ويرى الفقه المالكى أن الصبى يبقى مع الأم أو من يحل محلها من النساء حتى يبلغ الحلم ، وعندئذ يذهب حيث يشاء ، أما الأنثى فتبقى مع الأم حتى تتزوج ويدخل بها الزوج ..

وعند الشافعية أن الولد ذكرا كان أم انثى يبقى فى حضانة النساء حتى يبلغ سن التمييز ، وهى السابعة وعندها يخير بين أبويه أو بين من يحل محل كل منهما أو أحدهما .. وعند الحنابلة أن حضانة النساء تنتهى ببلوغ الغلام السابعة وبعدها يخير بين أبويه وهو صحيح المذهب ، وحتى تبلغ الأنثى التاسعة من العمر على المشهور فى هذا المذهب ـ وبعدها يكون الأب أحق بها من غير تخيير لها .

● من يحل محل الأم :

إذا فقدت الأم أو قام بها مانع من الحضانة كانت حضانة الطفل لأمها متى توافرت فيها الشروط .

وفى واقعة السؤال : إذا كانت والدة الطفل على هذه الحال التى وصفت بالسؤال وتشعر بها الأوراق المرفقة من اضطرابها نفسيا بإقدامها على الشروع فى الانتحار ، بتعاطى جرعات دوائية مميتة وبمحاولتها القفز إلى الشارع من شرفة المنزل وقد أدمنت « الدخان » السجاير ، وكثر خروجها من المنزل ليلاً ونهاراً كانت بهذا غير أهل لحضانة طفل لايزال فى عامه الثانى ، خشية الإضرار به ، أو وقوع الضرر عليه ، والحضانة صيانة ورعاية وحفظ لا إهمال وإضرار . وإذا كان غالب حال هذه المطلقة كما وصفت أصبحت غير أمينة وغير مأمونة على هذا الطفل من حيث العناية بأموره وما أكثرها فى هذه السن وكان تعرضه للضرر أمراً غالبا ، ومن قواعد الإسلام دفع الضرر ومنعه كما ورد فى المأثور عن الرسول ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » .

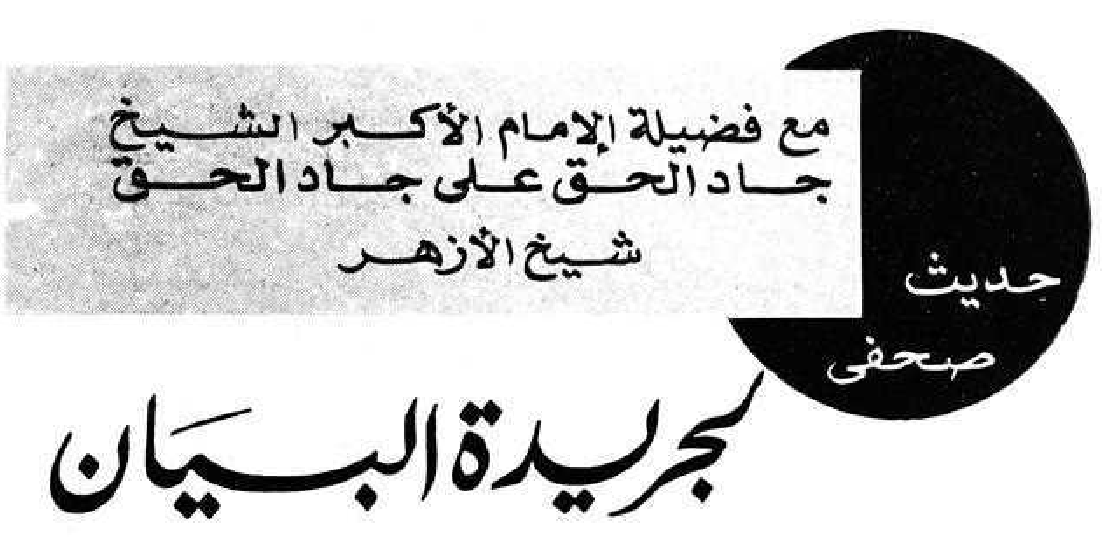
ولا تؤول حضانة هذا الطفل وهو لايزال فى سن حضانة النساء ـ إلى أبيه السائل إلا إذا امتنعت النساء التاليات لهذه الأم عن حضانته ، أو قام بهن مانع مقبول شرعا أو قعدن عن المطالبة .

وهذا إذا كان الحال كما جاء بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

« جاد الحق على جاد الحق »



التى تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة

أجرى الحديث
فضيلة الشيخ مهدى عبد الحميد

السؤال الأول :

ماتقييم فضيلتكم لمقررات مؤتمر علماء الإسلام الذى شاركتم فيه مؤخرا ونظمته رابطة العالم الإسلامى ؟

جـ١ :ـ لقد كان هذا المؤتمر فى موقع المسئولية من أحداث أمته بالدراسة الموضوعية والمقررات والتوصيات الواضحة المستمدة من مصادر الإسلام التشريعية .. فقد أدان هذا المؤتمر العدوان العراقى على الكويت باعتباره اعتداء على حرمات المسلمين فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

السؤال الثانى :

ما رأى فضيلتكم فى استمرار العراق وإصراره على احتلال الكويت تحت دعوى حقوقه التاريخية فيها ، وأنها تمثل جزءا من أراضى العراق ؟

جـ٢ : إن تلبيس العدوان بدعوى الحقوق التاريخية أمر ينقضه الواقع التاريخى وقد كتب فى ذلك الكثيرون من المؤرخين المعاصرين ، وقالوا : إن العراق بوصفه الحالى ككيان سياسى نشأ بعد الكويت ..

وذلك أمر يؤيد صدقه ، أن الدول القائمة فى المنطقة بحدود سياسية كلها كانت داخلة فى نطاق الدولة الإسلامية الكبرى التى قامت منذ عصر الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ ومن جاء من بعدهم من الدولة الأموية والعباسية بأمرائها المتعاقبين .. ثم الخلافة العثمانية التركية .. ومن ثم .. فلم تكن الكويت من تبعيات العراق فى أى وقت من الأوقات كما يُدعى الآن تبريرا للعدوان .. على أنه ينبغى أن يراعى منطق العصر ، واحترام الكيانات السياسية المعترف بها دوليا . فلاتكون الوحدة أو الاندماج إلا عن تراض .. كالصورة المعاصرة التى تمت بها الوحدة الألمانية ، إذ بالرغم من أن ألمانيا قد انقسمت بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين معترف بهما دوليا ، وكل منهما تشترك فى حلف عسكرى قوى ، لكن كلا منهما قد احترمت الوضع السياسى للأخرى إلى أن توافرت ضمانات الوحدة الرضائية بينهما فتمت .. وكان هذا أولى به المسلمون المتجاورون .. نزولا على أحكام الإسلام التى أرست حقوق الجوار ، وفرضت الأمن والأمان بين الجيران .. فحرم الإسلام ترويع المسلم حتى بمجرد الإشارة بالسلاح .. كما حرم اغتصاب أرضه وعرضه وماله .. فما وقع على الكويت من عدوان هو جرم كبير فى ميزان الإسلام .

السؤال الثالث :ـ

ماوجهة نظر الإسلام فيما يدعيه الرئيس صدام حسين من إعادة توزيع الثروات بين شعوب المنطقة ؟

جـ ٣ : إن الإسلام قد وضع نظام التكافل بين المسلمين كمبدأ عام فى مثل قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[(١)] وفرض تفصيلات جزئية تحتذى فى تطبيق هذا المبدأ وليس مما أقره الإسلام اغتصاب الثروات لتوزيعها .. فما وقع من العراق ضد الكويت إنما هو من باب الصيال واغتصاب الأموال بقوة السلاح ، ولم يشرع الإسلام هذا الطريق ، لأن العدوان معصية ، ولايتوسل بمعصية إلى إحسان .. وبمعنى آخر ، فإن الإسلام يبتغى الوسيلة الصالحة للعمل الصالح ، ولايقر المقولة الشائعة من أن الغاية تبرر الوسيلة ثم ماموقع قادة العراق من أصحاب الثروات حتى يستولوا عليها لتوزيعها بين الشعوب ؟؟

وهل فعلوا ذلك لشعب العراق ؟

السؤال الرابع :ـ

حاول الرئيس صدام حسين أن يثير الغبار بشأن استعانة المملكة العربية السعودية ودول الخليج بقوات أجنبية للمشاركة فى الدفاع عن أراضيها ضد اى عدوان .
فما وجهة نظر فضيلتكم بهذا الشأن ؟

جـ ٤ : هذا أمر بحثه مؤتمر علماء المسلمين فى مكة المكرمة ، وأصدر وثيقة مكة .. كما أصدر توصياته ، وتداول فى شرعية الاستعانة بغير المسلم ، وأجازها للضرورة أخذا بما وقع فعلا فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والضرورة قائمة فعلا بعد العدوان المباغت على الكويت ، والتهيؤ

(١) المائدة ٢ .

حديث صحفي مع فضيلة الامام الأكبر لجريدة البيان

لامتداد العدوان إلى المملكة العربية السعودية بحشد القوات على حدودها ، والتهديد العلنى الصريح الموجه للمملكة العربية السعودية ودول الخليج على مانشر فى الصحف .

وإذا كانت أحكام الشريعة تبيح لمن أصابته غصة أن يزيلها بجرعة من الخمر عند عدم وجود الحلال من الشراب ترد عليه نفسه حفظا لحياته .. فعلى مثالها يكون الدفاع عن النفس ، وتكون الاستعانة فى ذلك بأية قوة تدفع المغير المعتدى حفاظا على النفس والمال والعرض مادامت لاتوجد قوة مسلمة تقف فى وجه العدوان وتردعه .. والاستعانة فى هذه الحال موقوتة بضرورتها .. ومن هذه الضرورة إزالة العدوان على الكويت .

السؤال الخامس :ـ

ما الدور الذى ينبغى أن تقوم به شعوب وحكام الدول العربية والإسلامية تجاه تحرير الكويت من غزو العراق ؟

جـ ٥ : إن ماحدث من عدوان العراق على الكويت ، واغتصاب أرضه وعرضه وماله أمر منكور فى الإسلام ، ويدخل تحت حكم الصيال ، ووجوب دفع الصائل .. كما يمتد إليه حكم البغى ، ووجوب قتال البغاة المنوه عنه فى القرآن الكريم .. بقول الله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .(٢) .

وهذا الأمر بالقتال موجه إلى الكافة من المسلمين ، لكن المعنى به ـ ولاسيما فى عصرنا ـ هم من يملكون قوة القتال الدافعة وهم الحكام والحكومات ، وهذا لايمنع تطوع الأفراد من الشعوب الإسلامية فى صفوف المقاتلين لدفع البغى والعدوان .

السؤال السادس :ـ

تقييم فضيلتكم لموقف المجتمع الدولى من الغزو العراقى للكويت فى ضوء مقررات الامم المتحدة ومجلس الأمن الدولى الصادرة بهذا الشان ؟

جـ ٦ : لم يسبق ـ فيما أذكر ـ أن توافق رأى المجتمع الدولى فى الجملة على رأى واحد تجاه حدث من الأحداث التى وقعت فى العالم : كاجتماعه على مواجهة العدوان الذى قام به العراق ضد الكويت .. حيث اتخذ مجلس الأمن عدة قرارات ضد العراق ، حملا لها على الامتثال لرأى المجتمع الدولى فى الجلاء عن الكويت ، والتمكين من عودة الحكومة الشرعية إلى الكويت .. وهذا موقف جدير بالتقدير لاسيما وقد سبق هذا مواقف من مؤتمر وزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامى عشية العدوان ، ومجلس جامعة الدول العربية كذلك ، وغير هذا من المنظمات الإقليمية كمنظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة دول عدم الانحياز . وكل ماصدر عن هذه المنظمات يرفض هذا العدوان ، والإصرار على إزالة ، وعودة الشرعية للكويت يمثل رأيا عاما للمجتمع الدولى جديرا بالاحترام .

---

(٢) الحجرات ٩ .

لقاء فضيلة الإمام الأكبر

والحاج عبد الحميد محمد أزور

وزير الدولة للشئون الإسلامية

فى سرى لانكا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، الحاج عبد الحميد محمد ازور وزير الدولة للشئون الإسلامية والثقافية فى دولة « سرى لانكا » ـ وذلك بمكتب فضيلته صباح اليوم الاثنين ١٠ ربيع الآخر ١٤١١ هـ الموافق ٢٩ اكتوبر ١٩٩٠ .

وقد بدأ اللقاء بالترحيب والشكر ..

ثم اعرب السيد الوزير عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر ، واشار إلى ان الصلة وثيقة بين « الأزهر » و« سرى لانكا » ، حيث انه يوجد كثير من العلماء الذين تخرجوا فى الأزهر من ابناء « سرى لانكا » ، كما ان الأزهر يرسل علماءه للعمل فى مجالات التدريس والدعوة الإسلامية فى البلاد .

وقال السيد الوزير : إنه يحمل تحيات السيد رئيس جمهورية « سرى لانكا » ، وابناء المسلمين لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر ، وانهم هناك يتمنون لقاء فضيلته ، وانهم سيرسلون دعوة رسمية لفضيلة الإمام لزيارة « سرى لانكا » لحضور الاحتفال بمرور مائة عام على إنشاء المدارس العربية الإسلامية التى اسسها عرابى باشا عام ١٨٩١ فى البلاد .

وفى استفسار من فضيلة الإمام الأكبر عن المستوى العلمى والدراسى فى « سرى لانكا » أجاب السيد الوزير أنه توجد مدارس « الغفورية » و« القاسمية » و« ندوة العلماء » وهى مراحل دراسية تبدأ من سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، ومدة الدراسة ثمانى سنوات ليتخرج منها الدارس فى مستوى الطالب الجامعى .

لقاء الإمام الأكبر مع الحاج عبدالحميد أزور

هذا وبعد أن أوضح السيد الوزير أن منصبه كوزير دولة للشئون الإسلامية والثقافية منصب جديد لرعاية النواحى الثقافية والدينية للمسلمين فى « سرى لانكا » ـ طلب سيادته مساعدة الأزهر فى المجالات الدراسية والدينية والعلمية للمدارس العربية والإسلامية هناك .

فقال فضيلة الإمام الأكبر بأنه يمكن إرسال تقرير واف عن هذه المدارس ومراحلها التعليمية ومناهجها الدراسية حتى يتسنى النصح وإبداء الرأى والنظر فى إمدادها بالمدرسين والكتب والمواد المساعدة فى النواحى الدراسية الأخرى .

● اوضاع المسلمين :

وحول أوضاع المسلمين فى « سرى لانكا » ونسبتهم وعددهم بالنسبة للسكان والمشاكل التى يواجهونها قال السيد الوزير : إن عدد مسلمى سرى لانكا يبلغ ١,٢ مليون نسمة ونسبتهم إلى عدد السكان ٨٪ من مجموع تعداد السكان ويسكنون فى تسع مناطق ، منها سبع مناطق يعيشون فيها دون مشاكل ولا قلاقل فى حين أن المنطقتين الباقيتين تقعان بين جماعات التاميل الذين يسمون أنفسهم بالنمور ، وهم دائماً يهددون المسلمين ويضطهدونهم بسبب عدم تأييدهم لجماعات التاميل ، الانفصالية ، ونحن ـ المسلمين ـ أخذنا على أنفسنا الا نؤيد الحركات الانفصالية ، ومن هنا يحدث الاضطهاد من جانب التاميل هذا وقد هرب آلاف من المسلمين وفروا من هذه الاضطهادات تاركين منازلهم ومساجدهم وزواياهم وقد اتخذتها جماعات التاميل معاقل لهم ومخازن لأسلحتهم .

وعن نشاطات المسلمين فى « سرى لانكا » وأماكن تجمعهم ، قال السيد الوزير : إن ثلث عدد المسلمين يسكن فى الإقليم الشرقى من الجزر ويشتغلون بالزراعة فى أراضيهم التى يمتلكونها ، أما الثلثان الباقيان فيعملون فى الحرف الأخرى وفى التدريس وفى التجارة وللمسلمين فى « كولومبو » مراكز تجارية كاملة منذ أيام دخول العرب والحضارمة والمغاربة للبلاد .

ثم قال السيد الوزير : إن الصلة بين مصر وسرى لانكا قوية منذ نفى الزعيم عرابى إلى البلاد واعتباره بطلاً واستقباله استقبال الأبطال ، وقد ساهم عرابى فى النهضة الثقافية والتعليمية للبلاد مساهمة كبيرة ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف الكبير ، وقال : إن الأزهر يسعده مد يد المساعدة للمسلمين فى كل مكان ولأبناء المسلمين فى سرى لانكا .

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

والله الموفق .

حضر اللقاء

أحمد عبد الخالق محمد

المترجم بمكتب شيخ الأزهر

من الإسلاميات

سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء

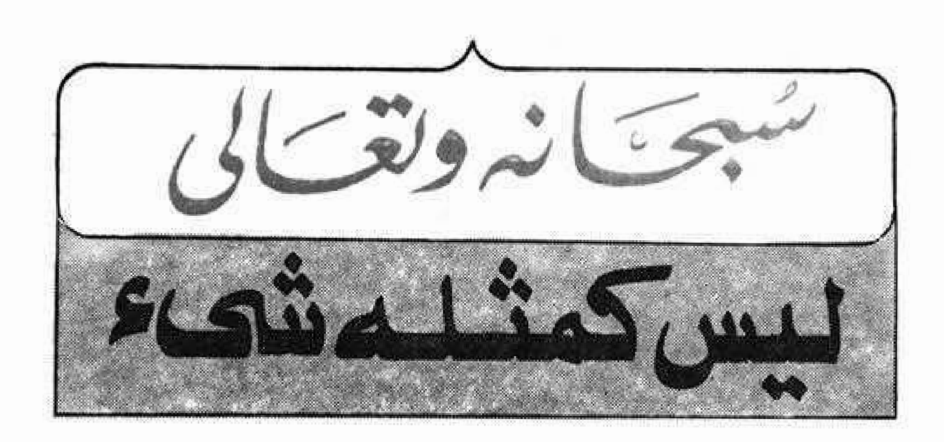
ندوة عالمية عن الإمام الشافعي
رضى الله عنه

جامعة القرويين في المغرب

الصحابي الجليل أبو هريرة

من رجال القضاء في الإسلام

الجديد القديم في عالمنا الشرقي



للدكتور محمود محمد رسلان

إذا كانت معرفة الله واجبة على البشر جميعاً ، فهى فى حق المسلم والمسلمة اوجب فمعرفة الله سبحانه امر ضرورى ، إذ بها يتحدد موقف المسلم من الخالق ـ سبحانه ـ سلبا او إيجابا : سلبا بان تكون لديه وسائل المعرفة فيهملها ، او يتجاهلها ، او لا يفهمها ، وايجابا باستخدام وسائل المعرفة المخولة لديه لمعرفة الخالق سبحانه ، ومن هذه الوسائل التفكير العقلى النابع من هدى الكتاب والسنة ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[1] .

ولقد فسر الإسلام مسألة العقيدة فى (الله) بما لا يدع مجالا للشك ، أو التردد ، ومما لا ريب فيه أن هذه المسألة من المسائل الصعبة التى تلاعبت بها أهواء أهل الملل ، فذهبوا فيها مذاهب شتى ، وحكموا الهوى فيها إلى مدى بعيد ، كأن الخالق مخلوق مثلهم تجرى عليه الأحكام التى تجرى عليهم ، أو هو ـ تعالى عما يقولون ـ مما يمكن تناوله بهذا العقل الكليل .

إن هذا الدين قد سدد على ذويه جميع السبل التى تؤدى إلى ذلك الفضول المزرى بكرامة العقول[2] ففى الكتاب العزيز يقول ـ عز وجل : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ طه : ١١٠ .

وهذا كقوله تعالى :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ البقرة : ٢٥٥ .

(١) طه : ١٢٣ .

(٢) محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح تحليل دقيق لمبادىء الدين الإسلامى ص ٣٢ .

ووجد رسول الله ﷺ يقول :

« إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وأن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » .

أي أن الملأ الأعلى وهم في عالم الروح ليطلبون العلم بالله كما نطلبه نحن ، وإن اختلفنا في وسائل التحصيل هذا الاختلاف الكبير ، فلا عجب أن أصبح القول بالعجز عن معرفة ذات الله ـ في غير ما حدثنا الله ـ تعالى ـ به عن ذاته ـ عقيدة إسلامية .

ونسب إلى الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ القول :

« كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم ، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم ، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم ، وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك ، والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك . ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك ، وأنت أنت الله الذى لم تتناه في العقول فتكون في مهب مكرها مكيفا ، ولا في روايات خواطرها فتكون محدودا مصرفا »[٣] .

إن عقيدة المسلم الراسخة عنده أن الله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الشورى : ١١ .

فالذى يعتقد في هذا الباب أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه ، وعلىّ صفاته ، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ، ولا يشبه به ، وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقى إذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق ، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض ، وهو تعالى منزه عن ذلك ، وكفى في هذا قول الحق : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

قال بعض العلماء المحققين :

التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات ، وزاد الواسطى رحمه الله بيانا فقال :

ليس كذاته ذات ، ولا كاسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته إلا من جهة موافقة اللفظ ، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة ، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم[٤] .

والمسلم يعلم علم اليقين وعين اليقين أن ذات الله سبحانه لا تشبه الذوات ، وصفاته لا تشبه الصفات .

وتأمل وتدبر الفرق بين الحياتين ، والصفتين فيما يلى :

«إن حياة الله تعالى ذاتية ، وحياة الإنسان من الله تعالى ، إن حياة الله تعالى أزلية ، وحياة الإنسان حادثة ، إن حياة الله تعالى لا تفارقه وحياة الإنسان تفارقه حين يموت .

إن حياة الله تعالى هى التى تفيض الحياة على كل حى ، وحياة الإنسان خاصة به ، وكذلك العلم والتدبير والإرادة ، والنظام كل ذلك ناقص في الإنسان ، والله تعالى منزه عن النقص ، وإليه ينتهى الكمال المطلق في ذاته وصفاته»[٥] .

حقا «ليس كمثله شيء» .

فمخالفة الذات الإلهية لغيرها من المحدثات ظاهرة ، والبداهة تقضى بأن مرتبة المخلوق دون مرتبة الخالق بكثير ، وأن الخالق كذلك لا يشبه شيئاً من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ، فإذا قيل : إن الله يسمع فليس سمعه كسمعنا ، أو

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) تفسير القرطبى : ٨٢٨/٧ سورة الشورى ط الشعب .

(٥) نقلا عن تفسير المنار جـ ٣٤/٢ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

سبحانه وتعالى : ليس كمثله شيء

يبصر ، فليس بصره كبصرنا ، فهو سبحانه غير مخلوقاته ، وشأن الألوهية اسمى مما تتصوره العقول القاصرة[6] .

يقول الشيخ محمد عبده :

«فالفكر فى ذات الخالق هو طلب للاكتناه من جهة ، وهو ممتنع على العقل البشرى لما علمت عن انقطاع النسبة بين الوجودَيْن ولاستحالة التركيب فى ذاته وتطاول إلى ما لا تبلغه القوة البشرية من جهة أخرى ، فهو عبث ومهلكة :

عبث لأنه سعى إلى ما لا يدرك ، ومهلكة لأنه يؤدى إلى الخبط فى الاعتقاد ، لأنه تحديد لما لا يجوز تحديده ، وحصر لما لا يصح حصره»[7] .

وهذه العقيدة لدى المسلمين هى التى أرغمت المفكرين - من أصحاب التثليث فى العالم الغربى على إعادة النظر فى عصرنا الحالى ، فكتب سبعة من كبار علماء اللاهوت فى انجلترا كتابهم (خرافة الإله المتجسد) كذلك كتب الدكتور ماريت ستانلى كودج عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية .

«ومما لاشك فيه أننا نحتاج فى محاولتنا لوصف الخالق ، ومعرفة صفاته إلى مصطلحات ومعان تختلف اختلافا بينا عن تلك التى نستخدمها عندما نصف عالم الماديات وبخاصة بعد أن تبين لنا أن هذا الكون الذى نعيش فيه لا يمكن أن يكون مادة صرفا ، وإنما هو مادة وروح ، أو مادة وغير مادة ولا نستطيع أن نصف الأشياء غير المادية بالأوصاف المادية وحدها»[8] .

فكيف - إذاً - يستطيع إنسان وصف الحى القيوم - سبحانه .

لقد ضلت أجيال قصر فهمها - حين تحدثت عن الخالق - جل وعلا - فحصرت أفكارها فيما تعرف وتعلم بقدر ما هى عليه من بشرية ، وبنفس الوسائل بحثت فى (الله) فكان الضلال المبين من عبادة للأوثان ، إلى حلول ، إلى جحود فإلحاد ، وما ذلك إلا من منطلق حدود العلم البشرى الذى لم يرتق به وحى السماء .

أما الإسلام فقد رد الأمر إلى نصابه ، وأتى بالقول الفصل فى حقيقة الله ، ودحض كل الشبهات والأباطيل التى رانت على العقول حول الاعتقاد فى الله .

فالإسلام يبرهن على أن للكون خالقا واحدا متصفا بجميع صفات الكمال ، ويدعو بأن نجله عن التشبيه والتجسيد ، وعن كل صفات المخلوقين وهذا ما نراه فى الآيات القرآنية التى وصفت الله بهذه الأوصاف من مثال قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام : ١٠٣ .

والرسول ﷺ امر بالتفكير فى مخلوقات الله ، ونهى عن التفكير فى ذات الله فقال : «تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله»[9] .

وقال أيضاً :

«تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله»[10] .

وهذا الذى قرره الإسلام من تنزيه لخالق الكون لم تصل إليه أرقى الفلسفات إلا بعد الإسلام بقرون كثيرة فنشوؤه فى جزيرة العرب فى ذلك العهد دليل على أن القرآن وحى إلهى[11] لا سبيل إلى رده .

---

(٦) عفيف طبارة : روح الدين الإسلامى ص ١٠٩ ط السادسة والعشرون ١٩٨٥ دار العلم للملايين بيروت .

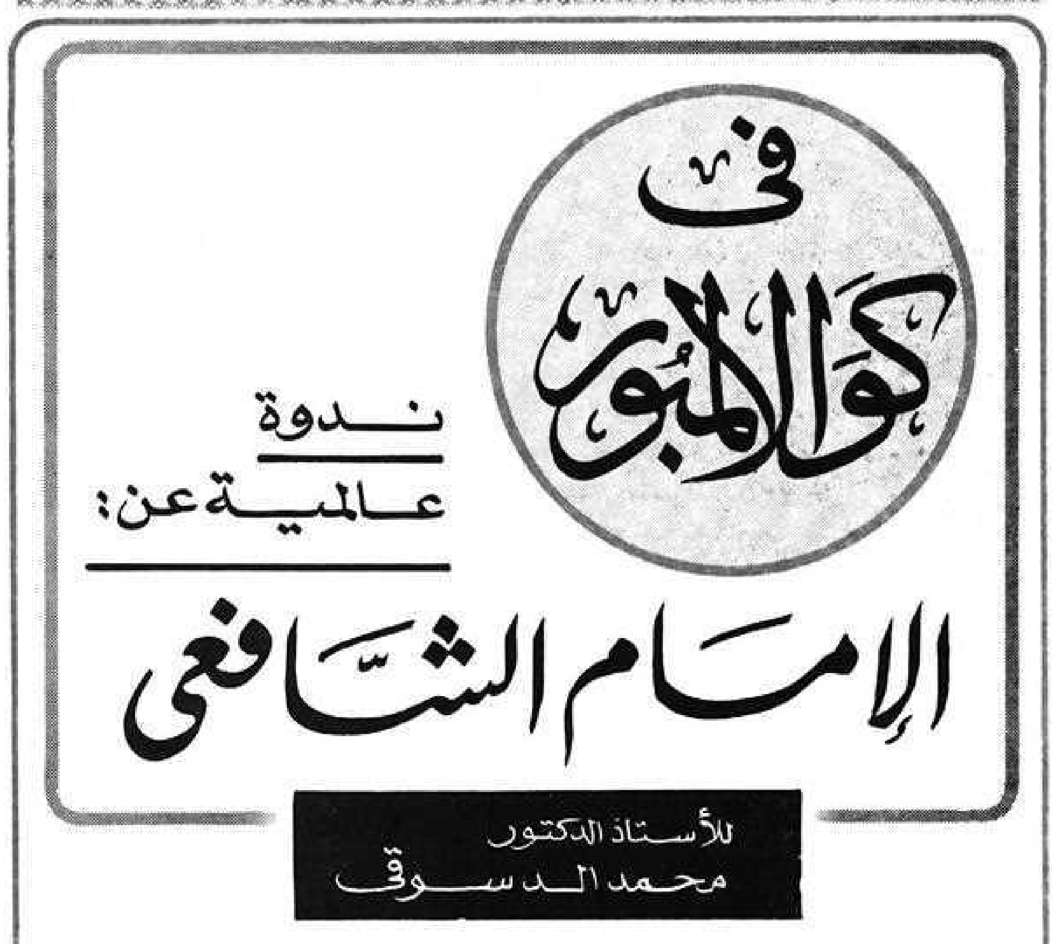
(٧) رسالة التوحيد : ٦١ ، ١٠ .

(٨) نقلا عن روح الدين الإسلامى ص ١٠٩ .

(٩) رواه الطبرانى .

(١٠) رواه البيهقى .

(١١) روح الدين الإسلامى ص ١١٠ .



تحرص المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو) على إقامة الندوات التى تتناول بالبحث والدرس حياة الأعلام من المفكرين المسلمين وتراثهم العلمي ، وذلك إيماناً منها بان النهضة الإسلامية المعاصرة ينبغي ان تستمد من عطاء اولئك الأعلام ما يسدد خطاها ، ويحقق اهدافها ، ويحول دون انحرافها عن غايتها ومهمتها المقدسة .

وقد أقامت المنظمة فى السنوات الأخيرة ندوات عن الأئمة : الغزالى ومسلم والطبري ، وأقامت فى الصيف الماضي ندوة عن الإمام الشافعي ، بمدينة كوالالمبور عاصمة ماليزيا فى المدة من ٢٢ ـ ٢٤ من المحرم سنة ١٤١١ هـ الموافق ١٢ ـ ١٥ من اغسطس سنة ١٩٩٠ .

المنظمة الاسلامية

ويجدر قبل الحديث عن هذه الندوة التى اشترك فيها عدد كبير من العلماء والمفكرين ـ تقديم تعريف موجز بالمنظمة الإسلامية ، فربما

نـدوة عالمية عن الإمام الشافعى

كان القارىء على غير دراية كافية بهذه المنظمة ورسالتها الثقافية والتربوية .

إن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم مؤسسة علمية أنشئت فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى وفقا للقرار الصادر عن المؤتمر الحادى عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ..

وقد جاء فى ديباجة ميثاق إنشاء هذه المنظمة :

« إن الدين الإسلامى أصبح فى عالم كثير التغيرات ، متواصل التقلبات قوةً ثابتة من أعظم القوى الروحية والأخلاقية والسياسية التى أدت ولازالت وستظل تؤدى دوراً بالغ الأهمية على الصعيد العالمى ، وهو دور سيتعزز على مر السنين ، وعلى امتداد الأحقاب . إن هذا الشأو الذى بلغه هذا الدين الحنيف لدليل على أن الإسلام ليس عقيدة فحسب ، بل هو أيضا ثقافة وحضارة وفلسفة ، فضلا عن كونه رؤية إنسانية شاملة ، ونبراسا للحياة ، وقدوة فى العمل ..

وتقول الديباجة أيضا : وقد أصبح لزاما على كل مسلم وعلى الأمة الإسلامية جمعاء أن تطلق العنان لطاقاتها الكامنة ؛ لتكون جديرة بماضيها المجيد وخليقة بأن تتحمل مسئولياتها حاضرا ومستقبلا ، وتثبت وجودها فى عالم تتربص به (الأيديولوجيات) الإلحادية ، أو العدمية ، وتمزقه الصراعات المتعاقبة ، والأزمات المتوالية ..

ويبدو مما أوردته من ديباجة المنظمة الإسلامية أن العالم الإسلامى أدرك وهو فى معركة الصراع نحو الاستقلال بمفهومه الصحيح أنه فى حاجة ماسة إلى هيئة علمية يكون لها دورها الفاعل فى الدفاع عن مبادىء الإسلام ، والتمكين لثقافة هذا الدين فى مختلف المجالات ، وفى إقامة تعاون وثيق بين كل المؤسسات الفكرية والعلمية فى الدول الإسلامية ..

وقد تحددت لهذه المنظمة مجموعة من الأهداف ، أهمها :

١ ـ تقوية وتوثيق التعاون بين الدول الأعضاء فى مجال التربية والعلوم والثقافة ، وجعل الثقافة الإسلامية محور المناهج التعليمية فى جميع المراحل .

٢ ـ دعم الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وحماية استقلالية الفكر الإسلامى ضد عناصر الغزو الثقافى بصورها المتباينة .

٣ ـ تشجيع التعاون بين الدول الأعضاء فى مجالات البحوث العلمية التطبيقية ، واستخدام (التكنولوجيا) المتطورة فى إطار القيم والمثل العليا الإسلامية الثابتة ، والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية وخصائصها المتميزة .

٤ ـ حماية الأقليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية بكل السبل والوسائل .

٥ ـ دعم التفاهم بين شعوب العالم والعمل على حفظ السلام والأمن بكل وسيلة ممكنة ، وبخاصة من خلال التربية والعلوم والثقافة .

٦ ـ التنسيق بين المؤسسات المتخصصة فى الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى فى مجالات التربية والعلوم والثقافة وكل الدول الأعضاء فى هذه المنظمة ، تدعيما للتضامن والتكامل الثقافى فى العالم الإسلامى ..

وقامت المنظمة منذ إنشائها ، وفى هذه السنوات المعدودات من عمرها بجهد طيب فى خدمة تلك الأهداف ، على الرغم من الصعوبات التى تواجهها ، وفى مقدمتها قلة الموارد المادية .

وكان الاحتفاء بأعلام الفكر الإسلامى ، والإشادة بما خلفوه من تراث علمى من وسائل المنظمة فى القيام برسالتها ، وربط حاضر الأمة بماضيها على هدى وبصيرة ..

ندوة الإمام الشافعي :

وفى العاصمة الماليزية فى الصيف الماضى احتفت المنظمة بالإمام الشافعى بإقامة ندوة عالمية عن حياة هذا الإمام وفكره الأصولى والفقهى ..

جلسة الافتتاح :

وفى الجلسة الافتتاحية لهذه الندوة ألقى الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجرى المدير العام المساعد فى الثقافة بالمنظمة كلمة نيابة عن مديرها العام الأستاذ عبد الهادى أبو طالب ، قدم فى مستهلها الشكر الجزيل ، والامتنان العميق للحكومة الماليزية على دعمها للمنظمة ، وللجامعة الإسلامية العالمية على استضافة الندوة ، ولكل من ساهم من العلماء والمفكرين فيها ، ثم أشار إلى اهتمام المنظمة بالاحتفاء بأعلام المفكرين المسلمين ، مبينا أن الشافعى واحد من أبرزهم ، ويكفى دلالة على منزلة هذا الإمام أنه أول من دون علم الأصول ، ذلك العلم الذى يعد المنهج الأمثل للاجتهاد واستنباط الأحكام ، وختم كلمته بقوله : إن احتفاءنا بذكرى هذا الإمام الجليل فرصة لتطوير الاجتهاد وتنظيمه ، ليؤدى رسالته فى اثراء حياة الأمة ، وليحفظ لتشريعاتنا استقلالها ، وسلامتها من تأثيرات الفكر الوضعى .

وتحدث بعد هذا الأستاذ أنور إبراهيم وزير التربية الماليزى فذكر أن الأمة الإسلامية فى حاضرها يجب أن يكون لديها وعى تاريخى سليم بماضيها حتى لا تقع ضحية للإفراط فى الحنين إلى هذا الماضى ، ومن ثم يجب على العلماء أن ينهضوا بمسئولية الاجتهاد وفق مقاييس علمية تجمع بين الماضى والحاضر ، أو التراث والمعاصرة .

وإذا كان على العلماء أن يطوروا مناهج البحث والاجتهاد فإن عليهم أيضا أن يربطوا بين تطوير هذه المناهج ، والقيم الروحية الإسلامية حتى لايكون للمفاهيم العلمانية ، أو الاتجاهات الفكرية الغربية أثر فى حياتنا أو وجودنا ..

والقى بعد ذلك الدكتور عبد الحميد أبو سليمان مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا كلمة تحدث فيها عن الإمام الشافعى ، وأسس تجديد منهاج التشريع الإسلامى ، وقد انصب حديثه على قضية الاجتهاد ، ووجوب أن يكون متصلا بالواقع ومؤثرا فيه وهذا يقتضى وجوب تطوير وسائل الاجتهاد حتى لايظل مشدودا إلى التراث دون اهتمام بما يجد فى حياة الناس .

وانهى مدير الجامعة كلمته بالإشارة إلى أن آثار الاجتهاد تظل كصرخة فى واد مالم تتحول إلى تطبيق حى ، والتزام عملى من خلال المؤسسات التشريعية الشورية ..

الجلستان الأولى والثانية :

وفى جلستى العمل الأولى والثانية تناول الباحثون موضوع المحور الأول من الندوة ، وهو (الإمام الشافعى عصره وحياته وثقافته) ، وقد عرضت البحوث المقدمة حول هذا المحور من الأساتذة : محمد رشيد إبراهيم ، والدكتور عبد المعطى بيومى ، والدكتور ستريه أفندى ، والدكتور محمد عثمان سيسى ، والدكتور دكورى أبو بكر ، والدكتور عباس يونس - عرضت لكل ما يتعلق بالشافعى منذ ولادته يتيما فى غزة سنة : (١٥٠ هـ) وإلى وفاته بمصر سنة : (٢٠٤ هـ) ، واهتمت بصفة خاصة بمصادر ثقافته ، وتنوع معارفه ومواهبه العلمية واستقلاله بمذهب فقهى كان له دوره فى التقريب بين المذاهب .

وجاء البحث الذى قدمه الدكتور السيد رزق الطويل فى الجلسة الثانية عن لغة الشافعى ، وأثرها فى آرائه الفقهية والأصولية ، وقد بين أن

ندوة عالمية عن الإمام الشافعى

الشافعى إمام فى اللغة والأدب كما هو إمام فى الفقه والأصول ، وأن ثقافة هذا الإمام اللغوية انعكست على آرائه الاجتهادية .

الجلسة الثالثة :

وخصصت جلسة العمل الثالثة للمحور الثانى ، وهو الإمام الشافعى واضع أصول الفقه ، وقد تحدث فى هذا المحور كل من الدكتور رواس قلعه جى ، والدكتور محمد المختار ولد أباه ، والدكتور عبد الوهاب أبو سليمان ، والدكتور عبد المجيد الشرق ، والدكتور محمد الأزرق ، والدكتور محمد رأفت عثمان وتناولت بحوث هذا المحور فى مجملها ، نشأة علم أصول الفقه ، وريادة الإمام الشافعى فى تدوين هذا العلم ، وتأصيل أهم قضاياه ، كما ألقت الضوء على بعض القضايا الأصولية كالمصلحة ، وقد أثار بحث الدكتور الشرق جدلا حاميا بين المشاركين فى الندوة ، لما تضمنه من مسائل خلافية خطيرة .

الجلسة الرابعة :

جلسة العمل الرابعة عن (مذهب الإمام الشافعى بين المذاهب الإسلامية) وقد تنوعت موضوعات البحوث التى دارت حول هذا المحور . فقد تعرض الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة فى دراسته عن المذهب الشافعى بين المذاهب الفقهية لنشأة الفقه وتطوره ، ومدارسه وخصائص كل مذهب ، موضحا ما انفرد به الإمام الشافعى من أصول اجتهادية متميزة .

وتناول كاتب هذه السطور فى بحثه عن الجانب الاقتصادى فى فقه الإمام الشافعى أهمية آراء هذا الإمام فى مجال التنمية الاقتصادية مؤكداً أن الفقه الإسلامى عرض لقضايا الاقتصاد ؛ خلافا لما يذهب إليه الاستشراق من أن هذا الفقه لم يهتم بتلك القضايا .

وتحدث الدكتور عبد الحليم محمدى عن الاختلاف الفقهى وتطوره فى ماليزيا ، وقد بين فى القسم الأول من بحثه تاريخ الخلاف الفقهى بوجه عام مع الإشارة إلى أهم ما ألف فى هذا الموضوع ، وتكلم بعد هذا عن المذهب الشافعى ، فى ماليزيا منذ القرن الخامس عشر الميلادى وحتى الآن موضحا أسباب الاختلافات بين فقهاء هذا المذهب .

وأما الشيخ على عيسى محمد فقد تكلم عن جهود فقهاء المذهب الشافعى فى خدمة السنة ، وقد أكد ما قام به إمام المذهب من دفاع مجيد عن السنة حتى اشتهر بناصر السنة ، وأن فقهاء المذهب من بعده توفروا على خدمة السنة جمعا وتدوينا وشرحا .

وحظيت (نظرية الاجتهاد) عند الإمام الشافعى ببحث أعده الأستاذ محمد يوسف الفاروقى ، وقد تناول فى هذا البحث أسس تلك النظرية وتطبيقاتها وأثرها فى الفقه الإسلامى ..

وعن دور الإمام الشافعى فى دراسة المدارس الفقهية ونقدها ووضع الأصول التى تقرب بينها تحدث الدكتور ظفر إسحاق الأنصارى ؛ وقد أومأ فى غضون بحثه إلى أثر العادات والعرف فى تطور المذهب الشافعى ..

ثم كان الدور الأخير عن أثر المذهب الشافعى فى العالم الإسلامى وخارجه ، وفيه قدم كل من الدكتور محمد كمال حسن ، والدكتور تان سرى أحمد إبراهيم ، والدكتور محمود سعيدون بحثا مشتركا حول انتشار الإسلام فى أرخبيل الملايو ، وأثر المذهب الشافعى على التعليم الدينى والتشريع القانونى فى الملايو ، وقد أوضح البحث مراحل انتشار الإسلام فى الأرخبيل ؛ وكيف

نشأت المراكز الإسلامية فيه ، وتأثير الفقه الشافعى فى القوانين الماليزية ...

وتحدث الدكتور محمد سعيد البوطى عن أثر الشافعى على الفقه الإسلامى ماضيه وحاضره ، وقد أومأ فى مستهل حديثه إلى ما امتاز به الشافعى من تدوين علم الأصول ، ووضع الموازين الدقيقة للقواعد الاستنباطية للاجتهاد الفقهى ، ثم أشار إلى أثر هذا الإمام فى مقاومة الفكر الاعتزالى قديما والفكر العلمانى حديثا .

وجاء بحث السيد داود عثمان عن المذهب الشافعى فى جزر القمر ، وقد بين تاريخ دخول المذهب فى هذه الجزر ، وانتشاره فيها ، وختم بحثه بالدعوة إلى الاعتصام العملى بتعاليم الإسلام .

ثم تحدث السيد على الشيخ عن المذهب الشافعى فى الصومال ، وقد عرض أولا لدخول الإسلام وانتشاره فى الصومال ، وبين بعد ذلك أهم المدارس التى قامت على أساس المذهب الشافعى ، وبعض المؤلفات التى كتبها علماء صوماليون فى فقه هذا المذهب .

ودرس الدكتور محمد أحمد غازى ، أثر مبادىء الإمام الشافعى على القانون الدولى ، وسرد فى مستهل دراسته أهم المؤلفات فى موضوع القانون الدولى من وجهة النظر الإسلامية ، ثم فصل القول بعض التفصيل فيما كتبه الإمام الشافعى فى الأم عن علاقة المسلمين بغيرهم فى السلم والحرب .

وكان آخر بحث ألقى فى الندوة هو بحث الدكتور جعفر عبد السلام وعنوانه « عوامل انتشار المذهب الشافعى » وقد أجمل الدكتور جعفر هذه العوامل فى نسب الإمام وبلاغته ورحلاته وسهولة مذهبه ويسره وقيامه على أسس منطقية واضحة ، ثم جهد تلاميذه من بعده .

خلاصة :

ويتضح من هذا العرض العام لما ألقى فى ندوة الإمام الشافعى من أبحاث أن هذه الندوة قد تناولت بالبحث العلمى حياة الشافعى ومذهبه ، كما تناولت الربط بين فقه هذا الإمام وواقعنا التشريعى والاجتهادى ، ومن ثم حققت الغاية منها ، فقد جمعت بين دراسة الماضى ومشكلات الحاضر ، وأكدت أننا أمة لاتستغنى فى عصرها الحاضر عن تاريخها الفكرى الغابر ، ولهذا جاءت توصيات الندوة فى إطار الدعوة إلى مزيد من الاهتمام بالتراث الفقهى كله ، تحقيقا وتصنيفا وطباعة ودراسة وتقنينا ، واحتفاء بكل اعلامه ، وكذلك الدعوة إلى تقوية أواصر التعاون بين الجامعات الإسلامية خدمة للغة القرآن ، والتراث الإسلامى المجيد الذى بدد غياهب العصور الوسطى وأنار للبشرية طريق الحضارة الحديثة .. حتى تقوم نهضتنا المعاصرة على دعائم راسخة من القيم والمبادىء الإسلامية الخالدة ، فذلك وحده سبيل الأصالة والعزة والكرامة ..

واود فى نهاية هذه الكلمة ان اسجل للشعب الماليزى المسلم عواطفه الاخوية الكريمة ، وحبه العميق للدول الإسلامية ، وهو حب منبثق عن إيمانه وصدق يقينه ، وهذا يقتضى من الهيئات العلمية الإسلامية ذات التاريخ العريق ان تمد هذا الشعب وغيره من شعوب جنوب شرق آسيا بالعلماء والمفكرين الذين يجاهدون فى سبيل الحق ، ويمكنون للغة القرآن وتعاليم الإسلام بين هـذه الشعـوب التى يخطط التبشـير والاستشراق لغزوها معنويا ، ومحاربتها فى عقيدتها وإسلامها .

إنه واجب مقدس يفرضه علينا ديننا ، واعتقد ان الأزهر بمؤسساته العلمية جدير بقيادة هذا المد لتلك الشعوب ، فهى تكن له كل تقدير وولاء وحب .

إنه فى نظرها جامعة الإسلام الأولى ، وحصنه الذى يذود عنه كيد الكائدين ، ومكر المنافقين ، وحقد الطامعين .



لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

(سورة النور ـ ٥٥)

وهذا الوعد الصادق من الله العلى القوى بثلاثة امور هى أسمى ما تتمناه أمة تنشد العزة والسيادة والرفعة والسعادة إذا أخلصت دينها لله الذى لا يخلف الميعاد .

الأمر الأول

الاستخلاف فى الأرض ، هو أمل الأقوياء المخلصين وأمنية الأتقياء المؤمنين فى كل وقت وحين وتلك هى سنة الله فى الأولين والآخرين من عباد الله الصالحين ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، فلقد استخلف الذين من قبلهم جزاء إيمانهم وصدقهم ، وذلك لأن الله لا يضيع أجر المحسنين وهو القائل :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (سورة النحل ـ ٩٧) .

والمستحقون لرضوان الله هم الذين جاهدوا فى الله حق جهاده فصبروا وصابرو وصدقوا وثابروا فعرفوا للوقت قيمته ، وللعلم ثمرته ، وللعمر غايته :

إن الإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى .

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ

﴿ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ « سورة العنكبوت ٢ ـ ٣ » .

ولقد أدرك السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أهداف الرسالة المحمدية فاعتصموا بحبل الله جميعا ولم يتفرقوا ؛ وقد استمسكوا بالعروة الوثقى لما آمنوا بأن الله لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمما ، وأدركوا أن عزتهم مستمدة من عزة الإسلام الذى يقول للمسلمين : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ . . ﴾ « سورة الأعراف ـ ٩٦ » .

الإخلاص عطاء إيجابى

إن أية جماعة تخلص فى عملها لله سيجعل الله لها السيادة ويحقق لها السعادة والعزة والقوة والمنعة والمجد والرفعة ، لأن قوتها من ذاتها يساندها إيمان راسخ وعقيدة سليمة بريئة من الرياء والالتواء ، لأن عقيدة الإسلام ليست معقدة وأخلاقه كريمة وشمائله عظيمة ، فالصدق سجية المسلمين ، والأمانة صفة المتقين والإخلاص طريقهم إلى الله رب العالمين .

وكم صنع الإسلام فى الأيام الأولى رجالاً وكون أبطالاً ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ . . . ﴾ لأنهم كانوا صورة للإسلام تمشى على الأرض هونا : وإذا تحقق للمسلمين الاستخلاف فى الأرض فكانوا أجلاء بجلال الحق ، أقوياء بقوة الإيمان ـ امتلأت بهم الدنيا عدلا وأمنا وسلاما .. فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، كما جاء وصفهم فى القرآن الكريم الذى أضاء الطريق أمام من شاء أن يهتدى إلى سواء السبيل ، والقرآن قادر فى كل وقت وحين على أن يؤسس بنيان الحياة على تقوى من الله ورضوان ليعمر المسلمون الأرض بالعمل الصالح الذى ينفع الناس ويسعد المجتمعات فيكون فى الأوقات بركة وخيرا ، والله قد جعل الإنسان خليفة فى الأرض ليعمرها ، ولتكون رسالته نافعة وأعماله ناجحة وأفكاره ناضجة ، فلا تعرف همته للكسل سبيلاً ولا للفشل طريقاً ، فيزدهر الاقتصاد ويتحقق الإنتاج وتكون للمسلمين كلمة مسموعة ، لأن سلطانهم بيدهم لا بيد أعدائهم .

الإنفاق فى سبيل الله

ويقول الله تعالى :

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ « سورة الحديد ـ ٧ » .

وبهذا يأمر الله المستخلفين فى أرض الله بالإنفاق من مال الله لوجه الله تعالى ، مثل بناء وتعمير المساجد للراكع والساجد ، وفى كل ما يعود على المجتمع بالنفع العام ، وذلك لأن المجتمع كالجسد الواحد والأفراد كالأعضاء . فلا يمكن للفرد أن يعيش منفرداً وحده بعيداً عن المجتمع ، فإذا قدم الفرد عملاً للصالح العام فهو يخدم نفسه لأنه عضو فى المجتمع الذى يعيش فيه :

ولقد وعد الله المنفقين بخير كثير ووعد الشاكرين بحفظ النعمة فى أيديهم وزيادة : ﴿ . . . . لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . ﴾ .

ورحم الله القائل :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

إن الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا يأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، وبألا نفسد فى الأرض بعد إصلاحها ، وبأن نتعلم من أولى الخبرة والمعرفة من غيرنا مايدفعنا إلى التقدم فى

وعـــد اللـــه لا يتخلـــف

شئون الدنيا لخدمة المسلمين فما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وما أقبح الكفر والكسل والفشل والإفلاس بالناس الذين لا يريدون تأسيس الحياة على العمل للدين وللدنيا معا ، فكرهوا أن يتعلموا علوم العمران والمعارف التى تريهم آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم .

ولكى يعيش المسلمون فى عزة الأقوياء عليهم أن يعدوا ما استطاعوا من قوة لإرهاب عدو الله وعدو المؤمنين وكل معتد أثيم من الطغاة المعتدين والبغاة الطامعين .

ثروتان

وإن الإنسان والوقت ثروتان هائلتان لاستثمار أدوات الإنتاج على أكمل وجه ، ولا يستطيع المصنع أن يعمل وحده ، فلا تستخرج كنوز الأرض بنفسها لتكون على ظهر الأرض إلا الإنسان والوقت والذى يرجوه الإسلام من المسلم هو أن يعمل لاستثمار ما سخره الله له من ماء وهواء وحقل ومعادن وجو وبر وبحر .. وكائنات كثيرة وبهذا يكون المسلم قويا ، والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. لأن الضعف أول الطريق إلى الإهمال ، والإهمال أقصر طريق إلى الفقر المخيف المذل ، ونعوذ بالله من الذل والفقر والهوان ولهذا كانت تربية الإنسان من المهد إلى اللحد من أعظم القربات عند الله تعالى : « ولأن يهدى الله بك رجلاً واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » .

وإن المعادن الأصيلة هى التى تبنى الأمم لأن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وقد يكون المرء أمة فى رجل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً .. ﴾ وإنما يتم بناء الأمم بالأقوياء من أبنائها أولى الصدق فى القول والفعل ، فكم سعدت البشرية برجل منحه الله حب الخير للغير فامتلأت حياته بركة لنفسه ولغيره .

ولقد صنع الإسلام صورا فى أيامه الأولى يعجز الزمان عن الإتيان بمثلها ، وذلك لأن الإسلام ليس فى حاجة إلى كثرة كغثاء السيل ، ولكنه فى حاجة إلى رجال يخلصون فى تأدية رسالته الخالدة السامية إلى الإنسانية ويحملونها إلى العالمين بأمانة وهمة وذمة وتكون الدعوة إلى الله مخلصة والله يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ « سورة فصلت ـ ٣٣ » وبالدعوة الصادقة الحقة يعلم أهل الأرض أن الإسلام قد نظم شئون الدنيا والدين . وبهذا يؤدى خلفاء الله فى أرضه رسالته وهى أسمى الرسالات وأعظمها قوة ، والله يقول : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ﴾ « سورة آل عمران ـ ١١٠ » .

خيـــر الأمـــم

وبهذا النص القرآنى الخالد يتبين أن أمة الإسلام خير الأمم وأنها أخرجت للناس لقيادة النفوس والقلوب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتلك هى طبيعة الأمة المحمدية فى حقيقة وجودها ، فهى الأمة التى بيدها المؤهلات الخيرية وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله ، وعلى هذه القواعد يحقق المسلمون رسالة الإسلام التى سعدت بها الدنيا بالقدوة الحسنة والموعظة الحسنة ، لأن الإسلام ينتشر بالقدوة كما ينتشر بالدعوة ، وقدوة المسلمين أجمعين فى كل مكان وزمان هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أما منهج الدعوة فهو كتاب الله الخالد الذى لا يتبدل ولا يتغير لكيلا يتبدل الناس

ولا يتغيروا : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ وقد تكفل الله بنصر من ينصر دينه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ « سورة محمد ـ ٧» ، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ «سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣» .

ذلك لأن الضعفاء هم بنصر الله أقوياء ، والأقوياء بخذلان الله ضعفاء .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾ (سورة آل عمران ١٦٠) .

والإيمان هو الضابط وهو الأساس وهو المقياس وهو الحافز على النهوض بالمجتمع المسلم نحو البناء والازدهار ، لا نحو الشقاق والهدم والدمار بسبب التمزق والتفرق الذى يمقته الإسلام ويأباه ، فهو دين يقول للمسلمين .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران ـ ١٠٣) .

إن الإسلام منهج نظيف للحياة الطاهرة التى لا غنى للبشر عنها : فهو المنهج الذى لا يضل متبعه ولا يشقى ولا يذل ولا يخزى .

الأمــر الثانـــى

هو أن يمكن الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات دينهم الذى ارتضى لهم ، ما أعظم أن يرى المتقون دينهم قد انتشر ومنهج القرآن قد انتصر ، ويومئذ تكون الدعوة الإسلامية قد حققت أهدافها بعون من الله الذى يدافع عن الذين آمنوا الذين قاموا بنشر دينه حتى أظهره الله على الدين كله ، لما كان الله ورسوله أحب للمؤمنين مما سواهما وذلك لأن المرء لا يحيا قلبه إلا بالإيمان السليم الذى يخالط الأرواح ويمتزج بالدماء ويستقر فى النفوس الطاهرة البريئة من أدران الرذائل ومطامع الدنيا ومن نسيان الحق والهدى ، لأن معنى أن يسود الإسلام هو ما يشير إليه قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ (سورة الفتح ٢٨) .

ولقد رسم الإسلام صورة حية للأمة المحمدية فى القرآن الكريم وكذا فى التوراة وفى الإنجيل والله يقول : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الفتح ـ ٢٩) .

الإسلام لا يحابى كسولا ولا يجامل جهولا

وإذا استخلف المؤمنون فى أرض الله ، عليهم أن يؤدوا واجب الحياة عليهم بأن يؤمنوا إيمانا صادقا مع الله ومع النفس ومع الناس وأن يستقيموا استقامة كاملة جادة نافعة .

«قل آمنت بالله ثم استقم» وبهذا يمكن للدين فى نفوس الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتسود مبادئه وتعاليمه وتؤمن عقيدته وتطبق شريعته الباقية الصامدة الخالدة إلى شرعها الله لسياسة الإصلاح الاجتماعى لكيلا يوجد فى المجتمع الإسلامى منحرف لأن الإسلام نظيف جاء من عند الله ليطهر المجتمعات من رجس الفسوق والعصيان والكفر والطغيان ، وذلك لأن النفاق والعقيدة ضلال مبين وكفر برب العالمين .

رحماء بينهم

والمؤمنون حقا ـ من صفاتهم أنهم رحماء بينهم وهذا دليل الدين المكين فى قلوب المتقين فى مجتمع المستقيمين من عباد الله الصالحين .

والرحمة قبس من نور فى قلوب الأبرار وكوكب

﴿ وعــد اللــه لا يتخلــف

درى في سماء الإنسانية المثالية وقد جاءت الرحمة غاية رسالة قائد لخلق إلى الخلق المبعوث رحمة للعالمين .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فقد كان ﷺ بالمؤمنين رحيما .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة ١٢٨)

فهو الرحمة المهداة وهو الرحمة نفسها كما قال هو عن نفسه :

«إنما أنا الرحمة المهداة» أما رحمة الله فقد وسعت كل شيء وهو القائل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الأعراف ١٥٦ - ١٥٧) إن رحمة الله مشروطة باتباع الرسول ومرتبطة بالتراحم بين الناس ومنها رحمة الإنسان بنفسه وبوالديه وبالأقربين وبالجار والناس أجمعين .

ومن رحمة الإنسان بنفسه أن يزكيها وبالا يظلمها لأن من ظلم نفسه كمن ظلم غيره على حد سواء ، لأن الله قد كرم ابن آدم فجعله أفضل المخلوقات حيث جعله خليفته في أرضه وأرسل له رسلا مبشرين ومنذرين ، وختم الرسالات الإلهية بالإسلام الحنيف الذي كلف الله به كل مسلم أن يرحم نفسه بألا تذل رقبته إلا لله ، وألا يركع لأحد سواه فلا ذل ولا استكانة ولا استسلام للهوان لأن الله يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (سورة النساء - ٩٧) .

ولا ريب أنه لا يجتمع في قلب امرىء مسلم إيمان وهوان ، لأن القلب التقى قوى أبى عزيز عفيف :

من يهن يسهل الهوان عليه
مــا لجــرح بمــيـت إيــلام

والإسلام دين العزة والوحدة والقوة والرحمة .

الأمر الثالث

وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا

الأمن نعمة من نعم الله الكبرى التي كرم الله بها أول بيت وضع للناس بمكة لراحة حجاج هذا البيت وتأمينهم ليؤدوا شعائر الله عند البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ والبيت العتيق العريق ملتقى الوافدين إليه من كل فج عميق ، من جميع أقطار الأرض ، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد رجا ربه أن يجعل مكة بلدا آمنا فاستجاب الله الدعاء وحقق له الرجاء . إذ قال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ فقال الله عز وجل :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (سورة البقرة ١٢٥) .

وقال جل جلاله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (سورة آل عمران ٩٦ - ٩٧) والله يقول ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ

حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ (سورة القصص ٥٧) .

وقد وصف الله مكة بأنها البلد الأمين ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ . . ﴾ (سورة التين ٣) والأمن جزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الانعام ـ ٨٢) .

الخوف والجوع عقوبتان

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل ـ ١١٢) .

والأمن يبدأ أولا بين الإنسان ونفسه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد ـ ٢٨) .

ثم بين الإنسان ووالديه : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وبين الإنسان وجاره وأقاربه : ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ إلى قول الله ﴿ ... وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾ (سورة النساء ـ ٣٦) .

وبين الإنسان والناس وهذا يتحقق بمكارم الأخلاق من حب لله ورسوله وللمؤمنين وبالأمانة والصدق والعدل وبالإيثار لا الأثرة .

بالإيمان يتأكد الأمن ويتجدد السلم

الإيمان بالله هو الدرع الواقى من الضرر والخطر ، ولو أنصف الناس لاستراح القاضى ، ولو أنصف الناس لارتبطوا بربهم سرا وعلانية لأنه علام الغيوب ، ولأن الله لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء فالطير يسبح بحمد الله ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ (سورة النور ـ ٤١) .

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (سورة الإسراء ـ ٤٤)

إنه لاملجأ من الله إلا إليه : فهو المعطى المانع الضار النافع الخالق الرازق : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يس ـ ٣٦) ذلك لأن الإيمان بالله هو أول شىء دعا إليه رسول الله ـ ﷺ ـ قومه : لأن الله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الحديد ـ ٣) .

ولقد بين الله لهم أن الله هو الذى أنشأ الوجود كله : ﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (سورة الأنعام ـ ١٠١ ـ ١٠٢) .

ولايعتبر مؤمنا من لم يؤمن برسل الله عليهم السلام ـ من قصهم علينا القرآن ومن لم يقصصهم علينا : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (سورة البقرة ـ ٢٨٥) .

وبعـد

فهذه منحة من الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات إنجازا لوعد الله تعالى ووعد الله حق لأن الله لايخلف الميعاد ، ويجب أن نعلم علم اليقين أن هذه الدنيا لاتصلح بغير دين الله ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (سورة محمد ـ ٢)

وعــد اللــه لايتخلـف

ارايت كيف يكون جزاء المتقين عند ربهم ف دنيا الناس ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ؟ ثم أرايت ماوعد به أهل الإيمان والعمل الصالح ف هذه الآية الكريمة . من استخلاف ف الأرض ، وتمكين الدين الذى ارتضاه لهم ربنا : والأمن من بعد الخوف ؟؟؟ : والله عنده حسن الثواب فليتذكر أولو الألباب وليعتبر أولو الأبصار وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم بالارتباط الوثيق بربهم ، وهذا يتأكد بمراقبة الله وخشيته وبره وطاعته ليسود الخير ويعم البر ويتوارى الضرر ويختفى الخطر ، وتعمر الأرض بطهارة السلوك وحسن السيرة وجميل الإيثار وصنع المعروف والاستماع إلى النصيحة والعمل بكتاب الله وتدبر اياته البينات بخشوع وخشية وتدبر ، وذلك ليرى الناس الحق حقا والباطل باطلا لتستقيم حركة الحياة . والله يقول : ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة الأعراف ـ ٣٥) .

وهل يدرك الشاردون من الهدى المبتعدون عن إلههم ان الله يدعوهم إلى المعرفة فيسوق إليهم الأدلة تلو الأدلة ليثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربهم خالق كل شىء ، فلا إله غيره ، ولارب سواه ، وهو القاهر فوق عباده فلا ملجأ منه إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّاكَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَايَعْلَمُونَ. أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّاتَذَكَّرُونَ. أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة النمل ـ ٥٩ ـ ٦٤) .

هذه التساؤلات يوجهها القرآن الكريم لأولئك الذين جعلوا أصابعهم ف آذانهم فصمت عن سماع الحق وعميت أعينهم عن رؤية الهداية والنور ، فأغلقوا قلوبهم وعقولهم واتخذ كل إلهه هواه ومنهم من اضله الله على علم مع وضوح الأدلة وشهادة البينات على أن الإله واحد لاشريك له : ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ. رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَابَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ (سورة الصافات ٤ ـ ٥) .

الإسلام يوجه العقول للنظر ف الألوان

والإسلام يدعو الأبصار والبصائر إلى التفكر ف ملكوت الله ليأخذ العقل سبيله إلى معرفة الخالق البارىء المصور الذى كل شى عنده بمقدار ، ومن ثم يقتنع من كان له قلب بأن التوحيد هو الحق المبين ، ولكنك : ﴿ لَاتُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَاتُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. وَمَاأَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾(سورة النمل ـ ٨٠ ـ ٨١) والله يقول : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهكذا يصحح الإسلام حركة الحياة ويطهر الاعتقاد من الإلحاد ، ويدعو البشر جميعا إلى التأمل والتعقل والتفكر فلا حجر على العقل ف الإسلام ، فهو يقول للعقل انطلق واسبح كما شئت ولكن احذر الغرق !!!

داء النفوس ودواؤها

النفس البشرية قد تصاب بداء خطير وشر مستطير حينما تكون أمارة بالسوء : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ فيكون صاحبها شقيا قلقا مضطربا حائرا ..

والدواء النافع لهذه النفس أن تزكى بالإيمان وتستقيم بالعمل الصالح وحسن النية ونقاء السريرة ومراقبة الله والبعد عن خطوات الشيطان ونهى النفس عن الهوى : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (سورة الليل - ٤ - ١٠) .

وفي هذا دليل على أن الإنسان يمكنه أن يسيطر على نفسه ، فإن لم يغلبها بهداها غلبته بهواها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (سورة الشمس ٩ - ١٠) والله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (سورة النازعات - ٣٧ - ٤١) أما النفس اللوامة : فهى التى تلوم صاحبها عندما يقدم على شر يجعله يرتكب إثما : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ . والمسلم حينما يستفتى قلبه فيؤنبه الوازع الدينى ويحذره أو يعاتبه أو يعاقبه ويحاسبه إنما وقع فى خطيئة . أو جريمة أو مخالفة لدين الله الخالد الذى يطهر النفس من الذنوب والعيوب ، والنفس علاجها يسير غير عسير ، لأن التقوى تزكى النفس ، وتطهر القلوب وتشرح الصدر وترفع القدر والله يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (سورة الأعلى - ١٤ - ١٥) أما النفس المطمئنة : فحسبها أن يقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

تأمين النفس من أخطار الذنوب

كل مسلم يتطلع إلى نيل ماوعد الله به المتقين من الاستخلاف فى الأرض وتمكين الدين فى قلوب المتقين ، والأمن النفسى والاجتماعى والغذائى : لأنه لو تم ذلك لسعد الناس فى حياتهم وسادوا ، لأن الله معهم ، ولابد من الاستقامة الدائمة التى يعرضها الإسلام على اتباعه وبها تطمئن القلوب وتنشرح الصدور ، ومن ثم يكون الإيمان قائدا للنفوس يرشدها إلى مكارم الأخلاق ومنها الصدق والأمانة والإخلاص لله .

تجنب صحبة الأشرار

ودليل الاستقامة ، تجنب أصدقاء السوء والالتزام بصحبة الأخيار الأبرار الأطهار ، لأن المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل ، وإنما يعرف المرء بخليله ويقاس بجليسه ، والإسلام قد علمنا أن التقوى تنفع الذرية وتعمر الديار وعلمنا أن الذكرى تنفع المؤمنين ، ولكن الفسق مدمر ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ والله يقول :

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (سورة النازعات ٣٧ - ٤١) .

ويقول جل جلاله للمسلمين :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة - ٢٥) .



للأستاذ الدكتور
أحمد الحفناوى

ولقد واجه العلماء والطلاب مرارة السخرية بهم والاحتقار لما ينسبون إليه ولكنهم تحملوا كل الذى وجه إليهم باسم التقدم حينا وباسم المدنية والحضارة حينا أخر .

كما تحملوا عبء الطائفية التى حدثت وقويت بين المثقفين فى المغرب فى هذه الأثناء والتى كان قد وضع بذورها المستعمر باسم (الجديد) فى مقابل ماهو قديم ينتسبون إليه ويعيشون فى ظله ..

فى هذه الفترة وبينما النقاش والحوار مستمر بين دعاة التوحيد فى البرامج التعليمية فى أطوارها الأولى وبين علماء القرويين ....

تمكن الأستاذ « الفاسى » من نقل طور القرويين الثانوى من داخل المسجد إلى بناية جديدة جهزت بالمقاعد الضرورية والوحدات الطبية مما أدى إلى ارتفاع عدد الطلبة إلى نحو أربعة آلاف ، وزيد فى عدد مأويهم المشتملة على المياه الكافية والإنارة ووزعت عليهم منح ، ووظف عدد من المتخصصين للسهر على العناية بمدارس سكنى الطلبة كما نقل طلبة النهائى إلى بناية خاصة تتصل بالمسجد ، وبعد إنشاء الحى الجامعي فى « فاس » انتقل إليه طلاب « القرويين » .

وعلى أثر المشروع الذى تقدمت به رابطة علماء المغرب (١٩٦١ م) إلى الملك « الحسن » الثانى اصدر جلالته مرسوما ملكيا بإقرار جامعة القرويين وإنشاء كليات : « الشريعة » ، « وأصول الدين » و« اللغة العربية » ومدة الدراسة فى كل كلية ثلاث سنوات ثم رئى فى (١٩٧٠ م) تمديد فترة الدراسة فى الكليات إلى « أربع سنوات » وأصبحت « جامعة القرويين » جامعة حديثة تشتمل على : الكليات السابقة الذكر إلى جانب « دار الحديث السنية » وهى بمثابة معهد للدراسات العليا فى العلوم الإسلامية واللغوية والأدب العالى ، وقد انشئت عام (١٩٦٤ م)

بمرسوم ملكى رقم ٦٨ ـ ١٨٧ في ١٦/٨/٦٨. [١][٢]

وللجامعة روافد تبلغ ثمانية عشر معهداً (١٨) معهدا منتشرة في جميع انحاء المغرب ويزاول طلاب القرويين كافة النشاطات : رياضية واجتماعية وفنية وثقافية ، وتستقبل الجامعة العديد من طلاب : أفريقية وآسيا تؤهلهم لحمل الأمانة إلى أهليهم وأوطانهم وإن كنا نأمل أن تدعم « القرويين » اكثر واكثر من جانب المسئولين المغاربة لتستطيع أداء دورها بإيجابية اكثر في هذا الميدان .

ولقد أصبحت العطلات والموارد المالية والنظم الإدارية والامتحانات موحدة فيها وفي غيرها من المؤسسات التعليمية المغربية .

من ثمار « القرويين »

لقد كتب علماء القرويين العديد من المؤلفات في التفسير والحديث والفقه وأصوله والأدب العربى واللغة والتاريخ والمنطق وعلم النجوم والطب وتزدان المكتبة العربية ب"عديد من هذه المؤلفات مما يعطى الباحث فكرة عن تاريخ القرويين الفكرى ..

كما نبغ من رجالاتها العديد من الأعلام نذكر منهم : « أبا عمران الفاسى » و« المعاقرى » و« على بن حرزهم » و« عثمان السلالجى » و« ابن الياسمين » و« أبا حفص ابن عمر » و« أبا العباس الجراوى » و« أبا موسى الجزولى » و« ابن مشيش » و« المزدغى » و« المراكشى » و« ابن رشيد » و« ابن آجروم » و« ابن الحاج » و« أبا العباس الجزنائى » و« المكودى » و« الشيخ زروق » و« البيستى » و« أبا القاسم الوزير » و« عبد العزيز القشتالى » و« ابن عاشر » و« القصار » و« الروداني » و« الحسن اليوسى » و« ابن زاكور » و« ابن الطيب العلمى » و« ابن عبد السلام بنانى » و« ابن الطيب اللغوى » و« أبا العلاء العراقى » و« ابن الونان » و« الشيخ التاودى بن سودة » و« الشيخ ابن كيران » و« الرهونى » و« حمدون بن الحاج » و« الفقيه كنون »[٣] و« الشيخ الإمام أبا شعيب الدكالى » و« محمد بن العربى العلوى » و« محمد عبد الكريم الخطابى » و« محمد الفاسى » و« الزعيم علال الفاسى » و« العلامة عبد الله كنون » و« الصحفى الكبير عبد الكريم غلاب » .

هؤلاء وغيرهم ممن خرجتهم « القرويين » وازدانت بهم الحركة العلمية والفكرية التحريرية بالمغرب الأقصى والتى يرجع الفضل إليها في الحفاظ على الصبغة العربية الإسلامية لهذا الجزء العزيز من الأمة العربية .

دور القرويين :

قامت جامعة القرويين بدور اساسى في تحرير المغرب ، حيث كانت منبع (الحركة السلفية) التى تطورت إلى (حركة وطنية) ، قاومت الاستعمار وسياسته وحطمت احلامه وحافظت على وحدة المغرب الأقصى عربا وبربراً ، وبالرغم من صنوف الاضطهاد التى وجهت للقرويين فإن المغاربة عموما ، وعلماء « القرويين » بوجه خاص ، لم يتوقفوا عن المقاومة . بل انهم في سبيل دفاعهم عن الوطن تحملوا السجن والاعتقال والنفى والعديد من صنوف الإذلال ، وليس خافياً على أحد ما قام به الاستعمار الفرنسى من تطويق جيوشه « لجامع القرويين »

(١) ، (٢) مذكرة رابطة علماء المغرب إلى جلالة الملك الحسن الثانى بهذا الخصوص . ط . تطوان .. تفضل بإهدائها إلى كاتب هذه الدراسة الشيخ الفاضل عبد الله كنون امين عام رابطة علماء المغرب عام ١٩٧٣ .

(٣) وهو جد فضيلة الشيخ عبد الله كنون ، امين عام رابطة علماء المغرب ، رحمه الله !!

من معالم حضارة الاسلام

بالدبابات ، ورمى المجتمعين فيه للمقاومة برصاص الرشاشات والبنادق وقاومت « القرويين » المستعمر بلا هوادة ، وشهدت العديد من المؤتمرات التى عقدها الوطنيون ، ونظمت حركة المقاومة منذ بدايتها من بين أبنائها ..

وتاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ملىء بأنصع الصفحات التى سجلها كفاح علماء القرويين وطلابها ضد القوى الاستعمارية .

الا يكفينا دليلا أن حزب « الاستقلال » الذى قاد الحركة الوطنية هو الابن الشرعى « لجامعة القرويين » ؟

وإذا كانت القرويين قد أدت ماعليها تجاه تحرير المغرب فلقد قامت بدور لايمكن نكرانه فى نشر العقيدة الإسلامية والثقافة العربية فى العديد من دول أفريقية ولاخلاف فى أن مراكز الثقافة الإسلامية فى غرب أفريقية ـ بوجه خاص ـ مثل « تمبكت » و « جنى » و « كنو » ومدينة « لجامعة القرويين » بالكثير من الجهود التى بذلتها فى هذا الشأن ، حتى الطرق الصوفية التى قامت بدور نشط فى هذا السبيل كانت تستمد مناهجها فى الدعوة ومعارفها عن الإسلام من الجامعة الفاسية .

لقد كان « لمكتبة القرويين الكبرى » دور عظيم ـ على مر العصور فى الحفاظ على كتب التراث وعيون المؤلفات والمخطوطات النادرة مما كان له فضل لاينكر فى الحفاظ على ثقافة الإسلام طوال هذه القرون بالرغم مما نزل « بالمغرب » من أحداث وما تعرض له من غزو أجنبى !

تقدير جهود القرويين :

لقد قامت « الجامعة القروية » برسالتها العلمية والفكرية فى مختلف العصور فنراها عرفت منذ القرن العاشر الميلادى إلى القرن الخامس عشر ، ازدهاراً منقطع النظير واكتسبت سمعة عظيمة فى أنحاء عديدة من العالم حيث قصدها الطلاب من أطراف ، أفريقية وحتى من اوروبا .

لقد جد عليها منذ الاحتلال الفرنسى (١٩١٢ م) ـ وقبله بقليل ـ ما أصاب هذه الحياة العلمية والحركة الفكرية بشىء من الركود فنرى علماءها يلفظون الجوانب الرياضية والفلسفية والطبيعية من محيط التراث العربى الإسلامى حرصا منهم على البقاء فى دائرة المعرفة الدينية وحدها توفيراً للوقت فى سبيل العناية بها وحفظها من الضعف أو الضياع خصوصا أن الاستعمار كان يداب على النيل منها .

كانت القرويين صورة واضحة وقوية للمقاومة العنيدة الفذة ضد أساليب التغريب والسيطرة من قبل المستعمرين ، لم تستسلم طوال تاريخها ، قاومت ، وقاومت حتى انتصرت وانتصر بها « المغرب » وحفظت عليه عروبته وإسلامه .

كذلك فقد ارتبطت رسالتها منذ أن انشئت بالإسلام وثقافته وبالمعرفة العربية المتوارثة وعلى العموم بالتراث العربى الإسلامى ، وحملت عبء هذه الرسالة منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجرى حتى الآن . وأثقلت كاهلها مرة فأبطات السير بها وخفت عليها مرة أخرى فسارت بها قدما إلى الأمام ، وإذا كان « المغرب » وطنا عربيا ولغة سكانه هى العربية ودينهم هو الإسلام وتاريخهم الثقافى يتصل بأسلافهم الذين شاركوهم فى هذا التراث سواء أكانوا فى « المغرب » أم فى رقعة أخرى من الوطن العربى الإسلامى ، وإذا كان « المغرب » كذلك فإن

رسالة « القرويين » هى حمل مقومات الثقافة للمجتمع العربى الإسلامى فى المغرب الذى هو جزء من الوطن العربى الإسلامى الكبير ، ومن اجل هذا كانت مركزاً لهذا التراث القومى ، مركزا لهذا التراث الأصلى الذى تدور على أساسه حياة العرب فى توجههم وفى سعيهم فى الحياة بالمغرب ، فإذا ما اضطلعت « القرويين » بهذه الرسالة وحفظتها على الأقل من الضياع فقد أدت خدمة جليلة لهذا الوطن العربى ، وفى الوقت نفسه أدت خدمة جليلة لثقافة الإسلام ، ولايعيب القرويين أن تكون قد تعثرت فى السير أو تكون قد جمدت فترة من الزمان أو تكون قد اصطدمت بعقبات أو ازمات وغالبتها فغلبتها حينا ، وانتصرت عليها احيانا ، فإنما تلك وقفة التقاط للأنفاس تؤدى إلى السعى الحثيث .

لايعيبها ذلك ؛ لأنها على كل حال ما ابطأت فى سيرها وماجمدت فى حركتها وما انهزمت فى مغالبة العقبات إلا من أجل هذا الوطن العربى ومن أجل الثقافة الإسلامية . لا يضير رجالها أن وجهت إليهم سهام النقد وكثير من النقائص والمعايب فلقد كانوا القوة لجامعة القرويين تغالب بها فتغلب أو تنتصر ، وكانوا الحافظين فى صدورهم لأصول هذا التراث العزيز وكانوا المدافعين بمنطقهم وتفكيرهم عن قيمه ، وكانوا الملقنين بألسنتهم للأجيال الجديدة تلك الثقافة وبذلك كانوا هم العمد التى قامت عليها تلك الثقافة . واتصل بوجودهم وجودها وبقاؤها .

لقد كان اعتماد الاستعمار الفرنسى للبقاء فى المغرب ـ إلى جانب الوجود العسكرى ـ على قطع الصلات بين الماضى والحاضر ، بين الأجيال التى تنشأ وبين ما لأسلافهم ـ من قبل ـ من ثقافة وتراث وأمجاد وتاريخ ، فبدأت العناية باللغة الفرنسية وقيم الحياة الغربية وبالتفكير الأوروبى ومنهجه حتى كاد العربى هناك ينسى ماضيه ويركز الفخر بحاضره ولم يكن هناك إهمال فحسب للغة العربية والتراث الإسلامى الروحى والعقلى ، وإنما كانت هناك سخرية واستخفاف بها وسخرية واستخفاف بالقائمين على أمرها وسخرية واستخفاف ـ إن همسا ولمزا وإن علانية ـ بمن يردد قيمها كما هى فى واقع أمرها ، او يعتز بالانتساب إليها والتمسك بها . وهنا كان على (القرويين) أن تواجه هذا التحدى المقنع حينا والسافر أحيانا وكان عليها أن تقاوم هذا التخريب الموجه إلى أعز ماتملكه الأمة العربية ، والذى عليه وحده تقوم نهضتها يوم تواتيها الظروف للنهضة وهو الذى يمثل تراثها الروحى والعقلى وقيمها ومثلها فى الحياة ، ويمثل لغتها وتاريخها الحافل بالأمجاد والبطولات والملىء بأسباب الفخر والإعزاز .

لقد كافحت « القرويين » فى ثلاثة ميادين هى :

(أ) الإسلام (ب) اللغة العربية (جـ) التاريخ .

ففى مجال الإسلام كانت الدعوات الفكرية تحمل طابع التجديد فى الفكر الإسلامى وتنقيته من الزيف وفتح باب الاجتهاد والعودة به إلى منابعه الأولى وقد حملت دعوة الإسلام متحررة نقية ، من غير جمود ولاتحجر فجددت فكره وتراثه وكشفت عن بطولاته وأمجاده ، وقد ربت هذه الدعوة أجيالا من الشباب المثقف المؤمن المعتصم عن الشهوات الراغب فى الاستشهاد من أجل الحرية .

وفى مجال اللغة العربية دافعت القرويين أحر دفاع وأصدقه وقاومت ما وسعتها المقاومة كل تيارات التغريب والعامية والكتابة بالحروف اللاتينية ودفع اللغة الفرنسية إلى الأمام وأكدت أن اللغة العربية قادرة على البقاء وأنها حقيقة



من معالم حضارة الاسلام

بأن تكون لغة الحضارة والمدنية العصرية فلم تجمد عن قبول الالفاظ، الجديدة بالنحت والاشتقاق أو التعريب .

وظلت الثقافة المغربية حقيقة بحماية القرويين وتنميتها والدفاع عنها طوال هذه الحقبة .

وفى مجال التاريخ ، قاومت « القرويين » كل مؤامرات الغرب وردت على كل ماوجه من اتهامات إلى التاريخ المغربى ، وعنى المؤرخون المغاربة بمقاومة الآراء التى تقوم على تمزيق الأمة المغربية ، أو التى حاولت رد نهضتها إلى الرومان وكان إيمان « القرويين » صادقاً بأهمية التاريخ فى بناء الأمة خلال ايام الاحتلال .

ولعل كتاب « النبوغ المغربى » الذى الفه الأستاذ « عبد الله كنون » يمثل هذا الإيمان الصادق ، ذلك لأن هذا الكتاب وجد مقاومة عنيفة وصدر القرار العسكرى بمنع رواجة ومعاقبة من تضبط عنده نسخة وكتبت صحيفة « السعادة» لسان حال الحماية الفرنسية :

« صدر أمر يقضى بمنع الكتاب المعنون « بالنبوغ المغربى » الصادر باللغة العربية فى تطوان من الدخول إلى المنطقة الفرنسية بالمغرب الأقصى وبيعه وعرضه وتوزيعه » .

وثارت الصحف ضد هذا التدخل فى شئون الفكر وكتبت جرائد « الحرية » ، و« الوحدة المغربية » مقالات ملتهبة ، ومع ذلك : فإن الكتاب لم يتوقف وترجم إلى الأسبانية وقوبل بالتقدير ومنحت وزارة المعارف مؤلفه ، دكتوراه شرف الآداب من جامعة « مدريد » .

لقد نجحت « القرويين » نجاحاً كبيراً فى الحفاظ على مقومات المجتمع المغربى وهى : « الإسلام » و« اللغة العربية » و« الشخصية المغربية » التى هى جزء من الأمة العربية الإسلامية وإذا كانت « القرويين » قد نجحت فى الحفاظ على ثقافة الإسلام وعلى الشخصية العربية الإسلامية للشعب المغربى طوال هذه القرون فإن رسالتها ـ مع غيرها من معاهد إعداد الدعاة فى أنحاء العالم الإسلامى ـ ومن الآن يجب أن تكون نشر الإسلام والتعريف به والدفاع عنه فى كافة البقاع . ذلك لأن القرويين فى « فاس » والأزهر فى « القاهرة » والجامعات الإسلامية فى « السعودية » والزيتونة فى « تونس » هى الذخائر التى تحمل معنى الإسلام فى ذهن المسلم يتجه إلى أى منها فى معنى عقيدته وشريعته ، ولم يقصر الأزهر فى مد المسلمين ـ وبخاصة فى أفريقية ـ بما يحتاجونه على قدر طاقته .. ولم تقصر الجامعات الإسلامية فى المملكة العربية السعودية فى القيام بجهود متتابعة وملحوظة فى هذا الميدان ، وهذه الجهود كلها وإن كانت أقل مما يتطلبه الجهاد الروحى فى سبيل الإسلام ، إلا اننا نأمل أن يُمَكَّن « للقرويين » من أن تمد يدها لسائر الجامعات الإسلامية التى تقوم بخدمة العقيدة خارج نطاق العالم الإسلامى للتعاون معها فى هذا السبيل .. خصوصا أنها ـ أى القرويين ـ هى التى قامت بتأسيس « جمعية الجامعات الإسلامية » التى تضم سائر جامعات الإسلام ومقرها مدينة « فاس »[٤] .

إن الدول الاستعمارية بتراجعها عن العديد

(٤) مجلة جمعية الجامعات الإسلامية ٧٢ ـ ١٩٧٣ م .

من الدول التى احتلتها تفتح الأبواب وتهيء الأسباب للمجاهدين فى سبيل ثقافة الإسلام وعقيدته ، فلابد إذاً من أن يُمَكِّنَ المغرب « للقرويين » فى هذه الأرض البكر بأن يمدها بالمال ويسندها بالنفوذ ليحقق لنفسه عن طريق الخير والحق ما كان يرجوه الاستعمار عن طريق الشر والباطل .

ماتستحقه « القرويين » :

إن بذل المال والجهد فى معونة « القرويين » يحرر أفريقية الوثنية – وغيرها من عبودية الروح والعقل والجسد ، وهو كسب سياسى ضخم حاول المستعمرون طويلاً أن ينالوه بالدهاء والإغراء والدماء والزمن فما استطاعوا ، ثم كانت عاقبتهم أن اجتثوا من فوق الأرض الطيبة كما يجتث النبات الطفيلى السام من حقول الحنطة ذلك بأنهم استعلوا على أصحاب الأرض فتميزوا عليهم بالقوة واستأثروا دونهم بالثروة ، وتركوهم للعرى والجوع والمرض والجهل والمشقة .

أما الإسلام فسيدخل فيهم دخول النور فى العين والسرور فى القلب والبرء فى السقم والنظام فى الفوضى .

إن « القرويين » من أهم المراكز الإسلامية فى مستقبل الحياة الأفريقية ، وقد آن لها أن تتحرك أكثر وأن يمكن لها أكثر وأكثر وإنى لمدرك تماماً أن الفرصة متاحة للعمل وأن الأرض مهيأة للزرع وأن « القرويين » مستعدة للبذر فما على « المغرب » إلا أن يسوق السحاب إلى النفوس الظمأى فترتوى ، وإلى الأرض الميتة فتحيا ويومئذ تلد أفريقية الرجال وتبرهن لأوروبا البيضاء أن المرء بجوهره لا بمظهره وأن جوهر الإنسان ، لايختلف باختلاف لونه فى الناس ولابتغير موقعه من الأرض .

إن « القرويين » لايصح لها – بأى حال – أن تقف بمعزل عن الصراع المخيف الذى يدور بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الأفريقيين فى أعماق القارة الغالية .

لايصح لسبب هام وبديهى ، هو انها فى بلد افريقى ولسوف تظل هذه الشعوب ، خاصة الموجودة منها فى غرب أفريقية ، تتطلع إليها وهى فى بلد يحرس الباب الشمالى الغربى للقارة ، والذى يعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .

لايصح بحال من الأحوال أن تتخلى عن مسئوليتها فى المعاونة بكل ما تستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق القارة العذراء ، والمؤكد أن أفريقية الآن مسرح لفوران عجيب مثير والرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوروبية يحاول التأثير بكل الوسائل ، ليضمن لنفسه الاستمرار فى استغلال ثروات القارة .

لايصح للقرويين أن تقف أمام الذى يجرى فى قارتها وتتصور أنه لايهمها ولايعنيها !!

ولسوف أظل أحلم باليوم الذى أجد فيه « القرويين » معهدا ضخماً للإسلام يسعى لكشف أسراره أمام عيون الوثنيين والملحدين . ويخلق فى عقولنا وعيا إسلاميا مستنيرا ويشارك مشاركة فعالة فى تحمل أمانة نشر الإسلام والدفاع عنه فى سائر البقاع .

إن « القرويين » بذلك تكون قد أدت ماعليها لشريعة الله ورسوله وما عليها للعصر الذى تعيشه .

ولعلى فى النهاية استطيع أن أقرر الحقائق التالية : –

أولاً : إنه قامت عند مسلمى المغرب منذ أواخر القرن الثالث الهجرى مايمكن أن يسمى



من معالم حضارة الاسلام

بحركة جامعية كان لها أثرها الكبير ـ فيما بعد ـ فى خدمة الفكرة الجامعية وتطورها .

ثانيا : إن هذه الحركة الجامعية نبعت من « القرويين » ، ثم تمثلت فى دور العلم المنتشرة هنا وهناك فى أنحاء المغرب كفروع لها وبلغت ذروتها فى العصر الحديث بإقرار جامعيتها على النظام الحديث وهى بذلك إسلامية أصيلة نالت من التطور مايتفق وإسلامها .

ثالثاً : إن القرويين بلغت درجة كبيرة من حسن التنظيم الإدارى ورقى المناهج التعليمية وطرق الدراسة بها مما نستطيع أن نفاخر به أحدث الجامعات الأوروبية .

رابعاً : إن إليها ـ وإلى غيرها من جامعات العالم الإسلامى ـ يرجع الفضل فى العمل بكثير من النظم التربوية التى تعمل بها العديد من الجامعات العصرية كمجانية التعليم والضمان الاجتماعى ونظام المدن الجامعية وتكافؤ الفرص وحرية الفكر ولاريب أن ذلك إنما كان صدى للتعاليم الإسلامية السامية .

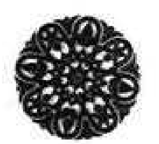
خامساً : إنها أكدت رسالة العلم الاجتماعية فكان لها نشاطها فى الميدان العلمى والاجتماعى ، إذ عملت على خدمة المجتمع وهو عين الغرض الذى تسعى له جامعات العصر الحديث .

سادساً : إنها فتحت للمرأة ميدان التعليم ، واعترفت بأستاذيتها متى كانت قادرة على ذلك .

سابعا : إنه يجب على المسئولين فى المغرب أن يدعموها ويساندوها لتؤدى دورها بفاعلية فى التعريف بالإسلام ونشره والدفاع عنه فى أنحاء العالم .

وأرجو الله سبحانه أن يرزق المسلمين من الروية ما يمكنهم من مراجعة حسابهم مع تاريخهم وأن يرزقهم من القوة والشجاعة ما يمكنهم به من الاتجاه صوب تراثهم كما أرجو من الله أن يمكن المسئولين المغاربة من بذل أكبر لـ « القرويين » يدفع إلى دعمها والتمكين لها .

وإذا كان المسلمون فى أماكن عديدة من العالم يتعرضون اليوم لما يمكن أن يعيد إلى الأذهان « محاكم التفتيش » ، فالمأمول أن يكون ذلك إيذانا بتنبيههم إلى مراجعة إمكاناتهم للقيام بالدعوة على وجه صحيح ، وتقديم النموذج الحى فى هذا المجال .





بقلم فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

كان يسمى فى الجاهلية : عبد شمس بن صخر ، فلما أسلم : سَمَّاهُ النبى - صلى الله عليه وسلم - : عبد الرحمن .. وهو من قبيلة دوس : إحدى قبائل اليمن .

وامه : اميمة بنت صفيح بن الحارث ، وهى دوسية ايضاً . نزح إلى المدينة المنورة : سنة سبع من الهجرة ، وكان عمره حينذاك : نحواً من ثلاثين سنة ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - بخيبر .

فاسلم بين الحديبية وخيبر عن رغبة واشتياق ، ومنذ رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - : لم يفارقه ابدا ، إلا فى ساعات النوم ، فكان يلازمه للخدمة : فى السفر والحضر ، راغباً فى العلم والهدى ، مكتفياً بما يقيم أوده ، ويسد رمقه .. ويقال : إنه أسلم قبل هذا التاريخ بزمن طويل ، ولكن هجرته : إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما كانت فى تلك السنة ، ويرجح هذا القول لدليلين :

(١) ماذكره ابن حجر فى الإصابة : من ترجمة الطفيل بن عمرو الدوسى : أنه أسلم قبل الهجرة . ولما عاد بعد إسلامه إلى قومه : دعاهم إلى الإسلام ، فلم يجبه إلا أبوه وأبو هريرة ، وهذا صريح فى أن إسلام أبى هريرة : قد تم ، قبل قدومه إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى غزوة خيبر بسنوات ..

(٢) مارواه البخارى ومسلم : من أمر المشادة : التى جرت بين أبى هريرة ، وبين أبان ابن سعيد بن العاص حين قسمة الغنائم ، بعد فتح خيبر ، فقد طلب أبان من الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أن يقسم له من الغنائم ، فقال أبو هريرة : لا تقسم له يا رسول الله ؛ فإنه قتل ابن قوقل : وهو النعمان بن مالك بن ثعلبة ،

الصحابى الجليل أبو هريرة

ولقبه : قوقل بن أحرم ، وذلك فى معركة احد ، إذ كان أبان لا يزال مشركاً ، فقتل ابن قوقل ..

ومن هذه القصة تبين لنا أن اباهريرة ، حين قدم خيبر ، مهاجراً إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن حديث عهد بالإسلام ، بل كان متتبعاً لمعاركه وأحداثه ، بحيث يعلم أن ابان ابن سعيد بن العاص هو الذى قتل ابن قوقل يوم

سبب تكنيته بأبى هريرة :

كان رضى الله عنه عطوفاً على الحيوان ، رآه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً يحمل هرة صغيرة فى كمه ، فسأله .

فقال : هذه هرة يارسول الله ، فقال : اجلس ياأباهريرة ، فصارت كنية له ، واشتهر بها ، حتى غلبت عليه ، وفى رواية الترمذى عنه قال : « كنت أرعى غنم أهلى ، وكانت لى هريرة صغيرة ، فكنت اضعها بالليل فى شجرة ، وإذا كان النهار : ذهبت بها معى ، فلقبت بها ، فكنونى أبا هريرة .

أوصافه وشمائله :

كان آدم ، بعيد ما بين المنكبين ، ذا ضفيرتين ، أفرق الثنيتين ، يحنى لحيته بالحناء ، ويعفيها ، ويحفى شاربه ، كان خفيف الروح ، صادق اللهجة ، محبباً إلى الصحابة ..

لم يكن يعكر عليه صفو حياته ، وينغص عليه عيشه . سوى مشكلة واحدة . لم يرقأ له دمع بسببها ، كانت هذه المشكلة هى أمه ، التى رفضت أن تسلم ، ليس ذلك فحسب ، بل كانت كثيراً : ما تؤذى ابنها فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فتذكره بسوء ، وذات يوم : أسمعت اباهريرة : فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما يكره فانفض عنها باكياً محزوناً ، وذهب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد اخضلت لحيته من كثرة الدموع .

يقول محدثاً : عن هذه الحالة : « فجئت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أبكى ، فقلت : يارسول الله كنت أدعو أم أبى هريرة إلى الإسلام فتأبى عَلَىَّ ، وإنى دعوتها اليوم ، فأسمعتنى فيك ماأكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة إلى الإسلام ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهم اهد أم أبى هريرة ، فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما أتيت الباب ، إذ هو مجاف (أى مغلق) وسمعت خضخضة الماء ، ونادتنى ياأبا هريرة مكانك ، ثم لبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، وخرجت وهى تقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فجئت أسعى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أبكى من الفرح ، كما بكيت من الحزن ، وقلت : أبشر يارسول الله ، فقد أجاب الله دعوتك قد هدى أم أبى هريرة إلى الإسلام ، ثم قلت يارسول الله، ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين والمؤمنات .

فقال : « اللهم حبب عُبيدَك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة » ..

زهده وعبادته

كان شديد الحرص على أن يصحب النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أكثر الأوقات ، ويأكل عنده .

روى مسلم فى صحيحه فى فضائل الصحابة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ملء بطنى » .

قال الحافظ ابن حجر : « أى مقتنعاً بالقوت ، فلم تكن له غيبة عنه » ، وكثيراً ما تحمل آلام الجوع ، حرصاً منه على الا يفوته شىء، من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

روى البخارى عن أبى هريرة : « والله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على الأرض بكبدى من الجوع ، وأشد الحجر على بطنى » . ويقول : « لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وحجرة عائشة ، فيقال : مجنون ، ومابى جنون ، ومابى إلا الجوع » . وقد فسر ابو هريرة الصرع الوارد فى هذا الأثر المروى عنه بأنه صرع جوع وفاقة ، لا صرع جوع ومرض ..

واما ورعه وعبادته : فقد كان - رضى الله عنه - من العابدين الاوابين : يتناوب مع زوجته وابنته قيام الليل كله ، فيقوم هو ثلثه ، وتقوم زوجته ثلثه ، وتقوم ابنته ثلثه .. وهكذا لا تمر ساعة من الليل إلا وفى بيت أبى هريرة عبادة وذكر وصلاة .

واخرج ابن كثير فى تاريخه : « أن اباهريرة : كان يقوم ثلث الليل ، وامراته ثلثه ، وابنه ثلثه ، يقوم هذا ، ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا » . واخرج ايضاً عن أبى هريرة قوله : « إنى اجزىء الليل ثلاثة اجزاء : جزء لقراءة القرآن، وجزء انام فيه ، وجزء اتذكر فيه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » .

وعن عكرمة - رضى الله عنه - : « كان أبو هريرة يسبح كل ليلة اثنى عشر ألف تسبيحة ، يقول : اسبح على قدر ذنبى » . وقال أبو عثمان النهدى : « قلت لأبى هريرة كيف تصوم ؟ قال : أصوم أول الشهر ثلاثاً ، فإن حدث بى حدث : كان لى أجر شهرى ».

وكان مع هذا كله ، ورغم فقره يتصدق بما يصل إلى يده من مال ..

بعث مروان بن الحكم : إلى أبى هريرة : بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث إليه ، إنى غلطت ولم اردك بها ، وإنى إنما أردت غيرك .. فقال أبو هريرة : قد أخرجتها ، فإذا خرج عطائى فخذها منه ، وكان قد تصدق بها ، وإنما أراد مروان اختباره » .. البداية والنهاية .

حفظه وقوة ذاكرته :

كان ذا موهبة خارقة فى قوة الذاكرة وسعتها ، لم يكن ممن يكتبون ، ولكنه كان سريع الحفظ ، كان يجيد فن الإصغاء يسمع فيعى فيحفظ ، ثم لا يكاد ينسى كلمة واحدة ، مما وعاه ، مهما امتد به الزمن ، من أجل ذلك هيأته موهبته ؛ ليكون أكثر أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - حفظاً لأحاديثه ، وبالتالى اكثرهم رواية لها ، وقد بلغ مارواه من الأحاديث : ٥٣٧٤ حديثاً ..

وكان من اثر ملازمته للنبى - صلى الله عليه وسلم - ملازمة تامة أن اطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أقوال الرسول وأعماله .. لقد كان فى بادىء أمره سىء الحفظ ، حين أسلم ، فشكا ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له : افتح كساءك . فبسطه ، ثم قال له : ضمه إلى صدرك ، فضمه فما نسى حديثاً بعده قط .

الصحابى الجليل أبو هريرة

روى أن رجلاً جاء إلى زيد بن ثابت فسأله ، فقال له زيد : عليك بأبى هريرة ، فإنى بينما أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد : ندعو الله ونذكره ، إذ خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى جلس إلينا فقال : عودوا للذى كنتم فيه ، قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤمن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال : اللهم إنى أسألك : مثل ما سأل صاحباى ، وأسألك علما لا يُنسى .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : آمين ، فقال زيد وصاحبه ، ونحن يارسول الله : نسأل علما لا ينسى ، فقال : سبقكم بها الغلام الدوسى ..

لم تكن لأبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : أرض يزرعها ، ولا تجارة تشغله ، ولهذا فقد كان يكرس نفسه ، ودقة ذاكرته ، لحفظ أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهاته ، فلما انتقل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . إلى الرفيق الأعلى ، جعل أبو هريرة ، يحدث ويحدث عن رسول الله ؛ مما جعل بعض أصحابه يعجبون !! أنى له كل هذه الأحاديث ؟ ومتى سمعها ووعاها ؟ ... ولقد ألقى أبو هريرة : الضوء على هذه الظاهرة ، وكأنه يدفع عن نفسه مغبة تلك الشكوك التى ساورت بعض أصحابه ..

روى البخارى والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « يقولون إن أبا هريرة قد أكثر ، والله الموعد ، ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ، وسأخبركم عن ذلك ؛ إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم ، وإن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق .. وكنت ألزم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ملء بطنى ... فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا .

ولقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً : أيكم يبسط ثوبه . فيأخذ من حديثى هذا ، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لن ينسى شيئاً سمعه ؟ فبسطت بردة عَلَىّ ، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلى صدرى ، فما نسيتُ بعد ذلك اليوم شيئاً حدثنى به ، ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه : ما حدثت شيئاً أبدا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ « سورة البقرة ١٥٩ ، ١٦٠ » .

وهذا هو سر تفرده بكثرة الرواية ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. والمستشرقون ومن لف لفهم ، يتظاهرون باستغراب قوة الحفظ عند أبى هريرة ، ولو نظروا بعين الإنصاف لما وجدوا فيه غرابة ، فلكل أمة من الأمم ميزة تمتاز بها عن غيرها ، والحفظ من الميزات التى امتاز بها العرب ..

وكان يقول عن نفسه : « ما من أحد من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أكثر حديثاً عنه منى : إلا ما كان من عبدالله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب ولا أكتب » ..

ثنـاء الصحابة عليه والتابعين وأهل العلم

قال عمر لأبى هريرة : « إن كنت لألزمنا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأحفظنا لحديثه » ..

وقال طلحة بن عبدالله : « لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لم نسمع » ..

وقال ابن عمر : « أبو هريرة خير منى ، وأعلم بما يحدث » ..

وقال أبى بن كعب : « إن أبا هريرة كان جريئاً : على أن يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء لا يسأله عنها غيره » ..

وقال الشافعى : « أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره » ..

وقال البخارى : « روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم » ..

وقال أبو صالح : « كان أبو هريرة أحفظ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » .

وقال سعيد بن أبى الحسن (أخو الحسن البصرى) : « لم يكن أحد من الصحابة أكثر حديثاً من أبى هريرة » ..

وقال الحاكم : « كان من أحفظ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وألزمهم له صحبة : على شبع بطنه ، فكانت يده مع يده ، يدور معه حيثما دار ، إلى أن مات - عليه الصلاة والسلام - ، ولذا كثر حديثه » ..

وقال ابن حجر : أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً » ..

وهكذا كان أبو هريرة - رضى الله عنه - : مدرسة كبيرة فى مجال الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتب لها البقاء والخلود ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

عاش أبو هريرة عابداً مجاهداً لا يتخلف عن غزوة ولا عن طاعة ، وحين تولى إمارة البحرين من قبل أمير المؤمنين عمر ادخر مالاً من مصادر حلال ، وعلم بذلك عمر ، فاستدعاه إلى المدينة ، وهنا يحدثنا أبو هريرة عما دار بينه وبين عمر ، من حوار سريع (وكان قد قدم بعشرة آلاف) ، فيقول : قال لى عمر : ياعدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ . قلت : ماأنا بعدو الله ، ولا عدو كتابه ، لكنى عدو من عاداهما ، ولا أنا من يسرق مال الله ، قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة الآف ؟ قلت : خيل لى تناسلت ، وعطايا تلاحقت ، فقال له عمر : فادفعها إلى بيت مال المسلمين ، ودفع أبو هريرة المال إلى عمر ، ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم اغفر لأمير المؤمنين .. وبعد فترة من الزمن دعا عمر اباهريرة ، وعرض عليه الولاية من جديد ، فأباها واعتذر عنها ، فقال له عمر : أتترك العمل ، وقد طلبه من كان خيراً منك ؟ قال : من ؟ . قال : يوسف ابن يعقوب - عليهما السلام - فقال أبو هريرة يوسف نبى ابن نبى ، وأنا أبو هريرة : ابن أميمة .. أخشى ثلاثا واثنتين ، فقال عمر : أفلا قلت : خمسا ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حكم ، وأن يضرب ظهرى ، وينتزع مالى ، ويشتم عرضى » ..

مرضه ووفاته

وفى مرضه الذى توفى فيه أحس بوجع شديد ، واشتد شوقه إلى لقاء ربه ، وبينما كان عواده يدعون له بالشفاء من مرضه ، كان يلح على الله تعالى .. قائلاً : « اللهم إنى أحب لقاءك ، فأحبب لقائى » ...

وعن ثمان وسبعين سنة فاضت روحه إلى باريها ، وذلك فى العام التاسع والخمسين للهجرة وبين ساكنى البقيع الأبرار ، تبوأ جثمانه الطاهر مكاناً طيباً مباركاً ..

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ « الحشر : ١٠ » .

المراجـــع

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ..
(٢) الإصابة فى تاريخ الصحابة ..
(٣) البداية والنهاية ..
(٤) تاريخ ابن كثير ..
(٥) صحيح البخارى ..
(٦) صحيح مسلم ..
(٧) سنن الترمذى ..
(٨) مسند الإمام أحمد ..
(٩) المستدرك للحاكم ..

المستشرقون والموضوعية

المستشار: أحمد عبد الحميد غراب



إدوارد لين

مستشرق إنجليزى عاش فى نفس القرن الذى عاش فيه دي ساسي ؛ أى القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذى شهد زحف الاستعمار الغربى الصليبى على بلاد المسلمين ، بتمهيد المستشرقين ومساعدتهم .

وقد وُصف كذلك بأنه من المستشرقين الذين قاموا بدراسة الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية ، بل لمجرد حب العلم !

وله كتاب مشهور عن عادات المصريين وأساليب حياتهم بعنوان : An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians نشرته سنة ١٨٣٦م الجمعية الاستشراقية البريطانية المعروفة باسم الجمعية الأسيوية الملكية : Royal Asiatic Society .

وقد جمع موادَّ الكتاب خلال إقامته فى مصر فى السنوات ما بين ١٨٢٥ ـ ١٨٢٨ ، ١٨٣٣ ـ ١٨٣٥م .

ويحتوى الكتاب على معلومات غزيرة عن الشعب المصرى المسلم وعاداته الإسلامية كما تلاحظ فى الحياة اليومية ؛ ومن ثَمَّ كان أحد العوامل التى مكَّنت الاستعمار البريطانى من فهم المجتمع المصرى ، والتمهيد لاحتلال مصر سنة ١٨٨٢م .

وقد تظاهر هذا المستشرق خلال إقامته فى مصر بأنه مسلم ، واتخذ له « صاحباً » مصريا مسلما ؛ ليساعده فى الاختلاط بالمصريين دون إثارة الشكوك والشبهات حوله ! والمستشرق فى كتابه يعكس صفات صاحبه هذا ، وبخاصته صفاته السيئة ، على الإسلام والمسلمين جميعا ، ولا سيَّما الجمع بين التديُّن والشهوانية ؛ جريا على عادة المستشرقين فى نسبة النزعة الشهوانية ـ افتراء ـ إلى الرسول ـ ﷺ ـ والإسلام .

ويُنسب إليه وضع المعجم الكبير فى العربية والانجليزية بعنوان : Arabic-English Lexicon والحقيقة أن الذى ساعده بدرجة عظيمة فى وضع هذا المعجم هو الشيخ إبراهيم الدسوقى الذى كان يعمل مصححا فى مطابع بولاق المشهورة بالقاهرة ، خلال إقامة إدوارد لين فى مصر

مونتجمرى وات

مستشرق قسيس كان يعمل إلى عهد قريب رئيسا لقسم الدراسات العربية (والإسلامية) بجامعة ادنبرة فى بريطانيا .

وصفته بعض المجلات « الإسلامية » ليس فقط بالموضوعية والإنصاف ، بل كذلك « بالتعاطف غير العادى مع الإسلام » . وقد ناقشنا بالتفصيل - فى مكان آخر - موقف هذا المستشرق من الإسلام ، ومن الرسول - ﷺ - بوجه خاص ؛ ونشير هنا إلى هذه المناقشة بإيجاز :

فى كتابه : **محمد النبى ورجل الدولة** (بالإنجليزية) يعتبر الرسول - ﷺ - مصلحا اجتماعيا وأخلاقيا ، ولكن بمقاييس عصره وبيئته فقط ، وليس بمقاييس الغرب المسيحى « المستنير » فى عصرنا الحاضر !!! ويزعم أن القرآن الكريم من إنتاج الخيال المبدع عند محمد - ﷺ - (أى ليس وحيا من الله) وهو كخيال الشعراء والفنانين ، ويأتى بالصدق والكذب ! ويقارن المستشرق بين الرسول - ﷺ - وما أوحى إليه من الذكر الحكيم وبين هتلر وخياله « المبدع » وما عرف عنه من عُصاب وهستيريا كانت تؤثر فى الجماهير وتجعلها تفعل ما يريد ! وهكذا يردد المستشرق - بطريقة ماكرة خبيثة - افتراءات المستشرقين الآخرين عن إصابته - ﷺ - بالصرع والهستيريا - حاش لله - وفى مواضع عدة من الكتاب يردد كذلك افتراءات المستشرقين اليهود والنصارى أن القرآن يعتمد كثيرا فى موضوعاته على الأخذ من الأصول اليهودية والنصرانية : أى من التوراة والإنجيل !

ومن هذا يتضح أن وصف هذا المستشرق بالموضوعية والإنصاف بل بالتعاطف « غير العادى » مع الإسلام - إنما هو تضليل متعمد للمسلمين يقصد به إخفاء حقيقة الاستشراق ومخططاته وأهدافه عن المسلمين ، والزعم بأن بعض المستشرقين - على الأقل - يمكن للمسلمين الثقة بهم ، بل والتلقى عنهم ، واعتبارهم « حجة » فى الدراسات الإسلامية !

ويعمل هذا المستشرق الآن (مع مستشرقين آخرين) مستشارا فى دورية إسلامية متخصصة تصدرها دار نشر فى إحدى الدول العربية الإسلامية . وعن طريق هذه الدورية وأمثالها يصبح للمستشرقين اليهود والنصارى ولاية الحكم ، ليس فقط على الطلبة المسلمين ، بل وعلى الأساتذة المسلمين فى الجامعات الإسلامية ، وما إذا كان هؤلاء الأساتذة مؤهلين أو غير مؤهلين لتدريس الإسلام ، وتوجيه الشباب المسلم فى أعلى مراحل التعليم !

فهل هناك سرطان ثقافى أخبث من هذا السرطان الاستشراقى الذى يتغلغل كل يوم فى جامعات المسلمين ؟

برنارد لويس

مستشرق يهودى كان يعمل بجامعة لندن ، والآن بجامعة برنستون ، أستاذا لتاريخ العرب والإسلام .

له مكانة كبيرة فى الاستشراق البريطانى - الأمريكى ، وذو نفوذ كبير لدى الدوائر الحكومية فى بريطانيا وأمريكا وإسرائيل ؛ ويعتبر لديها حجة فى سياسة الشرق الأوسط ؛ وفى التعامل مع العرب والمسلمين .

يتظاهر بالموضوعية ، ويعظ الآخرين بها ، بل ويتُهم بعض الباحثين الغربيين بالخروج عنها ؛ ومن ثم يخدع بعض المؤلفين المسلمين فيصفونه بالموضوعية ، وهو منها براء .

يقول أحد هؤلاء المؤلفين : « هناك فريق من المستشرقين قد حاول جاهدا الالتزام بالحيدة والموضوعية ، وأنكر على كثير من زملائه نزواتهم التى انحرفت بهم عن النزاهة العلمية » .

ثم يستشهد المؤلف بكلام لمونتجمرى وات (وقد سبق الحديث عنه) . يليه استشهاد بكلام برنارد لويس حيث يقول :

« لا تزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرةً فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة

المستشرقون والموضوعية

فى الغالب وراء الحواشى المرصوصة فى الأبحاث العلمية » .

والذى يقرأ هذا الكلام يظن أن برنارد لويس أحد الموضوعيين الكبار !

والحقيقة التى سجّلها الباحثون ـ ومنهم مسلمون وغير مسلمين ـ أن كتابات هذا المستشرق تحفل بالدعاية السياسية للغرب وإسرائيل ، كما تحفل بالتعّصب ضد العرب والإسلام .

وإن المرء ليضيع وقته سدى إذا حاول البحث عن حكم عادل أو موضوعى فى تناول برنارد لويس للإسلام . إنه يفضل أن يعالج الإسلام بطريقته المعروفة فى الايحاء والدس ؛ ثم يحاول بعد ذلك أن يجعل من الافتراء والدس حقيقة لا شك فيها .

وعلى سبيل المثال نراه فى كتابه : **العرب فى التاريخ** The Arabs in History يكرر المزاعم الاستشراقية عن أن محمداً ـ ﷺ ـ قد خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية ، كما يبدو ذلك واضحاً فى القرآن (واضحاً لمن ؟ وبأى دليل ؟) . ويزعم أن محمداً ـ ﷺ ـ لم يأخذ قصص القرآن من الكتاب المقدس مباشرة ، وإنما أخذه بطريقة غير مباشرة ، وعلى وجه الترجيح (؟!) من التجار والرحالة اليهود والنصارى .

ويتضح من هذا أنه يردد نفس الافتراءات الاستشراقية المعروفة منذ القرون الوسطى حتى الآن : القرآن ليس وحيا .. محمد ليس نبياً .. بلا دليل ولا برهان ! !

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ. ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ (الحج ٢٢ : ٨ ـ ٩) .

وقد أشرف هو وبعض شركائه على تحرير الكتاب الضخم : **تاريخ الإسلام لجامعة كامبردج** Cambridge History of Islam الذى صدر فى مجلدين سنة ١٩٧٠م ، واشترك فى تأليفه عدد كبير من المستشرقين (من بينهم برنارد لويس نفسه) ، وفيه يرددون الزعم الاستشراقى القائل بأن الإسلام مزيج ثقافى لا أصالة فيه ؛ لأنه مستعار من عدة ثقافات أخرى : يهودية ونصرانية ، يونانية ، وفارسية ، بالإضافة إلى ثقافة بيئته الأصلية ، وهى البيئة العربية الجاهلية .

وفى مقالة لهذا المستشرق بعنوان : المفاهيم الإسلامية للثورة (بالإنجليزية)نراه يسخر من مفهوم الثورة فى الإسلام وعند العرب ؛ فيردُّ الكلمة إلى أصلها اللغوى : ثُور ـ ثارَ ؛ أى نهض (الجملُ مثلاً) ، أو اهتاج . أى أن الثورة بالمفهوم الإسلامى العربى ماهى إلاَّ نوع من الهيجان أو الانفعال العاطفى المؤقت ، أو الفتنة الطائفية ؛ أى باختصار السلوك اللاعقلانى الصادر من مجتمع متخلف) ! .

ومن الواضح أنه يقصد الثورات الإسلامية والعربية ضد الاستعمار الغربى وإسرائيل ؛ فيحاول السخرية منها ، وتحقيرها ، والحط من شأنها ، وتشويه بواعثها وأهدافها وقيمها ؛ وتصويرها بأنها ليست أكثر من جمل يحاول أن ينهض ، أو جمل يرغى ويزبد . إنها هيجان مؤقت ، لا يلبث أن يهدأ ، أو يتبخر ، دون أن يحقق نتيجة أو يترك أثراً ..

وهذا النوع من الوصف الساخر المهين ـ كما لاحظ د . إدوارد سعيد ـ هو الذى يقدمه هذا المستشرق وأمثاله لصانعى القرار فى حكومات

الغرب ، لحملهم على الاستخفاف بثورات العرب والمسلمين ، أو تحريضهم على سحقها دون مبالاة بالنتائج .

(إن الانتفاضة ، أو بالأحرى الثورة الإسلامية فى فلسطين الآن ، فى بواعثها وأهدافها وقيمها وتضحياتها الهائلة ، واستمراريتها ، لتكذب كل كلمة كتبها هذا المستشرق الحاقد على الإسلام والمسلمين) .

وبالنسبة للعرب فى فلسطين يتظاهر مرة أخرى بالموضوعية ؛ فيحكى وجهة النظر العربية ضد الصهيونية ؛ مستخدما لغة القوميين العرب (لا لغة الإسلاميين) ، دون أن يذكر على الإطلاق استخدام اليهود (بمساعدة الصليبية الغربية) للقوة الوحشية لاحتلال ارض فلسطين بالرغم من إرادة سكانها المسلمين .

وكذلك نراه يتكلم كثيرا عن غياب الديمقراطية فى بلاد الشرق الأوسط ماعدا إسرائيل . ولكنه لا يذكر على الإطلاق ممارسات إسرائيل « الديمقراطية » ضد العرب والمسلمين : قوانين الهجرة ، وإخراج المسلمين من ارضهم وديارهم ، ونسف بيوتهم ، والسجن بلا محاكمة ، والتعذيب ، وكسر العظام ، والمذابح الجماعية للرجال والنساء والأطفال ؛ وانتهاك حقوق الإنسان بصور وحشية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ البشرية .

وبالرغم من هذا كله لا يستحى المستشرق من وصف إسرائيل بالديمقراطية ، كما لا يستحى أن يتظاهر هو بالموضوعية .

« وإذا لم تستح فاصنع ما شئت » !

كارليل

توماس كارليل فى كتابه : الأبطال وعبادة البطولة (١٨٤١م) يمدح الرسول - ﷺ - ويصفه بالصدق والإخلاص ، ولكنه يصف القرآن الكريم بأنه كتاب « ممل ، مضطرب ، مختلط ، مشوش ، جاف ، يعيد ويكرر بلا نهاية ؛ مُطَوَّل حتى الإملال ، معقَّد ، غباء لا يُطاق » .

وكارليل هذا هو الذى يستشهد به كثير من المؤلفين المسلمين - بسذاجة - على « اعتراف » بعض المستشرقين وبعض الغربيين بعظمة الرسول - ﷺ - . كأن الرسول - ﷺ - بحاجة إلى هذا الاعتراف ، وكأن شهادة كافر به ، تعلى من قدره والله تعالى يقول لرسوله - ﷺ - :

﴿ لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾ (النساء - ٤ : ١٦٦) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع :

د . محمود حمدى زقزوق : **الاستشراق** .

احمد عبد الحميد غراب : **رؤية إسلامية** .

أبو الحسن الندوى : الإسلام والمستشرقون **البعث الإسلامى** .

A.L. Tibawi : English-Speaking Orientalists (Islamic Centre - Geneva 1385/ 1965) p. 10. N. 7.

إدوارد سعيد : **الاستشراق** بالانجليزية .

Bernard Lewis : The Arabs in History (London 1968) pp. 38 - 90 .

Bernard Lewis : 'Islamic (Oncepts of Revolution) in Revolution in the Middle east and other case studifs- proceedings of seminars. Ed. By: Vaticiotis (London 1972) pp. 38 - 90 .

ومن هذا القبيل الاستشهاد بأدباء ومفكرين ليسوا مستشرقين ، امثال تولستوى وبرناردشو وجوته . أمَّا المستشرقون الذين اسلموا (وقليل ماهم !) فلا يسمون بعد إسلامهم مستشرقين ؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ماقبله .

الجديد القديم

في عالمنا الشرقي

أين الحَكَمُ المسموع.. ؟!

للأستاذ
السيد حسن قرون

في مقال للأستاذ العقاد بمجلة الرسالة ديسمبر ١٩٤٤ بعنوان « اسئلة واجوبة » حديث عن الشرقيين جاء ردا على سؤال سائل من « بيت المقدس » يقول السؤال :
مابال رجالنا يتقاتلون ويخذل بعضهم بعضا حين نرغب في عمل يفيد بلادنا ؟ أهو حب الظهور ؟ أو هو الغرور ؟ أهو العناد والجمود ؟

وقد جاء جواب العقاد في الكلمات الآتية ، وانا أنقله هنا لانه يصور ما في نفوسنا من حيرة نحو ما نراه في عالمنا العربي والإسلامي من خلافات تبلغ مبلغ التقاتل وإسالة الدماء وتخريب المدن والمرافق . يقول العقاد في هذا الشأن : السؤال جديد قديم منذ قال جمال الدين الأفغاني ـ رحمه الله ـ « اتفق الشرقيون على الايتفقوا ..» .

أما السبب فقد تكتب فيه المطولات ، وقد يوجز في سطور ، ونحن في مقام الإيجاز فعسى أن نحصر السبب في كلمات قليلة تدل على مكان العلة ، ونترك المجال بعد ذلك مفتوحا للطبيب المأمول : طبيب الزمان . إن الخلاف يطول كلما قل الحكم المسموع ، والحكم المسموع بين الرجال العاملين هو تمييز الأمة او تمييز الرأى كما نسميه في الاصطلاح الحديث .

فالأمم التى بلغ الرأى العام فيها مبلغ التمييز يخاف المخطىء أن يصر على خطئه فيها . لأنها تقضى عليه ، والأمم التى لم تبلغ مبلغ التمييز يطمع المخطىء في تضليلها ولا يخشى المتنازعون فيه عاقبة نزاعهم على الحق أو على الباطل ، فيطول أجل النزاع ويصعب الفصل فيه .

وسيظل الخلاف دأب الشرقيين مادام مأمون العاقبة على المختلفين ، ويظل مأمون العاقبة عليهم مادام الحكم المسموع قابلا للتضليل ، عاجزا عن التمييز . وكلما صعد سواد الأمة درجة في سلم الإدراك والأخلاق هبط الخلاف درجة بين الزعماء العاملين . وأحسبهم صاعدين وإن كنا نستبطىء خطواتهم في الصعود .

هذا ماكتبه العقاد عن سؤال سائله منذ ٣٨

سنة ، وفى هذه المدة الطويلة : هل تغير مفهوم الزعماء الشرقيين عن الخلاف ؟ إن الأحداث الماثلة تجيب بالنفى ، لأن الخلاف الناشىء فى عالمنا الإسلامى والعربى يبلغ حد التقاتل دون

ان يكون للرأى العام أثر فيه أو مكان له ، ومع أن سواد الأمة الإسلامية أخذ دوره فى الثقافة وعرف عائدة الحرية عليه ، وزاول قدرا غير قليل من الديمقراطية وإبداء الرأى لايزال محكوما عليه بالوصاية ، «وسيظل الخلاف دأب الشرقيين مادام مأمون العاقبة على المختلفين » كما يقول العقاد ، فلم نر شعبا من الشعوب ناهض الرأى الفاسد أو العمل الظالم فى كل أمر عام يبلو مصير تلك الشعوب ، فزعماء إيران اليوم يهددون دون أخذ رأى الشعب الإيرانى ، ولا أعتقد أن النظام العراقى قد أخذ رأى الشعب حين هاجم إيران ، وحين تقع الواقعة وتعظم الكارثة يكون المعاقب هو الشعوب لا من أقاموا الحروب وأرثوا العداوات وأشعلوا الفتن ، وتغنوا بالشعارات والبطولات .

إن المخلصين من علماء الدين والمفكرين فى مصر وغيرها أنكروا الحرب الغبية التى قامت بين شعبين تجمعهما عقيدة واحدة هى عقيدة الإسلام ، وأن الأرض المتنازع عليها يسكنها وينتفع بها مسلمون من هنا أو هناك ، فلا ضير على المتنازعين أن يتفقوا على رضا المسلمين دون حمل السلاح وإراقة الدماء ، وإعلان الغالب والمغلوب ، ويقرءون القرآن والأحاديث الشريفة ، وكأنهم يقرءون شيئا لايخصهم أو مضى زمانه ، ويقولون الثورة الإسلامية والحكم الإسلامى وهم بعيدون عنه بعدهم عن مبادىء الغرب القائمة فكأنهم يعيشون فى الجاهلية على عهد كسرى

والنعمان بن المنذر ، ولم يصغوا إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ولا إلى قول الرسول الكريم « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » البخارى كتاب العلم .

ونعود إلى « الحكم المسموع » الذى أشار إليه العقاد فنجده لا رأى له يعد مسموعا أو غير مسموع ، فهو سادر فى غفلته ، معطل التفكير فى كل جبهة من الجبهات ، قد ضلل ، فلم يخفه زعيمه ، ولو خافه لفكر فيما يفعله ألف تفكير وعمل حسابا كبيرا لمن يتحدث عنهم ويسوقهم إلى ميادين القتال ، ميادين قال فيها نبيهم ورسولهم محمد ﷺ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » البخارى ـ كتاب الإيمان .

لقد بلغ من التضليل أن يقال : مجوس ومسلمون ، أو عرب وفرس ، ويوم دخل الفرس فى الإسلام شاركوا فى تعاليمه وتفقهوا فيها ، وأعطوا أفكارا وأعمالا كانت من تراثنا الحبيب الذى نعتز به ، ونحرص عليه .

ومن يوم أن فسر علماؤنا من السلف المبدأ القائل : « إن المجتهد المخطىء له أجر ، والمجتهد المصيب له أجران » والمسلمون يتقاتلون ويظنون أن لهم أجرا فى كلتا الحالتين . وليس الأمر كذلك فالحلال بيِّن والحرام بيِّن ولا ينبغى لمصائر الشعوب أن تكون مجالا لأفكار مخطئة أو أفكار ضالة تنبعث من أطماع لاسند لها من الدين وتعاليمه .

كيف يكون للحكم المسموع أو (الرأى العام) فعاليته فى إحقاق الحق وإبطال الباطل ؟ لابد من الرجوع إلى طبيعة الدين الإسلامى الذى قرر ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[١] ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[٢] ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ

←

(١) الحجرات ١٣

(٢) آل عمران ١٥٩ .

﴿بَيْنَهُمْ﴾[٣] وسبيل ذلك (المصالحة) التى جاءت فى سورة الحجرات .

ومن أعجب ما رأينا وسمعنا أن أية مساع حميدة لا تستطيع أن تأتى بفائدة ، وهذا خروج على أوامر الدين ، وخروج على طبيعة الجوار ، فلا الدين نأخذ بتعاليمه ، ولا منطق الحياة والحضارة نستمع إليه ولو كانت للشعوب نظرات حية وفهم لمنطق الحياة ، وتجمع لديها رأى عام له تمييزه فى المواقف لما قامت تلك الحرب كما قلنا سابقا .

لقد انقسم العرب على أنفسهم فى تلك المعركة ، لا لأنهم يختلفون حول ويلاتها ومايجب نحوها من عمل صالح فقد كان فيهم مؤيدون للفريقين على السواء ، فكأنهم يزيدون النار اشتعالا ، ولا يشغلون أنفسهم بإطفائها .

هل العالم الإسلامى اليوم صارت له عقائد مختلفة ؟ سنة .. شيعة .. ودعوة ، كل شىء صار مهدر القيمة ، منقوص الكرامة ، ضائع الهوية ، ومرة أخرى أين سواد الأمة الذى ينشده العقاد ؟ ليس موجودا مادام لايدرك واقعه ، ولايعرف مصيره ، ولايزن مايقع بميزان الأخلاق الكريمة ، والطبائع السوية .

لقد تفاءل العقاد حين قال ، وأحسبهم ـ أى الزعماء ـ صاعدين وإن كنا نستبطىء خطواتهم فى الصعود . أنتفاءل معه أم نيأس ، واليأس إحدى الراحتين ؟

اری أمـة شـهـرت سيفـهـا
وقـد زيد فى سـوطها الاصبحى

فاللهم عونك على دفع البلاء ، وبصر قادتنا بما ينفع البلاد والعباد ، واجعل شعارهم قولك الحق :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وانت المستعان .

(٣) الشورى ٣٨ .

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(ا) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة .

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حىّ الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات رأسا إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

من رجال القضاء فى دولة الإسلام

شُرَيْح بن الحارث الكِنْدِى

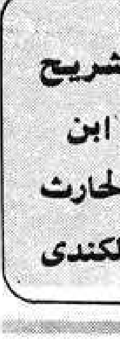
كان أعلم الناس بالقضاء فى زمانه ، ذكيا فى استنباط الأحكام ، فهو ذو فطنة ومعرفة وعقل ، كما كان نموذجا للفقيه العابد والمجتهد العالم باصول الإسلام كادق مايكون العلم ، ويكفيه فخراً انه كان موضع ثقة الراشدين الخلفاء : عمر ابن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلى ابن ابى طالب رضوان الله عليهم اجمعين .

فهو إلى جانب تقواه وورعه وعدالته ونزاهته كانت احاديث رسول الله ﷺ تشكل سلوكه وتصوغ تصرفاته وتصبغ منطقه بصبغة الإسلام الخالص .

ذلك هو شريح بن الحارث الكندى أحد التابعين من أهل اليمن ، ومن رجال القضاء المشهورين فى دولة الإسلام ، أمضى جل عمره مابين دارس يتلقى العلم على شيوخ عصره ، وبين قاض أو مفت يبصر الناس بشئون دينهم .

● كيف ولاه الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب منصب القضاء ؟

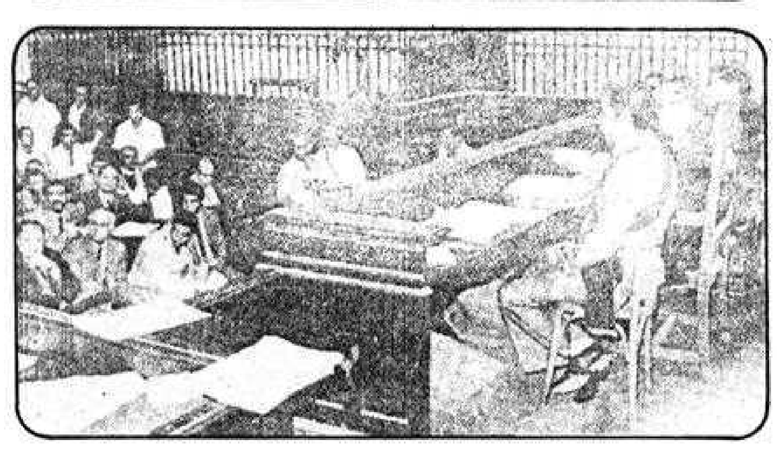
يروى الإمام الشعبى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وهو خليفة اشترى فرسامن رجل واشترط أن يدفع الثمن بعد تجربة الفرس بيد انه ما كاد يسير بالفرس بضع خطوات حتى عطبت الفرس فقال لصاحبه : خذ فرسك فقال الرجل : لا ، فقال له عمر وهو حاكم المسلمين : اجعل بينى وبينك حكما ، فقال الرجل : نعم؛ شريح ! فسأله عمر : من شريح ؟ فقال الرجل : شريح اليمنى ، فانطلقا إليه وقصا عليه القصة وانتظرا : بماذا يحكم ؟



شريح ابن الحارث الكندى

فنظر شريح إلى عمر وقال : « يا أمير المؤمنين أخذته صحيحاً سليماً فعليك أن ترده سليماً كما أخذته أو خذه بما ابتعته » .

وبعد صدور الحكم من شريح لم يغضب عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - إذ وجد أمامه رجلاً أمينا فى حكمه حريصا على كلمة الحق ، شجاعا لا يخشى إلا الله .



مجلس قضاء فى مصر : أعلاها عصر ما قبل محمد على والآخر . فى العصر الحديث الصورة عن « الأهرام » .

فقال عمر لشريح : وهل القضاء إلا هذا ؟

وكان من نتيجة إعجاب الخليفة الراشد عمر به أن بعثه قاضيا إلى الكوفة .

(راجع لوكيع محمد بن خلف بن حبان - أخبار القضاة ٢ / ١٨٩ . عالم الكتب - بيروت) .

● وصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب له فى ولاية القضاء :

كتب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى شريح يقول له : « إذا أتاك قضاء فاقض بما فى كتاب الله ، فإن أتاك ما ليس فى كتاب الله فاقض بسنة رسول الله ﷺ ، فإن أتاك ماليس فى سنة رسول الله فاقض بما يجتمع فيه رأى المسلمين ، فإن أتاك مالم يجتمع فيه رأي المسلمين فاختر إحدى اثنتين إن شئت فاجتهد رأيك وتقدم وإن

شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيرا والسلام » .

وفى رواية « إن شئت أن تجتهد رأيك وإن شئت تؤامرنى ولا أرى فى مؤامرتك إياى إلا أسلم لك » .

ومن وصايا عمر إليه أيضاً : « لاتشار ، ولا تضار ، ولا تشتر ، ولا تبع ، ولا ترتش » .

● كيف كان شريح يعقد مجلس القضاء ؟؟

كان شريح يعقد مجلس القضاء فى المسجد ليتوافر فيه شرط العلانية وحضور الناس ، ولم يكن يعقد هذا المجلس فى بيته إلا فى اليوم المطير ، كما كان يستفتح مجلس القضاء بقراءة قول الله تعالى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾[٢] .

وقبل دخوله إلى مجلس القضاء كان يتوضأ ويصلى ركعتين ويسأل الله أن يهديه إلى العدالة ، وكان يستحضر فى ذهنه دائماً أحاديث رسول الله ﷺ التى توضح مدى خطورة منصب القاضى ومسئوليته أمام الله مثل قوله :

« ما من حكم يحكم بين الناس إلا أُتى به يوم القيامة وملك آخذ بقفاه فيوثقه على شاطىء جهنم ثم يرفع رأسه فإن قيل له ألقه ، ألقاه فى مهواة يهوى فيها أربعين خريفاً »[٣] .

وقوله ﷺ (يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايتمنى انه لم يقض بين اثنين)[٤] .

● اجتهاد الراى عند شريح :

رغم علم شريح أن القاضى إذا أخطأ رغم اجتهاده فله أجر ، وإذا أصاب فله أجران فإنه لخشيته من الله كان يخاف الخطأ وعدم الحكم بالصواب لذلك فإن اجتهاد الراى كان المشكلة التى تؤرقه[٥] .

● مساواته بين الخصوم :

يحكى الإمام الشعبى فيقول : جاء الأشعث ابن قيس إلى شريح فى مجلس القضاء .

فقال شريح : مرحبا بشيخنا وسيدنا ، هاهنا ، هاهنا فأجلسه معه ، فإذا رجل جالس بين يدى شريح فقال له : مالك ياعبد الله ؟ قال جئت اخاصم الأشعث بن قيس ، قال شريح : قم ياأشعث مع خصمك ، قال الأشعث : وما عليك أن تقضى وأنا هاهنا ؟ فرد عليه شريح بحزم آمراً له بقوله : « قم قبل أن تقام » وعندئذ قام الأشعث إلى جانب خصمه امتثالاً لأمر شريح[٦] .

● فصله فى القضاء عما زاد على الثلث فى الوصية :

يروى أن رجلاً استأذن ورثته بأن يوصى بأكثر من الثلث فأذنوا له ثم اختصموا إلى شريح فقال : « هم بالخيار إذا نفضوا أيديهم من تراب قبره »[٧] .

---

(١) كتاب اخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف بن حيان ـ الجزء الثانى .

(٢) سورة ص ٢٦ . (عقد مجلس القضاء بالمسجد) فى حاجة إلى دراسة يتبين ـ فى ضوئها ـ مدى إجازة الأمر هذا فى المسجد .

(٣) رواه ابن ماجه كما رواه احمد والبيهقى .

(٤) أخرجه ابن حبان .

(٥) والحديث رواه الشيخان وابو داود ونصه « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وان اجتهد فأخطأ فله أجر » هكذا ورد بكتاب تيسير الوصول إلى جامع الاصول من حديث الرسول ﷺ تأليف المحدث عبد الرحمن الشيبانى المجلد الرابع المطبعة السلفية ١٣٦٦ هـ .

(٦) كتاب « أخبار القضاة » لوكيع محمد بن خلف بن حيان « الجزء الثانى » .

(٧) المرجع السابق .

شريح بن الحارث الكندى

● **شريح يرد شهادة أحد الشهود :**

عند نظره إحدى القضايا المعروضة عليه ، شهد رجل عنده فلما قام قال هذا الرجل للمشهود عليه « كيف رأيت ؟ » فرد عليه شريح شهادته ورفضها ولم يقبلها[٨] .

● **بين شريح وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما :**

روى وكيع قال : حدثنا على بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح بن الحارث القاضى قال حدثنى أبى عن أبيه معاوية ، عن ميسرة ، عن شريح قال :

لما توجه على بن أبى طالب إلى قتال معاوية ابن أبى سفيان افتقد درعا له فلما رجع وجدها فى يد يهودى يبيعها بسوق الكوفة فقال : يايهودى الدرع درعى لم أهب ولم أبع .

فقال اليهودى : درعى وفى يدى .

قال علىّ بينى وبينك القاضى قال فأتيا شريحا ، وقص عليه الإمام على قضيته فطالبه شريح بالبينة[٩] ، لأن اليهودى قرر أن الدرع درعه وفى يده فأجاب الإمام على بأن شهوده هما ابنه الحسن بن على وقنبر ، لكن شريح رفض شهادة الابن لأبيه وقال : لا تجوز شهادته فقال الإمام على : سبحان الله رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »[١٠] فقال اليهودى : أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه وقاضيه يقضى عليه ، أشهد أن هذا الدين على الحق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأما عن الدرع فهى درعك ياأمير المؤمنين سقطت منك ليلاً ، ثم توجه بعد إسلامه مع الإمام على يقاتل معه « بالنهروان » حيث قتل هناك .

ويحكى شريح فيقول مررت مع على بن أبى طالب على المقابر فقال : « ياأهل المقابر أما الديار فقد سكنت وأما الأموال فقد اقتسمت ، وأما الذرارى فقد نكحت ، هذا خبر ما عندنا هاتوا خبر ماعندكم ، ثم التفت إلىّ فقال : لو أذن لهم فى الجواب لقالوا : تزودوا فإن خير الزاد التقوى[١١] » .

● **مثال من فتاوى شريح :**

يروى أن شريحا رأى رجلاً يصلى حين أشرقت الشمس فبعث إليه من يقول له : إنه لا تحل له الصلاة فى هذه الساعة ، وجاءه رجل فقال له : إنى طلقت امرأتى مائة تطليقة : فأجابه بقوله : أما ثلاث فلك ، وأما سبع وتسعون فإسراف ومعصية[١٢] .

---

(٨) المرجع السابق .
(٩) البينة تعنى شهادة الشهود - والموضوع كله عن أخبار القضاة - الجزء الثانى .
(١٠) رواه الترمذى هكذا فى كتاب « التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول » تأليف الشيخ منصور على ناصف المجلد الثالث الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١ هـ - سنة ١٩٦٢ دار إحياء التراث العربى بيروت .
(١١) كتاب أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف بن حيان الجزء الثانى .
(١٢) المرجع السابق .

● **القاضى لا يتأثر ببكاء الخصم :**

يذكر الإمام الشعبى أنه شهد شريحا وقد جاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت فقلت ياأبا أمية ـ وهى كنية شريح ـ ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة ، فقال ياشعبى إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون(١٣) .

● **وفاته :**

لبث شريح بن الحارث فى منصب القضاء والفتيا فى الكوفة بأرض العراق خمسا وسبعين سنة حتى طلب من الحجاج بن يوسف ، والى العراق من قبل الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان أن يعفيه من القضاء فأعفاه فلم يقض بعد ذلك بين اثنين حتى مات وله من العمر مائة وثمانى سنين .

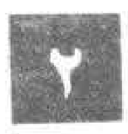
وحسبه شرفا وفخرا شهادة الإمام على بن أبى طالب له ، ذلك أنه لما قدم على ـ رضوان الله عليه ـ الكوفة اجتمع عليه الناس يسألونه وعلى يجيبهم ثم سأله شريح عن مثل ما سألوه عنه وأكثر فقال له على : هل حفظت كل ما سألت عنه ؟ قال شريح : نعم . قال على : فأعده علىَّ فأعاده عليه وعندئذ قال على له : « اذهب فأنت أقضى العرب »(١٤) .

---

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) كتاب « وفيات الأعيان » لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ـ الجزء الثانى الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧ هـ ـ سنة ١٩٤٨ م مطبعة السعادة بالقاهرة .

من العناصر الهامة
في العمائر الدينية الإسلامية





مفهومها القديم والحديث - أهميتها - أنواعها - زخارفها

بقلم : أحمد رجب محمد على

المحراب الثلاثى :

ويقصد بالمحراب الثلاثى المحاريب الثلاثة المتجاورة التى لا يوجد داع معمارى لتعددها فهذه المحاريب الثلاثة يمكن أن نعتبرها محرابا ذا ثلاثة تجاويف - وهو ما يعرف فى العمارة الإسلامية بالمحراب الثلاثى .

ويعتبر المحراب الثلاثى من الأشياء النادرة فى العمارة الإسلامية فى مصر لأننا لا نجده إلا فى (مشهد إخوة يوسف)[1] ٥٠٠ هـ ، وضريح (خضرة الشريفة)[2] و (ضريح الإمام الشافعى) ٦٠٨ هـ و (ضريح مصطفى باشا)[3] ٦٦٦ هـ[4] .

ومن الجدير بالذكر أن المحراب الثلاثى ذو هدف جمالى فى المقام الأول ، وذلك لكونه وجد فى أماكن - إلى حد ما - لا تحتاج إلى تجويف المحراب للتدعيم ، سواء لصغر المساحة كما فى (مشهد إخوة يوسف) ، أو لسمك الجدار كما فى (ضريح الإمام الشافعى) رضى الله عنه .

زخارف المحاريب :

اولا : الأساليب الزخرفية على المحاريب :

يمكننا أن نقسم المحاريب تبعا للأساليب الزخرفية ومواد الزخرفة إلى الأقسام الآتية :

(١) بمنطقة القلعة .
(٢) بمنطقة الإمام الشافعى .
(٣) بمنطقة القادرية .
(٤) د . سعاد ماهر ، المرجع السابق جـ ٢ ط ١٩٧٢ ص ١٠٨ .

١ - المحاريب ذات الزخارف الجصية القالبية والمحفورة :

يعد هذا الأسلوب أول الأساليب التى استخدمت فى زخرفة المحاريب ، وقد انتشرت المحاريب ذات الزخارف الجصية انتشارا واسعا وخصوصا فى العصر الفاطمى والمملوكى البحرى .

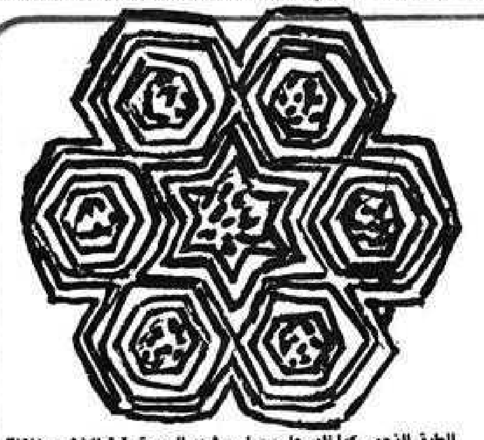
من ابرز المحاريب ذات الزخارف الجصية فى العصر الفاطمى المحراب القديم بالجامع الأزهر ٣٦١ هـ - ٩٧٢ م ، ومحاريب (مشهد السيدة رقية)(٥) ٥٢٧ هـ - ١١٣٣ م و (محراب ضريح الشبيهى)(٦) ٥٤٥ هـ - ١١٥٠ م ، اما ابرز المحاريب الجصية فى العصر المملوكى فهو (محراب مدرسة الناصر محمد بن قلاوون) (٦٩٥ هـ - ٧٠٣ هـ) (١٢٩٥ - ١٣٠٤ م) .

٢ - المحاريب المكسوة بالفسيفساء :

من ابرز امثلة هذا النوع (محراب ضريح شجرة الدر)(٧) حيث تحتوى طاقية(٨) هذا المحراب على كسوة من الفسيفساء الزجاجية . وهى تعد أولى المحاولات لعمل محاريب كاملة مكسوة بالفسيفساء فى مصر وإن كانت المصادر التاريخية تروى لنا : أن جامع عمرو كان به محراب مزخرف بالفسيفساء يرجع إلى عهد أقدم من شجرة الدر(٩) ومن اشهر المحاريب المغشاة بالفسيفساء (محراب قبة يشبك)(١٠) (٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م) وهو مكسو بالفسيفساء الرخامية .

٣ - المحاريب المكسوة بالرخام :

وقد ظهرت بوادر استخدام (الكسوة)



الطبق النجمى كما ظهر على محراب مشهد السيدة رقية الخشبى المتنقل والمحفوظ حالياً بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة

الرخامية فى محراب قبة الصالح نجم الدين ايوب (٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م) وتطورت هذه الطريقة فى ضريح المنصور قلاوون (٦٨٣ هـ - ١٢٨٤ م) حيث كسيت كل الجدران السفلية بوزرات من الرخام(١١) ومن ابرز أمثلة المحاريب المزخرفة بهذا الأسلوب محراب جامع (الناصر محمد بن قلاوون) بالقلعة ٧٣٥ هـ - ١٣٣٥ م ومحراب (مدرسة السلطان حسن)(١٢) (٧٥٧ هـ - ٧٦٤ هـ) (١٣٥٦ - ١٣٦٢ م) .

٤ - المحاريب المكسوة بالبلاطات الخزفية :

من اقدم المحاريب التى استخدم فيها هذا الأسلوب (محراب جامع شيخو ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م)(١٣) حيث كسى الجزء السفلى من حنية المحراب بأربعة صفوف من البلاطات ذات الزخارف الهندسية (الطبق النجمى) و(جامع آلتى بارمق ١٠٣٣ هـ)(١٤) ويلاحظ ان البلاطات

---

(٥) شارع الأشرف بجوار مسجد السيدة نفيسة .
(٦) بمنطقة الإمام الشافعى .
(٧) شارع المعز (النحاسين) .
(٨) شارع الأشرف بجوار مسجد السيدة نفيسة .
(٩) الجزء العلوى من تجويف المحراب .
(١٠) د . حسنى نويصر ، دراسات فى عمائر الأيوبيين والمماليك ص ٦١ ، مذكرة بمكتبة كلية الآثار جامعة القاهرة .
(١١) بالفداوية .
(١٢) بمنطقة القلعة .
(١٣) بالصليبة .
(١٤) حارة الفندور المتفرعة من شارع سوق السلاح بالقلعة .

من العناصر الهامة فى العمائر الدينية

الخزفية تكسو طاقية المحراب وكوشتية فى المحرابين السابق ذكرهما .

كذلك يلاحظ أن بعض البلاطات التى تكسو المحاريب ذات صلة وثيقة بالبلاطات التى أنتجت فى مدينة ازنيك العثمانية فى زخارفها بينما البعض الآخر تعكس زخارفه الطراز المحلى مثل زخارف بلاطات (محراب جامع شيخو) حيث زخرفت هذه البلاطات بالأطباق النجمية وهى من العناصر الزخرفية الهندسية التى نشأت وتطورت فى مصر .

٥ ـ المحاريب المكسوة بالخشب المزخرف :

وفى هذا النوع كانت تكسى طواقى المحاريب بالخشب المزخرف بالحفر او بالنقوش الزيتية .

ومن امثلة هذا النوع المحراب المجوف الذى أمر بعمله السلطان (لاجين) بالجامع الطولونى حيث كسيت طاقيته بالخشب المزخرف بنقوش زيتية .

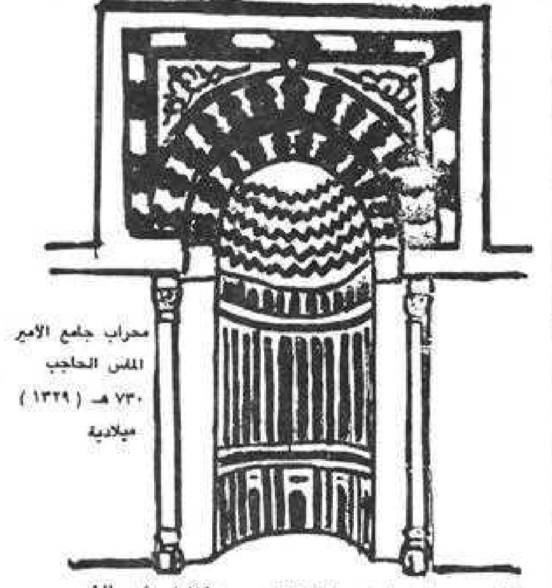
وأخيراً فمن الجدير بالذكر ان بعض المحاريب كانت تشتمل على أكثر من أسلوب زخرفى مثل محراب الجامع الطولونى السابق الذكر والذى جمع فى زخرفته بين التكسية بالخشب والتكسية بالفسيفساء الزجاجية .

ثانيا : العناصر الزخرفية على المحاريب

تنوعت العناصر الزخرفية على المحاريب ما بين نباتية وهندسية وكتابية .

اولا : العناصر النباتية على المحاريب :

وقد انتشرت الزخارف النباتية على المحاريب وخصوصا المحاريب الجصية ، ولعل أبرز امثلتها (محراب الأزهر القديم) و(محاريب المشاهد الفاطمية) ومحراب مدرسة الناصر محمد بن



محراب جامع الأمير الماس الحاجب ٧٣٠ هـ (١٣٢٩) ميلادية

قلاوون بالنحاسين (٦٩٥ هـ ١٢٩٥ م) والذى ظهرت عليه العناصر النباتية فى عدة مستويات من الحفر .

اما ابرز العناصر النباتية التى شاعت على المحاريب فهى المراوح النخيلية وانصافها والأوراق الثلاثية واوراق العنب والأوراق الملتفة والسيقان الملتفة فضلاً عن الأشجار ، وهو ما ظهر على (محراب ضريح شجرة الدر ٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م) حيث اشتملت طاقية المحراب على شكل شجرة من الفسيفساء الزجاجية وهنا نجد انفسنا امام عنصر جديد من الرمزية فكأن هذه الشجرة المكونة من قطع الزجاج التى تشبه الدر ترمز إلى شجرة الدر صاحبة الضريح . ومن أبرز نماذج الزخرفة بالأرابيسك طاقية محراب قبة يشبك (٨٨٤ هـ ـ ١٤٧٩ م) .

ثانيا : العناصر الهندسية :

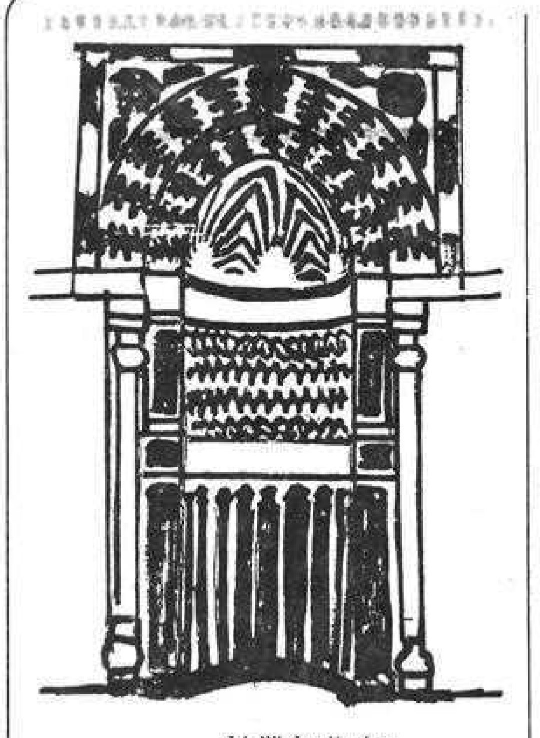
وقد انتشرت العناصر الهندسية على المحاريب وخصوصا على المحاريب ذات (الكُسْوَات) الرخامية ، اما عن أشهر العناصر الهندسية على المحاريب فهى :

* **الزخارف المتكسرة (الزخارف الدالية)** كما هو الحال فى طاقية (محراب مدرسة السلطان حسن ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م) وطاقية (محراب الأمير الماس الحاجب)(١٥) ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م (شكل ٢) ومحراب (المدرسة الأشرفية ٨٢٩ هـ ١٤٢٥ م)(١٦) وقد تكون هذه الزخارف زجزاجية كما هو الحال فى المنطقة الوسطى من محراب (ضريح بيبرس الجاشنكير)(١٧) (٧٠٦ هـ - ١٣٠٦ م) ومحراب (المدرسة الأشرفية شكل ٣).

* **زخارف الطبق النجمى** .. وقد ظهرت أشكال الطبق النجمى على طاقية وكوشتى(١٨) (محراب ضريح سنجر الجاولى ٧٠٣ هـ -١٣٠٣ م)(١٩) وكوشتى (محراب مسجد الست مسكه ٧٠٤ هـ - ١٣٣٩ م)(٢٠) وطاقية (محراب مسجد الأمير الطنبغا الماردانى(٢١) (٧٤٠ هـ - ١٣٤٠ م).

كذلك ظهر الطبق النجمى كعنصر زخرفى على البلاطات الخزفية التى تكسو المحاريب كما هو الحال فى البلاطات التى تكسو الجزء السفلى من (محراب جامع شيخو ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م).

* **زخارف البوائك** .. وهذه البوائك قد تبرز عن مستوى حنية المحراب كما هو الحال فى (ضريح المنصور قلاوون ٦٨٣ هـ - ١٢٨٤ م)(٢٢) حيث برزت عن تجويفه بوائك صغيرة من العقود المحمولة على عمد خزفية صغيرة . وقد تكون هذه البوائك مشكلة من رخام أسفل تجويف المحراب وغير بارزة كما هو الحال فى (محراب جامع الناصر محمد بن قلاوون ٧٣٥ هـ - ١٣٣٤ م) ومحراب (المدرسة الأشرفية شكل ٣) و(محراب جامع الأمير شيخو ٧٥٠ هـ - ١٣٣٩ م).



محراب المدرسة الأشرفية
بشارع المعز (٨٢٩ هـ - ١٤٢٥ م)

* **الزخارف المحارية** وقد شاع هذا النوع من الزخارف على طواقى المحاريب الجصية كما هو الحال فى المحاريب الفاطمية.

(محراب مشهد أم كلثوم ٥١٦ هـ)(٢٣) ومشهد (السيدة رقية ٥٢٧ هـ) ومشهد (يحيى الشبيهى ٥٤٥ هـ) وعلى المحاريب الرخامية كما هو الحال فى طاقية (محراب شيخو ٧٥٠ هـ).

* **زخارف المقرنصات** حيث يتوج بعض المحاريب الجصية صف أو عدة صفوف من

---

(١٥) بالحلمية .
(١٦) شارع المعز بالنحاسين .
(١٧) بالجمالية .
(١٨) المنطقتان المثلثتان اللتان تحيطان بطاقية المحراب .
(١٩) بجوار الجامع الطولونى .
(٢٠) منطقة الحلمية .
(٢١) سكة المرادنى متفرع من شارع سوق السلاح .
(٢٢) بشارع المعز (النحاسين) .
(٢٣) قرافة الإمام الشافعى .

من العناصر الهامة فى العمائر الدينية

المقرنصات[٢٤] البسيطة ومن أمثلتها محاريب المشاهد الفاطمية .

* **زخارف الصنجات المعشقة** .. وزخارف الصنجات المعشقة فى المحاريب الرخامية تقابل زخارف المقرنصات فى المحاريب الجصية حيث يتوج معظم المحاريب الرخامية صف أو صفان من الصنجات المعشقة ذات اللون الأسود والأبيض بالتبادل (الأبلق) .

الزخارف الكتابية :

وقد شاعت الزخارف الكتابية على المحاريب وكانت هذه الكتابات عبارة عن أشرطة تحيط بالمحراب وتمتد داخل تجويفه أسفل طاقيته . وهذه الكتابات كانت بالخط الكوفى كما هو الحال فى محاريب المشاهد الفاطمية (كمشهد السيدة رقية ٥٢٧ هـ) أو بالخط الثلث المملوكى كما هو الحال فى (محراب مدرسة الجاى اليوسفى ٧٧٤ هـ ـ ١٣٧٣ م)[٢٥] أما عن مضمون هذه الكتابات فهى آيات قرانية ذات صلة بالقبلة والمحاريب مثل قول الله سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ صدق الله العظيم[٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا . وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ «صدق الله العظيم»[٢٧] وقد كتبت هاتان الآيتان على عقد محراب قبة يشبك (٨٨٤ هـ ـ ١٤٧٩ م) .

وإلى جانب الكتابات القرآنية كانت هناك (الكتابات التسجيلية) ومن أمثلتها الكتابات التى تعلو (محراب قايتباى) بضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه والتى تسجل عمارته للضريح وإصلاحاته به .

المحاريب الخشبية المتنقلة :

والمحاريب المتنقلة ظاهرة اقتصرت على العصر الفاطمى ، والذى وصلنا منه ثلاثة محاريب خشبية متنقلة محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة : أحدهما يخص الجامع الأزهر والآخر يخص مسجد السيدة نفيسة والثالث يخص مشهد السيدة رقية .

وهذه المحاريب المتنقلة كانت تستخدم غالبا عند الصلاة فى الأماكن المكشوفة (صحن المسجد) عندما يكون الجمع كبيرا كما فى صلاة الاستسقاء وصلاة العيدين وصلاة الكسوف وغيرها من الصلوات التى يستحب فى صلاتها أن يقام بعضها فى الأماكن المكشوفة فضلاً عن صلوات الجنائز .

وتبدو أهمية المحاريب الثلاثة السابقة الذكر فى زخارفها وخاصة محراب السيدة رقية الذى ظهر عليه أول مثل لأشهر عنصر زخرفى هندسى فى الفن الإسلامى وهو الطبق النجمى (شكل ٤) وأيضاً (محراب السيدة نفيسة) الذى ظهرت عليه الأشكال الثلاثية التى تشبه حرف الـ T فى الانجليزية والتى انتشرت بعد ذلك على الأخشاب بل وظهرت على خوذات القباب كما فى (قبة السلطان قنصوه أبو سعيد) بنهاية شارع احمد بن أينال بقرافة المماليك (٩٠٤ هـ - ١٤٩٩ م) .

---

(٢٤) الحنايا التى توجد أعلى زوايا مربع القبة لتحويل المربع إلى دائرة ترتكز عليها القبة .

(٢٥) بشارع سوق السلاح .

(٢٦) البقرة ١٤٤ .

(٢٧) الجن ١٨ ، ١٩ .



جنوب الباسيفيكى

بقلم : أحمد السيد تقى الدين

● رؤية عامة :

اصطلح على إطلاق اسم الأقليات الإسلامية على « المجموعات التى تدين بالإسلام وسط مجتمع يتميز بالأكثرية العددية لغير المسلمين » ، سواء كانت تلك الأقليات ضئيلة جداً وسط المجموعة الكبيرة ، أو كان لها وزن وثقل فى المجتمع الذى تعيش فيه .

وقد تكون الجماعة المسلمة اكثرية من حيث العدد ولكنها خاضعة فى تصريف شئونها لأقلية ذات نفوذ .

وتتنوع المشكلات الأساسية التى تعانى منها الأقليات المسلمة فى العالم ، فهناك مشكلات تتعلق **بالحقوق الطبيعية** التى ينبغى أن يتمتع بها الإنسان فى اى جماعة بشرية وهى :

● حق ممارسة الشعائر الدينية فى حرية تامة .

● حق تنظيم أمور الجماعة المسلمة طبقاً للتصور الإسلامى .

● حق الدعوة إلى دين الله ونشره .

والأقليات الإسلامية فى العالم تنقسم من حيث هذه الأمور الثلاثة إلى قسمين :

١ ـ اقليات مضيق عليها بالنسبة لممارسة الحق الأول ومحرومة تماماً من ممارسة الحقين الآخرين .

٢ ـ اقليات لا تعانى ضغوطاً فى ممارسة هذه الحقوق الثلاثة ، بينما نجد فى مجتمعها مشاكل من نوع أو أنواع اخرى ، فأحياناً تكون مشكلاتها نابعة من طبيعة فهمها لأمور الدين ، أو ترجع إلى إمكاناتها المادية وثقلها فى المجتمع ، وقد تكمن مشكلات تلك الأقليات فى العصبية العرقية ، فقد يحدث صراع أو نزاع بين المسلمين فى البلد الواحد لمجرد أن هذا من أصل تركى ، وذاك من أصل أندونيسى .. وهكذا .

كذلك تعامل بعض الأقليات فى المجتمعات التى تعيش فيها معاملة من الدرجة الثانية او الثالثة مما يترك فيهم تأثيراً سلبياً بلا شك حيث إن

الأقليــات الاســلامية

وجودهم فى تلك المناطق جاء نتيجة للاستعمار الأوروبى مما جعل أهل البلاد الأصليين ينظرون إليهم على أنهم بقايا الاستعمار ..

الحاجة إلى الإحصاء الدقيق

ولسنا نشك إطلاقاً فى أن توافر الإحصاء الدقيق لهذه الأقليات الذى نرى فى ضوئه أعدادهم ، وأوضاعهم الاجتماعية والثقافية والسياسية يمهد السبيل لحصر مشاكلهم ، ويمهد لحلولها .

أما - الآن - فهناك تضارب صارخ فى الاحصائيات التى تتناول تعداد الأقليات الإسلامية فى العالم .

فالأستاذ محمود شاكر أورد ثلاث إحصائيات تحدد عدد الأقليات الإسلامية فى العالم : الأولى عام ١٩٧٩ وحدد فيها عدد الأقليات الإسلامية فى آسيا بـ (١٧٦,٥٣٨,٥٠٠) مسلم [١] .

والاحصائية الثانية عام ١٩٨٠ فى مقال نشر بمجلة الفيصل وحددت عدد الأقليات الإسلامية فى العالم بـ (١٦٢) مليون نسمة [٢] .

والثالثة عام ١٩٨٠ م وصدرت فى الطبعة الأولى من كتاب (العالم الإسلامى) الصادر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وحددت عدد الأقليات الإسلامية فى آسيا بـ (١٧٦) مليون نسمة ، وفى العالم كله بـ (٢١١) مليون نسمة [٣] . والتضارب بين هذه الإحصائيات واضح لا يحتاج إلى تعليق ولكن الملفت للنظر فيها أنها لباحث واحد !!

الإسلام جنوب الباسيفيكى

يغطى المحيط الباسيفيكى مساحة تبلغ (٦٨) مليون ميل مربع ، تقع إلى الغرب من استراليا ، ونيوزيلنده ، وشمال شرق آسيا ، وفى الشمال اليابان والصين والاتحاد السوفيتى ، ومن الشرق أمريكا الشمالية وامريكا الجنوبية ، وتعد هذه المنطقة من اكثر بقاع العالم المأهولة بالسكان ، وذلك على الرغم من ضيق مساحة اليابس بها .

لمحة تاريخية

لا تشير المصادر التاريخية إلى اية معلومات توضح تاريخ منطقة جنوب الباسيفيكى ، وذلك حتى نهاية القرن السادس عشر ، ثم تبدأ المصادر فى الحديث عنها اعتباراً من بداية القرن السابع عشر ، وقت غزا البحارة الأوروبيون هذه المنطقة وفيها سكانها الأصليون . واعتباراً من القرن التاسع عشر بدأ قدوم البريطانيين والهولنديين والأمريكيين والفرنسيين إلى جزر الباسيفيكى ، وكان هدفهم الأول احتلال البلاد واستغلال مصادر الثروة فيها .

ومن المعتقد أن دخول الإسلام إلى هذه المنطقة قد بدء مع بدأ الموجات الاستعمارية لهذه المنطقة فمن الثابت انه تعيش فى منطقة الباسيفيكى جماعات هندية وافغانية وصينية كذلك ، وليس - من ثمة - ما يبرر وجودها إلا أن يكون المستعمرون البريطانيون قد جلبوهم ضمن حملاتهم الاستعمارية للعمل فى هذه المناطق فى

(١) محمود شاكر ، البلدان الإسلامية والاقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، ص ٦٤١ .

(٢) عدد (٤٢) ذوالحجة ١٤٠٠ هـ السنة الرابعة .

(٣) ص ١٧٣ .

مجالات الزراعة والرعي ، وخاصة أنني قد التقيت ببعض سكان جزر جنوب الباسيفيكي ممن يعودون إلى أصول افغانية ، فأكدوا أن أجدادهم الأوائل كانوا يتزعمون حركات المقاومة في أفغانستان ضد الاحتلال الانجليزي الذي قرر نفيهم إلى تلك المناطق للتخلص منهم من جانب وللإفادة من خبراتهم في الزراعة ، والرعي من جانب آخر .

التنصير

ومما هو جدير بالذكر أن « المُنَصِّرين » المسيحيين قدموا إلى هذه الجزر واهتموا بتعليم سكانها وتقديم الرعاية الصحية لهم ، ونتيجة لجهودهم ازداد عدد المسيحيين ، وفي المقابل حرم المهاجرون المسلمون الذين أخذت أعدادهم تتزايد في اضطراد بشكل أزعج المستعمرين - من أي تعليم أو رعاية صحية ، وكان ذلك بإيعاز من المبشرين الذين أشاعوا أن المسلمين هم الذين يرفضون التعليم والعلاج خوفاً على انفسهم وعلى أبنائهم من اعتناق النصرانية !!

كلية اللاهوت

وفي عام ١٩٦٥ أسس المبشرون كلية علم اللاهوت في مدينة (صوفا) عاصمة (فيجي) واشترطوا الا يلتحق للدراسة بها سوى السكان الأصليين غير المهاجرين لتعليمهم اسلوب التبشير وعلم اللاهوت .

وبمرور الزمن هبت رياح التغيير على هذه الجزر فأخذت تطالب بالاستقلال وبالتدريج تم القضاء على القوانين الاستعمارية ومن بينها تلك التي تحرم المسلمين من حق التعليم والعلاج .

وحالياً يعيش في جنوب الباسيفيكي عدد من المسلمين في (بَالُوا غينيا الجديدة) ونيوكاليدونيا ، ونيوزيلنده ، واستراليا ، وفيجي .

وتشير إحصائية لرابطة العالم الإسلامي أنه في (بالوا غينيا الجديدة) وهي دولة مستقلة وعضو في (الكومنولث) البريطاني يبلغ عدد المسلمين (٥٧٠) نسمة من مجموع عدد السكان الذي يبلغ (٣٫٥) مليون نسمة تقوم الرابطة بتيسير بعض شئونهم الدينية والثقافية ، ونشاطها ينحصر فقط في « بورت موسى » .

المرتدون

وفي نيوكاليدونيا - وكانت مستعمرة فرنسية - تقلصت كثافة المسلمين حتى بلغ عددهم (١٣) ألف نسمة .. من مجموع عدد السكان الذي يبلغ ١٥٠ ألف نسمة .

منهم خمسة آلاف أفريقي من شرق أفريقيا ، وستة آلاف من أندونيسيا والباقي أجناس مختلفة ، السبب الأساسي في ذلك يرجع - في الدرجة الأولى - إلى اضطهاد المجتمع لهم ومعاملته إياهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو أقل ... هذا من جانب ، ومن جانب آخر انعدام الصلة بينهم وبين العالم الإسلامي .. فليس بينهم علماء مرشدون أو كتب يسهل عليهم مطالعتها تنير لهم الطريق إلى حاجتهم الدينية .. نضيف إلى ذلك جهلهم باللغات العربية .. وما يفرق وحدتهم من صراعات عِرْقية .

مائة ألف تركي الى استراليا

وفي استراليا يبلغ عدد المسلمين حوالي ٢٧ ألف نسمة ، اغلبهم من الأفغان الذين استجلبوا في الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادي للمساعدة في تطوير المواصلات الصحراوية وطرق النقل ، وقد تم منذ بضع سنوات توقيع

الأقليــات الاســلامية

اتفاق بين الحكومة الاسترالية والحكومة التركية يتم بموجبها تهجير مائة الف تركى إلى استراليا ، ولا شك أن هذا العدد الضخم سيزيد من عدد المسلمين بشكل كبير .

ويجدر بالذكر أن اول مسجد فى استراليا بنى فى مدينة (بيرث) عام ١٨٩٠ ، وقد وصل عدد المساجد حالياً إلى ثمانية مساجد ، كما تأسس فيها الاتحاد الاسترالى للمجالس الإسلامية ومهمته تتلخص فى تشييد المساجد والإشراف عليها وإ اد المدرسين اللازمين لتعليم المسلمين وإصدار المطبوعات من كتب ونشرات .

وفى (فيجى) ينحدر المسلمون من اصل هندى نزح إلى هذه الجزر كعمال مهنيين متعاقد معهم للعمل فى مزارع القطن وقصب السك ،وفى مزارع (شجر المطاط) ، وكان قدومهم أثناء الفترة ١٨٧٩ ـ ١٩١٦ ، وهم يمثلون حالياً نحو ٥٣٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٦٥٠ الف نسمة .

وقد تأسست فى « فيجى رابطة الشباب المسلمين الفيجية » وتؤدى حالياً دوراً كبيراً فى خدمة الإسلام والمسلمين وخاصة أن اغلب المسلمين فيها من الشباب تحت الثلاثين عاماً .

ويوجد فيها كذلك ـ خمسة وثلاثون مدرسة ابتدائية وست مدارس ثانوية ومركزان إسلاميان .

المجلس الاسلامى لجنوب الباسيفيكى

فى اكتوبر ١٩٧٩ قرر مندوبو هذه البلاد تأسيس المجلس الإسلامى لجنوب الباسيفيكى والذى يستضيفه الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية ، ومن المقرر إنشاء مقر دائم للمجلس فى فيجي .

وقد وزعت الخطط والمقترحات إلى الجهات الراغبة فى تقديم المساعدات إلى المسلمين فى جنوب الباسيفيكى ، وبرغم زيارة كبار الشخصيات لهذه البلاد ووعودهم لدعم النشاطات الإسلامية ، فإن المسلمين فى حاجة إلى الكثير .

خاتمة المطاف

فى ضوء ماذكرنا آنفاً نجد أن الأقليات المسلمة فى تلك الدول المشار إليها تحتاج إلى دعم ورعاية من العالم الإسلامى ، وهنا نسوق توصيات المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية (شئون الدعوة الإسلامية) بخصوص الأقليات الإسلامية حتى لا تنسى .

توجيهات وتوصيات بالنسبة للأقليات

لما كان قد ظهر من مداولات المؤتمر افتقاد التنسيق والتعاون بين المراكز الإسلامية القائمة على شئون الأقليات فى مواقعها المختلفة والتناقض بين مخططاتها .

يوصى المؤتمر ـ فى سبيل التوجيه إلى واجبات الأقليات وواجبات الدول والشعوب الإسلامية نحوها ـ بما يلى :

أولاً : تأكيد السماحة الإسلامية فى التعامل بين أبناء الجالية الإسلامية وعليهم الا يحملوا معهم مشكلات أوطانهم التى هاجروا منها .

ثانياً : أن تكون الأسرة الإسلامية صورة لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى ، فتربى أبناءها على المنهج الإسلامى بحيث تتكامل الصلة بين الأسرة والمجتمع الإسلامى باعتبار أن هذا المجتمع يستمد نظمه من أصول الإسلام .

البقية ص ٥٩٦

الشعر والشعراء

إشراف الأستاذ / رشاد يوسف

يا أمة الإسلام

شاعران وذئب

يا أمة الإسلام

للأستاذ رشاد محمد يوسف

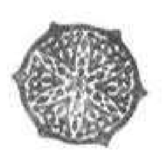
حتام يهتك سترَكِ الأوغادُ ... وتضج بين ربوعك الأحقادُ
حتام تنبثق الدماء سخينة ... من راحتيك وتُسْحَلُ الأجساد
يا أمة الإسلام اى بلية ... غشيتك فانفطرت لك الأكباد
وكسا الوجوم المشرقين وصوحت ... بالمغربين كآبةٌ وحداد
قد كنت سيدة الحياة فما الذى ... ازرى بسيدةٍ ؟ وكيف تساد ؟
قد كنت قائدة الشعوب فما الذى ... ازرى بقائدة وكيف تقاد ؟
فى كل شبر من ربوعك اشعلوا ... فتناً يزيد اوارها الإمداد
أنَّى اتجهنا فالدسائس جمةٌ ... عادت اساليب العداة وعادوا
يتقاسمون على الموائد خيرنا ... وعلى عقيدتنا يُقام مزاد
الغرب والشرق البغيض تامروا ... وتجمع التبشير والإلحاد

والإخوة الأفغان طال صمودهم ... زاد العداةُ وزاد الاستشهاد
يقفون فى وجه التامر وحدهم ... لبنات قلعتهم هى الأجساد
والعرب فى الوطن السليب تَبدَّدُوا ... ملك اليهود زمامهم فانقادوا
سكن اليهود جلودهم وديارهم ... والعائدون تفرقوا ماعادوا
والقدس فى الاسر المهين حزينة ... ماساة اندلس هناك تعاد
وعلى الخليج تمزقت اوصالنا ... عاد التتار تقودهم بغداد
بغداد تفتك بالكويت فخورة ... « صدام » يفخر انه الجلاد
والنار تاكل خيرهم وخيارهم ... والقوم لا وعى ولا استرشاد
وتظل تجتاح الخطوبُ ربوعنا ... وتظل ظلمة ليلنا تزداد
ونَبيت ننعى كلَّ يومٍ عصبة ... خلعوا هوية قومهم أو كادوا

وتعاد قصة دنشواى وأهلها ... ويعود يمرح بيننا الصياد
ياأمة الإسلام صيحة شاعر ... قد ملّها التكرار والترداد
ماذا نقول ويوم مولد أحمد ... للصحوة الكبرى هو الميلاد
انقول : وَحَّدْنَا الخطا في وثبة ... والمسلمون جموعهم أحاد ؟
انقول : اطلعنا الصباح بأفقنا ... وعلى العيون سحائب ورماد ؟
انقول : اعددنا ليوم كريهة ... والخلف بينهم هو الإعداد ؟
انقول : عدنا للتعاون إخوة ... وتنبه النوّام والرقاد

●

ايعود للأرض السلام وتمحى ... عن ارضنا الأحقاد والأصفاد ؟
وتعود رائدة الحياة عزيزة ... وتعود تشرق فوقها الأمجاد ؟
يايوم مولد احمد علمتنا ... « أن الحياة عقيدة وجهاد »
فعسى قدومك ان يكون لأمتى ... عيداً فقد عزت بها الأعياد



شاعران وذئب

للفرزدق والبحتري

*** الشاعر الأول: « الفرزدق ».**

واطلس عسال وما كان صاحباً ... دعوت بنارى موهناً فأتاني
فلما دنا قلت: « ادن، دونك إنني ... وإياك في زاد لمشتركان »
فبت أسوى الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مرةً، ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكاً.. ... وقائم سيفى في يدى بمكان
« تعش فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من - ياذئب - يصطحبان
وانت امرؤ - ياذئب - والغدر كنتما ... أُخَيَّيْنِ كانا ارضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى ... رماك بسهم أو شَبَاة سنان
وكلٌ رفيقَيٌ كل رحلٍ - وإن هما ... تعاطى القنا قوماهما أخوان

***

*** الشاعر الثاني: « البحتري »:**

واطلس ملء العين يحمل زوره ... واضلاعه من جانبيه شوى نهدُ
له ذنبٌ مثل الرشاء يجره ... ومتن كمتن القوس اعوج منآد
طواه الطوى، حتى استمر مريره ... فما فيه إلا العظم والروح والجلد
يقضقض عُصْلاً في اسرَّتها الردى ... كقضقضة المقرور أرعده البرد
سما لى، وبى من شدة الجوع مابه ... ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب، يحدث نفسه ... بصاحبه، والجَدُّ يتعسه الجد
عوى، ثم اقعى، فارتجزت، فهجته ... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها ... على كوكب ينقض، والليل مسود
فما ازداد إلا جراة وصرامة ... وأيقنت أن الأمر منه هو الجد

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها ... بحيث يكون اللبُّ والرعب والحقد
فخر، وقد أوردته منهل الردى ... على ظمأٍ، لو أنه عذب الورد
وقمت، فجمّعت الحصى، فاشتويته ... عليه، وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خسيساً منه، ثم تركته ... وأقلعت عنه، وهو منعفر فرد

***

* **الفرزدق :**

ــــــــ أحد الشعراء الأمويين المشهورين الذى نشأ فى بادية البصرة وعالج الشعر صغيراً ونبغ فيه، ومدح خلفاء بنى أمية وولاتهم بالعراق وهو كثير الفخر رصين اللفظ قوى السبك كان بينه وبين الشاعر المعاصر له جرير هجاء طويل وكان لكل منهما أعوان من الشعراء ـ توفى عام ١١٤ هـ .

* **القصيدة :**

ــــــــ وهو هنا يحدثنا عن لقائه ذئباً جائعاً فى الصحراء فى آخر الليل فعطف عليه وقاسمه الزاد وهو يحترس منه ويرسى بعض المعانى العميقة حول صحبة الرحلة . كل ذلك فى أسلوب واضح جميل وعبارة وألفاظ قوية .

* **البحـتري :**

ــــــــ هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بالشام بمدينة منبج عام ٢٠٦ هـ وتنقل فى قبائل طىء وغيرها من البدو الضاربين على شواطىء الفرات . فاكتسب الفصاحة واللغة القوية السليمة ـ فجاء شاعراً رقيق الأسلوب بديع الخيال، واقتفى آثار شاعر طائى كبير هو أبو تمام الذى وجهه ويسّر له طريق التعبير السليم واللغة السليمة .

* **القصيدة :**

ــــــــ هذا لقاء يختلف عن اللقاء السابق ـ فالذئب هنا جائع هزيل بارز العظم ـ يصوت بأنياب معوجة كما يفعل المقرور من شدة البرد ـ التقيا وكل منهما به ذئب ينشد الطعام ويعانى من الجوع، وكل منهما يطلب الآخر ـ وأدرك الشاعر نية الغدر عند الذئب فعالجه بطعنة ثم بأخرى أدخل سنانها فى قلبه فخر صريعاً .. وقام الشاعر بجمع الحصى وإشعال النيران على الرمضاء وشوى الذئب ونال منه بعض الغذاء وتركه .

* موقفان متناقضان مختلفان .. شاعر يقتسم الطعام مع الذئب وشاعر يقتل الذئب لينال منه .. وهكذا يتأكد دائماً أن البقاء للأقوى والأكثر يقظة وحرصاً ـ فى شريعة الغاب .

مفتى مصر الأسبق

فضيلة الشيخ
حسنين محمد حسنين مخلوف

بقلم فضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

الشيخ حسنين ابن الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى(*) مفتى مصر الأسبق وابن وكيل الأزهر سابقا : أسرته من « بنى عدى » ـ مركز منفلوط بمحافظة أسيوط من صعيد مصر .

ولد فى يوم السبت ٦ من مايو ١٨٩٠ م بباب الفتوح بالقاهرة وحفظ القران الكريم بصحن الأزهر الشريف ثم جود قراءته على شيخ القراء فى عهده الشيخ محمد على خلف الحسينى .

وفى الحادية عشرة من عمره التحق بالأزهر طالبا ، وتلقى عن كبار الشيوخ . وكان منهم والده الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى والشيخ عبد الله دراز ، والشيخ عبد الهادى مخلوف ، والشيخ على إدريس ، والشيخ عبد الفتاح المكاوى ، والشيخ محمد الطوخى ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عبد الحكم الدجوى ، والشيخ محمد راضى البحراوى ، والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ البيجرمى وغيرهم من المشايخ الاعلام .

ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى وحصل على شهادة العالمية فى يونيو ١٩١٤ م ولم يكن قد جاوز الرابعة والعشرين من عمره آنئذ .

(*) هذه الكلمة ألقاها فضيلة الشيخ محمد حسام الدين بمجلس مجمع البحوث الإسلامية بجلسته الثانية لعام ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠/١٩٩١ م بمناسبة تعيينه عضوا بمجمع البحوث الإسلامية خلفا للفقيد ـ رحمه الله .



فالتفت إلى التدريس بالأزهر متطوعا فشرح (الملوى على السلم) و(الوليدية) فى أدب البحث ، و(كتاب مسكويه) فى الأخلاق ، ثم عين قاضيا بالمحاكم الشرعية فى يونيو ١٩١٦ م ، وتدرج فى مناصب القضاء ، حتى عين رئيسا لمحكمة الاسكندرية الكلية ، فى أواخر سنة ١٩٤١ م ثم عين رئيسا لتفتيش القضاء الشرعى بوزارة العدل « الحقانية » آنئذ .

واشترك فى إعداد مشروعات إصلاحية لبعض القوانين منها : (قانون المحاكم الشرعية) ، (قانون المجالس الحسبية) و (قوانين الطوائف الملية) ..

ثم انتدب للتدريس فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات ، ثم صدر مرسوم ملكى فى اكتوبر سنة ١٩٤٤ م بتعيينه نائبا لرئيس المحكمة العليا الشرعية وعين عضوا بجماعة كبار العلماء بالأزهر ١٩٤٨ م ، ثم عضوا بمجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م .

كما كان عضوا مؤسسا برابطة العالم الإسلامى ..

***

وكان عمل الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف بالإفتاء أوضح ما تميز به تاريخه العلمى ، فقد تصدى للإفتاء العام عندما خلا هذا المنصب بانتهاء مدة الشيخ عبد المجيد سليم ، فصدر قرار ملكى بتعيين الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مفتيا للديار المصرية ، وكان ذلك فى الثالث من شهر ربيع الأول ١٣٦٥ هـ الموافق ٥ من يناير ١٩٤٦ م وظل بالمنصب حتى ٢٠ من رجب ١٣٦٩ هـ الموافق ٧ من مايو ١٩٥٠ م تاريخ انتهاء مدة خدمته القانونية ، فاشتغل بإلقاء الدروس بالمشهد الحسينى إلى ان اعيد مفتيا للديار المصرية مرة ثانية فى مارس ١٩٥٢ م وحتى ١٩ من ديسمبر ١٩٥٤ م .

وبعدها عمل رئيسا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف لفترة طويلة .

من اعلام الأزهر

فضيلة الشيخ

حسنين محمد حسنين مخلوف

ولقد كُرِّمَ هذا الشيخ فَمُنِحَ كسوة التشريفة العلمية مرتين : الأولى وهو رئيس لمحكمة طنطا ، والثانية وهو مفتى الديار المصرية .

ولقد أصدر الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مؤلفات عديدة أغلبها رسائل لطيفة : ومن أهمها :

* كتاب (كلمات القرآن تفسير وبيان) .
* صفوة البيان لمعانى القرآن .
* آداب تلاوة القرآن وسماعه .
* شرح عدة الحصن الحصين للإمام ابن الجزرى .
* شرح نصيحة الإخوان للإمام ابن طاهر الحضرمى .
* شرح الحكم للإمام عبد الله بن علوى الحداد الحضرمى .
* رسالة الرفق بالحيوان فى الشريعة الإسلامية .
* رسالة : التفسير والمفسرون .
* أحكام الشريعة الإسلامية فى بدع المآتم وما ينفع الموتى من أعمال الأحياء .
* رسالة فى أحكام الميراث .
* مجموعة الفتــاوى .
* رسالة الأخلاق الإسلاميــة .
* شفاء الصدور الحرجة شرح قصيدة المنفردة .

ومنهــا :

* شرح جالية الكدر بنظم أسماء أهل بدر .
* شرح المدحة النبوية للأستاذ ابو الوفا[1] .
* رسالة عقيدة الإسلام للإمام الحداد .
* رسالة فى تعاليم الشيعة الإسماعيلية .
* شرح لمعة الإسرار للإمام الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوى .
* رسالة فى أخطار المعاصى والآثام ووجوب التوبة منها .
* رسالة فى فضل تلاوة القرآن العظيم .
* رسالة فى شرح أسماء الله الحسنى .
* رسالة فى تفسير سورة القدر .
* ادعية من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية .
* نفحات زكية من السيرة النبوية .
* شرح تشطير البردة للشيخ الشرقاوى .
* شرح مشكاة الأنوار فى أوصاف المختار .
* شرح البيقونية فى مصطلح الحديث .

ومما يلفت النظر أن أهم مؤلفات هذا العالم الجليل صدرت بعد الإحالة إلى المعاش ، ولم يخلص منها للفقه ، وعلم الفروع إلا رسالة : « أحكام الشريعة الإسلامية فى بدع المآتم » ..

ورسالة فى الميراث ، ومجموعة الفتاوى .

وفيما عدا هذه الوسائل فإن جملة مؤلفاته ، تتعلق بالقرآن الكريم ، أو بالتصوف ، والمدائح

(١) المقصود الشيخ أحمد ابو الوفا الشرقاوى .

النبوية ، والأخلاق ، ثم العقائد ، ومصطلح الحديث .

وكانت كتبه فى تفسير القرآن الكريم أشهر كتبه على الإطلاق . وأوضح هذه المؤلفات كتابان : الأول : « كلمات القرآن : تفسير وبيان » .

وقد صدرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٥٦ م بالقاهرة ، ثم أعاد الشيخ مراجعته وطبعه ثلاث مرات : إحداها بمكة المكرمة ، وكانت المراجعة والطبعة الأخيرة لهذا الكتاب فى يناير سنة ١٩٦٥ م بالقاهرة .

وقد كتب فى مقدمته : « أما بعد ، فهذا تفسير لما يحتاج إلى التفسير والبيان من كلمات القرآن ، يوضح معانيها ، ويعين على فهم الآيات التى هى فيها ، وضعت فيها الكلمات على ترتيب الآيات فى السور ، وعن يمين كل كلمة رقم آيتها ، وعن يسارها تفسيرها فى دقة وإيجاز .

ثم شرح الشيخ مقصده بالتفسير فى هذا الكتاب فقال : « فسرنا كلمات القرآن بالمعانى المرادة منها فى الآيات ، وقد تكون المعانى حقيقية ، وقد تكون مجازية أو كنائية » ..

ومعنى هذا أن الشيخ ـ رحمه الله ـ أراد بالكتاب تجلية المقاصد فى التعبير القرآنى ، سواء كانت هذه المقاصد مستفادة بدلالة المفرد فى ذاته ، أو بدلالته فى نظمه فى سياق الآية ، أو بدلالة قرينة خارجية لم يشملها النظم القرآنى .

وسواء كان المقصد دلالة المفرد فى وضعه الأصلى أو دلالة اللزوم فى الكناية ، أو الدلالة التى انتقل إليها اللفظ مجازا .

وفى هذا تقريب لمعانى القرآن الكريم من جمهرة قراء عصرنا المتعجل ، وإيرادٌ لها فى معانيها الشرعية ، لا معانيها الوضعية اللغوية ، التى لا تقصد شرعا فى الكثير الغالب من الدلالات القرآنية .

وأما الكتاب الثانى فهو : « صفوة البيان لمعانى القرآن » ، وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بالمملكة العربية السعودية ، ثم طبعته دولة الإمارات العربية المتحدة فى احتفالاتها بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، ثم طبعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، وجعلته للإهداء مجانا ومنحة للمسلمين .

وقد جاء فى كلمة الوزارة مقدمة للكتاب(٢) : « ولما كان من أهداف الوزارة نشر علم كتاب الله بين الناس ليتفقهوا فى دينهم ، ولتستنير بصائرهم ، فقد رأت إعادة طبع هذا الكتاب النافع ، فاستأذنت الشيخ الفاضل « حفظه الله » فأذن ـ جزاه الله خيرا ـ بذلك مجانا ابتغاء وجه الله تعالى ، وطلبا للأجر والمثوبة .. أ هـ .

وقد جعل الشيخ « رحمه الله » كتابه الأول أساسا للتفسير فى كتابه الثانى : قال : « بدأت بشرح مفردات القرآن شرحا وافيا على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ، يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة ، أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التى انتظمت هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدت الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذى قصدت ،



(٢) مقدمة الطبعة الأولى للكتاب .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ

حسنين محمد حسنين مخلوف

وإن لم تشتمل على غريب القرآن ، فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به ، واكتمل من الجميع هذا التفسير الذى سميته : « صفوة البيان لمعانى القرآن » ..

هذا : وقد بدت ثقافة الشيخ واضحة بهذا الكتاب فقد التزم فى بيان مقاصد الآيات فى مسائل العقيدة بما عليه السلف والأشاعرة عموما وفى ايجاز مقبول . لكنه كان يتوسع فى بيان الأحكام الفقهية بما تتجلى به مواهبه وملكاته العظيمة فى هذا العلم .

ومثلا : لو استعرضنا شيئا مما كتبه الشيخ فى جانب العقائد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ الآية .

الفيناه يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ أى ليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة الصغيرة فى نظركم . كالبعوض والذباب ، والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق ....

وفى الآية إشعار بصحة نسبة الحياء إليه تعالى ومذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله تعالى ، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات . واختاره الألوسى .

وذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمه ، وهو ترك ضرب الأمثال بها ، لأن الاستحياء من الحياء ، وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب ، ويذم به ، أو هو انقباض النفس عن القبائح ، وهذا المعنى محال فى حقه تعالى . فيصرف اللفظ إلى لازم معناه . وهو الترك .. أ هـ .

ومن الواضح أن الشيخ رحمه الله ـ فى تفسير هذه الآية ـ أخذ أولا بمذهب السلف بإمرار نسبة الحياء إلى الله تعالى على ما ورد عليه النص ، مع تفويض علم ذلك إلى الله تعالى ..

ثم أورد بعد ذلك رأى من يتجه إلى التأويل فى مثل هذه الصفات من خلف الأشاعرة بصرف اللفظ عن ظاهر معناه ، وإرادة لازمه ـ فيكون المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ « أن الله لا يترك ضرب الأمثال بمثل هذه المخلوقات » .

وشرح الشيخ أسباب الميل إلى هذا التأويل بقوله : لأن الاستحياء من الحياء وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف مايعاب ويذم .. إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا . ثم قال : « وهذا محال فى حقه تعالى ، فيصرف اللفظ إلى لازم معناه » .

ومعلوم أن التفويض مذهب السلف وأن الأشعرى ـ رحمه الله ـ لزم فى كتابه « الإبانة » مذهب التفويض . وأنه فى كتابه « اللمع » مال إلى إعمال العقل فى غير شطط ، لكنه لم يتناول مسألة الصفات فى هذا الكتاب إلا من طرف بعيد .

وهذا لاينفى أن كثيرا من تلاميذ الأشعرى ، من أمثال أبى المعالى الجوينى ، وأبى بكر الباقلانى ، وغيرهما ثم مَنْ بعدهم من الخلف .

من مثل ابن دقيق العيد وغيره مالوا أحيانا إلى

تغليب جانب التأويل فى غير إسراف ، رغبة منهم فى كمال التنزيه لله سبحانه وتعالى .

وفى الحق أن الأشعرى كان أقرب إلى تفويض السلف منه إلى منحى التأويل ، وهذا واضح من جداله مع المعتزلة والجهمية ، ورفضه تأويل آيات الاستواء على العرش ، واحتجاجه فى كتاب « الإبانة » لمبدأ التفويض ، واستشهاده لهذا المذهب بكثير من الآيات التى تتحدث عن الجهة ، كقوله سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[٣] ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾[٤] ، ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾[٥] ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٦] .. إلى غير هذه الآيات .

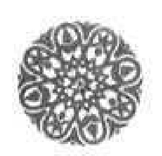
وهكذا نجد شيخنا الشيخ مخلوف ملتزما فى تفسيره بمذهب السلف فى التفويض غير تارك لمنحى الخلف من الأشاعرة فى التنزيه والتأويل . بل وإنه ليتابع أيضا مذهب الأشاعرة فى غير هذا الجانب من المسائل العقدية .

ففى مثل ما كتبه تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ قال : الفسق الخروج عن الطاعة ، ويقع بالقليل والكثير من الذنوب . ولكن تعورف فيما كان كثيرا . وهو أعم من الكفر . فيقال للعاصى : فاسق ، وللكافر فاسق لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفطرة ، والإضلال خلق فعل الضلال فى العبد ، كما أن الاهتداء خلق الاهتداء فيه .. انتهى ..

فقد فسر الفسق هنا بأنه : « الخروج عن الطاعة » وأنه « يقع بالقليل والكثير من الذنوب » .

ولم يفسره بأنه منزلة بين الإيمان والكفر ـ على ما قالت به المعتزلة فى مرتكب الكبيرة . قال الأشعرى فى « اللمع » : « كان الناس قبل واصل ابن عطاء رئيس المعتزلة على مقالتين : منهم خوارج يكفرون مرتكبى الكبائر ، ومنهم أهل استقامة يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ولم يقل منهم قائل : إنه ليس بمؤمن ولا كافر قبل حدوث واصل بن عطاء .

وأيضا فإن الشيخ أى فضيلة الشيخ مخلوف عندما فسر قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ قال : الإضلال خلق فعل الضلال فى العبد كما أن الهداية خلق الاهتداء فيه . انتهى .. وهكذا يتابع الشيخ مذهب الأشاعرة فى خلق أفعال العباد .."يتبع"



(٣) الآية ١٠ من سورة فاطر .
(٤) الآية ٥ من سورة السجدة .
(٥) الآية ١٦ من سورة الملك .
(٦) الآية ٥٠ من سورة النحل .



طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حفظ الأعضاء

قال الإمام الرازى فى تفسيره : لا تكون المعصية إلا من الأعضاء السبعة وهى : الأذنان والعينان واللسان واليدان والبطن والفرج والرجلان .

وأبواب جهنم سبعة .

(ولا إله إلا الله محمد رسول الله) سبع كلمات ؛ فكل كلمة تكفر معصية عضو ، وتسد باباً من أبواب جهنم بفضل الله .

وقيل للقاضى أبى الطيب : قد كبرت سنك ولم تتغير أعضاؤك .

فقال : حفظتها فى صغرى فحفظها الله فى كبرى .

نصيحة

تجرع الصبر فإن قَتَلك ، قَتَلك شهيداً ؛ وإن أحياك ، أحياك عزيزاً .

لقد

خلق الله اللسان واحداً ، والقلب واحداً دون غيرهما من الأعضاء إشارة إلى أنه لا يُذكر بالواحد إلا الواحد .

ما ينبغى لحامل القرآن

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ :

ينبغى لحامل القرآن أن : يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره إذا الناس يفرطون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ؛ وبخشوعه إذا الناس يختالون .

وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكيناً لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ، ولا صياحاً ؛ ولا صَخابا ولا حديدا .

وحتى لا تكون فتنة

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه وهو أمير المؤمنين : ياأبت مالك لا تنفذ فى الأمور . فوالله لا أبالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور .

فقال له عمر : لا تعجل يابنى فإن الله ـ تعالى ـ ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرَّمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

العقرب

أخبث الحشرات ، تلدغ كل شيء تلقاه ، ولها ثمانى أرجل ، وعينها على بطنها ، وإذا لدغت هربت فى الحال ، وإذا خرجت من بيتها أول النهار تلدغ كل شيء تلقاه من حيوان وجماد وربما ضربت الحجر والمدر ومن أحسن ما قيل فى ذلك :

رأيت على صخرة عقربا
وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها : إنها صخْـرةٌ
وطبعُك من طبعهـا ألينا
فقـالت صدقـت ولكنني
أريد أُعَرِّفُهَا : من أنا !!

ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك الشيء من بدنه ، فإنها عند ذلك تضربه ، ومن شأنها أنها إذا لسعت الإنسان فرّت فرار مسيء يخشى العقاب .

إن من الشعر لحكمة

ولقد أمر على اللئيم يسـبنى
فمضيت ثمت قلت : لا يعنينى

الجار

يلوموننى إن بعت بالرخص منزلى
ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم : كفوا الملام فإنما
بجيرانها تغلو الديـار وترخص

قالوا

من صغرت عيناه ، ودام اختلاجها وتتابع طرفها ، ومال أنفه إلى أيمن شقيه ، وبعد ما بين حاجبيه ، وكانت منابت شعره ثلاثاً ثلاثاً وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفت تارة بعد أخرى ؛ غلبت عليه أخلاق السوء .

ألهذا دعوناك ؟

دُعِيَ رجل ليخطب فى نكاح فحصر ، فقال : لقنوا موتاكم شهادة « أن لا إله إلا الله » ؛ فقالت امرأة حضرت : ألهذا دعوناك ! أماتك الله .

حقا

الفقر داء لا دواء له ، من كتمه قتله ، ومن أذاعه فضحه .
ويخرس الفطن عن حجته ، ويجعله غريباً فى بلدته .

دعاء

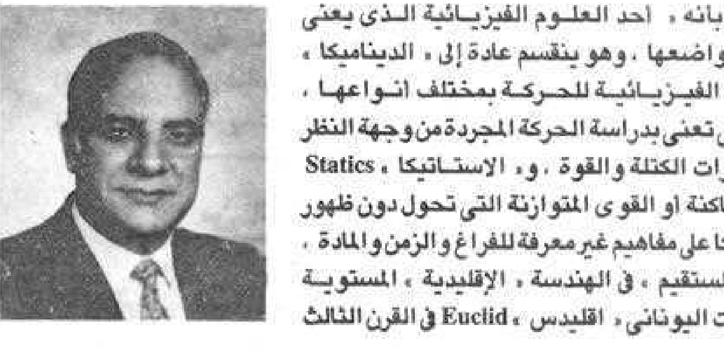
سبحانك إلهى !
إذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الأرض برحبها .
وإذا ذكرت رحمتك ارتدّ إلىّ رُوحى .
سبحانك إلهى ! أتيت أطباء عبادك ليداووا لى خطيئتى فكلهم عليك يدلنى .



العلوم الكونية (٢)

في التراث الإسلامي

ثانياً : نظريات الميكانيكا :



يُعرف علم « الميكانيكا » حالياً بانه « احد العلوم الفيزيائية الذى يعنى بدراسة حركة الأجسام أو تغيير مواضعها ، وهو ينقسم عادة إلى « الديناميكا » Dynamics التى تعنى بالأسباب الفيزيائية للحركة بمختلف انواعها ، و« الكينماتيكا » Kinematics التى تعنى بدراسة الحركة المجردة من وجهة النظر الهندسية بصرف النظر عن اعتبارات الكتلة والقوة ، و« الاستاتيكا » Statics التى تختص بحالات الأجسام الساكنة أو القوى المتوازنة التى تحول دون ظهور الحركة . وتعتمد نظريات الميكانيكا على مفاهيم غير معرفة للفراغ والزمن والمادة ، مثل مفهوم « النقطة » و« الخط المستقيم » فى الهندسة « الإقليدية » المستوية التى وضع أصولها عالم الرياضيات اليونانى « اقليدس » Euclid فى القرن الثالث قبل الميلاد .

أ. د. أحمد فؤاد باشا

ويلجأ العلماء كثيراً إلى تبسيط الوصف الرياضى للظواهر الفيزيائية بواسطة استبدال الأشياء الواقعية فى الطبيعة بنماذج مناسبة تفيد فى أغراض عملية كثيرة ، مثال ذلك نجده عندما نتعامل مع كل من الأرض والشمس كنقطة ، وذلك عند وصف حركة الأرض حول الشمس من الناحية الرياضية . وقد كانت هذه مرحلة متقدمة فى تاريخ العلم ، ارسى دعائمها علماء الحضارة الإسلامية الزاهرة خلال العصور الوسطى على أساس الدراسات النظرية عن الحركة والسكون فى المؤلفات الفلسفية القديمة . من ناحية أخرى ، أدى المنهج التجريبى الذى اصطنعه علماء المسلمين إلى تحقيق ثورة هائلة فى مجال العلوم الطبيعية ، ومن بينها علم الميكانيكا الذى بدأته الفلسفة القديمة بعدم القدرة على التمييز بين حركة الطائر وحركة حجر يسقط من أعلى الجبل أو حركة نجم يدور فى السماء . ويكفى أن نستدل

على طبيعة الفرض الفلسفي وانعدام جدواه في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ العلم الطبيعي بما جاء في التراث الإغريقي على لسان افلاطون في وصف الكون ما نصه : « والآن ، وبعد أن بلغت كل النجوم اللازمة لتكوين الزمن وضعاً حركياً مناسباً لها ، وبعدما اصبحت أجسامها المكبلة بالسلاسل كائنات حية تعرف مهمتها المرسومة ، بدأت تدور ، بعضها في مدارات واسعة والبعض الآخر في مدارات ضيقة .

« وكانت النجوم ذات المدارات الأضيق تدور بشكل أسرع ، وكانت النجوم ذات المدارات الأوسع أبطأ دوراناً » [١] . ولم تكن آراء أرسطو ، عبقرى الحضارة الإغريقية ، وتأملاته الفلسفية في حركة الأجسام أحسن حالاً من آراء أستاذه افلاطون ، فقد بحث هو الآخر في حركة الوجود المادى المحسوس على أساس أن الطبيعة هي العلة الأولى لكل حركة أو سكون . ذلك أن لكل جسم في فلسفة أرسطو مكانه الطبيعي الذى يسعى إليه ، وفي هذا المكان يكون الجسم في حالة سكون . وهذا السكون صادر عن الجسم نفسه ، بمعنى أن كل جسم لابد له من مكان يحل فيه ، وبذلك يكون السكون من ذات الجسم كما كانت الحركة من ذاته أيضاً [٢] . ويكاد يُجمع فلاسفة العلم ومؤرخوه على أن منطق أرسطو الصورى الذى اتبعه في استخلاص مثل هذه الآراء الخاصة بظواهر العلم الطبيعي غير قادر على الوصول إلى حقائق علمية تؤكدها التجربة العملية ، ووصفوه بأنه منهج عقيم وأجدب لأنه لا يأتى بمعرفة علمية جديدة .

من هنا ، كان لابد للعلم من منهج جديد يقوم على الملاحظة والتجربة والاستقراء وفرض الفروض واستنباط النظريات والقوانين العلمية . وقد جاء هذا المنهج على أيدى علماء الحضارة الإسلامية . ومثل هذا المنهج الذى التزموه في كنف الروح الإسلامية الباعثة لكل الطاقات البشرية والملكات المعرفية يظل دائماً قادراً على الإنتاج والعطاء إذا ما أحسن استغلاله وتطبيقه . ولا عجب إذن من أن يشهد المنصفون بأن العلم يدين بنشأته وتطوره لهذا المنهج الإسلامي الرشيد الذى لولاه لتأخر سير المدنية عدة قرون .

وقد كشف الباحثون في مخطوطات التراث العلمي للحضارة الإسلامية عن الكثير من النتائج الهامة التى يمكن تصنيفها ، فيما يتعلق بهذا الجزء من الدراسة ، إلى مستويين أساسيين في علم الميكانيكا نجمل عنهما الحديث فيما يلى :

١ ـ تعريف عناصر الحركة وأنواعها :

حدَّد الشيخ الرئيس ابن سينا [٣] عناصر الحركة في ستة أمور هي : المتحرك (أى الجسم المتحرك) والمحرِّك (أى القوة المسببة للحركة) ، وما فيه (يعنى موضع الجسم) وما منه (يعنى موضع بداية الحركة) وما إليه

---

(١) راجع مؤلفنا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٨ وما بعدها .

(٢) د . محمد عبدالرحمن مرحبا ، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٩ وما بعدها .

وتجدر الإشارة في هذا الشأن إلى أن علماء وفلاسفة المسلمين الممثلين لروح الإسلام يرون في افلاطون وثنيًا كبيراً ويعتبرون أرسطو فيلسوف الإلحاد الكبير . راجع في ذلك . د . على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الجزء الأول ، دار المعارف ط ٨ ، ١٩٨١ ، ص ١٦٦ .

(٣) الشيخ الرئيس ابن سينا ، كتاب « الشفاء ـ الطبيعيات » ، تحقيق محمود قاسم ، مراجعة وتقديم إبراهيم مدكور ، المقالة الثانية ، الفصل الأول ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٦ .

العلـــوم الكـــونيـــة

(يعنى موضع انتهاء الحركة) ، والزمان (يعنى الفترة الزمنية التى استغرقتها الحركة) . ونجد تعريف الحركة الطبيعية والحركة القسرية فى قول ابن سينا أيضاً : « وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب فى نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب إذا كان محركاً على جهة واحدة على سبيل التسخير فيسمى طبيعة » . كما نجد تعريف الحركة المكانية (الانتقالية) والحركة الوضعية (الدورانية) فى كتاب « المعتبر فى الحكمة » لابن ملكا البغدادى ، حيث يفرِّق بين هذين النوعين من الحركة بقوله : « الحركة المكانية هى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى آخر ، والحركة الوضعية هى التى تتبدل بها أوضاع المتحرك ولا يخرج عن جملة مكانه كالدولاب والرحا » [٤] ، كذلك أوضح البغدادى الفروق الجوهرية بين نوعى الحركة الطبيعية والحركة القسرية بقوله : « ...... فإن الحركة إما طبيعية وإما قسرية ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور إنما هو مقسور عن طبعه إلى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركة بالطبع لم يكن حركة بالقسر . والطبيعية إنما تكون عن مباين بالطبع إلى مناسب بالطبع ، وإلى مناسب أنسب من مناسب ... » [٥] ، ويتضح من هذا النص أن علماء المسلمين قد فطنوا لأول مرة فى تاريخ العلم إلى إمكان الجمع بين الحركتين الطبيعية والقسرية ، كما هو الحال بالنسبة للمقذوفات عند قذف الأحجار ورمى السهام وغير ذلك .

بالإضافة إلى هذا ، تمكن الباحثون فى تراث الحسن بن الهيثم من التوصل إلى حقيقة تاريخية هامة مؤداها أنه تعامل مع الحركة - من خلال معالجاته الرياضية لشرح ظواهر انعكاس الضوء وانعطافه - على أنها « كمية اتجاهية » قابلة للتحليل والتركيب بالمعنى المفهوم حالياً فى علم « المتجهات » Vectors . فهو يحلل الحركة للشعاع الضوئى الساقط إلى قسطين (أو مركبتين) : إحداهما عمودية على سطح السقوط والأخرى موازية له [٦] .

ويحتوى التراث العلمى الإسلامى أيضاً على مصطلح هام فى العلوم الفيزيائية يتعلق بالأسباب الفيزيائية للحركة « الديناميكا » ، هو مصطلح « كمية التحرك » Momentum الذى يشير إلى كمية فيزيائية فى المتحرك تتوقف على سرعة حركته وكمية المادة به . وقد أشار الحسن بن الهيثم إلى هذا المعنى بمصطلح « قوة الحركة » ، وذلك فى معرض شرحه لارتداد جسم مصادم لسطح مستو ، حيث يقول : « ... والمتحرك إذا لقى فى حركته مانعاً يمانعه وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقائه المانع ، فإنه يرجع من (حيث) كان فى الجهة التى منها تحرك ... وتكون قوة حركته فى الرجوع بحسب قوة الحركة التى كان تحرك بها الأول ، وبحسب قوة الممانعة ... لأن الحركة المكتسبة إنما تكون بحسب مقدار المسافة وبحسب مقدار الثقل » . وهنا ، يكتسب إدراك ابن الهيثم للمعنى الكمّى للحركة أهمية خاصة إذا علمنا أن معدل كمية التحرك بالنسبة للزمن

---

(٤) أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى ، المعتبر فى الحكمة ، مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول ، رقم ٣٢٢٢ ، ٢٢٥ ورقة .

(٥) المرجع السابق ، عن د . على عبدالله الدفاع ود . جلال شوقى ، أعلام الفيزياء فى الإسلام ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥ .

(٦) مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه البصرية ، القاهرة ١٩٤٢ .

هو أساس تعريف « القوة » Force الذى قام عليه قانون نيوتن الثانى للحركة [٧] .

كذلك عرف علماء الحضارة الإسلامية أسباب معاوقة سواء عن طريق الاحتكاك أو بسبب تأثير شكل الجسم وكثافة الوسط الذى تحدث فيه الحركة . فهذا نصير الدين الطوسى يؤكد بوضوح أن قوة المعاوقة الناشئة عن الاحتكاك تتناسب طردياً مع وزن الجسم . جاء ذلك فى معرض شرحه لكتاب ابن سينا « الإشارات والتنبيهات » حيث قال : « ولا شك أن طبيعة (أى وزن) الجسم الأعظم تكون أقوى من طبيعة الجسم الأصغر لاشتمال الأعظم على مثل طبيعة الأصغر وعلى ما يزيد عليه ، ويلزم منه أن تكون مقاومة الأعظم أكثر من مقاومة الأصغر » .

وعن مقاومة الوسط الذى يتحرك فيه الجسم يقول ابن سينا فى طبيعيات كتابه « الشفاء » : « فإنك ستعلم أن مقاومة المنفوذ فيه هى المبطل للقوة المحركة » . ويقول هبة الله البغدادى فى كتابه « المباحث الشرقية » : « إن الجسم إذا تحرك فى مسافة ، فكلما كان الجسم الذى فى المسافة أرق كانت الحركة فيه أسرع ، وكلما كان أغلظ كانت الحركة فيه أبطأ » . وعن تأثير شكل الجسم المتحرك على مقاومة الحركة يقول ابن ملكا : « إن المخروط المتحرك على رأسه يخرق أسهل من المتحرك على قاعدته » ، وفى هذا أيضاً إشارة إلى أهمية الشكل الانسيابى فى سهولة الحركة ، وهو ما يلاحظ عادة عند صناعة السيارات والسفن والطائرات والصواريخ [٨] .

٢ ـ قوانين الحركة وتطبيقاتها :

نعلم الآن أن قوانين الحركة الشهيرة يعزى اكتشافها إلى العالم الانجليزي اسحق نيوتن فى القرن السابع عشر ، وتستخدم هذه القوانين لكى تصف وتتنبىء عن حركة الأجسام الظاهرة فى الكون ، بما فى ذلك حركة كواكب مجموعتنا الشمسية . وينص قانون نيوتن الأول للحركة كما نعرفه اليوم على أن « كل جسم يظل على حالته من السكون أو الحركة المنتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تغير من حالته » ، أى أن هذا القانون يختص بصفة مدافعة الجسم عند بقائه على حالته ، وهى ما تعرف باسم « خاصية القصور الذاتى » ، أما قانون نيوتن الثانى للحركة فينص على أن « القوة المؤثرة على جسم متحرك تتناسب تناسباً طردياً مع كل من كتلته وعجلة تحركه » ، حيث تعرف العجلة بأنها معدل تغير سرعة الجسم . وهناك نص آخر لهذا القانون هو : « يتناسب معدَّل التغير فى كمية تحرك جسم ما مع القوة المؤثرة عليه ، ويكون هذا التغير دائماً فى اتجاه القوة » . وإذا ما وصلنا إلى القانون الثالث للحركة فإننا نجد أنه ينص على أنه : « لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه » .

وقد أكدت مخطوطات التراث الإسلامى سبق علماء المسلمين إلى صياغة وصفية لقوانين الحركة الثلاثة المنسوبة لاسحق نيوتن فى نصوص صريحة واضحة نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ إشارة ابن سينا إلى خاصية القصور الذاتى التى يدافع بها الجسم المتحرك عن استمراره فى الحركة المنتظمة ، بقوله : « إنك لتعلم أن الجسم إذا خلِّى وطباعه ، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بدٌ من موضع

(٧) نجد هذا المعنى أيضاً فى نصوص أخرى من التراث الإسلامى وردت فى مؤلفات ابن ملكا البغدادى ، راجع فى ذلك المراجع المذكورة لمصطفى نظيف وعلى عبدالله الدفاع وجلال شوقى وأحمد فؤاد باشا .

(٨) لمزيد من التفصيل راجع مؤلفنا « التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، فصل الفيزياء » ، القاهرة ١٩٨٤ .

العلـــوم الكـــونيـــة

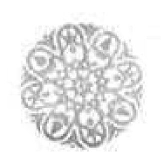
معين ، وشكل معين ، فإذن فى طباعه مبدأ استيجاب ذلك .... والجسم له فى حال تحركه ميل (أى مدافعة) يتحرك به ، ويحس به المانع ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره فيبطل المنبعث عن طباعه إلى أن يزول فيعود انبعاثه » (٩) . ويقول ابن سينا فى موضع آخر من طبيعيات الشفاء : « ... وليست المعاوقة للجسم بما هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء على حاله من المكان أو الوضع ... وهذا هو المبدأ الذى نحن فى بيانه » (١٠) . وهذا هو القانون الذى يناظر قانون نيوتن الأول للحركة .

(ب) صياغة ابن ملكا البغدادى للقانون الثانى للحركة على الصورة : « وكل حركة ففى زمان لا محالة ، فالقوة الأشد تحرك أسرع وفى زمان أقصر .. فكلما اشتدت القوة ازدادت السرعة فقصر الزمان ، فإذا لم تتناه الشدة لم تتناه السرعة ، وبذلك تصير الحركة فى غير زمان أشد ، لأن سلب الزمان فى السرعة نهاية ما للشدة » (١١) .

ونلاحظ هنا معنى التسارع (العجلة) فى عبارة « سلب الزمان فى السرعة » ، وهو يقابل فى عصرنا معدل تغير السرعة ، مما يفيد وقوف ابن ملكا البغدادى على معنى تناسب القوة مع تسارع الحركة . ولكنه بطبيعة الحال لم يكن مطلوباً منه فى حدود معطيات عصره أن يتوصل إلى الصيغة الرياضية التى وضعها نيوتن بعد ذلك بحوالى ستة قرون وهى « القوة تساوى حاصل ضرب الكتلة فى تسارع الحركة » .

(جـ) إشارة فخر الدين الرازى إلى أحد معانى قانون الحركة الثالث من خلال صياغته لقانون الاتزان تحت تأثير قوتين متساويتين بقوله : « الحلقة التى يجذبها جاذبان متساويان حتى وقفت فى الوسط ، لا شك أن كل واحد منهما قد فعل فيها فعلاً معوقاً بفعل الآخر ، ثم لا شك أن الذى فعله كل واحد منهما لو خلى عن المعارض لاقتضى اجتذاب الحلقة إلى جانبه » (١٢) .

وهكذا نجد أن علماء المسلمين قد سعوا بمنهجهم العلمى السليم إلى بلورة الكثير من المفاهيم الميكانيكية الجديدة التى ساعدت علماء النهضة الأوروبية بعد ذلك على إيجاد صياغات كمية لقوانين حركة الأجسام على الأرض ، أو حركة الأرض والكواكب والنجوم فى الفضاء الكونى .



(٩) عن : « أعلام الفيزياء فى الإسلام » مرجع سابق .
(١٠) المرجع السابق .
(١١) هبة الله بن ملكا البغدادى ، المعتبر فى الحكمة ، مرجع سابق .
(١٢) الإمام فخر الدين الرازى ، كتاب « المباحث الشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات » ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن بالهند ، ١٩٢٤ . عن « أعلام الفيزياء فى الإسلام » ، مرجع سابق .

أخبار العلم

إعداد / صفوت عبد الجواد

بحث مصرى ناجح لحماية دول البحرين الأبيض والأحمر

● شهدت القاهرة جلسات المؤتمر العالمى الثانى التى عقدت لدراسة « تغيرات الجو وتأثيراتها على ارتفاع سطح البحر والمحيطات والأنهار » .

شاركت مصر فى هذا المؤتمر ببحث تقدم به الدكتور المحمدى عيد رئيس جهاز شئون البيئة .

تبين أن الدوائر العلمية الدولية تتوقع ارتفاع منسوب سطح البحر مابين نصف متر ومتر خلال السنوات الخمسين القادمة . مما سيؤدى إلى غمر الشواطىء المصرية بالمياه إلى داخل الدلتا بمسافة قد تصل إلى (٣٠) كيلو مترا ، لأن السواحل المصرية لاترتفع عن سطح البحر بأكثر من نصف متر بينما ترتفع القاهرة نحو ٢٠ مترا ، وقد يؤدى زحف المياه إلى ملوحة الأراضى المزروعة حاليا بنسبة ١٢ أو ١٥٪ . ويعنى ذلك أن يتأثر ٨ ملايين من السكان يعيشون فى المدن الساحلية من الشواطىء .

وهذا بالإضافة إلى التأثير الضار على المحميات الطبيعية من المرجانيات ونباتات المانجرون التى تعيش فى مياه البحر الأحمر .

وأيد البحث المصرى مشروع عالم مصرى كبير هو الدكتور محمد القصاص بإقامة حواجز وسدود عند جبل طارق وباب المندب لحماية دول البحر الأبيض والأحمر من هذا الخطر .

هيئة أبحاث المناطق الحارة وعمى الأنهار

● أعلنت هيئة أبحاث المناطق الحارة « T D R » بمنظمة الصحة العالمية أن مرض (عمى الأنهار) « أونكوسركياسس » الذى تنقله الذبابة السوداء يهدد ١٧ مليون أفريقى إلى جانب نحو خمسمائة مليون إنسان آخر تهددهم أمراض المناطق الحارة ، ونتيجة للأبحاث والدراسات تم التوصل إلى كفاءة دواء « إيفرميكين » ـ ـى كان يستعمل فى الطب البيطرى لعلاج مرضى (عمى الأنهار) .

طالبت هيئة أبحاث المناطق الحارة شركات الدواء العالمية بالمساهمة فى تكاليف نقل الدواء .

تشعيع الطعام :

ثمان وثلاثون دولة فى العالم تتولى تشعيع الطعام بتعريضه للأشعة طلبا للقضاء على التلوث والفساد والفطريات وقد أقيم مؤخرا فى (المركز القومى للبحوث وتكنولوجيا الاشعاع) بالقاهرة ـ مؤتمر للحفاظ على الأغذية بالأشعاع .

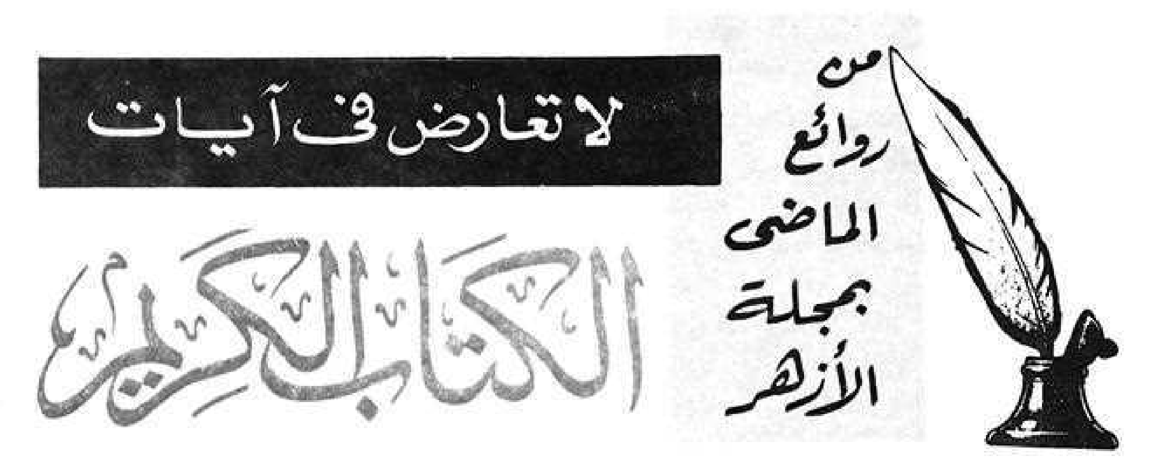
وافقت الهيئة الدولية للرقابة على الأغذية على حفظ الطعام بالإشعاع بشرط كتابة تعبير « معامل الاشعاع » .

أول معهد للطب النفسى يقام بالقاهرة

● فى إطار ثقة المنظمات العالمية المتزايدة فى كفاءة علماء مصر ، اختارت هيئة الصحة العالمية الدكتور أحمد عكاشة أستاذ ورئيس قسم الطب النفسى بجامعة عين شمس رئيسا لبحوث الهيئة فى منطقة شرق البحر المتوسط . يعتبر د / عكاشة عميد أحدث مركز أقيم لهذا الطب ويتبع جنيف مباشرة .

تمتد منطقة شرق البحر المتوسط إلى باكستان شرقا ، وتشمل جميع البلدان العربية حتى المغرب .

بدأ المركز عمله منذ أكثر من شهر ،



لا تعارض فى آيات الكتاب الكريم

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب النجار

رحمه الله

إعداد الأستاذ :
عبد الفتاح حسين الزيات

يحلو لبعض اعداء هذا الدين لجهلهم به وضحالة معرفتهم بالعربية ، ولما فى صدورهم من مكر بالدين أن يصوروا للناس تناقضاً فى الكتاب العزيز وهم لا يدخرون وسعاً فى تشكيك المسلمين بجانب المخططات الأخرى التى استهدفت قطع العلائق بينهم ، ولو كان الكتاب من عند غير الله لكان فيه التناقض ، ولكنه ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ . قال الكاتب ـ رحمه الله ـ :

ينطق بالحق ، ويخبر بالحكمة ، ويلهم النفوس تقواها ، ويرشدها إلى خيرها وهداها ؛ كتاب أحكمت آياته ، وتسامت معانيه وألفاظه ، لا تجد من بينها تعارضاً ولا اختلافاً ، ولا تهافتاً ولا اضطراباً ، بل تجد دقة فى الوضع ، وجمالاً فى التصوير ، وإحكاماً وإتقاناً ، وأسلوباً بهر العقول ، وتخاذل أمامه كل أسلوب . عنت له الوجوه ، وخشعت عنده القلوب ، وخرت أمامه أساطين البلاغة والفصاحة .

وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن حكيم خبير ، جاء بالآيات البينات والدلائل الواضحات ،

والروعة والجلال ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ .

وما تمشدق به الملحدون الذين لم يتذوقوا طعم الإيمان ولم يجدوا حلاوته ، من دعوى وجود اختلاف وتعارض بين بعض آياته ، فذلك يرجع إلى احد امرين : إما للعناد والمكابرة وتلمس اتفه الشبه التى لا تلبث أن تزول بمجرد النظر الصحيح ؛ وإما للجهل بأساليب الكتاب العزيز التى لا يعرفها إلا من مارس البلاغة والبراعة ، وعرف ضروب التفنن فى أساليبها ، وتذوق مزاياها وخصائصها .

وإنى أسوق أقوى ما تمسكوا بخيوطه ، وتعلقوا بأهدابه ، مبيناً أنها خيوط عنكبوت لا تتماسك ولا تقوى على حماية من يعتمد عليها ، ولا تحفظه من التردى فى حفرة باطله .

ورد من بين آيات الكتاب آيات تنطق أن خلق الارض تقدم خلق السموات ، وأن خلقهما استغرق ثمانية ايام ؛ وآيات تنطق أن خلق السموات تقدم خلق الارض ، وأن خلقهما استغرق ستة أيام مع انه لا يوم إذ ذاك .

ويبدو للناظر فى ظاهر ذلك ما يوهم الاختلاف والتعارض . لذلك كان من الخير أن نعرض لتلك الآيات بالبيان حتى تسفر الحقيقة مشرقة الوجه واضحة الجبين لا يعلوها غبار ولا يلحقها شين .

ورد قول الله تعالى من سورة النازعات : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ صريحاً فى معناه واضحاً فى دلالته على ان خلق السماء تقدم خلق الارض ، حيث ذكر خلق السماء وما يتعلق بها ، ثم ذكر خلق الارض وما يتعلق بها ، ثم أردف ذلك بقوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ اى بعد أن خلق السماء وما يتعلق بها دحا الارض وبسطها . بينما نجد الآيات من سورة فصلت : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ . . ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ تفيد بظاهرها أن خلق الارض تقدم خلق السموات ، خصوصاً الإتيان بكلمة (ثم) التى هى للترتيب بعد الفراغ من ذكر خلق الارض وما يتعلق بها ، وتفيد أن خلق الارض كان فى يومين لقوله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ وأن خلق ما يتعلق بالارض كان فى اربعة ايام، لقوله : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ وأن خلق السماء كان فى يومين ، فتكون مدة خلق الارض والسماء ثمانية أيام لا ستة .

ومن هنا اختلف العلماء فى طريق العلاج لحل هذه المشاكل ؛ فرأى بعضهم أن خلق الارض تقدم خلق السماء كما هو منطوق قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ .

فأنت ترى هذه الآيات قد تحدثت عن خلق الارض وما يتعلق بها اولاً ، ثم جاءت كلمة (ثم) التى هى للترتيب مع التراخى الزمانى ، وتحدثت عن خلق السماء وما يتعلق بها ثانياً .

وما ورد من سورة النازعات من قوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ بعد ذكر خلق

من روائع الماضي

السماء وما يتعلق بها أولاً ؛ فمعناه انه تعالى خلق الأرض أولاً ، ثم خلق السماء ، ثم قصد إلى الأرض فدحاها وبسطها . وبذلك لا يكون هناك تعارض ولا اختلاف بين الآيات . وهذا يوافق المروى عن ابن عباس ، فقد روى البخارى أن ابن عباس سئل عن التعارض الحاصل بين قول الله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ وبين قول الله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .... ﴾ إلى قوله : ﴿ طَائِعِينَ ﴾ فأجاب بأنه تعالى خلق الأرض فى يومين ، ثم خلق السماء فى يومين آخرين ، ثم دحا الأرض . ودحوها أن أخرج فيها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام فى يومين آخرين ، فذلك قوله : ﴿ دَحَاهَا ﴾ .

ولما كان هذا لا يساعده النظم الكريم ولا تقتضيه جزالته ، بل تنافيه ، لأن الآيات ذكرت خلق الأرض فى يومين ، وذكرت خلق ما يتعلق بالأرض من خلق الجبال والأشجار والنبات والحيوان فى يومين آخرين ، وذلك لا سبيل إليه إلا بعد أن تصير الأرض مدحوة ومبسوطة ، وبعد ذلك قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ فليس من شك فى أن ذلك يقتضى أن يكون خلق السماء بعد دحو الأرض وبسطها . وهو يطابق ما ورد من سورة البقرة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ : إذ لا يكون خلق ما فى الأرض جميعاً بدون أن تكون مدحوة ومبسوطة ـ لما كان الأمر كذلك رأى بعض العلماء أن خلق السماء تقدم خلق الأرض كما هو منطوق قول الله تعالى من سورة النازعات : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ أى بعد المتقدم ذكره : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ .

يعضد هذا ويقويه قول الله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .

وقوله من سورة هود : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .

ومن سورة ق : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ لأنها تتحدث عن مبدأ الفطرة . ومن حسن السبك وجودة النظم أن ما يذكر أولاً يكون ظاهراً فى أنه هو المخلوق أولاً ، وقد ذكر خلق السماء فى هذه الآيات قبل ذكر خلق الأرض ، وأن قول الله تعالى فى سورة فصلت : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ بعد أن ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها لا يستلزم تقدم خلق الأرض على خلق السماء ، لأن كلمة (ثم) سيقت لغرض تعداد النعم لا لغرض إفادة ترتيب الخلق .

أو يقال إن التقدير ثم كان قد استوى إلى السماء ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ إذ معناه إن يكن سرق . وأنت خبير بأن قصد تعداد النعم لا يمنع إفادة (ثم) الترتيب ، لأن هذا هو معناه ، كما أن تقدير كلمة كان أى ثم كان قد استوى ، يتنافى مع ما عليه القرآن من البلاغة واستقامة معانيه ، لما تقتضيه كلمة (ثم) من التأخير ، وما تقتضيه كلمة كان من التقديم ، وفى ذلك من التنافى ما لا يخفى .

وواضح أن القول بتقدم خلق السماء على

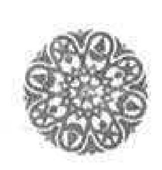
الأرض ليس بالحصيف ولا بذى الرأى السديد ، وإن عُزى إلى قتادة وارتآه كثير من العلماء ، لأنه يتنافى مع جزالة النظم الكريم ، وتتهافت معه معانى الآيات . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ كناية عن إيجاد السماء والأرض . فلو تقدم خلق السماء خلق الأرض لكان قوله : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ مقتضياً إيجاد الموجود وتحصيل الحاصل . ومثل هذا يكون بمعزل عن ساحة كتاب اختص بمزايا لايدانيه فيها سواه .

والذى يصح أن يكون جديراً بالقبول فى هذا الموضوع : أن يحمل الخلق فى قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .... ﴾ الآيات ، على التقدير والقضاء لا على الإيجاد والحصول ، أى قدر وجود الأرض وحكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين ؛ وبذلك تتلاشى شبهة : كيف كان ذلك فى أيام مع أنه لا يوم إذ ذاك ، ضرورة أن اليوم يمتاز عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها ولا شمس ولا قمر .

﴿ وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أى قدر وقضى أن يكثر خيرها بخلق أصناف الحيوانات وأنواع النبات على ما تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه مصلحة العباد « فى أربعة أيام » أى فى تتمة أربعة أيام مقدار يومين آخرين منضمين إلى مقدار يومى خلق الأرض ، فتكون مدة خلق الأرض وما يتعلق بها مقدار أربعة أيام ، وتكون مدة خلق السماء يومين ، وبذلك تتعلق آيات فصلت بالآيات الناطقة أنه تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام .

ثم شرع سبحانه وتعالى فى بيان التكوين والإيجاد بقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ أى ثم قصد إلى السماء فقال لها وللأرض التى قدر حصولها وحصول ما فيها كوناً وإحداثاً وفقاً لما قدرنا وأردنا فكانتا على ما اقتضته حكمته البالغة من كمال الإحكام والإتقان وجمال التصوير . وهذا تمثيل وتصوير لكمال قدرته تعالى وأنه لا يمتنع عليه تعالى شىء مما قدره وتعلقت قدرته بحصوله وإيجاده . وبهذا انحسر اللثام واتضح المقام أن (ثم) إنما هى للترتيب بين التقدير والإيجاد ، لا بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء . ولا أدل على ذلك من أن هذه الآيات إنما سيقت للتدليل على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن أن يكون له شريك وند ، لأن مبدع هذه الكائنات وهذه الأجرام العظيمة ، وتلك النعم الجزيلة ، لا يصح فى العقول السليمة أن يكون له أنداد وأن يكفر ، بل هو المستحق لأن يعبد ويشكر دون سواه .

وإنك لترى على هذا كيف تجاوبت أطراف النظم ، وتعانقت آياته ، ولمعت من بينها شواهد البيان ومخايل الأساليب العالية ، وظهرت جزالته واستقامت معانيه مع الروعة والجلال .





سيرة حياة

للأستاذ: أيمن محمد ميدان

نسبه :

هو عمرو بن كلثوم بن مالك(1) بن عتَّاب بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبَيْب(2) بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب(3)بن افصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان(4) .

وَأُمُّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل اخى كليب ، وامها بنت بُعْج بن عُتبة بن سعد بن زهير(5) .

مولده :

وعن مولده يروى أبو الفرج الأصفهانى رواية لا تخلو من مبالغة تثار كثيرا حول بعض الأشخاص الذين أحرزوا تفوقا ملموسا ، أو نبوغا مذهلا فى فترة من فترات حياتهم .

يقول الأصفهانى : « أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنى العُكلى عن العباس بن هشام عن أبيه عن خراش بن إسماعيل عن رجل من بنى تغلب ثم من بنى عتَّاب قال : سمعت الأخدر - وكان نسَّابة - يقول :

لما تزوج مهلهل بنت بعج بن عتبة اهديت إليه ، فولدت له ليلى بنت مهلهل . فقال مهلهل لامرأته هند : اقتليها . فأمرت خادماً لها أن يغيبها عنها . فلما نام هتف به هاتف يقول :

كم من فتى يُؤَمَّل
وسيد شمردل(6)
وعُدَّةٍ لا تُجْهَل
فى بطن بنت مهلهل

واستيقظ فقال : يا هند أين ابنتى ؟ قالت : قتلتها . قال : كلا وإله ربيعة ! - فكان أول من حلف بها - فاصدقينى ، فأخبرته . فقال : أحسنى غذاءها ، فتزوجها كلثوم بن مالك بن عتاب . فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت : إنه أتانى آتٍ فى المنام ، فقال :

يا لَكِ لَيْلَى من وَلَدْ
يُقدِمُ إقدام الأسَدْ

من جشم فيه العدد
أقول قيلاً لا فند[٧]

فولدت غلاما فسمته عمرا . فلما أتت عليه سنة قالت : أتاني ذلك الآتي في الليل أعرفه ، فأشار إلى الصبي وقال :

إني زعيم لك أم عمرو
بماجد الجد كريم النجر[٨]
أشجع من ذي لبد هزبر
وقاص أقران شديد الأسر[٩]
يسودهم في خمسة وعشر

قال الأخدر : فكان كما قال ، ساد وهو ابن خمسة عشر ، ومات وله مائة وخمسون سنة[١٠] .

ومع ما تنطوي عليه هذه الرواية من مبالغة غير منطقية تبقى لها الدلالة على « أن عمرو قد ولد في بيت السيادة من قومه ، ولقى من العناية ، وحسن الإعداد منذ نشأته ما هيأ له أن يكون فارسا متميزا وسيدا مقدما منذ شبابه المبكر »[١١] .

أبنــاؤه :

تشير المصادر التي ترجمت لحياة عمرو بن كلثوم أو تناولت جانبا من جوانبها إلى أن لعمرو ثلاثة أبناء هم : الأسود ، وعبد الله ، وعباد ، وبنتا تدعى «النوار» ، وفيما يلي ترجمة مبسطة لكل واحد منهم :

١ ـ الأسود بن عمرو بن كلثوم : ـ كان سيدا شاعرا[١٢] ، وبه كني عمرو فقيل أبو الأسود ، وبلغ الأسود من العز مبلغاً كبيراً دفع النعمان بن المنذر إلى أن يخطب وده ، فقد « كان النعمان بن المنذر يبعث إلى عمرو بن كلثوم بحباء في كل سنة ، فلما أسن جعل يبعث إلى الأسود ابنه بمثله .... »[١٣] .

وللأسود بن عمرو بن كلثوم ديوان شعر صغير نشره المستشرق ف . كرنكو عقب شعر أبيه ، وقمنا بتحقيقه ضمن أطروحتنا للماجستير وعنوانها : « شعر تغلب في الجاهلية ... جمع وتحقيق ودراسة » . وديوانه ينطوي على مقطوعتين ونتفة .

في المقطوعة الأولى يرثي أباه رثاء مكلوم ، يجسد ـ ويعمق ـ شدة الإحساس بالفقد وهول المصاب ، فقال :

(الطويل)

لِيَبْكِ ابنَ كُلثوم ـ فقد حان يومه ـ
يتامى وأضيافٌ وكلُّ مضيَّع
وَحَيٌّ إذا ما أصبحوا في ديارهم
بشهباء فيها حاسر ومقنع
وكان إذا لاقاهم صد جمعَهم
مهابَتُه وخوفُه فتصدعوا
لعمري لقد ضاعت أمور كثيرة
وذل من الأوداة ما كنت تمنع[١٤]

وفي المقطوعة الثانية يصف فرسه « عتد » فهي قوية البنيان ، سريعة الكر والفر ، خبيرة بفنون القتال ، ويفتخر بشجاعته النادرة في ميدان القتال ، فقال :

ولقد شهدت الخيل تحمل شكتي
عتد أمرّ من السوابح هيكل
أما إذا استدبرته فمُلَزّز
ويزيفه تصديرُه إذ يقبل
وكأنما تهوى ببزى كلما
حرّكته فهوى حثيثا أجدل
ولقد تركت القرن في يوم الوغى
والنحرُ منه بالدماء مرمل
وإذا دعيت إلى النزال فإنني
في القوم أول من يجيب وينزل[١٥]

وفي المقطوعة الأخيرة يفتخر الأسود بن عمرو ابن كلثوم بمكانته السامقة التي لا تطاول ،

عمرو بن كلثوم سيرة حياة

وأنسابه العريقة التى لا تمس ، مستمدا حيثيات فخره الشخصى هذا ، من آباء كرام أعزة هم الثوير بن هلال النمرى ، ومالك بن بكر ، وكلثوم بن عتَّاب ، وعمرو بن كلثوم ومهلهل ، فقال :

(من الكامل)

إن امـرءاً ورث الثُّوَيْرَ ومـالكـا
والمرءَ كلثومـا لـعـال فـاضـل
ونَمَـاه عمـرو للـعُـلَى ومـهلـهـل
لَيِمَنْـزِلٍ مـا نـالـه متناول[١٦]

٢ ـ عبد الله بن عمرو بن كلثوم : ـ احتل عبد الله بن عمرو مكانة راقية بين قومه ، فقد كان سيدا شاعرا[١٧] ، ولعبد الله بن عمرو عقب مشاهير ، منهم العتَّابىَ اديب تغلب وشاعرها فى العصر العباسى ، وعنه يقول ابن قتيبة فى ترجمته : « كان شاعرا محسنا ، وكاتباً فى الرسائل مجيدا ، ولم يجتمع هذان لغيره »[١٨] .

ولعبد الله بن عمرو مقطوعة شعرية يفتخر فيها برهطه ـ بنى عتَّاب ـ فخرا يقترب كثيرا من فخر ابيه عمرو بن كلثوم « صاحب اقوى انموذج للفخر القبلى فى الشعر الجاهلى »[١٩] ، فقال :

(الطويل)

لقـد علمت أفْنَـاءُ تغلب كلـهـا
إذا نُسِبَتْ بـأننـا من خيـارهـا
وأنَّـا أساة الأمـر منهـا وأننـا
إذا قيل : من يحمى ؟ حُماةُ ذِمارها
وأنَّـا إذا نـابـت عليهـم عظيمـة
ذوو العقد من بكر وعقد جوارها[٢٠] .

ومدحه أبو اللحام التغلبى ـ واسمه : « سريع ابن عمرو ، وعمرو هو اللحام بن الحارث بن مالك ابن ثعلبة بن بكر بن حبيب »[٢١] وحضر يوم الكُلاب الاول وبه ابلى بلاء حسنا ، وله فيه شعر كثير ، أوردناه ضمن ديوانه الذى قمنا بجمعه وتحقيقه ضمن أطروحتنا للماجستير . وذكر البغدادى شيئا من أخباره نقلا عن ابى عمرو الشيبانى فى كتابه « اشعار تغلب » الذى لم يصلنا بعد[٢٢] .

فى قصيدة له يقول فيها :[٢٣] .

(البسيط)

انضيتُها بعد المراح إلى امرىء
جلد القوى فى كل ساعة محبس[٢٤]
طَلْـقٍ يَـراحُ إلى النـدى متبلـج
كـالبـدر لافَـةٌ ولا متـعبس[٢٥]
إلى ابن هنـد خذرفت اخفـافهـا
تهـوى لمعتَمـد بعيـد المحـدس[٢٦]
المشتـرى حسـن الثنـاء بمـالـه
وإذا تـوجـه معطيـا لم يحبس[٢٧]
ولأنت أجـود من خليـج مـرسـل
متتـابـع التيـار غـير مسجَّس[٢٨]
جِيبَتْ لـه جبلاء من فـوق الصفا
مَجْرٌ يمرُّ على الخليج الأخـرس[٢٩]
لقمـانُ منتصرا ، وقَسٌّ نـاطقـا
ولأنت اجـرا صولـة من بيهس[٣٠]
يَقِصُ السبـاعَ كـأن حـلا فـوقـه
ضخم مـذمَّره شـديـدِ الأبخس[٣١]

٣ ـ عباد بن عمرو بن كلثوم : ـ كان عباد ابن عمرو فارسا هماما من فرسان تغلب المعدودين خاض كثيرا من معاركها ، و« قتل بشر ابن عمرو بن عُدُس »[٣٢] وبعبَّاد هذا كنى عمرو ابن كلثوم ، فقيل : « ابو عبَّاد »[٣٣] .

مدحه معاوية بن خالد بن كعب بن زهير ... وقومه ، فقال :[٣٤]

جزى الله عبَّاد بن عمرو ورهطه
سرورا فنعم القوم عند الهزاهز[٣٥]
هـم قتلـوا بشـراً وردوا خيـولـه
بطعن كـإيزاغ المخـاض الحـوامـز[٣٦]

ولعبَّاد بن عمرو بن كلثوم مقطوعتان شعريتان عثرت عليهما خلال رحلة بحث واسعة الميدان ،

حثيثة الخطى ، فى المقطوعة الأولى يذكر صنيع بنى السفاح التغلبيين ، فقال :[37] .

(البسيط)

هلا سألت بنى السفاح هل شعروا
بأمرهم أنّ غِبَّ البغى خوّانُ
ماأورث البغى قوما قبلهم رشدا
بل يهلكون به فى كل أزمان
ياموعديّ بأسمان الخيول وما
يرثى المصاب لمهزول ولا وانِ
إنّا لفى منزل ما إن تخاف به
أمثالكم يابنى غنم بن دودان

والثانية وردت له فى حماسة البحترى ص ١٦٧ يقول فيها :[38]

(الكامل)

ومقامةٍ غُلْبِ الرقاب شهدتهم
تغلى مراجلهم لدى الأبواب
متسربلى البغضاء باد شُنُؤهم
خُزرٍ عيونهم علىّ غضاب
يوما بأبواب الملوك علوتهم
ببيان ذى جذل وفصل خطاب
كفيت غائبهم وكنت وليهم
فرجعت محمودا بغير ثواب

وتشير بعض المصادر إلى أن عمرو بن كلثوم يكنى أيضا بأبى عمير[39] .

٤ ـ النُّوار بنت عمرو بن كلثوم : ـ تشير بعض المصادر إلى أن لعمرو بن كلثوم بنتا تدعى « النُّوار »[40] أسرها حجل بن نضلة يوم ذى طلح ـ أو ذى طلوح ـ وركب بها المفاوز ، وفى ذلك قال ابنها شبيب بن جعل التغلبى ، يجسد حيرة بالغة هيمنت عليها وقلقا مستحكما انخرط فى نفسها حيال ما تعرضت له من ذل الأسر :

حنّت نوار ولات هنا حنت
وبدا الذى كانت نوار أجنت[41]
لما رأت ماء السلا مشروبا
والفرث يُعصر فى الإناء أرنت[42]

وفاتــه :

تذكر بعض المصادر أن المنية أدركت عمرو بن كلثوم وهو يناهز الخمسين ومائة سنة[43] ، وأنه عندما أحس بدنو أجله جمع بنيه ، ليوصيهم وصية رجل حكيم ، حلب الدهر واعتصر تجاربه ، فقال :

« يابنى ، قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائى ، ولابد أن ينزل بى ما نزل بهم من الموت . وإنى والله ماعيرت أحدا بشيء إلا وعيرت بمثله ، إن كان حقا فحقا ، وإن كان باطلا فباطلا . ومن سَب سُب ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم ، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم ، وامنعوا من ضيم الغريب ، فرب رجل خير من ألف ، وردٌّ خير من خُلف . وإذا حدثتم فعوا ، وإذا حدثتم فأوجزوا ، فإن مع الإكثار تكون الأهذار[44] ، وأشجع القوم العطوف بعد الكر ، كما أن أكرم المنايا القتل ، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ، ولا من إذا عوتب لم يُعتب . ومن الناس من لا يُرجى خيره ، ولا يُخاف شره ، فَبَكْؤُهُ خير من درِّه[45] ، وعقوقه خير من بره . ولاتتزوجوا فى حيكم ، فإنه يؤدى إلى قبيح البغض »[46] .

وعن كيفية وفاته ، نجد أنفسنا أمام روايتين ، الأولى منهما تلقى قبولا لدى من ترجموا لعمرو ابن كلثوم ، أو تناولوا جانبا من جوانب حياته ، وتكاد الثانية لاتفترق عن الأولى فى أهم أجزائها .

الرواية الأولى : يروى أن النعمان بن المنذر كان « يبعث إلى عمرو بن كلثوم بجباء فى كل سنة ، فلما أسن جعل يبعث إلى الأسود ابنه بمثله . فقال عمرو : مامت حتى ساوانى بولى . وحلف لا يذوق طعاما ولا شرابا إلا الخمر ، فجعل يشربها صرفا ، وجعلت امرأته تعتزله لكى يأكل فأبى واشتد عليها ، وهو يقول :

عمرو بن كلثوم سيرة حياة

معاذ الله تدعوني لحنث
ولو أقفرت أياما قتار

ثم جعل يشرب الخمر حتى مات[٤٧] .

الرواية الثانية : أوردها ابن قتيبة فى ترجمة زهير بن جناب فقال : « وهو أحد النفر الثلاثة الذين شربوا الخمر صرفا حتى ماتوا ، وهم زهير ابن جناب ، وأبو براء (عامر) ملاعب الأسنة عم لبيد ، وعمرو بن كلثوم التغلبى .

فأما زهير فإنه قال ذات يوم : إن الحى ظاعن . فقال : عبد الله بن عليم بن جناب (ابن أخيه) : إن الحى مقيم ، فقال زهير : من هذا المخالف لى ؟! قالوا : ابن أخيك . قال : فما أحد ينهاه ؟!. قالوا : لا . قال : أرانى قد خولفت ، فدعا بالخمر ، فلم يزل يشربها صرفا حتى قتلته .

وأما أبو براء (ملاعب الأسنة) فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان وَجَّهَ عدة من أصحابه إلى بنى عامر بن صعصعة فى خفارته(*) ، فسار إليهم عامر بن الطفيل ابن أخيه ، فلقيهم ببئر معونة فقتلهم ، فدعا أبو براء بنى عامر إلى الوثوب بعامر . فلم يجيبوه (فغضب) فدعا بالخمر فشربها صرفا حتى قتلته .

وأما عمرو بن كلثوم فإنه أغار على بنى حنيفة باليمامة ، فأسره يزيد بن عمرو الحنفى فشده وثاقا ، ثم قال : ألست القائل :

متى تعقد قريننا بحبل
نجذ الحبل أو نقص القرينا

أما أنى سأقرنك بناقتى هذه ، ثم أطردكما جميعا (فانظر أيكما يجذ ! فنادى : يا آل ربيعة : أمثلة ؟! فاجتمعت إليه بنو لجيم فنهوه (عن ذلك) فانتهى إلى (حجر) فأنزله قصرا وسقاه ، فلم يزل يشرب حتى مات »[٤٨] .

ويعلق المحقق العلامة الأستاذ أحمد محمد شاكر على هذه الرواية بقوله : « هكذا قال المؤلف ، وهو شىء شاذ لم نره عند غيره ، فإن القصة وردت فى الأغانى ٩/١٧٦ ـ ١٧٧ ، وفيه أن يزيد « ضرب عليه قبة ، ونحر له ، وكساه وحمله على نجيبة ، وسقاه الخمر » وأن عمرو بن كلثوم لما أخذت الخمر برأسه تغنى بأبيات ذكرها . فهذا إكرام ينفى أنه مات فى الأسر. ثم قد ذكر فى الأغانى ١٧٨ خبر موته ، وقد أتت عليه ١٥٠ سنة ، وأنه جمع بنيه وأوصاهم . نعم : ذكر أبو حاتم فى « المعمرين » حادث زهير ابن جناب ثم قال : « وشربها أبو براء عامر بن مالك بن جعفر حين خولف صرفا حتى مات . وشربها عمرو بن كلثوم التغلبى صرفا حتى مات . ولم يبلغنا أن أحدا من العرب فعل ذلك إلا هؤلاء » . وكذلك أشير إليهما فى الأغانى وابن الأثير فى مناسبة ترجمة زهير بن جناب ، ولم يذكر أحد منهم أن موت عمرو كان فى إسار بنى حنيفة . فلعل المؤلف دخلت عليه قصة فى قصة ! ـ ا ، هـ[٤٩] .

وإذا كان صاحب الأغانى وجامع ديوان عمرو اكتفيا بذكر قصة أسر يزيد لعمرو بن كلثوم وإكرامه ، ولم يذكرا أنه مات فى إسار بنى حنيفة ، فإن من العلماء من نص على أن عمرو لم يمت فى إسار بنى حنيفة ، كما زعم ابن قتيبة ، ففى كتاب « العفو والاعتذار » ٤٩١ ـ ٤٩٣ باب « تكرم الإشراف فى العفو عن الأسرى وغيرهم من ذوى الجنايات » ، أورد المؤلف قصة إغارة عمرو على بنى تميم وبنى حنيفة ، ووقوعه فى الأسر كما وردت فى كل من ديوان عمرو والأغانى مع خلاف طفيف فى لفظة هنا ، أو جملة هناك ، أو رواية بيت شعر .. على أنه أضاف بعد شعر عمرو الذى قاله عندما أحدثت الخمر أثرها فى رأسه .. قائلا : « فَمَنَّ عليه ، وأطلقه بغير فداء »[٥٠] .

(*) أبو براء هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة العامرى ملاعب الأسنة قال ابن سعد ـ فى الطبقات ٥١/٢ ط دار صادر بيروت :

« قدم عامر بن مالك بن جعفر أبو براء ملاعب الأسنة الكلابى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد .

قال ابن الأثير ـ فى أسد الغابة ١٤٠/٣ ط : الشعب : « الصحيح أن أبا براء لم يسلم » .

(١) أسقط القرشى فى جمهرة أشعار العرب ٣٨٨/١ هذا الاسم .

(٢) فى خزانة الأدب ورد هذا الاسم بتشديد الياء .

(٣) أسقط القرشى ـ أيضا ـ هذا الاسم من نسب عمرو . على حين ورد بكسر الهاء وتسكين النون فى الأغانى (ث) ٤٦/١١ ، وبفتح الهاء وتسكين النون فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٦٩ .

(٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٦٩ والأغانى (ث) ٤٦/١١ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٨٨/١ .

(٥) الأغانى (ث) ٤٦/١١ .

(٦) الشمردل : القوى الفتى الحسن الخلق .

(٧) الفند : الخطأ فى القول والرأى .

(٨) النجر : الأصل .

(٩) اللبدة : شعر الأسد الذى على كتفيه . والهزبر : من أسماء الأسد والوقص : الكسر والدق . وشديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخ .

(١٠) الأغانى (ث) ٤٦/١١ ـ ٤٧ .

(١١) شعر المعلقات ١٦/١ .

(١٢) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ ، والأغانى ٥٢/١١ ، وسمط اللآلى : ٦٣٥/٢ ، ومعجم الشعراء ٦ .

(١٣) نقائض جرير والفرزدق ١١٩ .

(١٤) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٣ .

● يتامى : واحدها يتيم ، قال الليث : اليتيم الذى مات أبوه ، فهو يتيم حتى يبلغ ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم ، والجمع أيتام ويتامى ويتمة .

والأضياف : جمع قلة واحدها الضيف ، والضيف : المضيف لطعام أو توثيق علاقة أو قربى ويجمع على أضياف وضيوف وضيفان والضيفين : الذى يتبع الضيف ، وقيل : الذى يجىء معه ، قال الشاعر :

إذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن
فأودى بما تقرى الضيوف الضيافن

ومضيع : أى هالك .

● الشهب والشهبة : لون بياض يصدعه سواد فى خلاله ، ومنه قيل للكتيبة شهباء لما فيها من بياض السلاح والحديد فى حال السواد ، وقيل : هى البيضاء الصافية الحديد ، وفى التهذيب : قيل كتيبة شهباء إذا كانت عليتها بياض الحديد . والحاسر : الفارس الذى لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . والمقنع : المتغطى بالسلاح وقيل : هو الذى على رأسه بيضة ، وهى الخوذة لأن الرأس موضع القناع .

● المهابة : المخافة والإجلال . وتصدعوا : تفرقوا وانشقوا على أنفسهم . والذل : نقيض العز .

(١٥) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٤ .

● الشكة : السلاح ، وقيل : ما يلبس من السلاح . والسوابح : صفة غالبة تطلق على الخيل ، وسبح الفرس : جريه .

● استدبرته : أى أمعنت النظر فيه من خلف . وملزر : شديد الخلق ، منضم بعضه إلى بعض ، شديد الأسر . ويزيفه : يقال زاف البعير والرجل وغيرهما يزيف فى مشيته .. أسرع وقيل : هو سرعة فى تمايل ، وقيل : زاف البعير يزيف تبختر فى مشيته . وتصديره : تقدمه ، يقال تصدر الفرس وصدر كلاهما تقدم الخيل بصدره وقال ابن الأعرابى : المصدر من الخيل السابق .

البز والبزة : السلاح يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف ، والبز أيضا : الثياب ، وقيل : ضرب من الثياب . وهوى حثيثا : أى انقض مسرعا وحريصا ، والأجدل : الصقر صفة غالبة عليه ، وأصله الجدل الذى هو الشدة .

عمرو بن كلثوم سيرة حياة

● القرن :الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب . والوغى : غمغمة الأبطال فى حومة الحرب . وقيل : الوغى الحرب نفسها . والنحر : الصدر .... قال ابن سيده : نحر الصدر أعلاه ، وقيل : هو موضع القلادة منه ، وهو المنحر . والمرمل : الملطخ والمضرج بالدماء .

● النزال فى الحرب : أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما ، فيتضاربوا ، عن المحكم .

(١٦) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٣ ـ ٦٠٤ .
الثوير : يعنى به عمرو بن هلال النمرى ، وقيل : الثوير بن عمرو بن هلال النمرى جده لأمه ، وخال أبيه . ومالك : يعنى به مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم .. ينتمى إلى هذا الحى من تغلب عمرو بن كلثوم وآل بيته وأخوه مرة ، وأبو اجا وأبو حنش وذو السنينة ... وكلثوم : يعنى به جده لأبيه . ومهلهل : عمه . والمنزل والمنزلة : المكانة . والمتناول : المتطاول .

(١٧) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ .

(١٨) الشعر والشعراء .

(١٩) دراسات فى الشعر الجاهلى ١١٥ .

(٢٠) شعر عمرو بن كلثوم ٦١٠ ـ ٦١١ .
أفناء : أخلاط والواحد فنو ، قال ابن الأعرابى : .. رجل فى أفناء القبائل أى لايدرى من أى قبيلة هو ... قال ابن برى : قال ابن جنى : واحد أفناء الناس فنا ... قال : وكذلك أفناء الناس انتشارهم وسعتهم . وإذا نسبت : أى إذا اجتمعت للتفاخر بالآباء والأجداد .

● أساة الأمر : معالجو الأمور ، ضالعون لمجابهتها . والذمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحمايته والدفع عنه ، وإن ضيعه لزمه اللوم .

● نابت : أى نزلت عليهم ، وحلت بهم ، والعظيمة : النائبة ، وهى ما ينوب الإنسان من الحوادث والملمات . وذو العقد : أى حفظة العهود وصيانة المواثيق .

(٢١) نقائض جرير والفرزدق ٤٥٨ . وفى خزانة الأدب ٥٥٩/٨ ، اسمه حريث مصغر حارث ، .

(٢٢) خزانة الأدب ٥٥٩/٨ ـ ٩٦٠ .

(٢٣) المصدر السابق ٥٥٩/٨ ـ ٥٦٠ .

(٢٤) انضيتها : وجهتها . ومحبس : ضيق .

(٢٥) طلق : مستبشر منبسط الوجه متهلله . ومتبلج : ضاحك هاش مشرق الوجه . والفهه : العى . ومتعبس : مقطب مابين عينيه .

(٢٦) خذرفت : زجت بقوائمها . وأخفاف : واحدها خف ، والخف للبعير كالحافر للفرس . والمحدس : المذهب والمطرح .

(٢٧) الثناء : المدح والذكر الحسن . لم يحبس : لم يمسك أو يبخل .

(٢٨) أجود : أكرم . والخليج من البحر : شرم منه . ومرسل : منساب . والمسجس : المكدر الفاسد النتن .

(٢٩) المجر : ممر الماء . والأخرس الذى ينساب بهدوء دون أن يحدث صوتا .

(٣٠) لقمان بن عادياء صاحب النسور المشهور . وقس : يعنى به قس بن ساعدة الإيادى أحد حكماء العرب وبلغائها المشهورين . والصولة : الوثبة . وبيهس : من أسماء الأسد ، وهو مأخوذ من البهس بمعنى الجرأة .

(٣١) يقص : يدق أعناقها .

والسباع : واحدها السبع ، وهو من البهائم ما كان ذا مخلب .. وقيل : يقع على ما له ناب من السباع ، ويعدو على الناس والدواب فيفترسها . والحل : الدهن . والمذمر : القفا . والأبخس : عصب فى الذراع ، وهو باطن قوائمه .

(٣٢) الشعر والشعراء ٦١١ وجمهرة أنساب العرب ٣٠٤ والأغانى ٥٠/١١ .

(٣٣) شعراء النصرانية ١٩٧/١ .

(٣٤) شعر عمرو بن كلثوم ٦١١ .

(٣٥) الهزاهز : الشدائد (حكاها ثعلب) لاواحد لها ، وقيل : الهزهزة تحريك البلايا والحروب للناس ، وقيل : الهزاهز الفتن يهتز فيها الناس .

(٣٦) بشر : يعنى به بشر بن عمرو بن عدس قتله عباد بن عمرو بن كلثوم . والطعن : الوخز بالحربة وغيرها . والإيزاغ :

إخراج الشيء دفعة دفعة .. والطعنة توزغ الدم . والمخاض من النهر الكبير : الموضع الذى يتخضخض ماؤه . والحوامز : الشديد القوى المنقبض .

(٣٧) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٦ . بنو السفاح : يعنى بهم رهط السفاح التغلبى . وغب : عاقبة ونهاية . والبغى : العدول عن الحق والاستطالة على الناس بالفساد . خوان : أى عاقبة ظلم الناس والجور عليهم بالفساد قد تأتى بما لايريد الظالم أو يهوى فيتبدل حالة من اللين إلى الشدة .

● الرشد : نقيض الغى والضلال . ويهلك : يباد .

● أسمان الخيول : أى السليمة التى ليس فيها ضعف . والمهزول : الإبل لم تسمن ، والهزل : موت مواشى الرجل ، وإذا ماتت قيل : هزل الرجل فهو هازل أى افتقر . والونى : الضعف والفتور والكلال والإعياء .

● منزل : مكان . وغنم بن دودان : حى من احياء كلب .

(٣٨) المقامة ـ بالفتح ـ الجماعة من الناس . وغلب : واحدها أغلب ، والأغلب غليظ الرقبة . والعرب كانت تصف السادة بغلظ الرقبة وطولها . والمراجل : واحدها المرجل ، والمرجل : القدر من الحجارة والنحاس ، وقيل : هو قدر النحاس خاصة ، وقيل : هى كل ماطبخ فيها من قدر وغيرها .

● متسربلى البغضاء : البغضاء : شدة الكره . يقول : هؤلاء القوم متشحون بوشاح حقدهم وحنقهم على . وشنآ : بغض . خزر عيونهم : أي ينظرون عن معارضة ، وتخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر قال ابن الأعرابى :... الشاب إذا خزر عينيه فإنه يتداهى بذلك . وغضاب : واحدها غَضِبٌ ، أى شديد الغضب .

● علوتهم : تقدمت صفوفهم ، وسموت فوقهم مكانة . والبيان : يعنى به حسن الكلام وبليغه . والجذل : عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به فتشفى من مرضها . يقول : إذا جمعتني وإياهم ساحات الملوك تقدمت صفوفهم ، وسموت عليهم بحسن الحديث وبليغه الذى ينبثق عن إنسان جربته الأمور وخبرته الأيام فأضحى له علم ورأى يشتفى بهما كما تشتفى الإبل الجربى بهذا الجذل .

● كفى يكفى كفاية : إذا قام بالأمر ، وشدد للمبالغة . والولى : الناصر والقائم بأمورهم . والثواب : جزاء ماعمل ، وقيل : الثواب جزاء الطاعة .

(٣٩) معجم الشعراء ٦ .

(٤٠) انظر ترجمتها فى : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٠٦ ، والعقد الفريد ١٨٨/٥ ـ ١٩٠ ، والشعر والشعراء ٩٤/١ ـ ٩٥ والمؤتلف والمختلف ٨٤ ، ولسان العرب (نور) ، وخزانة الأدب ١٩٥/٤ . وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٤٨/٧ .

(٤١) حنت : من الحنين ، والحنين : الشوق ونزاع النفس إلى شيء . ونوار : اسم للمرأة مأخوذ من نارت المرأة تنور إذا نفرت من الريبة ، وهو اسم أطلق على ابنة عمرو بن كلثوم التى أسرت يوم ذى طلح . وأجنت : أخفت .

.. ورد هذا البيت منسوبا لشبيب بن جعل فى المؤتلف والمختلف ٨٤ وبرواية ثانية هى :

حنت نوار وأى حين حنت
وبدا الذى كانت نوار أجنت

(٤٢) السلا : الجلدة التى يكون فيها الولد من المواشى ، وهى المشيمة له . والفرث : السرجين مادام فى الكرش . وأرنت : صاحت وصرخت . ورد البيت منسوبا لبعض بنى ضبة وبرواية ثانية فى شرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ٥٥٥/٢ ، وهى :

لما رأت ماء السلا مشروبا
والفظ يعصر فى الإناء أرنت

وعلق قائلاً : « ... والافتظاظ : أن تنهل الإبل وتعل ، ثم تكعم كى لا تجتر إذا أرادوا ركوب المفاوز ، فإذا نزلوا نحروها ، وشربوا ماء كروشها . فذلك الفظ بعينه » وروى البيت برواية ثالثة فى خزانة الأدب ١٩٥/٤ هى :

لما رأت ماء السلى مشروبا
والفرث يعصر فى الإناء أرنت

(٤٣) الأغانى (الثقافة) ٣٠/١١ .

(٤٤) الأهذار : جمع هذر بالتحريك ، وهو سقط الكلام .

(٤٥) البكء : قلة لبن الناقة أو الشاة أو انقطاعه ، والمعنى : فمنعه خير من عطائه .

(٤٦) الأغانى (الثقافة) ٥٣/١١ ـ ٥٤ .

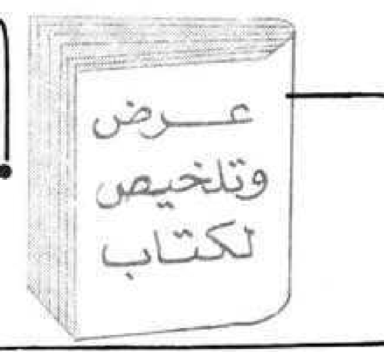
(٤٧) ديوانه ، ونقائض جرير والفرزدق .

(٤٨) الشعر والشعراء ٣٧٩/١ ـ ٣٨٠ .

(٤٩) الشعر والشعراء ٣٨٠/١ ، هامش رقم ٤ .

(٥٠) العفو والاعتذار ٤٩٣/١ .

تدوين السير والمغازى



بقلم: الأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت

اهدانى منذ فترة غير طويلة فضيلة الأستاذ الشيخ القاضى ابو المعالى اطهر مبارك بورى الهندى مؤلفه الجديد فى اللغة الأردية - "تدوين السير والمغازى" الذى نشرَتْهُ وقدمت له اكاديمية شيخ الهند دار العلوم - ديوبند سنة ١٤١٠ هـ.

والحقيقة انه تربطنى بالمؤلف صلة علمية وثيقة منذ ان كنت مبعوثا للازهر بالهند سنة ١٩٦٢، وقد قمت بترجمة كتابيه - «العرب والهند فى عهد الرسالة» و «الحكومات العربية فى السند والهند» من الاردية إلى العربية. طُبع الاول بالهيئة المصرية العامة للكتاب، وطُبع الثانى بمكتبة المدّ الله البكيرية بالرياض بالسعودية وذلك من بين كتبه العديدة التى الفها فى اللغة الأردية علاوة على كتابه - (رجال السند والهند) - باللغة العربية إلى القرن السابع من الذين وُلدوا وعاشوا فى الهند، او كانوا من طينتها وولدوا وعاشوا فى الخارج من العلماء والمحدثين، والرواة، والفقهاء، والمشايخ، والادباء والشعراء، والمتكلمين، والفلاسفة، وارباب الصنائع وغيرهم.

والكتاب الذى نتحدث عنه وهو تدوين السير والمغازى يقع فى ٣١٩ صفحة من الحجم المتوسط ويشتمل على خمسة أبواب:

عنوان الباب الأول: (قبل تدوين السير والمغازى) ويتناول الحديث عن المفهوم اللغوى والاصطلاحى للسير والمغازى، وعلم الحديث والسير والمغازى، ويوضح اصحاب الحديث، واصحاب الفقه، وأصحاب المغازى وبيان الفرق بينهم ومقاييس الروايات لدى أصحاب المغازى وذكر أسماء الغزوات والسرايا وعدد المشاركين فيها وغير ذلك من الأمور التى تتعلق بموضوع هذا الباب.

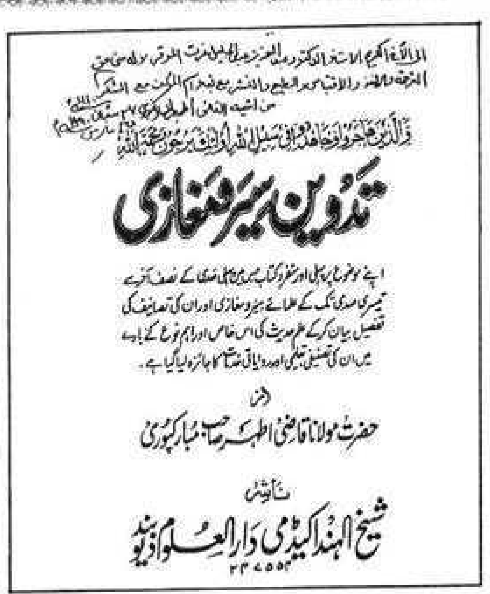
الباب الثانى وعنوانه: (المصادر المكتوبة فى السير والوثائق والمغازى) وتناول فيه الحديث عن القرآن الكريم والحديث الشريف والوثائق التذكارية منذ العهد النبوى وبيان أهميتها، وذكر نماذج عديدة من ذلك فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين من بعده.

والباب الثالث وعنوانه: (تدوين السير والمغازى فى النصف الأول فى بداية القرن الأول الهجرى وتناول فى هذا الباب ذكر أسماء الكتب التى ألفت وأصحابها والتى بلغ عددها ثلاثة عشر

كتابا ، كما ذكر أسماء من اهتم بالسير والمغازى من الصحابة والتابعين وبين أحوال كل منهم .

الباب الرابع وعنوانه : (علماء السير والمغازى فى مختلف المدن) والمصنفين فيها ، ذكر من بينهم علماء الكوفة وأسماء الكتب التى ألفوها وعلماء بغداد وأسماء الكتب التى ألفوها وعلماء مصر والأندلس وأسماء الكتب التى قاموا بكتابتها .

الباب الخامس وعنوانه : (التدوين الفقهى للسيرة والمغازى) وتناول فى هذا الباب الذين كتبوا فيها من أئمة الفقه أمثال الإمام ابو حنيفة ونقل فى ذلك ماكتبه العالم المحقق ابو الوفا الأفغانى المتوفى سنة ١٣٩٥ هـ فى مقدمة كتاب « الرد على سير الأوزاعى » : أن من اقدم الكتب فى هذا الفن كتاب الإمام أبى حنيفة الذى أملاه على كبار تلاميذه امثال : ابو يوسف وزفر وأسد ابن عمرو والحسن بن زياد لؤلؤى وحفص بن غياث النخعى ومحمد بن حسن الشيبانى وعافية بن زيد بن الإمام حماد ، وأحال فى هذه المسألة لمزيد من المعلومات على مقدمة كتاب « السير للأوزاعى » ص ٣(١) وكذلك ماكتبه الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ ضمنا فى أحاديثه وكتاب ـ « السير الكبير » لمحمد بن حسن الشيبانى وكتاب : « الرد على سير الأوزاعى » للقاضى أبو يوسف الأنصارى الكوفى « وكتاب السيرة » للحسن بن زياد لؤلؤى وكتاب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى وغير ذلك من الكتب التى تكلم عن أربعة عشر كتابا منها ذكرت من بينها ماسبق ، وهى معروفة عند أهل العلم والمهتمين بهذا الفن ، ومهما يكن من أمر ، فإن هذا المؤلف يخدم بالدرجة الأولى الناطقين باللغة الأردية فى شبه القارة الهندية ، والباكستان .


تدوین سیر ومغازی

اپنے موضوع پر پہلی اور منفرد کتاب جس میں عہد صحابہ سے لے کر تیسری صدی تک کے علمائے سیر ومغازی اور ان کی تصانیف کی تفصیل بیان کرکے علم حدیث کی اس خاص اور اہم نوع کے بارے میں ان کی تصنیفی تعلیمی اور روایتی خدمات کا جائزہ لیا گیا ہے۔

از

حضرت مولانا قاضی اطہر صاحب مبارکپوری

ناشر

شیخ الہند اکیڈمی دار العلوم دیوبند

ولنا على الكتاب ملاحظات لاتقلل من قيمته بحال ، فهو مضغوط فى مادته ، وبعض مسائله كانت تحتاج إلى بسط وتحقيق .

وقد ذكر المؤلف أعداد الصحابة والمشاركين فى الغزوات والسرايا ولم يأت بعددهم فى (غزوة أُحُد) بينما ذكر كتاب (السيرة النبوية لابن هشام) أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعبأ للقتال فى (أحد) وهو فى سبعمائة رجل ، كما أن كثيرا من أسماء الكتب التى ورد ذكرها لم يُحَدِّد ما إذا كانت هذه الكتب قد تم طبعها أم لازالت مخطوطة ، ولم يعين كذلك جهة وجودها ، وهى كتب على الغاية من الأهمية .

على أن المؤلف ـ فيما كتب فى هذا الكتاب ـ إنما أدى الواجب لعمل علمى جليل يضاف إلى مجموعة مؤلفاته التى تخدم الثقافة الإسلامية وتنير الطريق أمام الباحثين خاصة من أبناء شبه القارة جزى الله المؤلف خير الجزاء وأكثر النفع به .

---

(١) الرد على سير الأوزاعى ص ٣٢ ، ٣٣ طبعة إحياء المعارف النعمانية حيدر أباد سنة ١٣٥٧ هـ تعليق أبو الوفا الأفغانى



كتبت الشئون الفنية لمكتب الإمام الاكبر

● في الدورة الثالثة عشرة لأئمة العالم الإسلامي ووعاظه التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف والتى تستمر حتى نهاية جمادى الآخرة ١٤١١ هـ - ١٩٩١/١/١٥ .

- التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر باعضاء الدورة والقى فيهم كلمة دعاهم فيها إلى ان يعايشوا مشكلات عصرهم ودولهم الإسلامية . واكد فضيلته ان من اهداف هذه الدورات أن يتعارف علماء المسلمين في رحاب الأزهر وان يتحاوروا في امور الدعوة الإسلامية كما اكد فضيلته على ان الإمام يجب ان يكون قدوة وان يتوافق قولهُ مع عمله لأن الناس ينظرون إليه على انه قائدهم ومعلمهم .

وقد شارك في هذه الدورة الثالثة عشرة ثلاثة وعشرون واعظا وإماما يمثلون . غينيا بيسلو - غانا - افريقيا الوسطى - اليمن - امريكا اللاتينية - اندونيسيا - جنوب افريقيا الاتحاد السوفيتي .

الامام الأكبر يوافق على ضم ثلاثة وستين معهداً للأزهر

● وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على ضم ٦٣ معهداً أهليا إلى الأزهر الشريف .

وتضم هذه المعاهد مختلف المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية وتشمل محافظات القاهرة والاسكندرية وكفر الشيخ والدقهلية والمنوفية والبحيرة والشرقية والمنيا وأسيوط وسوهاج وقنا وأسوان .

كتب محرر الباب :

« مفاجأة في التصويت على الشريعة الاسلامية » بباكستان

حقق التحالف الإسلامي المعارض في باكستان انتصارا كبيراً إثر تبنى مجلس الشيوخ الباكستانى مشروع قرار للعمل بالشريعة الإسلامية .

وشهدت جلسة التصويت مفاجآت إثر تغيير مواقف العديد من اعضاء المجلس الذين كانوا قد اعترضوا على هذا المشروع قبل خمس سنوات .

كما احتل المسلمون غالبية المقاعد في الانتخابات الأخيرة التى جرت في باكستان خلال شهر اكتوبر ١٩٩٠ م

(وما تشاءون إلا أن يشاء الله) .
صدق الله العظيم

« فيلم دينى عن حياة الامام البخاري لأول مرة » بالاتحاد السوفيتي

يقوم تليفزيون اوزبكستان بالاشتراك مع التليفزيون المصرى بإنتاج مسلسل دينى يحكى حياة الإمام البخارى .

والجدير بالذكر ان جمهورية اوزبكستان ذات غالبية مسلمة ...

الإمام البخارى ـ وهو محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخارى ـ يعتبر امام الدنيا فى علم الحديث أخذ يدرسه ولم يتجاوز العشر سنوات .

ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ وتوفى فى شوال سنة ٢٥٦ هـ

مائة ألف مسلم بلغارى يطالبون الحكومة البلغارية الجديدة بتحسين أوضاعهم

ذكرت الإذاعة اللندنية فى مقابلة لها مع أحد زعماء مسلمى بلغاريا الأتراك بأنه قد عاد إلى بلغاريا من تركيا حوالى ١٠٠,٠٠٠ الف مسلم قد نزحوا من مساكنهم أيام الحكم الشيوعى الفاشى وطالبوا فور عودتهم باستعادة مساكنهم واعمالهم ومتاجرهم وأسمائهم الإسلامية كما طالبوا بالإفراج عن السجناء المسلمين الذين اعتقلهم العهد الشيوعى البائد ، ولا يزال المسلمون فى بلغاريا يطالبون بحقهم فى المساواة .

« مقتل أكثر من ألفى مسلم فى أحداث ليبيريا الأخيرة »

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن الفى مسلم قد لقوا مصرعهم فى الأحداث الأخيرة بليبيريا على أيدى أفراد المعارضة التى مهدت لحملتها بتوزيع منشورات فى ليبيريا باسم الكنيسة لطرد المسلمين والقضاء على مؤسساتهم برغم أن المسلمين فى ليبيريا لا يمثلون مناصب عليا فى الحكومة ، ويبلغ عددهم اكثر من ٨٠٪ من السكان .

مجلة الأزهر :

قدمت مجلة الأزهر بحثا مستفيضا عن المسلمين فى ليبريا تتبين منه نهضة إسلامية جمعت بين المسلمين ، ونشأت بينهم جمعيات ضمت وحدتهم ... الأمر الذى أثار الجهات الاستعمارية .. فكانت هذه الحرب التى راح ضحيتها آلاف مؤلفة من المسلمين .

« استمرار اضطهاد المسلمين فى الهند »

ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط فى نبأ عاجل لها من الهند يوم السبت الموافق ١٦ من ربيع الآخر ١٤١١ أنه قد وقعت معركة كبيرة فى شمال الهند فى ولاية (أوتاربراديش) بين المسلمين والهندوس بسبب إقدام الهندوس على هدم مسجد شمال الهند لبناء معبد لهم مكان المسجد الذى بناه المسلمون فى القرن السادس عشر .

وقد راح ضحية هذه الاضطرابات نحو مائتين من المسلمين والهندوس .

وقد ذكرت الوكالة بأنه قد وقعت فى بنجلاديش اضطرابات مشابهة بين المسلمين والهندوس .

مجلة الأزهر :

يستخدم الهندوس أكثر من دعوى لإثارة الجماهير لهدم المسجد دون موقف حاسم من الحكومة الهندية إزاءه ويعنى هذا أن (ديمقراطية) الهند شعار من هواء ، فإن المسلمين البالغ عددهم مائة مليون نسمة على الأقل ـ أى ما يماثل سبع سكان الهند ـ لا يتمتعون بحقوقهم المدنية .

ثالثاً : العناية فى المنزل وفى تجمعات الجالية باللغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ولغة الصلاة والمناسك والوعاء الذى حفظ القدر الأكبر من التراث الإسلامى .

رابعاً : حث أبناء هذه الجاليات على الاتجاه إلى دراسة العلوم الحديثة والعملية ؛ لتكون منهم الصفوة القادرة على تأكيد الهوية الإسلامية فى العالم المعاصر فى لقاء بين الإسلام وشئون الحياة .

خامساً : يوصى المؤتمر كل جالية إسلامية بإيجاد أسلوب للتكافل الاجتماعى بين أبناء الجالية يرعى الضعفاء من ناحية والموهوبين من ناحية أخرى ، فتربية الجيل الجديد ورعايته من أعظم الاستثمارات فى حياة المسلمين .

وفى شئون الدعوة الاسلامية بين الأقليات

يوصى المؤتمرُ المجلسَ الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى تقرر إقامته بما يلى :

(أ) إنشاء مركز لشئون الأقليات ، ويمكن لهذا المركز أن يقبل التبرعات المنتظمة والهبات وأن يوزعها فى إطار التنسيق بينه وبين المراكز الأخرى .

(ب) إنشاء بنك معلومات عن الأقليات ، تتجمع لديه المعلومات عن كل جالية ، وأن يكون مزوداً بالوسائل الحديثة لجمع المعلومات واختزانها وتصنيفها واسترجاعها .

(جـ) إصدار نشرة دورية ، تكون وسيلة منتظمة لتبادل المعلومات .

(د) إعداد مراكز متخصصة لإعداد الدعاة للمهجر فى أقطاره المختلفة ، وتكون أولوية الدراسة لأهل الأقطار المحتاجة إلى هذا النوع من الدعم .

(هـ) وضع أطلس للأقليات الإسلامية يرصد القائم من أنشطتها ويخطط لمستقبلها ويكون وسيلة للتعاون بين الخبرات والكفاءات الإسلامية من ناحية وبين مناطق الحاجة إليها من ناحية أخرى .

يوصى المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى والحكومات الإسلامية والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة الإسلامية والإغاثة وما يضمه فى عضويته من هيئات ومؤسسات فى شأن الأقليات الإسلامية بما يلى :ـ

(أ) بذل نفوذها نحو رعاية هذه الأقليات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومساعدتها على حل مشكلاتها ، والمحافظة على الهوية الإسلامية ، وحريتها فى ممارسة شعائر الإسلام وإقامة المساجد والمدارس والمستشفيات ، واستمداد شئون حياتهم من أصول الإسلام ، والتعبير عن عقيدتهم .

(ب) مساندة الأقليات التى تتعرض للضغوط فى أمر تسمية أولادهم ، وطرق تعليمهم ، وضمان حقهم فى العمل والإنتاج ، وتيسير تنقلهم بين الأقطار الإسلامية وغيرها والحاق أولادهم بالتعليم لديها .

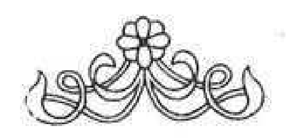
(جـ) التعاون على إصدار سلسلة من المطبوعات وشرائط الفيديو ، والمسجلات الصوتية ، لتكوين مكتبة قرآنية وإسلامية مقروءة ومسموعة ومرئية ، ميسرة متدرجة مع مستويات العمر والثقافة .

(د) يوصى المؤتمر هيئات الإذاعة والتليفزيون فى البلاد الإسلامية باستثمار هذه الوسائل فى برامج معبرة عن الإسلام ، تذاع على الموجات المختلفة والأقمار الصناعية ، تعرِّف بالإسلام وحضارة المسلمين وثقافتهم فى الماضى والحاضر بحيث ينتفع به المسلمون فى المهجر وفى غيره ، وتكون دعوة حية للإسلام وشرحاً لمقاصده وأحكامه وأخلاقه وعدله ومساواته بين الناس فى الحقوق والواجبات ..

الفهرس

optimization of use of that quality to bring good, and avoid harm. They have a clear sagacious foresight in matters that require perception and wise understanding. Their brilliant clear thought, their deep wisdom, enables them to realize matters with greater dimensions; added to that the gift of extrasensory perception. Such individuals become nearer and closer to the Infinite Powers of Allah, the Infinite Knowledge, the Dominion of the Infinite Creation. Human spiritual power comes from the cultivation of the mystical. The intellectual is the outer appearance of truth, the mystical is the inner; the inner side of human life. The believer must realize and be conizant of the essential fact that Allah's Presence is within us, around us, everywhere we turn, there is full portrayal of the Omnipresence of Allah. To the degree that we open our whole selves to this basic fundamental truth, and develop the feeling and awareness of it, we shall be granted the power of the quality. Nothing is impossible to the person who will assiduously practice the Presence of the Transcendent Creator.

Translated from the Arab Original by Dr. Anas M. El-Naggar.



visualization perceives without clairvoyance or certainty of the telekinetic thought transfer; it may be right or wrong, and the only proof would be the oncoming of the future. As to the Divinely Unrevealed, no power can penetrate its boundaries, whatever its qualifications of scientific, mental, psyche -somatic or spiritual attributes. This "Divinely Unrevealed" is specifically within the infinite knowledge of Allah, a sector of the Divine Dominion. "With Him are the keys of the "Divinely Unrevealed", the treasures that none knoweth but He". (Surat Al-An'am VI, 59).

This type of profundity is speculative, theoretically hypothetical and presumptive, based on mere postulations and conjectural abstractions. For such reason, it cannot be used as foundation for Judicial decisions, or as criteria of evidence.

The fourth class of "Profundity" is that of spiritual origin, a Divine gift, granted by Allah to any human of the obedient believers. Those who are close to Allah, by intention, action, deeds and piety. This type of supernatural quality is the most superior, and encompasses all other types. It originates through Divine power and by Divine support. It is granted to selected chosen individuals who remain silently humble bearing within themselves the supernatural abilities of transcendent perception. That individual preserves that ability as a gift granted to him by Allah, originating from the infinite power of Allah. It is a beam of light within the individual that becomes dark if exposed. It is considered by the individual bestowed, as a treasure given by Allah, which if exposed becomes lost. For such reason, the individual granted that type of "Profundity" remains humbly silent meditating in contemplation in the realms of infinite creation offering silent prayer in adoration, devotion, veneration and reverence to the Transcendent Sovereign.

That type of supernatural gift has power over the past, and the present; however, it has no power over he "Divinely Unrevealed". The persons with such quality refrain in abstinence from the vision of the future except in what prevents harm or brings benefit to mankind. Such quality cannot be used as criteria for Judicial decisions.

The Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) although generalized for all types of "Profundity", it particularly refers to the "Spiritual Profundity". That gift from Allah granted to the selected few, who ascend in spiritual excellence to reach a status worthy of that Divine Gift. In the Hadith, the instruction of caution and discretion from the Believer's profundity; in reality indicates an instruction of respect, and

The second is the "Mental Profundity", which constitutes utilization of the inborn and developed mental capabilities to associate certain observations with unobserved corollaries. This can become an outstanding talent in certain circumstances and situations. Such type of aptitude besides an individual inborn capability, requires much practical experience.

These two classes of "Profundity" may be utilized in Judicial and Tribunal matters, and may be considered as evidences for rational judgement. The first is based on scientific fundamentals which constitute the most trustworthy tenable evidence for rightful judgement. The second relies on the capability of the mind to associate, differentiate, characterize and finally stipulate with selective precision.

The third class of "Profundity" is that derived from a psycho-somatic origin, which is an inborn quality of an individual. Such individuals are born with this supernatural latent capability of distinctive unique skill. This esoteric phenomenal manifestation attributes to the individual the power of the mind over matter with telekinetic ability of thought transfer. Such individuals undergo excessive rigorously turbulent efforts which may be voluntary or involuntary, in order to behave towards in response to the performance of the function required. Such type of "esoterica" has no fundamentals, no limitations, and cannot be impersonated. The presence of fundamentals would give it a scientific attribute; also if it had limitations, it would be through a mental faculty; and if it were impersonated, it would be diabolic spurious fakery. Again, this esoteric quality is not restricted to any age group or sex or race; and not subject to any religious beliefs or faith, or the qualification of any scientific knowledge. It is an inborn quality of the individual, similar in nature to the acuteness of any of the scenses, intelligence, beauty or talent.

Environmental factors affect such inborn quality by either retardation or accentuation. The elements of the environment that may affect inborn qualities in an individual are the influence of religion, the scientific knowledge, the socio-economic impact. These factors govern and determine that inborn quality of psycho-somatic origin. This quality has the ability to visualise the past, and the hidden unseen present; the degree of perception depends on the potency of the quality. With the future, this

THE ROOTS OF WISDOM

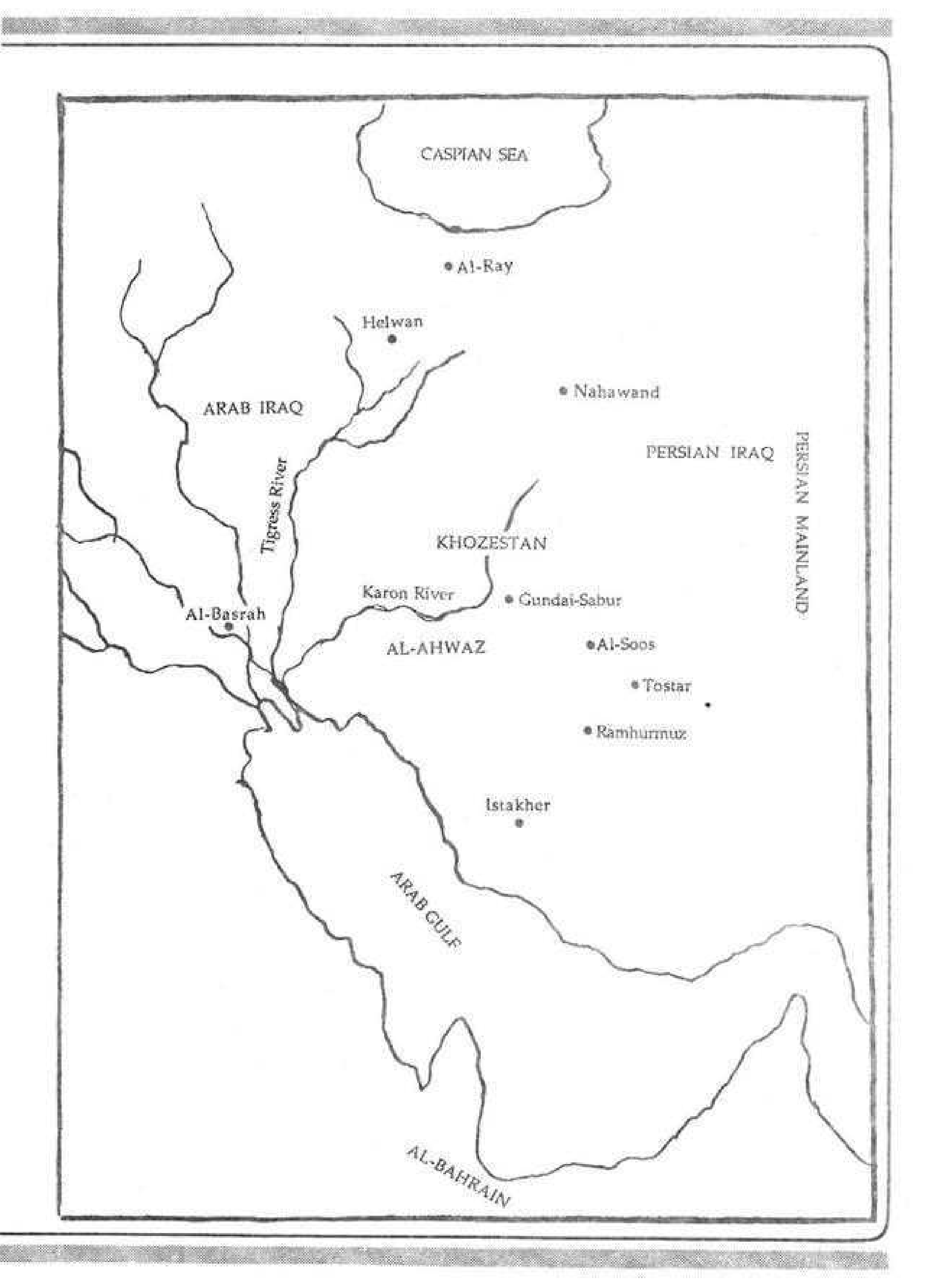
HADITH OF THE PROPHET

"BEWARE OF THE BELIEVER'S PROFUNDITY"

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

The arabic meaning for "beware" in this Hadith signifies caution, prudence, discretion, carefulness and circumspection. The meaning for "profundity" signifies mental capacity, foresight, perception, sagacity, craftiness, and brilliant wisdom. These faculties result after giving thought and rational consideration; aiming for wise understanding of the reality and essence. The quality of sagacious profundity is attributed to the talented skill to recognize the intricate details of matters from outward signs and indications. This quality may be classified into four categories.

The first is the "Scientific Profundity", which constitutes that perceptive skill of learned scholars and great thinkers to dwell deep into research with the aim of reaching paradigm framework systems of rational thought. The final purpose should promote the wellfare, advancement, and prosperity of the human race. In all disciplines of sciences, the men that are involved in the practice of such sciences should harness and catalize their knowledge into such channels of profundity and perceptive talents to reach levels of proficient skill. This is subject to two major requirements, namely, previous education, and personal intelligence. The education is the constant transmission of knowledge through the generations, and during the process of transmission, the knowledge gains volume, depth, quality, proliferation, differentiation and growth. These are the channels of human enlightenment, intellectual acquisition, mental cultivation, and mastery of skills. The individual intelligence and mental capability receives that knowledge, absorbs its basic concepts, directs its implementation, modifies its theories, researches its depths, expands its dimensions and promotes its precepts. It also dominates the preservation of that knowledge to remain in the service of those who pursue attainment of learning. These are the responsibilities of individuals, to learn, to add, to teach, and to initiate deeper and wider fields of mental vision.


CASPIAN SEA
Al-Ray
Helwan
Nahawand
ARAB IRAQ
PERSIAN IRAQ
PERSIAN MAINLAND
Tigress River
KHOZESTAN
Karon River
Gundai-Sabur
Al-Basrah
AL-AHWAZ
Al-Soos
Tostar
Ramhurmuz
Istakher
ARAB GULF
AL-BAHRAIN



The spoils of battles were finally collected from these encounters, distributed among the warriors according to proper shares, one fifth was sent to the treasury at Al-Madinah with Al-Ahnaf Ibn Qays and Anas Ibn Malek, who took Al-Hormuzan with them to meet with the man at the head of the Muslim state. With the news of Muslim triumphs in Khozestan, and the occupation of Al-Ahwaz, Tostar, Al-Soos, and Gundai-Sabur; Omar Ibn Al-Khattab wept in reverence and veneration to Allah for bestowing up Muslims the gift of triumph. The region of Khozestan was one of the richest parts of Persia extending to include all the territory east of the Tigress river that lies between the Arab Iraq, and the Persian Iraq. These great Muslim victories brought abundant wealth to the Muslims, the elaborate opulence of Khozestan became under the authority of Muslims. Omar Ibn Al-Khattab remained refractory, unwilling, disinclined and very reluctant to the policy that Muslim warriors expand their penetration into Persia. This scrupulous attitude in the understanding of Omar Ibn Al-Khattab was later changed by compelling events. The changing patterns of human societies as governed by Divine will and Providence are more supreme than man's thoughts.

Omar Ibn Al-Khattab remained in deep contemplative thought, praying that Allah may guide him to the correct resolution. Al-Ahnaf Ibn Qays and Anas Ibn Malik were on their way from Khozestan to Al-Madinah carrying with them one-fifth of the spoils of battle, and accompanying the great persian commander Al-Hormuzan to meet with Omar Ibn Al-Khattab. The conversation between the two men in the presence of Al-Ahnaf and Anas was an encounter between two very different cultures and essentially contradictory beliefs. Soon after, Al-Hormuzan accepted Islam and was granted freedom, and given a stipend to live on.

When matters appeared to settle down, news reached Omar Ibn Al-Kattab that Yazdgrid the Emperor of Persia was mobilizing troops and instigating the inhabitants of Nahawand north of Gundai-Sabour, to revolt against Muslim presence on Persian soil. The defeat of the Persian forces at Tostar and the rest of Khozestan motivated the Persian military strength to assemble in one final confrontation against the Muslims. Once more, Omar Ibn Al-Khattab was compelled to instruct Muslim warriors to prepare for the Persian offensive.

Persian massive mobilization became well known to Muslim commanders who wrote to Omar Ibn Al-Khattab of the situation. The response of Omar to face that Persian uprising was his instructions to the Muslim commanders in those territories to mobilize their forces, plan their strategy, and to move against the Persians. The Muslim commanders leading three separate armies were Al-Numan Ibn Miqrin, Suhayl Ibn Addii, and Abu Moussa Al-Ashary. Omar Ibn Al-Khattab wrote to these men what routes to take, and what general strategy they should follow. Irrespective of such major actions, Omar Ibn Al-Khattab remained inclined to the policy of not penetrating further into Persian mainland. However, the situation necessitated a confrontation with the Persian forces assembled under the command of Al-Hormuzan.

The first encounter between Muslims and Persians took place at Ramhurmuz, where the Persians could not hold their ground in face of the Muslims. This made Al-Hormuzan decide to retreat to Tostar where he can shelter his forces behind its great walls. Al-Numan Ibn Miqrin moved to capture Ramhurmuz and then advanced to Tostar. In the meantime, Suhyl Ibn Addii advanced from Al-Basrah across the plains of Al-Ahwaz, proceeded to Tostar without facing resistance. The third Muslim army under the command of Abu Moussa Al-Ashary also moved from Al-Basrah across Al-Ahwaz to reach Tostar. The Muslims established a strong siege of the great city, the capital of Khozestan where the Persian forces were sheltered behind its walls. The Persians frequently came out in great numbers engage the Muslims, then returned behind the walls of the city. These repeated skirmishes results in many casualities on both sides. However, the Persians succeeded in defending the city of Tostar. After a long siege, the Muslims decided to storm the city. The Persians came out of the city to confront the attack of the Muslim warriors, however, they were compelled to retreat into the city. A Muslim contingent finally found its way into the city during the night through the water inlet across the wall. The gates were opened to the Muslim who stormed into the city. The Persian forces were highly disorganized by the surprise, their commander Al-Hormuzan took shelter at the height of one of the towers. The city was finally occupied by Muslim warriors. Al-Hormuzan negotiated his safety, and insisted to place his fate into the hands of Omar Ibn Al-Khattab personally.

After the occupation of Tostar, the Muslim warriors moved towards the city of Al-Soos west of Tostar and seized it without resistance. The Muslims moved north east to the city of Gundai - Sabur and placed it under siege. The city finally succumbed, opened its gates to the Muslims in demand of truce.

conflict or contention with their enemy; made the Persians fall under the wrong impression of thought, that the Muslims were suffering from instability and weakness. These thoughts were augmented by the Muslim defeat when Alalá Ibn Al-Hadrami the Muslim governor at Al-Bahrain crossed the gulf to raid the Persian mainland and try to reach Istakher. His defeat instigated the Persians to revolt against Muslim presence, and become insubordinately defiant and undutiful to the terms of armistice. The Persian insurgence proliferated to develop into an organized national urgency. Emperor Yazdgrid and Al-Hormuzan were at the summit of that national demanding urge. That was the beginning of the renewed hostilities between the Persians and the Muslims in the district of Al-Ahwaz which lies on the south east of the Iraq mainland. Small rivers run into Al-Ahwaz from the Tigress river.

The exact incidents that took place, the names of the various army commanders, the places, the dates of victory or defeat, the plans of strategy, and the details of events are all subject to much controversy among the different chroniclers. Notwithstanding, the differences in details, all narratives agree that the ultimate end of these hostilities was that the Muslim warriors occupied the whole eastern region of Khozestan including Al-Ahwaz. The armistice beteen Muslims and Persians dictated that the Persians were to remain within the limits of the mainland; and that the Muslims were the have the authority over what they had occupied of Khozestan. The Muslim penetration into Persian mainland was still against the desire of Omar Ibn Al-Khattab, however, events were greater that what Omar desired. For this reason, Omar instructed his army commanders on several occasions of victory over the Persians to accept the demand for truce. Omar also ordered the return of persian prisoners of war; and instructed Muslims to construct bridges, irrigation systems and roads in the territories occupied.

The final occupation of Khozestan came about after repeated Persian defeats, repeated truces, repeated insurgences, and further Persian defeats on the hands of Muslim warriors. These Muslim victories were not easily achieved, the Persians showed fierce resistance and bitter fighting, inflicted heavy losses among Muslim warriors inspite of their victory. Emperor Yazdgrid motivated the national spirits of Persians against the Muslims and stimulated their pride in provocation to resist the Muslims on the battlefield. Great numbers of Persian forces gathered under the command of Al-Hormuzan, and pledged in oath to death or victory. News of such

OMAR IBN AL-KHATTAB

RENEWED HOSTILITIES

By; Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The policy of Omar Ibn Al-Khattab was to end the Iraq crusade after the domination of Islam over the whole region of Iraq. That policy aimed at establishing a theopolitical unity of all inhabitants in the territories extending from south of the Arab peninsula to the north borders of Syria, and from the Arab gulf east to the Red Sea west. Omar wished there was an inpenetrable barrier between the Muslims in Iraq, and Persians on the Persian mainland. That trend of thought in Muslim policy was the original understanding since the time of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). That policy was to establish security for the juvenile Muslim Ummah in the Arab peninsula; and to maintain theopolitical unity with the Arab tribes resident north of the peninsula in both Iraq, Syria and the extensive desert territories between them. There was no intention to crusade further beyond these regions or to penetrate deeper into lands of the Eastern Byzantine Empire, nor into the lands of the Persian Empire. Notwithstanding that fundamental policy, the turn of events as predestined by Divine Will, resulted in issues that were beyond all expectations. These events compelled Omar Ibn Al-Khattab to modify his policy contrary to his personal preference.

After the battle of Al-Qadissyah, the persian forces dispersed, Emperor Yazdgrid escaped to Helwan and then to Al-Ray, and Al-Hormuzan the persian commander fled to Al-Ahwaz. Following this defeat of persian military strength, the Persians reconciled themselves to remain in appeasement as their forces disbanded. The strict orders of Omar Ibn Al-Khattab to the Muslim warriors were not to follow the Persians into their mainland. The Muslim governor at Al-Basrah was Utbah Ibn Ghazwan followed after his death by Al-Mughirah Ibn Shubah, followed after his discharge by Abu Moussa Al-Ashari. These changes in the governors of Al-Basrah, and the fact that Muslims did not try to scuffle in



AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART V

Jummdah Al-Ulla 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٩٠٥٤٧٣ / ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٥٠٦
جمادى الآخرة ١٤١١ هـ
ديسمبر ٩٠ / يناير ١٩٩١
الجزء السادس
السنة الثالثة والستون



الواقع والمبادىء

حين ينزع الإنسان السَّوِىّ ـ بما فيه من شرف وطموح إلى « التصحيح » فإنما يحمله عليه مايراه من « نقص » فيما يحيط به من حياة ، اى أن « واقع » الحياة هو مصدر البيان الذى يضع تحت اعيننا العيوب التى تحتاج إلى التصحيح ، وهذا « الواقع » هو هو الذى يطرح « المبادىء » الكفيلة بالتصحيح ؛ فلولا الواقع ما نشد الإنسان المبادىء ، ولا ادت بدورها إلى تصحيح ، فالمبادىء إذاً هى الوسط الفعال بين « الواقع » و« الكمال » .

وليست المشكلة فى هذه الثلاث : الواقع ، والمبادىء ، والكمال، إنما هى فى « السَّوِىّ » الذى يدير المبادىء باقصى ما يمكن من مهارة ليعود بارفع قدر من « الإصلاح » دون أن يقود المجتمع إلى كارثة تأخذ فى طريقها كل فَلَاح .

الواقـــع والمبــادىء

إننا لم نسمع أن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيد الأَسْوِيَاء ، سَبَّ أبا جهل .. أو أمية بن خلف أو غيرهما من صناديد الشرك وائمة الضلال ، ولازلنا نقرأ له عليه الصلاة والسلام ـ قوله : اللهم اهْدِ قومى فإنهم لايعلمون(١) .

إن المبادىء السامية ذاتُ لَبِنَات نظيفة لا تعرف « الْمَقْت » ولا البغضاء ، وما أكثر المعتنقين « المبادىءَ » السامية ، وقد فقدت أقدامُهم الطريق إليها،لأنهم لا يتمتعون بخاصية « الإصلاح » وتفقد شخصياتهم مرونة العمل والبناء دون صدع أو صدام أو تجريح .. أو لمز وغمز . أو تهوين من شأن الآخرين .

وكانت ضرورة الإصلاح تقتضى أن يطلبوا لأنفسهم ما يفتقدون حتى إذا تمتعوا به وَلَجُوا الميدان مزودين بالمبادىء السامية ووسائلها الشريفة لكن ما أصعب بحث « الذات» و« اتهام الذات » .

وكم هو عسير على الإنسان أن يتهم ذاته ، ويطلب لها الصلاح وما أيسر « الطرح » لدى هذا الإنسان حين يستبدل خصومته للمجتمع بقدرته على ممارسة مبادىء الإصلاح ، وإذا به يُسقِط على المجتمع سيلا متعجرفا من الاتهامات .. وينسى قوله ـ ﷺ :

إذا قـال الرجـل : هلك النـاس(٢) فهـو أهلكهـم(٣)

إن الطرح فى ذاته شهادة بالتخلى عن المبادىء .. بل انفصام عن المجتمع ، و« القوقعة » دونه .. ثم هو فى النهاية استصحاب لمبادىء أخرى غير إنسانية .. مبادىء الكراهية والمقت والبغضاء .. إن المبادىء الشريفة هى فى ذاتها قمة ، وما أكثر الذين يصعدون القمة حتى إذا صاروا فوقها لا يدرون ماذا يفعلون ؟!

د. على أحمد الخطيب

---

(١) الحديث بصحيح البخاري بكتاب الأنبياء ، وفى صحيح ابن حبّان من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » أي اغفر لهم ذنبهم فى شجح وجهى .

ابن حجر ٢٧٨/٦ الأميرية ١٣٠٠ هـ

(٢) هلك الناس : أي فسدوا .

(٣) صحيح مسلم ـ كتاب البر .

مع الإمام الأكبر

خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة

فتوى في بعض أخطار تتعلق
بالأقليات الإسلامية في غير ديار المسلمين

بيان بشأن تدوين الآيات القرآنية
والأحاديث الشريفة

بيان حول العدوان على المساجد في الهند

استجابة الحكومة الهندية للنداء

لقاء فضيلة الإمام وسفير الهند بالقاهرة



من العربية إلى الترجمة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى الدورة الثالثة عشرة للائمة والوعاظ التى تنظمها الامانة العامة للدعوة الإسلامية للأزهر الشريف ، وتضم ائمة من بلدان العالم الإسلامى طرحت للبحث ترجمة خطبة الجمعة ، فقام الدكتور المحاضر بحصر لأوضاع الخطبة بمختلف بلدانهم ، فإذا هى بين :

(ا) خطبة لا تترجم إطلاقا ولا يعى المصلون من العربية شيئا .

(ب) أو درس يلقى قبل وقت الخطبة او بعد صلاة الجمعة فى موضوع الخطبة او خارج موضوعها .

(حـ) وخطبة تترجم باوضاع شتى .

(د) ومصلون لا يعرفون العربية يصرون على إلقائها بالعربية ورفع الأمر إلى فضيلة الإمام الأكبر فعالج الخطبة وترجمتها فى البحث التالى حيث نقرا :

- **أركان الخطبة ، وشروطها .**
- **احكام المذاهب فى الترجمة .**
- **دراسة الإمام للموضوع واختياره لما يتفق ونفع المسلمين بالخطبة**

وهكذا يؤدى الأزهر الشريف واجبه دوما ليجد المسلمون حاجتهم فيما يريدون .

كتب فضيلة الإمام لهذه النخبة من العالم الإسلامى يقول :

الخطبة فى اللغة والاصطلاح :

إن الخُطْبَةَ ـ بضم الخاء : الكلام المنثور يُخاطِب به متحدث فصيح اللسان جمعا من الناس لطرح قضية أو إقناعهم بأدلة أو موعظة .

وقد اشتُهر أن الخطيب المتحدث عن القوم ، ومن يقوم بالخطابة فى المساجد وغيرها من المحافل .

والخُطْبة فى الاصطلاح : هى الكلام المؤلف الذى يتضمن بلاغا على صفة مخصوصة او وعظا .

والموعظة هى : التذكير والنصح والأمر بالطاعة والنهى عن المناكير ، ونقل عن (الخليل) أنها التذكير بالخير فيما يَرِقُّ له القلب .

وأن الوصيَّة هى: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقرونا بوعظ .

والنصيحة هى: الدعوة إلى ما فيه الصلاح والنهى عما يفسد .

ومن آدابها أن تكون سرا فى حين أن الخطبة يشترط أن يسمعها جماعة من الناس ، وإن (الكلمة) تستعمل بمعنى الكلام المؤلف المطول ، خطبة كانت أم قصيدة أم مقالة أم رسالة ، وإلى هذا أشار قول (ابن مالك) فى ألفيته : « وكلمة بها كلام قد يُؤَمّ » .

وفى الإسلام خطب مشروعة وإن اختلف حكمها بحسب مواقعها وهى : خطبة الجمعة والعيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وخطب الحج ، وكلها بعد الصلاة المشروعة إلا خطبة الجمعة .

ومن الخطب المشروعة الخُطْبَةُ فى خِطْبة النكاح .

والمقصود بهذه الكلمة خطبة الجمعة من عدة جوانب :

حكمها :

أنها شرط لصحة الجمعة وقد اتفق فقهاء المذاهب المعتبرة على أن الخُطْبتين شرط فى انعقاد الجمعة غير أن الحنفية قالوا : إن الشرط خطبة واحدة وتسن خطبتان .

ويستدل لغير الحنفية بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أخرجه البخارى : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) .

وأضاف الجمهور أن الخطبتين أقيمتا مقام الركعتين ، وكل خطبة مكان ركعة فالإخلال بإحداهما كالإخلال بإحدى الركعتين(١) .

أركان الخطبة :

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذه الأركان :

فقال أبو حنيفة : إن ركنها تحميدة أو تهليلة أو تسبيحة حيث إنَّهُ المأمورُ به فى قوله تعالى فى سورة الجمعة : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وهذا النص يفيد مطلق الذكر الشامل للقليل والكثير ، وما أثر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يكون بيانا لأن هذا النص غيرُ مجمل .

وقال الصاحبان : لابد من ذكر طويل يسمى خُطْبَة .

وعند المالكية : أن ركن الخطبة أقل ما يسمى خطبة عند العرب ، ولو سجعتين .

نحو : اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما عنه نهى وزجر ، فإن سَبَّحَ أو هَلَّلَ أو كَبَّر لم يجزه .

وَنَصَّ ابنُ العربى على أن أقلها حمد الله والصلاة والسلام على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحذير وتبشير ، وقراءة شىء من القرآن .

وذهب الشافعية إلى أن أركانها : حمد الله ويتعين بلفظ (الحمد لله) والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتعين بصيغة (صلاة ، وذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ باسمه أو بصفته ، فلا يكفى « صلى الله عليه وسلم ») والوصية بالتقوى ، ولا يتحتم لفظها ، والدعاء للمؤمنين فى الخطبة الثانية ، وقراءة

---

(١) ابن عابدين جـ ١ ص ٥٤٤ والمواق ١٥٨/١ ونهاية المحتاج جـ ٢ / ٢٩٩ والمغنى جـ ٢ ـ ٣٠٤١ .

خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة

آية مفهمة ولو فى إحدى الخطبتين فلا يكفى نحو ـ ثم نظر ـ لعدم إفهام هذه الجملة ، ويسن جعل الآية فى الخطبة الأولى .

واستدل الشافعية على هذا بفعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وأركانها عند الحنابلة : حمد الله بلفظ (الحمد) والصلاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصفة (الصلاة) والموعظة وهى المقصود بالخطبة ؛ فلا يجوز الإخلال بها ، وقراءة آية كاملة وزاد بعض الحنابلة الموالاة بين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة ، والجهر بحيث يسمع العدد المعتمد للجمعة حيث لا مانع وجعلهما الآخرون من الشروط(٢) .

شروط صحتها :

وقد اتفق الفقهاء على أن من شروط صحة الخطبة :

أن تقع فى وقت الجمعة ، وهو وقت الظهر عند غير الحنابلة ، وأن تكون قبل الصلاة ، وحضور جماعة تنعقد بهم الجمعة على اختلاف فى عددها ، ورفع الصوت بها بحيث يسمع العدد المطلوب المعتبر إن لم يوجد مانع ، ووجوب الإنصات على المصلين وإن خالف القول الجديد للشافعية فى الوجوب باعتبار أن الأمر والنهى الواردين فى الحديث الذى أخرجه البخارى : (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب : « أنصت » . فقد لغوت) محمول على الندب للأمر والكراهة للنهى ، ومن شروطها : الموالاة بين أركان الخطبة وبين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة ، واشترط كذلك نية خطبة الجمعة فلو خطب بغير هذه النية لم يعتد بها عند الحنفية والحنابلة ، وقال المالكية والشافعية : إن النية ليست شرطا(٣) .

الخطبة والترجمة :

ومن شروط الخطبة كونها باللغة العربية :

والمراد : أن تكون أركانها باللغة العربية تعبدا واتباعا ؛ ولأنها ذِكْرٌ مفروض فاشترط فيه ذلك كتكبيرة الإحرام ولو كان المصلون جميعا من العجم الذين لا يعرفون اللغة العربية .

هذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء فى الجملة .

مع الحنفية :

وذهب أبو حنيفة إلى أن الخطبة تجوز بغير اللغة العربية ولو كان الخطيب قادرا عليها ، سواء كان القوم عربا أم من غيرهم ، واشترط الصاحبان (أبو يوسف ومحمد) كون الخطبة باللغة العربية إلا للعاجز عنها .

مع المالكية :

واشترط المالكية أن يكون الخطيب فى الجمعة عارفا معنى ما يقول ؛ فلا يكفى أن يكون ملقنا من غير فهم .

وأن تكون باللغة العربية ولا تجوز بغيرها وإن كان المصلون عجما .

---

(٢) فتح القدير جـ ١ ص : ٤١٧ وابن عابدين جـ ١ / ٧٤٣ القوانين الفقهية لابن جزى ص ٨٠ والخطاب جـ ٢ ص ١٦٥ ونهاية المحتاج جـ ٢ ص ٣٠٠ والكافى جـ ١ ص ٢٢٠ ونيل المآرب جـ ١ ص ٥٧ .

(٣) المراجع السابقة وغيرها من كتب المذاهب .

مع الحنابلة :

وفى الفقه الحنبلى : لا تصح خطبة الجمعة بغير اللغة العربية إن كان الخطيب قادرا عليها ؛ فإن عجز عن الخطبة بها خطب بغيرها من اللغات مما يُحْسِنُهُ سواء كان القوم عربا أو غيرهم لكن الآية التى هى ركن من أركان الخطبتين لا يجوز نطقها بغير اللغة العربية ، فإن عجز يأتى بدلا عنها بأى ذكر شاء باللغة العربية ؛ فإن عجز سكت بقدر قراءة آية .

مع الشافعية :

وفى الفقه الشافعى : الشرط أن تكون أركان الخطبة باللغة العربية فلا يكفى غيرها من اللغات متى أمكن تعلمها ؛ فإن لم يمكن خَطَبَ بغيرها . هذا إذا كان القوم عربا .

أما إن كانوا عجما فإنه لا يشترط أداء أركانها باللغة العربية مطلقا ولو تمكن الخطيب من تعلمها ماعدا الآية ، فلا بد أن يتلوها باللغة العربية ، فإذا عجز عن هذا يأتى بدلها بدعاء أو ذكر عربى ، فإذا عجز أيضا وقف بقدر قراءة الآية ، ولا يترجم الدعاء أو الذكر من العربية .

وأما غير أركان الخطبة فلا يشترط لها اللغة العربية بل ذلك سُنَّة .

ولما كانت أقوال فقهاء المذاهب المعتبرة على هذا النحو السابق إجماله فى شأن خطبة الجمعة ، واشتراط كونها باللغة العربية لدى جمهور الفقهاء ـ لا سيما فيما كان من أركانها ـ أما غير الأركان فقد يسرته بعض تلك المذاهب وكانت هذه الخطبة إنما شرعت للنصح والتذكير بالعواقب أو كما قال الخليل : هى للتذكير بالخير فيما يرق له القلب .

وكانت الخطبة باللغة العربية فى حضور قوم لا يعرفون هذه اللغة ولا يفهمونها مجرد صوت يتردد فى المسجد دون أن يتحقق المقصود المستهدف من خطبة الجمعة ، وهو الموعظة والنصيحة والوصايا وربما تعليم بعض الأحكام الشرعية .

وكان خطباء الجمعة فى البلاد الإسلامية التى لا تنطق اللغة العربية أو تنطق آيات من القرآن دون فهم لما يتلون من الذكر الحكيم يلتزمون ما استوجبه جمهور الفقهاء من لزوم الخطبة باللغة العربية كتكبيرة الإحرام واختلفت طرائق الخطباء فى نصح المسلمين من هذا الصنف ووعظهم .

فبعض المساجد يكون فيها درس فى موضوع قبل دخول الخطيب المسجد ورقيه المنبر ، ثم إذا ما حان وقت الخطبة ألقاها الخطيب باللغة العربية التى يجرى بها لسانه دون ترجمة ملتزمة بمذهب مالك الذى يتبعه ـ مثلا .

وبعض المساجد تترجم فيها خطبة الجمعة فى درس الجمعة المقبلة .

وبعض المساجد تترجم الخطبة بلغة القوم بعد الصلاة حيث لا يرضون ترجمة لها أثناء إلقائها .

أحسن ما يكون عليه العمل ـ إن شاء الله :

وإذا كان الخطباء قد اختلفت طرائقهم على هذا الوجه وغيره بين أقوامهم الذين لا يعرفون اللغة العربية ولا يفهمونها استمساكا بنصوص الفقه المذهبى فى كل موقع من بلاد المسلمين .

وكان هذا الصنيع مضيعا للفوائد المستهدفة من خطبة الجمعة وموقعها فى هذا اليوم الذى يجتمع فيه المسلمون أسبوعيا ، وكانت المذاهب المعتبرة كلها من رسول الله مُلْتَمِسٌ كان الأخذ بقول الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الخطبة بغير اللغة العربية باعتبار ما يقال فيها ذكر أو تذكير أو وعظ أو وصايا ، وفقط يلتزم الخطيب بتلاوة آيات القرآن بلفظها العربى ، وله أن يفسرها بعد تلاوتها بلغة القوم طلبا للفائدة المرتجاة ..

خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة

وإذا كانت مراعاة فقه المذهب الذى ارتاده الناس فى جهة ما واعتادوا أداء شعائر الإسلام وفقا لأحكامه أمرا قد يكون لازما لاستدامة وحدتهم واطمئنانهم فى عبادتهم ..

فإن فقه المذاهب جميعا لم يمنع الجمع بين الخطبة باللغة العربية بأركانها وشروطها وسننها وبين إعادة إلقائها بلغة القوم بالترتيب ، فتكون باللغة العربية أولا فى الخطبة الأولى ثم يلقيها بلغة القوم ، ثم يجلس ثم يبدأ الخطبة الثانية باللغة العربية ثم يلقيها مرة أخرى بلغة القوم ..

وبهذا الصنيع ـ إذا لم يُرُقْ الأخذ بقول أبى حنيفة الذى انفرد به بإطلاق ، حيث أجاز الخطبة بغير اللغة العربية من لغات البشر ـ يمكن أداء الخطبة على الوجه الذى ارتضاه جمهور الفقهاء أخذا بعموم الحديث الشريف : (**صلوا كما رأيتمونى اصلى**) مع نفع القوم المصلين بإعادة الخطبة مترجمة من ذات الخطيب أو من معاون له على الوجه السالف ، ومن ثم يهون الخَطْبُ ، وينتفع الناس بخطبة الجمعة دون مساس أو انتقاص من الحكم الفقهى لجمهرة الفقهاء أو خروج عليه ..

أما أن تلقى الخطبتان بغير اللغة العربية ، أو تترجمان إلى اللغة الوطنية فوق المنبر قبل إلقاء الخطبة الأولى والثانية باللغة العربية فذلك كالدرس قبل الصلاة ولا تكون خطبة الجمعة إلا تلك التى ألقيت باللغة العربية أخيرا ..

والذى اميل إلى الفتوى به :

هو أن يقوم الإمام الخطيب بإلقاء خطبتى الجمعة ويترجم كل خطبة إلى لغة قومه عقب إلقائها باللغة العربية ، ويعتبر ما ألقى بالعربية وما ترجم منها إلى غيرها خطبة واحدة .

اى الأولى والثانية كل منهما مكون من جزءين .

أولهما : باللغة العربية ارتباطا بالحكم الفقهى .

والآخر : بلغة القوم طلبا لنفع الناس وإرشادهم وتذكيرهم بلغتهم أو وصولا إلى إعمال قاعدة واجبة فى الإسلام هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،وهذه القاعدة لا تنفذ بغير لغة القوم التى يفهمونها ..

هذا إذا وجد الخطيب أن فى الأخذ بقول الإمام أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ فتنة بسبب الالتزام المذهبى السائد لدى بعض الشعوب الإسلامية من العرب وغير العرب ..

هذا وفى سورة الإسراء قول الله سبحانه :

﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾(٤) .

وإذا كانت كل المخلوقات تسبح بحمد الله بقدراتها المختلفة التى خلقها الله فأولى بالمسلمين من الناس أن يقبلوا على التسبيح والتحميد باللغة التى جبلوا عليها وان كان على غير العرب من المسلمين أن يتعلموا لغة القرآن ليتدبروا آياته ويتعبدوا بتلاوته ، وما خطبة الجمعة وغيرها من الخطب المشروعة فى الجملة إلا تكبير وتحميد وتسبيح وتذكير وموعظة وتلاوة لبعض آياته (يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) .(٥) والله سبحانه وتعالى اعلم .

(جاد الحق على جاد الحق)

شيخ الأزهر

(٤) سورة الإسراء آية ٤٤ . (٥) سورة النساء آية ٢٨

فتوى فى بعض أحكام تتعلق

بالأقليات الإسلامية

فى غير ديار المسلمين

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الازهر من مدير معهد علوم الشريعة الإسلامية بجنوب افريقيا خطاب مؤرخ : المحرم ١٤١١ هـ اغسطس ١٩٩٠ م يطلب فيه الإجابة عن الأسئلة التالية : ـ

١ ـ هل يصح للمسلم العيش تحت نظام كافر . وإن صح فعلى اى شروط ؟

٢ ـ هل يصح الاشتراك والانضمام إلى فرقة سياسية كافرة إذا كان المسلمون اقلية وإن صح ، فعلى اى شروط ؟

٣ ـ هل يصح للمسلم ان يبقى على إسلامه ويلتمس الاشتراكية او الشيوعية او الراسمالية ؟

٤ ـ إذا رفضت دولة كافرة الاعتراف باحوال الشخصية الإسلامية فهل يصح للمسلم البقاء فيها ، علما بان الدولة لاتمنع وقوع ووجود اثر الأحوال الشخصية الإسلامية ولكن لاتحكم عليه ولاعلى اثره قانونيا ؟

٥ ـ هل يصح للكافر (اهل الكتاب وغيرهم) ان يكون قاضيا او محاميا فى شئون الاحوال الشخصية الإسلامية او يقوم بإدارته فى دولة كافرة يوجد سيها مسلمون وعلماء مسلمون .

واجلـواب

أولاً : إذا أمن المسلم على دينه ومارس شعائر الإسلام بحرية فى بلد ليس له دين أصلا أو له دين غير دين الإسلام تصح إقامته ، أما إن خاف على دينه وخلقه أو على ماله وعرضه وجب عليه أن يهاجر إلى بلد يجد فيه الأمان .

ففى الحديث الشريف[1] : « **البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيرا فاقم** » كما صح أن بعض المسلمين الأوائل هاجر إلى الحبشة وأقام بها بأمر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم تكن الحبشة دار إسلام .

ومن أقوال العلماء والمحققين[2] : (إذا وجد المسلم أن بقاءه فى أرض الكفر يفيد المسلمين الموجودين بدار الكفر بتعليمهم وقضاء مصالحهم أو يفيد المسلمين الموجودين فى دار الإسلام أو يفيد الإسلام نفسه بنشر مبادئه ورد الشبه عنه كان وجوده فى هذا المجتمع أفضل من هجرته) .

ويتطلب ذلك أن يكون هذا المسلم قوى الإيمان والشخصية والنفوذ حتى يمكنه القيام بمهمته .

وقد كان للدعاة والتجار أثر فى نشر الإسلام فى بلاد الكفر .

ثانياً : مبدأ تشكيل الأحزاب السياسية على الوجه الذى شاع فى عصرنا واتخذ شعارا للديمقراطية لا مانع منه فى الإسلام وهو من المباحات التى يجوز مزاولتها فى نطاق أحكام ومبادىء الإسلام العامة فى الحكم والتشريع ، والحرام والحلال ومجالها - أى الحزبية العاقلة - الأمور الاجتهادية لاسيما المصالح المرسلة ، وما دام المسلم مقيما فى غير دار الإسلام فالأجدر به والواجب عليه ألا يشترك أو ينضم إلى فرقة سياسية حيث لا يأمن على حرية تصرفاته وقد تضطره السياسة الحزبية غير المسلمة إلى الالتزام بمبادئها وحتما هى مبادىء تخالف الإسلام فى الأغلب ويخشى منها عليه .

وفى الحديث الشريف « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**[3] » أما إذا كان المسلم قوى الشخصية قوى الإيمان صاحب نفوذ ، ورأى أن فى انضمامه إلى الفرقة السياسية نفعا للأقلية المسلمة بالدفاع عنها وتوصيل النفع لها فلا مانع من الانضمام مع الحذر واليقظة .

إذ من مقاصد الشريعة الإسلامية رعاية المصالح الراجحة وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة تفويتها أشد - وفى الحديث « **المؤمن كيس فطن**[4] » أى عنده كياسة وفيه ذكاء وقد وجه القرآن عموما إلى أخذ الحذر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[5]

ثالثاً : الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية كلها مذاهب معاصرة قائمة على الاختلاف فى النظرة الاقتصادية فى شأن الملكية والإنتاج والتوزيع للمجتمع ؛ وتقوم فى جملتها على معاداة الدين وإغفاله ، والمسلم ليس بحاجة إلى الانتساب إلى أى مذهب اجتماعى أو اقتصادى لأن الإسلام له من المبادىء ما يحقق الرخاء والتقدم للمجتمع وليس الإسلام شيوعيا ولا اشتراكيا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن الزبير بن العوام - مختصر ابن كثير - مجلد ٣ ص ٤٢ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾

(٢) انظر بيان للناس جـ ١ صـ ٢٩٨ الصادر عن الأزهر الشريف .

(٣) مسند الإمام أحمد عن أنس - رضى الله عنه - جمع الجوامع ص ٥٢٢ .

(٤) رواه الديلمى عن أبان عن أنس .

(٥) من الآية ٧١ من سورة النساء .

ولا راسماليا لأنه دين له أصوله وفى مقدمتها القرآن والسنة الشريفة وهو فوق كل هذه الألوان والمذاهب المتعددة التى تحاد الله ورسوله فى الجملة ، ولايجوز للمسلم أن يصم نفسه بالانتساب إلى واحد من هذه المذاهب ونحوها ، حيث نشأت فى أمم ساد فيها الظلم والظلمات لكن الإسلام عدل فى كل أحكامه ومقوماته ، وعدالته الاجتماعية ومساواته بين الناس جميعا مقررة فى نصوص القرآن والسنة وتوابعهما من الأدلة الشرعية .

هذا والأصل أن ماوافق الإسلام فهو حق ، وما خالفه فهو باطل ينبغى على المسلم البعد عنه ومن استبدل بالإسلام عقيدة أو مذهباً آخر فقد باء بغضب من الله وتلك المذاهب فى جملتها قد غلب باطلها على ماقد يكون فيها من حق ، وواقعها المعاصر وتقلب أهلها وترددهم بين أفكار متعددة بل وربما متناقضة يجعل المسلم حريا بأن يلتزم : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾[٦] فلايضم إلى وصف المسلم الذى شرف به عقيدة وشريعة أى وصف آخر لاسيما وفى تلك المذاهب ما يرفضه الإسلام .

رابعاً : الأقلية المسلمة فى بلد غير إسلامى مادامت تقيم شعائر الإسلام وتطبق فيما بينها أحكامه فى العقيدة والشريعة لاسيما ما لا يدخل فى نطاق سلطة الدولة الجبرية مثل : الزواج والطلاق وما يتبعهما من النظام الإسلامى ، تكون بهذا قد أقامت شرع الله سواء ، اعترفت الدولة بالأحوال الشخصية الإسلامية أم لم تعترف ، والمهم التزام المسلم لتعاليم دينه ، والعمل بها وبمقاصد الإسلام بجلب المصالح ودفع المضار بقدر الاستطاعة ، ومسألة الاعتراف تعود لسياسة الدولة ، وأما صحة بقاء المسلم فى هذا البلد غير المسلم فقد تقدم حكمه فى الفقرة الأولى من هذه الفتوى .

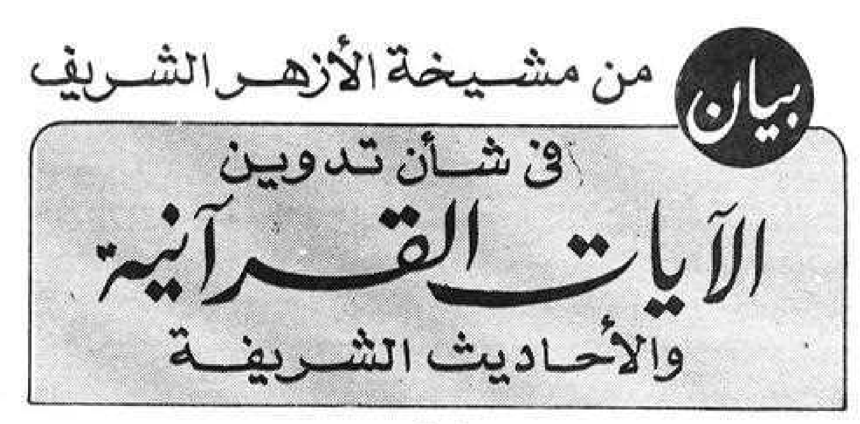
خامساً : المسلمون إذا كانوا أقلية فى بلد غير إسلامى يرجعون إلى تعاليم الإسلام بتوجيه من علماء المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم وأحوالهم الشخصية وكل مايعرض لهم من أمور دينهم ، وإذا عين الحاكم غير المسلم قاضيا غير مسلم أو محاميا فى شئون الأحوال الشخصية الإسلامية أو من يقوم بإدارة أمورهم لم يجز هذا فى قول عامة الفقهاء حيث لايصح أن يتقلد القضاء إلا المسلم المؤهل لذلك بالشروط المقررة لمثله ، وماقال به أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ من أنه يجوز تولية القاضى غير المسلم على أهل دينه إذا جرى عرف الولاة بذلك ـ وهى حينئذ تولية زعامة ورياسة وليست تولية حكم وقضاء وإنما يلزمهم حكمه لالتزامهم له لا للزومه لهم ـ مؤداه جواز تولية الحاكم غير المسلم لقاض غير مسلم على أهل ملته أى غير المسلمين ، وليس إجازة لتولية قاض غير مسلم للفصل فى خصومات المسلمين[٧] .

ومن ثم فلا يحل للمسلمين التحاكم إلى قاض غير مسلم إلا عند الضرورة ، وعلى الأقلية الإسلامية فى هذه الحال العمل على الخلاص إما باستقلال أو بهجرة أو بالتحاكم إلى محكمين مسلمين علماء يرضاهم المتخاصمون لاسيما فى مسائل الحلال والحرام ، ومنها أمور الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونسب وميراث ، وهذا خير لدينهم ولدنياهم من التحاكم إلى قاض غير مسلم عينه الحاكم .

والله أعلم

(٦) الآية ١٣٨ من سورة البقرة .

(٧) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦٥ فى ولاية القضاء .



على أوراق النتائج وغيرها ثم تمزيقها وإلقائها فى المهملات

وردت إلى مشيخة الأزهر الشريف نماذج مما يكتب على ظهر الأوراق اليومية للنتائج الشهرية والسنوية من آيات قرانية أو أحاديث نبوية . وأن كل ورقة ترفع بمضى تاريخها تمزق أو تلقى فى المهملات والطرقات .

ومع اليقين بأن السادة الذين يقومون بطبع تلك الآيات والأحاديث إنما يهدفون إلى نشر أوامر الإسلام وأخلاقه وسلوكياته إلا أنه من باب سد الذرائع : تنبه مشيخة الأزهر الشريف السادة الذين يقومون الآن على طبع النتائج والتقاويم والنشرات للعام الجديد ١٩٩١ م أن يكفوا عن وضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ظهر الورقة اليومية للنتيجة أو فى أية وسيلة أخرى كالإعلانات مما يصدرونه ويكون عرضة للتمزيق والإهمال والرمى به فى الطرقات والشوارع وسلال المهملات ..

وأن يكفوا عن ذلك احتراما وتقديرا للقرآن الكريم ولأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والبعد بها عن مواقع المهانة والإهمال .

ففى القرآن الكريم قول الله سبحانه :

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . .

وتوصى مشيخة الأزهر : من عثر على ورقة أو أوراق مكتوب عليها آية قرآنية أو بعض آية أو حديث نبوى شريف أن يجمعها ولا يهملها وليدفنها فى الأرض بعيدا عن طريق الناس أو ليحرقها ويدفن رمادها كذلك ..

اكرموا القرآن والسنة يكرمكم الله فإنهما أصل الإسلام وعليهما مداره عقيدة وشريعة ولا تضعوهما أو بعضا منهما فى غير موضع التكريم والتعظيم .

وفقكم الله لطاعته وأثابكم ..

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

بيان من مشيخة الأزهر الشريف

حول العدوان على المساجد في الهند

لقد حفلت الأخبار التى رددتها الصحف ووكالات الأنباء والإذاعات بأعمال العنف التى تهدف إلى هدم « مسجد بابرى » الأثرى فى بلدة « ايوديا » بولاية « اوتاربراديش » الهندية بغية إقامة معبد هندوسى مكانه .

وإنه لأمر خطير أن يتصاعد العنف ضد المساجد التى هى دور لعبادة الله ، وهو فى ذات الوقت نذير خطر مهدد للأمن والاستقرار فى الهند بل وفى شرق العالم كله ، ومؤثر على التعايش السلمى بين أبناء الهند على اختلاف عقائدهم ، وهذا العنف يؤخر التقدم والرقى الحضارى ويعوق التنمية التى تقدم الكفاية للشعب الهندى ، ومنذر بسريان هذا التعصب الممقوت إلى أتباع الديانات الأخرى ليس فى الهند فحسب ، بل وفى جيرانها ، مما يزيد من القلق والتوتر بين شعوبها .

ثم إن هذا العدوان على مساجد المسلمين يمثل اعتداء صارخا على حقوق الإنسان التى قد كفلتها كافة المواثيق الدولية ، فضلا عن أن الإسلام يحمى كل دور العبادة ويحافظ عليها .

وإن الأزهر الشريف إذ يستنكر العدوان من جانب الهندوس على مسجد « بابرى » فى الهند ويدعو جميع فئات الشعب الهندى الصديق إلى الحفاظ على دور العبادة جميعها واحترامها ليشكر الحكومة الهندية السابقة على موقفها الحازم إزاء ما وقع من اعتداء على هذا المسجد وغيره من المساجد ، وعلى المسلمين .

ويدعو كافة الحكومات الإسلامية إلى بذل جهودها لدى الحكومة الهندية الجديدة نحو منع تجدد هذا العدوان على هذا المسجد وغيره من مساجد المسلمين فى الهند، رعاية لحقوق الهنود المسلمين وهم مواطنون صالحون يعملون لخير بلادهم وتنميتها وحضارتها ويشاركون فى الدفاع عنها وفى عمارتها .

كما يدعو الأزهر الشريف الموسرين من المسلمين فى أنحاء العالم إلى المبادرة إلى المشاركة فى إعمار ما تخرب من هذا المسجد (بابرى) وغيره من المساجد فى الهند .

ولنتذكر نحن المسلمين أن المسجد هو دار المسلمين وأول مابدأ به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين وصل مهاجرا إلى المدينة ، منه يرفع الأذان،وفيه تقام الصلوات ويلتقى المسلمون فى الجمعة والجماعات .

ومن ثم كان الحرص على إعماره وحمايته ونظافته أمرا حتميا على كافة المسلمين .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

استجابة الحكومة الهندية

لنداء

فضيلة الإمام الأكبر

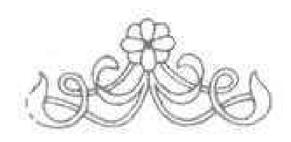
شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد بى . إيه . نازاريت ، سفير الهند بالقاهرة .

حيث عبر السيد السفير عن تقدير الهند حكومة وشعباً لدور الأزهر الشريف فى أرجاء العالم ، والصلة التاريخية والوثيقة بين مصر والهند ، والعلاقات الطيبة بين البلدين ، والتعاون المثمر فى الكثير من المجالات .

وأضاف السيد السفير ان الهدف من الزيارة توضيح موقف حكومة الهند من مشكلة « مسجد بابري » .. حيث قامت الحكومة بواجبها فى حماية المسجد من المتعصبين الهندوس ... وأجرت الحكومة اتصالات بالزعماء الدينيين ، واوضحت لكافة الأطراف انها تحمى دور العبادة الموجودة على ارض الهند لكافة الأديان .. وأن رئيس وزراء الهند اعلن امام البرلمان الهندي ان الحكومة لن تسمح بهدم « مسجد بابري » ، او بناء « معبد رام فى ابوريا » مهما كانت الظروف .

وذكر السيد السفير انه قد ابلغ حكومته بمضمون البيان الصادر عن الأزهر الشريف بشأن مسجد « بابري » حسبما نشر فى الصحف المصرية ... حيث رحبت الحكومة الهندية بهذا البيان .



لقاء فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر
والسيد/ سفير الهند بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ـ بمكتب فضيلته ظهر يوم الثلاثاء ١٩٩٠/١٢/٤ م السيد / بى آيه نازاريت سفير الهند بالقاهرة .

● وقد بدأ اللقاء بالترحيب والشكر ..

وأعرب السيد السفير عن امتنانه وشكره للقاء فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر وأنهم فى الهند يكنون كل التقدير والاحترام للأزهر سواء بين المسلمين أو غير المسلمين .

● ثم تحدث السيد السفير عن دخول الإسلام فى الهند منذ أكثر من الف عام ، وانه كانت هناك ممالك يحكمها ملوك مسلمون فى الهند ، وأن الهند رغم أنها دولة علمانية إلا انها تحترم جميع الاديان ويحظى الجميع بالمساواة التامة فى الحقوق والواجبات ، وأن الهند بها سبع ديانات رئيسية .. أربع منها موجودة منذ القدم ، منها الهندوسية والبوذية ، والسيخ ، ثم دخلت الديانات السماوية الثلاث : الإسلام والمسيحية واليهودية بعد ذلك . والجميع يحظون بحرية العبادة والاحترام المتبادل وأن الهند رغم قدم حضارتها إلا انها تعتبر مصر الشقيقة الكبرى من حيث أن حضارة مصر أعمق فى القدم .

● ثم عرض السيد السفير لموضوع مسجد(بابرى)فى الهند ، والذى تعرض لهجوم من جانب بعض المتعصبين الهندوس ، وأشار إلى أنه قرأ بيان فضيلة الإمام الأكبر فى الصحف ، وأن الحكومة الهندية قد اهتمت به ، وأخذته فى موضع الاعتبار كما أنهم سروا بما جاء به من دعوات وتوجيهات ، وشرح السيد السفير المشكلة قائلا :

« منذ استقلال الهند لم يحدث مثل هذه الأمور ولكن ظاهرة التعصب والتشدد ظاهرة اجتماعية عالمية لا نتفق معها ، وكما أن فى دول العالم الثالث متطرفين ومتعصبين متشددين ، يوجد أيضا مثلهم فى دول العالم المتقدم ويستوى هذا فى الدول الإسلامية والمسيحية ، وقد ظهر فى الآونة الأخيرة فى الهند جماعة من المتعصبين الهندوس على شاكلة جماعة الجهاد الإسلامى فى مصر ، وهم متشددون ، وقد شكلوا حزبا سياسيا فاز بمقعدين فى الانتخابات قبل الأخيرة ولكنهم ائتلفوا مع حزب هندوسى آخر وحصلوا على ٨٨ مقعدا فى الانتخابات الأخيرة ، وترجع جذور المشكلة التى ظهرت أخيرا إلى شائعة أطلقها بعض المتطرفين

لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير الهند

بأن مسجد«بابرى»الذى اقيم منذ اكثر من خمسمائة عام كان مكانه معبدًا للهندوس ، كما يعتقد البعض منهم أن القديس (لورد / راما) الذى يعتبره الهندوس نبيا وينظر إليه البعض على أنه إله قد ولد فى مكان أسفل هذا المسجد وسرعان ما انتشرت هذه الشائعة وحشد المتطرفون أنفسهم لها وكسبوا بعض المتعاطفين معهم وقاموا بعمل مسيرة حماسية متعصبة بلغ عدد المشتركين فيها ما يقرب من نصف مليون شخص متجهين لهدم المسجد وإقامة معبد مكانه ، ولما رات الحكومة أن الموقف قد استفحل ، وبلغ هذا الحد سرعان ما تدخلت القوات الحكومية والشرطة لفض هذا التجمهر المتعصب وحماية المسجد من الهدم .. وقد تسبب هذا الموقف فى انقسام الحزب الحاكم : حزب راجيف غاندى حيث رأى البعض أن الحكومة أهملت معالجة الموقف فى بدايته وكانت تستطيع هذا ، ولكنها تركته إلى أن وصل إلى حد الخطورة وأنه كان لابد من اتخاذ موقف وقائى منذ البداية ..

وفور تولى رئيس الوزراء الجديد الحكم أعلن أمام البرلمان الهندى أن الحكومة لن تسمح بهدم مسجد «بابرى»أو بناء معبد رام فى (أيوديا) مهما كانت الظروف ، كما أوضح رئيس الوزراء الجديد أنه فى كافة الأمور المتعلقة بالوفاق الطائفى وحماية أماكن العبادة فإنه سوف يتخذ الإجراء الوقائى بدلا من الإجراء العقابى ، وأكد سيادته على ضرورة حل كافة الصراعات الدينية والخلافات حول أماكن العبادة عن طريق المفاوضات الودية بين القيادات الدينية ، وفى حالة فشل مثل هذه الجهود يحال الأمر إلى القضاء بعيدا عن تحويل المشكلة إلى قضية سياسية ..

هذا : وقد وجد رئيس الوزراء الاستجابة والتأييد من جانب الأحزاب السياسية والقومية المختلفة فى البلاد .. ووجد تأييد المسلمين والأقليات » ..

* فقال فضيلة الإمام الأكبر :

« إن موقف الحكومة الهندية قد أسعد الجميع ، وأن حماية دور العبادة أمر يجب أن يؤخذ فى الاعتبار ليس للمسلمين فقط ، ولكن لجميع الأديان والإسلام يحث على احترام وحماية دور العبادة وحسن الجوار .

* وطلب فضيلة الإمام الاكبر من السيد السفير : أن ينقل شكره .. وشكر الأزهر للحكومة الهندية على موقفها من الأحداث الأخيرة ضد مسجد«بابرى»فى الهند وأضاف فضيلته : أن الصلة بين الهند ومصر قديمة وممتدة .. وأن العلاقة بين الدولتين علاقة قوية ، وأن السيد السفير يمثل الهند كلها بما فيها المائة والعشرون مليونا من المسلمين ..

* ثم استطرد فضيلة الإمام الاكبر : إلى أن الأزهر الشريف يود أن يكون على صلة ورباط دائم مع المسلمين فى الهند .. لا سيما المعاهد والمدارس الإسلامية .. وقد كان للأزهر بالفعل عدد اربعة من العلماء المدرسين يعملون فى المدارس الإسلامية والعربية فى الهند ولكنهم فوجئوا بعدم إعطائهم تأشيرات الدخول للبلاد بعد عودتهم لقضاء اجازاتهم السنوية ..

* هذا وقد اقترح الأزهر إرسال وفد من اثنين أو ثلاثة للتعرف على احتياجات المعاهد والمدارس الإسلامية للمدرسين والكتب ولكن لم يجد هذا الطلب أية استجابة .

* فقال السيد السفير : إنه سيبحث هذا الأمر وإن الصلة العلمية يجب أن تكون متصلة وإنه كان فى لقاء مع المسئولين فى وزارة الشئون الخارجية منذ أيام لطلب أحد الأساتذة العلماء فى الشريعة للعمل بجامعات الهند ..

* ثم شرح سيادته أن الحالة الوحيدة التى يمنع فيها دخول البلاد هى حالة الوعظ أو الدعوة لأى دين يستوى فى هذا جميع الأديان .. ويرجع ذلك إلى ما تركته عقدة الاحتلال الأجنبى قبل الاستقلال ووجود البعثات التبشيرية المختلفة من أوروبا وأمريكا ، وما تركته قبل هذا الوضع من آثار سيئة واتجاهات متعصبة فى المجتمع الهندى ، فاتخذ قرار بأن يكفينا ما لدينا .. أما فيما يخص المجال التعليمى الأكاديمى وتبادل الأساتذة والخبراء فلا ضرر من وراء ذلك إطلاقا وهو أمر نقف جميعا وراءه ونؤيده ، وبخصوص هذا الوفد الذى يراه فضيلة الإمام الأكبر سأعمل على تسهيل هذه المأمورية والاتصال بالمسئولين من أجل هذا حتى ندعم أواصر الرباط العلمى والثقافى بين البلدين .

* ثم سأل السيد السفير حول الموعد الذى يراه فضيلة الإمام الأكبر لإيفاد هذا الوفد ؟

* فقال فضيلة الإمام الأكبر : إن هذا يتقرر فور الحصول على الموافقة المبدئية على سفر الوفد وسوف يتشكل من عالمين أو ثلاثة للتعرف على حاجة المدارس والمعاهد من المدرسين وليس من الوعاظ أو الدعاة إلى جانب استكشاف الحاجة إلى المراجع والكتب الدراسية .

* فوعد السيد السفير بأنه سيعمل جاهدا لتيسير مثل هذا الأمر ..

وشكر سيادته فضيلة الإمام الأكبر على اللقاء المثمر .. وهذا الوقت الكبير الذى اقتطعه من وقت فضيلته ..

* فأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته بهذا اللقاء .. وأن الأزهر مفتوح دائما للجميع .

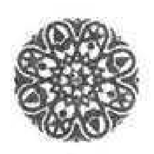
* وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

والله ولى التوفيق ..

حضر اللقاء وسجله :

أحمد عبدالخالق محمد

المترجم بمكتب شيخ الأزهر



قبس من نور النبوة

الدعوة إلى الخير

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .
رواه مسلم

من الناس فريق شاء الله - سبحانه - أن تسلم فيه قوة الخير ، وتنتصر على نوازع نفسه ، فهو يندفع بهذه الطاقة اللطيفة فيعمل بها فى خاصة نفسه ، فيزينها علما وحكمة وعملا ، ويكرُّ بها - ابتغاء مرضاة الله فيعمل بها بين عباده ، فإذا هو داعية إلى الكمال الذى تنشده الفطرة السليمة ، وتدعو إليه الشرعة الحكيمة .

وفريق آخر تنتصر فيه قوة الشر بتأثير بيئة فاسدة ، أو رفقة منحرفة ، أو شهوة طائشة ، فيضل ، ويدعو غيره إلى سبيل الغواية والضلال البعيد .

والإسلام يوجب على أتباعه أن يكونوا وحدة متماسكة متعاونة ينصح بعضهم بعضا ، ويرشد بعضهم بعضا فهم أبناء دين واحد ، أفراده إخوة متحابون ، استجابة لقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ « الحجرات ١٠ » .

وهم مكلفون - من قبل دينهم - أن يوطدوا بينهم دواعى الألفة ، ويوثقوا روابط المحبة ، وأن يبذل كل منهم لأخيه النصح والإرشاد ، فيدعوه إلى الخير ، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، ويهدى إليه الحكمة والموعظة الحسنة ، ليزيده الله بها هدى ، ويرده بها عند ردى .

والهدى فى الحديث الذى بين أيدينا يراد به الاهتداء ، ليكون أداة الإرشاد إلى الطريق المستقيم من خير يعمله أو شر يدعه .

والمراد بالضلالة ما يبعد الإنسان عن جادة الحق والصواب فيترك الصالح ويعمل السيىء .

والدعوة إلى الخير مكلف بها كل مسلم يلم به عن علم ، ويكف الشر كذلك عن علم ، والناس إذا تركوا الدعوة إلى الخير من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، خرجوا عن الميزة التى امتازت بها أمة الإسلام التى قال الله فى شأنها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ « آل عمران ١١٠ » .

روى البخارى عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى - ﷺ - قال :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا [اقترعوا] على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

فليست العبرة بجانب يبدو فيه الخير ، إنما العبرة فى أن يخلو الشىء - تماما - من الأذى ، وذلك يحتاج إلى بصيرة تستوعب أجزاء الأمور ، وتعلم كل جوانبها من خير وشر .

لقد بين الله -سبحانه- حال الذين كانوا لا يتناهون عن المنكرات ، عبرة لنا حتى لا نفعل فعلهم فنكون مثلهم ، ويحل بنا ما حل بهم .

روى أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - ، قال قال رسول الله - ﷺ - :

« إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لايحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ « المائدة ٧٨ - ٧٩ » .

ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو لتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم » .

وإلى الذين يتهاونون فى دعوة غيرهم إلى الخير ، ويتقاعسون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، نسوق ما رواه الإمام أحمد - رحمه الله - قال :

قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ « المائدة ١٠٥ » وإنكم تضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله - عز وجل - أن يعمهم بعقابه » .اهـ .

أيها الداعون إلى الخير ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر - حسبكم فخرا وشرفا أنكم تقومون بدعوة رسول الله - ﷺ - : وهذه بشارة الرسول لكم على جهادكم فلكم مثل أجور من اتبعوكم مع استيفاء أجورهم كاملة لا ينقص منها شىء ، وفضل الله واسع ، على ألا ننسى أن الدعوة إلى الخير تقتضى الحكمة والبصيرة ، ولا تدفع إلى فتنة هوجاء ، وحمق مستطير .

قبس من نــــور النبوة

ولأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم .

فأما أولئك الداعون إلى البدع والضلالات ، وتفريق كلمة الموحدين ، المثيرون للفتن ، المتنكبون سنن الحق والهدى ، أسرى الشهوات والأطماع ، فحسبهم شرا أن عليهم وزر ضلالهم ووزر من أضلوهم ، واتبعوهم فى غوايتهم ، ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ « النحل ٢٥ » .

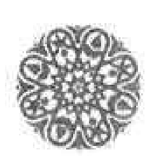
وليس أتباعهم بناجين عن الإثم ، فهو يتناسل فى نفوسهم وقلوبهم وجوارحهم أجمعين .. عليهم وزره وينالهم عقابه .

روى الترمذى عن أنس قال ، قال لى رسول الله ـ ﷺ ـ « يابنى إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل ، ثم قال لى يابنى : وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

وفى الحديث إنكار شديد على الذين يضلون الناس عن طريق الحق ويزينون لهم الشر ، فيفرقون الأمة ويشتتون جمعها أولئك لهم عذاب أليم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ثم أما بعد :

فإن الدعوة إلى الخير توجه لكل مسلم ، لا يُخص بها واحد دون آخر ، أو جماعة دون المؤمنين ، فإن من اتخذ هذا السبيل فقصر الخير وعمل الخير على جماعة بعينها يعمل لها وحدها ، وخصها دون الناس بما يستطيع من الطيبات فذلك وأمثاله قوم قال الله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ « الأنعام ١٥٩ » .



إمام الفقهاء وكنز العلماء



للأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

كان القرآن الكريم شديد التأثير في نفس أهل المدينة من الأوس والخزرج فقد بعث النبي ﷺ إليهم مصعب بن عمير[1] وعبد الله بن أم مكتوم يسمعانهم كلام الله ويتلوان عليهم آياته وسوره. فلم يلبثا فيهم غير عام واحد حتى انقادوا للحق وانضووا تحت لوائه. ولم يبق بيت من بيوتهم إلا كان القرآن يتلى فيه. ولما هاجر إليهم النبي - ﷺ - أقبلوا على القرآن يكتبونه ويحفظونه ويستخرجون ما في كنوزه من النفائس والجواهر وكان من فرسان هذا الميدان أربعة نفر كلهم من الخزرج وهم[2]: معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبو زيد عمر بن أنس بن مالك.

وقد أكثر المؤرخون والمحدثون من الكتابة حول هؤلاء الأربعة عامة، وحول معاذ بن جبل على سبيل الخصوص.

مولد معاذ ونسبه وإسلامه:

وخلاصة ما جاء على السنة هؤلاء العلماء هو أن معاذاً - رضى الله عنه - قد ولد في المدينة قبل الهجرة بعشرين سنة - وقبل البعثة بسبع سنين - وأن أباه[3] هو جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب الخزرجي الأنصاري، وأمه هي هند[4] بنت سهل من جهينة من بني ربعة. وقد

(1) السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ط/ دار المعرفة للطبع بيروت، ط/ نهضة مصر. أسد الغابة جـ ١ ص ٢٦٣ وما بعدها.

(2) البداية والنهاية - ابن كثير - جـ ٧ ص ٩٥ - ط/ مكتبة المعارف - بيروت.

(3) ابن حجر - الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٦ ط / دار الفكر - بيروت.

(4) ابن سعد. الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٥٨٣ ط / دار بيروت للطباعة والنشر.

« معــاذ بــن جبـــل »

كان معاذ رجلاً طوالاً أبيض[5] الوجه واسع العينين براق الثنايا فى طبعه لين ، وفى خلقه سماحة ، وفى سلوكه لطف ودعة .

دخل فى الإسلام على يدى «مصعب بن عمير» ، و«عبد الله بن أم مكتوم» أثناء وجودهما فى المدينة يدعوان إلى الإسلام ، ويشرحان مبادئه وتعاليمه . وقبل عام من هجرته عليه الصلاة والسلام إلى (يثرب) وافى معاذ مكة مع قومه فى موسم الحج وكان بين السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة[6] الثانية . ولما هاجر النبى - صلوات الله وسلامه عليه - إلى طيبة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، آخى بين معاذ وبين عبد الله بن مسعود[7] . ومن المؤرخين[8] من يدعى أنه آخى بينه وبين جعفر بن أبى طالب . وهو كلام تنقصه الدقة ؛ فإن المؤاخاة قد كانت بين الهجرة وبدر ، وجعفر إنما عاد إلى المدينة بعد فتح خيبر . وقد روى فى هذا عن النبى - ﷺ - «والله ما أدرى[9] بأيهما أسر : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» .

وعلة أخرى لا سبيل إلى إغفالها فى ترجيح الرواية الأولى وهى أن النبى - ﷺ - لم يكن يؤاخى بين أصحابه اتفاقا ومن غير سبب . وإنما كان يضم الشبيه إلى شبيهه والقرين إلى قرينه . وقد كان معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود متشابهين فى كثير من الوجوه فقد كانا كلاهما حافظين للقرآن وقارئين له . وكانا كلاهما بارعين فى الفقه ومبرزين فى الفتوى والاجتهاد .

ومهما يكن من شىء فإن معاذ بن جبل قد برّز فى جوانب كثيرة ، ونبغ فى نواحٍ متعددة ، ففى حفظ القرآن وقراءته بلغ الغاية وأربى على النهاية . ولم يكن له نظير فى عصره سوى ثلاثة نفر[10] هم : عبد الله بن مسعود وأُبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة . فهؤلاء الأربعة قد تضافرت الروايات على أنهم كانوا يحفظون القرآن كله وأنهم كانوا يتلونه كما أنزل . وأن قراءتهم له قد كانت تخلب القلوب وتطرب النفوس وتهز الأفئدة لما أوتوه جميعا من الصوت الجميل والأداء الحسن والخشوع الذى لا حد له للإله الواحد الذى ملأ الخوف منه قلوبهم ، وملكت الهيبة له شعورهم فإحساسهم فلم يعملوا إلا له ، ولم يقصدوا إلا وجهه ؛ ولأن معاذ بن جبل قد كان نسيجاً - وحده - فى الحفظ والقراءة ؛ فإن المسلمين فى عصره قد كانوا يعتبرونه أمة وحده وكانوا يقولون فيه ما قاله الله فى إبراهيم - عليه السلام - وهو أنه كان أمة[11] قانتا لله : وفضيلة أخرى كانت له - رضى الله عنه - وهى أن قومه كانوا ينتظرونه حتى يؤدى الصلاة مع رسول الله . ثم يتقدمهم فيصلى بهم[12] .

وفى الجهاد تحت لواء النبى - ﷺ - كان معاذ بن جبل البطل الكرار ، والشجاع المغوار ، والفارس الذى لا يشق له غبار . وقد اتفقت المصادر التى تحت يدى على أنه غزا مع النبى - صلوات الله عليه - بدراً وأُحُداً والخندق وغيرها من المواطن[13] وأنه لم يفارقه - صلوات الله عليه - فى غزوه ولا تخلف عنه فى مشهد .

---

(٥) ابن عبد البر - الاستيعاب - جـ ٣ ص ٣٥٥ ط/ دار الفكر - بيروت .
(٦) الطبقات الكبرى - مرجع سبق ذكره - جـ ٣ ص ٥٨٣ .
(٧) البداية والنهاية - مرجع سبق ذكره - جـ ٧ - ص ٩٤ . ٩٥ .
(٨) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٤ ، الاستيعاب - جـ ٣ ص ٣٥٦ .
(٩) الإصابة - جـ ١ ص ٢١٠ .
(١٠) الاستيعاب - جـ ٢ ص ٣١٩ .
(١١) البداية والنهاية - جـ ٧ ص ٩٥ .
(١٢) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٦ .
(١٣) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ .

من أجل هذا أحبه رسول الله - ﷺ - وآثره على الكثير من أقرانه وقال له : يامعاذ : والله إنى لأحبك[١٤] فلا تدعن أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ولما ركبته الديون[١٥] ولاحقه الغرماء كلٌ يطلب منه ماله عليه - تدخل النبى - ﷺ - بينه وبين دائنيه حتى ينظروه إلى ميسرة ، فقبل بعضهم ورفض البعض الآخر وراحوا يتعاقبونه حيثما كان ، فاضطر النبى - ﷺ - إلى بيع ماله لغرمائه . ولما لم يكف استعمله على اليمن وأباح له قبول الهدية[١٦] حتى يستطيع أداء ديونه . وقد رفع الله عنه الضيق وتمكن بعد عودته إلى المدينة من إرضاء غرمائه فى خلافة الصديق - رضى الله عنه .

وكما برَز معاذ بن جبل فى ميدان حفظ القرآن وتلاوته وفى ميدان الجهاد تحت لواء النبى وراياته برز كذلك فى ميدان الفقه والاجتهاد حتى أن النبى - ﷺ - لما صنف أصحابه وأضاف كل واحد منهم إلى الجهة التى ظهر فيها نبوغه . قال : « وأعلمهم[١٧] بالحلال والحرام معاذ بن جبل » .

ولا جدال فيما يدل عليه هذا النص من الخبرة التى لا حد لها فى استنباط الأحكام ومعرفتها ، والقدرة على إجابة الناس فيما يعرض لهم من المشكلات وما يعن من القضايا والمسائل ، وقد يكون هذا هو السر فى تقليد النبى - ﷺ - معاذاً وظيفة القضاء فى اليمن[١٨] وأنت خبير بما تطلبه هذه الوظيفة من النبوغ فى الفقه والمعرفة الواسعة بالحلال والحرام . وقد عقد النبى ﷺ لمعاذ بن جبل اختباراً قبل شخوصه إلى اليمن . جاء فيه :

كيف تقضى بين الناس ؟[١٩]

قال معاذ : أقضى بينهم بكتاب الله تعالى .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : فبسنة رسوله ﷺ .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : أجتهد لهم ولا آلو .. فضرب على صدره ، وقال :

الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله .

وقد تقلد معاذ رضى الله عنه وظائف كثيرة فى عهد النبى ﷺ وفى عهد الصديق والفاروق . ولم تكن هذه الوظائف فى مجال واحد وإنما كانت فى مجالات شتى وميادين متعددة . فقد قلده رسول الله ﷺ وظيفة القضاء - كما سبق - فى اليمن . وقلده كذلك وظيفة التعليم[٢٠] وجمع الصدقات[٢١] من الجباة وجعله على الجند[٢٢] ومن أجل هذه المهام الكثيرة التى ألقاها على عاتقه - رضى الله عنه - فإنه لما استعد للخروج إلى اليمن دعا له قائلاً : «حفظك[٢٣] الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك ودرأ عنك شرور الإنس والجن» ، ولما وضع رجله فى الغرز أوصاه قائلاً[٢٤] : «أحسن خلقك مع الناس» وقد وضع معاذ هذه النصيحة وغيرها من النبى - ﷺ - موضع التطبيق والتنفيذ .

وقد روى من ذلك أنه - رضى الله عنه - قد كان

(١٤) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٩٥ .

(١٥) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٤ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، الاستيعاب جـ ٣ ص ٣٥٩ .

(١٦) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ .

(١٧) الاستيعاب - جـ ١ ص ٥٠ .

(١٨) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٤ .

(١٩) الاستيعاب - جـ ٣ ص ٣٥٧ .

(٢٠) الاستيعاب - جـ ٣ ص ٣٥٦ .

(٢١) الاستيعاب : جـ ٣ ص ٣٥٧ .

(٢٢) الاستيعاب - جـ ٣ ص ٣٥٦ .

(٢٣) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ .

(٢٤) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٥ .

«معاذ بن جبل»

فى إحدى رجليه عرج[٢٥] فبسطها وهو يؤم الناس فى الصلاة . فبسطوا أرجلهم فلما انتهى قال لهم : لقد أحسنتم ولكن لا تعودوا فإننى ما بسطت رجلى إلا لأن فيها عرجا . وقد اتفق الرواة على أن معاذا قد كان فى خلقه لين . وفى طبعه سماحة وفى سلوكه لطف وفى تعامله مودة .

جاء فى أحد الكتب أن النبى - ﷺ - قد أنبأ معاذاً - وهو يودعه - أنه لن يراه فى هذه الدنيا مرة ثانية ، وقد تحقق ما أنبأه به فإنه لم يعد من اليمن إلا بعد أن كان - صلوات الله عليه - قد صعد إلى الرفيق الأعلى ، ولم يفتر نشاط الرجل بعد وفاة النبى - ﷺ - وإنما ظل كما كان فارس النهار وراهب الليل ، يغشى المعارك ويخوض الحروب ، ويتلو كتاب الله ، ويستنبط الأحكام منه ، ويتصدر حلقات العلم ومجالس المعرفة .

شهد حروب الشام[٢٦] وأبلى أحسن البلاء فى معركة اليرموك[٢٧] واستشهد فيها ابنه (عبدالرحمن) بين يديه ، ورآه بعض المسلمين وهو فى مسجد حمص[٢٨] يتصدر حلقة فيها ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ كان هو أقلهم عمرا وأصغرهم سنا ، وكان يُسأل فيجيب فى كل ما عرض له .

كان عمر - رضى الله عنه - يحبه ويجله ويعرف له شأنه وقدره ، رآه فى مكة فى خلافة أبى بكر فى موسم الحج فالتزمه وعانقه وعزاه فى وفاة النبى - ﷺ - ورأى معه بعض الغلمان[٢٩] فسأله عنهم فقال : هم لى . قال عمر : كيف . وقد عهدتك ولا مال لك ؟ قال : لقد أُهدوا إلىّ . قال عمر : فشاور فيهم أبا بكر . قال : كيف . وقد أباح لى النبى - ﷺ - الهدية . والله لا أفعل . فلما عاد إلى بيته رأى فى منامه كأنه على شفير جهنم ، وأن عمر آخذ بحجزته . فلما أصبح ذهب إلى أبى بكر وقص عليه ما رأى . فقال : هم لك . فذهب إلى داره وكان قد حان وقت الصلاة فصلى بهم إماما ثم أعتقهم جميعا لوجه الله .

ولا جدال فيما تدل عليه هذه القصة وما يشبهها من إخلاص الرجل لله وشدة خوفه منه ، وأن العلاقة مهما كانت قوتها بين الصحابة فإنها لم تكن لتمنع بعضهم من نصيحة البعض .

استخلف أبو عبيدة بن الجراح معاذ بن جبل على عمله لما تبين له أنه قد دنا أجله وأعجزه المرض عن مباشرة وظيفته . وقد أقره[٣٠] عمر على ذلك وولى الشام معاذا لكنه - رضى الله عنه - قد توفى فى العام نفسه الذى تقلد فيه عمل أبى عبيدة . وكانت وفاته فى (قرية عمواس) أثناء الطاعون[٣١] الذى نزل فى بلاد الشام ، ومات فيه الكثير من الصحابة وأبنائهم .

يقول الرواة : لما[٣٢] أصيب أبو عبيدة بن الجراح فى طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتد الوجع ، فقال الناس لمعاذ : ادع الله يرفع عنا هذا الرجز ، فقال : إنه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم - ﷺ - وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص بها الله من يشاء منكم ، أيها الناس ، أربع خلال من استطاع ألا يدركه شيء منهن فلا يدركه . قالوا : وماهى ؟ قال : يأتى

---

(٢٥) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٥ .
(٢٦) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ .
(٢٧) البداية والنهاية - جـ ٧ ص ٩٤ .
(٢٨) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٩ ، ٥٩٠ .
(٢٩) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٥ .
(٣٠) الاستيعاب - جـ ٣ ص ٣٦٠ .
(٣١) البداية والنهاية - جـ ٧ ص ٩٥ .
(٣٢) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسى على آخر، ويقول الرجل: والله ما أدرى على ما أنا، لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة، ويعطى الرجل المال من مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذى يسخط الله، اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة. فطعن ابناه فقال: كيف تجدانكما؟ قالا: ياأبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. قال: وأنا ستجدانى - إن شاء الله - من الصابرين. ثم طعنت امرأتاه فهلكتا وطعن هو فى إبهامه فجعل يمسها بفيه يقول: اللهم إنها صغيرة فبارك فيها فإنك تبارك فى الصغير، حتى هلك».

روى أحد الذين شهدوا موته: أنه كان يغمى عليه ويفيق فإذا سُرى عنه قال مناجيا ربه: اخنق خنقك[٣٣] فوعزتك إنى لأحبك.

جاء فى وصف أبى نعيم[٣٤] له فى (الحلية): «كان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء. وكان جميلًا وسيما.

روى عنه من الصحابة: عمر، وأبو قتادة، وعبد الرحمن بن سمرة، وغيرهم. وكان يقول فيه الفاروق[٣٥] عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر.

اختلف الرواة فى زمان وفاته وفى سِّنه عندما أدركه الموت. وأرجح الأقوال فى نظرى هو أنه قد توفى[٣٦] فى خلافة عمر، وفى العام الثامن عشر على سبيل التحديد وكانت سنه آنذاك ثمانى وثلاثين سنة. فرحم الله إمام الفقهاء وكنز العلماء ورائد الحفاظ والقراء، وأثابه على ما قدمه لدينه وكتاب ربه، ثواب الشاكرين الصابرين.

---

(٣٣) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٩.
(٣٤) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧.
(٣٥) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧.
(٣٦) الاستيعاب جـ ٣ ص ٣٦٠، الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧، الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٩٠، البداية والنهاية - جـ ٧ ص ٩٥.

بســـــم الله الرحمن الرحيم

إلى القارىء العزيز

لا تشك إدارة المجلة فى إحاطتكم علماً بشأن الارتفاع الشديد فى ثمن الورق، فذلك أمر ملموس لنا جميعاً، مضافاً إليه بشأن المجلة ما يتكلفه إعدادها من وسائل مختلفة للطباعة.

كذلك يعلم القارىء ما تقدمه المجلة من مادة بجانب هدية تصحبها بصورة دائمة مما يضيف إلى أعبائها المالية أعباء فوق أعباء. وذلك ماحدا بضرورة رفع ثمنها إلى «٦٠» ستين قرشاً - بهديتها ابتداء من شهر رجب ١٤١١ هـ.

ونأمل أن يتأكد القارىء أنه بذلك السعر يساهم فى تكاليف العدد بمقدار زهيد. ومع خالص الشكر، نرجو من الله التوفيق.

«مجلة الأزهـر»

كلمة وبيان في الحوادث الراهنة

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي المملكة العربية السعودية

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين ، سلك الله بي وبهم سبيل عباده المؤمنين وأعاذني وإياهم من أخلاق المغضوب عليهم والضالين .. آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد :

فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[3] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[4] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[5] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[7] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ

(١) سورة الذاريات . [٥٦] .
(٢) سورة البقرة [٢١] .
(٣) سورة النساء [١] .
(٤) سورة لقمان [٣٣] .
(٥) سورة البينة [٥] .
(٦) سورة آل عمران [١٠٢ ، ١٠٣] .
(٧) سورة الأحزاب [٧٠ ، ٧١] .

﴿ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٩) .

وقال سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١٠) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١١) .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾(١٢) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(١٣) .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(١٤) . والآيات في الأمر بالتقوى وطاعة الله ورسوله وبيان عاقبة المتقين كثيرة جداً .

وقد أوضح الله - سبحانه - فيما ذكرنا من الآيات أنه - عز وجل - خلق الثقلين لعبادته وأمرهم بها كما ذكر - سبحانه - أنه أمر جميع الناس بعبادته وتقواه ، وهكذا أمر المؤمنين بوجه خاص بتقواه والقيام بحقه ، كما أمرهم - سبحانه - بالاعتصام بحبله والتمسك بشرعه ، وأمرهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله - عز وجل - وأمرهم - عز وجل - أن يتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منهم خاصة ، بل تعم الجميع . وأوضح - سبحانه - أن من أسباب محبة الله للعباد ومن علامات الصدق في محبة العبد ربه ومحبة الله له أن يتبع الرسول ﷺ - فيما جاء به ويتمسك بشرعه في قوله وعمله وعقيدته . كما أوضح - سبحانه - أن من صفات المؤمنين وأخلاقهم العظيمة أنهم أولياء فيما بينهم وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

فالواجب على جميع المسلمين في كل مكان أن يعبدوا الله وحده ، وأن يتقوه بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، وأن يتحابوا في الله ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر . لأن في ذلك سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة ؛ ولأن ذلك أيضاً من أسباب نصرهم على أعدائهم وحمايتهم من مكائدهم وشرهم .

كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(١٥) .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١٦) .

والتقوى هي طاعة الله ورسوله ، والاستقامة على دينه ، وإخلاص العبادة لله وحده والتمسك بشريعة رسوله ﷺ - قولاً وعملاً وعقيدة . وهي : الإيمان والعمل الصالح ، وهي : الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه كما قال - عز

(٨) سورة الحشر [١٨ ، ١٩ ، ٢٠] .
(٩) سورة آل عمران [٣١] .
(١٠) سورة الأنفال [٢٥] .
(١١) سورة التوبة [٧١] .
(١٢) سورة القمر [٥٤] .
(١٣) سورة القلم [٣٤] .
(١٤) سورة التحريم [٦] .
(١٥) سورة الحج [٤٠ ، ٤١] .
(١٦) سورة محمد [٧] .

كلمة وبيان فى الحوادث الراهنة

وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾(١٧) .

وقال عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٨) .

وقال عز وجل : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾(١٩) .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ . . ﴾(٢٠) . الآية .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾(٢١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٢٢) .

وقال سبحانه موصياً لعباده المؤمنين بالصبر والتقوى والحذر من أعداء الله : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٢٣) ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

ولايخفى ماوقع فى هذه الأيام من عدوان دولة العراق على دولة الكويت واجتياحها بالجيوش والاسلحة المدمرة . وماترتب على ذلك من سفك الدماء ونهب الأموال وهتك الاعراض وتشريد أهل البلاد وحشد الجيوش على الحدود السعودية الكويتية .

ولاشك أن هذا من دولة العراق عدوان عظيم وجريمة شنيعة يجب على الدول العربية والإسلامية إنكارها . وقد انكرها العالم واستبشعها لمخالفتها الشرع المطهر والمواثيق المؤكدة بين الدول العربية والدول الإسلامية وغيرها إلا من شذ عن ذلك ممن لا يلتفت إلى خلافه .

ولاشك أن ماحصل بأسباب الذنوب والمعاصى وظهور المنكرات وقلة الوازع الإيمانى والسلطاني .

فالواجب على جميع المسلمين أن ينكروا هذا المنكر ، وأن يناصروا الدولة المظلومة ، وأن يتوبوا إلى الله من ذنوبهم وسيئاتهم ، وأن يحاسبوا انفسهم فى ذلك ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى اينما كانوا ، ويتناصحوا ويتواصوا بالحق والصبر عليه فى جهاد انفسهم وفى جهاد عدوهم ومن اعتدى عليهم . وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً وأن يكونوا صفاً واحداً وجسداً واحداً وبناء واحداً . ضد العدو وضد الظالم سواء كان مسلماً أو غير مسلم . كما قال عز وجل : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٢٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(٢٥) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٢٦) .

(١٧) سورة لقمان [٨] .
(١٨) سورة النحل [٩٧] .
(١٩) سورة النور [٥٥] .
(٢٠) سورة آل عمران [١٩] .
(٢١) سورة المائدة [٣] .
(٢٢) سورة آل عمران [٨٥] .
(٢٣) سورة آل عمران [١٢٠] .
(٢٤) سورة المائدة [٢] .
(٢٥) سورة آل عمران [١٠٣] .
(٢٦) سورة العصر .

وقال النبي ﷺ : (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) . رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة .

وقال ﷺ (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين اصابعه**) . رواه البخاري ـ كتاب الأدب .

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

والواجب على رئيس دولة العراق أن يتقى الله ويتوب إليه وأن يبادر بسحب جيشه من دولة الكويت ثم يحل المشكلة التى بينه وبين دولة الكويت بالحلول السلمية والصلح العادل والتفاهم المنصف . فإن لم يتيسر ذلك فالواجب تحكيم الشرع المطهر بتكوين محكمة شرعية مكونة من جماعة من العلماء المعروفين بالعلم والفضل والعدالة للحكم بينهم كما قال الله ـ عز وجل :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(٢٧) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ . . ﴾(٢٨) ، الآية . .

وقال عز وجل : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢٩) .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(٣٠) .

أقسم ـ سبحانه ـ في هذه الآية الكريمة أن الناس لايؤمنون حتى يحكموا نبيه محمداً ﷺ فيما شجر بينهم .

ونسأل الله لجميع قادة المسلمين من العرب وغيرهم التوفيق والهداية لما فيه سعادة الجميع وصلاح قلوبهم وأعمالهم واستتباب الأمن بينهم كما أسأله أن يعيذ الجميع من طاعة الهوى والشيطان إنه سميع قريب .

وأما ما اضطرت إليه الحكومة السعودية من الأخذ بالأسباب الواقية من الشر والاستعانة بقوات متعددة الأجناس من المسلمين وغيرهم للدفاع عن البلاد وحرمات المسلمين وصد ما قد يقع من العدوان من رئيس دولة العراق فهو إجراء مُسَدَّد وموفق وجائز شرعاً . وقد صدر من مجلس هيئة كبار العلماء ـ وانا واحد منهم ـ بيان بتأييد ماتخذته الحكومة السعودية في ذلك ، وأنها قد أصابت فيما فعلت عملاً بقوله سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾(٣١) ، وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٣٢) .

ولاشك أن الاستعانة بغير المسلمين في الدفاع عن المسلمين وعن بلادهم وحمايتها من كيد الأعداء امر جائز شرعاً ، بل واجب متحتم عند الضرورة إليه . لما في ذلك من إعانة المسلمين وحمايتهم من كيد أعدائهم وصد العدوان المتوقع عنهم . وقد استعان النبي ﷺ ، بدروع استعارها من صفوان بن أمية يوم « حنين » ، وكان كافراً لم يسلم ذلك الوقت . وكانت خزاعة مسلمها وكافرها في جيش النبي ﷺ ، في غزوة « الفتح » ضد كفار أهل مكة . وقد صح عن النبي ﷺ انه قال : (**إنكم تصالحون الروم صلحاً آمناً وتغزون انتم وهم عدوًا من ورائكم فتنصرون وتغنمون**) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد صحيح .

ونصيحتي لأهل الكويت وغيرهم من المسلمين في كل مكان ولرئيس دولة العراق وجيشه أن

(٢٧) سورة النساء [٥٩] .
(٢٨) سورة الشورى [١٠] .
(٢٩) سورة المائدة [٥٠] .
(٣٠) سورة النساء [٦٥] .
(٣١) سورة النساء [٧١] .
(٣٢) سورة الأنفال [٦٠] .

كلمة وبيان فى الحوادث الراهنة

يجددوا توبة نصوحاً ، وأن يندموا على ماسلف من الذنوب ، وأن يقلعوا عنها ، وأن يعزموا عزماً صادقاً على عدم العود فيها ؛ لأن الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة قد دلت على أن كل شر فى الدنيا وكل بلاء وفتنة فأسبابه المعاصى وما كسبته أيدي العباد من المخالفة لشرع الله . كما قال الله ـ سبحانه : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾(٣٣) .

وقال عز وجل : ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(٣٤) .

وقال عز وجل : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٣٥) .

ولما وقعت الهزيمة يوم « أحد » على المسلمين وأصابهم ما أصابهم من القتل والجراح بأسباب إخلال الرماة بموقفهم وتنازعهم وفشلهم وعصيانهم أمر الرسول ﷺ لهم بلزوم الموقف وإن رأوا المسلمين قد انتصروا ، واستنكر المسلمون ذلك وعظم عليهم الأمر ، أنزل الله قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾(٣٦) ، يعنى يوم « بدر » ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣٧) .

وقد أخبر ـ سبحانه ـ فى كتابه العظيم أن التوبة سبب للفلاح وتكفير السيئات والفوز بالجنة والكرامة . فقال عز وجل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣٨) .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾(٣٩) .

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، الآية(٤٠) .

ومن أعظم مظاهر التوبة وأوجبها الإخلاص لله وحده في جميع الأعمال ، والحذر من الشرك كله دقيقه وجليله وصغيره وكبيره ، والعناية بالصلوات الخمس وإقامتها فى أوقاتها من الرجال والنساء ، والمحافظة عليها من الرجال فى المساجد التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، والعناية بالزكاة والصيام وحج البيت والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتناصح والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر عليه .

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يصلح أحوال المسلمين فى كل مكان ، ويصلح قلوبهم وأعمالهم ويمنحهم الفقه فى الدين ، وأن يصلح قادتهم جميعاً ، ويوفقهم لتحكيم شريعته ، والتحاكم إليها ، والرضا بها ، وترك ما يخالفها ، وأن يصلح لهم البطانة ، ويعينهم على كل خير ، ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم .

إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .. وصلى الله وسلم على نبينا وإمامنا وسيدنا إمام المتقين وقدوة المجاهدين وخير عباد الله أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(٣٣) سورة الشورى [٣٠] .
(٣٤) سورة النساء [٧٩] .
(٣٥) سورة الروم [٤١] .
(٣٦) سورة آل عمران [١٦٥] .
(٣٧) سورة آل عمران [١٦٥] .
(٣٨) سورة النور [٣١] .
(٣٩) سورة طه [٨٢] .
(٤٠) سورة التحريم [٨] .

للأستاذ الدكتور
عبد الحميد الغزالى



كآلية لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر

يدور الآن ، ومنذ سنوات قليلة ـ خاصة بعد ظهور المؤسسات النقدية والمالية والاقتصادية « الإسلامية » حوار حول (الفائدة المصرفية) من حيث كونها :
ربحاً حلالاً ام ربا محرماً .
ومن حيث جدواها كآلية لإدارة رشيدة للنشاط الاقتصادى المعاصر .
ولمناقشة موضوعية هادئة لهذه القضية الهامة ، يتعين ان نحدد ببساطة ووضوح العناصر الرئيسية لهذه المناقشة . وهى :
مفهوم الربا :
وطبيعة العمل المصرفى الحديث .
وجدوى آلية سعر الفائدة .
ثم أخيراً مدى فعالية معدل الربح .
وسوف أتناول كل عنصر من هذه العناصر ، على الترتيب .

مفهوم الربا :

الربا ـ اصطلاحياً ـ هو « **الزيادة بغير عوض فى عقود المعاوضات** » والربا فى القرآن او « الجاهلى » أو « الجلى » هو : ربا الدين أو القرض . وهو : « **الزيادة مقابل الأجل** » ، سواء كانت هذه الزيادة مشروطة ابتداء : أو محددة عند الاستحقاق للتأجيل فى السداد .
والربا بهذا المفهوم محرم فى كافة الأديان السماوية : لأنه يمثل أبشع صور أكل أموال الناس بالباطل ، ولذلك كان كبرى الكبائر فى

قضية القضـــايا الاقتصادية

الإسلام . فكل زيادة مهما قلت زادت عن أصل الدين فإنها تعد كسبا خبيثا . وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[1] .

والربا بهذا المفهوم محرم ، بغض النظر عن طبيعة القرض (استهلاكيا كان أم إنتاجياً) ، أو طبيعة طرفى عقد القرض : (افرادا كانوا ، أم افراداً وشركات ، أو دولا ، أو مؤسسات دولية) وبغض النظر عن حال أى أحد ، أو كل طرف من طرفى العقد « يُسْراً كانت أم عُسْراً » .

واخيراً بغض النظر عن تغير قيمة النقود (انخفاضا كان هذا التغير أم ارتفاعا) .

والربا بهذا المفهوم هو بحق « إيدز » المعاملات الاقتصادية المعاصرة ؛ فهو يفقد الحياة الاقتصادية مناعتها ، ويسلبها قدرتها على محاربة الأمراض الاقتصادية . ومن ثم :

يسود الإحساس بالاستغلال .

وتنخفض الإنتاجية .

وتنخفض كفاءة استخدام الموارد .

وتهدر الإمكانات الاقتصادية .

وتستفحل فى النهاية الاختلالات والمشكلات الاقتصادية .

طبيعة العمل المصرفى

وهنا نتساءل :

ما طبيعة عمل المصارف الحديثة ؟

والإجابة المباشرة هى : أن عمل المصارف الحديثة ـ تجارية كانت أم متخصصة ـ هو التعامل فى الائتمان أو الديون أو القروض .

والائتمان والدين هما جانبا القرض . فالائتمان هو جانب الدائن (المُقرِض) بالنسبة للقرض . والدَّيْن هو جانب المدين « المقترض » بالنسبة للقرض .

وعلى ذلك ، يحكم علاقة البنك بالمتعاملين معه « **عقد القرض** » فتعامل البنك مع عملائه يظهر فى تفاصيل مركزه المالى ، الذى يتمثل فى ميزانية البنك .

وتنقسم الميزانية إلى جانبين أو شقين : الموارد أو « الخصـــوم » ، والاستخـــدامـــات أو « الأصول » .

فبالنسبة للموارد : يحكمها أساساً عقد « القرض » . ويأتى الجزء الهام منها من المودعين . وهنا ، يكون المودعون مقرضين ، والبنك مقترضاً نظير فائدة يدفعها البنك « فائدة مدينة من وجهة نظره » باستثناء الودائع الجارية التى لا يدفع لأصحابها فائدة عادة . وبالنسبة لكل الودائع ، تعتبر يد البنك عليها « يد ضمان » ، أى يضمن البنك أصل الوديعة ، ويقدم فائدة على الودائع غير الجارية .

وفيما يتعلق بالاستخدامات يقوم البنك بإقراض الأموال التى تجمعت لديه للتجار والمستثمرين وغيرهم . ويدهم كمقترضين هى ـ بدورها ـ « يد ضمان » ، أى يضمنون أصل قروضهم ، ويدفعون فوائد للبنك (دائنة من وجهة نظره) والفرق بين مجموع الفوائد التى يدفعها البنك للمودعين ، ومجموع الفوائد التى يحصل عليها من مستخدمى موارده المالية يمثل **العائد الصافى للبنك**

وعليه ، ففى كل جانب من جانبى ميزانية البنك :

(أ) ديون ثابتة فى الذمة ، واجبة الرد بعد أجل معين .

(ب) وزيادة مشروطة ـ ابتداء أو عند

---

(١) البقرة ٢٧٩ .

الاستحقاق للتأجيل ـ على الدين مقابل الأجل .

ومن ثم ، فـ (عائد استخدام الدين) ـ إذا تحقق ـ يحل للمدين ؛ لأنه الضامن ، ولا يحل للدائن ، على أساس المبدأ الإسلامي الذى ينص بأن « الخراج بالضمان » ، أى أن العائد لا يحل إلا نتيجة تحمل المخاطرة . والمقرض ، عكس المشارك ، لا يتحمل مخاطرة .

ومن هنا ، ليس فى الإسلام ـ تأكيداً لتكافل اجتماعى حقيقى ـ سوى القرض الحسن . وأى قرض جر نفعاً فهو ربا . وإذا كان على رب المال مسئولية تنمية ماله وتثميره ، فعليه أن يقوم بهذه التبعة من خلال الاستثمار الإسلامى الحقيقى ، بالاشتراك بماله فعلاً فى (النشاط الإنتاجى) ، وتحمل نتيجة هذا الاشتراك ربحا كانت أم خسارة : لأن المال لا يلد فى حد ذاته مالاً ، وإنما يزداد او يربو حلالاً من خلال التوظيف الفعلى فى النشاط الاقتصادى ، وفقا لصيغ الاستثمار الإسلامى المختلفة القائمة على عقود المشاركة ، إذن ، المال ينمو من خلال نظام المشاركة ، وليس من خلال نظام المداينة بفائدة . وهذا هو جوهر عمل المصارف الإسلامية .

جدوى آلية سعر الفائدة

يرى بعض الاقتصاديين أن (سعر الفائدة) هو السعر الاستراتيجى فى النظام الاقتصادى المعاصر . فهو :

الجهاز العصبى للنظام المصرفى الحديث .

وهو الأداة الأساسية لإدارة النظام النقدى .

وهو العامل المؤثر فى المدخرات .

وهو المعيار الذى يضمن انتقاء اكفأ المشروعات .

وهو الذى سيخلص الدول النامية من مزيد من المديونية الخارجية ، وبالتالى من التبعية .

وهو الذى سيضمن فى النهاية اكفأ استخدام للموارد عن طريق أمثل توزيع لها .

وبالتالى ، تتحقق عمارة الأرض . وتتم مقومات القوة الاقتصادية ، ويتقدم المجتمع .

وبهذا التحديد والحسم ، تعد هذه الأداة « قدراً » محتوماً ، و« قضاء » غير قابل للرد ، كَتَبَهُ بعض الاقتصاديين على النظام الاقتصادى المعاصر .

وإذا ما حاول أىُّ نظام قائم الفَكَاكَ من هذا القدر المكتوب ، فسيقع بالتأكيد ظلم فادح على أصحاب الأموال ، وبالذات الدائنين . وسينهار النظام المصرفى ، ويشل النظام النقدى ، وتتلاشى المدخرات فى اكتناز « تحت البلاطة » أو تسرب إلى الخارج . مما يعرض الاقتصاد المتمرد على هذا « القَدَر » إلى الاضطرار إلى مزيد من المديونية الخارجية لتمويل العملية الاستثمارية ، على أساس سعر الفائدة . فلا مَفَرَّ من هذا « القدر » إلا إليه .

كما أن هذه المحاولة الفاشلة حتماً ـ فى نظرهم ـ سوف تؤدى إلى هدر اقتصادى . وذلك لأن « إلغاء الفائدة » يعنى أن رأس المال يصبح فى حكم المال المباح كالهواء ، ويعنى ايضاً فوضى فى اختيار المشروعات ، حيث لا تتجه الأموال بالضرورة إلى أعلى المشروعات إنتاجية وإنما اعلاها سلطة ونفوذاً . وفى النهاية ، سوف تعم الفوضى الاقتصادية ، ويزداد الفقر كفراً ، وتتعمق التبعية .

اى أن وجود النظام الاقتصادى المعاصر ، بنسقه ومؤسساته الحديثة ، مرهون بوجود سعر الفائدة . وغياب هذا السعر معناه ـ عند هذا البعض بوضوح ـ الدمار والفناء .

ومن منطلق أن كل نظام له ثوابته ومتغيراته ، وعلى أساس أن « النقود والبنوك » من متغيرات اى نظام ، لا يستطيع أحد أن يحرم على النظام الإسلامى الأخذ بمستحدثات العصر تبعا لمستجداته بدعوى أن المجتمع الإسلامى الأول لم يكن يعرف هذه النُّسُق . والمؤسسات . كما

قضية القضـــايا الاقتصادية

لا يستطيع أحد ، بالقوة نفسها ، أن يضع شرطاً مسبقاً كثمن أو مبرر للأخذ بهذه المستحدثات ، مؤداه أن يتخلى المجتمع الإسلامي عن ثابت من ثوابت نظامه الاقتصادي بدعوى أن هذه النُسُق والمؤسسات الحديثة لا يمكن أن تعمل بكفاءة ، أو حتى أصلاً ، إلا من خلال أداة سعر الفائدة .

وعليه :

لا أعتقد أن المدخل لهذه القضية هو : أن على المجتمع الإسلامي المعاصر - الذي لم يعرف أسلافه هذه المستحدثات ، وهو مضطر لها لكي يلحق بروح وركب العصر - أن يأخذها « كحزمة واحدة » بكل ما فيها ، حتى ولو كان في ذلك إسقاط واضح لثابت من ثوابت نظامه ، وإنما أزعم أن المدخل المنطقي والعادل يتمثل في التساؤل .

أولا : عن (ضرورة وفعالية سعر الفائدة في الأنظمة الاقتصادية المعاصرة) ومنها النامية .

وثانياً : عن إمكانية أخذ النظام الإسلامي بهذه المستحدثات دون حاجة إلى سعر الفائدة .

وهذا المدخل هو ما سأعتمده في عرضي التالي .

بالقطع ، ليس هذا مكاناً مناسباً لسرد ما هو معروف من خلافات جذرية واختلافات عميقة بين الاقتصاديين حول تعريف وتحديد ونظريات سعر الفائدة . ناهيك عن دورها وآثارها في النشاط الاقتصادي !!

ولا يجوز أن نقول - كما قال بعضهم : بعدم وجود هذا « الفيل الأبيض » إلا في مخيلة الحالمين . أو نؤكد ، كما فعل البعض الآخر ، بعدم وجود الفائدة كعنصر تكلفة في « الاقتصاد المسير » . ثم (نُمَنْطِقُ) - دون تبرير - القول بأن الفائدة بمثابة قطة سوداء في حجرة حالكة الظلام ، أعيت الباحثين عنها بلا جدوى : لأنها ببساطة غير موجودة أصلاً في هذه الحجرة .

كما لا يجوز أيضا أن نقول - كما قال البعض : إن سعر الفائدة ، كثمن أو إيجار لاستخدام النقود - التي لا تعد اتفاقا عنصرا من عناصر الإنتاج - يتحدد إدارياً من قبل السلطات النقدية ، هو « أصل » الأشياء : لدرجة اعتبار « كل » عائد من عوائد عناصر الإنتاج صورة أو أخرى من الفائدة . كما لا يجوز أن نشدد ، كما فعل البعض الأخر ، على أن « كل » أجزاء الدخل يمكن اعتبارها « فوائد » على قيم الملكية ، وعلى القيمة الراسمالية للإنسان .

ولكننا ، أمام هذين النقيضين المتطرفين من العدم والوجود ، ووسط ركام أو غابة التناقضات الخاصة بدوافع وأسباب وجود « سعر الفائدة » نسلم بوجود هذا « السعر » على أرض الواقع « المريض » - قوياً في الاقتصاديات الرأسمالية ، وعلى استحياء (ايديولوجى) في الاقتصاديات الاشتراكية ، وبضعف شديد في الاقتصاديات النامية .

وكانت نتيجة هذا الوجود ، ولأسباب أخرى ، انتشار مرض « الانكماش التضخمي » STAGFLATION في كل هذه الاقتصاديات ، بدرجات مختلفة ، وبصور ظاهرة أو مستترة ، كدليل واضح على سوء تخصيص واستخدام الموارد ، وكمؤشر لا يُخطىء على « عدم الاستقرار » النقدي والمالي والاقتصادي . مما أدى بصفة عامة - بالتالي - إلى حالة من الشلل المتزايد في نشاط الوحدات الإنتاجية ، وظلم فادح بأغلبية المتعاملين ، وتهديد حقيقي لعملية « التراكم الرأسمالي » ، وتعويق مشاهد لحركة النمو وعملية التنمية .

وبعيداً عن مثالية « باريتو » PARITO OPTIMALITY ونموذج « المنافسة الكاملة » القائم على حالة « التيقن التام » ، يرى جمهور

من الاقتصاديين أن « سعر الفائدة » لا يعتبر - على المستوى العملي - أداة فعالة لتخصيص الموارد بصفة عامة ، والأموال القابلة للإقراض لغرض الاستثمار على وجه الخصوص . بل العكس تماما هو الصحيح .

الفائدة أداة رديئة ومضللة

لقد توصل - كمثال على ذلك - « انزلر » J. ENZLER ، « كونراد » W.CONRAD ، و« جونسون » L.JOHNSON ، على أساس دراسات ميدانية ، إلى حقيقة أن رأس المال في الاقتصاديات المعاصرة قد أسيء تخصيصه إلى حد خطير بين قطاعات الاقتصاد وأنواع الاستثمارات - أساساً بسبب « سعر الفائدة » . فالفائدة أداة رديئة ومضللة في تخصيص الموارد ، تتحيز بصفة رئيسية للمشروعات الكبيرة على أساس « افتراض » غير مدروس بجدارتها الائتمانية . ومن ثم ، تعزز هذه الأداة الاتجاهات الاحتكارية .

فالمشروعات الكبيرة ، بحجة «مُلاءتها» ، تحصل في الواقع على قروض أكبر ، بسعر فائدة أقل ، بينما العكس تماماً يحدث بالنسبة للمشروعات المتوسطة والصغيرة ، التي يمكن أن تكون ذات إنتاجية أعلى ، وكفاءة أكبر ، ومُلاءةً أفضل . فتحصل هذه المشروعات على قروض أقل بكثير من احتياجاتها ، وبأسعار فائدة أعلى بكثير من طاقتها . وعلى هذا الأساس - وبدون دراسات جادة تذكر في ظل نظام الفائدة الثابت والمضمون - لا تنفذ الاستثمارات الأعلى جدوى والأكثر إدراراً للعائد (المتوقع) ، بسبب عدم القدرة على التمويل ، الذي يذهب إلى مشروعات أقل إنتاجية ، بل وأقل حاجة - نسبياً - إلى التمويل الخارجي . ولكنها أقواها سلطة وأكثرها نفوذاً .

بل أكثر من ذلك ، أكدت الاستقصاءات ، التي أجراها « ميد » J.E MEADE و « اندروز » P.W. ANDREWS ، أن رجال الأعمال يعتقدون أن (سعر الفائدة) ليس عاملا يذكر في تحديد مستوى الاستثمار .

أي أن المطلب على الاستثمار يعد « غير مرن » بالنسبة لسعر الفائدة لسببين :

الأول : كون سعر الفائدة يمثل نسبة ضئيلة من نفقة إحلال الاستثمار الجديد ، خاصة في حالة التقادم السريع .

والثاني : اعتماد كثير من المشروعات على التمويل الذاتي ، مما يجعل أثره كنفقة ضمنية على المال المستثمر محدوداً .

وبالنسبة لعرض الأموال القابلة للاستثمار ، أي الادخار ، يرى جمهور من الاقتصاديين ، مع كينز ، أنه « غير مرن » عادةً لسعر الفائدة ، وتشير الدلائل الإحصائية إلى عدم وجود ترابط إيجابي كبير بين الفائدة والادخار . ويؤكد « سامولسن » P.SAMUELSON ذلك بقوله : إن بعض الناس يقل ادخارهم بدل أن يزيد ، حينما تزيد أسعار الفائدة ، وأن كثيرا من الناس يدخرون المبلغ نفسه تقريباً بغض النظر عن مستوى سعر الفائدة ، وأن بعض الناس يميلون إلى خفض استهلاكهم إذا وُعدوا بأسعار أعلى . ثم يستطرد قائلاً : « إن المبادىء الاقتصادية وحدها لا يمكن أن تعطينا تنبؤاً حاسماً . فكل الدلائل توحي بأن مستوى الفائدة يميل في قراريْ الاستهلاك والادخار إلى إبطال تأثير كل منهما على الآخر » .

وحتى لو افترضنا ترابطاً إيجابياً كبيراً بين الفائدة والادخار ، أي وجود تفضيل زمني إيجابي قوي لدى جمهور المستهلكين ، كما يعتقد الكثير من الاقتصاديين ، فإن إصرار أصحاب الأموال ، المدخرين ، على الفائدة الثابتة المضمونة بعد - خاصة في الاقتصاديات التي يتحدد فيها سعر الفائدة تحكمياً وعشوائياً

قضية القضـــايا الاقتصادية

وتتعرض لموجات تضخمية متصاعدة ـ أمراً غير منطقى وغير مفهوم ، لأن هذا يعنى ببساطة : إصراراً غريباً من مدخرين غاية فى الغرابة على استمرار انخفاض ـ إن لم يكن انهيار ـ مستوى معيشتهم نتيجة الأثر التآكلى المتزايد للتضخم على أموالهم . فالسعر « الحقيقى » للفائدة (أى السعر الاسمى ناقصاً معدل التضخم) يصبح ـ إن عاجلا أو آجلا ـ سالبا وبمعدلات متزايدة خلال الزمن . أى أن الأموال الحقيقية لهؤلاء المدخرين تتناقص باستمرار من عام لآخر .

وليس الوضع أفضل حالاً إذا ما تغيرت أسعار الفائدة . إذ يقع الظلم نتيجة توزيع العائد بين المدخـرين (المقرضـين) والمستثمرين (المقترضين) ، والذى يتم من خلال الوساطة المالية للبنوك ، بسبب تغير أسعار الفائدة ، سواء بالارتفاع أو بالانخفاض . ومن ثم ، يؤدى ذلك ، فى النهاية ، إلى تباطؤ التكوين الرأسمالى :

ففى دراسة قام بها « ليبلنج » H.LEIBL-ING للتجربة الأمريكية ، وجد أن ارتفاع أسعار الفائدة كان مانعاً كبيراً من الاستثمار . ففى فترة الدراسة (١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ م) ، بلغت مدفوعات الفوائد (ثلث) العائد الإجمالى على رأس المال ، مما أدى إلى تآكل فى « ربحية الشركات » ـ وترتب على ذلك هبوط نسبة رأس المال المخاطر فى التمويل الكلى (أى مجموع : الأسهم والقـروض) ، وانخفاض التكـوين الرأسمالى . وأدى هذا الانخفاض إلى دخول الاقتصاد الأمريكى فى « دورة » نزولية من انخفاض فى الإنتاجية ، أدى إلى انخفاض فى القدرة على تعويض التكلفة المرتفعة لرأس المال المقترض ، مما ترتب عليه انخفاض جديد فى الربحية ، وانخفاض متزايد فى معدل التكوين الرأسمالى .

والعكس تماماً صحيح ، من حيث الأثر لأسعار الفائدة المنخفضة على عملية التكوين الرأسمالى . هنا ، يقع الظلم أساساً على المدخرين الذين يوظفون أموالهم فى الإقراض . كما تشجع هذه الأسعار على الاقتراض للاستهلاك ، وعلى تدنى نوعية الاستثمارات ، مما يعمل بالتالى على تخفيض معدلات الادخار الإجمالية . ويؤدى ، فى النهاية ، كما أكد أحد تقارير « الجات » G.A.T.T ، إلى سوء استخدام رأس المال ، وإلى هبوط مستمر فى معدل التكوين الرأسمالى .

وكإجراء مصحح للاختلالات الهيكلية (تضخماً كانت أو انكماشاً) ، يتفق معظم الاقتصاديين على أن درجة فعالية سعر الفائدة « محدودة » ، خاصة فى حالة الانكماش . فالسياسة النقدية والائتمانيـة ، باتفـاق الاقتصاديين ، هى جوهر عمل البنك المركزى . وتعنى ببساطة (عملية التحكم) فى العرض الكلى للنقود ، أى كتلة أو كمية النقود فى المجتمع ، وذلك للتحكم فى الائتمان بما يتفق واحتياجات مستوى النشاط الاقتصادى « المرغوب فيه » .

ويتم ذلك من خلال تسهيل وتشجيع الحصول على القروض ، خاصة قصيرة الأجل ، فى حالة الانكماش ، وتقييد وعدم تشجيع منح هذه القروض فى حالة التضخم ، من خلال تغيير سعر الفائدة . ويتم هذا التغيير بطريق مباشر ، أى « سعر البنك » ، وهو سعر الفائدة الذى يقرض البنك المركزى على أساسه مجتمع البنوك ، أو بطريق غير مباشر ، من خلال أدوات ـ كمية ونوعية ومعنوية ـ أخرى معروفة .

و« محدودية » فعالية هذه السياسة عملياً فى

التأثير على حجم ونوع الائتمان ، وبالتالى مستوى النشاط الاقتصادى ، ترجع - فى حالة التضخم - إلى أن العائد من الائتمان ، فى صورة استثمارات مربحة ، أكبر نسبياً من سعر الفائدة . ومن ثم ، يعد سعر الفائدة غير كاف ، كعنصر تكلفة ، للحد من التوسع فى الائتمان .

أما فى حالة الانكماش ، فهذه المحدودية أكثر وضوحا . ويرجع ذلك إلى أن كافة المتعاملين من « بنوك » ومشروعات وأفراد لا يتوافر لديهم الحافز على الاقتراض ، وهو إمكانية تحقيق ربح فوق تكلفة الائتمان ، فى هذه الظروف .

ومن ثم ، لا يكفى أن يقدم البنك المركزى الائتمان بشروط مشجعة ، أو حتى « مجاناً » فى حالة كساد حاد ، لكى يقبل المتعاملون على استخدامه فعلاً . وكما يقول المثل الإنجليزى : يمكن أن تحضر الحصان إلى الماء ، أو تحضر الماء إلى الحصان ، ولكن لا يمكن أن تجبره على أن يشرب .

ويختلف الوضع كثيراً ، فى الواقع ، بالنسبة للدول النامية . إذ بالرغم من وجود نظم نقدية ومصرفية فى هذه الدول ، نجد أن كثيراً من الشروط الأساسية للفعالية المحدودة أصلاً للسياسة النقدية والائتمانية إما غائبة تماماً ، أو متوافرة بصورة بدائية .

ومن ثم ، تعد « محدودية » فعالية هذه السياسة أشد حدة ووضوحاً فى هذه الدول ، فالمشكلة هنا ، باتفاق الاقتصاديين ، ليست بالقطع مشكلة نقدية ، وإنما مشكلة هيكلية . فما تحتاج إليه هذه الدول ليس زيادة فى الإنفاق النقدى لكى تخرج من ركودها المزمن ، وإنما إحداث تغيير هيكلى فى العملية الإنتاجية عن طريق التنمية . فالقضية هنا ليست قضية « طلب » بقدر ما هى أساساً مسألة « عرض » ، بمعنى العمل على رفع درجة استغلال الموارد الإنتاجية المتاحة . وفى هذا الإطار ، يمكن للسياسات النقدية والمالية والتجارية الرشيدة ، كما سنشير فيما بعد ، وليس عن طريق سعر الفائدة ، أن تؤدى دوراً مفيداً فى هذه العملية .

سعر الفائدة من عوامل عدم الاستقرار

إذاً ، فمن حيث آثاره السلبية على عملية التكوين الرأسمالى ، وعدم فعاليته فى معالجة الاختلالات التضخمية والانكماشية ، يعد سعر الفائدة ، فى رأى عدد ليس بالقليل من الاقتصاديين ، من أهم عوامل « عدم الاستقرار » فى الاقتصاديات المعاصرة ، فلقد تساءل « فريدمان » M. FRIEDMAN ، فى بداية الثمانينيات ، عن : أسباب السلوك الطائش الذى لم يسبق له مثيل للاقتصاد الأمريكى . ورد على تساؤله بقوله :

« **إن الإجابة التى تخطر على البال هى السلوك الطائش المساوى له فى أسعار الفائدة** » . فالتقلبات فى سعر الفائدة تؤثر مباشرة فى سوق الاستثمار ، فيسوده قدر كبير من الشكوك . مما يجعل من الصعب اتخاذ قرارات استثمارية طويلة الأجل بثقة ، أو التخطيط الجيد لمستقبل الأعمال .

ويرجع « سيمونز » H. SIMONS السبب الأساسى للكساد العالمى العظيم فى الثلاثينيات إلى : « تغيرات الثقة التجارية الناشئة عن نظام ائتمانى غير مستقر » . وأكد على اعتقاده بأن خطر الاضطراب الاقتصادى يمكن تفاديه إلى حد كبير إذا لم يتم اللجوء إلى الاقتراض ، ولاسيما الاقتراض قصير الأجل ، وإذا ما تمت الاستثمارات كلها فى شكل تمويل ذاتى وبالمشاركة (أى من خلال حقوق الملكية : الحصص أو الأسهم) .

وحول المعنى نفسه ، شدد « مينسكى » H. MINSKY على حقيقة أن قيام كل مشروع

قضية القضايا الاقتصادية

بالتمويل الذاتى لرأسماله العامل ، والتخطيط الرشيد لاستثمار أرباحه غير الموزعة ، يفرز نظاما مالياً قوياً . ولكن لجوء المنتجين إلى التمويل الخارجى عن طريق الاقتراض يعرض النظام لعدم الاستقرار .

ولقد تجسدت هذه الحقائق فى السبعينيات . فعندما ارتفعت أسعار الفائدة خلال هذه الفترة ، انخفضت نسبة الاستثمار الثابت المحلى الإجمالى من الناتج المحلى الإجمالى للدول الغربية ، كما انخفض بصفة عامة معدل النمو الدولى . وعليه ، كان الأداء الاستثمارى الضعيف ، لتآكل ربحية المشروعات بسبب ارتفاع أسعار الفائدة هو العامل الرئيسى للنمو البطىء المشاهد خلال الفترة .

وهذا يؤكد ، فى رأى الكثير من الاقتصاديين ، أن « الربح » وليس « الفائدة » هو المحرك الأساسى لديناميكية الإنتاج والنمو فى الاقتصاديات الرأسمالية ، بل وفى « غيرها » من الاقتصاديات ـ وإن اختلفت المفاهيم والتعريفات والنظريات .

ولقد أيدت الدراسات التطبيقية التى قام بها الجهاز المصرفى الأمريكى ، هذا الرأى . إذ ثبت من هذه الدراسات وجود ارتباط إيجابى قوى بين مستوى الاستثمار ومستوى الأرباح . ويرجع ذلك إلى « الأرباح غير الموزعة » التى تتيح للمشروع تدفقا نقدياً يساعده على التمويل الذاتى . ففى الولايات المتحدة ، خلال الفترة (١٩٧٧ ـ ١٩٨٠ م) ، ولدت الأرباح غير الموزعة ، بالإضافة إلى مخصصات استهلاكات الأصول ، فى الشركات المساهمة ، مورداً نقدياً داخلياً صافياً بلغ خمسة أمثال الأرباح الموزعة . ومن إجمالى الإنفاق الاستثمارى فى الشركات غير المالية ، فى عام ١٩٨٠ م ، والبالغ نحو (٢٩٩) بليون دولار ، كان النصيب النسبى للتمويل الداخلى (٨٧٪) ، ونحو (٤٪) زيادة فى رأس المال . أما القروض ، فكان نصيبها الباقى ، أى حوالى (٩٪) فقط .

وعلى ذلك ، يمكن القول باطمئنان أن « الربح » هو القوة الأساسية الموجهة لقرارات المستثمرين ، ليس فقط كمعيار لجاذبية الاستثمار وإنما أيضاً لأنه مصدر تمويلى هام .. ولقد أيدت نتائج دراسة قام بها « ميلر » J. MILLER على (١٢٧) مشروعا هذا الرأى بشكل واضح ومباشر . إذ وجد أن نحو (٧٧٪) من هذه المشروعات استخدمت مفهوم « معدل الربح » عند اتخاذ قراراتها الاستثمارية .

وأخيراً ، يؤكد « تيرفى » R.TURVEY أن السعر النقدى للفائدة ليس هو المتحكم فى الاقتصاد . فسعر الفائدة لا يصلح ، ولم يكن مناسباً ، لقرارات الاستثمار .

وعليه ، يجب أن يحل محله « سعر » الأصول الحقيقية الموجودة ، أو المستوى العام لأسعار الأسهم . ومن ثم ، يكون لدينا « نظرية عامة » تحتل فيها أسعار الأصول الحقيقية ، لا الأصول الورقية ، مركز الصورة أو الصدارة . إذاً « الآلية » الحقيقية والفاعلة هى « الربح » وليس « الفائدة » . وهذا ينقلنا إلى جانب الربح من قضيتنا ، محل المناقشة .

يتبع

أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا

للأستاذ الدكتور
أحمد الحفناوى

ليس من اليسير تحديد الحدود الجغرافية ، تحديدا دقيقا بالمصطلحات الجغرافية التقليدية، لمنطقة غرب افريقيا ؛ ذلك لانه لا توجد هناك حواجز جغرافية طبيعية - فى الشرق او فى الشمال - يمكن اعتبارها علامات بارزة تحدد بجلاء اتساع الأقاليم التى تشملها هذه المنطقة .. ولم تكن الصحارى ، او النهران الكبيران : « النيجر » و« السنغال » ، اللذان يجريان بمحازاة حافة الصحارى الجنوبية - الى اى يوم من الايام - لتعطل انتقال الشعوب المختلفة او تعرقل تجارتها .

ومن هنا كان لتلك الصورة الجغرافية الهامة تأثيرها الملحوظ فى تاريخ وحضارات البلاد فى هذه المنطقة ، عبر العصور ومن المعروف أن تاريخ الدعوة إلى الإسلام بين الأفارقة يكتنفه بعض الغموض ، ويبدو أن البربر كانوا اول من ادخلوا الإسلام إلى تلك البلاد التى يرويها نهرا : النيجر والسنغال ، حيث اتصلوا بممالك وثنية كان بعضها عريقا فى القدم مثل : « سنغهاى » ، وكانت القبيلتان البربريتان : (لمتونة) و(جدالة) اللتان تنتميان إلى (صنهاجة) ، تعملان على نشر الإسلام بين الناس ، مدفوعتان بحماستهما الدينية .

وقد أخذ الإسلام ينتشر - بعد ذلك - فى هذه البلاد منذ القرن الثالث الهجرى بعد أن أقام الكثير من التجار العرب والمهاجرين من قبائل البربر فى المدن والمراكز التى نشأت عند نهايات الطرق التى تعبر الصحراء الكبرى وتسير فيها القوافل إلى بلاد « السودان الغربى » ، آتية من الشمال الأفريقى .. وفى أواخر القرن الرابع الهجرى ، توقف انتشار الإسلام قليلا ، بسبب ثورات البربر ، وحروب الروم ، وفتن ملوك المغرب ؛ ولكنه عاد واستأنف همته فى القرن الخامس الهجرى ودخلت فيه قبائل الصحراء وأسست فى البلاد ممالك ومراكز كبيرة كان لها اثرها الطيب فى نشر الدعوة الإسلامية ، ويمكن القول : بأن هذه النهضة كانت بين القرنين : الخامس والحادى عشر الهجريين ، كما أن بعضها كان فى القرن الرابع الهجرى ايضا ،



أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية

وكان مجالها بين الزنوج فى بلاد « السودان الغربى » وغرب أفريقيا على وجه العموم .

وقد اتصلت مصر « بغرب أفريقيا » ، ووضحت هذه الصلات أكثر ما وضحت فى العصر المملوكى الذى شهد تطور العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا فيه تطورا بعيدا ، حيث كانت محاصيل أفريقيا الوسطى والسودان الغربى مادة من مواد التجارة التى ارتكزت عليها عظمة الدولة المملوكية ، التى كانت تبيعها للتجار الأوروبيين الجنويِّين من « نسبة إلى جَنَوه » ، والبنادقة « نسبة: إلى البُنْدقية » ، وغيرهم بأسعار مرتفعة ، وكان العاج من أهم صادرات تلك الجهات إلى مصر ، كما ذهب التجار المصريون بسلعهم إلى بلاد : « الكانم » و« مالى » و« التكرور » ..

وكان الحج من أهم عوامل تدعيم العلاقات بين « مصر » وبين هذه البلاد ، ذلك لأن حُجَّاجهم كانوا يمرّون بها فى طريقهم إلى الحجاز ، وبعد عودتهم منه ، وقد حَج كثير من مشاهير سلاطينهم فى هذه الجهات ، واتصلوا أثناء مرورهم بمصر بالسلاطين ووجوه الناس والعلماء وكانت لهم « بمصر » مراسلات سجلها « ديوان الإنشاء » ، وممن زار مصر فى طريقه إلى الحج « مِنْساهُوسى » سلطان « مالى » أو « التكرور » وإسكيا محمد سلطان « سنغهاى » وقد تأثر الأخير بهذه الزيارة إلى حد بعيد : تأثر بما رآه فى « مصر » من أسباب الحضارة وما سمعه فيها من علم ، وما لمسه من تقدم ، حتى إذا عاد إلى بلاده عمد إلى تطبيق ما اقتبسه : من نظم الحكم فى بلاده ، وتشبه بالخليفة العباسى فى ملبسه ومطعمه وكان قد لقيه فى مصر وتلقى منه التقليد والخلعة ، واعترف به حاكما شرعيا على بلاده وعندما عاد إلى عاصمة ملكه ، ارسل إليه رسولا خاصا من قبله .

وتعتبر قافلة الحج التى أوفدت إلى « مصر » بصحبة السلطان « منساموسى » من أروع مظاهر ثراء هذا العاهل الأفريقى :

كان ذلك فى العام السابع عشر من حكمه (سنة ٧٢٣هـ) ، وقد رافق السلطان حشد كبير من الوزراء والعلماء والأتباع ، وقدر بعض المؤرخين عددهم بحوالى ، اثنى عشر الف شخص !

مر السلطان فى رحلته هذه بـ« ولته » و« توات » و« رجلة » فـ« سرته » على شاطىء البحر المتوسط واتجه منها مساحلا إلى الاسكندرية ثم إلى القاهرة ، والقاهرة يومئذ مركز الحياة الإسلامية ، وكعبة العلماء ورجال الآداب ، ولما وصل إليها استقبله الأمير : أبو العباس أحمد بن الحاكى المهندار الذى ندبه السلطان « الناصر محمد » للإشراف على ضيافته ثم قدم « للناصر محمد » عدة هدايا منها : حمل كبير من الذهب الخام ، ولم يترك أميرا أو صاحب وظيفة إلا نفحه من الذهب !!

واستقبله الأهالى ، أينما سار بكل مظاهر الحفاوة التى تليق بمقام الضيف الجليل ، وكان يرى ممتطيا جوادا ، يسبقه خمسمائة من العبيد يحمل كل منهم ، قضيبا من الذهب زنة الواحد خمسمائة مثقال « أوقية » ، وكان العاهل سخيا خيرا ينفق المال من يديه ، ويهب المنح إلى كل من يتصل به ، وكأنه لم يسع من وراء ذلك إلا إلى الظهور بمظهر السلطان الكبير الذى يحكم دولة عظمى دون أن يكون له هدف سياسى .

وقد عمل « الناصر محمد » كل ما فى وسعه لراحة ضيفه وحاشيته طوال مدة إقامتهم فى « مصر » . ويذكر « القلقشندى » أخبارا مفصلة

لتلك الزيارة ، نقلها عن « المهندار » ، الذى كلف بمرافقة السلطان :

قال لى المهندار : خرجت للتقاه من جهة السلطان ، فأكرمنى إكراما عظيما ، وعاملنى بأجمل الآداب وكنت أحاوله فى الطلوع إلى القلعة للاجتماع بالسلطان ، حسب الأوامر السلطانية ، فأبى وقال : جئت للحج لا لغيره ، ولم أزل به حتى وافق على ذلك ، وتقدم إلى السلطان فقام له ، وأجلسه إلى جانبه ، وتحدثا طويلا ، وبعد ذلك .. أرسل إليه وإلى أصحابه ، الخلع الكاملة ، والخيل المسرجة الملجمة .

ولما أن أوان الحج ، بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم وهُجُن « إبل » قوية كاملة العدة لمركبه ولأصحابه ، وأزواد جمة وفيرة ... وأمر أمير الركب بإكرامه واحترامه .

ولما عاد بعث إلى السلطان بهدايا من الحجاز تبركا ، فبعث إليه بالتحف والأمتعة الأخرى وعاد إلى بلاده[1] .

وذكر ابن أمير حاجب والى مصر : أنه كان معه مائة حمل ذهبا أنفقها فى سفرته تلك على من بطريقه من القبائل ثم بمصر والحجاز : تَوَجُّهًا وعودة حتى احتاج إلى القرض فاستدان على ذمته من أحد التجار بما له عليه من مكاسب ، ذكر بعض المؤرخين : أن السلطان « منساموسى » ظل متمسكا بجميع مظاهر الأبهة بفضل العون الذى زوده به أحد تجار الاسكندرية ، وقد توفى هذا التاجر فى « مسوفة » أثناء صحبته « للسلطان » فى طريقه لبلاده ، مما جعل السلطان ، يدفع ما عليه لهذا التاجر ، إلى ولده فى مصر !![2] .

لقد أقبل « السلطان » على شراء الرقيق من النساء ، وكذلك الأقمشة الحريرية ، وكان يدفع أضعاف الأثمان لما يشتريه ، وإن أثناء إقامته هبط سعر الذهب - فى مصر - عن ثمنه العادى لوفرة ما وجد منه ، وظل منخفضا مدة طويلة .

دور الأزهـــــــر

ومن اللافت للنظر أن هذا السلطان انتهز الفرصة فى هذه الرحلة واشترى جملة من الكتب الدينية ليوفر لأهل بلاده ، مناهل الثقافة الإسلامية ، وتبع ذلك ، تبادل العلماء بين : القاهرة « وتمبكتو » : بين « الأزهر » و« سنكورى » وغيرها من « المدن » والمراكز الإسلامية فى كل غرب أفريقيا !!

لقد ظل الناس فى « مصر » يذكرون هذه الرحلة وما أحاطها ، وكأنها من الأحداث الأسطورية ، كما أخذوا يتناقلون أخبارها سنين طويلة ، كذلك فإن المؤرخين عنوا بتدوينها ، وبالرغم من أنها لم تكن أول رحلة يقوم بها « سلطان » من بلاد السودان الغربى إلى الشرق الإسلامى إلاّ أن بعض الباحثين اعتبرها : استهلالا بارعا لعلاقات قوية بين البلدين ، شملت فيما بعد كافة المجالات الحيوية ، من ثقافية وسياسية واقتصادية ، وأصبح دخول « مصر » بالنسبة لحجاج غربى أفريقيا لا يعنى فقط مجرد مرور عابر إلى « مكة » و« المدينة » ، وإنما أصبح فى نظرهم اتصالاً عميقا ومباشرا بحضارة عربية إسلامية متطورة ، وبتراث إسلامى عميق الجذور[3] ، ويبدو أن السبب وراء هذه النظرة الخاصة لمصر ، هو مكانتها فى نفوس المسلمين كافة ، حيث أنها كانت فى ذلك الوقت قد أصبحت فى ظل حكم المماليك لها ، أقوى نفوذا على المسرح السياسى ، ساعدها على ذلك ، ماكانت تحظى به من موقع جغرافى فريد

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى : جـ٥ : ص ٢٧٩ - ٣٠٠ .
(٢) ابن بطوطة : مهذب الرحلة : ص ٢١٦ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ووقائع الدهور : ط : الثانية ، تحقيق محمد مصطفى القاهرة ١٩٦٣ : ط : ص ١٦٣ .

أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية

جعلها قلب العالم الإسلامي النابض ، والقوة المسيطرة على التجارة بين الشرق والغرب ، فضلاً عن أنها كانت مقر الخلافة العباسية وحامية حمى الحرمين الشريفين ، في الحجاز والأماكن المقدسة في القدس بفلسطين ؛ ناهيك عن وجود الأزهر الشريف ، قلعة العقيدة الإسلامية وحافظ القرآن والسنة ، ومعقل آمال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

ذلك كله جعل من الطبيعي أن تقوم بين مصر - بثقلها الثقافي والحضاري - وبين الدول الإسلامية في بلاد السودان الغربي وغرب افريقيا ، علاقات قوية متنوعة في شتى المجالات ، تأسيساً على الآثار الحميدة التي تركها انتشار الإسلام في هذه المنطقة (٤) .

وقد نتج عن توثيق العلاقات : السياسية والاقتصادية ، أن ازداد حجم التبادل التجاري بين بلاد السودان الغربي ومصر ، حتى صارت العملة السودانية تحظى بثقة رجال المال والاقتصاد في مصر ، الأمر الذي جعل منها عملة متداولة فيها ، لجودة عيارها وثبات قوتها الشرائية في الأسواق المصرية ، حتى أن السلطان المملوكي « برسباي » عندما أراد إصلاح أحوال العملة في مصر (سنة ٨٢٦هـ) قرر الا يتعامل إلا بالدراهم المصكوكة « بالديار المصرية » ، والشامية ، وتبطل ما سوى ذلك خلا الدراهم المصكوكة في « مالي » أو « بلاد التكرور »(٥) .

ولعل أبرز الدلائل الواضحة التي لا تزال قائمة إلى اليوم ، والتي تنبيء عن عمق وقوة الصلات ، بين هذه البلاد وبين « مصر » ، عبر العصور ، بقاء تلك الآثار الثابتة لبعض سكان منطقة السود ان الغربي في « مصر » : مثل حي بولاق الدكرور ، والمحرفة عن كلمة : التكرور ، نسبة إلى إقليم : التكرور « مالي » في غرب افريقيا !!(٦) .

وهو حي ، ينسب إلى أحد صلحاء التكرور الذين دفنوا في مصر وهو الشيخ العالم : « ابو محمد يوسف بن عبد الله التكروري » الذي عاصر الخليفة : العزيز بالله الفاطمي ، فلما توفي بني له قبة ومسجداً عُرف باسم جامع التكروري ، وقد جدد هذا المسجد ووسع في عهد المماليك البحرية (سنة ٧٤٣هـ) ..

كذلك من الدلائل القوية على هذه العلاقات ، وجود رواق خاص بأبناء بلاد « التكرور » في الأزهر الشريف ... وأيضاً مدرسة (ابن رشيق في فسطاط مصر) بخط (حمام الريش) ، وهي مدرسة أنشأها الحجاج التكاررة على نفقتهم الخاصة ، لتدريس الفقه المالكي ، وللإقامة فيها عند مرورهم بمصر .

ذكر الحافظ التركماني :

« .. أن بعض أبناء هذه البلاد حصل على حق المواطنة في مصر ، حتى أصبحوا شخصيات

---

(٤) د . محمد محمد أمين : علاقات دولتي « مالي » و« السنغهاي » في عصر سلاطين المماليك : بحث في مجلة الدراسات الافريقية العدد ٤ : القاهرة سنة ١٩٧٥ : ص ٢٨ .

(٥) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان : جـ ٣ ص ٢٤ : تحقيق الدكتور : حسن حبشي : القاهرة .

(٦) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة : جـ ٢ : ص ٣٠٤ ، فاي متصور علي : « إسكيا الحاج محمد وإحياء الدولة الإسلامية في السنغهاي » : ص ٢٣٥ ، رسالة دكتوراه لم تنشر .. مقدمة إلى جامعة الأزهر سنة ١٤٠٨هـ .

بارزة تتولى بعض المراكز الهامة فى الجيش المملوكى المصرى ![7] .

منهم عنبر التكرورى ، الذى رقاه « قايتباى » إلى نائب مقدم المماليك ثم صار مقدماً بعد ذلك ، وكانت الصلات الثقافية بين مصر والأزهر من جهة وبين هذه البلاد من جهة أخرى أهم وأقوى ، فقد غدت « مصر » فى القرن التاسع الهجرى موئل التفكير الإسلامى فى الشرق ، وكان « الأزهر » كعبة المسلمين ، فلن يكن بغريب أن يقصده الطلاب من غرب أفريقيا ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المسلمين ، وكان أهل « التكرور » ، أسبق الجماعات اتصالاً « بمصر » والأزهر فى هذه الناحية ، حيث استقرت منهم جماعات فيها لتشهد حلقات العلم فى « جامع الأزهر » .. كما وفد بعضهم عليها بقصد الانقطاع والعبادة والانتظام فى سلك الطرق الصوفية .

ويمكننا القول : بأن الثقافة ـ فى هذه البلاد ـ كان طابعها عربياً صرفا لم تُداخله اية تاثيرات أخرى ، لسبب واضح هو : أن هذه الشعوب التى اعتنقت الإسلام ، وتشربت ثقافته ، لم تكن لها تقاليد ثقافية مثل تقاليد « الإيرانيين » أو « الإغريق » ـ مثلا ـ التى أثرت فى الثقافة العربية فى بيئات الشرق الأدنى ، والأوسط .

كذلك فإنه يمكن القول بأن هذه الثقافة العربية ، التى حملت إلى هذه البلاد وتقبلها أهلها كما هى ، تعود جذورها : إلى ينابيع الشرق الإسلامى عن طريق الأزهر الشريف ، وبلاد الحجاز ، ثم تفاعلت كلها فى وحدة حضارية جامعة ، جعلت من هذه البلاد منذ قرون بعيدة جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامى الكبير .

لقد قدم الشرق بتقاليده الجامعية والدينية الثرية ـ لهذه البلاد ـ عونا كبيراً فى سبيل تطوير لغة الضاد والتمكن منها ، بوصفها الأداة الوحيدة لتحصيل العلوم والمعارف الإسلامية ، فكان الأزهر وجهة جذب لأساتذة « سنكورى » بمدينة « تمبكتو » ، وغيرها من مراكز الثقافة الإسلامية فى عدد من بلاد السودان الغربى ، وغرب أفريقيا على وجه العموم ، وكان يقيم فيه كبار العلماء الذين تلقوا على أيدى جهابذته شتى العلوم الدينية واللغوية ..

العلامة الإمام السيوطى :

وكان العلامة « جلال الدين السيوطى » من اقوى علماء مصر والشرق أثرا فى مجريات الأمور فى تلك البلاد ، وقد تعارف معه « إسكيا محمد » « سلطان السنغهاى » ، أثناء مروره « بالقاهرة » وهو فى طريق عودته من الحجاز بعد أداء فريضة الحج ، وتوطدت علاقة الصداقة بينهما منذ تلك اللحظة ، وتناقشا حول بعض شئون الحكم والجهاد ، وتنبأ « السيوطى » له بعظيم الملك ، فى بلاد « السنغهاى » ، واستمرت المراسلات بينهما بعد ذلك حتى إنه ليذكر : أن « إسكيا محمد » لم يكن ليقدم على إبرام أمر ذى شأن يتعلق بالحكم ـ بعد هذا اللقاء مع « السيوطى » ـ إلا بعد الاتصال به وأخذ مشورته ، حوله[8] .

وكانت للسيوطى ، مراسلات مماثلة مع سلاطين آخرين فى هذه البلاد ، مثل « إبراهيم تورى » من أهل « كتسينا » والسلطان « محمد تاسيفانه » وغيرهما .. وكانت آراؤه ، تنطوى على بُعد نظر ومعلومات واسعة !!

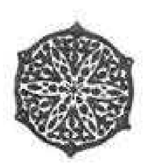
(٧) التركمانى : دور الإسلام فى التاريخ : جـ ٢ : ص ١٧٧ .

(٨) محمود كعت : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .. وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور .. تحقيق هوداس ط : باريس ١٩١٣ ص ٣٥ .

أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية

ولا يعنى هذا أن الثقافة الإسلامية والمدارس والمراكز التى كانت قائمة عليها فى هذه البلاد ، لم تتأثر بصلات أو بإنتاج مراكز إسلامية أخرى ؛ ولكنها تأثرت أيضا ـ وبوضوح ـ بثقافة بلاد المغرب ، وهذا طبيعى ، لأن الإسلام دخل هذه البلاد من المغرب ، فحمل معه تقاليد المغرب وثقافته ؛ تلك التقاليد والثقافة التى كانت كلها تدور حول فقه الإمام « مالك » والعلوم المساعدة الأخرى التى تخدم هذا الفقه ، وتساعد على فهم هذه الثقافة التى وضحت فى : « القيروان » وانتقلت منها إلى المغرب الأقصى والأندلس ، حملها البربر معهم إلى غرب افريقيا ، فغلبت على الثقافة فيها وقل أن تجد هناك مذهبا إلا مذهب « مالك » ، وفقها إلا فقه « مالك » : الفقهاء مالكيون فى حياتهم وتقاليدهم ، وإنتاجهم وتآليفهم وتدريسهم ، والشعوب مالكية تتأثر بهؤلاء الفقهاء ، وتستهدى بهم ، وتراجم العلماء والفقهاء التى وردت فى كتاب « نيل الابتهاج » أو فى تاريخ « السعدى » أو « الفتاش » تعطينا هذه الصورة المالكية الصرفة ، حتى القلم العربى المستخدم ، كان هو القلم المغربى ، ويجب ألّا ننسى ـ فى هذا الصدد ـ أن ثقافة بلاد المغرب هذه ، كانت نتاجا لثقافة « مدارس الفسطاط » و« الأزهر » فى مصر ، وثقافة الحرمين الشريفين فى الحجاز ؛ أى أنها مشرقية المنبع !!

ومن الملاحظ أن الثقافة الإسلامية فى هذه البلاد الأفريقية لم تكن أقل غزارة وعمقا من الثقافة التى كانت منتشرة فى « مصر » أو فى « الحجاز » أو فى بلاد « المغرب » ، يتضح ذلك من نماذج العلماء والفقهاء الذين تعرضت لهم كتب التراجم ، حيث ثبت أنهم لا يقلون فى مستواهم واستعدادهم ، وتحصيلهم عن إخوانهم ، فقد تلقوا نفس التعليم ، وقرأوا نفس الكتب ، وعاشوا نفس الحياة ، وعرفوا بالإخلاص الشديد والحرص على التعليم ، واقتنوا المكتبات العظيمة ووقفوها على المتعلمين[٩] .



(٩) السعدى : تاريخ السودان : تحقيق : هوداس : باريس ١٨٩٨ : ص : ٢٢٩ ، ٢٢٣ .

٢

إنكار ابن سبأ..
نقش على الماء

للأستاذ
أحمد عرفات القاضى

قلنا : إن فلهوزن ومن تابعه من المستشرقين وغيرهم انطلقوا فى نفيهم لوجود شخصية عبد الله بن سبأ اعتمادا على رواية سيف بن عمر التى رواها الطبرى وعنه أخذ جميع المؤرخين وكتاب الفرق فى زعمهم . وقالوا : إن القُصَّاص المسلمين كانت لديهم الرغبة فى إضافة الأخطاء إلى شخصيات يهودية لتبرئة المسلمين من هذه الأخطاء .

وعلى هذا فالفتنة فى رأيهم كانت عربية وكان التمرد على سيدنا عثمان تمردا طبيعيا ـ نتيجة لانحرافه عن الحق ـ قام به المظلومون من المسلمين ، وأن كبار الصحابة كعلى وطلحة والزبير كانوا يتمنون النهاية التى انتهت إليها الأحداث .

وللرد على ذلك نقول :

أولا : إن رواية سيف بن عمر التميمى كما **رواها الطبرى هى : فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى قال : كان عبد الله بن سبأ يهوديا** من أهل **صنعاء ، أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز** ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى اتى مصر فاعتمر فيهم[٢٥] . وأنه قال لهم : إن محمدا سيرجع ، وأن عليا وصى محمد ، وأن عثمان أخذها بغير حق من صاحبها فيقول : ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله ـ ﷺ ـ فانهضوا فى هذا الأمر فَحَرِّكُوه وابدءوا بالطعن على امرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر[٢٦] .

وحجة فلهوزن واتباعه ممن شككوا فى وجود ابن سبأ أن سيف بن عمر هو راوى هذا الخبر وعنه أخذ باقى الرواة ولكى يذهب فلهوزن إلى تجريح سيف ينتقل من (التاريخ) إلى (الحديث) ويستند إلى تضعيف من ضعف سيفا فى (علم الحديث) ليسقط بذلك رواية فى (التاريخ) وهذا ضرب من البله لا يقول به

إنكار ابن سبأ

عالم ؛ فإذا كان ثمة عالم فى العربية ، أيسقطه ضعفه فى الانجليزية ؟!

إن الإجماع قائم على أن سيفا حجة فى التاريخ ، فلا يضيره أن يكون ضعيفا عند بعض العلماء فى (الحديث) ، ثم بعد : فهل إذا انفرد برواية واحدة عن ابن سبأ ؟

ألم ترد رواية أخرى عن وجود ابن سبأ ودوره فى الفتنة غير رواية سيف ذلك الذى سماه الوضاع ؟ هذا ما سنناقشه فى الصفحات التالية ، الحقيقة غير ذلك تماما فإن هناك اكثر من رواية أخرى وردت عن ابن سبأ لدى المؤرخين وكتاب الفرق من غير طريق (سيف بن عمر) وهذا شىء منها :

١ ـ روى الجاحظ من طريق الشعبى ـ وكان ذا نزعة شيعية إلا انه كان من العدول وكان يكره الشيعة ويحذر منهم ويتهمهم بالكذب فى الحديث ـ قال : عن حبابة بن موسى عن مجالد عن الشعبى عن زحر بن قيس قال : قدمت المدائن بعدما ضرب على بن أبى طالب رحمه الله فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى : ما الخبر ؟ قلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها .. قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا انه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[٢٧] . هذه رواية الجاحظ .

٢ ـ واورد البغدادى من طريق الشعبى ايضا(*) قال وقد ذكر الشعبى أن عبد الله بن السوداء كان يعيش السبابية[١] على قولها وكان ابن السوداء فى الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فيذكر لهم انه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصيا ، وأن عليا هو وصى محمد ﷺ وأنه خير الأوصياء كما ان محمدا خير الأنبياء[٢٨] وأن هذا القول كان سبب إقبال شيعة علىٍّ عليه ، لهذا طالبوا عليا بتقريبه ، وقالوا له : إنه من محبيك ولكن عليا لما علم غلوه فيه هم بقتله فنهاه ابن عباس .

يقول البغدادى ـ وهو ممن ظن أن ابن سبأ غير ابن السوداء ـ كما يفهم من قوله فلما سمع ذلك منه شيعة على قالوا لعلى : إنه من محبيك فرفع علىٌّ قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه عنه غلوه فيه ، فهم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له : إن قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك ، فلما خشى من قتله ومن قتل ابن سبأ ؟ الفتنة التى خافها ابن عباس **نفاهما إلى المدائن** فافتتن بهما الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه . وقال لهم ابن السوداء : والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته[٢٩] .

ويروى البغدادى عن أهل السنة قولهم بأن

* ولا يضيرنا هنا ما وقع من التباس فى ظن الشعبى أو غيره ، ان ابن سبأ غير ابن السوداء ، فالقليل من الإنصاف يجعل هذا اللبس دليلا على وجود ابن سبأ من ناحية ، وعلى دهائه وخبثه من ناحية اخرى ، خاصة ان ابن سبأ كان يلقب بابن السوداء .

(١) اى السبئية .

ابن السوداء كان يهوديا وكان يريد إفساد دين المسلمين فيقول : قال المحققون من اهل السنة ان ابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، واراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى علىّ وأولاده لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام فانتسب إلى الرافضة السبابية حين وجدهم أعرف أهل الأهواء فى الكفر(٣٠) .

هذه هى رواية البغدادى عن ابن سبأ من طريق الشعبى وهى تختلف عن رواية سيف بن عمر التميمى .

٣ - والقمى « سعد بن عبد الله » اقدم مؤرخى الشيعة فى القرن الثالث الهجرى توفى سنة ٣٠١ هـ روى أن السبئية هى أول فرقة فى الإسلام قالت بالغلو فى الأئمة ؛ فيقول عن الغلاة :

فرقة منها قالت : إن عليا لم يقتل ولم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وهى اول فرقة قالت فى الإسلام بالوقف بعد النبى « ﷺ » من هذه الأمة ، واول من قال بينهما بالغلو وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن وهب الراسبى الهمدانى

وساعده على ذلك عبد الله بن حرس وابن اسود وهما من أجلة أصحابه(٣١) .

لاحظ قول القمى بوجود شخصيتين هما : ابن سبأ وابن أسود .

ويرى القمى : أن ابن سبأ أول من أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وادعى أن عليا - عليه السلام - أمره بذلك وأن التقية لا تجوز ولا تحل فأخذه علىّ فسأله عن ذلك فاقر به وأمر بقتله فصاح الناس إليه من كل ناحية يا أمير المؤمنين اتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره علىّ إلى المدائن(٣٢) .

والقمى يروى لنا أنه روى هذه الرواية عن جماعة من أهل العلم اى انه لم يَتَلَقَّهَا عن شخص واحد بعينه وعلى هذا فهى رواية تختلف عن رواية سيف بن عمر التى رواها الطبرى فيقول :

وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ، ووالى عليا ، وكان يقول - وهو على يهوديته فى يوشع بن نون وصى موسى - بهذه المقالة فقال فى إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فى علىّ بمثل ذلك ، وهو أول من شهر بالقول بفرض إمامة علىّ بن أبى طالب ، واظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه ، واكفرهم فمن هاهنا قال من خالف الشيعة : أن اصل الرفض مأخوذ من اليهودية(٣٣) .

ويروى القمى ما قاله ابن سبأ وأصحابه حينما بلغهم نبأ موت الإمام على فيقول :

ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعى علىّ - وهو بالمدائن ، وقدم عليهم راكبا فسأله الناس فقال ما خبر أمير المؤمنين قال : ضربه أشقاها ضربة قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها ثم اتصل خبر موته فقالوا - للذى نعاه : كذبت

ياعدو الله لوجئتنا بدماغه ضربة فاقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض(٣٤) .



◆ إنكـــار ابـــن ســبـــأ

ثم يضيف إلى ما سبق انهم مَضَوْا من يومهم حتى أناخوا بباب علىٍّ فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته ، الطامع فى الوصول إليه فقال لهم من حضره من اهله وأصحابه وولده : سبحان الله ما علمتم أن امير المؤمنين قد استشهد ؟ قالوا : إنا لنعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه وأنه ليسمع النجوى ويعرف تحت الديار العقل ويلمع فى الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام[٣٥] .

هذا ما حكاه القمى أقدم مؤرخى الشيعة .

٤ ـ كذلك فإن النوبختى كان هو الآخر من رجال الشيعة فى القرن الثالث الهجرى وقد اتفق مع القمى فى القول عن السبئية بأنها اول فرقة مغالية فى الإسلام ، وأنه اظهر الطعن على الصحابة وأمر علىٌّ بقتله فصاح الناس فسيَّره علىٌّ إلى المدائن .[٣٦] .

والنوبختى قد نقل لنا عن ابن سبأ أيضا نفس الرواية التى رواها القمى إلا انه زاد فنسب ما رواه عن جماعة من اصحاب الإمام علىٍّ فيقول :

وحكى جماعة من أصحاب علىٍّ ـ عليه السلام ـ أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا ـ عليه السلام ـ وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علىٍّ عليه السلام وأظهر البراءة من اعدائه وكاشف مخالفيه ، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال ـ للذى نعاه : كذبت لوجئتنا بدماغه فى سبعين صرة واقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض[٣٧] .

روايتان وردتا ـ على الأقل باعتبار أن رواية الجاحظ والبغدادى واحدة ورواية القمى والنوبختى كذلك ـ فى كتب التراث قديما عن ابن سبأ بخلاف رواية سيف بن عمر التميمى ، وأول ما نلاحظ عليهما انهما تتفقان فيما بينهما ـ ما عدا الرواية التى رواها الجاحظ ؛ لأنه لم يتحدث عنهم إلا حينما وصلهم نعى الإمام علىٍّ وهم بالمدائن ـ على ما يأتى :

١ ـ إن ابن سبأ كان يهوديا فأسلم ـ أورد الطبرى أنه أسلم زمن عثمان ـ وأنه كان يقول فى يهوديته بوصية يوشع بن نون .

٢ ـ أنه أول من قال بأحقية الإمام على بن أبى طالب بالخلافة وإن عَبَّر عن ذلك القمى والنوبختى ـ مؤرخا الشيعة ـ بأنه أول من أشهرها .

٣ ـ أنه أول من أظهر الطعن على الصحابة وأبى بكر وعمر وعثمان .

٤ ـ إن الإمام علىٌّ نفاه إلى المدائن وكان يريد قتله ـ لولا شيعته ـ أو لولا ابن عباس كما يرى البغدادى .

٥ ـ إنه أنكر خبر وفاة الإمام علىٍّ حينما بلغه بالمدائن .

فإذا نظرنا إلى هذه الروايات نجد أن رواية البغدادى تتفق مع رواية سيف التى رواها

الطبرى فى أنه كان يريد أن يفسد على المسلمين دينهم ولكن الطبرى ينفرد بخبر أنه تنقل فى البلاد فذهب إلى الحجاز والبصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر فجاء مصر ، واعتمر بهم ، وقال لهم : انهضوا فى هذا الأمر وابدأوا بالطعن على امرائكم .

وانفرد البغدادى بالقول بأنه قال : سينبع لعلىّ فى مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته .

كذلك انفرد القمى بالقول بأنهم أتوا إلى باب علىّ ، واستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع فى الوصول إليه ، وأنهم أنكروا على أهله وأصحابه خبر موته .

وقال القمى والبغدادى بوجود شخصيتين هما ابن سبأ وابن السوداء فإذا نظرنا إلى هذه الزيادات التى انفرد بها البعض دون الكل نجد أن ما انفرد به الطبرى والبغدادى من أنه كان يريد أن يفسد على المسلمين دينهم متضمن فى الأقوال السابقة التى اتفق عليها الجميع وهى أنه أول من أحدث القول بالوصية والرجعة والطعن على الصحابة .

وأما ما زاده الطبرى من أنه تنقل فى البلاد حتى أتى مصر ، واعتمر بهم وقال لهم : إن عثمان أخذها بغير حق ، وأن عليا هو الوصى ، وانهضوا فى هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا[٣٨] فإن هناك من الروايات التى وردت لدى أقدم مؤرخى مصر ما يعضد ذلك ـ فقد روى عمر للكندى أن ابن أبى حذيفة كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبى ـ ﷺ ـ ثم يبعث الرجال ويأتون فيقولون : إنها من عند أزواج النبى . وأنه لا يقرأها إلا فى المسجد ، وأمام الناس فيقول : حدثنى الليث عن عبد الكريم بن الحارث الحضرمى أن ابن أبى حذيفة كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبى ـ ﷺ ـ ثم يأخذ الرواحل فيضمرها ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحهم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا : ليس عندنا خبر ، الخبر فى الكتب . ثم يخرج محمد بن أبى حذيفة والناس كأنه يتلقى خبر أزواج النبى ـ ﷺ ـ فيجتمع الناس فى المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القارىء بالكتاب فيقوم أولئك الشيوخ من نواحى المسجد بالبكاء ثم يقول ثم ينزل عن المنبر وينفر الناس بما قرىء عليهم[٣٩] .

ويرى أنه جمع جيشه وذهب به إلى المدينة فيقول : « واجمع محمد بن أبى حذيفة على بعث جيش إلى عثمان وقال : من يشترط فى هذا البعث . فكثر عليه من يشترط فقال : إنما يكفينا منكم ستمائة رجل فاشترط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس[٤٠] . وأنهم بعد أن ارتكبوا جريمتهم عادوا وقالوا : إنا لم نقتل عثمان ولكن قتله الله . فيقول : « ثم قتل عثمان ـ رحمه الله ـ وكان قتله فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، ثم إن الركب انصرفوا إلى مصر فلما دخلوا الفسطاط ارتجز مرتجزهم » .

خذها إليك واحذرنْ أبا حسنْ
إنا نمر الحرب إمرار الرسن
بالسيف كى نخمد نيران الفتن

قال يزيد بن أبى حبيب : فلما دخلوا المسجد صاحوا إنا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله ، فلما

إنكار ابن سبأ

رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن خديج عليهم وبايعوه فكان أول من بايع على الطلب بدم عثمان(٤١) .

وهذا يعضد رواية الطبرى عن تنقل ابن سبأ فى البلاد ، والمعلوم أن جميع الوفود كانت قد همت بالرجوع إلا أن وفد مصر رفض وهم الذين اقتحموا الدار على سيدنا عثمان رضى الله عنه وقتلوه ، فليس هناك أى شك فى صحة هذه الزيادة التى أتى بها الطبرى .

هذا إلى جانب أنه من المعلوم أن من يكيد ويدبر لابد أن يتحرك لينفذ مؤامرته .

أما ما زاده البغدادى من أن ابن سبأ قال : إنه سينبع لعلىٍّ عينان تفيضان عسلا وسمنا يغترف منهما شيعته ، وما قاله القمى : إنهم أتوا إلى باب على وأنكروا على أهله خبر موته ؛ فإن العقل لا يمنع من قبول مثل هذه الأخبار كما أن نفيها لا يطعن فى صحة ما سبق من أخبار عن ابن سبأ وعن نشاطه فى تحريك الفتنة .

وأما قول البغدادى والقمى بوجود شخصيتين هما عبد الله بن سبأ وعبد الله بن السوداء فمجرد لبس بسيط من الممكن حدوثه وخاصة انه من المعلوم أن ابن سبأ كان هو صاحب لقب ابن السوداء أيضا .

وعلى هذا فإن فلهوزن واتباعه ممن ذهبوا إلى إنكار وجود ابن سبأ لم يكونوا منصفين ولا موضوعيين فكانوا بما خطوه لأنفسهم أسرع إلى كشف نواياهم وبخاصة حينما أخذوا برواية واحدة دون سائر الروايات الأخرى . وهذا ما يتنافى مع الأمانة العلمية والموضوعية التى يتشبثون بها كما يتنافى مع حرية الرأى والنزاهة العلمية والتدرى فى البحث . فإذا أضفنا إلى ما سبق أن هذه الكتب التى روت الروايات الأخرى التى أشرنا إليها كانت متوافرة وموجودة فى ذلك الوقت ، الذى سار فيه اللغط والجدل حول شخصية ابن سبأ ، فإن فلهوزن ورفاقه واتباعه كانوا يثيرون مثل هذه القضايا لحاجة فى نفس يعقوب ، وهى كما قلنا تهييء العالم الإسلامى لاستقبال اليهود رغبة أو رهبة .

المصادر والمراجع

٢٥ ـ تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤٠ طبعة دار المعارف .
٢٦ ـ المصدر السابق ٤/٣٤٠ ، ٣٤١ .
٢٧ ـ البيان والتبيين ٨١ الجزء الثالث تحقيق عبد السلام هارون .
٢٨ ـ الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ .
٢٩ ـ الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
٣٠ ـ المصدر السابق ص ٢٢٦ .
٣١ ـ المقالات والفرق ص ٢٠ .
٣٢ ـ المصدر السابق نفس الصفحة .
٣٣ ـ المصدر السابق نفس الصفحة .
٣٤ ـ المصدر السابق ص ١٠ ، ٢١ .
٣٥ ـ المصدر السابق ص ٢١ .
٣٦ ـ فرقة الشيعة ص ٤٣ ، ٤٤ للنوبختى .
٣٧ ـ المصدر السابق ص ٤٤ .
٣٨ ـ تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤٠ ، ٣٤١ .
٣٩ ـ الولاة والقضاة ص ١٤ ، ١٥ .
٤٠ ـ المصدر السابق ص ١٧ .
٤١ ـ المصدر السابق ص ١٨ .

يهود اليمن

للدكتور محمد حسن عبد الخالق

تعددت أقوال المؤرخين في اسباب ظهور الديانة اليهودية في اليمن وهي قضية خلافية بين العلماء :

فيرى الدكتور جواد على ان فلسطين امتداد طبيعي لشبه الجزيرة العربية ، ومن الطبيعي اتصال سكانها بشمال الجزيرة العربية ، وانتقال طوائف يهودية إلى غرب شبه الجزيرة للاتجار او الإقامة هناك(1) .

ويؤكد هذا الراى النقوش التى اكتشفت في حفائر «بيت شعاريم»* والتى تثبت وجود طوائف يهودية في اليمن في بداية القرن الثالث بعد الميلاد - اى في أيام «المشنا» وقد كشفت هناك عن قاعة بها قبور «حميرية» وجدت فيها شهادات واضحة ان بعض يهود حمير احضروا موتاهم لدفنهم في فلسطين ، ففي إحدى الكتابات باليونانية «نجيد حمير» اى زعيم اليهود في حمير، مما يشهد بانه في فترة المشنا في القرنين الثانى والثالث ، اهتم يهود اليمن بان يشتروا لهم قبورا في فلسطين ، وهذا يدل على العلاقات بين يهود اليمن وفلسطين(2) .

ويبدو أن بعض يهود اليمن عندما كانوا يهاجرون إلى فلسطين كانوا يأخذون معهم رفات أعزائهم في صناديق خشبية لدفنها هناك ، اعتقادا منهم بأن من يدفن خارج فلسطين ستظل روحه هائمة يوم البعث .

ويقرر المستشرق «بروك» وهو من علماء القرن الثامن عشر : أن دولة حمير اليهودية ظهرت في القرن الأول قبل الميلاد . لكن غيره يعارض هذا الرأى بقوله : انه لو صح ذلك لكان يوسف المؤرخ اليهودى قد تناول هذه الدولة بالذكر مثلما اشار إلى ظهور دولة أرامية متهودة على أطراف



(1) على . جواد (دكتور) : تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٦ ، القسم الدينى ، المجمع العراقى ١٩٥٦ ، ص ٧ .

* وتقع جنوب شرق حيفا نقلاً عن :
Atlas of Israel : Edited, Drewn and printed by Survey of Israel, 1970 .

(2) Roth Cecil : The Standard Jewish Encyclopedia .
Massada pub, Com., Jerusalem, T.A., 1962 . P. 1939.

يهـــود اليمـــــن

نهر الفرات النائية من فلسطين وهى دولة «حديب» .

ويقرر كذلك العالم (سلفستر دى ساسى) أن ظهور اليهودية فى اليمن لم يسبق القرن الثانى بعد الميلاد ، لكن المؤرخ اليهودى «شيفر» ينكر صحة هذا الرأى ويؤكد انه لو حدثت هناك دولة يهودية فى القرن الثانى بعد الميلاد لملأ التلمود صحائف غير قليلة بذكر أخبارها ، فخلو التلمود من هذه الظاهرة التاريخية أعظم دليل على عدم وجودها فى قرون تأليفه ، علما بأن ختام التلمود كان فى القرن الخامس بعد الميلاد[٣] .

وهناك مقال ناقض فيه العالم «بيرون» جميع من ذكرنا من العلماء وغيرهم ، وانتهى فيه إلى أن دولة حمير اليهودية لم تظهر إلا فى القرن الخامس بعد الميلاد ، ويستدل بما ذكره الطبرى فى هذا الشأن قائلاً :

« إن أحيحه الذى قاتل تبان أسعد أبى كرب » ملك حمير وصاحب الدعوة اليهودية طلق زوجته «سلمة» فذهبت إلى مكة وتزوجت من هاشم بن عبد المطلب جد النبى محمد (ﷺ) وهذا يدل على أن مقاتلة تبان أسعد لأهالى يثرب ، إنما كانت حوالى القرن الخامس بعد الميلاد ثم ما ذكره الطبرى من أنه كان لتبان أسعد بنون ثلاثة (حسن وعمرو وذرعة) وذرعة هذا حسب رواية ابن هشام هو ذو نواس ، آخر ملوك حمير»[٤] .

ومن هنا لا يثبت بأى حال من الأحوال أن هذه الدولة قد عاشت قبل القرن الخامس بعد الميلاد ولاشك أن حجة بيرون أقوى .

وقد كتب جريتس يقول : «إنه ليس من المستبعد ان يكون التجار من أبناء إسرائيل قد أسسوا مدنا غنية لتبادل التجارة مع الهند فى جنوب الجزيرة العربية باليمن ، وخاصة المدن المهمة مثل (مأرب) و(صنعاء) ومن المحتمل أن تأسيس مستوطنة يهودية فى اليمن كان أيام ملوك يهوذا الذين ارسلوا سفنا فى البحر الأحمر إلى «أوفير» ارض الذهب[٥] .

فى حين انه لم يثبت لدينا ان احدا من ملوك يهوذا ارسل سفنا إلى «أوفير» إلا سليمان ، علاوة على أن عصر سليمان ـ على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ـ لم يكن عصر تجارة بالمعنى المعروف ، وفى عصر سليمان كانت التجارة تمارس بواسطة الفينيقيين تصديرا واستيرادا ، وبعد موت سليمان انقسمت المملكة على بعضها وضعفت التجارة[٦] .

كما يقول (جاكوف دى هاس) أنه ابتداء من القرن الخامس الميلادى كان هناك ثلاثة آلاف يهودى فى هذه المنطقة ، ولم يتحدث التاريخ عن هذا إلا بعد حكم صلاح الدين الأيوبى عندما كتب عنهم الحاخام موسى بن ميمون .

---

(٣) ولفنسون . إسرائيل : تاريخ اليهود فى بلاد العرب ـ مطبعة الاعتماد ١٩٢٧ ، ص ٣٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٥) صادوق . موشيه : يهود اليمن ، تاريخهم وأسلوب حياتهم (يهودى تيمان ، تولدوتيهم وأورحوت حييهم) دار نشر عم عوبيد ، تل ابيب ، ١٩٦٣ ، ص ١٨ .

(٦) ظاظا . حسن (دكتور) ، والسيد عاشور : اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، ١٩٧٥ ص ٨٥ .

وهناك قول آخر بأن جماعة يهودية سكنتها سنة ٢٠٠ ميلادية وزاد عددها فى القرن السادس(٧) .

ومما سبق فليس هناك إجابة شافية وعلينا أن نكتفى بما جاء فى الأساطير وهى كثيرة وسنحاول الإشارة إلى بعضها .

«تقص إحدى الأساطير اليهودية أن ٧٥ ألف يهودى منهم الكهنة واللاويون قد ذهبوا إلى اليمن فى عهد النبى (ارميا) ، وحينما دعا (عزرا) هؤلاء اليهود للعودة للقدس رفضوا ، فحرمهم نهائيا من حقوقهم المدنية ، وعلى أية حال تقول الروايات التقليدية أن (عزرا) حرمهم من الدفن فى فلسطين عقابا لهم ، ونتيجة لهذه الرواية التى لا تستند إلى أصل تاريخى ، فإن الآباء لا يسمون أطفالهم فى اليمن باسم (عزرا) على الرغم من أن كل الألقاب (التوراتية) موجودة هناك(٨) .

وأن هؤلاء المهاجرين دخلوا اليمن قبل خراب الهيكل الأول بأربعين عاما ، وأنهم كانوا مسلحين ، وتحصنوا فى قلعة (النقم) وأقاموا لهم حكومة هناك حتى جاء الإسلام .

وانتقال هذا العدد الخيالى من فلسطين إلى اليمن لم يرد فى أى مصدر علاوة على المبالغة فيه .

وتشير أسطورة أخرى إلى الأسرى اليهود الذين أرسلهم (بختنصر) ملك بابل إلى جنوب الجزيرة العربية .

وعن هذا كتب (يسحاق بن تسفى) يقول : « إن هذه الأسطورة تؤكد الأدلة السابقة ، بأنه فى داخل جيوش ملك بابل قد شغل أبناء «يهوذا» مكانا معلوما سواء بين الأسرى الذين أجلوا بواسطة بختنصر أو بين سكان يهوذا(٩) .

وعلى وجه العموم تعد الطائفة اليهودية فى اليمن من أقدم الطوائف اليهودية فى العالم ، وبداية الاستيطان اليهودى هناك تغلفه الأساطير ، ويدعى يهود اليمن نسبتهم إلى هؤلاء الذين رافقوا ملكة سبأ عند عودتها من زيارة الملك سليمان(١٠) .

وبعض المؤرخين يؤكد هذا استنادا لما جاء فى التوراة ، فى سفر الملوك(١١) وأخبار الأيام الثانى(١٢) وكذلك قصة سليمان مع ملكة سبأ فى القرآن الكريم(١٣) .

ويزعم أهل الأخبار أن تبعا اسمه (تبان أسعد أبو كرب) اهتدى إلى هذه الديانة أثناء مروره بيثرب عندما كان عائدا إلى اليمن من حروب له فى الشمال ، ومنذ ذلك الحين صارت اليهودية ديانة رسمية للبلاد(١٤) .

كما تزعم بعض الروايات أن حبرين من أحبار بنى قريظة وهما عالمان راسخان فى العلم قد هديا (التبع) إلى دين اليهود وأقنعاه بترك عبادة الأوثان ، وذلك أثناء غزوه ليثرب فتأثر بما سمع

البقية ص ٧٠٦

(7) Jacob De Haas : Encyclopedia of Jewish Knowledge, 1934 , P, 640 .

(8) The Jewish Encyclopedia, New York, London, 1905 , Vol, 12, P, 593 .

(٩) صادوق : نفس المرجع ، ص ١٨ .

(١٠) عبده ، على إبراهيم (دكتور) : يهود البلاد العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٣٤ .

(١١) ملوك أول : الإصحاح العاشر .

(١٢) أخبار الأيام الثانى : الإصحاح التاسع ١ ـ ١٢ .

(١٣) سورة النمل : ٢١ ـ ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٤ .

(١٤) جواد ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .

مقارنة القوات في معارك الفتح الإسلامي

للدكتور: محمد بهاء الدين حنفي •

يكاد يجمع المستشرقون والكتاب الغربيون على رفض ما ورد بكتب المؤرخين المسلمين الأوائل عن المعارك الحربية التى دارت أثناء الفتح وبخاصة ما تضمنته من أرقام . وهم يقصدون من وراء ذلك التشكيك فى هذه المراجع حتى يتسنى لهم صياغة تاريخ الفتح فى الإطار الذى يخدم أهدافهم ، وتكاد حججهم لا تخرج عما ذكره « الجنرال جلوب » حيث يقول : « لم يكن لدى العرب ايام الفتح أية سجلات او نظام للتوثيق ، ولم يكن التاريخ يهمهم فى قليل أو كثير - ويضيف :

إنهم لم يعنوا كثيراً بالمعارك العسكرية ولم يهتموا بالتواريخ والأرقام والحقائق - ثم يقول :

على الرغم من ميلهم إلى إعطاء الأرقام القريبة من الصحيحة بالنسبة إلى قوات المسلمين ، إلا أنهم كانوا ميالين كل الميل إلى المبالغة فى تقدير قوة اعدائهم ..»[1] ويتضح الهدف من إلصاق تهمة المبالغة بالمؤرخين المسلمين من خلال عبارة ساخرة ذكرها المستشرق الالمانى « فلهوزن » تعليقاً على بعض ما ورد بكتاب المؤرخ البيزنطى « تيوفانيس » حيث يقول :

« من السهل أن نفهم المقصود من ذلك ، وهو إثبات القاعدة الكبرى ، وهى ان النصر من عند الله فهو الذى يلقى الرعب فى قلوب الفئة الكبيرة من الكافرين امام الفئة القليلة من المؤمنين ..»[2] .

وهى بلاشك محاولة لهدم القاعدة الإيمانية لمفهوم الجهاد فى الإسلام .

وللأسف ، نجد أن الطعن والتشكيك فى كتب المؤرخين المسلمين الأوائل ، انتقلا إلى كتابات العديد من المفكرين العرب . فمثلاً :

• الكاتب لواء أركان حرب سابقا.

يصف « د . طه حسين » كتب المؤرخين المسلمين بأنها : « أشبه بالقصص منه بتسجيل حقائق الأحداث » ، ويعلن شكه الكامل فى كل ما جاء بها عن تاريخ المواقع الحربية ، ثم يُعدد حججه فى أسلوب أدبى بليغ فإذا بها تتطابق تماماً مع آراء المستشرقين ويقول :

إنه لا سبيل أبداً إلى إيراد الأعداد الإحصائية سواء لقوة الجيوش أو عدد القتلى أو الأسرى خاصة فى ذلك العصر الذى لم تكن مناهج البحث والاستقصاء معروفة فيه »[٣] .

وإذا كان « د . طه حسين » ينهى بذلك أى أمل فى البحث عن حقيقة الأحداث فى كتب المؤرخين المسلمين ، فإن العديد من المفكرين المسلمين دعوا إلى البحث من جديد . فالأستاذ « سيد قطب » يعبر عن ذلك بقوله : « يجب أن تعاد كتابة التاريخ الإسلامى على أسس جديدة كى تعطى كل أسرارها وإشعاعاتها ، وتنكشف بكل عناصرها ومقوماتها .»[٤] .

إن القضايا التى طرحها المستشرقون والمستغربون للطعن فى كتب المؤرخين المسلمين عن معارك الفتح عديدة ومتشعبة ولا يتسع تناولها فى مقال واحد . ونكتفى بمناقشة إحداها فى هذا المقال ، وهى : (**تهمة المبالغة فى تضخيم اعداد جيوش الروم والفرس والإقلال من عدد الجيش الإسلامى**) ، لأن هذه القضية تمثل محوراً هاماً يدور حوله الطعن فى كتب المؤرخين المسلمين . وحتى يكون الرد موضوعياً ، سوف نستند فى معظمه إلى ما ورد من بيانات فى مراجع الطاعنين انفسهم .

وكمدخل للموضوع ، علينا أولاً أن نعلم : أنه بجانب العديد من العوامل التى تتحكم فى تحديد حجم القوات المسلحة لأية دولة ، تظل نسبة هذه القوات إلى التعداد السكانى للدولة من أبرز العوامل ، وبالتالى : فإن استنتاج حجم الجيوش التى كان فى مقدور المسلمين أو الفرس أو الروم حشدها خلال معارك الفتح بناءً على عدد السكان فى ذلك الوقت ، يعتبر مدخلاً موضوعياً لدراستنا . وطبقاً لدراسة معاصرة يتضح أن حجم القوات المسلحة فى الدول الغربية مقارناً بالعدد الإجمالى للسكان يمثل فى زمن السلم نسباً تتراوح بين ٠,٤٪ و١,٦٪ وتصل إلى ٧٪ وأكثر بعد استكمال التعبئة فى زمن الحرب[٥] وعلى الرغم من أن هذه النسب لم تكن معروفة فى عصر الفتح ، فإن المساواة فى تطبيقها على كلا الجانبين يقلل أى احتمال للمبالغة . بل وأكثر من هذا ، وحتى لا نقع فى شبهة التحيز ، سوف نأخذ فى دراستنا بنسبة التعبئة فى زمن السلم (١٪) لنطبقها على جيوش الفرس والروم ، بينما نفترض لجيوش المسلمين نسبة التعبئة فى زمن الحرب (٥٪) .

حجم قوات الروم

إن أول ما يلفت النظر ، ذلك التضارب الكبير فى البيانات الواردة بالمراجع الغربية عن حجم جيش الروم . وقد فسر ذلك المؤرخ الإنجليزى « ستيفن رنسيمان » بأنه كان أمراً مقصوداً للاحتفاظ بسرية عدد الجيش حتى لا يستفيد الأعداء[٦] كما أن تلك المراجع لم تورد رقماً محدداً أو متفقاً عليه عن إجمالى سكان الإمبراطورية فى زمن الفتح الإسلامى ، وهو ما سوف نحاول استنتاجه .

لقد قدر « إدوارد جيبون » تعداد سكان الإمبراطورية الرومانية عام ٤١ م بحوالى (١٢٠ مليون) نسمة ، معظمهم من سكان الولايات ، ولم تكن الحدود الرومانية فى ذلك الوقت قد بلغت أقصى اتساعها الذى بلغته عام (١٠٠ م) ..

مقارنة القوات فى معارك الفتح الإسلامى

وبانقسام الإمبراطورية عام (٣٩٥ م) إلى شرقية وغربية ، اخذت الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية) طريقها إلى القوة والاتساع ، وورثت اهم البلاد والولايات ذات الكثافة السكانية العالية من الإمبراطورية القديمة ، واصبح لها ولايات فى آسيا وافريقيا[٧] وبذلك لا يكون من المبالغ فيه تقدير سكان الإمبراطورية البيزنطية بحوالى (٨٥ مليون) نسمة مع بداية القرن السابع اى بعد مرور حوالى ستة قرون على التقدير الذى ذكره « چيبون » ، اى ان الروم كان فى وسعهم حشد جيش تعداده لا يقل عن ٨٥٠ الف مقاتل (١٪ من السكان) ، منهم على الأقل (٥٠٠ الف مقاتل) فى مواجهة جيش المسلمين ، وهو تقديـر لا يشكل ايـة مبالغـة ، لأن الإمبراطورية البيزنطية ركزت جهودها فى ولايات الجبهة الشرقية والجبهة الجنوبية (مصر والشام) دون أن تستنزف جهودها فى الاتجاه الغربى كما يذكر « رتسيمان »[٨] . فضلاً عن ان الإمبراطورية كانت تدافع عن مستقبلها ووجودها بعد ان تصاعد تيار الفتح الإسلامى . والواقع ان تقدير قوة جيش الروم بهذا الحجم (٥٠٠ الف مقاتل) يتفق مع البيانات التى وردت بالمراجع الأجنبية . فقد اعتمد نظام الدفاع الإقليمى للإمبراطورية على الاحتفاظ بقوات نظامية محلية فى عدد من اللواءات وكانت قوة اللواء (الثيما) تبلغ (١٠) آلاف مقاتل كما يذكر « نورمان بينز »[٩] وكان بالولايات الشرقية (١٤) لواء مجمل قوتها (١٤٠) الف مقاتل فى زمن السلم ترتفع بالدعم إلى حوالى نصف مليون مقاتل .

وقد اشار « جلوب » إلى ضخامة حجم الدعم بقوله : « إن هذا الدعم كان كبيراً لدرجة ان ثلثى جيش الروم المقاتل فى الشام كان من الأرمن والعرب الموالين للروم ، بينما كان الثلث الباقى من المجندين »[١٠] ولا يتسع المجال لسرد التفاصيل الكثيرة التى وردت عن تشكيل واسلوب تعبئة الجيش البيزنطى ، وهى فى مجملها تجعل من رقم (نصف المليون) مقاتل ، رقماً مقبولاً .

حجـم قـوات الفـرس :

يذكر «جلوب» ان الامبراطورية الفارسية فى تلك الأيام كانت تمتد بعيدا إلى السند فى دولة الباكستان الحديثة وتضم كل ما نسميه (افغانستان) هذا بالإضافة إلى (إيران) و(العراق) ـ ونحن نعلم ان (إيران) آنذاك كانت تضم ايضاً الولايات الإسلامية التى ضمها الاتحاد السوفيتى إلى ممتلكاته ـ كما ان «جلوب» قدر تعداد سكان مصر حينذاك بحوالى (٧ ملايين) نسمة[١١] .

ويمكننا الاسترشاد بذلك لتقدير التعداد السكانى لفارس بحوالى (٣٠ مليون) نسمة . وبالتالى فإن الجيش الفارسى لا يقل عن (٣٠٠ الف) مقاتل (١٪ من السكان) وبعض المراجع الغربية تورد ما يؤيد هذا التقدير ايضاً . فيذكر «دونالد ولبر» ان الاسكندر الأكبر قهر بجيشه الصغير البالغ (٣٥ الفا) جيشا فارسيا قوته (٣٥٠ الفا) عام (٣٣٤ ق . م) فى (ايسوس) ، ويضيف ان جيش الفرس كان مقسما إلى «ست فرق» تضم كل فرقة منها (٦٠ الف) جندى بخلاف حرس الملك الخاص البالغ (١٠ الاف) مقاتل . كما انه يذكر ايضاً أن المسلمين هزموا جيشا فارسيا فى القادسية تعداده (١٢٠ الف) مقاتل ثم ابادوا جيشا فارسيا مماثلا فى نهاوند[١٢] . وعلى ذلك فإن رقم (٣٠٠ الف) مقاتل رقم مقبول لجيش الفرس .

حجم الجيش الإسلامى :

يقرر «جلوب» أن الأرقام التى ذكرها المؤرخون المسلمون عن الجيش الإسلامى «قريبة من الصحيحة» ، ويذكر أن عدد سكان سوريا وفلسطين عام ٦٤٨ م كان لا يزيد على (٣ ملايين) نسمة ، وانه ـ اى هذا الرقم ـ كان يفوق إجمالى سكان شبه الجزيرة العربية حينذاك[١٣] كما يقرر «جلوب» أن العرب الذين خرجوا من الجزيرة العربية هم الذين حملوا على أكتافهم وحدهم عبء كل الفتوحات وانهم ـ على حد قوله : «كانوا قلة فى عددهم الذى لم يمثل سوى (٢ ـ ٣٪) من إجمالى سكان الامبراطورية الإسلامية عام (٧٥٠ م)[١٤] .

وعلى ذلك ، فإننا نقدر تعداد سكان الدولة الإسلامية قبيل الفتح بحوالى ١,٥ ـ ٢ مليون نسمة موزعين على تلك المساحة الشاسعة من الارض الفقيرة فى وسائل المواصلات السهلة مما يجعل ظروف حشد وتعبئة القوات بها من اصعب الأمور فضلاً عن انفراد المسلمين بنظام التطوع فى حالة التعبئة . بل إن عددا كبيرا من المسلمين الذين قوتلوا فى حروب الردة ، حُرِموا من المشاركة فى جيش الفتح الإسلامى خلال المراحل الأولى من القتال .

ومع ذلك :

سوف نفترض أن الجيش الإسلامى بلغ (٥٪) من إجمالى التعداد السكانى ، أى أن اقصى حجم يمكن تصوره لهذا الجيش يتراوح ما بين ٧٠ الفا إلى ٩٠ الف مقاتل . وهو رقم قريب من تقديرات «جلوب» والتى ذكر فيها أنه خُصص جيش إسلامى قوته (٣٠ الفا) فى جبهة فارس وجيش آخر قوته (٢٥ ـ ٤٠ الفا) فى جبهة الشام واعيد تشكيل جيش ثالث تراوحت قوته بين (١٢ ـ ١٥ الفا) لفتح مصر .

ومن الغريب أن «جلوب» ذكر تلك الأرقام **عندما قصد بلوغ هدف آخر وهو نفى عروبة الدول التى فتحها المسلمون بقوله : إن الحجم الضئيل لجيش الفتح الإسلامى ما كان ليترك هذا الأثر وان قلة حجم المسلمين ضاعت فى الخضم الهائل من سكان البلاد المفتوحة[١٥]** .

المقارنة العامة للقوات المتحاربة :

استعرضنا فيما سبق ما تضمنته بعض المراجع الأجنبية من بيانات تصل بنا إلى تصور الحجم الذى كان ممكنا حشده بسهولة طبقا لطاقات كلا الجانبين المتحاربين . ومنها يمكن الخروج بنسبة للمقارنة العامة لقوات الجانبين كما يلى :

البيـــــان	الجبهـة الرومـانيـة (الشـام ومصر)		الجبهة الفارسية	
	المسلمون	الروم	المسلمون	الفرس
إجمالى القوات النسبة	٥٠ الفاً ١	٥٠٠ الف ١٠	٣٠ الفاً ١	٣٠٠ الف ١٠

اى أن قوات المسلمين كانت تُوَاجَهُ فى كل جبهة بقوات تبلغ عشرة أمثالها . ومع ذلك فإن هذه النسبة (١ : ١٠) تمثل الحد الأدنى ، أى أنها قد تزيد لأسباب عديدة :

أولا : يجب أن نضع فى الاعتبار أننا احتسبنا نسبة تعبئة القوات إلى عدد السكان بشكل يحقق أدنى نسبة فيما يتعلق بالروم والفرس ، بينما يحقق أعلى نسبة للمسلمين ابتعادا عن شبهة التحيز .

ثانيا : أننا لم ندخل فى حساب المقارنة حجم قوات الأساطيل الخاصة بالروم ، والتى تقدر بحوالى (٨٠ ألف) مقاتل حسبما ورد فى بيانات كل من «نورمان بينز» و«جلوب» كما أننا لم نحتسب قوة سلاح الأفيال (المدرعات) المستخدمة فى جيش الفرس .

ثالثا : كان الجيش الإسلامى هو الطرف **(المهاجم)** بينما خاضت جيوش الروم والفرس **(حربا دفاعية)** الأمر الذى يزيد من عبء الجيش الإسلامى ويضاعف من نسبة المقارنة . وجميع العسكريين يعلمون أهمية تحقيق نسبة التفوق العددى للقوات المهاجمة إلى القوات المدافعة ، وهى غالبا ما تكون (٣ : ١) .

رابعا : كما أن عنصرى «الحشد» و«القيادة» لهما وزن كبير فى أى مواجهة مسلحة . فالقيادة الإسلامية كانت تدير حربا طاحنة فى جبهتين فى وقت واحد ، بينما تفرغت كل من القيادة الفارسية والرومانية لإدارة حرب دفاعية كُلٌّ على جبهته .

خامسا : كانت الخبرة القتالية بما تشمله من عناصر التدريب والتسليح والتنظيم فى جانب الفرس والروم ، وهو ما يضيف الكثير إلى عنصر التفوق العددى بمفهومه الرقمى المحدود .

مراجع التاريخ الإسلامى القديمة ، وبياناتها عن حجم القوات :

لم تحدد هذه المراجع الحجم الإجمالى لقوات كلا الجانبين المتحاربين ، وإنما عنيت بذكر تفاصيل هذه الأرقام فى كل معركة على حدة . ومن خلال تلك الأرقام سوف نحاول التوصل إلى الحجم الإجمالى للقوات فى مسارح العمليات التى شملها الفتح الإسلامى ، والخروج بالنسبة لمقارنة القوات كما جاءت بالمراجع الإسلامية . وسوف نركز على أكثر المعارك التى تعرضت صحة أرقامها لطعن المستشرقين وهى «أجنادين» و«اليرموك» بالشام ، و«بابليون» و«الاسكندرية» بمصر ، و«القادسية» و«نهاوند» فى فارس . على أن يتم تجميع تلك الأرقام من أهم المراجع الإسلامية وهى «تاريخ الأمم والملوك - للطبرى»[١٦] ونرمز إليه بالحرف (أ) «البداية والنهاية - لابن كثير»[١٧] ونرمز إليه بالحرف (ب) ، «فتوح البلدان - للبلاذرى»[١٨] ونرمز إليه بالحرف (جـ) . والجدول التالى يوضح نتائج هذا التجميع للبيانات :

مسرح العمليات	المعركة	إجمالى القوات المتحـــاربة (بالألف) . المرجع		متوسط نسبة المقارنة
		المسلمون	الروم / الفرس	
الشام	اجنادين	٢٥ (جـ) - ٤٠ (أ ، ب)	٩٠(أ) - ١٢٠ (ب ، جـ)	١ : ٣,٢
	اليرموك	٢٤ (جـ) - ٤٦ (أ ، ب)	٢٠٠ (جـ) - ٢٤٠ (أ ، ب)	١ : ٦,٢
مصر	بابليون	١٢ - ١٥ (جـ)	أكثر من ١٠٠ (جـ)	١ : ٧,٤
	الاسكندرية	١٢ - ١٥ (جـ)	١٢٠ - ٢٠٠ (جـ)	١ : ١٢
فارس	القادسية	١٢ (أ ، جـ)	١٢٠ (أ ، جـ)	١ : ١٠
	نهاوند	٣٠ (أ ، ب ، جـ)	١٠٠ (جـ) - ١٥٠ (أ ، ب)	١ : ٤

أى أن قوات الفرس والروم التى خاضت تلك المعارك ضد المسلمين ، كانت تتفوق عليهم طبقا لكتب المؤرخين المسلمين بنسبة متوسطة تقريبية تبلغ (٧ : ١) . وهى بالقطع تقل كثيرا عن النسبة التى توصلنا إليها من قبل من المراجع الغربية (١٠ : ١) .

ونحن نقدر تماما مشاعر الحيرة لدى المستشرقين والمستغربين على حد سواء ؛ لأن نتائج المقارنة مذهلة قطعا ، ولها دلالتها الأليمة فى نفوس المستشرقين . فقد حاول « جلوب » أن يخفف من وقعها بقوله : « من واجبنا أن ندرك أن الجيوش البيزنطية والفارسية كانت أعظم القوات العسكرية فى ذلك العهد ، وكان ضباط تلك الجيوش يدرسون المؤلفات عن التاريخ العسكرى وفنون الحرب ، وكانت لكل من تلك الجيوش تقاليدها العسكرية الخاصة بها والتى تبلغ فى عمرها عدة قرون وكان سلاحها من أحدث الأسلحة (تقنية) ... ولم تكن تنظر إلى الشعوب المتخلفة كالشعب العربى إلا بعين الزراية والامتهان » ـ ثم يضيف ـ « تمكن العرب ... من الاندفاع من صحاريهم ... ليطيحوا فى وقت واحد ، بأعظم أمبراطوريتين عسكريتين فى عالم تلك الأيام ... وتمكنوا من الاستيلاء على ثلثى امبراطورية الروم بينما قضوا على مملكة الفرس قضاء مبرما .. وكان أهل الجزيرة العربية ـ وحدهم ـ هم الذين قاموا بتلك الفتوحات .. التى تكاد تشبه المعجزات .. !! »[١٩] .

خاتمـــــة

لا نريد أن نغبن المستشرقين ، فالكثير من كتب المراجع التى نعتمد عليها فى دراستنا يرجع الفضل فى ظهورها إليهم . ولكننا ـ كما قال « د . الخربوطلى » ـ لن نجرد المستشرق أو الباحث الأجنبى فى الدراسات الإسلامية من التأثر بمواريثه الدينية الخاصة[٢٠] .

ونطبق ماورد فى الحديث الشريف من قوله ـ ﷺ ـ : « **الحكمة ضالة المؤمن** »(*) وإذا كان الاعتراف بالفضل واجبا ، فإن الحق لا ينكره إلا جاحد . فقد بات واضحا أن ماذكره المؤرخون المسلمون الأوائل عن حجم جيش المسلمين فى معارك الفتح الإسلامى ، صحيح ما فى ذلك من شك . وأن ما ذكروه عن حجم جيوش الفرس والروم فى تلك المعارك ، هو الأقرب إلى الصحة والدقة والقبول . ولا ننسى أن بعض هؤلاء المؤرخين كتب تفاسير القرآن الكريم . ولا ننسى أن مراجع المؤرخين المسلمين انفردت بذكر هذه الأرقام ولم يتمكن الكتاب الغربيون من تقديم أرقام مخالفة لها مستندين فى ذلك إلى وثائق أو حتى مراجع غير إسلامية ، بل إن ما ذكروه من أرقام كانت وليدة التخمين والافتراض ..

والخلاصـــة :

اننا ننفى صفة « المبالغة والتهويل » التى حاول المستشرقون إلصاقها بكتب المؤرخين المسلمين الأوائل فيما نحن بصدده .

إن كنوز التاريخ العسكرى الإسلامى بهذه المراجع القيمة ، مازالت تستحث همم الباحثين المسلمين المخلصين وبخاصة العسكريون ؛ فأحداث الفتح الإسلامى لا يدرك كنهها ومغزاها إلا من عاش بعقله وروحه وحسه فى جو الإسلام .

وخير ختام لمقالنا ، قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[٢١]

صدق الله العظيم

البقية ص ٦٩٢

(*) حديث « الحكمة ضالة المؤمن » القضاعى فى مسنده من حديث الليث عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم مرفوعا بزيادة « حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه » وهو مرسل . انظر للإمام السخاوى ـ المقاصد الحسنة ص (١٩١) حديث رقم ٤١٥ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط أولى ١٣٩٩هـ .

بكائية فى ثنيات الوداع

شعر: السيد الصديق

« طلع البدر علينا ** من ثنيات الوداعِ »
« وجب الشكر علينا ** ما دعا لله داعٍ »
« أيها المبعوث فينا ** جئت بالأمر المطاع »
نحن بالله رضينا ** عن يقين واقتناع

***

يا لماضٍ قد تناهى ** فى علو وارتفاعِ !
يومَ كانَ المسلم الحقُّ طهوراً كالشعاعِ
ليس يخشى الموت فى الله أخو قلب شجاعٍ
يحكم الدنيا بعلمٍ ** ويدٍ طولى صناعٍ
كان رمز العدل رمز الفضل مرضى المساعى
بارك الله خطاه ** فى ارتباع وانتجاع
كيف أصبحنا غثاء ** لا يُرجَّى فى انتفاع ؟!
لا يزال الضر فينا ** ما بقينا فى نزاع

***

من جفا الإسلام يبقى ** فى هوانٍ واتضاع !
حاز خسراناً مبينا ** من حوى سوء الطباع

إنما الدنيا متاع ** ذرعه مقدار باع
قد اتى حوباً كبيراً ** من غدا عبد المتاع !
كلما هبت رياح ** الهبت شوق الشراع !

***

يارسول الله صرنا ** امة من غير راع !
كفة الأقوام شالت ** في موازين الصراع
لم يؤلفهم نظام ** في انفراد واجتماع
ارضهم ماوى شريد ** وبنوهم في ضياع !

***

امة الإسلام باتت ** بين انياب السباع !
يتداعون عليها ** لافتراسٍ وابتلاع !
مرتقى « المعراج » يعثو ** فيه اولاد الأفاعي
يصرخ « الاقصى » حزيناً ** في صعاليك الرعاع

كيف دنستم رحاب « القدس » ياأهل الخداع ؟!

واقترفتم كل إثمٍ ** معلن القبح مذاع ؟!

يأذن الله لنار الحرب يوماً بانـدلاع
ليميز الطيب الندب من النذل اليراع
هذه الأحجار في « الضفة » ثارت و « القطاع»
وانتضى الشعب الفلسطيني عزماً للدفاع
أسد غيل صادفت يوم الوغى آرام قاع
ليس اقوى من شباب ** طالبي حق مضاع
لا تراعي امة القرآن . صبراً لا تراعي !
إن نصر الله منك اليوم ادنى من ذراع !
انت شمس الله يحيى نورها كل البقاع
إن نور الله لا يخبو ولن ينعاك ناع !

الأذان

للأستاذ عمر موسى البرعي

إن الأذان بـه المـؤذن يصدع — ولـه المصلى بالمهابة يخشع
ذِكْـر بـه لفظ الجلالة خافق — وبـه المُوحِّدُ للمهيمن يركع
صوت يدوى فى السماء رنينه — إبليس يهرب من صداه ويفزع
انواره فوق المآذن اشرقت — تهدى العباد إلى الصلاة وتجمع
وسناه قد عم القلوب بنوره — والمسلمون على هداه تجمعوا
(الله اكبر) للهداية رددت — وغدا صداها للمسامع يقرع
تلك الشعيرة عُظِّمَتْ لجلالها — وإلى السماء من المآذن ترفع
إن الأذان شعيرة محمودة — وبها الموفق للفرائض يخضع
ونشيده عذب سمت أسراره — والفيض فيه للخلائق مترع
كم تطرب الآذان عند سماعه — ويلذ للعبد التقى فيهرع
(الله اكبر) صيحة قد جلجلت — فالقلب يصبو والنواظر تدمع
ورنينها العلوى يخترق السما — فهو النداء العبقرى الأروع
حسب الأذان بأن فيه شهادة — لله والمختار فيه يتبع
والله يجزى بالأذان عباده — بمثوبة فيها العطاء الأوسع
فضل المؤذن ليس يحصر خيره — فالخير موصول به لا يقطع
والله يعطيه على قدر المدى — من صوته وصداه فيه مرجع
وينيبه من افضاله ونعيمه — أمنا به فى جنة لا يجزع
إن الأذان هو النداء لأمة — المرء فيها للرضا يتطلع
ومن استجاب له فنعم ماله — عقبى استجابته ونعم المرجع
طوبى لمن سمع النداء ملبيا — وإلى بيوت الله دوما يسرع

تأملات فى الحياة والموت

"لأبى العلاء المعرى"

غير مجد فى ملتى واعتقادى ... نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعى إذا قيـ ... ـس بصوت البشير فى كل ناد
ابكت تلكم الحمامة، ام غنت ... على فرع غصنها المياد
صاح : هذى قبورنا تملأ الرحب ... فاين القبور من عهد عاد ؟
خفف الوطء ما اظن اديم الأرض ... إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهد ... هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت فى الهواء رويداً ... لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ... فى طويل الأزمان والآباد
فاسال الفرقدين عمن احسَّا ... من قبيل وآنسا من بلاد
كم اقاما على زوال نهار ... وانارا لمدلج فى سواد
تعب كلها الحياة فما اعجب ... إلا من راغب فى ازدياد
إن حزناً فى ساعة الموت ... اضعاف سرور فى ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت ... امة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار اعمال ... إلى دار شقوة او رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها ، والعيش مثل السهاد

• • •

الشاعر : هو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى ، نسبة إلى معرة النعمان إحدى قرى الشام التى ولد بها ، أصيب بالعمى فى طفولته ، ولكنه ثابر واجتهد ودرس النحو واللغة على أبيه وارتحل فى سبيل العلم إلى طرابلس الشام واللاذقية وبغداد ، وأخذ بنصيب من فلسفة الهند والفرس واليونان ، عاد إلى مسقط رأسه بالمعرة وزهد الدنيا واعتزل الناس وسمى نفسه « رهين المحبسين » وعاش عمره للتأمل والتفكير فلم يتزوج وكان لا يأكل اللحم ، ويظهر أثر البيئة فى شعره حيث يدل على انتشار الأفكار الفلسفية والجدل الدينى بين الشعراء والمفكرين ، وله ديوان شعر مطبوع يسمى اللزوميات أو « لزوم ما لا يلزم » وله كذلك « سقط الزند » فى عدة أجزاء - وقد تناول حياته وشعره بالتحليل والنقد كثير من الأدباء والمفكرين

القصيدة : رثاء لصديق عزيز رحل ثم هى بعد ذلك رد على بعض الملحدين الذين ينكرون البعث وفيها التعمق والإيمان بالبعث والنشور والمعانى الإنسانية السامية - وقد يميل إلى التشاؤم أحياناً .



في التراث الإسلامي

أ. د. أحمد فؤاد باشا

ثالثاً : النظرية الذرية :

إن تطور العلم والتقنية قد بلغ الآن حداً يستطيع عنده الإنسان أن يسلم بوجود الجزء الأصغر الذى تتكون منه مادة كل عنصر كيميائى ، وهو ما أطلق عليه فلاسفة الإغريق اسم « أتوم » Atom وظهر فى تراثنا الإسلامى باسم « الجزء الذى لا يتجزأ » و« الجوهر الفرد » ، ثم دخل فى لغتنا العربية حديثا باسم « الذرة » وذلك على سبيل ترجمة غير دقيقة لكلمة « أتوم Atom » التى تعنى فى لغة الإغريق « غير المنقسم » أو « غير القابل للانقسام » ، بالرغم من احتفاظ اللغات الأجنبية الأخرى بنفس الكلمة كما هى فى الأصل الإغريقى لتؤدى المعنى المقصود منها[1] .

وإذا كان إنسان القرن العشرين قد أفاد كثيراً من مختلف تطبيقات النظرية الذرية فى الأغراض السلمية ، فإنه فى نفس الوقت لم يسلم من آثارها المدمرة وتهديداتها المروعة عند استخدامها فى أسلحة الحرب وقنابل الخراب والإبادة . وقد جرت النتائج العملية لتطبيقات النظرية الذرية على هذا النحو أو ذاك بعد أن مرت بمراحل عديدة عبر آلاف السنين ، كانت فى معظمها فلسفية الطابع ، وظلت كذلك حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر ، حيث أخذت فى التحول إلى نظرية علمية يمكن أن يعول عليها فى تفسير الكثير من الظواهر الفيزيائية والكيميائية ، وإن كان فهم الإنسان الكامل لنموذج الذرة وتصوره الصحيح عن تركيبها الدقيق لم يكتملا بعد حتى

---

(١) كلمة « ذَرَّة » فى اللغة العربية تجمع على « ذَرّ » : وهو صغار النمل ، ومن أبرز معانيها أنها تطلق على ما يرى من هباء وجسيمات دقيقة فى شعاع الشمس الداخل من النافذة (انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة « ذرر ») ، ومعناها البيانى المقصود : هو التهوين والتصغير والتقليل . قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (سورة الزلزلة : ٧ ، ٨) . أما استخدام مصطلح « الذرة » بمعناه الفيزيائى الكيميائى فى لغة العلم العربية فقد شاع وأصبح مقبولاً باتفاق الناس عليه ، لكنه لا يطابق المعنى اللغوى والبيانى من وجوه عدة .

الآن . ولعله من المفيد أن نتتبع بإيجاز مسيرة النظرية الذرية The atomic theory منذ نشأتها على أيدى فلاسفة العصور القديمة ، أملين من خلال ذلك أن نكشف النقاب عن الدور الذى لعبه علماء المسلمين فى تطوير واحدة من أهم النظريات العلمية المعاصرة ، وأن نلقى مزيداً من الضوء على إسهامهم فى تأصيل قواعد المنهج العلمى بصورة عامة ، وتطويرهم لمعنى « الفرض » وأهميته فى عملية التفكير بصورة خاصة .

نشأة النظرية الذرية :

نشأت فكرة « الذرة » فى تفكير الإنسان لأول مرة ، عندما واجهته أول مشكلة فلسفية تتعلق بالتساؤل عن مبدأ الكون ، أو المادة الأولى التى نشأ منها ، وعن مدى إمكانية تقسيم المادة وصولاً إلى الجزء الأصغر منها . ويبدو أن هذا التساؤل كان بدوره نتيجة منطقية لاعتقاد مؤداه أن فهم الكون يتطلب معرفة بعض الشىء عن أجزائه الصغرى . وهو اعتقاد فطرى صحيح إلى حد كبير ، ولا يزال له انعكاس فيما يتردد الآن من نظريات حول أصل الكون ونشأته بعد أن زاد عليه « هيزنبرج » بقوله : إن فهم اى شىء عن تركيب الظواهر الطبيعية يتم عن طريق اكتشاف العلاقات الرياضية المعبرة عن اجزائها الصغرى[٢] .

وتنسب النظرية الذرية فى نشأتها عادة إلى « لويقيبوس » الملطى وتلميذه « ديمقريطس » فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وإن كان المؤرخ والجغرافى اليونانى القديم « سترابو » Strabo قد عزا نشأتها إلى « موشوس » Mochos الفينيقى الذى سبق « لويقيبوس » ببضعة قرون[٣] . وتشير بعض المصادر إلى ان بداية التفكير فى « الذرة » تعود إلى الفيثاغوريين الذين نادوا فى القرن السادس قبل الميلاد بالذرية العددية عندما قالوا بأن الوحدات الأساسية للأشياء هى اشكال رياضية أو أعداد . وهناك أيضاً من يقول بأن الهنود القدماء تكلموا فى « الذرة » منذ مطلع القرن السادس قبل الميلاد ، لكن كلامهم هذا كثير الغموض لاختلاطه بنظريتهم القديمة « نحو عام ١٥٠٠ ق . م » حول العناصر الخمسة المؤلفة للوجود وهى التراب والماء والنار والهواء والأثير[٤] . ويميل بعض المؤرخين إلى ترجيح احتمال وصول هذه الآراء إلى لويقيبوس وديمقريطس ، أحدهما أو كليهما ، وخاصة أن الأخير قد عرف عنه أنه سافر إلى مصر والحبشة وبابل وفارس والهند ، فضلاً عن طوافه بلاد اليونان ، ولا شك أنه تعلم كثيرا من هذه الأسفار[٥] .



(٢) د . فيرنر هيزنبرج ، الجزء والكل ، محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية ، الترجمة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ .

(٣) جاء فى معجم الاعلام بقاموس « المورد » لمنير البعلبكى ، ص ٨١ من طبعة عام ١٩٨٦ ان اثار سترابو « ٦٤ ق.م - ٢٣ م » تعد مرجعا معتمداً فى دراسة التاريخ القديم . أما المعلومة الواردة عنه فقد استقيناها من المرجع التالى :
F.W. Dobbs, A. Forslev and R.L. Gilbert, « The physical Sciences, » Alhyn and Bacon, Inc. Boston (1972), P. 195 .

(٤) ليست هذه العناصر هى المواد التى تعرفها اليوم بهذه الأسماء ، بل هى مثالات عامة لأصناف الأجسام الموجودة فى عالمنا ، فالتراب يمثل جميع الأجسام الصلبة ، والماء يمثل جميع السوائل ، والهواء يمثل جميع « الغازات » والاثير هو امتداد مكانى هادىء يتيح لباقى العناصر ان تتحرك وتشكل الأجسام فيه . راجع فى ذلك :
عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٦٧ .

(٥) د . محمد عبد الرحمن مرحبا ، الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٠ ص ٣٥ ومابعدها

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

ومهما يكن من أمر الخلاف حول صاحب فكرة الأساس الذرى للعالم ، فإن أول صياغة للنظرية الذرية قد قام بها لويقيبوس وديمقريطس فى صورتها التقليدية ، واضاف إليها ابيقور (٣٤١ ـ ٢٧٠ ق.م) بعض الإضافات البسيطة ، ثم طرحها لوكريتيوس (٩٩ ـ ٥٥ ق.م) طرحا وافيا عن ابيقور فى قصيدته الشعرية « عن طبائع الأشياء » On the nature of things وليس يعنينا هنا تفصيل الفروق الفرعية بين هذه الفلسفة او تلك ، ولا أى الفلسفات نقلت عن الأخرى أو تأثرت بها ، وإنما أول ما نود توضيحه هو أهم الأفكار التى تضمنتها أراء القائلين بالتفسير الذرى فى التراث الإغريقى ، والتى تتمثل إجمالاً فى افتراض أن العالم يتألف من ملاء « أى مادة » وخلاء « أى فراغ » ، وأن الملاء قوامه ذرات أو وحدات متجانسة لا تقبل الانقسام . وهى وإن كانت متناهية فى الصغر بحيث لا تدركها الحواس ، إلا أن العقل يمكنه إدراكها بالاستنتاج الرياضى . كما انها لا متناهية فى أعدادها وأشكالها واحجامها وترتيبها ، وإليها تعزى كل ثروة الأشكال والظواهر المتباينة للعالم ، وليست خصائص المواد المختلفة ـ فى زعم هذه النظرية ـ إلا نتيجة غير مباشرة لاختلاف طرق ترتيب الذرات وحركاتها النسبية . بل إن ما نلاحظه من تغيرات فى الأشياء وفى العالم ترجعه النظرية إلى ما يطرأ على هذه الأشياء أو ما يستحدث بها من تغير فى الوضع النسبي للذرات الداخلة فى تركيبها .

وقد عبر ديموقريطس نفسه عن مضمون نظريته الذرية بقوله : « كما يمكننا بنفس الحروف كتابة التراجيديا وكتابة الكوميديا ، كذا يمكننا ان نعرف الوقائع المتباينة لهذا العالم بنفس الذرات ، طالما كانت هذه تشغل أماكن مختلفة وتتخذ حركات متباينة »[٦] وهذا يعنى أن العالم الذى نعيش فيه ، فيما يعتقد أصحاب المذهب الذرى ، آلى محض ، أو محكوم بآلية محضة .

النظرية الذرية فى التراث الإسلامى :

إذا كان المذهب الذرى الذى وضعه فلاسفة الإغريق لايزال يحظى باهتمام كبير من جانب بعض المؤرخين وفلاسفة العلم الغربيين ـ ومن يدور فى فلكهم ـ يعرضون لتاريخ النظرية الذرية بالتحليل والتأصيل ، فإن الأمر من جانبنا نحن المسلمين يجب أن نتناوله بكل الحذر ولا نبالغ فى تقديره فوق ما يجب ، لأن هذا المذهب قام على كثير من الخيال ومن الجدل النظرى العقيم ولم يقم على منهج علمى منظم ، وهو بعيد كل البعد عن المدرك المعاصر فى تركيب المادة وبناء الذرة ، فضلاً عن انه يستند عند انصاره ويذهب بهم إلى اقصى حدود النزعة المادية الآلية التى تسيِّر ـ فى نظرهم ـ جميع الأشياء بحتمية القانون الطبيعى[٧] .

وقد اطلع المسلمون الأوائل على أراء فلاسفة الإغريق فى « الذرة » أو « الجوهر الفرد » من خلال مترجماتهم إلى اللغة العربية ، وخاصة ماجاء عن المذهب الذرى لديموقريطس فى كتابى « الميتافيزيقا » و« النفس » لأرسطو . وكان

---

(٦) فيرنر هيزنبرج ، المشاكل الفلسفية للعلوم النوويه ، الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٧٢ .

(٧) المادية Materialism نزعة فلسفية يزعم اتباعها أن المادة اصل كل شىء ، وبها دون غيرها تفسر الموجودات . والالية او الميكانيكية Mechanism منحى فلسفى يعول على التفرقة بين المادة والقوة ويرد التغيرات كلها إلى الحركة ، فيقال حركة الية لما لا تفكير فيه تقريباً ، ويقال تفسير آلى لكل ما يعتمد على الظواهر الحسية والمادية وحدها . اما الطبيعية

طبيعيا أن يتبرأ مفكرو الإسلام من هذا المبدأ الذى يجحد أصحابه الصانع المدبر للعالم وينكرون وجود الخالق الواحد جل وعلا ، كما ينكرون النبوة والبعث والحساب . وقد وصفهم الغزالى « فى المنقذ من الضلال » بالزنادقة ، كما وسموا بالدهرية الذين عناهم القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الجاثية : ٢٤ ـ ٢٦) .

ولما كان المجال هنا لا يسمح بإسهاب الحديث حول كل ما جاء فى التراث الإسلامى بخصوص « النظرية الذرية » ، فإننا سنكتفى بالإشارة إلى مثالين ذوى مغزى يوضحان كيفية تناول المسلمين لهذه القضية الهامة من جانبيها الفكرى والعلمى التطبيقى .

١ ـ بالنسبة لفكرة « الذرة » ، يأتى أبو الهذيل العلاف فى مقدمة فلاسفة المسلمين الذين ساهموا فى أول صياغة إسلامية لنظرية « الجزء الذى لا يتجزأ » ، بحيث تنسجم انسجاما مطلقا مع مذهبهم الدينى[٨] . ويقضى السياق العام لهذه النظرية عند العلاف بأن العالم يتكون من عدد من « الذرات » أو الجواهر المفردة ، أو الأجزاء البسيطة التى لا تتجزأ ، وإلى هذه الأجزاء التى لا تتجزأ تنحل جميع الموجودات ، « إن الخردلة يجوز أن تتجزأ نصفين ، ثم أربعة ثم ثمانية إلى أن يصير كل جزء منها لا يتجزأ . ويجوز على الجوهر الواحد الذى لا ينقسم إذا انفرد ما يجوز على الأجسام من الحركة والسكون ، وما يتولد عنهما من المجامعة والمفارقة . وهذه الأجزاء تتحرك « فى خلاء » ، لكنها لا تتحرك ولا تسكن بذاتها لأن الله من حيث هو ذات مريدة وقادرة هو الذى أوجد الحركة فيها والسكون » . وقد أخذ بهذه النظرية بعد ذلك كثيرون من المعتزلة ، ثم وضعها الأشاعرة ، ولا سيما أبو الحسن الأشعرى وتلميذه الباقلانى ، فى صورة أشمل جعلت منها مذهبا للأشاعرة[٩] .

٢ ـ أما بالنسبة للجانب العلمى من النظرية الذرية فى التراث الإسلامى فإننا نختار ما يدل عليه من إحدى التجارب الكيميائية العملية التى أجراها جابر بن حيان (٧٣٧ ـ ٨١٥ م) لتحضير الزنجفر « أو كبريتور الزئبق » حيث يقول : « لتحويل الزئبق إلى مادة صلبة حمراء ، خذ قارورة مستديرة وصب فيها مقداراً ملائماً من الزئبق واستحضر آنية من الفخار بها كمية من الكبريت حتى يصل إلى حافة القارورة ، ثم ادخل الآنية فى فرن واتركها فيه ليلة بعد أن تحكم سدها ، فإذا ما فحصتها بعد ذلك ، وجدت الزئبق قد تحول إلى حجر أحمر ، وهو ما يسميه العلماء بالزنجفر ، وهى ليست مادة جديدة فى كليتها ، والحقيقة أن هاتين المادتين لم تفقدا ماهيتهما ، وكل ما حدث أنهما تحولتا إلى دقائق صغيرة امتزجت ببعضها ، فأصبحت العين المجردة عاجزة عن التمييز بينهما ، وظهرت المادة



* أو النيتشرية « Naturalism » فهى مذهب الطبيعيين ، والموسومين بالدهرية نسبة إلى الدهر أو الزمان المطلق الذى يهلك ولا يهلك ، حيث يزعمون أن العالم وجد نفسه دون علة خارجة عنه ، ويردون جميع الأشياء إلى الطبيعة وحدها فيفسرون كل شىء فى ضوئها ويستبعدون كل مؤثر يجاوز عالم الطبيعة .

* راجع : المعجم الفلسفى ، إصدار مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٨٣ » .

(٨) أبو الهذيل العلاف من أشهر فلاسفة المعتزلة ، ولد عام ١٣٥ هـ/٧٥١ م ، وتوفى عام ٢٣٥ هـ/٨٤٩ م .

(٩) راجع فى ذلك بالتفصيل : د . على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، بدون تاريخ » ، ص ٤٤٣ ومابعدها .

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

الناتجة من الاتحاد متجانسة التركيب ، ولو كان فى قدرتنا وسيلة تفرق بين دقائق النوعين لأدركنا أن كلا منهما محتفظ بهيئته الطبيعية الدائمة » .

ويعلق أحد العلماء المعاصرين(١٠) على هذا الوصف العلمى بأنه تصوير عجيب للاتحاد الكيميائى لعل فيه شبهاً من تصوير دالتن Dalton « ١٧٦٦ ـ ١٨٤٤ م » الذى جاء بعد جابر بألف عام ، وقال بأن الاتحاد الكيميائى يكون باتصال ذرات العناصر المتفاعلة بعضها ببعض .

وإذا عقدنا مقارنة سريعة بين الطريقة التى عالج بها علماء المسلمين مشكلة الذرة على النحو الذى أوضحنا والطريقة التى اتبعها علماء الغرب إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، نجد أن المذهب الذرى الإغريقى القديم قد عاد إلى الظهور على يد جاسندى Gass endi « ١٩٥٢ ـ ١٦٥٥ م » ، وعلى أيدى علماء الكيمياء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فى صورة ضروب من الحدس الهندسى نستطيع اليوم أن ندرك مبلغ سذاجتها . والواقع أن المفكرين فى ذلك الحين لم يترددوا فى أن ينسبوا إلى الذرة كل المدركات الحسية المباشرة ، بحيث أن الصورة الخاصة لذرات المادة تفسر إحساسات الذوق والرائحة واللون . وهكذا قيل إن ذرة البرد مدببة لأن البرد قارس ، وأن تأثير الأحماض فى الأجسام القاعدية أشبه باختراق الطرف المدبب فى الأحماض لمسام القلويات . ولا شك فى أن مثل هذه التشبيهات ليست بذات قيمة علمية ، بل إنها لا تصور لنا الظواهر تصويراً جيداً (١١) .

لكن الذرة الكيميائية كما تصورها « جابر » و« دالتون » فى عمليات الاتحاد الكيميائى بين العناصر لم تعد مع حلول القرن العشرين ذلك الجزء الذى لا يتجزأ . فقد أدى تطور النظرية الذرية إلى قيام علم الفيزياء النووية لدراسة التغيرات التى تتعرض لها نواة الذرة ، ودراسة الإشعاع الذرى الطبيعى ، ودراسة التفاعلات النووية ، بل إن ظهور عالم الجسيمات الأولية وفيزياء الطاقات العالية قد أدى بنا الآن إلى الدخول فى مجال العلم الذى مازال يتكون ، والبحث فى أعماق « الذرة » عن جزء جديد منها لا يقبل التجزئة !!

ترى ..

ما دور علماء الأمة الإسلامية الآن ، بعد أن اقترب الإنسان كثيراً من الرؤية المباشرة للذرات الكيميائية المفردة والإمساك بها لاستخدامها فى إجراء تجارب علمية لم تخطر يوما على بال بشر ؟!(١٢)

وأين إسهامات المسلمين الآن فى كل هذه المجالات الهامة وغيرها من مجالات العلوم المعاصرة وتقنياتها ؟..

هيهات ـ والحال كما نرى ـ أن يفعلوا مثلما أسلافهم فعلوا !!!

---

(١٠) د . عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ١٥٨ .

(١١) بول موى ، المنطق وفلسفة العلوم ، الترجمة العربية ، مكتبة دار العروبة ، ١٩٨١ م ، ص ٣١٥ وما بعدها .

(١٢) راجع ما كتبناه عن المصائد الليزرية واستخدامها لاصطياد ذرات بمفردها فى مقالنا « اشعة الليزر ومجالات استخدامها » ، مجلة الأزهر ، عدد ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ / نوفمبر ١٩٨٨ م ، وايضاً ما كتبناه عن احدث انواع المجاهر « الميكروسكوبات » فى مقالنا « الاجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة » ، مجلة الأزهر ، عدد صفر ١٤١١ هـ / سبتمبر ١٩٩٠ م .

إعداد وتقديم
الاستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

علموهم يكونوا لكم

لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدنى

شرع الله الإسلام نظاما واقعيا لحياة الإنسان . يتوافق مع فطرته وتكوينه ، ويتلاءم مع واقعه وضروراته . ويتناسب مع ملابسات حياته المتغيرة .

وهذا الجانب جزء اصيل من شريعة الإسلام منذ ان انزله الله دينا للبشرية جمعاء . وهو لذلك يرفض التطرف الذى يدعو إلى الفرقة ، وينبذ المثالية الخيالية الخالية من اى مضمون . ويحذر من الامنيات الحالمة التى تصطدم بفطرة الإنسان وواقعه ثم تتبخر فى الهواء . وكتاب (الفرقان) لمؤلفه محمد عبد اللطيف افندى علامة من تلك العلامات المضللة ونتيجة فكر مغمور وثقافة ضحلة .

لذلك جاء الحكم عليه موافقا للطبيعة المسلمة الحقة التى تربأ بدينها ان يمس ، وبعقيدتها أن يتقول عليها متقول ، حتى لو كان مسلما .

قال الشيخ رحمه الله :

فى الشهر الماضى أصدرت « محكمة القضاء الإدارى » بمجلس الدولة حكمها فى قضية كتاب « الفرقان » الذى ألفه محمد عبد اللطيف افندى ، وكانت الحكومة قد صادرته بناء على طلب مشيخة الجامع الأزهر ؛ لما تضمنه من مطاعن فى القرآن الكريم رسما وتلاوة ، وفى السنة المطهرة متنا وسندا ، فطلب مؤلفه من المحكمة أن تلغى هذه المصادرة ، وأن تحكم له بتعويض كبير قدره بما أصابه من ضرر ادبى ومادى نتيجة لهذه المصادرة .

وقد كان لكاتب هذه السطور وزميلين كريمين له ، جهد فى فحص هذا الكتاب ، ورفع تقرير عنه ، ثم فى الاتصال بالقضية ومتابعة اطوارها ، ويهمنى أن ابادر بتسجيل شكرى باسم الدين والعلم والأزهر لحضرات اعضاء هذه المحكمة

من روائع الماضى

العادلة ، ولاسيما رئيسها الجليل « سامى مازن بك » ، فقد لمست عنايتها الفائقة بالموضوع ، وحرصها الشديد على تتبع كل ما يتصل به ليتجلى لها الحق ، ويسفر أمامها الراى واضحاً فى هذا الموضوع الخطير ، حتى لقد علمت ان حضراتهم قرأوا فى موضوع الرسم والقراءات عشرات من الكتب المؤلفة قديما وحديثا ، ووقفوا عند كل موضوع من الموضوعات المتصلة بالقضية موقف الناقد البصير ، والفاحص الخبير .

وإن سعادة الرئيس لم يكن يكتفى بهذا ، ولكنه كان يتناقش شفويا مع العلماء فى كل نقطة يرى وجوب استجلائها قبل الحكم ، وقد زار الجامع الأزهر واتصل ببعض علمائه باحثاً منقباً حتى اطمأن قلبه .

وكذلك فعل حضرة الأستاذ الكبير « عبد الحليم بك الجندى » المحامى عن الحكومة والأزهر فى هذه القضية ، بل المحامى عن القرآن الكريم ، فقد كان مثال المؤمن بالله وكلماته ، الغيور على كتابه ، الحريص على تجلية الحق ، والظفر له بحكم يسجله التاريخ .

ولست انسى ما حييت موقفه يوم الدفاع عن كتاب الله ، وقد اخذته حمياً الإيمان ، وهزت مشاعره الحماسة الدينية ، فتدفق بيانا بالبراهين الدامغة ، وصدع صوتا بالحق فى إخلاص عميق مؤثر ، حتى لكأن نبراته يومئذ نداء من السماء ان خذوا على يد هذا المسىء ، وعلموه أن كتاب الله لا تنال منه الترهات ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فاللهم اشكرهم على ما سعوا ، واجزهم بالخير على ما رعوا ، واكثر فى المسلمين أمثالهم ممن يغارون على الحق ، وينصفون فى الحكم .

●●●

كتبت هذا الكلام اعترافاً بفضل أصحاب الفضل ، وتسجيلا له ، واقول بعد هذا :

لقد كثر فى هذا العصر التطاول على الدين ، والتجرؤ على حقائقه وأصوله المسلمة ، واصبحنا نرى كثيراً ممن يريدون الشهرة ، ويلتمسون الرواج ، يجعلون سبيلهم إلى ذلك ما يحاولونه من التشكيك فى الدين ، أو فى قدرة أحكامه ، وتشريعه على النهوض بحاجات الناس ، وكفالته لسعادتهم ، وما هكذا تلتمس الشهرة ، ولا بمثل هذا يكون الظهور .

فقد كان سلفنا يقضون أعمارهم فى البحث والتعمق والنظر الصائب ، ويصبرون على متاعب العلم ، ومصاعب التفكير ، ويجعلون لأنفسهم حدوداً لا يتعدونها ، فهم فى فلك الكتاب والسنة يدورون ، وعلى أساس من العقل السليم ، واصول الشريعة يحكمون ، لذلك كانت تآليفهم ، نافعة ، راشدة ، وكانت اخطاؤهم إن اخطأوا مغفورة ، لأنها أخطاء المخلصين الذين لا يبتغون إلا الحق والمعرفة ، فإن أصابوا أجروا ، وإن اخطأوا أجروا ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ .

ومن الخير ان نتعرف العوامل التى دعت إلى ان يكثر فينا هذا الصنف من المؤلفين ذوى

الدعاوى العريضة ، والأقلام الطائشة .

وأحسب أن الأزهر إذا اكتفى بأن يصادر كتاباً أو كتابين فى كل عام ، فإنه غير مستطيع وقف هذا التيار الذى إن بدا اليوم هادئاً بعض الهدوء ، فسيكون غداً جارفاً مكتسحاً .

وفى اعتقادى أن الناس لم يجدوا غذاء دينيا صالحاً يقدم لهم ، فأقبلوا على مثل هذا الغذاء الذى تضوى به العقول ، وهذه سنة الله فى كل مجتمع ، فإن أى تقصير فى بث الأفكار الصالحة فيه ، يستتبع بقدره إقبالا على الأفكار الفاسدة ، أو المخطئة ، فلو أن الأزهر أخذ بوسائل العصر الحاضر فى تنوير العقول ، وتجلية الحقائق أمامها ، ومدها بزاد طيب لا خبث فيه ولانكر ، لكانت الأمة كلها كأهل الأزهر ، ولكان بعض أفرادها دعاة ذوى غيرة ، ولوُجد المجتمع الحفيظ بعضه على بعض من الزلل والضلال .

وقد علمتنا تجارب الأمم فى العصور الأخيرة ، أن الشعوب تصاغ ، وأن العقول تحشد وتجند ، وأن زعيما مخلصاً لفكرة ، مؤمناً بعقيدة ، يستطيع أن يقنع بها جيلا بأسره ، او أجيالاً ، إذا أحسن الدفاع عنها ، وتوجيه العقول إليها .

ونحن فى أيدينا أقوم المبادىء ، وأثمن الشرائع ، وليس فيما عرفته البشرية من الأديان ، مايقف أمام ديننا موقف المنافسة أو المنازعة ، وبين ظهرانينا كتاب الله وسنة رسوله . وفى مكتباتنا خير ما أنتجته العقول ، وجادت به القرائح وقد أوتينا قسطا عظيما من السلطان فى الأمة ، والقدرة على توجيهها بما فى أيدينا من مناصبها وأموالها ، وبما لنا من نفوذ روحى دينى لا يتمتع به حزب ، ولا تنافسنا فيه جماعة ، ولكن ينقصنا حسن الانتفاع بهذه المزايا ، وأننا قد شغلنا عن رسالتنا بأشخاصنا ، وتفرغنا للمنازعات والمخاصمات ، من سرية وعلنية ، فأرهقنا بذلك أعصابنا وعقولنا ، وصار الكلال والتخاذل والتراخى من ابرز الصفات فى محيطنا .

يجب أن نعمل ، بل أن نشقى ونحفى فى العمل ، حتى نستطيع أن نربى ناشئة منا على فهم الدين والعلم فهما صحيحاً ، وعلى عشقهما العشق الذى يجعلنا نفنى فيهما ، ونتلذذ بما يصيبنا من نصب فى سبيل تحصيلهما وترويجهما فى الناس .

يجب علينا أن ننير العقول بما عندنا من العلم ، فقد جربت بنفسى أن كثيرا من المثقفين ثقافة مدنية يقابلون بعض افكارنا مقابلة فيها جفوة وتنكر ، بل فيها أحيانا سخرية وتهكم ، ثم لا يلبثون إذا شرحت لهم شرحا دقيقا ، أن يتبينوا الحق ، ويفيئوا إليه ، ويكونوا من دعاته .

وليس هذا على المجتمعات بغريب ، فإنه لسنة الله فيها منذ القدم ، وقد كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يؤمنوا أساطين الشرك ، وأسانيد الكفر ، فاستطاع فرد واحد ، ثم أفراد معه أن يغزوا بهم العالم ، ويغيروا وجه التاريخ .

إننا نشكو من انصراف الأمة عنا ، ونغضب حين نرى رجال الحكم فيها يغضون عن مطالبنا ، ولا وسيلة إلى مداواة هذا وذاك إلا بأن نعمل ونعمل ونعمل ، يومئذ يأتى إلينا الدهر معتذرا ، ويطرق أبوابنا الذين نطرق اليوم أبوابهم فلا يجيبون .



للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

عجيج وخدعة

تكلم الحسن يوما حتى ابكى من حوله ، فقال : عجيج كعجيج النساء ولا عزم ، وخدعة كخدعة إخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون .

كلمات مضيئة

- إن لك فى مالك شريكين : الحدثان والوارث .
- عاشق المال لا يشفيه إلا الموت .
- عند الشروق تتجه اشعة الشمس إلى الأرض ، وعند الغروب تتجه إلى السماء كذلك الإنسان .
- من لم يجلس فى الصغر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يحب .
- لأن أُدْعَى من بُعْدٍ إلى قُرب خير من ان اقصى من قرب إلى بعد .
- إنى لأستحى ان اظلم من لا يجد على ناصراً إلا الله .
- من يعطى بسرعة فإنه يعطى مرتين .
- ليس مال كالصحة ، ولا نعيم كطيب النفس .

لماذا لا تأكل معها ؟

قيل لعلى بن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ إنك من ابر الناس بأمك ، ولا تأكل معها فى صحفة ؟ فقال : اخاف ان تسبق يدى يدها إلى ما تسبق عيناها فأكون قد عققتها !!

أغثنى .. وأنصفنى

حكى أن رجلا اتى امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك فقال له : بالذى اسبغ عليك هذه النعم من غير شفيع كان لك إليه ؛ إلا تفضلاً منه عليك ، إلا انصفتنى من خصمى ، واخذت لى الحق منه ، فإنه ظلوم غشوم لا يستحى من كبير ، ولا يلتفت إلى صغير .

فقال له : اعلمنى من هو ؟ فإن لم ينصفك ، وإلا اخذت الذى فيه عيناه ، من هو ؟

قال : الفقر !!

فاطرق إلى الأرض مليا ينكث الأرض ، ثم رفع راسه وامر له بعشرة آلاف دينار ، فاخذها ومضى ، فلما كان بعيداً عنه ، قال : ردوه ، فلما مثل بين يديه قال : ياذا الرجل سالتك بالله متى اتاك خصمك متعسفا ، إلا اتيت إلينا متظلما .

جـــزاء الإحســـان

دعا رجل لآخر أحسن إليه فقال :
أذل الله كل عدو لك إلا نفسك ، وجعل نعمته عليك هبة لك لا عارية عندك .
وأعاذك الله من بطر الغنى وذل الفقر وفرغك الله لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

زوجـــة صالحـــة

قالت امراة لبعلها وراته مهموما :
مم همك ؟
ابا لدنيا فقد فرغ الله منها ، ام بالآخرة فزادك الله هما .

وصيـــــة

أوصى الإمام على ولده الحسن ـ رضى الله عنهما ـ فقال : يابنى احذر من الأمور ثلاثا ووافق ثلاثا واستح من ثلاث ، وافزع إلى ثلاث ، واهرب من ثلاث ، وخالف ثلاثا ، وارجُ ثلاثا .
فقال الحسن : فصلها ياأبى .
فقال : احذر من الكبر والغضب والحرص المذموم .
ووافق كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ والصالحين من عباده .
وليكن حياؤك من الله ومن الملائكة ومن الصالحين .
وليكن فزعك خوفا من المعصية، وفزعك إلى التوبة ، وفزعك إلى طلب العلم .
واهرب يابنى من الكذب والخيانة والظلم .
واجتنب الشر وأهله والنفاق وأهله ، والحمق وأهله .
وخف الله وممن لا يخاف الله ومن لدغات اللسان .
وارج الله فى غفران ذنوبك ، وفى قبول أعمالك ، وفى شفاعة نبيك ﷺ .

حقـــا

قال لبيد بن ربيعة العامرى :
ولقد علمت لتاتين منيتى
إن المنـايـا لا تطيش سهـامهـا

لو كان لى دعوة مستجابة

قال العالم الزاهد ، الفضيل بن عياض وكان فى عهد بنى أمية :
لو كان لى دعوة مستجابة ، لم اجعلها إلا للإمام ؛ لأن الله تعالى إذا أصلح الإمام أمن البلاد والعباد .

دعـــاء

اللهم لا تجعلنا موضع شفقة عبادك بل اجعلنا موضع شفقتك انت .
يارب ، ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك بل موضع الإحسان منك انت .
يارب ، واجعلنا دائما وابدا بك ومعك وإليك فلا منجى ولا ملجا منك إلا إليك يارب .

مفتى مصر الأسبق فضيلة الشيخ
حسنين محمد حسنين مخلوف

٢

بقلم فضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

فى كلمتنا الأولى عن شيخنا الجليل قدمنا لحياته ثم ذكرنا ما علمنا من مؤلفاته وعرجنا على مذهبه فى التفسير الذى التزم فيه بمذهب السلف فى التفويض غير تارك لمنحى الخلف من الأشاعرة فى التنزيه والتأويل ، واستكمالا للحديث نقول :

وفى التمثيل لمنحى التفويض ، ومنحى التأويل فى الصفات ، وقد أخذ بهما الشيخ معا ، نذكر تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾(١) .

قال الشيخ : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ علا إليها وارتفع من غير تكييف ، ولا تحديد ، ولا تشبيه ، مع كمال التنزيه عن سمات المحدثات ، وقد سئل مالك ـ رضى الله عنه ـ عن الاستواء على العرش فقال : «الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» .

ثم قال الشيخ : أو المعنى : أقبل وعمد إلى خلقها بإرادته انتهى .

هذه فقرات مما كتبه الشيخ «رحمه الله» فى تفسيره ، تكشف عن منهجه فى تناول المسائل العقدية على مذهب الأشاعرة ، وتوضح مأخذه

(١) الآية ٢٩ من سورة البقرة .

بخطة التأويل التنزيهى ، إلى جانب التفويض الورع فى الصفات .

وأما إيضاح الشيخ للأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرانية ، فقد بدت فيه ملكته الفقهية بارعة متمكنة ، وهو ملتزم دائما برأى جمهور الفقهاء ، لا يميل إلى راى ضعيف ، فإذا اختلفت آراء الفقهاء ذكر كل رأى منها ونسبه إلى صاحبه .

هذا : مع الإيجاز وسهولة التعبير ، والحسم بالرأى فى الموضوع ، وعلى سبيل المثال ما ورد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٢] قال : حاضرو المسجد الحرام : هم أهل مكة ، وأهل الحل الذين منازلهم داخل المواقيت ، أو هم أهل مكة خاصة . أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة .

وإلى الأول ذهب الحنفية ، وإلى الثانى المالكية ، وإلى الثالث احمد والشافعى - رحمهما الله - وتفصيل الأدلة فى الفروع انتهى .

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾[٣] .

قال : ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ......﴾ نهى عن تعاطى الربا ، مع تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيف الفائدة الربوية ، فقوله : ﴿ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ ليس لتقييد النهى به بل هو بيان لما كانوا عليه فى الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدى إلى استئصال المال . وقد حرم الله أصل الربا ومضاعفته ... انتهى .



الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] - خلص الشيخ إلى فهم فى غاية الدقة وجميل الاستنباط ، لقد خلص فى تفسير الآية إلى آراء مقنعة ، وخرج بها عن الحشد الكبير من الآراء التى تمتلىء بها كتب التفسير توجيها لأحكام هذه الآية ، وبخاصة ما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الشيخ رحمه الله : ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ نزلت لزجر المؤمنين عن نكاح الزانيات ، بعد زجرهم عن الزنا ، أى أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء اللاتى على

(٢) الآية رقم ١٩٦ من سورة البقرة .
(٣) الآية رقم ١٣٠ من سورة آل عمران .
(٤) الآية رقم ٣ من سورة النور .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ
حسنين محمد حسنين مخلوف

خلاف صفته ، وإنما يرغب فى نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا ترغب غالبا فى نكاح الصلحاء من الرجال بل تنفر منهم ، وإنما ترغب فيمن هو من شكلها من الفسقة والمشركين : لأن المشاكلة علة الألفة ، والمخالفة سبب للنفرة ، وهو كقولهم : لا يفعل الخير إلا تقى ، فإنه جار مجرى الغالب ، وقد يفعله من ليس بتقى ، وحرم ذلك على المؤمنين تحريم تنزيه» وعبر عنه بالتحريم مبالغة فى الزجر ، أو حرم عليهم باعتبار ما فى ضمن عقده من المفاسد كالتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة ، والطعن فى النسب وغير ذلك ، فلا تكون الحرمة راجعة إلى نفس العقد ليكون عقد نكاح الزوانى ، والزانيات باطلا للإجماع على صحته . وأما نكاح المشرك والمشركة . فإن كانت الآية نزلت قبل تحريمه ـ وقد حرم بعد الحديبية ـ فالأمر ظاهر ، وإن كانت نزلت بعده فتكون حرمته مستندة إلى أدلة أخرى» .. أ هـ .

هذا السمت العام للتفسير فى كتاب «صفوة البيان لمعانى القرآن» يجعل له شأنا ومقاما حسنا بين كتب التفسير بعامة ، ويفتح له باب السبق بين المؤلفات المنشأة فى عصرنا بصفة خاصة .

● فتيـــاه :

أما فتيا الشيخ فكانت أبرز أعماله ، وكان عمله بالقضاء مجالا من مجالات الفتيا والرأى ، بيد أن القضاء يتميز بأن له قوة النفاذ والإلزام . على ما هو مقرر ..

والسمت العام لفتيا الشيخ سمت بارز فقد جمعت فتياه سعة الفقه والإحاطة بوجوه الرأى ، مع دقة استخراج الحكم ، ولطيف الملمح ، وحسن الاستدلال .

لكنا نلمح فى فتواه مع هذا كله أنه كان شديد الاحتياط ، قوى الحذر لا يميل إلى تبرير مستحدثات الأمور ، أو مستوردات الوقائع والسلوك .

وقد اخترت له بعضا من الفتاوى ـ على ضخامة تراثه الفقهى ـ منها ما يتعلق بالوقف . ومن سمت هذا النوع من الفتوى أنه ينبىء عن عمق الرأى لديه ، وحسن التعليل ، ووجاهة الترجيح ، وحريته ، ما لم تستظل الواقعة بقانون ، فإذا استظلت بقانون أعمل الشيخ فيها نصوص هذا القانون ووقف عن الترجيح بين الآراء .

ولقد كان التصرف فى بعض المال بالوقف شائعا معبرا عن اتجاه اجتماعى إسلامى وبخاصة فى العهد العثمانى .

وعلى حد تعبير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى مقدمته لمجموعات فتاوى الوقف الصادرة عن دار الإفتاء . قال :«وكان الوقف وجها من أوجه التعاون على البر ، وتحصين الثروات العقارية ، ولما تعاقبت القوانين بعد صدور القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بإلغاء الوقف على غير الخيرات انكمشت سبل البر فلم نعد نسمع أن أحدا قد أوقف وقوفا على المساجد أو المستشفيات أو الملاجىء أو المدارس أو تحفيظ القرآن ، بل ولقد تبددت وقوف كثيرة كانت مددا للدعـوة الإسلامية ، وعونا لطـلاب العلم بالأزهـر ومعاهده ، وغير هذا من طرق البر»أ . هـ .

ولقد كانت الفتاوى فى مواد الوقف غزيرة ،

وبخاصة فيما يتصل ببعض شروط الواقفين، وفيما يتعلق بالتصرف فى الأعيان التى تخربت أو انعدم ريعها.

وكانت الفتوى محكومة بأرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة، ثم خضعت لأحكام القوانين بداية بالقانون الصادر برقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ لأحكام الوقف.

وقد سئل الشيخ - رحمه الله - عن مال[٥] وقف على ملء صهريج معد لخزن الماء العذب، لسقيا الناس، وعلى عمارته ومرمته، وعلى منزل موقوف على ذرية الواقف، فإذا انقرضت الذرية كان ريع الوقف مصروفا للخيرات، وتبين من السؤال أن هذا الوقف ليس له حجة، وأن الصهريج قد اندثر واستغنى عنه، وأن المنزل قد هدم وبيعت أنقاضه.

فأجاب:

إن الصهريج وما وقف على ملئه وعمارته ومرمته وقف خيرى صحيح، وإن لم يصرح فى الاشهاد بجهة البر الدائمة التى يصرف إليها ريعه مآلا، إذ قد جرى العرف على أن من وقف وقفا كهذا يريد تأبيده كما فى الوقف على المسجد المعين - وأما المنزل فلا شبهة فى أنه وقف أهلى، وإقرار الواقف فى حجته بأن الملاليح[٦] المذكورة وقف عليه وعلى الصهريج إقرار معتبر شرعا، فتكون هذه الملاليح موقوفة عليهما بالسوية، وبتهدم الصهريج واستغناء الناس عنه بعد موت الواقف يبقى مكانه وقفا إلى الأبد على قول أبى يوسف الذى اخترناه للفتوى فى هذه الحادثة، وهو أولى من قول محمد بعودته إلى ملك الواقف إن كان حيا وورثته إن كان ميتا.

وبناء على ذلك يصرف ما وقف على الصهريج إلى أقرب جهة بر إليه عند أبى يوسف كالمساجد أو المستشفيات أو نحوها. ولكن بعد صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ تطبق عليه المادة ١٩ منه التى تقضى بصرفه بإذن المحكمة على من يكون محتاجا من ذرية الواقف ووالديه بقدر كفايته، ثم إلى المحتاج من أقاربه كذلك، ثم إلى الأولى من جهات البر حتى صدور القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣ بتعديل المصارف الخيرية الذى نشر بالوقائع المصرية بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٥٣، ومن حين العمل به تطبق أحكامه، ويجوز بإذن المحكمة استبدال أرض هذا الصهريج بما هو أنفع للخيرات» انتهى.

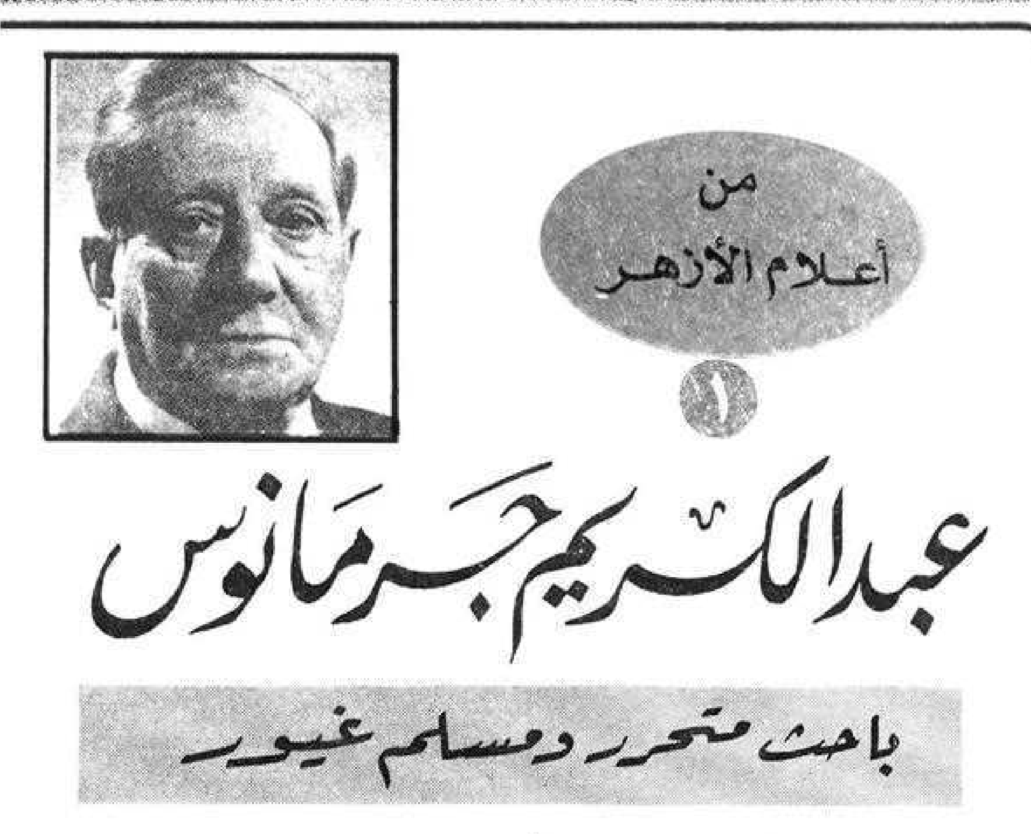
وهكذا أخذ الشيخ بقول أبى يوسف مبقيا وقف الصهريج خيريا إلى الأبد، ورجحه على قول محمد بعودته إلى ملك الواقف أو ورثته بعد أن تهدم، أخذ الشيخ بقول أبى يوسف فى الفترة التى سبقت صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بأحكام الوقف وأما الفترة التى تلت صدور هذا القانون فقد أعمل فيها ما تقضى به نصوصه أخذا بقول محمد بن الحسن.

يتبع

---

(٥) الفتوى مسجلة برقم ٦٨ - م ٦٨ ص ١٢٩ فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ بدار الافتاء.

(٦) يقصد الملاحات.



عبد الكريم جرمانوس

باحث متحرر ومسلم غيور

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

يعد الدكتور عبد الكريم جرمانوس فى طليعة الباحثين المتحررين ، الذين درسوا الأديان كافة ، ثم راوا فى تعاليم الإسلام نوراً يهدى إلى الصراط المستقيم ، فاقدم على اعتناقه واثقاً من هدايته النافعة ، ورسالته المصلحة ، وناضل فى سبيله من قاموا بنقده المغرض فى صحف اوروبا ، حيث عز عليهم ان يهتف مفكر لامع بغير ما يرون ، وما كان جرمانوس فى قوة تفكيره ، ووضوح منطقه ممن يقول : إنَّا وجدنا آباءنا على امة ، وإنَّا على آثارهم مقتدون ، بل كان ممن يستمعون القول ، ويزنونه بميزان العقل فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله .

وإذا كان الدكتور جرمانوس فى منطق جميع المثقفين ، من اعلام المستشرقين فى العصر الحديث ، فإننى لا اعده مستشرقاً بالمعنى المتداول مهما كتب فى عداد هؤلاء ، لأن رجل الغرب إذا درس الإسلام وآمن به ، وأصبح من ابنائه عن هداية واقتناع ، لا يصح أن يدرج فى صف واحد مع من درس كتب الإسلام ليعرضها من وجهة نظره الخاصة غير معتقد مبادىء ما يعرض ، إذ ان الأول بعد إسلامه الصادق يصبح شرقياً لا مستشرقاً ، إذ يقيم بروحه

الصافية فى آفاق النبوة ، ومشارق الوحى الإلهى وإن ظل بجسده فى أوروبا ثاوياً لا يريم ! وما شأن الجسم المقيد فى مكانه إذا سبحت الروح فى عالمها الأوسع مستضيئة بهداية النور الذى أشرق فى مكة ثم امتد إلى أقصى الربوع ؟!

أما الذى يتكلف البحوث الإسلامية ليرضى حاجة نفسه أو يستجيب إلى نزعات قومه فى تسطير ما يرى أنه وجهة نظرهم دون أن يتغلغل إلى صميم الحقائق التى يدعى الإجادة فى تصورها وتصويرها دون إيمان فهو المستشرق حقاً ، بل إنى أزيد فأتسع بدائرة الاستشراق حتى تشمل نفراً من الشرقيين لدينا ممن عاشوا فى مصر وسوريا والعراق وغيرها من مدن العروبة ثم تراهم يكفرون بقيم الدين الإسلامى عن جمود لا عن فحص ، ويهتفون بحضارة الغرب وحدها هتافاً لا يقتصر على تمجيد الحسن ، وتقبيح الردىء بل يتعصبون لكل صادر من أوروبا تعصباً يضطرهم إلى الإزراء بتقاليد أهلهم وعادات إخوانهم ، هؤلاء هم فى رأيى مستشرقون لا شرقيون ، ومثلهم عندى كمثل « لا منس » و« مرجليوث » ممن كتبوا عن الإسلام تحت تأثير غرض خاص ، وما أجدر الدكتور عبدالكريم جرمانوس أن يكون بعيداً عن أولئك وهؤلاء .

لقد تحدث الكاتب الكبير الأستاذ محمود تيمور عن قصة إسلام الدكتور جرمانوس فقال من مقال طويل :

— سألته فى غضون حديث معه : ما قصة إسلامك ياحاج عبدالكريم ؟

فقبض على لحيته ، وجعل يتخللها بأصابعه ثم أجابنى بقوله : « هى لحظة من لحظات الإشراق : لأن الإسلام دين الذهن المستنير وأن أصحاب التفكير الحر ليجدون فى هذا الدين السمح ، عقيدة وشريعة ما يستولى على الإعجاب ، وما يهدى إلى الاقناع ، وعندى أنه سيكون معتقد الأحرار كلما تخلصوا من ربقة النشأة ، ووطأة التقليد ، وأنا أعرف كثيراً من المستنيرين يجلون الإسلام ديناً ، ويكنون فى سرائرهم إيماناً وإذعاناً » .

يقول تيمور ، فقلت له : ولم يشفنى جوابه ، أو أطمعنى هذا الجواب فى الاستكثار من تفاصيله : هل لك أن تحدثنى ماذا حبب إليك الإسلام ؟

فاسترسل من فوره يقول :

— « حببه إلىّ شىء واحد ، هو جوهر كل شىء إنه دين الطهر ، دين النظافة ، نظافة الجسم والنفس والسلوك الاجتماعى ، والشعور الإنسانى ولا تستهن بالنظافة الجسمية فهى رمز ودلالة ، لها قيمتها المعنوية ، ولها أثرها العميق ، ومن هنا كانت الحمامات فى الحياة الإسلامية والعربية ، من أرقى مظاهر التحضر العمرانى ، ولقد تعلم الأوربيون نظام الحمامات من أهل الأندلس ، ولدخول الترك فى المجر فضل فى سبقها إلى شيوع الحمامات بها ، أما الطهر النفسى والاجتماعى فيكفيك منه فى الإسلام أن الدين هو المعاملة ، وأن الناس جميعاً سواسية أمام الله ، لا مزية لأحد بلون أو عنصر أو جنس ، وأن صلة المرء بمجتمعه فى الإسلام قائمة على أساس ركين من الإحساس بالسعادة براحة الضمير ، ولا يكون من وراء ذلك إلا مجتمع قوامه الحق والعدل والخير والسلام » ..

هذا لُباب ما تحدث به جرمانوس لصديقه تيمور ..

عبد الكريم جرمانوس

والحق أن الإسلام ببساطته يلخص فى سطور تجمع عناصره الداعية إلى سعادة الفرد والمجتمع ، وإذا كان الدكتور جرمانوس قد أوجزها لصديقه ، فقد أشبعها تحليلاً ودرساً فى كتابه الرائع (الله اكبر) لأنه يحكى قصة إسلامه ، ورحلته إلى مكة لحج بيت الله ، وهى رحلة ترجمت إلى عدة لغات ، وكان لها فى عالم الغرب صدى بعيد !

على أن حب الدكتور جرمانوس للإسلام قد دفعه إلى حب لغاته التى يتكلم بها المسلمون فدرس العربية والفارسية والتركية والأردية دراسة جادة عاونته على أن يؤلف بها بعض كتبه ، كما يؤلف بالألمانية والمجرية والإيطالية والانجليزية ، ولك ان تعجب من علّامة ضليع يترك مؤلفاته منتشرة بقلمه الخاص دون ترجمة أحدٍ سواه فى سبع لغات ! وقد وجد فى جامعة بودابست التى يشغل أستاذ التاريخ والحضارة بها لأكثر من اربعين عاما من ينشر البحوث داعيا إلى إحياء اللغات العامية فى الوطن العربى ، ويعد العربية كاللغة اللاتينية التى هُجرت إلى غيرها بتطور الزمان ، فيحلم بالزمن الذى تصبح فيه لغة مصر غير لغة العراق ، ولغة المغرب غير لغة الشام سعيا إلى تفتت كيان متماسك تربطه اللغة الفصحى بأقوى الرباط ولهذه الدعوة أشياع مستأجرون فى كل موطن عربى ، ولكن الدكتور جرمانوس حاربها أعنف المحاربة فى عواصم أوروبا ، ومواطن الاستشراق الاستعمارى محاربة من يملك الحجة الدامغة والمنطق الأصيل ، وتعرض بذلك إلى خصومات حاقدة عملت على بتره من مكانه الجامعى بحجة أنه يسير فى غير الاتجاه المرسوم ، ولكن تلاميذ جرمانوس قد تعصبوا لعلمه وفضله ، ورأوا عمق تأثيره فى جامعات الشرق والغرب التى زار اكثرها كأستاذ زائر فسجل لبلاده مجداً لا يُلحق ، فبقى الداعية المسلح برايه المستنير استاذاً للتاريخ فى جامعته العريقة رغم انف الحاقدين .

لقد سعدت بلقائه الكريم عدة مرات وحدثنى فى شأن الحرب الطاحنة التى يقوم بها الغرب على اللغة العربية متخذا ابواقه من بعض الأقلام فى الشرق ، ثم قال إننا لا نلوم أعداء العربية إذا حاربوها استجابة إلى أضغانهم الحاقدة ولكننا نلوم العرب انفسهم لأنهم يهجرونها فى أحاديثهم العامة والخاصة ، ويذكر من نوادره فى ذلك انه تعلم العربية الفصيحة وحده دون معلم فى المجر مكتفيا بالقواميس التى تذكر الكلمة العربية بإزاء ترجمتها الأجنبية ، ثم تطلع إلى زيارة القاهرة ليأنس بسماع الفصحى فى عاصمة الإسلام الأولى ومهد الأزهر الشريف ، ففوجىء حين قدم الاسكندرية مبحراً من أوروبا لأول مرة بمن يضحكون منه لانه يكلمهم باللغة الفصحى ! ثم يردون عليه بألفاظ عامية لا يدرك معناها ، فأدركه الغضب ، وصاح متضايقا : جئت هنا لأتعلم منكم لغة القرآن ! اقابل بالضحك والاستهزاء ! ثم رأى فى قلمه متنفساً لعواطفه الثائرة فبادر بإرسال كتاب عاجل إلى زوجته الكريمة ببودابست يقول فيه : «لقد جئت إلى مصر وأنا أحذر أن أكون غير ملم باللسان العربى فأصير ضحكة للعامة ، فأصبحت ضحكتهم لأنى اتكلم باللغة العربية ، بل لأنى انا المتكلم بها وحدى فى جمرك الاسكندرية دون أن أجد الاحترام من احد» !!

ثم يواصل الأستاذ جرمانوس ذكرياته عن تهالك بعض الكتاب على اللغات العامية دون العربية المجيدة فيقول :

ارسل إلىّ قصاص عراقى هو الأستاذ احمد الدباغ رواية كتبها باللغة العامية فى العراق ، كنموذج من أدب جديد يعمل على نشره تأثراً بدعاية من يرون سيطرة اللغات العامية فى أجزاء الوطن العربى ، فحاولت جاهدا أن افهمها فلم اقدر على شىء ، فلجأت إلى أستاذ مصرى يعيش فى بودابست ليقرأها معى ظنا منى أن المصرى اقدر على فهم القصة العراقية من المجرى ، ولكن صاحبى المصرى كان معى من ناحية الفهم للقصة ، فلم يع شيئاً مما أمامه ، فقر رايى على أن أواصل الشوط إلى نهايته ، واتصل بالسفير العراقى فى المجر ليتولى الترجمة من العامية العراقية إلى اللغة العربية . وكانت حيرتى شديدة حين وجدت السفير العراقى نفسه يعانى مشقة كبرى فى تفهم كلمات القصة فسألته الست عراقيا ؟ وهذه لغة موطنك ؟ فقال : إن اللهجات مختلفة ولغة (الموصل) العامية غير لغة (كركوك) و(خانقين) !! وإذا كان أبناء الإقليم الواحد لا يتفقون على الفاظ واحدة ، فكيف نسعى إلى الكتابة بالعامية لنعبر عما نكتب ؟ وهل من فائدة الكاتب أن يوسع دائرة انتشاره الأدبى فى المحيط العربى أو يعمل على إغلاق نفسه فى حيز محدود !

لقد أسهبت فى إيضاح رأى الدكتور جرمانوس فى هذا المجال ، لأن ذيول هذه الدعوة إلى هجر الفصحى لاتزال تتحرك فى بطء حاقد ولازلت اذكر أن الأستاذ محمود تيمور قد الف ثلاث مسرحيات باللغة المصرية العامية ، ومن بينها مسرحية (ابو شوشة) وقد سارع بإهدائها إلى الدكتور جرمانوس ليعلن له فى خطاب رقيق ، أنه الف بالعامية ليثقف الشعب المصرى ويرتفع بمستواه ، فرد عليه الدكتور جرمانوس قائلاً : إن العامية لغة حديث فقط ، ولا تتسع إلى تصوير الخلجات النفسية العميقة ، وكشف السرائر الغائرة فى الأعماق كما تتسع الفصحى لرسم أدق النوازع فى إبداع ، وحار الأستاذ تيمور ما يصنع ردا على اعتراض صديقه فلجأ إلى الأستاذ زكى طليمات ليكفيه الرد على صاحبه ، فنشر طليمات بحثا فى عددين من الرسالة يوضح اهتداء تيمور إلى خلجات النفس فيما كتب ، وقد تكلف زكى طليمات رهقا شديداً فى افتعال ما قال ، ولم يفت ذلك جرمانوس فكتب إلى طليمات يقول : إنك استطردت إلى إيضاح بعض حقائق علم النفس لتجبرها جبراً على تطبيق موهوم لبعض الشخصيات التيمورية فى المسرحية العامية ، ويستطيع كل باحث نفسى أن يلقط من الفاظ العوام فى الأزقة والمحلات والمقاهى ما يكشف عن اطوائهم النفسية ، لأن كل كلمة تقال صدى لانفعال نفسى ! بل إن كل حركة من حركات الحيوان الأعجم صدى لهذا الانفعال ، وإذن فمسرحية تيمور لم تكشف عن النفس البشرية ما تستطيع أن تكشفه القصة الفصيحة ذات الغور العميق ، وكان موقف جرمانوس داعياً إلى أن يهجر تيمور الكتابة بالعامية فيما بعد وأن يعمل على ارتقاء أسلوبه الأدبى ، حتى أصبح عضواً بمجمع اللغة العربية ، وارتقى بإبداعه الأدبى إلى مستوى من البيان كان موضع الاحتفاء والإعجاب !

وقد كان النقد الهادف طريق جرمانوس فيما يثيره من آراء تجد صداها المعارض ، فقد القى عدة محاضرات عن تاريخ الحضارة الإسلامية فى مدها الزاخر ، قوبلت بانتقاص من يسوؤهم أن تذاع محاسن هذه الحضارة فى جامعات أوروبا ، فكتبوا ينتقصون حضارة الإسلام مستشهدين

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

بواقع المسلمين فى القرنين التاسع عشر والعشرين ! ولم يفت جرمانوس أن يواجه القوم بأنهم ينكرون تاريخ دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ، وما حمل المسلمون فى عصورهم الزاهية من أنوار ساطعة كانت بوارق النهضة الأوروبية ، إذ لولا حضارة الإسلام لم تستفق أوروبا من نومها العميق ، أما الواقع المؤلم لبلاد الإسلام اليوم فمصدره فى رأي الدكتور جرمانوس هو الحضارة الأوروبية وحدها ، لأنها حاربت هذه الشعوب الآمنة بالحديد والنار مستعمرة ربوعها ، ومدعية أنها تحمل رسالة التقدم والازدهار ! وإذا مر قرن أو قرنان على حضارة الغرب الاستعمارية دون أن تتقدم دول الإسلام ، فليس الذنب ذنب الإسلام ، ولكنه ذنب من حاربوا تعاليمه ، ومنعوا الضوء عن العيون ، فتأخر المسلمين إذن يرجع فى أول أسبابه إلى استعمار الغرب وابتزازه المادى !

وهذا القول حق شائع لا جديد به بالنظر إلينا نحن المسلمين ، ولكن الجديد كل الجديد أن يهتف به جرمانوس فى معاقل الاستعمار الحصينة بأوروبا ، وأن ينضم إلى القافلة الحرة ، التى تقدس حكم الحق ، وتقول للمخطىء فى جبروته : إنك متجبر ظلوم .

ولد جرمانوس فى بودابست سنة ١٨٨٤ م ونشأ مسيحيا يقيم شعائر دينه ، وتعلم فى طفولته لغة بلاده ، والتحق بالمدارس ثم بالجامعة ، فرأى القائمون على أمرها حينئذ أن يتخصص فى دراسة اللغة التركية ، فبعثته جامعة بودابست سنة ١٩٠٣ إلى جامعة استنبول ليتقن (لغة الأتراك) فى بلادهم ، وقد استطاع بجده الجاهد أن يجيدها قراءة وكتابة فى عامين فحسب ، كما شاءت الظروف الطيبة أن يقرأ تفسيراً للقرآن الكريم باللغة التركية جذبه إلى حقائق الإسلام من مصدره الأول جذبا عنيفا إذ رأى فى ضوء الآيات القرآنية المباشرة إسراف المبشرين ممن يحملون الإسلام ما ليس به ، ووقف وقفات طويلة ليقارن بين ما يكتبه القساوسة وصنائعهم عن الإسلام ، وما هو مسجل فى القرآن الكريم ، فتاق إلى أن يقرأ ترجمة الأحاديث النبوية فى اللسان التركى ، ليعرف أقوال نبى الإسلام كما نقلت من مصدرها الصحيح ، فعجب أكبر العجب لما تلقى من أمور الهداية التوجيهية فى إصلاح العالم بأسره ، وظهرت صورة محمد ﷺ أمامه فى ملامحها الصادقة بعيدة عن أكاذيب المرجفين ، ثم أتيح له أن يرجع إلى المجر ليجد أساتذته الكبار من سدنة الاستشراق يتحدثون عن الإسلام بما ليس فيه ، كما وجد أحدهم ينقل عن خاتم الأنبياء أقوالاً لا تمت إلى ما قرأه جرمانوس فى الترجمة التركية بسبب ، لأنها أقوال تدعو إلى الإباحية والانغماس فى الشهوات ، وكان جرمانوس صادقا مع نفسه ، حين طلب تحديد موعد لإلقاء محاضرة تبين وجهة الإسلام فيما يخوض فيه الخائضون عنه دون اطلاع ، وعكف عدة أسابيع ليجمع كل ما يلصق بالإسلام زورا ، كاشفاً عن افترائه ومستندا إلى التفسير التركى الذى درسه ، وإلى ما وعاه من الحديث النبوى ، وللدكتور جرمانوس فى كل أدوار حياته هدوؤه الباسم ، ونفسه المتسامحة فهو لا يشتط فى جدال ، ولا يعنف فى مؤاخذة ، وبهدى رائع من خلقه المتسامح ، قابل أقوال معارضيه بالابتسام ، وعقب عليها بالتى هى أحسن ، فآثروا السلامة ، ولم يخوضوا معه فى لجاج هو أول من ينأى عنه إذا خالف آداب البحث وسنن الحوار ، ولم يكن جرمانوس حينئذ

قد اعتنق الإسلام ، ولكن البذرة قد غرست فى قلبه دون أن يشعر ، ومازالت تنمو فى سكون حذر ، حتى جاء اليوم الذى تفتحت فيه عن غصن ناضر ، وذلك بعد ثلاثة وعشرين عاما بالهند ، إذ كان من حظه الباسم أن يُختار أستاذاً للحضارة فى جامعات الهند متنقلا فى كلياتها العامرة بـ «دهلى» و«لاهور» و«حيدر أباد» ، وقد اختص عهود الخلافة الإسلامية الزاهرة بدمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة بفيض من بحوثه المقارنة ، وهو فى محاضراته العلمية يمزج التاريخ الإسلامى بالتشريع ، ويرسم مناحى التقدم الحضارى مصوراً أثر الإسلام فى استجاشة الهمم نحو الكمال الإنسانى مدنية وعلماً وسلوكاً ، واكتشافا وتقنينا وإبداعا معماريا وشعريا ، وارتقاء روحيا إلى معارج الإيثار والتواضع والإخلاص فى ظلال المنطق القرآنى الذى يهدى لما هو أقوم ، ولابد لمن يدرك هذه المعانى أن يسارع إلى اعتناق الدين الحنيف فى ثبات أكيد لا يعرف الشك ، وكان يوم الجمعة ميعاد هذا البعث الروحى الهائل حين صعد الدكتور عبد الكريم جرمانوس إلى المنبر فى جامع «دهلى» ليخطب الناس متحدثا عن بواعث إسلامه ، ثم ليؤم المسلمين فى صلاة الجمعة بعد أن صار واحداً منهم ! ولا تسل عن مهرجان الاحتفال الرائع بعد انتهاء الصلاة ، إذ ازدحمت الأفواج المتدفقة على المسلم الجديد تحتضنه حبا ، وتأمل فيه لسانا صادقا ، وقلما مخلصا ، وروحا متوثبا ، وهذا ما كان !

دامت إقامة الدكتور جرمانوس بالهند ثلاث سنوات ، عاشها فى بيئة إسلامية ذات غيرة متقدة على الدين الحنيف وطبيعى أن يكون الدين الجديد باعثا للرجل الطلعة على زيادة الاستيعاب الدارس لتعاليمه ، حيث انتدبته المحافل العلمية لإلقاء محاضرات مقارنة عن الأديان ، تخلص إلى إيضاح ما استتر فى طوايا التراث الإسلامى من كنوز لا يدرك جوهرها الثمين غير الدارسين من ذوى الدربة والشمول ، أما السعادة كل السعادة (وهذا تعبير جرمانوس نفسه) فكانت فى صداقة عبد الكريم جرمانوس للشاعر الإسلامى الكبير محمد إقبال ، لأن شاعر الإسلام العظيم قد بادر متصلاً بالوافد الزائر ، ليؤدى له حق الضيافة ، ولن يكون لقاء إقبال بصاحبه غير سبحات فكرية دائمة فى مشكلات العالم الإسلامى فى جميع أقطاره ، لأن شاعر الإسلام كان يعيش بروحه الرحبة فى آفاق العالم بأسره ، فهو يدرك الطغيان الجاحد فى الغرب ، والانحدار المفجع فى الشرق ، ويلمس الجرح الناغر فى جسم الأمة الإسلامية حين كبلها الاستعمار فى كل صقع بأعنف الكبول ، وقد كان النشاط التبشيرى موضع محاورة الرجلين ، إذ كان (جرمانوس) يرجع به إلى افتقاد النصفة العادلة لدى القائمين على شئون المسيحية فى أوروبا ويرجع به (إقبال) إلى تهاون المسلمين أنفسهم ، إذ وجد فيهم من يشجع المدارس الأجنبية على أداء رسالتها التبشيرية حين يقذف المسلمون بأكبادهم إلى الضلال الحقيقى ، وإذا كان الشاب الذى ناهز الثلاثين يرحل إلى أوروبا - إلا من هدى الله - فيرجع زائغ العقيدة ، فكيف يكون الطفل فى عهده الأول ؟ وهو منقاد إلى من تخصصوا فى إغوائه فيقدمون السم فى الدسم فى كل درس ينهضون به ، لأن المناهج فى هذه المدارس مناهج تبشير مهما استترت بأسماء الجغرافيا والتاريخ والأدب والأخلاق والتهذيب ، وقد سأل إقبال صاحبه عن مناهج الدراسة فى جامعات أوروبا وعمن تخصصوا فى دراسات الإسلام من المستشرقين لينتهيا من حوارهما الطويل إلى أن أكثر هؤلاء قد وجهوا عمدا إلى تشويه الحقائق الدينية ، فأكثر



من اعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

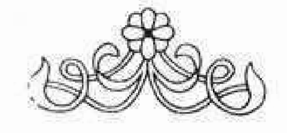
أحاديثهم فى مؤلفاتهم الذائعة يدور حول أوهام المتصوفة ، وما يقال عن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكأنه أصل من أصول الإسلام ، فإذا ترك الاستشراق دائرة التصوف إلى الأدب فالحديث حديث المجون والزندقة والإباحية ، ونشر كتب التبذل مع تسليط الأضواء على أمثال بشار وحماد وأبى نواس ، أما كتاب الله عز وجل فلا ينظرون إلى هدايته الحكيمة ، وقوانينه السياسية التى قفزت بالعالم كله إلى طريق الأخوة والحرية والمساواة ، ولكنهم يتحدثون عن القراءات الشاذة ، ويقفون الوقفات المخططة أمام نقول فى التراث كتبت دون تحقيق ، ويُشم منها ما يبعث الشك ، مع وضوح بطلانها أمام الناظر المتفقه ، وهكذا يبحثون فى كل منحى علمى عما يثير العواصف فى العقول الآمنة ، كيلا تستقر على نهج سديد ، وقد عاش جرمانوس ـ رحمه الله ـ مفتخرا بإقبال ، ومعتزاً بصداقته وقد اهداه الشاعر الكبير عدة أبيات من نظمه كتبها بخطه الجميل وتفضل علىَّ الدكتور جرمانوس بصورة شمسية منها ، بادرت بنشرها بالمجلة العربية ـ جمادى الثانية سنة ١٤٠٠ هـ فى مقال تحت عنوان : (بين محمد إقبال وعبد الكريم جرمانوس) وفيه تفصيل متواضع لبعض ما أوجزت هنا من معان .

معارك الفتوحات ـ المراجع ـ بقية

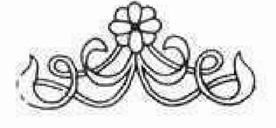
(١) ، (١٣) ، (١٩) : جون باجوت جلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .
(٢) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ، الألف كتاب ، القاهرة ١٩٥٨ .
(٣) د . طه حسين ، الشيخان ، ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٥ .
(٤) سيد قطب ، فى التاريخ .. فكرة ومنهاج ، ، الدار السعودية للنشر ١٩٦٧ .
(٥) اروين هايكل ، القوة الحربية والغرض السياسى ، ، معهد الدراسات الاستراتيجية ـ لندن ١٩٧١ .
(٦) ، (٨) ستيفن رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦١ .
(٧) إدوارد جيبون ، إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ـ دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٩ .
(٩) نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٧ .
(١٠) ، (١١) ، (١٤) ، (١٥) : جون باجوت جلوب ، امبراطورية العرب ، ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ١٩٦٦ .
(١٢) دونالد ويبر ، إيران ، ماضيها وحاضرها ، ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ١٩٥٨ .
(١٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٩ .
(١٧) الحافظ ابن كثير الدمشقى ، البداية والنهاية ، ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ١٩٧٩ .
(١٨) أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذرى ، فتوح البلدان ، ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٦ .
(٢٠) د . على حسنى الخربوطلى ، المستشرقون والتاريخ الإسلامى ، ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ١٩٧١ .
(٢١) القرآن الكريم سورة الانفال الآية رقم (٦٦) .

اللغة والأدب والنقد

من ذكريات رشيد رضا



وقفة مع محقق كتاب الوحوش



قراءة في كتاب

المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي



للأستاذ
السيد حسن قرون

السيد محمد رشيد رضا ـ و (السيد) لقبه ، وهو لقب آل البيت ، عرف به وكانه علم عليه ، وهو أحد ثلاثة فى العصر الحديث كانت لهم قدم صدق فى العاملين فى الإصلاح الإسلامي .

أما الثلاثة فهم حسب مواليدهم وظهورهم فى الحياة العامة : السيد جمال الدين الأفغاني ، والإمام الشيخ محمد عبده ، والثالث محمد رشيد رضا ، وقد اشتهر رشيد رضا فى مصر والعالم الإسلامي بعملين عظيمين : (١) مجلة المنار (٢) تفسير المنار . وإن كان الرجل قام بأعمال كثيرة ، واشترك فى مهام خطيرة تتعلق بشئون الدعوة الإسلامية والصحافة والتأليف . وقد حكى عن بداية أمره فى الأدب والثقافة الإسلامية : أن أول مقال كتبه ونشرته جريدة « طرابلس » كان عنوانه « فلسفة الأخلاق » وأن رئيس تحرير الجريدة لقبه عند ذكر اسمه « بالأديب الأريب » والأريب معناها العاقل ، وكان من الجائز أن يستمر فى صناعة الأدب وهو القارىء الدارس منذ نعومة أظفاره ، فيكون فى مقدمة الكتاب والشعراء والخطباء ، وله فى كل مجال منها نصيب ، بيد أن ميوله اتجهت إلى الإصلاح ، والإصلاح الإسلامي ، ومقاله الأول الذى تحدثنا عنه يشير إلى مستقبله فى عالم الكتابة .

ومن ذكرياته الشبابية تعرف ميوله ، وسباقه فى ميادين المعرفة القائمة على الكتاب والسنة وإحياء المجد المؤثل ، والعمل على وحدة المسلمين شرقاً وغرباً ، فلنصغ إليه يتحدث يقول ، واعذرنى إذا لم أنقل إليك حديثه بنصه وقصه ، فعليك بمقدمات تفسير المنار ففيها تلك

الذكريات :

كنت في طرابلس الشام قبل اشتغالي بطلب العلم مشتغلاً بالعبادة ، ميالاً إلى التصوف وكانت النيَّة في قراءتي للقرآن الكريم لأجل الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا . ولما رأيت نفسي أهلاً لنفع الناس بما حصلت من علم على قلته ، أخذت أجلس بين العوام في بلدنا أعظهم بالقرآن مغلباً الترهيب على الترغيب .. وفي أثناء ذلك ظفرت يدي بنسخ من جريدة « العروة الوثقى » في أوراق والدي ، فلما قرأت مقالاتها في الدعوة إلى « الجامعة الإسلامية » وإعادة مجد الإسلام وسلطانه وعزته ، أثرت في قلبي تأثيراً دخلت به في طور جديد من حياتي ، وأعجبت كل الإعجاب بمنهج تلك المقالات في الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز ، وما تضمنه تفسيرها بما لم يَحُمْ حوله أحد من المفسرين وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى ثلاثة أمور :

١ - بيان سنن الله في الخلق ونظام الاجتماع البشري وأسباب رقي الأمم وتخلفها ، وقوتها وضعفها .

٢ - بيان أن الإسلام دين سيادة وسلطان ، وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، فهو دين روحاني اجتماعي ، ومدني عسكري ، وأن القوة فيه لأجل المحافظة على الشريعة العادلة لا لأجل الإكراه على الدين بالقوة .

٣ - المقالات التي حببت إلى حكيمي الشرق ومجددي الإسلام ومصلحي العصر : « السيد جمال الدين الأفغاني » و « الشيخ محمد عبده المصري » ، وهما اللذان أنشأ جريدة العروة الوثقى في باريس ١٣٠١ هـ ، عقب احتلال الإنكليز لمصر في أواخر ١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م ، وكان الكاتب لتلك المقالات فيها هو الثاني بإرشاد الأول وهو أستاذه في هذا المنهج ومربيه عليه .

وكان أن تأثر بتلك الجريدة حتى أنه عزم على الهجرة إلى « الآستانة » حيث ينزل السيد جمال الدين الأفغاني ، ولذلك كتب إليه يعرفه بنفسه وبرغبته في صحبته إلا أنه يخشى ألا تطول إقامة السيد جمال الدين فيها ، وعلل ذلك بقوله : « لأن بلاد الشرق أمست كالمريض الأحمق يأبى الدواء ويعافه لأنه دواء » .

لم يقابل السيد / رشيد رضا السيد جمال الدين فاتجه إلى تلميذه وخليفته الشيخ محمد عبده ، فأخذ يتربص الفرص ، ويعد نفسه للقائه فدرس العلم بطرابلس وحصله ونال شهادة العالمية أو التدريس من شيوخه ، فكان أن هاجر إلى مصر - كما هاجر غيره من سوريا ولبنان لإنشاء الصحف والمجلات .. وأنشأ مجلة المنار ، وهنا لابد أن يتصل بالإمام محمد عبده والشوق يغلبه ، والإصلاح يدفعه ، فاتصل به مع زقزقة العصافير ، فكان اتصاله به من أول يوم « كالاتصال اللازم البين بالمعنى الأخص بملزومه » هكذا يصف الصلة بينه وبين الإمام محمد عبده ، ليكون الثالث المخلص في سبيل الإصلاح وفي مشاق الغربة والعمل والكفاح ، وأنشأ المنار للدعوة إلى الإصلاح .

لئن كانت العروة الوثقى نشرت في العالم الإسلامي خفية وعلانية ثمانية عشر عدداً ، فلقد عاش المنار سنوات طويلة يزاحم في العالم الإسلامي والعربي الصحف الأدبية والسياسية



من ذكريات رشيد رضا

وله قراؤه من جميع الطبقات والأجناس .

وكان أول اقتراح له على الإمام أن يكتب تفسيراً للقرآن بنفس الروح التى كان يكتب بها فى العروة الوثقى . فقال كالمعتذر : إن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه فله تفاسير كثيرة أتقن بعضها مالم يتقنه بعض ، ولكن الحاجة شديدة إلى بعض الآيات ، ولعل العمر لا يتسع لتفسير كامل ، فاقترحت عليه أن يقرأ درساً فى التفسير ، وكان ذلك فى شعبان ١٣١٥ هـ ثم كررت عليه الاقتراح فى رمضان وكان يعتذر ، وفى يوم الجمعة ١٣ رمضان ١٣١٦ هـ زاره مرة ثالثة فوجده متألماً يقرأ عبارة لكاتب فرنسي يطعن فى الإسلام ، وعلل الإمام طعن الفرنسي بضعف المسلمين . يقول السيد محمد رشيد رضا : إن الإمام محمد عبده قال إن القرآن نظيف والإسلام نظيف ، وإنما لوثه المسلمون بإعراضهم عن كل مافى القرآن واشتغالهم بسفساف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّافِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾[1] . وماذا كان يكون ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتدوا بها ؟

ثم ذكر أن الطاعن الفرنسي ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق إلا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم ، قد أوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها . وقال : وأين هذا من تسمية النصارى خالقهم بالأب الدال على الرأفة والعطف ؟ ثم طفق الأستاذ يرد ففرق بين اسم الرب ومافيه من معنى التربية والعطف . ومعنى الأب ومجىء الابن بمقتضى شهوته لا محبته .. وهذا الكلام فى الواقع لا يمثل الدينين فالإله له صفاته الإلهية والأب له صفاته البشرية وبينهما مسافات ومسافات ولكن الأستاذ الإمام مضطر لمجاراة أعداء الإسلام .

يقول صاحب المنار : ومازلت به حتى أقنعته بقراءة التفسير فى الأزهر فاقتنع ، وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف (فى غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ) وانتهى منه فى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾ . من الآية ١٢٦ من سورة النساء ، فقرأ زهاء خمسة أجزاء فى ست سنين ، إذ توفى من جمادى الأولى منها ـ رحمه الله تعالى وأثابه .

وكنت أكتب فى أثناء إلقاء الدروس مذكرات أودعها أهم ما أراه قاله ، وأحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره فى وقت الفراغ . واقترح عليه القراء أن ينشر هذا التفسير فى مجلة المنار ، فاستجاب لهم ، فشرع فى النشر سنة ١٣١٨ هـ وذلك فى المجلد الثالث من المنار .

وصاحب المنار مع إخلاصه لأستاذه ، وإخلاصه لمنهجه له شخصيته فى الفهم والكتابة ، ومن ذكرياته فى هذا الاتجاه قوله :

هذا ؛ وإنى لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه ـ رحمه الله تعالى ـ بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو فى حكمها ، وفى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين

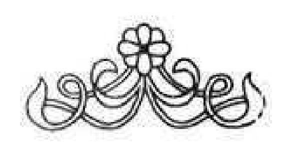
(١) البقرة ٢٩ .

العلماء ، وفى الإكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة ، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إليها بما يثبتهم بهداية دينهم فى هذا العصر ... وأنا أرى أن صاحب المنار ثقافته واسعة وليست له قدرة على الاختزان بخلاف أستاذه الذى كان يضع كل شىء بقدره لأنه يقصد إلى العمل والعمل وحده .

ولا جدال فى أن صاحب المنار عاش بعده فتمم ما أراده الإمامان من إصلاح ظهر أثره فى كثير من المؤسسات والمجالات ، وأنت تراه مثلاً فى تحقيقه لكتاب « أسرار البلاغة » للإمام عبد القاهر الجرجاني يبدى رأيه فى بعض الألفاظ والجمل تعقيباً على ماقاله أستاذه فى درسه .

يقول الدكتور أحمد الشرباصي ـ فى كتابه « رشيد رضا الأديب الكاتب الإسلامي » :

وإذا كان الكاتب الإسلامي الكبير السيد محمد رشيد رضا قد خرج إلى الدنيا وليداً فى الثالث والعشرين من سبتمبر ١٨٦٥ م ورحل إلى دار البقاء فى الثانى والعشرين من أغسطس سنة ١٩٣٥ ، فإنه قد ظل نصف قرن من الزمان يخدم الإسلام ولغة الإسلام وأدب الإسلام بقلمه وبيانه خدمة موصولة جليلة قد يكون أكبرها وأظهرها : أثرين باقيين من آثاره : هما مجلة المنار ، وتفسير المنار .. وحبذا لو أعيد نشر تفسير المنار ، واختيار بعض كتاباته وقصصه من مجلة المنار لتكون نوراً أمام ناشئة العرب والمسلمين ، وأن تكتب سيرته بأسلوب قصصى يناسب أشواقه التى تحدث عنها حين أراد لقاء الأفغانى ففاته اللقاء بموته ، وهجر بلده وبيته ليكون مع (مناره) مناراً فى مصر لمصلحة العرب والمجتمع الإسلامي ، رحمه الله ونفعنا بما ألف ونشر .



وقفة مع كتاب الوحوش

هذا كتاب من كتب الاصمعى ، وهو مفيد جداً ، وقد حققه زميلنا ايمن ميدان ، المدرس المساعد بقسم الدراسات الأدبية ، بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، وتحقيق الكتاب دقيق يسير على قواعد نشر المخطوطات ، فقد قابل المحقق بين الروايات ، واثبت الصحيح ، وقوّم المعوجَ ، ونسب ابيات الشعر والرجز إلى قائلها ، وفسّر ما عَسُرَ فهمه من الفاظ الشعر ، ثم وضع لنشرته فهارس كاملة تساعد الباحث ، والفهارس عمل مهمّ وإن بدا آلياً .

د/ شعبان محمد مرسى

الكتب والرسائل يستطيع المؤرخ الثقافي أن يرصد حركة التأليف عند قومنا ، ويستطيع أن يصف تطور الثقافة واتجاهاتها حتى عصرنا هذا ، وهو موضوع قيِّم وفرع من فروع الدراسات التاريخية عسى أن يجد من يهتم به ، وإن كانت المشكلة معقدة فيما يتصل بالقرن الأول والثاني للهجرة ؛ لندرة ما وصلنا من كتب تلك الحقبة ، وإن كانت قد وصلتنا أسماء كتب كثيرة ، لعل الأيام تكشف عنها .

وقد سبق أن نشر المستشرق (جاير) هذا الكتاب في القرن الماضي ، وفاته أن يطلع على بعض مخطوطاته ، وقد استوفى هذا النقص (أيمن) في نشرته هذه للكتاب نفسه ، وكان بودّي أن يترجم (أيمن) مقدمة المستشرق جاير ودراسته ؛ ليتضح بالمقارنة مابذله(ايمن)من جهد ومدى الإضافة التى أضافها زميلنا ، فليس يكفى طالب الحقيقة قول(أيمن) ، وبعد فترة تتجاوز

وقيمة الكتاب عظيمة ؛ فهو من الناحية **اللغوية** يعدّ قاموساً مرتباً على الموضوعات ، فمثلاً عن (الحمار) يقول أبو سعيد الأصمعيّ : « هو الحمار ، والعَيْر ، والمِسحل ، وجماعة العير أعيار ... » ص ٤١ . ويسوق الأصمعيّ الشواهد لما يقول ، وهى - عادة - من الشعر والرجز ، وعلى هذا المنهج يسير الأصمعيّ فى كلامه عن البقر والغزلان والأرانب وغيرها .

ولا ريب أن هذا الكتاب كان أصلاً من الأصول التى استقى منها واضعو المعاجم العربية مادتهم فيما تلا عصر أبى سعيد الأصمعيّ .

ومن **الناحية الادبية** يعدّ هذا الكتاب مصدراً من مصادر الشعر العربي القديم ، ويزيدنا ثقة بوجوده ، يضاف إلى ذلك جهد الأصمعيّ فى الشرح ؛ فإنه يضع أيدينا على الفهم الصحيح لمعاني هذا الشعر الذى أورده .

وناحية ثالثة لا تقل أهمية عما سبق ، وهي **القيمة التاريخية** لهذا الكتاب ؛ إذْ هو يمثل لبنة مهمة فى البناء الثقافي عند العرب ، فبه وبغيره من

● الكاتب : مدرس الأدب بكلية دار العلوم . حصل على الدكتوراة فى الأدب الأندلسي من « الجامعة المركزية » بمدريد

القرن من الزمان ، خلالها ظل الكتاب غريب الموطن ، غربيّ الثياب ، تتحلقه الأعين الخضر والزرق ، وتحتضنه خزائن الكتب بأوروبا ، رأيت أن أعيده إلى موطنه الأصليّ ، وأن أنزع عنه تلك القبعة الغربية وذاك الهندام ، وأوشحه بالإزار العربي والسروال » ص ٦ .

ثانياً : وإذا اقتبس الإنسان آية من القرآن وجب أن يضعها بين قوسين مثل هذه الآية ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا .. ﴾ ، لا أن تكتب كأنها كلام عاديّ ، كما ورد في الصفحة التاسعة[1] .

ثالثاً : في رثاء الأصمعيّ لسفيان بن عيينة ورد هذا البيت :

« فَلْيَبْكِ سُفْيَانَ بَاغِي سُنَّةٍ دَرَسَتْ
وَمُسْتَبِيتُ أَثَارَاتٍ وَآثَارِ » ص١٥

والمناسب للمعنى أن تكون : وَمُسْتَبِينُ بـ (النون) في آخر الكلمة لا (التاء) .

رابعاً : في ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم الأصمعيّ يستحسن أن تثبت تواريخ ولادتهم ووفاتهم قدر الإمكان ؛ كي نتأكد من صحة القول بأن الأصمعيّ قد أخذ عنهم ، وكذلك الحال بالنسبة للتلاميذ الذين تلقوا العلم على يد أبي سعيد الأصمعيّ . وهناك شيوخ رووا عن الأصمعيّ ، وروى عنهم هو أيضاً مثل مالك بن أنس ؛ فقد ذكر في الشيوخ ص ١٩ وذكر في التلاميذ ص ٢٠ ، والأفضل أن يكون هذا قسماً على حدة .

خامساً : يقول أيمن : « كان منهج رواة كتب الأصمعيّ بصفة خاصة ، وعلماء القرنين الثالث والرابع بصفة عامة أنهم يزيدون فيما يروون من كتب ورسائل ، مما يرونه مفيداً ومتمماً لمادة الكتاب ، ويتبلور هذا ـ جلياً ـ في كتاب الوحوش الذي حققناه » ص ٣٠ .

هذه المسألة شائكة ؛ إذ المعروف أن رواة اللغة العربية كان يشترط فيهم **العدالة والضبط** ، وهما الشرطان المعمول بهما في علم الحديث وروايته ، وما أراه أن الأمر لا يعدو أن يكون التلميذ راوي الكتاب يفسر بعض ألفاظ الكتاب الذي يرويه ، أو يعلق عليها ، أو يضيف فوائد ، وهو يعرف متن شيخه ، ويعرف تعليقاته هو ، إذن هو لا يقصد الزيادة فيما يرويه من كتب أو رسائل عن شيخه ، وإلّا لما كان عادلاً ولا ضابطاً ، وعلى المحققين الآن أن يفصلوا بين متن الشيخ وتعليقات التلميذ أو المريد ، وهذا يتطلب جهداً كبيراً ، وصبراً جميلاً* .

والمآخذ التي أخذها أيمن على الأصمعي ص٣١ فيها حَيْف* إذ لا يعقل أن نطلب من الأصمعي ، وقد مضى عليه حوالى اثني عشر قرناً ، أن يلتزم ما نلتزم به الآن من قواعد المنهج العلمي ، وإنما العدل أن نضع الرجل في عصره . وأن نحاول أن نعيش معه في ذلك الزمان ، ونقدره بقدره ، رحم الله علماءنا ؛ فما كانوا يهتمون بالألقاب ولا بالحُطام ، وإنما كانوا يتعلمون ، ويعلمون ابتغاء رضوان الله .

في النهاية أهنئ صديقنا « أيمن » ؛ لتحقيقه هذا الكتاب ، وأشكره على إهدائه نسخة لي ، وهي ـ بلا ريب ـ طبعة ممتازة ، صدرت عن النادي الأدبي الثقافي بجدة . بالمملكة السعودية ، ونرجو أن يكون نشر النصوص القديمة على هذا النمط من الدقة والضبط والجمال ، وأسأل الله أن يعين أيمن لإخراج نصوص أخرى أكمل وأفضل ، آمين ..

---

(١) أي بعد أن صدر في كتاب .

* ولعل ذلك يستبين بوضوح عندما تتعدد نسخ المخطوط دون أن يكون بعضها مأخوذاً من بعض .

* مجانبة للصواب .

قراءة في كتاب

المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي

تأليف الدكتور/ عبدالعظيم محمود الديب

عرض وتحليل

أحمد السيد تقي الدين

دراسة جديدة تؤكد:

- **مأساتنا مع المستغربين الذين مازالوا يحملون أفكار المستشرقين..**
- **التاريخ ليس علم الماضي بل هو علم الحاضر...**
- **تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة خلفتها الحروب الصليبية..**

« إنما الأمل في ناشئة من أبناء أمتنا، مازالوا يتحسسون طريقهم، عسى ألا يفتتنوا بما افتتن به بعض الأساتذة الكبار، فمن حق هذا الجيل الناشئ، وهذا النبت البازغ أن نبصره بقضية أمتنا، حتى يعرف خبئها، ويدرك سرها، فلا تخدعه عن نفسه وحقيقته تلك الصفوة التي انبهرت بالغرب ».

جاء هذا في مقدمة أحدث دراسة علمية للدكتور عبدالعظيم محمود الديب تحت عنوان « المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي » ضمن سلسلة كتاب الأمة التي يصدرها مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر، وهو الكتاب السابع والعشرون ضمن هذه السلسلة وصدر في ربيع الثاني ١٤١١ هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٠ وينتظم (١٣٤) صفحة يدخل فيها تقديم وتعريف للكتاب ومؤلفه كتبه

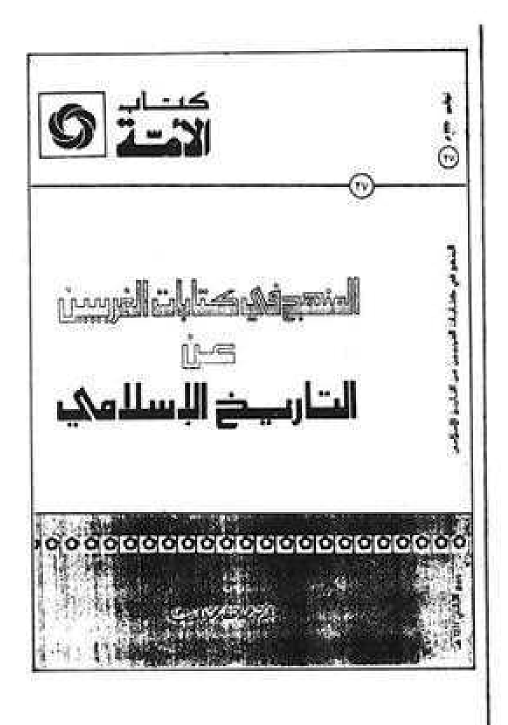
الأستاذ (عمر عبيد حسنة) المشرف على السلسلة .

فى البداية يتناول المؤلف « المنهج فى كتابات الغربيين » بوجه عام فيقول : « كنا نظن اننا فرغنا من هذه القضية ، قضية المستشرقين ووضعنا أعمالهم وجهودهم فى مكانها الطبيعى .. وكنا نتوقع أن أهل الفكر والراى عندنا قد ادركوا موقع أمتهم وعرفوا قدرها ومكانتها ومكانها .. ولكن للأسف فنحن فى داخل الحصن الثقافى لأمتنا مازلنا .. نرى من يقف فى جمع حاشد من الاكاديميين ويصيح على رءوس الأشهاد : « إن المستشرقين هم الذين انقذوا امتنا من الجهالة واخرجوها من ضلالتها ، ثم يندفع مطالبا بنقل كل من ينقد المستشرقين إلى مصحة للعلاج النفسى » !!

من هنا ينقد الدكتور عبدالعظيم الديب موقف المستغربين مؤكدا أن هؤلاء المستغربين هم مأساتنا ، هؤلاء الذين ديدنهم الاستخفاف بتراث امتنا بلا سبب وبلا بحث وبلا نظر ، وابشع من ذلك هذا الإرهاب الثقافى الذى يمارسونه بلا هوادة ولا رحمة ، هذا الإرهاب الذى جعل ألفاظ : « القديم » ، و « الجديد » ، و « التقليد » ، و « التجديد » ، و « التخلف » ، و « التقدم » ، و « الجمود » ، و « التحرر » ، و « ثقافة الماضى » ، و « ثقافة العصر » سياطا ملهبة بعضها سياط حث وتخويف لمن اطاع واتى ، وبعضها سياط عذاب لمن خالف وابى .

● اهداف المستشرقين :

ثم يقوم الباحث بتحليل أهداف المستشرقين حيث احصى الأبحاث والكتب التى كتبها المستشرقون عن الإسلام فى الفترة من مطلع



القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين فوجدها تصل إلى نحو ستين الف كتاب ، وتساءل : « لم كل هذا الاهتمام ؟؟ لم كل هذا العناء ؟؟ » ستون الف بحث وكتاب فى تاريخ الإسلام وعقائده ومذاهبه وفقهه وسيرة نبيه .. إلخ !! ؟

وأكد المؤلف أن الاستشراق يرمى من وراء ذلك إلى غايتين :

أولاهما : حماية الإنسان الغربى من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته ويجاهد فى سبيله . ولذا كانت غاية الاستشراق منذ نشأته محاولة تبشيع صورة الإسلام وأهله حتى لا يتتابع من بقى من رعايا الكنيسة على الدخول فى الإسلام مثلما فعل اضرابهم من أهل الشام ،

قراءة فى كتاب المنهج فى كتابات الغربيين

ومصر ، والشمال الأفريقى ، والأندلس ، وكان هذا الفزع يسوق حركة الاستشراق منذ نشأته ويوجهه لتعبئة اتباع الكنيسة ورعاياها وتجييشهم ووضعهم تحت السلاح دائما .

أما الثانية فهى : معرفة الشرق ودراسته : ارضه ومياهه وطقسه ، وجباله وانهاره ، وزروعه وثماره ، واهله ورجاله ، وعلمه وعلمائه ودينه ، وعقائده ، وعاداته ، وتقاليده ، ولغاته .. إلخ ، وذلك حتى يعرف موجهو الاستشراق ـ كيف يصلون إليه ، فقد ظلت دار الإسلام مرهوبة مخوفة ، لم تستطع الصليبية المقهورة أن تحاول مجرد محاولة اختراقها لعدة قرون ، ولكنها ما فتئت تدبر وتقدر ، وتحاول الالتفاف حول ديار الإسلام ، لما استعصى عليها اختراقها ، وكان الاستشراق هو رائدها الذى يرتاد لها الطريق ، والذي يعتبر رجاله فى الغرب ذوى صفتين حتى يكون كل منهم مأمونا مصدقا .

الصفة الأولى : أن فى قلبه كل الحمية التى اثارها الصراع بين المسيحية المحصورة فى الشمال ، وبين دار الإسلام الممتنعة على الاختراق .

الصفة الثانية : أن فى صميم قلبه كل ما تحمله قلوب خاصة الأوروبيين وعامتهم وملوكهم وسوقتهم من الأحلام البهيجة والأشواق الملتهبة إلى حيازة كل ما فى دار الإسلام من كنوز العلم والثروة والرفاهية والحضارة .

● تطور الدراسات الاستشراقية

ثم يتحدث الدكتور الديب عن تطور الدراسات الاستشراقية فيؤكد أن الاستشراق مازال وسيظل بعيدا عن المنهج العلمي الصحيح والتجرد للبحث وخدمة الحقيقة وذلك لأسباب كثيرة بعضها راجع لطبيعة الاستشراق وهدفه ونشأته ، وبعضها راجع لعجز طبعى فطرى فى هؤلاء الأعاجم يحول بينهم وبين امتلاك وسائل البحث فى العلوم الإسلامية وادواتها .

ويستدل المؤلف على صحة ما يقول بعرضه لنماذج من كتابات بعض المستشرقين منهم الدكتور « جلوور » فى كتابه (تقدم التبشير العالمى) الذى نشره عام ١٩٦٠ حيث قال فيه : (إن سيف محمد والقرآن أشد عدو وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق ، ومن أخطر العوامل الهدامة التى اطلع عليها العالم إلى الآن) .

وينتقد شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلا : (كان محمد « صلى الله عليه وسلم » حاكما مطلقا وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويعمل ما يشاء وكان مجبولا على هذه الفكرة ، فقد كان عازما على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه فى هواه ، اما جيشه العربى فكان يتعطش للتهديد والتغلب ، وقد ارشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم) .

وهكذا أصبح تحامل المستشرقين على الإسلام صفة موروثة وخاصة طبيعية ، تزول المؤثرات ، والدوافع ، والأسباب ، ولا تزول هذه الغريزة فكيف يقال : إن الدراسات الاستشراقية تطورت ؟؟ .

ويؤكد الباحث على أن المستشرقين

لا يتوجهون بهذه الأعمال والبحوث كلها إلا إلى المثقف الغربى الذى يخافون عليه ويحصنونه أن يقع فى إسار الإسلام دينا وفكرا وحضارة ، كأن الاستشراق بهذه الأعمال يضرب ستارا كثيفا من التشويش والتشويه بين المثقف الأوروبى وبين الإسلام .

فهم فى كتاباتهم الأولى كانوا يكتفون بالسب والشتم فى الإسلام وفى رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم ، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الترتيب والتنسيق والاستدلال ، وأخذوا فى التعميق وارتداء ثوب البحث وطيلسان الأكاديمية ، لكنهم ظلوا أوفياء لهدفهم الأول وهو تحصين الإنسان الأوروبى ضد الإسلام ، فليس فى الأمر موضوعية ولا منهجية ولا اعتدال ولا استقامة ، وإنما كان هذا التغيير أو التطور ليس إلا فى الأساليب فقط لتتفق مع تطور العقلية الغربية وما يؤثر فيها .

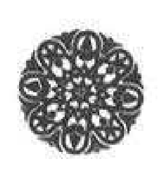
● خطورة الاعتماد على كتابات المستشرقين

ويحذر الدكتور الديب من خطورة اعتماد مفكرى وعلماء المسلمين على كتابات المستشرقين واعتمادهم إياها بوصفها مصادر ومراجع موثوق بها وهو ما لم يكن المستشرقون يحلمون به فلم تشهد الدنيا قط فى تاريخها رجلا غريبا عن الأمة صار مسموع الكلمة فى أدب هذه الأمة وتاريخها وحياة مجتمعها ، بل ودينها ، لم تشهد الدنيا فى تاريخها ما شهدته أمتنا . ويتساءل المؤلف قائلا : « أرأيتم قط رجلا واحدا من غير الانجليز مهما بلغ من العلم والمعرفة كان مسموع الكلمة فى آداب اللغة الانجليزية وخصائص لغتها وفى تاريخ الأمة الانجليزية وفى حياة المجتمع الانجليزي ، يدين له علماء الانجليز بالطاعة والتسليم » ؟ « أليس غريبا أن يكون غير الممكن ممكنا فى ثقافتنا نحن وحدها دون سائر ثقافات البشر قديمها وحديثها ؟ غريب عجيب لامحالة » .

● المستشرقون والتاريخ

ويعرج الدكتور عبدالعظيم إلى الحديث عن « المستشرقون والتاريخ » مؤكدا على أن للتاريخ أهمية عظمى فى بناء الأمم والمحافظة على هويتها وشخصيتها وقدرتها على الاستطالة والشموخ ، فالتاريخ ليس علم الماضى بل هو علم الحاضر والمستقبل فى واقع الأمر وحقيقته فالأمة التى تستطيع البقاء هى الأمة التى لها ضمير حى ومعرفة بالتاريخ وعشق له .

ومن وجهة نظر المستشرقين يعتبر تشويه التاريخ الإسلامى مؤديا بالضرورة إلى تشويه الإسلام ، ولذلك رأينا فعلا وواقعا اتجاه المستشرقين من قديم إلى تشويه هذا التاريخ ، واتخذوا لذلك مناهج وطرقا تؤدى بهم إلى النتيجة التى يريدون ، ويمكن تبين ملامح هذه النتائج إذا ميزنا بين جانبين يتعلقان بالمنهج .. وإلى العدد القادم بمشيئة الله .



أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إعداد مصطفى عبدالمجيد

الإمام الأكبر يستقبل وفد جمهورية تاجيسكتان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر وفدا من جمهورية (تاجيسكتان) السوفيتية برئاسة القاضي أكبر توره جاز زاده ـ رئيس القضاء والشئون الإسلامية .

وقد عرض رئيس الوفد خلال اللقاء لأحوال المسلمين في الاتحاد السوفيتي بعد الانفتاح الجديد وحاجة المسلمين إلى دعم الأزهر الشريف .

وقد اهدى فضيلة الإمام الأكبر للوفد مجموعة من المصاحف ، وكتب التراث والمراجع الدينية والكتب الدراسية الخاصة بتعليم اللغة العربية وأشرطة (الفيديو) التى تتناول تاريخ الأزهر الشريف .

الدكتور حامد جامع . وكيلا للأزهر

● أصدر فضيلة الإمام قرارا بنقل فضيلة الدكتور / حامد عبدالحميد جامع أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية مع ندب فضيلته وكيلا للأزهر .

شغل فضيلة الدكتور حامد جامع منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر قبل سفره إلى الكويت حيث عمل مستشارا بوزارة الشئون الإسلامية وعضوا بهيئة تحرير الموسوعة الفقهية الإسلامية بها .

الأزهر يشارك في المؤتمر الدولي لفقهاء المسلمين بنيجيريا

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قرارا بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ محمد حسام الدين وكيل الأزهر بالإنابة سابقا ، والدكتور محمد رأفت عثمان ـ عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بطنطا ـ إلى نيجيريا للمشاركة في أعمال المؤتمر الدولى لفقهاء المسلمين الذى ينظمه مركز الدراسات الإسلامية الشرعية بجامعة أحمدو بيلو في الفترة من ١٦ ـ ٢٠ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ ٢ ـ ٦/١/١٩٩١ .

الإمام الأكبر يرحب بمبادرة بوش

أعرب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عن ترحيبه بالجهود المبذولة في الوقت الراهن لإجراء اتصال بين كبار المسئولين في كل من واشنطن وبغداد لحل أزمة الخليج بالطرق السلمية ، مؤكدا أن السلام هدف إنسانى وإسلامى ، وأن هذه الخطوط تمثل فرصة جديدة وجديرة بأن ينتهزها أطراف النزاع لاسيما قادة العراق لإنهاء مشكلة الخليج .

أجازة نصف السنة بالأزهر

تبدأ اجازة نصف السنة للعام ١٤١١ هـ ـ ٩٠/٩١ لطلاب المعاهد الأزهرية بجميع مراحلها عقب انتهاء دروس يوم الخميس ٢٤ من جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق العاشر من يناير ١٩٩١ . لمدة أسبوعين فقط .

الأذان فى الصلوات الخمس بألبانيا

ذكرت الإذاعة اللندنية انه لأول مرة منذ أكثر من عشرين عاما يبدأ سكان ألبانيا فى إعلان الأذان للصلاة من فوق مآذن المساجد التى كان الرئيس الألبانى (انور خوجه) قد أصدر قرارا منذ عام ١٩٦٧ بإغلاقها وإغلاق جميع المؤسسات الإسلامية بألبانيا .

الجدير بالذكر أن المسلمين يشكلون ٧٠ ٪ من السكان فى ألبانيا البالغ عددهم ٣,٥ مليون نسمة .

المسلمون فى الصين واستراليا

فى إحصاء أخير أجرته وكالة الأنباء الإسلامية ـ جدة ـ ذكرت فيه أن عدد المسلمين بالصين بلغ ١٥ مليون مسلم لهم نحو (٤٠) الف مسجد .

ذكرت الوكالة ـ ايضا ـ ان عدد المسلمين باستراليا زاد بنسبة ٧٠ ٪ فى السنوات الخمس منذ بداية عام ١٩٨١ م إذ بلغ عدد المسلمين نحواً من (٣٠٠) الف مسلم منتشرين بولايات استراليا ، ويبلغ عدد الجمعيات الإسلامية التى ترعى شئون المسلمين باستراليا خمسا وخمسين جمعية .

كلية إسلامية فى مقدونيا بيوجوسلافيا

صرح الشيخ / شريف دهارى رئيس اتحاد العلماء بجمهورية (مقدونيا) اليوجوسلافية بأنه سوف يوضع حجر الأساس لأول كلية إسلامية فى مقدونيا خلال شهر رمضان المعظم لهذا العام ١٤١١ هـ وستخصص للدراسات الإسلامية والعربية ، وتقبل الطلبة الذين انهوا دراستهم بنجاح فى المعهد الدينى الثانوى بـ (سكوبيا) عاصمة مقدونيا .

يتكلف بناء الكلية نحو مليونى جنيه وتضم مبنى لإقامة الطلبة والإعاشة ويلحق بالمبنى مطبعة ومسجد وقاعة ندوات .

جدير بالذكر أن الشيخ / شريف دهارى خريج كلية الشريعة جامعة الأزهر .

يدرس بالأزهر الآن نحو من (١٥٠) طالبا من يوجوسلافيا .

عدد المسلمين فى (مقدونيا) ٨٠٠ الف مسلم .

لجنة المؤتمر الإسلامي لوزارة الإعلام تقرر وضع ميثاق شرف للإعلام الإسلامي

فى فترة من أدق الفترات التى تعيشها أمتنا الإسلامية وفى الفترة من ١٥ من جمادى الأولى ٣/١٢/١٩٩٠ م وحتى ١٧ من جمادى الأولى ١٤١١ هـ ٥/١٢/١٩٩٠ م انعقدت لجنة المؤتمر الإسلامى لوزراء الإعلام الإسلاميين وخرجت توصياتها تواكب ما تعانيه الأمة الإسلامية حاليا ، لذا قررت :

اولا : وضع برنامج إعلامى إسلامى لمساندة الكويت وتأكيد انسحاب العراق دون قيد أو شرط .

ثانيا : الأخذ باقتراح دولتى (مصر) و (عمان) بوجوب وضع ميثاق شرف للإعلام الإسلامى .

ثالثا : وضع برنامج إعلامى إسلامى لتأييد انتفاضة الشعب الفلسطيني داخل الأراضى المحتلة .

يهود اليمن - بقية -

واعجب به وصحبهما معه إلى اليمن . ودعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأطاعوه ، وأنه قد ثبت الدين اليهودى فى اليمن فى عهد الملك الحميرى ذى نواس أى فى أوائل القرن السادس للميلاد[١٥] .

وإذا بحثنا أصول اليهود فى اليمن (وهى قضية خلافية بين العلماء) سنكتشف عدة آراء رئيسية :

بعض المؤرخين يرى أن اليهود الذين سكنوا اليمن هم من سلالة الفئة المتهودة على يد ملك حمير فى القرن السادس بعد الميلاد[١٦] .

ومنهم إسرائيل ولفنسون ، حيث يقول إن الأغلبية المطلقة التى انتمت لهذا الدين فى اليمن كانت من سكان البلاد الأصليين[١٧] .

ويتحدث (جويتاين) عن اكتشافات جديدة تلقى الضوء على فترة (ذى نواس) ، وأنه قد عرف من مصادر جديدة مكتوبة اسمه الحقيقى وهو (يوسف أسار) ويقول : إن لقب التكريم (أسار) حذفته المصادر العادية ، وينهى البروفسور جويتاين مقاله بالنتيجة التى تقول : إن هذه الكتابات الجديدة تقر افتراضه الذى يقول فيه :

«إن يهود اليمن الذين معنا الآن ليسوا من فرع الحميرين المتهودين على الإطلاق»[١٨] .

فى حين يرى الدكتور جواد على : «أن اكثر يهود اليمن هم من أصل عربى»[١٩] .

- يتبع -

---

(١٥) سوسه . أحمد (دكتور) : العرب واليهود فى التاريخ . العربى للإعلان ، دمشق ، ١٩٧٣ ، ص ٣٣٤ .

(16) Stephan and Nandy Ronart : Encyclopedia of Arabic Civilization, Arab Eastm 1966, p, 384 .

(١٧) ولفنسون : مصدر سابق ، ص ١٣٤ .

(١٨) هارتس ، بتاريخ ١٩٥٥/٣/٢٥ .

(١٩) جواد : مصدر سابق ، ص ٢٤ .

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر - مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر - القاهرة

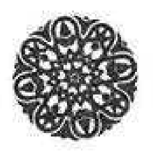
(ب) مجلة الأزهر - الجامع الأزهر - حىّ الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات رأساً إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

الفهرس

Divine knowledge cannot be made a basis for man's reckoning, his reckoning will be on the basis of his own personal deeds in his life.

On these two bases, the foundation of patience has been kept; and for this reason, religion demand it. But, he who shuts his eyes from realities by force of his nature is dumb founded when he has to face hardships and his hands and feet become inactive when he has to fight difficulties. His rashness dislikes waiting patiently and he is unable to tolerate it. Therefore, when he has to suffer some kind of failure, or when he faces some hardships, the earth with all its great vastness becomes narrow for him. He wants to come out of these conditions in the twinkling of an eye; but it is obvious that in this effort, he will not be successful, for it is against the temperament of the world and against the precepts of faith. It is quite proper for a Muslim to learn to be patient and to wait. "Man is a creature of haste. I shall show youMy signs; then ye will not ask Me to hasten them (Surat Al-Anbiya, XXI : 37).





"But if ye show patience, that is indeed the best course (Surat Al-Nahl, XVI, 126).

"Who show patient perseverance over their afflictions..." (Surat Al-Hajj, XXII, 35).

"Wait patiently for the decree of Allah" (Surat Al Tur, L11, 48).

Patience relies on two important realities. The first reality is concerned with the nature of this worldly life. Allah, The Most High has not made this world a residence of peace and satisfaction or of reward and recompense, but He has made it a residence of tests and trials. The time which a man spends in this world is really a time for endless experiences. He comes out of one trial to undergo another which is different and harder. Man is tried and tested once by one thing and again by its opposite. A certain human is put to different kinds of trials and there is no other way, except that he should meet the hardship with patience, endurance and steadfastness. Since this life is a testing ground, one must strive hard to overcome difficulties.

The second reality is concerned with the nature and temperament of faith. Faith is the relationship between man and his Creator. As in the relationship between man and man, true friendship and sincerity can only be judged when confronted with unfavourable conditions and bitter circumstances; when dealing with the hardships brought about by the turbulence of time, and when surrounded by various problems. At such time, man's real worth and sincerity can be judged. Exactly similar, is the case of faith. To find out the truth and sincerity about faith it is necessary that a Muslim be tried, he should be put in the crucible of heat to see whether he comes out glowing like the gold, or whether he will be burnt away with the impurities. The Glorious Qur'an says: "Do men think that they will be left alone because they say "We believe" and will not be tested with affliction. We did test those before them . Verily Allah knows those who are sincere and those who are false." (Surat Al-Ankabut XXIX " 2 and 3).

Undoubtedly, Allah's knowledge covers all manifest and concealed matters, and from this test, there will be no addition to His knowledge, because He knows all the conditions from the beginning to the end. The

never befallen anyone. The Prophet never retaliated against anyone for any wrong done to his person.

At the fall of Mecca, no thought of vengeance entered the Prophet's mind and his most bitter foes, who had for over a decade so relentlessly tried to exterminate him, were forgiven by his famous words : "This day there is no reproach upon you and you are all free". The advice that the Prophet generally gave as a teaching to all Muslims was "Restrain yourself, Allah likes those who practice restraint and are kindly". (Sahih Muslim).

Muhammad, the Prophet of Islam (peace and blessing of Allah be upon him) was and will always remain an exemplary pattern. He is the teacher of Muslims in particular and of Mankind in general in matters related to the prosperity, welfare, excellence, and virtue of the human race.

Virtue as a human quality has been defined as "the health of the soul", "the fount whence honour springs". The fundamental roots of virtue are patience, and trust in the Divine Transcendent Power - Allah.

Patience (al - Sabr) and Trust in Allah (al-Tawakkul) are two qualities of the highest order of human elegance, refinement and organization, which only a person of great moral fibre can attain. It is these two traits which are advocated by Islamic teachings, which have been distorted, misinterpreted and misconstrued by less-informed persons to present the very erroneous false understanding that Islam preaches fatalism. Patience does not mean in any way helplessness, pessimism or surrender. On the contrary, it means, steadfastness of purpose, constancy of effort, control of passions, buoyancy of spirit, patient endurance and fortitude in the event of failure, disaster and all states of adversity. The Holy Qur'an repeatedly spells out the various meanings of patience "Sabr".

"O you who believe ! Seek help in steadfastness and prayers; for Allah is with the steadfast." (Surat Al Baqarah, II, 153).

"Those who spend (freely) whether in prosperity or in adversity; who restrain anger and pardon all men - for Allah loves those who do good (Surat Al-Imran, III, 134).

"Those who show patience and constancy and work righteousness; for them is forgiveness (Surat Hud, XI, II).



to all Muslims. The text was addressed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as support at times of great tribulation and provocation; and also to be taught to Muslims by the great teacher of all mankind. The highest reward is achieved by those who practice patient perseverance - directly from Allah. Patience with constancy in those circumstances was in accordance with Allah's own command. The Surah ends with the highest consolation which pious and righteous humans can receive : the assurance that Allah, Almighty is with them and double qualification is indicated for so high an honour; that they should not yield to human passion or anger or impatience; and that they should go on with constancy doing good all around them, to attain the Presence of Allah. The full meaning of the Arabic word 'Sabr" - patience - in all the above verses is : patience, perseverance, constancy, self-restraint.

The traditions of the Prophet exhorted the people to be steadfast and patient in the face of failures, trials and adversity. Several of the Prophet's Hadith provide indications to that effect. "A believer is put on his trial by the loss of wealth and progeny" (Malik and Al-Tirmidhi). "If the person who is treated unjustly bears the injustice for the sake of Allah, and declines to retaliate, then Allah honours him by way of recompense in this life and in the life to come" (Musnad Ahmad). "Considerate action is divine in quality, and hasty one is satanic." (Al-Tirmidhi).

The whole life of the Prophet-peace and blessings of Allah be upon him - is a radiant example of this great quality. His father died before his birth; his mother left him when he was only six; his grandfather who had taken him under his loving care, died two years later. His uncle - Abu Talib - who stood between him and his enemies from Quraysh did not live long. His affectionate wife Khadijah, who cheered and consoled him at every buffet of adversity, died early. All his sons died in infancy; and among his four daughters only Fatimah outlived him. Yet, he bore up to his irreparable losses with great fortitude and did not let sorrow cloud his genial face. His daughter asked him to the death bed of a very dear grandson, but he sent word to console her. "What Allah has taken away was His, and what He gives is His; all His decrees come into effect at the appointed hour."

Thirteen years of persecution, insult and derision at Mecca and nine years of frightful encounters at Al-Madinah were dauntlessly braved; and so were the indigence and vicissitudes of life - so trying and poignant as had

"Be sure We shall test you with something of fear and hunger, some loss in property and lives and fruits", but give glad tidings to those who patiently persevere. Who say, when afflicted with calamity : "To Allah we belong, and to Him is our return". They are those on whom blessings from Allah are bestowed and mercy, and they are the ones that receive guidance (Surat Al-Baqarah, II : 155 - 157). The virtue of patient perseverance is rewarded by glad tidings from the Creator; and upon whom blessings, mercy and also guidance from Allah descend.

"You shall certainly be tried and tested in your possessions, and in your personal selves, and you shall certainly hear much that will grieve you from those who received the Book before you, and from those who worship many gods. But if you persevere patiently and guard against evil; then that will be a determining factor in all affairs". (Surat Al Imran, III : 186). The Ayah refers to the fact that mankind is tried and tested during his lifetime in all attributes of possessions, talent, knowledge, distinctions, belongings, power and health. In fact, everything that happens to an individual and makes up his integrated personality is a means of trial and testing. Therefore, according to Islamic concepts, the quality of Patience is very fundamental requirement.

Again the Glorious Qur'an says: "O you who believe persevere in patience and constancy, and strive well for perseverance and remain steadfast, and be careful of your duty to Allah, and fear Him that you may prosper. (Surat Al Imran, III : 200). The text of this Ayah presents the full integral meaning of patience (Sabr)). It presents patience, perseverance, constancy, self-restraint, and auto-refusal of psychological despair and spiritual sink. These meanings must be exercised within ourselves and in relation to others. In this binding mutual relation, mankind is brought more coherent in the service of humanity and therefore in the service of Allah. This brings about prosperity (Falah), success in our mundane affairs as well as spiritual progress.

"And do thou be patient, for thy patience is but from Allah; nor grieve over them; and distress not thyself because of their plots. For Allah is with those who restrain themselves, and those who do good" (Surat Al-Nahl) (XVI - 127 and 128). In this holy verse, the principles and concepts of conduct during affliction and adversity are presented in concise manner



PATIENCE, A HUMAN VIRTUE

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Patience is a virtue that most certainly crowns all human attributes. In the complicated paths of life when difficulties and misfortunes confront man, and the darkness of suffering becomes long; it is only patience that provides true relief. It is patience that keeps one safe from mental turmoil, and saves one from the muddy mire of disappointment, frustration, despair and from the heavy impact of the stresses and strains of life.

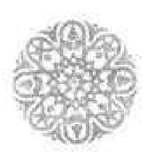
Scholars on humanities consider patience as a tower of light in human life, a basic quality that every human requires to shape his life in this world and in here-after. Patience is an integral part of the complex mental structure of the human mind. Like all mental faculties, patience as a human characteristic must be recognized, and developed to provide fruitful function at all times of human life, most of all at times of need. Throughout the life of every human , there are times of difficulties and hardships during which one should remain committed to the duties and responsibilities, whatever they may be. No doubts or misgivings, no hardships of trouble should prompt the intellect to indulge in despair or mental distress. The faculty of patience inherent within all humans, should be utilized to act as buffering substantiate to all inclinations of despondency, affliction, anxiety, acts of appropriation, grief and disturbing confusion. Such spells of existential anguish and spiritual void are frequent ordinary occurrences in the life of mankind. Therefore, is becomes self wisdom, auto-preservation, and restorative intellectual mechanism to practice the function of patience with confident conviction.

Islamic teachings have repeatedly stressed the fact that man must be prepared within the mental and spiritual framework to confront hardships, adversities and tribulations with the proper understanding and development of the faculty of patience.

The Holy Qur'an repeatedly stressed the need, the function, the importance, and the reward for the practice of patience.

commanders. Al-Ahnaf ibn Qays to command the army to Khorasan; Mugashé ibn Massoud Al-Sulmii to command the army to Ardashir and Sabur; Osman ibn Al-Aas Al-Thaqafy to command the army to Istakher; Sariah ibn Zunaim Al-Kenani to command the army to Darabgird; Suhayl ibn Adii to command the army to Karman; Asem in Amre to command the army to Sagestan; and Al-Hakam ibn Amre Al-Taghlabi to command the army to Mukran. Omar's orders to these armies was to crusade into Persian mainland summoning people to the path of Allah through the peaceful spread of Islamic doctrinal teachings.

Inspite of the Persian defeat at Nahawand, the crusade of these Muslim armies into the Persian mainland was not an easy task. Omar ibn Al-Khattab remained to draw the plans and strategy till the final domination of Muslim warriors over the Persian main land was achieved.



Persians gradually lost ground and retreated. The distress and calamity of the Persian forces became maximum when their retreat made them reach the sharp iron beads. Their losses increased in magnitude at that stage of battle when the Muslims advanced into a final triumphant attack to massacre the Persian forces whose further retreat became impossible. Phayrozan himself fled from the battle ground together with few other remnants of Persian forces reach Hamazan and Dastabi to the west of Nahawand. Muslim contingents lead by Al-Qaqaa ibn Amre followed the retreating Persians, made truce with the citizens of these cities to restore law and order under Muslim domination.

Huzaifah ibn Al-Yaman occupied Nahawand, collected the spoils of battle which reached amounts beyond all expectations. One fifth was entrusted to Al-Saaib ibn Al-Aqraa to take to Al-Madinah. Omar ibn Al-Khattab was anxiously awaiting the news of Nahawand. He was apprehensive and highly concerned about the outcome. He supplicated and prayed for victory. He remained in anticipation of news to reach him from the battle ground until he received the news of victory.

The triumph of Muslims at Nahawand was the start of the total breakdown of Persian Imperial integrity. The Persian mainland had become occupied at Khozestan, and as far north as Nahawand. The backbone of Persian military strength had become severely defeated. Yazdgrid fled further east, shattering the dignity of the Persian imperial house. The Muslim domination became well established over the major parts of the western territories of the Persian mainland. Muslim administration prevailed over the occupied regions, and an air of relative stability prevailed in these parts. The proliferation of Islamic doctrinal teachings progressed as part of Muslim presence in the region.

Omar ibn Al-Khattab recognized through his inherent sagacity and foresight that the Muslim triumph at Nahawand was in reality the gateway to Persia. No Persian resistance would develop strong enough to retard or prevent Muslims to penetrate further east into Persian mainland. The breakdown of the Persian imperial forces was beyond repair. Omar ibn Al-Khattab ordered the formation of Muslim armies, each specified to a certain district of the Persian mainland. Omar also nominated the army

way to face the Persians at Nahawand. Omar also wrote to the Muslim commanders at Al-Ahwaz and Kozestan to engage Persians to prevent them from joining the Persian consortium at Nahawand; and to remain stationed on the borders between Khozestan and the Persian mainland. By these strategic plans, Omar ibn l-Khattab prepared to confront the Persians at Nahawand. The Muslim warriors moved from Al-Ahwaz, Al-Basrah, and Al-Koufah towards Nahawand the capital of what was then known as Persian Iraq. Omar ibn Al-Khattab appointed successors of Al-Numan ibn Muqarin then Huzaifah ibn Al-Yaman, then Nuaym ibn Muqarin.

The Muslim warriors reached the neighborhood of Nahawand after Numan received views from Muslim scouts that the road to Nahawand was safe. The Persians were surprised to find Muslim warriors so close to Nahawand. However, Phyrozan and the Persian troops under his command were well fortified behind the strong walls of Nahwand. The Persians surrounded these walls from the outside with sharp iron beads, making it impossible for horses to tread upon; leaving narrow passages for their own use when they wished to engage the Muslims. The situation remained as such for few days, during which the Muslims became frustrated, not being able to achieve any advantage. Al-Numan ibn Muqarin summoned his staff for a meeting to decide upon a strategy to achieve combat superiority over the Persians. After extensive deliberations, it was decided to engage the Persians and provoke them to open ground outside the city walls. That duty was assigned to Al-Qaqaa ibn Amre who stormed the city walls with what appeared to the Persians a true attack of the city. Al-Qaqaa and his men stood their ground to aggravate the Persians to confront them outside the city walls. When that was achieved, Al-Qaqaa and his men retreated gradually as they offered great resistance. The Persians fell in to the Muslim plan of strategy, and with all their forces followed Al-Qaqaa and his men to the open outside the city walls.

Al-Numan ibn Muqarin had ordered the Muslim warriors to prepare for the advancing Persian forces in pursuit of Al-Qaqaa and his men. The Muslim took shelter to conceal themselves from the Persian troops who had left the walls of Nahawand to follow the decoy retreat of Al-Qaqaa. The Muslim strategy was then completed, Phyrozan at the head of the Persian forces suddenly found themselves surrounded by Muslim warriors. The combat was very intense indeed, both parties spending its utmost to achieve victory. The Persians were struggling for their land; and the Muslims were fighting for their faith. Al-Numan ibn Muqarin fell dead on the field of battle, and gained the honour of martyrdom. He was succeeded in command by Huzaifah ibn Al-Yaman. The Muslims pressed for victory, the



Emperor Yazdgrid energized the feelings of Persians to rally in response to a national campaign against the Muslim invaders. The Muslim triumphs in Khozestan stimulated the national pride of Persians, because part of the Persian mainland had been occupied. Troops from all parts of Persia assembled at Nahawand. A total of hundred and fifty thousand gathered under the command of Phyrozan fortified in the strongholds of Nahawand. All were eager and confident to deliver the final detrimental blow to the Muslims. The aspirations of the Persian military institution was to liberate Khozestan from Muslim domination and to bring back Iraq under Persian rule.

The news of the consortium of Persian forces under Phyrozan, reached Omar ibn Al-Khattab from Abd-Allah ibn Abd - Allah ibn Itban the governor of Al-Kuffah after Saad ibn Abi Waqqas. Omar ibn Al-Khattab analyzed the avenues of Persian purposes, and reached the conclusion that the Persian consortium at Nahawand was a definite threat to the Muslims in Khozestan, and also to those in Iraq. Omar considered that the Persian mobilization was an eminent danger which should be challenged by an organized plan of countermeasures. Omar called for a public hearing, and consulted the eminent companions at Al-Madinah about the course of action that should be adopted to force the situation. Aly ibn Abi Taleb told Omar ibn Al-Khattab "your place among Muslims is like the string to the beads, it joins and hold them; if it cuts, they disperse never to join. Remain where you are, and send to the Muslims of Al-Koufah and Al-Basrah to mobilize themselves against the Persian consortium. We the Muslims were never triumphant by outnumbering our enemy, but our victories were the outcome of our belief". Omar ibn Al-Khattab recognized the wisdom and profundity in the words of Aly ibn Abi Talib, and decided accordingly. After further deliberation, Omar appointed the man who was to lead the Muslims against the throngs of Persian forces at Nahawand; the man was Al-Numan ibn Muqarin.

The man was a veteran during the wars of the apostates, the Iraq crusade and the occupation of Khozestan. Omar ibn al-Khattab wrote to Al-Numan to command Muslim warriors to face the Persian massive forces at Nahawand. Omar also wrote to the governor of Al-Koufah Abd-Allah ibn Itban, and to Abi Moussa Al-Ashari at Al-Basrah, to recruit and mobilize Muslim warriors to join the command of Al-Numan ibn Muqarin on his

OMAR IBN AL KHATTAB

The Triumph At Nahawand

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The Muslim occupation of Khozestan became complete after the surrender of Ramhurmuz, Tostar, Al-Soos, and Gundai - Sabur. The Persian resistance in these territories had been totally defeated, and Muslim dominance over these areas became unchallenged. Inspite of these Muslim triumphs, Omar ibn Al-Khattab remained unwilling and very reluctantly opposing to the idea of Muslim penetration into Persian mainland. The borders of the juvenile Muslim state were secure, and the theopolitical unity of the tribes on the Arab Peninsula, Syria, and Iraq was completed, and with time becoming more adherent. The progressive potential inertia of the Islamic faith was proliferating by the Divine characteristics of its doctrinal beliefs. There was no purpose to endanger Muslim warriors by advancing them further into lands that was alien to them, and very distant from their homeland.

The defeat of the Persian military institution in Khozestan triggered a tenacious obstinate stubborn feeling of retaliation in the minds and feelings of the Persian war lords, to avenge the disgrace that has be fallen them on the hands on Muslim warriors ever since Al-Muthana Ibn Harithah Al-Shibany crusaded into Iraq during the reign of Abu Bakre Al-Siddiq. First, the complete domination over the Arab Iraq, then the penetration on Persian soil, and now the occupation of Khoseztan. That was a situation not at all acceptable to Persian dignity, nor to the Imperial Persian prestige.

The Persian war dignitaries made contact with Emperor Yazdgrid who still remained the central official figure in Persia. They all vowed in promising affirmation to unite under one command to make one last consortium confrontation against Muslims, and drive them off Persian soil. Emperor Yazdgrid dispatched couriers to all parts of the Persian Empire, the mountain ranges, the valleys, to all cities, provinces, and distant regions.



AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART VI
Jummdah Al-Akhirah 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٩٠٥٤٧٣ / ٢٦٣٨٥٩٩ /
٩٠٥٥٠٦

رجب ١٤١١ هـ
يناير - فبراير ١٩٩١ م
الجزء السابع
السنة الثالثة والستون



هو «واحد» من مخلوقات الله الحكيم سبحانه وتعالى . لا يَحمل اى تخصص فى اى من علوم الدِّين ، بداية من اللغة وختاما بعلوم الشريعة ، وهذا شىء لا يَعيبه ، فما أكثر التخصصات المحترمة علميا ، ومرورها على اللغة والشريعة مرور الكرام ، يُعَنِّيهَا الأمرُ من امور الدين فتسال فيه ذوى الخبرة وتستجيب لامر الله تعالى ، ملتزمة علميا بالتخصص مقدرة له ، تنحنى إيمانا واحتراما لقوله تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل ٤٣ .

لكن صاحبنا هذا شاء ان يتحدث فى شئون المال دينيا مصمما على حِلِّ التعامل مطلقا مع البنوك ، محتدا فى خطابه ، مندهشا ، أو متظاهرا بالدهشة من معارضه مُخاطبه ، وهو أستاذ بكلية الشريعة - جامعة الأزهر - متخصص فيها لغة وفقها واصولا .

قال له صاحبه - وهو يحاوره : يحرم التعامل بشهادات الاستثمار .

فقال : بل هى حلال ... هل الدين حِكْرٌ عليكم . ؟ !

الديــن والأبــواب الخلفيــة

قال صاحبه : ليس الدين حكرا على أحد ... وليتك ـ وأنت مثقف ثقافة عالية ـ نظرت بعلم إلى (الدِّين) ـ من حيث هو عقيدة ، فقلت : ليس هو حكراً على أحد ، ثم ثنَّيت النظرة إلى (علوم الدين) فقلت : هي تخصص فليست لكل أحد ! ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه .

عندئذ ياسيادة الدكتور تكون أمينا مع ربك ودينك ونفسك والمسلمين !

اما ، وأنت تريد بقولك : « ليس الدين حكراً على احد » أن تقفز بمقولتك إلى (الفتوى) فيه ، فأنت تقول كلمة حق تريد بها باطلا ، ولا نقاش معك حتى تلتزم ببدهيات العلم والحوار .

●●●

وفى الحق :

كان البحث فى مسائل أعمال البنوك يجرى بمسلك علمى جليل بين رجال الاقتصاد ،وعلماء الأزهر ... كلٌ يبسط من رأيه ، ويدلى بحجته ، ففريق من الاقتصاديين أبى إلا أن تكون كل أعمال البنوك جائزة ، وفريق منهم رأى أن أعمال البنوك ماهى إلا قرض وإقراض كلاهما ربا ، وفريق الفقهاء الملتزم ببحوث مجمع البحوث الإسلامية الذى بين مافيها من أعمالٍ لا يشوبها ربا فهى حلال ، وما فيها من اعمال يعلق بها الربا فهى حرام ، وأعمالٍ قيد البحث والدرس يقوم عليها علماء يعملون ليخرجوا للناس بأحكامها ..

وكان واضحا طِيبُ هذا المسلك وحسن الاستجابة له .

وفجأة :

ادلى أحد المنتسبين إلى الاقتصاد بقوله :

إن هذه المسائل تحتاج إلى وقت مُستَأنَف للبحث من جديد .

وفى الحق أيضا أن كثيرا من رجال الاقتصاد يَعِزّ عليه جداً أن يخرج من هذا البحث بالتسليم لأمر الله .. وليبرر لنفسه حَماسَها لاقتصاده ينحو على علماء الدين باللائمة فيصورهم بالقصور فى البحث والدرس ... وحسبنا الله ...

إنه لا وَقْتَ جديد يَنفع ... ولا رسول جديد يُبْعَث فقد أحل الله البيع وحرم الربا

وعلى أى حال :

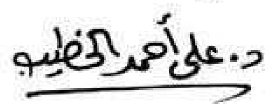
كان الميدان عند هذا الحد من التبادل العلمي وطرح البحوث مباركا مفيداً ... حتى ظهر ـ فى الميدان ـ لون .... لا يمت إلى العلم بصلة .

فقيل : « إن عالما جليلا غير رأيه فى الاستثمار » .

وعالما جليلا أحل أعمال البنوك .

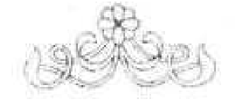
وكلا العالمين برىء لم يصدر عنه شىء فى هذا القبيل إلا ما أمر الله .

وياله من بهتان .

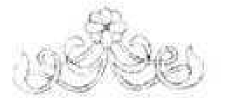




الإسراء والمعراج ملامح وإشارات



ثلاثة مساجد وثلاث دلالات



الاغتصاب في أرض الإسراء

الإسراء والمعراج

ملامح وإشارات

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

ها هو ذا هلال شهر « رجب » قد أهله الله على الإنسانية وهى تموج فى بحار من الفتن والفتنة ـ وهو من الأشهر الحرم التى توارث العرب حرمتها عن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ

وهى كما ورد عنهم ثلاثة سرد ـ « ذو القعدة » و« ذو الحجة » و « المحرم » ـ وواحد فرد هو « رجب مضر » .

ولقد جاء ذكرها وبيان حكمها إجمالا فى قول الله سبحانه فى « سورة التوبة » .. ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وجاء بيان هذه الأشهر بأسمائها وسماتها فى خطبة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى « حجة الوداع » :

(... أيها الناس :

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .. السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : « ذو القعدة » و« ذو الحجة » و « المحرم » ، و « رجب مضر » الذى بين « جمادى » و « شعبان » ..) . (رواه البخارى)

وللعلماء ورجال التاريخ أقاويل فيما وقع من تأخير وتقديم فى الشهور العربية فيما قبل الإسلام ، وهو ما سماه الله « نسيئا » ، وأشار إليه القرآن فى قول الله تعالى فى « سورة التوبة » ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي

الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَاحَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وبهذا جاء الدين القيم أى الشرع فى الإسلام ، طاعة لله باتباعه وبإلغاء ماكان سائدا من تقديم وتأخير ووافقت « حجة الوداع » واقع الأشهر فى عقد السنة القمرية فكان يوم « عرفة » الذى خطب فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان مما قال : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .

ومع هلال هذا الشهر « رجب الفرد » نذكر (الإسراء والمعراج) .

تلك المعجزة التى اختص الله بها سبحانه النبى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأرجح الآراء فى تاريخها أنها كانت بعد وفاة عمه أبى طالب وكان سن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسعة وأربعين عاما وثمانية أشهر وأحد عشر يوما .

وقد توفيت خديجة بنت خويلد زوج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد وفاة عمه أبى طالب بثلاثة أيام ، وبهذا تصاعدت المصاعب ، وتوالت المتاعب أمام رسالة الإسلام وتبليغ القرآن ، فقد كان كل من العم ومن الزوج للرسول وللرسالة نصيرا وظهيراً .

فهذا أبو طالب كان حفيا بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ وفاة جده عبد المطلب وكانت قريش تهاب أبا طالب وتوقره وتجله ، وترهب أن تنال من النبى خشية من غضبه لابن أخيه .

ولقد امتد دفاع أبى طالب إلى من أسلموا من ضعفاء القوم . وكانت لخديجة زوج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مواقفها المحمودة .. حيث وجد منها العضد القوى والنصير المخلص الأمين والمواساة فى أحلك المواقف .

كانت ـ رضى الله عنها ـ الردء المكين للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ تزوجها . فقد قال عنها فى حوار مع عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ مثنيا على ما فعلت وما بذلت : (ما أبدلنى الله خيرا منها ، وقد آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى ولد النساء)[١]

فلا غرو أن يكون عام وفاة أبى طالب وخديجة هو عام الحزن على ناصرَيْن مدافعين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤازرَين له فى دعوته ، لكن رحمة الله قريب من المحسنين فقد جاءت رحلة الإسراء والمعراج منة من الله سبحانه ومنحة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستوفده ليريه من آياته الكبرى .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير

♦ الإسراء والمعراج ملامح وإشارات

أى تكريم هذا وأى احتفاء واصطفاء إنه نصر الله لعبده ونبيه ، إنه حافز ربانى ربط على قلب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشد من أزره ، ليثابر على أداء مهام الرسالة مهما كانت الأنواء ، وكأن هذه الرحلة تقول لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن كان قومك قد ناصبوك العداء ورغبوا عن أن تكون لهم رائدا وهاديا ، أو ضاقت برسالتك بطحاء مكة وشعابها فإن ملأ آخر فى السماء يرحبون بك وقد اتخذوك لهم إماما وانفتحت السموات لك ترحيبا وتأييدا ..

وكان أن عاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد مايكون إقبالا على مهام دعوته يحدث القوم بما رأى وبما سمع ، لا تزيده الصعاب والصدام لدعوته إلا قوة ومضاء .

وكانت الصلاة التى فرضت فى السماء طاقة دافقة لسمو المسلمين يتسامون فيها وبها عن المادة ويسعون ما استطاعوا إلى القرب من الله بامتثال مابه أمر واجتناب ماعنه نهى وزجر ، ذلك لأنها فرضت فى الملا الاعلى ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى ﴾ . ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ . وإذا كان « الإسراء والمعراج » الذى نتذاكره فى شهر « رجب الفرد » معجزة أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحدوثها وكان لها أثر كبير فى مجريات الدعوة والرسالة وكمالها ، وهى معجزة مؤثرة نفسيا وذاتيا فى دعم الرسول وتثبيت قلبه ، ذلك لأن المعجزات التى أجراها الله تعالى على أيدى رسله الاكرمين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ قد جاءت مادية أو معنوية .

فالمعجزات المادية بالنسبة للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كانشقاق القمر » و« نبع الماء » من بين أصابع يده ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ورده العين التى قلعت » وكان هذا مشاهدا مرئيا من معاصريه المرافقين له ، وهذه المعجزات المادية يقف أثرها لمن شاهدوها وتبقى رواية لمن يأتى من بعدهم أما المعجزة المعنوية فقمتها وأبقاها وأبعدها أثراً : « القرآن الكريم » وتتلوه معجزة : « الإسراء والمعراج » .

وتهدف المعجزة إلى هدف عام يتمثل فى تأكيد صدق الرسول الذى ظهرت على يديه ـ فى رسالته وأن ما يبلغه هو من عند الله .

وهدف خاص يحدد اتجاه الرسالة وأبعادها وخطواتها وهذا الهدف الخاص لرسالة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُستوحى مما أجمع عليه كُتَّاب السيرة النبوية الشريفة ..

ومما رواه المحدِّثون فى جوامعهم ومسانيدهم من أن رسول الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اسرى به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ومنه عرج به إلى السموات العلا ... كما أجمعوا على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد صلى بالأنبياء إماما فى « بيت المقدس » ، وصلى الأنبياء وهم مؤتمون خلفه ، يصلون بصلاته .

ولهذه الإمامة وفى تلك البقعة المباركة إيحاءات وإشارات هامة لعل أقربها وضوحا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

- أنه بهذه الإمامة انعقدت قيادة الإنسانية للإسلام ذلك أن تقديم جبريل الأمين رسول الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - لإمامة الأنبياء بدعوة من الله وتقدمه وصلاتهم من خلفه إبلاغ لهم بانتهاء ماحمّلوا من رسالات ومن خلفهم أتباعهم حتى يتهيأ الناس لاستقبال هذا التحول إلى الرسالة الإسلامية الخاتمة للرسالات ..

ولقد كشفت هذه الإمامة أن هدف الإسلام وحدة القيادة فى شريعته ، وأنه لا يجوز التفريط فى هذا الهدف وأنه وإن انفرط عقدها بعد الخلافة الراشدة فى الثلاثة الأول ، فإنه لا ينبغى الاستسلام للحوادث والنوائب التى حاقت بالأمة الإسلامية منذ أن كانت تلك الفتنة الأولى ، ولا يليق بالمسلمين أن يفرطوا فى أبعاد هذه الإمامة ولا فى مقامها ومكانها ، حيث أخذ الله ميثاقه على النبيين بتصديق الرسول - صلى الله عليه وسلم - والإيمان بنبوته وبرسالته ونصرته على ما يشير إليه قول الله سبحانه فى « سورة آل عمران » :

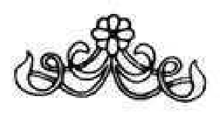
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ..

فكانت صلاة الأنبياء خلف الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فى هذه الليلة - ليلة « الإسراء والمعراج » وفى هذا الموقع « بيت المقدس » - إبرازا لهذا الميثاق وإعلاما لأمم أولئك الأنبياء - عليهم السلام - بأن الوحدة الإنسانية فى العبادة والحكم هدف مشروع ينبغى السعى إلى الوصول إليه .

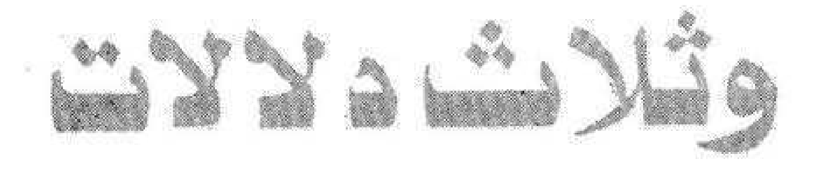
هذا : وأن المسلمين إذ تمر بهم ذكرى « الإسراء والمعراج » ينبغى أن يعودوا سراعا إلى تقوية أواصر المودة فيما بينهم وأن يكونوا عباد الله إخوانا ، وأن يتذاكروا - بإمعان وإتقان - مايستوحونه منها ليكون لهم زادا يدعمون به مسيرتهم فى هذه الحياة ويتغلبون على يأسهم وفرقتهم .

ولينشط الدعاة من العلماء إلى التذكير بالحكمة والموعظة الحسنة .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .







للأستاذ الدكتور محمد البهى

يروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ـ رواه مسلم فى كتاب الحج .

ومعنى شد الرحال إلى هذه المساجد : القصد فى الانتقال إليها لزيارتها وأداء الصلاة فيها .

والإسلام يحتاط كثيراً فى ربط العبادة بالأماكن ، خشية أن تتحول العبادة من الله لذات الأماكن نفسها ، ومن ثم يعود الشرك بالله من جديد . ولكنه يربط مناسك الحج بأماكن معينة فى مكة وما حولها : لإحياء ذكريات تاريخية خاصة .. أو استهداف غايات دينية معينة . وعلى [ذلك] كان ربط عبادة الحج بأماكن معينة وجواز الانتقال إليها لأداء هذه العبادة .. كذلك يجيز الانتقال إلى هذه المساجد الثلاثة وأداء عبادة الصلاة فيها ، لأهداف تستهدف من زيارتها . بجانب أداء الصلاة فيها .

فالمسجد الحرام بمكة : زيارته وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام : بعودة الرسالة الإلهية إلى صفائها ، وإلى ما كانت عليه ، على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام . فالكعبة فيه أول بيت لله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾[١] .. وأقامه إبراهيم وإسماعيل : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٢] .

وقصدا من إقامته الدعاء والصلاة فيه وأن

(١) آل عمران : ٩٦/٩٧

(٢) البقرة : ١٢٧

يجعلهما مسلمين ويخلق منهما أمةً مسلمة : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٣) .

وعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بجانب الدعوة إلى الإسلام : إزالة آثار الشرك والوثنية المادية فى محيط بيته ، حتى تكون عبادة الناس فيه خالصة لله أى أن تكون العبادة له وحده : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا [أى آمنوا] فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَإِن تَوَلَّوْا [أى اعرضوا عن الإيمان] فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾(٤) .

وفى تأكيد ولاية الله للمؤمنين ومساندته لهم فى قتالهم ضد الماديين ، ووعده بنصرهم عليهم .. ما يوضح خطورة أصحاب الاتجاه المادى فى الحياة ، ومبلغ عيثهم وفسادهم ، ومنتهى سخريتهم بالقيم العليا التى تتمثل تامة كاملة فى صفات المولى سبحانه .

وقد أتم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حياته بفتح مكة : تحقيق الأهداف الثلاثة التى ارتبطت ببيت الله بمكة : فحقق مقاومة المادية ، وطهر الكعبة من مظاهر هذه المادية التى تمثلت فى أحط صورة لها ، وهى صورة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر . وبذلك حافظ على أن يبقى بيت الله .. لله وحده ، لا شريك له ، وأعاد رسالة إبراهيم وإسماعيل ، نصاعتها ، وهى رسالة الإسلام ، وتكوين أمة مسلمة خالصة لوجه الله .

فزيارة المسجد الحرام بمكة ، وشد الرحال إليه ليس لأنه مكان عبادة ، ولكن لأنه يُذَكِّر كل مؤمن قادم إليه بالمهمة التى أنجزها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته بتكليف من ربه ، وهى مهمة مقاومة المادية ، التى هى ليست ممثلة فحسب فى الأصنام . ولكن قبل ذلك : ممثلة فى عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله ، على أى عهد وفى أى عصر . وبالانتصار على المادية ينتهى الشرك بالله ، ويصان بيت الله ، لله وحده . وقد جاء قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾(٥) .. تعبيراً عما يجب أن يكون لدى المؤمنين من إصرار على مقاومة المادية مقاومة مستمرة ، إذ لو تركت وشأنها ربما تطغى وتقتحم من جديد كل مكان يعلو فيه صوت المؤمن بـ : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) .

والمادية إذن ليست المادة .. وليست الاستمتاع بها . ولكنها اتجاه مخرب فى الحياة للقيم الإنسانية ، وللروابط السليمة فى المجتمعات البشرية .

وزيارة بيت المقدس ـ أو المسجد الأقصى ـ وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما طلب إليه فى كتاب الله من إعلان تصحيح رسالة موسى

(٣) البقرة : ١٢٨

(٤) الأنفال : ٣٩/٤٠

(٥) التوبة : ٢٨

ثلاثة مساجد وثلاث دلالات

وعيسى وإبعاد ما لحقهما من تحريف على يد بنى إسرائيل :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[6] . وقد جاء تحريفهم على نحو ما يحكيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ [والحديث هنا عن الماديين المشركين بمكة] تَجْعَلُونَهُ [والخطاب الآن إلى بنى إسرائيل] قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ اى انهم قسموا كتاب موسى إلى صحف وأجزاء : أبدوا البعض .. وأخفوا الكثير منها . وهذا كناية عن أن التوراة لم تعد صالحة الآن ، لأن تكون نوراً وهدى للناس ، كما جاءت أول الأمر . ولذا كان هناك فراغ فى هداية البشرية نزل القرآن ليملأه . كما أشير بعد فى هذه السورة فى قوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (يعنى التوراة) .

وإسراء الله بعبده محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس هو بمثابة زيارة له من الرسول . فإذا ضم إلى هذه الزيارة أداؤه ـ عليه السلام ـ الصلاة فيه ـ كما يروى فى الحديث الصحيح ـ وإمامته فى هذه الصلاة لأنبياء بنى إسرائيل ومن بينهم : موسى وعيسى .. عد ذلك توجيهاً من الله بمهمته مع أهل الكتاب ، وهى مهمة التوجيه .. وهى مهمة الكشف عن التصحيف وإعلان الباطل الذى باشره المستكبرون من الزعماء فى بنى إسرائيل فى استغلال الرسالة الإلهية التى تصورها التوراة فى عهديها القديم والجديد .

وشد الرحال من أتباع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعده إلى اليوم إلى بيت المقدس وأداء الصلاة هناك .. تذكير بحادث الإسراء .. وبالتالى تذكير بما كان لزيارته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ارتباط بوجوب إعلان الحق فى رسالة الله ، إزاء أهل الكتاب ، مما تآمر على إخفائه المتآمرون من بنى إسرائيل ، لمصالح دنيوية يرجونها من وراء ما يخفون من الهداية الإلهية .

والقرآن الكريم يفصل بين آياته دعوة أهل الكتاب إلى الرجوع إلى الحق ، فيقول فى بعضها : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ [كما كان النمط الأخير : هو شأن المستضعفين من المستكبرين فى مجتمع بنى إسرائيل] فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[7] .

ولم يرق لزعماء بنى إسرائيل أن يعلن القرآن الحق الذى أخفوه بصورة ما فى رسالة الله لموسى ، لأن إعلانه سيفوت عليهم مصالحهم الدنيوية ، وأصروا على أن ما أبدوه من كتاب موسى يمثل وحده الحق ، وأن ماعداه مما جاء بتصحيحه القرآن : كذب واختلاق ويقص القرآن فى هذا الشأن قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ [اى إذا انزل الله فى القرآن حكماً على

(٦) النحل : ٧٦

(٧) آل عمران : ٦٤ ، ٦٥

خلاف ما فى التوراة] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا [اى لرسول الله عليه الصلاة والسلام] إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٨) .

وبيت المقدس من أجل المهمة التى نيطت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعوته فى مواجهة أهل الكتاب .. لا يقل أهمية إطلاقاً فى حياة المسلمين وفى دعوة القرآن ، عن أهمية بيت الله فى مكة ، فكل منهما يتصل اتصالا وثيقاً برسالة الله التى أوحى بها إلى رسول الله محمد ابن عبد الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ، فقد طالب القرآن ـ ويطالب المؤمنين به إلى يوم البعث ـ بمواجهة الماديين الذين تمركز نشاطهم إذ ذاك فى الكعبة بضلالهم .. كما طالب ، ويطالب المؤمنين به أيضاً إلى يوم البعث ، بمواجهة أهل الكتاب ـ الذين اتخذوا من بيت المقدس قبل الإسلام مقر نشاطهم بتزييفهم فى رسالة الله ، وبوجوب عودتهم إلى دين الله ، كما يعبر عنه القرآن ويعبر عنه دين إبراهيم : جد أجدادهم وأبائهم . وكل من بيت المقدس ، وبيت الله بمكة إذن : مَشْعَرٌ ، اتعبير مجسم لجانب من جوانب الدعوة الإسلامية ، وفقد المسلمين لأى منهما ـ فى أى وقت ـ هو فقد للعوامل التاريخية التى تذكى روح النشاط للدعوة إلى الإسلام ، والتى تعود بصلة الرسالة للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى إبراهيم ، والتى تلقى الضوء الواضح على حق هذه الرسالة فى مواجهة ضلال الماديين ، وتصحيف المستكبرين من أهل الكتاب ، والتى تضع أمام البشرية إلى يوم البعث : هداية الله للمستوى الفاضل من الإنسانية .

وزيارة مسجد المدينة النبوية ، وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام : انه المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، كما يذكرانه ببناء المجتمع الإسلامى وتطوره فى هذا البناء الذى ارتبط به .. إلى أن انتهى الوحى بقوله تعالى : ﴿ . . . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٩) .. فشأن المجتمع الإسلامى : فى علاقة أفراده بعضهم ببعض .. وفى سياسة حكمه .. وفى صلاته بالآخرين فى المجتمعات الأخرى .. تحدد فى هذا المسجد بما كان يتلوه فيه رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام : من وحى ينزل عليه ، لمعالجة مشاكل المؤمنين وقضاياهم التى كانت تحدث لهم ، وتتجدد من حين إلى آخر .

والقرآن الكريم ـ بما جاء فى السور المدنية منه ـ يوفر للمؤمنين دستور هذا البناء ، ونظام حكم مجتمعهم : إن فى العلاقات الاجتماعية .. أو فى المعاملات الاقتصادية والمالية .. أو فى شئون الأسرة .. أو شئون الحرب والسلم .. أو فى شئون السياسة الدولية .

وهكذا : أن اقترن بيت الله بمكة بمقاومة الإلحاد واتجاه المادية فى الدعوة الإسلامية للقضاء عليهما .. واقترن بيت المقدس والمسجد الأقصى هناك بريادة الدعوة الإسلامية فى تصحيح انحرافات أهل الكتاب .. فمسجد المدينة يقترن بقيام مجتمع إنسانى معافى من وباء المادية ، ومرض الاختلاق والتصحيف فى الرسالة الإلهية من أصحاب النفعية ممن وقعوا تحت تأثير إغراء الدنيا وجاه الحياة المادية من أهل الكتاب .

(٨) النحل : ١٠١/١٠٢

(٩) المائدة : ٣

ثلاثة مساجد وثلاث دلالات

والقرآن فى دعوته موزع على هذه الاتجاهات الثلاثة :

توضيح عاقبة المادية وشرورها على البشرية فى حديثه عن الشرك والمشركين ..

وتوضيح التحريف فى الرسالة الإلهية : فى كلامه عن أهل الكتاب ومعارضتهم لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ..

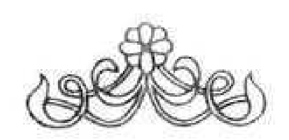
وتوضيح الصراط السوى للمجتمع الإنسانى المهذب : فى تناوله للمؤمنين ولآثار الإيمان فى الحياة الإنسانية .

وشد الرحال إلى هذه المساجد الثلاثة له دلالته القوية إذا ، وله كذلك آثاره على المؤمن فى اعتزازه بانتسابه إلى أمة القرآن . لأنها الأمة التى تقيم مجتمعها على أساس من التقوى .. على أساس من تجنب مفاسد المادية ، وتجنب استغلال دين الله فى سبيل مصالح دنيوية .

وطالما كانت الفرصة أمام المسلمين متاحة لزيارة هذه المساجد الثلاثة .. فسبيل الاعتزاز والفخر بالانتماء إلى الأمة الإسلامية مفتوح لكل مسلم ، لم يغلق بعد .

ومن هنا كانت صيانة هذه المساجد الثلاثة وبقاؤها تحت إمرة المسلمين : واجباً دينياً وتاريخياً وإنسانياً فى عنق المسلمين وحدهم .

□



الاغتصاب في أرض الإسراء

حتى لاننسى هؤلاء الصهاينة !

• «سماعون للكذب أكالون للسحت»

• أملاك العرب وأموالهم فى بطون صهيون

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

فى الحادى عشر من ديسمبر ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٩٤ (٣) الذى يقضى بتكليف « لجنة التوفيق بفلسطين » بمهمة حماية حقوق واملاك اللاجئين الفلسطينيين ، ثم أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ٣٩٤ (٥) فى ١٤ ديسمبر ١٩٥٠ لنفس الموضوع فما قصة هذه الحقوق وتلك الأملاك ؟

تبدأ المشكلة ، وقت أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ تشريعا يجيز الاستيلاء على اموال العرب ، اسمته : « قانون استملاك الاراضى : تصديق الاعمال والتعويض » استهدفت منه استملاك الأراضى العربية تحت ستار الحاجة إليها لاغراض التعمير والإنماء والاقتصاد وشئون تتعلق بالأمن والدفاع .

تلاه تشريع آخر عام ١٩٥٠ أسمته « قانون الغائبين » وضعت بموجبه اموال العرب تحت الحراسة ، وأعطت صلاحيات واسعة للحارس فأجازت له بموجبها بيع الأموال المنقولة وغير المنقولة الموضوعة تحت الحراسة .

ثم أخذت السلطات اليهودية فى بيع أملاك اللاجئين الذين نزحوا عن فلسطين ، ودفع ثمن هذه الأملاك إلى إدارة توطين المهاجرين اليهود .

اعطى « قانون الغائبين حق بيع أملاك العرب

* احصاء عن دراسات للجامعة العربية

الاغتصاب فى أرض الإسراء

إلى سلطة الإصلاح بالثمن (الرسمى) وهو ثمن لا يتناسب مطلقاً مع القيمة الفعلية أو حتى مع القيمة التى اشترى بها الملاك الأصليون ، ولنبين جانبا من هذا الغبن نسوق بعض ما جاء فى بيان هذا (الحارس) وتم إعلانه فى نشرة الوكالة اليهودية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٥١ ص ١٤٣١ حيث جاء فيه :

« أن من ٣٥٪ إلى ٤٠٪ من دخل الإيجارات التى يحصلها الحارس انفق فى الإصلاحات . و٢٥٪ من المتبقى دفع ضرائب و١٢ إلى ١٣٪ دفع لنفقات إدارية ، ومن ١٠٪ إلى ١٢٪ لإصلاح مناطق مختلفة .

هكذا فى عبارات لا ينقصها الاستهتار واللامبالاة حتى لتنأى عن توضيح ذوات ما انفقت فيه .

ومن صور الظلم الفادح أيضا ما كان يحدث عند طلب صرف المال المجمد فى البنوك ، وهو خصم نسبة من المال المودع الذى يراد الإفراج عن بعضه باسم نفقات للحارس الإسرائيلى على أموال العرب الغائبين وتبلغ هذه النسبة ٢٥٪ من المجال المجمد احيانا ، وتزيد عنها أحيانا اخرى وفقا لرأى الحارس الإسرائيلى وقرار سلطات صهيون ونذكر على سبيل المثال لا الحصر :

تلقى لاجىء فى لبنان من بنك باركليز فى حيفا قائمة برصيده حتى ٢٨ يناير ١٩٥٢ ممهورة بخاتم يحمل كلمة (محول من حارس أملاك الغائبين) وبينت هذه القائمة أن المبلغ المودع كان ٣٤٢٠ جنيها فلسطينيا فخصم منه بتاريخ ١٢ يونيو سنة ١٩٥٢ مبلغ ٣٤٢ جنيها (حوالى ١٠٪) كقرض وطنى إجبارى ، ومبلغ ٢٥٧٧ جنيها (أى نحو ٧٥٪) دفع إلى حارس أملاك الغائبين بموجب تحويل رقم ٦٩٨٦١ بتاريخ ٨ يناير ١٩٥٣ حسب طلب الحارس المقدم فى ٢ يناير ١٩٥٣ . فبقى للعربى ٥٠٠ جنيه فقط محولة إلى عملة إسرائيلية .

كذا وليعرف ذلك المسلمون فى كل مكان .
ثم يبدو الدهاء الصهيونى واضحا سافراً فى قانون التصرف الذى أصدرته السلطات الصهيونية عام ١٩٥٣ حيث نص على أنه « إذا لم يتصرف صاحب الملك بأرضه تصرفا فعليا » اى بنفسه وبيده » وكانت الحكومة محتاجة إليها للأغراض الدفاعية أو لأغراض التوطين فإن تلك الأرض تصبح بأمر من وزير المالية ملكا للدولة ولا يخضع ذلك لمراقبة المحاكم » .

وهذا الجزء يمثل أحد شقى الرحى ، أما الشق الآخر الذى تكتمل به بشاعة الصورة فهو (عندما ترغب السلطات فى الاستيلاء على أرض عربية ، ما فما على الحاكم العسكرى إلا أن يمتنع عن إعطاء الإذن لأصحابها بالتنقل فينطبق عليها نص القانون وتصادر) .

بهذه الوسيلة وبغيرها استولى اليهود على مئات الألوف من (الدونمات)(١) من املاك العرب المقيمين فى فلسطين المحتلة .
وياخيبة للمتحسرين .

هكذا انطلق قانون الغاب بدءاً (بتشريعات ١٩٤٨/١١/٢٩) ، أى بعد أقل من ستة اشهر

(١) الدونم ١٠٠٠م² الف متر مربع ، اى كيلو متر مربع .

من قيام حكومة صهيون ، يليها (قانون الغائبين) فقانون (نزع الملكية) فـ(قانون التصرف) وغيره وغيره ، مما اضطر هيئة الأمم المتحدة إلى إصدار قرارات عدة تقضى بضرورة عودة اللاجئين إلى ديارهم وتعويض من لا يرغب فى العودة منهم تعويضا عادلاً .

ولم تأبه سلطات صهيون بالمجتمع الدولى ، بل زادت فى تعسفها وإجراءاتها الغاشمة ضاربة بقرارات الأمم المتحدة عرض الحائط مما اضطرت معه الأمم المتحدة إلى الإشارة إلى ذلك فى قرارها الصادر فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، بأنها (تلاحظ) بكل أسف أن القرارات المشار إليها انفا لم تنفذ بعد ، ولا سيما بالنسبة إلى اللاجئين الراغبين فى العودة إلى ديارهم . وبالنسبة ايضا إلى التعويض العادل المناسب لممتلكات الذين لا يرغبون فى العودة .

وكالعادة تعالت صيحات استنكار من دول المنطقة ويكفى أن نذكر انه فى الفترة ما بين عام ١٩٤٨ وأوائل عام ١٩٥٣ اقامت السلطات الصهيونية (٣٧٠) مستعمرة يهودية ، من بينها (٣٥٠) مستعمرة اقيمت على أملاك الغائبين العرب !!

ومن الحقائق المؤلمة أن مدنا مثل يافا واللد والرملة وعكا وبيسان - التى لم يكن يسكنها يهودى واحد - بل ومئات القرى غيرها باتت آهلة باليهود والصهاينة .

ونهب اليهود الأراضى والأملاك العربية من أجل توطين المهاجرين اليهود .

وفيمايلى قيمة الثروة العربية التى استولى عليها اليهود وفقا لما قدره خبراء لجنة التوفيق المحايدون تلك اللجنة التى انيط بها حماية حقوق العرب بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (٣) الصادر فى ٤٨/١٢/١١ ، والقرار رقم ٣٩٤ (٥) الصادر فى ١٩٥٠/١٢/١٤ .

١٠٠ مليون جنيه استرلينى مزارع الحمضيات بما فيها من ابنية وآلات .

١ مليون جنيه استرلينى مزارع الموز .

٢٧٥ مليون جنيه استرلينى مزارع الفاكهة والزيتون والأشجار الأخرى .

٣٠ مليون جنيه استرلينى الاراضى الزراعية الجيدة .

٢٢٠ مليون جنيه استرلينى الأراضى نصف الزراعية والمراعى .

١١٠٠ مليون جنيه استرلينى العمارات والمبانى والأملاك فى المدن والقرى العربية بما فيها من مواشٍ ومصانع وآلات .

٢٠٠ مليون جنيه استرلينى الأموال المنقولة والنقود والحلى والأموال المجمدة فى شركات التأمين والبنوك .

بإجمالى ١٩٣٣ مليون جنيه استرلينى

أما عن ريع الممتلكات العربية فى المنطقة المحتلة فقد قدرت بأكثر من ٤٧ مليون جنيه استرلينى (سنويا) . وتقدر كمايلى :

١٤,٧٥٠,٠٠٠ جنيه ريع أملاك العرب من الثمار الحمضية والزيتون والفواكه .

١٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إيجار اراضيهم الزراعية التى يستغلها اليهود .

٢٢,٧٥٠,٠٠٠ جنيه إيجار دورهم ومساكنهم ومحلاتهم التجارية .

الاغتصاب فى أرض الاسراء

المجموع ٤٧,٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى

ترى ، كم بلغ الدين فى أعناق اليهود نتيجة استغلالهم لهذه الأملاك بحلول عام ١٩٩١ ؟

بالإضافة إلى ما استولوا عليه من أملاك حكومة فلسطين التى ورثتها عن الدولة العثمانية وهى أملاك (اميرية) تعود ملكيتها إلى اهل فلسطين العرب .

أما عن ملكية الأراضى التى اغتصبها اليهود من العرب عنوة ، فإنه يكفى أن نقول :

أن مساحة القسم المحتل كان موزعاً بالنسب التالية :

أملاك العرب ٣٦,٦٤٪

أملاك اليهود ٧,٢٣ ٪

الحكومة ٥٥,٦١٪

آخرون ٠٠,٥٢٪

الإجمالى ١٠٠,٠٠٪

وبعد[٢]

فهل من عبرة .

---

(٢) عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية املاك العرب واموالهم المجمدة فى فلسطين المحتلة ـ إعداد ـ د / يعقوب الخورى .

الفتاوى

في حكم التعامل مع شركات التأمين

اختيار مكتب جمال في مصر



فتوى في حكم التعامل مع شركات التأمين

ابتغاء شراء دار أو ادخار تقاعد أو مصروفات الطلاب في التعليم

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب - شيخ الأزهر - سؤال .

يستفسر فيه صاحبه عن حكم « التامين في الإسلام » في الوقائع التالية :

(أ) مسلم بحاجة إلى شراء دار له ولأهله ، ولا يملك المبلغ المطلوب ، ولذا يستقرض من مؤسسة مالية المبلغ المطلوب ، والمؤسسة تطلب منه شراء تامين على حياته للمبلغ الذى يستقرضه من المؤسسة فهل يصح له هذا ؟

(ب) هل يصح اشتراك المسلم في مشروع تقاعد في شركات التامين ، إذ لا تقوم الحكومة بحاجات الشيوخ والعجائز ؟

(جـ) إذا كانت التربية الجامعية غير مجانية ، ويلزم الطالب بدفع المصروفات للجامعة . فهل يصح اشتراك في التامين لمساعدة الأولاد لدراستهم الجامعية ؟ وختم السائل خطابه بقوله :

إن شركات التامين تعمل بالربا ، كما هو معلوم ، حتى انها تشترك في بعض انواع التجارة التى لا تجوز شرعا .

فهل هذا مانع من الاشتراك في التامين للمسائل المذكورة ؟

والجواب :

إن مؤتمر علماء المسلمين الثانى المنعقد فى الأزهر الشريف فى المحرم سنة ١٣٨٥ هـ / مايو سنة ١٩٦٥ :

قد قرر فى شأن التأمين ما يلى :

(أ) التأمين التعاونى الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من باب التعاون على البر .

(ب) نظام المعاش الحكومى وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع كذلك فى بعض الدول كل هذا جائز .

* كما قرر فى شأن القروض المالية :

(أ) ان الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الإنتاجى ، لأن نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين .

(ب) كثير الربا وقليله حرام ، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح فى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ « آل عمران ١٣٠ » .

(جـ) الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك .. ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة .

* ولما كان ذلك :

كان ما سأل عنه الطالب عن حكم الاشتراك فى مشروع التقاعد بشركات التأمين أنه من المباح ، إذ أنه من باب الادخار ، وهذا إذا خلا العقد من الربا البين أو شبهته ، كأن تكون هناك فائدة ربوية للشركة محددة مقدما .

* أما ما سأل عنه من التعاقد مع « شركة التأمين على الحياة » لإمكان اقتراض قيمة شراء دار له ولأهله ، أو لسداد المصروفات التعليمية الجامعية للأولاد .

فإن وقعت هذه الأمور لديه فى موقع الضرورة بأن لم يتيسر له ولأهله السكنى إلا بالاقتراض بالفائدة وبضمان التأمين على الحياة لدى شركة التأمين وبطريق الاقتراض لسداد مصروفات التعليم بأن لم يكن لديه كسب يفى أو ممتلكات يبيعها : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ « البقرة ٢٧٥ » ، ووقع هذا موقع الضرورة التى ترفع إثم اقتراف المحرم : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ « البقرة ١٧٣ » .

كان سلوك هذا الطريق ـ الاقتراض بالربا والتعاقد مع شركة التأمين ـ نظيره وضمانا له جائزا وهذا هو ما أفتى به « مؤتمر علماء المسلمين » حسبما سبق حيث أجاز نظم المعاش الحكومى وما يشبهها على النحو السالف ذكره .

هــــذا :

* ولا يخفى أن شركات « التأمين والبنوك » وإن كانت تشوب أكثر معاملاتها شائبة الربا إن لم يكن الربا الصراح ، ولكن ـ مع هذا ـ ففى عملها ما هو مشروع فى نظر الإسلام ، ومن ثم ووفقا للقاعدة الفقهية التى تقرر : أن : الدراهم لا تتعين بالتعيين ـ يجوز التعامل معها عند الضرورة بمعيارها المقرر فى الإسلام ، وبنص القرآن يباح هذا التعامل بقدر الضرورة ، ويرتفع الإثم فى تحصيل ثمن الدار أو مصروفات المدارس والجامعات للأولاد والاشتراك فى مشروع التقاعد .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

اختيار

ملكة جمال في مصر

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ مدير عام العلاقات العامة بالأزهر الشريف ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعد » .

فقد اتصلت جهات مختلفة من مناطق جمهورية مصر العربية بلجنة الفتوى تستفسر عن حكم شرع الله فى اختيار ملكة الجمال .

ولما كانت العهود التى اخذت على العلماء أن يبينوا للناس حكم شرع الله فيما يسالون عنه . فمن اجل ذلك قامت اللجنة ببيان حكم الشرع فى هذه القضية وهو مرسل لفضيلتكم .

رجاء التكرم بإرساله للصحف التى ترون امانتها وقدرتها على النشر حسبة لوجه الله وخدمة للوطن وإبراء للذمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

أحمد مسلم

اتصلت « بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف » عدة جهات من سائر انحاء الجمهورية .

تسال عن الحكم فيما يتردد على الألسن فى هذه الأيام من وجود رغبة فى اختيار ملكة جمال فى مصر .

ولما كانت « لجنة الفتوى بالأزهر الشريف » لا تستطيع من الناحية الشرعية ان تكون مُعْرِضَةً عن الاجابة لأن الله عز وجل اخذ عليها الميثاق ان تجهر بالحق كما أن الوطن يبغى ذلك منها ايضاً .

من اجل ذلك قامت بإصدار البيان التالى :

إن ما يتردد على الألسن من رغبة فى اختيار ملكة جمال فى مصر هو تقليد أجنبى لا يمت إلى الإسلام بصلة .

والإسلام فى تعاليمه التى ينطوى عليها الكتاب الكريم وتنطوى عليها السنة المطهرة يحرم ذلك تحريما قاطعا لما فيه . من إهدار لكرامة المرأة حيث إنه بطبيعة الحال يقتضى أن تكشف من جسدها ما أمر الله بستره مع أخذ مقاسات معينة من جسدها من أجل اختيار هذه الملكة .

والمرأة فى نظر الإسلام كاللؤلؤ المكنون لا يطلع عليه إلا الزوج لأنه هو الذى يعطيه الشارع الحكيم حق النظر إليها .

قال تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٣٠ ، ٣١ من سورة النور .

إن التفكير فى هذا الصنيع السيىء البغيض لا يليق ببلد دينه الرسمى الإسلام وفيه الأزهر الشريف الذى جعل مصر زعيمة العالم الإسلامى وقدوته الصالحة ولا يخفى على أحد أن هذا العمل يسىء إلى سمعة مصر فى الخارج وهذه ضربة مؤلمة قاسية لا نقبلها ولا نرتضيها ، إن عَرْضَ المرأة عرضا دوليا عند تنفيذ الفكرة باعتبارها ملكة جمال يسىء إليها كامرأة إساءة بالغة، ويغرى بها أهل الفساد، وهى بالتالى تفتتن بنفسها ، ويفتتن بها غيرها . وكل ذلك منعه الإسلام .

هذا ولما كان التفكير فى مثل هذا العمل البغيض من القبح والبشاعة على النحو الذى بيناه فنهيب بكل من يهمه أمر القيم الأخلاقية فى الوطن أن يُعرِض كل الإعراض عن هذا الأمر إبقاء على البقية الباقية من المثل العليا التى تشرف الوطن وترفع من شأنه وتعلى من قدره .

والله المستعان وهو ولى التوفيق .

صدر فى الثانى من جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ ١٩ من شهر ديسمبر سنة ١٩٩٠ م .

أحمد حسن مسلم
محمود عبد الله
أ . د . عبد المنعم القصاص
محمود محرز سلامة
محمد مصطفى شحاتة
عبد الرازق ناصر محمد

أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر

قبس من أنوار النبوة

شأن المؤمن

الاقتداء والاهتداء

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله - ﷺ - يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع ، فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة ، فإنها بئست البطانة » . (رواه أبو داود بإسناد صحيح) .

ورواه الحاكم فى « المستدرك » من جملة حديث ، عن ابن مسعود ، وفيه : أنه كان من دعائه ﷺ « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع ، ومن الجوع فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة » .

• • •

كان من هدى رسول الله - ﷺ - توجيه أمته إلى المقاصد السامية ، والمثل الرفيعة التى تقودها وتفضى بها إلى سعادة الدارين ، ونعيم الجنة الذى لا يفنى ولا يبيد ، ولا يخالطه دخل ، ولا يشوبه كدر ، فكان المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة ، حيث إنه قد اهتم بمنة من أهم منن الله على عباده ، وهى نعمة الطعام والشراب ، فإن الله سبحانه إذ يمن على عباده بالغذاء إنما يمن عليهم بنعمة الحياة ، ولقد أدرك الرسول - ﷺ - هذه النعمة ، وأدركها الأنبياء قبله .

فها هو إبراهيم عليه السلام يدعو إلى عبادة الله الذى بيده الموت والحياة : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء ٧٨ - ٨٠ .

ولقد بين الرسول - ﷺ - سبيل الفوز والفلاح - فيما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ، قال : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنّعه الله بما آتاه » ، حيث

أعطى ما يكفى ويغنى عن سؤال الناس ، ويدفع الضرورات ، وهذه هى الحالة الوسط بين الغنى والفقر ، وخير الأمور الوسط ، كما أنها الحالة التى اختارها - ﷺ - لأنه حين دعا الله قائلاً : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » . متفق عليه .

ومعنى القوت هو ما يسد الرمق والحاجة ، وهذه الحالة تجعل المؤمن يجاهد نفسه على الصبر عن القدر الزائد على الكفاف ، فلم يفته من حال الفقر إلا السلامة من قهر الحاجة ، وذل المسألة .

إن الجوع آفة الآفات ، وإن الإنسان إذا جاع عن حاجة حدث فكذب ، ووعد فأخلف ، وليس من شك أن تقديم العون للمحتاج من أجلّ الأعمال وأعظمها أجراً ، ولقد سئل رسول الله - ﷺ - « أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » رواه الشيخان .

وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال ؟ قال رسول الله - ﷺ - « أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العانى » - الأسير - رواه البخارى .

إن الإيمان الصادق ، والعقيدة الراسخة ، توجه المؤمن إلى امتثال أمر الله فى المسارعة إلى إنقاذ الجائع من ألم الجوع ، والمحافظة على حياته .

قال عز من قائل : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ(١) . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (البلد الآيات ١١ - ١٦) .

وجاء فى الحديث القدسى : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة .. ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . قال يارب : كيف أطعمك وأنت رب العالمين .

قال .. أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه . أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ... »

ثم إن مكارم هذا الدين تحذر المؤمن أن يبيت شبعان ، وجاره جائع وهو يعلم .

ويقول - عليه الصلاة والسلام - عن الجوع . (إنه بئس الضجيع) أى أنه بئس المصاحب للإنسان ، إذ أنه حالة تمنع استراحة القلب وطمأنينة النفس فضلا عن إضعافه القوى ، وإثارته الأفكار الشريرة والخيالات الفاسدة التى تخل بوظائف العبادة ومن هنا منع الرسول - ﷺ - الوصال فى الصوم ، فلا يقدم عليه - بعد رسول الله - ﷺ - إلا قادر عليه عن استطاعة لا أذى فيها كما كان يفعل عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه .

كذلك كان من تربية رسول الله - ﷺ - للمسلمين أن نفرهم عن الشره ، فاستعاذ عليه الصلاة والسلام - من (نفس لا تشبع) نفس تتبع هواها فى الطعام فلا تقف عند حد ، ولاتدرك قناعة ، ولا تستمسك باعتدال أو عفة وقال - عليه الصلاة والسلام - توجيها للعمل الحميد : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة - وفى رواية - لابد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الإمام أحمد والترمذى .

● ● ●

(١) المسغبة : المجاعة

قبـس مـن أنـوار النبـوة

ثم يستعيذ الرسول - ﷺ - من « الخيانة » قارنا ذلك بذكره « الجوع » واصفا إياها بأنها : بئس البطانة .

يعلمنا - عليه الصلاة والسلام - أن نستعيذ بالله ، بأن نلجأ إليه ونعتصم به ونتحصن حتى يحفظنا - بكرمه ولطفه - من التردى إلى « الخيانة » فإنها من خلال المنافقين ثم هى أسوأ صفة تقوم بنفس مؤمن تحول بين الإنسان والخير فهى كبطانة السوء للإنسان ، ومعروف أن بطانة الإنسان خاصته التى يخصها بقربه ومودته ويستشيرها فى أمره ، وأسوأ ما تكون البطانة حين تشير بالسوء وتدفع إليه ، وذلك أمر الخيانة دائما وإنما كانت من صفات المنافقين لتحسينها وتزيينها سىء الأعمال ، وكتمانها لمحاسنها ، ولذا حذرنا الله - عز وجل - منها فقال :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنفال ٢٧ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ الأنفال ٥٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ يوسف ٥٢ .

وليس كذلك الأمانة فإنها تاج الإيمان وشرف المؤمن ، ثم هى :

كل ما وكل إلى الإنسان حفظه ورعايته من نفس أو مال أو عرض ، أو علم ، أو قضاء ، أو شهادة أو مصلحة ، فإهماله أو التهاون فيه أو العبث به أو صرفه إلى غير وجهه خيانة .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - فيما رواه أحمد - قال : القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة . قال : يؤتى بالعبد يوم القيامة . وإن قتل فى سبيل الله - فيقال : اد أمانتك فيقول : أى رب كيف وقد ذهبت الدنيا ؟

فيقال : انطلقوا به إلى الهاوية وتمثل له امانته كهيئتها يوم دفعت إليه ، فيراها فيعرفها فيهوى فى اثرها حتى يدركها ، فيحملها على منكبيه ، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه ، فهو يهوى فى اثرها أبد الآبدين .

ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن امانة ، والكيل أمانة وأشياء عددها ، وأشد ذلك الودائع .

قال راوى الحديث فأتيت البراء بن عازب فقلت : الا ترى إلى ما قال ابن مسعود قال كذا قال البراء : صدق . اما سمعت الله يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء ٥٨ .

وحديث الرجل لزوجه وحديث المراة زوجها امانة - تجب رعايتها . روى مسلم - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن من اعظم الأمانة عند الله يوم القيامة . الرجل يفضى إلى امراته وتفضى إليه ثم ينشر سرها » .

فعلينا أن نستعيذ بالله - اقتداء برسول الله - من كل شر وضار وأن نلجأ إلى الله فى كل الأحوال ، أن يحفظنا من ضار فى الدين أو الدنيا - وأن نستودع الله ديننا وأماناتنا وخواتيم أعمالنا .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله ، ولا حرمنا من فيضه وطاعته .



للأستاذ الدكتور
احمد الحفناوى

لقد مر التفاعل الدينى الإسلامى ، القائم على ثقافة اللسان العربى مع الأسس الفكرية التى وجدت فى هذه المنطقة ، بثلاث مراحل عبرت خلالها الثقافة الإسلامية إلى هذه التجمعات :

اولاها : بدأت من تاريخ وصول الدين الإسلامى إلى المنطقة حتى أواسط القرن الثامن الهجرى ، لم يتجاوز أثر هذه الثقافة : تعليم الأهالى قراءة القرآن الكريم ، والسلوك الإسلامى فى المعاملات المختلفة .

ثانيتها : تميزت بتوطيد هذه البلاد بالعالم الإسلامى فى المشرق وفى دول الشمال الصحراوى حيث شهدت خلالها انتقال العلوم والمعارف الإسلامية إلى جانب المعارف المعمارية إلى بعض هذه المناطق ، فنتج عن ذلك نقل الثقافة الإسلامية والنظم المعمارية إليها .. مما أدى إلى ظهور مدرسة إسلامية سودانية خاصة فى ميدان علوم الدين : من فقه وحديث وغيرهما إلى جانب النمط المعمارى السودانى الذى جمع بين الطابع المحلى والهندسة المعمارية الوافدة !

ثالثتها : تبدأ من أواخر القرن العاشر الهجرى ، وشهدت هذه البلاد خلالها توسعا كبيرا فى المجالات المذكورة ، مع صقلها ، وإضافة مجالات وآفاق جديدة ، تمثلت فى فنون أخرى أعمق وأكثر إبداعا وإشراقا مثل : الفلسفة والمنطق والتاريخ وأدب الرحلات والشعر ...

هذا إلى جانب عوامل أخرى ساعدت على أن تصل تلك البلاد إلى ما وصلت إليه فى مجال الثقافة الإسلامية ، فى نهاية القرن التاسع ، وخلال القرن العاشر الهجريين .

من هذه العوامل :

* **هجرة العلماء** ، إلى هذه البلاد ، ففى القرن التاسع الهجرى ، هاجر علماء ينتمون إلى أسرتين كبيرتين شهيرتين بالعلم . هما : آل « أقيت » وآل « أندغ محمد » ، واستقروا فى وادى « النيجر » واعتبر احفادهم انفسهم سودانيين بالكامل ، فكان الفقيه والمؤرخ « أحمد بابا » تمبكتيا مثل شيخه الماندنجى « محمد باغايوخو » وكانا فخورين بانتمائهما إلى مدينة « تمبكتو » وحضارتها الزاخرة .. وقد رفض

أضواء على تاريخ الثقافة العربية

« أحمد بابا » الإقامة فى مدينة « مراكش » وفضل العودة إلى تمبكتو عند نفيه إلى المغرب خلال الحملة المغربية على « السنغهاى » !

وقد اندمج هؤلاء العلماء المهاجرون مع الصفوة من الموظفين الإداريين الذين هاجروا إلى هذه البلاد أيضا ، وساهم الجميع فى تنشيط الحياة العلمية والثقافية فى المدن المركزية ؛ فلم يكن علماء « تمبكتو » وغيرها من المدن يجهلون ما يجرى فى بقية أنحاء العالم الإسلامى ؛ ذلك لأنهم كانوا حريصين على دعم صلاتهم مع باقى المراكز الإسلامية فى المشرق وفى الشمال الأفريقى مثل : « المسجد الحرام » و« المسجد النبوى » و« الجامع الأزهر » و« القيروان » و« الزيتونة » ، و« القرويين » ، وبالرغم من أن العالم الإسلامى كان قد دخل فى طور الانحدار الحضارى فى نهايات القرن العاشر الهجرى ؛ إلا أن هذه المراكز الحضارية فيه ظلت تمثل معاهد جذب لعلماء السودان الغربى وغرب أفريقيا : فكانت الأراضى الحجازية المقدسة ، وكذلك مدينة « القاهرة » أهم البلاد المشرقية التى حرص حكام وعلماء هذه البلاد على الاتصال بها وبعلمائها ، كما حدث ، بين « إسكيا محمد » سلطان « السنغهاى » وبين العالم الموسوعى المصرى « جلال السيوطى » وكانت جامعة الأزهر أهم جامعة إسلامية فى عالم الإسلام ، تجتذب أساتذة وطلاب هذه البلاد ، ليس فقط بما تقدمه لهم من علوم ومعارف كانوا يجهلونها ؛ ولكن أيضا فى تحقيق ما كانوا قد تعلموه ودرسوه فى أقطار أخرى ..

ولهذا حرص العديد من علماء « تمبكتو » الكبار ـ وغيرها من المراكز الإسلامية فى تلك البلاد ـ على الإقامة فى رحاب الأزهر ، حيث كان علماؤه مسموعى الكلمة ، مبجلين من أهل العلم والمعرفة[1] . من أمثال : « محمد بن عبد الله البكرى » الذى كان شاعراً صوفيا ، و« الشيخ خالد الأزهرى » عالم النحو الشهير ، و« برهان الدين القلقشندى » ، و« برهان بن أبى شريف » ، و« الأخوان اللقانى » ، و« التدهورى الجمال » ، و« ابن زكريا » ، و« البكرى » وغيرهم .

لقد أثر الأزهر الشريف بتقاليده التعليمية فى علماء هذه البلاد وساعدهم على تطويع علوم اللغة والتمكن منها وهى ضرورية لمعرفة العلوم الإسلامية ، « مما جعل إسهامهم فى تطوير الحركة الثقافية فى بلاد السودان الغربى وغرب أفريقيا ، حقيقة واقعة ، لا يمكن إنكارها أو التقليل من شأنها ، وربما كان هذا هو الذى حدا ببعض الباحثين إلى القول : بأن جامعة « تمبكتو » تشبه إلى حد بعيد جامعة الأزهر التى تعلم فيها أساتذة « تمبكتو » وتخرجوا فيها بشهادات عليا[2] .

وعرف من بين العلماء فى هذه البلاد ـ وكذا الطلاب ـ الذى اجتذبهم الأزهر : العالم : « أحمد بن عمر بن محمد أقيت » ، جد العالم التمبكتى : « أحمد بابا » ، الذى جاء إلى مصر والتقى بالعالم المصرى المعروف « السيوطى » ومنهم : محمود بن عمر بن محمد أقيت ، الذى زار مصر وقابل بها بعض العلماء ـ وناقش معهم عديداً من المسائل ـ مثل العالم المصرى : إبراهيم المقدسى ومنهم العاقب بن عبد الله الإنسامونى الذى درس على يد كل من محمد بن عبد الكريم المغيلى والإمام السيوطى فى مصر[3] . وكان من بين علماء مصر الذين سافروا إلى بلاد السودان الغربى واستقروا فيها : قاضى قضاة

المالكية ، بمصر : محمد بن يوسف الأندلسى ، الذى قدم إلى هذه البلاد بعد سنة ٩٠٩هـ .

ومن هذه العوامل ايضا :

* ازدهار المدن المركزية التجارية : فمن المعروف أن هذه المدن فى بلاد حوض النيجر ، مثل « جاو » و« تمبكتو » و« جنى » وبعض مدن بلاد الهاوسا ، كانت كلها على جانب كبير من الازدهار والرفاهية ، مما جعل الحركة العلمية فى هذه البلاد فى القرن العاشر الهجرى ، ظاهرة حضرية فقط ، اى انها ازدهرت فى المدن دون غيرها من بقية أنحاء البلاد من قرى وأرياف ؛ لذلك وجد أنه حتى المعلمين الذين أقاموا مع تلاميذهم فى القرى يعلمونهم كانوا فى فترات تلقيهم العلوم يعيشون فى المدن ، وكانوا أثناء إقامتهم بالقرى يرتادون المدن بصفة دورية ، والسبب فى ذلك هو : أن خلو هذه المدن من المشاكل المالية وغيرها كان يشكل عاملاً هاما من العوامل التى تساعد الدارس والمتعلم على التفرغ الكامل للتحصيل خاصة مع توافر أماكن الدرس والبحث مثل : « المسجد الجامع » و« سوق الكتب » .. وغير ذلك .

يضاف إلى ذلك عامل حاسم وحيوى وهام هو :

* اهتمام « إسكيا محمد » سلطان « السنغهاى » ـ وكثير غيره من السلاطين ـ بنشر الإسلام والنهوض بالحركة الفكرية بوجه عام ، مما دفعه إلى تكريم العلماء والعناية بهم والاهتمام بمشورتهم ، حتى ان أحد العلماء كان يتولى شئون امانته[٤] .

هذا على اننا لا نكاد نجد اسرة حاكمة فى هذه المنطقة ـ وفى هذه المرحلة من التاريخ ـ إلا وحاولت أن تجد لنفسها نسبا عربيا :

* فسلاطين « مالى » أو « التكرور » ، وصلوا بنسبهم إلى : عبد الله بن صالح بن الحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ !

* وسلاطين : « سنغهاى » .. فعلوا نفس الشىء .

وسلاطين : « كانم » و« برنو » ، وصلوا أنفسهم إلى حمير ..

وهذا كله ليفوزوا برضا الرعية ، وتقدير المعاصرين ، وليفسحوا لأنفسهم مجالاً فى الحياة الإسلامية الدولية آنذاك !!

ولم يعدم الأمر ، أن يقتبسوا من التقاليد الشائعة فى الحياة الإسلامية المعاصرة لهم ، على نحو ما ذكرنا .. !!

وإذا كانت المدن والمراكز الإسلامية فى غربى افريقيا قد اشتهرت فى أول امرها كمراكز تجارية ، فما كان ذلك إلا لفترة وجيزة ، لم تكن فيها بالمنطقة حكومات إسلامية قوية ، ولا كان الإسلام منتشرا بها بشكل كبير ؛ أما بعد ذلك ، فقد شهدت هذه البلاد ظهور عدد من المدن ، اصبحت فى ظل الحكومات الإسلامية بمثابة مراكز ثقافية إسلامية كان لها إشعاعها الحضارى البارز بما أدته من دور بارز فى مجال الفكر الإسلامى فى هذه البلاد .. ومن أهم هذه المدن والمراكز :

تمبكتـــــو :

فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، اتخذ بعض الطوارق من مكانها ، محطة لمواشيهم فى فصل الشتاء عندما كانوا يأتون من منطقة « أوران » وجعلوها كمخزن للحبوب وغيرها من حاجاتهم الخاصة ، وقد فرضت ظروف حاجتهم لهذا المكان عليهم أن يحفروا فيه « بئرا » ؛ مما ادى إلى جذب التجار إليه حتى صاروا يتقابلون فيه ، ويقيمون ، للراحة احيانا[٥] وبتعدد لقاءات التجار عنده تحول إلى سوق للتبادل التجارى ،

أضواء على تاريخ الثقافة العربية

بين الشمال الصحراوى والجنوب ، وبعد ان كانت سوق « ولاته » هى التى يقصدها التجار بقوافلهم من : « مصر » وواحات « أوجله » و« غدامس » و« فزان » ، و« توات » و« تافيلالت » و« فاس » و« السوس » و« درعة » ، أصبحت « تمبكتو » ـ وهو الاسم الذى أطلق على هذا المكان ـ فى نهاية القرن الخامس الهجرى ، هى التى أصبح التجار يحرصون على الالتقاء فيها للتبادل التجارى والمعاملات المالية ، وقد اشتهرت بتجارة : التمر والملح والذهب والحنطة وجوز الكولا ، وتألقت كمركز مسيطر على التجارة التى كانت تمر بين مدينة « جنى » ومركز « ولاته » ، كما أصبحت قرية « كابارا » ـ المشهورة بالصيد النهرى والمجاورة لها ـ بمثابة « ميناء » لها ؛ وذلك لوقوعها بالقرب من طريق نهرى يتحكم فى جزء كبير من بلاد السودان الغربى ، الأمر الذى أعطى « تمبكتو » ميزة كبرى على الأسواق المجاورة ، وكان من الطبيعى نتيجة لهذا النشاط التجارى ، أن تزداد الثروة ، ولما تحكمت « تمبكتو » فى الأنشطة الاقتصادية والمالية والتجارية ، انتقل إليها العلماء حيث استقروا فترة طويلة يمارسون التجارة ، إلى جانب التعليم .

لقد ذكرت بعض المصادر التاريخية : أن هذه المدينة ، ظلت قرونا لم تعرف خلالها ما يستحق أن يطلق عليه اسم « العمارة » بمعناه الحقيقى ، برغم وجود بعض مظاهر المعارف العلمية فيها : فكانت مساكنها بيوتا من الأخشاب والأشواك ، ثم تحولت إلى أبنية الأسوار والحوائط[6] ؛ ولكن السلطان « منساموسى » عقب استيلائه عليها سنة ٧٢٥هـ ، قام بإنشاء العديد من المساجد : فيها وفى كبرى مدن دولته ، وهى فى ذلك العهد : « تمبكتو » و« جنى » و« جاو » ..

ويذكر « السعدى » : أما الجامع الكبير فالسلطان « منساموسى » « .. هو الذى بناه وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة به من خارجه من جهتى : اليمين[7] . ـ تعبير السعدى ـ والمغرب ، وابتنى دارا للسلطنة ، فسميت : دار السلطان ومهما يكن من أمر ، فقد ظهر الدور الثقافى « لتمبكتو » مبكرا حيث تزامن ، توافد العلماء والأساتذة والطلاب إليها مع حركة بناء المساجد والمدارس فيها ، الأمر الذى جعلها فى نظر المسلمين تستحق : الخلود التاريخى شأنها فى ذلك شأن : القيروان فى افريقية ، وفاس فى « المغرب » و« إشبيلية » و« غرناطة » ، و« قرطبة » ، فى الأندلس و« القاهرة » فى مصر . لقد ارتبط تاريخ الثقافة فى غرب أفريقيا ، بتاريخ هذه المدينة ، بدأت يوم ولدت المدينة ، واشتد ساعدها باتساع أفق المدينة وتطورها ، ثم خضعت لما تعرضت له هذه المدينة من مظالم الاحتلال المراكشى ، وما أعقبه من اضطرابات وتطورات .

وكانت مركز الحياة الثقافية ، وقلب الحركة الفكرية : اجتمع فيها العلماء من كل جنس ولون : المصريون ، والحجازيون ، والمغاربة والأندلسيون ، وفد إليها الناس من كافة بقاع السودان الغربى : من النيجر والسنغال وإمارات : « الحوصة » و«البرنو » و« كانم » ، كل هذه الطوائف كانت تأتى المدينة ، فتقيم بها زمنا ، ثم ترحل أو تقيم بها إقامة دائمة ، وقل أن تجد كتابا لم يؤلف فى « تمبكتو » أو فقيها لم يتعلم فيها ، أو يقيم بها : طالبا أو مشتغلاً بالتدريس فى جامعها الشهير بجامع « سنكورى »[8] . الذى يشبه إلى حد بعيد

« الجامع الأزهر » فى مصر : فى تراثه ومكانته ..

لقد أقام فى هذه المدينة حشد كبير من العلماء والفقهاء ، وبرزت منهم طائفة وصلوا إلى مرتبة الإمامة أشار إليهم « السعدى » فى كتابه : تاريخ السودان منهم : الحاج جد القاضى عبد الرحمن بن أبى بكر ، الذى تولى القضاء فى أواخر دولة « مالى » ، ثم عمر الساكن تنديغ الذى تولى القضاء فى عهد « إسكيا محمد » و« أبو عبد الله اندغمحمد بن عثمان ، وأبو جعفر عمر وأحمد بن عمر بن محمد أقيت ، الذى ترك أكثر من سبعمائة مجلد ، ومخلوف بن على بن صالح »[٩] .

كان هؤلاء العلماء يشتغلون بالتدريس فى جامع « سنكورى » فى « تمبكتو » ، وكانوا بمثابة طبقة خاصة من سكان هذه المدينة ، وكانوا يتوارثون « العلم » ويكادونه يحتكرون فى أسرهم !! وكان الطلاب ، يفدون على هذه المدينة بعد أن يكونوا قد حفظوا أجزاء من القرآن الكريم فى مدارسهم القرآنية المحلية ، فإذا أتموا هذه الدراسة الأولية شدوا رحالهم إلى « تمبكتو » وأقاموا فيها حتى يتموا تعليمهم .. كانت حياتهم ميسورة ، يستضيفهم أثرياء المدينة وتجارها ، ووجهاؤها ، كما أن جامع « سنكورى » كانت له أوقاف ينفق من نتاجها على الطلبة المنقطعين للعلم .. ذكر « السعدى » أن هذه البلدة ـ يقصد « تمبكتو » ـ الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة .. ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أرضها ـ قط ـ لغير الرحمن .. كانت مأوى للعلماء والعابدين ، ومألف الأولياء والصالحين[١٠] .

كانت مركزاً لإشعاع فكرى بعيد المدى فى بلاد السودان الغربى ، فكانت سوقاً عظيمة لكتب تنسخ فيها المخطوطات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وتباع فى أسواقها ، وكانت تلقى إقبالاً منقطع النظير من الطلبة والمشتغلين بالعلم والسلاطين والأمراء ، وكان علماء المدينة يقبلون فى شغف على إنشاء المكتبات الخاصة ، وبعضهم زادت كتبه على « الآلفين » وفى رواية « السعدى » : « أن فقيها يدعى محمد بن محمود بن أبى بكر ، اقتنى نفائس الكتب الغريبة ، وكان يأتى لبابه الطلاب يطلبون كتبا ، فيعطيها لهم من غير معرفة »[١١] ، كذلك فقد اقتنى بعض السلاطين مثل هذه المكتبات ، منهم السلطان : « إسكيا داود » سلطان « السنغهاى » المعروف[١٢] .

وصف الحسن الوزان مدينة « تمبكتو » : بأنها كانت تعج بالكثير من : القضاة والأدباء والدعاة ، الذين كانوا يعينون بأمر السلطان ، الذى كان يجلهم كثيرا وكان يشترى المخطوطات لمكتبات المدينة مهما ارتفع ثمنها ، وكان رواج الكتب فى « تمبكتو » نتيجة ازدهار العلوم التى كانت تدرس فى جامعتها « جامع سنكورى » الشهيرة ، ومدارسها ، سببا فى أن تجارة الكتب كانت أكثر جلبا للربح من أية سلعة تجارية أخرى[١٣] .

على أن الأمر الذى كان يزيد الحركة الثقافية والفكرية تألقا فى « تمبكتو » ، أنها لم تكن محلية الطابع ، وإنما كانت عالمية ـ بمستوى عصرها ـ اتصلت بالبيئات الثقافية المعاصرة :

* اتصلت بالأزهر ـ كما سبق أن عرضنا ـ فى العصر المملوكى وكان هذا أمرا هاما لها ، فمصر موئل التفكير الإسلامى فى الشرق والغرب ، وأصبحت مقرا للخلافة العباسية فى هذا العصر وثقافتها الإسلامية أكثر توقداً من كل البيئات الإسلامية آنذاك .. ونلمح فيما كتبه « السعدى » هذه العلاقات التى توطدت بين الأزهر وتمبكتو إلى أبعد الحدود يقول السعدى : « رحل محمد بن أحمد التازختى » إلى الشرق واتصل بعلماء مصر مثل شيخ الإسلام زكريا والبرهانيين والقلقشندى وابن أبى الشريف وعبد الحق

♦ أضواء على تاريخ الثقافة العربية

السنباطى وحضر دروس الأخوين اللقانيين ، ثم رحل إلى الحجاز وعاد إلى « تمبكتو » يذيع ما حصله من علم ومعرفة[١٤] .. هذا إلى جانب ما سبق أن عرضنا له من علاقات الإمام السيوطى بهذه البلاد وبعض سلاطينها ..

ولم توضح المصادر التاريخية ـ بدقة ـ مدى انتشار الثقافة العربية الإسلامية بين عامة الناس ـ فى ذلك العصر ـ وإن كنا نلاحظ أن مكاتب تحفيظ القرآن قد انتشرت فى العديد من القرى والدساكر التى دخلها الإسلام ، ونلمح من روايات الرحالة والمؤرخين : حرص أهل البلاد ـ جميعهم ـ على حفظ القرآن والتزامهم الشدة فى ذلك ، فقد ذكر « ابن بطوطة » أن أهل « مالى » جعلوا لأولادهم القيود إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلاتفك عنهم حتى يحفظوه[١٥] .

ولكنهم رغم هذا لا يستخدمون اللغة العربية فى حياتهم الخاصة ؛ وإنما كانوا يستخدمون لغاتهم المحلية ، ثم يصطنعون العربية فى تعبيرهم الثقافى وفى صلواتهم فقد حضر « ابن بطوطة » صلاة الجمعة بأحد مساجد « مالى » فرأى رجلا بيده رمح يقف ويبين للناس ـ بلسانهم ـ ما يقوله خطيب المنبر فى خطبة الجمعة[١٦] .

لقد خضعت « تمبكتو » ، لسيطرة « مالى » ، ثم للطوارق ، ثم لآل « سنى » ثم لحكم آل « إسكيا » بعد ذلك ، لمدة تسهل إلى مائة عام[١٧] ظلت عبر تطورها المتواصل ، لا يوقفها عن سيرها الحثيث ما كان يعترى طريقها أحيانا من بعض الاضطرابات الناتجة عن تقلب تبعيتها من حكم لآخر !

وقد نعمت المدينة بهدوء تام ، واستقرار ثابت فى عهد السلطان « إسكيا محمد » الذى كان حريصا على دعم الثقافة والفكر الإسلامى فيها ، مما جعل عهده أزهى فترات التاريخ والحضارة الإسلاميين ، فى بلاد السودان الغربى على الإطلاق[١٨] .

لقد كانت الحياة فى هذه المدينة ، فى عهد هذا السلطان ـ على نحو ما وصف « الحسن الوزان » : لها شأن ، حيث كانت ، سوقا رائجة فيها البضائع من « مصر » و« المغرب » و« أوروبا » ، فكان أغلى ما يباع فيها الكتب ، كما كان بها أحياء خاصة يسكنها التجار الوافدون من جميع البلدان الإسلامية[١٩] . الأمر الذى رفع من شهرتها الثقافية والعلمية والاقتصادية .

التعليم فى « تمبكتو » :

* كان التعليم فى مراحله الأولى ، يتضمن تحفيظ القرآن الكريم للأولاد الصغار وتلقينهم مبادىء الدين الإسلامى الأساسية إلى جانب تعليمهم القراءة والكتابة للغة العربية التى كانت اللغة الوحيدة المستخدمة كلغة علم وإدارة .. وقد بلغ عدد سكان « تمبكتو » أكثر من ثلاثين ألف نسمة على عهد السلطان « إسكيا محمد » ، مما كان سببا فى كثرة عدد التلاميذ الذين كانوا يقبلون على التعليم ، حتى إنه أصبح متعذراً توفير المعلمين ، وقد أدى ذلك إلى إقبال عدد غير قليل من طلبة القرآن انفسهم ، على ممارسة تعليم الصغار ، الذين كانوا يأتونهم لتلقى القرآن الكريم على أيديهم ، فى الوقت الذى كانوا هم فيه يتلقون دروسهم فى مراحل أعلى !

** أما التعليم فى جامع « سنكورى » « بتمبكتو » ، فكان بمثابة التعليم العالى ، وكان يشمل : نفس المناهج الدراسية ، التى كانت تدرس فى جامعات العالم الإسلامى الشهيرة ـ آنذاك ـ كجامعة الأزهر فى « مصر » والقيروان

فى تونس ، والقرويين فى « المغرب » والتى كانت تتضمن : التوحيد والمنطق والتفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والبيان والمعانى والتاريخ والسير ، وغيرها من المعارف التى كانت تشكل فى ذات الوقت الدعائم الأساسية للعلوم الإسلامية واشتهرت جامعة « سنكورى » هذه ، بتدريس الفقه المالكى الذى كان يقوم بتدريسه علماء ضالعون ، سواء من السودانيين أم من الزائرين من أساتذة « الأزهر » و« فارس » ، الذين كانوا يأتون لإلقاء الدروس على الطلاب الذين وفدوا على هذه الجامعة ، من مناطق غرب أفريقيا المجاورة ..

وحدثنا « السعدى » : « إن بعض الطلبة كانوا ينفقون أكثر من ثلاث سنوات فى قراءة موطأ « مالك » وحده ، كما أشار إلى نماذج من الكتب التى كانت تدرس فى هذه الجامعة مثل : الشفاء للقاضى عياض ، « والصحيحين » و« المدونة » و« مختصر خليل » و« الألفية » ، ورجز « المغيلى » فى المنطق والخزرجية فى العروض ، وشرح الشريف السبتى ، وتحفة الحكام لابن عاصم ، وكتاب المعيار للونشريشى[٢٠] .

ولما كان غالبية رواد هذه الجامعة فى « تمبكتو » من الدارسين غير العرب ، كان الاهتمام بدراسة اللغة العربية شديداً جداً ، وكان الطالب ـ بعد إجادته لأية مادة من هذه المواد يحصل على إجازة عنها من شيوخه الذين درس عليهم هذه المادة .. وإذا كان الطالب قد تلقى المادة الواحدة على أكثر من شيخ ، فإنه يحصل من كل منهم على هذه الإجازة ، ثم يصبح مؤهلاً بعدها لمهنة : الإقراء أو الخطابة أو الإمامة و القضاء .. وهكذا لم تكن الدراسة فى هذه الجامعة محدودة بزمن ، وإنما كانت رهنا بفراغ الطالب من قراءة عدد معلوم من الكتب يجيزه بعدها شيخ أو أكثر .. !!

فكانت هذه الطريقة فى تلقى العلوم ، تدفع الطالب إلى مداومة البحث عن مشاهير الشيوخ فى العلوم المختلفة ، مما يفتح أمامه آفاقا جديدة فى المعرفة لا حدود لها ، فينشأ باحثا دارسا ، ومعلما فى الوقت نفسه .. !

وقد صوّر « أحمد بابا التمبكتى » العلاقة ، التى كانت بينه وبين أستاذه ـ واستمرت سنتين ـ ، ومدى النزاهة والتواضع اللذين كان يتحلى بهما رجال العلم فى هذه البلاد ، واحترامهم للحقيقة فى جميع الظروف ...



المراجع

(١ ، ٢) فاى منصور على : مرجع سبق : ص ٢٥١ .
(٣) د . محمد العزبى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى : ص ٥١٦ .
(٤) فاى منصور على : مرجع سبق : ص ٢٥٥ .
(٥) د . عبد القادر زيادية : مملكة السنغهاى فى عهد الأسبقين : ص ٢٠ .
(٦) ليو الافريقى : الحسن الوزان : (ت : ١٥٤٠م) : وصف افريقيا : ص ١٦٥ .
(٧) السعدى : مرجع سبق : ص ٥٦ .
(٨) د . حسن احمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا جـ١ : ص ٢٢٣ .
(٩ ، ١٠ ، ١١) السعدى : مرجع سبق : ص ٣٨ ، ٢٠ ، ٢١ .
(١٢) محمود كعت : مرجع سبق : ص ٩٤ .
(١٣) ليو الافريقى (الحسن الوزان) : مرجع سبق ص : ١٠٩ .
(١٤) السعدى : مرجع سبق : ص ٥٧ .
(١٥ ، ١٦) ابن بطوطة : الرحلة : جـ٥ : ص ١٩٣ ، ٢٠١ .
(١٧) السعدى : مرجع سبق : ص ٢٢ .
(١٨) فاى منصور على : مرجع سبق : ص ٢٢ .
(١٩) ليو الافريقى (الحسن الوزان) : ص : ١٠٩ . مرجع سبق ..
(٢٠) السعدى : ص : ٢٩ ، ٣٣ ، ١١ ، ١٢ . مرجع سبق .

من فقه الكتاب والسُّنة

المدِينُ المماطل

يعاقب بالحبس لا بتغريم المال

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة

١ ـ اخرج البخارى ومسلم بسندهما إلى ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مَطْلُ الغنى ظلم ، وإذا أُتْبِعَ احدكم على ملء فليتْبَع »

٢ ـ واخرج احمد وابو داود والنسائى والطبرانى باسانيدهم إلى عمرو بن الشريد عن ابيه قال : قال رسول الله ﷺ « لَىُّ الواجد يُحل عِرْضَه وعقوبته » وذكره البخارى فى صحيحه معلقا فى كتاب الاستقراض ـ باب : لصاحب الحق مقال .

معنى الحديث الأول :

المطل هو تأخير الدين عن موعده الذى ضرب لأدائه ، والغنى هو القادر على وفاء الدين بأن يكون عنده مال يعطيه للدائن ولو من غير جنس الدين ، والحق به كثير من العلماء الكسُوب الذى يستطيع ان يعمل فيكتسب مالا بعمله يكفى لوفاء دينه : كما روى عن إسحاق بن راهويه وعمر بن عبد العزيز وهو رواية عن احمد[1] ، والظلم مجاوزة الحد ، وهو حرام ، لأن الغنى منع الحق عن صاحبه بالمماطلة .

قال العلماء : ويتحقق الظلم إذا ماطل بعدما طالب به الدائن وكان الدين حالا ، وقد يكون السكوت فى حق بعض الدائنين طلبا كأن يستحى من المطالبة أو يجامل المدين ولايريد أن يحرجه ، الملئ والملىء هو الغنى ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « **فإذا اتبع احدكم على ملء فليتْبع** » بسكون التاء فى الفعلين معناه إذا أحال المدين الدائن على شخص قادر على وفاء الدين فعليه أن يقبل هذه الحوالة وجوبا أو ندبا على اختلاف الرايين ، وذلك لأن قبول هذه الحوالة فيه حصول الدائن على دينه ورفع الظلم عن المدين المماطل .

ويدل الحديث بطريق المفهوم على أن تأخير

(١) المغنى والشرح الكبير ، ٤/٤٩٨ .

الفقير المعسر لما عليه من الدين ليس ظلما ، بل الدائن مأمور بتأجيل دينه إلى الميسرة لقوله تعالى :

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[٢] الآية .

ويؤخذ منه ايضا أن الدائن إذا أحيل على من لايقدر على وفاء دينه لايقبل هذه الحوالة ، لأنها لاتحقق المصلحة التى من أجلها شرعت الحوالة .

معنى الحديث الثانى :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « لىّ الواجد » اى تأخير الغنى الدين الذى عليه كما قلنا فى الحديث الأول ، وقوله «يحل عِرْضه» العرض الشرف ، ومعنى يحل عِرْضه اى يجوز شكواه للقاضى بأن يقول مطلنى حقى واطلب منه الأداء ، وهذا إحلال للعِرض لأن فيه مساسا بشرفه وإيذاء له بلسانه ، وهو فى الأصل حرام لقوله تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾[٣] .

وقوله « عقوبته » اى حبسه بمعنى أن مطل الغنى يحل لولى الأمر حبسه باتفاق العلماء ، على أن المراد بالعقوبة فى الحديث هى الحبس ولم يقل احد أن منها التغريم بالمال .

فقد استدل فقهاء المذاهب الأربعة بالحديث على جواز حبس المدين بطلب الدائن إذا كان قادرا على إيفاء الدين : وهى عقوبة تعزيرية ، والغرض منها حمله على وفاء الدين .

فقد نص الحنفية والمالكية[٤] والحنابلة على أن المدين يحبس فى حالين :

الأولى : ما إذا كان معلوم الغنى أو ظاهر حاله الغنى فيحبس حتى يؤدى الدين .

الثانية : ما إذا كان مجهول الحال لايعرف يسره وعسره فيحبس حتى يؤدى أو يثبت عسره ، وثبوت عسره إما بالبينة أو بأن يطول الحبس ، حتى يظن القاضى أنه لو كان له مال لأظهره[٥] .

وقال الحنابلة يحبس إذا كان له مال من جنس حق الدائن ليحمله ذلك على الأداء ، أما إن كان من غير جنسه فإن القاضى يبيعه عليه بعد الحجز عليه ، ويحبس ايضا إذا كان مجهول الحال حتى يتبين عسره .

وقال الشافعية إذا كان له مال ظاهر قال البعض يحبس حتى يبيع ماله أو يؤدى إن كان من جنس ماعليه وقال البعض لايحبس ويباع عليه ماله[٦] .

وبهذا يتبين أن اتفاق المذاهب الأربعة على أن عقوبة المدين الموسر المماطل هى الحبس لاتغريم المال .

بل نقل ابو بكر الجصاص فى أحكام القرآن الإجماع عليه ، قال : فى الاستنباط من قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ إن مادلت عليه الآية هو أن التأخير ظلم ، دل عليه الحديثان السابقان ، يعنى بهما قوله ـ صلى الله عليه وسلم : «لىُّ الواجد يحل عِرْضه وعقوبته » وحديث «مَطْلُ الغنى ظلم » فجعل مطل الغنى ظلما والظالم لا محالة مستحق للعقوبة ، وهى الحبس لاتفاق الفقهاء على أنه لم يرد بالعقوبة فى الحديث غيره[٧] .



(٢) البقرة . اية (٢٨٠) .
(٣) النساء . اية (١٤٨) .
(٤) تبيين الحقائق ، ٤/١٨١ .
(٥) الشرح الكبير ، ٣/٢٣٥ .
(٦) نهاية المحتاج ، ٤/٣١٠ .
(٧) احكام القران ، ١/٤٧٤ .

من فقه الكتاب والسنة

وقال ابن المنذر فى كتاب الإجماع[8] وأجمعوا على أن المفلسين يحبسون فى الديون وانفرد عمربن عبدالعزيز فقال يقسم ماله ولا يحبس وهو على قول ابن المنذر إجماع على قولين [9] فلم يقل أحد من العلماء بتغريمه مالا .

فالفتوى بأن المدين تجوز عقوبته بتغريم المال كما جاء فى جريدة الأهرام العدد ـ ٣٧٩٥٥ ـ صفحة «٧» ، بناء على ماتقدم اجتهاد جديد فى مقابلة الإجماع .

ولو سلّم انه لا إجماع فهذه الغرامة إما أن تدفع لبيت المال او للدائن ، فإن كان الأول فهو ممنوع لأن الغرض من الحكم بها لايتحقق إذ الغرض من العقوبة الزجر عن الجريمة بما هو فى مصلحة المجتمع ومصلحة المعتدى عليه ، وهنا إذا كان المدين غنيا فتغريمه بالمال لايزجره ولا تعود على الدائن منه المصلحة المرجوة ، وإن كان الثانى كان سبب الغرامة بالمال ، تأخير المدين للدين فيئول إلى دين فى مقابلة التأخير وهو بعينه ربا الجاهلية الذى كانوا يقولون فيه : «إما أن تعطى وإما أن تربى» أى تزيد فى الدين فى مقابلة التأجيل .

فالإفتاء بالحكم على المدين المماطل بالغرامة يدور أمره بين الحكم بعقوبة مخالفة لإجماع الفقهاء ولا تؤدى الغرض المطلوب بها ، وبين أن تكون ربا محضا : وكل منهما ممنوع شرعا .

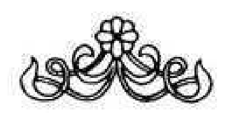
أما عقوبة الحبس فهى تشريع الله المبنى على مصالح العباد ، والمصلحة فيها واضحة وهى الزجر عن الظلم والحمل على أداء الدين متى كان المدين معلوم الغنى أو ظاهره ، وحبس الغنى يوما أشد على نفسه من غرامة المال مهما عظمت ، وإن كان مجهول الحال فالغرض من حبسه تعرف حاله حتى إذا ماكان له مال ، يدفعه الحبس إلى الاعتراف به لأنه لايتحمل معاناة العقوبة .

وياحبذا لو كان الحبس للمماطلة فى الدين بين العقوبات المدونة فى قانون العقوبات المصرى ، وأذكر أن اقتراحا قدم بهذا المعنى إبان تقنين القانون المدنى الذى صدر سنة ١٩٤٩ م .

نعم هو موجود فى قضاء الأسرة (فى الأحوال الشخصية) فإن الفقه الحنفى المعمول به فى جمهورية مصر يقضى بالحبس على الزوج فى نفقة زوجته إذا صارت دينا عليه .[10]

أسأل الله أن يرينا الحق حقا ويوفقنا إلى اتباعه .

هذا ، والمعروف أن المفتى إن كان مجتهدا فلا يجتهد فى مقابلة النص والإجماع ، وإن كان مقلدا فعليه الاتباع .



(٨) كتاب الإجماع ، ص ١٢٦ .
(٩) فلايجوز إحداث قول ثالث برفع القولين .
(١٠) الهداية ، ١٠٥/٣ .



ودورها في تأمين المسلمين

لـواء أ. ح
محمد جمال الدين محفوظ

« لا تحتاج الاستخبارات إلى بيان خطرها وأهميتها ، فإن مستقبل الأمم يتوقف على دقة المعلومات التى تحصل عليها أجهزة استخباراتها ، وعلى مدى توفيقها فى تفسير تلك المعلومات واستخلاص مدلولاتها ، وعلى تقديم كل ذلك لصانعى القرار فى الوقت المناسب » .

دروس التاريخ :

● والتاريخ حافل بالأمثلة التى تدل على خطورة الاستخبارات وأهميتها ، فلم يكن النجاح الساحق لهجوم اليابان على « بيرل هاربر » وتدمير جانب من الأسطول الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية إلا نتيجة للقصور فى المعرفة المبكرة لنوايا اليابان الحقيقية .

● ويحتوى تقرير اللجنة التى شكلتها الحكومة الأمريكية عام ١٩٥٥ لدراسة وتقييم نشاط المخابرات الأمريكية والتى عرفت بلجنة « هوفر » على كثير من الدروس فى هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال :

« لقد كان الهجوم المفاجىء على « بيرل هاربر » هو الذى خلق إدارة المخابرات ، كما أن التحقيق الذى جاء بعد الحرب أثبت أن انعدام وجود مخابرات قوية كان هو سبب الفشل الذى منيت به القوات العسكرية من حيث عدم حصولها على إنذار حاسم وسريع تستطيع به عرقلة الهجوم اليابانى » .

وقال الجنرال ايزنهاور عام ١٩٥٩ : « ليس هناك فى سياسة الولايات المتحدة ما هو « أهم من جمع » المعلومات بواسطة المخابرات » .

● واعترف « جيمس سليزنجر » وزير الدفاع

استخبارات النبي ﷺ ودورها في تأمين المسلمين

الأمريكي بفشل المخابرات الأمريكية في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقال في مؤتمر صحفي : « إن هذا أمر واضح ولا ينبغي لأحد أن يتساءل حوله .. إن الولايات المتحدة كان لديها تقارير للمخابرات تفيد بأن الحرب في الشرق الأوسط أصبحت وشيكة ، لكن عملاء المخابرات الإسرائيلية كانوا قد توصلوا إلى نتيجة وهي أن اشتعال الحرب غير مرجح »[1] .

توجيهات الإسلام :

● ولقد أراد الله جل شأنه للأمة الإسلامية أن تكون أمة قوية مرهوبة الجانب ، قادرة على الدفاع عن نفسها وعن مقدساتها ، فوجهها إلى كل ما من شأنه تأمين سلامتها ضد الأخطار ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ـ ٦٠) .

تعريف الأمة بالأعداء الظاهرين والأعداء الأخفياء :

وأول ما يستخلص من هذا التوجيه القرآني هو تعريف الأمة بأعدائها وهم :

١ ـ عدو الله :

وهو : كل خوان أثيم يجاهر بمعصية الله ويعتدي على الحرمات والمقدسات .

٢ ـ وعدوكم :

وهو : الذي يعتدي على الأمة الإسلامية أو معتقداتها أو مقدساتها .

٣ ـ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم :

وهم ـ كما جاء في تفسير السابقين : المنافقون الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب .

وهم أيضا وبروح العصر ، كل القوى المضادة التي تحارب الأمة في الخفاء بالفتنة والإرهاب وتثبيط العزائم وإشاعة اليأس ، والسلبية والفساد ، وقتل الإرادة والإيجابية ، ومنهم من يكون داخل البلاد الإسلامية وبين صفوف أبنائها ، ومن يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بأساليب الغزو الفكري والدعاية والحرب النفسية .. إلخ .

مغزى التعريف بالأعداء :

● وهكذا يقرر الإسلام أن معرفة العدو « ضرورة حيوية لأمن المسلمين » . فقد ربطت الآية الكريمة برباط وثيق بين « الأمر بإعداد القوة » وبين « التعريف بالأعداء » الذين ينبغي أن يعد لهم المسلمون تلك القوة .

● ولا جدال في أن هذا الربط يوجه المسلمين إلى الاهتمام بعدة أمور تتعلق بمعرفة العدو ، وبإعداد القوة له نذكر منها ما يلي :

١ ـ ضرورة المعلومات :

فمن الضروري الحصول على المعلومات عن العدو حتى يمكن أصلا « بناء القوة » المناسبة والتي يمكنها تحقيق الهدف الذي أمر الله تعالى به وهو إيقاع الرهبة في قلب العدو وإخافته من عاقبة عدوانه .

وهذا هو ما تقرره الاستراتيجية العسكرية حين تضع « المعلومات عن العدو » على رأس الأسس التي تبنى عليها استراتيجية الدولة من حيث تكون قواتها المسلحة وتنظيمها وتسليحها وأساليب قتالها وأساليب إدارة المعركة ، هذا بالإضافة إلى عناصر الاستراتيجية الأخرى :

(١) جريدة الأهرام ـ القاهرة ١٤/٩/١٩٧٥ .

كالقوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعنوية وغيرها .

٢ ـ استمرار الحصول على المعلومات :

ويجب أن يكون الحصول على المعلومات عن العدو « عملا مستمرا لا يتوقف » فى السلم والحرب على حد سواء ، ذلك لأن القوة تتطور مع تطور العلوم والتقنية والخبرات المكتسبة من الحروب ، وهذا التطور له تأثيره المباشر على « توازن القوى » بالإضافة إلى أنه ـ فى هذا العصر ـ يسير بسرعة مذهلة بحيث تقطع الأنفاس ملاحقته .

فإذا قصرت الأمة فى هذا الأمر ، فسوف يسبقها العدو فى التطور والتقدم ، وتصبح متخلفة عنه وعن مقتضيات عصرها ، مما يعرضها للخطر والهلاك ، فضلا عما يلحقها من إثم لتقصيرها فى أداء أمانة التكليف التى وضعها الله تعالى فى عنقها بإعداد القوة الرادعة المتفوقة التى ترهب العدو .

٣ ـ التخطيط على أساس أحدث المعلومات :

ويجب الوقوف على « أحدث » المعلومات عن العدو أولا بأول ، فذلك مطلب حيوى لتحقيق أمرين فى غاية الأهمية هما :

الإنذار المبكر .

وسلامة التخطيط وواقعيته .

فإذا قصرت الأمة فى هذا الأمر فإنها تفقد « المبادأة » وحرية العمل فتتعرض للمفاجأة من عدوها ، وتفقد القدرة على « الحركة السريعة » لمواجهة أى عدوان عليها .

● وهكذا يوجه الإسلام إلى أهمية الحصول على المعلومات عن العدو حتى يتمتع المسلمون « بوضوح الرؤية » ، وبمعرفة مواضع خطواتهم فلا يضربون فى المجهول ، والله تعالى يقول : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك ٢٢) .

● والواقع أن هناك فى مجتمع العرب والمسلمين سلبيات فى مجال معرفة العدو تحتاج إلى علاج ، فالمعروف أن الإنسان إذا كره شيئا تراه لا يريد أن يسمع عنه شيئا أو يقع عليه نظره ، وكأنه يحاول أن يلغيه تماما من حياته ، لكن هذا الاتجاه إذا جاز أحيانا لأسباب نفسية فى علاقات الناس بالأشياء أو بعضهم ببعض فإنه لا يجوز أبداً فى مجال الصراع مع العدو الذى « علينا أن نعد له ونقاتله إذا تحرك للعدوان .

● ويزيد من خطورة هذا الاتجاه السلبى فى التفكير والتقدير أن عدونا « لايتفق معنا فيه » ، بل هو ـ على العكس ـ يلقى بكل ثقله وبكل الوسائل الإيجابية لمعرفة أحوالنا ليست فقط الأحوال العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية ، بل إنه يغوص فى أعماقنا ليتعرف على كل ما يتعلق بحياتنا حتى الأمور الثقافية والأدبية والفنية ، لأن كل ذلك يفيده فى صراعه معنا .. ويمكن لإدراك واقعنا أن نتساءل : كم من أبنائنا يعرف لغة العدو ، ويقرأ عنه ويقرأ له ويسعى إلى معرفة كل ما يتعلق بشئون حياته ؟

الإسلام يحذر من إهمال معرفة العدو :

● إن الإسلام يحذر من إهمال معرفة العدو والحصول على كافة المعلومات عنه ، ويعد ذلك « غفلة » من المسلمين عن الخطر المحدق بهم ، فالعدو المتربص ، ينتظر أن يقعوا فى تلك الغفلة لكى ينقض عليهم بكل قوته لتدميرهم والقضاء عليهم ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ النساء ١٠٢ .

وهو ما يفهم أيضا من ربط الإسلام الشديد بين إعداد القوة ورباط الخيل : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا

استخبارات النبى ﷺ ودورها فى تأمين المسلمين

اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ فأول مطالب المرابطة معرفة العدو ومعرفة ما يدور ناحيته من تدبير وحركة واستعداد للعدوان .

● كما يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ٢٠٠).

ويدعو جل شأنه إلى الحذر والحيطة لمنع العدو من المفاجأة فيقول سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء ٧١) .

ويقول : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ (المائدة ٩٢) .

الاستخبارات فى عصر النبوة :

● وقد عنى الرسول القائد - ﷺ - بأمر الاستخبارات عناية فائقة فاختار لها أكفأ العناصر ووضع لها أحكم المبادىء وكانت له عيون وأرصاد داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها أيضا فى بلاد فارس وبيزنطة .

● وأكبر دليل على كفاءة استخبارات النبى - ﷺ - ما يلى :

١ - لم ترد فى تاريخ السيرة حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجالها .

٢ - كانت نيات الأعداء بالعدوان تبلغ النبى - ﷺ - فى وقت مبكر يمكنه من اتخاذ إجراءات المواجهة حسبما يقتضى الموقف .

٣ - لم يضع - عليه الصلاة والسلام - خطة « لغزوة أو « سرية » دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح .

٤ - لم يستطع الأعداء كشف أسرار المسلمين وخططهم ونواياهم .

نشاط الاستخبارات :

● ومن الأمثلة على نشاط استخبارات النبى - ﷺ - ما قام به العباس عم النبى - ﷺ - الذى كان يقيم فى مكة من إبلاغه بأن قريشا تنوى مهاجمة المدينة قبل غزوة « أحد » ، فقد بعث إليه برسالة يخبره فيها بوقت خروجها لقتاله وحجم قوتها ، وقد أسرع حامل الرسالة بإيصالها إلى الرسول - ﷺ - حتى أنه قطع المسافة بين مكة والمدينة فى ثلاثة أيام .

● وعن طريق العيون والأرصاد كان الرسول - ﷺ - على علم بنوايا قريش لغزو المدينة فى غزوة « الخندق » وذلك عن طريق خزاعة التى كان بينها وبين الرسول - ﷺ - عهد واتفاق .

قال ابن إسحاق : « وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ - بتهامة صفقتهم معه (أى اتفاقهم معه) لا يخفون عنه شيئا كان بها[٢] (وعيبة نصح الرسول أى خاصته وأصحاب سره) .

وكان الإنذار الذى بعثت به خزاعة سريعا ، فإن خزاعة عندما تهيأت قريش لغزو المدينة للخروج ، أتى ركبهم رسول الله - ﷺ - فى أربع ليال حتى أخبروه فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم[٣] وبفضل هذا الإنذار المبكر جداً تمكن المسلمون من حفر « الخندق » حول المدينة - وهو عمل يستغرق حوالى عشرين يوما - قبل أن تصل قريش التى فوجئت بالخندق فقال قائلهم : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها »[٤] .

---

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية - القسم الثانى (جـ ٣ ، ٤) ص ١٠٢ .

(٣) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ٤ ص ٥١٤ .

(٤) ابن هشام : المرجع السابق القسم الثانى ص ٢٢٤ .

● وهذه الواقعة لا تدل على نجاح وكفاءة عيون النبى - ﷺ - وأرصاده فحسب ، بل تدل - فى الوقت نفسه - على عجز قريش عن الحصول على معلومات عن استعداد المسلمين وتجهيزاتهم الدفاعية بحفر « الخندق » كما تدل على نجاح المسلمين فى كتمان أسرارهم وأسرار خططهم وحرمان العدو من الحصول على أية معلومات عنها .

إحراز المسلمين للمبادأة :

● وبفضل كفاءة مخابرات النبى - ﷺ - ودرجة الاستعداد القتالى العالية للجيش وقدرته على الحركة السريعة تمكن المسلمون من الاحتفاظ بالمبادأة فى أغلب معاركهم مع أعدائهم .

● ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن الرسول - ﷺ - تمكن من إجهاض تدابير أعدائه لغزو المدينة والقضاء عليها فى مهدها وذلك فى الغزوات السبع التالية : غزوة « بنى سليم » فى شوال سنة ٢ هـ .

غزوة « ذى أمَرّ » فى المحرم سنة ٣ هـ .
غزوة « بحران » فى ربيع الأول سنة ٣ هـ .

غزوة « ذات الرقاع » فى شعبان سنة ٤ هـ .
غزوة « دُومة الجندل » فى ربيع الأول سنة ٥ هـ . .

غزوة « بنى المصطلق » فى شعبان سنة ٥ هـ .

غزوة « بنى لحيان » فى جمادى الأولى سنة ٦ هـ .

ففى كل هذه العمليات كانت المعلومات تبلغ الرسول -ﷺ - بأن هذه القبائل تستعد لغزو المدينة ، فكان يخرج على الفور بقوات تراوح عددها بين المائتين والثلاثة الاف للقضاء على العدوان فى مهده ، فكان الأعداء يفاجأون بهجوم المسلمين عليهم قبل أن يستعدوا للقائهم الأمر الذى اضطروا معه للفرار أمامهم تاركين ديارهم وأموالهم .

عيون النبى داخل صفوف الأعداء :

● وقد بلغت كفاءة رجال الاستخبارات الإسلامية حد القدرة على الدخول وسط صفوف الأعداء فى ظروف التوتر وفى أثناء المعارك والإقامة بينهم والحصول على المعلومات المطلوبة ثم العودة إلى صفوف المسلمين بسلام دون أن ينكشف أمرهم .

● ونذكر على سبيل المثال حذيفة بن اليمان العبسى - رضى الله عنه - الذى كلفه الرسول - ﷺ - بمهمة الدخول فى صفوف الأعداء يوم « الخندق » لمعرفة أخبارهم .

قال حذيفة : « دعانى رسول الله - ﷺ - فقال : ياحذيفة ، اذهب فادخل فى القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، لا تحدثن شيئا حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت فى القوم (معسكر قريش) والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال :

يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة ، فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جانبى فقلت : من انت ؟ قال : فلان ابن فلان ، وفى شرح المواهب : فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى ، فأخذت بيده فقلت : من انت ؟ قال : معاوية بن ابى سفيان ، ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى ، فقلت : من انت ؟ قال : عمرو ابن العاص .

● هذه الواقعة توضح ما كان يتمتع به حذيفة من سرعة البديهة وعدم الارتباك والتصرف السريع فى الموقف الحرج المفاجىء بحيث لا ينكشف أمره وهو داخل صفوف الأعداء ،

البقية ص ٧٨٨

أضواء على صلاة الاستسقاء

لفضيلة الشيخ
مهدى عبد الحميد مصطفى

للاستسقاء معنى لغوى ، وهو : طلب السقيا .

ومعنى شرعى ، وهو : طلب العباد السقيا من الله تعالى عندما يحصل الجدب وينقطع الغيث ، ولا أعتقد أن الاستسقاء من تشريعات الإسلام وحده ، وإنما كان فى الشرائع الأخرى ، وذلك فى الإطار العام له القائم على الدعاء ، وإن كان فى شريعتنا الغراء يتحقق بواحدة من ثلاث طرق :

الطريقة الأولى : الدعاء المجرد من الارتباط بصلاة أو خطبة جمعة فى أى مكان صالح للدعاء فى مسجد أو خارج المسجد .

وذلك لما رواه ابن ماجه عن ابن عباس .. رضى الله تعالى عنهما ـ قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، لقد جئتك من عند قوم لا يتزود لهم راع ـ أى لا يجد راعيهم الزاد ـ ولا يخطر لهم فحل ـ أى لا يحرك فحلهم ذنبه من الهزال .

فصعد النبى ﷺ المنبر ، فحمد الله ثم قال : « اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رائث ـ أى غير مبطىء » .

ثم نزل ، فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا : قد أحيينا .. أى نزل علينا الماء ـ لأن الماء سر الحياة ، كما دل على ذلك قول الحق جل علاه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ . « الأنبياء ٣٠ » .

الطريقة الثانية : أن يضمن الإمام خطبة الجمعة دعاء الاستسقاء مكتفياً به بلا صلاة ، وذلك لما رواه البخارى ومسلم عن شريك ، عن أنس ، أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا .. الحديث » .

الطريقة الثالثة : وهى المشهورة والأفضل ، وكيفيتها : أن يصلى الإمام بالمسلمين ركعتين كركعتى العيدين تماما ، ويخطب خطبتين مرتكزتين على الدعاء ، والإلحاح فى طلب الماء مستهلاً خطبته الأولى بالاستغفار تسعا ، وخطبته الثانية بالاستغفار سبعا ، ومن الدعاء

الوارد عن رسول الله ﷺ فى طلب السقيا :
« اللهم سقيا رحمة ولاسقيا عذاب ، ولا محق ولا بلاء ولا هدم ، اللهم على الظراب - أى الروابى - والآكام - أى المرتفعات من الأرض - ومنابت الشجر ، وبطون الأودية .

اللهم حوالينا ولا علينا .

اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا مجللا سحا طبقا دائما .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والجوع والضنك ما لا نشكو إلا إليك .

اللهم انبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض ، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك .

اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا ، فارسل السماء علينا مدرارا ..

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل مايريد ، اللهم لا إله إلا انت .. انت انت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغا إلى حين .

وإنه مما تجدر الإشارة إليه ، أن من أسباب الاستجابة والقبول لطالبى السقيا ، أن يُهيأوا للمثول بين يدى رب العزة راجين رحمته طالبين عطاءه ولذلك فإن على الإمام قبل أن يخرج للاستسقاء أن يأمر المسلمين بالتوبة ، والصدقة والخروج من المظالم ، ومصالحة الأعداء ، وصيام ثلاثة أيام او اربعة ، وفى اليوم الرابع يخرج الإمام بهم فى ثياب مهنتهم وفى حالة من الاستكانة والتضرع ، ولقد أثر عن النبى ﷺ انه كان يخرج للاستسقاء متواضعا متبذلاً ، متخشعاً ، مترسلاً - اى متأنياً - متضرعا .
ويسن أن يكون من بين طالبى السقيا الصبيان الصغار ، والشيوخ الكبار والعجائز من النساء وأن يخرج الناس معهم بهائمهم ، لأن الرسول قال فى هديه الشريف : **« وهل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم »** ولله در القائل :

لـولا عبـاد لـلإلـه ركـع
وصبيـة من اليتـامى رضـع
ومهمـلات فى الفـلاة رتـع
صب عليكم العذاب الأوجع

ولعل الحكمة فى خروج طالبى السقيا صائمين ، إن الصائم من بين الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم ولا يلزم من الاستسقاء سرعة الاستجابة ، لأن من بين أسباب الاستجابة كما قلنا أن يتطهر الجميع من ذنوبهم وأثامهم ، ويردوا المظالم إلى اهلها ويتوبوا إلى الله توبة نصوحا ، ويتصدقوا على محاويج المسلمين ويتجهوا إلى الله بكليتهم ، وهم واثقون أن الله سيغيثهم ، فإن تأخرت الاستجابة ، فليعلم بأن الاستسقاء لم يخرج عن كونه دعاء ، والدعاء خير على كل حال ، فإما ان يستجاب عاجلاً ، وإما أن يستجاب آجلا ، وإما أن يدخر ثوابه للداعى فى الآخرة ، غاية مافى الأمر أن الله يحب الملحين فى الدعاء ، ومن لم يسأل الله يغضب عليه ، وماذلك إلا لأن الدعاء هو المقام الذى تتجلى فيه عبودية العبد ، وربوبية الرب ، وكلما كان الإنسان أكثر خضوعاً فى ادائه كان اكثر قرباً من ربه ، واكثر تعرضا للاستجابة وصدق رسول الله - ﷺ حيث قال : **« اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ، فاكثروا الدعاء »** .

ومن هنا كان الدعاء مخ العبادة وعلى الداعى الا ييأس من عدم التعجيل فى القبول ، فكل ماهو آت آت ، ولا بعد لما هو آت ، لا يعجل الله بعجلة احد ، ولا يستخف لأمر الناس ، ماشاء الله كان .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقـا

قال حكيم : حيث تكون الحكمة تكون خشية الله ، وحيث تكون خشية الله تكون رحمته .

هل من خلل ؟

خطب معاوية خطبة أعجبته فقال : أيها الناس هل من خلل ؟

فقام رجل - من عرض الناس وقال : نعم ؛ خلل كخلل المنخل !!

فقال معاوية : وما هو ؟

قال : إعجابك بها ومَدْحُكَ إياها ..

دار التواء

كان سفيان الثورى يقول :

الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح ، من عرفها لم يفْرح برخاء ، ولم يحزن على شقاء .

قالـوا . . .

● لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه فإن ما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده .

● لكل شيء غايةٌ وَحَدٌّ ، والعقل لا غاية له ولاحد ، ولكن الناس فيه يتفاوتون كتفاوت الأزهار فى الرائحة والطيب .

● ليس شيء أسرع إلى تغيير نعمة ، وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم .

● خير (المعروف) ما لم يتقدمه مَطْلٌ ، ولم يتبعه مَنٌّ .

● الدعاء بظهر القلب ، أفضل من الزيارة واللقاء ، لأن الرياء قد يدخلهما .

نصيحـة

قال رجل لبعض الصالحين إنى عاجز عن قيام الليل !!

فقال يا أخى : لا تعص الله بالنهار !!

يرشح للقيادة

قال عارف لبنيه : كلكم يترشح لهذا الأمر ، ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول ، ومال مبذول ، ولسان معسول ، وعدل تطمئن إليه القلوب ، وأمن تستقر به فى مضاجعنا الجنوب .

أرجو له الأجر

دخل رجل من الحمقى على الشعبى وهو جالس مع امرأته . فقال : أيكم الشعبى ؟

فقال الشعبى : هذه وأشار إلى امرأته .

فقال : ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمنى فى أول يوم من رمضان هل يؤجر ؟

قال : إن كان قال لك ياأحمق فإنى أرجو له الأجر .

لطلاب العلم والمعرفة

يقال عند القراءة فى الدرس :

اللهم ارزقنى فهم النبيين ، وحفظ المرسلين ، وإلهام الملائكة المقربين برحمتك ياأرحم الراحمين .

اللهم أكرمنى بنور الفهم وأخرجنى من ظلمات الوهم ، وافتح لى أبواب رحمتك وانشر علىّ من خزائن علمك ياأرحم الراحمين .

حقيقة

رأيت الناس خداعا
إلى جانب خداع
يعيشون مع الذئب
ويبكون مع الراع

ينتسب عرْضا

سئل بعض الجند عن نسبه .

فقال : أنا ابن أخت فلان فسمعه أعرابى ، فقال : الناس ينتسبون طولاً ، وهذا الفتى ينتسب عرْضاً .

بر الوالدين

حبس الرشيد والدا مع ولده ، وكان الوالد لا يتوضأ إلا بماء مسخن ، فمنعه السجان من إدخال النار إلى السجن ، فأخذ الولد الماء وسخنه ليلاً على القنديل ، فلما أصبح وجد الرجل للماء بعض سخونة فقال : من أين هذا ؟

قال : سخنته على نار القنديل ، فبلغ السجان ذلك فرفع القنديل ، فأخذ الولد الماء ، وجعل إناءه على فؤاده طول الليل حتى حصل له بعض سخونة فقال أبوه : من أين هذا ؟

فأخبره فرفع يديه . وقال : اللهم لا تذقه حر جهنم .

ماذا تقول ؟

ماذا تقول إذا نقلت إلى البِلى
فردا وجاءك منكر ونكير ؟

ماذا تقول إذا وقفت بموقف
فردا ذليلا والحساب عسير ؟

دعاء

اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك .

اللهم فهب لنا منها ما يرضيك عنا .

مفتى مصر الأسبق

فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

٣

بقلم فضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

فى تلك الحلقة الاخيرة يقدم فضيلة الكاتب ـ عن دراسة لفتاوى الراحل الكريم ـ نظرة الشيخ الفاحصة للفتوى متتبعا ما توجيه السطور وما بينها ، مبينا حرص الشيخ رحمه الله على زيادة البيان وتاكيد تقرير الاحكام ، يقول فضيلة الكاتب .

الشيخ فى فتواه :

وأما مظهر حذر الشيخ، واحتياطه لفتواه إزاء الجديد من الأمور فيتضح من الفتاوى التالية :

سئل الشيخ ـ رحمه الله ـ أسئلة عديدة عن حكم انتخاب المرأة لعضوية مجلس النواب أو الشيوخ فى الشريعة الإسلامية(١) :

فأجاب :

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله .

عنى الإسلام أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل فى بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم . وفى حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين ، فرفع شأنها وكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة ، ثم ناط بها من شئون الحياة ما تهيئُها لها طبيعة الأنوثة وما تحسنه حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأماً مربية وربة منزل مدبرة ، وكانت دعامة قوية فى بناء الأسرة والمجتمع ـ وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن أحاط عزتها وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة ، وحمى أنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان وباعد بينها وبين مظان الريب وبواعث الافتتان فحرم على الرجل الأجنبى الخلوة بها والنظرة العارمة إليها ، وحرم عليها أن تبدى زينتها إلا ما ظهر منها ، وأن تخالط الرجال فى مجامعهم ، وأن تتشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم ، وأعفاها من وجوب صلاة

(١) فتوى مسجلة تحت رقم س ٦٧ ـ م ١٨٥ فى ٤ من مايو ١٩٥٢ م .

الجمعة والعيدين مع ما عرف عن الشارع من شديد الحرص على اجتماع المسلمين وتواصلهم وأعفاها فى الحج من التجرد للإحرام، ومنعها الإسلام من الأذان العام وإمامة الرجال للصلاة، والإمامة العامة للمسلمين، وولاية القضاء بين الناس، وأثم من يوليها بل حكم ببطلان قضائها على ما ذهب إليه جمهور الأئمة ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش، ولم يبح لها من معونة الجيش إلا ما يتفق وحرمة أنوثتها.

كل ذلك لخيرها وصونها وسد ذرائع الفتنة عنها والافتتان بها حذرا من أن يحيق بالمجتمع ما يفضى إلى انحلاله وانهيار بنائه..

ولقد بلغ من أمر الحيطة للمرأة أن أمر الله تعالى نساء نبيه - ﷺ - بالحجاب وهن أمهات المؤمنين حرمة واحتراما وأن النبى - ﷺ - لم تمس يده (وهو المعصوم) أيدى النساء اللاتى بايعنه، وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية فى عهده ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ولا حضرت مجالس تشاوره - ﷺ - مع أصحابه من المهاجرين والأنصار. ذلك شأن المرأة فى الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية - فهل تريد المرأة الآن أن تخترق آخر الأسوار وتقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم فى الانتخاب والدعاية والجلسات واللجان والحفلات والتردد على الوزارات والسفر إلى المؤتمر والجذب والدفع، وما إلى ذلك مما هو أكبر إثما وأعظم خطرا من ولاية القضاء بين خصمين وقد حرمت عليها. واتفق أئمة المسلمين على تأثيم من يوليها تاركة زوجها وأطفالها وبيتها وديعة فى يد من



الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف

لا يرحم؟ إن ذلك لا يرضاه أحد ولا يقره الإسلام.

ولا خفاء فى أن دخول المرأة فى معمعة الانتخاب والنيابة غير جائز لما بيناه. أهـ.

هذه الفتوى تكشف عن عظيم غيرة الشيخ على دينه، وعن شديد حذره من مزالق الفتن، وبالغ حيطته لفتواه، فقد حشد الشيخ لهذه الفتوى وجوها من الأدلة العامة التى تمنع المرأة من اقتحام ميدان الانتخابات وتقف بينها وبين مداخل الفتنة وذرائع الشر العام.

والحق أنه لا أحد يملك رد هذه الأدلة، وإن كان لقائل أن يقول: إن رأى المرأة ناخبة هو من باب الشهادة، وقولها نائبة هو من باب الشورى وليس من باب الولاية. وإذا كنا نتخوف على المرأة من مداخل الفتن فى الانتخابات فإن هذا الحال يصدق على حال المرأة عاملة عملا عاما.

والرد على هذا القائل أن المرأة قد تحتاج أو نحتاج إليها عاملة: طبيبة أو ممرضة، أو مدرسة، أو ما إلى هذا، لكنا لا نحتاج إليها

من اعلام الأزهر

الشيخ حسنين محمد مخلوف

نائبة ، وفى الرجال كفاية ، ولهم رجحان فى الراى فى الجملة بخصائصهم التى خلقهم الله عليها .

وهناك فتوى أخرى تقارب هذه فى مأخذها فقد ورد سؤال من السيد المحترم مدير عام قسم التشريع لوزارة الشئون البلدية والقروية بكتاب سرى خاص طلبا لبيان حكم الشريعة فى احراق جثث الموتى من المسلمين فى حالة الأوبئة ، وفى حالة الوصية بذلك[٢] .

ومما يلاحظ أن صاحب هذا الاستفتاء تذرع له بحال الأوبئة او الوصية . وربما كان هذا من باب الاستدراج للفتوى للانتقال عن الإلف الإسلامى ولو لمسافة خطوة واحدة ، فقد درج الكثير على محاولة نقل المجتمع عن ثوابته واجتهدوا لتغيير تقاليده ، وما يقف عنده من حدود .

ولقد أجاب الشيخ على هذه الفتوى فى ثبات حاسم قطع السبيل على كل تطلع لإحداث تغيير فى المفاهيم الاجتماعية التى تساندها احكام الإسلام قال الشيخ رحمه الله :

أنه لا خلاف بين المسلمين فى أن للإنسان حرمة وكرامة حيا وميتا كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[٣] ومن كرامته بعد موته دفنه فى اللحد أو القبر بالكيفية المسنونة التى بينها النبى ـ ﷺ ـ فيما ورد عنه من السنن الصحيحة ودرج عليها أصحابه والتابعون وسائر المسلمين إلى الآن ـ فلا يجوز بحال إحراق جثث موتى المسلمين ، ولو أوصى إنسان بذلك فوصيته باطلة لا نفاذ لها ، ولم يعرف الإحراق للجثث إلا فى تقاليد المجوس ، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما يصنعون مما لا يوافق شريعتنا الغراء والله تعالى اعلم .

ولعل الشيخ يريد ما جاء بمخالفة المشركين فيما يصنعون وقوله ﷺ فيما رواه الشيخان : (خالفوا المشركين : أحفوا الشوارب ، وأوفروا اللحى) .

ولقد تذرع السائل فى هذه المسألة بافتراض وجود الوباء ، وافتراض وجود الوصية رغبة منه فى استدراج الفتوى للإباحة على طرائق الفلسفة المادية .

لكن الشيخ ـ رحمه الله ـ سد عليه منافذه ، وافاد بأن «أمر المسلمين على ما سنه النبى ﷺ من سنن صحيحة ، وعلى ما درج عليه أصحابه والتابعون ، وسائر المسلمين إلى الآن . فلو أوصى إنسان بغير هذه السنن كانت وصيته باطلة لا نفاذ لها » أهـ .

وفتوى أخرى نراها جديرة بالعرض اليوم وفيها شديد التأكيد على الاحتياط .

والاستفتاء فى أمرها وارد من ضباط القوات المسلحة[٤] ، طلبا للرأى فى إنشاء مشروع

(٢) فتوى مسجلة برقم ـ س ٧٠ ـ م ٤٤١ ـ ٢٩ يولية سنة ١٩٥٣ م .
(٣) سورة الإسراء آية رقم ٧٠
(٤) س ٧٠ ـ م ١٩٠ ـ ١١ مايو ١٩٥٣ ـ ص ٢٤٦١ مجموعة الفتاوى .

صندوق للتأمين والادخار للضباط يتعاون فيه الأعضاء ويقرضهم ويستثمر أمواله بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية السمحة .

فأجاب الشيخ قائلاً :

«اطلعنا على الاستفتاء المقدم من حضرة السائل بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٢ وما تضمنه من مشروع نظام صندوق الادخار والتأمين لضباط القوات المسلحة فوجدناه نظاما تعاونيا سليما مما يوجب عدم تحريمه حيث اشترط فيه صراحة أن يكون القرض للمتعاونين قرضا حسنا بلا فائدة وأن لا تستثمر أمواله بما ينافى أحكام الشريعة الإسلامية السمحة» .

هكذا أجاب الشيخ ، ولو اقتصر على هذا القدر من البيان لكان كافيا وافيا بالفتوى ، لكنه زيادة منه فى الاحتياط أراد أن يزيد فى البيان وتفصيل الشروط فقال بعد ذلك :

(ولكن يجب أن يزاد فى الشروط : أن يكون توزيع الأرباح الناتجة فعلا من استثمار أمواله - أى أموال الصندوق - المنصوص عليها فى البند الخامس مطابقا لما تقتضيه الأحكام الشرعية المعروفة فى ذلك بحيث يوزع الربح الناتج من الاستثمار لا بنسبة مئوية ، بل بنسبة رءوس الأموال) .

وأيضاً فقد كان الوقوف عند هذا القدر من البيان كافيا فى الإفادة بالحكم فى المسألة لكن الشيخ بعد أن استطرد فى الفتوى إلى بيان استحباب التعاون والاقتصاد فى المعيشة فى شرح مسهب . عاد إلى مسألة الشروط فى هذا الصندوق . فقال :

(لذلك نرى المضى فى إقرار هذا المشروع لخير الضباط ، مع وجوب النص على هذه الشروط فى صلبه ، وتطبيقها عمليا) .

ولست أفسر حرص الشيخ على زيادة البيان ، وتأكيد تقرير الحكم فى مثل هذه المسائل إلا بالرغبة القوية لديه فى الثبات على الأحكام الإسلامية المستقرة ، ومع عظيم الاحتياط والحذر من النقلة عنها .

هذا : ولقد توسعنا بعض الشيء فى النظر إلى الجانب الفقهى العملى من فتاوى الشيخ .

لكن هذا لا يغمط من مقام الرجل ومكانته فى المسائل العقدية - على أن لا ننسى مع هذا الجانب السلوكى والمذهب الصوفى الذى تتلمذ فيه على الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوى ، وحسب الشيخ ما كتبه فى الصوفية ، والرقاق ، والأخلاق ، والمدائح النبوية ، وفيما نرى أن هذا المنحى الصوفى الرقيق كان يمد الشيخ بزاد من البصر والثبات والقوة ، عونا على الرأى الصريح ، وكلمة الحق .

إن فى تراث الشيخ كثيراً من المفاخر والمآثر ينبغى أن يلتفت إليها الدارسون ولولا ظروف هذه الكلمة - وقد كلفنا بها حديثا عن السيرة الطيبة لهذا العالم الجليل على أن تكون فى نطاق ما يسمح به وقت هذا المجلس الموقر - لولا هذا لامتد بنا الحديث إلى جوانب عظيمة من آثار هذه الشخصية الإسلامية الموقرة .

وحسب الشيخ فضلاً ونعمة أن يسر الله حياته : طفولة ، ويفاعة وشبابا ، وكهولة مباركة مثمرة لخدمة الإسلام .

وتقديرا لهذا مُنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٣ هـ .

وكذلك منحته مصر وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٢ م .

من اعلام الأزهر

الشيخ حسنين محمد مخلوف

والشيخ فى فضله وذخائر تراثه العلمى ، وإنابته إلى الله جدير بالتكريم والإجلال .

ولست انسى فى هذا المقام أن أنوه بما اهتم به الشيخ فى تربية ابنائه واحفاده من تنشئتهم على الدين وكرم الأخلاق .

وقد وقعت فى يدى رسالتان له : إحداهما أرسل بها فى السابع من اغسطس سنة ١٩٥٠ إلى ولده الشاب عبد الهادى حسنين مخلوف ـ السفير عبد الهادى مخلوف الآن ـ فى بعثته لدراسة الاقتصاد بالولايات المتحدة الأمريكية جاء فيها :

« حفظك الله من كل سوء ، ووجهك إلى الخير ، ووفقك لما فيه رضاه ، اعلم أنك ستمكث فى هذه الدنيا الجديدة سنين عديدة ، مغتربا عن الأهل والوطن فى سبيل العلم . فاستعن على ذلك بتقوى الله فى سرك وعلانيتك ، فهو الفتاح العليم ، واستعن بالصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتلاوة القرآن فإنه جلاء القلوب ، وشفاء الصدور ، واجتنب فى جهادك قرناء السوء ، وخلطاء الفتنة ، وما حرم الله من طعام وشراب واعلم أنك فى تربيتك ونشأتك يُنْظَرُ إليك هنا ، وهناك نظرة احترام إن انت اعتصمت بدينك وتقاليدك .

ما كل ما هنالك حسن ، وما كل ما هنالك قبيح فخذ ما ترى ، وتعلم احسنه وانفعه ، واجتنب اقبحه وأضره ، وعد إلينا موفور الكرامة عَلِيَّ الهمة ، واقرأ هذه الوصية مرارا ، واتخذها منهاجا ودستورا والله يفتح عليك ويوفقك ويسدد خطاك » .

التوقيع : حسنين محمد مخلوف

والرسالة الثانية رسالة مطولة وجهها إلى أولاده وأحفاده من مكة المكرمة فى ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ ..

ذكرهم فيها بواجباتهم الإسلامية ، علما وعملا ، ونصحهم فيها بالتواصل والتراحم ، والتواد والتحاب ، والعناية بتربية الأولاد على الدين ، والتخلق بمكارم الأخلاق .

ودعاهم فى أعمالهم إلى الأمانة ، والإخلاص ، والجد ، والصدق وشرف النفس .

ثم قال :

«وإنى أسأل الله تعالى لكم جميعا توفيقه وطاعته ، وسعادتكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تذكرونى بالدعاء ، وتقرأوا الفاتحة وتهبوا ثوابها لى» .

ثم مضى الشيخ إلى رحمة ربه فى يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٠ هـ ـ الموافق للخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩٩٠ م .

يجزل الله مثوبته ، ويتقبل جهاده وعمله ، وينفع به المسلمين ، ويجزيه عما خدم به القرآن والإسلام خيرا . آمين .



يقول الدكتور عبد الكريم جرمانوس إنه كان بوده ـ بل كانت امنيته الوحيدة . أن يشترك فى موكب الحج حيث بزغت شمس الإسلام بمكة ، وقد انبثق هذا الشعور بنفسه إثر مشاهدته صوراً فوتوغرافية نشرت بإحدى الصحف الأوروبية الكبرى عن هذه الشعيرة الرائعة فى الإسلام ، يقول الدكتور جرمانوس هذا القول مؤكداً أن هذه الأمنية ترددت فى نفسه قبل أن يعتنق الإسلام بثلاثين عاما ! ونحن نأخذ من ذلك أن الرجل كان يفكر لا شعوريا منذ إقامته بتركيا فى مزايا الإسلام ، وكان يخضع لعوامل كثيرة تجعل من المتعسر حينئذ أن يفهم حقيقته الداخلية إزاء هذا الدين الذى درس تعاليمه دون أن يؤمن به ، فلولا ما أحسه من التعاطف الحاد نحو هذا الدين ، ما كانت امنيته الوحيدة ، أن ينتظم فى ركب الحجاج ؛ لأن المواكب المختلفة حول الكنائس المقدسة فى روما تضم من الأفواج ما تضم مكة المكرمة من ناحية الكم ، ولكن الدكتور جرمانوس شاهد هذه الأماكن التى يؤمها أمثاله من المسيحيين ، ولم يشعر لها بمثل الحنين الذى تحدث عنه ، إنه حينئذ كان مشتغلاً كل الاشتغال بدراسة هذا الدين الذى قرأ تفسير كتابه قراءة فاحصة فى ترجمته التركية ، وكان يخوض بحراً لجياً من الأفكار ، تتقاذفه الأمواج ذات اليمين وذات الشمال ، حتى رست السفينة على المرفأ الأمين فى الهند ، بعد ثلاثة عقود متكاملة ، ومنذ اعتنق الإسلام أخذ يوجه همته الجادة إلى دراسة اللغة العربية ، لغة القرآن ليصل إلى نوره مباشرة من منبعه الأصيل ، وقد قال فى كتابه الرائع (الله اكبر) متحدثا عن رحلته إلى الحج إنه كان يقصد دراسة العربيه دراسة جامعة متأصلة ، ليكون كأحد ابنائها وليستطيع الاتصال بالمسلمين الذين وقعوا تحت

من اعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

نير الاستعمار فى آسيا وافريقيا اتصالاً مباشرا لا يحتاج معه إلى مترجم ، وقد سعد سعادة لا حد لها حين لاقى كثيرا من فقراء المسلمين بالهند ، وهم يعيشون فى اكواخهم المشيدة بالقش ، ويستضيئون بأنوار الإسلام ، فتتحول تلك الاكواخ فى انظارهم إلى جنانٍ وقصور ، حيث يحتقرون مظاهر الجاه والثروة ، ويطأونها تحت اقدامهم ، ويسهب الدكتور فى إيضاح اثر الإسلام فى نفس المسلم فيقول[١]

« القرآن هو المثل الأعلى لتوجيه الإنسان إلى الطريق السوى الذى يحتم على كل مسلم غيور الا يحيد عنه قيد شعره ، والمسلم الذى يفقه دينه فقها صحيحا يرى أن هذا القبس الروحى يتأجج فى قلوب المسلمين جميعا ، ممن لا ينكصون عن التضحية وبذل الواجب ، وهم الذين يفنون ذواتهم فى ذات الغرض الأسمى ، ويأخذون على عواتقهم التغلب على كل أمر ، والتجول فى انحاء العالم لنشر الدعوة ، وإظهار فضائل الإسلام .

والواقع أننا نجد شيئا من مظاهر هذه القوة عند بعض الأمم الأجنبية الأخرى ، ولكنى الفيت فى قلوب إخوانى المسلمين كنوزا تفوق فى قيمتها الذهب والأحجار الكريمة ، وقد عاشرت مسلمين فقراء كانوا لا يحجمون عن أن يقاسموا رفاقهم آخـر كسرةٍ يملكـونها من الخبـز ، وكم استضافونى فى بيوتهم المتواضعة ، واعطونى أعظم شىء فى الوجود ، إنهم منحونى إحساس الحب والتآخى ، ولقنونى عمل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعندما أطلقونى من ضيافتهم فاهوا بقول نبيهم الكريم : (اطلبوا العلم ولو فى الصين)[٢] .

هذا فى الهند ـ المسماة بباكستان فيما بعد ـ أما عقب ذلك فقد اتجه الدكتور عبد الكريم إلى مصر ، ليدرس اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وصادف بمصر ترحابا رائعا تعددت مظاهره فى احتفالات جمعية الشبان المسلمين به ، وقيام الأستاذ الكبير عبد الوهاب النجار باستقباله خطيبا فى حفل حاشد يعدد مآثر الزائر الكريم ، ويذكر أمجاده العلمية مؤلفا ، وسبقه الروحى مسلما يعتنق دينه عن فحص دارس ، ونظر بصير ، كما أن رجال الأدب من أمثال : أحمد أمين ومحمود تيمور ومحمد حسين هيكل قد آنسوه بكل ما يأمل ، أما اللغة العربية فقد آثر دراستها مع شيخ أزهرى كان يجاوره فى حلقات العلم بالجامع الأزهر ، حيث اصطفاه ليكون أستاذه الخاص بمنزله ، وقد بذل الرجل فى سنه المتقدمة نسبيا نشاطا ملحوظا فى فقه الدراسات النحوية والصرفية والبلاغية لأن ما تعلمه بنفسه لم يخرج عن معرفة معانى الألفاظ وحدها ! مستعينا بالقواميس ، والقواميس تمهد السير ولا تبلغ بقارئها آخر الطريق ، فكان من الضرورى أن يفقه جرمانوس أسرار لغة القرآن ، ليدرك بواعث الفصاحة ، ودلائل الإعجاز ! ومن المؤسف أن بعض الذين يسوؤهم أن تطرد الأمور على وجهها الصحيح قد تحرشوا بالضيف الكبير فأوعزوا لفضيلـة الأستاذ الأكبـر الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر حينئذ أن الرجل جاسوس يخفى الإلحاد ويظهر الإسلام ، وأن تردده على حلقات الدرس بالجامع العامر موضع ملاحظة ، واستجاب الشيخ لملاحظتهم ، فاضطر عبد الكريم إلى الاستعانة بالعلماء الأزهريين فى غير محيط المسجد ، وقد أنس منهم حبا

(١) مجلة الرسالة العدد ١٣٥ سنة ١٩٣٦

وإخلاصا ، فأنكروا ما قوبل به ، وأعلنوا أن رسالته أن يفقه أسرار العربية على أيدى علماء الأزهر ، ولايهم فى شىء أن يبتعد عن حلقات الدرس ، وقد كان من أساتذته الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، والشيخ علي سرور الزنكلونى ، والشيخ محمد أحمد عرفه ، وهم من أفاضل العلماء ، كما أن الحلقات العامة فى المساجد الكبرى بالقاهرة التي يتصدرها الشيخ محمد بخيت المطيعى فى مسجد الحسين والشيخ محمد إبراهيم السمالوطى فى مسجد السيدة زينب ، وغيرهما من أعضاء هيئة كبار العلماء ، قد رحبت بجرمانوس فكان على معرفة بمواعيدها ، وأذكر أن المفتى الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعى كان يشرح حكم ابن عطاء الله السكندرى فى دروسه الحسينية فكان يسترسل استرسالا محببا فى تشريح الخواطر الوجدانية والإلهامات الروحية ، فيجد جرمانوس صدى قويا لهذه الإشراقات فى نفسه ! ويعتدها من أنفس ما يحرص على استيعابه ، وقد أدرك الأزهر سريعا حقيقة جرمانوس فساعد على تكريمه ، ورحب بضيافته ، ثم اختاره عضوا بمجمع البحوث الإسلامية من يوم إنشائه حتى رحل الرجل إلى ربه ! كما كان جرمانوس عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية فى مصر ، وبالمجامع العلمية الأخرى فى الشرق العربى كمجمع دمشق ، ومجمع بغداد ، وله فى مجلات هذه المجامع المختلفة بحوث علمية فى فقه اللغة ، وفى انتشار الإسلام فى أصقاع مجهولة من العالم مما يضيف الجديد حقا .

وقد لاحظ الدكتور جرمانوس أثناء إقامته بمصر ، أن المصريين ينزعون إلى المنحى الأوربى نزوعا متسرعا ، فى الملبس والمسكن والتقاليد وكثير من العادات ، فقال بصدد ذلك[٢] : لقد تألمت إذ ألفيت أهل القاهرة لا يلبسون الثياب الشرقية ويستبدلون الطربوش بالعمامة ، كما راعنى أن تخلو البيوت التى زرتها بالقاهرة من الأثاث الشرقى ، وأن أجد نفراً من الشباب المصرى يتقن اللغة الأوروبية أكثر مما يعرف العربية ، وفى رأيى أن الحصول على اللباس العربى والتطبع بالعادات الشرقية أمور يسهل اتباعها فى القرن العشرين ، من غير أن يفقد المصريون خصائصهم ومميزاتهم ، أضف إلى ذلك أن إحياء الصناعات القومية ، وإنعاش الأسواق التجارية ، متوقف على إقبال المصريين على عاداتهم الأصلية ، أما التقليد الأعمى ، والاتجاه شطر أوربا ، وترك الثقافة العربية ، والتراث القومى جانبا ، فصفات يجب التخلى عنها » .

وما ذكره جرمانوس موجزا ، قد فصله كثير من الفضلاء فى بحوث ضافية ، ولكن التيار الغربى كان من العنف بحيث أحكم سيطرته دون فكاك !

وفى زيارته المتنوعة إلى دور الكتب بمصر ، شاقه أن يرى آلاف المخطوطات باللغة العربية تتراص وتتزاحم فى الخزانات العامة والخاصة ، فعرض على الأستاذ محمود تيمور أن يساعده على استعارة بعض المخطوطات من مكتبة والده العلامة أحمد تيمور باشا ، وكان قد أهداها إلى دار الكتب بالقاهرة قبل رحيله إلى رحمة الله ، وفيها من النفائس الثمينة ما لا يكاد يوجد نظيره فى مكتبة أخرى ، فرحب القائمون على إدارة دار الكتب بتلبية رجاء جرمانوس ، ودأب لمدة عامين كاملين على استعارة المخطوطات النادرة فى علوم العربية والتشريع الإسلامى ليقف على أسرارها فى لغة العصور النائية ، وقد تحدث بشفافية وإخلاص يزينهما التواضع عما كابد من رهق فى

(٢) المصدر السابق .

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

استجلاء غوامض المعانى ودقائق التراكيب ، فذكر أنه قد تعب أشد التعب فى محاولة الغوص على أسرار المعانى فى هذه المخطوطات ، لأنه لا يكتفى دائما بالقراءة الأولى بل يميل بفطرته إلى تحليل أفكار المؤلف ، وقراءة السطور التى لا ترى ! والتعبير بقوله (السطور التى لا ترى) تعبير تفرد به ، لأن غيره يقول فى هذا المجال ، وقراءة ما بين السطور ، أما السطور التى لا ترى فابتكار شعرى أوحى به قلم فنان ، يقول الدكتور جرمانوس مستطرداً :

« وقد لاح لى أنى أشبه بغواص يجاهد فى بحر من الظلمات ليستخرج منه اللآلىء والأصداف إذ ما أمر العكوف على قراءة الكتب الخطية فى بلاد الشرق ، فأنت تغلق باب الغرفة دونك وتحاول أن تظل بمعزل عن العالم لتتمثل فى خاطرك العصر الذى عاش فيه المؤلف ، والظرف المحيط به ، وإنها لمعجزة أن يظل الكتاب مهملاً عدة سنوات برمتها ، فما تكاد تفتحه حتى تهب عليك النسمة القديمة بسحرها ، وعطرها فتسمع كلام المؤلف أو صوت الشاعر كأن لم يغيرهما تقلب الحوادث ، وانصرام الأجيال .

هذا فى العربية وحدها ، فإذا كان جرمانوس قد أسهم فى الاطلاع على بعض كتب التراث فى الفارسية والأردية والتركية فإنه يكاد يكون أحد أفراد قلائل عشقوا لغات الإسلام فى أقطارها المختلفة ، لينهلوا من نعيمها عن حب صادق لهذا الدين الرائع ، الذى حث ذويه على العلم والتأليف ، والذى جعل منزلة العالم فى درسه كمنزلة المجاهد فى معركته ، وبهذا الشغف العريق بالبحث العلمى ترك الأستاذ عبد الكريم جرمانوس عدة مؤلفات علمية وأدبية تعددت جداولها الصافية فى اللغات التركية والعربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والمجرية ، ما بين تاريخ سياسى أو بحث علمى ، أو فقه لغوى مقارن ، أو تحليل أدبى ، أو قصة عاطفية ، وقائمة مؤلفاته التى ذكرها الأستاذ نجيب العقيقى بالجزء الثالث من كتابه عن المستشرقين ، تدل على ما منح هذا العملاق من موهبته ، وما أسدى من عطاء ، وقد بلغ من حبه للأدب العربى أن خصه بتاريخ حافل فى عدة أجزاء كتبت باللغة المجرية ، وكانت أحد المراجع الدقيقة لطلاب جامعة بودابست ، كما دفعه سطوع كتابه فى أفق الاستشراق هذا السطوع الخالب ، أن يتبعه بكتاب عن النصوص الشعرية المختارة من دواوين الشعر العربى ، لتكون هذه المنتخبات دليل الأحكام الأدبية الدقيقة التى سجلها فى كتاب التاريخ العام للأدب ، وكما شاء أن يطلع أبناء الغرب على التيارات الحديثة فى بلاد الإسلام فأصدر عدة مؤلفات عن الثورة التركية وعن اكتشاف الجزيرة العربية ، وعن نهضة الثقافة العربية فى دول العرب ، وعن أدب الرحلة عند العرب ، وعن التركيبات اللغوية فى المتن العربى ، وقد تنوعت لغة هذه المؤلفات ما بين فرنسية وانجليزية وألمانية ومجرية .

ولابد ان يقوم باحث موضوعى بتاليف كتاب جاد عن تراث جرمانوس العلمى ، ووجود هذا الباحث المنتظر موضع شك ، إذ من الذي يستطيع ان يحيط بلغات جرمانوس التى كتب بها عن قوة واقتدار ، إلا ان تؤلف لجنة علمية ، ينفرد كل واحد من اعضائها بدراسة ما يتقن من مؤلفات الرجل ، ثم تجمع هذه الدراسات فى فصل خاص ، ويعزى كل فصل إلى كاتبه ، وهذا بعض ما يكافا به هذا الباحث الضليع !

وقد يظن الذى يلحظ هذا الحشد الجم من

مؤلفات جرمانوس فى شتى اللغات أن المؤلف قد كان راهبا فى صومعة العلم ، بحيث لا يفسح لنفسه مجال الرياضة والارتحال فى شتى البقاع ، والحقيقة أن الكاتب الكبير كان يجعل مشاهده المتنوعة فى مجال الطبيعة المختلفة من أرض وسماء ، وحدائق وصحراء ، وقرى ومدن ، وبدو وحضر ، مصادر لثقافته الشخصية ، فهو يلحظ جميع ما يراه ثم يخلو إلى قلمه ليرصد انطباعاته فى أدب إبداعى لا يقل عن درجة تفوقه فى منحاه العلمى الخالص ، بل إن الذى يقرأ رحلة جرمانوس الرائعة إلى مكة حاجا بيت ربه يعتقد أن الرجل شاعر أولا قبل أن يكون باحثا منهجيا لرقة ما أبدع من الأحاسيس ، ودقة ما التفت إليه من غوامض الخلجات ، وقد كانت أيامه فى القاهرة مجالاً لتنزهات شاعرية تمتع وجدان الأديب على حين ترضى ميول الباحث الاجتماعى المقارن بين الماضى والحاضر والملتفت إلى المستقبل مستشفا ملامحه البعيدة من وراء الحجب المتكاثفة ، ولعل صديقه الأستاذ محمود تيمور كان مهتديا إلى بعض الأسرار الرقيقة فى نفس جرمانوس حين قال فى مجال الحديث عنه[3] :

وفى أثناء وجوده فى القاهرة ، كانت أوقاته المفضلة هى التى يؤم فيها بيوت الله ، يعد ذلك أزكى رياضة نفسية له ، يجول فى حى الحسين ليلاً ، يستروح منه الصفاء والهدوء ، ويتنسم فيه روح الإيمان ، ويظل فى تطوافه ملتحفا بعباءته العربية الفضفاضة ، حتى إذا تعالى صوت المؤذن للفجر ، داعيا للصلاة فى السحر ، وقف متخشعا يترشف بأذن عاشق ولهان ذلك الأذان الحلو النغم ، فيسرى فى جسده سريان رحيق علوى من روضات الجنان ، وإنى لمعترف بأن قصتى التى سميتها (المستعين بالله) ووصفت فيها أحد من شغفوا بالشرق وأهله ، كان استيحاؤها فى الجملة من صديقنا هذا ، عاشق الشرق والعروبة والإسلام ، وقد حدثنى فيما حدثنى به ، أنه كان حين يشتد به حنينه ـ وهو فى موطنه (بودابست) على ضفاف الدانوب ـ إلى معالم إسلامية ، ويفتقد من المناظر حوله ما يشفى به وجده ، لا يملك إلا أن يهرع لزيارة ضريح المسلم التركى (جول بابا) أو الأحرى (أبو الورد) .

هذا بعض ما قال تيمور عن تجوال جرمانوس فى الأحياء الدينية بالقاهرة ، أما هو فقد كتب فصلاً بديعا عن زياراته تلك فى كتابه « الله أكبر » حيث تحدث عن جولته فى حمى الأهرام الفرعونية مبينا صنيع الدهر بها على مر العصور ، وقد وصف النيل أجمل وصف ، وعرض مظاهر رائعة للغروب والشروق فى الحدائق والمروج ، وعلى الشرفات العالية فى القصور ، ومن أحسن ما جاد به قلمه وصفه الرائع لمغارة ولى الله المغاورى بالمقطم ، وتسجيله لما شاهده من تزاحم الزائرين والزائرات فى هذا المكان ، مع إلمامة بتاريخ الدراويش من أتباع (البكتاشية) وأماكن إقامتهم بالمغارة ، وماذا يأكلون ويشربون ويلبسون وكيف ينامون ، ويتخلل ذلك كله نقد صارم لعادات الشرق التى ابتعدت عن روح الإسلام وآمنت بالأساطير ، واشتغلت ببعض العبث الذى يضاف للدين ظلما وهو منه براء .

ولن نغفل بعد أن ألمنا بذكريات القاهرة لدى جرمانوس أن نشير إلى رحلته الرائعة لمكة المكرمة حاجا بيت الله ، إذ كانت هذه الرحلة مصدر إلهام روحى للكاتب الكبير ، وقد استطاع بقلبه المؤمن ، وقلمه الشاعر ، وعقله المتأمل أن يبدع أرق صفحات الأدب الدينى حين وصف ركوب الباخرة من مصر إلى جدة ، وشاهد الأجناس المختلفة من كل صوب تهرع إلى بيت الله ، وسمع التلبية والتهليل ، وتجرد من المخيط محرما مع

(٣) مجلة قافلة الزيت/ ذو القعدة ١٣٨٩ هـ .

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

المتجردين ، بل إن صورته الشمسية متجرداً محرماً قد لازمته فى سيره طيلة حياته ، إذ احتفظ بأنموذج صغير منها ، يعرضه على أصدقائه ومعارفه إذا فوجىء بزائر جديد ، وهنا تتاح الفرصة للحديث عن الرحلة المباركة التى سجل انطباعاتها الطاهرة فى كتابه « الله أكبر » ثم فى صفحات رائعة من مجلة قافلة الزيت ، ومع هذا التسجيل الذائع المنتشر ، والمترجم إلى عدة لغات ، فإن جرمانوس يستشعر راحة نفسية فى الحديث عن (أم القرى) مهوى الأفئدة ، ومتنزه الأرواح ! ومحاولة الاستشهاد ببعض ما قال جرمانوس فى كتابه عن حجة المبرور لا تغنى عن الرجوع إلى الكتاب نفسه ، وما هى إلا كزهرة أخذت من روض ناضر لترمز إلى أخواتها الباقيات على الغصون المزدهرة بين الظل والطير والماء .

يقول عبد الكريم جرمانوس :

« وما إن غشيت غرفتى بمكة المكرمة ، واستلقيت على البساط حتى أغمضت عينى ، واستولى على النعاس فتخيلت الرسول الكريم وقد بدا أمامى فى شكل نورانى ، وكأنه ينشر كلمة الله فيضىء بها العالم ، داعيا إلى الحق ، ورأيت الخلفاء الأربعة يتوسطون حلقات من الناس ، ويسودون العالم بالحكمة والمحبة ، لا بالعنف والشدة ، ثم تخيلت هارون الرشيد ، وهو يجول أثناء الليل فى شوارع بغداد ، ويجوس خلال أزقتها ، فيكافىء الأتقياء ، وينزل العقوبة بالمجرمين ، وانبسطت أمامى بلاد الأندلس الزاهرة ، وقد سادها حكم العرب فنشروا بين ربوعها العلم والحكمة والفقه والفلك ، حتى أصبحت هذه العلوم كشجرة مباركة ، فرعها فى السماء ، ولا يظن أحد أن ما شاهدته كان من قبيل الرؤيا أو أضغاث الأحلام ، بل هى أشباح خالدة تطوف بذهن كل مسلم صادق الإيمان !

ثم يقول : لقد صادف أن رافقنى فى السيارة إلى مكة المكرمة ، خمسة عشر زنجيا من أهالى الصومال ، فكنا فى خلال الطريق لا ننقطع عن الهتاف (لبيك اللهم لبيك) وكلنا سواسية لا فرق بين صغير وكبير ، ورئيس ومرءوس ، وقد شعرت بتلك الحقيقة ، وأنا بصحبة هؤلاء الفقراء ، وقارنت بين ذلك وبين الشائع الشاسع من فوارق بعيدة فى أوربا التى تحتقر العناصر الضعيفة وتدعو إلى التفرقة بين الألوان » .

فإذا أراد القارىء أن يسمع أرق همسات الحنان ، ويرى أدق مشاعر الوجدان ، فليسمع ما ذكره جرمانوس عن الجمل الذى كان يركبه - لم تكن السيارات قد ازدهرت بعد لتصبح أداة الارتجال بمكة المكرمة كالآن - وما أحس به من تجاوب إنسانى رائع إزاء هذا الحيوان الأعجم المسكين :

يقول جرمانوس :

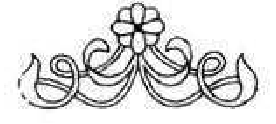
وصلنا إلى المزدلفة ، وهى أطيب جنابا ، لما بها من عشب وخضرة ، فجنيت من الغصون ، وأطعمت الجمل ، ولاطفت عنقه ، وسنامه الجريح ، وهو غير متعود أن يرى مثل هذا السلوك من راكبيه ، فمد عنقه ، ونظر إلىّ نظرة العرفان بالجميل ، وفى الصباح باكره الجمّال ، فأخذ مقوده فى خشونة ، ثم جذبه ، وحمل على ظهره (الشقدف) الثقيل ، ونظر إلىّ الجمل مستعديا ، لما ألفه من رحمتى ورأفتى به ، ولكن ما كان فى وسعى أن أسفر بينه وبين الجمّال ، فى إقالته من هذا العمل ، ولاحظت فى عين الجمل كلوما لى ، كأنه يقول : حتى أنت ، خابت آمالى فيك حقا !

هذا حديث شاعرى أنقله فى ختام مقالى ، ليحمل إلى القارىء أريجا إنسانيا ، هب نسيمه من حديقة عبد الكريم ليرتفع بالإنسان قليلاً من وهدة الأرض إلى مشارف السماء .

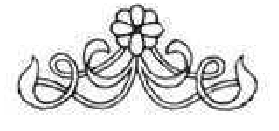
الشعر والشعراء

إشراف: أ. رشاد يوسف

نداء الفداء



من وحي الإسراء والمعراج



واقدساه

نداء الفداء

شعر: على محمود طه

اخى جاوز الظالمون المدى
انتركهم يغصبون العروبة
وليسوا بغير صليل السيوف
فجرد حسامك من غمده

فحق الجهاد، وحق الفدا
مجد الأبوة والسؤددا ؟
يجيبون صوتا لنا او صدى
فليس له بعدُ ان يغمدا

*

اخى ايها العربى الابى
اخى اقبل الشرق فى امة
اخى إن فى القدس اختا لنا
صبرنا على غدرهم قادرين
طلعنا عليهم طلوع المنون
اخى قم إلى قبلة المشرقين
اخى، قم إليها نشق الغمار
اخى، ظمئت للقتال السيوف

ارى اليوم موعدنا لا الغدا
ترد الضلال وتحيى الهدى
اعد لها الذابحون المدى
وكنا لهم قدرا مرصدا
فطاروا هباء وصاروا سدى
لنحمى العقيدة والمسجدا
دما قانيا ولظى مرعدا
فاورد شباها الدم المصعدا

*

اخى إن جرى فى ثراها دمى
ونادى الحمام وجن الحسام
ففتش على مهجة حرة
وخذ راية الحق من قبضة
وقبل شهيدا على ارضها

واطبقت فوق حصاها اليدا
وشب الضرام بها موقدا
ابت ان يمر عليها العدا
جلاها الوغى، ونماها الندى
دعا باسمها الله واستشهدا

*

فلسطين يفدى حماك الشباب
فلسطين تحميك منا الصدور

وجل الفدائى والمفتدى
فإما الحياة وإما الردى

الشاعر :

هو علي محمود طه ولد بالمنصورة سنة ١٩٠٢ في أسرة على شيء من اليسار وتخرج في مدرسة الفنون والصنايع سنة ١٩٢٤ ولذلك كان حريصا على أن يلحق باسمه لقب «المهندس» عمل موظفا بالمنصورة وعايش مجموعة من شعرائها منهم إبراهيم ناجي وعبد المعطي الهمشري وصالح جودت ونشر العديد من شعره بمجلة «الرسالة» لصاحبها أحمد حسن الزيات ، انتقل إلى القاهرة وأصدر ديوانه « الملاح التائه » عام ١٩٣٤ وسافر إلى أوروبا عام ١٩٣٨ وأصدر ديوان « ليالي الملاح التائه » وفي عام ١٩٤٢ أصدر ديوان « أرواح وأشباح » ورسخت شهرته في عالم الشعر ، وأصدر مسرحية شعرية بعنوان « أغنية الرياح الأربع » تأثر فيها بشعراء الانجليز .

وصدر له بعد ذلك ديوان « الشوق العائد » سنة ١٩٤٥ وديوان « شرق وغرب » ورحل عن عالمنا سنة ١٩٤٩ عن عمر يناهز السابعة والأربعين بعد أن شغل الناس برقيق شعره وملأ الدنيا بأغاريده التي أتعبت مقلديه من بعده بما حملت من موسيقى فاتنة وعوالم موشاة بالسحر والخيال ومناجاة الجمال .

●●●●●

القصيدة :

نداء الفداء .. صيحة أطلقها الشاعر من أجل إنقاذ فلسطين ونجدة القدس في وقت تآمرت فيه القوى الظالمة على تقسيم فلسطين وتشريد شعبه العربي وانتهاك حرماته ، فكانت صرخة في سمع الزمان تندد بالظلم والظالمين وتستحث الهمم وتستثير العزائم لوثبة عربية تخلص فلسطين من الغاصبين .

وما أشبه الليلة بالبارحة وما أحوجنا إلى نداء الفداء يصافح أسماع النائمين ويلهب مشاعر الغافلين حتى تتوحد القوى وتتكاتف الجهود وتتكاتف الإمكانات لصد المعتدين وإجلاء الغاصبين وتحرير القدس الشريف والأرض العربية . والله ولي التوفيق .

رشاد محمد يوسف

●●●●●

مجلة الأزهر :

تسجيلا لأمانة النقد وحريته وإعطاء كل ذي حق حقه أقول : قبل أن يقول الأستاذ علي محمود طه هذه القصيدة بوقت غير طويل نشر الشاعر السكندري الأستاذ عبد العليم القباني قصيدة بنفس الوزن وأكثر المعاني سبقت قصيدة الأستاذ علي محمود طه .

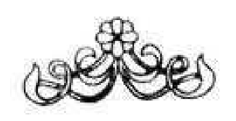
وإذا كان هناك مجال يتسع لبعض النقاد ، وذلك ما نرجو ، فليطلع من يريد على أعداد مجلة الثقافة التي سبقت نشر هذه القصيدة .

(الخطيب)

من وحى الإسراء والمعراج

للأستاذ: محمود شاور ربيع

عَرَجْتَ سريعا كلمح البصر ... واقرب منه إذا ما خطر
وجاوزتَ شمسا لدى سيرها ... وجُزْتَ بسيرك دار القمر
وقفت هنالك بالمنتهى ... لتسال «جبريل»: ماذا الخبر؟
وكيف تاخر عن سيره ... لماذا توقف؟ ما ينتظر؟
فقال: تقدم فانت المراد ... وانك انت الذى يُنتظر
فسرت هنالك فى لجة ... وناجيت ربك عند السمر
ونلت التحايا ونلت الهدايا ... وتوجت بالنور هام البشر
حملت «الصلاة» وجئت العباد ... بامر عظيم وشىء قدر
وإن الصلاة سبيل النجاة ... ومشكاة نور جليل الاثر
وحدثت قومك عما رايت ... فضلت هنالك بعض الفكر
وردت عن النور بعض القلوب ... وطار الحديث وزاد الخطر
وجاء الصديق يعيد الصواب ... ويدفع كل كذوب اشر
وقال صدقت فانت الأمين ... وانت الكريم الحميد الأبر
اتيت بامر السماء فماذا ... لو انك جئت لهذا المقر
عرجت هناك لرب السماء ... وجبريل كان رفيق السفر
واسرى بك الله رب الورى ... وما زاغ عند اللقاء البصر
عليك الصلاة وازكى السلام ... وانت الرجاء لدرء الخطر
وانت الشفيع بيوم الزحام ... وانت الغياث وانت المطر



واقدساه

للشاعر/ محسن عبد المعطي عبد ربه

القدس ياابطال ياعرب بالجرح والاحزان تلتهب
ودموعها ثكلى محطمة والموج فيها هائج صخب
ترنو إليكم كلها امل ان تنهضوا فالنصر مقترب
لا لن يسود الظلم فى وطنى ودماؤنا فى الهول تنسكب
القدس نار ما لها مثل وعداتها فى جوفها الحطب
ياقدس والأحجار ثائرة قد قادها وسط الدجى الغضب
تبغى انتقاما من ابالسة قد كبلوها ، إنها تثب
تقضى على من بات يمنعها حلو اللقاء فحاله عجب

•••

ياقدس كاد الشوق يقتلنى والقلب ياقدساه مكتئب
ماذا اقول وكل جارحة تهفو إليك يحفها التعب ؟
قدساه طال الوقت واختلطت فيك الأمور وهزك الطرب
فمتى يعود النور؟ فى غدنا ؟! ومتى فلول الوهم تنسحب ؟
ياقدس فى عينيك تجربتى وانا بكل الحب مرتقب
اغوار جرحى بعدما التامت وانا بهذا الجرح انتسب
إنى احبك قلتها علنا والحب زادى والمنى قرب

•••

انا لن اهون مدى الحياة لهم ورفاق معركتى هم النجب
وجحافل الشيطان قد بعدت وقوافل الإيمان تقترب
وقضية الاحرار ملحمة لا تنتهى والحق يُغتصب
هى قصة وقف الأسود بها يحمون ارضا تربها الذهب
والمسجد الاقصى قضيته ليست باهل الغى تُحتجب
ومخطط الأعداء مكتشف ترنو له بذكائها الشهب
يبغون باسم الدين فتنتنا ودفاعنا عن ديننا يجب
سنعود ياقدساه فى فرح وشعارنا الإخلاص والداب



ماوراء النظريات فى البحث عن : نشأة اللغة

للدكتور
توفيق محمد شاهين

البحث فى أصل نشاة اللغة بحث غيبى ميتافيزيقى ، ومن ثم كانت الآراء حول هذا الموضوع ظنية قوامها الحدس والتخمين ، لانها لا تعتمد على الأسلوب العلمى التجريبى والمنهجى .

والبحث فى اللغة واصولها التاريخية يعود إلى البحث فيما قبل التاريخ ، وبالتالى فإن مؤدى النتائج ظنى ومتضارب .

ولذلك مال كثير من العلماء إلى هجر هذا البحث وتجاهله ، وقد منعت الجمعية الفرنسية إلقاء محاضرات فى هذا الموضوع بقانون سنته لذلك ؛ لأنه لا يدخل فى نطاق علم اللغة ولا طائل فى البحث من ورائه .

ويؤيد ذلك العالم اللغوى (لايبنتز) ؛ لأن (اللغات بمثابة كتاب علينا ان نحسن القراءة فيه ولكى نحسن هذه القراءة ينبغى ان نقرا اولا لنفهم ثانية ، لا ان نفهم اولا لنقرا ثانية .. ان نقرا ونحن نفهم يحجب عنا الواقع الإيجابى ؛ إذ لا نقرا إلا ما نريد ان نفهمه ، وهذا تحوير للحقيقة اللغوية .

علينا ان نقرا فى كتاب اللغات واذهاننا خالية من كل فكرة سابقة ، علينا ان نكون كصحيفة بيضاء يدون فيها ما يجب تدوينه) .

وقال ابن السبكى فى (رفع الحاجب) : والصحيح عندى أنه لا فائدة لهذه المسألة ، وهو ما صححه ابن الانبارى وغيره .

وبالجملة : فما قيل عن أصل اللغة إن لم يقم دليل على بطلانه ، فإنه لم يقم دليل على صحته .

تلك وجهة نظر فى المنع ، أيدها كثير من المشتغلين بعلوم اللغة[1] .

ولاأميل إلى وجهة النظر هذه ، كما ذكرت فى كتابى المطبوع سنة ١٩٨٠ م ، ويؤيدنى بعض المعاصرين ، مثل أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهرى[2] ـ عفا الله عنه .

وأقول فى إيجاز لبيان وجهة النظر فى أهمية بحث هذا الموضوع :

(أ) أن النفس مجبولة على الاستفهام عن علل الأشياء ونشوئها .

(ب) والبحث فى اللغة وأوليتها وتدرجها ييسر اللغة ، وينميها بالاجتهاد فيها ، إذا كانت من وضع البشر .

(جـ) وقد بحثها أئمة اللغة من قبل ؛ لأهمية الموضوع فوجب بحث الموضوع فى عصر العلم .

(د) حول الموضوع (اللغة) حقائق فى خلق آدم ، وذكر الملائكة ، وعصيان إبليس ، وخلق السموات والأرض .. ومحصلات البرهان الضرورى من السمع والتجربة والمقايسة قد تكشف عن الموضوع بالظنية الراجحة إن لم تكن بالقطعية اليقينية والظنيات الراجحة تصبح فى قوة القطعيات أحيانا ، والمشاحة إذن فى الراجح والأرجح .

(هـ) ونحن نبحث عن جميع أصول العلوم ، فلم لا نبحث عن أصول اللغة ؟

فالبحث فى أصول اللغة بعامة ليس من الفضول ، وإنما هو من الأصول ؛ فلا يجب إغفاله ، ولا الغض منه ، ولا ابتسار الموضوع برمته .

وبحثنا فيه جديد ، لمحاولة طرح أبعاد وآراء لم يلم بها كثير من الباحثين ، والأهم من ذلك : محاولة استكناه معرفة السر فى النظريات ، كما لونها أصحابها ، بما اعتنقوه من معتقدات أثرت فى تفكيرهم ، ومحاولتهم رؤية كل شىء من خلال مناظيرهم .

● ● ●

تجاذب هذا الموضوع قديما وحديثا : الفلاسفة ، والمفكرون ، ورجال الدين ، والباحثون عن الإنسان وتاريخه بعامة ، وثار فيه جدل فى الفكر العربى والإسلامى .

وظهر فى نهاية المطاف أن اللغة هى (أحد مفاعلات الوجود الإنسانى : إذ هى طرف المعادلة النوعية لثبوت خصوصية الإنسان ، ولما كان الإنسان حصيلة تعادلية بين طرفى وجود المادة زمانا ومكانا : فإن معادلة التفاعل تنصهر فيها عناصر الإنسان واللغة والزمان والمكان ، فينتج حتما التغير والاستحالة[3] !

فالعناصر المدروسة هنا لن تعدو الإنسان كمتكلم ، واللغة كمدلول لغوى يتلو ويعطى الحدث الاجتماعى السابق عليها ، ويدور ذلك فى طرفى السؤالين : متى ، وكيف .

---

(١) راجع المزهر ٣٦/١ وفلسفة اللغة د . كمال الحاج ص ٢٨ ، وعلم اللغة د . وافى ٥/١ .

(٢) اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ٤٩ . وكتابنا (علم اللغة العام) ط مكتبة وهبة بالقاهرة .

(٣) د . عبد السلام المسدى ، فى مقالة قيمة ، فى مجلة آفاق عربية العراقية ص ٥٤ ، سنة ٦ عدد ٣ .

ماوراء النظريات فى البحث عن نشأة اللغة

فإن اللغة تتغير ، وتنتشر وتعيش وتموت ، وتنكمش وتزدهر بقوانين أمكن معرفتها وحصرها فى نطاقها .

وتميز التفكير فى اللغة بالتحليل لطبيعتها ، وملاحظة تدرج النطق بها ، ورصد خط مسارها ، مع وصف الظواهر .. تميز كل ذلك بأن دار البحث فى قضيتين أساسيتين : هما التوقيف عند النصيين ، والاصطلاح والمواصفة عند العقلانيين ، بدون أن يحظى البحث فى النهاية بتقرير حاسم ، وإن حظى بملاحظات ومرجحات ترضى .

وكان اختلاف وجهات النظر عند طرح الموضوع ، لأنه ما انفرد بالبحث وحده ، وبالتالى لم ينفرد بصفة شمولية، فضلاً عما اعتور البحث من مسلمات أو معتقدات مسبقة ، مال إليها كل باحث ، فرجحها أو وقف عندها لا يريم .. وأدى كل ذلك إلى الشتات وعدم الترابط ، للمنحى العقدى أو العقلى السابق .. وحين اختلفت وجهة النظر عند البدء كان الصراع جدليا ، بسبب اختلاف منهج البحث وكذلك بسبب مشكلة البحث فى أولية اللغة ارتبطت بمشكلة أخرى هى : بدء الخلق البشرى وإن كان الإسلام سباقا فى هذا الصدد بالبت فى خلق الإنسان من طين وماء وتراب ، ونفخ فيه الخالق سبحانه من روحه فكان بشرا سويا ، وجاءت البشرية على أثره توليديا لا تطوريا .

ويلاحظ أن القول بالتطور قوى النزعة العقلية عند القائلين ، وأنجز ذلك إلى التطور المطلق لأولية اللغة عند القائلين بذلك .

والغريب أن صاحب رأى التطور فى الإنسان لم يجزم به كنظرية ثابتة ، بينما ثبتها مفتونون كانوا ملكيين أكثر من الملك ، فجعلوا النظرية قولا يقينيا ومقطوعا به .

فالتفكير الإسلامى حل مشكلة خلق الإنسان فى صورة بسيطة وطبيعية وحاسمة ، وطبيعتها توائم وتواكب ما قاله العلم الطبيعى اليوم فى أرقى مراحله: من أن الإنسان يعود إلى طبيعته الأولى بالتحليل والعكسية : فحين تخرج الروح ، يختلط الطين بالماء فى الجسم ، وحين يتبخر الماء ، لا يبقى غير التراب . وإذا قرأنا آيات الخلق فى القرآن الكريم نجد قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٤) .

فالمسألة محلولة إسلاميا ، والتطور جنينى وخلقى ، والأمر بعدئذ توليدى .

والتشتت الذى ساد مشكلة بدء اللغة أو أوليتها يرجع إلى مردود ثقافى مسبق أو اعتقاد معين ، أو الميل إلى النص أو العقل .

على أن التشتت الذى ساد التفكير اللغوى لدى جماعة المسلمين ، كان نصا ـ كما هو عند غيرهم من الديانات الأخرى ـ وكان أيضاً منشؤه التفسير اللغوى للألفاظ علاوة على ما سبق : فالقرآن الكريم يقول : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾(٥) ومرجع التشتت هنا تأويلى تفسيرى ، يرجع للشارح ، لا إشكال من طبيعة الدين ولا من جوهره النقى السوى .

وقد جنح الذين قالوا بالتوقيف إلى القول بالاصطلاح صراحة أو ضمنا ، وبالطبع نشأ من القولين قول ثالث خلط بينهما ، وجاء فى فروع

(٤) المؤمنون ١٢ ـ ١٤ .

(٥) البقرة ٣١ .

اخرى لها وجهة نظر قوية أحياناً ، ولا تقوى على الظهور أحياناً[٦] .

● ● ●

وموضوع نشأة اللغة أشبع كلاما وبحثا ومازال المجال مفتوحا للباحثين على أن يأتوا بجديد ومفيد .

وهنا سنلمس طرفا من أصالة الفكر العربى والإسلامى ، والمنهجية عند الباحثين منهم ، ووجهة النظر الشمولية ، أو الجانحة ، أو الابتسارية فى طرح الموضوع برمته بدون تمحيص وتفتيش ، والطرح هذا لا يليق .

ونظرية التوقيف والإلهام قديمة ، قال بها الفيلسوف اليونانى (هيراقليط ٤٨٠ ق م وزميله هيراكليت ٤٨٠ ق م) .

وافلاطون يراها ظاهرة طبيعية ، وحروفها واصواتها جزء من معناها .

بينما يراها أرسطو : ظاهرة اجتماعية ورموز اصطلاحية ، لا علاقة لها بالمعانى والإشارات التى وردت فى الكتب المقدسة تؤيد وجهة نظر هؤلاء :

فقد جاء فى سفر التكوين ، فى الإصحاح الثانى ، فقرة ١٩ : (إن الله خلق كل شىء ، ثم عرضها على آدم ، ليسميها ، فسماها آدم ..) فهنا وضع من آدم ، بالها من الخالق .

وابن بارس (٣٩٥ فى الصاحبى) أيد النظرية ، بدليل قوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[٧] وكافح فى سبيل تأييدها ، مع أنه حين البرهنة سيجنح إلى التوقيف .

وأبو على الفارسى (٣٧٧ هـ) يؤيد النظرية (واعتقاداً) يميل معه تلميذه ابن جنى (٣٩٥ هـ) إلى هذا الرأى أحياناً ، لأنه من مؤيدى فكرة الاصطلاح ، فهو يرى الاصطلاح بعقله ، ويرى بقلبه (التوقيف) اعتقادا[٨] !

ووجدت نظرية التوقيف حتى العصر الحديث انصاراً :

فالفيلسوف الفرنسى (دوبانالد) ، والأب (فرانسوالامى) من المؤيدين[٩] ويؤيدها حتى الآن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ويرى أن نشأة اللغة واوليتها تعتبر من وجهة النظر الإسلامية محلولة ، بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[١٠] .

ويستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ حين كلم عيسى القوم فى المهد بدون سابق تعليم أو اصطلاح ، ويعجب أستاذنا الشيخ : لأن الإنجيل لم يشر إلى تلك الحادثة الفذة ، تمجيدا لعيسى عليه السلام !

ويرى أن الأسماء جاءت لمسمياتها ، لأنها ألفاظ تعين مسمياتها ، وقد هدى الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء ؛ لأنه ليس باستطاعة آدم التعبير عن معطيات الأسماء بدون تعليم من الله ، وهذا التعليم أزاح عنا عبئا كبيرا من صعوبة التفاهم ولولا ذلك لما استطاع آدم ولما استطعنا أن نتفاهم على شىء إلا إذا واجهنا الشىء وأشرنا إليه .. وينتهى إلى القول بأن هذه الأسماء علمها الله الإنسان الذى يتفاهم بها والإنسان أصله من آدم[١١] .

اى أن الإنسان أصله توليدى لا تطورى ،

(٦) من هذه النظريات : محاكاة أصوات الطبيعة او (البو – وو) ، والأصوات التعجبية العاطفية ، او محاكاة الأصوات لمعانيها كما تدل الحروف على ذلك ، او نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ، او الإشارة الصوتية ، او نظرية دراسة اللغات القديمة ، او نشأة اللغة عند الطفل .. وكل هذه النظريات نقدت ، ورد بعضها ، لأدلة قامت تفندها .

(٧) الصاحبى ص ٥ . (٨) الخصائص ١/ ٤٥ .

(٩) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل د . وافى ص ٢٥ . (١٠) البقرة ٣١ .

(١١) خواطر حول القرآن الكريم – جريدة اللواء الإسلامى ، القاهرية السنة الثالثة – عددى ١٤٢ ، ١٤٣ .

ماوراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة

والتعليم اللغوي كان بإلهام من الخالق سبحانه ، ويقول ابن عباس : علم آدم اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة[١٢] .

وقد توجه النقد لهذه النظرية بتركيز وموضوعية ، من ناحية اللفظ والمعنى : فالألفاظ في (علم) و(الأسماء) ، تحتمل : ألهم ، أو أقدر على وضع الألفاظ والاصطلاحات عليها ، وأين (الأفعال والحروف) : وهي جزء من الكلام وهل الإضافة على تقدير مسميات الأسماء ؟ أو غير ذلك ؟

وما معنى أن يتعلم آدم كل اللغات ؟ ولماذا ؟ وهل مثلت له كل المسميات ؟ وأنى لبشر الإحاطة بكل اللغات ؟

مآخذ كثيرة وضعت القائلين بهذه النظرية في حيرة أو صمت . وجعلتهم يميلون أحيانا إلى القول بالوضع المشوب بالتوقيف . وجعلت علامات استفهام كثيرة تعتور أدلة القائلين بالوحي والإلهام والتوقيف .

وكل ذلك جعل كثيرا من مفكري المسلمين يترددون بين القول بالتوقيف والاصلاح ، أو يرددون القولين بدون القطع برأي :

فالإمام الرازي يستعرض الآراء كلها حين تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ في عمق وشمولية ، ثم لا يجزم بالقطع حول رأي واحد ، يقول : (... لما ضعفت هذه الدلائل جوزنا أن تكون كل اللغات توقيفية ، وأن تكون كلها اصطلاحية ، وأن يكون بعضها توقيفا ، وبعضها اصطلاحيا)[١٣] .

فمع استعراض الظواهر والقضايا لم يستطع الإمام فخر الدين الرازي البت والقطع برأي ؛ نظراً للتشتت المنهجي ، ومن ثم قال بكل الاحتمالات الممكنة .

● ● ●

ويتضح تلوين الآراء تبعا للمنهج المتبع ، حتى نتتبع الآراء التالية :

يرى الزمخشري - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ أن الله علم آدم مسميات الأسماء ، وحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء ؛ لأن الاسم لابد له من مسمى .. وكان المحذوف المضاف إليه لا المضاف ؛ لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات ، وقد علق الأنباء بالأسماء في ﴿ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ، فوجب تعليق التعليم بها[١٤] .

ولكن صاحب كتاب (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) يرد على الزمخشري بقوله : (وهو - أي الزمخشري - يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ؛ لأن ذلك معتقد أهل السنة ، فيعمل الحيلة في إبعاده عن مقتضى الآية بقوله : ﴿ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ، ويتغافل عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ ، فإن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقا ، ولم يجر إلا ذكر الأسماء ؛ فدل على أنها المسميات .

ويعرض أيضاً عن حكمة التعليم وأن تعليقه بنفس الألفاظ لا كبير غرض فيه ، بل الغرض المهم تعليقه لذوات المسميات واطلاعه على حقائقها ، وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار ، وعلى تسميتها أيضاً ...)[١٥] .

فهو يرى : أنه لا نكير في الإضافة التي فر منها الزمخشري ؛ لأن الأسماء بمعنى المسميات ، والحقائق أعم من هؤلاء المشار

---

(١٢) صفوة التفاسير ٤٨/١ .

(١٣) مفاتيح الغيب ، تفسير الرازي ٢٣/١ .

(١٤) الكشاف ٢٧٢/١ .

(١٥) الكشاف ٢٧٢/١ .

إليهم ، والمضاف إليهم ، فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغير . وابن القيم ـ رحمه الله ـ والمضاف إليهم ، فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغاير .

وابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو سنى لا معتزلى ، يسير فى فلك الزمخشرى ، حين يقول : (الاسم فى أصل الوضع ليس هو المسمى .. فكذلك الاسم غير المسمى ، وقد صرح بذلك سيبويه ، وأخطأ من نسب إليه غير هذا ، وادعى أن مذهبه اتحادهما)(١٦) .

وإذا كانت المسألة خلافيه ، فلا داعى للإنكار من صاحب (الإنصاف) على صاحب الكشاف .

ومن المفسرين من اعتزل الخلاف فى الإضافة والمحذوف ، واكتفى بقوله فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ اى انه سبحانه علمه أسماء المسميات كلها(١٧) .

وسنرى عند العقلانيين أن طريقة طرح المشكل هى جوهر الاستعصاء ، وأن القضية تعود أولا وأخيرا عند فرز الآراء إلى موقع الفاحص لها أكثر مما تعود إلى المضمون الإشكالى لها .

والإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ يعطى المسألة احتمالات مطروحة ، فيمس أبعادا كثيرة ، ويذكر صورا يحملها القول والمنطق ؛ بناء على مذهبه ، يقول حالة كونه موردا كل الفروض الممكنة :

١ ـ أن آدم ـ عليه السلام ـ ربما الهم الحاجة إلى الوضع ، فوضع اللغة بتدبيره وفكره .

٢ ـ أو أن الأسماء ربما كانت موضوعة باصطلاح بين الملائكة ، سابق لآدم .

٣ ـ أو أن المراد بالأسماء : أسماء السموات والأرض ، وما فى الجنة والنار ، دون الأسامى التى حدثت مسمياتها بعد آدم ، ويقوى هذا الاحتمال عموم صيغة اللفظة فى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ﴾ .

٤ ـ أنه ربما علمه ثم نسيه ، ثم اصطلح بعده أولاده على هذه اللغات المعهودة الآن ، والغالب أن أكثرها حادثة بعده(١٨) .

فالمشكل منحصر فى أصل النشأة ، ولكن الحرج فى تأويل الآية على رأى قاطع فى طريقة البسط المنهجى الواضح ، والمبنى على أسس قويمة وسليمة .. جعل التأويلات محتملة ، والاختلافات قائمة وواردة .

ويرى الإمام الغزالى أيضاً ـ أمارة على اهتدائه إلى الوعى الحقيقى لجوهر المشكل ـ أن البحث الزمانى فى أصل نشأة اللغة ليس إلا مشكلا زائفا ، بسبب :

(أن النظر فى مبدأ اللغات إما أن يقع فى الجواز أو فى الوقوع :

فالجواز العقلى شامل للمذاهب الثلاثة ، والكل فى حيز الإمكان .

والواقع من هذه الأقسام لا مطمع فى معرفته يقينا إلا ببرهان عقلى ، أو بتواتر خبر ، أو سمع قاطع ، ولا مجال لبرهان العقل فى هذا ، ولم ينقل فيه تواتر ولا فيه سمع قاطع ، فلا يبقى إلا رجم بالظن فى أمر لا يرتبط به تعبد عملى ، ولا ترهق إلى اعتقاده حاجة ، فالخوض فيه ـ إذن ـ فضول لا أصل له)(١٩) .

ومن ثم فلا خوف على اعتقاد الإنسان إذا لقى الله تعالى وهو يؤمن بالاصطلاح او التوقيف ، مادام اليقين متعذرا فى مسألة نعيشها بحلوها ومرها وخطرها ، ولا يضرنا بحث زمان ابتدائها وقديما قال عمر ـ رضى الله عنه ـ ماضر ابن الخطاب الا يعلم أبًا ، فى قوله تعالى ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾(٢٠) .

(١٦) بدائع الفوائد ١٦/١ .
(١٧) صفوة التفاسير ٤٨/١ .
(١٨) المستصفى ١٤٥/١ .
(١٩) المستصفى ١٤٥/١ .
(٢٠) عبس ٣١ .

ماوراء النظريات فى البحث عن نشأة اللغة

والإمام الطبرى يذكر الآراء، منقولها ومعقولها، ويحاول ترجيح الصواب، وما قرب من المعقول، دون اغفال المأثور من التأويل.. فيذكر هذا ويرجح ذاك[٢١].

وابن جنى يجوز الأمرين، ويميل إلى المواضعة، يقول:

(فقد تقدم فى أول الكتاب القول على اللغة: تواضع هى أم إلهام، وحكينا وجوزنا الأمرين فيها جميعا)[٢٢].

ويحكى فى موضع آخر ما يرجحه وما يرجحه غيره بقوله:

(أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هى تواضع واصطلاح، لا وحى وتوقيف)[٢٣].

فابن جنى ليس بمعتزلى، وقد جوز الأمرين، ولكنه مال إلى الاصطلاح، ولكن علينا أن نراه فى موقف آخر:

فى هذا الموقف نراه يدفع (معتزليا) إلى مضايق الاحتجاج؛ ليعترف بإمكانية القول بالتوقيف والإلهام.. ويضعهم بحسن الصنعة فى الاحتجاج إلى ما لايستطيعون فيه الهرب، يقول:

(... إلا أننى سألت يوما بعض أهل (الاعتزال)، فقلت:

ما تنكر أن تصح المواضعة من الله تعالى، وإن لم تكن ذا جارحة: بأن يحدث فى جسم من الأجسام: خشبة أو غيرها إقبالا على شخص من الأشخاص، وتحريكها نحوه، ويسمع فى نفس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتا يضعه اسما له، ويعيد حركة تلك الخشبة نحو ذلك الشخص دفعات؟

مع أنه ـ عز اسمه ـ قادر على أن يقنع فى تعريفه ذلك بالمرة الواحدة؛ فتقوم الخشبة فى هذا الإيماء وهذه الإشارة مقام جارحة ابن آدم فى الإشارة بها فى المواضعة.

وكما أن الإنسان أيضاً قد يجوز إذا أراد المواضعة أن يشير بخشبة نحو تلك المواد المتواضع عليها، فيقيمها فى ذلك مقام يده لو أراد الإيماء بها نحوه؟

فلم يجب (المعتزلى) عن هذا بأكثر من الاعتراف بوجوبه، ولم يخرج من جهته شىء أصلا فأحكيه عنه، وهو عندى وعلى ما تراه الآن لازم لمن قال بامتناع مواضعة القديم لغة مرتجلة، غير ناقلة لسانا إلى لسان)[٢٤].

فابن جنى هنا مضايق لمعتزلى، وسبق أن حكينا أنه يميل إلى أهل النظر فى أن اللغة منشؤها الاصطلاح لا الوحى والإلهام.

فهو متعاطف مع النظرية الأكثر شيوعا وقبولا، وهى المواضعة والاصطلاح. ويرى أن اللغة موجودة قائمة بالذات متكاملة، والحديث عن نفس القضية من حيث العودة فى الزمن إلى منطلق الخلق والوجود، ويفرق بين الأمرين بمصطلحين رشيقين، وهما: مقياس «الاعتقاد» ومقياس «الزمان»، على حد تعبير الدكتور عبد السلام المسدى، فى مقاله القيم[٢٥].

والأمر دائر فى إطار الحذر وإيراد كل الفروض الممكنة حذرا من البت فى أمر متيقن، فدار التكهن بتفسيره عقليا واعتقاديا.

وسيف الدين الآمدى يرى اللغة أمراً غير عقلى، وتنقل أمورا عقلية، يقول:

(٢١) جامع البيان ١/٢١٦.
(٢٢) الخصائص ٢/٢٨.
(٢٣) الخصائص ١/٤٠.
(٢٤) الخصائص ١/٤٥.
(٢٥) مجلة آفاق عربية (العراقية) السنة السادسة عدد/٢ ص ٥٧.

(... ثم إن هذه العبارات والتقديرات غير حقيقية ، أى ليست أمورا عقلية (بل اصطلاحية) مختلفة باختلاف الأعصار والأمم .

ولهذا لو وقع التواضع من أهل الاصطلاح على أن يكون التفاهم بنقرات وزمرات .. لقد كان ذلك جائزا ، ومدلول هذه العبارات والتقديرات حقيقى ، لا يختلف باختلاف الأعصار ، ولا باختلاف الاصطلاحات ، بل المدلول واحد وأن تغيرت تلك الدلالات وتلك المدلولات هى التى يعبر عنها بالنطق النفسانى والكلام الحقيقى ، وما سواه فليس بحقيقى) .

فالدلالات عند الأمدى رموزا اصطلاحية ، وتصبح عرفا متى تعورف عليها ، ومن ثم فالتواضع مستمر لتغطية حدث اجتماعى حقيقى بمدلول لغوى غير حقيقى فى ذاته .

والإمام ابن حزم ـ رضى الله عنه ـ فى ذكائه ، اهتدى إلى جوهر المشكل المبسوط بربطه جدليا بأصل نشأة الإنسان ذاته ـ كما يقول الدكتور عبد السلام المسدى عن ابن حزم انطلاقا من تأكيد أن النوع الإنسانى لا يوجد إلا وهو متكلم ويخلص إلى تقرير أن مبدأ اللسان هو متطابق مع مبدأ نشأة الوجود البشرى إطلاقا ويزداد تقريره جزما عندما يردف أن القضية تنعكس مثلما هى تطرد :

إذ أنه كما لا سبيل إلى وجود الإنسان بلا كلام ، فكذلك لا سبيل إلى وجود كلام بلا إنسان[٢٦] يقول ابن حزم :

(الكلام حروف مؤلفة ، والتأليف فعل فاعل ضرورة لابد له من ذلك) على أن هذا التحرك الجدلى يقضى هو الآخر إلى تحديد مبدأ النشأة فى الوجود ، لأن (كل فعل له زمان ابتدىء فيه ؛ لأن الفعل حركة تعدها المدد ، فصح أن لهذا التأليف أولا ، والإنسان لا يوجد دونه ، وما لم يوجد قبل ما له أول ، فله أول ضرورة)[٢٧] .

فابن حزم وإن ربط جوهر المشكل جدليا بأصل نشأة الإنسان ذاته . أو ربط منشأ اللغات بمنشأ فاعل اللغات وهو الإنسان .. إلا أننا نلحظ أنه زاد رأيه تحقيقا وتدقيقا بتمييز الفارق بين مقتضى الطبيعة فى وجودها المتواصل ، ومقتضى الخلق الطارىء عليها (واستخلص جدلا أن الكلام حدوث طارىء على الطبيعة ، مثلما أن الإنسان فى ذاته عارض من أعراض الوجود الكونى)[٢٨] يقول ابن حزم :

(فصح ضرورة ـ صحة حسنة مشاهدة ـ أنه لابد فى اللغات من معلم ، ولابد فى الصناعات من معلم ، ليس من المعلمين الذين فى طبعهم تعلم ذلك دون تعليم ، إذ لو كان ابتداء ذلك موجودا فى الطبيعة لوجد ذلك فى كل عصر وفى كل مكان لأن الطبيعة واحدة ، فى جميع النوع وكذلك نجدهم يستوون كلهم فيما توجبه الطبيعة لهم ، إلا أن يعرض عارض حائل فى بعض النوع)[٢٩] .

تلك نظرة سريعة عما وراء النظريات فى القول بنشأة اللغة ، ويتعلق به ما يمكن أن نسميه بالتشريع اللغوى فى نشوئه ونموه وانتشاره ، وسنتناول ذلك فى حديث آت إن شاء الله .

ومن المفيد أن نذكر تعليق الدكتور المسدى على ما سبق من آراء ونظريات ، ففى تعليقه غنية ، يقول :[٣٠]

هكذا نتبين كيف أن قضية ما وراء اللغة إنما تستند إلى اشكال منهجى تأويلى ، دون أن تكشف افتراقا مبدئيا ، أو اضطرابا فكريا : بحيث أنها لو عولجت فى مختلف أطوارها بما يجعل الناظر مطمئنا إلى توحد المحركات النظرية

---

(٢٦) آفاق عربية ص ٥٥ .
(٢٧) الأحكام ١/٢٩ .
(٢٨) آفاق عربية ص ٥٥ .
(٢٩) الرسائل لابن حزم ١/٥٠ .
(٣٠) آفاق عربية ص ٥٧ .

ماوراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة

(الماقبلية) ، بعيدا عن افتراض كل تمزق فكرى ، او تقطع اصولى (إبستيمولوجى) .

ولقد كانت كل الآراء المختلفة تصدر عن محرك توليدى ، هو (فكرة المواضعة) فى الحدث اللغوى مطلقا .

وإذا كانت هذه النظرية قد تغلغلت فى مسام التراث العربى ، فقبعت وراء أرضية الموروث الثاوى فيه . ولم تبرز بالفعل إلى سطح الأبنية العلوية فى تاريخ العلم النظرى ، فإنما ذلك يعزى إلى ضغوط خارجية ، هى : اضطرارات التقية والاحتماء فى مفترق انقسامات المذاهب بين ملل ونحل .

ولما كان لأهل الاعتزال نصيب الصدارة فى بلورة هذه النظرية وتأسيسها .. فقد انسحبت الريب الحامة بالمعتزلة على النظرية نفسها : فأصبح القول الصريح بإملاءات النزعة العقلانية من رصيد المحظورات ، يتقيه المتعاطف والمشاكس على حد سواء .

وبقى أن نشير إلى أن ما تحمله ألفاظ اللغة العربية أحياناً من معان تقرب أو تبعد أو تضاد بعضها لها دخل كبير فى اختلاف التفسير والتأويل ، وتلون المعنى المستنبط ، وقد يعزى هذا التلون بعض الملل والنحل بالشد والجذب ، والميل إلى اختيار لون معين يخدم الفكرة وبيان وجهة النظر الخاصة أو العامة .. وهذه النقطة مرجعها إلى اللغويين واستعمال العرب الأقحاح .. وأنى للزمان بعد رحيلهم بتحديد المفاهيم ، والوقوف على اللفظ واستعمالاته كما استعملوه .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

استخبارات النبى ﷺ بقية

فإنه لما أمر أبو سفيان الناس أن ينظر كل منهم من يجلس إلى جواره لكى يتحقق من هويته ، بادر حذيفة فوراً بسؤال جاريه اللذين عن يمينه وعن شماله بالسؤال : من أنت ؟ .. ولو انه تأخر لحظة واحدة لبادره كل منهما بالسؤال نفسه ، ولتعرض للارتياك الذى قد يكشف أمره ، ولضاع على المسلمين الهدف الذى أرسلوه من أجله ، وهذا ما ذكره حذيفة نفسه فى نهاية قصته حيث قال : « فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فبدرتهم المسألة »(٥) .

تعلم لغة العدو :

● وقد عنى الرسول - ﷺ - بأن يتعلم المسلمون لغة عدوهم ، ومن ذلك أنه أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ، قال زيد : « أمرنى رسول الله - ﷺ - » فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : إنى والله ما آمن يهود على كتابى ، ثم يقول زيد : فوالله ما مرَّ بى نصف شهر حتى تعلمته وحُذِقت فيه فكنت اكتب له إليهم واقرأ له كتبهم إليه » « رواه البخارى » .

وصدق من قال : « من عرف لغة قوم أمن شرهم » .

(٥) سبل الهدى والرشاد : المرجع السابق جـ ٤ ص ٤٤٨ .



السنة النبوية

بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

للدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف

عرض أ . د .

محمد شوقى خضر السيد

● لقد حفظ الله تعالى السنة المطهرة على مر الدهور وقيض لها من يتعهدها من جهابذة العلماء بالحفظ والتبليغ والدفاع عنها ضد الذين يحاولون النيل منها والتشكيك فى رواتها وفى مروياتها .

ولقد حظيت السنة المشرفة بالخدمة بصورة لم يحظ بها نص سوى القرآن الكريم .

ومناهج المحدثين وضوابطهم لنقل الحديث وروايته وتمييز صحيحه من سقيمه فريدة لا مثيل لها ، يعرف ذلك من له أدنى معرفة وصلة بالحديث وعلومه المتشعبة شرقاً وغرباً ، مؤمنا وكافراً . يشهد لذلك أيضاً جهد المستشرقين فى الحديث عنها والتأليف فيها .

والدفاع عن السنة والذود عنها من أهم الأعمال التى يتقرب بها العبد إلى مولاه ، لأنه يحفظ للسنة كيانها من عبث العابثين وانحراف المنحرفين كما يحفظ للإسلام جانباً من أهم جوانبه التشريعية ، لأنها المصدر الثانى للتشريع بعد كتاب الله عز وجل .

وقد طالعنا فضيلة الدكتور / عبد الموجود محمد عبد اللطيف الأستاذ بقسم الحديث

● المؤلف : أستاذ بقسم الحديث وعلومه ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

* الأستاذ الدكتور محمد شوقى أستاذ ورئيس قسم الحديث وعلومه ـ أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة بكتاب « السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ـ طبع الدار المحمدية للطباعة والنشر ..

والدكتور من أصحاب التخصص الدقيق فى الحديث وعلومه لهذا جاء كتابه موفيا بغرضه خادما لموضوعه بل هو كتاب فريد فى هذا المضمار .



دعاة الفتنة

قدم الدكتور كتابه بمقدمة ذكر فيها ما لقيت السنة من الدعوات الهدامة التى تهدف إلى فتنة المسلمين وصدهم عن دينهم وبين أن ذلك قد بدأ بالكذب على رسول الله ﷺ وهو مايزال حيا بين ظهرانى قومه ، قال : « **والمتتبع لمشارب القوم يجد انهما فئتان لكل واحدة منهما اسلوبها ومنهاجها ، وإن كانت تتفق طوعا او كرها ـ فى الغاية وفى الهدف** » .

أما أولاهما : ففرقة دعاة الفتنة ممن طمس الله على بصائرهم فراحوا يسددون ضرباتهم الآثمة للوحى قرآنا ، كان ذلك أو سنة ، وقد بدأت هذه الفتنة الضالة تنشر سمومها فى فترة مبكرة فاتخذت من الكذب على الرسول ﷺ ميدانا لنشاطها المدمر ـ والرسول ﷺ مايزال بين ظهرانيهم ـ ثم اوشكت أن تستشرى ويتفاقم أمرها بعد أن خلت لها الساحة الإسلامية بوفاة الرسول ﷺ لولا أن كبح جماحها الخليفة الأول أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ثم اسكنها جحرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلا نه سرعان مابدت بوادرها فى عهد الخليفة الحيى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ثم ذر قرنها أيام الفتنة ، ثم بلغت ذروتها بعد وفاته ، وذلك بعد أن أحكمت عليها قبضة ائمة الضلالة من المنافقين والزنادقة واليهود وسرت فى جسم الأمة سريان النار فى الهشيم حتى أتت فى أكثر أحيانها على الأموال والأنفس والثمرات وكان نتاجها تلك البلبلة الفكرية الواسعة التى جادت بها قرائحهم والصقوها زورا وبهتانا بالرسول ﷺ .

أدعياء العلم

وأما ثانيتهما فهى أدعياء العلم ، ونقصد بهم أدعياء العلم بالسنة ممن تخصصوا فى غيرها من الفنون ، وإن كان بعضهم برز فى مجاله العلمى ، لكنهم قرأوا فيها قراءات عابرة فعرفوا منها القشر دون اللباب ، وخيل إليهم أنهم أعلم الخلق فى هذا الباب مع أن بحر السنة عميق متسع الشطآن لا يسبر غوره إلا من تمرس به ، ولا يخوض لجته إلا من تأهل له وإلا لقى حتفه بمحض إرادته ، وهم الذين لم يبدأوا بفكر جديد

وإنما هو تبع لغيرهم من القدامى أو المعاصرين وهذه الفئة من العلماء اتخذت من العقل فى مواجهة النص الثابت من السنة سيفا مصلتا على تراث النبوة وعلى عدول هذه الأمة من حملته، ضاربة عرض الحائط بموازين الأخبار وقواعد التثبت فيها، وهى أيضاً تغلف رأيها بما ابتدعت له من زخرف القول فحكمته فى السنة ورجالها لتستبعد ماتراه وتجرح أعراض من تراه من المحدثين.

فتارة: تصف آراءها فى توهين الحديث بأنه نتيجة فقه واسع وإحاطة شاملة لمقتضيات الظروف والأحوال وفهم القرآن.

وتارة: توجه طعونها إلى «الإسناد» شرف هذه الأمة.

وتارة: تقف من الرسول ﷺ موقف الند للند وعلى قدم المساواة فأجازت لنفسها أن تخطئه بل تجاوزت ذلك إلى مخالفته - تحت ستار المصلحة العامة - فى قضية حكم فيها ومات ﷺ على ذلك.

وتارة: تبيح لأنفسها إطلاق السباب والشتائم وتجريح المحدثين قديما وحديثا دون وازع مما ينبغى أن يعف عنه لسان الجاهل من عامة المسلمين.

وتارة: تفرض رأيها على القارىء دون مبرر مقبول أو معقول، هكذا دون اعتراض وإلا كان فاسد العقل، أخرق الرأى، والهبت ظهره بسياط التخلف الفكرى والفقهى؛ بل إن هذه الفئة غالت بالرأى فاتخذته سلاحا للطعن فى مدونات الإسلام الكبرى، بل حكمته فى أصح الكتب بعد كتاب الله - عز وجل - الصحيحين: البخارى ومسلم فحكمت على كثير من أحاديثهما بالاختلاق والوضع، ولو كان لرأى البشر سياج يمنع صاحبه من التردى والخطأ لكان فى ذلك مندوحة عند النقد لكنك ترى المرء يعرض رأيه ويلزمك به ويشدد النكير عليك ثم سرعان ما يخالفك إلى غيره دون اعتذار.

ثم يقول: وسوف يتضح للقارىء أن دعاة الفتنة وأدعياء العلم فى القديم والحديث مدرسة واحدة تآزرت على التشكيك فى السنة فليس هناك من خرج عن دائرتها إلا فى بعض أصولها، ويندر أن تجد واحداً منها قد انفرد برأى لم يشاركه فيه غيره، فهى مدرسة مادتها تكاد تكون واحدة وهدفها يكاد يكون واحدا، والجديد فيها هو عرض الموضوع بأسلوب أحدث يعتمد على الإثارة والسباب دون المنهج العلمى الملتزم.

مباحث الكتاب

ثم عقد الكاتب مباحث عدة لا يمكن الاستغناء عنها للإلمام بموضوع البحث، وبدأها ببيان صفة المحدث مبينا خطأ ما ردده بعض العلماء المعاصرين فى كتبهم المنشورة من إطلاق لقب «المحدث» على من طالع عدة أحاديث أو كتابا يحتوى على بعض الأحاديث النبوية المشرفة، وذلك بغية التهوين من أمر المحدثين بعامة والإقلال من قدرهم العلمى وأملاً فى الانقضاض على مصادر السنة يحكمون فى بعض أحاديثها الرأى.

ثم ينتقل إلى بيان «منزلة المحدثين فى الإسلام» معتمداً على الأحاديث والآثار الواردة فى ذلك فبدأ بمنزلتهم عند رسول الله ﷺ فبين أنهم عدول الأمة، وأنهم الطريق المتعين لحفظ الملة، وأنهم خلفاء النبى ﷺ، وأنهم أولى الناس به، وأنهم المنصورون، وأنهم الفقهاء أولاً.

ثم ذكر منزلتهم عند الصحابة والأئمة، وأنهم أعلم الناس بكتاب الله، وأنهم الذين يدفع الله بهم البلاء، وأنهم فرسان الإسلام وأنهم المقدمون والمرجع للعلماء فى الدين، وأنهم أركان الشريعة.

و«أصحاب الحديث» أصحاب مالك ابن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعى، وأحمد

بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

ابن حنبل رضوان الله عليهم ويعرفون بأهل الحجاز يقابلهم أصحاب الرأى ويعـرفون بـ « العراقيين » .

ثم ذكر الكاتب أصول أصحاب الحديث وذكر خصومهم وحصرهم فيما يأتى :

١ ـ المتكلمون ٢ ـ المعتزلة « القدرية »
٣ ـ الرافضة ٤ ـ الخوارج « القرانيون »
٥ ـ الجهمية ٦ ـ المرجئة
٧ ـ الزنادقة ٨ ـ المؤرخون وهم غير المحدثين
٩ ـ القصاص والمذكرون « الوعاظ »
١٠ ـ المتصوفة بعضهم أصحاب « شطحات » يذهبون مذهب التجسيم والحلول وغير ذلك مما لا يصح فى شرع الله .
١١ ـ أصحاب الرأى وهم فقهاء العراق .

ثم عقد فضيلته فصلا بين فيه « وضع » السنة بين أصحاب الحديث وبعض خصومهم ممن « أجازوا الوضع فى السنة » وحصرهم فى أصحاب الرأى ، والرافضة ، وأصحاب المذهب العقلى من المتكلمين والمعتزلة والجهميـة ، والقصاص والمذكرين « الوعاظ » ، واعتمد فى هذا على شهادة معاصر من خصوم أهل الحديث ومن دعاة الفتنة .

ولم يفت الكاتب أن يتحدث عن كيفية تكون المذاهب الفقهية وأسباب اختلاف الأئمة ، فتكلم عن المذهب المالكى وخطته التشريعية ثم المذهب الشافعى وخطته التشريعية ، ثم المذهب الحنبلى وخطته التشريعية .

قال : « وهم الذين يعنون بالقرآن الكريم فيتخذون من نصوصه مع السنة قاعدة للأحكام الشرعية ، ضرورة أنهما مشكاة الوحى الإلهى ظاهرة وباطنة » .

وقال : « وسمى أصحاب الحديث بذلك لأن عنايتهم تنحصر فى تحصيل الأحاديث ونقل الأخبـار وبناء الأحكـام على النصـوص ، ولا يرجعون إلى القياس الجلى أو الخفى ما وجدوا خبراً أو أثراً درءا لخطر الرأى وخوفا من التزيد فى شرع الله الحكيم » .

أصحاب الرأى :

ثم انتقل فضيلته إلى بيان « أصحاب الرأى وخصومهم » ثم تكلم عن المذهب الحنفى وخطته التشريعية ، قال : وهم الذين يعنون بإعمال الرأى فى مواجهة النص الثابت من السنة وهم أكثر العراقيين ، وقد أكثر هؤلاء من الفروض العقلية حتى سموا بـ « الأرايتيين » .

ثم ساق الأدلة على ذلك مبينا أن الإمام أبى حنيفة قد رجع عن ذلك .

قال : « ولعل ذلك كان منهج الإمام فى مستهل حياته العلمية كإمام فإنه ثبت أنه خالف ذلك قبيل وفاته كما ذكره الإمام ابن القيم فى كتابه « أعلام الموقعين عن رب العالمين » قال الملا على القارى : إن أبا حنيفة قدم الحديث ولو كان ضعيفاً على القياس وكذا اعتبر الحديث الموقوف وترك الرأى وكذا عمل بالمراسيل » .

دعاة الفتنة :

ثم عقد المؤلف بابا ذكر فيه « دعاة الفتنة » وبين تاريخهم ومنشأ فكرهم وانتهاءه وبين دور اليهود فى إفساد الفكر الإسلامى إذ هم أساس بدعة الاعتداد بالعقل والرأى قال : « ولم يشأ اليهود أن يقفوا بالمسلمين عند إهمال السنة

والأخذ بالقرآن الكريم فحسب ، وإنما أرادوا تدمير القرآن الكريم نفسه عن طريق العقل والرأى ، فابتدعوا نمطا جديداً للوصول إلى هذه الغاية أملا فى القضاء على الوحى بشقيه ... فقد ابتدع يهودى باليمن مذهب الرأى وإعمال العقل فى القرآن ثم أخذه عنه « لبيد بن اعصم » اليهودى ثم لقنه لابن أخته « طالوت » ولقنه طالوت بدوره إلى « بيان بن سمعان » ، ثم لقنه بيان بدوره إلى « الجعد بن درهم » شيخ مروان آخر خلفاء بنى أمية ثم أخذه عنه « الجهم ابن صفوان » ، ثم « بشر المريسى » عن الجهم ثم « أحمد بن أبى داود » عن بشر المريسى ، وكان نتاج هذا الفكر اليهودى الخبيث : تقديس العقل الذى تبنته خاصا بالسنة مدرسة المذهب العقلى من متكلمين ومعتزلة وجهمية ممن اتخذوا من الرأى سلاحا بتارا يقطع شأفة متواتر السنة ويستأصل آحادها .

كما تأثر فقهاء الرأى فى الأخذ به فى مواجهة النص الثابت منها أحيانا مما كان له أسوأ الآثار على استقامة الفكر الإسلامى على منهج الله » .

ثم تلا ذلك دور الاستعمار والاستشراق فى « إحياء فكر دعاة الفتنة » وإذكاء روح الإلحاد فى بعض صوره ، قال : « من أجل ذلك بذل المستشرقون كثيرا من المعاناة لإحياء المدارس القديمة التى بادت واندثرت وبخاصة اليهود منهم ، أمثال : « شاخت » ، و« جولد تسيهر » ودسوا فكرهم الخبيث بين ربوع الأمة فبرزت الفتنة من جديد حتى أطبق الاستعمار بيديه على مقدرات الأمة وأحكم قبضته على خيراتها ، وانبرى لنشر هذا الفكر الخبيث من يرغب فى الشهرة ويسعى إليها أو من سولت له نفسه ـ لجهالته ـ أن اتسامه بثاقب الفكر ونفاذه مرهون بإحياء ما مات من « إعمال الرأى » فى الدين فتمسك به بكل ما أوتى من قوة » ..

ثم استشهد فى ذلك بكتابات الأستاذ محمد طاهر حكيم والأستاذ المودودى والشيخ أبى زهرة .

مذاهب دعاة الفتنة وأصولهم :

وقد حصرهم فى : المتكلمين والمعتزلة ، والرافضة ، والخوارج ، والجهمية ، والمرجئة ، والزنادقة .

وتعقب المؤلف صفات دعاة الفتنة فى القديم والحديث مبينا مبادئهم وأصناف دعاتها قديما وحديثا ، والطعون التى استحدثوها على السنة وتنحصر فى :

١ ـ إنكار حجية السنة اعتمادا على القرآن وحده ، وإلى ذلك ذهب الخوارج والزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة وتابعهم عليها أذيالهم فى الأزمنة المتأخرة فى القارة الهندية أمثال : « محب الحق عظيم الآبادى » الذى صرح فى كتابه الأخير : « بلاغ الحق » بـ« عدم أخذ السنة فى الدين »[1] ، وأمثال : غلام نبى المعروف بـ« عبد الله جكر الوى » ، و« السيد أحمد خان » ، و« مولوى أحمد الدين تسرى » و« الحافظ أسلم جراجبورى » و« مولوى جراغ على » فى كتابه (أعظم الكلام فى ارتقاء الإسلام) حيث قال : « إن الحديث النبوى ليس قطعيا كما يظنه المسلمون بل صحته وحجيته محل نظر وشك وهو لا يصلح لأن نعتمد عليه فى معرفة الأحكام »[2] ، وكذلك أذيالهم فى مصر أمثال : رشاد خليفة فى كتاب : « القرآن والحديث والإسلام » فهو يقول : السنة أمر مهمل ، والتمسك بها خطأ يجب على الأمة أن تقيل نفسها

(١) انظر للشيخ خادم حسين : فرقة أهل القرآن ص ٧٧ .

(٢) انظر للدكتور موسى شاهين : السنة والتشريع ص ٥٣ .

بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

منه[٣] وأمثال : أحمد صبحى منصور الذى يقول : السنة عمل شيطانى ورواة السنة مجرمون خونة[٤] .

٢ - **إنكار حجية السنة والقرآن معا** ، وإلى ذلك ذهب طائفة من غلاة الرافضة .

٣ - عدم **الاحتجاج بأحاديث الآحاد** ، وإلى ذلك ذهب أهل الأهواء من المعتزلة والرافضة وبعض أهل الظاهر ، ومن المعاصرين احمد امين .

٤ - **تاويل النصوص بما يتلاءم مع الحياة الأوروبية** ، وإلى ذلك ذهب اهل القرآن فى القارة الهندية أمثال : جراغ على ، وعبد الله جكر الوى ، وأحمد الدين أمرتسرى والمتنبى ومرزا غلام أحمد القاديانى ، وغلام احمد برويز ، ومنهم السيد احمد خان الذى وضع لقبول الحديث شروطاً تؤدى إلى نبذه .

٥ - جواز تبدل الأحكام وفق الظروف والأسباب ، وإلى ذلك ذهب احمد زكى ابو شادى ، وأحمد أمين ، كما ذهب إلى ذلك محمود محمد طه السودانى الذى أعدمه الرئيس نميرى لزندقته وذلك لإنكاره أحاديث التوحيد كما أجاز إسقاط الصلاة للخواص من اتباعه .

٦ - **ازدراء الصحابة ورميهم بالكذب او الارتداد** ، وإلى ذلك لجأ المعتزلة والرافضة ، ومن المعاصرين أحمد أمين حيث يفهم ذلك من قوله :

« فترى كيف كان النظام جريئا فى تحكيم المنطق فى رواية ابن مسعود » وكان قد سبق أن قال : إن النظام كذب ابن مسعود ، رضى الله عنه ، كذلك نحى هذا المنحى محمود ابو رية فى كتابه « اضواء على السنة المحمدية » .

٧ - **التشكيك فى الإسناد** : وإلى ذلك لجأ الرافضة والمعتزلة والزنادقة ، وذهب إلى ذلك فى الأزمنة المتأخرة السيد أحمد خان ، وأبو رية ، ورشاد خليفة ، وأحمد صبحى منصور ، وأحمد امين . وغيرهم .

٨ - **الطعن فى سائر مصادر السنة** ، وإلى ذلك لجأ أحمد زكى أبو شادى .

٩ - **الطعن فى البخارى ومسلم** ، وإلى ذلك ذهب أحمد أمين ، والمولوى جراغ الهندى ، وعبد الوارث الكويتى .

١٠ - **ادعاء النبوة تشكيكا فى الوحى** ، وإلى ذلك ذهب رشاد خليفة ، ومحمود محمد طه السودانى ، ومرزا غلام أحمد القاديانى .

١١ - **الأنبياء يخطئون كعامة الناس** ، وإليه ذهب أحمد صبحى منصور .

١٢ - **التملق للمرأة بغير ما شرع الله** ، وإلى ذلك ذهب ابو شادى .

١٣ - **التشكيك فى متون الأحاديث** ، وإلى ذلك ذهب غلام أحمد برويز .

١٤ - **التنديد بالمحدثين وسبهم وإطلاق الألسنة فيهم** ، وإلى ذلك ذهب المتكلمون والمعتزلة والرافضة والجهمية والمرجئة والزنادقة ، ومن المعاصرين احمد أمين .

وفى عرض لبقية المبادىء التى حددها دعاة الفتنة فى القديم أخذوا من مذاهبهم ، ذكر شبهات دعاة الفتنة وأنها تنحصر فى شبهتين :

---

(٣) انظر د . طه حبش : مسيلمة فى مسجد توسان ٥٦ - ٥٨ ط ١٤٠٩١/١٩٨٩ نشر مكتبة رشوان . (نشر مجلة مركز بحوث السنة والسيرة - جامعة قطر ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م) .

(٤) نفس المرجع ص ٦١ .

أولاهما : إنكار حجية السنة والاعتماد على القرآن وحده .

ثانيتهما : عدم الاحتجاج بخبر الآحاد ثم قام بالرد العلمي النقلي والعقلي عليهما وبين أن عدم الاحتجاج بخبر الآحاد هو من « بدع الخوارج والرافضة » وتبعهم عليها المعتزلة ... قال : « الحق أن بدعة عدم الأخذ بأحاديث الآحاد وليدة عقول الخوارج والرافضة وتبعهم عليها المعتزلة ، وقد روج لها أهل الأهواء من هذه المذاهب بما زينوه من قداسة العقل وسمو الرأى ، وهى بدعة ضالة ومنكرة يأباها واقع الصحابة والرسول ﷺ ، ويرفضها العقل والمنطق السليمان والمجردان عن الهوى والزيغ ، فيستحيل فى الواقع أن يسير الرسول ﷺ فى كل أحيانه مع كوكبة من أصحابه تبلغ حد المتواتر لا يتركونه فى حله أو ترحاله ، أو فى يقظته أو فراش نومه مما يصلح أن يكون تشريعا بين المرأة وزوجها حتى يتم التصديق بما جاء عنه من آحاد الصحابة .

ويستحيل فى عرف العقل والمنطق أن يتقاعس المسلمون عن الدعوة وينفضوا أيديهم عن مقومات حياتهم ووجودهم من تجارة وزراعة ونحوها فلا يبرحون المدينة ولا يتجاوزون رسولهم ﷺ إلى غيره ليتفرغوا جميعاً لنقل مايصدر عنه حتى يتم تصديق الأصحاب فيما يبلغونه عنه » .

وفى باب عن المتكلمين فى الحديث بغير تخصص ذكر ستة علماء كنماذج لهذا الفكر :

١ ـ الداعية الشيخ / محمد الغزالى وكتابه : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » .

٢ ـ الأستاذ الدكتور / عبد المنعم النمر ، وكتابه : « الاجتهاد » .

٣ ـ الإمام الشيخ / محمد عبده .

٤ ـ الدكتور / محمد حسين هيكل ، وكتابه « حياة محمد » .

٥ ـ الأستاذ الدكتور / أحمد شلبى ، وكتابه : « موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة العربية » .

٦ ـ الشيخ عبد الجليل عيسى .

وأكد المؤلف على ماسبق أن حدده بشأن المتكلمين فى « الحديث وعلومه » عن غير تخصيص فيهما مكرراً أنه يناقش عملاً علميا دون قصد إلى إساءة شخصية وحتى لا يستخدم دافع « الإساءة الشخصية » المتوهمة سلاحا ضد المتخصص الذى يناقش الهفوات فى ضوء العلم وحسبه فى ذلك قوله : « إننى شخصيا أحسن الظن بهم جميعاً وادرك عن قناعة أن لهم فضلاً فى إثراء الثقافة على ساحة أمتنا الإسلامية المترامية وإنما هو العمل العلمى المجرد الذى يعتمد على الأدلة العلمية من مصادرها كما يعتمد المنطق الذى يتوافق مع طبائع الأشياء » ..

واستطرد فقال : والمتأمل فى أحوال هؤلاء القوم يجد أن بينهم وبين العلم المتعمق فى السنة وعلومها بونا شاسعا ، وليس بينهم وبينها من صلة إلا بمقدار قراءتهم لها فيما تمس الحاجة إليه منها ثم عرج إلى بيان تخصص بعضهم الذى هم أولى بالحديث فيه وترك السنة لأهلها .

ثم بدأ فضيلته حديثه عن الداعية الشيخ / محمد الغزالى وكتابه : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » ، وقال :

« والمتتبع لكتابه يجد أن فيه كثيراً مما يلفت نظر المسلم الغيور على سنة نبيه ﷺ لخطورة ذلك فى بابه وخروجه عما قرره الكافة من أهل العلم هذا إضافة إلى خلو الكتاب من المنهج العلمى والتزامه الأسلوب الأدبى فلم يحفل بتوثيق الأخبار وعزو القضايا إلى مصادرها باستثناء القرآن الكريم : وقال أيضاً : « وكتابه على صغر حجمه قد أفرغ فيه كل مايحمله صدره من فكر معاد لكثير من السنة ورجالها » ، كما ذكر فضيلته أيضاً إسراف الداعية الشيخ الغزالى فى الحديث

بين دعـاة الفتنـة وأدعياء العلم

عن نفسه والاعتداد بها وتناقضه مع نفسه واستهانته ببعض الشعائر الدينية الثابتة ومغالطته للقارىء ، وأنه أخطأ فى بعض القواعد العلمية واستخدم الهوى فى قبول بعض الأحاديث أو ردها ، مما لايدع مجالاً للشك فى تعنته نحو السنة ورجالها .

ثم ذكر فضيلته المبادىء التى تتبع فيها الداعية الشيخ الغزالى غيره فكريا من أصحاب دعاة الفتنة ، وحصرها فيمايلى :

١ ـ أخذه بالرأى أحيانا فى مواجهة النص الثابت من السنة .

٢ ـ عدم احتجاجه بأحاديث الآحاد وأثر ذلك على بعض القضايا وناقشه مناقشة علمية هادفة فى أكثر من عشرين حديثا ، مدللا على فساد هذه الفكرة ، كما ناقشه فى فكرة « نفى القدر » التى تبناها وبين أن صلب هذه الفكرة يرجع إلى أصول المعتزلة والرافضة كما بين أن فكرة « حرية الإرادة » فكرة مستمدة من المدعو « سوس » أخذها عنه « معبد الجهنى » ، ثم أخذها « غيلان القدرى » عن معبد .

كما أخذ عن الحارث الكذاب أيضاً ، ثم بين أن الشيخ قد وقف أخرا أمام بعض النصوص التى تؤيد القدر فلم يستطع تأويلها إلى ما يريد .

٣ ـ التنديد ببعض الصحابة والتابعين ، فقد خطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وندد بخباب ابن الأرت وسلمان الفارسى رضى الله عنهما ، كما عرض بتميم الدارى رضى الله عنه ، وبين الأدلة العلمية أنه غير محق فى ذلك وفى تخطئة نافع رضى الله عنه والتنديد به ، وكان قد سبق للشيخ أن وقف أمام بعض الصحابة كعائشة رضى الله عنها وبعض الأئمة كالإمام أحمد وابن تيمية ورجح رأيه عليهم .

٤ ـ الحكم على الأحاديث وفق الظروف والملابسات .

٥ ـ التشكيك فى الإسناد ، قال : « إن العنعنات التى تُقْبَلُ بها المرويات ... وكذلك الأحاديث الصحفية إنما يحفها من قرائن النشر والإقرار أو الرد يجعل الثقة بها أقرب[٥] .

٦ ـ التشكيك فى السنة : قال : « إن ركاما من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم وركاما مثله من الأحاديث التى صحت[٦] ... إلخ » .

٧ ـ الطعن فى البخارى ومسلم ، قال : « وعندى أن ذلك المسلك الذى سلكته أم المؤمنين ـ يقصد : احتجاجها بالقرآن ، وهو قوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ على رد حديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ـ والحديث وارد فى الصحيحين[٧] يصلح أساسا لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٨ ـ تملق المرأة بغير ما شرع الله ، من ذلك القوامة ، الخلافة العظمى ، الدية والقصاص ، وبين المؤلف بالأدلة وجه الحق فى ذلك .

٩ ـ التنديد بالمحدثين وإطلاق الألسنة فيهم ، وذلك كثير فى كتابه ، ومنه قوله : « وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل وهذه سوءة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء المحققون » وقال فى حق الإمام النووى : « وقد رأيت الجهل بالقرآن الكريم يبلغ حدا منكورا عند شرح حديث مسلم ... إلخ »[٨] .

هذا وقد ندد بكثير من أئمة الحديث أيضاً

(٥) الشيخ الغزالى ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص(٦٥) ط دار الشروق سنة ١٤٠٩ هـ .
(٦) نفس المرجع ص ١١٩ .
(٧) نفس المرجع ص ١٧ ، ١٨ وانظر الصفحات ٢٢ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ١٢٨ .
(٨) نفس المرجع ص ١٩ ، ٢٠ .

كالإمام المازرى والإمام ابن خزيمة والإمام المنذرى والإمام الصنعانى والقاضى وأئمة الكتب الستة وغيرهم إما تلميحاً أو تصريحا ، ثم ذكر المؤلف واقعة علمية تدل على أن علماء السنة ـ لما لديهم من الإحاطة الشاملة بالمرويات ـ أعلم بغيرهم من الأحكام لعلمهم لعلل المرويات وعلوم الحديث وعلم الجرح والتعديل . وغير ذلك من الأمور التى تلزم للمحدث .

١٠ ـ الاعتماد على القرآن وحده فى قبول الحديث : وذلك واضح لمن يقرأ كتابه بدون عناء يذكر ، ملتمساً فى ذلك العذر للشيخ وانه التأثر السريع بفكرة عابرة قد لا يستطيع المرء دفعها عن نفسه وذلك لا يقلل من قدر الشيخ أو مكانته الأدبية والعلمية منزها ساحته عن اعتقاد هذه الأصول المنحرفة عند أربابها .

ثم انتقل فضيلته إلى مناقشة الدكتور / عبد المنعم النمر فى كتابه « الاجتهاد » الذى نفهم من نصوصه : « إن السنة غير ملزمة بإطلاق ، وأن الرسول ﷺ لم يكن محروسا بالوحى فى كل أحيانه وأن لنا أن نجتهد فى قضية حكم فيها ومات على ذلك ، ونخالفه فى حكمه عملاً بالمصلحة العامة . ثم بين الدكتور / عبد الموجود أصل هذه الفكرة وأنها لِبَكُر من المتكلمين كما بين بالأدلة انها فكرة ممسوخة شاذة آثمة ، لانها تحقق كمال الانفصال بين الأمة وبين الاقتداء بنبيها صلى الله عليه وسلم فى كثير مما يقول ويفعل والله تعالى يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ وانها فكرة ادخل فى باب الإثم ؛ لانها تقف صاحبها من الرسول ﷺ موقف الند للند فتخطئه فى أحكامه وتخالفه فى قوله وفعله وقد جاء النهى عن ذلك صريحا فى كثير من آيات الكتاب المبين ، كما ناقشه فى القضايا التى جاء بها استدلالا على صدق دعواه وفكرته وبين وجه الحق فى ذلك .

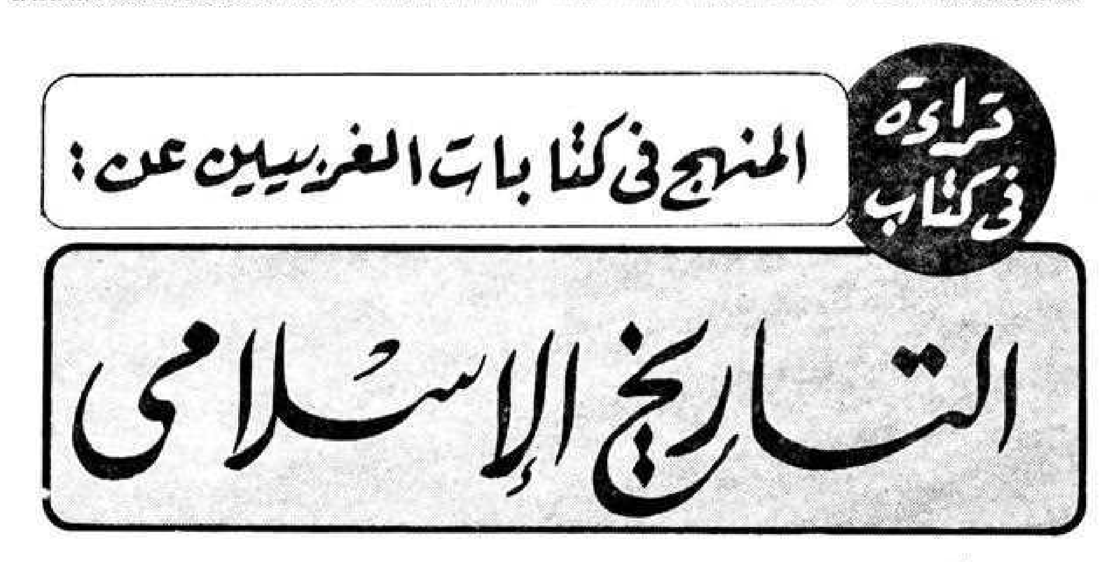
ثم انتقل فضيلته لمناقشة قضية حديث الآحاد وقضية السحر عند الإمام الشيخ محمد عبده مما جعله يطعن فى صحيح البخارى ، وقد بين بالأدلة أن النبى ﷺ قد سحره لبيد بن الأعصم وأن ذلك لم يؤثر على سير الوحى ، لأن الموحى والضار فى الحقيقة واحد وهو الله سبحانه ويستحيل ان يوحى إليه وهو فى حالة سحره .

كما ناقشه فى الأدلة التى ذكرها مبينا أن هذه الأدلة لا يصلح إيرادها فى هذا المجال لتعلقها بأمور اخرى .

ثم انتقل فضيلته إلى مناقشة الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه : « حياة محمد » وإنكاره شق صدر النبى ﷺ وإنكاره تحقق الإسراء والمعراج بالجسد ، وغيرهما مما كان فى نظر هيكل مخالفا ، كل ذلك بالأدلة العلمية نقلية كانت أم عقلية ، مبينا مشاركة الداعية الشيخ محمد الغزالى له فى نفى الرؤية وشق الصدر .

ثم انتقل إلى مناقشة الدكتور / أحمد شلبى والشيخ / عبد الجليل عيسى فى إنكارهما رؤية الرسول ﷺ ربه عز وجل ثم تبين تناقض الدكتور / أحمد شلبى فيما ذهب إليه ، كما ناقشه فى تأويله للآيات المرئية الثابتة فى الأحاديث وطعنه للبخارى ومسلم . وبخاصة حكمه بالوضع على حديث فرضية الصلاة ليلة المعراج معتمداً على رأيه فى أن ذلك من وضع اليهود ، لأن موسى أوقف محمداً عليهما الصلاة والسلام عدة مرات وبين بالأدلة أن ذلك غير جائز فى حق الأنبياء لانهم جميعاً كما يقول الرسول ﷺ « إخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد » وكلهم جاء لإقامة الدين الواحد وهو الإسلام وإن كان ذلك قد تم على فترات متباعدة وفق ظروف كل أمة وأحوالها .

كما ناقشه فى تنديده بالمحدثين ، وبين بالأدلة العقلية والنقلية فساد هذه الاتجاهات وأن الأخذ بالأحاديث الصحيحة هو الحق وانه الذى يوافق العقل والمنطق كما يوافق ما جاء به القرآن الكريم .



للدكتور
عبد العظيم الديب

عرض وتحليل
أحمد تقي الدين

قدمنا في العدد الماضي عرضا يعطي القارىء فكرة عن أهداف المستشرقين، وتطور الدراسات الاستشراقية متصلا ذلك اتصالا وثيقا بطائفة من كتابنا وظيفتهم إذاعة ما يقولون والترويج له، ونعرض اليوم لمنهجهم الذي تحدث عنه الكاتب من جانبين :

(أ) المنهج من حيث الشكل الخارجي .

(ب) المنهج من حيث استكمال شروطه والالتزام بقواعده .

فبالنسبة لجانب المنهج من حيث الشكل نجد الاهتمام بتاريخ الفرق والصراع بينهما وعوامل نشأتها ومحاولة إثارة أخبارها ووضعها في بؤرة الشعور لدى الأمة الإسلامية : والعناية بتاريخ الزندقة والزنادقة وإبرازهم في صورة أصحاب فكر حر وقادة للفكر ، ولهم في هذا الباب داب

عجيب غريب مثل موقف المستشرق هنري كوربان الذي عكف على دراسة مؤلفات « السهروردي » ذلك الزنديق الذي عاش زمن الحروب الصليبية ولم يتورع عن أضاليله وأباطيله التي كان ينفثها في المجتمع الصامد المثابر المصابر أمام الهجمة الصليبية الشرسة مما استحق عليه القتل جزاء زندقته .

وقد تلقف كاتب « مسلم » عربي أفكار « كوربان » فطالعنا « بعنوان بارز لإحدى مقالاته : (إعدام حكيم الإشراق كان أبشع ما اقترفته يدا صلاح الدين الأيوبي) .

● **القفز وراء العصر الإسلامي :**

ويتبع المنهج الاستشراقي كذلك القفز وراء العصر الإسلامي والاهتمام بالتاريخ القديم لأقاليم دار الإسلام إحياء للفرعونية والبابلية

والآشورية والفينيقية[1] ونحوها إثارة للنعرات الإقليمية وتمزيقا لجسد الأمة الإسلامية، ويستدل المؤلف على صحة ما يقول بعرضه لجدول أعمال أحد المؤتمرات الدولية الدورية التى يعقدها المستشرقون وهو المؤتمر الخامس عشر الذى انعقد فى كوبنهاجن سنة ١٩٠٨ حيث كان جدول أعمال هذا المؤتمر على النحو التالى :

١ ـ التاريخ البابلى . ٢ ـ آثار مصر التاريخية . ٣ ـ تاريخ مصر القديم واكتشاف البردى . ٤ ـ المدافن الملكية من السلالة الرابعة عشرة . ٥ ـ المدافن الملكية من السلالة الخامسة . ٦ ـ اكتشاف الكرنك . ٧ ـ أميرات مصر وملكاتها القديمات . ٨ ـ ما بين الكتب المقدسة والآثار المصرية . ٩ ـ مشروعات اليهود الدينية . ١٠ ـ حفريات اريحا والآثار الكنعانية . ١١ ـ النظام الكنائسى فى آسيا فى القرن الرابع عشر . ١٢ ـ رسوم الملك جوستينيان . ١٣ ـ فضل الكنيسة فى إبطال الرق فى القرون الوسطى . ١٤ ـ تاريخ الشرق والإسلام . ١٥ ـ اقتصاد العرب المالى فى يد الفتح المصرى . ١٦ ـ تاريخ بنى إسرائيل . ١٧ ـ هيكل جزيرة أسوان وآثارها المكتشفة .

وقد بذلوا جهودا مضنية فى البحث والتنقيب والدراسة والإشادة بهذه الحضارات البائدة والتنويه بشأنها وإغراء كل إقليم بماضيه القديم .

● **تمزيق تاريخ الأمة المسلمة :**

ويحذر الباحث بنى قومه والمسلمين من المستشرقين وقد عمدوا كذلك إلى تمزيق تاريخ الأمة الإسلامية طُولاً وعَرْضا بتقسيمه طولا إلى تواريخ أسر : الأموية ، والعباسية ، والمماليك ، والعثمانيين ، إلخ .. وعَرْضا بتقسيمه إلى تواريخ أقاليم ومناطق بمدها فى العمق قبل الإسلام لإثارة عوامل الفرقة ومظاهر الاختلاف .

كذلك عمد المستشرقون إلى اختزال تاريخ الإسلام والمسلمين فقد ألفت كتب كثيرة فى تاريخ العالم أو تاريخ الحضارة الإنسانية وكان مؤلفوها الغربيون يختزلون تاريخ الإسلام والمسلمين اختزالا يوحى بقيمته ومكانته فى نفوسهم ، بل يوحى بانحراف منهجهم وسوء قصدهم ويكفى مثالا على ذلك الكتاب الذى كتبه (هـ . ج . ويلز) باسم (معالم تاريخ الإنسانية) وترجمه إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ، ولا نجد فى الكتاب إلا تاريخ الجاهليات والوثنيات ، أمام تاريخ الإسلام وأثره فى معالم تاريخ الإنسانية فلم يذكره إلا بفصل من (٥٣) صفحة ، والسر فى ذلك أنهم دائما يكتبون التاريخ من مركز الدائرة الأوروبية ، أى ينظرون من زاوية أوروبية وبعيون أوروبية فتاريخ العالم هو تاريخ الغرب وأما ما سوى الغرب ، فهو لايذكر إلا بمقدار ما يتصل بالغرب أو يتأثر به أو يأخذ عنه ، فما سوى الغرب نقاط متناثرة حول صلب التاريخ وعموده .

ثم يتناول الكاتب ـ الجانب الثانى ، أعنى : المنهج من حيث استكمال شروطه والالتزام بقواعده فيحصر المآخذ المنهجية فى كتابات المستشرقين فى الجوانب التالية :

١ ـ الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث .
٢ ـ عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة .
٣ ـ التعسف فى التفسير والاستنتاج .

---

(١) مجلة الأزهر : لا نشك فى نجاح الاستشراق فى هذه المهمة والدليل قيام أحزاب فى بلاد عربية إسلامية لإنعاش هذه النعرات الوثنية .

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامى

٤ - التفسير بالإسقاط .
٥ - منهج العكس .
٦ - التشكيك فى الدليل القاطع والتعامى عنه .
٧ - التحريف والتزييف والادعاء .
٨ - إصدار أحكام قاطعة بغير دليل أصلاً .
٩ - الاختلاق والتمويه .

● الخضوع للأهواء - وهو يبدو - جليا فى تحديدهم الغرض أولا والنتيجة مسبقا . على أن شرط المنهج الأول وأساسه التجرد من الأهواء وعدم الوقوع تحت سلطانها فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات ما يوافق هواه ونفى ما عداه .

● عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة ، والدليل عليه عدم إدراكهم .

واللغة والإحاطة بأسرارها مع أن شرط البحث ونزاهته تقتضى هذا الإدراك[٢] .

ويعرض الباحث نموذجا لأخطاء المستشرقين الناتجة عن عجزهم عن تمثل الثقافة واللغة العربية منها ما أورده المستشرق الانجليزي (مونتجمرى وات) فى كتابه محمد فى المدينة حيث علق على قول الله تعالى فى سورة النور : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بأنها تدعو المؤمنات إلى التواضع !! يقول الدكتور عبد العظيم الديب « هكذا يرى أن هذه الآية تدعو إلى التواضع ولسنا نرى من اين جاءه هذا المعنى مع أن السياق يشير إلى أن الأمر بغض النظر هنا هو عدم النظر إلا ما لا يحل نظره من الأجنبى ، ولا علاقة لهذا بالتواضع » .

● التعسف فى التفسير والاستنتاج :

ويعرض المؤلف لونا آخر من الوان خيانة المستشرقين لمنهج البحث العلمى وهو ما أسماه بـ (التعسف فى التفسير والاستنتاج) فمن الممكن الا يكون اللفظ العربى مستعصيا مستغلقا من المستشرق ولكنه يميل مع هواه فيُنْطِقُ النص بما يتفق وهدفه ويشبع هواه والأمثلة على ذلك كثيرة لا تقع تحت الحصر يذكر منها المؤلف مثالا للمستشرق الذى يصفه البعض بالإنصاف وهو (مونتجمرى وات) وذلك حين يفسر أمر القرآن الكريم للمؤمنين بالاستئذان قبل دخول بيوت غير بيوتهم وأمر المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار ، يفسر ذلك بانحطاط فى مستوى الأخلاق كان النبى ﷺ بحاجة إلى السمو به .

ويتساءل المؤلف (من اين اتى بهذا الاستنتاج ؟ وهل تسمح النصوص القرآنية الكريمة بأن يستنتج منها هذا الاستنتاج العجيب ؟! هل إذا كانت الاخلاق غير منحطة يسمح بدخول بيوت الغير بدون استئذان ؟؟ وهل إذا نصح هذا المستشرق ابنه وهو يؤدبه ويعلمه ألا يدخل بيتا غير بيته إلا بعد أن يستأذن أيدل ذلك على انحطاط مستوى أخلاق ابنه ؟ وعلى انحطاط مستوى أخلاق مجتمعه) .

● التفسير بالإسقاط :

ويعنى به المؤلف (إسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة فى أعماق التاريخ) حيث يقوم المستشرقون بتفسيرها فى ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم فمثلا نجدهم يتناولون بيعة أبى بكر الصديق يوم السقيفة

---

(٢) مصداقا لما يسوقه د / عبد العظيم الديب أسوق ما قاله لى الأستاذ أحمد حسن الزيات الأديب المعروف ، ورئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق ، وصاحب مجلة « الرسالة » قال : « ثقافة المستشرقين قاموسية » .

والعبارة واضحة فى الحكم عليهم من حيث قيمة إدراكهم للغة .. (الخطيب)

وكأنهم يحللون انتخاب الرئاسة فى أمريكا بألاعيبها وفضائحها الحزبية ويفسرون خروج طلحة والزبير على علي رضى الله عنهم جميعا بأنه خوف على ثرواتهما التى جمعاها أثناء الفتوح من غنائم الفرس والروم ، وكأنهم ينظرون إلى الصراع بين شركات الصلب او شركات السلاح ، ومؤسساتهم الراسمالية الضخمة التى تصارع للتأثير على السلطة وعلى صناعة القرار ، مع أن أول وابسط قواعد تفسير النصوص وفهمها هو المعرفة التامة لروح العصر ولما يسمونه (جو النص) ، ثم المعرفة بحياة قائل النص : نشأته ، وثقافته ، وحياته ، واعماله .. وهذه المبادىء يتعلمها المبتدئون ، وفى الصفوف الأولى من التعليم المتوسط .

لكن هؤلاء المستشرقين يغضون الطرف عن قواعد المنهج ، بل يدوسون قواعد المنهج ويمتهنونها .

● **منهج العكس :**

ونعنى به نظر الباحث فى النصوص والوثائق والروايات ليأخذ منها ادلته وتصوره حسب ما تعطى من مضمون لكن الذى يحدث هو عكس ذلك تماما ، وها هو (ويل ديورانت) فى كتابه (قصة الحضارة) لا يعجبه أن المؤرخين فى كل ما كتبوه صوروا هارون الرشيد ورعا متمسكا أشد التمسك بدينه ، وكان يحج مرة كل عامين ويصلى اليوم مائة ركعة نافلة مع الصلوات المفروضة فيرى - أى ديورانت - أن هذه الصورة غير الصورة المعروفة عن هارون الرشيد حيث صورته قصة الف ليلة وليلة فى صورة الملك المرح ، ولكن هذا المرح اغضب المؤرخين فصوروه فى صورة الورع المتمسك بالدين ، اى أن كل المؤرخين فى نظر (ديورانت) كاذبون مزيفون ساءهم مرح هارون الرشيد فاخترعوا له صورة معكوسة عكس الواقع !!

فترى ديورانت يترك الدليل التاريخى[٣] إلى « الف ليلة وليلة » ذات القصص الخيالى .

● **التشكيك فى الدليل القاطع والتعامى عنه :**

يقول المؤلف : (فحينما يكون الدليل قائما على الراى أو الحكم الذى لا يوافق هوى المستشرق تجده يتعامى عنه ويتجاهله ويشك فيه حتى لو كان صحيحا بين الصحة) .

ويدلل الدكتور الديب على صحة رأيه بعرض نماذج لبعض المستشرقين نكتفى منها بالنموذج الذى ساقه من (ويل ديورانت) مؤلف (قصة الحضارة) ، فهو يقول عن النبى - ﷺ - (وقد اعانه نشاطه على أداء واجبات الحب والحرب ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة) . ويحلل المؤلف هذا النص بقوله : التعبير بـ (ظن) يريد به أن ينفى صحة الخبر ليبرىء اليهود بالتالى من جريمة محاولة قتله - ﷺ - بالسم ومن قتل الصحابى الجليل الذى أكل معه .

وهذا الخبر (خبر دس السم) موجود مشهور فى مصادر السيرة النبوية المختلفة أورده ابن هشام وأورده ابن سعد .. ورواه البخارى ومسلم .. وفيه اعتراف اليهودية بدس السم وعفو الرسول - ﷺ - عن هذا الجرم الفظيع مع موت الصحابى الجليل البراء بن معرور بهذا السم .

ومع ثبوت هذا الخبر ووفرة مصادره تأبى الأمانة العلمية والحيدة الأكاديمية ومنهج البحث

---

(٣) كلمة أخرى للتاريخ . كان الدكتور إبراهيم اللبان عميد دار العلوم الأسبق يعتبر ديورانت هذا (دجالا) لأمر واحد هو انه كتب فى غير تخصصه ، فكتب قصة ولم يكتب واقعا .(الخطيب)

قـــراءة فى كتاب

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامى

على هذا المستشرق العتيد إلا أن يزيف ويحرف فينكر الخبر وينسب الحادثة فى إيجاز بارع إلى مجرد ظن ووهم . رسول الله - ﷺ - أرفع منهما ؛ فقد أخبر ، وهو - عليه السلام - لا ينطق عن ظن ولا هوى . عليه الصلاة والسلام .

● **التحريف والتزييف والادعاء :**

ويبدو هذا فى محاولة إنكارهم عالمية الرسالة ، وأن النبى - ﷺ - كان مبعوثا للناس كافة ، وفى سبيل ذلك يجمعون من الأدلة ما يركبون فى سبيله كل صعب وذلول[4] ، حيث أنكروا رسائل النبى - ﷺ - إلى ملوك العرب والعجم ، وفى سبيل هذا الإنكار يتصدى (كيتانى) لخبر الرسول والرسائل فى سيرة ابن هشام فيشكك فيه مدعيا أن ابن هشام لم يورد لابن إسحاق مصدره الرئيسى خبرا عن الرسائل ، واعتبر (كيتانى) ذلك سكوتا من ابن إسحاق وبالتالى إضعافا للخبر .

ويقدم المؤلف الدليل الدامغ على زيف ادعاء كيتانى وتحريفه للحقائق فيلفت النظر إلى أن السيرة النبوية لابن هشام مطبوعة وبأيدى الناس وفى وسعهم أن ينظروا إليها ليجدوا أن ابن هشام أورد خبر الرسائل بروايتين إحداهما لابن هشام بسنده عن أبى بن الهذلى ، والثانية لابن إسحاق بسنده عن يزيد بن حبيب المصرى[5] .

● **إصدار احكام قاطعة بغير دليل اصلا :**

ويرى الدكتور عبد العظيم ان المستشرقين يظهرون مهارة فائقة فى إصدار الأحكام بصورة قاطعة لا تردد فيها ولا احتمال وفى جملة موجزة بدون حشو يوحون للقارىء أن المسألة مفروغ منها ، وأنها يقين وبدهية من البدهيات .

وفى هذا المصدر يقدم المؤلف نموذجا للمستشرق (مونتجمرى وات) فى كتابه (محمد فى المدينة) حيث تحدث عن مجتمع المدينة ونظام الزواج والصداق فقال (وكان يقال فى الإسلام ان المهر كان ملك المراة ، ولكن لم يطبق ذلك) هكذا يطلق الحكم فى جملة واحدة (ولكن لم يطبق ذلك) ويمضى مطمئنا وكأنه لم يصنع شيئا ولم يتهم مجتمعا بأكمله بأنه لم يطبق الشريعة التى كان يعيش بها ولها ويقاتل فى سبيلها ويجاهد من اجلها يلحق ذلك بقضية اخرى زيف فيها الأدلة على وجود المهر وتشريعه أصلاً ، وتجاهل آيتين من سورة النساء أمام عينيه وتعسف فى توجيه وتفسير آيات أخر فيقول (ولا يذكر القرآن المهر إلا بصورة عارضة عند ذكر الطلاق) .

● **الاختلاق والتمويه :**

ونأتى لآخر المآخذ المنهجية التى أخذها المؤلف على المستشرقين وهى (الاختلاق والتمويه) حيث يؤكد انها آفة الآفات وذلك حيث يشير المستشرق إلى مصادر استقى منها ومراجع رجع إليها ويعينها بالجزء والصفحة وهو مختلق ذلك اختلاقا ومن أبرز الأمثلة التى يسوقها

---

(٤) وتبعهم فى ذلك د / خلف الله فاذاع نفس الفكرة ، وتطوعت صحيفة الأهرام راضية بنشر ثبيات افكاره نقول : ثبيات لانها ليست من بنات افكاره ، والدليل بين يدى القارىء ، وامتنعت الاهرام عن نشر رد الازهر بنفس المكان الذى نشرت فيه هذا الغثاء .. (الخطيب) .

(٥) نلاحظ بالنسبة لسيرة ابن إسحاق انه قد عثر على اجزاء كثيرة منها بالمغرب ، قامت حكومة المغرب مشكورة بطبعها ، واصبح يسيرا جداً البحث لمن اراد .

الدكتور الديب فى هذا الصدد ما أورده مونتجمرى وات فى كتابه (محمد فى المدينة) حينما يتحدث عن نظام الزواج فى الإسلام ، فيقول (ونعلم من الأخبار أن محمداً دافع عن (الشغار) وهو أن يتبادل رجلان أو جماعتان من الرجال بدون مهر بناتهم وأخواتهم من أجل الزواج ثم يشير فى الهامش مسنداً ذلك إلى البخارى .. كتاب النكاح ـ مما يوحى بأنه اعتمد فى تقرير هذا الحكم على ما رواه البخارى موهما القارىء أنه رجع إلى البخارى واستند فى ذلك إليه . والطالب الشادى والمسلم العادى سيدرك لأول وهلة كذب (مونتجمرى وات) فى هذا الكلام ، فالجميع يعرفون تحريم نكاح الشغار شرعا ويقدم المؤلف الدليل العلمى على كذب إدعاء (مونتجمرى وات) مؤكدا على أن البخارى لم يورد فى كتاب النكاح باب ٦٧ الذى حدده (وات) شيئا عن (الشغار) وإنما هذا الباب من أبواب كتاب النكاح بعنوان (باب الوليمة حق) وفيه حديث واحد عن وليمة عرس النبى ـ ﷺ ـ بزينب بنت جحش رضى الله عنها .

أما الشغار فهو الباب رقم (٢٨) من أبواب كتاب النكاح فى البخارى وليس (٦٧) كما زعم (وات) ؛ يقول د . الديب : (وإذا تجاوزنا هذا التضليل وأحسنا الظن واعتبرناه خطأ مطبعيا أو سبق قلم ، فكيف نتصرف فى الموضوع ؟ أعنى كيف نفسر استدلاله بالبخارى على ما ادعاه من أن محمداً ـ ﷺ ـ (دافع عن الشغار) مع أن الذى فى باب الشغار بالبخارى حديث واحد عن ابن عمر رضى الله عنهما ، ونصه : (نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن الشغار . والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق ، انتهى بنصه) .

ويندهش الدكتور الديب من مسلك (وات) عندما رجع إلى معجم (لين) لتفسير (شغار) مع أن تفسيره وارد فى البخارى وهذه أيضا من عجائب المنهج ، أن يرجع فى تفسير اللفظ العربى إلى معجم (لين) المستشرق الأعجمى مع أن أمامه تفسير ابن عمر ، وأوليات المنهج وأبجدياته تفرض عليه أن يعتمد تفسير (ابن عمر) لا تفسير (لين) ، ولكن المنهجية المدعاة دفعته إلى أن يدعمها برجوعه إلى معجم لغوى بجانب البخارى ولله فى خلقه شئون .

● **خاتمة المطاف :**

وفى الخاتمة يطرح المؤلف عدة تساؤلات وهى :

ـ هل هناك مستشرقون منصفون غير من هداهم الله إلى الإسلام ؟

ـ هل يلام المستشرقون على ما قاموا به من أعمال ، وما بذلوه من جهود فى سبيل هذه الدراسات والأبحاث التى قدرت عدداً بستين ألفا ؟

ثم هل للمستشرقين فضل على تراثنا بما قاموا به من حفظ وصيانة ما استولوا عليه من مخطوطات ثم ما بذلوه من جهد فى فهرسته وتحقيقه ونشره ؟

يجيب المؤلف عن السؤال الأول مؤكدا أنه ليس فى هؤلاء المستشرقين من يستحق أن يسمى عالما أو باحثا .

وعن التساؤل الثانى يؤكد المؤلف أن الاستشراق لا يذم على ما فعله لأنه بلا شك يرى أنه أدى ما عليه لبنى جلدته أحسن أداء وأتمه ونصر أهل دينه وأخلص لهم كل الإخلاص فى صدهم عن الإسلام وكافح فى سبيل هدفه بكل سلاح أما الذى هو حقيق بالذم والمعابة فهو العربى أو المسلم العاقل الذى ظن نفسه عاقلا ، والبصير منا الذى يظن نفسه بصيرا ثم لا يكاد عقله يدرك شيئا هو أبين بيانا من البدائه المسلمة ولا يكاد بصره يرى ما هو أظهر ظهورا من الشمس الساطعة .

قراءة فى كتاب

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامى

اما السؤال الأخير فيجيب عنه الدكتور، عبد العظيم بقوله : (لا ننكر اننا استفدنا من اعمال المستشرقين فى مجال التراث (التحقيق والنشر والفهرسة) فذلك أمر واضح للعيان لا ينكره إلا مكابر . ولكن هذه الاستفادة عرضية تبعية ، تشبه تماما استفادة أهل الهند وأهل مصر الآن ، من المنشآت التى اقامها المستعمرون ، فقد شقوا فى الهند الطرق وأنشأوا السكك الحديدية لنهب خامات الهند وثرواتها ، واقاموا فى مصر القناطر والسدود واصلحوا الترع ، والقنوات من أجل أن تزود مصانعهم .. بالقطن المصرى ، فهل يقتضى ذلك ان الهندى إذا ركب قطار السكة الحديد ، ذكر الاستعمار وشكره وأن المصرى إذا استقى من الترع والقنوات سبح بحمد (كرومر) ومجد عمله ، والاستعمار الذى كان يمثله ؟ إن هذا لعمرى غريب عجيب ! ولكنه الإفساد الثقافى ، والتدمير الفكرى الذى تعرضت له أمتنا ، أعانها الله على أمرها) .

● **تعقيب :**

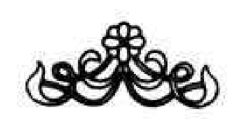
فى نهاية الرحلة مع هذا الكتاب القيم لا يسعنى إلا القول بأن هذا المؤلف يمثل ولاشك إضافة علمية بالغة الأهمية ابتعد فيها المؤلف عن استخدام الصيغ الإنشائية التى اعتاد الكثير من كتابنا ـ مع الأسف ـ الإغراق فيها مستعيضا عنها بعرض موضوعى ذى عبارات سهلة بسيطة .

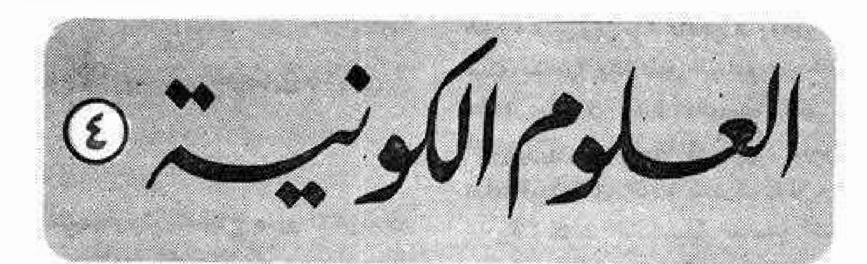
وامتازت الدراسة بوضوح عناصرها ودقتها بشكل عام وكم كنا نود أن يكثر من ذكر المستشرقين والنماذج التى عرضها من مؤلفاتهم والا ينحصر عمله فى سبعة مستشرقين فقط هم (فان فلوتن) (مونتجمرى وات) ، (ول ديورانت) ، (باول شيمتز) (جاك بيرك) (دونالد مالكولم) و(هنرى لا مانس) .

كذلك نود ـ والمؤلف ثقافته الإسلامية عميقة الجذور ـ الا ينتهى من هذا الموضوع بما أثاره فى كتابه ، فليس من شك فى أن تحت يده ذخيرة مما جمعه لبحثه هذا . وكم هو جميل ـ فى خدمة الإسلام ـ أن يمضى إلى مُؤَلَّف آخر يكشف فيه ـ على ضوء ما قدم من مناهج القوم ـ أعمالهم فيحيط القارىء المسلم بحاجتين :

الأولى : انه يسلط الضوء قويا على (الاتباع) من العرب وغيرهم الذين يعيشون على موائد هؤلاء المستشرقين ، ويرددون دعاواهم مغتبطين بالتخمة التى تنالهم ، ويكتسبون صفة (المفكر الإسلامى) حين يعرضون بضاعتهم المزجاة فيعلم القارىء المسلم ـ بمجرد ـ قراءته أن هذه الكلمة (لفلان) هى كلمة المستشرق (علان) .

الثانية : أن يكون لدى المسلم ثبت بهؤلاء المستشرقين وأرائهم ، وفقنا الله وإياه .





في التراث الإسلامي

أ.د. أحمد فؤاد باشا

علـم المناظـر (البصريـات) :

علم المناظر أو البصريات Optics هو أحد العلوم الفيزيائية الذى يعنى بدراسة طبيعة الضوء وخواصه «وتقنياته» .

وقد عرفه حاجى خليفة بأنه «علم يتعرف منه على أحوال المبصرات فى كميتها وكيفيتها ، وما يتوسط بين الناظر والمبصرات وغلظته ورقته ، وعلل تلك الأمور . ومنفعته : معرفة أحوال الإبصار ، وتفاوت المبصرات والوقوف على سبب الأغاليط الحسية الواقعة فيها ويستعان بهذا العلم على مساحة الأجرام البعيدة والمرايا المحرقة أيضاً »(١) .

ويكتسب علم المناظر أهمية خاصة لأن أى تقدم يحرزه المتخصصون فيه يؤثر تأثيرا مباشرا على باقى فروع العلوم الطبيعية والتطبيقية ، فما تقدمت علوم الفلك والفضاء والكيمياء والطب والصيدلة والجيولوجيا والنبات والحيوان وغيرها إلا نتيجة لتقدم أبحاث الضوء وتقنية الأجهزة البصرية .

وتقتضى أمانة السرد التاريخى لعلم المناظر أن نبدأ من مرحلة العلم القديم ، حيث كانت آراء فلاسفة الإغريق أول ما وصلنا فى تعريف طبيعة الضوء وتفسير عملية الإبصار .

فقد قال «أفلاطون» بنظرية الشعاع القائمة على أساس أن إبصار الموجودات يتم بخروج النور من عين الإنسان ، فيحيط بالأشياء ويتم إدراكها بالرؤية المباشرة .

لكن «أرسطو» خالف أستاذه فى هذه النظرية

(١) حاجى خليفة ، «كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون» ، اسطنبول ١٣١٠ هـ .

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

وقال : إن الإبصار يتم بانطباع صور الأشياء فى البصر ، فترى العين تلك الأشياء دون أن يرد منها شىء للعين ، إذ ليس للضوء ـ بحسب زعمه ـ وجود فى ذاته .

أما «ابيقور» فقد تخيل أن المرئيات ليست سوى أشباح أو صور تنخلع عنها وتنبعث منها بصورة مستمرة ومتصلة ، ويتم الإبصار بورود هذه الصور إلى العين .

وهناك أيضاً «الرواقيون» الذين ذهبوا فى تأملاتهم إلى القول بأن الإبصار لا يكون إلا بالاتصال المادى بين العين وبين الجسم المرئى ، وذلك بأن يخرج من العين شعاع على شكل مخروط رأسه عند العين وقاعدته عند الجسم المرئى ، فإذا لمس هذا الشعاع جسما ما حدثت الرؤية ، وقد شاع هذا الرأى حتى سمى انصاره «بأصحاب الشعاع» .

وهكذا نرى تعدد نظريات الإغريق فى طبيعة الضوء وتفسير الإبصار ، وهذا شىء طبيعى إذا ما فهمناه فى إطار علاقة التوازى بين مراحل تطور العلم ومراحل تطور التفكير ونمو القدرات العقلية[٢] . فعندما يكون منهج التفكير السائد عقليا تأمليا فقط ، أو قياسا صوريا بحتا ، فإن كل فريق من الفلاسفة يعتقد أن ما يهديه إليه عقله ويتصوره ذهنه هو الرأى الذى لا صواب غيره ، حتى وإن بدا التفكير فى بعض الأحيان ذا صلة منطقية بالتصور السليم عن غير قصد ، مثلما جاء فى فكرة «الورود» التى قال بها الأبيقوريون وصاغوها فى صورة خيالية جعلتها تفقد قيمتها فى البناء المعرفى لنظرية الضوء .

وإذا كانت الشخصية النمطية المميزة لطفل مرحلة ما قبل العمليات Pre-operational period ـ وهى مرحلة التفكير التصورى حتى سن السابعة كما يراها بياجيه ـ تجعل منه طفل التناقضات والعجائب ، وتظهر لنا التراكيب الخاصة به على درجة كبيرة من البساطة والافتقار إلى التنظيم ، فإن تفكير علماء الإغريق فى المرحلة الصورية للعلم يكون أشبه بتفكير ذلك الطفل ، متمركزا حول الذات ، ومرتبطا إلى أبعد حد بالانطباعات الخاصة ، ومن ثم يصعب عليهم تصور الأشياء تصورا تاما مستقلا عن المحسوسات .

وكان يمكن أن تظل آراء فلاسفة الإغريق سائدة حتى عصرنا هذا ، فالقياس الصورى الذى اصطنعوه منهجا للنظر لا يسمح بتقدم العلم خطوة واحدة مهما تراكمت المعارف المستنتجة على أساسه . لكن علماء الحضارة الإسلامية استطاعوا أن يعثروا على منهج علمى جديد ، استمدوا أصوله من تعاليم الإسلام الحنيف واجتهادات علماء الأصول وطبقوه حسب ما تسمح به حالة العلم فى عصرهم ، فقفزوا بالمعرفة العلمية إلى مرحلة «ابستمولوجية» ومنهجية أرقى ، تعتمد على الملاحظة والتجربة

---

(٢) قدم «جان بياجيه» فكرة «الإبستمولوجيا الارتقائية» Genetic epistemology لنظرية المعرفة والنمو المعرفى من خلال دراساته لجوانب النمو العقلى والمعرفى عند الطفل بشكل عام .

فقد رأى أن تاريخ العلم يعمل بنفس الطريقة التى يعمل بها علم النفس الارتقائى فى دراسته لمراحل التطور العقلى عند الطفل ، ومن ثم فإنه يبنى نظريته على أساس أن الهيكل التفسيرى الذى ينظم نشوء العمليات العقلية وتطورها عند الإنسان ينطبق على تاريخ العلم نفسه . راجع فى ذلك تحليلا علميا مفصلاً قمنا به فى دراسة بعنوان : « ابستمولوجيا العلم ومنهجيته فى التراث الإسلامى ، مجلة «منبر الحوار» ، العدد ١٦ (١٩٩٠) ، ص ٦ ـ ١٨ » .

وتستخدم الفروض وصولاً إلى نتائج أعم . إنه المنهج الاستقرائى الإسلامى الذى عملوا فى حدود ثوابته الإيمانية ومتغيراته الفكرية والعملية[٣] ، فأدى بهم إلى كشوف علمية ثورية جديدة غيرت من النموذج القديم واستبدلته بنموذج أحدث يقوم على تصور واضح لنظرة الإنسان إلى ظواهر الكون[٤] .

وكان طبيعيا أن ينتقل العلم إلى مرحلة أرقى معرفيا ومنهجيا ، مثلما يتطور تفكير الطفل من مرحلة التفكير التصورى أو ما قبل العمليات إلى مرحلة العمليات العيانية أو المحسوسة -Con crete operations التى يبدو فيها الطفل وكأنه يمتلك نظاما أو نسقا معرفيا محددا ، ينظم بواسطته العالم من حوله وهذا يعنى أن العقل الإنسانى فى عصر الحضارة الإسلامية قد بلغ رشده بارتقائه من مرحلة إدراك العلاقات بين الأمور المتشابهة إلى مرحلة إدراك العلاقات بين الأمور المختلفة عن طريق «الاستقراء» وهو ما يتفق مع حالة العلم فى مرحلة اعتماد المنهج العلمى على الملاحظة والتجربة جنبا إلى جنب مع إعمال العقل وغيره من ملكات الإدراك والتفكير .

وكان الحسن بن الهيثم أحد نماذج هذه المرحلة الجديدة ، فقد استطاع بحاسته النقدية وعقليته التجريبية أن يضع حدا للخلافات القديمة التى لم تتوصل إلى اتفاق حول تعريف الضوء وتفسير عملية الإبصار ، وانطلق من مبدأ عام هو القول بوجود العالم الخارجى وجوداً مستقلا فى ذاته خارج الذهن وخارج النفس ، وأن العقل والحواس أدوات إدراكه ، ومن ثم أعزى إحساس البصر إلى عامل أو مؤثر خارجى له فى ذاته وجود عينى ، وأسماه «الضوء» ، وقال عن طبيعته : إنه جسم مادى لطيف يتألف من أشعة لها أطوال وعروض ، وما هذه الأشعة إلا حبال النور المنبعثة من الأجسام ذوات الأضواء الذاتية فحسب ، وإذا أشرقت هذه الأشعة على جسم كثيف أسخنته ، وإذا انعكست من مرآة مقعرة واجتمعت عند نقطة واحدة وكان عندها جسم يقبل الاحتراق أحرقته . وهذا التعريف لطبيعة الضوء يتفق مع ما نعرفه الآن عن الطاقة الضوئية .

واستطاع الحسن بن الهيثم أن يحيط بكل ما تفرق من آراء السابقين ويصوغها بعد تصحيحها وتطويرها فى مؤلفات عديدة اشتهر من بينها كتابه «المناظر» الذى نهل منه كل من جاء بعده ، ودعا الاهتمام العالمى به إلى وضع ترجمة لا تينية كاملة له عام ١٥٧٢ م أخذ عنها الكثير من علماء الغرب واعتمدوها مرجعا أساسيا لهم يشيرون إليها كلما تحدثوا عن علم البصريات أو صنفوا فيه الكتب والمراجع .

ومن أهم ما جاء به الحسن بن الهيثم فى هذا المجال ، وما نعتبره ثورة علمية بكل المقاييس التى وضعها فلاسفة العلم ومؤرخوه ، هو أنه اتبع منهجا استقرائيا دقيقا لتحقيق نظريته الجديدة فى الإبصار على أساس الشروط أو «المعانى» التى لا يتم الإبصار إلا بها ، وهى أن يكون الجسم المرئى مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء عليه .

وأن يكون بين الجسم المرئى والعين بعد ما .

(٣) د . أحمد فؤاد باشا «نسق إسلامى لمناهج البحث العلمى . تحديد الثوابت والمتغيرات» ، دراسة مقدمة إلى ندوة «قضايا المنهجية فى الفكر الإسلامى» ، قسنطينة الجزائر ٩ ـ ١٢ سبتمبر ١٩٨٩ ـ المعهد العالمى للفكر الإسلامى وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، والدراسة منشورة كاملة بمجلة «منبر الحوار» العدد ١٧ (١٩٩٠) .

(٤) يرى فيلسوف العلم المعاصر «توماس كون» T.Kuhn فى كتابه «بنية الثورات العلمية» أن تاريخ العلم الحقيقى تحكمه طائفة من الكشوف الثورية التى تقدم ما أسماه «بالنموذج القياسى» Paradign راجع فى ذلك :

T.S.Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, University of Chicago, 1970 .

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفا .

وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها .

وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار .

ويناقش ابن الهيثم عملية الإبصار بأسلوب المنطق والتجربة العملية ، بعيداً عن الشطحات والأوهام القديمة ، فيقول : « إن البصَر إذا أحس بالمبصَر بعد أن كان لا يحس به ، فقد حدث فيه شىء ما بعد أن لم يكن ، وليس يحدث شىء بعد أن لم يكن إلا لعلة ، ونجد المبصَر إذا قابل البصَر أحس به البصَر ، وإذا زال عن مقابلة البصَر لم يحس به البصَر ، وإذا عاد المبصَر لمقابلة البصَر عاد الإحساس ، وكذلك نجد البصَر إذا أحس بالمبصَر ثم أطبق أجفانه بطل ذلك الإحساس ، وإذا فتح أجفانه والمبصر فى مقابلته عاد ذلك الإحساس والعلة هى التى إذا بطلت بطل المعلول وإذا عادت عاد المعلول ، فالعلة إذن التى تحدث ذلك الشىء فى البصر هو المبصَر»(٥) .

ويتضح من هذا النص أن الحسن بن الهيثم استخدم منهج الاستقراء التجريبى فى فحص اقتران ظاهرة الإبصار لجسم بوجود ذلك الجسم . وهذا هو مضمون مبدأ الربط بين الأسباب والنتائج التى تخضع لها عملية إطراد حدوث الظواهر الطبيعية ، بمعنى أن يكون بإمكان المجرب كشف القوانين التى تخضع لها تلك الظواهر .

ومن الموضوعات الهامة التى تطرق إليها ابن الهيثم فى كتابه «المناظر» إثبات خاصية انتشار الضوء فى خطوط مستقيمة بتجربة الغرفة المظلمة ، أو الخزانة ذات الثقب التى يدرسها طلاب هذا العصر ، فيقول : « إذا كان فى موضع واحد عدة سرج فى أمكنة متفرقة وكانت جميعها مقابلة لثقب واحد وكان ذلك الثقب ينفذ إلى مكان مظلم ، وكان مقابل ذلك الثقب فى المكان المظلم جدار .. فإن أضواء تلك السرج تظهر على ذلك الجدار متفرقة وبعدد تلك السرج .. وكل واحد منها مقابل الواحد من السرج على السمت (أى الخط) المستقيم الذى يمر بالثقب وإذا ستر واحد من السرج بطل من الأضواء التى فى الموضع المظلم الضوء الذى كان يقابل ذلك السراج فقط ، وإن رفع الساتر عن السراج عاد ذلك الضوء إلى مكانه» .

ويحرص ابن الهيثم على التمييز بين فعل الوسط الشفيف وفعل الوسط الكثيف ، فالضوء الذاتى كضوء الشمس ينطلق على استقامة واحدة فى وسط الجسم المشف ، كالهواء مثلا ، فإذا صادف جسما كثيفا استحال الأمر وتبدل واصبح الجسم الكثيف مصدراً جديداً للضوء يشرق من كل نقطة على سطحه من جديد . وبهذا المعنى يظهر السبب فى أن البصر لا يدرك المرئيات إلا إذا كانت كثيفة أو بها بعض الكثافة ، فالهواء لا يرى لأنه شفيف مطلق أما الماء فيمكن رؤيته لأن فيه بعض الكثافة(٦) .

وعندما تعرض ابن الهيثم لشرح ظواهر انعكاس الضوء وانعطافه(٧) وانتشاره لجأ إلى استخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة والكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة ، وابتكر الكثير من المفاهيم العلمية

---

(٥) د . مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه فى البصريات ، القاهرة ١٩٤٢ .

(٦) راجع : د . مصطفى نظيف ، مرجع سابق .

(٧) تشير هنا إلى مدى الدقة العلمية عند ابن الهيثم فى ترجمة وانتقاء المصطلحات العلمية المناسبة ، فكلمة «انعطاف» الضوء تعنى تحوله عن مساره الأصلى ، وهى أدق من كلمة «انكسار» التى اخذناها من التعبير الأجنبى Refraction .

المطابقة للواقع والخبرة وكان التمثيل الذى استخدمه هو النموذج الميكانيكى لحركة كرة صغيرة من الحديد أو الصلب تسقط على سطح مستو أملس فترتد عنه .

وأدخل ابن الهيثم لأول مرة طريقة تحليل «المتجه» Vector إلى قسطين متعامدين ، ووصل بخياله التجريبى إلى استنتاج أن القسط الموازى لسطح المصادمة من سرعة الكرة يبقى على حاله ، بينما يتغير القسط العمودى بحسب ممانعة سطح المصادمة . وذكر أن الضوء يختلف عن الكرة فى «أنه ليس فيه قوة تحركه إلى جهة مخصوصة ، بل إن خاصته أن يتحرك على الاستقامة فى جميع الجهات التى يجد السبيل إليها إذا كانت ممتدة فى جسم مشف . فإذا انعكس وصار على سمت الاستقامة التى أوجبها الانعكاس امتد على ذلك السمت .. واستمر حتى يعترضه مانع . ويثبت ابن الهيثم أن سرعة الضوء فى الوسط المشف الألطف أعظم من سرعته فى الوسط المشف الأغلظ ، ويبين كيف يترتب على ذلك أن ينعطف الضوء عند نفوذه من الألطف إلى الأغلظ مقتربا جهة العمود على سطح الانفصال ، إلى الألطف مقتربا من العمود . وهو بهذا يسبق كلا من «ديكارت» و«سنيل» و«نيوتن» فى تقديم وصف دقيق للرسم المعروف لدى طلاب هذا العصر فيما يتعلق بقانونى انعطاف الضوء وقابليته لعكس مساره ، ولم يزد العلم الحديث عليه إلا حساب معامل الانكسار النسبى بين الوسطية[٨] .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى دور المنهج الرياضى إلى جانب المنهج التجريبى فى فكر الحسن بن الهيثم ، وأثر ذلك فى إنشاء علم «المناظر» أو «البصريات الهندسية» على يديه ، محققا بذلك نجاحاً غير مسبوق فى اعتبار المنهج العلمى غير محدد بمجموعة من الخطوات التى حسبها المحدثون ملزمة وفق ترتيب معين ليس للباحث أن يتجاوزه ، ومن ثم فإن منهج البحث الإسلامى يحقق للباحث قدرا كافيا من المرونة وحرية التفكير ويحول دون جموده أمام حركة العلم وتطوره[٩] .

ولم يغفل ابن الهيثم الجانب التقنى فى بحوثه العلمية فقد استخدم الآلات الدقيقة فى تجاربه ، ولم يكتف بمجرد وصف كيفية استعمالها ، وإنما اسهب فى شرح التفاصيل المتعلقة بصنع الأجزاء المختلفة للجهاز ، فيقول مثلاً فى استخدام انواع المرايا : « راينا ان نشرح ذلك ونوضحه ليحيط بعلمه من كانت له رغبة فى معرفة الحقائق ، فبيناه فى هذه المقالة ولخصنا البرهان على علم حقيقته ، وذكرنا طريق العمل فى اتخاذه وترتيب آلته ، وقدمنا الأصول التى يستعملها المهندسون فى جميع انواع المرايا ، ليهتدى إليه من التمسه»[١٠] .

على اننا يجب الا ننسى أن هناك علماء آخرين ، مثل «الكندى» و «الرازى» و«ابن سينا» وغيرهم ، قد كتبوا فى علم المناظر وتعرضوا لبعض نظرياته ، لكن ابن الهيثم يظل له القدح المعلى فى هذا المجال الهام من مجالات العلوم الفيزيائية على مر العصور ، بعد أن وضع أصوله السليمة التى أدت إلى الحصول على واحد من اهم الإنجازات العلمية المعاصرة ، وهو ما يعرف باسم «الليزر» الذى أدى بدوره إلى الحصول على اشعة اقوى منه باستخدام الاشعة السينية ، ويؤمل ان يمتد التطور لتطويع أشعة جاما أيضاً فى المستقبل القريب[١١] .

(٨) راجع توصيل ذلك فى مؤلفنا : «التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ .

(٩) د . احمد فؤاد باشا «العلوم الفيزيائية فى التراث الإسلامى» ، ندوة «التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية» ، طرابلس ليبيا ، ١٧ ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠ م .

(١٠) الحسن بن الهيثم ، مجموعة الرسائل (رسالة فى المرايا المحرقة بالقطوع) .

(١١) راجع مقالنا : «اشعة الليزر ومجالات استخدامها» مجلة الأزهر ، عدد ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٤٠٩ هـ/ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٨ م .

الجديد في العلم والتقنية

مؤتمر القاهرة الدولي للطاقة المتجددة

شارك حوالى ١٥٠ باحثا يمثلون ٢٠ دولة عربية وأجنبية فى مؤتمر القاهرة الدولى الثانى للطاقة المتجددة الذى نظمه المركز القومى للبحوث تحت إشراف أكاديمية البحث العلمى بالاشتراك مع جامعة « وين ستيت » الأمريكية .

حذر المؤتمر فى توصياته من المغالاة فى استخدام الوقود التقليدى لما له من آثار سلبية على البيئة . وطالب المشاركون بضرورة وضع برامج إرشادية للتعريف بتقنية الطاقة المتجددة ومشكلاتها ، كما أوصوا بضرورة التصنيع المحلى لوحدات الطاقة المتجددة ، ودعوا إلى الاهتمام بمتابعة التطور السريع فى علوم المواد باعتبارها أساس التقدم فى كافة المجالات التطبيقية .

مركبة فضائية لدراسة الشمس

اشتركت أمريكا وأوروبا فى مشروع إطلاق مركبة فضائية تستغرق رحلتها خمسة أعوام لدراسة الشمس باعتبارها أقرب النجوم المؤثرة على الأرض وبيئتها . من المعروف أن الظواهر الشمسية المختلفة تحظى باهتمام الكثير من علماء الفلك والأرصاد والفيزياء والفضاء والبيئة وغيرهم . فالنشاط الشمسى ، على سبيل المثال ، له تأثيرات ضارة على مركبات الفضاء ، كما أنه يؤثر بشدة على مناخ الأرض ومجالها المغناطيسى ، ويؤدى إلى حدوث اضطراب ملحوظ فى الاتصالات اللاسلكية .

بصمات الأصابع وتشخيص الأمراض

أوضحت الأبحاث التى أجراها مؤخراً أحد العلماء الأمريكيين أن بصمات الأصابع يمكن أن تشير إلى احتمال الإصابة بأمراض معينة ، وخاصة مرض « الزهايمر » الذى يصيب المتقدمين فى السن ويؤدى إلى ضعف ذاكرتهم تدريجيا .

أحدث الأبحاث عن البصل

تؤكد أحدث الأبحاث أن القيمة الغذائية للبصل تفوق قيمة التفاح ، وأن فائدة البصل تعادل فائدة « الأنسولين » فى علاج مرضى السكر ، وأن الأبخرة المتصاعدة من البصل قادرة على قتل البكتريا الضارة ، وخاصة فى الجروح الملوثة . كما يحتوى البصل على مواد مفيدة للقلب والدورة الدموية ، ومواد أخرى مُدرَّة للبول . وقد ابتكرت حبوب تحتوى على خلاصة « الكلوروفيل » المركزة لإزالة رائحة البصل ، وذلك اعتماداً على خاصية امتصاص الروائح عن طريق خضرة النبات (أى الكلوروفيل) .

تطور جديد في تقنية « الليزر »

ذكر راديو صوت امريكا أن فريقا من العلماء الأمريكيين والفرنسيين نجحوا في التوصل إلى طريقة جديدة لتوليد أقوى حزمة مركزة من أشعة الليزر. ويقول العالم الأمريكي « جيرالد مورو » إن الطريقة الجديدة تزيد درجة سطوع أشعة الليزر بنحو ألف مرة دون زيادة حجم جهاز توليد الأشعة.

أبحاث الفضاء تحذر من أخطار التلوث

شهدت مدينة « تورنتو » بكندا مؤتمراً من اجل حماية البيئة شارك فيه عدد كبير من خبراء المناخ في العالم. يعتزم العلماء استخدام الأقمار الصناعية في رصد درجة حرارة جو الكرة الأرضية لقياس معدل التغير في الحرارة وذوبان الجليد عند القطبين الشمالي والجنوبي.

يخشى العلماء أن يؤدي تزايد الغازات السامة في الغلاف الجوي إلى إيجاد ما يعرف باسم « الصوبة الزجاجية » التي تؤدي إلى ارتفاع كبير في درجة حرارة جو الأرض. وينشأ عن ذلك ذوبان الجليد وحدوث فيضانات في البحار والمحيطات، مما يهدد العديد من الجزر والمدن الساحلية بالغرق. وكانت دراسات سابقة قد تنبأت بأن استمرار الارتفاع الحالي في معدلات درجات الحرارة يهدد مناطق كثيرة بالغرق قبل حلول منتصف القرن الحادي والعشرين. من بين هذه المناطق المهددة أجزاء كبيرة من اندونيسيا وبنجلاديش والفلبين ودلتا نهر النيل والكثير من الشواطىء الأوروبية والأمريكية.

ندوة بليبيا عن التراث العلمي الإسلامي

عقدت في طرابلس بليبيا ندوة علمية حول التراث العلمي العربي في العلوم الأساسية نظمتها الهيئة القومية للبحث العلمي بالتعاون مع كلية العلوم بجامعة الفاتح. تناولت أبحاث الندوة التي شارك فيها ما يزيد على مائة باحث من مختلف البلدان العربية مناقشة مآثر علماء المسلمين في علوم الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والأرض والحياة وانعكاس ذلك على التطورات العلمية الحديثة وبناء الحضارة العلمية الإنسانية.

اوصت الندوة بإعداد كتاب علمي حول تاريخ العلوم الأساسية عند العرب يكون مرجعا في ايدي الأساتذة والدارسين، كما دعت إلى ضرورة تدريس مقرر في « تاريخ العلوم عند العرب » لطلاب الجامعات العربية. يهدف إلى تأصيل الثقافة الإسلامية وتحقيق التواصل الحضاري بين ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها.

شبكة البحر المتوسط لرصد الزلازل

يجري الإعداد لإقامة أول شبكة من نوعها في مصر لرصد الهزات الأرضية من شتى أنحاء العالم، وتتميز هذه الشبكة التي يشرف على إقامتها المعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بأنها واسعة المدى وتقوم بتسجيل مختلف أنواع الزلازل المحلية والإقليمية والدولية بكفاءة عالية ودقة تامة.

* الكاتبة باحثة بالمركز القومي للبحوث.

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

التساؤل والاختلاف

لفضيلة الشيخ: فكرى ياسين

إعداد وتقديم
عبد الفتاح الزيات

هل تجب الإجابة عن كل سؤال .. ؟
يبدو أن مضمون السؤال يتوقف عليه الإجابة بـ (نعم) أو (لا) ، ثم يقتضى الأمر النظر إلى المسئول الذى طرح عليه السؤال .

وليس من شك أن السائل إذا كان يريد الإحاطة بمعلوم دينى ، وكان المسئول على علم بالإجابة ، ويعلم ما يحيط ، أو ما سوف يحيط بالإجابة من فائدة نافعة كان على المسئول أن يجيب .

ومن هذا القبيل أسئلة وجهت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجاب عنها ، لكن هناك ألواناً من الأسئلة قد يكون عسيراً جداً اعتبارها بريئة ليس خلفها نوازع النفس إلى الفتنة ، ومثلها ينبغى الحذر منه وتجنبه ..

قال الكاتب - رحمه الله : -

جاء فى الصحيحين أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « دعونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

لهذا الحديث سبب ، وهو أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ - قام النبى - صلى الله عليه وسلم - فخطب الناس ، فقال : « أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، فقال : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى كررها مراراً ، ثم قال : « لو قلت نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم » .

وذكر بقية الحديث ، ثم نزل قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ الآية .

وجاء من غير وجه أن آية : ﴿ لَا تَسْأَلُوا ﴾ إنما نزلت لما أكثروا السؤال له - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء كرهها ، وأن منها ما كان يسوء السائل جوابه ، مثل : هل أبوه فى الجنة أو فى النار ؟ وهل أبوه من نُسب إليه أو غيره ؟ ومنها ما كان على وجه التعنت والعبث والاستهزاء ، كما كان يفعله المنافقون والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم ، كقول بعضهم : أين ضلت ناقتى ،

وكسؤالهم الآيات والاقتراحات ، وسؤالهم عما أخفاه الله عن عباده ، ولم يطلعهم عليه ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن أمر الروح ، وسؤالهم عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون سبباً لنزول التشديد فيه ، كالسؤال عن الحج ، وهل يجب كل عام ؟

ومن ثم غضب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ غضباً شديداً ، وصعد المنبر وهو غضبان ، وقال للناس : سلونى ، فجعلوا يسألونه وهو يجيب ، فلما رأى عمر بن الخطاب ما بوجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الغضب ، جثا على ركبتيه وقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، لا تفضحنا بسرائرنا واعف عنا ، عفا الله عنك ، فسرى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم التفت إلى الحائط فقال : لم أر كاليوم فى الخير والشر ، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط .

* * *

أراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبين للناس فائدة ترك السؤال عن أشياء لم تقع ، وضرر كثرة السؤال ، لما فيه غالباً من التعنت ، وخشية أن ينزل بسببها وجوب المسئول عنه أو تحريمه ، أو أن تقع الإجابة بأمر يستثقل قد يؤدى إلى ترك الامتثال ، فتقع المخالفة ، فأفهمهم أنه يجمل بهم أن يتركوه بغير سؤال مدة تركه لهم بغير أمر بشىء ، ولا نهى عن شىء ، وألا يكثروا من الاستفصال عن مواضع لا تفيدهم ، ولا من التنقيب عما يفضى بهم إلى الوقوع فيما وقع فيه غيرهم ، ثم ذكر لهم سببين جوهريين من أسباب هلاك الأمم السابقة عسى أن يحذروهما ، ويتقوا آثارهما الضارة .

فأما السبب الأول ، فهو كثرة السؤال عما يعنيهم من غير ضرورة ، وقد اختلف فى المراد بالذين كانوا قبلهم ، فقيل : هم قوم عيسى ، سألوه إنزال المائدة ، ثم كفروا بها .

وقيل : هم قوم صالح ، سألوه الناقة ، ثم عقروها وكفروا بها .

وقيل : هم قوم موسى ، سألوه أن يريهم الله جهرة ، وأن يبين لهم البقرة التى أمروا بذبحها ، فتعنتوا ، ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أى بقرة كانت ، بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها ، فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفاً بها إلا بقرة واحدة فاشتروها بثمن باهظ .

وقيل : هم بنو إسرائيل مطلقاً ، كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أخبروهم كذبوهم .

وقيل : هم قريش ، كانوا يسألون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحول لهم الصفا ذهبا ، وأن يبين لهم أنسابهم ، فإذا أخبرهم لم يصدقوه وقالوا : ليس الأمر كذلك .

وأكثر العلماء على أن كثرة السؤال المنهى عنها فى الآية ، هى السؤال عن النوازل والأغلوطات[1] والتوليدات ، فقد نهى الشارع عنها .

وورد أنه سيكون من الأمة أناس يغالطون فقهاءهم ، بعضل المسائل ، وأنهم شرار الأمة .

وقال الأوزاعى : إن الله تعالى إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً .

وقيل : المراد كثرة السؤال عن الأشياء كالبحيرة والوصيلة ، والسائبة والحام ، وعن الآيات ، كسؤال قريش أن يجعل الصفا لهم ذهباً .

(١) صعاب المسائل وشدادها

من روائع الماضي

التساؤل والاختلاف

وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، ونحو ذلك .

وأما ما ثبت في الأحاديث المتعددة وقوع السؤال عنه من الصحابة ، فيحتمل أن يكون قبل نزول آية ﴿ لَا تَسْأَلُوا ﴾ ، ويحتمل أن النهى فى الآية لا يتناول ما يحتاج إليه مما تقرر حكمه أو ما لهم بمعرفته حاجة راهنة ، كالسؤال عن الذبح بالقصب ، والسؤال عن وجوب طاعة الأمراء إذا أمروا بغير الطاعة ، والسؤال عن أحوال يوم القيامة ، وما فيها من الملاحم والفتن ، والأسئلة التى فى القرآن ، كسؤالهم عن الكلالة والخمر والميسر ، والقتال فى الشهر الحرام واليتامى والمحيض والنساء والصيد ، وغير ذلك .

وقال البغوى فى شرح السنة : المسائل على وجهين :

أحدهما : ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين ، فهو جائز ، بل مأمور به ، لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ الآية ، وعلى ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما .

وثانيهما : ما كان على وجه التعنت والتكلف ، وهو المراد فى هذا الحديث .

وقد حرر بعض الأئمة هذا الموضوع ، فقال ما خلاصته : والتحقيق أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين :

أحدهما أن يبحث عن دخوله فى دلالة النص على اختلاف وجوهها ، فهذا مطلوب ولا مكروه ، بل ربما كان فرضاً على من تعين عليه من المجتهدين .

والثانى أن يدقق النظر فى وجوه الفروق ، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر فى الشرع مع وجود وصف الجمع ، أو بالعكس ، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردى مثلاً ، فهذا الذى ذمه السلف ، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود : « هلك المتنطعون » ، فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته ، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها فى الكتاب ، ولا فى السنة ، ولا فى الإجماع ، وهى نادرة الوقوع جداً ، فيصرف فيها زماناً كان صرفه فى غيرها أولى ، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع فيما يكثر وقوعه ، وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبة ، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها ، ومنها ما لا يكون له شاهد فى عالم الحس ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن الروح ، وعن مدة هذه الأمة ، إلى أمثال ذلك مما لا يُعرف إلا بالنقل الصرف ، والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمان به من غير بحث ، وأشد من ذلك ، ما توقع كثرة البحث عنه فى الشك والحيرة ، كحديث أبى هريرة : « لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ » .

وقد انقسم العلماء إزاء كثرة السؤال إلى أقسام ثلاثة :

فمنهم من سد باب التساؤل ، وأحكم إيصاده ، حتى قل فهمه وعلمه لحدود ما أنزل الله على رسوله ، وصار حامل فقه غير فقيه .

ومنهم من فتح الباب على مصراعيه ، وتوسع فى توليد المسائل ، وتفريع الفروع ، وأسرف فى ذلك ، واشتغل بتكلف الجواب عنها ، وكثرة النقاش فيها ، والجدال عليها ، حتى نشأ عن ذلك افتراق القلوب ، واستقرار الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء فيها .

ومنهم من جعل همه موجهاً إلى البحث عن معانى كتاب الله ، وما يفسره من السنن الصحيحة ، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وعن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعرفة صحيحها وسقيمها ، والتفقه

فيها وفهمها ، والوقوف على معانيها ، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان فى أنواع العلوم من التفسير والحديث ، ومسائل الحلال والحرام ، وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك ، وهذا هو طريق السلف من فقهاء الأمصار من التابعين فمن بعدهم ، حتى حدثت الطائفة الثانية ، فعارضتها الطائفة الأولى ، فكثر بينهم المراء والجدال ، وتولدت البغضاء ، وتسموا خصوماً ، وهم أهل دين واحد ، والتوسط والاعتدال هو الخير فى كل شىء .

وأما السبب الثانى من أسباب هلاك الأمم الماضية ، فهو اختلافهم على أنبيائهم ، ومعارضتهم لهم ، وتكذيبهم لشرائعهم ، وخروجهم على وصاياهم ، وانحرافهم عن مبادئهم ، وإهمالهم العمل بتعاليمهم ، والمراد به - على الجملة - كل اختلاف مذموم يؤدى إلى كفر أو بدعة ، ويكون سبباً فى تفرق القلوب ، وتباين الأهواء ، وتعدد الجماعات ، ووجود الانقسامات ، وتوهين عرى الدين ، وإضعاف شوكة الإسلام ، كما وقع بين الخوارج قديماً ، فإنهم كانوا يطعن بعضهم فى بعض ، ويتبرأ بعضهم من بعض .

وأما الاختلاف فى استنباط فروع الدين ، ومناظرة أهل العلم على سبيل تحقيق الفائدة ، وإظهار الحق ، وإعلاء كلمة الله ، فغير منهى عنه ، بل مأمور به ، وفضيلته ظاهرة ، وقد جرى العمل عليه من عهد الصحابة إلى الآن .

* * *

بعد أن أجمل النبى - صلى الله عليه وسلم - هذين السببين المؤثرين فى كيان الأمم ووجودها ، أراد أن ينبه الناس على أن الأولى بهم ، والأجدى عليهم أن يتركوا التساؤل عما لا يعنيهم ولا يفيدهم ، وأن يشتغلوا بالأهم الذى يحتاجون إليه عاجلاً ، وأن ينصرفوا عن كل ما يعوقهم عن ذلك ، وهذا لا يكون إلا بالاقتصار على فعل ما يطيقونه مما يأمرهم به ، واجتناب كل ما ينهاهم عنه ، وقد أوضح لهم ذلك فى عبارتين شاملتين ، وجملتين جامعتين :

الجملة الأولى قوله - صلى الله عليه وسلم : « فإذا أمرتكم بشىء ، فأتوا منه ما استطعتم » فإنها - كما قال النووى - من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التى أعطيها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام ، كالصلاة بأنواعها ، فإذا عجز عن بعض اركانها ، او بعض شروطها أتى بالباقى ، وإذا عجز من بعض أعضاء الوضوء أو الغسل ، غسل الممكن ، وإذا وجد بعض مايكفيه من الماء لطهارته ، أو لغسل النجاسة ، فعل الممكن ، وإذا وجبت إزالة منكرات ، أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم ، أو نحو ذلك ، وأمكنه البعض ، فعل الممكن ، وإذا وجد مايستر بعض عورته ، أو حفظ بعض الفاتحة ، أتى بالممكن ، وأشباه ذلك كثيرة غير منحصرة ، وهى مشهورة فى كتب الفقه .

والجملة الثانية قوله - صلى الله عليه وسلم : « وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » ، وهى على إطلاقها فى إفادة اجتناب كل منهى عنه ، فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة ، وشرب الخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه ، أو نحو ذلك ، فهذا ليس منهيا عنه فى هذه الحال ، كما تدل أيضا على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات ، لأنه أطلق الاجتناب فى المنهيات ولو مع المشقة فى الترك ، وقيد فى المأمورات بقدر الطاقة .

وصفوة مايقال فى هاتين الجملتين : إن من امتثل ما أمر به النبى - صلى الله عليه وسلم - وانتهى عما نهى عنه ، وكان مشتغلا بذلك عن غيره ، حصلت له النجاة فى الدنيا والآخرة ، ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره ومايستحسنه وقع فيما حذر منه الرسول من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، وعدم انقيادهم ، وطاعتهم لرسلهم .

أنباء وآراء

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إعداد: مصطفى عبد المجيد

الامام الأكبر يدعو لاقامة صلاة الاستسقاء

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لإقامة صلاة الاستسقاء وذلك عقب أداء صلاة الجمعة يوم الثانى عشر من جمادى الآخرة ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠/١٢/٢٨ م.

وقد أشار فضيلته فى بيان وجهه إلى المسلمين فى مصر إلى أن طلب سقى الماء من الله تعالى مشروع عند انقطاع المطر وحصول الجدب أو توقعه .

وقد تضرعت مصر إلى المولى - عز وجل - بإقامة صلاة الاستسقاء فى جميع مساجدها .

نرجو الله تعالى أن يتقبل من مصر ضراعتها وصلاتها من أجل نزول الغيث .

افتتاح المكتبة السمعية بجامعة الأزهر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر المكتبة السمعية الجديدة التى يتم فيها استخدام الحاسب الآلى بدلاً من طريقة «بريل» التقليدية لتعليم الطلاب المكفوفين بجامعات مصر .

تشغل المكتبة ثلاث حجرات بالدور فوق الأرضى بمبنى كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر .

تضم المكتبة مجموعتين من الأجهزة الحديثة والكاميرات الالكترونية التى تقوم بتحويل الحروف إلى ذبذبات تمكن الطالب من قراءة القرآن الكريم والكتب والصحف . بلغت تكاليف المكتبة ٤٠ ألف جنيه .

وفى المكتبة تسجيلات عديدة لمراجع إسلامية هامة .

كما تقوم بخدمات خاصة للطلبة المكفوفين فتسجل لهم مقرراتهم على أشرطة توزع عليهم بالمجان فى حدود ثلاثين شريطا للطالب .

خدمات المكتبة عامة للمكفوفين من كل الجامعات والمعاهد الإعدادية والثانوية .

وفق الله - تعالى - القائمين عليها بالعون والسداد - والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

مؤتمر لعلماء العقيدة والفلسفة تحت رعاية فضيلة الامام الأكبر

تعقد كلية أصول الدين بالقاهرة بالاشتراك مع الجمعية الفلسفية المصرية مؤتمرا علميا موسعا تحت عنوان (نحو علم كلام إسلامى معاصر) .

يحضر المؤتمر الذى سيعقد تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر علماء العقيدة والفلسفة فى مصر ويستمر ثلاثة أيام تبدأ من ٣ ذى الحجة ١٤١١ هـ الموافق ١٥ يونيو القادم .

وصرح الدكتور عبد المعطى بيومى عميد كلية أصول الدين بأن هذا المؤتمر يستهدف حل المشكلات المطروحة على الساحة الآن: مثل «قضايا التطرف والسلبية والأصولية» وغيرها .

الأزهر يستنكر استمرار التهديد بالعدوان على المقدسات الدينية

اعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الأزهر يستنكر التهديد الإسرائيلي بالاستمرار في العدوان على المقدسات الدينية في القدس ، وطرد العرب من ديارهم ومطاردتهم وتعذيبهم .

وقال فضيلته : إن الأزهر الشريف يحمّل السلطات الإسرائيلية المسئولية عما يحدث من رعاياها ونكوصها عن القيام بواجباتها العامة نحو حماية المقدسات الدينية لكافة الاديان وحماية السكان الذين استولت على أرضهم . □

أنباء العالم الإسلامي ● إعداد : عبد المنعم فودة ●

انتصارات جديدة للمجاهدين ضد القوات الأثيوبية

كشف المجاهدون (الأوروميون) التابعون للجبهة الاسلامية بشرق أفريقيا ، العاملون على تحرير أوروما عملياتهم العسكرية ضد القواعد الأثيوبية في العديد من مدن منطقة (هرر) الشرقية .

كاتب هندوسي يفضح أساليب اضطهاد المسلمين بالهند

فضح الكاتب الهندوسي (راج شكر) في كتاب صدر له أخيراً مخططات الهندوس المستمرة لطمس هوية مسلمي الهند .

وقال : إن الهندوس درسوا كيفية إخراج المسلمين وإبعادهم من إسبانيا ، وقد بدأوا بالفعل في تطبيق هذه الخطة .

تناول الكاتب ما يتعرض له المسلمون من المذابح التي تحدث لهم يوميا كذلك تحدث الكاتب عن هضم حقوقهم المدنية حيث ثمة قَصْرٌ للوظائف في الهيئات الحكومية على الهندوس واغلاق أبوابها في وجه المسلمين ، وتسلط الهندوس على وسائل التعليم والإعلام المختلفة مما يؤدي إلى تمييع الشخصية الإسلامية .

اضطهاد المسلمين مستمر

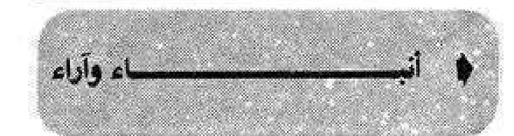
تفيد الأنباء الواردة من (سرى لانكا) أن المتطرفين التاميليين - الذين يحاربون من أجل إنشاء دولة تاميلية مستقلة في منطقة الاغلبية التاميلية في (سرى لانكا) - أغاروا على المناطق التي يسكن فيها المسلمون .

وقد أسفرت الهجمات الوحشية على المسلمين عن مقتل نحو ثلاثمائة شخص .

هذا في سرى لانكا ، وفي افريقيا الغربية استمرت المذابح ضد مسلمي ليبيريا فراح ضحيتها حوالي ٢٥٠ مسلما من مدينة كاكاتا بالإضافة إلى خمسمائة لاجيء مسلم من بينهم أطفال ونساء نتيجة دخول المتمردين إلى ليبيريا بمشاركة فعلية من رجال الكنيسة فيها .

وفي أقصى الشرق بالفلبين اشتعلت مذبحة ضد سكان قرية (باس) استشهد فيها اثنان وعشرون مسلما ، وكذلك ما يحدث للمسلمين في ولاية كشمير .

ولازال التعتيم الإعلامي قائما يستر مذابح المسلمين في كشمير . ◆



تدفق اليهود على فلسطين المحتلة من كل مكان

بعد التحولات والتغيرات التى حدثت فى أوروبا الشرقية تدفق عدد كبير من الغزاة اليهود على فلسطين المحتلة .

فقد هاجر إلى فلسطين المحتلة ـ أخيراً ـ يهود من اثيوبيا وجنوب أفريقيا والأرجنتين وبلغاريا والسودان وبولندا بالإضافة إلى عدد كبير من الاتحاد السوفييتى .

ويتوقع أن يصل اليهود المهاجرون إلى فلسطين المحتلة إلى مليون شخص فى عام ١٩٩١ م .

انتهاء الدورة التدريبية العالمية الثالثة عشرة للائمة والوعاظ بالأزهر الشريف

احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية باختتام الدورة التدريبية العالمية الثالثة عشرة للأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى بمدينة البعوث الإسلامية .

وقد حضر الحفل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية ، والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة .

شارك فى الدورة كل من افريقيا الوسطى ـ غينيا بيساو ـ جنوب أفريقيا ـ غانا ـ اليمن ـ أندونيسيا ـ الاتحاد السوفييتى ـ بوليفيا .

تحدث فى الحفل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فطلب من السادة الأئمة الدعوة إلى الله على بصيرة وبحكمة وأن يستمروا فى الاتصال بالأزهر الشريف فى أى أمر من أمور الدعوة الإسلامية يعرض لهم .

العدوان العراقى فى نظر حكومة المجاهدين

صرح عبد رب الرسول سياف رئيس حكومة المجاهدين الأفغان المؤقتة والشيخ أبو الحسن الندوى رئيس ندوة العلماء بالهند لكنهو بأن العدوان العراقى على دولة الكويت المسلمة فتت الوحدة الإسلامية ، واعتبر العدوان عملا خطط له من قبل أعداء الإسلام ليتسنى لهم فرصة القضاء على قلب العالم الإسلامى واستنزاف خيراته واستئصال روح العزة والإباء فى أبنائه .

جاء ذلك فى برقيتين أرسلهما كل من الشيخ / سياف ، والشيخ / أبو الحسن الندوى إلى منظمة المؤتمر الإسلامى .

اللغة العربية فى الجزائر

ذكرت وكالات الأنباء العالمية فى خبر اذاعته لندن ان الجمعية الوطنية فى (ولاية جيجيل) شرق الجزائر رفضت أية مراسلة تكتب بلغة أجنبية .

والجدير بالذكر أن المملكة المغربية رفضت الدفاع "باللغة الأجنبية فى المحاكم الوطنية منذ عشرين سنة تقريباً .

وآخر الانباء فى هذا القبيل ـ قرار الحكومة الجزائرية بضرورة العمل الرسمى باللغة العربية .

الفهـــــــــرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة



The Holy Qur'an repeats the fact that Allah gives life and death "Whatever is in the heavens and on earth, - let it declare the Praises and Glory to Allah, for He is exalted - in Might, The Wise. To Him belongs the dominion of the Heavens and the earth. It is He who gives life and Death and He has power over all things" (Surat Al-Hadid, LVII, 2) "Say: 'The Death from which ye flee will truly overtake you, then will ye be sent back to the knower of things, secret and open, and He will tell you the truth of the things that ye did". Surat Al-Juma'a, LXII, 8). These verses provide absolute evidence that death is the ultimate end of life on earth; that mankind will be summoned during the spiritual phase of human existence to face Allah's judgement by which the full inwardness of the worldly deeds are revealed and realized. The veil of illusion and and delusion will be torn off, all secret motives will be naked, and all make-belief will disappear.

The real purpose of life and death is also precisely indicated in the Holy Qur'an : "Blessed be He in whose hands is the Dominion, and He has power and authority over all things. He Who created Death and Life, that He may try which of you is best in deeds. And He is the Exalted, the Remitter." (Surat Al-Mulk, LXVII, 1 - 2). These verses indicate that the whole creation proclaim the name of Allah in eternal glory. He Who holds the Dominion and Sovereignty of Will, and Power with Potency to consummate what He wills. Both Death and Life are created by Allah's Will. The exact definition of death is that state before life began, which may be existence or non-existence in some form or another. Also death is that state in which earthly life ceases, but existence does not cease, a state known as Barzakh (a barrier or partition) a phase of spiritual existence between physical death, and before judgement. After judgement, will be the new life, which we conceive under the name of Eternity.

Creation, therefore is not purposeless. The state before and the state after our earthly life are scarcely understood. But the purpose of our life on this earth is the endeavors and efforts to accomplish good deeds in order to reach a nobler state. This is achieved by man's behaviour in this life. Life is real, life is serious, and the grave is not its final goal, mankind must search for Reality, for Truth, for Purpose, for the true identity of Life and Death. Mankind must remember death to attain the purpose of life. "Did ye then think that We had created you without purpose, and that ye would not be brought back to us for account ? (Surat Al-Muminun, XXIII, 115). In a true Hadith of the Prophet "Do for your worldly life, as if you were to liveeternally, and do for you Here-after as if you were to die tomorrow). He also said "Remember Death, the vanquisher of life's ecstasies".

Translated from the Arabic Original by Dr. Anas M. El Naggar.

learned or ignorant, happy or unhappy, believer or unbeliever; however, one matter that is certain in his life, is death.

Another characteristic of death is that it is hated and loathed by the living and abhorred, and for the purpose, there is tendency to forget the reality of death. However, in Islamic concepts, the remembrance of death is an admonition that should be perpetually kept in the mind. The remembrance of death should not control the actions, nor should it impede the normal process of life.

Death is a divinely ordained event, fatalistic in its nature, deterministic in quality. It is completely and utterly controlled by Divine power, its cause, its timing, its place and all that is related to the process of death is absolutely dominated by the immanence of Allah. Death does not pertain to any specific apparent reason. Life and Death are two phenomena that are coherently related, and absolutely decided by Divine Will.

In the text of the Holy Qur'an, "We have decreed Death to be your common lot, and We are not to be frustrated" (Surat Al-Waqi'a, LVI, 60). Literally, this means that Allah has created life, and has decreed that death should be common to all.

Another verse quotes "Say: I have no power over any harm or profit to myself except no power over any harm or profit to myself except as Allah Willeth. To every people, is a term appointed. When their term is reached, not an hour can they cause delay, nor an house can they advance" (Surat Yunus, X, 49). This indicates the precision of the timing of death, making every single aspect of the life of the individual very uniquely predestined with Divine precision. Everything one consumes, to the smallest elemental fraction of matter, every syllable uttered, every image visioned, everything associated with one's life is very precisely predetermined by Divine Will.

Death must be understood as the end of human life, but not the end of human existence. Birth is also not the start of human existence. Human existence starts long before birth, and continues long after death. Life and death are the start and end of human life, but not of human existence. Life is limited, but existence is perpetual. Death is the separation of the soul from the body, the soul does not perish, but the body perishes into its elemental form dust.Death of the body, brings back the soul to Allah, and the deeds during earthly life are brought forward to be judged. Even the Prophets and Saints are not exempt from bodily death. Death is the gateway between the earthly life, and the spiritual existence. The stupor and unconsciousness at the end of probationary life will end by the opening of the eyes to the spiritual life. In that spiritual life, man will realize how the things which were neglected or looked upon as remote, are the intimate realities.

No injustice, the whole process is controlled by the sovereignty of The Guardian, The Supreme Creator. The infallible equitable justice of Divine Functions, Divine Attributes, Divine Will and Divine Powers possess the regal prerogative over all creations. Every individual must receive his apportion from the infinite territory of preordained fate, its sweetness as well as its bitterness. All mankind circulate around the central pivot of predestined fate. In spite of this fundamental truth, mankind is commanded by Divine ordinances to fight ignorance, disease, weakness, unbelief and to resist all adverse conditions that encounter mankind during his lifetime.

The third characteristic of life is the perpetual changing patterns of life's regimes, its temperaments and appearances, it aptitudes and inclinations, its mechanisms and dynamics. The performance of life eludes the logic of the mind and the rationality of thought. Its outward apparition is contrary to its inner reality. According to Islamic teachings, life is the cultivation soil for the Afterlife. All intentions deeds and actions of man's life are eventually judged in the Hereafter; the final balance of ultimate justice. The Holy Qur'an specifies the worldly life of mankind in the most appropriate text "know ye (all) that the life of this world is but play and amusement, pomp and mutual boasting and multiplying in rivalry among yourselves, riches and children... And what is the life of this world, but goods and chattels of deception." (Surat Al-Hadid LVII, 20).The prime fundamental purpose of human life is to worship Allah with genuine submission based on rational understanding of the true concept of belief in the Omnipresence of Allah. Mankind is the only creation which submits to Allah in belief through liberal self determined free thought. Man's functions of worship constitute acts of sanctioned worship, as well as acts that promote exalt and upgrade human life on earth.

Death is the ultimate end of life, the inevitable destined, irrevocable certain predeterministic divinely ordained phase of human existence. Death also has its characteristics. The first is the certainty of death, it is universal, definite, determined and absolute. The Holy Qur'an provides several texts that describe several qualification and understandings of death. "Every soul shall have a taste of death ; And only on the Day of Judgement shall you be paid your full recompense" (Surat Al-Imran, III, 185). The soul shall not die, but the death of the body will give a taste of death to the soul when the soul separates from the body. The soul will then realize that life was but a transient phase, a period of probation.

Death, is the only definite true fact in the life of any living organism. Everything is probabilistic except death, which is certain and deterministic. A new born child may become subject to several undetermined events in his life time, he may be rich or poor,

THE ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

The Remembrance of Death

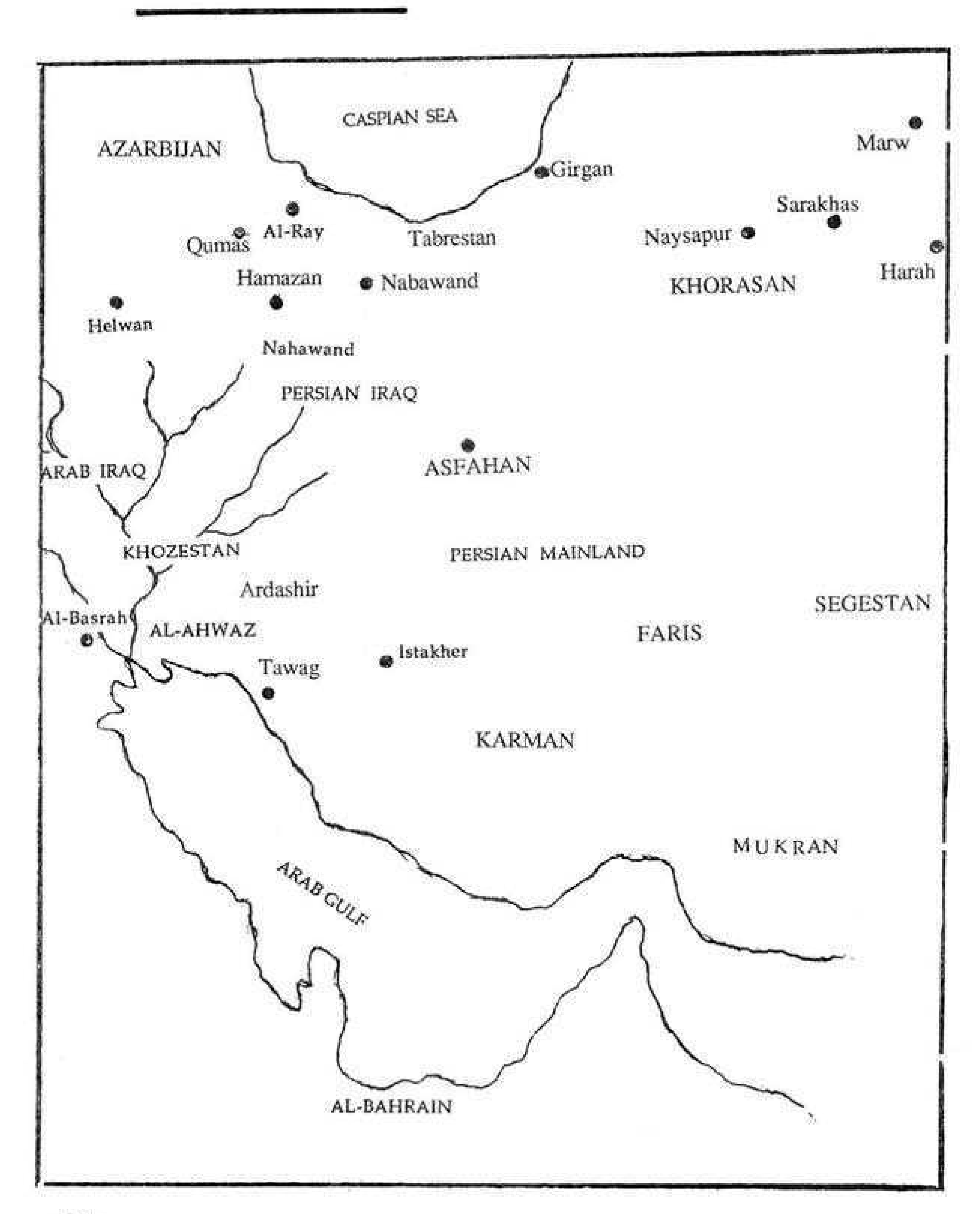
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Death is the cessation of life, the final end of all ecstasies and enchantments; and the expiration of all agonies and bitterness. In spite of man's fears of death, and the hatred of its thought, death remains the essence of life's continuity, the promoter of its development and progress. Life and Death are two modalities of human existence that are inseparably concordant. The concepts of Life and Death are associated, pertinent and coherently interrelated.

Man's life on earth has three fundamental characteristics. The first of these is that life provides in abundance, and denies with stringency. The affluence becomes poverty, the power becomes weakness, the sweet tenderness becomes bitter acrimony, authority becomes servitude, health becomes disease, eminence becomes insignificance, superiority becomes inferiority; and all life's manifestations of grandeur and primacy turn into the opposites of decline and downgrade. This is life, it creeps from day to day to the last syllable of time, and all our yesterdays become meaningless and void; the long trodden lane to eventual death.

The second of life's characteristics, is that it has a dualistic nature. It comprises within its structure all opposites. It constitutes life and death, health and disease, knowledge and ignorance, richness and poverty, beauty and ugliness, safety and fear, justice and injustice, freedom and subjection, night and day, peace and war, heat and cold, intelligence and stupidity, light and dark. Everything is dual, the only Oneness is to Allah, The Life-Giver, and The Life-Taker, The Omniscient, The Creator. This dual nature of life is precisely balanced to extreme exactness in optimal justification by Divine Will and Providence. Every human has his allotted share of the dualistic nature of life, and the summation of every individual share in all aspects of life is not different to that of another individual.




CASPIAN SEA
AZARBIJAN
Marw
Girgan
Sarakhas
Al-Ray
Qumas
Tabrestan
Naysapur
Harah
Hamazan
Nabawand
KHORASAN
Helwan
Nahawand
PERSIAN IRAQ
ARAB IRAQ
ASFAHAN
KHOZESTAN
PERSIAN MAINLAND
Ardashir
SEGESTAN
Al-Basrah
AL-AHWAZ
FARIS
Istakher
Tawag
KARMAN
MUKRAN
ARAB GULF
AL-BAHRAIN

religions commitment to Islam had its impact on the social and political concepts of the Persian nation. The faith of Islam relieves humanity from any superior authority invested in any human. The only real authority is totally endowed in the Divine powers of Allah.

The reality of the temporal sequence of historical events ultimately established the Islamic faith as the predominant faith in Persia; whether Muslim Arabs remained in Persia or not is not of crucial significance. After fourteen centuries, this fact remain a salient truth. the Muslim crusade of the Persian Empire during the region of Omar ibn Al-Khattab is subject to many discrepancies among the various chroniclers regarding names of persons and dates. Most authors, however, agree that the fall of the Sassanian Persian Empire was final during the region of Omar Ibn Al-Khattab, the man responsible for the scheming, administration, and strategy of the whole campaign from the inception to its culminating acme.

Omar ibn Al-Khattab had written to Al-Ahnaf not to proceed further across Persian borders and to remain in Khorasan. According to such instructions, Al-Ahnaf arranged the positions of his forces in such manner to defend only what he had occupied of Khorasan including Marw as its capital. The king of Turkestan realized that the Muslims had no intention of invading his country; and therefore decided to return, leaving the Muslims and Emperor Yazdgrid to settle their accounts. The inhabitants of Khorasan arranged peace terms with Al-Ahnaf ibn Qays, and remained in their cities under Muslim protection. During all these encounters, the Muslim gained extensive amounts of spoils, one fifth of which was always sent to Al-Madinah. Emperor Yazdgrid was finally murdered by his own people of Khorasan, when found hiding in a deserted mill on the Khorasan Turkestan borders. With the death of Yazdgrid, was the final end of the Sassanian Persian Empire. The whole Persian mainlands from the Caspian sea and Azarbijan north to Mukran in the south, and from Khorasan and Segastan east to Al-Ahwaz and the Gulf shores west; were all subject to Muslim domination. The crusade into Persian Empire was complete, and the Muslim Faith was championed on these new territories by its faithful followers. The Muslim presence in Persia was then securely established.

Omar ibn Al-Khattab recognized the history of the Persian Empire, and knew their deep rooted culture and well established social structure, and potentialities. The Muslim presence in Persia aimed at establishing social tranquility, justice, economic development, prosperity, and a regime of Persian self-administration. The Muslims did not interfere in the religious affairs nor in property ownership. They left the Persians appoint their own rulers and governors with complete independent choice; and gave these rulers the liberty in government. This autonomy was both prudent and prolific, the Persian public appreciated the change, and began to enjoy an environment of liberty, self respect dignity, more than they had experienced during the reign of the Sassanian Empire. The educated cultured sector of the population began to realize the bright rational aspects of the Islamic doctrinal teachings. It was not long before the Islamic Faith became very popular among the Persian population. The adoption of Islam as a religion made them enjoy the same rights and status as the Muslim crusaders themselves. The resulting social relationships of marriage and brotherhood under the umbrella of Islam, strengthened the roots of Islam among the Persian population. History records that masses of Persians joined the Muslim faith after the fall of the Sassanian Persian Empire. Several interpretations are presented to explain this fact. The most logically accepted is that the Persian nation itself was little concerned with religious matters. Incendiarism (fire worship) was the cult of the Sassanian Imperial House for generations. The rational doctrinal teachings of the Islamic faith attracted the minds of the Persians. This shift of

whole Persian Empire became the scene of bitter combat encounters between contingents of confident Muslim warriors, and masses of uncommitted, psychologically beaten Persian forces. The wayworn, travel weary, thought disturbed Emperor Yazdgrid continued moving from one place to another to avoid the advancing Muslim crusaders. He travelled from refuge to refuge away from the advancing Muslim penetration.

Muslim warriors crossed the Gulf from Al-Bahrain to crusade into the Persian mainland with Osman ibn Abi Al-Aas at their head. Others under Mugashe ibn Massoud moved south from Al-Basrah. Both leaders met at Tawag where they defeated Persian forces and occupied the city. Ibn Massoud marched to Sabur and Ardashir, while Ibn Abi Al-Aas moved to Istakher. These cities were occupied by Muslim warriors; Sabur and Ardashir with little resistance, while Istakher offered great resistance which was finally overcome by Muslims.The most important of these encounters was the final confrontation between the masses of Persian troops commanded by Shahrak and the Muslim warriors with Al-Hakam ibn Abi Al-Aas. This final battle destroyed the remaining elements of Persian mental attitude and frame of mind. During these encounters, Sariah ibn Zunaym was crusading with his men further east in the region of Faris, gaining more ground of Persian soil.

During the time those encounters were taking place in the region of Faris, Suhayl ibn Adii was crusading through the territory of Karman; and Al-Hakam ibn Amre Al-Tahlaby was advancing through Mukran. Emperor Yazdgrid fled from Mukran to Khorasan as the Muslims moved to occupy Mukran. Assem ibn Amre was scaling through the vast region of Segastan north of Mukran covering large areas of this region. The inhabitants of Segastan offered little resistance, and accepted to arrange peace terms with the Muslims. It was not long before Karman, Mukran and Segastan became under Muslim administration according to Islamic law. However, the internal affairs of these territories were determined by the Persians themselves with no Muslim interference.

Al Ahnaf ibn Qays was penetrating deep into the north eastern extensive vast region of Khorasan. The Muslim warriors crusading across Khorasan were met with little resistance. At the gates of Harah, Al-Ahnaf had to storm the city and enter it by force before its inhabitants resigned to accept the truce conditions which the Muslims dictated. Ibn Qays advanced his men towards Naysapur and Sarakhas under separate command; and marched himself at the head of another army to occupy Marw the capital city of Khorasan. Emperor Yazdgrid who was at Marw departed to seek refuge and protection in Samarkand in Turkestan. The King of Turkestan offered Yazdgrid protection, and mobilized troops to face the advancing Muslims, fearing that they would cross Persian borders and penetrate into Turkestan.

Nuaym ibn Muqarin to over-run Hamazan. The inhabitants of Hamazan, however, asked for terms of truce, which Nuaym approved to preserve the life of his warriors for future confrontation against the Persian forces assembling at Al-Ray. The Muslim victory at Al-Ray was decisive, which induced the neighboring regions to sign truce terms with the Muslims. Qumas and Nahawand also requested peace terms with Muslims. The surrender of Al-Ray, Qumas and Nabawand, left the shores of the Caspian sea open for Muslim crusaders. The ruler of Girgan accepted truce terms with Suwayd ibn Muqarin. The remaining territories on the Caspian shores were Tabrestan and Azarbijan. Suwayd ibn Muqarin marched to Tabrestan and surrounded the territory in isolation. The ruler of Tabrestan preferred arranging a truce with Suwayd.

The remaining territory of the Persian north was Azarbijan situated west of the Caspian, and shares common borders with the north of the Arab Iraq, and with the south of Armenia and Turkestan. It is an extensive region of mountainous country.Omar ibn Al-Khattab instructed Nuaym ibn Muqarin to command Utbah ibn Farqad and Bakir ibn Abd - Allah to march north from Al-Ray to crusade into the territory of Azarbijan. The whole region was occupied with least resistance, mostly on terms of truce according to Islamic law of Jiziah. Some preferred to join Muslim ranks for exemption from the Jiziah, such legislative action was sanctioned by Omar ibn Al-Khattab. The whole territory of Azarbijan responded to Muslim presence, and reconciled to the terms of their safety in all the valleys, mountains, safety of individuals, safety of property, possessions, traditions and customs. In the course of time, the Islamic doctrinal teachings found their way to the rational thought of the inhabitants. The Muslim system of Persian self government of these districts, made Muslim presence popular and well tolerated. Reformation regimes introduced by Muslims added to their popularity.

The Muslim diffusion into Khozestan, the Persian Iraq, Azarbijan and the territories on the shores of the Caspian Sea, was now completely established. As a matter of fact, the social stability and organization resulting from Muslim administration added to the rooting of their presence. This established fertile ground for the promotion of Islamic teachings. Other territories of the Persian mainland were unable to extend any support or help to the other regions through which Muslim warriors were crusading. Each region was individually anticipating Muslim invasion in due time. After Nuaym ibn Muqarin occupied Al-Ray, Omar ibn Al Khattab gave permission to the various army commanders of Muslim warriors to crusade deep into the territories of the Persian mainland. Muslim crusaders from Asfahan moved east into Khorasan; Muslim forces from Al-Basrah and Al-Bahrain moved towards the heart of Persian and Karman. Reinforcements from the Arab Peninsula poured into Persia to support the drive of the campaigning warriors. The

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE FALL OF THE PERSIAN EMPIRE

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim triumph at Nahawand was a severe blow to the Persian military institution, and also to the Persian national devotion, and integral ardency. This victory on the Persian mainland was a catastrophe to the imperial sovereignty in the person of Emperor Yazdgrid. There was no way out of this dilemma except, either to submit to Muslim stipulations and prerequisites for suspension of hostilities, or a stringent confrontation on the battle ground with the Muslim crusaders. The result of such defiance would be either victory to expel Muslims from all territories they had occupied, or defeat to bring about the final downfall of the Persian Empire. The situation was so disorganized, that the rulers of the various territories detached themselves from the imperial domination of Yazdgrid, and each of them followed his own policy to face the situation. Some confronted Muslims separately, and others arranged truce terms.

Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah with confident calmness engineered the strategy and designed to crusade through the Persian mainland. Omar decided to proceed towards Asfahan, the throbing heart of the Persian Iraq, the main trunk of Persia. To the north was Azarbijan, and to the south was Karman and the main body of the Persian mainland. Omar instructed Abd-Allah ibn Abd-Allah ibn Etban to march to Asfahan. As the Muslims advanced to Asfahan, they were confronted by masses of Persians commanded by Shahreyar Jazawieh, a veteran soldier. During the battle, he was killed, and the Persian troops dispersed and retreated to Asfahan to take shelter behind its strong walls. Emperor Yazdgrid left Asfahan to escape to Karman. Ibn Etban arranged to besiege Asfahan. After a long siege, the Persian troops became impatient, came out into the open to confront the Muslims. During the confrontation, the Persian commander arranged terms of truce with Ibn Etban, and the city of Asfahan became under Muslim domination.

During the time Asfahan was besieged, Omar ibn Al-Khattab received news that Hamazan and Al-Ray were arranging an insurgence against Muslims. Omar instructed



AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART VII

Rajab 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شعبان ١٤١١ هـ

فبراير - مارس ١٩٩١ م

الجزء الثامن

السنة الثالثة والستون



مع الرئيس حسنى مبارك فى ليلة الإسراء والمعراج

● فى ليلة مباركة :

انفرد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسَفْرَةِ الإسراء ، وإمامة الأنبياء ، فكانت إحدى ليالى الدهر الفذة التى زهت بعطاء لم يكن من قبل فى الأنبياء ، ونال بركاتِها كلُّ مسلم ومسلمة استفتح صلاتَهُ بتكبيرة الإحرام فاقام لقاءً مباشراً بربه الكريم الوهاب المنان .

احتفلت مصر بهذه الليلة المباركة - ليلة السابع والعشرين من رجب ١٤١١هـ - جريا على سنتها - بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر حيث جمعت القاعة إلى رجالات الدولة رجالات الدعوة ، فكان السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وكبار المسئولين ، والتقى الإسراء بالدعوة ، وقال الرئيس :

مع الرئيس حسنى مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ..

العلماء الأجلاء والدعاة الهداة

أيها الإخوة .

برغم كل الظروف المحزنة التى يمر بها وطننا العربي وعالمنا الإسلامي . يسعدنى أن التقى بكم الليلة ، لنحتفل معاً بمناسبة من أعز المناسبات ، وذكرى من أمجد الذكريات ، وهى ذكرى إسراء المولى سبحانه وتعالى برسوله الكريم سيد الأنام ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

ليلة خالدة خرجت على قوانين الزمان والمكـــان

لقد كانت ليلة خالدة ، تجلت فيها قدرة الله الذى لا يعجزه شىء ، فألغى لتلك الرحلة ما قَنَّنَ للحياة العادية من قوانين الزمان والمكان ، وأسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، لِيَؤُمَّ الأنبياء ، ويؤكد أنه خاتمهم ومتمم رسالتهم ، ثم عَرَجَ به المولى إلى السماوات العلى ، حيث رأى من آيات ربه الكبرى ، وحيث قَرَّبه ربه من حضرته ، وأسبغ عليه فيض نعمته ، وكان ذلك التكريم والتعظيم ، تخفيفاً عنه صلوات الله وسلامه عليه ، بعد أن لقى فى سبيل دعوته ما لاقى ، وقاسى من ظلم قومه ما قاسى ، وبعد أن فقد أقرب الناس إليه .. وهكذا جاءت رحلة الإسراء ـ التى بدل فيها الله سبحانه قوانين الزمان والمكان من أجل رسوله ـ جاءت مكافأة من الله وتكريماً . وتسرية وتعظيماً ، ثم بقيت ما بقيت السماوات والأرض ، رمزاً لعدل الله سبحانه ، وتقديره للدعاة إلى الحق ، المجاهدين فى سبيل القيم والباذلين من أجل المبادىء ، والصابرين على كيد الكائدين وتعنت الباغين .

نضاله ﷺ مثل أعلى للحق والخير

وقد كان نضاله من أجل قيم الحق ومبادىء الخير . مثلاً أعلى ، كما كان صبره على الكيد والتعنت والمكابرة والأذى نموذجاً يحتذى ؛ فقد أوذى واضطهد ، وطورد وحورب ، ولكنه لم ييأس ولم يضعف ، ولم يسخط ولم يفتر ، بل ظل يدعو إلى سبيل ربه متفانياً فى دعوته ، مؤدياً بكل الصدق والصلابة لرسالته ، التى هي رسالة الحق والصدق ، رسالة العدل والنبل ، رسالة التوحيد والوَحْدة ، رسالة التحرر والتحضر ، رسالة الوئام والسلام .

وهذه المبادىء التى أوحى بها الحق سبحانه إلى نبيه محمد ﷺ والتى أكدها المولى لرسوله فى رحلة الإسراء والمعراج ، هي المبادىء التى أخرج الإسلام بها العرب من الظلمات إلى النور ، ومن همجية الجاهلية إلى تحضر المدنية ، فعبر بهم من مهاوى البغى والعدوان والظلم ، إلى قمم العدل والأمن والسلم ، وسما بهم من الحضيض القبلى المفرق الممزق ، إلى آفاق الدولة القوية الفتية التى بهرت بحضارتها الدنيا وصححت مسيرة التاريخ .

ولذلك يأتى احتفالنا بذكرى الإسراء تذكيراً لنا بتلك القيم الرفيعة التى حَمَّل المولى رسولَهُ صاحب الإسراء أمانتها . والتى كرمه من أجل تشبثه بها ، والعمل على غرسها وإقامة الحياة على أسسها ، وليست المسألة مسألة تذكير فقط ، وإنما هي دعوة متجددة إلى التشبث بتلك القيم والدفاع عنها والوقوف فى وجه كل من يسىء إليها أو يعتدى على شىء منها ؛ لأننا مادمنا قد آمنا بمحمد ورسالته ، فمقتضى هذا الإيمان أن نأخذ أنفسنا بقيمه الرفيعة ، ومبادئه الخالدة ، ومقتضى هذا أن نحتذى به ـ صلوات الله عليه ـ وأن يكون مثلنا الأعلى فى كل مواقفنا ، وفى جميع توجهاتنا ، وأن يكون ما جاءنا به وحياً عن ربه ـ وهو القرآن الكريم ـ منهاج حياتنا ومعيار تصرفاتنا ، وأن يكون ماهدانا به ـ من حديث شريف وسنة مطهرة ـ قدوتنا المثلى ومعالمنا المضيئة ، فى القول والعمل فالإيمان كما قال رسولنا الكريم هو « ماوقر فى القلب وصدقه العمل » .

والعمل هو العمل بتعاليم الإسلام التى شرعها الله عز وجل وأكدها رسوله الكريم بسنته الشريفة .

روائع من تعاليم الإسلام

ولا ينكر احد ان من ابرز تعاليم الإسلام ، كف الأذى عن الغير ، « فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

ومن أهم تعاليم الإسلام ، حب الآخرين كحب النفس ، « **فلا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .

ومن أروع تعاليم الإسلام : رعاية الجار كأنه أحد أبناء الأسرة ، فمازال جبريل يوصى النبى بالجار ، حتى ظن أنه سَيُوَرِّثُهُ .

ومن أرفع تعاليم الإسلام : حرمة كل ما يخص الغير ويعد من حقوقه « فكُلُّ المسلم على المسلم حرام دَمُهُ وعرضه وماله » .

ومن أمجد تعاليم الإسلام : التمسك بالصدق ، والحرص على الأمانة ، والوفاء بالعهد . وبدون هذا ، يكون النفاق البغيض .

الذى يقول الله فى شأن أصحابه ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ والذى يدلنا الرسول الكريم على علامات من يستحق الاتصاف به ، وذلك فى قوله صلوات الله عليه :

« آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » .

ومن أسمى تعاليم الإسلام : وجوب مناصرة الحق ، وضرورة الأخذ على يد المعتدى ، فقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » .

ومن أرقى تعاليم الإسلام : وجوب الترابط ، وضرورة الاتحاد ، فالله تعالى يقول :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ والمراد بطبيعة الحال هو الترابط فى سبيل الحق ، والاتحاد من أجل الخير ؛ لأنه بغير هذا لا يكون اعتصاماً بحبل الله.

وهذا كله يجعلنا نقيس أمورنا بهذه التعاليم ونعرضها على ميزان تلك القيم ، لنعرف على وجه اليقين :أين الحق وأين الباطل ؟ أين الصواب وأين الخطأ ؟ أين طريق الجاهلية البائدة ، وأين سبيل التعاليم الإسلامية الخالدة ؟

ولا أظن أحداً يجحد أن ذلك هو المعيار الصحيح والميزان العادل الدقيق !!

محنة الأرض العربية محنة إسلامية

فإذا تأملنا ما تمر به الآن أرضنا العربية وأمتنا الإسلامية من محنة قاسية أصابتها بالتفرق والتمزق ، وأشعلت فى جزء عزيز منها لهيب الحرب ، وهددتنا جميعاً بمخاطر لا يعلم مداها إلا الله .

أقول : إذا تأملنا هذا كله وبحثنا عن أسبابه فإننا لن نخطىء السبب الحقيقي ، ولن نضل ـ إذا كنا منصفين ـ معرفة الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، وأين التخبط فى ظلمات الجاهلية ؟ وأين السير على ضوء القيم الإسلامية ؟

فقد بدأت الأزمة التى تعانى منها بلادنا العربية وأمتنا الإسلامية فى هذه الأيام المريرة بتهديد رئيس العراق للكويت مطالباً بحقوق معينة وموجهاً إليها اتهامات باطلة .

والكويت بلد شقيق ، كما أن العراق بلد شقيق ، وكلاهما تربطنا بـه روابط العروبة والإسلام ، وكلاهما عضو فى الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، وكلاهما عضو بالأمم المتحدة .

وانطلاقاً من روابطنا بالبلدين الشقيقين ، ومن شعورنا بالمسئولية الأخوية نحوهما وحفاظاً على دور مصر الإيجابي والتزامها العربي والإسلامي بادرتُ بالسفر إلى العراق ، وتحدثت مع رئيسه فيما كان من تهديده للكويت فأكد لى أنه لن يعتدى على الكويت ، وأنه لم يرد بالتهديد إلا الضغط للحصول على مطالبه منها .

فهل من الإسلام نقض العهد والتنكر للوعد ؟ وهو ذلك الوعد المقطوع بعدم العدوان على الكويت ، وهل من الإسلام اجتياح بلد عربي مسلم ، وترويع أهله والعاملين به بالاعتداء على الأرواح وانتهاب الأموال وانتهاك الأعراض ؟ وهو الاجتياح الذى قتل فيه من قتلوا ، وشرد من كتبت لهم النجاة . فخرجوا

مع الرئيس حسني مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

تاركين بيوتهم وأموالهم مضافين إلى ملايين اللاجئين أو عائدين - إن كانوا من العاملين بالكويت - فاقدين لمجال عملهم الذي كانوا منه بالشرف والكرامة يعيشون.

وهل من الإسلام الكذب بادعاء قيام حكومة ثورية بالكويت، واتخاذ ذلك ذريعة لاجتياحها؟ وهو الادعاء الذي أعقبته ادعاءات أخرى. امتدت إلى تزييف التاريخ والزعم بأن الكويت محافظة من محافظات العراق !!

وهل من الإسلام الخداع بأن العدوان كان من أجل أخذ ثروة البترول من الأغنياء وردها على الفقراء؟

وهل هذه هي طريقة العدل الإسلامي في توزيع الثروة؟.

ألم يرسم الإسلام طريق تحقيق العدالة بالتكافل الاجتماعي الذي يتم بالتعاطف والتراحم لا بالحرب والقتل والعدوان والظلم؟.

ثم هل من الإسلام إشعال فتنة في الأرض العربية. أول وقودها الجيش العراقي الذي كنا ندخره قوة للعرب وسنداً للمسلمين؟

وهل من الإسلام في شيء أن يلجأ هؤلاء الذين يدعون مناصرة العراق والوقوف إلى جانبه إلى تضليل القيادة العراقية وتخديرها بالأوهام الكاذبة، وإقناعها في بداية الأمر بأن الحرب لن تقوم أبداً ثم عندما قامت الحرب بالفعل لجأوا إلى إقناعها بأنه يمكن إيقافها على أساس صيغ ملفقة مراوغة تتجاهل تماماً العنصر الأساسي الذي هو حجر الزاوية في أي انفراج في الموقف، وهو انسحاب العراق فوراً ودون شروط من كل الأرض الكويتية؟

وهل من الإسلام الإصرار على العدوان والتمسك بما تم الاستيلاء عليه والمضي في التهديد بمزيد من اقتحام الأرض العربية والاستيلاء على الثروات العربية؟!

الحرب في الأسرة الواحدة مريرة أليمة

إن الحرب شيء مرير ومؤلم ويزداد الألم وتتضاعف المرارة حين تكون بين أبناء الجنس الواحد، والمفروض أن يكونوا أسرة واحدة ولكن الحرب على مرارتها وألمها تكون أحياناً ضرورة يقتضيها واجب حماية النفس والأرض والعرض !!!

وفي ذلك يقول ربنا جل شأنه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾.

كذلك تكون الحرب - على مرارتها وقسوتها - ضرورة يحتمها مبدأ الوقوف مع الحق ودفع الظلم، والضرب على يد الظالم المتمادي في البغي، وفي هذا يقول عز من قائل: ﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾.

ويقول نبينا - صلوات الله عليه -: «إذا رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» !!

ليس في الجهاد بغي ولا عدوان !!

وهل من الإسلام ادعاء رئيس العراق على دين الله وتزييفه والجراءة عليه، وزعم أن مافعله بالكويت وما يفعله، إنما هو جهاد في سبيل الله ؟!

وهل الجهاد عدوان؟

وهل الجهاد سلب ونهب؟

وهل الجهاد اغتصاب؟.

وهل الجهاد تخريب وتدمير يتجاوز الناس إلى الطبيعة والبيئة وأروع ما خلق الله وسخره لإسعاد العباد ؟!

إن الجهاد المشروع في الإسلام مقصور على أحوال ثلاثة، كما يعرف من يفقهون حقيقة الإسلام ولا يزيفون، ولا يسخرونه لأغراضهم ونزواتهم الشريرة:

فالحالة الأولى من حالات الجهاد الإسلامي المشروع: هي حالة الدفاع عن العقيدة وعن الأرض والعرض.

وهذا الجهاد هو الحرب

الدفاعية . ولم يبدأ أحد بالعدوان على العراق ، وإنما هو الذى اعتدى على غيره ، ولا يمكن أن يقال : إن من تصدوا لهذا الغزو والاحتلال لأرض عربية مسلمة قد ارتكبوا إثماً أو عدواناً . وإنما هو دفاع مشروع لتحرير الأرض المغتصبة وصيانة الأرض المهددة .

وأما الحالة الثانية من حالات الجهاد الإسلامي المشروع : فهى حالة وقاية العقيدة والدولة من قوى تهددها وتخطط للعدوان عليها ، وهذا الجهاد هو الحرب الوقائية ، ولم يقم أحد بتهديد العراق قبل أن يغزو الكويت ، وإنما هو الذى اجتاح دولة وهدد دولاً أخرى ، ووسع تهديداته حتى شملت كل الدول التى وقفت مع الحق وأدانت الباطل ، وسعت إلى إيجاد حل يحقن الدماء ، ويجنب العرب والعالم شرور الحرب .

وأما الحالة الثالثة من حالات الجهاد الإسلامي المشروع فهى حالة تحرير من حالت قوى البطش والقهر بينهم وبين وصول العقيدة الصحيحة إليهم . وهذه هي الحرب التحريرية ، ومثالها الواضح تلك الحرب التى خاضها المسلمون الأوائل لتصل العقيدة الإسلامية السمحة إلى الشعوب المغلوبة التى كانت تسيطر عليها وتحول بينها وبين معرفة الحق قوى طاغية ودول باغية .

أما ماارتكبه العراق من عدوان على دولة إسلامية شقيقة فلا يمكن أن يعتبره أي مسلم غيور على دينه صادق فى إيمانه ، عملاً من أعمال الجهاد الذى يقصد به تحرير العقيدة وإيصال الإسلام إلى من لايعرفون الإسلام ، أو من يعيشون وقد حالت دون معرفتهم للدين الحنيف قوى تحجب عنهم الرؤية الإسلامية الحقة : فرئيس العراق لم يقتحم بقواته بلاد مجوس أو وثنيين يعيشون معزولين بحكم القهر ، بعيدين عن نور الإسلام ، وإنما اقتحم بلاداً إسلامية مستنيرة ، وهدد بلاداً أخرى ترعى الإسلام وتضم الحرمين الشريفين . فأي جهاد هذا الذى يزعمه رئيس العراق . مادام الذى أقدم عليه من حرب ليست حرباً دفاعية وليست حرباً وقائية وليست حرباً تحريرية ؟!!

مصـــر مع الحـق

الإمام الأكبر شيخ الأزهر .
العلماء الأجلاء والدعاة الهداة .

أيها الإخوة :

لقد وقفت مصر مع الحق ضد الباطل وكان موقفها مستنداً إلى إيمانها بالقيم الإسلامية النبيلة . والتقاليد العربية الأصيلة ، كما كان إرسالها لقواتها إلى السعودية وبعض الأقطار الخليجية الأخرى تطبيقاً للدستور والقانون ، وتنفيذاً لميثاق الجامعة العربية ، واستجابة لقرارات مؤتمر القمة ، وما اتفق عليه المجتمع الدولي ، الذى تمثله الأمم المتحدة .

إن البعض ـ وهم قلة شاذة ـ يشككون فى موقف مصر !! ودون أن ندخل فى متاهات الجدل العقيم والمزايدات الزائفة ، نقول بكل الوضوح لهؤلاء أن المواقف التى كانت مطروحة لم تكن تخرج عن خيارات ثلاثة :

إمَّا الوقوف إلى جانب حاكم العراق فى عدوانه على الكويت وتهديده للسعودية والخليج ومباركة عدوانه وتهديده وما تبع ذلك من تدمير وتقتيل وتخريب وتشريد .

وإمَّا الحياد العاجز والبعد عن التأييد أو الرفض ، وترك الأمور تجري على أعنتها كما تشاء الأهواء ، أو تتخبط كما توجهها الأنواء . وكأن الأمر لا يعنينا من قريب أو بعيد .

وإما الوقوف إلى جانب الحق ، والعمل على تصحيح الخطأ ، ومساعدة المنهوب فى استرداد حقه والمهدد فى رد التهديد عن أرضه ، وحماية المنطقة العربية آخر الأمر من الفتنة والدمار .

والموقف الأول ـ موقف تأييد عدوان العراق ـ وقوف مع الظلم والبغي ، ترفضه قيم الإسلام ، وتقاليد العروبة ، و القوانين السماوية والوضعية ، فضلاً عن أنه لا يليق أبداً ببلد مثل مصر .

والموقف الثاني ـ موقف الحياد ـ موقف سلبي لا يليق بمصر ، ولا يتفق كذلك مع قيم الإسلام التى تفرض عدم السكوت على ظلم الظالم ، كما أن هذا الموقف السلبي لا يتفق مع التقاليد العربية ، التى تدعو إلى مناصرة المظلوم ،

مع الرئيس حسني مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

والاستجابة إلى نجدة المستغيث ، كما أن في الموقف الحيادى - رغم وصفه بالحيدة - جانباً انحيازياً يخدم العدوان ويساند الظلم حيث يترك المعتدى على عدوانه ، ولا يرد الظالم عن ظلمه ؛ فهو حياد شكلى فقط ، ولكنه في حقيقته يعتبر مناصرة للعدوان والبغي .

بقى موقف واحد من المواقف التى لا تخرج عنها الاحتمالات المنطقية .

وهو موقف مناصرة الحق ومواجهة الظلم ومؤازرة المجنى عليه لإنصافه من المعتدى .

وهو الموقف الذى اتخذته مصر .

وهو الموقف الإسلامي الصحيح .

والموقف العربي السديد .

والموقف المبدئي والقانوني والأخلاقى المتحضر الذى يليق بمصر المسلمة العربية المبدئية الأخلاقية المتحضرة .

ومع هذا كله يشكك البعض في موقفنا ، ويحاول إثارة مشاعر بعض البسطاء على سياستنا ، مستغلين شعارات جوفاء ومغالطات زائفة لا تستند إلى منطق سليم . أو دين قويم أو سلوك كريم ، وبرغم ذلك - بل أقبح ماق ذلك - تسخيرهم للدين في سبيل الترويج لدعاواهم الزائفة وأضاليلهم المنحرفة ، فالدين بريء من كل ما يزعمون ومن كل ما يروجون .

أساليب الترويج للباطل

فتارة يركزون على وجود قوى أجنبية في المنطقة العربية ، ويزعمون أن هدفهم ينحصر في المطالبة بإجلاء هذه القوى عن المنطقة ، وينسون أو يتناسون - أن السبب في مجيء هذه القوى إنما هو اعتداء رئيس العراق على الكويت ، وتهديده للسعودية والخليج ، فقد جاءت هذه القوى في الأصل باستدعاء مشروع ، من أصحاب الأرض ، المهددين بالاجتياح من رئيس العراق ..

ومن المسلم به شرعاً وقانوناً : حق الإنسان في الدفاع عن نفسه ، والاستعانة في سبيل ذلك بمن يرى ، وليس من المطلوب أن يُسَلِّمَ الناسُ أرواحهم وديارهم وبلادهم للعدوان ، حتى لا يقال : إنهم استعانوا بالأجانب للمشاركة في الدفاع عن أنفسهم ..

إن اللوم لوجود قوى أجنبية يجب أن يوجه إلى الغاصب الذى اعتدى على إخوانه العرب المسلمين ، وحملهم قهراً على الاستعانة بالأجنبي البعيد ، لترد عنهم عدوان أخيهم العربي القريب !!

وتارة أخرى ، يركزون على أن هؤلاء الأجانب يلوثون الأراضي المقدسة ، وأنهم قد جاءوا لاحتلالها والبقاء فيها ، والمعروف للناس جميعاً ، أن هؤلاء الأجانب يدافعون عن السعودية ضد من وجه إليها دباباته ومصفحاته ، ومازال يُطلق عليها صواريخه .

إن ادعاء احتلال القوى المتحالفة للسعودية وتلويث مقدساتها هو عكس للواقع وقلب للحقائق .

فالذى يحاول اقتحام السعودية هو جيش المعتدى ، والذى يصد هذا الجيش هي قوى الائتلاف العربي والدولى .

أما التلويث والتنجيس ، وما إلى ذلك من شعارات ، فأقول : لا ينخدع بها إلا السذج ، الذين يقعون ضحايا المتاجرة بالكلمات والمزايدة بالشعارات ، فبين مكة والمدينة وكل الأماكن المقدسة في السعودية ، وبين الأماكن التى تنزل بها قوى الائتلاف ، مئات الأميال وشاسع المسافات ، وقد كان الأجانب موجودين قبل الأزمة في أماكن مختلفة من هذه المنطقة الشرقية ، حيث كانوا يعملون - وخاصة في مجالات البترول - كما يعملون في العراق وكل البلاد العربية والإسلامية .

أما القول بأن هذه القوى الأجنبية سوف تحتل الأرض العربية ولن تخرج منها بعد انتهاء الأزمة ، فهو قول باطل لإثارة المشاعر وصرف الأنظار عن القضية الأولى ، وهى قضية احتلال العراق للكويت ، وتهديده للسعودية ودول

الخليج ، وادعاء بقاء القوات الأجنبية بعد المعركة تكذبه تأكيدات الرؤساء في كل البلاد التي بعثت بتلك القوات ، بأن قواتها سوف تنسحب عائدة إلى بلادها فور انتهاء مهمتها ، والمجتمع الدولي كله شاهد على هذه التأكيدات .. كما أن رئيس العراق يستطيع أن يتأكد من ذلك بنفسه إذا شاء ، فلينسحب من الكويت ، وليكف عن تهديده للسعودية والخليج ، وسوف نكون من أول من يطالبون بجلاء هذه القوات وعودتها إلى موطنها .

ومرة أخرى نسأل :

هل من الممكن أن تجلو هذه القوات تاركة رئيس العراق متمسكاً باحتلاله للكويت ، وتهديده لغيرها من دول المنطقة العربية ؟

وهل هذا هو الإسلام والعدل والمنطق في رأي هؤلاء الرافعين للشعارات الجوفاء ؟!

إنهم يقولون أحياناً : إذا كان لابد من قوات لتصحيح الوضع ، فلتكن قوات عربية .. ونحن نقول لهؤلاء بكل الصراحة ، والبعد عن المراوغة والمزايدة :

أين هي تلك القوات العربية التي كانت تستطيع أن ترد عدوان رئيس العراق وتوقف تهديده ؟!

إن الاعتراف بالحق والأخذ بالصدق ، هو السلوك المتفق مع الإسلام والضمير المتحضر الحي ، مهما كان الحق مكلفاً ومحتاجاً لتضحية المؤمنين الصادقين .

وتارة ثالثة ، يركز هؤلاء المشككون على فلسطين ، مجارين رئيس العراق في زعمه أنه قد أراد بما فعل تحريرها ، وأخذ حق أهلها ، ورد الغاصبين عنها ، وهنا نسأل هؤلاء المغالطين :

هل كان لرئيس العراق من قبل دور في قضية فلسطين ؟

وهل احتلاله للكويت هو الطريق إلى تحرير القدس كما يزعم ويزعمون ؟

وهل تهديد السعودية ودول الخليج هو الذي سيمنح الأمان للفلسطينيين ويرد عنهم من يهددهم ويجحد حقهم ؟

لقد نسي هؤلاء المشككون دور مصر المسجل في صفحات التاريخ العربي ، وفي النضال من أجل فلسطين بحروف من نور ، وأصغوا إلى اتهامات صدام لنا بالعمالة والخيانة وإضاعة القضية الفلسطينية .

نعم نسي هؤلاء ـ أو تناسوا مع رئيس العراق ـ أن مصر قد خاضت أربع حروب في سبيل تلك القضية .

وضحت من أجلها بعشرات الألوف من الشهداء وأضعافهم من المفقودين والمعوقين ، علاوة على المليارات التي أنفقت في سبيل السلاح والعتاد ، ثم إعادة تعمير ما خرب وبناء ما هدم .

وهكذا تبنت مصر القضية الفلسطينية منذ بدايتها وإلى اليوم ، ورعت الإخوة الفلسطينيين كل الرعاية ، حتى لقد قدمتهم ـ في كثير من الأحيان ـ على المصريين أنفسهم .

فضلاً عن أنها لم تحاربهم ولم تضطهدهم كما فعل الآخرون ، ولم تطاردهم كما طاردهم من هم الآن يتاجرون ويزايدون .

وبفضل جهود مصر ، وجهود المخلصين الأوفياء من الفلسطينيين والعرب ، بدأ المجتمع الدولي يتعاطف مع القضية الفلسطينية ، حتى اقتربت هذه القضية من الحل العادل ، وأوشكت الجهود المخلصة التي بذلناها وبذلها غيرنا أن تؤتي ثمارها ، لولا أن أثار رئيس العراق فتنة احتلال الكويت ، التي عطلت كل شيء !!

تشكيك مرفوض في إخلاص مصر

فهل يستقيم بعد هذا تشكيك المروجين لرئيس العراق ، وزعمهم مثله أن ماحدث من احتلال الكويت وتهديد دول الخليج إنما كان لتحرير فلسطين ، وأن مصر هي التي عطلت القضية الفلسطينية ؟

إن قضية فلسطين لم تنتكس في تاريخها ولم تضار كما انتكست واضيرت بفعل رئيس العراق ، فقد حرمت ـ بعد الفتنة التي وقعت بفعل هذا الرئيس ـ من هذا الاهتمام العالمي الكبير ، ولم يعد للقائمين على أمرها هذا التعاطف الدولي الشديد ؛ بل لم تعد هي القضية المحورية الأساسية التي تشغل الناس في الشرق والغرب ، باحثين لها عن حل يرد لأبناء فلسطين حقهم ، ويقيم دولتهم على أراضيهم ، لم تعد القضية كذلك ، بسبب هذا الزلزال المروع الذي

مع الرئيس حسني مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

أحدثه صدام بما فعل بالكويت وبما هدد به المنطقة ، وهو زلزال جعل أسماع العالم تصم عن صيحات الفلسطينيين ، الذين طالما طالبوا بحقهم المشروع ، وناضلوا من أجل دولتهم المأمولة .

ومن أعجب المزاعم في هذا الصدد ، القول بوجوب الربط الزمني بين قضية احتلال الكويت وقضية فلسطين ، والقول بوجوب حل القضية الفلسطينية لكي تحل القضية الكويتية .

إن هذا القول مجرد مراوغة ومتاجرة ، لأن الكل يعرف أن القضية الكويتية تختلف تماماً عن القضية الفلسطينية ، والربط بين القضيتين يعطل حل قضية الكويت ، ولا يعجل حل قضية فلسطين : فقضية الكويت قضية كل أطرافها عربية ، أما قضية فلسطين ففيها أطراف غير عربية ، كما أن قضية الكويت يجمع العالم كله على إدانة الاعتداء الذي سببها ، أما قضية فلسطين فيوجد في العالم من لا يزال محتاجا إلى الجهد لإقناعه بوجهة نظرنا وعدالة مطالبنا ..

ومن هنا كان ربط المشككين - المجارين لرئيس العراق - بين قضية الكويت وقضية فلسطين وتعليق حل الأولى على حل الثانية ، مسلكاً يضر بقضية فلسطين ، ويضيع قضية الكويت ، ويسيء إلى القضيتين معاً أشد الإساءة .

وتارة رابعة : يركز هؤلاء المشككون على وجوب التوصل إلى حل عربي للأزمة ، ورفض هذه الحلول العالمية التي أقرها المجتمع الدولي كله ، ونحن نسأل هؤلاء في هدوء :

هل قصرنا في السعي لإيجاد حل عربي ، بدءاً من السفر إلى العراق ، وانتهاء بإرسال سبع وعشرين رسالة إلى الرئيس صدام ، ومروراً بمؤتمر القمة العربي ، وعديد من الاتصالات واللقاءات والاقتراحات والمبادرات التي رفضها الرئيس صدام ، بحجة أن الكويت جزء لا يتجزأ من العراق ؟!

وتارة خامسة ، يروج هؤلاء المشككون ، أنهم يشفقون على شعب العراق وجيش العراق ، من تلك القوى التي تجمعت ضد الرئيس صدام ، ويشهد الله أننا نشفق على الشعب العراقي والجيش العراقي أكثر منهم ، بقدر إشفاقنا على الشعب الكويتي الشقيق في محنته القاسية الأليمة . كما أن الشعب العراقي شقيق للشعب المصري ، وهو - في رأينا - ضحية يسوقها الحكم العراقي إلى الهلاك ، كذلك فإننا نعتبر الجيش العراقي قوة عربية يمكن أن تكون سنداً للعروبة والإسلام ، والحل - كما هو واضح - في يد رئيس العراق ، فهو الذي يستطيع أن يحفظ شعبه ويصون جيشه ، وذلك بإعلانه الانسحاب من الكويت ، وترك التهديد للسعودية ودول الخليج ، وبذلك تتوقف الحرب ، وينجو شعب العراق ويحفظ جيشه قوة للعرب وسنداً للإسلام .

هل يخلص المروجون ؟

إن على هؤلاء المروجين للشائعات والمتاجرين بالشعارات ، والمزايدين على حب شعب العراق وجيش العراق ، أن يوجهوا صيحاتهم إلى الرئيس صدام ، لكي يحقن دماء شعبه ، ويحفظ قوة جيشه ، وذلك بكلمة واحدة صادقة منه ، بأنه ارتضى الانسحاب ورد الحق إلى أهله .

إن إنقاذ شعب العراق وجيشه ، يكون بانسحابه من الكويت لإعادة الشرعية إليها ، وليس الأمر في يد أحد غيره ، فهو المعتدي ، وهو القادر على تصحيح الخطأ ورد الحق إلى نصابه .

أيها الدعاة !!

أيها الدعاة الهداة .

إننا نحتفل بيومكم في ذكرى تكريم المولى للداعية الأعظم . سيدنا محمد ﷺ ، ومن متطلبات الدعوة ، ومن واجبات الدعاة الواعين المنتمين ، الذين يقتدون بإمامهم أن يتصدوا للأباطيل ويظهروا للناس وجه الحق وأن يصونوا الإسلام من تلك الدعاوى الباطلة المضللة ، التي

يزيفها المتاجرون باسم الدين من المزايدين في ساحة الإسلام .

الحق واضح والباطل واضح ، ومن مع الحق معروف ، ومن مع الباطل مفضوح ، فلا يليق أن تترك الساحة لمزايد يتاجر بالإسلام ، يتخذ من نصوصه المطهرة أو مبادئه المشرفة ، قناعا يستر زيفه ويروج باطله ، فالعبث في ميدان السياسة يجب أن يكون بعيدا عن قداسة الدين ، وتصفية الحسابات الشخصية ومحاولة كسب المنافع الدنيوية ، يجب أن تظل بمنأى عن الدين القويم والشرع الحكيم ليظل الدين في جليل أقداسه ورفيع مكانته ، ونهتدى به إذا ضللنا الطريق ، ونستنير بهديه إذا أظلمت الأحداث ، ونستلهمه الصواب ، إذا أحاطت بنا الأخطار ، ونرجو به النجاة إذا عصفت بنا الأنواء .

صورتنا قبل الفتنة ثم بعدها تهدي إلى الحق

وبعيدا عن كل المزايدات والشعارات فلنسأل الجماهير البسيطة نفسها : كيف كان حال أمتنا قبل فتنة الكويت ، وكيف أصبح الحال بعد تلك الفتنة ؟! وفي الإجابة عن هذا السؤال تتضح الصورة ويتضح الحق مشرقا ، وينزوى الباطل كسيفا .

لقد كنا قبل الفتنة نتجه بخطوات ثابتة نحو مزيد من التقارب والعمل المشترك ، وكانت مشاريع التنمية في كل بلد عربي تكافح لتحقيق الكفاية وسد احتياجات الجماهير ، كما كانت بعض مشاريع التكامل والتعاون بداية لنوع من التآزر الاقتصادي في ظلال التعاون والتكافل ، وكانت الخلافات العربية القديمة قد أوشكت على الاختفاء ، والمقاطعة قد قاربت على الانتهاء ، وجامعة الدول العربية قد عادت إلى مقرها ، وشرعت في تأدية دورها .

أما قضية فلسطين فكانت - كما قلت وأقول - قد قاربت الحل ، وأخذت تطرق آخر الأبواب لتنطلق إلى آفاق النجاح ، الذى يحقق للإخوة الفلسطينيين حقهم ، ويمكنهم من إقامة دولتهم على ترابهم .

وكان العالم كله ينظر إلى أمتنا بعين الإكبار ، وإلى قضايانا بعين التعاطف ، بعد أن ارتضينا قرارات الأمم المتحدة ، واخترنا السلام طريقا لمعايشة الآخرين ، والحلول المتحضرة سبيلا إلى تحقيق الغايات ونيل المطالب .

وكنا في تجمعنا نمثل قوة كبرى ، تعمل على أن تأخذ مكانتها بين قوى العالم الجديد ، الذى لم يعد فيه مكان للكيانات الصغيرة ولا للصراعات العقيمة ، وكان علينا أن ننمى هذا الشكل الحضارى الجديد من أشكال علاقاتنا ، بين أنفسنا وبين دول العالم من حولنا ، فنزداد تماسكا وتقاربا ، وتعاونا وتكاملا ، وتساندا وتوحدا ، لكى نزداد قوة ومنعة ، ولكى يحترم العالم وجودنا ويستمع إلى كلمتنا ويعيننا على نيل حقوقنا، وأول هذه الحقوق هو حق الشعب الفلسطيني الشقيق .

هذه كانت صورتنا قبل الفتنة ، أما صورتنا بعدها ، فهى غنية عن الوصف ، فالكل ممزق النفس مما أصاب الصورة من تشويه وتخريب وتدمير .

دولة صغيرة مسالمة ، قد اجتاحتها دولة كبيرة ظالمة .

ملايين من مواطنينا والعاملين من أبنائنا ، هاموا على وجوههم ، تاركين الممتلكات والأموال ، بل الأجور ، ناجين بأرواحهم ، مكتفين بما يستر أبدانهم ، مشردين كأنهم لاجئون أو شبه لاجئين .

ودولة كانت تضمد جراحها من حرب ثماني سنوات ، وتحاول بناء ما هدم وتعويض ما فات ، يسوقها حاكمها إلى مغامرة باغية لتبدأ الحرب من جديد ، وتهدر الأرواح والأموال من جديد ودولة كانت آمنة مطمئنة ، ترعى الأماكن المقدسة وتأخذ مكانها بين شقيقاتها العربيات المسلمات ، في تأييد العروبة ونصر الإسلام ثم تفاجأ بالتهديد من رئيس العراق ، وحشد قواته على حدودها فتبادر إلى طلب النجدة من الأشقاء والأصدقاء ، فتخف إلى الأرض العربية قوى شقيقة وصديقة ، لتوقف التهديد وترد العدوان ، وفي الوقت نفسه تضم الصورة المؤلمة ما يزيد المرارة ويوجع القلب : دولا عربية تناصر العدوان ، إما طمعا وإما خوفا وإما تجاهلا وهى في كل الحالات تشذ عن الموقف الصائب المناصر للحق والرافض للبغى ، بل تتجاوز الموقف الخاطىء إلى مهاجمة الدول العربية الملتزمة ، واتهامها وتجريحها

مع الرئيس حسني مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

وتهديدها وفي ظل هذا التشويه الذي يجعل الصورة باعثة على الألم يصاب الاقتصاد العربي بضربات قاصمة ، حيث تهدر المليارات لتسليح الجيوش ، ثم تعطل - أو تقلص - مشروعات التنمية ، ويراق جزء من بترول العرب في الخليج ، وتصاب البيئة بالتلوث ، ويتعطل ملايين العمال وتقطع أرزاقهم ، وتتوقف السياحة ، وتكسد التجارة ، ويعيش الناس - كل الناس - أزمة طاحنة .

وهكذا ترسم صورة قاتمة حزينة لعالمنا العربي بعد الفتنة ، فإذا ما تأملناها وقارناها بصورة هذا العالم قبل الفتنة ، عرفنا - على وجه اليقين :

أين الحق وأين الباطل ؟

أين الصواب وأين الخطأ ؟

من يقف مع الإسلام ومن يقف ضد الإسلام !!

فليكن من أول ما تهتمون به أيها الدعاة الهداة في هذه الأيام ، أن تبصروا الناس بالحقيقة ، وأن تدعوهم إلى وحدة الصف وراء الحق ، وإلى رفض كل ما يثيره المشككون والمتاجرون والمزايدون باسم الدين .

إن ما يقوله هؤلاء ليس من قبيل الرأي الآخر الذي تتيحه حرية التعبير ، وإنما هو تزييف وتضليل ، وعبث بقيم الدين ، وهو سلوك لا يقف عند شق وحدة صف الأمة والدعوة إلى الفرقة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوحدة ، وإنما يتجاوز ذلك إلى الإساءة إلى الدين واتخاذه قناعا تختفي وراءه الأغراض المشبوهة والأطماع الدنيوية المتدنية .

واجبنا الحتمي
إننا أمام قضية قومية مصيرية

نحتاج إلى وحدة الصف ، القائمة على نقاء الضمير ، وصفاء القلب ، وسلامة القصد ، وإلى التجرد من كل هدف سوى الانحياز إلى الحق ، والانتماء إلى الوطن ورعاية الصالح العام .

إن الحرية تفرض الالتزام .

والديمقراطية لا يمكن أن تكون في غير مصلحة الوطن ، كما لا يمكن أن تكون لمناصرة من يعادون هذا الوطن ويهددونه ، ويرفضون موقفه المنادي بإحقاق الحق ودفع الظلم ، والاستجابة لما يفرضه الدين والخلق ومبادىء المجتمع المتحضر .

هذا كل ما نريد
وهذا سلوكنا

إننا لا نريد تدمير العراق ، فهو قطر عربي شقيق ، وأبناؤه إخوة لنا في العروبة والإسلام وكل ما نريده ، هو تحرير الكويت القطر العربي الشقيق المسلم ، وتأمين السعودية البلد الذي يشرف بالحرمين ثم صيانة دول الخليج المهددة من رئيس العراق بالعدوان والاجتياح .

إننا لا نريد أبدا شراً بشعب العراق أو تدمير جيش العراق فهو - كما أكدت وأؤكد - قوة للأمة العربية ، وسند للشعوب الإسلامية .

إننا نريد فقط أن ينسحب هذا الجيش من الكويت .

وأن يرتد عن السعودية .

وأن يكف عن تهديد دول الخليج الأخرى .

وأن يعود - كما ينبغي - درعا للعراق والعرب والمسلمين .

هذا هو سلوكنا الواضح المستقيم ، بلا مناورة أو التواء أو مزايدات رخيصة لا يتحملها أخطر موقف تواجهه الأمة العربية والشعوب الإسلامية .

كيف نحمي شعب العراق ؟!

والسؤال الذي يطرح نفسه .. كيف نحمي شعب العراق وجيش العراق من نهايات مأساوية رهيبة سببها الأول والأخير هو حاكم العراق ، وكل شريك له في هذه المؤامرة الدموية ؟

أقولها بكل الإيمان ..

لن تكون حماية شعب العراق ، وجيش العراق بمبادرات تمثيلية يتسابق إليها شركاء الجريمة الذين يرتدون اليوم الأقنعة الزائفة لكي يهربوا من حكم التاريخ .

لن تكون حماية شعب العراق وجيش العراق بخطب منبرية أو كلمات جوفاء أو شعارات بالية .. هدفها الأول والأخير تزييف الحقائق وارتداء أثواب البراءة من جرائم هم فيها أول الشركاء وأول المحرضين .

لن تكون حماية شعب العراق وجيش العراق .. بالتباكى بدموع التماسيح يذرفونها اليوم وهم الذين يناورون لإخفاء مؤامرة الظلام .

نحن أمام مأساة رهيبة .. لا تحتمل اللعب على الحبال ، أو نفاق الهتافات والمظاهرات أو تسجيل المواقف الكاذبة أو ممالأة تيارات الهوى والأهواء أو استغلال الفرصة ممن يريد أن يطهر ماضيه .

لن يستطيع أحد أن يتجاهل الإجماع العالمى بأن الخطوة الأولى الواجبة هى انسحاب جيش العراق وعودة الكويت إلى سيادتها وشعبها .

الدول الإسلامية ، ودول عدم الانحياز .. إيران .. باكستان .. يوغوسلافيا .. الهند .. ودول كل القارات .. دول الشرق والغرب .. كل الدول التى تسعى جادة إلى وقف الدماء ، تطالب أولا بتحقيق الانسحاب من الكويت .

هذا هو الموقف الجاد المرتفع إلى مستوى المسئولية الذى يتعامل مع الحقائق ويريد فعلا حقن الدماء .

وهذا هو موقف مصر وكل الدول العربية الملتزمة بشرف المبدأ ، وتحقيق الشرعية الدولية .

المبادرة الواقعية

هذا هو الموقف الذى يتهرب منه من هم مسئولون مباشرة عن المأساة ومن هم مسئولون بالاشتراك والتحريض أو السلبية فى وقوع المأساة .. وهم أصحاب المبادرات التمثيلية الذين يعلمون باليقين أنها فرقعات فى الهواء مثل هتافات الزيف والادعاء .

إن المبادرة الحقيقية الواقعية .. هى أن يعلن حاكم العراق أنه قرر أن ينسحب وأن ينفذ ذلك .

إنه بهذه المبادرة الحقيقية الواقعية .. سيضع العالم كله أمام موقف جديد .

وإذا فعل فلا أشك لحظة أن العالم كله ، سيتحرك وبسرعة لوقف القتال وإحلال السلام وهكذا نتجاوز المحنة الطاحنة الرهيبة وليس غير ذلك من سبيل .

إيماننا والإسراء والمعراج

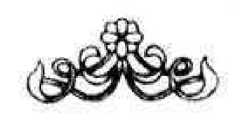
أيها الإخوة :

فليكن احتفالنا بذكرى الإسراء مناسبة نعمق بها إيماننا وإيمان الناس بتلك القيم والمبادىء التى أرساها صاحب الذكرى والتى بذل أقصى الجهد فى نشرها وإقناع الناس بها والتى صبر فى سبيل إعلانها وإقامة المجتمع الإسلامى على أسسها ، فمن خلال هذا الإيمان والعمل به تتوحد صفوفنا وتتقدم مسيرتنا وتشتد عزائمنا وتتضاعف قوانا وتنتصر بإذن الله رايتنا .

فليكن الإسلام الصحيح عقيدتنا ولتضىء تعاليمه الرشيدة مسيرتنا وليكن إرضاء الله وصالح الأمة غايتنا .. ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



من الأزهر الشريف

نداء

في ذكرى الإسراء والمعراج

إلى الأمة الإسلامية

وإلى الرئيس العراقي صدام حسين

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

هاهي الأمة الإسلامية تستقبل ذكرى (الإسراء والمعراج) الذى كان حدثاً بارزاً فى إكرام وتكريم الله عبده ورسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء ١] .

نعم : كان هذا الحدث فى ذاته وأسلوبه وأدواته تكريماً أى تكريم ، فقد شمله الله سبحانه بما لم يعطه لغيره من الأنبياء ، فقد أُسْرى به راكباً البراق تحفه الملائكة ، وأضاف القرآن الإسراء إلى الله ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ . ﴾ بينما أخبر الله عن إبراهيم - عليه السلام - أنه قال : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات ٩٩] وأخبر عن موسى - عليه السلام - فقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف ١٤٣] فمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أُسْرى به الله واستوفده محفوفاً بالروح الأمين جبريل وأكرمه الله فى معراجه بالصلاة التى هى محل المناجاة مع الله ، وهى معراج أمته من خطاياها ، بينما كان ما جاء به موسى - عليه السلام - إلى قومه حية تسعى سُلِّطت على الجاحدين لدعوته . وكان مما دعا به الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فى هذه الليلة المباركة خواتيم سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٨٦] .

وكانت صلاة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إماماً بالأنبياء فى المسجد الأقصى بالقدس إيذاناً بتوحيد قيادة الناس كل الناس وحدة عبادة ووحدة قيادة .

إن ذكرى الإسراء والمعراج تمر بالأمة الإسلامية وهى فى فتنة كبرى ، تفجرت لا دفاعاً عن شعب مسلم مضطهد ولا فى سبيل تحرير أرض وعرض شعب مسلم من تلك الشعوب المسلمة ـ وهى كثيرة ـ التى تسام سوء العذاب وصنوفه فى خضم من المحن والإحن .

فتنة كبرى ، وإنها لإحدى الكبر وإنها لنذير لهذه الأمة وتحذير من إغفال آثارها وتجاهل مسارها والقعود عن الوقوف فى وجهها وردعها ، والنكوص عن الوفاء بنصرة المظلوم ودفع الظلم ، ومنع الظالم من استمراء الظلم ،استمراره فى اقتراف هذا الإثم .

ليذكر المسلمون أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ خطب الناس وتلا قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة المائدة : آية [١٠٥] :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ . . ﴾ وقال : إنكم تقرءون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها وإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده) [رواه الإمام أحمد] .

هاهى ذكرى الإسراء والمعراج تمر على الأمة الإسلامية وهى فى محنة المحن ، انفتح عليها ما حذر الله سبحانه منه فى قوله :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال ٤٦] .. فكان هذا الاختلاف والاقتتال والتخريب والتدمير لديار وأموال المسلمين وإهلاك النفس والنفيس دون مبرر مشروع وإنما صال القوى على الضعيف ينتهب داره وماله ، ويغتصب عرضه وينتهك حرماته ، ويستذله ويشرده ويقتله .

ويجد الظالم المعتدى من المسلمين من يناصره على ظلمه ولا يطيع أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيرد الظالم عن ظلمه ويقف مع المظلوم ينصره ويؤازره .

هانحن « المسلمين » نختلف ولا نأتلف ونسبغ على الظلم والظالمين سمات الجهاد والمجاهدين فنسيغ للظالم عدوانه ونزين له بهتانه مع أن الله سبحانه حذرنا من هذا فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . . ﴾ [هود ١١٣] .

إن ولاية أمر المسلمين من الأمانة التى تحملها الإنسان فليكن كل ولى أمر فى هذه الأمة أميناً على هذه الولاية وليعمل لصالح الأمة حفاظاً على الأنفس والأعراض والأموال : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة ١٩٥] .

ومن إحسان الولاية على الناس ألا يدفعهم إلى الهلاك ، بل على ولى الأمر أن يعمل على حماية من فى ولايته وأن يباعد بينهم وبين الفساد والإفساد . وأن يصونهم عن الهلاك .

ونذكر فى هذه المناسبة موقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسياسته فى صلح « الحديبية » وكيف آثر سلامة أصحابه والعودة بهم إلى المدينة وصالح قريشاً على ألا يعتمر هو وأصحابه فى ذات العام وأن يعتمروا فى العام القادم ، بل كيف محى لقب الرسالة فى وثيقة الصلح بينه وبين قريش حين قال قائلهم لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلناك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فاستجاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

بيان ونداء من الأزهر الشريف فى ذكرى الإسراء والمعراج

فلينظر الرئيس العراقى ويقارن بين هذا الهدى النبوى الشريف فى حمايته أصحابه وإقدامه على الصلح . والعودة دون أن يعتمروا مع أن العمرة عبادة . وقد أحرموا بها ، وبين موقفه فى الإصرار على الاستمرار فى حرب باغية ، صال بها على أرض وعرض إخوة له فى الدين والجوار .

إن الأزهر الشريف فى ذكرى الإسراء والمعراج ليوجه النصح إلى الرئيس العراقى أن يحفظ على الشعب العراقى دمه وماله وعرضه ، وأن يجنح إلى السلم وينزل عند النصح الذى قدم ومايزال . ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال ٦١] .

إن الأزهر الشريف ليناشد الرئيس العراقى الله فى نفسه وفى جيشه وفى أمته الإسلامية بطول بلادها وعرضها وتنوع لغاتها ، فقد برزت الخلافات واحتدمت وتزلزلت الأرض تحت أقدام الأمة جميعها حذراً من لهب قد اقترب ، إن الأمة كلها مَنْ عارضوك قد نصحوك ومَنْ مالئوك قد خذلوك ، فكن مع الناصحين الذين أخلصوا النصح طلباً لسلامة العراق وسلامة الأمة جمعاء .

إن الأزهر الشريف ليذكر الرئيس العراقى بقول الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - (**ليس الشديد بالصرعة .. وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**) [رواه البخارى ومسلم]

وأن رد المظالم من الدين وأوامر الإسلام : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة ٣٩] . ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [النساء ١٢٨] .

وأن الرجوع عن البغى والظلم وَرَدّ المظالم أهون بكثير من الاستمرار فيه ، حيث ينصر الله المظلوم كما وعد : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج ٣٩] . ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى ٤١ ، ٤٢] .

فى هذه الذكرى النبوية الشريفة ذكرى تكريم الله عبده ورسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالإسراء وبالمعراج إلى حيث رأى من آيات ربه الكبرى .

يناشد الأزهر الشريف مع الأمة الإسلامية الرئيس العراقى أن يوقف هذه الحرب التى فجرها على أرض العرب والمسلمين وفى ديارهم وأن يحمى أمة الإسلام من شر قد اقترب .

﴿ .. وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة ٢٧٩] . وإن أبيتم فإن الله قال :

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء ٢٢٧] .

أسألك اللهم مقلب القلوب أن ترحم هذه الأمة بما شئت وكيف شئت إنك أنت الرءوف الرحيم ، ونستشفع بصاحب الذكرى عبدك ورسولك محمد - صلى الله عليه وسلم - أن تكشف عن أمة الإسلام ما نزل بها فإنه : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم ٥٨] .

اللقاء الصحفي

لفضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر
ومراسلي الصحف والإذاعات الأجنبية

تقدم مراسلو الصحف والإذاعات الأجنبية بالقاهرة ممثلين لـ : (وكالة الأنباء الإسبانية ـ إذاعة لندن ـ الإذاعة الإسبانية ـ الإذاعة الألمانية ـ التليفزيون الإيطالي ـ مجلة الدعوة السعودية) بطلبات متفرقة راغبين اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وقد اذن فضيلته باللقاء معهم مجتمعين في يوم الثلاثاء ٢٠ من رجب سنة ١٤١١ هـ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٩١ م .

وقد بدأت مندوبة الإذاعة البريطانية بالقاهرة بالسؤال التالي :

● فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر : بعض التيارات الدينية في مصر والعالم العربي تصف الحرب الدائرة بانها حرب صليبية جديدة ، ولابد من وقوف العرب والمسلمين في جانب العراق فما رايكم في هذا ؟

فضيلة الإمام :

الأمر موضوعي أكثر منه ديني ، فنحن في حالة مواجهة غزو العراق للكويت ، واحتل العراق أرض الكويت وشرد سكانه ، والعراق بلد عربي إسلامي ، والكويت بلد عربي إسلامي ، والقضية قضية اعتداء العراق على الكويت وطرد سكانه وانتهاك حرماته وسلب أمواله وليست القضية قضية حرب صليبية أو شيء آخر وإنما هي (إزالة احتلال العراق الكويت وعودة الشرعية إليها) وما يقال عن وصف آخر ـ وهي حرب دفاعية ـ فهو غير صحيح ووصف لا يدخل تحت حكم الإسلام ، فالحرب الحالية تقوم بها الجيوش المتحالفة لإعادة الشرعية لدولة مسلمة .

مندوب التليفزيون الإيطالي :

● من في العالم الإسلامي يملك قرار ادعاء ان هذه الحرب حرب مقدسة ؟ وضد من ؟ ولماذا ؟

فضيلة الإمام :

الذي يملك أو من حقه أن يكيف الحرب تكييفاً شرعياً في نطاق الإسلام هم العلماء ، والحرب الحالية

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر ومراسلى الصحف والإذاعات الأجنبية

مقدسة بمعنى مشروعة باعتبارها دفعاً للعدوان عن الكويت ، والإسلام يأمر بنصرة المظلوم ، والكويت هي المعتدى عليها ، وقد قامت هذه الحرب لدفع الظلم وهى مقدسة بهذا الاعتبار .

● **إذن ليس من حق الرئيس صدام حسين أن يعلن انها حرب مقدسة ؟**

فضيلة الإمام :

لا حق لأحد إلا العلماء وكما قلت هي حرب قامت استجابة لنصرة المظلوم .. وهذا ما أمر به الإسلام .

مراسل مجلة الدعوة السعودية :

● **مازالت أراء السلام تسمع مع قعقعة السلاح فهل مازالت هناك فرص لوقف المزيد من الدمار ؟**

فضيلة الإمام :

وقف المزيد من الدمار إنما يتوقف على استجابة حكام العراق للجلاء عن الكويت .

مندوب الأنباء الإسبانية :

● **هل يحق لدولة إسلامية كالسعودية أن تستنجد بدولة مشركة غير مسلمة للدفاع عنها ؟**

فضيلة الإمام :

الضرورات الخمس التى شرع الإسلام الدفاع عنها هي : الدين ، والنفس ، والعرض ، والمال ، والنسل ، فإن لم يستطع المسلم دفع العدوان عن نفسه أو أية واحدة من هذه الضرورات فله الاستعانة بالمسلمين وبغير المسلمين عند الضرورة .

مراسلة الإذاعة الإسبانية :

● **بعض المظاهرات فى المغرب خرجت تهتف بحياة صدام حسين ، وكذلك الأمر فى تونس والجزائر وغيرها ، فهل يعنى ذلك انقسام الأمة العربية فى رؤيتها للأزمة ؟**

فضيلة الإمام :

معروف أن القمة العربية قد اجتمعت بالقاهرة مع بداية الأزمة وقد تحفظ بعض الملوك والرؤساء على إدانة العراق ولم يتفقوا على رأى موحد ، وكانت الإدانة بالأغلبية وقد خرجت هذه المظاهرات فى الدول التى تحفظت وهي ليست حجة أو دليلاً على عدم شرعية الدفاع ، فالحق واضح ومعروف .

مراسل الإذاعة الألمانية :

● **لو أن الحرب استمرت إلى رمضان فما المتوقع حدوثه ؟**

فضيلة الإمام :

رمضان لا يمنع الحرب ، فمن الحروب ما وقع فى رمضان فى عهد النبى ﷺ .

● سؤال آخر : **وإذا امتدت الحرب إلى وقت الحج ؟**

فضيلة الإمام :

من شروط وجوب الحج أمن الطريق ، فإذا لم يكن الطريق مأموناً وخاف الناس إذا سافروا لأداء الحج أن يتعرضوا بسبب الحرب لأي متاعب فالحج يتوقف .

● سؤال إضافي : **الا يسبب ذلك إحراجاً للمملكة العربية السعودية ؟**

فضيلة الإمام :

إن المملكة العربية السعودية في حالة دفاع عن النفس ، ولا يسبب لها توقف الحج إذا حدث أي حرج : لأنه كما قلت : من شروط الحج أمن الطريق ، والطريق في حالة الحرب غير مأمون ، وهذا التجمع للحجاج فيه خطورة أثناء قيام الحرب ، لكن الأمل : أن يستجيب الرئيس صدام حسين للمجتمع الدولي لإقرار الجلاء عن الكويت ، وتتوقف الحرب ويحج الناس في أمن وأمان .

مراسلة إذاعة لندن :

● ما رأيكم في **بعض الدعاوى التى تطالب بسحب القوات المصرية التى ذهبت للدفاع عن السعودية حيث إن دورها الآن قد انتهى بعد اشتعال الحرب ؟**

فضيلة الإمام :

إن القوات المصرية وغيرها من القوات الإسلامية وجدت للدفاع عن المملكة العربية السعودية ومازال سبب وجودها قائماً .

مراسل الأنباء الإسبانية :

● بعض الأحزاب **في مصر لها موقف خاص ، وخاصة من جانب بعض المسلمين فما رأيكم ؟**

فضيلة الإمام :

كما تفضلت هو رأي يخصهم وهل هذا الرأي منطقي أو صواب ، هذا ما يبدو أنه غير منطقي ؛ لأن هؤلاء يتناسون القضية الأساسية وهي احتلال العراق الكويت ... وإذا قلنا إن العراق يُدمَّر الآن فمن الذى دعا إلى هذا .. وقد جاءت كل هذه القوات المتحالفة لإزالة عدوان العراق على الكويت بل ولتمنع امتداد عدوان العراق على باقي دول الخليج .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : **من هم أعداء الإسلام ؟ و هل لاتزال إسرائيل تشكل خطراً على العروبة والإسلام ؟**

فضيلة الإمام :

لاتزال إسرائيل تحتل أرض الفلسطينيين.
وتعتدى عليهم .

وتنتهك حرماتهم .
وهي بهذا الوصف قد ناصبت المسلمين والعرب جميعاً العداء .

مجلة الدعوة السعودية :

● ما انعكاسات الأزمة الحالية تجاه الإسلام والمسلمين ؟

فضيلة الإمـام :

إن الانعكاسات تتمثل فى فُرْقَة الصف ، واختلاف الكلمة ، والنزاع الذى اتسع بين المسئولين فى العالم الإسلامي وبين فئات الشعوب المسلمة بوجه عام فى وقت كان يرجى فيه أن تلتحم كلمة العرب والمسلمين .

مراسلة إذاعة لندن :

● ما حكم الدين فى تحطيم قوة العراق العسكرية ؟

فضيلة الإمـام :

إن الحكم ليس حكم الدين ، ولكنه حكم الأمر الواقع ، وإن فى انسحاب العراق من الكويت منع الذريعة لتحطيم قواته .

مجلة الدعوة السعودية :

● لقد ادان الأزهر فى بياناته هذا العدوان فما الأسس التى استند إليها ؟

فضيلة الإمـام :

إن عدوان الأخ على أخيه ، عدوان جار على جاره لتدمير بلاده وانتهاك ارضه وعرضه ، أليس هذا من الظلم ؟!

روى مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ارايت إن جاء رجل يريد اخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك .

قال : ارايت إن قاتلنى ، قال : قَاتِلْهُ .

قال : ارايت إن قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد .

قال : ارايت إن قتلتُه ؟

قال : هو فى النار » .

أليس هذا إذناً من رسول الله ﷺ صاحب الشريعة فى انه من واجب كل إنسان أن يدافع عن نفسه وعرضه وماله .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● **يقال : إن الأزهر موال لسياسات الحكومات المصرية المتعاقبة منذ حكومة عبد الناصر ، فالسادات ، ومبارك .**

هل هذا هو الدور المناسب للأزهر ؟

فضيلة الإمـام :

وهل المفترض أن يكون هناك خلاف أو اختلاف بين الأزهر وبين الحكومة إذا لم يكن هناك مبرر للخلاف ؟

هل المفروض أن يكون الأزهر معارضاً ومخالفاً دائماً ؟

أعتقد أن السؤال يجاب عنه من صاحب السؤال .

مندوبة الإذاعة الإسبانية :

● **يقول الباحثون بأن الحركات الإرهابية والتعصب ستزداد بعد الحرب ، فما تعليق فضيلتكم ؟**

فضيلة الإمـام :

الشعوب الإسلامية ليست شعوباً إرهابية ، فأما إذا قام فيها العنف ، فإنما هو للدفاع عن نفسها ، وأرضها ، ودينها ، والإسلام بتعاليمه يُحَرِّم الإرهاب والعدوان .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● **فى الإسلام : القاتل والمقتول فى النار ، فكيف تجيز دولة عربية مسلمة إشراك جنود مسلمين لقتال مسلمين ؟**

فضيلة الإمـام :

هذا إذا كان القتال فى مجال غير الدفاع عن النفس ، وكما ذكرت فى حديث رسول الله ﷺ عندما قال للرجل الذى جاء يسأله : إذا ما قاتله أحد .

فقال له : قاتله ، قال : فإن قتلنى ، قال : فأنت شهيد .

قال : فإن قتلته ؟

قال : هو فى النار .

والآن الموقف الذى نحن فيه القتال لماذا ؟ لإجلاء العراق عن الكويت .

مندوب الإذاعة الألمانية :

● **هل من الممكن قيام مصالحة بين مصر وإسرائيل ام من المتوقع قيام حرب بينهما ؟**

فضيلة الإمـام :

الصلح قائم وفق معاهدة كامب ديفيد ، وهذا أمر يترك لظروف الواقع ولا أستطيع التنبؤ به .

● **سؤال إضافى : وهل متوقع قيام حرب بين العراق ومصر ؟**

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر ومراسلى الصحف والإذاعات الأجنبية

فضيلة الإمام :

لا توجد اسباب لقيام حرب بين العراق ومصر ، والقوات المصرية الموجودة فى السعودية إنما ذهبت للدفاع عن السعودية .

مندوب مجلة الدعوة السعودية :

● **هل قام العلماء بدورهم فى الوساطة لحل الأزمة ؟**

فضيلة الإمام :

كُلٌّ قام بدوره : العلماء والسياسيون ، ولكن الأمر تَوَقَّفَ عند إصرار العراق على موقفه .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● **لماذا تم إرسال قوات لتحرير الكويت فى حين لم ترسل مثل هذه القوات إلى فلسطين ، برغم مرور خمسين سنة على احتلالها ؟**

فضيلة الإمام :

أعتقد أن القوات جاءت بناء على طلب أصحاب الشأن للدفاع عنهم ، وعن بلادهم ، ولكن فلسطين سلمت أو استسلمت لليهود فى ظل الاحتلال والانتداب الانجليزي عليها .

ومن ثم فهناك فرق بأن فلسطين أخذت وصفاً دولياً تحتاج معه مشكلاتها إلى جهات دولية ، أما الكويت فهى دولة مستقلة وعضو فى جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة الأمم المتحدة ، وقد اعتدى عليها العراق واحتلها عسكرياً وقامت الدول المتحالفة بالعمل على تحريرها عسكرياً تنفيذاً لميثاق الأمم المتحدة .

مندوبة إذاعة إسبانيا :

● **إن صدام حسين الذى أعلن الجهاد باسم الإسلام قد ارتكب افعالاً بعيدة عن الإسلام ، ويراه البعض بهذا السلوك غير مسلم ، فهل يستطيع العلماء تقرير هذا أو تكفيره ؟**

فضيلة الامام :

لا سلطان لأحد فى أن يقرر هذا ، وإنما هو مسلم عاص لارتكابه كبيرة من الكبائر ، ولا يحكم عليه بغير هذا ، ولا يملك أحد إخراجه من الدين لأن الدين لله ، والنظام المسيحي ليس في الإسلام نظيره فلا توجد وساطة بين الإنسان وبين الله ولا يملك أحد تكفيره إلا إذا ظهر منه ما يدل على خروجه على الإسلام كإنكاره لفرض من الفرائض كالصلاة أو الزكاة أو إنكار رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

٢٠ من رجب ١٤١١ هـ
٥ من فبراير ١٩٩١ م

حضر اللقاء وسجله
أحمد عبد الخالق محمد المترجم بمكتب شيخ الأزهر



الصادر عن العلماء والدعاة
٢٣ - ٢٥ جمادى الآخرة

الحمد لله الذى هدى عباده المؤمنين إلى اتقاء الفتن بالتضامن على دفعها حذراً من أن تصيب الجميع بسبب أناس ظلموا فلم يردعوا ، إذ قال جل شانه : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ « الأنفال ٢٥ » .

والصلاة والسلام على من ودع أمته ـ فى آخر سنى حياته ـ بقوله : « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ـ رواه البخارى ـ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد :

فإن علماء الإسلام مأمورون بتوضيح الحقائق وبذل الرأى الرشيد للأمة فى كل حين ، لا سيما إذا وقعت الفتن ، وكثر الهرج .

ولاشك أن الأمة اليوم تواجه فتناً يأخذ بعضها برقاب بعض ، فهى ـ لذلك ـ فى أشد الحاجة إلى التوجيه المهتدى ، والرأى السديد .

ونهوضا بأمانة العلم ، وشعورا بالمسئولية تجاه هذه المرحلة البالغة الحرج والأسى ، والمشحونة بنذر ومخاطر مروعة على حاضر الأمة ومستقبلها ، وتأكيدا لما قرره المؤتمر الإسلامى فى مكة المكرمة فى شهر صفر عام ١٤١١ هـ ، تنادى جمع غيور كريم من علماء الإسلام ودعاته إلى لقاء عاجل فى مكة المكرمة .

وفى الفترة من ٢٣ ـ ٢٥ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ الموافق ٩ ـ ١١ يناير ١٩٩١ م انعقد اجتماع العلماء والدعاة بفضل الله وتوفيقه .

وفى جو يتخلله الإحساس بالخطر ، وتسوده روح المسئولية وتظله الرغبة الصادقة فى النصح .

وبعد تشاور عميق ، وتبادل بصير للرأى على مدى ثلاثة أيام ، أصدر اجتماع العلماء والدعاة فى مكة المكرمة ، البيان التالى :

إعـــلان مكـــة المكرمـــة

الأمة الاسلامية والمرحلة المعاصرة

تجتاز الأمة الإسلامية اليوم مرحلة من أشق مراحل حياتها ، ومن أشدها كربا وبلاء على المسلمين في دينهم ودنياهم ، وأمنهم الخاص والعام ، وحياتهم الذاتية ، ووجودهم الدولى .

وإنما كان العدوان العراقى على الكويت هو مصدر هذا البلاء وسببه .. فمنذ أن وقع هذا العدوان ، والأمة الإسلامية تعيش حزنا عميقا وفتنة عامة لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت .

وعلى الرغم من مرور ما يقرب من نصف عام على الغزو العراقى للكويت ، فإن النظام العراقى لم يصغ إلى صوت الحق ، ولم يستجب لنداءات الإخوة والجوار والرشد والمصلحة ، وهى نداءات جد كثيرة ، ومتوالية ، ومتعددة المستويات .

ومهما تمادى الظالم فى ظلمه ، فإن العلماء لا يجوز أن يملوا من التذكير والجهر بالحق ، ودحض الباطل : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ الزخرف ٥ .

لا تستقيم للظلم قائمة

ومن الحقائق المقررة : أن طول الزمن لا يمنح الباطل أحقية ، ولا الظلم شرعية .

وقد لاحظ المجتمعون أن النظام العراقى مرد على استغلال الإسلام ، وتبرير مظالمه به ، افتراء عليه .

وهذه خطيئة لا تطيق ضمائر العلماء والدعاة السكوت عليها إذ هى خطيئة تصور الإسلام على أنه دين يمالىء الظالمين ، ويقر الظلم فى حين أن دفع الظلم فى الأرض هو أحد المقاصد الكبرى للإسلام .

استغلال الإسلام مع عدم الالتزام به

ومن الوقائع العملية التى تدل على هذا الاستغلال الخبيث للإسلام ، المؤتمر الذى نظمه النظام العراقى فى بغداد وتحت شعار إسلامى ... فليس بخافٍ على ذى وعى وضمير ذلك التناقض القائم بين الإسلام والفكر المادى الذى هو قوام النظام العراقى .

ولايحل لأحد احتكار الإسلام أو منع الناس من الانعطاف نحوه بيد أن هناك فرقا واضحا وكبيرا بين الاتجاه الصادق نحو الإسلام وبين استغلال الإسلام ، فدليل الأول هو الاستجابة لله ولرسوله فى كل شىء .

أما الثاني فلا يتطلب أكثر من رفع الشعار الإسلامى ابتغاء تحقيق أهداف لا علاقة لها بالإسلام .

فإذا كانت القيادة العراقية مخلصة فى الأخذ بالإسلام ، وصادقة فى التجاوب مع المؤتمرات الإسلامية الشعبية التى تعقدها ، فإنه يتعين عليها أن تحترم تلك المؤتمرات وأن توفى لها بما وعدتها به من قبل .

منذ ثمانى سنوات خاطب الرئيس العراقى صدام حسين المؤتمر الإسلامى الشعبى الأول الذى انعقد فى بغداد فقال :

« إن الإيمان بمبادىء الحق والعدل والشعور بالمسئولية امام المسلمين يفرضان علينا جميعا تلمس الحقيقة وصولا إلى الحل الموضوعي والمبدئي العادل من اجل السلام ، وإقامة علاقات طبيعية على أساس من مبادىء حسن الجوار ومبادىء الإسلام والمواثيق والاعراف الدولية .

أقول مسبقا : باننا نوافق على كل قرار تتخذونه في هذا المؤتمر،ومن الآن نعطى الموافقة من اعلى سلطة في الدولة مع الاعتذار لشعب العراق ولفقهاء القانون الدولي والعاملين في السياسة والقوانين ، إذ ربما ينتقدون صدام حسين،ويقولون كيف يجوز لرئيس دولة ان يعطى قرارا مسبقا بالموافقة على امر لم يقراه ولم يره ولم يعرفه . فاقول تعليقا على هذا : إن هذه الصفوة الخيرة التى جاءت من كل بطاح الارض من المسلمين إذا ما اجتمعوا على راى فهو الراى الصواب ، وحتى لو كان لنا راى آخر فلا نعتقد بان رأينا هو اصوب من راى هذه الجماعة » انتهى .

ولقد أصدر ذلك المؤتمر عددا من القرارات وجاء في القرار الثاني منها : « تحريم استعمال العنف واللجوء إلى القوة العسكرية في فض أى نزاع كان بين الدول الإسلامية ووجوب اللجوء إلى كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » انتهى .

انتهاك مبادىء الحق والعدل وحسن الجوار

ومما يدل على أن الإسلام يستغل ولايلتزم من قبل النظام العراقى أن هذه العهود والقرارات التى تعهد النظام العراقى بإنفاذها انتهكت كلها بلا استثناء .

فالنظام العراقى باحتلاله للكويت وتهديده لدول الخليج انتهك مبادىء الحق والعدل وحسن الجوار ، وانتهك المبادىء والمواثيق التى تحرم استعمال العنف واللجوء إلى القوة العسكرية في فض النزاع بين الدول الإسلامية .

فقد استعمل العنف وانتهك حق الجار ..

ولايزال النظام العراقى يوغل في استغلال الإسلام حتى صار هذا الاستغلال استهزاء بالإسلام ، واستخفافا بعقول أهله .

وإلا فأين الإسلام في ظل النظام العراقى ؟.. أين الإسلام في القضاء والمحاكم ، والتربية والتعليم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والثقافة والإعلام ؟

وأين الدعوة الإسلامية ؟

ألم يكبت النظام العراقى صوتها ، ويطارد دعاتها ويسجنهم ويقتلهم حتى أصبح التخفى بأمر الدعوة هو الظاهرة الغالبة تحت وطأة النظام العراقى .

وهذا كله دليل على أن هذا النظام يستغل الإسلام ولا يلتزمه .

والمجتمعون اليوم في مكة المكرمة يبدون عجبهم واستغرابهم واستنكارهم لموقف بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة الذين يؤازرون النظام العراقى ويحضرون مؤتمراته بعد أن ظهر لهم أنه يتخذ الإسلام مطية فحسب .

ألا يتذكر هؤلاء المؤازرون للنظام العراقى ما فعل صدام حسين بإخواننا الأكراد من قتل وتشريد وإبادة ؟!

إعـــلان مكـــة المكرمـــة

الا يتذكرون مافعله الرئيس صدام حسين برجال الدعوة الإسلامية داخل العراق قتلا وسجنا وتشريدا ولاتزال سجون العراق مملوءة بالدعاة والعلماء !!

الا يتذكرون انه يحكم العراق بدستور اشتراكى علمانى !!

إننا نخوفهم من الوقوف بين يدى الله .. ونذكرهم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ الفرقان [٢٧ ـ ٢٩] .

إن لإحسان الظن شروطا من أهمها : الا يصدر عن المرء سلوك ينفى حسن الظن وقد صدر عن القيادة العراقية سلوك عدوانى تمثل فى احتلال دولة عربية مسلمة وتشريد أهلها وتخريب مؤسساتها رغم المعاهدات الإقليمية والعربية والدولية التى تربطه بجيرانه .

وتبين للعلماء المجتمعين فى مكة المكرمة بصورة أشد وضوحا ـ مع مرور الوقت ورصد النتائج ـ أنه ليس مصيبا من يتصور أن الكارثة التى أنزلها النظام العراقى بالأمة تنحصر فى الكويت والمملكة العربية السعودية وسائر دول الخليج .

عواقب العدوان العراقى

إن عواقب العدوان العراقى ومضاعفاته وأثاره تتعدى هذا النطاق لتمتد إلى الوطن العربى كله والعالم الإسلامى جميعا والإنسانية كافة .

فقد تعثرت اجتماعات جامعة الدول العربية بعد أن أحدث فيها الغزو العراقى للكويت انقساما حادا وفرقة عاتية .

وتأخر مؤتمر القمة الدورى لمنظمة المؤتمر الإسلامى عن موعده .

وتفشى القلق النفسى ، واضطرب الأمن ، وتكاثرت الخسائر الاقتصادية واعتل سوق النفط والمال وتضاعفت مآسى العالم الإسلامى بسبب ذلك ، وتناقص نشاط الدعوة إلى الله والأعمال الخيرية وتدفقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة بمعدلات أكبر وأسرع وصرف الوعى ـ بقوة الأزمة التى فجرها النظام العراقى ـ عن الانتفاضة المباركة فى الأرض المحتلة واشتد ظلم اليهود للفلسطينيين .

إن المجتمعين وهم يرصدون هذه الآثار المفزعة السيئة لينصحون كل مسلم بأن يجعل منها دليلا على الحكم بفساد سلوك النظام العراقى .

الهدف من إعلان مكة

إننا نهدف من إعلاننا هذا إلى إنقاذ الأمة من حرب مدمرة تهلك الحرث والنسل إذا اندلعت إلى ما شاء الله . وأن إرادة اتقاء الحرب تتطلب مواجهة صريحة وشجاعة مع التعنت العراقى الذى هو السبب الأساسى لهذه الحرب الخطيرة .

وكل حريص على إنقاذ الأمة من هذه الحرب يجب عليه أن يجاهد في سبيل إزالة دواعيها واهمها : رفض النظام العراقي سحب جيوشه الغازية من الكويت .

إن علماء الإسلام المجتمعين في مكة المكرمة يشعرون بخطورة الموقف ، ويدركون الأهوال المروعة للكارثة إذا وقع زلزال الحرب وتفجر بركانها ، ويدركون أن الأمة مقبلة على مستقبل عظيم الخطر ما لم تأخذ حذرها ، وترفع درجة يقظتها وتأطر صدام حسين على الحق أطرا بعزله نفسيا وبمحاصرته فكريا وإعلاميا ويصك أذنيه - أبدا - بالكلمة الشجاعة وهي : اخرج ياصدام حسين من الكويت .

● اخرج "الآن" وليس "غدا" ..

اخرج ولا تكن "كأشقى ثمود الذي جر على قومه قومه بعمله شر مايجره" رجل على قومه .

● اخرج وكف عن دعوى تحرير فلسطين فليس يدافع عن فلسطين من يتذرع بمنطق مستعمريها في الاحتلال والاستعمار والدعاوى التاريخية .

اخرج وإلا فإن أجيال الأمة الحاضرة والآتية تحملك - أنت وأعوانك - مسئولية كل قطرة دم تراق ، وتبعة كل بيت يهدم ، وجريرة خراب العراق وغير العراق .

وفي ضوء هذا المفهوم يتبدى الخطأ الجسيم في موقف الذين يسايرون النظام العراقي ولا ينصحونه ، فهذه المسايرة تغريه بالإصرار على الموقف المتعنت ، وهذا الموقف هو البوابة الواسعة إلى جحيم الحرب .

توصيات المؤتمر وتأكيداته

ولقاء مكة اليوم إذ يجلي هذه الحقائق والوقائع ويضعها بين يدي العالم الإسلامي فإنه يختم إعلانه إلى الأمة الإسلامية بالتأكيد على مايلي :

(١) **ينبغي أن تتحد كلمة العلماء** والدعاة في قضية مواجهة العدوان العراقي وإدانته ، فمن خصائص المؤمنين والدعاة إلى الله انهم يقفون صفا واحدا لردع البغي : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ « الشورى ٣٩ » .

(٢) دعوة الذين ناصروا النظام العراقي في ظلمه وبغيه أن يراجعوا أنفسهم ويتقوا الله في عملهم ويدركوا أن عملهم هذا محادة لله ولرسوله وتبرير لتمزق الأمة واختلافها ، **وأن عليهم أن يعودوا** للصف الإسلامي وينضموا إلى جماعة المسلمين في الوقوف في وجه صدام حسين وردعه عن الظلم والبغي : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ « هود ١١٣ » .

إن الوقوف مع هذا النظام الظلوم دعم للظلم ، وتشجيع على الاستمرار في الاعتداء على الكويت ، واضطهاد أهلها ، وتخريب مؤسساتها ، وإتلاف بيئتها ، وهو كذلك إغراء بالتعنت المفضي إلى الحرب .

والإغراء بالجريمة مشاركة فيها ، فالمؤيدون للقيادة العراقية يتحملون - من ثم - تبعة كبيرة من تبعات نشوب الحرب ، وما يتبع ذلك من خسائر في الأنفس والثمرات .

(٣) وعلماء المسلمين وهم ينادون بإنقاذ الأمة من حرب ضروس يدركون أن سبيل الإنقاذ الوحيد هو استجابة القيادة العراقية والتزامها الفوري والواضح لنداءات علماء الإسلام ودعاته وقرارات مؤتمر القمة العربي ووزراء خارجية الدول الإسلامية ومجلس الأمن الداعية إلى انسحاب القوات العراقية من الكويت انسحابا كليا غير جزئي وناجزا من غير تسويف . كما يدركون أن إصرار

إعــلان مكــة المكرمــة

القيادة العراقية على احتلال الكويت هو الذي سيفجر حربا وخيمة العواقب تصرفنا عن مواجهة قضايانا الكبرى ، وخاصة قضية فلسطين .

(٤) إن اجتماع العلماء ، إذ يلحظ شذوذ القيادة العراقية وانحرافها عن مبادىء الأمة الإسلامية ومصالحها الحيوية ، فإنه يعرف ما للشعب العراقى من أصالة عربية وإسلامية ، ومن دور رائد فى خدمة الإسلام وحضارته عبر تاريخ طويل حافل بالعطاء العلمى والدفاع عن حصون الأمة ، كما يدرك المجتمعون أن هذا الشعب مغلوب على أمره ، وأن النظام العراقى قد مارس القسوة والبطش على هذا الشعب قبل أن يمارسها ضد غيره .

ومن هنا ، فإن نداء العلماء بضرورة إنقاذ الأمة من مهالك الحرب ، إنما تقف وراءه دوافع الحفاظ والحرص على أمن الشعب العراقى وسلامته ، كما تقف وراءه دوافع حماية الأمة كافة من قوارع ماحقة يدق طبولها النظام العراقى . والعلماء إذ يحرصون على مصالح الشعب العراقى ، فإنهم يدعونه إلى إعلان سخطه على قيادته الظالمة ، والتبرؤ منها .

(٥) يتوجه علماء الإسلام المجتمعون فى مكة المكرمة بنداء مخلص وامين إلى الجيش العراقى يناشدونه فيه أن يعصى أوامر قيادته الضالة والا يستجيب لخوض معركة يحارب فيها إخوانه المسلمين ، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **إنما الطاعة فى المعروف** » .. رواه الشيخان

وليعلم الجيش العراقى أن من يقتل منهم فى هذه الحرب فهو خاسر متوعد بالنار ، لما فى « الصحيح » أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : « يارسول الله ارأيت لو جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك ، قال : أرأيت إن قاتلنى ؟ قال : فقاتله ، قال : أرأيت إن قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد .. قال : أرأيت إن قتلته ؟ قال : هو فى النار » .

(٦) إن اجتماع علماء الإسلام لاينى فى التنويه بقضية الإسلام الكبرى وهى القضية الفلسطينية ، ولا يفتا يدعو إلى السعى الجاد فى سبيل نصرتها ودعمها حتى يتحرر القدس الشريف ويقيم الشعب الفلسطينى دولته على ارضه فى ظل تعاليم الإسلام وقيمه ، وانه لينأى بها عن المتاجرة والمزايدة كما يفعل النظام العراقى وغيره من المتاجرين والمزايدين بالشعارات والقضايا المصيرية .

(٧) ينبغى ان تتسلح الأمة بالحذر التام من الحملات الإعلامية التى ينظمها النظام العراقى للتاثير الخبيث على الوعى الإسلامى فقد استخدم هذا النظام (الخداع الدعائى) فى صناعة الشعارات وترويجها ومن ذلك : دعوته للجهاد ضد القوات الأجنبية ، ودعواه فى تحرير فلسطين ، وفريته فى إنقاذ الأماكن المقدسة .

وهذا كله خداع وإفك مفترى .

فالنظام العراقى يحمل راية جاهلية عمية ، والجهاد لا يحل تحت هذه الراية ، إذ الميتة تحتها إنما هى ميتة جاهلية ، وليس مسلما صادق الإيمان رشيد العقل من يعيش مسلما ليموت جاهليا .

والنظام العراقى هو السبب المباشر فى مجىء القوات الأجنبية باحتلاله للكويت وتهديده لأمن المملكة العربية السعودية وغيرها من دول الخليج .

ومن حق المعتدى عليهم ، والمهددين بالعدوان أن يباشروا الأسباب التى تدفع عنهم العدوان .

والنظام العراقى آخر من يتحدث عن تحرير فلسطين لأن هذا التحرير يتطلب إيمانا صادقا بالله ووحدة قوية تنتظم الأمة كلها ، وتوجيها رشيدا للطاقات والإمكانات وخروجا من الكويت وردا للمظالم .

وقد استدبر هذا النظام ذلك كله ، فقد لبث دهرا يقوض دعائم الإيمان بالله فى النفوس من خلال فكره المادى ، ونزعته الإلحادية ، ومناهضته قيم الإيمان فى التربية والحياة العامة .. وها هو بعدوانه وظلمه يمزق وحدة الأمة ويهدر طاقاتها .

والمسلمون جميعا يعلمون أن الأماكن المقدسة آمنة مصونة وفى أيد أمينة تعرف مكانتها وشرفها وتفديها بخير ما تفدى به الأمور العظيمة .

ولذا يجب الانتباه إلى التلاعب الدعائى الذى يصدر عن النظام العراقى فمهما تزين صوت الباطل فإنه لا يخرج عن دائرة البطلان : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ « المنافقون ٤ » .

(٨) يدعو العلماء حكومات العالم الإسلامى وشعوبه وأقلياته وجالياته وجماعاته إلى الاعتبار العميق بما حدث وجعل هذا الاعتبار سببا إلى العودة الصادقة إلى الله تعالى وإلى التمسك الجاد والبصير بكتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ « الأنفال ٢٤ ـ ٢٩ » .

(٩) يتوجه اجتماع العلماء فى مكة المكرمة بالشكر الجم والتقدير العميق للمملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لتمكين العلماء والدعاة من التشاور والتحاور فوق أرضها بل فى أقدس بقعة فى أرضها وفى العالم كله وهى مكة المكرمة ، كما يشكرها على موقفها المبدئى والثابت والحازم تجاه العدوان وعلى احتضانها النبيل للشعب الكويتى فى محنته المباغتة .

(١٠) كما يتوجهون بالشكر إلى جميع الدول والهيئات والشعوب الذين وقفوا مع الحق فى وجه الباطل وادانوا غزو العراق للكويت وتهديده لأمن المملكة ووقفوا مع المملكة العربية السعودية فى الدفاع عن أمنها ومقدساتها سواء أكان ذلك عن طريق اتخاذ القرارات والمواقف فى المحافل الدولية والمؤتمرات أم عن طريق إرسال القوات المساندة لقوات المملكة العربية السعودية لمنع صدام حسين من الاستمرار فى عدوانه وبغيه ، فإن ذلك من أوجب الواجبات دفعا للظلم وحماية للأنفس والأعراض والأموال تنفيذا لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ « الأنفال ٦٠ » .

نسأل الله أن يجنب أمتنا كل فتنة وشر وأن يوفق قادتها للاحتكام إلى شرعه ، وأن يخذل الظالمين ، ويجعل كيدهم فى نحورهم ويجعل دائرة السوء عليهم إنه سميع قريب .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »



يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام

للدكتور السيد الجميلى

□ قال تعالى - فى شأن يوسف - عليه السلام :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ يوسف ٢٤ .

أكثرَ الناس الكلام فى هذه القضية من قديم ، ولا يزال البعض مشغولاً بالتاويل فيها لما عرف عن المسلمين من الحرص على نزاهة النبوة وطهارتها وعصمتها .

والحق ان سلفنا الصالح من علمائنا الكرام - رحمهم الله - لم يتركوا للأواخر شيئاً ، فقد اماطوا اللثام عن دقائق ولطائف لا يصل إليها إلا ذوو البصيرة الثاقبة والرؤية النافذة .

يقول الإمام الفخر الرازى - فى الآية :

(المقام الأول) أن نقول : لا تسلم أن يوسف عليه السلام هَمَّ بها والدليل عليه : أنه تعالى قال : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ وجواب لولاها هنا مقدم ، وهو كما يقال : قد كنت من الهالكين لولا أن فلانا خلصك .

وطعن الزجاج فى هذا الجواب من وجهين :

الأول : أن تقديم جواب (لولا) شاذ وهو غير موجود فى الكلام الفصيح .

الثانى : أن (لولا) يجاب جوابها باللام ، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال : ولقد همت ولَهَمَّ بها لولا ..

واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد ؛ لأنا نُسلم أن تأخير جواب (لولا) حسن جائز ، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب ، وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال : إنهم يقدمون الأهم فالأهم ، والذى هم بشأنه أعْنَى ، فكان الأمر فى جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام .

وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة .

وأيضاً ذكر جواب (لولا) باللام جائز ، أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز .

ثم إنا نذكر آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ القصص - ١٠ -

... ثم نقول : إن الذي يدل على أن جواب (لولا) ما ذكرناه أن (لولا) تستدعى جواباً وهذا المذكور [يريد : هَمَّ بها] يصلح جوابا له ، فوجب الحكم بكونه جواباً له .

لا يقال : إنا نضمر له جواباً ، وترك الجواب كثير في القرآن ..!

لأنا نقول : لا نزاع أنه كثير في القرآن إلا أن الأصل ألا يكون محذوفاً .. وأيضاً فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل على تعيينه ، وهاهنا - بتقدير أن يكون الجواب محذوفاً - فليس في اللفظ ما يدل على تعين ذلك الجواب ؛ فإن هاهنا أنواعاً من (الإضمارات) يحسن إضمار كل واحد منها وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقي فظهر الفرق - والله أعلم .

ويقول القرطبي في تفسيره الشهير « الجامع لأحكام القرآن » في هذه الآية .

« قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، كأنه أراد ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها » أ هـ .

ولكن البيضاوي يقول بصدد ذلك : ولا يجوز أن يجعل (وهمَّ) جواب لولا فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها ، بل الجواب محذوف يدل عليه » أ هـ .

هذا ، وما يقوله البيضاوي - رحمه الله - لا يمنع أن يكون المقدم دليلا على الجواب إذا سايرنا القول بعدم تقدم جواب الشرط .

فأما شيخ المفسرين الإمام الطبري فيقول : بعد أن سرد جميع الأقوال والأخبار والآثار التي تنوقلت حول هذه القضية .

وقال آخرون منهم معنى الكلام ، ولقد همت به فتناهى الخبر عنها ، ثم ابتدىء الخبر عن يوسف . فقيل : وَهَمَّ بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف ولم يَهُمَّ بها ، وأن الله إنما أَخْبَرَ أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهم بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها كما قيل : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

ويفسر هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها[1] أ هـ .

ويقول الإمام الزركشي في كتابه القيم (البرهان في علوم القرآن) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط . دار المعرفة (٣٧٧/٤) ط . ثانية سنة ١٩٧٢ م :

« وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ لهم بها ، لكنه امتنع همه ←

---

(١) سبق تعليقنا على هذا القول ، وانظر ختام المقال ..

لاهم عند يوسف على نبينا
وعليه افضل الصلاة والسلام

لوجود رؤية برهان ربه ، فلم يحصل منه همٌّ البتة ، كقولك لولا زيدٌ لأكرمتك ، المعنى أن الإكرام ممتنع لوجود زيد ، وبه يتخلص من الإشكال » ا هـ .

ويقول العلامة الزمخشرى فى تفسيره :

« فإن قلت لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه همَّ بها ، وهلاَّ جعلته هو الجواب مقدماً ؟

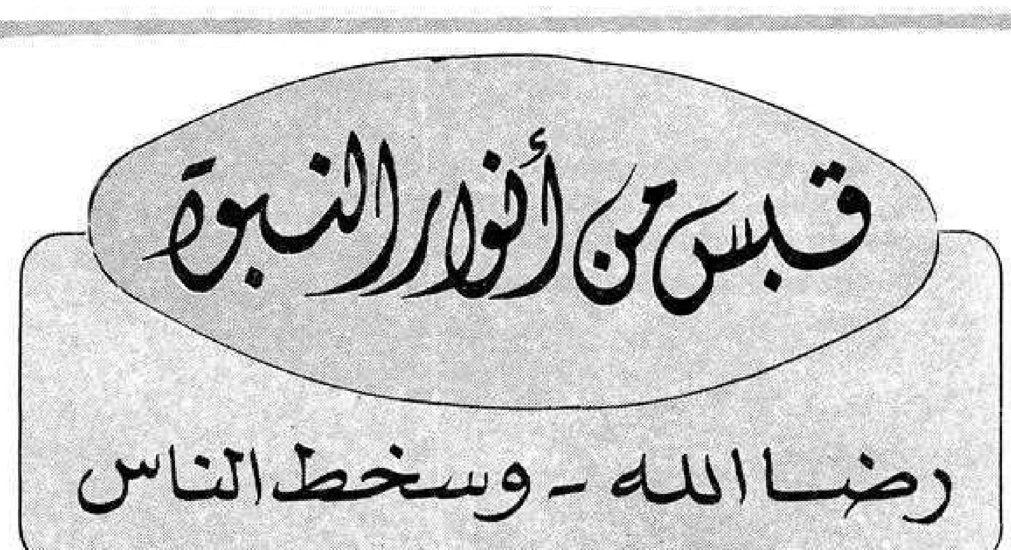
قلت : لأن (لولا) لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه فى حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام » ا هـ .

ثم يقول : وأما حذف بعضها إذا دل عليه الدليل فجائز . ا هـ .

نخلص من ذلك إلى :

ان القول بعدم تقدم جواب (لولا) ليس محل إجماع ، بل إن الكوفيين يرون عموماً أن الأصل فى الجزاء اى (الجواب) أن يكون مقدماً[٢] فالمتقدم هنا اعنى به (وهَمَّ بها) إن لم يكن الجواب فهو دليل عليه . ويعنى ذلك أن الهَمَّ منه ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لم يقع البتة ، فإن جواب (لولا) ممتنع الوقوع .. والله أعلم .

(٢) انظر لابن الانبارى بالإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين ٢/٣٢٨ ط السعادة بمصر طبعة ٣ ١٣٧٤هـ /١٩٥٥ م



للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ أَسْخَطَ الله فِي رِضَا النَّاسِ سَخط اللهُ عَلَيْه واسْخَطَ عليه مَنْ أرْضَاه فِي سَخطِه ، ومَنْ أرْضَى اللهَ فِي سَخطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ .. وأرْضَى عنه مَنْ أسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ حَتَّى يُزَيِّنهُ ويُزَيِّنَ قَوْلَهُ وعَمَلَهُ فِي عَيْنيهِ » - رواه الطبراني -

شأن المؤمن الصادق فى إيمانه ، المخلص لربه فى كل ما يفعل وما يترك ، أن يأتمر بأوامر الله سبحانه ، وينتهى عن نواهيه ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، لا يمارى فى الحق ولا يحيد عنه التماسا لرضا احد ، أو مجاملة لصديق أو لقريب ، فهو غنى بالله عن خلقه ، عزيز بجاهه ، قوى بسلطانه ، يمضى - على الحق - لا يمارى فيه ، ولو غضب الناس جميعاً ، ذلك ان كل مخلوق يجب أن يقر الحق حتى يستقيم العدل ، وليكن شعار المؤمن : أن الحق هو الثابت فى النهاية ، ثم إلى الله المصير .

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

والمؤمن الذى لا يبالى بإسخاط الناس فى سبيل ارضاء الله تبارك وتعالى ، لا يبلغ هذه الدرجة من الإيمان واليقين إلا بعد أن يروض نفسه على الصبر والمجاهدة واحتمال المكاره ،

قبس من أنوار النبوة

وذلك إنما يكون بالتزام حدود الله ، وأداء فرائض الله والتقرب إليه بصالح الأعمال ، والاجتهاد والإكثار من النوافل بعزيمة قوية ونفس راضية زكية ، تثبت على الحق فلا تميل مع الأهواء حيث يميل الناس ، ومادام المؤمن على هذه الحال ، فهو بلاشك يشعر بمعية الله سبحانه ، ورعايته له ، حيث يقول سبحانه فى الحديث القدسى الذى أخرجه البخارى قال - بسنده - إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله - عز وجل - قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » ومادام فى الأمة من يخاف الله وحده لا شريك له ، ويمضى على الحق دون مبالاة بأحد فليتوقع سخط أكثر الناس ، فإن أكثر الخلق أميل إلى الهوى والشهوات وأقرب إلى الحيف واستمراء ابتلاع الحقوق ، لذا حث الإسلام على الشهادة بالحق وتوعد على الزور ، ولا سبيل إلى رد الحقوق لأهلها إلا بأولئك القوم الذين يثبتون على الحق ويضحون فى سبيله ومواقف « الرجال » فى الحق عزيزة ، ولكنها - على طول التاريخ - مصباح الإنسانية الهادى ، فأما الساخطون من الحق الذين يرون فيه انتقاصاً لمكاسبهم فقد تولى - عز وجل - استبصارهم وهداهم حتى يقروا به ويرضون عنه وتميل قلوبهم حبا لمن سخطوا عليهم من أهل الحق .

وهناك نوع من الناس يؤثر هوى العباد إرضاء لهم ، وحبا فيما عندهم لاسيما إذا كانوا من وجوه الناس أو مرضاة للأصدقاء ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ٦٢ - التوبة . هذا الصنف أسخط الله فى سبيل إرضاء الناس ، رغبة فى تحصيل منفعة موهومة ورهبة من ضرر متخيل ، هؤلاء هم الذين نسوا الله ، وأهملوا جانبه ، فاستحلوا غضب الله وعقابه .

أولئك يبدل الله أمنهم خوفا ، ويأتيهم من حيث لم يحتسبوا ، فتتحول مودتهم فيما بينهم عداوة ورضاهم سخطاً ، فإذا هم قد خسروا أنفسهم ، وهانوا على العباد ، فلا دنيا أصابوا ، ولا دينا اقاموا ، ولا جاها اكتسبوا .

كتب معاوية - رضى الله عنه - إلى أم المؤمنين - عائشة رضى الله عنها - : أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى ، فكتبت عائشة - رضى الله عنها - إلى معاوية تقول فيما رواه ابن حبان :

« من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس - والسلام - »

ودخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك - فقال ياأمير المؤمنين : « إنى مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته ، فقال ياأعرابى : إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ، ولا نأمن غشه ، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه .

فقال الأعرابى : إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وباعوا دنياهم بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ، ولم يخافوا

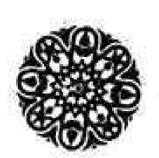
الله فيك ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لم يألوا فى الأمانة تضييعا ، وفى الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عبئًا من باع آخرته بدنيا غيره .. » .

وحين تكون المقابلة والاختيار بين رضا الله بسخط الناس ، وبين رضا الناس بسخط الله ، فإنها تكون صفقة رابحة لمن يختار رضا الله ولو سخط الناس جميعاً ، ودون ذلك الصفقة الخاسرة .

فمن تعرض بسوء فعله حين يلتمس رضا أحد من أصحاب الجاه أو ذوى القربى بسخط الله ، فيجاريه فى باطل ، أو يؤدى له شهادة زور ، أو يشاركه فيما يقترفه من إثم ، وما يرتكبه من منكر ، طمعاً فى جاهه أو ماله ، أو مجاملة له أو استحياء منه ، فإنه بذلك يكون قد قطع صلته بالله ، وباع نفسه لإنسان مثله ، وهو - إن أعطاه - يمن عليه ، ويستذل كرامته ، وإذا حرمه فقد خسر نفسه وخسر ما كان يطمع فيه من أعراض الدنيا الزائلة ويتجرع فوق ذلك كأس الذل جزاء وفاقا ، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ « الصف ٥ » .

ومن استجلب رضا الله بطاعته ، وموافقة شريعته - غير عابىء بسخط الناس وغضبهم رضى الله عنه ، وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه ، ذلك أن الله - وحده - مقلب القلوب ، وقلوب العباد بين يديه يقلبها كيف يشاء نسأله - سبحانه - أن يجعلنا ممن يخشونه ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ « النور ٥٢ » .



نظرات في

الفقه الأباضي

نبذة عن المذهب ورجالاته



لفضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

يكره الأباضيون أن ينسبوا إلى فرقة الخوارج أو مذهبها.

والحقيقة أنهم ينتمون إلى الطائفة التى فارقت على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وخرجت عليه إثر واقعة التحكيم فى معركة «صفين»، ثم نزلت أرض حروراء بالقرب من الكوفة، وتولى أمرها عبد الله بن وهب الراسبى، وجعل موعده - مع من خرج معه - مَحَلَّةَ «النهروان»، فاجتمعوا فيها، واستقروا بها، وهى محلة بالقرب من سامراء شمالى بغداد الآن.

ثم جرت بينهم وبين على «رضى الله عنه» وقائع شديدة مشهورة فى التاريخ الإسلامي، وكذلك جرت وقائع بين مَنْ وَلِيَهُم مِنْ فِرَقِ الخوارج وبين الخلفاء من بعده، وكان لهم فى تاريخ الفتن ذِكْرٌ طويل.

وقد ظل أصحاب عبد الله بن وهب على جماعتهم حتى خالفهم نافع بن الأزرق ومن معه، فافترقت الجماعة، ثم كثر التمزق والشتات بينهما حتى بلغت ست عشرة فرقة. كانت الأباضية إحداها.

لكن الأباضية ترى أنها على الأصل مع عبد الله بن وهب الراسبى - بإمامة عبد الله بن أباض من تيم اللات، رهط الأحنف بن قيس[1].

(١) «الكشف والبيان» - للشيخ محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى. جـ٢ ص ٢٣٩، ٤٢١، ٤٢٣.

يقول القلهاتي[٢] : « الفرقة الأولى وهي الوهبية ، وهم المنسوبون إلى عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي ، وهو أول أمام عقدوه[٣] بعد علي بن أبي طالب ، وكذلك الأباضية إمامهم عبد الله بن أباض من تيم اللات ، ورهط الأحنف بن قيس ، وهما فرقة واحدة ، وهي الفرقة المحقة »[٤] أهـ .

والأباضية يسمون أنفسهم « أهل الاستقامة » ويرون أنهم هم الفرقة الوحيدة الناجية من بين الفرق التي نَجَمَتْ عن المجموعة التي خرجت مع عبد الله بن وهب الراسبي .

ويطلقون على من عداهم من فرق هذه الطائفة : « فرق الخوارج » ويبراون منهم ، وينكرون عليهم مذاهبهم .

يقول القلهاتي : (وجميع أصناف الخوارج - غير أهل الاستقامة - اجتمعوا على تشريك أهل القبلة ، وَسَبْيِ ذراريهم ، وغنيمة أموالهم ، ومنهم من يستحل قتل السريرة والعلانية ، واعتراض الناس بالسيف على غير دعوة ، وهم مختلفون فيما بينهم بقتل بعضهم بعضا ، ويغنم بعضهم مال بعض ، ويَبْرَأ بعضهم من بعض .... »[٥] ..

ثم يقول تعريفا بفرقة أهل الاستقامة : (وهي الفرقة المحقة التي هي على الكتاب والسنة والإجماع . وهي الأباضية ، لمكان إمام المسلمين عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة - رحمه الله - ورهط الأحنف بن قيس التميمي ، وهو الذى فارق جميع الفرق الضالة عن الحق من المعتزلة والقدرية والصفاتية ، والجهمية ، والخوارج ، والروافض ، والشيع .... .. نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان ، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان ... ... ورفع المذهب عن عبد الله بن عباس ، وأبي الشعثاء : جابر بن زيد ، ونقل عن أهل النهروان والنخيلة ، وعن التابعين من أهل : (صفين) و (الجمل) وعن الصحابة مثل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ...[٦] » ..

وعلى هذا : فالأباضية ينتمون إلى عبد الله بن أباض : إمامهم « وأميرهم » بعد عبد الله بن وهب الراسبي .

لكن مرجعهم في الفقه والعلم هو جابر بن زيد الجوفي الأزدي الملقب بأبي الشعثاء . وهو من فقهاء التابعين ومن رواة الحديث في ذلك العهد[٧] .

ولد في عمان عام ٢٢ من الهجرة النبوية ، ثم رحل إلى العراق ، فأقام بالبصرة ، وكانت في ذلك الحين معسكر أهل عمان الذين يخرجون للجهاد ، أو لطلب العلم ، وتلقى العلم عن عدد من الصحابة منهم خزيمة بن ثابت ، وعمار بن ياسر ، وبلال و صهيب ، وحذيفة ، وأبو ذر ،

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي ، من علماء الأباضية البارزين في أوائل القرن الرابع الهجري : العاشر الميلادي - تراجع مقدمة الدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف - ص ٨ جـ ١ ، من كتاب « الكشف والبيان » نشر وزارة التراث القومي بسلطنة عمان .

(٣) هذه هي عبارة النص وربما كان المقصود « عقدوا له لما » .

(٤) الكشف والبيان جـ ٢ ص ٤٢٣ .

(٥) المرجع السابق ص ٤٢٣ .

(٦) الكشف والبيان جـ ٢ ص ٤٧١ .

(٧) « إزالة الوعثاء عن أبي الشعثاء » للسيابي - وزارة التراث القومي عمان - ص ١٤ نقلا عن ياقوت الحموي .

نظرات في الفقه الأباضي

وجابر بن عبد الله الانصارى ، وأنس بن مالك ؛ وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى ، وابن عباس « رضى الله عنهم » .

كما روى عن عائشة « رضى الله عنها » وقال : ادركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم .

وقد طالت صحبته لابن عباس ، وتلقى عنه الكثير ، واشتهر بالتقوى والفقه ، والفتيا وسعة العلم .

أخذ عنه . قتادة ، وعمر بن دينار ، وأيوب وخلق آخرون منهم تلاميذه من فقهاء المذهب .

هذا هو إمام المذهب الأباضى : فقها ، وعلما ، ورواية ، وقد توفى فى عام ٩٣ من الهجرة . وقد تلقى عنه من الأباضية : أبو عبيدة مسلم بن كريمة التميمى ، وهو من أشهر أصحابه ، وضمام بن السائب . وأبو نوح ، وحيان الاعرج ، وهؤلاء يمثلون الطبقة الأولى من طبقات فقهاء هذه الجماعة من رجالات القرن الثانى الهجرى . ثم وليهم بعد ذلك طبقات من الفقهاء .

وكان ممن تبوأوا مركز الصدارة فى الفقه والفتوى من رجال المذهب أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمي البصرى ـ الذى ذكرناه آنفا ـ .

تلقى العلم والرواية عن جابر بن زيد ، وروى عنه المسند الذى تعتمده الأباضية فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتولى الإمامة فى مذهبه بعد جابر بن زيد ، وتوفى فى ولاية أبى جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ . ومنهم أبو الخطاب المعافرى ، إمام الأباضية بأرض المغرب ، وكان قد جاء من اليمن إلى البصرة طالبا للعلم ، فوافق حضور أربعة من أهل المغرب ـ « الجزء الغربى من الخلافة الإسلامية » : ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ـ فنصبه أبو عبيدة إماما لهم ، فرحل معهم إلى بلادهم واقام بينهم مجتهدا لإقامة دولة أباضية ، إلى أن استشهد مقاتلا فى منتصف القرن الثانى الهجرى[8] فَوَلِىَ الإمامة عبد الرحمن بن رستم الذى تمكن من تأسيس الدولة الرستمية الأباضية عام ١٦٢هـ فعمرت هذه الدولة نحوا من ثلاثين ومائة عام ، ثم قضى عليها الفاطميون عام ٢٩٧ من الهجرة[9] ..

ومن الفقهاء عبد الله بن يحيى الكندى ـ من كِنْدَةَ فى عُمَان ـ وقد نَصَّبَه أبو عبيدة فى أواخر عهد دولة بنى امية إماما على أهل عُمَان ، فأقام الإمامة الأباضية فى اليمن وحَضْرَمَوْت ، وعُمان ، إلا أن العباسيين عاجلوه فقضوا على إمامته فى سنة ١٣٤هـ .

ثم اجتمع شمل أبناء هذا المذهب وأخذوا يتحينون الفرصة لإقامة الإمامة الأباضية من جديد ، واستطاعوا إقامتها للمرة الثانية فى عام ١٧٧هـ فى عمان فاستقرت بها حتى الآن .

ومن الواضح أن هؤلاء الأئمة كانوا من الفقهاء ، والعلماء فقد كان الأباضية لا يولون الإمامة العامة إلا إماما فى الدين .

---

(٨) المرجع السابق ، ومقدمة شرح الجامع الصحيح للربيع بن حبيب إصدار عمان ، ص ٨ .
وكتاب « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين » لحميد بن محمد بن رزيق ص ١٢٩ .

(٩) راجع فى هذا مقدمة شرح مسند الربيع بن حبيب من كتابة العلامة عبد الله بن حميد السالمى (١٢٨٦ ـ ١٣٣٢هـ) ثم مقدمة مقدمة (الجامع لابن جعفر) للأستاذ عبد المنعم عامر ومرجعه « البدر الشماخى » فى كتابه « السير » ..

ويأتى فى هذه الطبقة الإمام : مُنَيْر بن النَّيِّر الجعلانى - وهو فى الأصل من حضرموت ، حملَ العلم من البصرة إلى عمان ، وَعُمِّر طويلا حتى بلغ مائةً وعشرَ سنوات ، ومات سنة ٢٨٠ من الهجرة .

ومنهم : أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى العمانى . وهو الذى شاع عليه اسم : « الشيخ » ثم لقب « بالشيخ الكبير » وكان من علماء القرن الثالث الهجرى فى عمان ، ولا تزال فتياه ذات أثر فيها حتى الآن[١٠] .

ويأتى مع هؤلاء ، ومن بعدهم عدد وافر من أهل الرواية والفقه ممن ينتفع بتراثهم اليوم : منهم : الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدى الفراهيدى ، وهو فقيه مشهور عاش بالقرن الثانى الهجرى ، وصحب أبا عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، وروى عنه المسند عن جابر بن زيد .

هذا المسند الذى يعتمد عليه الأباضية أساسا فى الفقه والعقائد ، ويتميز بأنه يقتصر على ما روى عن الصحابة قبل الفتنة ، ولا يروى عمن تبرأ منه الأباضية مِمَّنْ أَلَمَّتْ به الفتنة من الصحابة « رضوان الله عليهم » .

ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدرانى الورجلانى المتوفى سنة ٥٧٠هـ .

وهو من وَرْجَلان - واد - بأرض المغرب - وقد فسر القرآن الكريم تفسيرا جامعا ، وله فى أصول الفقه « العدل والانصاف فى معرفة أصول الفقه والاختلاف » نشرته وزارة الثقافة العمانية .

وقد رتب مسند الربيع - الذى أومأنا إليه آنفا - عن أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، عن جابر بن زيد .

رتبه على الأبواب . وكان مشوشا ، وضم إليه روايات أخرى للربيع وغيره ، وشرح أسماء رجال المسند .

ويأتى بعد هؤلاء من أصحاب التراث الباقى حتى الآن الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن بركة السليمى - الشهير بابن بركة صاحب كتاب « الجامع » ، والشيخ أبو جابر محمد بن جعفر الأزكوى - الشهير بابن جعفر - صاحب كتاب « الجامع » ، والشيخ أبو الحسن على بن محمد بن على البسيوى - الشهير بالبسيوى صاحب كتاب « الجامع » .

وقد تعارف علماء الأباضية على أن كلمة « الجامع » هنا تعنى أن الكتاب يجمع بين أبواب العقائد ، وأبواب الفقه ، والزهد ، والرقاق .

ومنهم الشيخ محمد بن شامس البطاشى صاحب كتاب : « غاية المأمول فى علم الفروع والأصول » .

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم صاحب كتاب « بيان الشرع » والشيخ أحمد بن عبد الله بن موسى الكندى صاحب كتاب « المصنف » .

ومنهم البدر الشماخى ، صاحب كتاب « السير » وكتاب « العدل والإنصاف » فى علم الأصول .

وأمثال هؤلاء ممن أثروا الدراسات الإسلامية بما صنفوه من كتب قَيِّمَةٍ ذات قيمة كبيرة[١١] .

وأن من أشهر علماء الأباضية المعاصرين

(١٠) وردت أخبار هؤلاء الأئمة فيما كتبه : البدر الشماخى فى كتاب « السير » وارجع فى هذا إلى كتاب : « إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء » للشيخ سالم بن حمود السيابى - إصدار وزارة الثقافة فى عمان - وإلى مقدمة « مسند الربيع بن حبيب » للعلامة نور الدين السالمى .

(١١) مما يؤسف له أن الكُتّاب القدامى الذين تحدثوا عن هؤلاء الفقهاء أغفلوا ذكر تاريخ وفياتهم ، وكانت هذه عادة فيهم .

نظرات فى الفقه الأباضى

الشيخ نور الدين أبو محمد بن حميد بن خميس السالمى « ١٢٨٦ ـ ١٣٣٢هـ » وقد عرف بالفقه العميق والعلم الواسع والتأليف الكثيرة القيمة ، يأتى فى مقدمتها شرح مسند الربيع بن حبيب ، وكتاب « شرح طلعة الشمس » وهو من أعظم كتب الأصول ، وأوفاها . وكتاب « بهجة الأنوار » شرح متن « أنوار العقول » وقد شرح فيها عقائد مذهبه فى اعتدال يشكر عليه .

وكان من سمت هذا الشيخ أنه يستند فى كتاباته الفقهية إلى آراء الحنفية ، والمالكية والشافعية والحنابلة دون تَحَامُل ، ويستشهد بـروايـات الشيخـين وأصحـاب السنن ، والدارقطنى والطبرانى والبيهقى دون ما شعور بالحرج .

وهذه ميزة واضحة لدى كثير من فقهاء هذا المذهب .

وللشيخ السالمى موقف إسلامى مشهور ، فبالرغم من أنه كان ضريرا مكفوف البصر ، إلا أنه قاوم الحماية البريطانية ، وتحمل فى سبيل ذلك السجن والنفى عن موطنه . ولم يكف عن المقاومة حتى توفى وانتهى أمر بريطانيا إلى الجلاء عن عمان .

ومن هؤلاء الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثمينى المتوفى سنة ١٢٢٣هـ صاحب كتاب « النيل وشفاء العليل » وقد شرحه الشيخ محمد بن يوسف أطْفِيش المتوفى سنة ١٣٣٢هـ عن عمر يناهز ستا وتسعين عاما وهذا الكتاب يجمع فقه المذهب الأباضى ، وعقائده فى اعتدال .

هذا : وقد اخترنا أن ننظر فى الفقه الأباضى بحثا عن آراء هذا المذهب التى تفرد بها عن غيره من مذاهب الفقه ، ومحاولة منا لفهم أصوله واتجاهاته ، كشفا لأسباب الوفاق والائتلاف بين المسلمين ، وشغفا بالفقه الإسلامى وما يحتوى من فكر عميق .

وانصرفنا عن عرض مناحى الرأى فى الجانب العقدى لهذا المذهب ، ذلك أن شقة الخلاف واسعة بين آرائه ، وآراء مذاهب أهل السنة فى هذا الجانب ، ويكفى أن نشير إلى ما كتبه الشيخ محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى من علماء القرن الرابع الهجرى عن أهل السنة وقد حمل عليهم حملة شديدة فى كتابه : « الكشف والبيان » وسَمَّاهُم « بالصفاتية » وقال فيهم : « وسموا انفسهم سلفية وخلفية ممن تسمى بالسنة والجماعة ، وقد سماهم أهل الاستقامة[١٢] « أهل الفُرْقَةِ ، وأهل الفتنة » ثم عاب عليهم كثيرا من آرائهم .. وقال : « فهذا يدل على خطأ الحشوية ومَنْ تَسَمَّى بالسنة والجماعة من المشبهة الغَوِيَّة[١٣] » .

وإذا كان من الثوابت أن النظرات الفقهية العملية مرتبطة بالنظرات العقدية فى المذهب ـ أى مذهب .

إلا أننا نلحظ ظاهرة واضحة فى كتابة فقهاء المذهب الأباضى ، وهى أن الآراء الفقهية لدى الطبقة المتقدمة ، وكذلك لدى الطبقة المعاصرة ـ منهم تتسم بالسعة والاعتدال .

من أجل هذا آثرنا أن ننظر فى آراء الفقه الأباضى .

والله ولى التوفيق ..

(١٢) يقصد « الأباضية » .

(١٣) الكشف والبيان ـ للقلهاتى ـ تحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف ـ إصدار وزارة التراث القومى ـ سلطنة عمان ـ جـ ٢ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ..

حول توريث البنات

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد مصطفى شلبى

تتبعت - أولاً - اقتراحاً يطلب إلى الدولة أن تأخذ بمذهب الشيعة الإمامية فى ميراث البنت حيث سوى هذا المذهب بينها وبين الابن فى أنها تحجب كل من يحجبهم الابن لتبقى التركة فى أقارب الدرجة الأولى ، ولا تخرج إلى الأقارب من غير هذه الدرجة ، ووصف صاحب الاقتراح ذلك الاتجاه بأنه أقرب إلى العدل وروح العصر .. إلخ .

وثانياً : ردود الذين ردوا على هذا الاقتراح ، سواء الذين كتبوا إلى المقترح مباشرة أو الذين لم يكتبوا إليه .

وثالثاً : تعليق صاحب الاقتراح على تلك الردود بأنها جانبت الصواب ، لأنه قصد أن البنت تأخذ نصف التركة بالفرض والباقى بطريق الرد وليس فى هذا مخالفة للنص القرآنى قطعى الثبوت والدلالة حتى يقال : لا اجتهاد مع النص ، كما أنه اختيار لرأى فقهى من مذهب له قيمته العلمية . اقترح فيما مضى تدريسه هنا فى مصر ، وإمامه الإمام جعفر الصادق لا يقل عن نظرائه من أئمة المذاهب السنية ، وقد سبق للدولة أن اختارت حكما من هذا المذهب فى قانون الوصية ، وهو صحة الوصية ونفاذها للوارث ، الذى يمنعه الفقه السنى ، فلا غرابة فى ذلك .

قضية اشتغل الناس بها أخذا وردا أكثر من شهر ، ولم يسلّم أحد الطرفين للآخر مما جعل صاحب الاقتراح يختم تعليقاته بعد شرح وجهة نظرهِ فيما ذهب إليه بقوله : « فلا داعى لهذا التسرع بالتهجم كلما قيل رأى من غير مُعَمَّم ، ولا داعى للتحصن وراء : « لا اجتهاد مع النص » من باب الكسل الفكرى والاستكانة للمألوف فهى عبارة مبتورة كالقائل « لا تقربوا الصلاة » ولا داعى لافتعال خصومات دنيوية سياسية فى مقام كالفقه والتفسير » وهى مقالة من المقترح تقطع بأنه مازال عند رأيه فوق ما حوته من قسوة الرد على مخالفيه والخروج على مألوف النقاش فى الرأى .

وجاء بعد ذلك رد شيخ الأزهر ولم يسلم رده الآخر من تعليق صاحب الاقتراح ، كما أن

حــول توريث البنات

الدكتور النمر ـ وهو من أواخر من ردوا المقترح فقال فى آخر مقاله فى الأهرام ٨/١/٨٩ « ولنا عودة نكمل فيها الحديث » .

وفى فترة النزاع كتبت رأيى فى هذا الموضوع ولكن منعنى من نشره حينذاك خوفى من إيقاظ الفتنة بعد نومها لئلا تصيبنى اللعنة ، والآن وبعد مرور أكثر من عام وقد هدأت النفوس وزال المانع أكتب به رجاء أن يُغيِّر صاحب الاقتراح رأيه إن شاء الله فأقول للمقترح : يظهر لى أنك تعجلت فى عرض اقتراحك دون دراسة وافية ؛ لأن المسألة ليست مجرد موازنة بين رأى وآخر ، بل طلبت أن تأخذ الدولة بهذا الاقتراح . بمعنى أن يوضع فى قانون المواريث المعمول به فى مصر .

وهو بمثابة أخذ عضو من جسم إنسان حىّ أو ميت وزرعه فى جسم إنسان مريض لحاجته إليه ـ بلغة الطب ـ وهذا العضو المنقول قد يقبله الجسم المنقول إليه لملاءمته له ، وقد يرفضه لعدم انسجامه مع بقية الأعضاء .

وهذا الحكم المقترح إدخاله فى قانون المواريث لا ينسجم مع بقية أحكامه حيث يتعارض مع أكثرها ؛ لأن فقه المذاهب السنية مستمد مباشرة من كتاب الله وأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصحيحة واجتهادات الصحابة المتفق عليها أو رأى الأغلبية منهم فيما فيه اختلاف ويعترفون بإرث العصبات بناء على السنة العملية الصحيحة غير الحديث الذى نازع فيه الشيعة (حديث طاووس) ولم يربطوا هذه الأحكام بشىء آخر كما فعل المذهب الشيعى ، وقد جعلوا مراتب الإرث أربع مراتب هكذا : الإرث بالفرض ، والإرث بالتعصيب ، والإرث بالرد إذا بقى شىء من أصحاب الفروض ولم يوجد عاصب يأخذ الباقى ، وإرث ذوى الأرحام ، وهم من ليسوا بأصحاب فروض ولا عصبات . ولا تطغى مرتبة على غيرها ولا تتقدم واحدة عن مكانها .

أما فقه المذهب الشيعى فقد بنى على أمرين : **أولهما** : منع الإرث بالتعصيب بدعوى عدم صحة حديث طاووس كما يقولون ، **وثانيهما** : تقسيمهم الورثة إلى مراتب ثلاث : **الأولى** : الأبوان والأولاد وإن نزلوا ، **والثانية** : الأجداد وإن علوا والإخوة وأولادهم ، **والثالثة** : الأعمام والأخوال وأولادهم . والزوجية تأتى مع كل مرتبة من تلك المراتب ، والميراث ينحصر فى كل مرتبة لا يتعداها إلى ما بعدها .

وكلا الأمرين مخالف لسنة رسول الله الصحيحة ، فقد ورَّث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأخ مع البنات فى أول قضية من قضايا المواريث التى نزلت بسببها آية المواريث فى قصة سعد بن الربيع ، وهو فى الوقت ذاته من الطبقة الثانية بترتيب الشيعة . ورَّثه مع البنات والزوجة فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود ، والترمذى وابن ماجه ، كما ورث الجد مع البنات وهو من المرتبة الثانية عندهم فى حديث رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه : ورثه مع بنتين : السدس بالفرض والباقى بالتعصيب . ونصه كما جاء فى منتقى الأخبار .

عن عمران بن حصين أن رجلا أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إن ابن ابنى مات فما لى من ميراثه ؟ قال : السدس ، فلما أدبر دعاه فقال : لك سدس آخر ، فلما أدبر دعاه فقال : إن السدس الآخر طعمة » ... قال الشوكانى فى شرحه :

وصورة هذه المسألة أن الميت ترك بنتين وهذا السائل ، فللبنتين الثلثان ، والباقى ثلث دفع منه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سدسا بالفرض لكونه جدًا ، ولم يدفع إليه السدس الآخر الذى

يستحقه بالتعصيب لئلا يظن أن فرضه الثلث ، وتركه حتى ولى ، أى : ذهب ، فدعاه وقال له : ولك سدس آخر ثم أخبره أن هذا السدس طعمة ، أى : زائد على السهم المفروض ، وما زاد على المفروض فليس بلازم كالفرض .

كما ورث الأخت وبنت الابن مع البنت ، فأعطى البنت النصف ، وبنت الابن السدس ، والأخت الباقي بالتعصيب فى حديث رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وقال عبدالله بن مسعود ـ فى قضية مثلها : اقضى فيها بما قضى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للبنت النصف ولبنت الابن السدس وللأخت الباقى ، وهم لا يقولون بتوريث بنت الابن ولا الأخت مع البنت .

وعلى تلك الأسس التى بنيت عليها احكام المواريث فى كل من المذهبين اتسعت دائرة الاختلاف بينهما حتى وجد فى المذهب الشيعى مسائل كثيرة تخالف ما فى المذاهب السنية التى أُخذت منها احكام القانون فى مصر وإليك بعض هذه المسائل :

١ ـ إن البنت تحجب الإخوة والأخوات والأعمام والأجداد وابناء الابناء ذكورا وإناثا . وهو مخالف لما أخذ به القانون من مذاهب السنة .

٢ ـ إن بنت الابن تحجب هؤلاء جميعاً وأبناء الأبناء إذا كانوا اسفل منها وهو مخالف لما اخذ به القانون .

٣ ـ إن بنت البنت تحجب كل هؤلاء مع انها عند اهل السنة من ذوى الأرحام ولا ترث إلا فى آخر مراحل الإرث وبه اخذ القانون .

٤ ـ إن الأخت الشقيقة تحجب الإخوة لأب والأعمام سواء كانوا اشقاء ام لأب وابناء الإخوة كلهم . مع انها عند اهل السنة تأخذ فرضها النصف والباقى لأقرب عاصب . وبه اخذ القانون .

٥ ـ إن الأخت لأم تحجب ابناء الإخوة الأشقاء أو لأب وجميع الأعمام مع أنها عند أهل السنة تأخذ فرضها السدس والباقى لأقرب عاصب وبه أخذ القانون .

٦ ـ إن العمة الشقيقة تحجب العم لأب . مع انها عند أهل السنة من ذوى الأرحام لا ترث معه شيئا . بل ترث فى المرتبة الرابعة .

٧ ـ إذا اجتمع جد لأم مع جد لأب كان للجد لأم الثلث والباقى للجد لأب . مع أن الجد لأم من ذوى الأرحام لا يرث مع الجد لأب عند أهل السنة .

٨ ـ إذا وجد جد لأب وجدة لأب كان للجدة الثلث والباقى للجد . وعند أهل السنة أن الجدة لا يزيد نصيبها على السدس ، وإن كانت أكثر من واحدة لإجماع الصحابة ومعهم علىٌّ كرم الله وجهه والباقى للجد لأب لأنه اقرب عاصب .

٩ ـ إذا وجد جد لأم وجدة لأم كان المال بينهما بالسوية . وعند اهل السنة لا شيء للجد لأم لأنه من ذوى الأرحام ، والمال كله للجدة فرضا وردا لأنها من أصحاب الفروض .

١٠ ـ إذا وجد أب وبنت أخذ الأب السدس فرضا والبنت النصف فرضا والباقى يرد عليها . وعند اهل السنة تأخذ البنت فرضها والباقى للأب فرضا وتعصيبا .

١١ ـ إذا وجد أب مع بنت الابن اخذ الأب السدس فرضا والباقى لبنت الابن لأنها تحل محل ابيها ، وعند اهل السنة تأخذ فرضها النصف والباقى للأب فرضا وتعصيبا .

١٢ ـ إذا وجد جد وجدة فإن كانوا من جهة الأم قسم المال بينهما بالتساوى ، وإن كانوا من جهة الأب قسم بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين ، وإن اختلفوا كان الثلث لمن كان من جهة الأم والثلثان لمن كان من جهة الأب . وأهل السنة يخالفون ذلك فإن الجدة عندهم لا تأخذ إلا السدس وهو فرضها بالإجماع ، ويرد عليها مع

حـول توريث البنـات

من يرد عليهم من أصحاب الفروض إن بقى شىء بعد الفروض ولم يوجد عاصب .

١٣ - إن العَوْل - وهو زيادة الفروض على أصل التركة - باطل عند الشيعة ، مع قول أهل السنة به لإجماع الصحابة عليه عدا عبدالله بن عباس - رضى الله عنهم - وسبب رفضهم له أن العباس - رضى الله عنه - هو الذى أشار به على عمر - رضى الله عنه - ، حتى أن بعض مؤلفيهم يتحرج من ذكر اسمه فيقول فأشار عليه البغض بالعول .

وإذا كان الاختلاف بين المذهبين هكذا فكيف تأخذ حكما من مذهب الشيعة وتضعه فى قانون أخذ أحكامه كلها من مذاهب أهل السنة ؟ فى القانون إرث ذوى الأرحام وهم من ليسوا بأصحاب فروض ولا عصبات يكون فى المرتبة الرابعة بعد أصحاب الفروض والعصبات والرد على أصحاب الفروض .

والمذهب الشيعى يخلط فيجعل منهم من يرث فى المرتبة الأولى عندهم كأولاد البنات مع أولاد الأبناء فيرث كل فريق ميراث أهله ، ومنهم من يرث فى المرتبة الثانية ، كالجد لأم مع الجد لأب ، وأولاد الأخوات مع أولاد الإخوة ، منهم من يرث فى المرتبة الثالثة كالأخوال والعمات والخالات مع الأعمام .

وبهذا يستحيل تعديل القانون باقتراحك لأنه يتعارض مع أكثر أحكامه .

أما أخذ قانون الوصية بمذهب الإمامية وبعض الزيدية بصحة ونفاذ الوصية للوارث الذى يمنعه أهل السنة فلم يترتب عليه اضطراب القانون ، ولامعارضة هذا الحكم لحكم من أحكامه ، لأمرين :

الأول : أن محله أحد شروط الموصى له .

والثانى : أنه أخذ حين وضع القانون فلا يعارض حكما من أحكامه .

ومع ذلك فقد نقده شراح قانون الوصية ، فشيخك المرحوم الشيخ أبو زهرة نقده بأنه ترك الرأى المشهور وأخذ برأى مغمور يثير العداوة بين الورثة ..

ونقدتُه فى كتاب « أحكام الوصايا والأوقاف » من جهتين :

أولاهما : أنه لم يأخذ الرأى كاملا ولو أخذه كاملا لما كان سببا فى إثارة العداوة بين الورثة .

وثانيتهما : أنه كان يمكن الأخذ بمذاهب أهل السنة باستثناء بعض الحالات بطريق الاستحسان .

وأما اقتراح تدريس هذا المذهب عندنا فى مصر فى الخمسينيات فشىء آخر لا يصحح كل ما جاء بهذا المذهب ، وان السياسة فى هذا الوقت كانت وراء هذا الاقتراح .

وأما أن (إمامه) فقيه عظيم لا يقل عن غيره من فقهاء أهل السنة فمسلم ، لو ثبت أنه المؤسس لهذا المذهب ، وأن كل ما فيه منقول عنه حقيقة ، كما فى المذاهب الأخرى ، فكم من أقوال نسبوها إليه وهو منها براء ، والمذهب فى أصله مذهب طائفة الشيعة الإمامية الاثنى عشرية . وقد اخترع له اسم (الجعفرية) نسبة إلى الإمام جعفر الصادق من عهد قريب فى لبنان ، اخترعه الشيخ محمد جواد مغنية وعنون له بالمذهب الجعفرى ليقف فى صف المذاهب الفقهية السنية المنسوبة إلى أئمتها .

وساكتفى بمثل واحد : فقد نسبوا إليه فى كتبهم أنه قال : « **التقية دينى ودين آبائى ومن لا تقية له لا دين له** » لأنها عندهم واجبة وأنها

جزء من العقيدة كالأمانة . نقلها الشيخ محمد جواد مغنية عن شرح المظفر فى عقائد الشيعة فهل يتفق هذا القول مع قصته المشهورة مع أبى جعفر المنصور العباسى حينما كتب إليه يقول : لم لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ فيرد رضى الله عنه بقوله :

« ليس عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ، وليس عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولستَ فى نعمة فنهنئك بها ولا نرى ما أنت فيه نقمة فنعزيك فيها » فكتب إليه يقول : « تصحبنا لتنصحنا » فيرد عليه بقوله : « من يريد الدنيا لا ينصحك ، ومن يريد الآخرة لا يصحبك » .

فهل تتفق هذه الصراحة الجريئة مع القول بالتقية أخى : **وقد تبين لى من دراسة هذا المذهب حينما كنت استاذاً للشيعة (بجامعة بيروت العربية) لأكثر من عشر سنوات : أن أحكام المواريث عندهم مرتبطة إلى حد كبير بمذهبهم فى الخلافة .**

فقد منعوا الإرث بالتعصب ليمنعوا العباس عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ميراثه ، وسووا بين البنت والابن لتنفرد الزهراء رضى الله عنها بميراث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، ولما لم يكن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مال يورث عنه انتقل الإرث إلى الخلافة ، ومنها تنتقل إلى أولادها ويحرم منها العباس ، ولما لم تستقم هذه لأنها لم ترث الخلافة ، ولو افترضنا جدلاً ـ فإن زوجها كرم الله وجهه سيرث ربعها فقط ، وهو أول الأئمة عندهم الذى وضعوا أحاديث الوصية له بالخلافة .

ولما لم تفلح هذه انتقلوا إلى طريقة أخرى . وهى أن عليًا أولى بالخلافة من العباس لأنه ابن عم شقيق لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعباس عمه لأبيه . فقلما تجد كتابا من كتبهم إلا وفيه : أن المرتبة الثالثة من مراتب الورثة بالقرابة الأعمام والأخوال وأولادهم الأقرب يحجب من دونه فالعم يحجب أولاد العم والخال كذلك . إلا فى مسألة واحدة خرجت بالاجماع قدم فيها ابن العم الشقيق على العم لأب ففى كتاب « الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية » جـ ٨ ص ٥٤ . والمتقرب بالأبوين فى كل مرتبة من مراتب القرابة يحجب المتقرب بالأب مع التساوى فى الدرجة لا مع اختلاف الدرجة إلا فى ابن عم لأبوين فإنه يمنع العم لأب وان كان العم أقرب منه وهى مسألة إجماعية خرجت عن حكم القاعدة وقصروها على هذه الصورة . فلو كان مع ابن العم الشقيق خال ولو لأم فإن الخال يحجب ابن العم .

قالوا ذلك لأنه لم يكن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خال ينازع فى الخلافة .

ويقول الشيخ مغنية فى كتابه « فقه الإمام جعفر » جـ ٦ ص ٢٣٦ : اجمعوا على أن ابن العم من الأبوين يقدم فى الميراث على العم لأب فقط أو من الأم ، وأطلقوا على هذه المسألة « المسألة الإجماعية ، واجماع الفقهاء قولا واحداً فى كل عصر ومصر عليها أخرجها عن النظريات وجعلها من ضرورات المذهب ، وعليه يكون الاجتهاد بها كالاجتهاد فى قبالة النص القطعى سندا ودلالة » . **وهذا كلام لا دليل عليه** . وينقلون فى ذلك قصة ينسبونها للإمام جعفر الصادق لتدعيمها !

وأغرب من هذا استدلال الشيخ مغنية على بطلان الإرث بالتعصيب ومساواة البنت للابن بقوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ النساء ـ ٧ .

يقول : فقد سوت الآية بين الإناث والذكور » .. وتناسى أن هذه أول آية نزلت بشأن المواريث لهدم ما كانوا عليه فى الجاهلية حيث

حــول توريث البنـات

كانوا يورثون الذكور الكبار دون الصغار والإناث وقصد بها مجرد تشريك النساء مع الرجال فى الميراث ، ولم يقصد بها المساواة فى الأنصباء بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ الآية ـ ١١ التى فصل فيها الأنصباء وجعل للأنثى نصف ما لأخيها . فإذا كانت الآية الأولى سَوَّت بين الإناث والذكور كما يقول ، فماذا يقول فى الآية الثانية التى لم تُسَوِّ بينهما ؟!

أيتناقض كلام الله وحاشاه ثم حاشاه لقوله جلّ شأنه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ـ ٨٢ .

فالآية الثانية وما بعدها جاءت مفصلة للإجمال فى الآية الأولى . لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما نزلت الآية الأولى : « إن الله عز وجل انزل علىّ ما لو بينه بينته لكم » فى قصة ميراث سعد بن الربيع .

وأشد غرابة من هذا الاستدلال استدلال الشيخ لطف الله الصافى على أن البنت تأخذ التركة كلها فى كتيِّبه المطبوع فى إيران يرد به على شيخ الأزهر فى مقاله الذى نشر بالأهرام ينقد فيه المذهب الشيعى فى منع الإرث بالتعصيب . إستدلالا بقصة سعد بن أبى وقاص لما مرض وعاده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال للرسول : « إنى امرؤ ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة واحدة افأتصدق بكل مالى » ؟ .. الحديث .. استدل بقوله : « ولا يرثنى إلا ابنة واحدة » فإن هذا القول يبطل القول بالتعصيب ؛ لأن الرسول لم ينكر عليه قوله : « ولا يرثنى إلا ابنة واحدة » ومقتضاه أن البنت الواحدة تأخذ كل المال .

ما أغرب هذا الاستدلال !! أين إبطال التعصيب فى هذا الحديث ؟!

هل مات سعد من هذا المرض وورَّث الرسولُ ابنته الوحيدة وحدها دون العصبات ؟

وهل قال الرسول له : « إذا مت لا يرثك إلا هذه الابنة » ؟

إن الرجل يشكو إلى الرسول فى مرضه الذى ظن أنه يموت فيه وهو فى مكة وعنده مال كثير ويريد أن يتصدق بطريق الوصية به أو بأكثره ؛ لأنه ليس له فى هذا الوقت أولاد يرثونه إلا ابنة واحدة ؛ فيقول الرسول له : « لا ، الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس . فأين البنت الواحدة التى انفردت بالميراث » ؟!

إن سعدا شفى من مرضه هذا وتزوج أكثر من امرأة وانجب من الذكور سبعة عشر ولدا ومات بعضهم فى حياته ، ومن الإناث أربع عشرة بنتا . انجبهم من تسع نسوة وسبية ، كما يقول ابن سعد فى الطبقات ، وتوفى فى سنة ٥٨ من الهجرة وكانت تركته يوم مات مائتين وخمسين الف درهم (الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٣٧ وما بعدها . دار بيروت للطباعة والنشر) .

ومثل هذا استدلاله بخبر واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المرأة تحوز ثلاثة مواريث : عتيقها ولقيطها وولدها الذى تُلاعِنُ عليه » يقول الشيخ فى الاستدلال به : إن الأم تأخذ تركة ابنها ولا يكون ذلك إلا بالفرض والرد وهو ينفى الإرث بالتعصيب ، ونقول له : وهل ولد الملاعنة له عصبة بعدما حرم أبوه من ميراثه حتى يستدل به على إبطال الإرث بالتعصيب ؟

هذا هو مذهب الشيعة الإمامية فى إبطال الإرث بالتعصيب والسبب الذى دعاهم إلى القول بنفيه وطريقة استدلالهم على ما ذهبوا إليه فهل

بعد ذلك مازال صاحب الاقتراح مصرا على اقتراحه ؟

واخيراً اقول للسيد المقترح : فرق بين استحسانك لراى من الآراء ، وبين إلزام الناس بالعمل به وتعديل القانون من أجله . فلك أن تستحسن ما تشاء وليس لك الزام غيرك بالعمل به مهما اظهرت من وجوه الاستحسان .

على أن استحسانك بنيته على أنه اقرب إلى العدل وروح العصر وبه تبقى التركة ف اقارب الدرجة الأولى وعدم خروجها إلى غيرهم من الاقارب . وتستشهد على ذلك بما يفعله أهل السنة ف لبنان من تغيير بطاقتهم المذهبية إلى المذهب الشيعى حينما لا يكون للواحد منهم ذرية غير الإناث . وفعل هؤلاء لا يعتبر دليلا على عدالة المذهب الشيعى الذى تنادى بالتغيير إليه . ولعلك لم تلتفت إلى مصير التركة إذا تزوجت البنت برجل بعيد عن عائلتها ـ وهو الغالب ف الزواج ـ فإنما تأخذ تركة ابيها إلى ذلك الغريب وإلى أولادها منه ، ويحرم منها أولاد أولاد الرجل صاحب التركة فيما إذا مات وترك بنتا واحدة ومجموعة من أولاد أولاده الذكور الذين ماتوا قبله فإن البنت تحجبهم جميعا ذكورا وإناثا .

فهل من العدل أن يتمتع بهذه التركة أولاد الرجال الأجانب عن صاحب التركة ويحرم منها أولاد أولاده الذين حجبتهم عمتهم وقديما قال القائل :

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا
بنوهن ابناء الرجال الأباعد ؟

ام ان صريح العدل ف الفقه السنى الذى يورثهم ما بقى بعد نصيب البنات بالتعصيب إذا كانوا ذكورا وإناثا ، والسدس فرضا مع عمتهم إذا كانوا إناثا ، ويرد عليهم مع عمتهم الباقى بنسبة سهامهم .

وهل من العدل أن تحرم الأخت من ميراث اخيها وقد لا يكون لها مال وأخوها الذى توفى هو الذى كان ينفق عليها ؟

وماذا يكون حال هذه البنت إذا أخذت تركة أبيها كلها مع زواجها من رجل غريب وبددت التركة وطلقها زوجها وحرم منها عمها أو جدها الذى يكون سندا لها بعد وفاة أبيها ؟؟!

وأى مصلحة ف ذلك كله ؟

المصلحة المظلومة التى تضعونها ف غير موضعها ؟

وليست القضية يا أستاذ ف مسألة يقولها (معَمَّم) يسارع المعممون إلى التهجم عليه ، ولا تحصن وراء « لا اجتهاد مع النص » من باب الكسل الفكرى ، والاستكانة للمألوف كما تقول .

لأن محل الخلاف ف مسألة مواريث قضت فيها النصوص بحكم واضح لا إبهام فيه ؛ فلا مجال للاجتهاد فيه بعدها . وقدوتنا ف ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث كان يجتهد ف بعض المسائل حينما يتأخر الوحى ولم يؤثر عنه أنه فعل ذلك ف المواريث ، بل قال ف أول قضية فيها : « يقضى الله ف ذلك » حينما شكت إليه امرأة سعد بن الربيع ، فقالت : « يارسول الله إن سعدا قتل معك ف (أُحُدٍ) شهيدا وترك بنتين لا يزوجان إلا بمال ، وإن عمهما أخذ كل تركته على عادة الجاهلية . فلما نزل قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ ارسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أخى سعد قائلا : لا تتصرفوا ف تركة سعد فإن الله أنزل علىّ ما لو بينه بينته لكم . فلما نزلت الآية الثانية ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ أرسل إليه : اعْطِ ابنتَىْ سعد ثُلُثَى التركة وزوجته الثُمُنَ ولك الباقى ..

فلا تحصن وراء (لا اجتهاد مع النص) كسلا كما تقول ، ولا فرق بين معمم وغير معمم ف شرع الله إذا تساويا ف الاستئهال للاجتهاد ف مواضعه منه .. والله أعلم .





لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

يقول الله عز وجل :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .. ﴾ « سورة النساء - ١١٤ » .

ويقول جل جلاله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ .. ﴾ « سورة الأنعام - ٨٢ » .

الصراع بين الحق والباطل موجود من قديم الزمان ، والمعارك بين الخير والشر حامية وضارية منذ وجد الإنسان حتى الآن .. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!!

ولكن لابد للحق أن ينتصر ، ولابد للباطل أن ينهار ويندحر ، مهما طال الزمن !. ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ « سورة الأنبياء - ١٨ » .. ذلك لأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة .

وكانت الرسالات الإلهية - في شتى العصور والدهور - تساند الحق وتؤيده : لأن الحق أحق أن يتبع ، فهو الذي يصون الأمن ويحمي السلم وبه يتأكد العدل ، وتتقرر المساواة بين الناس في ظل الإسلام القيم الذي يحب الإيثار ويكره الأثرة والانتهازية الكريهة والمبالغة في حب الذات .

الناس أمام الأحداث

إذا حدث شقاق بين شخصين أو نزاع بين أسرتين أو قبيلتين أو طائفتين من المؤمنين نرى الناس منهم الذين يتدخلون بالصلح بين الناس بهمة وشجاعة وحسن نية وصدق قول وفعل ابتغاء مرضاة الله وطمعاً في رحمته ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . فالمصلحون أجرهم عظيم ومقامهم كريم عند الله رب العالمين ، والله يقول في سورة الحجرات : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ « سورة الحجرات - ٩ - ١٠ » .

وهنا في هاتين الآيتين ثلاثة أوامر بالصلح ، لعل الله يرحم به من سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم ، لأن الإسلام حريص على دوام المحبة بين الناس : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ـ ٧١ » .

وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقاوم الفساد الذى يوَجَّه للمسلمين من طواغيت البشر وخصوم الإنسانية لبث الفتنة والفرقة بين ابناء الإسلام الحنيف .

ولا تنازعوا فتفشلوا ..

والنزاع والشقاق والضغينة والوقيعة والتفرق والتمزق كل أولئك يسبب الفشل والهزيمة والله يقول : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ « سورة الأنفال ـ ٤٦ » ..

وقد نهانا ربنا ـ بهذا النص ـ عن النزاع ، لأن الوحدة قوة والفرقة ضعف ، وليس على ظهر الأرض شيء أسوأ من الحقد والبغضاء بين المسلمين ، وحب الذات والأثرة والأنانية الكريهة التى يأباها الإسلام ويمقتها ، لأن الإسلام يدعو أتباعه لإصلاح القلب بالإخلاص ، وإصلاح النفس بطهارة السلوك ، والله يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ « سورة النحل ـ ٩٠ » .. لأن الله قد ارسل رسوله رحمة للعالمين ليبدل به ظلام الجاهلية نوراً .

وقد قرر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان الحقد والتدابر والبغضاء والتشاحن أمور ليست من الإسلام فى شيء فقال : **« لا تحاسدوا ولاتناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله .. التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فاصلحوا بين كل مسلمين تخاصما »** (رواه مسلم وغيره) .

بالإسلام انمحت ظلمات الجهالات

والإسلام اليوم شيء ، والمسلمون شيء أخر . فالإسلام فى جوهره لا يتغير قط ، لأن القران لا يتبدل ولا يتغير . ولهذا صنع الإسلام فى ايامه الأولى أمة وبنى دولة قال لها ربنا : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ لأن شعارهم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ، فلا عدوان ولا طغيان ولا فسوق ولا عصيان ، لكنه الأمن والسلم والصدق والعدل والثقة بالله ، فلا تذل النفوس لسواه ، ولا تعبد إلا إياه ، فلا كبرياء ولا استعلاء ولا ضلال ولا رياء . وأما الصراع فهو عملية غير إسلامية ، فقد يتحول إلى مصادمات متجددة فيها الظالم والمظلوم ، لهذا أمر ربنا بالعدل فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ « الحجرات » ..

والظلم من شيم النفوس الجبارة والقلوب القاسية المتحجرة : والعدل من صفات الابرار المتقين ، وبالعدل يرد الحق لأهله ، ويرد الحق يتم الصلح ويكون بناء تنشأ به علاقات جديدة تنفع الطرفين ، وبهذه العلاقات البناءة تتجدد الثقة فى الصلح ويتم الخير فى ظل الإيمان السليم والخلق القويم .

ضبط النفس

والإسلام يود من المسلمين أن يستعينوا بالصبر وكظم الغيظ والعفو والصفح وضبط النفس بالسماحة والحلم ، لأن ذلك من علامات التقوى والله يقول : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ ﴾

الأمـن نعمـة والصلـح خيـر

لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ . « سورة آل عمران ١٣٣ ـ ١٣٦ » .

الصبر دواء والعفو قوة

بهذا يعالج الإسلام النفوس البشرية بالصبر والعفو واحتمال المكاره والضوائق والمشاكل والمسائل التى تسبب الجزع والفزع والقلق النفسى ، وذلك لأن الانفعال والتسرع ومقابلة الشر بالشر كل هذا غير مأمون العاقبة ، ولا ريب أن الصبر قوة لا يتصف بها المهازيل من الناس ، والله سيوفى الصابرين اجرهم بغير حساب : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ « سورة فصلت » .

ولكن المشاعر الغريزية قد تدفع احياناً إلى الانتقام ردعاً : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ « سورة الشورى » ، ولكن الله سبحانه مع الصابرين فليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب . واحياناً يكون التسامح مع اللئام خطأ ، لهذا شرع الله مقاومة البغى والاستبداد والظلم والاضطهاد ، لأن الله شرع الجهاد لتأمين العقيدة وحماية الملة ورعاية مصالح الأمة مادام الظلم غريزياً فى طبائع البشر ومادام الطغاة لا يفهمون إلا منطق القوة فهم يعيثون فى الأرض فساداً إن لم يرتدعوا بقوة تصدهم عن غيهم وبغيهم ، وقد علمنا الإسلام أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من أعطى الذلة من نفسه طائعاً مختاراً فليس منا .. » (أخرجه الطبرانى) ..

فقد نشأ الإسلام عزيزاً لا يقبل الذل كريماً لا يتحمل الضيم وحمله كرام بررة . والإسلام يطلب من المسلمين أن يكونوا أعزاء بعزة الإسلام ، أجلاء بجلال الحق ، عظماء بعظمة الإيمان ، أقوياء بقوة القرآن ، يصلون ما أمر الله به أن يوصل وينهون عن الفساد فى الأرض .

والإسلام يقول : خمس من كن فيه كن عليه : « البغى ، والنكث ، والخداع ، والمكر ، والظلم » .

البغى يدمر صاحبه

البغى فى الأرض بغير الحق فساد كبير ، ولابد للباغى من انتقام إلهى يستحقه من ظلم نفسه قبل أن يظلم غيره ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ..... ﴾ « سورة يونس ـ ٢٣ » ، والله قد حرم البغى فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « سورة الأعراف ـ ٣٣ » .

واما النكث : فيقول فيه ربنا : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ، **والخداع** صفة الأشرار المنافقين الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم فى « سورة البقرة » : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ وهؤلاء فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا فهم يفسدون

ولا يصلحون. وحسب المنافقين ان الله يقول فى المخادعين المنافقين : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ « سورة البقرة ـ ١٦ » .

المكر السيىء

الماكرون بالسوء اشرار ، والمكر السيىء خيانة بين المرء ونفسه ، فهم يؤذون انفسهم قبل إيذاء غيرهم ، لأن هؤلاء الماكرين يمكرون بأنفسهم والله يقول : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ « سورة فاطر ـ ٤٣ » لأن الصراحة والوضوح أمارة الصدق مع النفس ومع الله ومع الناس ، والله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ « سورة التوبة ـ ١١٩ » .

الظلم ظلمات

اما الظلم فيدمر البنيان ويخرب العمران ويفسد الحياة ، لكن العدل اساس البنيان وهو يسد المنافذ الخبيثة للظلم المهاجم للإنسانية الآمنة المطمئنة ، لأن الظلم يحطم دوافع الخير فى القلب ، والظلم اختلاس ما ليس للظالم بحق ، أو سلب ما ليس بحق له ليهضم حق الناس ، ومن الظلم ظلم النفس بالمعاصى واقتراف الذنوب والعيوب ، والإسلام يحذر من عاقبة الظلم ويأمر المسلم بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يتقى المحارم .

« اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .. ولا ينبغى ـ فى الإسلام ـ العدوان على ضعيف من قوى .. « الإمام أحمد ـ والترمذى » .

وقد يكون الظلم صادراً من طاغية على إنسان مسالم أو على جماعة كذلك ، وقد تطغى الشعوب بعضها على بعض كما يطغى الأفراد فيعتدى شعب قوى على شعب ضعيف ليستعمره أو يبتلعه أو يستغل خيراته بالغلبة والقهر والقوة ، والإسلام حرم العدوان الآثم فى جميع صوره وألوانه .

وعندئذ يجب على المسلمين أن يحذروا فتنة لا تصيب الظالمين وحدهم ، والله يقول : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً .. ﴾ « سورة الأنفال ـ ٢٥ » ..

ويقول ربنا عز وجل : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ . ويقول جل جلاله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ٤٥ » .. فهل يدرك المسلمون الأخطار المحيطة بهم ويكفوا عن ظلم انفسهم وظلم جيرانهم فيثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا من ذنبهم ؟! ليتم الصلح بينهم وبين ربهم بالالتجاء إليه فلا ملجأ منه إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه ..

الأمن نعمة والسلم حياة

لا يستقيم أمر بغير الأمن ، والله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ « سورة البقرة ـ ٢٠٨ » .

والله سبحانه وتعالى جعل المرء مؤمناً إذا ألقى السلام فلا يكفر بمعصية مادام سليم العقيدة الدينية فيقول جل جلاله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا .. ﴾ « سورة النساء



♦ الأمن نعمة والصلح خير

٩٤ » . لأن تحية المسلمين السلام : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ « سورة الأحزاب ـ ٤٤ » . وجعل الله السلام تحية لرسله : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ : ﴿ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ .

والله جعل الأمْن جزاء لمن آمن وعمل صالحاً ، ووعد المؤمنين بعظيم الجزاء فقال جل شأنه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا . . ﴾ « سورة النور ـ ٥٥ » .

ويقال لأهل الجنة : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ « سورة الحجر ـ ٤٦ » .

﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ « سورة يوسف ـ ٩٩ » والله يقول لنبيه موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ . «سورة القصص ـ ٣١ » .

ولقد عرفت الدنيا كلها اليوم أن الأمن سعادة وسيادة أما الحروب فهى كروب وذنوب وعيوب وقتل للوقت والأنفس والأموال .

وقد يقال : إذا كان الإسلام دين سلام وأمن فلم يعتدى بعض المسلمين على بعض ؟

والجواب : لا يُحتج بالمسلمين على الإسلام ، لأن الإسلام هو الإسلام ، وأما المسلمون فإن بعضهم غلبت عليه شقوته فتمرد وأعرض عن ذكر ربه فامتلأ غروراً وفجوراً : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ « سورة طه ـ ١٢٤ » .

الإسلام دين ودنيا

ولا تصادم بين الدين والدنيا فى الإسلام : ولكن لست أدرى من أين جاءت فكرة تصور أن الإسلام عدو للدنيا ؟

كلا : إن الله يحاسب المسلم عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ لأن الوقت هو عمر الإنسان ، ثم أرأيت كيف تمنى سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ الأمن لمكة فدعا ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ « سورة إبراهيم ـ ٣٥ » ، فأجيبت دعوته . ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ « سورة التين ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ » .

لأن الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، وقد أخذوا منه : آمَن بمعنى صدَّق وأذعن وانتفى الشك والريب. فاطمأن بذكر الله : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ « سورة الرعد ـ ٢٨ » .

وأعداء الأمن من هم ؟

سؤال يطرح نفسه دائماً ، هم أهل الوشاية والسعاية والفتنة والوقيعة والدسيسة الذين يؤذى نفوسهم رؤية الاستقرار وراحة البال ، وهم الذين يحبون المنازعات وينشرون الشائعات ويثيرون الغل والأحقاد بين الأفراد والجماعات : وهذه مهمة شياطين الإنس وشياطين الجن ، وقد اشتركوا فى الوساوس بالشر ، وقد أمرنا ربنا بالاستعاذة من شرهم فقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ « سورة الناس ١ ـ ٦ » .

البقية ص ٩٣٢

قضية القضايا الاقتصادية

٢

سعر الفائدة أم معدل الربح ؟

كآلية لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر

للأستاذ الدكتور
عبد الحميد الغزالى

عناصر الإنتاج اربعة ، وهى : الارض والعمل وراس المال والتنظيم . ولكل عنصر من هذه العناصر عائد او دخل نظير اشتراكه الفعلى فى النشاط الاقتصادى . فدخل الأرض (الريع) ، ودخل العمل (الاجر) ، ودخل راس المال (الفائدة) ، ودخل التنظيم (الربح) . وهذا التقسيم الرباعى لعناصر الإنتاج وعوائدها بصفة عامة ، وراس المال وسعر الفائدة على وجه الخصوص ، من « اوليات » النظرية الاقتصادية بعامة ، ومن « مسلمات » نظرية راس المال بخاصة . ولا يختلف على هذا التقسيم للعناصر والعوائد ، اثنان من الاقتصاديين ، وفقا للأدب الاقتصادى الغربى ، برغم المقولة المشهورة بانه ما إن وجد اثنان من الاقتصاديين إلا وكان هناك ـ على الاقل ـ ثلاثة آراء .

ويقوم تحليل نظرية راس المال على فرض « غير واقعى » زائد فى التبسيط ، من بين عدد من الفروض غير الواقعية الأخرى ، وهو فرض « التيقن التام » PERFECT FORE-SIGHT, « CERTAINTY » وفى عالم غريب من اليقين ، تحدث أشياء غريبة تماماً . منها أن سعر الفائدة التوازنى يتطابق تماماً ودائماً مع الإنتاجية الحدية لراس المال ، أو بلغة « ساموِلسن » و« باتنكن » D.PATINKIN يتساوى سعر الفائدة مع معدل الربح ، « المتوقع تحقيقه ـ بالتأكيد » . وعليه ، تأتى « منطقية » النتيجة المنبثقة من هذا التحليل ، وهى استحالة تصور حالة « سعر فائدة صفرى » عند التوازن فى عالم الواقع الذي يتسم بالندرة الشديدة فى رأس المال ؛ لأن هذا ليس له إلا معنى واحد ، وهو افتراض أن رأس المال متوافر بلا حدود ، أى افتراض حالة « تشبع راسمالى » GAPIT-AL SATURATION اى يصبح رأس المال

◆ قضيـة القضايـا الاقتصاديـة

كالهواء . وحيث انه ليس كذلك هنا فلا مفر من بديل قائم ، وهو إمكانية التوازن الصفرى ، كما افترض « سامولش » ، فى حالة ركود قاسى الشدة ، او انتشار حالة الفوضى الاقتصادية فى استخدام راس المال النادر بإلغاء سعر الفائدة ، مما يؤدى ، فى راى بعض الاقتصاديين ، لا محالة إلى الدمار والفناء .

وواضح ان هذا التحليل يخلط تماماً بين امرين على طرف نقيض ، وغاية فى الاختلاف والتميز ، وهما :

إلغاء سعر الفائدة مع توافر بديل وهو « الربح » . و« التوازن الصفرى لسعر الفائدة » .

فهناك فرق شديد التحديد والوضوح بين الحالتين . فالاقتصاد الإسلامى لم يقم بإلغاء سعر الفائدة ، على المستويين الفكرى والتطبيقى ، ليعنى بـه هـذا « التـوازن الصفرى » ، وإلا كانت النتيجة فعلاً تبديداً واضحا فى استخدام عنصر شديد الندرة ، وهو راس المال . وإنما قدم هذا الاقتصاد « الربح » كمعيار يحكم هذا الاستخدام على اسس اكثر منطقية فكرياً ، واكثر عدالة اجتماعياً ، واكثر ـ وهذا هو المهم هنا ـ كفاءة اقتصادياً .

وإذا ما تخلصنا من (سلبيات) إسار الفكر الاقتصادى الغربى ، واعدنا وامعنا النظر العلمى فى مسلماته ، واعملنا العقل فى اسسه ، سوف نكتشف فوراً أن إلغاء سعر الفائدة لا يعنى ، بتاتاً وابداً ، ان راس المال ليس له عائد ، ويقدم للمتعاملين بلا تكلفة . ومن ثم ، استطراداً لهذا المنطق المغلوط ، تصبح الأموال القابلة للاستثمار متاحة « مجاناً » ، مما يجعل بالتالى الطلب عليها « غير محدود » . وتكون النتيجة غياب « آلية » لمعادلة الطلب مع العرض ، توصلاً إلى توازن فى سوق راس المال . ومن ثم ، يحدث فى النهاية تبديد راس المال ، نتيجة الاستخدام غير الرشيد له . ويعم ، بالتالى ، الخراب .

فراس المال ـ إسلامياً او غير إسلامى ـ بالقطع له « عائد » ، نظير اشتراكه الفعلى فى النشاط الإنتاجى . وهذا العائد ـ إسلامياً ـ ليس « فائدة محددة مسبقا » ، وإنما « حصة » ، نسبية شائعة ، فى الربح ، بعد « نض » ، اى بعد تحقيق او تسييل ، راس المال ـ فعلاً او حكماً . ولا اعتقد ان احداً سوف يتمسك بالتقسيم الرباعى للعوائد ، برغم وجوده ، بحجة انه « لا اجتهاد مع النص » فى الاقتصاد الوضعى .

ولا اتصور ان احداً سوف يصر على ظاهر « الفاظ » العوائد المختلفة . فالعبرة بمعانى الالفاظ لا بمبانيها ، كما يقولون . كما لا اظن ايضاً أن احداً سوف يعترض على انسحاب صفة ومعنى « الربح » على عائد راس المال المخاطر ، كما هو على العمل المخاطر (اى المنظم) ـ عنصر المخاطرة التقليدى . « فلا مشاحة فى الاصطلاح » ، اى التعريف ، وخاصة ان فقهاءنا قد استخدموا هذا الاصطلاح قبل استخدام الاقتصاديين الوضعيين له بكثير ـ اكثر من الف ومائتى عام ـ فوفقا لمفهوم فقهائنا الصحيح عن النشاط الاقتصادى ومفهومهم الدقيق عن الربح ، فإن كلا من راس المال والمنظم يتحمل ، إسلامياً ، مخاطر الاستثمار ، والربح بينهما بعد سلامة راس المال ، بحسب

الاتفاق - مع تفصيل لصيغ وأدوات الاستثمار الإسلامي ، ليس هذا مكانه .

وعليه ، فهذه الحصة في الربح هي تكلفة عنصر راس المال . ومن ثم ، يصبح « الربح » هو المعيار الذي يحكم تخصيص الموارد المالية . وهو « الآلية » التي تعادل الطلب على هذه الموارد مع العرض منها . فكلما زاد « معدل الربح » المتوقع من استثمار جديد عن الربح المحقق في النشاط الاقتصادي الذي يزمع الاستثمار فيه ، وفقاً لواقع « عدم التيقن » وعلى أساس الأولويات الإنمائية للمجتمع وفي ضوء فرض الكفاية ، زاد عرض الأموال القابلة للاستثمار أمام المشروع المقترح ، وتم تنفيذه فعلاً . والعكس تماماً صحيح .

فالربح المحقق يعد عاملاً حاسماً في تحديد مدى نجاح المشروع الجديد في ذات النشاط - بخاصة ، وفي الاقتصاد بعامة - وفي قدرته على الحصول على المال المشارك والمخاطر . فصاحب المال فطريا لا يستثمر حيث تكون الفائدة أعلى ، بل حيث يكون الربح أكبر . فالربح ، إذن ، وليس الفائدة ، هو الذي يمثل الندرة الحقيقية للمعروض من رأس المال ، ويضمن الاستخدام الكفء للموارد المالية المتاحة في كافة الأنشطة الإنتاجية .

ولعل هذا ما يدعو عملياً إلى مزيد من تحري الكفاءة في استخدام راس المال في ظل النظام الإسلامي ، ويتم ذلك من خلال ضرورة بذل عناية أكبر بتقويم المشروعات ، بحيث تستبعد المشروعات ذات الجدوى المنخفضة . وليس الأمر كذلك ، في حالة التمويل عن طريق القروض . فالمقرض لا يهمه أساساً سوى الفائدة ، ولا يسهم أصلاً في مخاطر المشروع موضع التمويل ، بل يتحملها كلها - عملاً - المنتج المقترض (المنظم) . ومن ثم ، لا يهتم المقرض واقعياً بإجراء تقويم شامل للمشروع ، على عكس ما يجب أن يفعل صاحب المال المخاطر . وعليه ، يمثل معدل الربح آلية لتخصيص الموارد أكثر فعالية وأكثر كفاءة من أداة سعر الفائدة .

ويظهر ذلك بوضوح في ظل المؤسسات النقدية والمالية المعاصرة . فإذا ما اعتمدت البنوك معدل الربح كأساس للتمويل ، وفقاً لصيغ وأدوات الاستثمار الإسلامي العديدة والمتنوعة ، كان عليها أن تكون أكثر دقة وحذراً وموضوعية في تقويم المشروعات . كما لا يتصور ، في هذه الحالة تحيزها لصالح المشروعات الكبيرة وضد المشروعات المتوسطة والصغيرة ، كما هو الحال في الوضع الراهن . فالمشروعات جميعاً تصبح على قدم المساواة . ولا يحكم اتخاذ قرار المشاركة إلا معدل الربح . فكلما ارتفع هذا المعدل ، كانت فرصة المشروع في الحصول على التمويل ، أو المشاركة في التمويل ، كبيرة . والعكس تماماً صحيح . وعليه ، لا يعد « معدل الربح » أكثر كفاءة في تخصيص الموارد فقط ، بل أيضاً أكثر قدرة على الحد من الاتجاهات الاحتكارية ..

وعلى أساس هذا المعيار ، يستطيع النظام الإسلامي ، عملياً ، أن يحقق العدالة بين المُدَّخِر (رب المال) والمستثمر (المُنَظِّم) . إذ لا يحصل أي منهما على عائد ثابت ومضمون مسبقاً . وإنما يشارك في المخاطرة ، ويتحمل النتيجة : ربحا كانت أم خسارة ، بحسب الاتفاق الذي يتحدد بينهما وفقاً لقوى سوق رأس المال . ومن ثم ، لا تعرف هذه العلاقة الإنتاجية الصحية ظلماً للمدخر ، كما هو الحال عند انخفاض الفائدة وارتفاع الربح ، أو ظلماً للمستثمر ، عند حدوث

قضية القضايا الاقتصادية

العكس ، أى ارتفاع الفائدة وانخفاض الربح أو تحقق خسارة . وإنما تقوم العدالة بين الطرفين ، مما يؤثر إيجابياً على الادخار والاستثمار .

وفى ظل عدم توافر « عالم التيقن التام » ، لابد فطرياً أن يميل الإنسان إلى الادخار للاحتياط من ناحية ، وللعمل على رفع مستواه المعيشى فى المستقبل من ناحية أخرى . ولا يشذ المجتمع الإسلامى ، على المستويين الفردى والكلى ، عن هذه القاعدة ، سواء فى صورته الأولى ، أو فى أى صورة حالية أم مستقبلة .

وبصفة عامة ، هناك ترابط إيجابى بين الدخل والادخار . فكلما زاد الدخل ، أساساً نتيجة زيادة الأرباح ، زاد الادخار . ويزداد الميل للادخار فى ظل النظام الإسلامى بفعل « القيم » التى تدعو إلى « القوام » ، أى الاعتدال فى الإنفاق بعامة ، وبالذات الإنفاق الاستهلاكى . وتؤدى « الزكاة » دوراً محورياً فى زيادة هذا الميل ، عن طريق محاولة الفرد زيادة مدخراته على الأقل بما يساوى ما عليه من زكاة ، وذلك للحفاظ على مستوى ثروته .

وبتحريم « الاكتناز » ، ومحاربته عملياً عن طريق « الزكاة » ، التى تجعل الأرصدة النقدية العاطلة تتآكل خلال الزمن ، وبتحريم « الربا » ، و« الغرر » ، وبالتالى منع تثمير المال وتنميته من خلال أبشع صور « أكل أموال الناس بالباطل » وبتحريم « الاحتكار » ، ومحاربة كافة الممارسات الخاطئة فى النشاط الإنتاجى بوسائل عملية ، وبتأكيد قيمة « العمل المنتج » ورفعه إلى مرتبة « الجهاد » ، وجعله جزءاً من العبادة بالمعنى الواسع ، فتح النظام الإسلامى الباب واسعاً لاستخدام مدخرات المجتمع فى استثمارات حقيقية ومربحة ، وفقاً لنظام المشاركة فى الربح والخسارة ، بديلاً عن نظام المداينة بفائدة .

وفى ضوء الارتباط الإيجابى القوى بين معدل الربح والاستثمار ، ولأهمية الأرباح ، وبالذات غير الموزعة ، فى التمويل الاستثمارى ، قدم النظام الإسلامى العديد من الصيغ والأدوات الاستثمارية القائمة على : عقود المشاركة ، وعلى رأسها عقد الشركة ـ بكل أنواعها ـ وعقد المضاربة ؛ وعقود البيوع ، وعلى رأسها عقد المرابحة ـ بأنواعه ـ وعقد السلم .

كما أمكن ، ويمكن ، استحداث الكثير من الصيغ والأدوات الاستثمارية على أساس فكرة « العقود غير المسماة » ، أى التى لم يقل بها علماء السلف ، ولكنها تتفق وأحكام الشريعة الإسلامية : كالتمويل التأجيرى ، والبيع التأجيرى ، والأسهم وصكوك التمويل أو الاستثمار الإسلامية ـ المختلفة (القيم) و(الآجال) ودرجات المخاطرة ، بما يتمشى ورغبات المتعاملين .

وعلى أساس هذه الصيغ والأدوات المستحدثة نتيجة إحلال التمويل بالمشاركة محل المداينة بفائدة ، يؤدى الجانب المؤسسى ، من : بنك مركزى ، وبنوك استثمار وأعمال ، وشركات استثمار وتمويل ، وشركات تكافل وتأمين إسلامى ، وحركة تعاونية ، وسوق أوراق مالية ، دوراً أساسياً فى حشد المدخرات وتوجيهها إلى عمليات الاستثمار ، بما يكفل تحقيق نمو متزايد فى معدلات التراكم الرأسمالى ، ويحقق بالتالى أولويات وأهداف المجتمع .

وبالرغم من اختلاف آليات النظم النقدية

والمصرفية فى الاقتصاد الإسلامى عنها فى الاقتصاديات الأخرى ، وبدون الدخول فى تفاصيل هامة ليس هذا مكانها ، سيظل البنك المركزى « عمدة » الجهاز المصرفى : كبنك لإصدار النقود ، وبنك للبنوك وممولها الأخير ، وبنك للحكومة ومستشارها المالى ، وبنك التحكم فى كمية النقود .

ففى ظل النظام الإسلامى ، يستخدم البنك المركزى أدوات « سياسة نقدية » تتفق مع منهج التمويل بالمشاركة . ومن ثم ، يتركز عمله أساساً فى التحكم فى عرض النقود ، بما يتناسب والاحتياجات الفعلية للنشاط الاقتصادى وعملية تنميته خلال الزمن ، أى بما يحقق أقصى قدر من الخدمات التبادلية مع ثبات « نسبى » فى قيمة النقود .

وهنا ، يكون من أوجب مهام البنك المركزى أن يتابع معدل التغير فى الأسعار ومعدل النمو فى الإنتاج للتأكد من وجود مبرر حقيقى ، فى صورة زيادة فى الإنتاج ، لإصدار نقدى جديد . أو بمعنى آخر ، يجب على البنك المركزى أن يتأكد ، بقدر الإمكان ، من أن أى توسع نقدى يقوم به ، لن يؤدى إلى تضخم سعرى يلغى آثاره على حجم الأرصدة الحقيقية .

وفى هذا الصدد ، وبجانب إشراف وتفتيش مصرفى دقيق ورشيد ، يكون للبنك المركزى ، من بين وسائل أخرى ، سلطة إصدار التوجيهات لمجتمع البنوك بشأن الأغراض التى يمنح التمويل من أجلها ، وسقوفه ، والأرصدة النقدية التى يتعين الاحتفاظ بها ، ونسبة ونوع الضمان الذى يجب الحصول عليه .

وفى حالة تمويل الإنفاق الحكومى ، يتعين أن يكون هذا التمويل من مصادر حقيقية .

وهذا يعنى أنه لا مجال ، فى ظل هذا النظام ، لأسلوب تمويل الحكومة لنفقاتها بالعجز ، عن طريق الإصدار النقدى أو الاقتراض من الجهاز المصرفى . وإنما تعمل الحكومة ـ بالتعاون مع البنك المركزى ـ من خلال سياسة مالية رشيدة ، ومؤسسة الزكاة ، على تدعيم السياسة النقدية . ويتم ذلك عن طريق زيادة إيرادات الحكومة من مشروعاتها الاقتصادية ، ومن عوائد بعض خدماتها ، وبإحلال « التوظيفات المالية » الإسلامية ، التى تؤخذ من فضول الأغنياء محل الضرائب أو المكوس ، ثم أخيراً من خلال « القرض الحسن » .

ومن ثم ، لا مجال إلى اللجوء إلى الاقتراض بفائدة داخلياً أو خارجياً . وإذا ما دعت الحاجة إلى التمويل الخارجى ، وقد تنشأ فعلاً ، فليكن ذلك على أساس منهج المشاركة : مع الدول الإسلامية « ذات الفائض » أولاً ، ثم بعد ذلك مع دول ومؤسسات العالم .

وبهذه العناصر الإيجابية الأساسية من ادخار واستثمار وانفتاح على التقدم التكنولوجى « المناسب » ، وصيغ وأدوات استثمارية متنوعة ، وإطار تنظيمى ومؤسسى متكامل ، وسياسات نقدية ومالية رشيدة ، واستقرار فى المعاملات بعيداً عن التقلبات الطائشة بسعر الفائدة بخاصة والأسعار بعامة ، تتوافر فى ظل النظام الإسلامى الشروط الضرورية لقيام عملية تنمية شاملة ، جادة ومتجددة . ولكن هذه الشروط بذاتها ، ليست ، وفقاً لفلسفة هذا النظام ومرتكزاته ، كافية . وهذا ينقلنا مباشرة ، إلى أهم جوانب هذا النظام ، وهو (الجانب القيمى) .

قضيــة القضايــا الاقتصاديــة

فبعيداً عن الخرافة الشائعة القائلة بحيادية الاقتصاد الوضعي ، وعدم ارتباطه بالاعتبارات القيمية والأخلاقية ، تأكيداً لصبغتـه « المادية » ، واهتمامـه الأكثر « بالأشياء » ، يعلمنا التاريخ أن جميع الأنظمة التي عرفتها البشرية لابد أن تتأثر ، بصورة أو بأخرى ، بالقيم . ولكن « القيم » في الاقتصـاد الوضعي تعـد إطاراً خـارج ميكانيكية النظـام . بينما في الاقتصـاد الإسلامي ، تعد « القيم » الإسلامية متغيراً داخليا حاكما في آلية النظام . فهي تعتبر المحرك الأساسي لفعالياته .

فنحن : هنا ، أمام « اقتصاد ديني » ، أو « دين اقتصادي » . وليس هذا تـلاعباً بالألفاظ ، وإنما توكيد لحقيقة كون الاقتصاد الإسلامي جزءاً من كل ، يترابط ويتفاعل ويتكامل ، في تناسق وتوازن ، مع بقية الأجزاء المكونة للإسلام ، كدين ونظام حياة كامل ـ يحكم بضوابط الإسلام ، ويسير وفقا لأحكـامه . ومن ثم ، يستنـد الاقتصاد الإسلامي ، في تحليله نظريا وفي تطبيقه عملياً ، على الإنسان الذي يعمل ـ واقعياً ـ في إطار من القيم والأخلاق الإسلامية .

هذا الإنسان الواقعي ، في ظل هذا النظام ، هو الإنسان « المحرَّر » حقيقة من : القهر والاستغلال ، أي من الظلم بشتى صوره ، المعنوية والمادية . فهو الإنسان المحترم لذاتيته ، والمكرم لآدميته ، الذي ينعم فعلاً وعملاً ، بالحرية والعدل ، وبدون تحقيق هذين المطلبين ، بسبب البعد عن شرع الله ، لن يتحقق المشروع الإسلامي الإنساني ـ الممكن ـ في إعمار الأرض ، ولن يتمكن الإنسان من القيام بتبعة تنفيذ هذا المشروع . ومن ثم ، يظل التخلف قائماً ، وتظل المعيشة الضنك جاثمة على عقول وحقول البشر .

إذن ، لا مخرج للدول الإسلامية المعاصرة في مجابهة هذا التحدي الاقتصادي والحضاري ، إلا من خلال تطبيق كامل وشامل للخيار الإسلامي ، الذي لم أتناوله هنا إلا من خلال إشارات عابرة وكلمات مقتضبة ، وبهذا المخرج ـ خروجاً من مستنقع التجريب والتغريب ولا أقول التغييب ـ تتحقق غاية النظام في عبادة الخالق تبارك وتعالى ، بالمعنى الواسع الذي يشمل إعمار الأرض إعماراً حقيقيا مستمرا ، إنارة للعقول وزراعة للحقول . ومن ثم ، يتم تحقيق « تمام الكفاية » ، أي الحياة الطيبة الكريمة ، لكل فرد يعيش في ظل هذا النظام .

وبهذا التحقيق ، يتم حفظ مقاصد الشريعة الغراء ، حفظاً ديناميكياً تنموياً ، متمثلاً في حفظ : الدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والنسل . ولقد تركزت مناقشتي السابقة حول مس خفيف وسريع لجانب من جوانب المقصد الرابع ، وهو : حفظ المال . هذا الجانب هو مدى فعالية آلية الربح في استخدام الأموال .

خاتمة :

وإني ، في نهاية مناقشتي لهذه القضية الهامة ، والتي لم أتعرض فيها بإسهاب عن قصد ، أو حتى أصلاً ، لحكم الفوائد المصرفية شرعاً ، لأن هذا الحكم قد أشبع حسماً وقطعاً ، بعد أن قُتل بحثاً من قبل فقهائنا القدامى ،

وفقهائنا المحدثين ، وفقهائنا المعاصرين ، فرادى وجماعات ، بفتاوى متواترة بلغت أكثر من ثلاثين فتوى ، أسجل من باب التوكيد وليس من باب التكرار ، أن هذه الفوائد ، المدينة منها والدائنة ، هى من (ربا الزيادة) المحرم بنص الكتاب والسنة والإجماع ، كما أشدد على (فساد آلية سعر الفائدة) فى إدارة النشاط الاقتصادى المعاصر ، وعلى الجدوى العملية ، الفاعلة والرشيدة (لمعدل الربح - بالمفهوم الإسلامى) ، كآلية لإدارة مناسبة لهذا النشاط .

فدعنا لا ننشغل بأمور يفترض أننا تجاوزناها ، لأن الانشغال بها لا يعنى ، حقيقة ، سوى الهروب من مجابهة مشكلاتنا الحالة والملحة ، لمعالجة مشكلة لا وجود لها . فكأننا فرغنا تماماً من معالجة هذه المشكلات الحقيقية والحادة بأفضل ما تكون المعالجة ، فرحنا نفتش فى دفاترنا القديمة ، كما يقولون ، لنخرج منها مشكلة تمت معالجتها ، بصرامة وانضباط شرعيين ، لنعالجها من جديد ، بدلاً من تطبيق نتائج هذه المعالجة عملياً لتصحيح انحرافاتنا الواضحة عن (شرع الله) فى مجال تثمير المال . وإنى أقطع بأن هذا التصحيح - الممكن والضرورى والمطلوب شرعاً وعملاً - هو المدخل الحقيقى والفطرى لبداية جادة فى هذا المجال .

وعليه :

فالقضية المثارة الآن حول الفوائد المصرفية ، ليست بالقطع قضية القضايا . ولكنها ، فى واقع الأمر :

قضية مفتعلة لتكريس وضع قائم « محرم » .

ولتبرير الإصرار على اقتراف « كبيرة » الربا .

ذلك أن طبيعة عمل البنك الحديث هى الاتجار فى « القروض » والفوائد على هذه القروض ، كما أوضحنا ، هى زيادات مشروطة على المال . وهذا هو عين الربا المحرم .

وسعر الفائدة يعد ، بصفة عامة ، آلية فاسدة لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر . وهنا ، يقدم النظام الإسلامى البديل السهل والفاعل والميسور الذى يتمثل فى إحلال (المشاركة فى الربح والخسارة) محل (المداينة بفائدة) ومن ثم تحويل البنوك التقليدية إلى مصارف إسلامية ، واعتماد « الربح » كآلية فاعلة ورشيدة لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر .

ولنتذكر دائماً ، ولنعمل أبداً بهدى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩) .

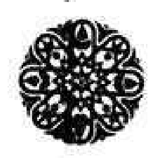
وقوله جل وعلا :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

وقوله عز من قائل :

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه : ١٢٤) .

صدق الله العظيم ، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى . اللهم اهدنا فيمن هديت ، وتولنا فيمن توليت .



الفتاوى

إعداد: احمد تقى الدين

- جامعة الأزهر ترفض عائد وقف لما فيه من « ربا » .
- لجنة من علماء الشريعة تعد دراسة مستفيضة لموضوعه
- ليس مقبولا شرعا أن يدعو الأزهر إلى تحريم الربا ثم يستحله
- سد الذريعة واجب حتى لا يستغل أحد الحرام باسم الإسلام

أودع السيد المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى شهادة استثمار ذات العائد المجموعة (ب) قيمتها (٥٠٠٠٠) خمسون الف جنيه لتكون وقفا ينتفع بعائدها لصالح مركز إعاقة الطفولة بجامعة الأزهر ... بلغ هذا العائد (٨١٢٥) جنيها .

وبرفع الأمر إلى الجامعة اقترح فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة عند مناقشة التبرع المقدم تكليف فضيلة الأستاذ الدكتور عميد كلية الشريعة والقانون بتكوين لجنة من علماء المذاهب الثلاثة : الشافعى والمالكى والحنفى .

تكونت اللجنة من أصحاب الفضيلة الأستاذ الدكتور عبد العال عطوة ، والأستاذ الدكتور يس شاذلى شاذلى ، والأستاذ الدكتور عبد الجليل سعد القرنشاوى :

وإلى القراء نص دراسة اللجنة المرفوعة إلى فضيلة عميد كلية الشريعة .

الأستاذ الدكتور / عميد كلية الشريعة والقانون - بالقاهرة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .....

وبعد .....

- فقد اجتمعت اللجنة التى شكلت بناء على طلب مجلس جامعة الأزهر من أصحاب الفضيلة :

١ - الأستاذ الدكتور / الشيخ عبد العال عطوة .

٢ - الأستاذ الدكتور / يس شاذلى شاذلى .

٣ - الأستاذ الدكتور / عبد الجليل سعد القرنشاوى .

ـ وذلك لبيان الحكم الشرعى فى شهادة الاستثمار ذات العائد المجموعة (ب) التى أودعها السيد المستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى بالبنك الأهلى المصرى الفرع الرئيسى بالقاهرة بتاريخ ١٧/١٠/١٩٩٠ م وقيمتها (٥٠٠٠٠) جنيه (خمسون ألف جنيه مصرى لا غير) على أن تكون وقفا لصالح مركز إعاقات الطفولة بجامعة الأزهر ينتفع بعائدها المقدر حاليا بمبلغ (٨١٢٥) (ثمانية آلاف ومائة وخمسة وعشرين جنيها مصريا) .

ودرست طبيعة هذه الشهادة فى ضوء مبادىء الشريعة الإسلامية وقواعدها . ورأت بالإجماع أن هذه الشهادة لا يتفق التعامل بها مع مبادىء الشريعة وقواعدها ويتضح ذلك من دراسة طبيعتها ، فهى عبارة عن صك يتم شراؤه بقيمة محددة ، ويلتزم البنك بأن يدفع للمشترى فائدة سنوية أو نصف سنوية تحدد هذه الفائدة مقدما عند الشراء ولمدة سريان الصك مودعا بالبنك ، كما يلتزم البنك بإرجاع قيمة الشهادة كاملة عند انتهاء مدتها وليس لذلك علاقة بأعمال البنك من ربح أو خسارة .

فتبين للجنة من دراسة طبيعتها أنها تمثل قرضا جر نفعا . والقاعدة الشرعية : أن كل قرض جر نفعا يكون ربا ، والربا محرم فيكون التعامل بها محرما . وليست من القراض المشروع ؛ لأن الفائدة المقدرة فيها ليست جزءاً من الربح ، وإنما هى تعطى سواء ربح المال أم خسر أم لم يربح شيئاً ، أما القراض المشروع فالجزء المقدر المشترط إنما يكون جزءاً نسبيا من الربح ، فالعلاقة بين مشترى شهادة الاستثمار وبين البنك ليست من باب الشركة ، فمشترى الشهادة له مبلغ معين محدد ولا شأن له بعمل البنك ، فإن كسب فلنفسه فقط ، وإن خسر تحمل الخسارة وحده فالعلاقة بينهما لا تخرج عن كونها علاقة دائن ومدين ، أما القراض (المضاربة) فالعلاقة بين المضارب والمضاربة علاقة شركة حيث يشتركان فى الغُنْم والغرم فالربح يقسم بينهما بالنسبة المتفق عليها والخسارة يتحملها صاحب راس المال والعامل يتحمل ضياع جهده وعمله ولا ضمان عليه إلا إذا تعدى أو فرط أو خالف شروط العقد .

ومن هذا العرض يتبين أن شهادة الاستثمار مجموعة (ب) ذات العائد (قرض إنتاجى ربوى محرم) لا يجوز التعامل بها . وعلى المسلم أن يبتعد عن الشبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

تحريرا فى : جمادى الآخرة ١٤١١ هـ ٢٦/١٢/١٩٩٠ م ....

اعضاء اللجنة :

١ ـ الأستاذ الدكتور / عبد العال عطوة .
٢ ـ الاستاذ الدكتور / يس شاذلى شاذلى .
٣ ـ الأستاذ الدكتور / عبد الجليل سعد القرنشاوى .

وبرفع هذه الدراسة إلى فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة ، كتب فضيلته يقول :
الأستاذ الدكتور العميد .

لا خلاف فى حرمة هذه المعاملة لكنا نريد الرأى فى أن المتبرع اتخذ هذه الوسيلة ، وتم التسجيل والكتابة على الشهادات بأنها وقف

الفتـــــــــــــــاوى

لا تباع ، فهل نقبل العائد المخصص للأطفال المعاقين خاصة اليتامى منهم أم لا ؟
مع العلم بأن قبول العائد يخلصه من الإثم .
التوقيع

وبدوره قام فضيلة الدكتور عميد كلية الشريعة والقانون بتحويل الأوراق إلى اللجنة مرة ثانية فكتبت فتواها مفصلة بتحريم العائد كما أفادت بأن الجامعة لا تقبل هذا الحرام وهذا نص دراستها الثانية :

السيد الأستاذ الدكتور / عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .. وبعد ..

فبناء على خطابكم المؤرخ بتاريخ ٣١/١٢/١٩٩٠ م الخاص بطلب إبداء الرأى فيما جاء بتأشيرة الأستاذ الدكتور / مدير الجامعة بشأن قبول عائد شهادات الاستثمار المجموعة (ب) التى وقفها الدكتور شوقى الفنجرى لصالح مركز إعاقات الطفولة بجامعة الأزهر ، من أن قبولها ـ مع العلم بأنها حرام ـ ربما كان فيه مصلحة للطرفين ، للواقف بتخلصه من المال الحرام ، ولمركز الإعاقات بصرف هذا العائد فيما يعود عليه بالمنفعة تفيدكم بما يلى : ـ

اجتمعت اللجنة السابقة التى رأت حرمة هذا العائد ، وتدارست وجهة النظر المذكورة ، ورأت مايلى :

(١) ـ سبق أن بينا فى خطابنا السابق ان هذا العائد يحرم تداوله ، والتعامل به ، والانتفاع به ، استنادا إلى أن هذه الشهادات تمثل قرضا جر نفعا ، وأن القاعدة الشرعية تقول : كل قرض جر نفعا فهو حرام ـ أو فهو ربًا ـ وتأسيساً على ذلك :

لا يحل الانتفاع به ، لقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ ﴾ سورة البقرة / ١٧٢ .

ويقول المفسرون أن المراد بالأكل سائر وجوه الانتفاع ، وأن المراد بالطيب : الحلال ، ولقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم عن ابى هريرة : ـ أيها الناس : إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا . وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ثم ذكر : الرجل ، يطيل السفر أشعث اغبر ، يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك . ويعلق الامام القرطبى على ذلك فيقول : « فقد سوى الله تعالى بين النبيين والمؤمنين فى الخطاب بوجوب اكل الحلال وتجنب الحرام ، ثم شمل الكل فى الوعيد الذى تضمنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وإذا كان هذا معهم فما ظن كل الناس بأنفسهم » .

الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ١٢٨ .

(٢) ـ إن التوبة عن المال الحرام تكون بالامتناع عن اخذه ، او رده إلى من اخذ منه إذا كان معلوما فإن لم يكن معلوما تصدق به الآخذ عن صاحبه ، هذا هو سبيل التوبة عن المال الحرام .

وفى ذلك يقول الإمام القرطبى : « قال علماؤنا : إن سبيل التوبة مما بيد الرجل من الأموال الحرام إن كانت من ربا فليردها على من أربى عليه ، ويطلبه إن لم يكن حاضرا ، فإن أيس من وجوده فليتصدق بذلك عنه ، وإن أخذه بظلم فليفعل ذلك فى أمر من ظلمه » .

ـ الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٣٦٦ .

ويتضح من ذلك : أن التصدق بالعائد ابتداء ليس سبيلا للتوبة من هذا العائد لأن صاحبه معروف وهو البنك ، فلا يأخذه منه ، وإن أخذه فليرده إليه ، وليس للمستثمر أن يقوم على أخذه أو يأمر بصرفه إلى اى جهة من جهات الخير والبر ، لما ذكرنا .

(٣) ـ إن قبول هذا التبرع يتعارض مع الفقرة الأولى من المادة السادسة من قانون الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م التى تنص على أن :

للأزهر شخصية معنوية يكون لها الأهلية الكاملة لقبول التبرعات بشرط الا تتعارض مع الغرض الذى يقوم عليه الأزهر » ذلك لأن هذا التبرع تبرع بمال حرام ، وقبوله يتنافى مع رسالة الأزهر التى تقوم ـ ضمن ماتقوم عليه ـ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجوهرهما : الحث على فعل الحلال والبعد عن ارتكاب الحرام ، وليس من المقبول شرعاً أن يدعو الأزهر إلى البعد عن الحرام ويقدم هو عليه ، ولا أن يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وإذا فقبول هذا التبرع مخالف لقانون الأزهر فوق مخالفته للشرع .

(٤) ـ إن قبول جامعة الأزهر لهذا العائد لجهة بر تشرف عليها الجامعة يعتبر اعترافا ضمنيا بحل هذا العائد وحل التعامل بهذه الشهادات ، وربما استغل البعض ذلك ـ إعلاميا أو غير إعلامى ـ فَيَدَّعِى موافقة جامعة الأزهر على حل التعامل بهذه الشهادات ، فسدا للذريعة ـ وهى قاعدة من قواعد التشريع ـ يجب أن تنأى جامعة الأزهر عن قبول هذا التبرع ، حتى لا تقع فى فخ قد يكون منصوبا لها بغرض الاستغلال السيىء ، وإن كنا نظن بالمسلمين خيرا .

لذلك :

نرى أن وجهة النظر المذكورة غير سليمة ولا يصح أن يبنى عليها قبول التبرع والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

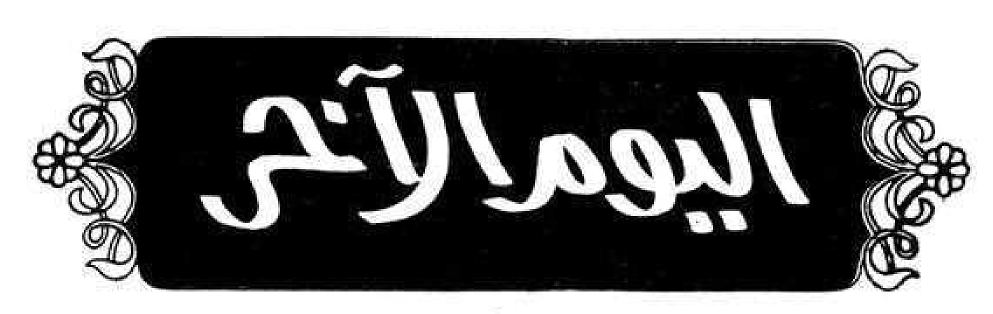
أعضاء اللجنة :

١ ـ أ . د / عبد العال أحمد عطوة .
٢ ـ أ . د / يس شاذلى شاذلى .
٣ ـ أ . د / عبد الجليل سعد القرنشاوى .

حقوق مطلقة ..

● تزوجت برجل منذ ثلاث سنوات ، ومنذ هذا الزواج لم يعاشرنى معاشرة الأزواج ، ولما ذهب إلى أهل الاختصاص فى الطب تبين انه لا يستطيع مباشرة الحياة الجنسية ، وقد اتفقنا على الطلاق فما هى الحقوق الشرعية لى من نفقة وغير ذلك علما باننى لى صداق وكان قد أعطانى شبكة ذهبية ، فما الحكم ؟

ـ ما دام الزوج لم يستطع مباشرة الحياة الجنسية مع زوجته نتيجة لما عنده كما قال الأطباء المختصون ، وحيث إنه اتفق مع الزوجة على الطلاق فإن الحقوق الشرعية لها هى : أولا المهر جميعه مقدمه ومؤخره ، وكذلك الشبكة لأنها جزء من المهر ، كما تستحق نفقة عدة لمدة عام وكذلك نفقة متعة طبقا لقانون الأحوال الشخصية رقم (١٠٠) والمأخوذ من الشريعة الإسلامية وذلك حسب يسر الزوج أو عدمه لقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢٣٦] .



اليوم الآخر

بين اليهودية والنصرانية والإسلام

للدكتور/ فرج الله عبد البارى

جاء فى القرآن الكريم - وفى مقامات عديدة - ذكر « اليوم الآخر » و« الآخرة » ، ولكل مضمون واضح عند المسلمين لا لبس فيه ، فاليوم الآخر هو « يوم القيامة » ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ « المطففين ٦ » .

وبهذا اليوم تبدأ (الحياة الآخرة) التى لا نهاية لها ، واليوم الآخر هو اليوم الذى يكون فيه البعث والحشر والجزاء .

قال الإمام الطبرى - فى قوله تعالى : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1] . « سميت (آخرة) لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق »[2] ، وعلى ذلك الفخر الرازى[3] .

ويذهب البعض إلى أن (اليوم الآخر) يبدأ بالموت بالنسبة للإنسان ، ويستدلون على ذلك بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

« إن القبر اول منازل الآخرة »[4]

أما اليوم الآخر عند النصارى . فيطلقون عليه « الاسخاتولوجيا » ، وهو معنى مركب من كلمتين يونانيتين يعنى عموماً « الكلام فى الآخرة » ، والمعنى التقليدى لهذا الاصطلاح « أسخاتولوجى » هو التعليم عن الأشياء الأخيرة والمسائل المتعلقة بنهاية العالم ومصير الإنسان من موت وبعث وجنة ونار »[5] .

ونلاحظ أن إطلاق (الآخرة) عند النصارى يقترب جداً من إطلاق المسلمين - مع أوجه الاختلاف من ناحية التفصيلات ، ومن ناحية من يتولى الحساب وحقيقة الجنة والنار عند النصارى .

أما اليوم الآخر - عند اليهود فإن المقصود به إجمالاً القيامة من الأموات .. غير أننا نلاحظ كما

(*) الكاتب . بهيئة التدريس - كلية اصول الدين جامعة الأزهر .

(١) سورة البقرة الآية ٤ .

(٢) تفسير الطبرى ط . ص ٢٤٥هـ .

(٣) سورة البقرة الآية ٨ .

(٤) انظر إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٢٩٥٩ .

(٥) انظر علم اللاهوت النظامى ص ١١٦٧ ، الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس ص ٣٩٧ ، المعجم الفلسفى ، وجميل صليبا ط ص ٢٧ .

يقول شارل جينبير أن اليهود حين يتحدثون عن الآخرة لا يقصدون ما يقصده المسلمون أو المسيحيون - لأن اليهود يسخرون منها ويرون انها بعيدة جداً ، ولذلك اطلقوا عليها الاسم العبرى « احرنيت هياميم » التى معناها آخر الأيام أو الآخرة ، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئاً فى النص المتداول [٦] . وسنزيد الأمر وضوحاً فيما يلى :

أولا : البعث عند اليهود

من الحقائق المعروفة أن الله انزل على موسى - عليه السلام - التوراة فيها هدى ونور ، ومعلوم أن هذه التوراة قد اشتملت على العقائد والشرائع ، ومن أمور العقيدة التى وردت فى التوراة : (الآخرة) وما فيها من بعث ونشر وحساب وجنة ونار .. يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٧] .

وإن اول ما اوحى به الله لموسى - عليه السلام - الأمر بالتوحيد وإقامة الصلاة والتحذير من الآخرة .. يقول تعالى : ﴿ إِنَّنِى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ [٨] .

ويقول تعالى على لسان سيدنا موسى - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [٩] .

بالتأمل فى أسفار موسى الخمسة الحالية ، والتى يطلق عليها اليهود اسم التوراة وجدنا أنها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنة والنار .

و(ابن كمونة) اليهودى فى كتابه « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » يعترف بخلو التوراة من البعث والثواب والعقاب فى (آخرة) ، بل ويدافع عن خلو التوراة من البعث والحساب والجنة والنار .

وإذا تركنا أسفار موسى الخمسة وتأملنا أسفار الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى فيما سطروه ، وجدنا بعض الإشارات عن البعث والجزاء ، وبدراسة هذه النصوص وجدنا أنها مختلفٌ حولها فالبعض [١٠] يذهب إلى أن المقصود بها (العودة القومية) لليهود وانتصارهم على أعدائهم ، والبعض الآخر [١١] يذهب إلى أن تلك النصوص مقصود بها (البعث الأخروى) ، ولكن اليهود تأثروا فى عصورهم المتأخرة من الديانة الفارسية والبابلية بعد عودتهم من السبى .

---

(٦) انظر الفكر الإسرائيلى اطواره ومذاهبه ص ١١١/١١٢ .

(٧) سورة الأنعام الآية ١٥٤ .

(٨) سورة طه الآية ١٤/١٥ .

(٩) سورة غافر الآية ٢٧ .

(١٠) منهم على سبيل المثال صاحب كتاب تراث العالم القديم و . ح . دى بورج ص ٩٩ ومنهم ناشد حنا ، تفسيره لسفر أشعياء ، ومنهم صاحب السنن القويم فى تفسير العهد القديم ، وقاموس الكتاب المقدس وغيرهم كثير .

(١١) من هؤلاء صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابى الفكر الإسلامى اطواره ومذاهبه ، واليهود تاريخاً وعقيدة ، وقصة الحضارة الخ ..

أما التلمود وشروح مفكرى اليهود فإن نصوصهم تصرح بأن اليهود يعتقدون فى الآخرة وأن البعث عقيدة أساسية عند أمة اليهود.

وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية من البعث والجزاء.

ثم وجود بعض الإشارات عن الآخرة فى أسفار الأنبياء المتأخرين.

ثم إقرار علماء اليهود ومفكريهم بالبعث والجزاء. رأيت أن أدرس البعث عند اليهود فى اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: خلو التوراة الحالية من البعث والجزاء:

لقد كان خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والجزاء مثاراً للطعن فيها والجدل حولها. ومفاد هذا الطعن أن التوراة المتداولة الآن لو كانت من عند الله لما جاز خلوها من الحديث عن البعث [12] ولكن (ابن كمونة) اليهودى يعترف بأن التوراة خالية من الحديث عن البعث والجزاء. ويعلل ذلك بأن الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام لم يكونوا منكرين لثواب الآخرة وعقابها. ومن ثم لم يتكلم موسى عنها ـ وإنما تكلم عن الشرك ووجوب توحيد الله ـ لأن أهل زمانه كانوا يعبدون الأشجار والكواكب.

ولأن الأنبياء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم ولذلك ركز موسى على مرض أهل زمانه ـ وهو التأكيد على الوحدانية وعبادة الله ـ أما البعث فهو لم يتكلم عنه ولم ينبه عليه لأنهم كانوا على علم به واعتقاد فيه[13].

وما ذهب إليه (ابن كمونة) يبرز أمرين:

الأمر الأول: أن التوراة خالية من البعث والثواب والعقاب لأن قومه لم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه، وإنما جاء موسى ليذكرهم بعبادة الله وحده لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

الأمر الثانى: أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لايعنى أن اليهود ينكرون البعث والجزاء بعد موسى عليه السلام. فاليهود يعتقدون ويقرون بالبعث والنشور للأموات، وبقاء النفس بعد موت الأجساد وتناقلوا ذلك خلفاً عن سلف كما يقول ابن كمونة.

وإن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والجزاء وتصريح اليهود بذلك جعل كثيرا من الباحثين يذهبون إلى أن اليهود لايعتقدون فى البعث والجزاء، وهذا يغاير الواقع الذى يصرح به اليهود. ويكون كلام الباحثين موافقاً للحقيقة إذا قصدوا أن التوراة المتداولة خالية من الحديث عن البعث وهذا لا يعنى أن اليهود منكرون للبعث؛ لأن التوراة ليست المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منه. فهناك التعاليم الشفوية « التلمود » الذى يستمد اليهود عقائدهم منه[14].

ونحن لا نوافق (ابن كمونة) وغيره من علماء اليهود فى قولهم، فإن التوراة خلت من الحديث

(12) انظر تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ص ٤٠ لابن كمونه اليهودى ـ الناشر دار الأنصار.

(13) نفسه ص ٤١.

(14) انظر التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠/٩١.

عن البعث لأن خلو التوراة من الحديث عن الحساب يدل على التحريف الذى مارسه أحبار اليهود بالكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام ، ولذلك تحداهم القرآن الكريم : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١٥] .

والدليل على تحريف التوراة من جانب اليهود أن هناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية تتعلق بالأصل الذى نبحثه وهو البعث والجزاء .

يقول الدكتور السقا :

قد وجدنا التوراة التى بأيدى السامريين تختلف فى بعض الآيات عن التوراة التى بأيدى العبرانيين ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة فهو فى التوراة السامرية صريح للغاية ، وهو فى التوراة العبرانية يحتمل معنيين إما الجزاء فى الدنيا ، وإما الجزاء فى الآخرة ، والنص المختلف حوله فى التوراة العبرانية هو : « أليس مكنوزا عندى مختوماً عليه فى خزائنى لى النقمة والجزاء فى وقت تزل اقدامهم »[١٦] وهذا النص فسره صاحب السنن القويم[١٧] فى تفسير العهد القديم بأن المقصود منه الجزاء فى الدنيا لا فى الآخرة .

أما النص فى التوراة السامرية التى يقول اليهود السامريون إنه صريح فى الإشارة إلى يوم القيامة فهو : « أليس هو مجموعاً عندى مختوماً فى خزائنى إلى يوم الانتقام والمكافأة »[١٨] ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم : « إن قوله يوم الانتقام والمكافأة . يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله فيجزيهم على أعمالهم التى عملوها فى الحياة الدنيا[١٩] » .

وهذا النص بالرغم من صراحته كما يدعى السامريون على يوم القيامة إلا أننا نجده لا يتناسب مع طول أسفار موسى الخمسة ، وهذا يدل على أن التوراة السامرية محرفة . والذى ننتهى إليه يعد عرضنا للاتجاه الأول وهو خلو أسفار موسى الخمسة من الحديث عن البعث والجزاء هو :

أولاً : أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر يدل على التحريف البشرى والتدخل على الوحى المنزل على موسى عليه السلام ، ولا ينفى التحريف والتدخل البشرى على نصوص التوراة قول ابن كمونة « إن اليهود يؤمنون بالبعث والجزاء فلا حاجة لتكراره لأن الأمور العقائدية وخاصة فيما يتعلق بالغيبيات لابد من ذكرها وتكرارها ـ وذلك للاهتمام بها .

ثانياً : خلط بعض الباحثين بين خلو التوراة الحالية من الحديث عن الآخرة وعقيدة اليهود فى البعث والجزاء ـ إذ أن خلو التوراة المتداولة بين اليهود ـ لا يعنى أن اليهود لا يعترفون بالآخرة ، وثوابها وعقابها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : لأن التوراة ليست هى المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منه ـ إذ أن هناك التعاليم الشفوية كالتلمود ، وأسفار الأنبياء المتأخرين والتى يرجع إليها اليهود فى عقائدهم وشرائعهم .(*)

(١٥) سورة آل عمران الآية ٩٣ .
(١٦) سفر التثنية ٣٢ / ٣٤ / ٣٥ .
(١٧) ـ حـ ٢ ـ ص ٥٠ .
(١٨) التوراة السامرية سفر التثنية ٣٨/٣٤ .
(١٩) نفسه ص ٢٩٢ / ٢٩٣ .

(*) لا نستطيع أن نقر الكاتب فى قوله : إن التوراة ليست هى المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منه ، ذلك لأن (التلمود) مشكوك فيه برمته عكس التوراة المتداولة ، فإنها ذات أصل معروف وإن دخلها التحريف ، وما يقال عن التلمود يقال عن غيره .

اليهودية والنصرانية والإسلام

ثالثاً : إن التوراة التى انزلها الله على موسى كان فيها عقيدة اليوم الآخر وما فيه من بعث ونشور وثواب وعقاب . على اعتبار أن اليوم الآخر احد الأصول العقائدية فى جميع رسالات الأنبياء من قبل موسى ومن بعده . يقول الله تعالى على لسان موسى وهارون : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٢٠) .

وأن دعوة موسى قد اشتملت على تفصيلات عن الآخرة وما فيها وأن هذه التفصيلات كانت منتشرة بين بنى إسرائيل وغيرهم من المصريين . نلحظ ذلك من قول السحرة بعد إيمانهم . ما صوره القرآن الكريم عنهم :

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا . وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى . جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾ (٢١) .

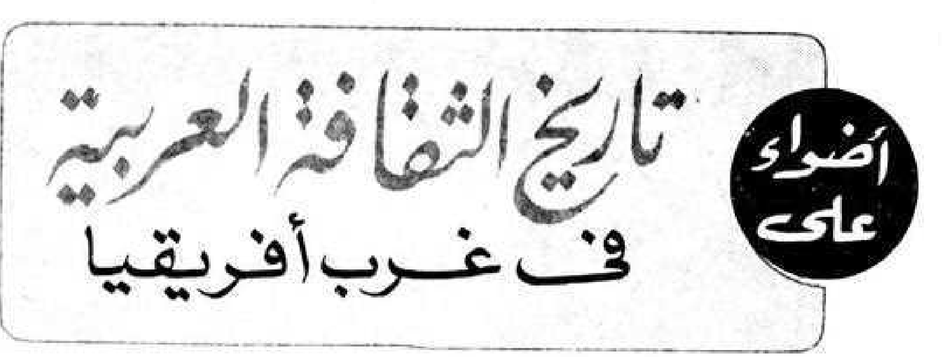
وهذه الآيات صريحة الدلالة على أن الإيمان بالآخرة قد تغلغل فى نفوس هؤلاء المصريين لدرجة أنهم لا يخشون عذاب فرعون وجنوده ، وعقيدة الآخرة تلك لابد أنهم سمعوها من موسى قبل الإيمان بموسى فلما آمنوا رسخت فى نفوسهم بعد أن خالط الإيمان شغاف قلوبهم ...

يتبـــع



(٢٠) سورة طه الآية ٤٨ .

(٢١) سورة طه الآية ٧٢ ـ ٧٦ .



٣
للأستاذ الدكتور
احمد الحفناوى

مدينة «جنى»:

كان موقعها ارضا خصبة مليئة بالأشجار، يقصدها رعاة الماشية، نشأت في أواسط القرن الثانى الهجرى وتقع إلى الجنوب الغربى من مدينة «تمبكتو» وصفها «السعدى» بأنها مدينة عظيمة ميمونة ذات سعة وبركة، جعل الله ذلك في أرضها، وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة[١].

ولعل ذلك كان سببا في جذب الناس إليها بخاصة المشتغلون بالتجارة من شتى البقاع.. حيث اتخذوها سوقا رائجة في السودان الغربى، يلتقون فيها مع تجار «تغازه» الذين كانوا يتاجرون في: «الذهب» و«الملح» وقد زاد من الإقبال عليها أن موقعها كان ذا تأثير وجاذبية، فقد كانت مياه نهر النيجر تعزلها في وقت الفيضان بحيث تتحول إلى جزيرة مائية، طوال معظم العام ابتداء من اغسطس حتى فبراير ولا يصل إليها او يخرج منها رائح او غادٍ إلا بواسطة قارب[٢].

ويقال: إن فضل بنائها يرجع إلى (طوارق منهاجة)، الذين اختطوها لتكون ملتقى للتجار من هنا وهناك.. وقد وفدت عليها قبائل «السوننكى» من جنوب غربى الصحراء وأقاموا فيها، وما لبثوا أن ازداد عددهم بمرور الوقت، حتى اختلط الأمر على بعض الباحثين فذكر أن «السوننكى» هم الذين اختطوا هذه المدينة[٣].

وقد بَدَأَتْ تدخل في النفوذ الإسلامى منذ القرن الخامس الهجرى حين أسلم أميرها (كنبر)، وبنى مسجدها العتيق على نظام المسجد الحرام في مكة، ويستفاد مما ذكره «السعدى»: أن الثقافة الإسلامية كانت قد تسربت إلى المدينة قبل أن يدخل أميرها في الإسلام؛ ذلك لأنه عندما

(١)، (٢) السعدى، مرجع سبق ص ٣٣، ١١، ١٢.
(٣) فاى منصور على: مرجع سبق: ص ٢١٢.

أضواء على تاريخ

الثقافة العربية فى غرب أفريقيا

تهيأ لإشهار إسلامه ، أمر بحشد جميع العلماء الذين كانوا فى المدينة فجمع منهم أربعة آلاف ، ونيف وأسلم على أيديهم[٤] ثم قام بتحويل قصره إلى مسجد لله سبحانه وأنشأ لنفسه قصراً آخر بجوار ذلك الجامع جهة الشرق منه .

وإذا كانت هذه المدينة تقع فى المرتبة الثالثة ـ من الناحية التجارية ـ بعد «تمبكتو» و «جاو» إلا أنها من الناحية الثقافية والعلمية استطاعت أن تحتل الموقع الثانى بعد «تمبكتو» .. بما كان فيها من علماء وطلاب محاطين بعناية السلطان الذى كان يتقرب إليهم ببناء المساجد ويساعدهم على إقامة المساكن للطلاب .. ويقدم إليهم الهدايا .

وكان «اسكيا محمد» أول السلاطين الذين عينوا فيها القضاة للفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية ثم تتابعت وثبتها بعد ذلك فشهدت نهضة ثقافية إسلامية لم تتوقف منذ القرن السادس الهجرى وهى نهضة قامت ـ فى أول أمرها ـ على أكتاف الأجانب من التجار الدعاة المسلمين ، وما لبثت أن ازدادت هذه النهضة بإقامة الكثيرين من مشاهير العلماء فيها من أمثال : الشيخ «محمد ساخو» الذى كان فقيها عابداً ولاه السلطان «اسكيا محمد» القضاء فيها ، وكذلك القاضى «محمود بن أبى بكر» ، والقاضى «محمد سانو» .. وغيرهم كثير[٥] .

هذا وقد امتدت مراكز الثقافة إلى الشرق فى المنطقة الواقعة شمال نيجيريا فى إمارات «الحوصة» ، بعد أن دخلت هذه الإمارات الإسلام وخضعت لنفوذ «سنغى» ، فظهرت مدينة :

كانـــو :

فى وقت مبكر من القرون الأولى للميلاد اكتشفت الجماعات التى كانت تشتغل بصهر وصناعة الحديد أن تربة التلّين : «دالا» و «جورون» على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى ، وعلى الأطراف الشمالية من نطاق حشائش (السافانا) ، غنية برواسب الحديد ، فأخذت تتجمع عندهما أسر الحدادين التى تزعمها فيما بعد رجل يسمى «كانو» حول هذه التجمعات العارضة إلى محلة صغيرة عند سفوح تل «دالا» أو «دارا» وأخذت هذه المحلة تنمو تدريجيا إلى أن أصبحت مدينة ، واشتهر سكانها باسم «اباجازاوا» ، ولقد ظلت هذه المناطق تسكنها عشائر متفرقة إلى أن أتت إليها هجرات القبائل الشهيرة المعروفة باسم «الهاوسا» والتى تكون الغالبية العظمى من السكان ، وفى عهد هذه القبائل أخذت مدينة «كانو» تنمو وتتطور تطوراً سريعاً حتى أصبحت مدينة لها مركز هام بين مدن الإقليم .

وظلت السلطة فى المدينة يتنازعها زعماء الحدادين وهم السكان الأصليون و « الهاوسا» وهم السكان الوافدون إلى أن اعتنق ملوك «الهاوسا» الإسلام واستطاعوا فى ظل هذا الدين ونظامه الدقيق أن يوجهوا الحكم الوجهة التى اكسبتهم النفوذ والسلطان وقد تطورت المدينة فى ظل الإسلام تطورا تدريجيا حتى احتلت مكان الصدارة بين مدن غرب أفريقيا .

وفى عهد الأمير « يعقوب » فى منتصف القرن التاسع الهجرى ، حدثت هجرة كبيرة إلى

(٤) ، (٥) السعدى : مرجع سبق : ص ١٣ ، ١٦ .

« كانو » شملت عناصر من « مالى » التى تعرضت لغزوات خارجية من المغاربة والطوارق فى الشمال ومن « الموسى » فى الجنوب ، وكان لهذه العناصر المهاجرة أثر كبير ـ بعد اختلاطهم بالسّكان الأصليين ـ فى تعميق جذور العقيدة الإسلامية عند « الهاوسا » .

وفى عهد (محمد رومفا) ، أشهر سلاطين «كانو» المسلمين ، بلغت المدينة ذروة مجدها ، وبدأ فيها عهد إسلامى سادت فيه كل مظاهر الحياة الإسلامية ، من إحياء لليالى رمضان ، والاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية .. إلى جانب تنقية الحياة القبلية من أفكار وعادات تتعارض مع الإسلام ! وقد حرص هذا السلطان على استيفاد عدد من علماء «الأزهر» ليعلموا الإسلام الصحيح فى المدارس العديدة التى أنشأها ، والمساجد العظيمة التى شيدها ، وبرغم غزوات «السنغهاى» التى تعرضت لها «كانو» وبرغم غزوات بعض القبائل البدائية الأخرى فى الجنوب ، إلا أن «محمد كيسوكى» سلطان «كانو» فى أوائل القرن العاشر الهجرى ، كان حريصا على استمرار ازدهار الحياة الإسلامية فيها ، ساعده على ذلك :

* أن «السنغهاى» فشلوا فى غزواتهم على «كانو» أمام المقاومة العنيدة لأهلها .

* إن القبائل البدائية الجنوبية التى أغارت على «كانو» ، أقبلت على الإسلام ، فاستوفدت من أهلها ، من ينشر الدين الجديد بين أبنائها !!

ولما تعرضت «تمبكتو» و «جنى» و «جاو» لغزوات المغاربة والبربر ، اضطر العلماء فى هذه البلاد إلى الهجرة إلى « كانو » التى كانت الحياة الإسلامية فيها فى ازدهار ، وقد زار « جلال السيوطى » العالم المصرى المعروف مدينة « كانو » وأقام فيها بضع سنين يعلم القرآن والفقه .

ظلت مدينة « كانو » تعيش فى ظل أمراء « الهاوسا » كمدينة إسلامية وكمحطة للقوافل ، وقد تعرضت المنطقة لهجرات سلمية من قبل « الرعاة » المعروفين باسم « الفولانى » الذين نزلوا القرى ، والآخرين الذين نزلوا الحضر المعروفين باسم « فولانى جيدا » وقام فى المدينة تعاون وتكامل اقتصادى بين « الهاوسا » و« الفولانى » وحدث وئام واختلاط واندماج ساعد عليه أن كليهما ينتمى للإسلام ، ويحرص على التفقه فيه ، وفى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى ظهر على مسرح الحياة فى المنطقة عالم جليل هو « عثمان دن فديو » تفقه فى الدين وتعمق فى علوم القرآن والحديث والشرائع على يد علماء تعلموا فى « الأزهر » وآخرين تعلموا فى المدينة المنورة أو فى « الزيتونة » أو فى « القرويين » ونادى بتوحيد البلاد فى ملك إسلامى موحد ، وبدأ الجهاد لتحقيق هذا الهدف ... ودخلت « كانو » اتحاد إمارات « الفولا » قرنا كاملاً فى ظل نظام إسلامى دقيق .. حتى بدأت طلائع الاستعمار البريطانى تصل إليها فى بدايات العصر الحديث .

« على أن معظم الذين قادوا حركة التحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى فى هذه البلاد ، تخرجوا فى معهد عربى ، أنشأه « محمد السنوسى » سلطان « كانو » بمساعدة أحد التجار المصريين كان يقيم هناك يسمى : أحمد أحمد أبو السعود ، واستوفد السلطان علماء من الأزهر فى مصر ومن بلاد السودان الغربى للتدريس فى هذا المعهد[٦] .



(٦) محمد جلال عباس :مدينة «كانو» : مقال فى مجلة الأزهر :مجلد ٣٣ جـ ٦ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ

الثقافة العربية فى غرب أفريقيا

« كانم » و« برنو » :

من المراكز الإسلامية الهامة فى غرب أفريقيا ، وقد قامت فى منطقة بحيرة (تشاد) الواقعة إلى الشرق من دولة « الهاوسا » ، وتتوسط هذه البحيرة قلب هذه الدولة ، وكان لخلو المنطقة من العوائق الطبيعية أثره فى تيسير الانتقال منها وإليها وفى استقرار الكثير من المجموعات القبلية واشتغالها بالزراعة بجانب المجموعات التى اشتغلت بالرعى .

على أن سيل الهجرات ـ وكذلك الغزوات ـ لم ينقطع من حوض النيل وبخاصة بعد الفتح الإسلامى لمصر والشمال الأفريقى ، وأدى هذا إلى اختلاط المهاجرين من العرب وكذلك من الفولانيين والبربر بالوطنيين الزنوج إلى ضعف الصفات الزنجية النقية وبخاصة فى اللون ، فلم يعد هناك جنس خالص محتفظ بصفاته الأصلية ، بل توجد مجموعات من هذا الخليط ، ومن المجموعات التى استقرت فى منطقة «تشاد» مجموعة «الكانمبو» وإلى هذه المجموعة ينسب تكوين دولة «البرنو» الأولى فى «كانم» .

أما قبائل «الكانورى» ، فهم أغلب سكان منطقتى : «كانم» و«برنو» وهم خليط من العرب والبربر والزنوج وإليهم يرجع الفضل فى استمرارية الدولة بعد ذلك ، والمعروف أنهم قد اعتنقوا الإسلام فى وقت مبكر وقد اشتهرت المجموعات العربية فى منطقة «تشاد» باسم «شوا» وكذلك باسمى : «أروا» و «سولونج» وإن كان العرب انفسهم لم يستخدموا كلمة «شوا» التى غلبت على غيرها من التسميات وظلوا يحتفظون بأسماء قبائلهم العربية الأصلية التى ينتمون إليها .

كذلك انتشرت اللغة العربية والتقاليد العربية فى شرق «تشاد» بصفة خاصة ، وإن كانت اللغة العربية التى انتشرت تختلط بألفاظ سودانية .

وتاريخ « البرنو يمثله عنصران :

* **الأول : العنصر الكانمى :**

ويمتد من قيام الدولة فى إقليم «كانم» إلى نهاية القرن الثامن الهجرى .

* **الثانى : العنصر البرنوى :**

ويبدأ من أواخر القرن الثامن الهجرى إلى نهاية دولة «البرنو» بعد هجمة الاستعمار فى العصر الحديث .

وفى العصر الكانمى كانت «برنو» خاضعة «لكانم» وكانت العاصمة «جيمى»(٧) وإقليم «كانم» شرقى بحيرة «تشاد» .

وفى العصر البرنوى أضحت «كانم» جزءا من الدولة البرنوية وإن لم تخضع تمام الخضوع ، كما صارت العاصمة «بيرنى» فى إقليم «برنو» على نهر يوب غربى بحيرة «تشاد» .

وقد ظهرت دولة «برنو» على الخرائط الأوروبية فى العصور الوسطى مما يدل على أهميتها(٨) .

كانت الصلة بين «البرنو» والعالم الإسلامى قوية وذات جوانب متعددة تجاريا وثقافيا وسياسيا وأكثر ما قامت هذه الصلة بمصر وشمالى أفريقيا ، مما مكن هذه الدولة من التقدم والتطور طوال عمرها الفسيح حتى ملأت شهرتها ما بين «النيل» و«النيجر» ولهذا نجد صاحب

---

(٧) المقريزى : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام : ص ٢٧ ، ٣٧ .

(٨) دكتور : أحمد الحفناوى : دولة «البرنو» الإسلامية .

(كتاب الفتاش) يقول : « إن سلاطين الدنيا أربعة : السلطان الأعظم سلطان بغداد وسلطان مصر وسلطان برن !! وسلطان مل[٩] أى أن صاحب «برنو» أحد سلاطين الدنيا الأربعة .

كانت هناك منابع ثلاثة وفد منها الإسلام إلى هذه البلاد :

* من مصر إلى النوبة ، إلى «برنو» إلى بلاد «الهاوسا» .

* من شمالى أفريقيا عبر الصحراء إلى حوض «النيجر» .

* من الحبشة إلى «اليوريا» والأشانتى .

ويقال : إن أبا يزيد الفزارى كان يدعو للإسلام فى «البرنو» وقد ارتبط اسمه باسم أسرة مستعربة قدمت إلى هذه البلاد فى القرن الثامن الهجرى من وادى النيل .

ويقال أيضاً : إن أربعة من جنود جيش عمر بن عبد العزيز جاءوا من اليمن إلى «برنو» ، ودعوا أن يكونوا أسرة مالكة[١٠] .

وكان يطلق على ملوك «البرنو» لقب : «المايات» .. ويعتبر «الماى» «دونمه» الذى كان ملكا أوائل القرن السابع الهجرى أول من تلقب بأمير المؤمنين واقترن عهد «الماى» عثمان بن زينب الذى تولى فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى بنشاط كبير للدعوة الإسلامية حتى قيل : إن هذا «الماى» هو المقصود بالشخصية المعروفة فى الكتب العربية باسم «الهادى العثمانى» .

يقول العمرى : أول من بث الإسلام فيهم ـ أى أهل «الكانم» و «البرنو» ـ الهادى العثمانى ، ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان[١١] .

كان الطريق المألوف لحجاج هذه البلاد ـ كما سبق أن عرضنا ـ هو طريق «مصر» .. وأول من حج من «المايات» : «الماى أوم» أواخر القرن السادس الهجرى ، وقد مات فى مصر ، ودفن فيها بعد أدائه فريضة الحج أو قبلها على خلاف بين المؤرخين .

أما «الماى دونمه» فقد حج أكثر من مرة ، وكان موكبه يبهر أهل مصر ، وقد ترك فيها ـ أى فى مصر ـ خلال حجته الأولى ثلاثمائة خادم ، ومثلهم خلال حجته الثانية ، وقد غرق عند «السويس» أثناء حجته الثالثة ، أو الرابعة ، واتهمت «برنو» حكومة الفاطميين بتدبير غرقه خشية منه أن يتدخل فى الصراع الداخلى على السلطة فى مصر آنذاك .

ذكر القلقشندى : أن أهل «الكانم» بنوا مدرسة للمالكية فى الفسطاط ينزل بها وفودهم[١٢] كما بنوا هذه المدرسة فى مصر زمن الماى « دونمه » ، بنوا كذلك فنادق لهم فى مكة لنزول حجاجهم زمن الماى «إدريس ألوما» .

تراث « برنو » الثقافى :

وتراث «برنو» الثقافى كله باللغة العربية ، وقد ظهر عدد كبير من العلماء فيها كان لهم دور بارز ، وفضل كبير فى النهوض بالتعليم ونشر العقيدة منهم : «إسحاق الكانمى» الأديب الشاعر ، وكذلك الإمام أحمد بن فرتوا الذى تعتبر كتاباته المصدر الرئيسى لتاريخ «برنو» .

وقد اشتهر مايات «برنو» بتشجيع العلماء والإقبال على التعليم ، وحسبنا دليلاً على ذلك تلك المحارم (وهى المراسيم) التى أصدروها بمنح

(٩) محمود كعت : مرجع سبق : ص ٣١ .
(١٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢١٠ .
(١١) العمرى : مسالك الأبصار : جـ ٢ ص ١٩٢ .
(١٢) القلقشندى : مصدر سبق : ص ٤٩٢ .

الثقافة العربية فى غرب أفريقيا

امتيازات لكبار العلماء وأسرهم المعاصرين لهم(١٣)

وقد قفزت «برنو» إلى مصاف الدول السودانية العظيمة منذ اعتنق «المايات» الإسلام ، فنراها دخلت فى علاقات قوية ومباشرة مع «مصر» وشمالى أفريقيا ، وكانت علاقاتها بمصر أكثر من غيرها نظرا لأنها الطريق إلى الحج واشتهار حكوماتها على مختلف العصور بتسهيل وتيسير أدائه فضلاً عن التبادل التجارى والثقافى الذى يعتمد كلية على الأزهر ، المستمر منذ أقدم العصور .

وقد ازدادت هذه العلاقات ونمت منذ بداية العصر الفاطمى فى «مصر» ويلاحظ أن الجنود ببلاد السودان الغربى كانوا موضع عناية خلفاء الفاطميين فى مصر؛ لاسيما من «المستنصر الفاطمى» ، فإن أمه كانت سودانية وكانت تعطف على أبناء جنسها لمقابلة قوة الأتراك والمغاربة .

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن نذكر الدور البارز الذى أداه الأزهر الشريف لأبناء هذه البلاد ، فقد كان هناك رواق خاص «بالبرنوية» فى الجامع الأزهر ، ينزل فيه طلاب العلم منهم .

لقد كان «مايات» «البرنو» ينظرون إلى مصر على أنها «أم الدنيا» !!

فها هو «الماى» عثمان بن إدريس ، يكتب إلى برقوق سلطان المماليك فى مصر سنة ٧٩٤ هـ يقول : « إلى ملك مصر الجليل أرض الله المباركة أم الدنيا .. »(١٤)

وقد تلاشت دولة «البرنو» الإسلامية فى غمرة الاستعمار الأوروبى للقارة الأفريقية فى مطالع القرن العشرين الميلادى ، وقسمت أملاكها بين :

* انجلترا : التى أخذت «برنو» الأصلية ، مع إقليم كوكا !

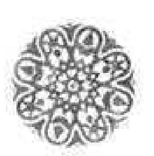
* وفرنسا : التى أخذت منطقة «الكانم» !

وأدى ذلك إلى قيام حركات التحرر الوطنى ، ضد المستعمر الأوروبى فى هذه البلاد ، حتى ظفرت بالاستقلال وقامت على أنقاضها دول عدة منها :

* جمهورية «نيجيريا» التى استقلت فى اكتوبر سنة ١٩٦٠ م وكانت مستعمرة بريطانية وعاصمتها «لاجوس» .

* جمهورية «تشاد» التى استقلت فى يونية ١٩٦٠ م وكانت مستعمرة فرنسية ، وعاصمتها «نيجامينا» .

* جمهورية «أفريقيا الوسطى» ؛ التى استقلت فى اغسطس ١٩٦٠ ، وكانت مستعمرة فرنسية ، وعاصمتها : «بانجوى» .

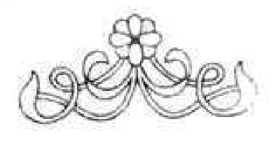


(١٣) دكتور إبراهيم طرخان : امبراطورية البرنو الإسلامية : ص ١٧٥ .

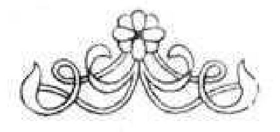
(١٤) القلقشندى : مصدر سبق : جـ ٨ ص ١١٦ ، ١١٨

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ علي حسن عبد القادر



فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب



فضيلة الأستاذ الدكتور

على حسن عبد القادر

لفضيلة الأستاذ الدكتور

حامد جامع

وكيل الأزهر

إثر تقليد جديد « لمجمع البحوث الإسلامية » ، وفى أول جلسة حضرها فضيلة الاستاذ الدكتور حامد عبد الحميد جامع، اقترح فضيلته على اصحاب الفضيلة اعضاء المجمع ان يوافقوا على ما عليه سنة المجامع ؛ إذ تعنى - عادة - بعد استقبال عضو جديد ان يعد فى الجلسة التالية كلمة فى ذكر من سبقه او حلَّ محله ينوه فيها بما كان له من فضل وجهد ، وقد وافق الاعضاء بالإجماع على هذا الاقتراح بجلسة المجمع فى دورة انعقاده الجديد صباح الخميس ٧ من ربيع الاول ١٤١١هـ - ٢٧/٩/١٩٩٠م

والقيت الكلمة التالية فى التنويه بفضيلة الأستاذ الدكتور على حسن عبد القادر بجلسة ٦ من ربيع الآخر ١٤١١هـ - ٢٥/١٠/١٩٩١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وبعد :

فإن سلفنا الراحل ، وشيخنا الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور/ على حسن عبد القادر عالم جليل تخرج فى الأزهر الشريف ، ثم فى جامعات المانيا وانجلترا، فقد نال - رحمه الله - درجة العالمية من الأزهر سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد ، ثم درجة التخصص من الأزهر سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف ، وكانت الرسالة التى قدمها للحصول على هذه الدرجة عن المعتزلة .

ثم أُوفد ـ رحمه الله ـ إلى ألمانيا فنال درجة الدكتوراه فى القانون والشريعة سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف ، وكانت الرسالة التى قدمها بالألمانية لنيل هذه الدرجة عن الفقهاء السبعة .

وفى سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ، وأثناء إدارته للمركز الإسلامى فى لندن نال درجة الدكتوراه من جامعة لندن فى الفلسفة والعلوم الإسلامية ، وكانت الرسالة التى قدمها فى التصوف الإسلامى عن الجنيد وطبعت جامعة كمبردج هذه الرسالة فى سلسلتها المشهورة ، وهى المطبوع الوحيد فى هذه السلسلة لعالم عربى .

وبعد أن حصل شيخنا الدكتور على حسن عبد القادر العلم ، ونال درجاته العالية من الأزهر وألمانيا وانجلترا ، كان عطاؤه المبارك الغزير الذى عم طلابه فى كليتى أصول الدين والشريعة ، وفى الدراسات العليا بالأزهر وجامعتى القاهرة وعين شمس ، وفى معهد الدراسات الإسلامية بمصر ، ثم فى قسم الدراسات الشرقية بجامعة لندن ، وجامعة كولومبيا بنيويورك .

وفى هذه المؤسسات العلمية والجامعية التى تعلم فيها شيخنا وعلم ، توثقت بينه وبين أساتذتها وعلمائها وشائج علمية كان لها أثرها فى فتح نوافذ للعلوم والمعارف الإسلامية ، وفى نقل الثقافة الإسلامية إلى حيث يرجى الانتفاع بها ، ويؤمل أن تكون بفضل الله تعالى ورحمته فى ميزان الأعمال الصالحة والعلوم النافعة لشيخنا الراحل .

وقد خلف ـ رحمه الله ـ الكثير من المؤلفات منها :


فضيلة الأستاذ الدكتور
على حسن عبد القادر

- كتاب المعتزلة .
- نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى .
- أبو القاسم الجنيد ورسائله (بالانجليزية والعربية) .
- المعراج للقشيرى « نقد وتقديم وتعليق » .
- دواء التفريط للجنيد « نشر فى نصوص فلسفية » .
- الرياضة وأدب النفس للترمذى « نقد وتقديم وتعليق » .
- العقيدة والشريعة « ترجمة من الألمانية » .
- المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن « ترجمة من الألمانية » .
- المذاهب الفقهية « تقديم » .
- فقه المضاربة فى التطبيق العلمى والتجديد الاقتصادى .

من أعلام الأزهر

الدكتور على حسن عبدالقادر

● العقيدة الإسلامية فى أدوار التاريخ .

● دراسات فى الاقتصاد الإسلامى والمعاملات المعاصرة .

● الفقهاء السبعة فى المدينة وآراؤهم « باللغة الألمانية » .

● الملكية وحيازة الأرض « باللغة العربية والإنجليزية » .

● بحوث فى القضاء والحسبة والفقه الإسلامى فى دائرة الحضارة الإسلامية .

● الإسلام فى مجرى التاريخ « باللغة الإنجليزية » .

● معنى الطهارة فى الإسلام .

● النسابة الشرعية فى إطار القرآن .

● الفقه الإسلامى ومتطلبات العصر .

● رأى التشريع الإسلامى فى مسائل البورصة .

● الأجور والأسعار « تحت الطبع » .

هذا بالإضافة إلى محاضرات فى المؤتمرات والجامعات والمناسبات فى الفقه والدعوة ومحاضرات فى الإذاعات المصرية والبريطانية ، وتحرير مجلة إسلامية باللغة الإنجليزية .

وهذه الصفحة العلمية الحافلة بآثار فضيلة الأستاذ الدكتور/ على حسن عبد القادر صاحبتها صفحة أخرى مشرقة ومشرقة بأعماله ووظائفه ومناصبه ، فقد عمل - رحمه الله :

● أستاذاً للشريعة بالأزهر .

● عميداً لكلية أصول الدين ثم لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر .

● أستاذاً للشريعة بالدراسات العليا بجامعتى القاهرة وعين شمس ، ومعهد الدراسات الإسلامية .

● أستاذاً للشريعة الإسلامية بجامعة لندن « قسم الدراسات الشرقية » .

● أستاذاً للشريعة الإسلامية بجامعة كولومبيا بنيويورك .

● مديراً للمركز الإسلامى بلندن .

● مديراً للمركز الإسلامى بواشنطن .

● عضواً بمجمع البحوث الإسلامية .

● عضواً بلجنة المراقبة الشرعية بدار المال والشركات الإسلامية .

● أما إسهامه - رحمه الله - فى أعمال مجلس المجمع ولجانه وأروقته ، فقد كان جهداً مباركاً وأنتم أعلم به منى .

وبعد هذه الحياة العلمية الحافلة بجليل العطاء ، انتقل شيخنا إلى رحمة الله تعالى .

وشغر مكانه فى مجمع البحوث الإسلامية ليشغله بقدر الله تعالى وإرادته أحد المنتفعين بعلم الراحل الكريم الداعين له ، الممتثلين قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ،،،

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

إعداد: عادل خفاجه

درة من الرجال الذين جاد بهم الأزهر ، وإمام عامل اشتهر بالعلم الوفير والعمل الدعوب ، تشهد له على ذلك مؤلفاته ومصنفاته الكثيرة فى علوم الفقه والحديث والتفسير ، وفتاواه العديدة . بالإضافة إلى ولعه بالشعر الذى وظفه فى مدح رسول الله ﷺ وآله الكرام ؛ حتى استحق أن يدعى شاعر الرسول ﷺ .

إنه الشيخ الجليل « محمد خليل الخطيب » .

ميلاده ونشأته :

كان ميلاده ـ رحمه الله ـ عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩ م) ببلدة « نِيدَة » إحدى قرى مركز « أخميم » بمحافظة « سوهاج » بصعيد مصر وكان والده حافظاً للكثير من سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، فكان بيته محلاً للكتاب العزيز والحديث الشريف .

فى هذا الجو من الصلاح والتقوى نشأ شيخنا ، وحرص والده الشيخ خليل على غرس حب النبى ﷺ وآل البيت فى قلب ولده . فأثمر وأينع على خير ما يحب حتى أنه ـ وهو لا يزال صبياً ـ كثيراً ما كان يخبر والديه برؤيا الحبيب المصطفى ﷺ فيسجدان شكراً لله على ما أنعم به



على ولدهما من نعمة فذة يتشوق إليها الكثير ، فرؤيته ﷺ فضل من الله الكريم . وما أن بلغ العاشرة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم ، وأتم حفظ العديد من المتون .

وأعطاه الله ـ تعالى ـ مقدرة خاصة على معارضة القصائد وهو لم يزل بعد ابن عشر سنين ، فكان إذا سمع قصيدة أتى بمثلها قوة وجمالاً .

تنقله فى مراحل التعليم :

حصل شيخنا على الشهادة الابتدائية من معهد أسيوط الدينى عام « ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م » .

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد خليل الخطيب

وحصل على « العالمية » من الجامع الأزهر عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م ثم « التخصص » فى اللغة العربية عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م ، ومما يذكر برهانا على نبوغه ونباهته أنه حصل على الثانوية الأزهرية - فى سنة واحدة - كانت قطعاً للمرحلة الثانوية كلها - فحصل عليها عام « ١٩٢٨ م » .

عمله :

عمل شيخنا مدرساً بمعهد طنطا الأزهرى سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م ثم مدرساً بكلية الدعوة الإسلامية بطنطا ، فكان من أوائل الذين حَظُوا بشرف التدريس بتلك الكلية وقت افتتاحها ولم يترك طنطا - رحمه الله - طيلة عمله بالتدريس .

شعره :

كان - رحمه الله - يذود عن الشريعة ويذبُّ عنها مايحاول المفترون إلصاقه بها ، وكان يسفه من يَدَّعُونَ التصوف وهم قد ضلوا عن منهج الإسلام الصحيح ، وعَمُوا عن تعاليمه الواضحة . فنجده ناقدا ومصححا للكثير من أوضاع المجتمع التى يأباها الإسلام ، فمثلاً ، ينتقد مايحدث فى « موالد الأسياد » من مفاسد للعباد ، وينكر على المنشدين مايذهب إليه بعضهم من إنشاد كلمات الغزل فى هذه الليالى وتلك الموالد ، ثم هو ينادى بالاقتداء برسول الله ﷺ فنجده يصوغ كل ذلك شعراً بأسلوب شيق ممتع لا تمله النفس لسهولته وانسيابه،ثم هو حين يقرض الشعر إنما يقوله عفو الخاطر غير متكلف لما يمتاز به من طبيعة شاعرية فُطِرَ عليها ، فتراه فى كل موقف يشدو - غير هازل - بأبيات الشعر وأهازيجه ، مصححا أوضاع من حوله راسماً لهم طريق الحق ، فاجتمع لأسلوبه جدة الموضوع وعذوبة الكلمة وسلاسة العبارة .

فها هو ينادى بالاقتداء برسول الله ﷺ فنجده بأسلوبه الشيق الممتع يقول :

والله ليس بمؤمن من لم يكن
يهواك فوق النفس والأولادِ
ويكون ما يهواه تابع شرعة
لك سنها الرب الكريم الهادى

ثم يرد على من ينكر كرامة الأولياء فيقول :

يامنكراً للأولياء كرامة
بعد انتقالهمو لدار رضاه
أتجيزها للروح وهو مقيد
وتكفها والقيد قد خلاه
إنَّ الكرامة منه إكرام لهم
إذ أكرموه بفعل مايرضاه
مامات من قتلوا بسيف عداته
أيموت من قتلوا بسيف هواه
حاشا وكلا أن يموت من الذى
بوداده فى ذاته أحياه
ماالموت للأحياء إلا نقلة
من دار شدته لدار رخاه

ونراه يُعَلِّمُ محبيه ومريديه ما أولاه الله من معارف ونفحات فيقول :

لا نعمة فى تلك أو فى هذه
كانت نصيبك أو نصيب سواكا
إلا وكان السر فيها المصطفى
فاعرف مكانته يتم هداكا

ويصف الشيخ الجليل الطريق إلى الله تعالى ، فيقول :

واقطع نهارك بالتقوى وقم سَحَراً
فكم لربك فى الأسحار من كَرَمِ

نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه
سبحانه عن صفات الخلق كلهم

إلى أن يقول :

ولا تغرنك الدنيا وبهجتها
فإنها والذى فيها إلى عدم
هى المتاع قليلاً فانياً أبه
تبيع حظك فى الأخرى من النعم

وعن حكمة تعدد أزواج النبى ﷺ أنشد يقول :

وليس منهن إلا من تزوجها
لحكمة لم تكن تخفى على فَهِمِ
مكافئا أهلها أو عاقدا صلة
بقومها أو لها مرعية الحرم
أو هادماً عادة فى قومه رسخت
والهدم بالفعل فوق الهدم بالكلم

ولم يكن - رحمه الله - تنقصه روح الفكاهة ، فهو على ماكان عليه من كرم - لم يكن يرد سائلاً - لكنه يرى رفض إعارة الكتب ، خوفاً على فقدها ، وقدم ذلك فى وصية،وهو حين يقدم تلك الوصية ، لا تخلو كلماته من طرافة وظرف ، فيقول :

الكتب أحسن شىء أنت مدخر
فلا تُعِرْهَا ففيها يحصل الطمع
فكم فتى لا يغول المال ذو ورع
وأن يرقه كتاب جازه الورع

مؤلفاته :

وكما امتلأت حياته - رحمه الله - صبراً وكفاحاً وورعاً ، فقد امتلأت كذلك تأليفاً وتصنيفاً ، حتى بلغ ما ألف وصنف نحو ستين كتابا أو تزيد ، شملت مختلف العلوم الإسلامية والأدبية كالفقه والحديث والشعر ، نذكر منها :

١ - الأحاديث المختارة من البخارى وشرحها « خمسة أجزاء » .
٢ - شرح وتخريج أحاديث دلائل الخيرات .
٣ - تقريب صحيح الترمذى وشرحه .
٤ - رباعيات الخطيب وشرحها « فى مدح النبى ﷺ » .
٥ - غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب .
٦ - إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام .
٧ - ديوان الإمام على كرم الله وجهه .
٨ - ديوان الإمام الشافعى - رحمه الله - وشرحه .
٩ - ديوان أبى الفتح البستى وشرحه .
١٠ - مناسك الحجاج .
١١ - الوسيلة والتوسل .
١٢ - التراجم المهمة للأربعة الأئمة .
١٣ - تفسير الخطيب للقرآن الكريم - عدة أجزاء .
١٤ - شرح الخطيب لكتاب العمدة فى الفقه الحنفى .

بالإضافة إلى مكتبة صوتية تركها الشيخ تضم شروح بعض أمهات الكتب .

وفاته :

توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة الموافق ٢١ من شهر فبراير ١٩٨٦ م ودفن فى الضريح الخاص به بمسجد المحافظة بطنطا راجياً حسن المنتهى ، حيث كان يقول :

ومابلغوا الذى بلغوه إلا
بطاعة أحمد الزاكى السجايا
فَصَلِّ مسلما ربى عليه
وبارك فى الغدايا والعشايا
كذلك آله وصحاب صدق
وأتباع له حسنوا طوايا
وفى مرضاته بذلوا نفيسا
وأنفاسا وأنفسهم ضحايا
وصل حبل الخطيب به ليهدى
ويهدى واستجب ربى دعايا
وبلغنى وأحبابى المرجى
وأعدائى وحسن منتهايا

تأملات في الحياة والناس

للإمام الشافعي

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... ارحت نفسى من هم العداوات
إنى أحيى عدوى عند رؤيته ... لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنما قد حشا قلبى محبات
الناس داء، وداء الناس قربهمُ ... وفى اعتزالهمُ قطع المودات

•••

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً، وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت، وكنت أظنها لا تفرج

•••

علمى معى، حيثما يممت ينفعنى ... قلبى وعاء له، لا بطن صندوق
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى ... أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

•••

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه ... وإن خليته ـ كمدا يموت

•••

الدهر يومان: ذا أمن وذا خطر ... والعيش عيشان: ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قاعه الدرر
وفى السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يُكْسَفُ إلا الشمس والقمر

•••

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

ولست بهياب لمن لا يهابني ... ولست أرى للمرء مالا يرى ليا
فإن تدن مني تدن منك مودتي ... وإن تنأ عني تلقني عنك نائيا
كلانا غني عن أخيه حياته ... ونحن - إذا متنا - أشد تفانيا

●●●

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانية، وطيب عناق
وصرير أقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لكل عويصة ... في الدرس أشهى من مدامة ساقي
وأبيت سهران الدجى، وتبيته ... نوما، وتبغي بعد ذاك لحاقي

الأبيات:

هذه المختارات من شعر الإمام الشافعي تمثل خلقه ومنهجه في الحياة واعتزازه بالعلم وحبه للحياة والأحياء، وهي بحق أليق ما تكون بهمته العالية وسيرته النبيلة وثقافته الواسعة اللغوية والدينية. وقد تنسب بعض الأبيات إلى غيره، ولكن ما فيها من الشعور الحي والتجربة العميقة والمعرفة بالناس والحياة ما يجعلنا نؤكد نسبتها إليه.

الشاعر:

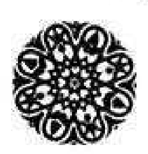
هو محمد بن إدريس الشافعي من أشهر أئمة المذاهب الفقهية لأهل السنة في الإسلام، يتعبد على مذهبه كثير من المسلمين في الشرق العربي وهو واضع أصول علم الفقه، ومن أوسع شيوخنا اطلاعا ونبوغا في العلوم الإسلامية واللغوية، بل أراد الله - تعالى له أن يضع علماً بأكمله هو علم الأصول، وكان شاعراً مقلاً.

ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ - سنة ٧٦٧ م. يتيما أحسنت أمه تربيته وتنقل في طلب العلم بين مدن اليمن والحجاز والعراق، وفي سنة ١٩٩ هـ عزم الرحلة إلى مصر وقال في ذلك:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها قطع المهامه والقفر
فوالله لا أدري، ألعز والغنى ... أساق إليها، أم أساق إلى القبر؟

وقد استقبلته مصر بالعز والشهرة والمحبة والقبول وعاش فيها ينشر معارفه بعلوم الدين واللغة والشعر العربي ويجدد آراءه الفقهية، وتتلمذ على يديه نوابغ نشروا مذهبه، وكانوا امتداداً لحياته الحافلة بكل عظيم، وقد توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ - سنة ٨١٩ م. ودفن بها، وباسمه حتى اليوم حي كبير بالقاهرة يضم مشهده تحيط به المقابر بـ (البساتين)..

رحم الله الشافعي بقدر ما أعطى من علم وفقه وشعر..





سقى واديا بين العريش وبرقة ... من الغيث هطال الشابيب هَتَّانُ
وحيا النسيم الرطب عنا إذا سرى ... هنالك اوطاناً إذا قيل اوطان
بلاد متى ما جئتها جئت جنة ... لعينك منها كل ما شئت رضوان
تمثل لى الأشواق أن ترابها ... وحصباءها مسك يفوح وعقيان
فياساكنى مصر تراكم علمتم ... بانى ما لى عنكم الدهر سلوان ؟
وما فى فؤادى موضع لسواكم ... ومن أين فيه ؟ وهو بالشوق ملآن
عسى الله يطوى شقة البعد بيننا ... فتهدأ أحشاء وترقأ اجفان
علىَّ لذاك اليوم صوم نذرته ... وعندى - على راى التصوف - شكران

القصيدة :

فيها من الحنين إلى مصر والتشوق إلى واديها وتحية نسيمها الرطب الذى يسرى حاملاً عنه اشواقه إلى تلك الجنة التى تتبدى بروائع حسنها لعين الرائى والتى يمثل ترابها المسك والذهب الخالص .

وفيها يخاطب اهل مصر شارحاً محبته لهم وطغيان الشوق على مشاعره حتى لم يعد بها موضع لسواهم ..

وهو يدعو الله أن يخفف نار البعاد ويقرب البعيد حتى تستقر الجوانح ، وتهدأ الجوارح وهو ينذر لله الصوم ويقدم الشكر ليوم القرب ، والقصيدة دفقة من دفقات الشوق إلى مصر والولاء لها ولأهلها ، وذلك فى كلمات واضحة معبرة تبتعد بعض الشىء عن المحسنات اللفظية والزخارف والصنعة التى كانت سمة لشعراء هذا العصر .

الشاعر :

هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الحلبى ولد بمكة المكرمة وجاء مصر وعاش بمدينة قوص ، وهى يومئذ مدينة العلم والفقه والأدب ، وقد نشأ فيها نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وعمل لديه رئيساً لديوان الإنشاء والرسائل « بمثابة وزارة الإعلام فى زماننا » . وقد عاصر الشاعر « ابن مطروح » بصعيد مصر .

إلى أبناء هذا الزمان

عقوق

شعر: علية الجعار

حَمَلْتُك فى الاحشاء عبئا محبباً ... فلا ضاق جسمٌ بات بالحمل مُتْعَبَا
وقلتُ: إذا ما جاء طفلى ستختفي ... همومي واسقامى فيا الف "مرحبا"
وجئتَ فخلتُ الكون حولى خميلةً ... وطيراً تغنىّ للوليد على الرُّبَى
ارحتك فوق الصدر تمتص خيرَهُ ... وكل حنانى فى رضاعك ذُوِّبَا
ورغم نضوب الكف لم اشك قلة ... وكنتُ لك الأمَّ المغيثة والأَبَا
وصارعتُ وحش العيش وحدى ولم يكن ... لدىّ سوى الإيمان سيفاً لأغلبا
يدى ابعدت مر الحياة فلم تذق ... سوى حلوها رغداً هنيئاً وطيبا
وإن فاض نبع الخير لم ارو غلتى ... وجئتك بالفيض الوفير لتشربا
رضيت من الدنيا الكفاف لكى ارى ... وحيدى فى احضانها متقلبا
اضاتُ بدمع العين والقلب مشعلاً ... يضيء لك الدنيا إذا نورها خبا
عصرت حياتى قطرة بعد قطرة ... لأرويك حتى اورق الغصن بالصبا
كبرت فلما اثمرت فيك منحتى ... ورفّ فؤادى حول غصنك معجبا
خدشت باشواك العقوق شغافه ... فخرَّ صريعاً بالهوان مخضبا
ومر نسيم فانثنى الغصن تحته ... فهبَّ فؤادى للنسيم مؤنبا
عجبت لقلبى كيف يصفو لغادر ... ويبقى مهينا فى الحياة معذبا
يئن ويبكى فى انكسار ولوعة ... فإن قلتُ: تشكوه إلى ربنا. ابى
انا الأم اوصى بى إلهى ولم يزل ... وحسبك بالقرآن منه مؤدبا
لقد رفع الرحمن قدرى وقيمتى ... واشرفُ خلق الله جاء معقبا
فكيف نسيت الله فىَّ ولم تزل ... تمسُكُ بالإسلام ديناً ومذهبا

العلوم الكونية ٥

في التراث الإسلامي

أ. د. أحمد فؤاد باشا

خامسا : علوم المعادن والتعدين :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة كوكب الأرض والظواهر المتعلقة به قبل أن ينقلوا معارف الحضارات القديمة إلى اللغة العربية . وكان في مقدمة الأسباب التي دفعتهم إلى دراسة علوم الأرض عموما ، أي الجغرافيا والجيولوجيا ، ما وجدوه في تعاليم دينهم الإسلامي الحنيف من حث على طلب العلم وعدم التواني في تحصيله مهما بعدت مصادره ، وإعمال العقل والتفكير في كل ماخلق الله وسخره لخدمة الإنسان وإعمار الحياة ، بما في ذلك الأرض التي يعيش على صدرها وينعم بخيراتها . قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] ، وقال سبحانه : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[2] ، وقال عز من قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[3] صدق الله العظيم .

ولقد شهدت علوم الأرض تطورا ملحوظا عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وكثرت الأسفار والرحلات الميدانية للتعرف على ثروات

(١) سورة البقرة : ١٦٤ .

(٢) سورة طه : ٥٥ .

(٣) سورة الملك : ١٥

وتضاريس ومواقع الاقطار والبلدان لتوثيق الصلات بينها وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالعدل بين سكانها جميعا . وسوف نعرض هنا للحديث عن بعض إسهامات علماء الحضارة الإسلامية فى تأسيس وتطوير علوم المعادن والتعدين ، لاعتقادنا بأن هذا المجال دون غيره من مجالات علوم الأرض لم يحظ بالاهتمام المناسب من جانب المؤرخين لتراثنا الإسلامى ، وخاصة أنه يزخر بالعديد من النماذج والأمثلة التى تؤكد أصالة المنهجية العلمية فى فكر علماء المسلمين .

تعريف المعادن وخصائصها :

يعرف المعدن عموما بأنه مادة طبيعية غير عضوية ذات تركيب كيميائي ثابت وبنية بللورية محددة ، ومن ثم يتميز عما سواه بمجموعة معينة من الصفات الفيزيائية التى تحدد شكله ولونه وبريقه وصلابته وكثافته . وطبقا لهذا التعريف الموجز يكون الذهب والنحاس والكبريت والفضة والأحجار الكريمة ومكونات الصخور جميعها معادن . ذلك أن الجواهر والأحجار الكريمة ليست إلا معادن منتقاة ميزتها صفاتها الفيزيائية والكيميائية بالقدرة على مقاومة عوامل الفساد والاحتفاظ بجمال المنظر ونعومة الملمس ، كما اكسبتها ندرتها قيمة غالية بحيث لاتبتذل بالكثرة . أما الصخور فتطلق على التجمعات التى تشتمل على معدن أو أكثر . ولو أن معظم الصخور تشتمل على عدة معادن ، إلا أن بعض المعادن توجد أحيانا بمفردها وبكميات كبيرة ، ويمكن اعتبارها فى هذه الحالة على أنها تمثل معدنا أو صخرا مكونا من معدن واحد ، كما هو الحال بالنسبة لمعدن الكالسيت الذى يتكون كيميائيا من كربونات الكالسيوم (ورمزها الكيميائى $CaCo_3$) ويعتبر المكون الرئيسى لوحدات صخرية كبيرة تعرف باسم « الحجر الجيرى » .

وبالرغم من دقة التعريف الذى ذكرناه للتفرقة بين المعادن والصخور ، إلا أنه لايخلو من بعض العيوب . فهو مثلا يستثنى المركبات العضوية فى الوقت الذى يعتبر فيه معظم الچيولوچيين الفحم الحجرى والنفط من المواد المعدنية . هذا بالإضافة إلى أن التركيب الكيميائى لكثير من المعادن يتفاوت على مدى واسع نسبيا .

اسلوب علماء المسلمين فى دراسة المعادن :

عنى علماء الحضارة الإسلامية بدراسة المعادن وخواصها ، وطرق استخراجها وصهرها ، وتغير تركيبها ، وناقشوا فكرة تحويل الخسيس منها إلى نفيس ، تأييدا أو تفنيدا ، ثم

العلوم الكونية

فـى التـراث الإسـلامـى

سرعان ما اتصلت جهود الكيميائيين بجهود جماع الأحجار الكريمة ومقتنيها ، وبجهود الأطباء والصيدلانيين المهتمين بما ينسب إليها من تأثيرات « علاجية » ، فتحول الاهتمام بهذه الأحجار إلى علم قائم بذاته ، وتفرعت الدراسات المتعلقة به لتشمل تركيبها الكيميائى ، وصفاتها ، وخواصها المميزة ، ومواطن استخراجها ، وطرق صقلها ، وتقدير أثمانها ، ومدى إمكان استخدامها فى علم الصيدلة ، إلى غير ذلك من الفوائد الجمة[٤] .

واعتمد علماء المسلمين التجربة فى كثير من دراساتهم للمعادن والجواهر والأحجار الكريمة ، وفى تمييز دخيلها من أصيلها . ويبدو أن قيمة الجواهر المادية واهتمام عِلْية القوم باقتنائها كان وراء الجدية فى إجراء التجارب التى تميز أصيل الجواهر من أشباهها . ويأتى هذا الرأى منسجما مع الرغبة المتزايدة لدى الأثرياء فى اقتناء الحجارة النفيسة والتزين بها ، وموافقا لروح البذخ والترف التى سادت مجتمعات المسلمين فى عصر الازدهار الحضارى إبان القرنين الرابع والخامس الهجريـين . فقد أصبحت هذه الحجارة ـ فى عهد تميز بنمو الحركة التجارية وقوتها ـ بديلا مهماً لأنواع العملات المعدنية ، فهى أكثر قيمة وأخف حملا[٥] .

ويدلنا على أصالة المنهج التجريبى فى هذا المجال ماجاء على لسان البيرونى فى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » حيث يقول نقلا عن الكندى : «... وذكر الكندى أنه اشترى كيسا فيه حُصيَّات مجلوبة من أرض الهند غير مصلحة بالنار . وأنه أحمى بعضها فجاد صبغ أحمرها . وكان فيهما قطعتان إحداهما شديدة السواد يلوح من شفافها فى النور حمرة خفية والأخرى تشف بصبغ أقل . وأنه نفخ عليهما فى البوطقة مدة ينسبك فيها خمسون مثقالا من الذهب ، وأخرجهما منها لما بردتا وقد نقى أقلها صبغا وقد قارب الوردى قليلا ، وأما المظلم فإنه انسلخ اللون عنه حتى بقى كالبلور السرنديبى . وامتحنه فكان أرخى من الياقوت . ومن أجل هذا يُزيل الإحْماءُ عن أحمره ماعسى أن يمازجه من سائر الألوان فيصفو منها . قال : ومتى أزال الحمرة دَلَّ على أن المحمى ليس بياقوت ». ويؤدى تحليل هذا النص إلى معرفة تسلسل خطوات البحث التجريبى على النحو التالى[٦] :ـ

(أ) تمييز حصيات الياقوت بلونها الأحمر بعد الإحماء بالنار .

(ب) التعرف على إحدى الحُصَيَّتَيْن بعد النفخ والإحماء فى « البوطقة » بثبات اللون .

---

(٤) عرف الحاجى خليفة فى كتابه «كشف الظنون » علم الجواهر بقوله : « هو علم يبحث عن كيفية الجواهر المعدنية البرية كالألماس والياقوت ، والبحرية كالدر والمرجان وغير ذلك . ومعرفة جيدها من رديها بعلامات تخص كل نوع منها ومعرفة خواص كل منها وغايته وغرضه » راجع : كتاب الجواهر وصفاتها ، وفى أى بلد هى ، وصفة الغواصين والتجار . تأليف يحيى بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣ هـ ـ ٨٥٧ م ، حققه وعلق عليه الدكتور عماد عبد السلام رءوف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ ، ص ٤.

(٥) كتاب الجواهر وصفاتها ، المرجع السابق ، ص ٥ .

(٦) د . عبد القادر عابد ، المعادن (الجواهر والأحجار) فى التراث العربى الإسلامى ، ندوة التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية ، طرابلس ليبيا ، ديسمبر ١٩٩٠ .

(جـ) تجريب قساوة تلك التى زال لونها وأصبحت كالبللور ، وملاحظة انها ألْيَنُ من الياقوت وتعد من البللور (أى الكوارتز) .

(د) استنتاج قاعدة علمية بالاستقراء مؤداها أنه « إذا زال اللون بالإحماء لم يكن المُحْمَى من جنس المعدن صاحب اللـون الأصيل » .

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث المعاصر يمكنه الآن أن يتعرف بسهولة على أى معدن باستخدام العديد من الوسائل التقنية المتقدمة كأجهزة التحليل الكيميائى والمجاهر وأدوات الفحص والقياس المتنوعة . وهذا يبين مدى الصعوبة التى واجهت علماء المسلمين فى التعرف على المعادن المختلفة عن طريق خصائصها الفيزيائية فقط ومحاولة قياس بعضها وتقديره كميا . ويكفى أن نشير هنا بإيجاز إلى اثنتين من هذه الخصائص لأهميتهما القصوى فى دراسة المعادن .

أمـا الخصيصة الأولى فتعـرف باسم « الصلابة » Hardness وهى تحدد درجة تماسك المعدن وقدرته على خَدْش معدن آخر ، ويمكن الحصول على قيمة عددية لصلابة المعدن باستخدام مقياس الصلابة المنسوب للعالم الأوروبى « موه » Mohs scale[(٧)] والذى يتكون من عشرة معادن كان أصلبها الماس (رقم ١٠) وأقلها صلابة التلك (رقم ١) ، ويحتل الياقوت (واسمه العلمى الكوراندم Corundum . الرتبة التالية للماس (أى رقم ٩) .

وقد فرق علماء المسلمين بين العديد من المعادن على أساس صلابتها قبل أن يضع « موه » مقياسه بعدة قرون . ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول البيرونى فى وصف صلابة الماس والياقوت : « إنما قدمت ذكر الماس على ما ذكر مما بقى من مثمنة الجواهر التى لها الرياسة اعنى اللؤلؤ والزمرد ، لأنه فاعل فى الياقوت الفاعل فيما دونه وغير منفعل بشىء فوقه ولا متأثر مما دونه .. والمناسبة بينه وبين الياقوت أقرب المناسبات بالرزانة والصلابة ... »[(٨)] .

المعدن	قيم البيرونى	القيم المعروفة حاليا
الذهب	١٩,٢٦	١٩,٢٦
الزئبق	١٣,٤٩	١٣,٥٩
الرصاص	١١,٤٤	١١,٤٥-١١,٣٩
الفضة	١٠,٣٨	١٠,٤٧-١٠,٤٣
النحاس الأصفر	٨,٥٨	٨,٤
النحاس الأحمر	٨,٦٨	٨,٧٣-٨,٦٧
القصدير	٧,١٥	٧,٢٩١
الحديد	٧,٩٢	٧,٧٩-٧,٦
الياقوت الأحمر	٤,٠١	٤,٤-٣,٩٩
الكوارتز	٢,٥٨	٢,٥٨

وبهذا أثبت البيرونى بطريقة عملية أن الماس أصلب المعادن ويليه الياقوت الذى هو حجر كريم تابع لمعدن الكوراندم .

والخاصية الثانية التى نشير إلى أهميتها هنا فى تحديد نوع المعدن هى خاصية « الوزن

(٧) يستعين العلماء حاليا بمقياس الصلابة هذا لمعرفة صلابة اى معدن مجهول . وتقدر صلابة ظفر الإنسان بحوالى ٢,٥ وصلابة قطعة النقود النحاسية بحوالى ٣ وصلابة قطعة من الزجاج بحوالى ٥,٥ . فالجبس الذى تقدر صلابته على المقياس بحوالى ٢ يمكن خدشه بواسطة الظفر بسهولة ، بينما معدن الكالسيت الذى صلابته ٣ يخدش الظفر ولا يخدش الزجاج . أما الكوارتز وهو أكثر المعادن الشائعة صلابة فإنه يخدش الزجاج بسهولة .

(٨) عن د . عبد القادر عابد ، مرجع سابق .

فى التراث الإسلامى

النوعى «Specific gravity» التى يعبر عنها كميا بعدد يمثل نسبة وزن حجم معين من المعدن إلى وزن حجم مساو له من الماء . فنقول ، على سبيل المثال ، إن الوزن النوعى لمعدن ما ، يساوى ٣ إذا كان وزن قطعة من هذا المعدن يساوى ثلاثة أضعاف وزن حجم من الماء مساو لحجمها . وقد عرف علماء الحضارة الإسلامية خاصية الوزن النوعى للمواد الصلبة والسائلة وعينوها لمواد كثيرة بدقة تطابق تقديرات علماء العصر الحاضر بالرغم من اختلاف المستوى التقنى للآلات والأجهزة التى استعملت فى هذين العصرين . ويأتى أبو الريحان البيرونى فى مقدمة هؤلاء العلماء الذين طوروا جهازا لقياس الوزن النوعى للمعادن وللتمييز بينها على أساس التقدير الكمى لهذه الخاصية الفيزيائية ، ويوضح الجدول مقارنة بين قيم الوزن النوعى التى حصل عليها البيرونى لبعض المعادن وبين القيم المعروفة لها حاليا .

التعدين والتنقيب عن المعادن

يزخر تراثنا العلمي بالكثير من المؤلفات التى تؤكد الدور الرائد لعلماء المسلمين فى دراسة المعادن وتعدينها والتنقيب عنها . فقد تناول البيرونى ، على سبيل المثال ، العديد من المعادن بالفحص والتحليل ، موضحا مناطق وجودها وكيفية استخراجها من مناجمها وخواصها وفوائدها ومايوجد معها من أخلاط وشوائب ، وغير ذلك مما يدخل الآن فى مجالات علم التعدين الفيزيائية والجيولوجية . كما جمع ابن حوقل الكثير من المعلومات الخاصة بعلوم المعادن والتعدين فى «كتاب المسالك والممالك» ، وتكلم عن استخراج الرخام من «تبريز» ، والكحل من «أصفهان» ، والرصاص من «فرغانه» و«كرمان» ، والكبريت من «سوريا» و«فلسطين» ، والنفط من «باكو» ، والملح من «عبدان» ، والياقوت والزمرد والعقيق من «مصر» و«خراسان» و«جنوب شبه الجزيرة العربية» .

ويقول التيفاشى[٩] عن تعدين الزمرد الموجود خلف أسوان بمصر : «... فيخرج منها الزمرد قطعا صغارا كالحصباء منبثة فى تراب المعدن . وأخبرنى رأس المعدّنين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن أن أول مايظهر من معدن الزمرد شىء يسمونه الطلق ... ثم يحفر فتجد طلقا هشا فيه الزمرد فى تربة حمراء لينة .. وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع وهو جيده . وأما صغيره فإنه يوجد فى التراب بالنخل . وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة ...» .

ويعتبر الحسن بن أحمد الهمدانى من أفضل الذين كتبوا فى علم المعادن والتعدين ، فقد سرد فى «كتاب الجوهرتين العتيقتين» مناجم الذهب والفضة المعروفة فى جزيرة العرب وبلاد الأعاجم وأرض النوبة والحبشة ، واهتم بوصف مناجم اليمن وتهامة ونجد . وبفضل هذه المعلومات الهامة تمكنت بعثة للمسح الجيوفيزيائى من

(٩) أحمد بن يوسف التيفاشى ، أزهار الأفكار فى خواص الأحجار ، تحقيق د . محمد يوسف حسن ود . محمد بسيونى خفاجى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

الكشف حديثا عن العديد من المناجم الهامة فى أرض اليمن ، وتجرى حاليا دراسات تقديرية للجدوى الاقتصادية لهذه المناجم ، خصوصا بعد التأكد من توافر خامات الزنك والحديد والرصاص إلى جانب الفضة بكميات تجارية[١٠] وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على الأهمية المتزايدة للدراسات التراثية فى الحياة المعاصرة .

كذلك خصص الهمدانى من كتاب الجوهرتين العتيقتين جزءا كبيرا لشرح عملية تعدين الذهب والفضة من جميع النواحى النظرية والعملية والتقنية ، ابتداء من الحصول على الخام من منجمه وانتهاء بصب قوالب الذهب أو الفضة الخالصتين وإيضاح استخدامهما فى صناعة الحلى وترصيع التيجان وتزيين صفحات القرآن الكريم وغيرها . كذلك قدم وصفا تفصيليا لعملية الطبخ وعملية التملغم وعمليات الاتحاد الكيميائى لفصل الشوائب وخواص الأجهزة والأدوات المستخدمة وطرق تصنيعها أو تركيبها ، واستخدم الميزان فى التقديرات الكمية[١١] .

وأخيراً ، فهذا قليل من كثير مما يزخر به التراث العلمى الإسلامى فى مجال العلوم الكونية ، وما أحوجنا اليوم إلى أن نتخذ من أسلافنا القدوة والمثل فى حب العلم والحرص على طلبه والتفانى من أجله ، حتى ننقذ أمتنا الإسلامية من التخلف الذى ركدت فيه زمنا طويلا ، وندفعها لتستعيد مكانتها فى ركب الحضارة التى حملت لواءها من قبل قرونا عديدة .

---

(١٠) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ .

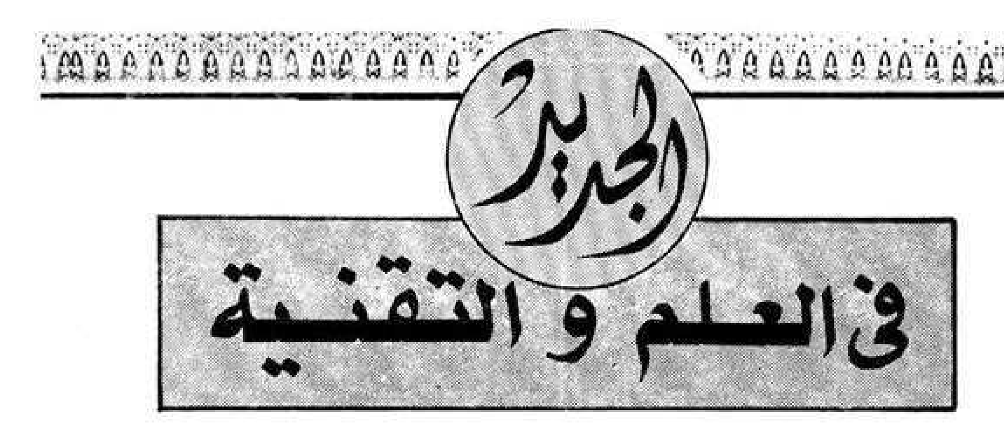
(١١) الحسن بن أحمد الهمدانى ، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) ، إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبى ، من التراث اليمنى الإسلامى (بدون تاريخ) .

تصويب

فى عدد رجب ١٤١١هـ - وفى ص ٧٢٩ فى النهر الثانى السطر الرابع سقطت كلمة (فقط) من قوله : ليس لأنه مكان عبادة .

وصحة العبارة : ليس لأنه مكان عبادة فقط .. إلخ

نأمل التصحيح .



د. نجوى السيد أحمد *

١ ـ اكتشاف مَجرَّة جديدة فى الفضاء الكونى

اكتشف علماء مركز الفلك التابع لمؤسسة العلوم القومية الأمريكية سحابة هائلة من غاز الهيدروجين فى الفضاء الكونى يعتقدون أنها قد تتحول إلى مجرة جديدة. ويبدو أن هذا الاكتشاف هو أول دليل قوى على أن مجرات جديدة ربما لا تزال تتشكل فى الكون.

٢ ـ أحدث تصنيف للنباتات حسب فوائدها الصحية

تم تقسيم النباتات التى تنمو فى البيئة المصرية بقسم العلوم الصيدلية بالمركز القومى للبحوث إلى عدة أقسام منها:

* نباتات تخفض ضغط الدم مثل: (المانجو) و (الكركديه) و (الخلة البرية).
* نباتات تخفض نسبة السكر فى الدم مثل: (الكرنب) و (البصل) و (الكزبرة) و (الكرفس).
* نباتات طاردة للديدان المعوية مثل: (الشُمر) و (الثوم) و (الترمس) و (التليو).
* نباتات مضادة للتقلصات المعوية مثل: (الحلبة) و (الكراوية) و (البقدونس) و (الجزر الأحمر).
* نباتات لها تأثير ملين مثل: (التمر هندى) و (الترمس) و (الخبيزة) و (البلح).
* نباتات منشطة لعضلة القلب مثل: (الملوخية).
* نباتات لها تأثير مضاد حيوى مثل: (الكرنب) و (الثوم) و (الكركريه) و (الكافور).
* نباتات لها تأثير علاجى للأورام مثل: (الحنة) و (الكركديه).

٣ ـ التليفزيون وأثره على الأعصاب

أكدت دراسة إحصائية استغرقت ثلاثة عشر عاماً أن للتليفزيون تأثيراً سلبياً على الإنسان إذ يجعله متوتراً غير قادر على التركيز. وشملت الدراسة بجامعة شيكاغو ١٢٠٠ شخص تتراوح أعمارهم بين ١٠ و٨٢ عاماً طلب من كل منهم حمل جهاز اليكترونى صغير فى حجم الجيب يسجل جميع نشاطاته وحالاته النفسية خلال فترات مختلفة على مدار اليوم. وقد ثبت أن الجلوس امام التليفزيون خاصة لفترات زمنية طويلة يترك الإنسان فى حالة نفسية اسوأ من تلك التى كان عليها قبل المشاهدة.

(*) الكاتبة باحثة بالمركز القومى للبحوث.

٤ - ثورة فى تقنية الحاسبات الالكترونية

قامت شركة بريطانية بصنع أحدث جهاز كمبيوتر للخدمات Computing Service يستطيع أن يتعامل مع ١٢٠٠ مليون معلومة فى الثانية الواحدة .. ويتميز بأنه لا يحتاج تشغيله إلا لقدر طفيف من الطاقة ، كما أن تكاليفه قليلة نسبياً وحجمه لا يزيد على حجم التليفزيون . وهذا النوع من الأداء لا يمكن أن يحققه إلا أكبر الحاسبات العملاقة .

٥ - اول محاولة لاستخراج الطاقة الحرارية من باطن الأرض

بدأ فريق من الجيولوجيين حديثاً بحفر بئر استكشافية فى المنطقة الناشطة زلزاليا فى وسط كاليفورنيا ، وسيستمر الحفر لمدة اربع سنوات لتكون هذه البئر أول محاولة لاستخراج الطاقة الحرارية من تحت سطح الأرض ، حيث إن هناك على بعد بضعة أميال تحت سطح الأرض مصدراً للطاقة ، الا وهو حرارة الطبقة الجيولوجية المسماة (بالغلاف الحجرى) او (الوشاح الأرضى) .

٦ - فطر البينيسيلين يؤثر على خصوبة التربة الزراعية

استطاع الباحثون فى كندا أن يعزلوا نوعاً من « البينيسيلين » باسم « بينيسيلوم » بيلاجى » (Bilaji) يتولد بصورة طبيعية ويتميز بجعل الفوسفات قابلاً للحل كى يسهل على الجذور امتصاصه . ولذا يمكن لفطر « البينيسيلين » ذى الصلة بزغب العفن الأخضر الذى ينمو على الثمر أن يخفض مقدار المخصبات التى يستخدمها المزارعون بنسبة ٩٠٪ . وفى الوقت الحاضر يجرى الإعداد لإجراء تجارب إضافية فى الولايات المتحدة وأوروبا ، حتى إذا ما نجحت هذه التجارب أمكن لهذا الفطر أن يحتل مكانه كإنتاج زراعى خلال بضع سنوات .

٧ - ثلاجة تعمل باشعة الشمس

تمكن الفرنسيون من اختراع ثلاجة تعمل بواسطة الفحم الخشبى والميثانول واشعة الشمس دون أن تحتوى على اية قطعة متحركة ميكانيكياً . تبدأ دورة التبريد ليلاً ، حيث يتدفق الميثانول من مستودعه إلى حيز مجاور مملوء بالفحم . ويؤدى تفاعل المادتين إلى تبخر الميثانول وحدوث انخفاض فى درجة الحرارة إلى الحد الذى يسمح بتجمد الماء . ويرى مصممو هذه الثلاجة أنها تتميز بسهولة إعادة شحنها خلال ساعات النهار عندما تسخن اللوحات الشمسية الفحم ويعود الميثانول إلى مستودعه .

يتوقع أن تكون للثلاجة الجديدة جاذبية خاصة بالنسبة للمقيمين فى مناطق نائية حيث يصعب الحصول على مصدر كهربى أو يندر وجود عمال الصيانة والتصليح .

٨ - نسيج شبكى متعدد الاغراض

اخترع الفرنسيون آلة تنسج شبكة مستمرة من الألياف الصناعية لا كنسيج عادى بل كنسيج أرضى Geotextile متماسك بما يكفى للحلول محل الأسمنت فى رصف الطرق السريعة ونافذاً للماء بما يكفى لاستعماله فى الأراضى المزروعة بالأعشاب والشجيرات . ويتوقع العلماء إمكانية استخدام هذا النسيج الشبكى فى أساسات الأبنية حيث يساهم فى تجنيبها صدمات الهزات الأرضية والرياح والارتجاج الميكانيكى .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أخى ..

لا ترض قول امرىء حتى ترضى فعله ، ولا ترض فعله حتى ترضى عقله ، ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه ، فإن ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم ، فإذا قوى الحياء قوى الكرم وإذا ضعف الحياء قوى اللؤم .

وفى هذا يقول الشاعر بشار بن برد :

وَأَعْرِضُ عن مطاعم قد أراها
فأتركها وفى بطنى انطواء
فلا وأبيك ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يبلغ الرجل ذروة الكمال:

إذا اتقى مَنْ خَلَقَه ، وجاد بما رزقه ، واختار من القول أصدَقَهُ ، وحَسُنَ فى كل الأحوال خُلُقُه .

الأعرابيان

خرج أعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى ، فأقام بها مدة طويلة ، فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه أعرابى من حَيِّهِ فَقَدَّمَ إليه الطعامَ ، وكان إذ ذاك جائعا فسأله عن أهله .

قائلاً : ما حال ابنى عمير ؟

قال : على ما تحب قد ملأ الأرض والحىَّ رجالا ونساء .

قال : فما حال أم عمير ؟

قال : صالحة أيضا .

قال : فما حال الدار ؟

قال : عامرة بأهلها .

قال : وكلبنا « إيقاع » ؟

قال : قد ملأ الحىَّ نبحا .

قال : فما حال جملى « زريق » ؟

قال : على ما يسرك .

قال : فالتفت إلى خادمه .

وقال : ارفع الطعام ، فرفعه ولم يشبع الأعرابى،ثم أقبل عليه يسأله .

قائلاً : يامبارك الناصية أعد علىَّ ما ذكرت .

قال : سل عما بدا لك ؟

قال : فما حال كلبى « إيقاع » ؟

قال : مات .

قال : وما الذى أماته ؟

قال : اختنق بعظمة من عظام جملك « زريق » فمات .

قال : أو مات جملى « زريق » ؟

قال : نعم .

قال : وما الذى أماته ؟

قال : كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير .

قال : أو ماتت أم عمير ؟

قال : نعم .
قال : وما الذى أماتها ؟
قال : كثرة بكائها على عمير .
قال : أو مات عمير ؟
قال : نعم .
قال : وما الذى أماته ؟
قال : سقطت عليه الدار .
قال : أو سقطت الدار ؟
قال : نعم .
فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا .

حقيقــة

إذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأتمنه ، وأساء به الظن من كان يحسنه ، فإذا أذنب غيره نسب إليه ، ومن كان له صار عليه .

نعــم

المـرء بفضيلته لا بفصيلتـه ، وبكمـالـه لا بجماله ، وبآدابه لا بثيابه .

من صفات الليل

قال بعض الأدباء لابنه : يابنى اجعل نظرك فى العلم ليلا ، فإن القلب فى الصدر كالطير ينتشر بالنهار،ويعود إلى وكره بالليل .
فهو فى الليل ساكن ما أَلْقَيْتَ إليه من شىء وعاه .
وقال بعضهم : فى الليل تَجُمُّ الأذهان ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتَدُرُّ الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، والليل أحرى فى مذهب الفكر ، وأخفى لعمل البرِّ ، وأعون على صدقة السرِّ ، وأصح لتلاوة الذكر .

نصيحة مردودة

دخل أبو حازم المسجد فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك فقال له : وقد بلغ هذا من نصحك !!

ما أحلاك وما أملحك

قالت امرأة خالد بن صفوان له يوما : ما أجملك ! قال : ما تقولين ذاك ، وما لى عمود الجمال ولا علىَّ رداؤه ، ولابرنسه !!
[« البرنس » : قلنسوه طويلة كانت تلبس فى صدر الإسلام ، وهو ـ أيضا ـ كل ثوب رأسه ملتزق به .]
قالت : أريد توضيحا ما عمود الجمال ، وما رداؤه ، ومابرنسه ؟
قال : أما عمود الجمال فطول القوام وفىَّ قِصَرٌ وأما رداؤه فالبياض ولستُ بأبيض .
وأما برنسه فسواد الشعر وأنا أصلع .
ولكن لو قلت : ما أحلاك ، وما أملحك كان أولى .

دعــاء

« اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد » .

الدين والأخلاق

لصاحب الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى

إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

من الفضائل التى دعا إليها الإسلام : الحث على مكارم الأخلاق . ومكارم الأخلاق التى دعا إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلمها للإنسانية تتجلى فى حسن المعاشرة ، ولين الجانب ، وبذل المعروف ، وإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وعيادة المريض ، وحسن الجوار ، وتوقير الكبير ، والإصلاح بين الناس ، وكظم الغيظ واجتناب المنكر والبعد عن الغيبة ، ونبذ النميمة ، وعدم الكذب ، ومقاومة الشح والجفاء ، وَنَهْىٍ عن الخديعة ، وقطيعة الرحم ، وسوء الخلق ، والتكبر والعدوان والظلم .

قال الكاتب - رحمه الله - :

[الدين والأخلاق :]

كلاهما يهدف لبيان الخير ويهدى إليه ، ويُعنى ببيان الشر وتبغيضه إلينا . والأخلاق كما تقول المعاجم ، والكتب العلمية التى تبحث فى هذا الفرع من فروع الفلسفة ، هى مجموعة القواعد التى بها نعمل الخير ، ونتجنب الشر . أو مجموعة قواعد السيرة الطيبة المحمودة ، القواعد التى يقبلها الناس عامة فى كل عصر وزمان .

فإذا كان الأمر كذلك ، كان من الطبيعى أن تكون صلة قوية بين الدين والأخلاق ، بل كان من الطبيعى أن تكون الأخلاق تابعة للدين . وهذا حقاً ، ما يعرفه تاريخ الفكر فى القديم والحديث .

نرى هذه الصلة الوثيقة فيما نعرف من تفكير قدماء المصريين والهنود والفرس ، وفيما نعرف عن المفكرين أتباع الديانات الوحيية : اليهودية والمسيحية والإسلام ، ذلك بأن الغاية من الدين ، وبخاصة ما كان سماوياً منه ، إصلاح الإنسان والإنسانية ؛ وليست الأخلاق إلا هذا .

كان المصريون القدامى كما نعرف ، يدينون

(*) المراد : الدين عامة ، والأخلاق عامة ، أى جنس كل منهما .

بحياة أخرى ، يسأل فيها المرء عما عمل فى حياته الأولى . فكان من هذا : حرصهم على أن يكونوا أخياراً .

ولدى الهنود ، نرى أن عقيدتهم فى خلود الروح والتناسخ ، ووحدة الوجود ، قد استتبعت أخلاقاً تقوم على الإعراض عن الدنيا وطيباتها ، وعلى رياضة النفس بالزهد والتأمل فى عزلة وسكون .

وفى فارس موطن دين « زرادُشت » الذى يقوم على الاعتقاد بإلهين : إله للخير ، وإله للشر ، نجد مذهباً فى الأخلاق أساسه ، أن فى الإنسان صراعاً دائماً بين مبدأين : مبدأ النور والخير ومبدأ الظلام والشر . ومن ذلك أن على الإنسان أن يعمل على نصرة مبدأ الخير ، وذلك باتباعه سبيل الفضيلة

هذا فى الديانات الوضعية الفلسفية ، والأمر فى الديانات السماوية أوضح من أن نحتاج للحديث فيه . فى كتب هذه الديانات : اليهودية والمسيحية والإسلام ، نرى صلة الأخلاق وثيقة جداً بالدين ، بل نجد الأخلاق جزءاً من الدين ، وليس فى هذا شىء من العجب .

إن الله العليم الحكيم هو الذى أرسل رسل هذه الأديان كلها مبشرين ومنذرين ، هادين بوحيه إلى الصراط المستقيم ، مرشدين الناس إلى سعادة الآخرة والأولى . وهذه السعادة تكون بالعقيدة الحقة الصالحة ، كما تكون بالأخلاق الطيبة المحمودة ، وبهذا كله نزل الوحى وجاء الشرع .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن أخلاق هذه الديانات تقوم على الترغيب والترهيب ، على الترغيب فى الخير بما وعدت من الثواب عليه ، وعلى الترهيب من الشر بما رتبت عليه من عقاب . ولم تر أن تدعو للخير ببيان ما فيه من حسن وجمال ولياقة بكرامة الإنسان والإنسانية ، ولا أن تبغض فى الشر بيان ما هو عليه من قبح فى نفسه وتناف لكرامة الإنسان كإنسان .

كما من الضرورى أيضاً الإشارة إلى ما لوحظ من أن كثيراً من الملحدين ، الذين لا يؤمنون بإله خالق ولا بحياة أخرى يكون فيها الجزاء على أخلاق فاضلة ، وخلال محمودة من الناحية الاجتماعية . بينما كثير من المؤمنين بهذا الدين السماوى أو ذلك ، لا يعرفون من الخير إلا اسمه ، ولا تتفق أعمالهم مع أقوالهم وعقيدتهم الدينية .

ولعل هذه الملاحظة وتلك ، هو مادعا بعض الفلاسفة والمفكرين المحدثين إلى محاولة فصل الأخلاق عن الدين ؛ وذلك بتعليل أحكامها عقلياً ، والبحث عن أسباب أو مبادىء أخرى تدفع للخير وتحبب فيه وتبعد عن الشر وتجعله بغيضاً ، دون حاجة للجوء للدين وما يرتبه من جزاء على الخير والشر ، وبذلك يؤمن بالأخلاق المتدين والملحد على السواء .

* * *

وإن أصحاب هذا الرأى ، أو إن رجال هذه المدرسة وعلى رأسهم « إميل دوركايم » الفيلسوف الفرنسى المعروف ، يقولون بأن من الممكن فصل الأخلاق عن الدين ، وجعلها عقلية فى مبادئها ووسائلها ؛ كما يرون بأن هذا من الخير ؛ إذ يعين على الوصول للغرض الذى تهدف إليه الأخلاق .

إنهم يرون بأن كون هذا العمل خيراً والآخر شراً ، ليس إلا حقائق لها وجود ، وكل ما كان كذلك يجب أن يكون من الممكن تفسيره بالعقل وحده دون حاجة للجوء للدين أو فلسفة ما بعد الطبيعة . ولم تعد قدرة العقل على تفسير كل حقيقة من هذا الضرب أو غيره موضع شك أو عجب ، بعد ما رأينا من تقدم علوم الطبيعة

■ من روائع الماضى فى مجلة الأزهر

الـــديـن والأخــــــلاق

والحياة والنفس ، هذا التقدم الذى فهم به الإنسان الكون ، ودانت له عناصر الوجود أو كادت !

فإذا كان الأمر هكذا فى غير الأخلاق ، فلماذا لا يكون كذلك فى الأخلاق !؟ ولم نحتاج - فى رأى دُوركايم - فى سبيل تثبيت الأخلاق فى العقول والطباع ، أن نلجأ إلى طرق يعز على العقل إدراكها ، أن نلجأ إلى الدين أو ما بعد الطبيعة !

على أنه لا يصح فى سبيل جعل الأخلاق عقلية أن نحذف منها كل ما جاء عن الدين ، وإلا صارت أخلاقاً هزيلة ليس لها من أساس ، إن الواجب أن نبحث المبادىء الأخلاقية التى جاءت عن السماء ، وأن نحدد بعد هذا طبيعتها الخاصة ، وأن نعبر عن هذه المبادىء بلغة علمية عقلية .

ثم للأخلاق طابع قدسى خاص ، طابع إلزامى لا يمكن عدم الاعتراف به أو الخروج عنه ، حتى أنه قد يُقبل أن يلحد المرء فى دائرة العلم فلا يؤمن ببعض حقائقه ، ولكن لا يُقبل بحال أن يلحد فى الأخلاق . وهذا الطابع هو ما يجعل للأخلاق قوتها وأثرها الكبير على المعلم والمتعلم معا .

هذا الطابع يجب إذاً الاحتفاظ به - ولكن فيما يقول دوركايم - ليس من الضرورى رده للدين أو لمبادىء مما فوق الطبيعة ، بل من الممكن تفسيره عقلياً فى سهولة ويسر . وقد يمكن هذا التفسير بإسناده إلى ما يجب للإنسان والجماعة من كرامة وتقديس ، وذلك يجعل ما يتصل بهما من الناحية العملية مقدساً كذلك .

ونتيجة ذلك كله ، أن يكون فى الإمكان أن نغرس فى الطباع حب الخير لأنه جميل فى نفسه ، وكراهة الشر لأنه قبيح بغيض فى نفسه ، دون ضرورة للجوء للترغيب والترهيب . ومن مثل هذا المبدأ العام أن يفهم الإنسان أن من حقه وكرامته على نفسه أن يحترم ما فيه من إنسانية ، فلا يكذب ولا يكون جباناً مثلاً ، وأن يفهم كذلك أن من واجبه لغيره أن يحترم ما فيه من إنسانية فلا يغشه أو يخدعه ، وهكذا يمكن بهذا المبدأ أو ذاك غرس الخير وحب الفضيلة فى الطباع بعد أن يقتنع العقل تماماً أن ذلك جميل وحسن ومحبوب لذاته .

* * *

وأخيراً .. فإن فصل الأخلاق عن الدين لتكون علماً عقلياً ، أى اللجوء إلى العقل للتحبيب فى الخير والتنفير من الشر ، قد يكون له تأثيره الكبير على غير المؤمن بالدين ، الدين الذين يلجأ فى التحبيب إلى الفضيلة والتنفير من الرذيلة إلى الترغيب بالثواب والترهيب بالعقاب .

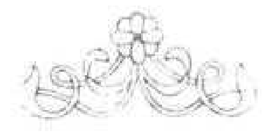
إلا أنه قد يلاحظ مع هذا أيضاً أن ربط الأخلاق بالدين لا يمنع الباحثين من جعلها علماً عقلياً ، وذلك بتفسير الأصول التى تستند إليها والمبادىء التى تقول بها تفسيراً عقلياً ، كما هو الشأن فى كل ما جاء به الدين من أحكام وتشريع .

إن القرآن كان حكيماً كل الحكمة بما أكد من ثواب وعقاب على عمل الخير والشر . ذلك ضرورى أول الأمر حتى يعتاد المرء عمل الخير وحتى يذوق حلاوته ؛ وحينئذ ليحله لنفسه ، وينتهى عن الشر لنفسه ، لا للثواب ولا للعقاب .

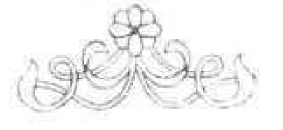
ثم حتى هذه الأيام ، لم يصل الفلاسفة والمفكرون فى هذه الناحية ، مع الرغبة وطول البحث ، إلى شىء آخر غير الدين يمكن أن تستند إليه الأخلاق ، ويكون له طابع القدسية والإلزام الذي نجده للدين ؛ هذا الطابع الذى هو جد ضرورى للأخلاق ، حتى فى رأى هؤلاء الفلاسفة الاجتماعيين العقليين .

اللغة والأدب والنقد

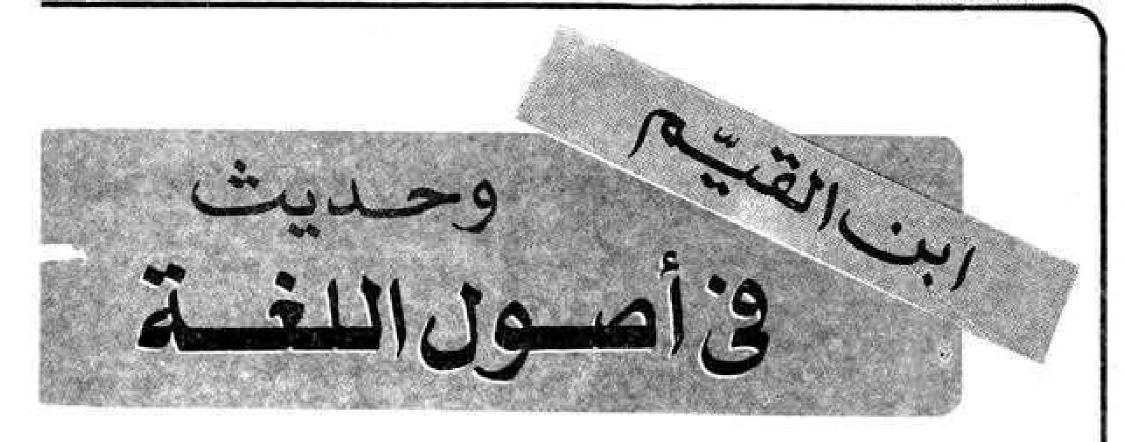
ابن القيم وحديث في أصول اللغة



القطامي وفخره بتقاليد البادية



نقد هادئ ورد أكثر هدوءا



للأستاذ الدكتور
توفيق محمد شاهين

لابن القيم ـ رحمه الله ـ معلومات قيمة عن اللغويات ، أغراني بتتبعها كتابه : « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة » وبخاصة ما يتعلق منها بـ « الصوتيات » فلم أجد البون شاسعاً ، ولا الفرق واسعاً بين معارفه وبين معارف المحدثين من « المختصين » في هذا الفن اليوم ، مع ملاحظة أن وسائل الأقدمين كانت بسيطة ، أو بدائية ، ومقدراتهم المادية للبحث والمعرفة نادرة إذا ما قورن ذلك بما هيىء من وسائل البحث الحديث اليوم من منجزات هائلة ودفع قوى وعون دائم يعين على الابتكار ، ومواصلة البحث والتجربة بتعقل ؛ لأن المحنة اليوم فى جهود ترفض التطور إطلاقاً ، وبين تطرف يفضى إلى شر العواقب ، فبقيت الوسطية العاقلة ..

ولسنا بهذه النظرة نقلل من قيمة الدراسات الحديثة ، ولا جهود القائمين بها ؛ فذلك أمر تتطلبه روح العصر ، وتعين عليه منجزات التكنولوجيا ، ويفتح آفاقا واسعة فى دنيا المعرفة والثقافة اليوم ، ويقتضيها طلبنا للرقى الحضارى فى شتى المجالات المعينة على النهوض .

وإنما قصدنا بهذه النظرة إبعاد شبح الانهزامية عن المسلم ، حتى يتمسك بتسلسل منطقى لإنشاء الحضارة ، بفكر القرآن والسنة واجتهادات أصيلة مبتكرة ، وتنقيتها مما تراكم حولها من سلبيات ، فتوحى بعد الغربلة الثقة فى نفس العربى والمسلم ، وينطلق من ضيق الأفق بسبب ماران عليه خلال عصور لم تكن فى صالحه ، ولا فى مقدوره أن يتخلص منها .. وعندما تبدأ ديناميكية الفكر عنده فى تنظيم

دورتها وتتابعها .. يوم أن ينهض من جديد بفكر وعمل خلاق ، يصل به ما بدأ به أجداده ، وما يوحيه إليه إسلامه ، وبدلا من التسول العلمى على موائد من نهضوا بمعارفنا ، سنصبح من جديد قبلة للعلم والعلماء .. وسيعلم أبناؤنا بالتالى أن بضاعتنا شرقت وغربت ، ولكنها ـ والحمد لله ـ عادت وردت إلينا .. فترد إلينا الروح وترجع لنا الثقة .

ففى هذا الجزئية التي نتناولها اليوم تتنوع جهود المؤلفين العصريين : منهم من يقتبس من جهود الأقدمين ، بغير ما إشارة إلى المرجع ، وبخاصة ما ألف فى العصور المتأخرة أو المظلمة كما نسميها .. وفى هذا ما فيه من الافتئات والغبن ، ولاعاصم منه إلا تحكيم الضمير ، والحس العلمى الحى .

وآخرون يؤلفون مقتدين بالغرب ومدارسه ، معجبين ومؤيدين ، ولا إشارة من قريب أو من بعيد ، لصنيع أجدادنا وعلمائنا القدامى ، ممن أفنوا عمرهم فى خدمة العربية والإسلام .. وهذا انسلاخ أو مسخ لا يرضاه عالم .. فإن كان الأمر جديداً فالعلم تركة موزعة بين أذكياء البشرية .. وإن أرسى علماؤنا قواعده ، وأسهموا فى إيجاده فأبسط حقوقهم أن يشار إلى عملهم ، وأن يشاد بفضلهم وجهدهم ، وتلك خلة محمودة : توحى بالثقة ، وتغرس الأمل ، وتغرى بمواصلة البحث والتقدم .

ولا يوافق عاقل أن تتوالى كتب الأبحاث اللغوية وما يتصل بها ، خلوا من الإشارة إلى ما قدمنا فى هذا المجال مما خلفه لنا تراثنا بدءا بالعبقرى الخليل بن أحمد ، ومروراً بالخالد (ابن جنى) وغيره من عباقرة العرب والمسلمين ..

ومن ثَمَّ فقد تهللت لبادرة الأستاذ الدكتور : أحمد مختار عمر فى كتابه (البحث اللغوى عند العرب) .. وحبذا لو توالت الأبحاث على هذا المنوال ترتكز على الأسس العتيقة وترفدها الدراسات الحديثة .. فيكون من هذا وذاك وقود النهضة الواعية الصاعدة ، بما يربطنا بماض مجيد أسهم فيه ابن القيم برسالته (أسباب حدوث الحروف) ، وابن جنى فى (سر الصناعة) ، وابن سنان الخفاجى فى (سر الفصاحة) ، وواكبهم علماء البلاغة والبيان .

يقول أستاذنا الشيخ إبراهيم محمد نجا ـ رحمه الله ـ :

.. وقد كان للعرب فضل كبير فى هذه المباحث الطبيعية (مباحث علوم اللغة) فأجروا التجارب التى مكنتهم من أن يستنبطوا على ضوئها حقائق كثيرة :

فقد ابتكروا كثيراً من الآلات الموسيقية ، كالأرغون ، والرق ، والطبلة ، والقيثارة ، والطنبور ، والعود .. إلخ .

ويقول أيضاً :

ومن هنا نستطيع أن نقول : إنه لا غنى لدارس (علم الأصوات) عن الإلمام بالمبادىء الطبيعية التى تساعده على التعرف على أعضاء النطق ، وعن الإلمام بالمبادىء الاجتماعية ؛ لتعرف الأسس التى قامت عليها دلالة الألفاظ : كدراسة النواحى الجغرافية ، والفلسفية والنفسية ..

والعرب هم أول أمة عنيت بهذه الدراسة ، هادفين إلى ضبط القرآن الكريم ، والاهتمام بتلاوته ، ولذلك أطلقوا على هذه الدراسة : (تجويد القرآن) .

فهذا اللون من الدراسة وإن أصبح له فى دنيا الغرب الشأن الكبير ، وأفردت له الأقسام وخصصت له المعامل ، وأجريت عليه التجارب .. إلا أن للعرب فى هذا الميدان فضل السبق .. ومن

ابـن القـيم

وحديث فى أصول اللغة

حقهم وواجبهم اللحاق بالركب : حفاظاً على لغة القرآن ، وبيان فضلها وميزاتها ، وتحقيقا لما جد ويجد من نفع فى دراسة هذا اللون فى ميادينه المختلفة ؛ لأن الإلغاء الفج كلية لمثل هذه الدراسة تخلف حضارى لا شك فى ذلك .. كما أن الاكتفاء بالقشور قصور علمى .. لا يغنى ولا يسمن من جوع .

وقد حسدنا الغرب على الأصول التى وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدى (٩٩ هـ) لعلم الموسيقى ، ولم يكن هاويا ولا محترفا .. ولم يضرب على آلة قط ..

كما قد حسدونا على اختراع علم (التجويد) ، وضبط الألفاظ وطريقة نطقها بما حفظ لنا وللأجيال من بعدنا الطريقة الصحيحة لنطق القرآن الكريم . كما انزله الله تعالى إلى نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ، وعلمنا بالتالى كيف ننطق اللغة العربية التى هى وعاء الوحى .

وهذه مقتطفات مما لاحظته فى كتاب (مفتاح دار السعادة) ، لابن القيم ـ رحمه الله ـ ، فى هذا الصدد ، أسوقها بتعليق خفيف ، واقارنها بسرعة بغيرها ، ليتبين الفضل والعلم .

كان ملحظ علمائنا الأوائل دينيا فى كل معارفهم ، بمعنى : أن الله تعالى كان قبلتهم فى كل شىء ، يقول الإمام ابن قيم الجوزية : (خلق ـ الله سبحانه ـ الأذن أحسن خلقة وأبلغها فى حصول المقصود منها ، فجعلها مجوفة كالصدفة لتجمع الصوت ، فتؤديه إلى الصماخ ، وليحس بدبيب الحيوان فيها ، فيبادر إلى إخراجه . وجعل فيها غضونا وتجاويف واعوجاجات تمسك الهواء والصوت الداخل فتكسر حدته ، ثم تؤديه إلى الصماخ ..

ويشير إلى حكمة الله تعالى فى أن جعل للإنسان حاستين وعضوين كالأذنين والعينين اللتين اقتضت الحكمة تعددهما : فإنه ربما أصيبت إحداهما أو عرضت لها آفة تمنعها من كمالها ، فتكون الأخرى سالمة فلا تتعطل منفعة هذا الحس جملة . وكان وجود أنفين فى الوجه شيئاً ظاهراً ، فنصب فيه أنفا واحدا ، وجعل فيه منفذين حجز بينهما بحاجز يجرى مجرى تعدد العينين والأذنين فى المنفعة وهو واحد ، فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين .

احدهما للصوت والنفس الواصل إلى الرئة ، والآخر ، للطعام والشراب وهو المرىء الواصل إلى المعدة ، وجعل بينهما حاجزاً يمنع عبور أحدهما فى طريق الآخر ، منعا للهلاك لو وصل الطعام من منفذ النفس .

وجعل داخل الأذن مستويا كهيئة الكوكب ؛ ليطرد فيه الصوت حتى ينتهى إلى السمع الداخلى وقد انكسرت حدة الهواء فلا ينكؤه .

فقد لحظ ابن القيم أن تجويف الأذن تكفل بحفظها حين نشعر بالخطر ، وأن التجاويف تمسك الهواء والصوت حتى يصل إلى الصماخ فى رفق .. وأن تكرار الأذن فيه جمال واحتياط ، وكذلك العينان .. وقام منفذ الأنف مقامهما بما تركب فيه من حاجز وفى الحلق منفذان يحجز بينهما ليقوم كل منهما بما نيط من مهمات حيوية ، وبما يضمن السلامة للإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم .

ويعمم ابن القيم فى حديثه ، ثم يخصص زيادة فى البيان : فيذكر ما أودع الله تعالى فى الرأس ـ كأشرف مكان فى الإنسان ـ وما أودعه الله فيه من آلات تعين على استمرارية الحياة من جهة ، وتعين على الاختيار والتذوق لتفضيل

المناسب والانيق ، ثم تؤدى بالتالى نعمة الكلام والبيان ، مع الإشارة إلى الاتصال بينها وبين بعضها فى تناسق وترابط يشير إلى قدرة الخالق والمنعم ، ويذكر العبد بنعم المتفضل سبحانه ..

ولأن اللسان أخطر الأعضاء من جهة وأجلها من ناحية أخرى ، وحتى فى تخصيص مكانه وستره ، فضلا عن لطافته وحاجته إلى الرطوبة لتأدية وظيفته المزدوجة على نحو مرض وفعال .. كان فى داخل الفم لا خارجه .. ثم ما أحيط به من أسنان وشفاه .. وكانت بدايته فى أقصاه لا فى طرفه .. وكيف كان اختلاف الحناجر معجزة فى عدم تشابه الأصوات ، مما أشبه اختلاف البصمات .. وكان اختلاف الأصوات سببا فى حفظ الحقوق والعدل حين أباح العلماء للأعمى الشهادة ؛ لأنه يميز بين الأصوات الأصوات المختلفة ، فلا تستعصى عليه الشهادة .. تمكينا للعدالة فى دنيا الإنسان ..

يقول - رحمه الله - فى معرض الرد على الدهريين ، والطبيعيين ، ممن نسميهم اليوم بالماديين والملحدين : (شق للعبد الفم فى أحسن موضع ، وأليقه به ، وأودع فيه من المنافع وآلات الذوق والكلام ، وآلات الطحن والقطع ما يبهر العقول عجائبه ، فأودعه اللسان الذى هو إحدى آياته الدالة عليه ، وجعله ترجمانا لملك الأعضاء ، مبينا ، مؤديا عنه ، كما جعل الأذن رسولا مؤديا مبلغاً إليه ، فهى رسوله وبريده الذى يؤدى إليه الأخبار . واللسان بريده ورسوله الذى يؤدى عنه ما يريد) .

وعن وظيفة اللسان ، ومكانه ومكانته ، وما أحيط به للحفظ والزينة والإعانة على اداء وظيفته ، يقول :

(واقتضت حكمته سبحانه ، ان جعل هذا الرسول مصونا محفوظا مستورا غير بارز مكشوف كالاذن والعين والأنف ؛ لأن تلك الأعضاء لما كانت تؤدى من الخارج إليه جعلت بارزة ظاهرة ، ولما كان اللسان مؤديا منه إلى الخارج جعل له ستراً مصونا لعدم الفائدة فى إبرازه ، لأنه لا يأخذ من الخارج إلى القلب ، وايضاً : فلأنه لما كان أشرف الأعضاء بعد القلب ، ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره .. ضرب عليه سرادق تستره وتصونه ، وجعل فى ذلك السرادق كالقلب فى الصدر .

وايضاً : فإنه من ألطف الأعضاء وألينها ، وأشدها رطوبة ، وهو لا يتصرف إلا بواسطة الرطوبة المحيطة به ؛ فلو كان بارزا صار عرضة للحرارة واليبوسة والنشاف المانع له من التصرف ، ولغير ذلك من الحكم والفوائد .

ثم زين سبحانه الفم بما فيه من الأسنان ، التى هى جمال له وزينة ، وبها قوام العبد وغذاؤه ... متناسقة الترتيب ، كأنها الدر المنظوم .. وأحاط - سبحانه - على ذلك حائطين ، وأودعهما من المنافع والحكم ما أودعهما ، وهما الشفتان ..وجعلهما إتماما لمخارج حروف الكلام ونهاية له . كما جعل أقصى الحلق بداية له ، واللسان وما جاوره وسطا ، ولهذا كان أكثر العمل فيها له ؛ إذ هو الواسطة .. وخلق سبحانه الحناجر مختلفة الأشكال فى الضيق والسعة ، والخشونة والملاسة ، والصلابة واللين ، والطول والقصر ، فاختلفت بذلك الأصوات أعظم اختلاف ، ولا يكاد يشتبه صوتان إلاّ نادراً . ولهذا كان الصحيح قبول شهادة الأعمى ؛ لتمييزه بين الأشخاص بأصواتهم ، كما يميز البصير بينهم بصورهم ، والاشتباه العارض بين الأصوات كالاشتباه العارض بين الصور .

ولو تأملنا براعة الإمام السكاكى فى توزيع الحروف الأبجدية بين أعضاء النطق ، فى رسم لا يختلف كثيراً عن رسومات المحدثين ، بما حباهم به العصر من منجزات التكنولوجيا المعاصرة .. لازداد إكبارنا لعلمائنا القدامى ،

ابن القيم

وحديث فى أصول اللغة

ولشعرنا بالتفوق .. واليوم إذا كان عصر التقدم التكنولوجى ـ على منجزاته الهائلة ـ عاجزا عن التشريح الدقيق وبيان الوظائف التفصيلية أو شبهها للمخ ، وكيفية عمله .. فلا عجب أن يشير الإمام ابن قيم الجوزية إشارات مقتضبة إلى هذا الجانب ، حين يقول :

(ومن عجائب خلقه : أنه جعل فى الرأس ثلاث خزائن نافذاً بعضها إلى بعض : خزانة فى مقدمه ، وخزانة فى وسطه ، وخزانة فى آخره ، وأودع تلك الخزائن من أسراره ما أودعها ، من الذكر ، والفكر ، والتعقل) .

ولذا نجد بعض العلماء المعاصرين ، يتعرض لأعضاء النطق بالدراسة التفصيلية ، ما عدا (المخ) ، ويصرح بأنه لن يتعرض له بشىء من التفصيل لدقة تشريحه ، فضلا عن أن التشريح لم يصل بعد لتعرف شأنه تعرفاً تاماً .

ويجعل ابن قيم الجوزية التفكر فى مكان يفضل العبادة ، لما ورد فى الآثار ، ولأن الفكرة مخ العقل ، وعبادة الصالحين ، ولذا صرف المتكبرون عن التفكر فى آيات الله : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ .. ويفرق بين التذكر والتفكر : بأن الأول يثبت فى القلب ما عرف بالتكرار ، والتفكر يكثر العلم ويستجلب ما ليس حاصلا : فالفكر يحصله ، والتذكر يحفظه ، ولهذا قال الحسن : (مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر ، وبالتفكر على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة) ، فالتفكر والتذكر بذار العلم ، وسقيه مطارحته ، ومذاكرته تلقيحه .. حتى يقرر أن أصل كل طاعة إنما هى الفكر ، وأصل كل معصية من جانب الفكرة حين يصادف الشيطان أرض القلب خالية فارغة ، فيبذر فيها حب الأفكار الردية .

ويتعرض الإمام ابن قيم الجوزية إلى الحديث عما فى داخل الإنسان مما لا نشاهده ، كالقلب والكبد والطحال والرئة .. ويتحدث عن بعض وظائفها ، مستدلا بذلك على عجائب خلق الله سبحانه ، ويجعل القلب ملكا يستعمل جميع آلات البدن ، وكلها خادمة له ؛ لأنه أشرفها ، وبه قوام الحياة ، والغرائز ، والصفات ، ولذا فالعين طليعته ورائده ، واللسان ترجمانه المؤدى للسمع ما فيه ، ومن ثم فكثيرا ما قرن المولى سبحانه الثلاثة ، كما فى قوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وبالجملة فسائر الأعضاء خدمه وجنوده ، وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسدُ ، ألا وهى القلب » .

ولله در الشاعر حيث يقول :

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره
ومن هو فوق العرش فرد موحد

ويذكر ابن قيم الجوزية الإنسان بمنافع أعضائه : ... **والعينان** ، للاهتداء والجمال والزينة والملاحة ، ورؤية ما فى السموات والأرض وعجائبهما ، **والفم** : للغذاء والجمال وغير ذلك . **والأنف** : للنفس ، وإخراج فضلات الدماغ ، وزينة الوجه . **واللسان** : **للبيان والترجمة عنك** . **والأذنان** : صاحبتا الأخبار تؤديانها إليك ، واللسان يبلغ عنك ..

وابن قيم الجوزية حريص على بيان حكمة الله

فى جعل الحواس الخمس للإنسان فى أشرف مكان ، يقول :

وانظر إلى الحواس التى منها تشرف على الأشياء ، كيف جعلها الله فى الرأس كالمصابيح فوق المنارة لتتمكن بها من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل فى الأعضاء التى تمتهن كـاليدين والرجلين ، فتعرض للآفات بمباشرة الأعمال والحركات .. وحتى تتمكن من اداء رسالتها بيسر : (كان الرأس اليق موضع بها واجملها : فالرأس صومعة الحواس) .

ثم يذكر الحكمة فى عدد الحواس ، فيقول :

جعل الحواس خمسا فى مقابلة المحسوسات الخمس ؛ ليلقى خمسا بخمس ، كى لا يبقى شىء من المحسوسات لا يناله بحاسة :

فجعل البصر فى مقابلة المبصرات ، والسمع فى مقابلة الأصوات ، والشم فى مقابلة أنواع الروائح المختلفات ، والذوق فى مقابلة الكيفيات المذوقات ، واللمس فى مقابلة الملموسات . فأى محسوس بقى بلا حاسة ؟ ولو كان فى المحسوسات شىء غير هذه لأعطاك له حاسة سادسة ..

ولما كان ما عداها إنما يدرك بالباطن أعطاك الحواس الباطنة ، وهى هذه الأخماس التى جرت عليها السنة العامة والخاصة ، حيث يقولون : المتفكر المتأمل ضرب اخماسه فى أسداسه : أى حواسه الخمس فى جهاته الست ، وأرادوا أنه جذبه القلب ، وسار به فى الأقطار والجهات حتى قلب حواسه الخمس فى جهاته الست ، وضربها فيها لشدة فكره .

فذكر الحواس الخمس الظاهرة ، ثم أشار إلى الحواس الباطنة ، وبذلك لا يستدرك عليه .

وهذه الحواس لا تعمل إلا بوسائط ووسائل ، تمكنها من أداء رسالتها ، لا شك فى ذلك ، يقول ابن قيم الجوزية :

ثم اعينت هذه الحواس بمخلوقات أخرى منفصلة عنها ، تكون واسعة فى إحساسها :

فأعينت حاسة البصر بالضياء والشعاع ، فلولاه لم ينتفع الناظر ببصره ، فلو منع الضياء والشعاع لم تنفع العين شيئا .

واعينت حاسة السمع بالهواء يحمل الأصوات فى الجو ، ثم يلقيها إلى الأذن فتحويه ، ثم تصله إلى القوة السامعة ، ولولا الهواء لم يسمع الرجل شيئا .

واعينت حاسة الشم بالنسيم اللطيف يحمل الرائحة ثم يؤديها إليها فتدركها ، فلولا هو لم تشم شيئا .

واعينت حاسة الذوق بالريق المتحلل فى الفم ، تدرك القوة الذائقة به طعوم الأشياء ، ولهذا لم يكن له طعم لا حلو ولا حامض ، ولا مالح ولا حريف ؛ لأنه كان يحيل تلك الطعوم إلى طعمه ولا يحصل به مقصوده .

واعينت حاسة اللمس بقوة جعلها الله فيها تدرك بها الملموسات ، ولم تحتج إلى شىء من خارجها ، بخلاف غيرها من الحواس . بل تدرك الملموسات بلا واسطة بينها وبينها ؛ لأنها إنما تدركها بالاجتماع والملامسة ، فلم تحتج إلى واسطة .

فذكر ضرورة الضياء لضرورة الإبصار ، وإلا لما تم المطلوب ، والهـواء ضرورى لحمل الأصوات . بينما النسيم العليل يمكن الشم من اداء مهمته ، وكان اللعاب فى الفم لإدراك المذوقات ، وترطيب اللسان بينما حاسة اللمس لها اكتفاء ذاتى حين تقوم بمهماتها .

القطامي

وفخره بتقاليد البادية

للأستاذ/ السيد حسن قرون

القطامي[1] ، لقب ، واسمه عُمَيْر بن شُيَيْم من قبيلة تغلب ، وجاءه لقب (القطامى) من قوله : يصكهن جانبا فجانبا صك (القطامى) القطا الغواربا .

وقد يلقب « صريع الغواني » لقوله :

صريع غوان راقهن وَرُقْنَه لدى شاب حتى شاب سود الذوائب

وهو شاعر إسلامى مجيد ومقل ، وكان نصرانيا وقيل اسلم ، وكان حسن التشبيب بالنساء رقيق الشعر فيهن ، روى له الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » شعراً فى وصف (حديث النساء الجميل) وهو قوله :

وفى الخدور غماماتٌ بَرُقْنَ لنا
حتى تصيدننا من كل مصطاد
فهن ينبذن من قول يصبن به
مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وذو الغلة الصادى هو العطشان .

قال ابن قتيبة (٢١٢ ـ ٢٧٦هـ) فى كتابه « الشعر والشعراء » فى حديثه عن القطامى إنه « كان يمدح زفر بن الحارث الكلابى وأسماء بن خارجة الفزارى » وكلاهما من « قيس عيلان » .

وقبيلة تغلب عدو لقبائل قيس ، ومن ثم كان مدح القطامى التغلبى لزفر القيسى يحتاج إلى تعليل ومعرفة السبب ، والسبب وقوع القطامى أسيراً فى يد القيسيين فأرادوا قتله فحال زُفَر بينهم وبينه ، من ثَمَّ كان مديح القطامى لزفر فى قصائد عدة .

وقد نشأت عداوة تغلب لقيس وقبائلها بعد

---

(١) القطامى : طائر له مخالب ومنقار طويل .

معركة « مرج راهط » وهى موقعة كانت بين (مروان بن الحكم) وجيشه المكون من ثلاثة عشر مقاتلاً ، وبين جيش (الضحاك بن قيس) ومعه (زفر بن الحارث) الكلابى وستون الف مقاتل وبالخديعة (طلب الهدنة من مروان والاستجابة له) .

أوقع مروان بالقيسية فهزمهم هزيمة منكرة ، فزعموا - والكلام لابن عبد ربه فى "العقد الفريد": أن رجالاً من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا جزعا على من أصيب من فرسان قيس ، فقتل من قيس يومئذ من كان يأخذ (شرف العطاء) ثمانون رجلا ، وقتل من سليم ستمائة ، وقتل لزفر بن الحارث ابنان يوم المرج ، وكأن تغلب كانت تنتظر هزيمة قيس لتعتدى عليها وتقتل ابناءها ، ولكن قيسا هزمت تغلب مرتين . المرة الأولى بقيادة (زفر بن الحارث الكلابى) ، وكانت بنواحى الجزيرة والموصل شمال العراق ، وكانت المعركة ليلا ، فلجأ التغلبيون إلى عبور دجلة لينجوا من القتل ، فكان ذلك أنكى وأشد ، فذكر أن من غرق فى دجلة اكثر ممن قتل بالسيف ، وان الدم فى دجلة كان قريبا من رمية سهم - كما يقول أبو الفرج الأصبهانى فى كتابه الأغانى ، وقد عيَّر جرير الأخطل بها قال :

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما
كانت عواقبه عليك وبالا

حملت عليك حماة قيس خيلها
شُعْثًا عوابس تحمل الأبطالا

مازلت تحسب كل شىء بعدهم
خيلا تُصب عليكم ورجالا

زُفَرُ الرئيس ابو الهذيل ابادكم
فسبى النساء واحرز الأموالا

كانت تلك الغزوة قبل سنة ٧٣هـ فلما قُتل عبد الله بن الزبير ، وهدأت الأحوال السياسية ، واجتمعت الأمة الإسلامية على عبد الملك بن مروان كانت الموقعة الثانية بقيادة الجحاف بن حكيم السلمى ، وهزيمة تغلب ، وكان سببها بيتا من الشعر انشده الأخطل امام الخليفة عبد الملك والجحاف حاضر والبيت هو :

الا سائل الجحاف هل هو ثائر
لقتلى اصيبت من سُلَيْم وعامر

وقد علق الخليفة على هذا البيت بقوله : إنه شؤم على تغلب ، فلما سمع الجحاف هذا الشعر خرج مغضبا فجمع جموعه من قبائل قيس فزحف على تغلب فى واد لهم يسمى « البشير » فقتلهم قتلا ذريعا ، وقتل ابنا للأخطل يقال له « أبو غياث » ولم يرض عن هذا المسلك عبد الملك وأراد عقاب الجحاف وجنده ، ولكن من حوله أشاروا عليه بدفع الجزية ، تتحملها قيس ، ولكن ولى العهد الوليد بن عبد الملك قام بجل الديات ،

ومع أن الجحاف عقب المجزرة فر إلى الروم إلا انه عاد واشترك فى دفع الديات ، ورحل إلى كبير قيس الحجاج بن يوسف الثقفى فأعانه عليها بعد تأب وامتناع .

فى تلك الحروب كان (القطامى) بين رجال تغلب يذود عنهم ويقارع الفرسان ، فوقع فى الأسر فى يد فرسان قيس - كما قلنا آنفا - وأرادوا قتله فحال زفر بينهم وبينه ، ثم زاد على

القطامى وفخره بتقاليد البادية

ذلك أنه أطلق سراحه ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه سالما غانما ، فقال القطامى يمدحه :

من مبلغ زفر القيسى مدحته
عن القطامى قولا غير إفناد ؟
إنى وإن كان قومى ليس بينهم
وبين قومك إلا ضربة الهادى(٢)
مُثنٍ عليك بما أوليت من حسن
وقد تعرض منى مقتل بادى
فإن قدرت على يوم جزيت به
والله يجعل أقواما بمرصاد

ومن مديحه أيضا قوله :

الكفر بعد رد الموت عنى
وبعد عطائك المائة الرتاعا(٣)
فلو بيدى سواك غداة زلت
بى القدمان لم أرج اطلاعا
إذن لهلكت لو كانت صغار
من الأخلاق تبتدع ابتداعا

عقيدته :

والرواة يختلفون حول عقيدته ، قالوا كان نصرانيا ، وقيل أسلم ، والأمر يرجع إلى القبيلة تغلب فلقد تأخر إسلامها .

يحكى ابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » قال :

حدثنى محمد بن الحجاج الأسيدى قال : خرجت إلى الصائفة فنزلت منزلا لبنى تغلب فلم أجد به طعاما ولا شرابا ولاعلفا لدابتى شِرًى ولا قِرًى ولم أجد ظلا ، فقلت لرجل منهم : أما فى داركم هذه مسجد أستظل بفيئة ؟ فقال : ممن أنت ؟ قلت : من بنى تميم . قال : ماكنت أرى عمك جريرا إلا أخبرك حين قال :

فينا المساجد والإمام ولا ترى
فى دار تغلب مسجدا معمورا

وهذه النادرة تمثل بيئة القطامى وتعتذر للرواة إذ لم يهتدوا إلى معرفة عقيدته ، ثم إن شعره ينضح عن بدوية فيه وبُعْدٍ عن الحضارة ، بل إنه يتبرأ منها ، فمن شعره المشهور فى ذلك قوله :

فمن تكن الحضارة أعجبته
فأى رجال بادية ترانا ؟
ومن ربط الجحاش فإن فينا
قنا سلبا وأفراسا حسانا
وكن إذا أغرن(٤) على قبيل
فأعوزهن كون حيث كانا
أغرن من الضباب(٥) على حلال(٦)
وضبة إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا
إذا ما لم نجد إلا أخانا

فالشاعر هنا لايتحدث عن حروب قيس مع تغلب ولكنه يتحدث عن تقاليد قبيلته التى لم تأخذ بأسباب الحضارة مثل القبائل الأخرى ولم تخضع لدستور الإسلام وهو القرآن الذى ينزل العقاب بقطاع الطرق ويعاقب من ينهب ويسلب ، فكأن القبيلة مازالت فى الجاهلية ، تعيش بلا قانون ولا أخلاق إسلامية والقطامى كمعاصريه فى العهد الأموى طرق الأغراض

(٢) الهادى العنق .
(٣) الرتاع التى ترتع وترعى .
(٤) أغْرن : عبر بالخيل عن الفرسان .
(٥) الضباب : قبائل ضبيب وضبة وجسْل وحُسيْك .
(٦) حلال : قبائل متجاورة .

المعروفة منذ الجاهلية ، فقد مدح وهجا وفخر ، وتغزل ، ووصف ، وصاغ الحكمة من واقع رؤيته للحياة .

ونقاد الشعر من السلف اثبتوا له تفوقه فى وصف النساء وحديثهن ، وبراعته فى إرسال الحكمة والمثل .

ومن شعره الذى يتمثل به قوله :

والناس من يلق خيراً قائلون له
مايشتهى ولأم المخطىء الهبل[٧]
قد يدرك المتأنى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقوله :

كذاك وما رأيت الناس إلا
إلى ما جر غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من استركوا[٨]
ويجتنبون من صدق المصاعا

إجادته :

ولقد أجاد فى الوصف وقص القصص ولو اتجه إلى هذا المتجه لأتى بشعر يحسن الاستمتاع به ؛ لذا أقدم لك تلك القصة التى عنيت بها كتب التراث ، تجدها فى الأمالى لأبى على القالى ، وتجدها فى رسالة الغفران للمعرى عند حديثه عن مقابلة الشعراء فى الجنة وفى النار ، وأوردها ابن عبد ربه فى العقد الفريد عند حديثه عن البخلاء ، قال ابن عبد ربه : قال القطامى وقد ضاف فى ليلة ممطرة عجوزاً من محارب فلم تقره شيئاً فرحل عنها وهو يقول :

تضيفت فى طل وريح تلفنى
وفى طرمساء[٩] غير ذات كواكب
إلى حيزبون[١٠] توقد النار بعدما
تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلى[١١] بها برد العشاء ولم تكن
تخال وميض النار تبدو لراكب
فما راعها إلا بغام[١٢] مطيتى
تريح بمحسور[١٣] من الصوت لاغب
فجنت جنونا من دلاث[١٤] مناخةٍ
ومن رجل عارى الأشاجع[١٥] شاحب
سرى فى جليد الليل حتى كأنما
يحزم بالأطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كورى[١٦] وناقتى
إليك فلا تذعر عن ركائبى
فسلمت والتسليم ليس يسرها
ولكنه حق على كل جانب[١٧]
فردت سلاما كارها ثم أعرضت
كما انحاشت[١٨] الأفعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها
من الحى ؟ قالت : معشر من محارب
من المشتوين القد[١٩] فى كل شتوة
وإن كان عام الناس ليس بناصب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن
علىَّ مبيت السوء ضربة لازب

---

(٧) الهبل : الثكل يقال هبلته أمه أى ثكلته وفقدته .
(٨) استركوا : استضعفوا .
(٩) طرمساء : ظلمة شديدة .
(١٠) حيزبون : عجوز .
(١١) تصلى بها : تستدفىء .
(١٢) بغام : صوت الناقة .
(١٣) بمحسور : صعب .
(١٤) دلاث : مسربلة .
(١٥) الأشاجع : أصول الأصابع أو هى عروق ظاهر الكف .
(١٦) الكور : رجل البعير .
(١٧) جانب : جائل مسافر .
(١٨) انحاشت : انكمشت .
(١٩) القد : اللحم المقدد .

القطامى وفخره بتقاليد البادية

وقعت إلى مهرية قد تعودت
يداها ورجلاها حثيث المواكب
الا إنها نيران قيس إذا شتوا
لطارق ليل مثل نار الحباحب[٢٠]

هذه قطعة من قصيدة طويلة ومطلعها :

نأتك بليلى نية لم تقارب
وماحب ليلى من فؤادى بذاهب

وأنت ترى فى هذه القطعة وصف حاله حين قدم على تلك العجوز فى تلك الليلة الشاتية ، وأنها كانت تستدفىء بنار لا تكاد تظهر ، وأنها لم تقابله مقابلة أهل السخاء ، فقد ارتاعت من صوت ناقته التى تريد الاستراحة هى وراكبها المحسور الضعيف ، بل زاد ارتياعها حتى جنت بل أرادت طرده ، ولكنه سلم والتسليم من شأن القادم فكان ردها قبيحا مصحوبا بالإعراض عنه ولم يتركها فتبادل معها الحديث ، ليعرف نسبها وحالها فكان جوابها أنها من قبيلة محارب الذين يحتفظون باللحم المقدد ولاينحرون لأنفسهم ولا للضيف ، هنا يئس من قراها ومن حديثها ، فما كان منه إلا الرحيل .

والرجل فى أغلب الظن كان صادقا فى خبره كما هو صادق فى أدائه ، ولا أتهمه هنا بالتعصب ضد قيس لأن هذه العجوز من محارب ، ومحارب من قيس ، وقيس هى التى فعلت الأفاعيل فى تغلب التى انحدر منها الشاعر .

ويخيل إلىّ أنه عجل بالرحيل حين قام إلى ناقته المهرية الأصيلة المتعودة السرعة مع القافلة أو حين المباراة ، عجل بالرحيل حتى لا تسأله عن نسبه فينكشف أمره أنه من تغلب ، فتصيح وتؤلب عليه أبناء محارب ، عرفها ولم تعرفه ، وأنكرته خوف قراه ، فما بالك لو علمت أنه من تغلب ؟ وأنه شاعرها القطامى ؟ ولو وقع فى يدها لما وجد زفر بن الحارث بجواره ليحميه وينقذه .

ولقد وفق الشاعر فى التصوير ، وقدم لنا لوحة فنية فيها الصورة الواسعة التى تجمع الحركة والصوت واللون ، وأسلوب القصة من الحوار والنسيج الذى ينتهى بالحل المرتقب .. ألا ترى أنه بعد السؤال والجواب وعرفانه الحرمان أسرع إلى ناقته فامتطاها وانصرف .

والخلاصة :

إن القطامى يمثل نوعا من التخلف الحضارى فى وقت قامت فيه الحكومة وحركة الحياة فى ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة واختلاط الشعوب شرقا وغربا ، فلقد امتدت الدولة فى عهده إلى الصين شرقا وإلى الأندلس وجنوب فرنسا غربا ، وكأنه هو غائب عن كل الأحداث ، وهمه فى السلب والنهب والإغارة على القبائل المتجاورة فإذا لم يجد ما يريده لجأ إلى بنى قومه فأغار عليهم ..

وأحيانا على بكر أخينا
إذا لم نجد إلا أخانا

والرجل على حاله من تلك الجاهلية يصنف فى شعراء الدولة الإسلامية لأنه توفى سنة ١٠١هـ - ٧١٩م . ولقد ترك لنا ديوان شعر يحتوى على الإجادة ، وحياة البادية فى وقت الانطلاق والازدهار .

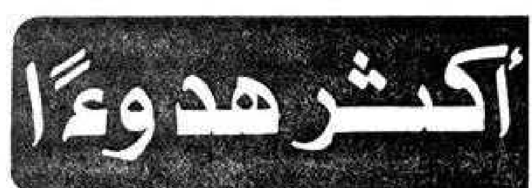
---

(٢٠) نار الحباحب : شعاع يضيء بالليل من ذباب يسمى الحباحب .

للأستاذ/
أيمن محمد ميدان

نقد





احتضنت مجلتنا الغراء « الأزهر » بين صحائف عددها المنصرم مقالاً نقدياً ثاقباً للصديق الجليل دكتور شعبان مرسي ـ كتبه فور عودته من العاصمة الإسبانية « مدريد » حاصلاً على درجة الدكتوراة فى الآداب ـ تناول من خلاله بالنقد والتمحيص ـ كتاب « الوحوش » لأبى سعيد الأصمـ الذى صدر بتحقيقى ونشر ـ منجماً ـ فى مجلة الأزهر .

ولا أخفى عليكم أن نقد الصديق العائد ـ وإن بدا حاداً فى بعض جوانبه ـ أدخل السرور إلى نفسى ، وبدد مسحة من الحزن انغرست فى أعماق ذاتى فور صدور الكتاب مبعثها سلبية المتلقى العربى فى زماننا هذا .. فأجمل إحساس يحس به كاتب أو باحث أن يرى لكلماته صدى ، ولآرائه ردود أفعال ، ولاسيما إذا صدر الرد أو انعكس الصدى عن أناس يتسمون بعمق الفكر وسعة الثقافة .

بدأ الدكتور شعبان مقاله بالتنويه بالجهد المتواضع الذى بذلته ، والإشارة إلى قيمة الكتاب اللغوية والأدبية والتاريخية ، ثم انطلق يقرر ملاحظاته حول الكتاب وماوردت فيه من أفكار ، تلخصت ملاحظاته فى نقاط ست ، رأيت أن أقف أمام كل واحدة على حدة ، أبدد إبهاماً اعترى موقفاً لى ، أو أوضح رأياً فى حاجة إلى أدلة جديدة .

أولاً : ذكر صديقى أنه كان يتمنى أن لو ترجمت مقدمة « جاير » من الألمانية إلى العربية ، وأضاف أنه « ليس يكفى مثالب الحقيقة قول أيمن : « وبعد فترة تتجاوز القرن من الزمان ... إلخ » .

أقول : قد يتبادر إلى ذهن قارىء عجل ، أو باحث لم يتيسر له الاطلاع على نشرتى للكتاب أنه

ورد أكثر هـــدوءا

لهذا السبب فقط أقدمت على نشر الكتاب ، فهناك دوافع كثيرة ذكرتها فى مقدمتى التى دبجت بها صدر الكتاب ، منها : العثور على نسخة خطية للكتاب لم يطلع عليها « جاير » ، وكثرة الأخطاء ، وأوهام القراءة التى وقع فيها جاير ، بالإضافة إلى انعدام وجود مطبوعة جاير ...

أما عن ترجمة مقدمة « جاير » إلى العربية ، فقد استطعت بمعاونة بعض الأصدقاء ترجمتها مشفوعة بتعليقاته ، ولا أخفى عليكم أنى لم أجد فى مقدمة « جاير » أهمية يمكن أن تضاف لنشرتى ، فهى مبتسرة لم تتعد خمس صفحات ، ركز فيها على نسخ الكتاب وأماكن تواجدها ، ومصادره ورموزها المختصرة . وأما عن تعليقاته فقد كانت عبارة عن تخريج للشاهد الرجزى والشعرى متكئا على مصادر لا عهد لباحث اليوم بها .

ثانياً : أشار صديقى إلى ضرورة وضع الآيات القرآنية بين قوسين ، ودلل على عدم التزامى بهذه القاعدة بالآية الكريمة ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .. ﴾ .

أقول : هذه النقطة التى أثارها الدكتور شعبان تعد من أبجديات هذا العلم ، والتى أعيها جيداً ، وقد التزمتها بدقة فى نشرتى تلك لكتاب « الوحوش » أما عن الآية القرآنية موضع المؤاخذة فلم ترد فى متن الكتاب ، ولكنها وردت فى ختام مقدمتى القصيرة للكتاب ، وجاءت على سبيل الدعاء .

ثالثاً : ذكر الدكتور شعبان بيت شعر للأصمعى يرثى به ـ ضمن أبيات أخرى ـ سفيان بن عيينة ، ورأى أن رواية البيت بهذه الصورة .

فليبك سفيان باغى سنة ودرست
ومستبـين آثـارات وآثـار
مناسب للمعنى .

أقول : إن الرواية التى أوردتها للبيت ـ وهى مستبيت ـ اقتبستها من عيون الأخبار لابن قتيبة ، يضاف إلى ماسبق أن « مستبيت » تعنى الإنسان القابع على الشىء بغرض إتقانه والإفادة به .

رابعاً : أشار أستاذى الدكتور إلى ضرورة تقسيم شيوخه وتلاميذه إلى قوائم ثلاث : شيوخه وتلاميذه وقائمة خاصة بمن أثروا فى الأصمعى وتأثروا به أيضاً مع إيراد نبذة مختصرة عن حياة كل علم منهم .

أقول : هذه ملاحظة ثاقبة جديرة بالأخذ بها ، أما عن نشرتى فقد نقلت قائمة شيوخه وتلاميذه وكتبه عن أستاذىَّ الدكتور محمد صلاح الدين الهادى والدكتور رمضان عبد التواب فى مقدمة كتابهما « اشتقاق الأسماء » للأصمعى ، وإلى ذلك أشرت .

وعن الملاحظة الخامسة التى أثارها الدكتور شعبان على قولى : « كان منهج رواة كتب الأصمعى بصفة خاصة ، وعلماء القرنين الثالث والرابع الهجريين بصفة عامة ، إنهم يزيدون فيما يروون من كتب ورسائل مايرونه مفيداً ومتمماً لمادة الكتاب .. » .. والتى قال فيها : « هذه المسألة شائكة ، إذ المعروف أن رواة اللغة العربية كان يشترط فيهم العدالة والضبط ، وهما

الشرطان المعمول بهما في علم الحديث وروايته .. » .

أقول : قد يُفْهَمُ من الملاحظة السابقة أن اتهاما لعلمائنا الأجلاء بعدم الدقة ، وقلة العدالة أصدرته ، فلا وألف « لا » ما قصدت شيئاً من هذا ، ولكن أردت الإشارة إلى ظاهرة اعترضت مسيرة بحثي أثناء تحليقي عبر آفاق علمائنا الرحبة ، ولا سيما الأصمعي ، فبين يدي الآن كتاب آخر « له » أعكف على تحقيقه وهو كتاب « السلاح » عن ثلاث نسخ خطية .. وقد انطوى ـ أيضاً ـ على هذه الظاهرة .

ونشوء هذه الظاهرة ـ فيما أرى ـ نابع من أن رواة كتب الأصمعي ـ وقد كانوا علماء ملء الأعين والأسماع ـ أضافوا على حواشي نسخهم التي نقلوها عن شيخهم بعض التعليقات الخاصة بهم ، والتي لا تعدو أن تكون تفسيراً للفظة ، أو نسبة لبيت شعر ، أو ذكر رواية ثانية للبيت ، أو رأياً مغايراً لعالم آخر ، ويدور الزمان ، ويرحل هؤلاء الرواة ، وتبقى نسخهم بما تحويه من تعليقات واستدراكات ، ويأتي جيل من « الوراقين » لا يعرفون أمر هذه التعليقات وتلك الاستدراكات فيقحمونها في متن الكتاب ، وعن هذه النسخة ينقل الكتاب . ويتداول ويفاجأ الباحث منا بكتاب يحمل نصاً للمؤلف ، وتعليقاته تنتمي لعلماء متأخرين زمنياً .

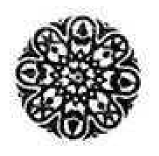
وهنا يجد الباحث ـ منا ـ نفسه في حيرة من أمره ، فإن هو قام بفصل هذه الإضافات وتلك التعليقات ، وإلى ذلك ذهب الدكتور شعبان ـ رمي بعدم مراعاة الأمانة العلمية التي تفرض على الباحث الاحتفاظ بالمخطوط بصورته التي وصلنا بها ، وإن هو أشار إليها وتركها مكانها من النص هوجم أيضاً .

وعلى كلٍّ فقد رأيت ضرورة الاحتفاظ بنص الكتاب كما وصلنا دونما بتر أو تشويه ، ثم الإشارة إلى هذه التعليقات وتلك الاستدراكات ـ مع تحري الدقة في حصرها قدر الطاقة ـ في موضع خاص بها في مقدمة الكتاب ، أو في المكان المخصص لإلقاء الضوء على المؤلف وسيرة حياته ومنهج الكتاب ، ووصف نسخه الخطية ، وأسلوب تحقيقه .

والملاحظة السادسة لأستاذي الجليل تتصل بالمآخذ التي أخذتها على الأصمعي ، حيث وجد أن بها حيفاً ، متكئاً في حكمه على ضرورة أن تكون أحكامنا نابعة من طبيعة العصر الذي عاشه هؤلاء العلماء لاعصرنا نحن .. وأنا أرى أن أحكامنا النقدية ينبغي أن تتفق وما أحرزه هؤلاء العلماء من عبقرية تعدت حدود عصرهم .

وفي النهاية أشكر لصديقي الدكتور شعبان مرسي جهده الطيب الذي بذله في قراءة هذا الكتاب ، وتحبير ملاحظاته الثاقبة ، التي سوف أفيد منها في أبحاثي المقبلة إن شاء الله تعالى .

□





أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

الإمام يبحث أمر إنشاء مركز إسلامى بالمجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد / تاماشى كاتونا وزير الدولة المجرى للشئون الخارجية ، حضر اللقاء السيد ذولقان يرسلين سفير المجر بالقاهرة ، والسيد سفير جمهورية مصر العربية بالمجر .

وقد بحث فضيلة الإمام الأكبر مع السيد وزير خارجية المجر إنشاء مركز إسلامى فى المجر يتولى رعاية شئون المسلمين هناك . يبلغ عدد المسلمين نحو ١٣ الف مسلم

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر للتعاون والمساعدة فى إنشاء هذا المركز

● ● ●

● شارك فضيلة الإمام الأكبر ووفد من علماء الأزهر الشريف فى أعمال المؤتمر الشعبى الذى عقد بالمملكة العربية السعودية فى الفترة من (٢٣ ـ ٢٦ جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق ٩ ـ ١٢ يناير سنة ١٩٩١ م) لبحث الموقف المتدهور فى منطقة الخليج من جراء الاحتلال العراقى للكويت .

الإمام الأكبر ودعم المسلمين فى ألبانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته السيد / منظور الدالى ـ سفير جمهورية مصر العربية فى ألبانيا .

تم خلال اللقاء بحث مساهمة مصر فى دعم المسلمين فى ألبانيا الذين يمثلون ٧٥٪ من السكان .

وقد استجاب فضيلة الإمام الأكبر لاقتراحات السيد السفير وإدارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية بإرسال مجموعة من المصاحف المسجلة والمطبوعة والكتب الدينية وترجمات لمعانى القرآن الكريم باللغتين الانجليزيـة والفرنسية والأحاديث القدسية باللغة الألبانية .

الإمام الأكبر يوافق على إقامة الدورة التدريبية الرابعة عشرة

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على إقامة الدورة التدريبية الرابعة عشرة لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر فى الفترة من ١٩٩١/٣/٢ م حتى ١٩٩١/٥/٣١م .

من المنتظر أن تشترك فى هذه الدورة وفود من دول ثمان هى : نيجيريا ومالى والسنغال والكاميرون وسنغافورة والفلبـين وسيرلانكـا ويوغسلافيا .

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبد المنعم فودة ●

« احتفال مصر
بليلة الاسراء والمعراج

حظى بتكريم السيد رئيس الجمهورية ليلة الإسراء والمعراج ، كبار رجال الدعوة الإسلامية ، وفى مقدمتهم :

اسم الإمام الأكبر فضيلة الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق ـ رحمه الله .

وفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر الأسبق .

وفضيلة الشيخ محمد حسام الدين وكيل الأزهر السابق .

وفضيلة الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام السابق للدعوة الإسلامية بالأزهر .

● ● ●

● ذكر قائد الطيران الأمريكى فى حفر الباطن وهو يحمل رتبة (كولونيل) أن عدد الذين أشهروا إسلامهم من الضباط والجنود الأمريكيين فى حفر الباطن قد تجاوز الألفين .

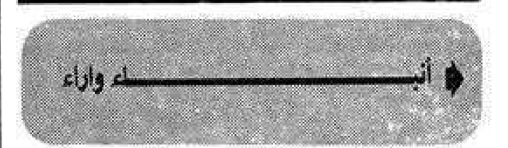
ومن خلال احدى المحاضرات الثقافية الإسلامية التى تلقى على الجنود والضباط الأمريكيين طلب احد الضباط إشهار إسلامه وقال : لقد حاولت طوال سنوات عديدة أن ابحث عن شىء ما ، شعرت أنه ينقصنى وخلالها قرأت أكثر من خمسمائة كتاب ومررت على أكثر من مائة كنيسة ، ولكن يبدو أن ما ذُكر أمامى عن الإسلام هو ما كنت أبحث عنه طوال السنوات الماضية ثم طلب من المحاضر أن يرشده إلى كيفية إشهار الإسلام ثم أعلن إسلامه .

« الحمد لله الذى جعل كلمة الإسلام هى العليا وكلمة أعداء الإسلام هى السفلى » .

تعليم الثقافة الإسلامية إجباريا فى ماليزيا

وضعت وزارة التربية الماليزية قانونا جديداً للتربية يهدف إلى جعل اللغة الماليزية اللغة الرسمية الأولى فى التدريس لجميع مراحل التعليم الخاص والعام . وجعل تدريس الثقافة الإسلامية والدين الإسلامى باللغة العربية إجباريا للطلبة المسلمين فى المدارس الأهلية والخاصة مهما قل عددهم .

وقد ذكر وزير التربية الماليزى الحاج أنور بن إبراهيم موضحاً أن القانون الجديد لا يلغى المدارس واللغات الأخرى وأضاف أن القانون اهتم بالأطفال فى سن خمس وست سنوات .



حزب إسلامى جديد فى يوغسلافيا

أعلن مؤخراً فى يوغسلافيا عن قيام أول حزب إسلامى باسم الحزب الإسلامى الديمقراطى ويضم الحزب الف وخمسمائة من الشخصيات الإسلامية اليوغوسلافية وقد شارك خمسون صحفياً من مختلف أنحاء العالم فى تغطية أنباء تكوين الحزب الجديد .

والمرجو أن يكون هذا الحزب عاملاً على جمع شمل المسلمين بهذه البلاد ، مخططا للنهوض بالإسلام فيها ، وليس (واجهة دعائية) تتخذ ذريعة إلى إعلان حرية الأديان فى يوغوسلافيا وكم نسمع من هذا القبيل ما تمجه الأسماع .

مسجد كارولينا

ذكرت مجلة النيوزويك فى عددها الأخير أنه قد تم افتتاح مركز إسلامى كبير بمدينة (جرين فيل) بولاية (جنوب كارولينا) .

اقيم المركز على انقاض إحدى الكنائس التى تم شراؤها مؤخراً وقد انشىء بالمركز مسجد للصلاة وقاعة تلقى فيها الدروس والمحاضرات .

لم تمر هذه الحادثة بسلام أمام الصهيونية والمنصرين فبدأوا يوغرون الصدور ، من ذلك ماذكرته التايم بقولها : إن تحويل الكنائس إلى مساجد فى الولايات المتحدة الأمريكية صار واقعة تلفت النظر .

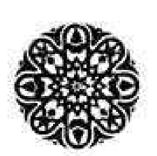
جهود المنصرين فى أندونيسيا

فى خبر تناقلته وكالة الأنباء الإسلامية : أنه قد بدأ المنصرون فى أندونيسيا فى تطبيق أسلوب جديد خبيث لجذب المسلمين إلى باطلهم يتمثل هذا الأسلوب فى بناء الكنائس على نمط الهندسة المعمارية العربية الإسلامية المستعملة فى بناء المساجد ، وكذلك طباعة الإنجيل على هيئة المصحف الشريف .

المنظمات التنصيرية منتشرة بصورة كبيرة فى أندونيسيا وتمتلك هذه المنظمات إمكانات هائلة لخدمة أغراضها ، منها المحطات الإذاعية والمطارات الخاصة والمستشفيات .

الدعوة الإسلامية فى أوروبا

تشهد القارة الأوروبية تطورا إيجابيا فى حركة الدعوة الإسلامية فقد أجرت مجلة ليفجارو الفرنسية مؤخراً إحصائية اكدت أن عدد المساجد قد ازداد فى جميع أنحاء فرنسا حتى وصل إلى (١٥٠٠) مسجد تستقبل مايزيد على (٣,٥) مليون مسلم .



من رسائل القراء

أين الشخصية .. ؟!

الحمد والشكر لأرحم الراحمين الذى وهبنا أعظم نعمة في الدنيا والآخرة .. وهبنا الإسلام ، ذلك الدين الكامل الصالح للناس أينما كانوا زمانا ومكانا بما يحمل من مرونة فريدة لا ينهار معها خُلُق ، ولا يعلو - على حسابها - عدوان ، من عمل به ظفر بالدنيا والآخرة .

ولكم نأسف - حين نجد بعض المسلمين المستقيمين على أمر الإسلام ، نسأل الله تعالى لنا ولهم توبة نصوحا - حين يُسْأَلون عن سبب سلوكهم القويم - لا يرجعون السبب إلى الإسلام ، لكنهم يتذرعون بأسباب أخرى وكأنهم يدرءون عن أنفسهم تهمة خطيرة فيقولون - مثلا - : إن امتناعهم عن الخمر لسبب صحى لا أكثر ، وساهم في انتشار هذه الأمية الدينية والدنيوية في نفس الوقت (وسائل الإعلام) التى تنفر من المضامين الدينية وتتجنبها ، وتعرض الكثير من الأفلام والمسلسلات الهابطة التى تركز على صور الانحلال والانحراف والجريمة وكأنها الأساس في هذه الحياة ، حتى المسلسلات الدينية دارت على صورة مكررة في المشاهد (الكومبارس) ، ومجموعة من السيوف والحروب والدماء .. وهذه المسلسلات كأنما تكرس بصورة متعمدة أو غير متعمدة فكرة أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف ، كما تكرس أيضا فكرة .. أنك إذا لم تكن رث الثياب غير مهندم مغلوبا على أمرك فلست بالمسلم المتدين عبث .. ومهزلة فما يمنع أن تكون المسلسلات الدينية على أرقى جودة ، ثم تنال أحسن إخراج نابع من دراسة أصيلة كتلك التى نشاهدها في بعض (الأفلام) الأجنبية مستخدمة ما نسميه : اللغة المباشرة : لغة الإعلام التى لا ابتذال فيها ولا عامية ، هذه اللغة هى التى تصلح فعلا لمخاطبة الجماهير من خلال وسائل الإعلام .. ولقد نجحت المسلسلات الأمريكية في اجتذاب عدد هائل من الجماهير إليها نظراً لأنها تستخدم هذه اللغة ونظرا لبراعة وجودة (التكنيك) الفنى من جمال المناظر والملابس وروعة الإخراج والحوار إلخ .. هذا على الرغم من تفاهة مضمونها ، بينما يزخر تاريخنا بوقائع فريدة لا تنقصها العناصر الفنية !! أصبحت أشك في مقدرة المعنيين من كتابنا المُعِدِّين لـ (سيناريو) الفيلم الإسلامي .. هل صحيح أنهم مخلصون في العكوف على الدراسة الأصيلة للموضوعات الإسلامية والبحث عنها ؟

إن فريقا من كتابنا يشيدون بحلقات (نوتس لاندينج) التى خطفت انتباه وشدت مشاعر المشاهدين وعرضها كحملة واعية ضد المخدرات !!

ويقول : (لا أنسى مشهداً في هذه المسلسلة عن تعاطى المخدرات هو أعظم وأقوى من عشرات الساعات من الوعظ والإرشاد) . وهكذا نلاحظ أن البعض يشيد بالأعمال الأجنبية ، ويطالب بتكرار عرضها على ما فيها من مزج الصالح بالطالح والغث بالسمين ؟!

إن الفن ينبغى أن يلتزم بمنهج الله ، والتزامه بهذا المنهج لن يحيله إلى مواعظ أو خطب منبرية ولن يعطى صورة وردية عن الإنسان فالإسلام منهج واقعى وله وسائله الاستعلائية أيضاً التى تتيح للإنسان أن يتخلص من آثامه وهبوطه ليشرف بأرفع القيم ، والحديث للإعلام .. فهل من مجيب ؟!

عبير محمد عبدالواحد

ثالثة صحافة - آداب اسكندرية

الأمن نعمة - بقية

وجراثيم الفساد كثيرة تخلخل الأمن وتوسوس فى صدور الناس بالنميمة وخلق المشاكل من لا شىء .. : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ « سورة المائدة - ٩١ » .

الجاهلية فى أرض المسلمين

لقد أطلت جاهلية جامحة متمردة باغية على ارض المسلمين ثم تحركت تحمل أوزارها على ظهرها تريد للأمة المحمدية أن تتمزق شر ممزق إرضاء لنزوات ظالمة باغية ، وما كان الإسلام قائلا : « المسلم عدو المسلم » يوما ما : ولكن الله ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت وقرر رسوله لكم أن « المسلم أخو السلم لا يظلمه .. » وأعلن أن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، وهذه التعاليم خالدة لا تفنى ولا تبلى ، لكيلا يعيش الناس فى إرهاب وذعر وإزعاج وجوع ومسغبة ، ورحم الله القائل الحكيم :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

انظر إلى ما يعده الإنسان « المسلم » لأخيه الإنسان « المسلم » من ألوان الإيذاء والانتقام المرير والله يقول : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ « سورة الأحزاب - ٥٨ » .

أعداء الله ورسله

وأعداء الله هم أعداء رسله فى كل وقت وحين ، لأن الناس صور مكررة وصحف مصورة ، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ... ﴾ « سورة الفرقان - ٣١ » .

و« المخربون المجرمون » أشد خطراً على الإسلام من غيرهم من الحاقدين على هذا الدين القيم الحنيف ، والإسلام لا يقبل اللؤم السخيف والتعدى العنيف ، والله يقول لرسوله الكريم صاحب الخلق العظيم : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ « سورة النحل - ١٢٧ - ١٢٨ » .

والإسلام يفرض على المسلمين الا يصبروا على ضيم والا يسكتوا على ضير ، بل عليهم أن يقاوموا كل كارثة عدوانية ومأساة خلقية ، لأن الإسلام دين سلام لكنه يأبى الاستسلام ويكره الضعف ويمقت الجبن .

فهو يسالم من يسالمه ويحارب من يحاربه ، ولا ينبغى أن يكون فى بلاد المسلمين فراغ يملأ بلئام فجار يسيئون إلى الإسلام باسم الإسلام - بالفتنة التى تمزق وحدة أهله وتزلزل استقرارهم ، فهل يقبل المسلمون الدنية فى دينهم والمذلة فى دنياهم ..

ودينهم يقول لهم : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة المنافقون - ٨» .

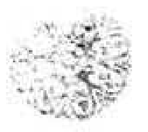
الفهرس

should never fall back in despair, it is an effort on the path to Allah, and if that effort is genuine in devotion, it will meet with success through Divine guardianship and support.

Human functions and efforts must be shared with others in support; this sharing lends mutual education, culture and exchange of knowledge. The proliferation of knowledge from one generation to another is fundamental to the progress of humanity, and to the mechanisms involved in its development and promotion.

Inspite of the endeavor to bring out the salient meanings of this hadith, it remains copiously productive with the wisdom of the Prophet. The Hadith will contiunue to eminate the radiance of knowledge for humanity. The coming generations will explore new meanings of understanding from the Hadith to add to its existing opulence of knowledge.

Translanted from the Arabic Original by **Dr. Anas M. El Naggar.**



Hadith, "When you ask, ask Allah; and when you seek support, seek support from Allah". The Holy Quran expresses this meaning in few words "Allah, the source of all support".

The other channels of support to mankind are the individual himself, the instruments of life, and finally man to man assistance. All these are secondary to Divine support, and act through Divine Will and Providence. The individual self support is achieved by exploiting the potent capabilities of one's self, harnessing them to serve his purpose. These potencies are those of the human mental capacities, will power, perception, skills, thoughts, and decision. The functional processes of the entire human existance are totally programed by Divine Authority. The support derived from the instruments of life to serve mankind; these instruments comprise all universal creations including energy sources, plant and animal life, the whole integrated cosmic environment are essentially instrumental in the service of makind. The utilization of all disciplines of sciences and technologies are Allah's Will to mankind in support of human progress and promotion. Man to man assistance, is essentialy the basic law of nature. Every individual human actior and effort is in its reality a service to other humans. The integral consitution of the human society is in effect the resultant fusion of all individual human efforts in reciprocal mutual benefits. The need of man to his fellow man in all walks of life is the natural process of the kinetics of human inter-relations.

The second phrase of the Hadith which is "despair" is the most elaborate form of literary elegance. The command "do not despair" bears in its basic concept four essential concepts, of understanding. The first is an ordinance not to allow despair to diffuse into one's thought, when one is capable of action and effort. The false idea of inability can gain entery into the mind through despair. Such false ideas should not gain mastery over the mind; it magnifies the problem, and minimizes the potenial capabilities. This false estimate of the issue allows despair to develop. The feeling of despair should be very rigorously challenged and defeated before it gains authority over the human mind. Despair is detrimental to the inertial initiative of human efforts. It must be antidoted by will power, true intention and resolution; self training is also indicated to individuals who require understanding of human potentialities.

The purpose of the Hadith is to encaurage man to work, explore, share, give effort, and initiate. These human functions must be utilized to continue the promotion of mankind towards the goal of excellence. The human mind must utilize the sciences of knowlege in earnest experimentation for man's benefit; this is a Divine Ordinance. The true effort forward is in itself success, and recession in despair is failure. Human effort

reward for the exemplary commendable action is the end. Between that beginning and that end, the time of request for support is justified as appropriate.

The methodology of requesting support is also another crucial matter. This is essentially based on true immaculate innocence of the soul, the mind, the self and the body. The innocence of the soul involves the total abnegation of heretical agnosticism; and the absolute submissive resignation to the Divine Supreme Being. The innocence of the mind entials the freedom from doubtful uncertain skepticism; a mental state achieved by true knowledge of the reality of creation, the recognition of the infinite dominion of the Transcendent Creator. The innocence of the self is achieved by cultural training aiming at the development of an auto oriented mechanism to programme the human faculties towards praiseworthy actions and chastised purposes. The functional capabilities of the self must be accurately balanced within a path of true moderation; to avoid destruction on one side, and on the other side to prevent stagnant paralysis of human talented qualifications, initiative innovation, and ingenuity of thought.

The innocence of the body is the freedom from the guilt of sinful actions or thought, the procurement of lawful earnings. Human action must be utilized in the service of the Creator as a form of constant worship. Human action must also be in the service of mankind by acts of justice. Human action must also be in the service of life itself to advance and promote the eloquent characteristic excellence of humanity. The Islamic doctrines condone the possibility of human error; and for such, the path to Redemption is continuously wide open to achieve atonement. The magnitude of success of any human action is directly proportional to the degree of innocence in all its complicated aspects. This entails the totality of man's existance; both materialistic demands and spiritual serafic righteous qualities.

The sources of support to mankind are limited to four fundamental channels. The first and foremost is the Divine Power. No support reaches mankind except through Divine Will. All other channels of support are derived from that original mainstem source. The infinite omniscient support of The Supreme Being to makind is very precisely optimized and justified conforming to the fact of reality. The Divine Will, Mercy Compassion, Bounty, Guardianship, Wisdom, Justice are Attributes of The Supreme Being that embrace mankind with Divine Support. This Divine support is never at fault, it strengthens and never weakens, continuous uninterupted, essential and not optional to human life. Divine support concerns the wholeness of the entire existance of man. The Islamic concept of "Support" is comprehensively given in the Prophet's

THE ROOTS OF WISDOM

Hadith of the Prophet

"Ask for Support and Do Not Despair"

By: Abdel Hakim Ahmad Taha

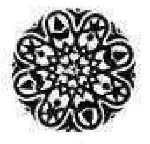
The Arabic syntax of this Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), directs the attention to the didactic nature of the words of the Prophet. This enduring ecumenical concept is cognitive of Islamic doctrinal teachnigs which are promoted by the profuse opulent knowledge of the Prophet. The exegesis of this erudite Hadith is comprehensive in respect to the request of support. Who is to be asked for support, how to ask, when to ask, and the concept of support to be asked for. All these relevant questions constitute the educational prescriptive nature of the Hadith.

Support is help and assistance, and this implies the understanding that it is an extrinsic part which is to be added to an original intrinsic part. It is an additional supporting element to an already existing quantity. This original existing quantity are the resultant of one's own capacity to achieve. On the other hand, when support is provided to the incapacitated, the impoverished, the ignorant, the disabled or the despondent; the subsidy given is a gratuity of offering. The subtle difference between support and gratuity must be well understood and appreciated. Support is to the able, the potent, the one making effort, but who require some assistance; whereas gratuity is granted to those who do not or unable to make effort. The poor who does not seek work, the ignorant who does not learn, the learned who does not research; all those do not in reality deserve gratuity, because they are not seriously earnest in life. There must be a threshold, quantity of effort input by the individual, before support is justified and provided.

According to Islamic teachings, asking support from Allah the Sovereign, the Vigilant, is the initial phase of any action of mankind. This is followed by detailed planning of the scheme for the work to be done; good faithful intention of true devotion to the effort. The action must in the first place be a legitimate laudable action. The praiseworthy sincerity of intention at the start of the action is the beginning; and the

Egypt's soil now as the message arrived. Go forward my companions, on the path of Allah, guided by Allah's grace, guardianship, and endowed by Divine Power.

Amre Ibn Al-Aas marched to Al-Arish with four thousand men, and with those words, and at those few hours in history, came the beginning of the most important campaign in Islamic history; the campaign to Egypt.



decision for a Muslim campaign into Egypt. He was well aware of the superior skills of Amre Ibn Al-Aas in military strategy and political craftsmanship. Amre was a man that possessed more cunning versatile nimble competence, rather than daring defiant reckless courage. He was talentend, well devised, experienced, worldly wise, patient temper, sophisticated mentality and ingenious proficient thoughfulness. He was educated, knowledgeable in matters of his time, and well conversant with literature, poetry, art, culture, and religious sciences. Omar Ibn Al-Khattab was also cognizant of the inherent dangers and difficulties associated with a Muslim expedition to Egypt; and aware of the grave repercussions on the Muslim nation in case such a campaign was to be met with failure. Omar Ibn Al-Khattab prayed in supplication to Allah to grant him the correct appropriate decision, which conforms with the prosperity, advancement, and proliferation of the Muslim nation. Omar Ibn Al-Khattab also called for opinion from his counselors and advisors at Al-Madinah, all were companions of the Prophet, men of superior distinction and wisdom. Omar explained in detail the issue of a Muslim expedition into Egypt, and presented the provisions of thought qualified by Amre Ibn Al-Aas. There was thorough exhaustive consideration of the subject, without unanimity of opinion, some agreed and others seriously opposed. The decision was left in the hands of Omar Ibn Al-Khattab, the man at the head of the state.

Omar Ibn Al Khattab took his decision, and wrote to Amre Ibn Al-Aas to move with contingents of his men from Palestine to Egypt with the Providence of Allah. The opponents to the campaign into Egypt became once again active and approached Omar Ibn Al-Khattab to cancel the campaign to Egypt. This situation placed Omar Ibn Al-Khattab in a very ambiguous self contradictory situation. He finally resorted to the most optimal means of diplomacy and administrative skill that would satisfy all parties concerned with the matter. Omar Ibn Al-Khattab wrote a second message to Amre Ibn Al-Aas instructing him to return if he had not yet crossed the Egyptian borders on the receipt of the message. However, if he had already set foot on Egyptian soil before the arrival of the message; Amre was to proceed to his purpose guided by Allah's ordained destiny and transcendent protection.

Amre Ibn Al-Aas was at a small village between Rafah and Al-Arish on the Mediterranean coast, when the messenger of Omar Ibn Al-Khattab arrived. After disclosing the contents of the message, Ibn Al-Aas asked to which country that village belonged, and he was informed that the village was in Egypt. At this moment, Amre Ibn Al-Aas addressed his men saying " Ameer Al-Moumineen Omar Ibn Al-Khattab instructs me to proceed into Egypt; if his message reaches us on Egyptian soil; and we are on

Several criteria had to be determined, making assurance double sure, before a decision of that paramount importance was to be made. Omar Ibn Al-Khattab made a thorough assessment of both the positive and the negative aspects of the issue at hand. Omar's last reply to Ibn Al-Aas was to wait until his return to Al-Madinah from where Omar was, to give his final answer to that very momentous issue.

Omar Ibn Al-Khattab, like may other Arabs at that time knew a great deal of imformation about Egypt. Arab-Egyptian connections were deep rooted since olden times, even long before the life of the Prophet Mohammad (prayers and peace from Allah upon him). Trade convoys travelled across land and sea from the Nile valley to the shores of the Arab peninsula carrying merchandize from the West to the East, and also from the East to the West. These trade movements encouraged social interactions and matrimonial relationships. The Nile valley and Egypt are mentioned in the Holy Ouran in several verses, and many of the Quranic narratives give descriptions of Prophetic epical anecdotes of their lives in Egypt. During the early era of Islam, the Prophet Mohammad sent messages to the rulers of all the states around the Arab peninsula, including a message to Al-Muqawqis chief of Egyptian coptic Christians.

The Muslim crusades in Iraq, Syria, and Persia certainly increased-their knowledge of the various lands around the Arab perninsula. They learned about the geography of the countries, the histories, the social structures and culture, the creedal beliefs, the wealth of the lands, and the various governmental orders. Egypt was considered a land of great resources and bountiful wealth, having a geographical position between East and West of great significance and importance, a country of ancient history, and deep rooted culture. The prevailing religious creed was Christian coptics, with several other Christian creedal beliefs, and also Judaism. Egypt at the time was under the rule of the Byzantine Roman Empire, which extorted the major part of the country's productivity, and domineered the Egyptians under their service. The Roman administration enforced a Christian doctrine of unified-christian beliefs to be adopted by force of the sword, and dire persecution. These matters resulted in a feeling of deep resentment to the Roman occupation of Egypt.

All these detailed particulars of the creedal, social, political and economic situation in Egypt was well known to Omar Ibn Al-Khattab, and also to Amre Ibn Al-Aas the original entusiastic proponent of a Muslim campaign into Egypt. Amre Ibn Al-Aas considered that a Muslim campaign against the Roman occuption in Egypt would be successful, mainly because of the indifferent neutral attitude of the Egyptians during the Muslim Roman confrontations. Omar Ibn Al-Khhattab considered the whole matter with meticulous analysis giving accurate assessment to every aspect in favor or against the

idea of an Egyptian campaign. This opposition had its rationality in the mind of Omar. The thought of Muslim territorial expansion remained in his understanding, one essentially confined to the ultimate aim of a Pan-Arab theopolitical unity in the Arab Peninsula, Syria and Iraq. The Muslim crusade into the Persian mainland imposed itself as an issue, necessary to safeguard Muslim presence in Iraq. This basic concept in the Muslim territorial expansion process was supported by the fact that the stability of Muslim domination in Syria was yet incomplete. A third most important aspect leading to the opposing attitude of Omar Ibn Al-Khattab regarding an Egyptian campaign, was the antagonistic home front at Al-Madinah. Several companions who acted as advisors to Omar Ibn Al-Khattab were highly antagonistic to the idea of a Muslim campaign into Egypt. The years of the famine in the Arab Peninsula, and the plague of Amws in Palestine, put an end to all thoughts regarding a Muslim crusade into the Nile valley.

Amre Ibn Al-Aas emerged from his silence after the end of the famine and plague, more determined to convince Omar Ibn Al-Khattab of the benefits and necessity of a Muslim campaign into Egypt. While Omar was visiting Palestine after the plague, to reorganize its legal adminstration, Amre Ibn Al-Aas took that opportunity to renew his talks to Omar Ibn Al-Khhattab, giving further rationalities of the necessity of a Muslim crusade into Egypt. Amre Ibn Al-Aas considered that the crusade into Egypt would certainly safeguard and secure Muslim presence in Syria and Palestine. The Muslim authority would remain to have the upper hand, and the Romans would never venture a counter-offensive against Syria, if they were to be confronted by Muslims crusading into Egypt. Amre added that Muslim domination of Egypt would be the supreme achievement on the path of Islamic proliferation; besides the prosperity and wealth that would be added to the copious affluence of Muslim revenues from Syria, Iraq and Persia. Even if Muslim warriors failed to achieve decisive victory over the Romans in Egypt, the balance of forces would compel the Romans to ask for cessation of hostilities. This in itself safeguards Palestine and Syria from any Roman attack. There was no real fear that a Muslim campaign into Egypt would fail to achieve purpose, or result into a Muslim tragic catastrophe.

Amre Ibn Al-Aas continued to present argument after another in continual rational reasoning of factual implicative thought; forwarding intelligent inductive doctrines of judgement and deductive inferences. Omar Ibn Al-Khattab listened to the logistic ratiocination presented by Amre Ibn Al-Aas, he stored them into a process of mental digestion and assimilation. Deep within his thoughts, Omar was inclined to accept the proposition of a Muslim campaign into Egypt, however, Omar was the character not to rush to a quick decision in an issue of such maximal sequential significance. Every aspect of Muslim life would be intimately involved in an issue of such prominance.

OMAR IBN AL - KHATTAB

The Campaign to Egypt

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, Ph.D.

During the time that Muslim warriors were crusading through the plains and mountain ranges of the Persian mainland to bring about the final vanquish of the Persian Empire; Muslims were penetrating into Egypt from its Eastern territories, to bring about the end of Roman occupation of the Nile Valley. The Muslim campaign into Egypt started at the beginning of the nineteenth year of Hijrah. Amre Ibn Al-Aas was at the head of Muslim warriors, the man responsible for the whole campaign from its inception to its final culminative summit of success . Omar Ibn Al-Khattab at the head of the Muslim state at Al-Madinah was the man who took the decision, planned the strategy, summoned the man power, designed the schemes, organized the financial requirements, and formulated the conceptual systems of rational thought in support of this most daring adventure in early Muslim history.

The thought of the Muslim campaign to Egypt was initially conceived by Amre Ibn Al-Aas at the end of the defeat of Roman forces in Palestine, and after Jerusalem opened its gates to Muslims. Ibn Al-Aas approached Omar Ibn Al-Khattab at that time with the understanding that it was better from the strategic point of view to follow the retreating Roman legions into the lands of the Nile, before these forces had the chance to recover and recuperate from their defeat in Palestine. The words of Ibn Al-Aas were received by a recal ci trant refractory attitude on the part of Ibn Al-Khattab inspite of his certainty that the rational temptation to campaign into Egypt was highly desired. All financial, political, creedal, strategic, theological and geagraphical considerations supported the rational thought for Muslims to crusade into Egypt.

The Nile valley was very fertile and opulent, the Roman accupation of Egypt was not favoured by its inhabitants. The Romans devoured the wealth and riches of the fertile land to give more substance and luxary to the plutocracy in Rome. The creedal differences in doctrines of faith accentuated the gap between the rulers and the ruled. Inspite of all these supporting criteria, Omar Ibn Al-Khattab remained opposing to the



AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART VIII

Shaaban 1411 HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

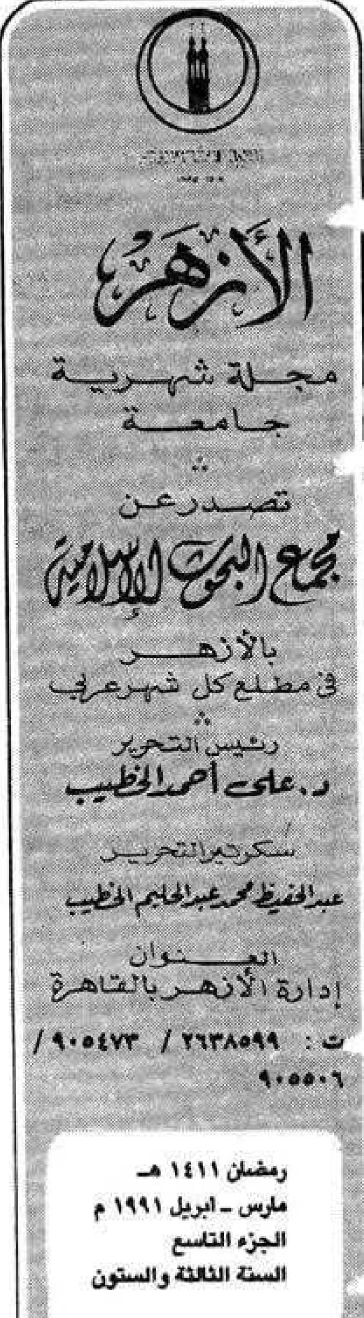
Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE



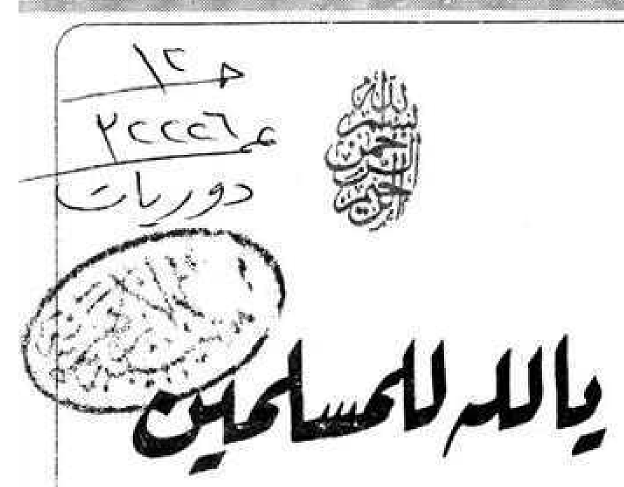
ENGLISH SECTION





الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رمضان ١٤١١ هـ
مارس - ابريل ١٩٩١ م
الجزء التاسع
السنة الثالثة والستون



يالله للمسلمين

اشرفت حرب بارض العرب على النهاية ، لتلقى باثقالها بكل مرارة .

حرب لم تكن إسلامية بكل المقاييس ، ومن ثمَّ فليس لمن اوقدها ، وسعى فى إشعالها ، ونفخ فى اوارها ، مُسَمَّى واحدٌ يستحق .. ، وساماً ، مما يطلقه الإسلام على مفاهيم الحرب العادلة فى جنودها وعتادها وأحداثها ؛ فإن ترتد لتنال من رأسه إلى عقبيه ، فتلك إرادة الله - تعالى - وهي الإرادة العادلة بكل عظاتها لمن يتدبر او يخشى !!

حرب اوقدها طاغية ، حفَّها بالشهوات لكنها بدات بالطمع وانتهت بالدموع ، وبين الطمع والدموع كان النهب وهتك العرض وسفك القيم ، وفى مشارف النهاية كان الذل القاتل ووصمة التاريخ طَبَعَتْها شِفَاهٌ تعسة على حذاء زنيم .

قُبْلَةٌ ما كانت شرفا بحال ، ولاشهادة بحال ..

ترى :

كيف يزول عارها ...؟ ومتى يمحوه التاريخ ؟

وما الحرب ؟.. ومايُنتظر من الحرب ؟ أليست :

بغضاء فى يمينها الغدر ، وفى يسارها الفقر .

شمطاء تمقت نُضْرَة الشباب ، وتحيله جُثثاً بلا رموس ... لا سكينة - بعدها - فى بيت ، ولا زفاف لعروس .

يالله للمسلمين

سواعدها خرقاء .. ومشاعرها صماء ..؟!

بدأها طاغية ليس ليطرد محتلا ، أو يزيل غاصبا ، أو ينقذ قُدْسا ، أو ينهض بأمة ، فاشتعلت ذميمة لاتصون عرضا ولاتحفظ ارضا ، ولاتبقى خيراً فَكَرَّتْ عليه بالذلة والمسكنة ، ووصمة هذا العار .

والويل ـ بعدها ـ يتجرعه ضعيفٌ بأرضه سيق إليها مرغما ، ونَاءَ بها ، وهو الذى لم يطلب لها ناراً ، أو ينفخ لها رماداً .

لذا ضاع الكريم ، وساد اللئيم ... حين التمس السلام الطريق فرفض الطاغية قيم السلام .

وإذا التمسنا العزاء فى الشريعة الطاهرة .. أحسسنا بالإجابة:« فتنة نائمة أُوقِظَتْ فَقَطَّبَتْ وجه الأرض بالدماء ولوثته بالخراب ، وأطلقت عنان النار إلى السماء لتظل مدة عامين ، لا يعلم ـ إلا الله ـ بعدهما كيف تكون !!»

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ إبراهيم ـ ٢٨

ثم للمعاصى رِدَّةٌ تَمْحَق ، ولاهلها عادة لا تزول : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ الانعام ـ ٢٨

ـ فهل من توبة يَرَى ـ فى صفائها ـ الأثيمُ حِلمَ ربه وفضله ، ثم تكون له نظرة إلى ماض مفعم بحمرة ممقوتة ، ونعمة غير محمودة،وجاه من تراب ؟

لعله أن يتوب ..!!

إن النكبة فى طريقها إلى زوال .

ولاندرى : ماتكون المعصية ..؟!

ثم تَبْقَى ـ من بعد ـ الدماء :

عن عبد الله بن عُمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لن يزال المؤمن فى فُسْحَةٍ من دِينِهِ ما لم يصب دما حراما » رواه البخارى وأحمد ، واللفظ للبخارى . « دما حراما » اى دما اريق بغير حق .

قال ابن عمر ـ رضى الله عنهما :

« إن من وَرَطَات الأمور التى لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حِلِّهِ »

ترى : كم من دم برىء سفكه الطاغية ، وأرضٍ أحال نضرتها رمادا ، وعمارها خراباً ، وَزَوَّدَها بالثكلى واليتيم والمعوق والشريد على غير مدد من مال أو جاه .

أيطمع ـ بعد ـ فى « مشروع مارشال » لينقذ فُتَاتًا او يحيى مواتا ، او يشيد عمرانا ، أو يصلح مصنعا .

هيهات ..!!

فَنِيَتْ اموال المسلمين ورَبَتْ خزائن إسرائيل .

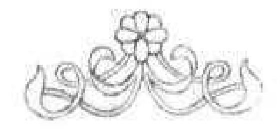
وفنى شبابُ المسلمين ونَمَا شبابُ إسرائيل.

والله..الله للمسلمين .

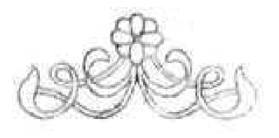
د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

منهج مدرسة الصوم



اللقاء الصحفى
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر



منهج

مدرسة الصوم

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

هذه المدرسة افتتحها الله سبحانه بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ..

إن هذه المدرسة من أعظم المدارس أثراً وأكثرها نفعا ، إذ هى مدرسة اجتماعية إيمانية ، افتتحها رب العالمين بكلمته هذه القرآنية ، الذى علم الإنسان ما لم يعلم وهو خالق الإنسان الذى رباه واستخلفه فى هذه الأرض ، ويعلم سره ونجواه .

وتستمر الدراسة فيها شهراً واحداً فى كل سنة قمرية ، والتعليم فيها مجانى ، وينال الدارسون والملتحقون بها جوائز وحوافز مختلفة فى قيمها ومقاديرها بحسب تفاوتهم فى الجد والاجتهاد والتحصيل ، والشهادة الممنوحة فى ختام الدراسة (لعلكم تتقون) .

هذا الشهر حدده الله ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

ودخول هذه المدرسة إجبارى على كل مسلم ومسلمة ، بالغ عاقل بهذا الأمر الكريم ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

أما أصحاب الأعذار فمتى وجدوا القدرة من أنفسهم على تلقى الدروس فى هذه المدرسة فكان التوجيه ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

ومنهج الدراسة وضعه الله سبحانه الذى خلق فسوى ، العليم بما يصلح خلقه وينظم حياتهم .

هذا المنهج والكتاب المقرر هو القرآن الكريم : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتدارسه فى كل رمضان مع المسلمين ، كما كان يتدارسه مع امين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ .

ومن هنا درج السلف الصالح لهذه الأمة على الانتظام فى هذه المدرسة يترقبون افتتاحها ببزوغ هلال شهر رمضان ، ويغدقون على أنفسهم من خيره وفضله بتلاوة القرآن ومدارسته .

ولأن رمضان شهر القرآن فينبغى على كل المسلمين صغاراً وكباراً نساء ورجالاً أن يحرصوا على أن يكون الصيام والقرآن قرينين فى عملهم اليومى ليكونا شفيعين لمن حرص عليهما وأدى حقهما .

ففى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام اى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال : فيشفعان** » .

والمواظب على الدراسة فى هذه المدرسة يكسب الكثير الوفير من الفضائل فوق المنافع الجسدية والنفسية .

فالصوم يعلم الصائم الصبر والمصابرة فهو تدريب على تحمل الحرمان من الطعام والشراب ، وتنمية للإرادة الإنسانية على تحمل خشونة العيش ، وعلى التفوق على الشهوات والنزوات أياً كانت أهدافها بل وأياً كانت دوافعها ، وفى الصوم تقوية لعاطفة الرحمة والعطف على الضعفاء والفقراء والمحرومين ، وفيه سكون النفس وصفاؤها وفيه ـ على ما قال أهل الحكمة ـ التخلص من السموم المتراكمة فى قنوات الجسد وممراته والتخفيف عن أجهزة الهضم .

والصوم يهدينا إلى التخلص من عادات ضارة بالأبدان فى الطعام والشراب ويرشدنا إلى أن مدة الشهر كافية لتغيير العادة المرذولة مما اعتدناه فى حياتنا اليومية ، فهو يأخذ بيدنا إلى العلاج المفيد الذى يخلو من المردود الردىء ، والواقفون أمام هذه المدرسة فريقان :

أحدهما : ذلك الذى يرفض الانضمام إلى صفوف طلابها بدون عذر من الأعذار المشروعة مجاهراً بالمعاصى ، محادا الله ورسوله وهؤلاء مآلهم جهنم وبئس المصير .

روى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأصحابه : « احْضُرُوا المنبر ، فحضرنا ، فلما ارتقى درجة قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال : آمين ، فلما نزل قلنا يارسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه . قال : إن جبريل ـ عليه السلام ـ عرض لى فقال : (بُعْد من أدرك رمضان فلم يغفر له . قلت : آمين ، فلما رقيت الثانية قال : بُعْد من ذكرت عنده فلم يصل عليك . فقلت : آمين ، فلما رقيت الثالثة قال : بُعْد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة . قلت : آمين) . رواه الحاكم عن كعب بن عجرة .

منهج مدرسة الصــوم

والفريق الآخر دخل فى هذه المدرسة ـ مدرسة الصوم ـ وهؤلاء نوعان :

احدهما :

نوع يدخلها ولا يستفيد منها ، فهو يصوم شهر رمضان ، بالكف عن الطعام والشراب ، ولكنه لم يؤد ماأمره الله به ولم ينته عما نهى الله عنه ، وهذا كمن بنى قصراً يستظل به ثم هدمه ، وهذا هو الذى قال عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى رواه ابن عمر : « **رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش** » . وقال : « **من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه** » .. رواه أبو هريرة .

والنوع الآخر :

يدخل مدرسة الصوم مستوعباً دروسها ، منتظماً فى صفوفها دارساً تالياً منهجها : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ ، وهؤلاء تنتهى بهم مرحلة الدراسة ومدتها شهر رمضان وهم فائزون برضا الله ورضوانه ، متطهرون مما ألموا به من الخطايا، ظافرون بما أعده الله للمخلصين فى صومهم وقيامهم من الفرحة فى الدنيا بالاستقرار النفسى والقناعة بما وهب الله ثم الأجر العظيم فى الآخرة ، ففى الحديث الشريف الذى رواه مسلم « **للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه** » .

إن الدروس فى هذه المدرسة كالمصفاة التى تنفى كل خبث ، فالصائم تصفو نفسه ويطهر قلبه من كل حقد وحسد وغل ويصير أخاً صالحاً لكل أفراد مجتمعه إنه يتخلص من الانانية والذاتية ، فيشعر بحاجات الآخرين وآلامهم ويسارع إلى تخفيف الويلات والآلام ، لأنه أحس بوقع هذه الآلام وتأثير الحرمان وهو صائم فى شهر رمضان ، ثم هو ينقى جسده بقنواته المختلفة الوظائف ويعطيها وقتاً لتجديد خلاياها وتنشيط وظائفها .

إن مدرسة الصوم تهذب الأخلاق وتدعم المحاسن ، وتنفى الخبائث ، وتنمى التسامح مع الناس إن هم تهوروا بقول مثير أو بعدوان .

وهذا ما وجه إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : (**إذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه احد او قاتله فليقل إنى صائم** .....) . تذكير للصائم بما يجب أن يكون عليه من ضبط للنفس وكبت للغيظ وارتقاب للأجر ، وكسر لحدة الأذى والشر ، وفى ذات الوقت ردع للمعتدى عن الاستمرار فى عدوانه ـ قولاً أو فعلاً ـ ودعوة له أنك مع إخوانك فى عبادة فى صف واحد فى مدرسة الصوم ، أشبه

بالصف فى صلاة الجماعة ، وكأنك بهذا التوجيه النبوى الكريم (اللهم إنى صائم) تواجه هذا العدوان بالرفق وتستدعى فى نفسه نية الصوم التى يبيتها الصائم وبها كان فى عبادة الله حتى يفطر بعد غروب شمس اليوم ، وكأنها تكبيرة الإحرام التى تدخل بها الصلاة فكما لا يجوز الخصام ولا الشجار ولا العدوان على المصلى أو منه فكذلك حال الصائمين الذين دخلوا مدرسة الصوم فى شهر رمضان طاعة لله ورغبة فيما عنده .

فى مدرسة الصوم تنمو مراقبة الله لأن الصوم سر بين العبد وربه ، فالصائم يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن الصائم يرى الله فإنه واثق من أن الله يراه ويعلم سره ونجواه .

هذه المراقبة لله متى نمت فى قلب وعقل كل إنسان صلحت نفسه واستقامت أعماله وهدى إلى صراط الله المستقيم .

وهاهى المدرسة (مدرسة الصوم) قد فتحت أبوابها بدخول شهر رمضان الذى باركه الله فأنزل فيه القرآن ، وفرض صومه وسن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيامه ، فلنقبل ـ نحن المسلمين ـ على هذه المدرسة نرتاد علومها ونتزود منها وخير الزاد التقوى .

ولنذكر أن الله سبحانه قد شمل هذه الأمة برحمته فتوقفت الحرب التى أنذرت أمة العرب والمسلمين بالشر المستطير ، وانكمشت الكارثة التى أثارها أولئك الذين لم يرعوا حق الأخوة فى الإسلام ، ولا حق الجيرة ، وخالفوا أوامر الله ورسوله فى تحريم العدوان ، وقد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر .

نحمد الله ونشكر فضله ونعمته أن أهل هلال شهر رمضان على أمة الإسلام ، وقد اندحر العدوان وأهله وانحسر ، فأمن موطن الرسالة ، ومهبط الوحى ، وكان توفيق الله مع أولئك الذين استنفدوا كل ما فى الوسع من وسائل لإخماد الفتنة وحصرها حتى انحسر شرها وتوقفت مسيرتها ، حتى يصوم المسلمون شهر رمضان ، وقد أيقنوا أن النصر من عند الله ، وأن الأخذ على يد الظالم كان فيه الخير الكثير ، وقد رد الله الذين ظلموا ، وبغوا ، واعتدوا ، لم ينالوا خيراً ، بل باءوا بكبائر الآثام .

ولعل هذا العدوان ينبه الأمة إلى أن الوقاية خير من العلاج ، وأن محادة الله ورسوله وإغفال أوامر الله وشيوع ارتكاب المحرمات وانتهاك الحرمات مما أعان العدوان وأغرى المعتدين ، فلتقبل الأمة فى شهر رمضان على التوبة إلى الله والوفاء بعهوده ولنعد إلى مدارسة القرآن وتنفيذ أحكامه ، ولنعمل على جمع الكلمة ووحدة الصف الإسلامى ، وليُترك أولئك الذين فرقوا كلمة المسلمين وأشعلوا النزاع ، ليتركوا للمصلحين مجالاً ، وللدعوة إلى الله أن تنفذ إلى الصدور ، فتنقيها مما ران عليها من غيوم حجبتها عن نور الله وأوقعتها فى حبائل الشيطان الذى فجر هذا الخسران .

ولينهض هؤلاء المصلحون إلى الأخذ بأسباب إصلاح ذات البين لتتواصل الأمة شعوباً وحكومات وتتواصى على التمسك بحبل الله المتين قولاً وعملاً .

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . .

شيخ الأزهـــر

جادالحق على جادالحق

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وصحيفة نيوزويك والتليفزيون اليابانى ومراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط

استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر بمكتب فضيلته فى يوم الاثنين العاشر من شعبان الموافق ٢٥ من فبراير ١٩٩١ وفدا صحفيا وإعلاميا يتكون من مراسلة مجلة النيوزويك الامريكية ، ومندوب التليفزيون اليابانى بالقاهرة ومندوب وكالة انباء الشرق الاوسط .

بدأ الحديث مندوبة مجلة نيوزويك فقالت :

● ما موقف الازهر من الناحية الدينية حول المعركة الحالية فى الخليج ؟

ـ المعركة الحالية قامت لإجلاء القوات العراقية المعتدية التى احتلت الكويت وهذا دفاع عن النفس وهو عمل مشروع فى الإسلام .

● ما موقف الأزهر لو استمرت الحرب خلال شهر رمضان ؟

ـ الحرب فى رمضان كالحرب فى غيره مادامت مشروعة ، وقلت : إنها مشروعة بوصفها دفاعا عن النفس .

● ما رأى فضيلتكم حول إمكانية دور الازهر فى المصالحة بعد الحرب ، والتسوية بين الدول العربية المتنازعة ؟

ـ الامر سياسى اكثر منه دينى فالذى يتدخل لإجراءات الصلح هى الجهات السياسية مثل مجلس الامن ، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الدول الإسلامية .

التليفزيون اليابانى :

● ما مستقبل العالم الإسلامى الاقتصادى بعد الحرب ؟ وما مستقبل المسلمين ؟

ـ بخصوص ما بعد الحرب لاشك أن المنطقة فى حاجة إلى ترتيب الأوضاع ، هذا يقتضى تسوية الخلافات التى تسببت فى هذه الحرب بين اطرافها ، ثم يعاد النظر فى وسائل دعم امن المنطقة من خلال منظمة المؤتمر الإسلامى ، وجامعة الدول العربية لإعادة النظر فى اتفاقية الدفاع المشترك ، إذ انه يجب ان يتوافر الامن بين دول المنطقة باعتبارها دولا متحدة الأصل واللغة والدين،ولاينبغى ان يكون هناك شقاق يستدعى مثل هذا التدخل مع وجود ضمانات تمنع تكرار مثل هذا العدوان الذى اضطر كل هذه المنظمات والجهات للتدخل وإصدار قرارات من مجلس الأمن ، وأن يعهد إلى بعض الدول ذات القدرات العسكرية إزالة هذا العدوان وإعادة الشرعية .

اما عن عدد المسلمين فى العالم الآن فإنه يزيد عن المليار ، ولاشك أن تضامن هذه الشعوب فى شان مستقبلها السياسى والاقتصادى امر فى صالحها ، لاسيما ونحن نرى اتجاه العالم الآن نحو التضامن ، وعلى سبيل المثال مانراه فى اوروبا وخطواتها نحو التضامن الاقتصادى من خلال سوق مشتركة والتنظيمات الأخرى ، كما ان لها ايضا مجلسا برلمانيا خاصا كوحدة اوروبية ، ولاشك ان مثل هذه الصورة فى العالم الإسلامى ستزيد من تضامن الشعوب وتعاونها .

● هل هناك علاقة بين الإسلام والسياسة ؟

ـ الإسلام دين ينظم علاقة الإنسان بالله فى هذا الكون ، ثم علاقة المسلمين بعضهم ببعض ، ثم علاقة المسلمين كافة بغيرهم فى العالم ، ولافرق فى الإسلام بين دين وسياسة ، لأن الإسلام دين ينظم كل العلاقات التى لها صلة بالله وعلاقة الإنسان بالله وأسرته ووطنه ، كما انه ينظم كل وسيلة مؤدية إلى العدالة بين الناس عامة وبين المسلمين باعتبارهم امة واحدة ، ولا فرق فى الإسلام بين تنظيم الحياة وبين الدين ، والإسلام ليس دينا للعبادة فقط ولكنه دين وسياسة .

● مارأى الإسلام فيما فعله صدام حسين ؟

ـ ماصدر من الرئيس صدام حسين تجاه الكويت أمر يحرمه ويجرمه الإسلام ، فهذا عدوان وفى الحديث الشريف :

« كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

وأى عدوان على أى من ذلك هو محرم فى الإسلام ، وما ارتكبه الرئيس صدام حسين فى الكويت عدوان وظلم ينبغى أن يتعاون الناس على دفعه .

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر

● كانت هناك صراعات بين الحضارة الأوروبية والإسلامية ، فهل وجود قوات أجنبية فى الخليج يعتبر استمرارا لمثل هذه الصراعات ؟

ـ لست أسمى مايحدث صراعا ، لأن الإسلام دين حياة يتعايش مع الديانات السماوية السابقة عليه ، وليس هناك صراع بالمعنى المقصود ولكن الدوافع الاستعمارية واستغلال الثروات الطبيعية التى لم تستثمر بسبب الضعف الذى مر به العالم الإسلامى ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[1] فقد كانت دولة المسلمين قوية من قبل ، وأسهمت فى نشر العلوم ، والثقافة التى كانت مقدمة وسندا للحضارة الأوروبية ، ولا ينكر أحد من الغربيين هذا ومن هنا كانت الحضارة الغربية امتدادا للحضارة العربية الإسلامية .

ولست أعتبر هذا صراعا وإنما هذه نزوات من جانب القوى والصراعات التى حدثت وتحدث إنما تأتى من وراء بغى القوى على الضعيف ، وهذا مايفعله الغرب وليس المسلمون ، فالإسلام قد أمرهم فى كتابه بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2] كما انتشر الإسلام بالقدوة من خلال التجار والرحالة فى آسيا وأفريقيا ، ومن خلال الدعوة الحسنة ولم تكن هناك حروب للمسلمين إلا الحروب الوقائية وليست العدوانية .

وكالة أنباء الشرق الأوسط :

● يقوم الأزهر ولايزال بدور رائد فى مواجهة التيارات الغربية المعادية للإسلام .. ما الجهود التى ترون فضيلتكم بذلها فى هذا الشأن ؟

ـ إن من أهم مايقوم به الأزهر هو : نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية بوجه عام واستقبال الطلاب من كافة الشعوب الإسلامية للدراسة والثقافة والعودة إلى شعوبهم ليعلموا وينشروا ماتلقوا ، من علوم ومعارف .

ثم معاونة هذه الشعوب بإمدادها بالكتب فى المعارف والعلوم العربية والإسلامية .

وابتعاث المدرسين من علماء الأزهر ليقوموا بتقديم هذه الثقافة والعلوم فى مدارس وجامعات تلك الشعوب فهو تبادل وتعاون ثقافى بالمعنى المتعارف عليه الآن .

● ما تصوركم لمجال الدعوة فى الداخل والخارج ؟

ـ كل القائمين على أمور الدعوة الإسلامية فى داخل مصر هم من أبناء الأزهر ، سواء كانوا من العاملين بالأزهر فى كافة هيئاته أو العاملين بالأوقاف أو الجمعيات المتصدية لنشر الثقافة والعلوم الإسلامية .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٠ .
(٢) سورة النحل الآية ١٢٥ .

وبالأزهر « مجمع البحوث الإسلامية » وهو القائم ـ بإداراته المختلفة ـ على نشر الدعوة الإسلامية داخليا وخارجيا .

والإدارة العامة للدعوة والإعلام الدينى لها رجالها المتخصصون الذين يعملون فى كافة أنحاء البلاد .

ثم رجال المعاهد الأزهرية وأساتذة جامعة الأزهر فى طول البلاد وعرضها .

وهؤلاء يقومون فى مواقعهم بواجب نشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وفى إجابتى عن السؤال السابق قلت : إنه يبتعث العلماء من الأزهر لنشر هذه الثقافة بالتعليم فى مدارس وجامعات الشعوب الإسلامية ، كما يستقبل الأزهر الطلاب الوافدين للتعليم فى الأزهر .

● كثر فى الأونة الأخيرة الحديث حول الحوار بين الأديان فما رأى فضيلتكم فى هذا ؟

ـ الحديث حول هذا الموضوع أمر ينبغى أن يؤخذ بحذر ، ولاسيما أن الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام هى فى أصلها أديان سماوية ، كما أنها جاءت من قبل الله ـ سبحانه ـ لنفع بنى الإنسان جميعا .

وهى تختلف بواقعها الحالى فى النمط التشريعى والعقدى ومن هنا ، فإن الحوار الذى ينعقد بين هذه الديانات ينبغى أن يدور فيما يمثل السلوك العام ، والأخلاق . وإن شئت فقل : فيما يمس السلام الاجتماعى بين أتباع هذه الديانات .

أما أن يدور الحوار حول أصل العقائد ، ومناقشته فأعتقد أن هذا عمل ينبغى أن يكون بين جدران المدارس والجامعات المتخصصة ، وليس عملا جماهيريا أو إعلاميا ، لأن شأنه لايقل عن شأن الدراسات المعملية التى يجريها أصحاب التخصصات فى العلوم والطب .

وما انعقد من هذه الحوارات لم يثمر ثمرة واحدة تواجه أى خلاف بين أتباع هذه الديانات ، ذلك أنه يدور تحت عناوين عامة كالسلام مثلا دون تحديد مضمون السلام الذى نبحث عنه ، وهل يجرى الحوار فى العقيدة بمعنى وحدتها ؟

ذلك ماقلت : إنه ينبغى أن يكون بين أصحاب التخصصات .... أو السلام بمعنى تعايش الناس جميعا فى سلام ، وأن يقلعوا عن الخصام والحروب ، فذلك هدف إنسانى ، والإسلام أول الأديان فى الدعوة إلى هذا الهدف ، والعمل إلى الوصول إليه ، لكن ماحدث عن لقاء بين أتباع هذه الديانات التى تكررت لم تكن لها ثمرة ، لأنها لم تكن ذات موضوع يمكن أن يناقش .

وبالنسبة لمنطقتنا ، فإنه كلما كانت الرغبة الملحة من الآخرين لعقد هذه الاجتماعات كانت التفجرات الملحة أيضا .

الأمر الذى يشعر بالتناقض بين الدعوة والسلام وبين الواقع الذى نعيشه .

ومن ثم يجب أن تكون هذه اللقاءات ذات موضوع محدد فيما يمس السلام الاجتماعى بين أتباع هذه الديانات .

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر

● **للأزهر الشريف دور فعال فى العالم الإسلامى فما هو دوره فى افريقيا فى مواجهة البعثات التبشيرية ؟**

ــ إن الطلاب من هذه الشعوب يأتون للدراسة بالأزهر ، وكما قلت : فإن دورهم بين مواطنيهم يأتى فى تصحيح المفاهيم ، وفى التثقيف بما يضمن سلامة عقيدتهم الإسلامية وثباتهم عليها ، وإذا كانت هناك طوائف للتبشير فأعتقد أن المسلمين المواطنين فى تلك الدول هم المنوط بهم الدفاع عن دينهم بمعرفة هؤلاء العلماء الذين تخرجوا من الأزهر مستعينين بعلماء الأزهر الذين يذهبون إلى هذه البلاد لنشر الثقافة الإسلامية .

● **مادور الأزهر إزاء الغزو الثقافى والإعلامى ؟**

ــ الغزو الثقافى أمر واقع لاسيما فى هذا العصر الذى تواصلت فيه المعارف والثقافات ، واصبحت مذاعة من وسائل الإعلام المختلفة ، وهى فى اغلبها جعلت العالم كأنه قرية واحدة ، وفى هذا الخطر كل الخطر على الذاتية الإسلامية التى امتازت ــ عبر القرون ــ بأنها تنفى عنها خبث المعارف والثقافات وخبيثها ، وأنها تأخذ من معارف وعلوم كل عصر أصفاه وأنقاه مما لايتعارض مع نصوص القرآن ، والسنة ، ومما يزيد الامة الإسلامية نماء وقوة فى ثقافتها ومعارفها وقوة بنيانها بالثقافات والعلوم ، والأمر مع هذه الظواهر الحالية شاق ينبغى أن نلتفت إلى خطورته الموجهة إلى تشويه سمات الأمة الإسلامية وشريعتها وعقيدتها وصرف شعوبها عن الانتماء إلى هذه العقيدة بشتى محتوياتها وأوامرها .

وينبغى لذلك ان يتثقف ابناؤنا وبناتنا منذ الطفولة بجرعات كافية لتحصينهم ضد هذا الغزو وفى مراحل التعليم المختلفة كل مرحلة بما يناسبها حتى لايفتنوا عن دينهم ، ولايباعد بينهم وبين أصول ثقافتهم دون أن ينعزلوا عن التصور العلمى الذى يسير العالم إليه باعتبار أن عوامل الحضارة المادية وعناصرها تملكه الإنسانية بوجه عام ، وانه ينبغى أن يظهر أثره فى حضارة وتمدين كافة الشعوب ، بل على الأمة الإسلامية أن تسارع إلى أن يكون لها النصيب الأوفى كعنصر من عناصر تنمية هذه الحضارة وتوجيهها لخدمة الإنسانية فى كافة مناحى الحياة ، وإلا تنحرف لتكون عنصرا للدمار ضد الإنسان وحياته كما هو واضح مما يحدث الآن من تصنيع المواد المهلكة للإنسان والنبات والحيوان ولكافة المخلوقات التى زين الله بها الحياة .

● **ماذا قدم الأزهر لمساندة الاقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية ؟**

ــ قدم الأزهر ويقدم العلم والمعرفة والثقافة والإرشاد الذى يعينها على ترقية معارفها ويؤهل ابناءها لحسن الإدارة والعمل على جمع الكلمة ونشر العدل والمساواة كما أنه يساند هذه الاقليات بكل الوسائل التى تتيسر له إذا احتاجت لهذه المساعدة .

● **ما دور الأزهر لحماية الشباب من التيارات المتطرفة ؟**

ــ إن علماء الأزهر موجودون بين الشباب وفئات الأمة فى المدارس وفى المساجد وفى النوادى وفى المؤسسات الاجتماعية وفى الجامعات والسجون .

وفى كل مكان تجد علماء الأزهر يقومون بالنصح والإرشاد والتقويم وإصلاح ذات البين وهم ـ بحمد الله ـ فى حركة دائبة يسعون للإصلاح والصلاح ، والأمر يقتضى أن نعيد النظر فى كثير من الظواهر المفسدة فى حياتنا : مناهج التعليم فى حاجة لإعادة النظر . وكذلك مايقدم فى وسائل الإعلام المختلفة .

وفهم الحرية على أنها (الحرية الراشدة المنظمة والصحيحة) وليست المؤدية إلى الفوضى .

وأن الطفل إذا وضع فى يده عود الثقاب أحرق نفسه ، وهذا مثل لما يحدث وماينشر ومايذاع على الأعمار المختلفة فى وطننا والأوطان الأخرى .

علما بأن الهواء صار وسيلة لنقل الثقافات وغيرها بأجهزة الاتصال الشائعة التى اصبحت فى متناول الجميع واصبح مايذاع فى اى مكان فى العالم يمكن رؤيته أو سماعه فى ذات الوقت .

كل هذه أمور ينبغى أن يعاد فيها النظر لتحصين وحماية الشباب والمواطنين جميعا إذا أردنا لشعبنا وامتنا أن تحتفظ لنفسها بذاتيتها وشخصيتها وتراثها الذى توارثته طوال حياتها .

● **كيف ترون فضيلتكم دور اجهزة الإعلام فى حماية الشباب ؟**

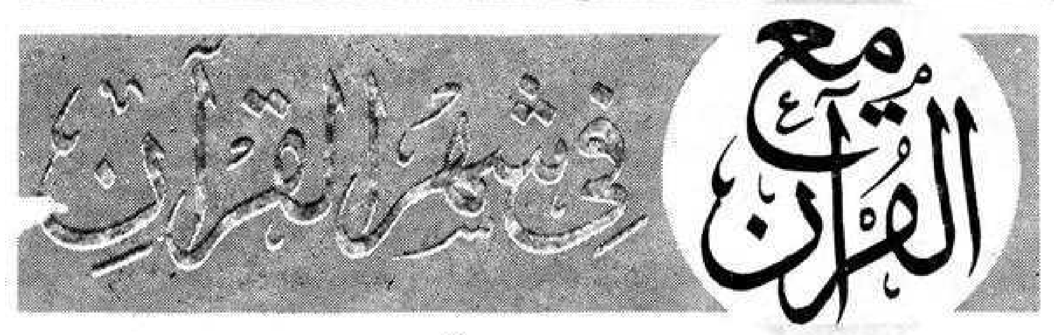
ــ لاشك أن الإعلام بوسائله المختلفة يؤدى دورا هاما لحماية وتقويم الأخلاق والسلوك واستقامة الناس على طريق الحق .

وإذا التزمت اجهزة الإعلام فعليها أن تنقى ـ بصورة جدية ـ المواد التى تعرضها ، وتأخذ الحذر مما يضر ، وتكتفى ـ فيما تذيع وتنشر ـ بما يصلح ويسر ، ولاشك أننا نكون بذلك قد بدأنا الطريق الصحيح لتحسين سلوكنا وحسن تنشئة شبابنا نشأة صحيحة سليمة ، وينبغى على الصحافة بجميع مسمياتها أن تضع الضوابط لما ينشر فيها ... فقد دابت الصحف على نشر الحوادث الإجرامية بتفصيلات تعد مدرسة للسلوك المنحرف سواء كانت هذه الجرائم جنائية او نصبا أو دعارة ، فكل هذا لاشك فيه إغراء للقارىء على اختلاف مراحل العمر على تتبع سلوك المجرمين فيما سلكوه .

ثم هذه الأفكار التى تتردد فى بعض ماينشر من دعوة إلى الإباحية والخروج عن الأخلاق والآداب الإسلامية ... هذا أيضا فيه الخطر كل الخطر لاسيما إذا سيقت فى مساق الدعوة إلى حرية الكلمة والفكر والراى و(التليفزيون) الذى يجرى دائما وراء الغريب البعيد عن الخلق الذى اعتدناه واستقيناه من الإسلام ـ فقد اغرم باستيراد الأفلام والمسلسلات التى صيغت فى بيئة غير بيئتنا وباخلاق لم نعتدها ، بل ربما قد صيغت خصيصا لصرفنا عن آدابنا واخلاقنا وهو غزو اخلاقى يفسد ولايصلح .

إن المأمول ـ على ماجرى به العرف فى عصرنا ـ أن يكون هناك ميثاق شرف لوسائل الإعلام تلتزم به فى أن تكون أمينة فيما تعرض حتى نعيد لشبابنا ـ بل ولكافة اعمار المواطنين ـ الأمن النفسى الذى يؤدى إلى الاستقامة والجدية فى العمل والإنتاج وهو ما نتمناه جميعا من عز وتماسك إنسانى وأُسرى وتظل سماتنا التى تميزنا بها ـ نحن المسلمين ـ فى أن نكون متماسكين متوادين متراحمين فى ظل الأسرة والمجتمع والأمة .

ترجم اللقاء احمد عبدالخالق محمد



للأستاذ
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

لحكمة عليا انزل الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم فى شهر رمضان المبارك : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .. ﴾ ـ البقرة ١٨٥ ـ

وقد يكون الأمر بصيام هذا الشهر مترتباً على نزول القرآن فيه ، حيث فضله الله بذلك .

وعلماء اللغة يقولون : إن الفاء تأتى للترتيب والتعقيب ، ومن قبيل الترتيب التعليل ، فإنك تقول : انت تجيئنى فاكرمك ، فالمجىء علة الإكرام ، وكذلك يمكن ان يكون نزول القرآن علة فى هذا الصيام شكراً لله على فضله ، وحمداً له على نعمته العظيمة السابغة ، التى اكرم بها المسلمين ، بل الخلائق اجمعين فى عاجلهم وآجلهم بنزول هذا الكتاب المبين .

لقد فضل الله القرآن على سائر الكتب كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور .

فهذا القرآن هو حجة الله البالغة ، ومعجزته الخالدة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد ضمنه الله من التشريعات والمبادىء ما فيه سعادة البشر اجمعين : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ـ الإسراء ٩ ـ

ولذلك فقد تعهد الله بحفظه ليصبح دستوراً باقيا يجد الناس فيه زادهم الفكرى والثقافى والروحى والاجتماعى والاقتصادى ، ويلجئون إليه إذا أعوزتهم الحاجة إلى من يقودهم إلى شاطىء الأمان ومرفأ السلام .

فضل رمضان

ولقد وردت فضائل شهر رمضان معلنة على لسان خير المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن

ذلك ما رواه مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » .

وروى النسائى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله - عز وجل - عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب جهنم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

وليلة القدر هذه هى التى أنزل الله فيها القرآن الكريم جملة إلى السماء الأولى .

جاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وعن ابن جُبير والحسن عن القرآن : « إن نزل فيه جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض فى ثلاث وعشرين سنة » . أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين .

نزول الكتب السماوية فى رمضان

ولأفضلية هذا الشهر أنزل الله فيه الكتب السماوية المختلفة ، وقد أخرج الطبرانى من حديث واثلة بن الأسقع عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين منه ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين » .

وذكر الشيخ محمود عبدالحليم الرفاعى فى كتابه الذى قدمته "مجلة الأزهر" عن « البيان المبين فى علوم كتاب الله رب العالمين » ص ٣٥ - ما أخرجه ابن كثير فى تاريخه من حديث معاوية بن صالح قال : « أنزلت التوراة على موسى فى ست ليال خلون من شهر رمضان ونزل الزبور على داود فى اثنتى عشرة خلت من شهر رمضان وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة ، وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم فى ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما ، وأنزل القرآن على محمد - عليه الصلاة والسلام - فى أربع وعشرين من شهر رمضان » قال : أو فى سبع وعشرين منه على أصح الأقوال .

ولولا أن الله - تعالى - قد ادخر لهذا الشهر المبارك الكثير من الفضائل والمزايا ما اختصه بهذا الفضل الكبير من نزول كلامه العظيم فيه على مختلف رسله وأنبيائه .

وكان هذا الشهر لذلك جديراً بأن يفرض الله فيه الصوم على مختلف الملل والأجناس السابقة على ملة الإسلام .

صوم رمضان فرض فى كل الملل

ذكر الإمام القرطبى - رحمه الله - فى تفسيره قول الشعبى وقتادة وغيرهما فى تفسير قوله - تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ - البقرة ١٨٣ .

قالوا : « التشبيه - أى فى قوله - تعالى - كما كتب على الذين من قبلكم - يرجع إلى وقت الصوم وقدر الصوم ، فإن الله - تعالى - كتب على موسى وعيسى صوم رمضان ، فغيروا ، وزاد أحبارهم عليهم عشرة أيام ، ثم مرض بعض أحبارهم فنذر إن شفاه الله أن يزيد فى صومهم عشرة أيام

مع القرآن فى شهر القرآن

ففعل ، فصار صوم النصارى خمسين يوماً ، فصعب عليهم فى الحر فنقلوه إلى الربيع » .

وهذا هو المنقول عن مجاهد أيضاً ، فقد قال : كتب الله ـ جل وعز ـ صوم شهر رمضان على كل أمة ، ولكنهم أخذوا بالوثيقة ـ اى الأحكام فى الأمر ـ فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ، قرنا بعد قرن ، حتى بلغ صومهم خمسين يوماً ، فصعب عليهم فى الحر ، فنقلوه إلى الفصل الشمسى ـ تفسير القرطبى ـ

ولكن الذى حدث فى الملل السابقة حفظ الله برحمته ونعمته منه ملة الإسلام ، فعصم المسلمين من أن يغيروا أو يبدلوا فى شعيرة الصوم ، وجعلهم يلتزمون بعدته وموعده ، وجعلوا وصاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » نصب أعينهم .

وكان هذا الحفظ الربانى لأمة الإسلام من التغيير فى موعد الصوم وعدته من معين حفظ الله للقرآن الكريم حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ـ الحجر ٩ ـ

فحفظ القرآن يتعلق به حفظ كل ما فيه من شعائر ومبادىء ، ولذلك لم يجترىء أحد أن يزيد على فرائض الصلاة فرضاً أو ينقص منها فرضا . أو يزيد فى الفرض المكتوب ركعة أو ينقص منه ركعة . وكذلك لم يجترىء مجترىء على أن يغير وقت الحج فيقدم أشهره أو يؤخرها ، ولم يستطع أحد أن يغير الأشهر الحرم عن موضعها الذى أقره الإسلام ، فينسىء فيها كما كانوا يفعلون فى الجاهلية ، ولم يفكر أحد فى تغيير أنصبة الزكاة التى شرعها الله ، أو فى تغيير مصارفها كما أقرها الله فى كتابه الحكيم .

والمجتهدون الذين استنارت بآرائهم واجتهاداتهم آفاق الأمة الإسلامية ، لم يتناولوا فى اجتهاداتهم إلا الفروع التى لم يرد فيها نص قاطع من قرآن كريم أو سنة شريفة .

شهر العبادة

لقد تيقن المسلمون أن شهر رمضان هو أفضل الشهور عند الله ، حيث اختاره الله من بينها لينزل فيه كتبه ، وكتبه هى رحمته التى تأخذ بأيدى الناس من الظلمات إلى النور وتهديهم إلى سواء السبيل .

وليس من شك فى أن هذا الشهر تضاعف فيه أجور الأعمال ، ويرقى فيه المتعبد بأعماله إلى أعلى الدرجات ، وخير عبادة فى شهر رمضان إلى جانب ما فرض الله من صلاة وصيام ، وسنّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صدقة وقيام ـ قراءة القرآن .

وقد أثنى الله على قارىء القرآن مطلقا ، فما بالك إذا كانت هذه القراءة فى الشهر الذى نزل فيه ؟

وفضل تلاوة القرآن أشهر من أن يذكر ، ويكفى أن نستشهد على ذلك بقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه مسلم ـ عن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ـ أوغيابتان ـ أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » .

وأخرج الدارمي في سننه عن أبي الأحوص عن عبدالله قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات .. »

ـ القرآن فى شهر القرآن د . عبدالحليم محمود ـ ص ٤٣ .

فإذا كان الحرف بعشر حسنات فى أى وقت ، فلا يبعد أن يكون أكثر من ذلك بكثير فى شهر رمضان المبارك .

ومضاعفة ثواب الأعمال فى شهر رمضان يشهد لها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه النسائى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ـ لامرأة من الأنصار : « إذا كان رمضان فاعتمرى فإن عمرة تعدل حجة » .

ويقاس على ارتفاع أجر العمرة إلى أجر الحجة فى رمضان بقية الأعمال الصالحة الأخرى فيه .

وروى النسائى أيضاً عن عبدالرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله ـ تعالى ـ فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

آداب القراءة

على أن الواجب على قارىء القرآن أن يتدبره فقد قال ـ تعالى ـ ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الْأَلْبَابِ ﴾ ـ ص ٢٩ ـ .

وقال ـ تعالى ـ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ـ محمد ٢٤ ـ

وأن يقرأه فى خشوع وخشية ، فإن كان سامعاً فعليه أن ينصت خاشعا متفكراً فى معانيه ، وقد قال ـ تعالى ـ فى ذلك : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ـ الأنفال ٢ ـ

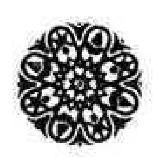
وقال ـ تعالى ـ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ـ الأعراف ٢٠٤ ـ

وتدبر القرآن يفتح أمام القارىء مغاليق الحكمة ، ويهديه إلى أبواب الخير ، ويرشده إلى منابع العلم ، واستنباط المكتوم من الأسرار .

فعلينا فى هذا الشهر الكريم ، شهر القرآن الحكيم ، أن نوثق صلتنا بهذا الكتاب الخالد المعجز ، الذى جعل الله فيه سعادتنا ونجاتنا وأمننا وصلاحنا .

إن فى التمسك بحروفه هداية لما نحن فيه من ضلال ، وجمعا لما نحن فيه من شتات ، ونجاة لما نحن فيه من ضياع ، وألفة لما نحن فيه من خلاف ، وسلاما لما نحن فيه من خصام .

والله يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل .





لفضيلة الشيخ جابر منصور مغربي

يستقبل العالم الإسلامي في مشرق الأرض ومغربها : شهر رمضان المبارك بفرحة كبرى ، فرحة تغمر قلوب الملايين من المسلمين ، إنها فرحة القلوب المؤمنة ، والقلوب الطاهرة ، والنفوس التي اشرق فيها نور الإيمان ، وصدق اليقين ، حين تستقبل الشهر العظيم والضيف الكريم .

فمرحباً به من قادم بالبركات ، ومرحباً به من زائر وآت - تُشرق به الدنيا . وتعمر به المساجد ، فالناس فيها بين قائم وراكع وساجد - لقد كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحسون بنشوة الفرح تملأ قلوبهم ، وتشرح صدورهم . وتقربها عيونهم بإطلالة شهر رمضان المعظم ، إذ كانوا يرون في رمضان مغتسلاً طاهراً يزكيهم من أدران المعصية والآثام ، وجُنة من مساخط الله تعالى ومعاصيه ، كانوا يرون في رمضان ميداناً فسيحاً في الجهاد في سبيل الله ، والتقرب إليه والوصول إلى رضوانه تعالى .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يبشر أصحابه بقدوم رمضان يقول : قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كُتب عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغل الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر » .(١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجان ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، ونادى مناد يا باغي الخير اقبل ، ويا باغي الشر اقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك في كل ليلة .

إن رمضان مدرسة تهذيب وتقويم وإصلاح لعل الكسالى يجدون ، والمهملين يجتهدون ، والمقصرين يتابعون ، والمذنبين يتوبون ويتداركون - قال معلم الأمة الإسلامية - صلى الله عليه وسلم - :

- هذا رمضان قد جاء تفتح فيه أبواب الجنة ،

(١) الأحاديث الواردة في المقال من صفوة صحيح البخاري .

وتغلق فيه النار ، وتغل فيه الشياطين بعدا : أى هلاكاً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له . إذا لم يغفر له فمتى ؟

لا ريب أن فريضة الصيام من أهم الفرائض التى جاء بها ديننا الحنيف . والشريعة السمحة فهو أحد أركان الإسلام الخمسة التى بنى عليها . والتى قام بها .

وإذا نظرنا إلى الصوم لوجدناه تهذيباً للنفوس . وتنقية لها من شوائب الدنيا وشهواتها وتخليصاً لها من الانهماك فى متعها وزخارفها ، وسموا بالأرواح عن المادة . وعن مظاهر الحيوانية التى كل همها الأكل والشرب وإشباع البطن .

إن الصوم يربى فى النفوس الصبر على مكاره الحياة وعند الشدائد والملمات وقرع الخطوب ـ كما أنه يعودنا جرأة فى الحق ، وصراحة فى القول ، وإخلاصاً فى العمل .

فمن هذا المنطلق . فإنه يستل من قلوبنا الغل والحقد والحسد والعداوة والنفاق والإحن ، بل يقضي على كل نوازع الشر وما تحمله النفوس من الضغائن .

وإذا نظرنا إلى الصوم . لتبين لنا أنه يضبط النفس ويقوم شهوتها فإنها إذا شبعت طغت وتمردت وسعت لإشباع شهواتها ـ وإذا جاعت ، استقامت واعتدلت . وتحرت الطيب الحلال ـ « قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

الصوم يرقق القلوب ويهذب النفوس ويصقلها . ويملأ الأفئدة رحمة بالبائسين وعطفاً على المحتاجين والمقلين الذين قسا عليهم الزمان ، ولوعتهم الأيام ، يمنعهم الحياء من مذلة السؤال ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ـ فإن الغنى إذا ذاق ألم الجوع تذكر الجائع ، وأسرع بالإحسان إليه ـ قيل ليوسف ـ عليه السلام ـ لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟

قال : إنى أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

وإلى كل هذه المعانى السامية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

ولما كان الصوم من أجلّ العبادات قدراً وأرفعها مكانة ، وأعظمها مثوبة ـ وهو سر بين العبد وربه ، ولا رياء فيه . نسبه الله تعالى إليه ، وأضافه إلى نفسه ، وجعل جزاءه لا يقف عند حد ـ بل تجاوز المعايير والمقادير ـ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن رب العزة : « يقول الله تعالى : **الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به** » .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

يقول الله عز وجل : « **إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى . فالصوم لى وأنا أجزى به** » .

ولما كان الصوم معدن الخير كله ، شرعه الله فى الأولين والآخرين ، فما من أمة من الأمم الماضية فى الأزمنة الخالية إلا وقد شرع الله لها الصوم ، وجعله لها عبادة ونسكا . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ « البقرة

مرحبا بك يارمضان

١٨٣ » ، فهنيئاً للمسلمين بهذا الشهر المبارك ، وعساكم أن تكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فصونوا صومكم عن القيل والقال والغيبة والنميمة والفحش وهجر الكلام ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين .

قال - صلى الله عليه وسلم - : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

قال - صلى الله عليه وسلم - : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر . والإمام العادل . ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء . ويقول الرب : **وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين** » .

فاستقبلوا شهركم تائبين نادمين مستغفرين . وقد فتحتم مع الله تعالى صفحة جديدة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر - مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر - القاهرة

(ب) مجلة الأزهر - الجامع الأزهر - حى الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات رأساً إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

●●●

الصوم عن الغير في الفقه الإسلامي

للدكتور/ محمد حسين قنديل

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات محمد ابن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله واصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد ..

فإن التراث الفقهى يزخر بالموضوعات التى تتعدد فيها الآراء وأسلمها ما ثبتت قوة أدلته ، وبرئت من الاعتراضات ، وهذا لا يكون إلا بالدراسة المقارنة .

ولذا اخترت أحد الموضوعات المختلف فيها بين الفقهاء وجعلته محلاً لهذه الدراسة الا وهو : « الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى » ..

وجعلت منهجى فى هذه الدراسة :

١ ـ عرض آراء الفقهاء مفصلة او مجملة حتى يمكن تحديد مواطن الاتفاق والاختلاف بينها .

٢ ـ ذكرت عقب كل راى ادلته مع بيان كيفية الاستدلال بها .

٣ ـ ثم ذكرت المناقشات التى وردت على الأدلة والرد عليها إن وجد .

٤ ـ ثم رجحت الراى الذى تبين لى قوة ادلته ، وذكرت سبب ذلك .

واسأل الله ان يجعل عملى خالصاً له وحده ، وان ينفعنى به وسائر ابناء المسلمين آمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد .. ويشتمل على :

تعريف النيابة

اولاً : فى اللغة : مادة الكلمة [ن و ب] .

قال الجوهرى [١] : (« نوب » ناب عنى فلان ينوب منابا ، اى قام مقامى) . والنوبة والنيابة

(١) الصحاح للجوهرى ١/ ٢٢٨ . ط دار العلم للملايين ـ بيروت .

◆ الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى

بمعنى تقول : جاءت نوبتك ونيابتك وهم « يتناوبون » النوبة فى الماء وغيره »[2] .

وجاء فى المعجم الوسيط [3] : ناب عنه نيابة : قام مقامه ، فهو نائب ، وأناب فلانا عنه : أقامه مقامه ، والنائب : من قام مقام غيره فى أمر أو عمل .

ثانياً : فى الاصطلاح :

لا يوجد تعريف للنيابة فى كتب الفقه ، وإنما يوجد لها مرادف هو « الوكالة » ، ولذا نُعرف فيما يأتى الوكالة ليتضح معنى النيابة .

الوكالة فى اللغة [4] :

وَكَّلَ : يقال : وكله بأمر كذا توكيلا . والاسم : الوكالة بفتح الواو وكسرها : اسم مصدر بمعنى التوكيل ، ومعناه التفويض . والوكيل : هو القائم بما فوض إليه كأنه فعيل بمعنى مفعول ، لأنه موكل إليه الأمر ، أى مفوض إليه .

الوكالة فى اصطلاح الفقهاء :

قال الأحناف[5] : هى إقامة الإنسان غيره مقام نفسه فى تصرف معلوم .

وَحَدَّدَها ابن عرفة من المالكية بأنها[6] : نيابة ذى حق غير ذى إمرة ولا عبادة فيه غير مشروط بموته (نيابة) إقامة جنس ، (ذى حق) فصل مخرج النيابة ممن لا حق له ، (غير ذى إمرة) أى إمارة وحكم ، (فيه) أى الحق (بموته) أى ذى الحق .

وقال الشافعية[7] :

هى تفويض شخص ما له فعله مما يقبل النيابة إلى غيره ليفعله فى حياته .

وعرفها الحنابلة بأنها [8] :

استنابة جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة .

مما سبق يتضح لنا أن فقهاء المذاهب الأربعة نصوا فى تعاريفهم للوكالة على أنها (نيابة) ، أى أن كلا اللفظين يتضمن إقامة الشخص غيره مقام نفسه فى أمر ما .

ومع هذا فإنهما يختلفان فى أن الوكالة لابد فيها من إذن وإرادة الموكل ، والنائب فى النيابة قد يقوم بالفعل ابتداء دون توقف على إرادة المنوِّب ، وقد يفعله بإذنه . وعلى هذا فإن العلاقة بينهما عموم وخصوص ، فكل وكالة نيابة ، وليس العكس .

ما يقبل النيابة من العبادات وما لا يقبلها :

قسم الفقهاء العبادات من حيث قبول النيابة فيها أو عدم قبولها إلى أنواع ثلاثة :

---

(٢) مختار الصحاح ص ٦٨٤ . ط إدارة الكتاب العربى . بيروت .

(٣) المعجم الوسيط ٢/٩٦٩ ـ ٩٧٠ ط دار إحياء التراث العربى .

(٤) الصحاح للرازى ص ٥٨٢ : ط دار الحداثة . المعجم الوسيط ٢ / ١٠٦٧ .

(٥) شرح فتح القدير ٦ / ٥٥٢ . ط دار إحياء التراث العربى ـ بلبنان .

(٦) مواهب الجليل للحطاب ٥ / ١٨١ . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٩هـ ، شرح منح الجليل ٣ / ٣٥١ ـ ٣٥٢ . مكتبة النجاح بليبيا .

(٧) زاد المحتاج بشرح المنهاج للكوهجى ٢ / ٢٤٥ ط ٢ سنة ١٤٠٧ هـ .

(٨) كشاف القناع ٣ / ٤٦١ . ط : عالم الكتب ـ بيروت .

قال الأحناف [٩] : (العبادات فى الشرع أنواع ثلاثة : مالية محضة كالزكاة والصدقات والكفارات والعشور ، وبدنية محضة كالصلاة والصوم والجهاد ، ومشتملة على البدن والمال كالحج .

فالمالية المحضة تجوز فيها النيابة على الإطلاق وسواء كان من عليه قادراً على الأداء بنفسه أو لا ؛ لأن الواجب فيها إخراج المال وأنه يحصل بفعل النائب .

والبدنية المحضة لا تجوز فيها النيابة على الإطلاق لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : « لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلى أحد عن أحد » ، أى فى حق الخروج عن العهدة لا فى حق الثواب ، فإن من صام أو صلى أو تصدق وجعل ثوابه لغيره من الأموات أو الأحياء جاز ويصل ثوابها إليهم عند أهل السنة والجماعة .

وأما المشتملة على البدن والمال ، وهى الحج فلا يجوز فيها النيابة عند القدرة ويجوز عند العجز .

وقال القرافى [١٠] : (الأفعال قسمان منها ما يشتمل فعله على مصلحة مع قطع النظر عن فاعله كرد الودائع وقضاء الديون ورد الغصوبات وتفريق الزكوات والكفارات ولحوم الهدايا والضحايا وذبح النسك ونحوها فيصح فى جميع ذلك النيابة إجماعاً ؛ لأن المقصود انتفاع أهلها بها ، وذلك حاصل ممن هى عليه لحصولها من نائبه ، ولذلك لم تشترط النيات فى أكثرها .

ومنها ما لا يتضمن مصلحة فى نفسه بل بالنظر إلى فاعله كالصلاة فلا تجوز النيابة فيها إجماعاً .

ومنها قسم متردد بين هذين القسمين فيختلف العلماء - رحمهم الله - فى أى الشائبتين تغلب عليه كالحج ، فمن لاحظ جانب العبادة فيه وهو مالك - رضى الله عنه - ومن وافقه قالوا لا تجوز النيابة فى الحج كالصلاة ، ومن لاحظ الفرق بين الحج والصلاة قال تجوز النيابة فى الحج ، والشائبة الأولى أقوى وأظهر) .

نلحظ من القولين السابقين أن الأفعال من حيث قبولها النيابة ثلاثة أنواع :

الأول : أفعال لا تقبل النيابة بالاتفاق كالصلاة ، **والثانى** : أفعال تقبل النيابة باتفاق كرد الودائع وقضاء الديون وتفريق الزكوات ونحوها .

والثالث : أفعال يجتمع فى أدائها الجانب المالى والبدنى كالحج ، واختلف الفقهاء فى قبولها للنيابة .

ومن الأفعال التى تردد الفقهاء - كذلك - فى قبولها للنيابة : (الصوم عن الميت) ، أما الصوم عن الحى فلا تصح النيابة عنه مطلقا .

فالأول موضوع بحثنا نقدمه من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول
فى
قضاء الصوم عن الميت

اتفق الفقهاء على ان الحىّ لا تصح النيابة عنه مطلقاً ، قال النووى [١١] : (قال أصحابنا وغيرهم : ولا يصام عن أحد فى حياته بلا خلاف سواء كان عاجزاً أو قادراً) .

---

(٩) البدائع ٣ / ١٢٨٨ - ١٢٨٩ . مطبعة الإمام بمصر .

(١٠) الفروق للقرافى ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٦ . ط : عالم الكتب بيروت .

(١١) المجموع ٦ / ٣٧١ ط : دار الفكر .

الصوم عن الغير في الفقه الإسلامي

وغير القادر على الصيام ينظر إليه ، فإن كان العجز دائماً كالعجز الناشىء عن كبر السن ، أو الأمراض الميئوس من شفائها ؛ فلا يجب عليه الصيام ، ويخرج عن كل يوم فدية ، لقوله تعالى(١٢) : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ ، فإن لم يقدر على إخراج الفدية سقطت عنه (١٣) .

وإن كان العجز مؤقتاً بسبب المرض أو السفر أو غيرهما ؛ فإنه يفطر ثم يقضى بعد زوال السبب لقوله تعالى(١٤) : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ . وعلى هذا فإن الحى لا يجوز له أن ينيب من يصوم عنه فى حياته أياً كان عذره ؛ لأنه لم يقل أحد من الفقهاء بذلك ، ولم يرد ما يدل على جواز النيابة عن الحى فى الصوم .

وأما الصيام عن الميت ، فإن للعلماء فيه تفصيلات كثيرة نوضحها من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول فى الصيام ممن أفطر بعذر واستمر به حتى الموت

إذا وجب الصيام على المسلم فلم يصم ، ثم مات وعليه قضاء أيام من رمضان ، فإن كان معذوراً فى تفويت الأداء ودام عذره إلى الموت كمن اتصل مرضه أو سفره أو إغماؤه أو حيضها أو نفاسها أو حملها أو إرضاعها ونحو ذلك بالموت ، لم يجب شىء على ورثته ولا فى تركته لا صيام ولا إطعام عند أكثر الفقهاء (١٥) .

ودليل هــذا :

أن الصيام فرض لم يتمكن المسلم من فعله إلى الموت فسقط حكمه كالحج (١٦) .

وقال قتادة وطاووس : يجب الإطعام على من مات وعليه صيام لم يؤده لعذر ، لأن الصوم واجب سقط عنه بالعجز ، فيصير إلى الإطعام قياساً على الشيخ الهرم إذا عجز عن الصيام لزمه الإطعام (١٧) .

وبالنظر فيما قاله قتادة وطاووس يتضح لنا : أن القياس مردود ؛ لأن المقيس والمقيس عليه مختلفان ، إذ الشيخ الهرم من أهل الخطاب لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ فهو وإن كان لا يستطيع الصوم إلا أنه مطالب بالفدية إن كان قادراً عليها بالنص . أما الميت المعذور فانقطع تكليفه بالموت وخاصة أن الصوم عبادة بدنية .

والراجح من وجهة نظرى رأى الجمهور ـ وهو أن من مات وعليه صيام لم يقضه لعذر اتصل بموته لا شىء على ورثته ، ولا فى تركته لا صيام ولا إطعام ـ لقوة حجتهم ، ولاتفاقه مع القواعد العامة التى جاءت بها الشريعة الإسلامية ، والتى منها رفع التكليف عن غير المستطيع لقوله

(١٢) الآية : ١٨٤ من سورة البقرة .
(١٣) الكافى ١ / ٣٤٤ . ط : المكتب الإسلامى .
(١٤) الآية : ١٨٤ من سورة البقرة .
(١٥) المجموع ٦ / ٣٦٨ مع التصرف .
(١٦) المرجع السابق .
(١٧) المغنى ٣ / ١٤٢ . ط : مكتبة الجمهورية العربية ـ مصر .

تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[18] .. والله أعلم بالصواب ..

المطلب الثانى
فى الصيام عمن مات
وهو مستطيع القضاء ولم يقض

من مات وعليه فرض قضاء من صيام رمضان ولم يقض مع أنه كان يمكنه ذلك ، فقد اختلف الفقهاء فى : حكم الصيام عنه ، أو ما يقوم مقامه من الإطعام ، ويرجع ذلك إلى ماياتى :

معارضة القياس للأثر ؛ وذلك أنه ثبت من حديث عائشة وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ أن من مات وعليه صيام قضى عنه وليه ، فمن رأى أن الأصول تعارضه ، وذلك أنه لا يصلى أحد عن أحد ، ولا يتوضأ أحد عن أحد ، فكذلك لا يصوم أحد عن أحد قال : لا صيام على الولى .

ومن أخذ بالنص فى ذلك قصر الوجوب على : (النذر) ؛ ومن قاس رمضان عليه قال : يصوم عنه فى رمضان ، وأما من أوجب الإطعام فمصيراً إلى قراءة من قرأ ـ ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ ـ الآية . ومن خير فى ذلك فجمعا بين الآية والأثر .[19] .

وجاء خلاف الفقهاء السابق محصوراً فى الآراء الآتية :

الراى الأول [20] :

ذهب الجمهور : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى فى الجديد ، والحسن والزهرى فى رواية إلى أنه لا يصام عن ميت لا نذر ولا غيره .

وحكاه ابن المنذر عن ابن عمر وابن عباس وعائشة ـ رضى الله عنهم ـ .

ومع أن الفقهاء اتفقوا على ما سبق ، إلا أنهم اختلفوا فى الإطعام عنه ، وجاء تفصيل ذلك على النحو التالى :

١ ـ **قال الحنفية**[21] : من مات وعليه قضاء رمضان ، فأوصى به أطعم عنه وليه لكل يوم مسكيناً نصف صاع من بر ، أو صاعاً من تمر ، أو شعير .

ولابد من الإيصاء لإلزام الوارث ، فإن لم يوص فللوارث أن يخرجه ولا يلزمه ، وإذا أوصى أخرج عنه من ثلث المال مقدار صدقة الفطر .

٢ ـ **ويرى المالكية**[22] : أنه لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصى به .

أى أن المالكية يجيزون ـ فى حالة إيصاء الميت ـ الصيامَ أو الإطعام .

٣ ـ **وذهب الشافعية** :[23] إلى أنه يُطْعَمُ عنه لكل يوم مُدٌّ من طعام .

٤ ـ وحكى ابن المنذر عن ابن عباس والثورى أنه يُطْعَمُ عن كل يوم مُدَّان [24] .

---

(١٨) الآية ٢٨٦ من سورة « البقرة » .

(١٩) انظر : بداية المجتهد ١ / ٣٠٠ . دار المعرفة ـ بيروت .

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٧ / ٢٦ . دار الفكر ، المجموع ٦ / ٣٧٢ ، فتح البارى ٤ / ١٩٣ . دار الفكر .

(٢١) انظر : شرح فتح القدير ٢ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨ . دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

(٢٢) انظر : بداية المجتهد ١ / ٣٠٠ .

(٢٣) انظر : المهذب ١ / ١٩٤ . دار المعرفة ـ بيروت .

(٢٤) انظر : المجموع ٦ / ٣٧٣ .

الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى

الأدلـــة

أولاً : أدلة الجمهور على منع الصيام عن الميت :

١ ـ قوله تعالى [٢٥] : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ . دلت الآية على أن الإنسان لا يحاسب إلا بما كسب من خير أو شر ، فسعيه مجزى به دون سعى غيره .

٢ ـ وعن أبى قتادة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث : « ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجرى يبلغه أجرها ، وعلم يعمل به من بعده » [٢٦] .

بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأعمال التى يعود نفعها على صاحبها بعد الموت ، وليس من بينها الصيام ، فدل ذلك على عدم جواز الصيام عن الميت .

٣ ـ وروى أن ابن عمر كان يُسْأَلُ : هل يصوم أحد عن أحد ، أو يصلى أحد عن أحد ؟ فيقول : لا يصوم أحد عن أحد ، ولا يصلى أحد عن أحد . رواه مالك فى الموطأ . [٢٧] .

٤ ـ وروى عن ابن عباس أنه قال : « لا يصل أحد عن أحد ولا يصم أحد عن أحد » . أخرجه النسائى بإسناد صحيح من قوله .[٢٨] .

وجه الجمهور قول ابن عمر وابن عباس على أنهما يدلان على عدم جواز الصيام عن الميت مطلقاً ، حياً كان أو ميتاً .

٥ ـ وعن عائشة أنها قالت : (لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم) . أخرجه البيهقى .[٢٩] .

٦ ـ وروى أن امرأة اسمها عمرة سألت عائشة ـ رضى الله عنهما ـ عن أمها التى ماتت وعليها من رمضان فقالت لها عائشة : لا تقضى بل تصدقى عنها مكان كل يوم نصف صاع على كل مسكين .[٣٠] .

دل القولان السابقان على أنه لا يجب الصيام عن الميت ، وإنما يطعم عنه وليه . وهذا دليل لمن منع الصيام ، وقال بالإطعام .

وعلق ابن حزم على حديث ابن عباس وعائشة فقال [٣١] : إن كلا من عائشة وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ واللذين روى عنهما المجيزون للصيام ما يؤيد قولهم ـ قد روى عنهما خلاف ذلك ، وإذا ترك الصاحب الخبر الذى روى فهو دليل على نسخه ، لا يجوز أن يظن به غير ذلك ، إذ لو تعمد

(٢٥) سورة النجم : الآية (٣٩) .
(٢٦) أخرجه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، وابن عبدالبر فى جامع بيان العلم ، وإسناده صحيح كما قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ٥٨/١ . المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة . .
(٢٧) مشكاة المصابيح ١ / ٦٣٢ المكتب الإسلامى . بيروت .
(٢٨) نقل هذا صاحب عون البارى من أدلة صحيح البخارى عن الشوكانى ٣ / ٤٣ ، ٩ مطابع قطر الوطنية ١٤٠٢ هـ .
(٢٩) السنن الكبرى للبيهقى ٤ / ٢٥٧ . دار المعرفة ـ بيروت ، وقال التركمانى بالهامش يؤيد هذا ما روى عنها بسند صحيح من طريق عمرة بنت عبدالرحمن وهو الحديث التالى .
(٣٠) أخرجه الطحاوى ، وابن حزم فى المحلى ٧ / ٤ ، واللفظ له بإسناد صحيح كما قال ابن التركمانى .
(٣١) انظر : المحلى ٧ / ٤ ـ ٥ . مكتبة دار التراث بمصر .

ترك ما رواه لكانت جرحة فيه ، وقد أعاذهم الله تعالى من ذلك ، وقالوا : لا يصام عنه كما لا يصلى عنه .

٧ ـ ما روى عن عبادة بن نسى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من مرض فى رمضان فلم يزل مريضاً حتى مات لم يطعم عنه ، وإن صح فلم يقضه حتى مات أطعم عنه »[٣٢] .

دل الحديث على أن من مات وعليه صيام لم يقضه بغير عذر وجب الإطعام عنه .

٨ ـ الدليل من القياس :

أ ـ الصوم عبادة لا تدخلها النيابة فى حال الحياة ، فلا تدخلها النيابة بعد الموت كالصلاة .[٣٣] .

ب ـ ولأن الصيام عبادة بدنية لا مدخل للمال فيها ، فلا تفعل عمن وجبت عليه كالصلاة .[٣٤] .

الرأى الثانى :[٣٥]

يرى الشافعية فى القديم أن من مات وعليه صيام ، يجوز لوليه أن يصوم عنه ولا يلزمه ذلك ، وعلى هذا القول لو أطعم عنه جاز ، فهو مخير بين الصيام والإطعام .

وممن قال بهذا من السلف طاووس ، والحسن البصرى ، والزهرى وقتادة ، وأبو ثور .



(٣٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعانى ٤ / ٢٣٧ . المكتب الإسلامى . بيروت . سنة ١٣٩١ هـ .

(٣٣) انظر : المجموع ٦ / ٣٦٧ .

(٣٤) انظر : المحلى ٧/ ٤ .

(٣٥) انظر : المجموع ٦ / ٣٦٩ .

نظرات فى الفقه الأباضى ٢

ظاهرة ينبغى رعايتها

وجاء فى تعريف الفقه عند الأباضية أنه هو : « علم النفس ، ما لها ، وما عليها : فعلا وتركا » وأن الفقه هو : « العلم بأحكام فعل العبد عملا ، وتركا ، وإباحة ووجوبا[1] »..



لفضيلة الشيخ

محمد حسام الدين

وقد أرادوا بهذا التعريف الأخير إخراج علم العقائد لأن أحكامه أحكام علمية لا تتعلق بفعل العبد : ولكن تتعلق بالسمعيات تصديقا .

كما قصدوا إخراج علم الأخلاق ، لأن الأخلاق صفات داخلية محمودة أو مذمومة .

وهذه الصيغة الأخيرة من صيغ تعريف علم الفقه تتفق إلى حد كبير مع أشهر تعريفات الفقه لدى أهل السنة وهو : « العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية »[2] ...

لكن مدلول الصيغة الأولى لدى الأباضية يشمل العقائد والأخلاق بوجه ما .

ومن هنا فقد عمد كثير من فقهائهم إلى تحرير المراد بالفقه فقال : « المراد بالفقه ما يعم العلم بالعمليات والعقائد ، والأخلاق »[3] ..

وهذا ما يجرى عليه العمل فى المذهب الأباضى ، فإنك لا تجد كتب الفقه إلا جوامع تجمع الأحكام العملية إلى كثير مما يدخل فى باب العقائد من مثل : « ما يسع المسلم جهله » « وما لا يسعه جهله » « وموقف المسلم من أهل المعصية » « والحديث عن الفرقة الناجية من المسلمين » « والولاية والبراءة » . وهكذا .. نظرا

---

(١) العلامة السالمى ـ شرح طلعة الشمس ـ جـ ١ ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) متن جمع الجوامع لابن السبكى .

(٣) شرح بهجة الأنوار ـ العلامة السالمى ص ٣٢ .

لوثاقة الصلة فى المذهب بين الأحكام العملية وهذه العقائد .

وكذلك فإن هذه الجوامع تضم الأخلاق الواردة فى أبواب الأدب ، وأبواب الرقاق .

كل هذا ينضوى تحت مفهوم الفقه كما أسلفنا ، ويتأثر به الرأى الفقهى فى غالب الأمر .

ويترتب على هذه السمة العامة ظاهرة تبدو واضحة لمن يتابع الآراء الفقهية فى المذهب ويجمع بينها ، وهى أن الرأى الفقهى يشتد بعض الشىء ـ وتبعا للرأى العقدى ـ كلما كان الفقه فى أرض ، أو موقع من مواقع العزلة ، يعانى فيه الأباضية ضغوطا ممن حولهم من المسلمين ، على ما كان عليه الحال بعد سقوط الدولة الرستمية سنة ٢٩٧ هـ فى شمال أفريقيا .

وقد نلحظ هذه الظاهرة فى فقه الشيخ أبو يعقوب يوسف الورجلانى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ . والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثمينى المتوفى سنة ١٢٢٣ هـ . صاحب كتاب « النيل وشفاء العليل » ..

أما الظروف والأحوال الهادئة التى يلتقى فيها الأباضية بمن حولهم من المسلمين فى أمان ، ومودة ، فإن الرأى الفقهى فيها يبدو سلساً إلى حد كبير ، ويقترب من آراء فقهاء مذهب أهل السنة . فيما عدا ما يكون مرتبطا بأصل عقدى خاص بالمذهب .

هذا ما يتسم به الفقه العمانى فى الفترة المتقدمة التى دأب فيها فقهاء عمان على الاتصال بفقهاء البصرة ، وفى الفترة الأخيرة التى انتفضت فيها عمان فى ظلال الغزو والنفوذ الغربى ، فنشط فيها الفقه وعاد إلى السلاسة ، وارتبط بالأصول ، وبالفقه الإسلامى الشامل .

أما العصور الوسطى الإسلامية فقد خمل فيها التأليف وانقطع الفقه عن أصوله ، وأصبح مجالا لإيراد الرأى الشديد المضطرب .

ونحن إذا اطلعنا على « جامع » ابن بركة ، وهو الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن بركة البهلوى العمانى من علماء القرن الرابع الهجرى ، وجدنا به علما عميقا واسع الإحاطة بالأصول ، وبالأحكام ، يعرض آراء الأئمة من أهل السنة ، ويختار منها أحيانا ، أو يرجِّح رأيا فى مذهبه يخالف هذه الآراء .

وهو فى نظره للمسائل يجرى على النسق العام لفقهاء المذاهب السنية .

ويأتى على غراره كتاب « الجامع » لأبى الحسن البَسْيَوى تلميذ ابن بركة ومن الفقهاء المتقدمين فى المذهب[٤] ..

فإذا انتقلنا إلى الفترة التى وقع فيها العالم الإسلامى بأسره فى ربقة السيطرة الغربية ، وكانت فيها عمان مطمح الأنظار الأوروبية نظرا لموقعها الفريد من الخليج ، والبحر العربى ، والمحيط الهندى .

وهو العهد الذى نشطت فيه حركة الإبحار بين عمان وبين كثير من البلاد الإسلامية وغيرها .

فى هذه الفترة نشط التأليف الفقهى ، من جديد راجعا إلى أصوله العامة ، مبسوطا ، جامعا لوجوه الرأى ، ميسرا بنسبة كبيرة .

(٤) مقدمة الكتاب ـ ص ٩ ـ جـ ١

نظرات فى الفقه الأباضى

ونذكر من التآليف الجيدة الواضحة فى هذه الفترة ، « قاموس الشريعة » للعلامة الشيخ جميل بن إبراهيم الشجبى من علماء القرن الثالث عشر الهجرى .

وكتاب « بيان الشرع » وهو من تصنيف الشيخ محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندى النزوى ، من علماء هذا العهد .

وإن من أوضح التآليف فى إبراز سمت الفقه الأباضى فى الفترة الأخيرة ، استنادا إلى الآراء الإسلامية العامة ، مؤلفات العلامة أبى محمد بن عبد الله بن حميد السالمى ـ المتوفى ١٣٣٢ هـ ، ومنها كتاب « شرح طلعة الشمس » فقد رجع فيه إلى الآراء الإسلامية المختلفة كآراء عطاء ومالك ، والشافعى ، والمحاملى ، وابن الحاجب ، والبغوى ، والتفتازانى ، والرازى ، وأبى الحسن الأشعرى ، وأبى بكر الباقلانى ، والغزالى ، وأبى إسحاق الشيرازى ، وأبى المظفر السمعانى ، وابن السبكى ، والبنانى ، والمحلى ، والسيوطى وابن حزم الأندلسى ، كما رجع إلى آراء أبى هاشم الجبائى والقاضى عبد الجبار المعتزلى ، وغيرهم من علماء المذاهب الإسلامية .

رجع إلى هؤلاء فى عرض الرأى مثلما رجع إلى علماء مذهبه من مثل أبى الربيع ، والبدر الشماخى ، وعمروس ، وابن بركة ، والكرمى وأبى يعقوب الورجلانى وغيرهم[٥] .

قال السالمى ـ رحمه الله : لقد أخذت غالبه ـ أى غالب الكتاب ـ من منهاج الأصول ، ومن شرح البدر الشماخى على مختصره ، ومن مرآة الأصول ، وحاشية الأزميرى عليها ، ومن التلويح على التوضيح .. ومن شرح المحلى على جمع الجوامع ، وحاشية البنانى عليه .

فتارة : آخذ المعنى من هذه الكتب ، وتارة : آخذ المعنى بلفظه ومرة : أعزوه إلى مأخذه ، ومرة لا أعزوه .

كل ذلك بحسب موافقة الحال ، لا لأجل أن يقال ، والله المطلع على السرائر ، فلا يحسبن من وقف على هذا الشرح أن جميع ذلك من عندى[٦] .

وقد نبه العلامة السالمى إلى ضعف الفقهاء فى فترة الخمول والاضطراب وعدم درايتهم ، بتمييز غث الأقوال من ثمينها ، وخفيفها من رزينها فى المذهب فقال : (إن معرفة الفقه متوقفة على معرفة أصول الفقه ، فلا يتوصل أحد إلى معرفة الفقه حتى يكون عارفا بأصول الفقه ..

فإن قيل إن أصول الفقه إنما وضع فى القرن الثالث ، وهو زمان تابعى التابعين : فالصدر الأول من الصحابة والتابعين كانوا أفقه ممن بعدهم . فأين ذلك التوقف ؟ . قلنا : إن الذى وضع فى القرن الثالث إنما هو اصطلاحات الفن ، فإنه كان معلوما للصحابة ومن بعدهم ، فهم يقدمون الخاص على العام ، ويردون المتشابه إلى المحكم ... وهكذا ..

وهذه الكيفية هى نفس أصول الفقه فاندفع الإشكال ..

(٥) فى الدلالة على هذا العرض تراجع الصفحات ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، من الجزء الأول ـ وغيرها من صفحات الكتاب فهى اشارات شائعة فيه .

(٦) ص ٣٠٨ جـ ٢ من الكتاب .

نعم ـ وعلى طريقة الصدر الأول من الصحابة والتابعين قد جرى كل سلفنا من أهل عمان ، فتراهم يحكمون بالخاص في موضع الخصوص ، وبالعام في موضع العموم ، وبالمطلق في موضع الإطلاق وبالمقيد في موضع التقييد . وهكذا من غير أن يذكروا نفس العبارات التى اصطلح عليها أهل الفن .. وربما ذكرها بعضهم كابن بركة ..

لكن لما كان الذكاء القوى ، والفطنة الواقدة اللذان توصلوا بهما إلى وضع الأشياء في مواضعها ، معدومين في أهل زماننا تعذر عليهم الوصول إلى استنباط الأحكام من أدلتها إلا بعد معرفة اصطلاحات الفن وممارسة قواعده ، وضبط علله ، وقوادحه إجمالا وتفصيلا[7] ..

وقد رغب عن ذلك كثير من أهل زماننا لجهلهم بما فيه من التحقيق ، وصعوبة ما فيه من التدقيق ، فقصارى فقههم حفظ أقوال الفقهاء ، وغاية نباهة أحدهم رواية ما قاله النبهاء ، لا يدرون غث الأقوال من ثمينها ، ولا خفيفها من رزينها ، قد حبسوا في التقليد المضيق ، عن فضاء التحقيق ..» ا .هـ

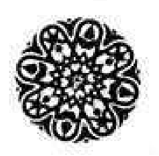
وأيضا فقد نبه الكندى[8] إلى هذه الظاهرة فقال :

(فالواجب عليه إذا أراد التفقه أن يتعرف على أصول الفقه وأمهاته ليكون بناؤه على أصول صحيحة .. لأنى رأيت العوام من متفقهى أصحابنا[9] ، ربما غاب عنهم كثير من معرفة ما ذكرنا ، وتكلم عند النظر ، ومحاجة الخصوم بما تنكره الخاصة منهم وأهل المعرفة بذلك ..

لأنهم ربما وضعوا اللفظة في غير موضعها ، ونقلوا الحجة إلى غير جهتها واستعملوها في غير أماكنها ، والله نسأله توفيقنا وإياهم لما يقربنا إليه) .

من أجل هذا ينبغى لمن نظر في فقه الأباضية أن يتعرف على طبقات فقهائها ، ومواطنهم ، وظروف التأثير في رأيهم ، في حال الكتمان والشدة ، أو حال العلن واليسر ، ليطمئن بهذا إلى أنه أصاب الرأى الوسط في المذهب ..

والله ولى التوفيق



(٧) شرح طلعة الشمس ـ جـ ١ ـ ص ١٤ .

(٨) الشيخ محمد بن إبراهيم الكندى ـ مصنف كتاب «بيان الشرع» انظر ص ١٧ جـ ١ .

(٩) المراد : الأباضية .



للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن عائشة - رضى الله عنها - ان رجلا قال للنبى - ﷺ : إِنَّ أُمِّى افْتُلِتَتْ نفْسُهَا ، وإِنِّى أظُنُّهَا لَوْ تكلَّمتْ تَصَدَّقتْ فَلِى أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقتُ عنْها ، قَالَ : (نَعَم) - رواه مسلم .

جاء فى رواية لابن عباس رضى الله عنهما : ان الرجل السائل فى حديث السيدة عائشة : هو سعد بن عبادة الأنصارى - رضى الله عنه - وهو سيد من سادات الخزرج ، وصاحب راية الأنصار ، كان جواداً كثير الصدقة يحسن العوم والرمى ، مات بـ (حوران) بدمشق سنة خمس عشرة أو ست عشرة .

وأمه : عمرة بنت مسعود بن قيس ، أنصارية خزرجية أسلمت وبايعت النبى - ﷺ - وماتت سنة خمس من الهجرة ، والنبى - ﷺ - فى غزوة دومة الجندل ، وابنها سعد بن عبادة معه ، فلما رجعوا صلى النبى - ﷺ - على قبرها .

إن الصحابى الجليل سعد بن عبادة يحرص على الفوز برضاء أمه والإحسان إليها حية وميتة فيقول : إن أمى افتلتت نفسها - أى ماتت فجأة من غير مرض ، وإنى اظنها لو تكلمت تصدقت ، وهذا يدل على أنها لم تتكلم بما تريد أن تتصدق فتوقفت صدقتها بمفاجأة الموت لها .

وفى رواية الموطأ أنها تكلمت ولكن سعدا لم يعلم بما وقع منها ، والصدقة (الوصية) بدليل

الرواية الأخرى : إن أمى ماتت ولم توص أو (النذر) كما جاء فى رواية البخارى «إن أمى ماتت وعليها نذر» ولا تناف بين الروايتين لاحتمال أن يكون سأل عن النذر وعن الصدقة ، وقد ورد أن (النذر) كان عتق رقبة فماتت قبل أن تعتق فقال سعد : أفيجزى أن أعتق عنها فقال النبى - ﷺ - «أعتق عنها» .

قال سعد رضى الله عنه : «وأظنها لو تكلمت تصدقت» وسند هذا الظن ما كان يعلمه عنها من حرصها على فعل الخير ، ورغبتها فى الطاعات .

«فلى أجر إن تصدقت عنها» وفى بعض الروايات «أفلها أجر» كأنه يقول أيشرع لى التصدق فلى أجر ؛ لأن المقصود : السؤال عن مشروعية التصدق عنها والأجر .

ومما لا خلاف فيه أن عمل الطاعات متى كان مشروعا أجر عليه صاحبه المباشر له لقول الله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام) . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ . الكهف

وإنما الخلاف فى نفع الغير بهذا العمل إذا قصد به ذلك الغير وعمل لحسابه كما فى حديثنا ، وقد أقر النبى - ﷺ - مشروعيته ، ففيه الأجر لذلك الغير متى نوى به ، أو وهبه له ، وإن لم يحصل منه نية على فعلها ، وقد يثبت للميت من الأجر من غير معرفة ولا نية كما يدخل فيه أجر من يقتاته ، وأجر من يأخذ من ماله .

وكما أن ثواب الصدقة يصل للميت وينفعه كذلك المتصدق له أجر السعى ، فكل من المباشر للعمل والمعمول له مأجور . لا ينقص أحدهما من أجر الآخر شيئاً .

وكذلك ينتفع الميت بالدعاء ، صح فى الخبر «إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول العبد .. أنى لى هذه ، فيقول الله - عز وجل باستغفار ولدك لك» رواه أحمد بإسناد حسن .

أما (الصلاة والصيام) وقراءة القرآن والذكر وغير ذلك فقد قال جماعة من العلماء منهم الإمام أحمد وجمهور السلف بوصول ثواب جميع هذه العبادات إلى الميت ، جاء فى البخارى فى باب «من مات وعليه نذر» أن ابن عمر أقر من ماتت أمها وعليها صلاة أن تصلى عنها ، وبذلك قال عطاء ابن أبى رباح ، وإسحاق بن راهويه ، وقال الإمام البغوى فى كتابه (التهذيب) : لا يبعد أن يطعم عن كل صلاة مدا من طعام ، ودليلهم على ذلك القياس على الدعاء والصدقة والحج ؛ فإنها تصل إلى الميت بالإجماع .

وقال محققو المتأخرين من الشافعية : أنه يصح الصوم عن الميت أو تخرج عنه الفدية لكل يوم مد من غالب قوت البلد . وهذا بخلاف المشهور من مذهب الشافعى ومالك ومن وافقهما : لقوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ . النجم

ولقوله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» .

وأجيب بأن المعنى ليس للإنسان إلا ثواب ما سعى من حيث أن مناط نفع هذه الأعمال للميت هو إيمانه ، فما لم يؤمن لم يكن لشىء منها نفع ، فهى من سعيه لتوقفها على الإيمان الذى هو سعيه وكذلك لا إشكال فى الحديث فإنه لا ينافى أن له ثواب عمل غيره الذى عمل له لأنه من سعيه .

وأما الحقوق المالية الثابتة على الميت سواء كانت لله كالزكاة والحج والنذر والكفارة ، أو حقا

قبس من انوار النبوة

الصدقــة عن الميــت

للآدميين كديونهم وودائعهم فمذهب الشافعية وطائفة : أنه إن كان للميت مال وجب قضاؤها من راس المال ، سواء أوصى بذلك أم لا ، إلا ان (النذر) إن كان في مرض الميت فإنه يكون من الثلث ومذهب الحنفية والمالكية ، أنه لا يجب قضاء شيء من ذلك إلا إذا أوصى بذلك فيكون من راس المال عند الحنفية ومن الثلث عند المالكية .

وإذا لم يترك الميت مالا فالشافعية والجمهور على أن الوارث لا يلزمه قضاء الدين لكنه يستحب ، وقال الظاهرية بلزوم قضاء الدين عملا بظاهر الحديث ، وأجيب : بأنه ليس فى الحديث تصريح بإلزام سعد ولكنه فعل ذلك تبرعا .

ونأخذ من الحديث : فضل بر الوالدين فى حياتهما وبعد موتهما ، واستحباب الصدقة عن الميت ، وأن ثوابها يصل إليه وينفعه كما ينفع المتصدق .

وأن الوصية مندوبة لا واجبة ؛ لأن النبى - ﷺ - لم يذم (أم سعد) على ترك الوصية ؛ بل بادر بالصلاة على قبرها وكيف كان الصحابة - رضى الله عنهم - يرجعون إلى النبى ﷺ فى أمورهم الدينية والدنيوية .

وفى الحديث أن موت الفجاءة غير مكروه فى كل أحواله ؛ لأن النبى - ﷺ - لم يظهر منه كراهية حين أخبر بموت أم سعد فجاة ، وما ورد مما يفيد أنه مكروه كما جاء فى خبر أبى داود «موت الفجاءة أخذة أسف» أى غضبان ، محمول على الفاجر الذى لم يتهيأ للموت ولذلك كان أخذه أخذا حيث فعل ما أوجب الغضب عليه ، والانتقام منه ، وأخذه بغتة .

يؤيد ذلك ما ورد عن السيدة عائشة وابن مسعود - رضى الله عنهما : «موت الفجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر» .

قال النووى : إن جماعة من الأنبياء والصالحين ماتوا كذلك ، وهو محبوب للمراقبين .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ، وختم لنا بالإسلام والإيمان .

كتب فضيلة الشيخ بهجت مامون ذكرى إلى المجلة يلفت النظر إلى (تعبيرين) وردا بهدية المجلة « محمد المصطفى - صلى الله عليه وسلم » التى صدرت مع عدد رجب ١٤١١ هـ وذلك لتصحيح العبارة الواردة بصفحة ٣٧ سطر ١٥ « راى الله بسامى حكمته » لتكون : « تفضل الله - تعالى - بسامى حكمته » .

والعبارة صفحة ٤٦ سطر ١٤ « الذبيح الذى قرر الله .. الخ » لتكون « الذبيح الذى قضى الله - تعالى - بقدم علمه او قدم إرادته » الخ ..

نشكر لفضيلة الشيخ تصحيحه سائلين الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل ويعفو عن زلاتنا .

جاء ص ٨٧٥ من عدد شعبان فى النهر الايمن سطر ١٥ كنت استاذنا للشيعة ، وصحتها كنت استاذنا للشريعة .

التحرير

في صدر الإسلام

من روائع الفن العسكرى

للأستاذ الدكتور
محمد بهاء الدين محمود حنفى *

لقد بذل المستشرقون كل ماق وسعهم لإثبات ان انتصار المسلمين فى معارك الفتح الإسلامى كان راجعا إلى ماأسموه « الحماسة الدينية » فقط دون ماوعى بالعمل الحربى والعبقرية التقدمية فيه وراحوا يصورون الجيوش الإسلامية وكأنها مجموعات من المتعصبين يكتسحون كل ما امامهم بهجمات محمومة دون ان يمتلكوا ناصية «فن وعلم الحرب »[1] وعلى الرغم من ان الجنرال «جلوب» كان فى مقدمة من عملوا على ترسيخ تلك الفكرة المشوهة وبخاصة فى كتابه « الفتوحات العربية الكبرى » ، فإنه تراجع واعترف بالحقيقة فى كتابه « امبراطورية العرب » ولكن فى إشارة موجزة وعابرة بقوله : « ظل العرب يمثلون اقوى قوة عسكرية فى العالم بلا منازع طيلة قرنين كاملين .. ولايمكن ان ينسب استمرار هذا التفوق العسكرى مثل هذه المدة الطويلة إلى مجرد تفجر «الحماسة الدينية » ، إذ انه يعنى اول ما يعنى ، انهم كانوا اكثر شعوب العالم فى ذينك القرنين إتقانا لفن الحرب العسكرى »[2] .

إن ماذكره «جلوب» هو وصف متواضع لما أنجزته المدرسة العسكرية الإسلامية من تطوير لفن الحرب اعتبره الكثير قفزة هائلة تمثلت فى ابتكار وتطوير (استراتيجية) الحرب المتحركة التى لم تكن معروفة من قبل ، وكانت معارك الفتح الإسلامى هى الميدان الذى شهد هذا التطوير . ونحن نتفق فى الرأى مع أستاذنا « اللواء الركن محمود شيت خطاب » فى أن العسكرية الإسلامية رائدة وأنها عربية إسلامية خالصة وأن بعض من يقارنون بين المعارك القديمة والمعارك الحديثة يجعلون من العسكرية الإسلامية ذنبا للعسكرية الأجنبية »[3] إلا أننا نرى ايضا أن استخدام منهج المقارنة بين القديم والحديث مع وضع ظروف كل عصر فى الاعتبار ،

• الكاتب لواء أركان حرب متقاعد .

من روائع الفن العسكرى

هو أسلوب مناسب لتأكيد حقيقة (ريادة الفن العسكرى الإسلامى) وأن الأمر لم يكن مجرد « حماسة دينية » لاغير كما يدعى البعض . فالمعركة الحديثة تتضمن صوراً ثلاثاً وهى :

المعركة الدفاعية .

والمعركة الهجومية .

والمسير مع توقع الدخول فى معركة تصادمية .

وبرغم اتفاق العسكريين على أن الصورة الأخيرة من صور المعركة هى أكثرها صعوبة فى التنظيم والإدارة ، فإن القليل منهم من يعلم أن الفضل فى وضع أسسها ومبادئها يرجع إلى المسلمين الأوائل ، وأنهم سبقوا فى هذا المضمار كلا من الفرس والروم . وهو ماسوف نبرزه فى مقالنا من خلال المقارنة بين المفهوم الحديث لهذه الصورة من صور المعركة ، والمفهوم القديم لها لدى المسلمين وأعدائهم .

(المسير) والمعركة التصادمية فى الحرب الحديثة

المسير : هو تحرك منظم للقوات فى أرتال* من منطقة لأخرى عبر طرق ومناطق مختلفة للوصول إلى خط أو منطقة معينة فى وقت محدد بحيث تكون القوات المتحركة فى حالة استعداد كامل لتنفيذ مهمتها القتالية بنجاح . وبجانب أهمية اتباع قواعد السرية والإخفاء والوقاية فإن السيطرة على (المسير) تمثل أحد أهم عوامل نجاحه . وتتحقق من خلال تحديد الفواصل بين عناصر وأرتال القوات بما يتلاءم وطبيعة الأرض وسرعة التحرك ، وكذا تحديد نقاط وخطوط للسيطرة وأماكن للوقفات والراحات (لراحة الأفراد ولصيانة المعدات والأسلحة) . كما يتم تأمين المسير بدفع عناصر الاستطلاع والوقاية والحراسة (حرس أمامى - أحراس للجنب وللمؤخرة) مع دفع مقدمة أمام رتل القوة الرئيسية ، وأحيانا يتم أيضا دفع مفارز للقتال ، وتعطى أهمية خاصة للسيطرة على نظام استهلاك المياه عند المسير فى المناطق الصحراوية ، وذلك فضلا عن أهمية تنظيم تحرك الرتل الإدارى وحمايته .

وتزداد صعوبة تنظيم وتنفيذ المسير إذا ماجرى مع توقع الدخول فى قتال تصادمى مع العدو . والمعركة التصادمية هى المعركة التى يحاول فيها كلا الجانبين تحقيق مهامهما القتالية بالهجوم ، ولعل أفضل وصف لتلك المعركة أنها أشبه بالمعركة السريعة الشرسة التى تنشب بين نمرين يحاول كل منهما أن يعتلى ظهر خصمه ليطعنه فى مقتل ، ولذلك فإن النجاح فى هذه المعركة يتوقف على أهمية المحافظة على معدل التقدم السريع والقيام بأعمال القتال الحاسمة بسرعة الفتح إلى تشكيل المعركة والهجوم ضد أجناب ومؤخرة العدو لتجزئة قواته وتدميرها على مراحل . كما أن النجاح فيها يعتمد على تحقيق المباداة والمحافظة عليها عن طريق توفير المعلومات المبكرة عن العدو والأرض ، وسرعة اتخاذ القائد للقرار المناسب والجراة فى تنفيذه .

كل هذه العوامل تشير إلى أهمية دفع العناصر التى تمد القائد بالمعلومات باستمرار . كما أنه من الضرورى دراسة الحالة السياسية والاقتصادية فى منطقة العمليات المنتظرة ، وبخاصة موقف الأهالى المحليين وميولهم والموارد

* أرتال جمع رتل - بزنة قلم : صف من الجنود عميق ومتراص .

المادية المحلية بالمنطقة . وبعد هذا العرض الموجز للمفهوم الحديث لتلك المعركة ، نحاول تتبع المفهوم القديم لها .

(المسير) والمعركة التصادمية لدى الفرس والروم :

تميزت تكتيكات الفرس والروم قبيل نشوب معارك الفتح الإسلامي ، بالجمود والثبات . فقد اعتمد الفرس والروم على القتال في تكتلات تقليدية برغم أن هذه التكتلات تطورت من تشكيل القتال المعروف «بالفلانكس» وهو مكون من خطين قتاليين ، إلى تشكيل « الليجون » المكون من ثلاثة خطوط أو أنساق مقسمة داخلها إلى وحدات فرعية زادت من عمق تشكيل القتال ومن قدرته على الحركة والمناورة باستخدام الاحتياط . كما برز دور سلاح الفيلة في جيش الفرس باعتباره عنصر الصدمة (كالمدرعات) تستغل - بخاصة - عناصر المشاة الفارسية التي تتقدم خلفه مباشرة لتحقيق الاختراق[٤] .

أما (المسير) لدى الفرس والروم ، فكان الهدف الغالب له هو تحريك تلك التكتلات التقليدية إلى جبهة القتال دون اتخاذ تشكيل مناسب للقتال التصادمي أثناء التقدم فيما عدا دفع بعض عناصر الاستطلاع والإنذار .

أي أن تكتيكات الفرس والروم لم تخرج عن نمط القتال الجامد المعتمد على الاشتباك من الاتصال المباشر بالعدو ، ولم تتبلور لديهم أساليب القتال المناسبة للاندفاع واختراق المناطق الصحراوية والدخول فجأة في قتال تصادمي . وهو مايفسر إصرار الجنرال «جلوب» على تكرار أن المسلمين كانوا دائما يسعون في كل معركة إلى جر الجيش الروماني إلى القتال في الصحراء أو في السهول المنبسطة في سوريا بينما استندت استراتيجية « هرقل » على الاحتفاظ بقواته في الخط الدفاعي المحصن بتلك المنطقة »[٥] وهو ماينفي تماما الادعاء بأن المسلمين اقتبسوا أسلوبهم في المسير والقتال التصادمي من أعدائهم ، لأن أعداءهم افتقدوا هذا الأسلوب بل إنهم عجزوا عن اقتباسه من المسلمين بدليل أنهم لم يجرءوا أبدا على اختراق الجبهة والتوغل في عمق الدولة الإسلامية رغم التفوق العددي الساحق لقواتهم .

(المسير) والمعركة التصادمية لدى المسلمين :

كان التقسيم الخماسي للجيش (إلى : قلب ، ميمنة ، ميسرة ، ساقة فمقدمة) معروفا عند العرب في العصر الجاهلي بدليل أنهم استخدموا كلمة « الخميس » في شعرهم أنذاك[٦] . كما أنهم حددوا لكل عنصر من عناصر الخميس مهمة محددة عند نشوب القتال ، ذكر «الهرثمي» تفاصيلها في كتابه [٧] . ثم جاءت معركة «بدر الكبرى» كي تفتح الباب أمام تطور وبناء المدرسة العسكرية الإسلامية الرائدة . فقد كان **«تشكيل مسير» قوات المسلمين إلى تلك الغزوة يعد قمة في تطور فن الحرب أنذاك ، حيث تضمن : حرس مقدمة ، وقوة رئيسية ، وحرس مؤخرة ، مع دفع داوريات استطلاع امام القوات وعلى اجنابها لإعطاء إنذار مبكر عند ظهور العدو**[٨] . وعندما تولى أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الخلافة ، عكست توجيهاته - إلى خالد بن الوليد عندما أرسله لحرب المرتدين مدى التطور في مجال الاهتمام بالفن والعلم العسكري لدى المسلمين . فقد تضمنت تلك التوجيهات (التركيز) على أهم نقاط تنظيم المسير والمعركة التصادمية باتخاذ تشكيل

من روائع الفن العسكرى

المسير المناسب ، وتحديد تشكيل القتال التصادمي ، وأسلوب تنظيم الاستطلاع والحراسة والوقاية وتحقيق المفاجأة وتوفير المطالب الإدارية للقوات(٩) . ثم قام خالد بن الوليد في معركة « اليرموك » بالجمع بين نظام « الخميس » ونظام «الكراديس»* ، وعبأ قواته على هذا الأساس الذى اعتبر فتحا جديدا في الفن العسكرى الإسلامي ولذلك سميت باسمه « التعبئة الخالدية »(١٠) .

وهكذا ، بينما ظل الفرس والروم يقاتلون بكتلهم الجامدة وبأساليبهم التقليدية ، تمكن المسلمون من تطوير نظام التعبئة أو المسير مع توقع الدخول في معارك تصادمية كما نسميه في المصطلحات العسكرية المعاصرة ، حتى بلغ قمة نضجه في عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) . وهو مايعكسه بأمانة كتاب عمر إلى قائد جيشه سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) قبيل خوضه لمعركة « القادسية » ، وهو ماسوف نراه بوضوح من خلال استعراضنا لهذا الكتاب .

كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)(١١) .

على الرغم من أن ماتضمنه هذا الكتاب يتناول الأمور العامة ، فهو بمثابة توجيهات صادرة من القائد الأعلى إلى قائد الجيش الميدانى ، فإنه يبين مدى روعة وعظمة تطور الفن العسكرى الإسلامي مقارنا بمفاهيم الحرب الحديثة . لذلك سوف اكتفى بعرض الكتاب مجزءا مع إضافة بعض الشروح الموجزة لإظهار هذه الروعة .

١ - مقدمة الكتاب

الهدف و الغاية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اما بعد : فإنى آمرك ، ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله افضل العدة على العدو ، واقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ؛ لان عددنا ليس كعددهم ، ولاعدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم في سبيل الله ، ولاتقولوا : إن عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بنى إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا ، واسالوا الله العون على انفسكم كما تسالونه النصر على عدوكم ، اسال الله تعالى ذلك لنا ولكم) .

بهذه المقدمة المباركة ، بعد الاستفتاح بذكر الله تعالى ، بدأ أمير المؤمنين بكلمة الأمر آمرك في صياغة قوية تحمل كل معانى الإصرار والتصميم ، وتمتد لتشمل كل الأجناد كى تؤكد مسئولية القائد عن كل فرد في جيشه . ثم عمد

* الكردوسة : الطائفة العظيمة من الخيل أو الجيش والجمع كراديس .

إلى توضيح الركيزة الأولى لتحقيق النصر ووضعها موضع الصدارة في توجيهاته ، حيث وجه قائد جيشه وجنوده من ورائه إلى أن العقيدة الراسخة والإيمان القوي والاستمساك بأوامر الحق سبحانه وتعالى هي طريق المسلمين إلى النصر . وفسر ذلك في إيجاز وبلاغة فأثبت أن نتائج المقارنة المادية للقوات بشريا وتسليحا لن تكون بحال في صالح المسلمين ، وأن « تقوى الله » هي وسيلتهم كي يميل ميزان القوى لصالحهم .

ولاشك أن وقع هذه المقدمة على ايجازها لايدانيه وقع عبارات «التوجيه المعنوي » التي لاتقوم على العقيدة والتي تتصدر تعليمات وأوامر القتال والعمليات في الحرب الحديثة .

٢ ـ القدرة على المسير :

(وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولاتجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامي الأنفس والكراع) .

تعني القدرة على (مسير القوات) في مفهوم المعركة الحديثة ، انها اقصى مسافة يمكن للقوات قطعها خلال يوم مع استعدادها لمواصلة المسير بنفس المعدل لليوم التالي . وهنا تبرز مهارة القائد في الموازنة بين عاملين متضادين : سرعة التحرك .. وراحة القوات . وقد يضطر القائد إلى تنفيذ المسير على عجل في حالة قلة الوقت المتيسر للوصول إلى الهدف وهو مايسمى (المسير الاضطراري) ويكون على حساب (إجهاد القوات) . وأهم هدف من المسير هو (وصول القوات إلى الخط المحدد) بحيث تكون في حالة استعداد كامل للقتال بنجاح ، وهو مايعبر عنه حديثا بـ (اهمية المحافظة على درجة الاستعداد القتالي للقوات طوال المسير) ولقد بين امير المؤمنين هذا المفهوم في عبارة بليغة موجزة حوت الأمر كله .

٣ ـ الوقفات والراحات :

واقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها انفسهم ، ويرمون اسلحتهم وامتعتهم . وَنَحِّ منازلهم عن قرى اهل الصلح والذمة فلا يدخلها من اصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزا احداً من اهلها شيئا ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ، ولاتستنصروا على اهل الحرب بظلم اهل الصلح) .

تضمنت هذه الفقرات أسلوب تنفيذ الوقفات والراحات ومدتها ومعدل تنفيذها والهدف منها والأعمال التي تتم فيها لتوفير الراحة للأفراد والتفتيش على الأسلحة والمعدات وصيانتها وإصلاح ماتلف منها ، كما تضمنت تحديد طبيعة الأماكن والمناطق المناسبة لتنفيذ هذه الراحات وأسباب ذلك ، ففضل أن تكون بعيدة عن المناطق المأهولة بالسكان مراعيا في ذلك دواعي الأمن فضلا عن الجوانب السياسية المتعلقة بالمحافظة على العهود الممنوحة لأهل الصلح والذمة وعدم توريطهم في قتال أو تعريضهم لأضرار لا مبرر لها .

والواقع أن الخبراء العسكريين يدركون تماما مدى دقة وروعة هذه الفقرات وأنها تضاهي ماتوصل إليه فن وعلم الحرب المعاصر .

والواقع ايضا ان التزام امير المؤمنين بما حتمته الشريعة الإسلامية وتمسكه بها كان هو المنطلق لهذا الأمر ، ولا يمنع ذلك ان هذا الالتزام كان في نفس الوقت يحقق الأمن لقوات المسلمين في مسيرهم ويحمي ظهورهم عند القتال .

من روائع الفن العسكرى

٤ ـ الاستطلاع والأدلاء :

(وإذا وطئت ارض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك امرهم ، وليكن عندك من العرب او من اهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لاينفعك خبره ، وإن صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عينا لك) .

تشير هذه الفقرات إلى أن عناصر الاستطلاع كانت تتولى القيام بمهامها طوال المسير ، وأنه بالوصول إلى أرض العدو ، يجب على القائد أن يكثف من دور هذه العناصر وأن تركز على مهام محددة هى دراسة الأرض بين قوات المسلمين والعدو ، والحصول على المعلومات الكاملة عن العدو وإرسالها بسرعة إلى القائد . وقد عبر أمير المؤمنين عن كل ذلك فى إيجاز بليغ بقوله **ولا يخف عليك امرهم** .

ثم اكد على اهمية استخدام « الأدلاء » لأن المسلمين يقاتلون فى أرض جديدة عليهم ، كما حدد اهم شروط « الدليل » وهى إلمامه بطبيعة الأرض وولاؤه وصدقه وأمانته .

٥ ـ عناصر الأمن والمفارز :

(وليكن منك عند دنوك من ارض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم ، وتتبع السرايا عوراتهم ، وتنق للطلائع اهل الراى والباس من اصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوا كان اول ماتلقاهم القوة من رايك ، واجعل أمر السرايا إلى اهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ولا تخص بها احدا بهوى فتضيع من رايك وامرك اكثر مما حابيت به اهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ، ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة او ضيعة او نكاية) .

تضمنت هذه الفقرات سردا سلسا وموجز لتسلسل إجراءات أى قائد ناجح قبيل الاشتباك فى المعركة التصادمية :

الإجراء الأول : هو الإكثار من عناصر تأمين المسير عند الاقتراب من العدو ، ثم دفع المفارز (قوات صغيرة قوية) لملاقاته قبل قتاله بالقوات الرئيسية . كما شملت التعليمات تحديداً قاطعاً لتشكيل تلك المفارز بما يناسب طبيعة عملها سواء من ناحية الصفات الشخصية لقادتها ونوعية افرادها أم معداتها وأسلحتها ـ فالقادة من أهل الرأى والبأس والجهاد والصبر ، والجنود من ذوى القوة والرغبة فى الجهاد ، أما المعدات والتسليح فهى سوابق الخيل حتى تمتلك هذه المفارز خفة الحركة والقدرة على المناورة .

كذلك حدد أمير المؤمنين طبيعة مهمة المفارز ، فحذر من تضييعها بدفعها فى مهام غير مأمونة أو محوطة بالغموض ، وأمر بدفعها فى الاتجاهات التى تتمكن فيها من تحقيق النجاح ، وبعد أن تتجمع معلومات كافية عنها ، وهى بخاصة ضد اجناب ومؤخرة العدو لقطع خطوط إمداداته وكشف نقاط ضعفه . ولقد سعى أمير المؤمنين عمر إلى تحقيق هدف هام هو **(إحراز المباداة وهزيمة العدو معنوياً قبل هزيمته مادياً)** معبراً عن ذلك بقوله **(فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رايك) .**

٦ ـ القتال التصادمى :

(فإذا عاينت العدو ، فاضمم إليك اقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك

وقوتك ، ثم لا تعاجلهم بالمناجزة ، ما لم يستكرهك قتال ، حتى تُبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الارض كلها كمعرفة اهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أذْكِ احراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جُهدك ، لا تؤتى باسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولى أمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان والحمد لله رب العالمين) .

فى كلمة واحدة وهى « معاينة العدو » جمع أمير المؤمنين معانى كثيرة : فهى تعنى إلمام القائد بالعدو بشكل كامل وكأنه يراه رأى العين ـ عدته وعَدده وتسليحه ومكانه وأعماله وتحركاته بل وأيضاً استنتاج نواياه ـ ثم الموازنة بينه وبين قوة المسلمين لاتخاذ القرار المناسب لقتاله وهو ما يطلق عليه (**تقدير الموقف**) فى المفهوم المعاصر . ثم يحدد أمير المؤمنين الفكرة العامة لهذا القرار وهى تجميع القوى وحشدها وتنظيمها : خداع العدو والكيد له ، تحديد نقاط الضعف فى العدو لضربه فيها ، الإلمام التام بالأرض كلها لتحقيق المناورة بنجاح ، ثم أخيراً الجراة فى القتال .

وفى صياغة رائعة وبليغة ، يحذر عمر قائد جيشه من عدوه ، ويفهمه أن العدو سوف يسعى ـ كما يسعى هو ـ إلى مفاجاته ، وينصحه بالتأنى قبل المبادرة بالهجوم وهو ما يسقط إدعاءات المستشرقين بأن المسلمين انتهجوا أسلوب الاندفاع المحموم المبنى على مجرد « الحماسة الدينية » .

كما يؤكد عمر على نقطة هامة فى تلك المرحلة من القتال ، وهى (حيوية تأمين الجيش الإسلامى) بالإكثار من الأحراس على الجنب والمؤخرة وبخاصة حول المعسكرات ليلاً ، ويحدد أسلوب معاملة الجواسيس حتى يأمن الجيش خطرهم . ثم يختتم أمير المؤمنين كتابه بإعادة تذكرة قائد الجيش بأن النصر من عند الله سبحانه وتعالى طالما اتقاه ، وتوكل عليه هو ومن معه من الجند . وكما بدأ عمر (رضى الله عنه) توجيهاته بالاستفتاح باسم الله اختتمها بحمده وطلب العون منه سبحانه وتعالى .

ولم يكن كتاب عُمر السابق هو آخر توجيهات أمير المؤمنين إلى قائد جيشه سعد بن أبى وقاص ، وإنما تبادل معه أكثر من سبع رسائل حتى التحم سعد بجيشه مع الفرس فى معركة القادسية[١٢] .

وقد تضمنت تلك الرسائل تقارير عمليات مرفوعة من القائد الميدانى للجيش إلى القائد الأعلى عمر بن الخطاب وتوجيهات عمر ردا عليها . وجرى خلالها عمل دراسة دقيقة ورائعة لطبيعة أرض المعركة المقبلة وتدقيق كامل لأوضاع جيش الفرس وقوته وتسليحه وموقف جيش المسلمين فى مواجهته . وتكرر بها التاكيد مرارا على أهمية « التحام » قائد جيش المسلمين بجنوده والتزامهم جميعاً بتقوى الله والصبر على الجهاد . وانتهت تلك الرسائل بنصيحة أمير المؤمنين لقائده حدد فيها القرار المناسب للقتال واستمر الاتصال بين عمر وقائد جيشه قائماً حتى فتح الله على المسلمين ونصرهم . ويضيق المجال هنا عن استعراض تلك الرسائل وإظهار مدى ما حققته المدرسة العسكرية الإسلامية من تطور فائق فى مجال « علم الحرب » وقدرة المسلمين آنذاك على الدراسة المتأنية واستخلاص دروس وخبرات القتال بشكل فاق كل تصور .

خاتمـــة

لقد ابتكرت العقلية الاستشراقية دعوى أن « الحماسة الدينية » كانت سبباً فى انتصار المسلمين فى معارك الفتح دون ما دراسة واعية لطبيعة العمل الحربى والعبقرية فيه . وللأسف

من روائع الفن العسكرى

الشديد ، انتقلت تلك المقولة إلى كتابات العديد من المسلمين ، بل أصبحت تُدرس لأبنائهم حتى تربت أجيال على أنها حقيقة لاشك فيها وبالتالى ترسخت فى خيالهم صورة غير صحيحة لمعارك الفتح الإسلامى .

واعتقد أن ما جاء فى هذا المقال اثبت أن « التمسك بالدين » كان هو السبب الحقيقى للنصر ، وليست « الحماسة فقط » والفارق بعيد بين المفهومين ، فالحماسة الدينية أمر يعتمد على العاطفة التى قد تصل إلى حد الاندفاع والتهور وهو وصف لا ينطبق على سلوك المسلمين كما رأينا ، بينما « التمسك بالدين » أمر عقلى يتسم بالرزانة ويرفع من قدر العلم ويعتمد على الإرادة الصلبة والالتزام بالحق . وفى ظل التمسك بالدين تنطلق الطاقات الإبداعية فى شتى المجالات ، ومنها مجال العلم العسكرى . ولا نتصور ـ أن ما حققته الـ ـة العسكرية الإسلامية من تطور رائع فى مجال العلم العسكرى ـ وقد رأينا جانباً واحداً منه ـ يمكن أن يحدث فى ظل « الحماسة الدينية » ولكنه كان إحدى ثمار « التمسك بالدين » .

والحمد لله رب العالمين

المراجـــع

١ ـ منير شفيق ، بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الأولى ، مقال منشور فى مجلة « دراسات عربية » أبريل ١٩٧٢ .

٢ ـ جون باجوت جلوب ، امبراطورية العرب ، دار الكتاب العربى ـ بيروت ١٩٦٦ .

٣ ـ لواء ركن محمود شيت خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ، دار الشروق ـ ط أولى ١٩٨٣ .

٤ ـ منير شفيق ، علم الحرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٢ .

٥ ـ جون باجوت جلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٣ .

٦ ـ مولوى حسينى ، الإدارة العربية ـ الألف كتاب ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٧ ـ الهرثمى الشعرانى ، مختصر سياسة الحروب ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٨ ـ لواء ركن محمود شيت خطاب ، غزوة بدر الكبرى الحاسمة ، ملحق مع « مجلة الأمة » القطرية .

٩ ـ د . احمد غنيم ، الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة فى حروب الردة (تحقيق لأربعة مخطوطات للكلاعى الأندلسى) دار الاتحاد العربى للطباعة ، القاهرة ١٩٧٩ .

١٠ ـ مقدم ياسين سويد ، معارك خالد بن الوليد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٥ .

١١ ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥ . وايضاً احمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العرب فى العصور الزاهرة الجزء الأول ، مكتبة الحلبى ـ القاهرة ١٩٧١ .

١٢ ـ ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥ وايضاً : ابى جعفر محمد ابن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٩ واحمد زكى صفوت ، مرجع سابق .



للأستاذ الدكتور عبد البصير خليفة حسن

كانت وقعة "احد" يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة قال قتادة : لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال .

وقال عكرمة : يوم السبت للنصف من شوال ، وكان في هذا اليوم ما كان من الابتلاء والاختبار والتمحيص ، ميز الله فيه الخبيث من الطيب ، والمؤمن من المنافق ، والثابت من المضطرب ، قال تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾(١) .

شجاعة الرسول ﷺ

من الثابت ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اشجع الناس ، روى الدارمي بسند صحيح عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « ما رايت انجد ولا اجود ولا اشجع ولا ارمى من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما : « كنا ـ والله ـ إذا حمى الباس نتقى به وإن الشجاع منا للذى يحاذى به . يعنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم .

وفي هذا اليوم انكشف المسلمون عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظل واقفاً في وجه العدو تفيىء إليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفترق عنه اخرى وهو يدعوهم « إلىَّ عباد الله » قال تعالى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾(٢) لقد ثبت ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه عصبة من أصحابه وما زالوا قدماً واحدة .

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٠ ـ ١٤١

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٥٣

أحد .. وثباته ﷺ

روى ابو يعلى بسند حسن عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : « لما انجلى الناس عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم" أحد" نظرت فى القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : والله ما كان ليفر ، وما أراه فى القتلى ، ولكن أرى الله تعالى غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما لى خير من أن اقاتل حتى اقتل فكسرت جفن سيفى ، ثم حملت على القوم ، فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بينهم أى يقاتلهم » .

مصرع ابىّ بن خلف بيد رسول الله ـ ﷺ ـ :

روى البيهقى فى دلائل النبوة عن عروة بن الزبير قال : « كان ابى بن خلف اخو بنى جُمَحٍ قد حلف ـ وهو بمكة ـ ليقتلن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما بلغت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلفتُه ، قال : بل انا اقتله إن شاء الله ، فأقبل ابىّ متقنعاً فى الحديد ، وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فَحَمَلَ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبدالدار ، يقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه ، فقتل مصعبَ بن عمير ، وأبصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ترقوة ابى بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة[٣] ، فطعنه بحربته فوقع ابى من على فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا : ما اجزعك إنما هو خدش فذكر لهم قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : انا اقتل ابياً ، ثم قال : والذى نفسى بيده لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون ، فمات إلى النار فسحقاً لأصحاب السعير .

روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله ـ عليه وسلم : اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله ـ عز وجل » .

ما أصابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جراح :

جاء فى صحيح مسلم عن انس ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كسرت رباعيته[٤] يوم" أُحُد" وشُجَّ فى رأسه فجعل يَسْلِت الدم عنه ويقول : كيف يفلح قومٍ شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ـ وهو يدعوهم إلى الله ـ فأنزل الله عز وجل (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)[٥] .

ومجموع ما ذكر فى الأخبار انه شُجَّ وجهه ، وكسرت رباعيته ، وجرحت وجنته[٦] وشفته السفلى من باطنها ، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت[٧] ركبته ، كما هشموا البيضة على رأسه ـ صلى الله عليه وسلم .

روى البزار ـ بسند حسن ـ عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اشتد غضب الله على قوم هشموا البيضة على رأس نبيهم وهو يدعوهم إلى الله » وضرب وجه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا اليوم سبعين مرة حفظه الله من سوئها .

روى عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى قال . « ضرب وجه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ بالسيف سبعين ضربة » .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : هذا (مرسل) قوى ، ويحتمل ان يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة فى الكثرة .

---

(٣) البيضة : الخوذة

(٤) رباعيته : قال فى الفتح : هى السن التى بين الثنية والناب انها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من اصلها .

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٢٨ .

(٦) وجنته : ما ارتفع من الخدين .

(٧) جحشت ركبته : خدش جلدها .

الذين صنعوا ذلك بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومصيرهم :

تروى كتب السير أن الذين فعلوا ذلك بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن قمئة الليثى ، وعتبة بن أبى وقاص ، وعبدالله بن شهاب ، قال ابن هشام: إن عتبة بن أبى وقاص هو الذى كسر رباعية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وعبدالله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته ، وعبدالله بن قمئة جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من المغفر[٨] فى وجنته ، أ . هـ . بتصرف .

فأما عتبة بن أبى وقاص فما حال عليه الحول حتى مات كافراً .

قال السهيلى : ولم يولد من نسل عتبة ولد يبلغ الحلم إلا وهو أهتم أبخر يعرف ذلك فى عقبه .

وأما عبدالله بن شهاب فأسلم بعد ذلك ، وابن قمئة لما رمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أقماك الله » فسلط الله عليه تيس[٩] جَبَلٍ فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة » .

كيف داوى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرحه :

روى الشيخان والبيهقى والطبرانى واللفظ له عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ : « أن وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرح يوم "أحدٌ" ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وانصرف المشركون فخرج النساء إلى الصحابة فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اعتنقته ، وجعلت تغسل جراحته وعلى يسكب الماء بالمجن فتزايد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصيرة فأحرقته بالنار حتى صار رماداً ، فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم » .

تعظيم أجره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك :

قال الحافظ فى الفتح : إن الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ، ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم .

رحمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفقته على أمته :

قال القرطبى ـ رحمه الله : قال علماؤنا فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم » ، استبعاد لتوفيق من فعل ذلك به ، وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ تقريب لما استبعده وإطماع فى إسلامهم ، ولما طمع فى ذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » كما فى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : « كأنى أنظر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

قال علماؤنا : فالحاكى فى حديث ابن مسعود هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، وهو المحكى عنه بدليل ما قد جاء صريحاً مبيناً أنه عليه الصلاة والسلام لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم "أحد" شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً وقالوا لو دعوت عليهم فقال : « إنى لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » أ . هـ .

وفى هذا بيان لحلمه وعفوه وشفقته على قومه ودعائه لهم بالهداية والغفران ، وعذرهم فى جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون ، جزاه الله عن أمته ودينه بأفضل ما جزى به نبياً من أنبيائه على حلمه وصبره وما قدم لأمته .

وبالله التوفيق .

(٨) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

(٩) تيس جبل : الذكر من الظباء .

أول بيان سياسى

للخلافة فى الإسلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور
عبد المقصود محمد نصار *

لقد اذاع ابو بكر - رضى الله تعالى عنه - اول بيان سياسى بعد توليه الخلافة ، يعتبر وثيقة سياسية لكبار السياسيين والمصلحين ، وقمة فى منهج الحياة الكريمة ، وأسوة طيبة لمن وسد إليه امر الدنيا والآخرة . ودستوراً للحكم الصالح ، كما احتوى على قيم سياسية لم تعرفها البشرية من قبل ، لما فيها من المبادىء السامية القائمة على تقوى من الله تعالى .

وضع - رضى الله تعالى عنه - كما يقولون : النقط فوق الحروف لقضايا الحكم الراشد ، فكان المنهج لمن يريد الإصلاح للوصول بالمجتمع إلى المجد .

قال - رضي الله تعالى عنه - بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه :

« أيها الناس .. إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت(1) فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، إن شاء الله تعالى ، لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، اطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » .

هذا هو البيان الذى وجهه أبو بكر للناس بعد بيعته ، وقد صار على رأس الدولة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيان بديع محكم ، ولو

* أستاذ التاريخ المتفرغ - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

(1) وفى رواية : (وإن صدفت) صدف عن الشىء لم يفكر فيه ، أو صرف الناس عنه ، يقال : صرف عنه من باب ضرب وجلس أعرض وصدف فلانا وأصدفه عن كذا صرفه وأماله عنه .

اننا وقفنا بين يدى هذا البيان اياما وأياما نتأمل ما فيه من خطوط ترسم سياسة الصديق العامة ، وتبين عظمة الإسلام ومبادئه السامية لوجدنا الكثير - وإنا على كثرة ما عرفناه من التاريخ من مواثيق وخطب استهل بها الحكام عهودهم وحكمهم ، لم نجد فى ماضيه الطويل او فى حاضره مثل هذه الحكمة التى بدأ بها ابو بكر عهده مع الناس .

« ايها الناس .. إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن احسنت فاعينونى وإن اسأت فقومونى .

الا ما اعظمها من بداية حين يبدأ الحاكم عهده مع الناس بانتزاع أى وهم من صدورهم يمكن أن يجعلهم يضعون الحاكم فوق قدره ، او فى مستوى اعلى من مستواهم ، وإنما يبين لهم فى وضوح وصدق إيمان أن الحكم لن يرفعه عليهم ،

وإنما الحكم فى راى أبى بكر رضى الله تعالى عنه . خدمة عامة ومسئولية كبرى أمام الله تعالى ، إنه وظيفة لا استعلاء ، إنه ولاية للشعب بأمر الشعب لا غطرسة ولا استبداد لأنه ليس بخيرهم ، وإنما هو واليهم - يحكم بهدف تربية شعب حر كريم عزيز ، يعرف الناس فيه وعنه أن حاكمهم واحد منهم ، وليس متميزا عنهم ، وتولى امرهم ليدبر حركة حياتهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وهو مع كل هذا بشر يحسن فيقروه على امره إن احسن ، ويؤيدوه ويشدوا ازره ، ويقوموه ويشيروا عليه بالراى الصواب إن اساء .

« إن احسنتُ فأعينونى ، وإن اسأت فقومونى » .

الله اكبر !! يالها من مبادىء لو طبقت لصنعت ما يشبه المعجزات .

هذا ابو بكر رضى الله تعالى عنه ثانى اثنين إذ هما فى الغار وصديق النبى - صلى الله عليه وسلم - بل وصاحبه ووزيره وخليفته من بعده ، يضع فى اول خطبة له دستوراً فيه دعوة للرعية ان يعينوه على حكمهم إذا احسن ، وأن يقوموه إذا اساء .

إنه رضى الله عنه بهذه العبارة الخالدة جعل محاسبة الشعب للحاكم مبدأ اساسياً من مبادىء الحكم الإسلامى ، وحكمهم له أو عليه هو دستور واجب النفاذ .

إن هذا المبدأ - مراقبة الشعب لحاكمه ، ومحاسبته إياه لهو مبدأ تتباهى به الديمقراطيات الحديثة ، وتحسب انه من بدع العصر الحديث ، وما عرفوا انه من وضع الصديق رضوان الله تعالى عليه ، وانه مقرره فى اول بيان له إلى الأمة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا قد مضت .

كان ابو بكر رضى الله عنه ، بهذه الكلمات صاحب اعظم برنامج سياسى عرفناه .

إنه فرد فى الأمة ، وليست الأمة فى فرد ، رغم انه كان خيرهم لأنه الصديق الذى توافر له من الصدق ، ومن الأمان ، ومن السابقة فى الإسلام ، ومن الرشد ما لم يكن لأحد بعده ، لكنه مع كل هذا ، وغيره مما هو كثير ، يعرفهم بأنه ليس بأفضلهم ، أو ليس له من المنزلة ما يجعله فوق المساءلة .

رجل له كل هذه الصفات والمزايا وسط هذه الجماعة المؤمنة الفاضلة يبدأ خلافته بهذا البيان ، يوضح فيه انه فى اشد وأمسّ الحاجة إلى

أول بيان سياسى للخلافة فى الإسلام

ما عندهم من رشد ورأى ، ذلك لأنه صاحب مبدأ :

« الصدق أمانة والكذب خيانة » .
ومن أولى بالصدق من الصديق .

الصدق مع الله تعالى فيما عاهد الله تعالى عليه .

والصدق مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما آمن به وصدقه .

وصدقه مع النفس فيما يراه واجبا عليه للأمة الإسلامية .

كذلك كانت نفس الصديق ـ رضى الله عنه ـ وشعاره الصدق الثابت له فى حياته .

لذلك كان حين يستعرض فى فترة خلافته أمراً ، نراه صادقا فى كل ما عاهد الله تعالى عليه ، صادقا فى كل ما دعا شعبه إليه لأنه تربى فى مدرسة الصادق الأمين ، وتتلمذ على يد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يغر الأمة بوعود كثيرة تتكشف عن خواء ؛ إنه الصديق وقد التزم بشعاره الذى أعلنه فى بيانه :
« الصدق أمانة والكذب خيانة » .

سيادة القانون :

ثم إنه قد أوجب على نفسه أن يشعر بضعف الضعيف ، وحاجة المحتاج ، وأن يكون عونا للضعيف حتى يصل إلى حقه » .

« الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له » .

هل سيادة القانون ، وهو المبدأ الذى ينادى به المصلحون إلا هذا الذى جاء فى طى عبارة أبى بكر ؟ إنه يعلى مبدأ الحق ، ويعيش حياته كلها فى سبيل نصرة الحق .

« والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله تعالى » إذاً فلتهنأن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ براعيها بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يعلن هذه المبادىء .

ولا ننسى أنه أعلن هذه المبادىء ، وهو يعلم أن فى المجتمع المسلم الناشىء رجالا بلغوا من العصبية القبلية مبلغا قد يجعلهم يحسون أن لهم على الناس فضلا ومنزلة بها يتميزون عليهم كما هو معلوم لدارس تاريخ العرب قبل الإسلام والجهد الذى بذله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القضاء عليها . وها هو أبو بكر رضى الله تعالى عنه يعلن أن حكومته ومبداه فى الحكم (الا طبقية) ، و (لا ارستقراطية) بل عدالة فى الحق أمام قانون إسلامى فوق الجميع ، جاء به الوحى الأمين ، وطبقه محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

مرجع عظمة الأمة :

ثم إن هذه الأمة الإسلامية لم تبلغ هذه العظمة التى عاشت فى ظلالها إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى ، فلا بدّ من أن يحافظ عليه حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فهذا قوله « لا يدع أحد منكم الجهاد ؛ فإنه لم يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل » .
يريد بذلك أن يوضح للأمة الإسلامية سبيل بقائها عزيزة كريمة غلابة ، إنه الطريق الواحد

طريق الجهاد فى سبيل الله تعالى لإعلان كلمة الحق والعدل الذى تشع عليه شمس الكرامة والعزة ـ هو الجهاد الذى لم يدعه قوم إلا ضربهم الله تعالى بالذل والهوان والاستعباد .

صدق التطبيق :

ولقد كانت حياته ـ رضى الله تعالى عنه ـ بعد هذا البيان تطبيقا لما قال .

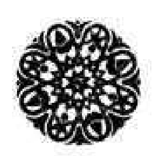
رأيناه بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينادى فى الناس : أنفذوا جيش أسامة .

ويأتيه من يحذره من خطر المرتدين ، فينظر إلى من حذره ، ويصيح قائلا : « والله لو لم يبق غيرى وتخطفتنى الذئاب لأنفذته كما أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما هذه العبارة الخالدة إلّا دليل قاطع على صدق ما يقول :

« والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحاربتهم عليه » .

يالروعة إيمان الصديق وصدقه فى الجهاد .

والحديث عن الصديق جميل وممتع وإننا نتمنى : أن يكون هذا البيان هو دستور أمتنا العزيزة ، بل وكل العالم الإسلامى الذى يستمد من الأزهر ، النور والعلم والمعرفة ، فهو الذى يشع معالم الشريعة الإسلامية الخالصة من كل شائبة ، كما تقررت فى القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم . كما اتمنى أن يكون هذا البيان دستوراً لكل الدول الإسلامية ، وأن يكون منهجاً للمسئولين وتطبيقا لما قاله الصديق قولا وعملا .



الفتاوى

إعداد: أحمد تقى الدين

تفضيل بعض الأولاد على بعض

يقول ع . م . ف إنه قد وزع بين ابنائه، وهم: سبعة ذكور واربع إناث مبلغا من المال فى حياته ولم يساو بينهم فى عطيته فبالنسبة للذكور خص اربعة منهم بجزء كبير حيث إن احدهم مريض وعاجز عن الكسب، والثانى كثير الأولاد، والثالث حتى يشجعه على العمل بجد واجتهاد، والرابع لسعيه فى طلب العلم اما البنات فقد وهبهن ربع ما وهب الذكور موزعا بينهن بالتساوى فما راى الدين فى ذلك ؟

اجاب فضيلة الشيخ عطية صقر فقال :

فى عدة روايات لمسلم يكمل بعضها بعضا : ان عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير سألت اباه أن يهبه بعض ماله ، فالتوى بها سنة - أى تباطأ - ثم بدا له أن يفعل فوهبه غلاما ، فقالت : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابنى ، فأخذ بيده ، وكان يومئذ غلاما فأتى رسول الله ﷺ فقال له : يارسول الله ، إن ام هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذى وهبت لابنها ، فقال له رسول الله ﷺ : «يابشير الك ولد سوى هذا» ؟ قال : نعم فقال : «أكلهم له مثل هذا» ؟ قال : لا ، قال : «لا يصح هذا ، اشهد على هذا غيرى ، فإنى لا أشهد على جور ، اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم ، الا يسرك أن يكونوا لك فى البر سواء» ؟ قال : بلى ، قال : «فإنى لا أشهد» .

وروى مسلم وغيره أن النبى ﷺ قال : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا» .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله يحب ان تعدلوا بين اولادكم حتى فى القُبَل ، سووا بين اولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء على الرجال» رواه الطبرانى وسنده ضعيف .

لكن قال عنه ابن حجر فى فتح البارى: رواه سعيد بن منصور البيهقى من طريقه وإسناده حسن .

قال النووى فى شرح صحيح مسلم (ج ١١ ص ٦٦): فلو فضل بعضهم او وهب لبعضهم دون بعض فمذهب الشافعى ومالك وأبى حنيفة: أنه مكروه وليس بحرام ، والهبة صحيحة ، وقال طاووس وعروة ومجاهد والثورى وأحمد وإسحاق وداود : هو حرام .

واحتجوا برواية «لا اشهد على جور» وبغيرها من الفاظ الحديث ، واحتج الشافعى وموافقوه بقوله ﷺ «فأشهد على هذا غيرى» قالوا : ولو كان حراما او باطلا لما قال هذا الكلام ، فإن قيل : قاله تهديدا ، قلنا : الأصل فى كلام الشارع غير هذا .. ثم قال : وأما قوله ﷺ : «لا أشهد على جور» فليس فيه أنه حرام؛ لأن الجور هو الميل عن الاستواء والاعتدال ، وكل ما خرج عن الاعتدال

فهو جور سواء أكان حراما أم مكروها . وارتضى النووى أنه مكروه كراهة تنزيه ، وكما قال أصحاب الشافعى : يستحب له أن يهب الباقين مثل الأول؛فإن لم يفعل استحب رد الأول .

قال العلماء : ومحل الحرمة أو الكراهة فى التفضيل إن لم يكن لسبب شرعى فلو كان أحدهم مريضا أو أحدهم لا يستطيع الكسب ولا الوفاء وحده بما يلزم فذلك جائز ويحمل على هذا ما ورد من تفضيل الصحابة بعض أولادهم على بعض ، لأن أبا بكر فضل عائشة على غيرها من أولاده ، وفضل عمر ابنه عاصما بشىء وفضل عبدالله بن عمر بعض أولاده على بعض «الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع جـ ٢ ص ٨٩» .

جاء فى معجم الفقه الحنبلى لابن قدامة «ص ٧٢٠» : يجب على الإنسان التسوية بين أولاده فى العطية إذا لم يختص أحدهم بمعنى يبيح التفضيل ، فإن خص أحدهم أو فاضل بينهم أثم ووجبت عليه التسوية ، إما بِرَدِّ ما فضل به البعض ، وإما بإتمام نصيب الآخر ، أما التسوية فى الميراث فهى كما شرع الله ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، وإن خص بعض أولاده بعطية لمعنى يقتضى التخصيص كزَمَانة أو كثرة عائلة أو انشغاله بعلم ، أو صرف عطيته عن بعضهم لفسقه أو بدعته أو لاستعانته بذلك على معصية جاز ذلك ، وقيل : لابد من التسوية ويمنع التفاضل ، والأول أصح .

وجاء فيه أيضاً : وإذا أراد أن يقسم ماله قبل موته بين أولاده فالأولى أن يترك ذلك لفرائض الله ، فلعله يولد له بعد القسمة ، فإن ولد فأعجب إلى أن يرجع فيسوى بينهم ، فإن ولد الولد بعد موت أبيه لم يكن له الرجوع على إخوته ، وفى رواية:يحق له ذلك ، ولا خلاف فى أنه يستحب لإخوته أن يساووه فى هذه العطية .

ولو فاضل بين أولاده فى العطية وهو فى صحته ثم مات قبل أن يسترده ثبت ذلك للموهوب له ولزم ، وليس لبقية الورثة الرجوع ، وفى رواية : لسائر الورثة أن يرتجعوا ما وهبه . أ هـ .

هذا ، وجاء فى كلام النووى «شرح صحيح مسلم جـ ١١ ص ٦٦» قوله : ينبغى أن يسوى بين أولاده فى الهبة ، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل ، ويسوى بين الذكر والأنثى. وقال بعض أصحابنا ـ الشافعية ـ يكون للذكر مثل حظ الأنثيين . والصحيح المشهور أنه يسوى بينهما لظاهر الحديث .

يقول الشيخ طه حبيب ـ عضو المحكمة العليا الشرعية الأسبق ـ بعد ذكر حديث النعمان وتعليق النووى عليه : من هذا يتبين أن هبة الوالد لولده كل ماله ، أو تمييزه أحد أولاده عن بقيتهم ـ تصرف مكروه شرعا ، ومع ذلك نافذ لازم متى كان المتصرف صحيحا غير محجور عليه وكان التصرف منجزا ، أما إذا كان التصرف مضافا إلى ما بعد الموت فإنه يعتبر وصية . فإن كان لأجنبى نفذ من ثلث المال بعد الدين والتجهيز ، أجاز الورثة أم لم يجيزوا ، وتوقف على إجازتهم فيما زاد على الثلث ، فإن أجازوا نفذ وإلا لم ينفذ ، وإن كان التصرف المضاف إلى ما بعد الموت للوارث فإنه يعتبر وصية ، ولا وصية لوارث إلا بإجازة بقية الورثة بعد موت المورث .

ومثل ذلك التصرف المنجز فى مرض الموت للوارث فإنه يعتبر وصية أيضاً لا تنفذ إلا بإجازة الورثة . ثم قال :

وصفوة القول:أن تصرف المالك فى ملكه نافذ من كل ماله متى كان صحيحا غير محجور عليه ، ليس لأحد حق الاعتراض عليه ، ونفاذ التصرف لا يمنع من أن يكون المتصرف ظالما يستوجب بهذا الظلم الإثم إن قصد بإعطاء أحدهم

الفتـــــــــــــاوى

الإضرار بالباقين ، أما إذا أعطى أحدهم جزءا من ماله لسبب يقتضيه كما لو كان ذا أولاد كثيرة ، أو كان فى حاجة إلى معونة لسبب آخر كطلب العلم ، أو كان قصده أن يشجعه على العمل بجد واجتهاد؛ فإن هذا لا إثم فيه ولا حرج ، وإن كان الأفضل أن يسوى فى العطاء ، حتى قال بعضهم: بتسوية البنت والغلام فى العطاء ، لأن هذا شيء غير الميراث .

ثم قال :

إن حق الورثة لا يتعلق بمال المورث إلا إذا كان مريضا مرض الموت ، وهو الذى يكون منه الموت ، فلا محل للقول بأن تصرف الرجل الصحيح الخالى من الحجر لسفه أو دين ينافى حكمة التوريث ، لأن التوريث بعد الموت ، والتصرف قبله فى وقت لم يكن لأحد من الذين سيرثون عند الموت حق فى مال المتصرف .

وبهذا الايضاح يتبين أن حرمة الملك مكفولة ، والحكمة فى التوريث محققة لا تنافى صحة التصرف الصادر من الصحيح الذى يملكه .

الحضانة للجدة

● انا جدة ولى حفيدة من ابنى عمرها الآن اربعة عشر عاما واربعة اشهر وقد تركتها امها فى حضانتى وقت انفصالها عن ابيها بناء على اشتراطه التنازل عن الحضانة لإتمام الانفصال ، وابوها الآن متزوج من اجنبية وعنده ابناء . امها الآن متزوجة من اجنبى وعندها منه ابناء ، وانا كسيدة تتوافر فى شخصى جميع شروط الحضانة الشرعية: هل من حقى الشرعى الاحتفاظ بحضانة حفيدتى بعد سن الرابعة عشرة .

(م . م . م)

ـ مادامت الأم قد تنازلت عن حضانة ابنتها وليس هناك من يصلح للحضانة إلا جدتها لأبيها وقد احتضنتها فعلا حتى بلغت الرابعة عشرة ، وهى تسمح لأبيها برؤيتها والاستمتاع بلقائه ، كما تسمح لوالدتها المطلقة برؤية ابنتها فى منزل الجدة، أو فى منزل أم المحضونة (المطلقة)، أو حسبما يتم الاتفاق على مكان التلاقى .

وبناء على هذا لا تستحق الأم أن تستقل بحضانة البنت لزواجها من أجنبى، ولا للأب بحضانتها؛ لأنه متزوج من أجنبية، والمصلحة تقتضى أن تبقى الفتاة فى حضانة جدتها لأبيها ولا يجوز انتزاع المحضونة منها لا للأب ولا للأم لما قد يؤدى إليه ذلك من ضرر الفتاة حتى تتزوج والله تعالى أعلم .

يطبق حد الزنى

● هل يطبق حد الزنى على رجل زنى بامرأة ثم تزوجها ، وما حكم هذا الزواج ؟

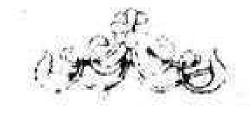
ـ نعم يطبق حد الزنى على من زنى بامرأة ولا يسقط الحد بزواجه منها بعد ذلك ، وإن لم يقم عليه الحد يجب أن يتوب إلى الله توبة نصوحا عسى أن يغفر له ، أما الزواج منها ففيه خلاف بين العلماء حول الجواز والحرمة بناء على تفسير قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور / ٣) .

وعلى ذلك نهى رسول الله ﷺ (مرثدا الغنوى) ان يتزوج (عناق) وكانت بغيا . ولكن إذا كان زواجه منها على أحد الرأيين شعوراً بالندم وتوبة إلى الله فقد يكون ذلك أمارة على قبول توبته .

وقال ابن القيم فى (بدائع الفوائد) : لو زنى بامرأة ثم أراد أن يتزوجها لا يصح إلا بعد علمه بتوبتها ، وذلك بمراودتها على الزنى ، فإن ابت كانت تائبة ، ويرى آخرون أن زواجها صحيح مادام قد استوفى الأركان والشروط .



فلسطين واليهود



القدس بين المواثيق الدولية
والأطماع الصهيونية



للأستاذ الدكتور أحمد شلبى

يوجد فى فلسطين فى العهد الحاضر صراع بين القوة من جانب والحق من جانب آخر، وهذا الصراع يتخذ من التاريخ سنداً له ، فاليهود اصحاب القوة فى العهد الحاضر يدعون ان الارض ارضهم ضاعت منهم فترة من الزمن وعادوا إليها ، والفلسطينيون يرون عكس ما يراه اليهود ، ويؤكدون أن وجود اليهود على ارض فلسطين كان فترة قصيرة طارئة منذ الاف السنين ، وان الارض ارضهم هم ، ولهم فى ذلك حجج وبراهين .

ونريد فى هذه الدراسة ان نبين الحق كل الحق معتمدين على ادق مالدينا من مصادر فى هذا الموضوع ، وان نسير فى هذه الدراسة مسيرة علمية لا دخل للعواطف فيها ، فنتخذ من المصادر الأجنبية مراجع لنا حتى نبعد عن اى اتهام .

أقدم السكان فى منطقة فلسطين :

إذا أردنا أن نتعرف على أقدم السكان فى هذه المنطقة فإننا ينبغى أن نعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد لنرى أفواجاً من القبائل العربية تهاجر من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال تحت ضغط القحط وقسوة الصحراء ، ويقول Charles Faster Kent[1] إن (الفينيقيين) كانوا أسبق هذه الجماعات المهاجرة ، وقد وجدوا على شاطىء البحر المتوسط مستقراً لهم فأقاموا به ، وكان مقرهم شريطاً ساحلياً ضيقاً يحده البحر من الغرب وتعزله السلاسل الجبلية بالشرق عن باقى المنطقة ، ومن هنا اتجه هؤلاء إلى البحر فركبوه واتصلوا عن طريقه بدول كثيرة عن طريق

(١) A History of the Hebrew People p. 29

التجارة ، وسرعان ما أصبح هؤلاء جنسا شهيرا فى سيادته التجارية عبر البحار ، ثم امتد نشاطهم فأصبحوا حملة الحضارة بين دول العالم القديم .

وإلى الجنوب من (الفينيقيين) نزلت قبائل عربية أخرى اشهرها قبائل (الكنعانيين) حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م واستقرت على ضفة الأردن الغربية منسابة نحو البحر المتوسط وسميت هذه المنطقة باسمهم فأصبحت تدعى « أرض كنعان » وهو الاسم الذى يكثر وروده فى التوراة . وحوالى سنة ١٢٠٠ ق . م نزلت بالساحل المطل على البحر الأبيض جماعات من جزيرة كريت (أقريطش) وكانت هذه الجماعات او القبائل تسمى قبائل فلستين ، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، وتم بين هؤلاء وأولئك مزيج غلب عليه الدم العربى واللغة السامية من جانب ، والاسم الوافد من كريت من جانب آخر ، فأصبحت هذه البلاد تعرف بفلسطين .

فى الشمال الشرقى لنهر الأردن كانت تعيش قبائل (الآراميين) الوافدة من حوض الفرات بعد أن ازدحمت سهول دجلة والفرات بالوافدين من الجزيرة العربية ، وهذه القبائل هى المعروفة فى الكتب المقدسة بالسوريين ، وكانت دمشق عاصمتها ، وكانت هذه القبائل تعمل فى الزراعة ، ولكن موقعها دفعها للعمل فى التجارة البرية ، فإذا كان الفينيقيون قد اشتهروا بركوب البحر متاجرين ؛ فإن السوريين ركبوا البر منافسين لهم فى النشاط التجارى ، والآراميون كانوا قريبين جدا من الكنعانيين فى لغتهم وديانتهم وعنصرهم .

وإلى الشرق من نهر الأردن إلى جنوب البحر الميت تقع الممالك الثلاث : عَمُون ومُؤاب وأدوم ،



المنطقة قبل زحف العبرانيين

وسكانها ينحدرون ـ كالآراميين ـ من سهل الفرات وتربطهم بهم روابط نسب ، كما أن روابط جمة تشمل اللغة والعادات والأفكار الدينية كانت تربط هذه الممالك بعضها ببعض ، وكانت لغتها لهجة من الكنعانية .

مــؤاب :

وتعتبر مؤاب اكثرها حضارة إذ كانت أسرعها فى التحول من (نظام البدو) إلى عالم الحضارة ، ويبدو أن خصب موقعها ساعد على سرعة التحول فاستقرت واشتغلت بالزراعة وبنت المدن العظيمة .

فلسطيـــن واليهـــود

ادوم :

اما مملكة أدوم فكانت تمتد إلى خليج العقبة ، وأهم ما كانت تشتغل به هو رعى الأغنام فى السهول الفسيحة التى تتبعها ، ومن أجل هذا كانت أقل الممالك الثلاث حضارة ومدنية .

عمــون :

وكانت عمون ـ فى الشمال من مؤاب ـ تعمل فى الزراعة والرعى جميعا فبعض بطونها استقر وبنى المدن واشتغل بالزراعة ، والبعض الآخر ظل يتجول ويرعى الغنم والماشية ، وهى لهذا تعد من جهة المدنية وسطا بين مؤاب التى اتجهت إلى الاستقرار والزراعة ، وبين أدوم التى ظلت تعيش عيشة البادية[1] .

المناطق المحيطة :

المناطق السابقة هى المناطق ذات الصلة الوثيقة بدراستنا عن اليهود ، ويبقى علينا بعد ذلك أن نتكلم كلمة عن الدول المحيطة بهذه المناطق ، ونعنى بها : مدين فى الجنوب الشرقى ، ومصر فى الجنوب الغربى ، وبابل وأشور فى الشمال والشمال الشرقى ، وطبيعى أن اليهود ـ وهم فى فلسطين ـ عرفوا هذه الدول واتصلوا بها مسالمين حينا ، ومحاربين حينا ، وتأثروا كثيرا بأفكار السكان ومعتقداتهم ، فتعرُّفنا على هذه الدول هنا يعد أساسا من أسس هذه الدراسة :

مــديـــن :

تقع مدين فى الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وكانت لها صلة وثيقة بالجزيرة العربية وبمصر وأرض كنعان ، وسنرى أن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لجأ إليها عقب هروبه من مصر ، وتعتبر مدين معبراً بين الصحراء العربية وبين فلسطين وما حولها .

مصــر وبـابـــل :

على أن مصروبابل كانتا أكثر تأثيرا فى أرض كنعان ، فإن أرض كنعان وقعت بين هاتين الدولتين الكبيرتين اللتين ازدهرت فيهما أرقى حضارة فى العصور القديمة ، وكانت هناك حروب ومنافسات لا تنقطع بين هاتين الدولتين ، وكانت أرض كنعان ميدانا لهذه الحروب كما كانت تتأثر بنتائجها ، فالغالب منهما يسيطر على كنعان وتكون له السيادة على سكانها ولذلك يقول ول ديورانت[2] : إن موقع فلسطين جاءها بالغنى والحرب .

وتدل الآثار البابلية على أن بابل لها السلطان على أرض كنعان فى الألف الثالث قبل الميلاد ، وكانت حضارة الكنعانيين شديدة التأثر بحضارة بابل ، وساعد على تقديم بابل تغلب الرعاة الهكسوس على مصر ، وهؤلاء الرعاة هم من أعراب الجزيرة الغربية وقد اجتاحوا أرض مصر مدفوعين بالقحط الذى كان قد أصاب الجزيرة العربية وسوريا ، وقد انتهز الهكسوس فرصة انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية بسبب

---

(١) Charles Foster Kent : A History of the Hebrew People

(٢) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٢١ .

الخلاف على ولاية العهد فاستولوا على شرق الدلتا ، واتخذوا « منف » بالقرب من القاهرة عاصمة لهم ، ثم انتقلوا إلى « أواريس » بالقرب من الزقازيق ، وكونوا لهم أربع أسر من الأسر القديمة التى حكمت مصر ، واستمر حكمهم من حوالى ١٨٠٠ ق .م إلى سنة ١٥٨٧ ق . م .

أما الفراعنة فقد بقوا بجنوب مصر متخذين طيبة (الأقصر) عاصمة لهم ، ثم انتقلوا إلى غرب الدلتا واتخذوا (سخا) عاصمة لهم ليكونوا مواجهين لأعدائهم الغاصبين .

كانت هذه الفترة فترة نضال بين الهكسوس الذين سلبوا السلطة وبين الأمراء المصريين الذى هبوا يصارعون لاستعادة سلطانهم وطرد المعتدين ، وقد تمكن البطل (أحمس) فى النهاية من النصر ، فطرد الهكسوس وأسس الأسرة الثامنة عشرة المصرية ، ومن أشهر الملوك المصريين الذين أكملوا انتصارات أحمس (الملك تحتمس الثانى) الفاتح العظيم ، الذى دانت له فلسطين وامتد سلطانه لسوريا ، فتوارى أمامه سلطان بابل فى تلك البقاع ، كما خضع له (الحيثيون) بالشمال . وسنرى أنه فى عهد الهكسوس عاش اليهود بمصر ، فلما سيطر الحكم الوطنى بها اضطرب موقف اليهود ولذلك يرى Maspero أن سيطرة الساميين على مصر أتاحت لليهود بعض الحماية[1] .

تحـركـــات العبـريـين :

ونجىء الآن إلى العبريين أو العبرانيين لنسير معهم خطوة خطوة . ولكن ينبغى لنا فى مطلع هذا البحث أن نقف وقفة نتساءل :

مامعنى كلمة عبرى ؟

فى الإجابة عن هذا نقرر : أن العلماء لا يتفقون على معنى هذه الكلمة وإن اتفقوا جميعا على مدلولها ، فالعبرى هو المنحدر من ذرية إبراهيم ، ولكن لماذا سمى عبريا أو عبرانيا ؟ يرى بعض الباحثين أن إبراهيم سمى عبريا لأنه عبر النهر ، ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن .

ويروى الدكتور إسرائيل ولفنسون[2] رأيا آخر هو احتمال أن يكون إبراهيم منسوبا إلى جد من أجداده الأقدمين يعرف باسم « عبر » ولكن الدكتور ولفنسون لا يرضى بهذا الرأى ولا بالرأى الذى قبله . ويرى أن كلمة عبرى لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه ، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلى لبنى إسرائيل ، وذلك أن بنى إسرائيل كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان ، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى ، وكلمة عبرى فى الأصل مشتقة من الفعل الثلاثى (عبر) بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادى أو النهر من عبرة إلى عبرة ، أو عبر السبيل : شقها ، وكل هذه المعانى موجودة فى هذا الفعل سواء فى العربية أو العبرية وهى فى مجملها تدل على التحول والتنقل الذى هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبرى مثل كلمة بدوى أى ساكن الصحراء أو البادية ، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بنى إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل

---

(١) Strug gle of Nations Vol 4 p. 70 .

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ ـ ٧٨ .

فلسطيـــن واليهـــود

العمران ، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنية والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبرى التى كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة ، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببنى إسرائيل فقط .

ويرى J.W.Smith[1] أن العرب فى العصر الحديث هم الذين يمثلون ملامح الساميين القدماء الجسمانية ، أما اليهود فإن صلاتهم مع الحيثيين بآسيا الصغرى ، وتبادل الزواج معهم قد أثر فيهم ، وأخفى منهم كثيرا من الملامح السامية .

ورئيس الأرومة السامية التى دخلت فلسطين قادمة من العراق هو إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وهو ابن (تارح)[2] وينتهى نسبه إلى نوح ، وقد نشأ فى أورالكلدانيين ، وكان أبوه يزاول عمل الأصنام وسخر إبراهيم من عمل أبيه ومن قومه الذين يعبدون ماينحتون ، وناقشهم مناقشة عقلية يرويها القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ[3] ﴾ ثم تحولت السخرية إلى عمل ضد هذه الأصنام ، إذ انتهز إبراهيم فرصة وجوده وحده فأمسك فأسا وحطم هذه الأصنام ، وجعل منها كومة من الحطام ، ولم يدع إلا صنما كبيرا كان أعظمها شكلاً وأكبرها حجما ، فوضع الفأس فى يده ، وجلس ليرى ، فلما عاد أبوه وقومه من عيدهم الذى كانوا يحتفلون به خارج المدينة جن جنونهم لما رأوا ، وصاحوا بإبراهيم :

أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم ؟

وأجاب إبراهيم فى هدوء : (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم) .

قالوا فى ثورة : كيف نسألهم وهم لا ينطقون : وكيف يعمله كبيرهم وهم لا يتحركون ؟

قال إبراهيم : إذاً كيف تعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وماتعملون .

وكان ذلك من إبراهيم مطلع ثورة على الفكر والسلطان فى بلاد الكلدان ، ولم يستطع إبراهيم أن ينشر الحق فهاجر من أور الكلدانيين هربا من شرهم ، وهاجرت معه زوجته سارة ولوط ابن أخيه وبعض الأقارب والخدم ، وأخذوا معهم مايملكون من أغنام وماشية وأخذوا يضربون فى الأرض ، ويبدو لى من تتبع المراجع ، ومن دراسة الآثار اللغوية والاجتماعية التى اقتبسها هذا الرهط أن خط سيرهم كان أشبه بجزء من دائرة ، فقد اتجهوا إلى الشمال حتى اتصلوا بمناطق الآراميين ، ثم انحدروا إلى الجنوب حتى دخلوا أرض كنعان ، وأطلق أهل كنعان على إبراهيم ورفاقه « العبريين » لعبورهم نهر الفرات إذ لم يكونوا قد عبروا نهر الأردن بعد ، أو لأنهم بدو متجولون يعبرون من واد إلى واد كما ذكرنا من قبل .

متى تمت هذه الرحلة ؟

يرى أكثر الباحثين أنها تمت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، ويرجح بعضهم حدوثها حوالى

(١) God and Man in Early Israel p. 5 .

(٢) كذا نسبه فى العهد المتداول .

(٣) سورة الشعراء ٦٩ ومابعدها .

سنة ١٨٥٠ ق . م[١] ، ومن الواضح أن رحلة هؤلاء لم يكن يقصد بها الاستقرار ، وإنما كانت فلسطين إحدى المحطات فى رحلتهم التى لم يكن لها هدف إلا البحث عن مواطن العشب والماء هنا وهناك ، ومن هنا فقد استأنفوا رحلتهم إلى مصر .

انعزالية بنى إسرائيل :

وحط إبراهيم رحاله فى تلك البقاع ، ونعم بما فيها من رخاء وخير ، ولكن شيئاً خطيرا كان يحدث دون أن يلتفت إليه أحد ، أو ربما دون أن يدبره أحد ، ذلك هو الانعزالية التى كانت طابع الوافدين الجدد .

لقد رأينا الكنعانيين يختلطون بالفلسطينيين .

ورأينا الساميين الذين هاجروا إلى مواقع الخصب فى الشمال يمتزجون بسكان الشمال .

أما العبرانيون فقد عاشوا وحدهم وآثروا العزلة منذ هاجروا من (أور الكلدانيين) وقد يكون السبب فى ذلك أنهم كانوا يرفضون عبادة الأصنام فى حين كانت الأصنام هى معبودات الكلدانيين كما سبق ، فاعتزلهم إبراهيم ومن آمن معه ، ولكن العزلة أصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعادوا أو عاد أكثرهم إلى عبادة الأصنام ، كانت العزلة طابعهم فى أرض (كنعان) وكانت طابعهم فى مصر بعد ذلك بسبب ارتباط العبرانيين بالحكام المستعمرين فى مصر (الهكسوس) وبالتالى نظر الشعب لهم نظرة ريبة فلم يتم اختلاط بين هؤلاء وأولئك .

ثم إن البون كان شاسعا بين العقليتين ، فالعبرانيون كانوا قوما بدوا لا ثقافة لهم ، نزلوا بين أقوام لهم تاريخ ولهم حضارة ، فلم يكن من السهل الإندماج بين الطائفتين[٢] ، ثم أصبحت العزلة تقليداً يهوديا لا محيد عنه ، وترتب على هذه الإنعزالات مجافاتهم لمن حولهم فى جميع مراحل التاريخ ، واعتبارهم من حولهم من الأمم أعداء لهم[٣] ، ويصف الدكتور وايزمان أول رئيس لإسرائيل طابع العزلة فى اليهودية بقوله : وكان اليهود فى موتول (مسقط رأسه) بروسيا يعيشون كما يعيش اليهود فى مئات المدن الصغيرة والكبيرة ، منعزلين منكمشين ، وفى عالم غير عالم الناس الذين يعيشون معهم[٤] ، ثم اتجه الفكر اليهودى إلى اعتبار العزلة أساس حياة اليهود ، وأدق صورة للتحريض على العزلة والتمسك بها ، ما ذكره سلامون شختر فى خطابه بمدرسة اللاهوت اليهودية العليا ، حيث قال : إن معنى الإندماج فى الأمم هو فقدان الذاتية ، وهذا النوع من الإندماج مع ما يترتب عليه من النتائج ، وهو ما أخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات[٥] .

وتسبب عن هذه العزلة أحداث بالغة الخطورة ، فقد نظروا إلى سواهم نظرة عداء وحذر ، وبالتالى لم يدينوا بولاء إلى الوطن الذى يجمعهم بالآخرين ، وإنما اتجهوا بولائهم إلى جماعاتهم ، فأصبحت هذه الجماعة هى وطنهم ، وهى دينهم ، وهى موضع تقديسهم ، وليس لهم بسواها صلة أو ارتباط . وقد نتج عن ذلك ما ذكره Charles Kent[٦] بقوله : خلال أكثر فترات التاريخ كان العبرانيون محاطين بدائرة من الأمم المعادية التى تمثل حلقة من نار لا تدع لهم فكاكا . ■

يتبع

---

(١) J.W.D.Smith : God and man in Early Israel p. 5 .

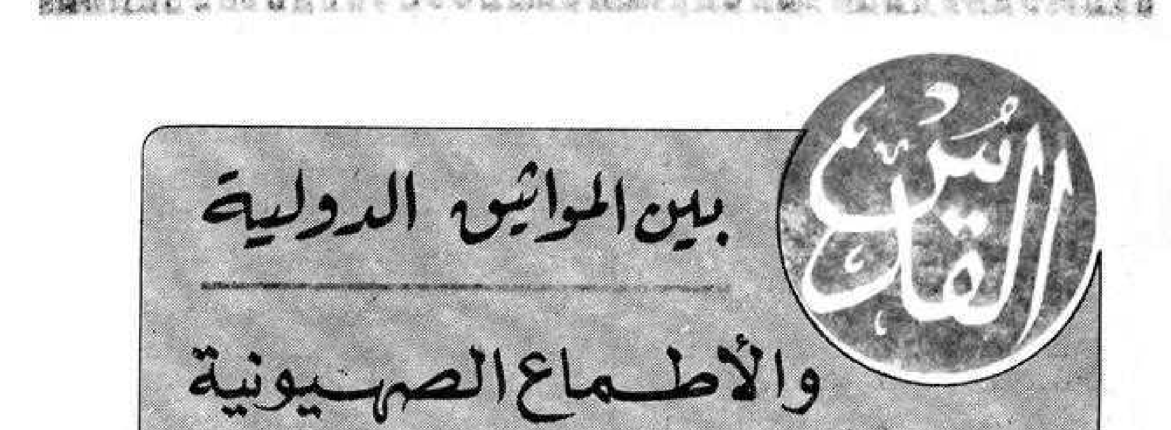
(٢) دكتور فؤاد حسنين : التوراة ص ١١ .

(٣) Charles Kent : A History of the Hebrew People p. 25 .

(٤) مذكرات وايزمان ص ٣ .

(٥) عبد الرحمن سامى : الصهيونية والماسونية ص ٤٦ .

(٦) مذكرات وايزمان ص ٣ .



بقلم لواء أ.ح. د. فوزى محمد طايل

ترتفع الأصوات هنا وهناك فى أعقاب هدوء « أزمة الخليج » من أجل إيجاد تسويات سلمية لمشكلات « الشرق الأوسط » ، وخاصة أهم مشكلاته وأكثرها حساسية ، وهى « المشكلة الفلسطينية » .

ويحق لمسلمى العالم ، بل ولكل المؤمنين بعقيدة سماوية أن يتساءلوا عن مصير « القدس » فى إطار أية تسوية قادمة .

تلكم المدينة التى باركها الله ، والتى تضم أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وغاية مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ إذ يقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ « الإسراء / ١ » .

هذا فضلا عما تحتويه هذه المدينة من مقدسات إسلامية ونصرانية ويهودية .

وقد لا يتسع المجال لتوضيح الحجج غير الشرعية التى قامت على أساسها « الدولة اليهودية » ، إذ قامت على أنقاض مجتمع مستقر ، وطردت وشردت شعبا بأكمله ، وأنكرت عليه حقه فى أرضه .

وقد لا يتسع المجال لتبيان أن اليهود وصف يتصف به « بنو إسرائيل » وغيرهم ممن ينتسبون إلى شريعة موسى ـ عليه السلام ـ من أجناس(*)

(*) جاء فى سفر « أستير » « الأصحاح الثامن » ١٥ ـ ١٧ : « وخرج مردخاى من أمام الملك بلباس ملكى أسمانجونى وأبيض ، وتاج عظيم من ذهب ، وحلة من بزّ وأرجوان . وكانت مدينة شوشن متهللة وفرحة . وكان لليهود نور وفرح وبهجة وكرامة ، وفى كل بلاد ومدينة ، كل مكان وصل إليه كلام الملك وأمره كان فرحا وبهجة عند اليهود ، وولائم ويوم طيب . وكثيرون من شعوب الأرض تهودوا ، لأن رعب اليهود وقع عليهم .

العرب ، والروم ، والفرس ، بل ومن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى - عليه السلام - ومن المصريين الذين آمنوا فكانوا ممن أسرى بهم موسى - عليه السلام .

وقد لا يسعنا المقام ايضا لإثبات أن مخترعى « الفكرة الصهيونية » التى تدعو يهود العالم إلى العودة « لأرض الميعاد » - ، وأن « منشئى الدولة اليهودية » ، والذين يسيطرون على أعلى وأهم المناصب فيها حتى الآن هم من : « الأشكنازيم » - أى الذين عاشوا فى « ألمانيا » و« شرق أوروبا » و« الاتحاد السوفيتى » - وهم جميعا من سلالة قبائل « الخزر » الوثنية ، الذين كانوا يسكنون تلكم المناطق ، واعتنقوا اليهودية فى القرن العاشر الميلادى ، ولا يمتون بأية صلة عرقية ، سواء لبنى إسرائيل ، أو حتى لليهود « السفارديم - أى الذين هاجروا إلى « أسبانيا » و« شمال أفريقيا » ، وغيرها وعاشوا فى كنف الإسلام ، وحماية المسلمين عدة قرون .

وأخيراً،فإن المقال قد لا يتسع لسرد وقائع توضح أن من اليهود - ومن بنى إسرائيل-من دخل النصرانية ، على مدى تسعة عشر قرنا ، ومنهم من دخل الإسلام ، على مدى أربعة عشر قرنا ، كما أن من النصارى من دخل اليهودية ، ومنهم من لا يزال يدخلها إلى الآن ، من خلال عمليات « التهويد » التى تقوم بها معاهد متخصصة فى « إسرائيل»وفى الولايات المتحدة الأمريكية » .

هذا ، وقد يقتصر تناولنا للموضوع على وضع « القدس » من الناحية القانونية الدولية ، هذه القواعد التى استند إليها « المجتمع الدولى » فى معالجته « لمشكلة الخليج » من خلال تحرك « سياسى / قانونى » واسع النطاق ، كان من أدواته استخدام « القوات المسلحة » لتنفيذ قرارات « مجلس الأمن » وللتأكيد على استقرار مبدأين هامين هما :

- عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة المسلحة .
- عدم جواز تغيير الوضع القانونى للأرض المحتلة .

الغزو الصهيونى لفلسطين قبل قيام الأمم المتحدة :

لقد جاء فى الإعلان الذى صدر عن المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى مدينة « بال » « بسويسرا » عام ١٨٩٧ م ، أن : « هدف الصهيونية هو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين تحت حماية القانون العام ، Secured by Public Law .

وبطبيعة الحال فإنه ليس بهذا الإعلان أية صفة قانونية اللهم سوى أن من أصدروه قد الزموا أنفسهم بالانصياع لحكم القانون ، وأخضعوا الحركة الصهيونية فى فلسطين للقانون .

سعت الحركة الصهيونية العالمية من أجل الحصول على دعم القوى الكبرى فى العالم - أنذاك - فاستغل اللورد « أدموند روتشيلد » ، الانجليزى اليهودى صاحب بيوت المال الشهيرة ، استغل الضائقة المالية التى كانت بريطانيا تمر بها قرب نهاية الحرب العالمية الأولى ، وأن اليهود كانوا قد شاركوا بالقتال فى صفوف الحلفاء ، فتقدم إلى وزير خارجية بريطانيا « آرثر جيمس بلفور » بمشروع تصريح - وافقت عليه دول الحلفاء الكبرى ، بطريق غير رسمى ، واعتبرت

القـدس بين المواثيـق الدولية

نفسها مسئولة عن تنفيذه ، حتى قبل صدوره .

صدر يوم الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ م مايعرف « بوعد بلفور » ، وجاء فيه : « ... إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين .. على أن يكون مفهوما بوضوح أنه لن يتم فعل أى شىء من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين » .

ونظرا لعدم وجود أية صفة قانونية دولية لمثل هذا الوعد ، ولأن اليهود فى فلسطين لم يكونوا يمثلون سوى ستة فى المائة من السكان ، ولم يكونوا يمتلكون من الأراضى المسموح بتملكها ملكية خاصة سوى ثنتين ونصف فى المائة ، فقد سعت الصهيونية العالمية بجد كى تكسب هذا الوعد شكلا قانونيا بتضمين صك الانتداب على فلسطين له .

لذا .... جاء فى ديباجة هذا الصك ، الصادر فى الرابع والعشرين من يوليو ١٩٢٢ ، أن « القوى الرئيسية للحلفاء قد وافقت ـ استنادا إلى نص المادة رقم ثنتين وعشرين من عهد عصبة الأمم ـ على وضع التصريح ، الصادر من قبل حكومة جلالة ملك بريطانيا يوم الثانى من نوفمبر ١٩١٧ ، موضع التطبيق ، وأن هذه القوى تتبنى إقامة « وطن قومى للشعب اليهودى » فى « فلسطين » ويجب أن يكون مفهوما بجلاء أنه لن يتم فعل أى شىء قد يلحق ضررا بالحقوق المدنية والدينية للجاليات غير اليهودية الموجـودة بفلسطين .

وقد تكرر هذا المبدأ عدة مرات فى عجز المواد المختلفة .

ـ ففى المادة الثانية جاء النص على : « الحفاظ على الحقوق المدنية والدينية لكل سكان فلسطين ، دون نظر لاختلاف الجنس أو الدين » .

ـ ونصت المادة التاسعة الفقرة الثانية على أن « .. المصالح الدينية للأفراد سوف يتم الحفاظ عليها وضمانها كاملة Fully guaranteed وبصفة خاصة مراقبة وإدارة « الأوقاف » فإنها ستمارس طبقا للشريعة Religious Law ولشروط منشئيها .

ـ أما المادة الثالثة عشرة فجاء فيها تعهد حكومة ملك بريطانيا ، نيابة عن عصبة الأمم ، أن تتحمل المسئولية الكاملة عن الأماكن المقدسة ، والمبانى ، والمواقـع الدينيـة فى فلسطين ، بما فى ذلك الحفاظ على الحقوق الموجودة آنذاك ، وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة ، والمبانى والمواقـع ذات الطبيعة الدينية ، وحرية ممارسة العبادة فيها ، مع المحافظة على النظام العام واللياقة .. إلخ .

هذا وقد انضمت « الـولايات المتحـدة الأمريكية » لما جاء بقرار عصبة الأمم فيما يختص بصك الانتداب على فلسطين فأصدر مجلس الشيوخ الأمريكى ، ومجلس النواب ، فى جلسة مشتركة « للكونجرس » قرارا فى الحادى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٢٢ م تضمن « رعاية الولايات المتحدة الأمريكية » لإقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، مع وجوب أن يفهم بجلاء أن شيئا لن يتم القيام به ويكون من شأنه الإضرار بالحقوق المدنية والدينية للجاليات « المسيحية » ، وكل الجاليات « غير اليهودية » فى فلسطين ، وأن الأماكن المقدسة والمبانى والمواقع الدينية فى فلسطين سوف يتم حمايتها حماية كافية Shall Be Adequately Protected .

أما عن مفهوم « الوطن القومى » National Home ، فلم يكن يعنى لدى الدولة مانحة

« وعد بلفور » أنه إنشاء دولة يهودية بفلسطين ، إذ جاء في الكتاب الأبيض الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠ أن ما تضمنه « تصريح بلفور » في شأن إنشاء وطن قومي يهودي بفلسطين لا يعني البتة إقامة « دولة يهودية » بها ، وإنما يعني مجرد الوعد بالعمل على تهيئة مركز لهم هناك .. وأن « الوطن القومي » يعني « مجرد التوطن » .

ومن ناحية أخرى فقد أقرت « عصبة الأمم » التقرير الذي قدمته « لجنة تحقيق خاصة » ، اطلعت أثناء عملها على الوثائق ، واستمعت إلى مرافعات محامين حول النزاع بين العرب واليهود ، وبخصوص ملكية الحائط الغربي الذي يسميه اليهود « بحائط المبكى » ، وأصدر ملك بريطانيا على أساس ما أقرته العصبة ، مرسوما ملكيا يعرف باسم « مرسوم الحائط الغربي لعام ١٩٣٠ » ، ونشر المرسوم في الجريدة الرسمية لفلسطين ، ونشر بعد ذلك ضمن « مجموعة قوانين » « درايتون » ، التي اعتمدتها حكومة الانتداب رسميا ، وبقي مرسوم الحائط الغربي ساريا حتى بعد قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ م .. وقد جاء في التقرير المشار إليه :

- للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف .

- للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط ، وأمام المحلة المعروفة بحائط المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب الشرع الإسلامي لجهات البر والخير .

- أدوات العبادة التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لا يجوز بحال من الأحوال أن تعتبر أو يكون من شأنها إنشاء أي حق عيني لليهود في الحائط أو الرصيف المجاور له .

- لليهود حرية الوصول إلى الحائط الغربي لإقامة التضرعات .. إلخ .

ذلك ، وقد تزايدت الأطماع الصهيونية في فلسطين في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ، وازدادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وكثرت الاضطرابات بين اليهود وبين سكان البلاد الأصليين ، وتطور الأمر فاستخدمت الأسلحة ، وعم الإضراب كل فلسطين عام ١٩٣٦ ، فشكلت بريطانيا لجنة تحقيق ملكية سميت بلجنة بيل « Peel » عام ١٩٣٧ لإيجاد حل وسط ، خاصة في مسألتي الهجرة ، والأراضي ، فأوصت اللجنة المذكورة بتحديد هجرة اليهود باثني عشر ألفا خلال السنوات الخمس التالية ، كما اقترحت تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق ، وأعلن تقرير لجنة « بيل » هذه في السابع من يوليو عام ١٩٣٧ م ليشمل :

- إقامة « دولة عربية » موحدة تضم شرق « الأردن » ، و« غزة » ، و« بئر سبع » ، و« صحراء النقب » ، و« الخليل » ، و« القسم الشرقي من مناطق طولكرم » و« جنين » ، و« بيسان » ، و« يافا » .

- إقامة « دولة يهودية » تشمل « حيفا » و« الجليل » ، بما في ذلك « صفد » و« عطا » وكل السهل الساحلي من أسدود حتى الجليل الشمالي ..

- وضع القدس ، والناصرة ، وشواطىء طبرية ، ومدينتي اللد والرملة تحت الانتداب البريطاني الدائم .

وبينما رفض العرب المشروع في الثامن من يوليو عام ١٩٣٧ ، ثم في مؤتمر « بلودان » في الثامن من ديسمبر عام ١٩٣٧ ، فقد قبله المؤتمر الصهيوني العالمي في أغسطس من نفس العام . وقامت « الوكالة اليهودية » بوضع مشروعها الخاص بتقسيم فلسطين على أساس أن تشمل « الدولة اليهودية » غرب نهر الأردن ، ومنطقة

القدس بين المواثيق الدولية

غزة ، ومنطقة بئر سبع ، فضلاً عن تقسيم القدس بين « الدولة اليهودية المقترحة » ، وبين الانتداب البريطاني .

قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين والوضع القانوني للقدس :

بانتهاء الحرب العالمية الثانية وقيام « الأمم المتحدة » بذلت المحاولات خارجها في البداية من أجل التوصل إلى حل للمشكلة الفلسطينية ، فقدمت بريطانيا مشروعا سمى باسم اللورد « موريسون » Morrison نائب رئيس الوزراء البريطاني ، إلى المؤتمر العربي / البريطاني الذي عقد في لندن في المدة من العاشر من سبتمبر حتى الثاني من أكتوبر ١٩٤٦ ، وتضمن المشروع تقسيم فلسطين إلى أربعة أقسام : منطقة يهودية وثانية عربية ، ومنطقة صحراء النقب ، والمنطقة الرابعة تشمل مدينة « القدس » وبيت لحم وضواحيهما المجاورة ..

بيد أن المشروع رفض من قبل العرب واليهود جميعاً .. فاقترحت بريطانيا عقد مؤتمر في لندن في « الثامن والعشرين من يناير عام ١٩٤٧ م عرض فيه مشروعاً سمى بمشروع « بيفن » ومفاده من أجل الانتداب على فلسطين خمس سنوات أخرى تقام خلالها حكومة عربية وأخرى يهودية تتمتعان باستقلال ذاتي ، ويتم الحد من الهجرة لتصل إلى ستة وتسعين ألف مهاجر ، على أن يعاد فتح الموضوع للبحث بعد مرور الخمسة الأعوام .

رأى الجانبان أن المشروع لا يفي بمطالب كل منهما فرفعت بريطانيا الأمر « للجمعية العامة للأمم المتحدة » لمناقشة المشكلة الفلسطينية في المدة من الثامن والعشرين من إبريل حتى الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٧ م .

فقررت الجمعية تشكيل لجنة خاصة لفلسطين مكونة من إحدى عشرة دولة ، قدمت في نهاية عملها مشروعاً لتقسيم فلسطين .

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع لتقسيم فلسطين بقرارها رقم ١٨١ في التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ وكان أهم ما جاء بالقرار :

ـ الجزء الأول : ١ ـ إنهاء الانتداب ، والتقسيم ، والاستقلال :

تقسيم فلسطين(*) إلى :

● دولة عربية تشمل « الجليل الغربي ، ولواء نابلس ، والسهل الساحلي ، حتى حدود مصر » ، و« لواء الخليل » و« جبل القدس » ، و« غور الأردن الجنوبي » وتبلغ مساحتها ٤٢,٩٪ من مساحة فلسطين ، ويسكنها ٦٦١ الفا ، منهم ١١ الفا من اليهود .

● دولة يهودية تشمل « الجليل الشرقي » ، و« مرج بن عامر » ، والقسم الأوسط من السهل الساحلي ، و« منطقة النقب » ، ومساحتها ٥٦,٥٪ من أرض فلسطين ويسكنها ٩٩١ الفا منهم ٤٩٥ الفا من العرب .

(*) تمكنت الوكالة الصهيونية منذ عام ١٨٨٢م من جلب اليهود إلى فلسطين بأعداد كبيرة في شكل هجرات جماعية ، خاصة من الاتحاد السوفيتي « وأوروبا الشرقية » ، واستولت على مساحات كبيرة من الأراضي عن طريق الشراء بالترغيب والترهيب .

مدينة القدس وتخضع لنظام دولى خاص :
« Special International Regime For The City of Jerusalem

ـ الجزء الثانى : الأماكن المقدسة ، والمبانى ،والمواقع الدينية :

١ ـ لا يجوز الحرمان من الحقوق الدينية فى الأماكن المقدسة والمبانى أو المواقع الدينية ، ولا يجوز الإضرار بها « Impaired » .
٢ ـ يتم ضمان حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة ، وزيارتها ، والتنقل بينها حسب الحقوق الموجودة « أنذاك » ، لسكان المدينة وللاجانب عنها ، دون تمييز بسبب قومية ، مع مراعاة متطلبات الأمن والنظام العام واللياقة .. وببساطة حرية العبادة يجب أن تكون مضمونة ..
٣ ـ يتم المحافظة على الأماكن المقدسة ، والمبانى أو المواقع الدينية ، ولا يسمح بأى تصرف قد يؤدى إلى الإضرار بطبيعتها المقدسة بأى طريق . وإذا ظهر للحكومة أن مكانا مقدساً بالذات ، أو مبنى أو موقعا دينياً يحتاج إصلاحاً سريعاً ، فعلى الحكومة أن تستدعى الجالية ، أو الجاليات المعنية للقيام بمثل هذه الاصلاحات، ويمكن للحكومة أن تقوم بهذا العمل على حساب الجالية أو الجاليات المعنية إذا لم تقم هذه الجهات بإجراء ما خلال مدة معقولة .

ـ الجزء الثالث : مدينة القدس :

(أ) نظام خاص : تعتبر مدينة القدس كيانا مستقلاً « Corpus Separatum » يحكمها نظام دولى خاص وتديرها الأمم المتحدة ..
Special internatonal regime and shall be administered by the united nations ...
(ب) تشمل مدينة القدس « بلدية القدس » « أنذاك » بالإضافة إلى القرى والمدن المحيطة بها ، وحدودها الشرقية « ابوديس » ، والجنوبية « بيت لحم » ، والغربية « عين كريم » ، والشمالية « شوفاط » ..
(حـ) نظام إدارة المدينة .. إلخ مما قد نتعرض له تفصيلاً فى مقال قادم بإذن الله .

هذا وقد وافق على قرار الأمم المتحدة ثلاث وثلاثون دولة ، وعارضه ثلاث عشرة دولة ، وامتنعت عشر دول عن التصويت .. وقبل الصهاينة القرار؛ لأنه يحقق مطالبهم ، وإلا لما كانوا قد وافقوا عليه .

هذا وقد صدر إعلان قيام دولة إسرائيل فى الرابع عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨ م بمجرد إنهاء بريطانيا انتدابها على فلسطين فجأة ومن جانب واحد ، وكان السند القانونى لقيام هذه الدولة هو قرار الأمم المتحدة المذكور ، فجاء نص الإعلان مايلى :

On the 29 th November 1947 the United Notions General Assembly passed a resolution calling For the establishment of a Jewish State in Eretz-Istael ... This recognition ... is irrevocable ...
ACCORDINGLY ... BY VIRTVE OF OUR NATURAL AND HISTORIC RIGHT AND ON THE STRENGTH OF THE RESOLVTION OF THE UVITED NATIONS GENERAL ASSEMBLY, HEREBY DECIARE THE ESTABLISHMENT OF A JEWISH STATE .

لئن كان هذا هو الأساس الذى قامت عليه « إسرائيل » ، والذى بدونه تصبح « كيانا غير قانونى » فبأى حق تكون « القدس » عاصمة لها ؟

لعل الأمر يحتاج إلى مزيد من المعالجة لبيان بطلان حجتهم . يقول الله تعالى :
﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ . « الانفال / ٦ »

الدعوة الإسلامية في كينيا

■ إعداد التحرير

ينقسم المجتمع الكينى إلى مجموعات بشرية متعددة ، منها القبائل الكينية الشهيرة ، ذات الأصول البانتوية ، مثل « الكيكويو » و « الكامبا » و « اللوا » و « الجالوا » و « الماساى » وغيرهم ، ومنها العرب المهاجرون من قديم الزمان ، الذين استوطنوا الساحل بدءاً من « كيسيمايو » على حدود الصومال الجنوبية إلى حدود « تنزانيا » الجنوبية ، واغلبهم من أصول يمنية وحضرمية ، ومنهم أيضا الهنود المهاجرون من شبه الجزيرة الهندية .

هذه المجموعات الثلاث تشكل أهم عناصر المجتمع الكينى الحديث ، ويتركز المسلمون فى المناطق التى تقع على ساحل المحيط الهندى ، فى المدن الشهيرة ، ذات التاريخ والتقاليد الإسلامية العريقة ، مثل : « لامو » و « ماليندى » و « ممباسا » وتنتشر بعض مجموعاتهم الصغيرة فى العاصمة « نيروبى » وبعض المناطق الداخلية ، ومازال هؤلاء العرب يحتفظون بثقافتهم الإسلامية ، وتقاليدهم العربية فى الزواج والأفراح والمناسبات المختلفة ، واللباس العربى التقليدى ، ومازال بعضهم يحتفظ بلغته العربية ، مشوبة بألفاظ سواحلية وانجليزية .

وإذا قدر لك أن تخالط هذا المجتمع العربى الإسلامى فى بعض المناسبات ، يأخذك العجب عندما يتحدثون باللغة العربية وكأنك فى بلد عربى لا أفريقى ، ولكنهم ينتقلون بسهولة بالغة من الحديث بالعربية إلى السواحلية إلى الانجليزية فى ذات الوقت والمقام ، **ولكن مما يؤسف له حقا أن الأجيال الجديدة من أبناء العرب وبناتهم قد فقدوا إلى حد كبير لغتهم العربية ، وأصبح من الصعب عليهم التواصل بها تواصلا كاملا ، وإن احتفظوا بكثير من العبارات والجمل العربية المتعلقة بالدين وبالأخص جانب العبادات** ؛ ويواجه معلمو اللغة العربية مشكلة تعليم هؤلاء لغتهم العربية ، خاصة حروف الحلق التى فقدوها أو أوشكوا ، ومما يدهش أيضاً أن ينسى أبناء العرب أن أجدادهم كانوا حكام المنطقة وسادتها قبل أقل من مائة عام فقط ، لدرجة أنك لو ذكرت فى فصل دراسى بعض زعمائهم أو أدبائهم من العرب ، يسألونك : من هذا الزعيم ؟ أو من ذلك الأديب ؟ .

لقد نسوا بالفعل تاريخهم وتراثهم .

والعرب عموما مازالوا على درجة عالية من الثراء والوفرة المادية ، لكنهم فقدوا بحق مراكزهم القيادية فى المجتمع الكينى وقل تأثيرهم فى المجموعات الأفريقية الأخرى ، وخرجت السلطات السياسية والتنفيذية غالبا من أيديهم ، وأصبحوا مقادين مأمورين ، وتشعر بهم منزوين مبتعدين عن الأحداث أو محاولة التدخل لتعديل مسارها أو اتجاهها : كما أنهم فى ظل انتشار المادية الحديثة ، واهتمام الناس بجمع الأموال ، لا يبذلون الجهد المناسب فى الدعوة إلى الإسلام ، واجتذاب المزيد من المجموعات البشرية الأخرى إلى حظيرة الإسلام(*) .

هذا مع العلم بأن هؤلاء العرب هم الكوادر الحقيقية والقادرة على القيام بعبء الدعوة ، نظرا لمعرفتهم بلغات القوم وعاداتهم ، وقدرتهم على الحركة داخل البلاد ، ولكن الحقيقة أيضاً أن هؤلاء العرب يحتاجون فى المرحلة الحالية إلى إعادة تثقيفهم وتعريفهم بالإسلام وثقافته ، وتسليحهم أيضاً بالوسائل المعنوية التى تؤهلهم للقيام بهذا الدور الخطير ، وخصوصاً أنهم يواجهون عتاة المبشرين المسلحين بكل الأسلحة المادية والثقافية والمدعومين من السلطة السياسية والهيئات الدولية .

وثمة مجموعة ثانية من المسلمين هم الهنود والباكستانيون وهؤلاء بأيديهم عصب الحياة التجارية والصناعية فى كينيا ، وهم أثرياء البلد ووجهاؤها ، يملكون القصور الفخمة والمقتنيات ذات القيمة والسيارات الفارهة وغير ذلك ، وهم أيضاً مختلفون دينيا ومذهبيا ، فمنهم غير المسلمين من الهندوس والسيخ وغيرهما ، ومنهم المسلمون وبعضهم من « البهرة » وهم الأغلبية ، وبعضهم من الشيعة الإسماعيلية ، وقليل منهم اثنا عشرية أو (سُنِّيُّون) .

ومن سوء الحظ أن هذه الطبقة ذات النفوذ والقدرة على التأثير ، تشعر بها طبقة غير اجتماعية هى ـ بدورها ـ منعزلة منطوية لا تميل إلى الاختلاط بالآخرين ، وقد جعلت همها فى النشاط الاقتصادى وهم لا يشعرون بالأمان والاطمئنان ، ويتوجسون الشر من أهل البلد ، ويتوقعون أن يحدث لهم ما حدث لزملائهم فى « أوغندا » عندما طردهم الرئيس السابق « عيدى امين » . وكان هذا يدفعهم إلى المبالغة فى نشاطهم والتفنن فى مضاعفته متعاونين ـ فى ذلك ـ متكاتفين ، وهم يحظون بقدر كبير من الكراهية من المجموعات البشرية الأخرى ، ويتعرضون أحيانا للاعتداء منهم .

والمسلمون من هذا المجموعة ليسوا مؤهلين للقيام بدور فى الدعوة إلى الإسلام فى هذا البلد ، بل العكس هو الصحيح لأن كراهية الوطنيين للهنود عموماً ، لا تقربهم منهم بل تنفرهم وتبعدهم ، ومع ذلك يوجد نشاط ملحوظ (للإسماعيليين) منهم فى مجال الدعوة ، وكذلك فرقة « الأحمدية » المنظمة تنظيما عاليا وقد اكتسبوا إلى صفهم أعدادا هائلة من السكان فى أفريقيا عموماً ، ولكن تأثيرهم فى كينيا محدود للغاية .

* يبدو أن هذا الموقف هو رد الفعل الطبيعي للمذبحة التي راح ضحيتها العرب عندما قام يوليوس نيريري بالتخلص منهم تحت شعار الأعداء البيض .

الدعـوة الإسلاميـة فى كينيا

وهناك مجموعة ثالثة هم الأفريقيون ذوو الأصـول البانتـوية فهم - عـلى اختلافهم وانقسامهم إلى قبائل - يجمعهم تراث وثقافة مختلفة ومتفقة فى آن واحد، وهم المجموعة الكبرى التى تعرضت للتبشير والتأثير الثقافى الغربى، بهدف تحويلهم عن معتقداتهم القديمة إلى العقيدة النصرانية على الأسلوب الغربى، والذين تحولوا منهم إلى المسيحية مختلفون أيضاً فى مذاهبهم المسيحية، فمنهم الكـاثوليـك والبروتستانت، ومذاهب أخرى أشهرها الآن ما يسمى بالمذهب الأفريقى المستقل، وهو مذهب لا يتبع أيا من المذاهب المشهورة، ويحاول أن يجد لنفسه طريقا أفريقيا مسيحيا متفردا، يتميز بسمات أفريقية خالصة، ولو قدر لك أن تزور بعض كنائسهم تلك المستقلة يأخذك العجب العجاب، فهى تجمع بين تقاليد مسيحية معروفة وعناصر ثقافية أفريقية خالصة، بمعنى أنهم مزجوا بين المسيحية والعقائد الأفريقية القديمة، وادخلوا ضمن شعائرهم عناصر لا تمت إلى المسيحية بصلة، أخصها الرقص والطبول والموسيقى الأفريقية الصاخبة داخل الكنيسة، وكأنك فى مسرح لا دار عبادة.

وأكثر المجموعات الأفريقية قد تأثرت على يد الغرب بكراهية للإسلام وسوء فهم عجيب لهذا الدين، بدرجة تنفر الإنسان من هؤلاء الذين ادخلوا فى روعهم - باسم المسيحية - هذا النفور من الإسلام وإساءة فهمه وتشويه ثقافته ومبادئه، ولقد جمعتنى وبعضهم - ومنهم رجال كنسيون يقومون بأداء الشعائر وقيادة الناس وتوجيههم فى الكنائس - جمعتنى وإيـاهم مناقشات حادة، علمت منها انهم يفهمون ان المسلمين لا يعبدون ربا واحداً، أو هم يعبدون إلها خاصا بهم اسمه «الله» وأن الله ليس رب الناس أجمعين (واعوذ بالله من مقالتهم هذه) كما ادهشهم أننى كمسلم أومن بإبراهيم أبى الأنبياء وعيسى عليه السلام ومريم العذراء وموسى وأيوب والنبيين المذكورين فى القرآن الكريم. أومن بهم أنبياء مرسلين.

وسألونى مندهشين:

هل تؤمنون بهؤلاء الأنبياء؟.

هل تؤمنون بأن مريم كانت عذراء عندما ولدت المسيح..؟

هل تؤمنون بإبراهيم واسحق ويعقوب.. إلخ هل.. هل..؟ ولما أجبتهم بأنهم مذكورون فى القرآن الكريم، وأن الذى لا يؤمن بهم أو بأحدهم لا يكون مسلما صعقوا من جهلهم بالإسلام، واجتمعوا حولى ليالى طوالا يسألون ويستعلمون، وطلبوا منى نسخة من القرآن الكريم بالسواحيلية او بالانجليزية، ولما أطلعتهم على نسخة كانت عندى، وقرأوها، عادوا إلىّ معتذرين فى أدب شديد، وقال أحدهم - وهو رئيس إحدى الكنائس: «إننا نأسف لجهلنا بالإسلام، ونأسف لأننا تلقينا معرفتنا بالإسلام من المبشرين» وأعلن هذا الرئيس أن لفظة «الله» ما هى إلا مرادف للفظة (مونجو) التى تعنى بالسواحيلية الإله القادر الخالق البارىء المصور الذى لم يوكل احدا فى (الخلق) عنه.

وما جاء على لسان هذا الرجل حقيقة كبرى يجب الا يهملها دعاة المسلمين، وهى أن الأفريقيين عموما يؤمنون بإله خالق قادر، وإن

اختلفت أسماؤه لديهم ، وهذا مما يقربهم من الإيمان بالله الواحد كما هى فى الإسلام ، وفى الديانات السماوية الأخرى قبل أن يصيبها التحريف .

وخلاصة تجاربى بين الشعب الكينى عموماً ، قد دلتنى على حقيقة أخرى مؤكدة لاجدال فيها ، وهى أن المسيحيين الكينيين الذين يشكلون الآن نحو ٦٠ ٪ من عدد سكان هذه الدولة (حوالى ٢٤ مليون نسمة) مازالوا فى دور التحول ، بمعنى أن أغلبهم مسيحيون بالاسم ، اختلطت فى أذهانهم العقائد والشعائر والثقافات ، ومازال المثقفون منهم يسألون متشككين فى كثير من عناصر عقيدتهم ، فإذا أضفنا إلى ذلك جهلهم بحقيقة الإسلام ، وسماح هذا الدين بشىء مما لديهم من موروثات قديمة كتعدد الزوجات المحدود ، وهى الفكرة التى يلح المبشرون فى تشويه الإسلام بها ، إذا أدركنا هذه الحقائق ، فإننى أقول بكل ثقة :

إن الوقت مازال متسعاً للدعوة الإسلامية فى هذا البلد ولم تزل الفرصة متاحة لإعادة اكتساب الشعب الكينى إلى حظيرة الإسلام وأنه من اليسير ، بل من اليسير جدا تحويل هذا الشعب إلى دين الله .

ويحتاج الأمر إلى جهود تتكاتف من أجلها قوى رجال الدعوة من المسلمين من البلاد العربية وغيرها .

يحتاج الأمر إلى خطة مشتركة تضم دعاة المسلمين من رجال الأزهر الشريف ، مع رجال مكتب الدعوة فى نيروبى ، والهيئات الأخرى المناظرة التى تعمل فى هذا البلد باستحياء شديد وبجهود ناقصة مبتورة ، لا تكاد تقوى على مواجهة خطيرة قد حشد لها مجلس الكنائس العالمى بذاته ، وهيئات دولية مسيحية أخرى ، حشدوا لها كان الجهود وأعدوا لها الخطط والوسائل الكفيلة بنجاحهم .

ولقد أدهشنى وذهب بلبى ، لماذا التركيز على هذا البلد بالذات من تلك الهيئات المسيحية العالمية ؟ وأدركت بعد بحث ، أن كينيا لها أهمية استراتيجية كبرى فى مجال الدعوة ، لأنها ملتقى المستقرين والظاعنين فى كل أفريقية ، بل ملتقى الظاعنين من أفريقيا إلى آسيا إلى أوروبا وبالعكس ، كما أنها تخترق جغرافيا امتدادا بشريا إسلاميا هائلا يمتد من الصومال إلى أقصى نقطة فى جنوب القارة ، كما تمتد إلى وسط القارة بحدود مع أثيوبيا وجنوب السودان وأوغندا ، حتى لتشكل حزاما بشريا يراد له أن يكون كالطوق المحكم يمنع تسرب الإسلام القادم من الشمال والمنطلق إلى الجنوب ، كما أن سكانها وجيرانهم فى أوغندا وتنزانيا يحيطون كالسوار بالمعصم حول البحيرات الكبرى ، مصدر ماء النيل الدائم ، ولو قدر لك أن تزور هذه البلاد الساحرة الآسرة جمالا وثروة وغنى ، والتى لا نظير لها فى كل بقاع الدنيا ، لو قدر لك أن تزور هذه البلاد للازمك الإحساس طول عمرك ، بأن هذه الجنة حرام أن تُحْرَمَ من الإسلام .

هذه بلاد ليس لها إلا شباب الأزهر الشريف الذى يمكن أن يعد إعداداً تاماً بلغة خطابهم ، وله ـ بعد ـ من إيمانه ويقينه وحماسه وشبابه ما الله موفقه وهو سبحانه غالب .

المسلمون والتراث الأفريقي

في غرب أفريقيا

للدكتورة / رجاء سليم

كان هذا هو موضوع المحاضرة التى نظمها اتحاد طلاب غرب افريقيا بالقاهرة فى نادى الطلبة الوافدين بـ (عماد الدين)[1] حضرها طلبة غرب افريقيا الذين يدرسون فى « جامعة الأزهر الشريف » .

وكان المحاضر هو الطالب : عبد الله سانا الذى يدرس دبلوم تربية ، جامعة عين شمس ، وعقب عليها المستشار الأول بسفارة السنغال بالقاهرة السيد / احمد تيام .

وأول ما استرعى انتباهى هو فصاحة اللسان والتحدث باللغة العربية بطلاقة واقتدار من قبل المحاضر والمعقب . وهذا يعتبر مثارا للفخر والاعتزاز بجامعة الأزهر الشريف التى نجحت فى تخريج طلاب من أبناء الدول الأفريقية ليكونوا حماة الإسلام المتحدثين بلغته فى بلادهم .

وقد استهل المحاضر حديثه للحاضرين بقوله :

« أيها الشباب الأفريقى يامن تعتبرون مستقبل الأمة الأفريقية .

يامن تعتبرون طاقة إنسانية متجددة فى العمل والابتكار .

يامن تعتبرون عقل الأمة الأفريقية فى المستقبل وتفكيرها الحيوى .

أيها الذين تركوا بلادهم وأهليهم إلى عالم المعرفة والعلم ، المتعطشون إليها ، كلل الله خطاكم بالنجاح لتعودوا إلى بلادكم مظفرين ترتقوا بحياة شعوبكم ومجتمعاتكم إلى المستويات الحضارية الإنسانية فى الحاضر والمستقبل .

بهذا الاستهلال يتبين أن المحاضر قد تلمس واقع الطالب الأفريقى الذى تكبد أكثر من مشقة فى سبيل دراسته للعلوم الإسلامية واللغة العربية ، كما يدل أيضا على مدى أهمية الدور

(١) شارع بوسط القاهرة .

الذى يمكن أن يؤديه هؤلاء الطلاب لتدعيم روح الإسلام فى بلادهم بعد عودتهم ، وكل هذا يستحق منا التقدير والاحترام والرعاية لهؤلاء الطلاب .

وقد تناول المحاضر - فى كلمته - خمس نقاط رئيسية هى :

أ - التعريف بالمسلمين فى غرب أفريقيا حيث ذكر أن المسلمين فى هذا الجزء من أفريقيا ينحدرون من قبائل لها أصالتها وعراقتها وتجاربها التاريخية والعقائدية ، يدينون بالإسلام وتنعكس هذه العقيدة فى سلوكهم وأسلوب حياتهم وينتمون لدول مختلفة طبقا للتقسيم السياسى لدول القارة .

ب - التأكيد على أهمية الأدب والفن اللذين يشكلان التراث الثقافى للمسلمين فى غرب أفريقيا ، من خلال تراثهم الثقافى فإنهم يستطيعون أن يتبوءوا به مكانة عالية فى مجال الأدب والفن . ولكن الواقع أن المسلمين فى غرب أفريقيا لا يعبرون عن أنفسهم تعبيرا متسقا منظما ، ولا يعبرون عن عواطفهم وعن أفكارهم وأحاسيسهم أو مشكلات مجتمعاتهم .

والذى نلاحظه على هذا الجزء من كلمات المحاضر ودراستنا عليه أنه يفرق بين مجموعتين من أبناء أفريقيا :

مجموعة عكفت على الدراسات الإسلامية الشريفة ، وأخلصت فى التبحر فيها وكانت بعملها هذا وسلوكها أقرب إلى أبناء أفريقيا ، وكان من الممكن جدا لهذه المجموعة - بحكم دراستها ومستواها العالى - أن تعكف شيئا ما على التراث الفنى والأدب الأفريقى فتعمل على إحياء هذا التراث وإبرازه للعالم الأدبى .

[مع تقويمه فى ضوء الدراسات الإسلامية]

كذلك على هذه المجموعة أن تعمل جاهدة على بناء شخصية الأفريقى المسلم ، وتوظيف ما تلقته من هذه العلوم الشريفة لإصلاح أحوال المسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية ، إذ مما يؤسف له أن القصور فى هذا الجانب يتخذه المغرضون سلاحا ضد الإسلام ، وهو الدين الذى لم ينقض قط سبيلا لرفع كيان المسلم علما وأدبا وفنا له إطاره الكريم مشاعر وإحساسا وجمالا وعفه .

والمجموعة الثانية تلك التى تلقت تعليمها فى الغرب الأوروبى الأمريكى ، وهؤلاء عنوا بهذا الجانب وبرزوا فيه وقلما سمعنا عن كاتب أديب أفريقى إلا وكان أحد تلامذة الغرب .

ثم ينحى المحاضر باللائمة على المجتمع حيث لا توجد المؤسسات لتعليم أبناء المسلمين ، وحيث يفقد المسلمون الحركة العلمية أو الثقافية بل الدينية أيضا وكل حركة قام بها المسلمون فى أفريقيا الغربية كانت تفتقر إلى عوامل النجاح الضرورية . وبقى المسلمون على تخلف من العشوائية والجهل والفقر .

ويتساءل المحاضر : يجب أن يبحث المسلمون فى غرب أفريقيا فى الإجابة عن هذا السؤال :

كيف يمكن أن يحدث لهم النضوج الفكرى الذى ينتج الأدب الرفيع ؟ والنضوج العلمى الذى ينتج الاختراعات لإفادة الأمة ؟

ويجيب عن هذا السؤال بقوله :

المسلمون والتراث الأفريقى فى غرب أفريقيا

إنه يجب علينا نحن الأفارقة المسلمين كسب المعرفة ولن تكون لنا هذه المعرفة إلا إذا كانت لدينا مؤسسات تربوية وتعليمية جيدة منظمة ، قائمة على أسس علمية وعلى نظريات تربوية نفسية ، نستطيع من خلالها إكساب النشء من أبناء المسلمين الأفارقة بطريقة منسقة فى مراحل حياتهم المبكرة . ولكن لا يوجد من المسلمين الأفارقة من يؤلف كتابا من أجل الطفل ومستقبله ، وبدون الاهتمام بالتعليم الجيد للأطفال فى مراحل حياتهم المبكرة ، لن يكون هناك أدب ولا أعمال فكرية أو حضارية .

ج ـ الأسباب التى تعوق بروز الفكر والثقافة الإسلامية فى الأدب الأفريقى : يذكر المحاضر أن انتشار العلوم الإسلامية فى غرب أفريقيا كان ومازال ضعيفا ، بل إن هذه العلوم فى أيدى قلة من المسلمين وليست لدى العامة ، وأيضا إن مالدى هذه القلة من الناس غير مصنف ، ومعظمها يكتنفه الغموض وينقصه الوضوح ، والكتب الدينية المتداولة هى متون الكتب القديمة التى لم تجد لها شارحا ولا محققا ولا مصنفا ، بالإضافة إلى غياب التأليف فى الكتب الإسلامية والفكر الإسلامى .

ويطالب الطلاب الذين تخرجوا فى الأزهر بالقيام بأداء واجبهم ، يجب علينا نحن الطلاب المسلمين الدارسين فى الجامعات الإسلامية والعربية أن نقوم بالتأليف للكتب الدينية فهى مسئولية خريجى كليات « أصول الدين » ، « وكلية الدعوة » ، « والشريعة » فيخرجوا لنا كتبا فى الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين والأحكام الشرعية ، وعمل كتيبات يجد المسلمون العامة فيها ضالتهم .

فلا بد لهؤلاء أن يكتبوا لأن القلم يصل إلى آلاف الناس فى كل مكان .

ولكن المشكلة فى غرب أفريقيا أنه لا توجد مكتبة إسلامية واحدة يمكن أن يجرى فيها الباحث بحثا .

د ـ المجالات التى يبرز فيها خريجو الجامعات الإسلامية :

المجال الأول :

هو مجال الدراسات الإسلامية وينقسم قسمين :

أ ـ حركة التأليف فى الكتب الدينية من فقه وتفسير وتوحيد وحديث وأحكام شرعية وأصول فقه وغير ذلك مما يتصل بجوهر العلوم الدينية الإسلامية .

ب ـ حركة تبسيط وشرح وتصنيف وتخصيص فى تلك العلوم وتيسيرها للمسلمين هناك بحيث تتفق ومستواهم المعرفى والفكرى .

المجال الثانى :

هو البيئة الأفريقية والتراث الأفريقى .

وهذا المجال هو مايتصل بذات الإنسان الأفريقى ، وفى هذا المجال هم أجدر على التعبير عن بيئتهم أكثر من غيرهم . والأدب الأفريقى ذو صلة وثيقة بإسلام الشعوب الأفريقية . بل إن بعض القصص أدت إلى إسلام بعض ملوك القبائل ، كما أن الأدب الأفريقى ذو صلة وثيقة بتاريخ الشعوب الأفريقية .

المجال الثالث :

هو البيئة الاجتماعية الأفريقية الحديثة : بما فيها من أوضاع المسلمين فى دولهم وحركاتهم المذهبية .

المجال الرابع :

هو الدراسات الحرة للعلوم الإنسانية والعلمية :

فنحن أبناء المسلمين الأفارقة الدارسون فى الجامعات الإسلامية والعربية ، إذا أردنا أن نمسك بالأقلام ونعمل بالكتابة ، لابد لنا أن يضع كل واحد منا أمامه عدة تساؤلات هى :

١ ـ ما غايتى من التعليم الذى من أجله اتصلت بهذه الجامعات ولماذا هذه الجامعات بالذات ؟

٢ ـ ماالمطلوب منى تحقيقه عندما أعود إلى بلادى بعد إنهاء تعليمى ؟

٣ ـ ماذا يمكن أن أقدمه لمجتمعى من خلال تعليمى وما اكتسبته من المعرفة ؟

٤ ـ ما الجانب الذى أستطيع أن أقدم فيه مساهمة ؟

٥ ـ هل لدى فعلا معرفة أو خبرة فى جانب من جوانب الحياة فى بلدى ؟

٦ ـ ما الذى يعانيه الناس فى بلدى من مشكلات ؟

٧ ـ كيف يمكننى المشاركة فى حلها أو فى حل بعضها ؟

٨ ـ ما الذى سيجنيه الناس فى بلدى أو يستفيدونه مما سأقدمه ؟

٩ ـ هل هم حقا يحتاجون إلى مثل هذه المساعدات ؟

١٠ ـ حذار أن تسأل ما الذى سأجنيه من مساهمتى لحل مشكلات الناس ؟

هـ ـ مشكلة اختيار لغة التعبير لدى المسلمين فى غرب أفريقيا :

يقول عبد الله سانا ، نحن ـ المسلمين ـ فى غرب أفريقيا نواجه نفس المشكلة الحضارية ، لأننا نعيش فى دول يتميز فيها كل شىء ، فاللغات الأوروبية هى اللغات الرسمية فيها وهى لغة التعليم والإدارة وهى جزء من لغة الأدب المكتوب.

ونحن ـ المسلمين ـ يلزمنا أيضا تعلمْ اللغة العربية ؛ لأنها لغة القرآن ، بل لغة العبادة فى الإسلام ، وبها نسافر إلى الجامعات الإسلامية والعربية ، ونواصل تعليمنا العالى بها . ويلزمنا تعلم اللغات الأوروبية ، لأنها اللغات الرسمية فى البلاد . وكذلك تعلم اللغات الأفريقية .

إنه لا خلاف فى هذا كله ، ولكن الخلاف يكمن فيما إذا كان يمكن اختيار اللغة العربية لتكون لغة أدبية وعلمية وتعبيرية وإدارية فى الدول الأفريقية .

إن هذه الخلافات تثور بين أبناء المسلمين الدارسين فى الجامعات الإسلامية والعربية ، أما أبناء أفريقيا الذين يتعلمون فى الجامعات الأوروبية فلا تشغلهم هذه القضية .

ـ والجدل يثور بين الطلاب : ففريق يرى أنه لا يوجد مايمنع أن يعتزوا باللغة العربية ويتخذوها لغة تعبيرية أدبية بالإضافة إلى أنها لغة الدين والعبادة ، وبخاصة أنها أصبحت لغة واسعة الانتشار وعالمية ، وهى لغة رسمية فى الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية .

ـ وفريق آخر ذهب إلى أنه لا يمكن للغة العربية أن تتجاوز نطاق الدين والعبادات فى البلدان الأفريقية ، وأنهم يتعلمون اللغة العربية من أجل

المسلمون والتراث الأفريقى فى غرب أفريقيا

الدين فقط ، ولولا الدين الإسلامى ما تعلموا اللغة العربية . ومن يتعلم اللغة العربية لا مكانة له فى المجتمعات الأفريقية ، ولا وظيفة لمن يتعلمها مهما تعلم .

وهذا اتجاه خطير ينبغى العمل بوعى على استبداله لتأخذ العربية مكانها الذى أراده الله - تعالى - لها .

إن هذه المحاضرة تثير قضايا عدة هامة .

اولا :

أوضاع المسلمين فى غرب أفريقيا .

ثانيا :

المشكلات التى يواجهها المسلمون فى غرب أفريقيا .

ثالثا :

قضية اللغة العربية .

رابعا :

الدور الذى يجب أن تقوم به جامعة الأزهر والأزهر الشريف فى متابعة الخريجين من أبناء هذه الدول ، ومساعدتهم علميا عن طريق

تزويدهم الكتب والمطبوعات الدورية التى يصدرها الأزهر فى المناسبات المختلفة . عن طريق المراكز الإسلامية فى الدول الأفريقية ثم عن طريق إنشاء رابطة تضم أبناء الدول الأفريقية فى غرب أفريقيا الذين تخرجوا فى جامعة الأزهر ، وعددهم يقدر بالآلاف . بالإضافة إلى الائمة الذين حصلوا على دورات تدريبية .

خامسا :

تزويد المراكز الإسلامية بمجلات الأزهر وكتبه وسلسلاته الثقافية ومساعدة أبناء هذه الدول وتشجيعهم على التأليف والترجمة ونشر إنتاجهم الأدبى .

سادسا :

الاتفاق بالطرق الدبلوماسية مع حكومات الدول الأفريقية بالغرب ليتم فتح فصول للتعليم باللغة العربية على غرار الابتدائية الأزهرية تكون ملحقة بالمساجد ، ويتم تزويدها بالأساليب الحديثة فى التعليم مع الاستعانة بأبناء الدول الأفريقية الذين تخرجوا فى الأزهر للتدريس فيها .

سابعا :

تزويد مكتبة المراكز الإسلامية والمراكز الثقافية المصرية بالكتب اللازمة للباحثين فى الدراسات الإسلامية .

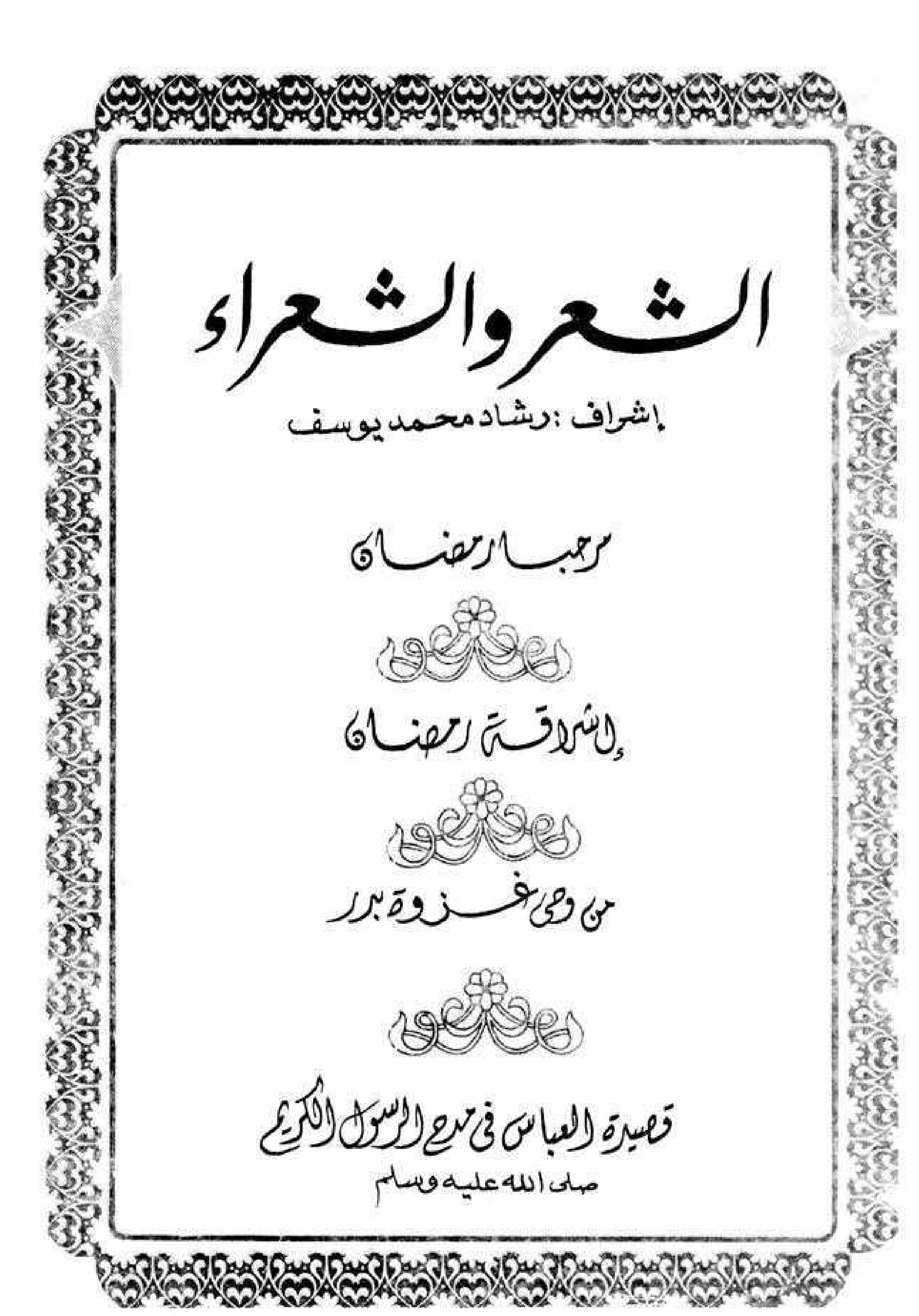
ثامنا :

أن تنظم جامعة الأزهر مكتبا لمتابعة الخريجين من أبناء المسلمين سواء فى الدول الأفريقية أو الآسيوية ، وعددهم بالآلاف ، حتى لا تنقطع الصلة بهم .

تاسعا :

تشجيع أبناء الدول الأفريقية على التأليف باللغة العربية بعد مراجعة المادة العلمية من جانب المسئولين بالأزهر ، لأن التأليف بواسطة أبناء أفريقيا سيجد رواجا من القراء الأفريقيين .

والله المستعان ، .



الشعر والشعراء

إشراف: رشاد محمد يوسف

مرحبا رمضان

إشراقة رمضان

من وحي غزوة بدر

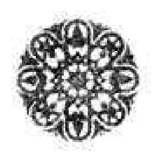
قصيدة العباس في مدح الرسول الكريم
صلى الله عليه وسلم

من وحي غزوة بدر

للأستاذ أحمد المنشاوى الوردانى

من ذلك الجيش الذى يَتقدمُ والصخر من وثباته يتضرمُ
يمشى على الأطواد فهى مطيةٌ ويسير فى القيعان لا يتبرم
تتلفت الدنيا إليه حفيَّةً والشمس فى آفاقها والأنجم
تلك البحارُ : العيرُ تهدر فى الثرى تلك الرعود : الخيلُ حين تحمحم
تلك الوجوه عزيمة جبارة تلك القلوب عقيدة لا تُهزَمُ
جند كأنهمُ الجبالُ شوامخاً منهم يفيض سنا الجلال عليهم
تركوا حياةَ الناسِ خلفَ ظهورهم ودعاهم الشرفُ الرفيعُ فاقدموا
كلّ يدكُ البغىَ سِنُّ سلاحه والمجد من عزماته يتبسم
هُمْ إنْ جهلتَهُمْ جنودُ محمدٍ وأميرهم هذا النبىُّ المسلم
فى « بدرَ » حيث قُوى الضلال تجمعوا ومراجلُ الأحقاد تغلى فيهمُ
الحقُّ ابلجُ مستفيضٌ نُورُهُ لكنَّهمْ عن نور طلعته عمُوا ..
ألقى لهم شيطانهم ما يشتهى ورمى إليهم انهم لن يُهزموا
فيهم « ابو جهل » وفيهم « شيبة » « وامية » والمقت ياكل منهُم
قالوا : مبارزة » فخف إليهم لله والإسلام قوم اسلَمُوا
هذا « علىّ » فى النزال و « حمزة » هيهات يفلت منهما متوهم
وتقابل الجمعان : هذا كافر ضارٍ ، وهذا بالهدى مستعصم
جاءوا بالفِ فاتكين يقودهم حقدٌ دفينٌ فيهم متحكّم

ظنوا سلاح البغي ينصر جمعهم ... « واللات » من سهم المنية تعصم
والمسلمون على الصعيد قلائل ... كلٌ على رد الحقوق مصمم
ونبيّهمْ يدعو الإله مناجياً ... وملائك الرحمن ثمةَ حُوّم
«رَمَى الطغاةَ المارقين بسهمه ... فتساقطوا صرعى الوغى وتحطموا
والحق إن يجد المجيبَ فحسبه ... سلم ، وإن يَعْدمْ مجيبا فالدم
هيهات ينتصر الطغاةُ ببغيهم ... مهما اعدوا للقتال واحكموا
هذى شريعتنا ، وهذا ديننا ... لا عاجز فيه ، ولا مستسلم
بالامس كنّا ، ما انطوى عَلَمٌ لنا ... نبنى كما شاء الإله ونهدم
إن نحن قلنا فالورى سمعٌ لنا ... ما ثمّ بعد مقالنا متكلم
واليوم تلك جموعنا كثرت وما ... عزّتْ ، وهان على الأسى المتالم
دبّ الشقاق فما هنالك وحدة ... وعُرَى الأخوة بيننا تتفصم
بتْنا يُقَتّلُ بعضُنا بعضاً ، وما ... عقل يصدّ المعتدى ويقوّم
ومن البلية ان يُؤَيّد ظالماً ... قومٌ نسوا يوم الحساب فاجرموا
هيهات تلتئم الجراح ، لانها ... اقوى من الداء العُضال واعظم
ياقوم دينكم السلام فاقلعوا ... عن غيّكم وبدينكم فاستعصموا
يارب هذا حالنا فارفق بنا ... انت القوى المستعان الأعلم



مرحباً رمضان

للأستاذ
محمود شاور ربيع

رمضان أشرق ، مرحباً رمضانُ ∴ فيه الهدى والبر والإحسانُ
فيه اهتدت للنور أفواجُ الورى ∴ وأفاض ينشر نُورَه « القرآن »
في ليلةٍ نزلت ملائكةُ الهدى ∴ وتعطرت بنزوله الأكوان
عمَّ السلامُ فكلُّ سرب آمنٌ ∴ والقلبُ وثَّابُ الرؤى نشوان
طهرٌ يَسيلُ ورَحْمَةٌ فيَّاضة ∴ مَنَحَ البريَّةَ هَدْيَهَا الرحمٰن
فإذا نظرت فعن يمينك صفوةٌ ∴ صَامتْ ، وأثلج صَدْرَهَا الإيمان
مسكتْ عن الدنيا وعاجلِ ما بها ∴ وسرى يُؤَلِّف بينها التحنان
تقضي النهار على بديع صفائها ∴ وبليلها تَتَرتَّلُ الألحان
لونٌ فريدٌ في الحياة نعيشه ∴ وبروحنا تتألَّفُ الألوان
رمضانُ أقبل في ركابك نصرنا ∴ ولكل خصم ذلة وهوان
فانشر علينا رايةً خفاقةً ∴ في ظلها يتوحدُ الأخوان



إشراقة رمضان

للأستاذ : رفعت المرصفى

رمضان نجمُ بالهداية سَارِ ... رمضان نهر بالتراحم جارِ

رمضان عطر نرتوى بعبيره ... ونذوب شوقا، ياسنا الأسحار

رمضان وجهٌ لا مثيل لحسنه ... روح القصيد ونشوة الأوتار

يهفو علينا.. ننتشى باريجه ... وترطب النسمات كل أوارِ

والرحمة المُهداةُ تطلق فى الورى ... مدفوعةً كالموج من تيّار

كل الخلائق ترتوى من نبعه ... والكون يَغمُرُ من رضا الغَفَّار

أسمى الأمانى فى اواخر عشرة ... حيث انعتاق من سعيرِ النار

و (القدْرُ) ليلته تفج بنورها ... فتُبَارِك الايامَ بالانوار

ياقدس إنك فى العروق وفى النُّهى ... زيتا يؤجِّج موعدا للثّارِ

إنْ كَانَ باغُ الشرك فرّقَ بيننا ... فالليل دوما مُخْلَفٌ بنهار

وغدا هلال الصوم يشرق فى المدى ... والمسجد الأقصى طليق إسار

ويعود للإسلام مجد «صلاحه» ... ونقيمُ فيه تشكرا للبَارى

وتسود روح الصف اكرم امةٍ ... والمسلمون لبعضهمْ كَجِدار

قصيدة العباس في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

دراسة نصية منهجية

الدكتور : أحمد محمد على حنطور

فى دراسة النص الأدبى :

دراسة النص الأدبى متعة فنية وفكرية للمتذوق الحصيف الفاهم أهداف الفنون وغاياتها فى الحياة ، وهى تلتقى فى بعض جوانبها مع النقد التفسيرى الكاشف لمناحى الجمال أو سلبيته فى الأعمال الأدبية . وسبيل تحقيق ذلك أن تكون تلك الدراسة محاورة جادة كاشفة لعناصر الفن فى النص ، ومحاورة حول استخدام هذه العناصر على حد سواء . فعلى قدر إدراكنا لكون هذه العناصر أدوات ناطقة بطبيعة التشكيل الجمالى للنص ، ورسم ملامحه الفنية فى دقة أو ترهل ، وإحسان أو إساءة : يأتى قدر معرفتنا بأثر قدرة الشاعر فى صوغ هذه العناصر على نحو ينهض بأعباء التعبير عن تجربته وتصويرها فى براعة وإحكام ، أو عجزه عن امتلاك ناصية الفن لرقة فى قواه أو طيش فى استخدام أدواته .

ومن ثم يجب أن ينظر فى قراءة النص الأدبى ودراسته من مستوى الرؤية الداخلية للنص التى لا تغفل طبيعة البناء الأدبى ، وما تحمله أدوات بنائه من سمات ودلالات ، ومستوى الرؤية الخارجية الماثلة فى التعرف على الموضوع على النحو الذى تخيله الشاعر ، وعلى الطريقة التى أراد التعبير بها عنه .

ونحن نوقن بأن لهذه المحاورة وسيلة وغاية ، ويمكن تحديدها فى أن هذه الوسيلة هى التشريح وتلك الغاية هى البقاء ، ولا غرو فى القول بذلك ، فإننا لسنا تجاه جسوم بالية يذهب بها التشريح ويغوص بها فى أعماق الفناء ، وإنما نحن أمام أريج يزداد عبقه بإظهار مكامن العطر فيه ، وفن أصيل مهما تعقبت أجزاؤه لتنفى عنه شيئا منها تجاذبت إليك الأوصال لتخبرك بأنه ليس فى داخل الصدفة غير اللؤلؤ .

بيد أن لهذه الوسيلة كيفية متنوعة الرؤى والاهتمامات .

هذا أبو العباس المبرد فى كتابه « الكامل » يعنى بجانب اللغة من النصوص المختارة

والوقوف أمام بنية المفردات وبناء التراكيب .

وهذا الخطيب التبريزى فى شرح القصائد العشر الجاهلية يضيف إلى العناية باللغة النظر فى المعنى وتقديمه فى عبارة واضحة تكشف عن منحى الشاعر فى تناول معانيه .

ورأينا الأستاذين : أحمد العوامرى وعلى الجارم يهتمان فى شرح البخلاء بإبراز المسائل البلاغية فى النص من معان وبيان وبديع .

وشاهدنا المنهج المدرسى الذى يعنى بالوقوف على مفردات النص وتوضيح معانيه وشرح أفكاره ، وبيان أوجه الكمال أو النقص فى عناصر التجربة الشعرية ، ودلالتها على شاعرية الأديب ومستوى الفن فى عصره .

ووقفنا على كتاب الدكتور محمد العزب « البعد الآخر فى الإبداع الشعرى » الذى حاول فيه استبطان النص ومغادرة السطح إلى العيش فى الأعماق وتقديمه فى قراءة جديدة تظهر حيوية التجربة وعمق تفاعل الشاعر مع الحياة .

وقبل تحديد منهج هذه الدراسة فى تناول النصوص الأدبية يجدر التطلع إلى حقيقة الغاية من ورائها ، فتألق تلك الغاية ينم عن طرائق الوصول إليها ، ولكل صيد نصال ، وذلك حتى لا يكون هناك ضرب فى غير مطلب ، أو مطلب ضلت النفس طريق الوصول إليه .

فغاية دراسة النص الأدبى هى الوقوف على مدى تحقق أسباب خلوده ، والتعرف على مظاهر الجودة فى عناصره الفنية ، وإبراز مزاياه الذاتية الدالة على فوح العبقرية ومكامن الشعور وخصب الخيال . وذلك بالاهتداء إلى مكونات الرؤية الأدبية عند صاحبه ، وتبين الآفاق النفسية التى يحلق فيها ، وتبصر طريقته الخاصة فى تكوين الصورة الفنية ، وتأمل تعامله مع اللغة ودلالات التراكيب ، وسبل توظيف الموسيقى لديه ، على نحو يساعد فى الحكم للعمل الأدبى أو عليه .

وسبيل هذه الدراسة فى تحقيق ذلك يشير إليه مدخلنا فى هذا الحديث ، وهو أن : « دراسة النص الأدبى محاورة جادة كاشفة لعناصر الفن فيه ، ومحاورة حول استخدام هذه العناصر على حد سواء » . وقد نضيف إليهما حوارا آخر لا مفر منه يتعلق بالتعرف على هدف الأديب الفنى من عمله وموقفه من تحقيق هذا الهدف .

ذلك أننا لا نستطيع أن نهمل جانب الأديب باعتبار أن نتاجه أولا ثمرة نشاط لغوى متفنن للتعبير عن الذات ، ولا نتغاضى عن طبيعة الأدوات التى استعان بها وطريقة استخدامها ، مادامت هى مظهر هذا التعبير وسفارته المادية المفصحة عما فى الضمير ، ولا نغفل التعرف على موقف النص من قيم الفن والجمال التى ارتضتها شرعة الذوق وَنَقَدَةُ الفن فى هذا المجال ، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد خطوات الدراسة فى النقاط الآتية :

١ ـ البحث (بين يدى القصيدة) عن أمرين يمثلان الخطوة الأولى التى تسبق الدخول إليها :

أولهما : ربط النص بقائله ؛ نسبة بالتثبت من دخوله فى أعماله ، ونسبا يمكننا من دراسة القصيدة من خلال الشاعر . « فإن العمل الأدبى يشبه الكائن الحى حين ينفصل من الأديب ، وقد تخلق هذا الكائن فى خاطر صاحبه ، ثم نما وترعرع فى حياطة وجدانه ومشاعره ، وهو بهذا الاعتبار قطعة من نفس الأديب وترنيمة صادرة من أعماقه[1] » .

(١) مذاهب النقد وقضاياه . دكتور عبد الرحمن عثمان . مطابع الإعلانات الشرقية صـ ١٩ .

◆ قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم ﷺ

وثانيهما : ربط النص ببيئته العامة بما تحمله من ثقافة ينعكس أثرها على الأدب ، وبيئته الخاصة بما تشير إليه من ملابسات تتصل بموضوع القصيدة ، وومضات عن موقف الشاعر منه ؛ توثق خطا البحث وتجعله فى مأمن من التيه بين دروب الرمز والإلغاز .

٢ ـ قراءة النص ومحاولة فهمه والقيام بـ(التحليل اللغوى) لأبياته وفق ما تتطلبه طبيعة النص وحاجة المتلقى إلى ذلك ، وتلك خطوة تلتقى مع منهج القدماء فى شرح اللفظ الغريب وتوضيح المعنى الغامض ، وهى تمثل الأساس لما يأتى بعد ذلك من خطوات . « غير أنها لا تميط اللثام عن الملامح الفنية ، وإنما تقتصر فائدتها على المعرفة الإجمالية لما يحمل النص من حسن أو قبح ، كأثر من آثار التأثرية التى يشعر بها ابتداء كل من ينظر فى نماذج الفنون على اختلاف وسائلها وأدواتها[٢] » .

٣ ـ الوقوف طويلاً أمام النص وبيان مقوماته التعبيرية والفكرية والتصويرية ، فى إطار (التحليل الأدبى) الكاشف عن طبيعتها للقارىء ، وتلك مهمة يحتاج الدارس فيها فى ذاته إلى قدر من الذوق والثقافة والذكاء ، كما يحتاج فيها من عاله إلى النظر فى الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية التى تمكنه من النجاح فى مهمته .

٤ ـ وحين نصل بالدرس إلى هذه الخطوة فإن ذلك يمكننا من تقديم (نظرات نقدية) تمثل فى جوهرها شهادة للعمل الأدبى أو عليه ، وحين نكتفى بالشهادة دون الحكم فلأن للحكم مع ماسبق وسيلة الموازنة التى تؤازر الأدلة النابعة من النص عن طريق التحليل .

وتحاول هذه الشهادة جاهدة تحديد خصائص الفن فى عناصر العمل الأدبى وفقا لما يتصل بها من قيم ، وتلخيص موقفه من القضايا الفنية المرتبطة بالنص وقائله ، وذلك حين يصل الدارس بالحوار إلى غايته ، ويقدم الإجابة عن تساؤلات يجيلها فى نفسه حول القضايا الفنية التى تثيرها القصيدة وطبيعة معالجتها لها . وحول الربط بين موضوع القصيدة ، وما تحمله من إيحاءات داخلية تثرى القصيدة بمستويات دلالية تجتاز فى تعمقها الموضوع الخارجى إلى الدخول فى التجربة الإنسانية الفنية الرحبة ، والوصف الظاهرى إلى التلويح بالموقف النفسى من رحلة الحياة .

وحول طبيعة العاطفة وتحقق مقاييس الجمال الفنى فيها ، أو إخفاقها فى بث الق شعاعها الوهاج بين التراكيب . وحول تمكن الشاعر من الترجمة عن شعوره ترجمة أمينة تتسم بالصدق الفنى ، أو مجانبته التوفيق فى الترجمة بالعبارة عن ذلك الشعور . وحول تحليق الشاعر فى آفاق الخيال وقدرته على تقديم تصوير يرف بالصور المتنوعة الأخاذة ، أو اكتفائه برؤية أرضية يكتنفها الغموض واهتزاز التصوير .

وحول صياغة الأديب لمعانيه ومدى ما تتسم به من خصائص فنية يرتفع بها المعنى ويعمق فى النفوس ، والوسائل التى استعان بها فى ذلك .

---

(٢) دراسات فى الأدب العربى فى أزهى عصوره . مطبعة المدنى بالقاهرة . القسم الثانى صـ ٧ .

وحول طبيعة المعنى وما يتسم به من استقامة أو التواء ، وعمق أو سذاجة ، واستحالة أو جواز وإنسانية أو ذاتية ، وابتكار أو عامية .

وحول قدرة الشاعر على أن يحقق لقصيدته تيارا فكريا يسرى بين أبياتها ويبعث المواءمة بين عناصر الفن فيها ، أو افتقاده السيطرة الفنية على عمله فتنبا لذلك كل عنصر عن قرينه . وحول توظيف الشاعر موسيقاه توظيفا ينمى من مزية الجمال في العمل الأدبي .

وقد تكون الإجابة عن هذه التساؤلات أو الشهادة إيماء وتلويحا اعتمادا على بيان مقوماتها في التحليل ، وقد تأتي تفصيلا وتوضيحا لما لم يتحمل التحليل بيانه من قضايا وظواهر ، وهي قد تتلون في بعض نماذجها وفقا لمقاييس النقد وتطورها في تناول الفنون الأدبية المختلفة ، لكنها جميعا تملك الرغبة والقدرة على إضاءة النص وتحديد معالمه الفنية في وضوح وجلاء .

ويبقى التعليل لمبعث القصد في اختيار هذا النص ، وهو يرجع إلى أمرين :

أولهما : أن العباس - رضى الله عنه - من أسرة الرسول الكريم - ﷺ - وأحبائه المقربين إليه من أهله ، ومن ثم فهو في مقدمة المحيطين به ﷺ الواقفين على خصائصه وشمائله .

وثانيهما : أن العباس شاعر مقل ، وذلك في ذاته يدفع إلى الوقوف على طبيعة تلك القلة ومدى ارتباطها بالفن وتحديد منزلتها في الأدب ، وقديما ذهب ابن قتيبة - في الشعر والشعراء - إلى أن الشعر « قد يختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره ، أو لأن شعره قليل عزيز » . ونحن لا نسلم بأن مثل هذا الاختيار دليل تفوق ، لكنه يتعاون مع التعرف على جهود المكثرين من الشعراء في رصد جوانب حركة الفن ومسيرته الأدبية .

١ - بين يدى النص :

(ا) إطلالة على القائل :

يحفظ التاريخ الدينى للعباس بن عبد المطلب ابن هاشم عم الرسول الكريم - ﷺ - مشاركته في عديد من المواقف ذات الأثر البالغ في مسيرة التاريخ الإسلامى . فقد حضر مع رسول الله - ﷺ - بيعة العقبة الثانية ، واشترط له أن يمنعه الأنصار ممن خالفه أو يدعوه بين عشيرته[٣] وعاد مع الرسول الكريم إلى مكة يوم الفتح مشاركا في أحداثه ومصاحبا أبا سفيان بعد دخوله الإسلام[٤] وثبت بجانبه ﷺ يوم حنين مع نفر قليل من صحبه وأهله - رضوان الله عليهم - حين انكشف عنه الناس[٥] . ومن ثم فليس غريبا أن غضب الرسول الكريم حين تعرض له بعض الناس ، وقال : « العباس منى وأنا منه ، لاتؤذوا العباس فتؤذونى »[٦] .

بيد أن للعباس - رضى الله عنه - موقفا كذلك مع الشعر ، فقد كانت له فيه تجربة تمخضت عن مقطوعات من الشعر قالها فخرا بنفسه واعتدادا بقومه ومدحا للرسول ﷺ ، ولاغرو فهو من بيت قال عنه ابن رشيق : « وليس من بنى عبد المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر ، حاشا النبى ﷺ »[٧] . وهو - كما قال - عن شاعريته : « وأما العباس فكان شاعرا مقلا حسن التهدى ، من ذلك قوله - رحمه الله - يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله ﷺ :

---

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى

(٤) السابق صـ ٢٢٤ .

(٥) السابق صـ ٢٣١ .

(٦) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد جـ ٤ صـ ١٥ . ومصدر الحديث في التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول جـ ٣

(٧) العمدة لابن رشيق جـ ١ صـ ٣٦ .

﴿ قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم ﷺ

الا هل أتى عرسى مكرى وموقفى
بوادى حنين والأسنة تشرع
وقولى - إذا ما النفس جاشت لها:قدى
وهام تدهدى والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهى مغيرة
بزوراء تعطى باليدين وتمنع
نصرنا رسول الله فى الحرب سبعة
وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا(٨)

ومن افتخاره بأهله قوله :

ابى قومنا أن ينصفونا فانصفت
قواطع فى أيماننا تقطر الدما
إذا خالطت هام الرجال رايتها
كبيض نعام فى الوغى قد تحطما
وزعناهم وزع الخوامس بكرة
بكل يمانى إذا عض صمما
تركناهم لا يستحلون بعدها
لذى رحم يوما من الناس محرما(٩)

وفى كتب التراث ما يدل على ذيوع شعر العباس ، واستشهاد العلماء به ، وتلفت الشعراء إليه ؛ فقد نقل صاحب مشكلة السرقات : « ويذكر الرواة أن بيت العباس بن عبد المطلب :-

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

قد نقله الفرزدق فقال :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التى كنت تعرف(١٠)

وقد استشهد القرشى فى جمهرة أشعار العرب على أن « فى القرآن الكريم مثل مافى كلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعانى » بقول العباس رضى الله عنه :

انت نور من عزيز راحم
تقمع الشرك وعباد الوثن

فنور بمعنى هدى ، ومثله قول الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ اى هداها

وبدهى أن قدر معالجة العباس للشعر ، واقتصاره على أغراض محدودة ، وقلة الرواية لشعره وتوزعه فى شتى الكتب ، وجذب الأحداث الإسلامية المسلمين فى عصر الخلفاء الراشدين إلى الاشتغال بالعمل أكثر من متابعة القول ، كل ذلك يجعل جمع شعره امرا عزيز المنال ، غير أن مقتضى هذه الحقيقة لا يحول دون النظر فى تلك المقطوعة الشهيرة التى قالها فى مدح الرسول الكريم عقب غزوة تبوك ، فهى نموذج يكشف النقاب عن ماهية شعره وطبيعة القيم التعبيرية والمعنوية التى يقوم عليها ، فضلا عما تحمله من نظرة ذاتية للعباس تجاه الرسول الكريم - ﷺ - .

يتبع

(٨) العمدة حـ ١ صـ ٣٦ . والأبيات - مع مغايرة فى الكلمات والعدد - فى الحماسة البصرية حـ ١ صـ ٩ ، ومعنى عرسى : زوجى ، وتشرع : تقبل مسددة ، جاشت : ارتاعت وخافت ، قدى : الزمى ، وهام تدهدى : وراس تدحرج ، اقشعوا : ذهبوا وتفرقوا . وفى كتب السيرة أن الذى ثبت مع النبى يوم حنين ثمانية : ابو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، وابنه الفضل ، وابو سفيان بن الحارث ، واخوه ربيعة ، ومعتب بن ابى لهب (نور اليقين صـ ٢٣١) .

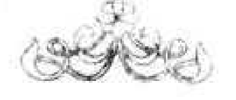
(٩) الحماسة البصرية بتحقيق الدكتور عادل سليمان حـ ١ صـ ١٨٠ - والبيت الثالث فى الكامل للمبرد ، ونصه :
ضربناهم ضرب الأحامس غدوة
بكل يمانى إذا هز صمما
(الكامل حـ ٣ صـ ١٢٣٨ . مؤسسة الرسالة : تحقيق محمد الدالى)

(١٠) مشكلة السرقات فى النقد العربى . د . محمد مصطفى هدارة صـ ١٩ .

العلوم الكونية

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

الجديد فى العلم



التأصيل الإسلامى

لعلم الإنسان

دكتور/ زكى محمد إسماعيل

يعد علم الإنسان « الانثروبولوجيا » احدث العلوم الإنسانية بمفهومه الغربى الحديث ، إذ لا تتجاوز دراساته بهذا المفهوم قرنا من الزمان ، وإن كانت جذوره الأولى تمتد فى التراث العربى الإسلامى إلى اكثر من ثمانية قرون على يد الرحالة من العلماء المسلمين الرواد كما سنشير بعد .

وكلمة انثروبولوجى An thropology مشتقة فى لفظها الغربى من أصلين يونانيين انثروبوس Anthropos اى «إنسان » ولوجوس Logosاى علم او كلمة أو دراسة .

وقد يكون هناك لبس ما بين علم الإنسان وغيره من العلوم الإنسانيةHumanities او Human Sciences والتى يدرس كل منهما فرعا خاصا من هذه العلوم كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة والجغرافية البشرية والتاريخ ، بيد أن علم الإنسان يختلف عن كل منها من حيث منهجه فى الدراسة ، وموضوعه فى المعالجة ، ونظرته فى التحليل والتفسير والتأويل ، وشموليته فى دراسة الإنسان ككل متكامل من جانبيه الفيزيقى من ناحية ، والثقافى الاجتماعى من ناحية أخرى ، ولهذا يعتبر هذا العلم أقرب العلوم الإنسانية صلة بالعلوم الطبيعية التجريبية كالتشريح والفيزياء والكيمياء الحيوية وعلم الحياة « البيولوجى » والطب ، وعلم طبقات الارض « الجيولوجى » ولهذا فإن أحد فرعى هذا العلم « علم الإنسان الفيزيقى » Physical Anthropology لازال يدرس حتى الآن فى جامعات أوروبا وأمريكا فى كليات العلوم والطب وكان يدرسه فى الستينيات احد علماء التشريح بجامعة الأسكندرية وذلك فى معهد العلوم الاجتماعية .

ولعل أشهر التعاريف لمفهوم « علم الإنسان » ما ذكره العالمان الأمريكيان رالف لينتون R. Linton وهيروسكوفتش Heroskovitsعلى انه : «دراسة الإنسان وأعماله » .

ويرى جوزيف جرينبرج J. H. Greenberg

انه تبعا لأصل الكلمة وتاريخها فإنها اكثر الدراسات الأكاديمية شمولا فى معالجتها للإنسان ، هذا الشمول يتمثل فى اهتمام هذا العلم بدراسة الإنسان مطلقا من قيود الزمان والمكان ، ولا تقتصر ـ كما كان يرى البعض فى قصرها على دراسة ماسمى بالرجل البدائى Primitive Man فتلك نظرة لم يعد لها وجود فى ساحة علم الإنسان المعاصر ، وفى هذا يقول الأنثروبولوجى الأمريكى هيبل Hoebel إن علم الإنسان ينبغى له أن يدخل فى مجاله بحق دراسة الإنسان على أى مستوى ثقافى سواء كان هذا المستوى بدائيا أم متحضرا ، وينبغى أن يدخل فى ابحاثه دراسة الإنسان فى أى زمن ، سواء كان هذا فيما قبل التاريخ أو فى العصور التاريخية أو المعاصرة .

إن الأنثروبولوجيا يجب أن تنتهى إلى نتائج يستفاد منها فى مشكلات المجتمع الحديث ، ويجب عليها أن تضع مناهجها تحت تصرف العلوم الأخرى .

وإذا كان علم الإنسان يتعدى حدود الزمان والمكان فى دراسته للمجتمع البشرى ، فإن منطقة نفوذه العلمية تتسع لتشمل مجالات متنوعة كاللغة والبناء الاجتماعى ، وأنساق الثقافة ، والتعبيرات الجمالية والمعتقدات والقرابة وسائر انشطة الإنسان الثقافية والاجتماعية مما جعل بعض العلماء يطلقون عليه « علم طبائع الشعوب » .

إن هذا الثراء والتنوع فى تحديد مجال علم الإنسان دعا إلى أن يتفرع إلى عديد من العلوم شبه المستقلة يشترك كل علم منها مع احد العلوم المستقلة الراسخة فى دراسة نفس الموضوع الذى يهتم به العلم . مثال ذلك : الأنثروبولوجيا الاجتماعية التى تتصل اتصالا وثيقا بعلم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا النفسية أو « الثقافة والشخصية » ، والتى تتصل اتصالا وثيقا بعلم النفس ، والأنثروبولوجيا التاريخية التى ترتبط ارتباطا عضويا بعلم الآثار القديمة .. الأركيولوجى ، وهو العلم الذى يدرس حضارات المجتمعات الإنسانية فى العصور القديمة وعصور ماقبل التاريخ عن طريق التنقيب وتحليل المعلومات المستنبطة ووصف الأدوات وتصنيفها مع التركيز على المعلومات ، والأنثروبولوجيا اللغوية والتى إن ركزت اهتمامها على دراسة لغات ولهجات الشعوب والقبائل شبه البدائية ومقارنتها ببعضها البعض إلا أنها تتصل بعلم اللغويات وتستعين به فى مجال التحليل والتفسير والتأويل باستخدام أحدث أجهزة التقنية الحديثة ، كما أن علم قياس الجسم الإنسانى Anthro pometsy والذى يهتم بدراسة هذه المقاييس ومقارنتها من حيث طول القامة والجمجمة والرأس والأنف والعيون والمخ للوصول إلى نتائج علمية يتصل اتصالا وثيقا بعلم الأحياء «البيولوجى» وبالجغرافيا البشرية .

إن من أهم أهداف علم الإنسان تفسير الطبيعة البشرية فى شتى مظاهرها بدءا بالبدائيين فأشباههم ونهاية بالمتطورين ، فهو فى أساسه علم مقارن لأنواع العقليات وأنماط التفكير وأنساق العادات والمعتقدات ، ومن ثم فإنه يدعو المؤمنين وبكل صراحة إلى تحقيق منهج الآية الكريمة : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

وعليه فإن علم الإنسان يوجه دراساته لتكون بمثابة مرآة يشاهد فيها الإنسان المعاصر تاريخ حياته ونظمه وكيف تطورت من البسيط إلى المركب ، سواء فى بقايا تلك النظم التى تتحدث عن نظرة الإنسان إلى الكون والنفس والخلق أو فى مقارنة القيم والعادات والمعايير والإجابة عن سؤال هام هو : هل اندثرت تلك القيم تماما أم مازالت آثارها ودلالاتها تظهر فى حياتنا المعاصرة بصورة أو بأخرى ؟

ولعل فى دراسة الآثار الفرعونية والمسيحية والإسلامية فى مصر مايلقى ظلالا على بعض أصول عاداتنا وقيمنا وموروثاتنا الشعبية .

وإذا كان علم الإنسان ينادى بضرورة دراسة الثقافة فى علاقتها المتبادلة بالشخصية الفردية والجماعية أو القومية العامة للوصول إلى مزيد من هذا الفهم الواعى المستبصر ، فإن القرآن الكريم دعا إلى هذا الاستبصار من خلال دراسة النفس فى قوله تعالى ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٢] . وبنفس القدر وجه القرآن الكريم الإنسان للنظر والدراسة لاستجلاء بداية الخلق ، ونشأة الحياة وتطور المجتمعات البشرية من خلال دراسة علمية واعية لاظن لا يغنى عن الحق شيئا وذلك فى قوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾[٣] .

وعلى أية حال فإذا كان من أهم أهداف علم الإنسان أن يساعدنا على فهم أنفسنا من خلال دراستنا لثقافات الآخرين انطلاقا من القاعدة المنطقية « وبضدها تتمايز الأشياء » فذلك لنصل إلى إحساس عام وهام هو أن الناس فى جوهرهم وحدة واحدة لا انفصام لها ، وإذا شاء الله تعالى للبشر أن يكونوا شعوبا وقبائل وبطونا وأفخاذا وفصائل فليس ذلك للاختلاف أو التفرقة والانفصام وإنما لتحقيق الأخوة الإنسانية فى إطار التفاهم والسلام ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٤] .

وارتكازا إلى هذا المفهوم فإن اختلاف القيم والعادات والمفاهيم ليس غايته الفصل ، وإنما تأكيد التعاون والوصل ، وليدرك الناس أقدار بعضهم البعض .

فالناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض - وإن لم يشعروا - خدم

إن الانتماء الثقافى حقيقة من حقائق الخلق جديرة بالدراسة والتسجيل والتقويم والتحليل ، ويعد منهج المعايشة الميدانية أو الملاحظة بالمشاركة التى ينتهجها علم الإنسان فى دراسته لاستجلاء القيم والعادات والتقاليد لمجموعة ما من المجموعات البشرية - يعد أنسب الطرق العلمية المعاصرة التى تحقق للدعوة الإسلامية أهدافها وغاياتها من خلال دراسة الأنماط السلوكية للمدعوين ، وثنيين كانوا أم كتابيين ، موحدين أم ملحدين ، وذلك لأن فهم الآخرين ودراسة قيمهم مفتاح التفاهم معهم والدعوة إليهم ، على أسس من الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن ، وهو هدف يلتقى بمنهج الآية الكريمة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٥] .

(٢) سورة الذاريات ٢١ .
(٣) سورة العنكبوت ٢٠ .
(٤) سورة هود ١١٨ .
(٥) سورة البقرة ١٤٣ .

وإذا قال المفسرون بأن . « وسطاً » تعنى خياراً عدولاً ، فإن هذا لا يتم إلا من خلال شهادة العدل التى تقتضى الدراسة للمعرفة فى أدق صورها واستجلاء آفاقها . يقول زهير :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

على أنه لايمكن القول بأن دراسة المجتمعات البشرية بمنهج علم الإنسان للوقوف على ثقافات الآخرين غاية فى ذاتها ، وإنما وسيلة لغاية أسمى هى إدراك طبيعة المساواة والتسامح بين البشر حيث لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا فى إطار العمل المخلص ، والنوايا الطيبة والسعى لخير الآخرين ، وكل هذا يندرج فى المفهوم القرآنى تحت « التقوى » أى خشية الخلق والعمل بوحى من إرشاده وتوجيهه وهديه جل وعلا ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٦] ومن خلال هذه المقدمة وفى إطارها نطرح التساؤل التالى موضوع بحثنا:

ما المقصود بالتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بعامة وعلم الانسان بخاصة ؟

فى الواقع أن التأصيل الإسلامى يعنى عرض قضايا ونظريات العلوم الإنسانية على أصول الشريعة الإسلامية باعتبارها المعيار الذى يقوّم هذه العلوم من حيث أسسها ومنطلقاتها ، فالشريعة وضعت المبادىء العامة للعلاقات الإنسانية فى عمومياتها ، مثال ذلك . ماتدعو إليه الشريعة من إرساء قيم العدالة والسلام والمساواة والتسامح والتدين والإخاء الإنسانى وتماسك الأسرة وإرساء مفاهيم الحق والواجب ، فإذا كان هناك من قضايا وأيديولوجيات العلوم الإنسانية مايناقض هذه المبادىء كالماركسية التى تعتمد أساسا على عبادة المادة وهدم الدين باعتباره ـ فى منظورهم ـ افيون الشعوب ، أو البراجماتية التى تتخذ من النفعية المادية أو الذرائعية أساسا لمنطلقاتها ومقوماتها ، وجب عندئذ التصدى لمثل هذه الأيديولوجيات بالنقاش والتحليل والتقويم ردا عليها ، ودرءا لها ، وإظهارا لفساد أو تضليل منطلقاتها ومسلماتها .

إن أهم تحد يواجه تأصيل العلوم الإنسانية تأصيلا إسلاميا هو دفاع النظرة التأصيلية عن عالم غيبى هو صنو لعالم الشهادة ، هو درء لأيديولوجية علمانية تفصل الدين عن الدنيا ، هو الإيمان بالخالق الأعظم جل وعلا فى مواجهة نظرة إلحادية لاتؤمن بالله وتنكر الأديان . إن التأصيل الإسلامى للعلوم الإنسانية والاجتماعية إنما هو جهد يبذل لخدمة اتجاه قيمى أخلاقى ، وهذا نقيض مايهدف إليه معظم علماء الغرب والشرق معا إذ يرون أن العلم محايد لاعلاقة له بالإيمان ولا بالأخلاقيات ، هذا فى نفس الوقت الذى تلون فيه النظرية ، ويغلف الاتجاه وتمحور المبادىء طبقا لأيديولوجية الدولة ذاتها .

ومن الأهمية الإشارة إلى أن عملية التأصيل وهى تدعو إلى اتباع أسس المنهج الإسلامى ، فهى بالتالى تضع المعايير الأساسية للمنهج العلمى التجريبى الصحيح كما أرساه ونادى به العلماء المسلمون الرواد أمثال البيرونى والحسن بن الهيثم وابن خلدون وغيرهم وذلك قبل أن ينادى بذلك أساتذة علم المناهج المعاصرون بأربعة عشر قرنا من خلال القواعد الآتية :

١ ـ يطرح الإسلام جانبا أية معرفة غير يقينية فهو يرفض الظن تماما .

واليقين نوعان : يقين الوحى الإلهى ، ويتضمن غاية الإعجاز ما اكتشف وما لم يكتشف بعد ، وحقيقة الآيات الكونية ، وقد حثنا الإسلام على النظر فى سنن الله الكونية ،

(٦) سورة الحجرات ١٣ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

لاكتشاف قوانينها ومحاولة تحليلها وتفسيرها تفسيرا علميا عليا قائما على الملاحظة والتجربة ، وهو ما اتبعه العلماء المسلمون الرواد ، الأمر الذى جعلهم يبدعون المناهج العلمية التجريبية يوم كان الغرب يعيش فى جهالة بعيداً كل البعد عن هذا التقدم العلمى الذى رفعت لواءه الحضارة الإسلامية .

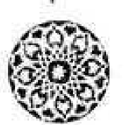
٢ ـ الإسلام يدعو إلى العلم والأخذ بأسبابه ، وطرق كل أبوابه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٧] ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٨] .

والعلم فى الإسلام مفهوم شامل لايقتصر على العلم الشرعى وإنما يتجاوزه إلى سائر فنون العلوم التجريبية التى تهدف إلى اكتشاف سنن الكون ، أو قوانين الطبيعة التى احكم الله صنعها ، وابدع بناءها .. ﴿ أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٩] وفى آية اخرى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[١٠] .

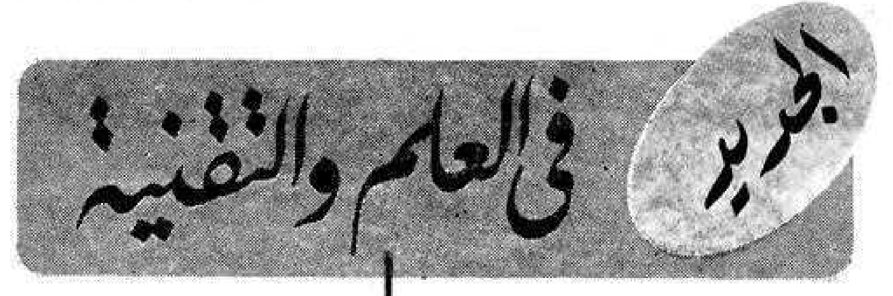
٣ ـ يحث الإسلام على البحث عن كل علم نافع ، والواقع ان صفة «نافع» هنا تنسحب على التطبيق للنظرية العلمية إذ ليس هناك علم غير نافع ، فالعلم أيا كانت قوانينه التى يصل إليها الإنسان بالمنهج العلمى السليم إنما هو علم نافع ، ولكن إذا استخدمت قوانينه فيما يضر البشرية . قيل هنا إن التطبيق لقوانين العلم تطبيق ضار ، وهنا يختلف توظيف العلم بين ضار ونافع ، فقوانين الذرة التى استخدمت فى اختراع قنبلتها المدمرة ، كان تطبيقها سيئا مفزعا ، ولكن حين وظفت فى العلاج والتشييد والتعمير كان التطبيق جيدا ومفيدا للبشرية ، وهذا هو مايدعو إليه الإسلام ويحث عليه ويهيب بالمسلمين اتباعه ، وحين وظفت دراسات علم الإنسان ومناهجه على يد خبراء المستعمرات الذين كانوا من علماء الإنسان فى توطيد الاستعمار ، وامتصاص دماء الشعوب الفقيرة ، كان ذلك تطبيقا سيئا ، وذلك بعكس مايهدف إليه علماء الإنسان اليوم من توظيف دراساتهم فى مجالات التنمية والتعمير والتشييد من ناحية ، وفى مجال الدعوة الإسلامية وانتشارها على أسس علمية سليمة من ناحية اخرى .

وإذا كان ذلك تفسيراً للمقصود بالتأصيل الإسلامى للعلوم الإنسانية ، فإن مجال التأصيل فى علم الإنسان وأهدافه ومجالاته سواء فى الدعوة الإسلامية ، أو فى مجال التنمية فى العالم الإسلامى ، يستحق منا تفصيلا نرجئه للعدد القادم بإذن الله .

والله ولى التوفيق .



(٧) سورة الزمر ٩ .
(٨) سورة العلق ٣ ـ ٥ .
(٩) سورة الأعراف ١٨٥ .
(١٠) سورة ق ٦ .



إعـــداد
د. نجـوى السـيد أحمد*

أشعة الليزر بدلا من «مشرط» الطبيب

نجح العلماء فى أوروبا وأمريكا فى القضاء على أورام المرىء والقولون فى المراحل المبكرة من الإصابة، وذلك باستخدام أشعة الليزر كذلك تمكن العلماء من فتح القنوات التى تنسد بسبب الإصابة بالسرطان فى أورام المرىء والقولون باستخدام نفس الأشعة.

أثر الجلوكوز على الذاكرة

أوضح فريق من الأطباء بإحدى الجامعات الأمريكية أن تناول السكر بجرعات معينة يحددها الطبيب المختص ينشط الذاكرة لدى كبار السن وكذلك الأشخاص الذين تعرضوا لإصابات فى الرأس، أو الذين يعانون من (الخرس) المبكر. والمعروف أن (الجلوكوز) هو الوقود الرئيسى للدماغ فهو يستخلص من الطعام إلى الدورة الدموية، ومنها إلى خلايا المخ حيث يساعد فى تكوين (الكيماويات) التى تنقل الاشارات العصبية بين خلايا المخ.

أحدث سيارة بالطاقة الشمسية

انتجت اليابان نوعا جديدا من سيارات السباق التى تعمل بالطاقة الشمسية. والسيارة الجديدة ذات ثلاث عجلات فقط، اثنتان منها فى الأمام والثالثة فى الخلف، ومزودة بخلايا سيلكون ذات بلورة واحدة وقوة ١,٤ كيلو وات تخزن فى بطاريات، وسرعتها القصوى ١٢٠ كيلو مترا فى الساعة.

إنسان آلى للتنقيب عن البترول.

توصلت إحدى الشركات النرويجية إلى ابتكار إنسان آلى للتنقيب عن البترول فى البحر. ويقوم الإنسان الآلى بعمل رصيف للتنقيب عن البترول ومن المتوقع استخدامه بدلا من الغطاسين الذين يقومون بأعمال التنقيب والصيانة وإصلاح معدات الغاز والبترول، ومن المقرر تزويده ◄

* الكاتبة: باحثة بالمركز القومى للبحوث القاهرة.

الجديد فى العلم والتقنية

بوسائل ميكانيكية حتى يستطيع أن يعمل على عمق ٦٠٠ متر دون أن يزود بغطاس آدمى .

الجديد فى تقنية الصور المجسمة .

امكن التوصل مؤخرا إلى (تقنية) جديدة للحصول على صور مجسمة للأجسام بأبعادها والوانها الحقيقية ؛ فقد كان التصوير المجسم المعروف علميا باسم « هولوجراف» Holography يعطى صورا أحادية اللون أو مشوهة . لكن تقنية التلوين الجديدة ستزيد كثيرا من الدقة والجمال الفنى للصور المجسمة ، وينتظر أن تؤدى إلى تحسين ملحوظ فى التصوير الطبى ، وفى التصاميم التى تتم بمساعدة الحاسبات الالكترونية . وتتلخص نظرية هذه التقنية فى عمل ثلاث صور مجسمة بثلاثة الوان مختلفة من ضوء (الليزر) ثم جمع الصور الثلاث فى صورة مجسمة واحدة كاملة الألوان .

مبيدات جديدة تجعل الحشرات تقتل نفسها

توصل الباحثون إلى تحضير نوع جديد من المبيدات الحشرية التى تجعل الحشرات تقتل نفسها ، وذلك عن طريق التمثيل الغذائى Metabolism وليس بمهاجمة الجهاز العصبى كما هو متبع فى غالبية المبيدات الحشرية المتداولة تجاريا . وقد اثبتت التجارب العملية أن المبيد الجديد يكون اكثر فتكا إذا تعرضت الحشرات التى يؤثر فيها إلى الضوء .

الحيتان تصعق الفريسة بأصواتها المدوية .

تشير التسجيلات الصوتية (للدلافين والحيتان ، وهى فى البحر ، إلى أن بعضها يصدر نبضات صوتية حادة قد تدوِّخ السمك وتجعل فريستها عاجزة . ومن المعروف أن انواعا عديدة من الدلافين وغيرها من الحيتان ذوات الأسنان تعثر على ضحيتها بطريقة «تعيين الموقع بالصدى » . فهى تصدر فرقعات فوق صوتية متتابعة بسرعة ، وتنصت للصدى الراجع من الأهداف فى الماء .

أول طائرة لدراسة ثقب الأوزون .

يقوم الآن بعض العلماء الأمريكيين ببناء طائرة يتم التحكم فيها بواسطة (الكمبيوتر) لتطير من خلال ثقب فى طبقة الأوزون بالقطب الجنوبى وتتولى جمع معلومات عن الأحوال هناك . ويعتقد بعض الخبراء أن هذه الطبقة الوقائية أصابها الضرر بفعل الغازات المنبعثة من مكيفات الهواء والثلاجات ومصادر أخرى .

مجمع شمسى فى فرو الدب القطبى

يوجد مجمع طبيعى فى فرو الدب القطبى يعمل على تحويل جزء من طيف الإشعاع الشمسى إلى حرارة بكفاءة تتجاوز ٩٥٪ ، وهو مايزيد على

ضعفى كفاءة أفضل المجمعات الصناعية للطاقة الشمسية . وقد اكتشف أن الشعرة المفردة للدب القطبى هى فى الحقيقة عديمة اللون وتبدو تحت المجهر مثل ليفة الكوارتز . ويعتقد ان نصل الشعرة ينقل الإشعاع الشمسى بطريقة ما إلى سطح الجلد ، حيث يمتص ويحول إلى حرارة ، وتضاف هذه الحرارة المتولدة من الخارج إلى الحرارة الناتجة من التمثيل الغذائى .

يحاول العلماء حاليا الاستفادة من هذه الظاهرة التى حباها الله تعالى لحيوان الدب القطبى فى عمل مجمعات شمسية مسطحة بألياف شبيهة بالشعر .

كومبيوتر | الجيب

من المعروف أن (تقنية) الحاسبات قد مرت بمراحل عديدة من التطور قبل أن تصل إلى حالتها التى نراها عليها اليوم ، فقد أمكن اختزال حجمها كثيراً بعد أن كانت تشغل احجاما كبيرة بسبب الاعتماد فى بنائها على الصمامات المفرغة . ويطلقون الآن اسم « كمبيوتر الجيب » على أصغر حاسب الكترونى خفيف الوزن بحجم الآلة الكاتبة ، يمكن وضعه فى حقيبة يد واستعماله فى الطائرة أو القطار أو حتى السيارة ، ويعمل على بطاريات داخلية يمكنها تشغيله لمدة خمس ساعات فقط .

تحويل السوائل إلى مادة صلبة بواسطة الكهرباء

حققت بريطانيا نجاحاً هاما فى تطبيق نظرية السوائل التى تتحول فوريا إلى حالة الصلابة عن طريق معالجتها بتيار كهربى معين ، وبعد ذلك تتحول إلى حالة السيولة مرة أخرى عند فصلها عن التيار الكهربى .

الدراسات تجرى الآن لتقدير قيمة الكشف الجديد التجارية من ناحية التطبيق العملى ، وخاصة بالنسبة لصناعة الأسلاك الصُلبة ، ومختلف المجالات الصناعية الأخرى . كما أن الطريقة الجديدة ستساعد على إقامة نظم تحكم وتشغيل عالية الكفاءة بدلا من الوسائل التقليدية الحالية .

وتقول جريدة التايمز إنه إذا أثبتت التطبيقات العملية نجاح نظرية السوائل الصلبة ، فإن ذلك يعنى انقلابا تقنيا جديدا ، وستختفى أجهزة ومعدات عديدة من عالم الوجود ، مثل الفرامل الميكانيكية ، وحدات توزيع الطاقة ، والعديد من الأجهزة والمعدات الفضائية .



من أعلام الأزهر

العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملاوى

للأستاذ
محمود عبد الرازق عقباوى

كان علىَّ قبل ان اكتب عن استاذنا ان افكر مليًا واتروّى طويلًا فاجعل لى حدًا ادنى وقدراً معيناً لا اتجاوزه إذا كتبت عن هذا العالم الجليل ، لكننى وجدت من آثاره ما دفعنى إلى الترسل فيه ورايت فى الترجمة عنه مزيداً من الفائدة ، فقد توافرت معالم شخصيته وتكاملت لها الدقة فى الفكر والاستنباط وإثارة العواطف ويقظة الوجدان مع ذهن فياض يدعمه دابٌ يصح ان يكون مضرب الأمثال ..

مؤلفاته وعلمه :

نظرت فى بعض مؤلفاته فتصفحت مضمونها وتلمحت فنونها فوجدتها جامعة لفنها بغزارة فى المادة وجمال فى العبارة ، ابدع فيها ما أودع من العلم الغزير والأدب المترامى والفكاهات المستطرفة ليصل بنا إلى الحقيقة العلمية فى النهاية على أيسر سبيل وأجمله .

كتب تلميذه الوفى الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة يتحدث عنه ، قال : هو الأستاذ اللغوى الثقة الحافظ الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوى نسبة إلى « امنية حمل » من قرى بلبيس « شرقية » ، وهو عربى الأرومة يُنمى إلى الدوحة العلوية الكريمة ، كما صرح بذلك فى كثير من قصائده فى ديوانه ..

وقد ذكر على مبارك فى كتابه (الخطط التوفيقية) ٩ / ٧٧ .. أنه ولد سنة ١٢٧٣ هـ سنة ١٨٥٦ م ، وتربى فى حجر والده وقرأ وتلقى كثيراً من العلوم الشرعية والأدبية عن افاضل عصره ، ثم دخل (مدرسة دار العلوم) وتلقى الفنون المقرر قراءتها بها ، ونال الشيخ إجازة التدريس من دار العلوم عام ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٨ م .

وبعد مُدَيْدَة اعلنت دار العلوم بحاجتها إلى مدرس للعلوم العربية ، وعقدت لذلك امتحان



المرحوم الشيخ احمد الحملاوى
ولد سنة ١٢٧٣ هـ ـ ١٨٥٦ م وتوفى سنة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م

مسابقة كان الشيخ من أوائل المبرزين فيه فنقل إلى دار العلوم ، وعمل بمدارس الحكومة ، وقد ترك الأستاذ التدريس بمدارس الحكومة مؤثراً الاشتغال بالمحاماة فى المحاكم الشرعية ، وفى أثناء ذلك أقبل على التحضير لنيل شهادة العالمية من الأزهر فنال بغيته وكان أول من جمع بين العالمية وإجازة التدريس من الأزهر إلى جانب إجازة التدريس من دار العلوم .

وعلى أثر ذلك عهدت إليه الجامعة الأزهرية تدريس التاريخ والخطابة والرياضيات لطلابها .

وفى سنة ١٩٠٢ أضيفت إليه مع ذلك نظارة مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر ، وهى مدرسة حديثة كان يُعلم بها القرآن والتجويد ثم العلوم الدينية والعربية والعلوم الحديثة على نحو ما يجرى فى بعض أقسام الأزهر التى نُظمت حينئذ تنظيماً حديثاً ، وكان المنتهون منها يلحقون لإتمام دراساتهم بمدرسة القضاء الشرعى أو لأزهر أو دار العلوم .

وقد قضى المترجم عنه فى نظارة هذه المدرسة خمساً وعشرين سنة انتفع به فيها طلاب كثير كان يمدهم بمعارفه المتفننة الواسعة ويتعهدهم بالتربية الإسلامية والقومية القوية ويزودهم بنصائحه وتجاربه الكثيرة إلى أن علتْ سِنّه فآثر الراحة وترك العمل عام ١٩٢٨ ، ثم أدركته الوفاة فى الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٥١ ـ الموافق للسادس والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م .

وأحسب أن هذا الإطار التاريخى العام لحياة أستاذنا الكبير ـ وإن كان لا يحوى بداخله الصورة التى تمثل ملامح شخصيته العلمية والخلقية ، إلا أنها تعتبر النمط الذى جرى عليه المترجمون للعلماء من أصحاب المعاجم وكتب الطبقات .

لذلك أعود إلى ذكرياتى الخاصة فأستوحيها بعض ما ارتسم فى نفسى من آثاره الباقية التى لم تَخْلُقْ جدتها على طول السنين ومر الأعوام والتى يشاركنى فى الإحساس بها أولئك الذين ألموا بمعرفة هذا الحِبْرَ من تلاميذه وعارفى فضله :

امتاز أستاذنا العلامة بخلال كثيرة ، تعاونت كلها على التأثير الشديد فيمن أخذوا عنه العلم وفيمن خالطوه وعاشروه من الأساتذة والعلماء ؛ فجعلت تلاميذه يُعجبون به ويحرصون على الأخذ منه والتعلق بأسبابه وآدابه وجعلته بين العلماء والأدباء ورجال القضاء والمحاماة موضع الثقة

من اعلام الأزهر

العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملاوى

ومفزع الرأى والمشورة ومحل السر والنجوى .

أوتى الشيخ بسطة فى الجسم ووجاهة ووسامة فى الهيئة والوجه مع حسن ذوق واعتناء بالزى ؛ فكانت رؤيته تملأ العين جلالة والنفس مهابة ، ومنح قوة فى الصوت واللسان فكان حسن الإعراب والبيان يحرص على العربية دائماً ، لا يشوب كلامَهُ شائبةٌ من عامية او لكنةٍ اوْ عِيٍّ او حَصَرٍ ، وإنما ينساب حديثه فى النفس انسياب النهر المتدفق فى رزانة ووقار ، وكان حسن العرض للكلام جيِّد الإنشاد للشعر لا يُمل حديثه وإن طال ولا يُسأم إنشاده وإن بلغت قصائده المئين من الأبيات فى بعض الأحيان .

وكانت فصاحة الشيخ ونصاعة بيانه وجودة إلقائه وحسن أدائه وتمام شرحه لما يلقيه ، كل ذلك يجعل درسه نقشاً ثابتاً فى نفس سامعيه ، فلا يحتاج الطالب إلى استذكار أو معاودة درس .

وقد كسب الشيخ معارفه العلمية فى بيئتين :

الأولى : الأزهر ، حيث درس علوم الدين من تفسير وحديث وعقائد وفقه على مذهب الإمام الشافعى الذى خالط حبُّه شغاف قلبه وتمكن من نفسه ودرس العلوم اللسانية من نحو وصرف وعروض وبلاغة ووضع الخ .. على شيوخ عصره وأحرز من كل ذلك قسطاً موفوراً دل عليه تمكنه منها فى كتبه ودروسه وإحرازه درجة العالمية بعد تركه خدمة الحكومة .

والثانية : دار العلوم التى انشأها علي مبارك باشا وزير المعارف المصرية لتخريج معلمين يحسنون تعليم اللغة العربية والدين لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، وكان طلابها حينئذ ينتخبون بامتحان مسابقة من صفوة الطلاب الأزهريين الذين انهوا دراساتهم أو كادوا ينتهون منها ، وكانوا يدرسون فيها العلوم الدينية والعربية ، وكانت عناية المدرسين بها تجمع بين المحاضرة والتطبيق العملى ، وكان بين أساتذتها نخبة من علماء الأزهر أمثال الشيخ حسين المرصفى ، والشيخ حسن الطويل والشيخ محمد عبده ، والشيخ سليمان العبد واضرابهم من الفحول ، وكان الجمع فى دار العلوم بين العلوم الإسلامية والعربية القديمة وبين العلوم المدرسية الحديثة (كما يسمونها) ، ثم بين المنهجين النظرى والتطبيقى .. ما افاد مدارس وزارة المعارف بالثمرات التى وصلت ماضى الأمة العربية بحاضرها ، فكانت العوامل فى النهضة الأدبية والعلمية التى ظهرت بواكيرها فى وادى النيل منذ بدء القرن التاسع عشر .

كان ـ رحمه الله ـ ضليعاً فى علوم العربية نحوها وصرفها ولغتها ، وعروضها وبلاغتها وأدبها ، وكان يروى من ذلك كله ويحفظ الشىء الكثير مع حسن اعتناء بفهم ما يحفظ ، وجودة نقد لما يروى ، وبراعة استخراج للعبرة والفائدة ، وكان النحو والصرف واللغة والشعر الميدان المحبب إليه يجول فيها فيمتع ، ويتتبع أقوال الأوائل والأواخر ، فلا يكتفى ولا يشبع ويظهر لى انه كان معجباً بابن هشام الأنصارى من النحاة المصريين (٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ) ، وبما جمع شرحه لألفية ابن مالك الموسوم (بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) من مادة غزيرة فحفظ مسائله وجعل أساس دراساته النحوية والصرفية وتحقيقاته اللغوية التى كان ينثرها بين يدى تلاميذه فى دروسه ومحاضراته ، ومنه التقط أغلى درره التى الف منها اهم كتبه :

« شذا العرف فى فن الصرف مع ما أضاف إليه من شذرات أخـرى من (مفصّل)

الزمخشرى ومن (شافية) ابن الحاجب وشرحها (لرضيّ الدين الاستراباذى) ، وغيره من محققى الأعاجم المتأخرين الذين عُنوا بالدراسات الصرفية واشبعوها تأليفاً وتوضيحاً وتصنيفاً .

أسبغ الشيخ على هذه المادة التى أحسن اختيارها من كتب العلماء كثيراً من ذوقه وخبرته بأساليب التعليم والتصنيف فتصرف فيها توضيحاً وتهذيباً وتنسيقاً وتبويباً حتى جاء هذا الكتاب محكم الطريقة ، واضح الأسلوب ، جامعاً للعناصر الضرورية التى لابد منها لدارسى اللغة وفنونها ممثلاً ما وصلت إليه الثقافة اللغوية فى مدارس البصرة والكوفة وبغداد والفسطاط والأندلس ، ثم ما انتهت إليه أخيراً على يد (ابن مالك) و(أبى حيان) ، وتلاميذهما من رجال المدرسة النحوية الأخيرة التى لا تزال آثارها قوية باقية .

وإجمال القول : أن كتاب (شذا العرف فى فن الصرف) من أنفع الكتب لطلاب الدراسات الصرفية .

وكان من سعادة الجد واكتمال الحظ أننى سمعت من أستاذنا الحملاوى جمهور مادة هذا الكتاب ، وكنت أنا وزملائى إذا عرضنا ما يذاكرنا به الشيخ من مسائل التصريف والنحو على (شذا العرف) ، وعلى (أوضح المسالك) لم نجد بينهما وبين عبارته فرقاً إلا ما يكون بين الحسناء وخيالها فى المرآة فكنا نعجب من قوة حفظه ، وامتزاج مادة الدرس بعقله ونفسه امتزاجاً قوياً .

على أن الشيخ كان يمتاز ـ فوق ذلك ـ بمزية بارزة ، كان تعليمه نظرياً وعملياً معا يشرح الموضوع بعبارته القوية فإذا أحس أن المقام دقيق لا تكفى فيه الإشارة ولا طويل العبارة أسرع إلى سبوره المعلم فوضح الدقائق بخطه ورسم المشكلات بقلمه ، وأشبعها إيضاحاً وتفصيلاً فى تدرج عقلى حتى يبين الصبح لذى عينين ، وذلك مما أفاده من تدريسه للرياضيات ومن خبراته الواسعة بأساليب التعليم ، ومن طبيعة ذهنه الرياضى ذلك كان شأنه فى (التصريف) و (الإعراب) و (اللغة) ، وكذلك كان شأنه فى (التاريخ) لا يكاد يمر به عَلَمٌ أو بلد أو أرض حتى يسرع إلى ضبط أو تبيين موضعه على المصوَّرات المرسومة أو على مصوَّر يرسمه بيده ، كما كان يتبع دروسه النظرية دائماً بتطبيقات عملية يعنى بتصحيحها ويقف الطلاب على مواضع أخطائهم منها .

أما سائر معارف الشيخ من اللغة والعروض والأدب العربى شعره ونثره والتاريخ والجغرافيا والرياضيات ، فقد كان محيطاً بها إحاطة قلما اتفقت لرجال المدرسة القديمة التى عاصرته ، وكان ـ رحمه الله ـ معنياً بتتبع ما يطبع من الكتب الحديثة التى يؤلفها رجال عصره من أمثال : (حفنى بك ناصف) و (محمد بك دياب) ، ونظرائهما من رجال المعارف ، وكان ينقدها ويساجل أصحابها فى مآخذها ، كما كان مشغوفاً بقراءة ما ينشر أو يحقق من الكتب القديمة ويستفيد منها فوائد لا تلبث أن تصبح موضوع حديثه مع تلاميذه .

اذكر مرة أنه علم بنشر كتاب (الهمع) للسيوطى لأول مرة سنة ١٣٢٧ ـ ١٩٠٩) ، فبعث فى شراء نسخة منه ثم جاء فى ثانى يوم يقول لطلابه قرأت أمس فى كتاب (الهمع) للسيوطى أن من اللغات فى لفظة اللائى من الأسماء الموصولة (اللا) بالقصر التى شاعت بين العامة فينطقها بعضهم باللام المشددة مفتوحة ، وبعضهم بكسرها (قلب الألف ياء اللى) ، وكنا نظنها عامية فإذا هى من صميم اللغة فى بعض أحوالها .

من اعلام الأزهر

العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملاوى

كان أستاذنا الشيخ الحملاوى شاعراً مكثراً من الشعر يقوله فى المناسبات العامة والخاصة ، ويقوله فيما يعرض لحياته الخاصة من شئون ، وما يتطلع إليه من آمال ، وما يضطرم فى نفسه من آلام ، وأشعاره تنبىء عن صفاء روحه وقوة نفسه واستمساكه بآداب الدين وفضائله حتى لقبه بعضهم : « الشاعر الصوفى » .

له أشعار فى الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة وقد ملك عليه نفسه وحسه حب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال فى مدحه قصائد كثيرة مطولة بلغ بعضها المئتين عارض فى أكثرها القدماء من أمثال : كعب بن زهير والبوصيرى ، وله فى آل بيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخاصة أبناء فاطمة ـ رضى الله عنها ـ الذين يتصل نسبه بنسبهم شعر كثير .

أما علماء الإسلام فقد خص الإمام الشافعى بنصيب موفور من مدائحه ، وكان يحضر مولده فى كل عام يبتدى الاحتفال بقصيدة ويختمه بأخرى ، ومدح (أبا البركات الدردير) من علماء المالكية المتأخرين بقصائد كثيرة فى مولده ومدح ورثى كثيراً من رجال عصره كالزعيم مصطفى كامل باشا ـ رحمه الله ـ وكصديقه فقيد المعارف الأستاذ / حسن توفيق العدل ومرثيتاه فيهما من محاسن شعره .

وليس هذا مقام التفصيل فى دراسة شعره وشاعريته وبيان مزاياه وخصائصه وإنما موضعه صدر ديوانه ، وقد أعده أستاذ فاضل من علماء الجامعة الأزهرية لنشره ولعله يصدر قريباً فيتمكن الدارسون من تتبعه وتفصيل القول فيه وحسبنا أن نورد هنا مثالين منه :

قال يمدح ، ويوازن بين الشافعى وبين الجاه والمال فى مطلع قصيدة يمدح فيها الإمام عند بدء الاحتفال بمولده سنة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ م :

الفخر بالعلم لا بالجاه والمال
والمجد بالجُد لا بالجَد و الخال
كم من ملىء وضىء الوجه تحسبه
للعلم خلا ولكن فكره خالى
فى المال والجاه أسباب الغرور ومن
يعتز بالأهل كالمعتز بالآل
تلك الأمور سحابات تغيرها
حوادث الدهر من حال إلى حال
ولكن العلم لاينفك صاحبه
معظم القدر فى حَلٍّ وترحالِ
افق السماكين بل أعلاه مقعده
فى كل حال تراه ناعم البال
إن عاش عاش أجل الناس منزلة
او مات مات بإعظام وإجلال

وقال فى رثاء الزعيم مصطفى كامل باشا وقد نشرت بصحيفة اللواء فى ٢٢ من صفر ١٣٢٦ ـ ٢٥ من مارس ١٩٠٨ م :

ياأيها المنطيق مالك ساكتاً
حتى متى هذا السكوت أما كفى
قم وَارْقَ مِنبرَك الذى عودته
حسن الخطابة فالنفوس على شفا

واصدع بأمرك يا همام فكلنا
مرضى وأنت لنا من المرض الشفا

ومنها على لسان الزعيم ناصحاً بنى وطنه :

قد كنتُ فرداً فَحَجَجْتُ من
فى الحكم جار على البلاد واجحفا
واليوم كلكم رجال فاقتفوا
أثرى وجدوا فالهمام من اقتفى

إن مات منكم مصطفى فجميعكم
من بعد موتى يا أفاضل مصطفى
فثقوا بمولاكم ولا تتفرقوا
إن التفرق كم اذل واضعفا

ومن رثائه لصديقه المرحوم الأستاذ حسن توفيق العدل :

ماذا جرى حتى تركت أحبة
حفظوك في سر الفؤاد وفي العلن
كانت لمنعاك البيوت مآتما
والناس قد ضجوا ومدمعهم هتن
نبكى شمائلك التى فاقت على
من في الحواضر والبوادى قد قطن

تلاميذ الشيخ :

أما تلاميذ الشيخ الذين أخذوا عنه في دار العلوم فكثير ، من أشهرهم الأساتذة : الشيخ عبد العزيز جاويش وهو أزهرى درعمى ، ومحمد عاطف بركات والشيوخ : محمد الخضرى بك ومهدى زيكو ، وأحمد الاسكندرى ، وحسن منصور ، ومحمد مهدى خليل .

وممن تلقوا العلم عليه في مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا الأساتذة حسن مأمون رئيس المحكمة الشرعية العليا ، ثم الإمام الأكبر الأسبق ، وعبدالله عفيفى ، وأمين الخولى وأحمد زكى صفوت ، وحسن محمد زهران المحامى ، وطه ابو بكر ، ومهدى علام ، ومصطفى السقا

وصفوة القول أن أستاذنا العلامة الشيخ أحمد الحملاوى هو أحد أركان النهضة اللغوية في العصر الحديث بما ألف من كتب وبما تخرج على يديه من رجال القضاء الشرعى والمحاماة وأساتذة اللغة العربية ، وكلهم ممن شغلوا مكاناً فسيحاً في حياة مصر العلمية والأدبية في معاهدها الكبرى وجامعاتها القديمة والحديثة .

وقد أفضنا في الحديث عن كتابه « شذا العرف في فن الصرف » الذى كنا ندرسه في السنتين الرابعة والخامسة الثانويتين بالمعاهد الأزهرية فلابد أن نتكلم عن كتابه : (زهر الربيع في المعانى والبيان والبديع) الذى كانت ألفاظه سهلة عذبة ، اشتمل على غرر البيان ودرره ومُلح الأدب ونوادره والتصرف في فنون القول : من تقرير إلى تعجب إلى تهكم إلى نفى لكى يكسب الفاظه جدة ولئلا يذهب نشاط السامع سدى .

ومن مؤلفاته (مورد الصفا في سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، و(فوائد التأييد في عقائد التوحيد) . وهو رسالة صغيرة طبعت بمطبعة مصطفى البابى الحلبى ايضاً .

وله ديوان شعر من جزءين .

وولده الأستاذ فرج الحملاوى غصن مثمر من دوحة هذا الشيخ الجليل عمل بـ (وزارة المعارف) ما يزيد على ثلث قرن وصل فيها مجد الأبناء والأحفاد بمجد الآباء والأجداد .

وبعــــد ..

فليس غريباً أن يلج المؤلف هذه الآفاق ويجول في مسالكها وشعابها بل مثار الإعجاب والإكبار في جمعه ما في هاتيك الآفاق المترامية من أزاهير العلم وضمها في باقة فريدة وليصل بك عن أخصر سبيل إلى جوهر المعرفة ولب الحقائق العلمية ومن الواجب أن يطلع على هؤلاء الأعلام ، أبناء هذا الجيل ليعرفوا شيئاً عن هؤلاء الأفذاذ لا لذيوع شهرتهم ، بل للاقتداء بهم ولبيان ما قاموا به من جلائل الأعمال .

جزاه الله عن الإسلام والعلم خيراً . والله الموفق المعين .



للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ألا تأخذ من بيت المال ؟

أرسل سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى سيدنا عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ يستسلفه أربعمائة درهم .

فقال سيدنا عبد الرحمن : أتستسلفنى وعندك بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم ترده ؟

فقال سيدنا عمر : إنى أتخوف أن يصيبنى قدرى ، فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة .

ولكنى أتسلفها منك لما أعلم من شحّك فإذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى .

حقا

قال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا .

ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لفاز بهما جميعا .

ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا .

تعلم اللغات

بقدر لغات المرء يكثر نفعه
وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا
فكل لسان بالحقيقة إنسان

عشرة لا تقال

دخل الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ على رجل يعوده فى مرضه ، فرآه يصوّب بصره فى صندوق فى بيته ويصعده ، ثم قال :

أبا سعد ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤد عنها زكاة ولم أصل رحما ؟

قال الحسن : ثكلتك أمك ولم كنت تجمعها ؟

قال الرجل : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة .

ثم مات فشهده الحسن ، فلما فرغ من دفنه قال : انظروا إلى هذا المسكين أتاه شيطانه ،

فحذره روعة زمانه وجفوة سلطانه ، ومكاثرة عشيرته عما رزقه الله إياه وغمره فيه انظروا كيف خرج من هذا الدنيا مسلوبا محروبا .

ثم التفت إلى الوارث فقال :

ايها الوارث لا تخدعنى كما خدع صويحبك بالامس ، اتاك هذا المال حلالا ، فلا يكونن عليك وبالا ، اتاك عفوا صفوا ممن كان له جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، ومن حق منعه فطمع فيه لجج البحار ومغاوز القفار .

لم تكدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين .

إن يوم القيامة ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك ، فيالها عثرة لا تقال ، وتوبة لا تنال .

ريح الأماني

تمنى ابن ابى عتيق ان يهدى له مسلوخ يتخذ منه طعاما ، فسمعته جارة له فظنت أنه قد أمر ان يشترى له فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تدق الباب :

وقالت : شممت ريح قدوركم فجئت لتطعموني .

فقال ابن ابى عتيق : جيراني يشمون ريح الأماني .

تذكَّر دائما

وما من يد إلا يد الله فوقها
وما من ظالم إلا سيبلى بأظلم

من العجائب

ثلاثة بنو اعمام كلهم كانوا فى زمان واحد ، كل واحد منهم اسمه على ولهم ثلاثة اولاد كل واحد منهم اسمه محمد ، والآباء والأبناء علماء اشراف ، وهم :

على بن الحسين بن على بن ابى طالب وعلى بن عبد الله بن العباس وعلى بن عبد الله بن جعفر .

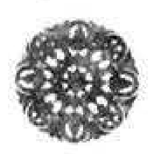
رضى الله عنهم أجمعين .

وصية

قال الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ : التواضع مع البخل والجهل خير من الكبر مع الكرم ، فحسبك من حسنة غطت على سيئتين ، وسيئة غطت على حسنتين .

دعاء

«اللهم ارزقنى قلبا تقيا نقيا ، لا كافرا ولا شقيا ، ومن الشرك بريا» .





أثر الصيام فى تقويم الشخصية الإنسانية

للأستاذ / محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

جريا على سنة الله فى الكون .. يطل علينا شهر رمضان الكريم فى عام جديد ضمن دورة الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

قال رحمه الله :

كان الناس إلى زمان قريب يحسبون أن الصيام من الشئون الخاصة بالأديان ، ولكن لم يكد ينتشر تاريخ الطب بين الناس حتى علموا أن الصيام اعتبر فى كثير من الأمراض من مقومات الصحة الجسمانية ، فقد علموا أنه عد من عهد « ابقراط » عاملا قويا من العوامل المنقية للجسم من سموم الأغذية .

نعم سموم الأغذية ، فإن المواد الحيوانية التى نتناولها بشراهة ، تحتوى على مواد دهنية ، ومواد رباعية العناصر ، لا تطيق البنية البشرية أن تختزن مقدارا يزيد على الحاجة منها ، وهذه الحاجة الضئيلة منها يمكن الحصول عليها من النباتات انقى وأصح مما يمكن الحصول عليها من المواد الحيوانية .

ولا يوجد من ينكر أن البوذيين فى الهند والصين ، وهم يعدون بمئات الملايين لا يأكلون لحوم الحيوانات تدينا ، وهم على أكمل حال من الصحة ، بل يوجد غيرهم فى أوروبا ممن لا يؤمنون بالشرائع الدينية لا يأكلون المواد الحيوانية بتاتا .

لسنا هنا بصدد تفضيل الأغذية النباتية على الأغذية الحيوانية ، ولكنا بسبيل إثبات أن الصوم عمل ضرورى طبيا ، لإيجاد الاتزان الطبيعى بين مواد الأغذية البشرية ، إذا حدث ما أخل بذلك الاتزان ، أو اقتضت الدورة الحيوية

للإنسان إحداث عمل مباشر لإعادة نظام التغذية ، تفاديا مما يحدث بسبب اختلالها من اختلال الوظائف الهضمية ، ولاختلال هذه الوظائف فى العالم الإنسانى آثار بعيدة الأثر على حياته المدنية .

هذا التأثير الغذائى خاص بالنوع البشرى ، لأنه الكائن الوحيد المطلق الحرية فى شئون تغذيته دون سائر الكائنات ، فإن لكل منها نوعا من الأغذية صيغت على موجبه أعضاؤها الهضمية ، فكل نوع منها خصت به أنواع خاصة من المواد لا يتعداها فى تغذيته ؛ وأطلقت الحرية للإنسان فهو يتناول منها كل ما يقع تحت يده ، وكثيرا ما يصاب بسبب هذه الحرية بآفات مرضية تكون فى أول أمرها وبالا عليه ، ثم يعتادها فتصير مألوفة له مع بقاء أضرارها حائقة به من ضروب شتى ، حتى يتنبه إليها ويحاول التخلص منها ، وقد تمر الأجيال فلا يستطيع أن يتحول عنها . فهو من هذه الناحية معرض لانحرافات بعيدة . وقد كشف العلم هذه الانحرافات كلها ، وبحثها بحثا عميقا حتى لم يبق محل للمزيد .

كل ذلك لم يثن الإنسان عن المضى فيما هو عليه ، متجاهلاً أحكام العلم ، شأنه فى جميع محاولاته المادية والأدبية ، حتى إنه ليجتمع الذين يعلمون والذين لا يعلمون على مائدة واحدة ، فلا تستطيع أن تفرق بين الفريقين ، لتساويهما فى عدم المبالاة بالصنوف التى يتناولونها ، وهذا شأن الإنسان ، وأشد أدوائه تأثيرا عليه .

نعم ، إن العلم فى اقتباسه الصوم من الدين لم يتقيد بمواعيده ، ولا بمدته ، ولا بأسلوبه ، فلم يأخذ منه إلا المبدأ : وهو أنه لكل مايلقى فى المعدة من المواد تأثير على الجسم والعقل والشعور معا ، ومن هنا يصح أن يكون ذا تأثير بالغ فى تخفيف الأعراض التى تنتاب الأعضاء الباطنة والظاهرة ، وتحويل محمود فى حالة المريض يتأدى منه إلى التخلص مما أصابه من الآلام والانحرافات .

وحصة الروح من هذا التحويل لا تقل قيمة عن حصة الجسم ، فإنه يخلى الطريق أمامها لإيصال النفس الإنسانية إلى مستوى من الشعور أرفع من مستواها وهى متورطة فيما هى فيه من الشئون الحيوية .

وقد استفاد الطب من هذه الناحية ما لم يستفده من ناحية العلاج بالعقاقير ، فجعل مناط علاجه للأمراض تخير المواد الغذائية التى يجب أن يعول عليها المريض فى التغذية . وقد أنشئت فى عواصم أوروبا مصحات هى عبارة عن قصور فخمة فى وسط حدائق غناء ، ومياه جارية ، يقصدها المرضى من أرجاء الأرض ، ويمكثون بها أياما أو أسابيع يخرجون بعدها وقد تملأوا صحة وقوة ، لا يشكون شيئا مما كان يلازمهم ويؤلمهم ، ولم يتعاطوا فى مكافحته عقارا ، ولم يشعروا بأنهم تحت سلطان نظام صحى دقيق ، فلا يمر عليهم أكثر من أسبوعين حتى يروا أنهم قد انتقلوا من حال إلى حال لم يكونوا يحلمون بها من قبل . كل هذا ببركة اختيار الأطعمة ، والاقتصار على غير الضار منها .

وقد شرع الله الإسلام خاتما للأديان ، لأنه جمع كل ما كان لخير الإنسانية منها وجعل الصيام ركنا من أركانه ، وجعل عدة أيامه مايتفق أن يكون عليه رمضان بين ٢٩ و ٣٠ يوما ، مختارا له نظام الامتناع عن تناول شىء من

من روائع الماضى

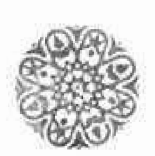
أثر الصيام فى تقويم الشخصية

الطعام أو الشراب ما بين أذان الفجر إلى أذان المغرب ، وهى مدة تتراوح بين تسعة وعشرين وبين ثلاثين يوماً . وقد آثر الله أن يجعله انقطاعاً عن التغذى نصف ساعات اليوم دون أن يقصر ما يؤكل على صنوف من الأطعمة دون صنوف . وهذا فيما يظهر خير نوعيه ، لأن مايحرم منه الصائم بالصوم يعوضه أضعافاً مضاعفة فى شهور الإفطار فيضر نفسه ضرراً بليغاً . لذلك تركه الإسلام يختار لنفسه القدر الذى يكفيه من الأطعمة مع النصح له بالتخفف من الأغذية هرباً من سوء مغبة الإفراط منها على الصحة .

ونزيد على ذلك ، أن لخلاء المعدة من العمل ساعات متوالية فى حالة راحة تامة ، تأثيراً فى إعادة قواها إليها لا يمكن الحصول عليه بأية وسيلة أخرى . مثلها فى ذلك مثل العامل المتعب الضعيف ، يستحيل أن تعود إليه قواه وهو مستمر فى العمل مهما كان ما يعمله هيناً ؛ ولكن بالانقطاع عن العمل بتاتاً يعود إليه كل ما فقده من قواه ، فإذا عاد للعمل عاد إليه وهو حاصل على قواه كاملة ؛ وفرق بعيد بين الحالتين فى حفظ هذا الجثمان بعيداً عن الوهن أطول مدة ممكنة .

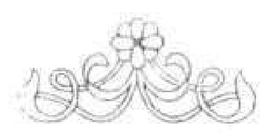
فالصيام فى الإسلام إذن يكون له أثر بعيد جداً فى حفظ صحة أهله ، وسلامة جسومهم من العاهات ، ولكن أكثرهم لا يأبهون كثيراً بالمستقبل ، ولا يحسبون حساباً للشيخوخة ، ولا يعرفون للقوى حدوداً ، فيعيشون كما يجىء لا كما يجب .

المجلد الثانى والعشرون

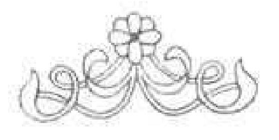


اللغة والأدب والنقد

ابن القيم وحديث في أصول اللغة



لحظات طيبات مع الإمام سفيان الثوري





للأستاذ الدكتور
توفيق محمد شاهين

ويقرر باحثو علم اللغة حديثا ان اعضاء النطق فى الإنسان لم تكن خاصة بالنطق والكلام ووقفا عليه .. بل لها منافع وميزات اخرى متعددة متنوعة ، وهذا ما اشار إليه ابن قيم الجوزية ، حيث يقول :

وفى هذه الآلات مارب اخرى ومنافع سوى منفعة الكلام :

ففى الحنجرة مسلك النسيم البارد الذى يروح على الفؤاد بهذا النفس الدائم المتتابع . وفى اللسان منفعة الذوق فتذاق به الطعوم ، وتدرك به لذتها ، ويميز به بينها ، فيعرف حقيقة كل واحد منها . وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام ، وان يلوكه ويقلبه حتى يسهل مسلكه فى الحلق .

وفى الأسنان من المنافع ما هو معلوم ، وإسناد الشفتين وإمساكها عن الاسترخاء ، وتشويه الصورة .

وفى الشفتين منافع عديدة يرشف بها الشراب ، حتى يكون الداخل منه إلى حلقه بقدر ، فلا يشرق به الشارب . ثم هما باب مغلق على الفم الذى ينتهى إليه ما يخرج من الجوف ، ومنه يبتدىء ما يلج فيه ، فهما غطاء وطابق عليه ، يفتحهما البواب متى شاء ، ويغلقهما إذا شاء . وهما ايضا جمال وزينة للوجه وفيهما منافع اخرى سوى ذلك .

وقد بان لك أن كل واحد من هذه الاعضاء

ينصرف إلى وجوه شتى من المنافع والمآرب والمصالح : كما تتصرف الأداة الواحدة فى أعمال شتى .. ثم يعترف بأن فى تركيب العقل، وصيانته، وعمله .. مايحير الألباب والعقول، وصدق الله : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

والمحدثون من علمائنا، مازالوا يقولون فى مثل هذه الدراسات :

إن الجهاز الصوتى عند الإنسان بالغ حد الروعة، لما فيه من مرونة عجيبة : فقد تهيأ للإنسان بتلك المرونة إخراج عدد لا يحصى من الأصوات . وإن هذا الجهاز لم يكن فى أصل خلقه لإصدار الأصوات، وإنما كان لكل جزء مهام أخرى : كالتذوق بالنسبة للسان، والمضغ للأسنان، والشم للأنف، وهكذا ...

ولكن عزى إليها الكلام لأهميته .

وقد لايقدر الإنسان نعم الله عليه حق قدرها، ولا يعرف أهميتها مع تمتعه بها . بيد أنه إذا أصابها عطب أو تعطلت عن القيام بواجبها ـ فإن شعوره بالحسرة على فقدها يتضاعف .. بل إن الشعور بالألم يضاعف الآلام أكثر مما يحسه الإنسان، إذا تخيل أنه فاقد لحاسة من حواسه، أو حرم من نعمتها بعد الإنعام بها . لذلك يضع ابن قيم الجوزية أمام الأنظار .. ما يعظم لدى الإنسان نعمه عليه من المنعم .. ويقارن بين المصائب والعلل : أيها أكثر ضررا وأشد تعويقا للإنسان .. وبخاصة فيما يتعلق بأمور الدين .. يقول :

إن فقد البصر أشد ضررا من فقد السمع، وإذا صبر فاقده فله الجنة .. وقد كان فى الصحابة أضراء، ولم يكن فيهم أطروش .. والمعافى من عافاه الله منهما ومتعه بسمعه وبصره، وجعلهما الوارثين منه .

والهواء حياة الأحياء، وناقل الصوت، ومعبر الكلام إلى السامع، فما قيمة الهواء ؟ وماهو ؟ يقول ابن قيم الجوزية عن : (الهواء) ومافيه من المصالح، فهو حياة الأبدان، وتطرد الأصوات فتحملها وتؤديها كالرسول الحامل للبريد والأخبار، وصلاح حياة الحيوان والنبات، وحامل المطر كالراوية، ويتفرق فى الجو حتى لا ينزل المطر جملة فيكون مهلكا . ويلقح الشجر والنبات حتى لا تكون عقيما، وتسير السفن، وتبرد الماء، وتجفف المبتل، وتضرم النار، ولو ركدت لأنتن العالم، وتلفت النفوس والنباتات، واستشرى الوباء ... ولذا قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الرياح : إنها من روح الله، تأتى بالرحمة .

ثم ينبهنا إلى لطيفة اللطائف فى هذا الهواء (مما يعنينا فى موضوعنا هذا)، وهى : (أن الصوت أثر يحدث عند اصطكاك الأجرام، وليس نفس الاصطكاك، كما قال ذلك من قاله، ولكنه موجب الاصطكاك، وقرع الجسم للجسم، أو قلعه عنده ؛ فسببه قرع أو قلع، فيحدث الصوت، فيحمله الهواء، ويؤديه إلى مسامع الناس، فينتفعون به فى حوائجهم ومعاملاتهم بالليل والنهار، وتحدث الأصوات العظيمة من حركاتهم .

فلو كان أثر هذه الحركات والأصوات يبقى فى الهواء، كما يبقى الكتاب فى القرطاس لامتلأ العالم منه، ولعظم الضرر به، واشتدت مؤنته، واحتاج الناس إلى محوه من الهواء والاستبدال

وحديث فى أصول اللغة

به اعظم من حاجتهم إلى استبدال الكتاب المملوء كتابة ؛ فإن مايلقى من الكلام فى الهواء قرطاس خفي ، يحمل الكلام بقدر ما يبلغ الحاجة ، ثم يمحى بإذن ربه ، فيعود جديدا نقيا لاشىء فيه ، فيحمل ماحمل كل وقت) .

وهذا وصف مبسط عند المحدثين لحرف من الحروف العربية ، يتبين منه كيف يتكون ، والمراحل التى مر بها ، حتى صار حقيقة تدرك ومعجزة تحققت مثلا :

(حرف التاء) : وصفه علماء الأصوات بأنه : حرف مهموس ، شديد ، مستفل ، منفتح ، مصمت . ويرجع همسه لعدم اهتزاز الأوتار الصوتية حال نطقه ؛ لانبساط فتحة المزمار ، واتساع مجرى الهواء . كما أن شدته ترجع إلى حجزه الهواء خلفه حجزا تاما حال تقابل عضوى النطق ؛ وهما طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .

وهو عند المحدثين انفجارى ؛ نظراً لانطلاق الهواء بقوة حال انفصال هذين العضوين عن بعضهما .

ونظراً لعدم ارتفاع اللسان به إلى أعلى كان مستفلا ، ومنفتحا .

ولما لم يعد ضمن حروف الخفة (مر بنفل) كان مصمتا .

ويتكون هذا الحرف مصاحبا لهواء الرئتين ، فيمر بالقصبة الهوائية إلى أن يصل إلى الحنجرة فتنبسط فتحة المزمار ، ويبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما بما يسمح لمجرى الهواء بالاتساع ، مما ينجم عنه عدم الاهتزاز للأوتار الصوتية ، ومن ثم عد هذا الحرف مهموسا ، ثم يتابع الهواء سيرة ، ماراً بالحلق فاللسان إلى أن يتصل طرفه بأصول الثنايا العليا اتصالا محكما يمنع الهواء من التسرب ولذلك عدّ (شديدا) وعندما ينفصل العضوان عن بعضهما ينطلق الهواء بقوة ، ولذا سمى انفجاريا عند المحدثين . ونظرا لعدم ارتفاع اللسان به إلى أعلى كان (مستفلا) و (منفتحا) ، وهو مصمت لما سبق . ونظرا لغلبة الصفات الضعيفة عليه ، يعد من الحروف الضعيفة .

هذا ماقرره العلم الحديث لحدوث الصوت .. فما هو تصور ابن القيم فى هذا الجانب ؟

يتصور الإمام ابن قيم الجوزية ، حدوث الصوت اللغوى على النحو التالى ، يقول :

(.. ثم تأمل فى هذا الصوت الخارج من الحلق ، وتهيئة آلاته ، والكلام وانتظامه ، والحروف ومخارجها ، وأدواتها ومقاطعها واجراسها .. تجد الحكمة الباهرة في هواء ساذج يخرج من الجوف فيستهلك فى أنبوبة الحنجرة حتى ينتهى إلى الحلق واللسان والشفتين والأسنان ، فيحدث له هناك مقاطع ، ونهايات ، وأجراس ، يسمع له عند كل مقطع ونهاية كل جرس مبين منفصل عن الآخر ، يحدث بسببه الحرف . فهو صوت واحد ساذج يجرى فى قصبة واحدة ، حتى ينتهى إلى مقاطع وحدود تسمع له منها تسعة وعشرين حرفا ، يدور عليها الكلام كله : أمره ونهيه ، وخبره واستخباره ، ونظمه ونثره ، وخطبه ومواعظه وفضوله ... ومنه الكلمة التى لا يلقى لها بالا صاحبها يهوى بها فى النار .. والكلمة التى لا يلقى لها بالا صاحبها يركض بها فى أعلى الجنان ، فى جوار رب العالمين . فسبحان من أنشأ ذلك كله من هواء

ساذج ، يخرج من الصدر ، لا يدرى مايراد به ، ولا أين ينتهى ، ولاأين مستقره . هذا إلى ماق ذلك من اختلاف الألسنة واللغات ، التى لايحصيها إلا الله ... واللسان الذى هو الجارحة واحد فى الشكل والمنظر ، وكذلك الحلق والأضراس والشفتان ، والكلام مختلف متفاوت أعظم تفاوت ..) .

وعن تركيب آلات الكلام وعملها ، ومخارج الحروف وصفاتها ... يحدثنا ابن قيم الجوزية بما لا يبعد عن الذى قرره علماء الأصوات حديثا ، يقول : ـ

(فانظر الآن فى الحنجرة ، كيف هى كالأنبوب لخروج الصوت ، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغمات ، الا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم الحروف التى تخرج منها ومن اللسان . ومن سقطت شفته كيف لم يقم اللام والراء . ومن عرضت له آفة فى حلقه كيف لم يتمكن من الحروف الحلقية !!

وقد شبه أصحاب التشريح مخرج الصوت بالمزمار ، والرئة بالزق الذى ينفخ فيه من تحته ، ليدخل الريح فيه والفضلات التى تقبض على الرئة ليخرج الصوت من الحنجرة بالأكف التى تقبض على الزق ، حتى يخرج الهواء فى القصب والشفتين والأسنان التى تصوغ الصوت حروفا ونغما بالأصابع التى تختلف على المزمار فتصوغه ألحانا ، والمقاطع التى ينتهى إليها الصوت بالأبخاش التى فى القصبة . حتى قيل : إن المزمار إنما اتخذ على مثل ذلك من الإنسان .

فإذا تعجبت من الصناعة التى تعملها أكف الناس ، حتى تخرج منها تلك الأصوات .. فما أحراك بطول التعجب من الصناعة الإلهية التى أخرجت تلك الحروف والأصوات من اللحم والدم والعروق والعظام ! ويابعد ما بينهما !

ولكن المألوف المعتاد لا يقع عند النفوس موقع التعجب ، فإذا رأيت مالا نسبة له إليه أصلا إلا أنه غريب عندها تلقته بالتعجب وتسبيح الرب تعالى وعندها من آياته العجيبة ماهو أعظم من ذلك ، مما لايدركه القياس .

ثم تأمل اختلاف هذه النغمات وتباين هذه الأصوات مع تشابه الحناجر والحلوق والألسنة والشفاه والأسنان !! فمن الذى ميز بينها أتم تمييز مع تشابه محالها .. سوى الخلاق العليم) .

ومن الحروف تتألف الكلمات ، ومن الكلمات تعبير وبيان لمن رق طبعه ولطف حسه ، ومن البيان سر وروعة .

وعن نعمة البيان وأقسامه ، ومراتب الوجود ، ومدح من انتفع بذلك ، وذم سواه يحدثنا العلامة ابن قيم الجوزية ، فيقول : ـ

ثم تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيانين : البيان النطقى ، والبيان الخطى ، وقد اعتد بهما سبحانه فى جملة ما اعتد به من نعمة على العبد ، فى قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ .... يَعْلَمْ ﴾ .

فقد تضمنت الآيات على إيجازها مراتب الخلق والوجود : من ذكر عموم الخلق ، وهو إعطاء الوجود الخارجى ـ ثم ذكر ثانيا خصوص خلق الإنسان .. ثم ذكر ثالثا : التعليم بالقلم ، الذى هو من أعظم نعمه على عباده . إذ به خلود العلوم ، وثبات الحقوق ، وتعلم الوصايا ، والحفظ والضبط .. الخ

(فالله) أعطى (الإنسان) الذهن الذى يعى به ، واللسان الذى يترجم به ، والبنان الذى يخط به ، وهيأ ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيوانات ..

﴿ وحديث فى أصول اللغة

والتعليم بالقلم يستلزم مراتب الوجود الثلاثة ، والتى هى مسندة إليه سبحانه خلقا وتعليما ، وهى : مرتبة الوجود الذهنى ، والوجود اللفظى ، والوجود الرسمى .. فمن فضله وكرمه ذكر تعليمين :

خاصا ، وعاما ، وكذلك خلقين : عاما وخاصا ..

وكذلك المتأمل فى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ .

يرى أنه سبحانه أعطى مراتب الوجود بأسرها : الإيجاد الخارجى فى خلق الإنسان ، والوجود العلمى الذهنى فى تعليم القرآن . وتعليم البيان يتناول البيان الذهنى ، الذى يميز فيه بين المعلومات . والبيان اللفظى الذى يعبر عن المعلومات ويترجمها .

والبيان الرسمى الخطى ، الذى ترسم به تلك الألفاظ فتبين معانيها للناظر إليها . فهذا بيان للعين ، والثانى بيان للسمع ، والأول بيان للقلب .

ولذا جمع سبحانه بين الثلاثة فى مثل قوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ويذم من عدم الانتفاع بها فى اكتساب الهدى والعلم النافع ، كقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه : « مذهب السلف القويم ، فى تحقيق مسألة كلام الله القديم » ، خلاصة لما سبق فى عبارة وجيزة : بأن لكل شىء اربعة وجودات : وجود خارجى هو الوجود فى الأعيان .

ووجود علمى هو الوجود فى الأذهان .

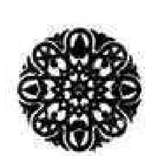
ووجود لفظى هو الوجود فى المنطق واللسان .

ووجود رسمى وهو الوجود فى الخط بالبنان .

ولكون تعليم الخط يستلزم غالبا تعليم العبارة واللفظ المستلزم لتعليم العلم ، قال تعالى : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

وأطلق التعليم ، ثم خص فقال : ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

على كل يجب أن نعلم أن للعرب فضلا كبيرا فى هذه المباحث الطبيعية ، انتفعت بها أوروبا إبان نهضتها . ومن هنا نعلم أن الأجداد لم يقصروا فى حق الأبناء ، ولم يقصروا أيضا فى تادية رسالتهم . وبقى دور الأحفاد .



لحظات طيبات مع الإمام سفيان الثورى

إعداد الأستاذ
عادل خفاجة

قال سفيان بن عيينة : ائمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ابن عباس فى زمانه والشعبى فى زمانه وسفيان فى زمانه .

ومن الدلالة على سعة علمه وعمقه قول ابن المبارك : اقعد إلى سفيان الثورى فيحدث ، فاقول : مابقى من علمه شىء إلا سمعته ، ثم اقعد عنده مجلسا آخر فيحدث فاقول : ما سمعت من علمه شيئا .

وتعريفا بهذا الإمام نقول : إنه سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله موهب بن منقذ بن نصر بن الحارث بن مالك بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ..... الثورى أبو عبد الله الكوفى أحد الأئمة الأعلام .

كان ـ رحمه الله ـ عالما عابداً زاهدا ، وكانت صفاته هذه تشكل منظومة متناسقة لا تخرج إحداها عن الأخرى ، وهو على ذلك لاتخلو روحه من دعابة .

كان رحمه الله حريصا على طلب العلم ؛ لما فى طلبه من عز وشرف فكان يقول : الرجل إلى العلم احوج منه إلى الخبز واللحم وكان حريصا على الا يُحرم اهلُه من هذا العز وذاك الشرف ، فتجده يقول لرجل من العرب : « اطلبوا العلم ، ويحكم . فإنى اخاف أن يخرج منكم فيصير فى غيركم ، اطلبوه ويحكم فإنه عز وشرف فى الدنيا والآخرة » .

ثم يوضح كيفية الحفاظ على العلم فيقول : « تعلموا العلم فإذا تعلمتموه فاكظموا[1] عليه ،

(١) يريد فاستمسكوا عليه بشدة .

الإمام سفيان الثورى

ولا تخلطوه بضحك ولا لعب فتمجه القلوب .

وهو يعلم ما للعلم من قيمة وما للحديث الشريف من مكانة مع تقدير لمدى احترام السلف له ومبلغ تفانيهم فى طلبه ، قال أبو عاصم : سمعت سفيان الثورى يقول : كان الرجل إذا اراد أن يكتب الحديث تأدب وتعبد قبل ذلك بعشرين سنة .

وقد رسم سفيان ـ رحمه الله ـ طريق العلم وبين مراحله فكان يقول : « أول العلم : صمت ، والثانى : الاستماع له وحفظه ، والثالث : العمل به ، والرابع : نشره وتعليمه » .

وكم من طالب للعلم ـ فى أيامنا هذه ـ يغفل او يتغافل عن أهم مراحل طلب العلم ، وهى مرحلة العمل به ، فينتقل مباشرة من مرحلة الحفظ إلى مرحلة النشر !!

ولم يكن سفيان ـ رحمه الله ـ هو من تغيب عنه هذه المسائل فكان يقول : « لولا أن للشيطان فيه نصيباً ما ازدحمتم عليه » ـ يعنى العلم .

ولم يكن سفيان ينكر على أحد ـ مهما كان ـ طلبه العلم .

وكان ـ رحمه الله ـ يعتبر العلم ما كانت ثمرته خشية الله تعالى فكان يقول : « ليس طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل » ، فليس العلم فى نظره هو البراعة فى الحفظ والإلمام الدقيق بالمادة ولكن العلم هو مايرى اثره على حامله ؛ لذلك نجده يقول : زينوا العلم بأنفسكم ولاتَزَيَّنُوا به ، لقد منَّ الله على سفيان وعمَّه بفضله ، حتى أتاه الكبير والصغير يستفتونه ،

ولم يكن سفيان ليترك العلم لحظة ؛ فقد قال الفضل بن المهلهل : قال لى سفيان : فيم السلامة ؟

قلت : ألا تعرف !، قال : هذا ما لا يكون ، ولكن السلامة ألا تحب أن تعرف .

أسلوبه :

كان أسلوبه ـ مع سعة علمه ـ يتسم بالإيجاز الشديد وأحب هو ذلك ، وحض عليه ، فقد جاءه رجل فقال : السلام عليكم يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته ، كيف أنت وكيف حالك ؟ فقال سفيان : عافانا الله وإياك ، لسنا أصحاب تطويل .

وكتب إلى أخيه مرة أخرى . قال : « أما بعد ، فأحسن القيام على عيالك ، وليكن الموت من بالك ، والسلام » .

فأنت ترى إيجاز خطابه فى كلمات ثلاث .

بُعْده عن الأضواء :

كان ـ رحمه الله ـ لايحب مجالس الأمراء ؛ فكان دائم الهرب منهم . قال عطاء بن مسلم : لما استخلف المهدى بعث إلى سفيان ، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه فقال : ياأبا عبد الله هذا خاتمى ، فاعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة ، فأخذ الخاتم بيده وقال : تأذن فى الكلام ياأمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : أتكلم على أنى آمن ؟

قال : نعم . قال : لا تبعث إلى حتى آتيك ، ولا تعطنى شيئا حتى أسألك . قال : فغضب من ذلك وهَمَّ به ، فقال له كاتبه : أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى . فلما خرج حف به أصحابه فقالوا : ما منعك يا أبا عبد الله ، وقد أمرك أن تعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة ؟

قال : فاستصغر عقولهم ، ثم خرج هارباً إلى البصرة .

وقال عبد الرحمن بن مهدى : قدم سفيان الثورى البصرة ، والسلطان يطلبه ، فصار فى بعض البساتين فأجَر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمر به بعض (العشارين)[1] فقال له : من أنت ياشيخ ؟ قال : من أهل الكوفة . قال : أخبرنى أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال : أما رطب البصرة فلم أذقه ، ولكن رطب السابرية بالكوفة حلو ، فقال : ما أكذبك من شيخ ! الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه ؟ [ثم رجع هذا المتكلم إلى عامل المنطقة][2] فأخبره بما قاله ليعجبه ، فقال : ثكلتك أمك ، أدركه فإن كنت صادقاً فإنه سفيان الثورى فخذه لتتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدى ، فرجع فى طلبه فما قدر عليه . ثم يحكى سفيان بنفسه عن ذلك فيقول : طُلبت فى أيام المهدى فهربت فأتيت اليمن ، فكنت أنزل فى حى حى ، وأوى إلى مسجدهم ، فسرق فى ذلك الحى فاتهمونى فأتوا بى معن بن زائدة ـ وكان قد كتب إليه فى طلبى ـ فقيل له : إن هذا قد سرق منا ، فقال : لم سرقت متاعهم ؟ فقلت : ما سرقت شيئاً ، فقال لهم : تنحوا لأسائله ، ثم أقبل علىّ فقال : ما اسمك ؟ فقلت : عبد الله بن عبد الرحمن ، قال : يا عبد الله بن عبد الرحمن نشدتك بالله لما نسبت لى نسبك ، قلت : أنا سفيان بن سعيد بن مسروق ، قال : الثورى ؟ قلت الثورى .

قال : أنت بغية أمير المؤمنين ؟ قلت : أجل . فأطرق ساعة ثم قال : ما شئت فأقم ، وارحل متى شئت ، فو الله لو كنت تحت قدمى مارفعتها .

لم يكن هربه ـ رحمه الله ـ عن خوف من الأمراء ، بل كثيراً ما كان ينتقدهم بحدة ، ولكن بأدب العالم ، فقد كان يقول : « لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى ، رفيق فيما يأمر ، رفيق فيما ينهى ، عدل فيما يأمر ، عدل فيما ينهى وها هو يقول للمهدى : كم أنفقت فى حجتك ؟

قال : ما أدرى ، قال : لكن عمر بن الخطاب يدرى ، أنفق ستة عشر ديناراً فاستكثرها .

ولم تكن وفاة أمير المؤمنين المهدى بناهية لمطاردة الإمام سفيان فهاهو ـ مرة أخرى ـ بغية أمير المؤمنين هارون الرشيد .

قال هارون بن عبد الله : سمعت منادى هارون الرشيد أمير المؤمنين ينادى : من دلنا على سفيان فله ألف درهم .

قال أبو الحسن بن إبراهيم البياضى : أخبرت أن أمير المؤمنين هارون الرشيد قال لزبيدة : أتزوج عليك ؟ قالت زبيدة : لا يحل لك أن تتزوج علىّ ، قال : بلى ، قالت زبيدة : بينى وبينك من شئت ، قال : ترضين سفيان الثورى ؟ قالت : نعم . قال : فوجه إلى سفيان الثورى فقال : إن زبيدة تزعم أنه لايحل لى أن أتزوج عليها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ ثم سكت فقال سفيان : تَمِّم الآية ، يريد أن يقرأ ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ وأنت لاتعدل ، قال : فأمر لسفيان بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها .

لم يقبل سفيان دراهم الأمير ، وما كان لرجل زاهد مثله أن يقبلها ، قال يحيى بن اليمان :

(١) جمع عشار وهو آخذ ضريبة العشر ممن يدخل أرض المسلمين للتجارة فيها .
(٢) مابين القوسين للإيضاح لما فى الأصل من إيجاز شديد .

الإمام سفيان الثورى

سمعت سفيان الثورى يقول : « العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه ، فمتى يداوى غيره ؟

نعم ، لقد رأى سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ فى دراهم الأمير داء للدين ، فأما نظرته المطلقة إلى المال فنجدها محددة فى قوله : « كان المال فيما مضى يكره فأما اليوم فهو ترس المؤمن » .

ويقول محمد الباهلى : جاء رجل إلى الثورى [وقد رأى فى يديه مالا][(١)] فقال : يا أبا عبد الله ، تمسك هذه الدنانير ؟ فقال : اسكت لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك . قال وقال سفيان : من كان فى يده من هذه شىء فليصلحه ، فإنه زمان من احتاج كان أول مايبذل دينه .

رأى سفيان فى المال أنه : (داء الدين) ورأى فيه أنه (تُرْسُ المؤمن) وقد يبدو فى الأمر صعوبة . لكن الأمر يسير :

فأما مال الأمراء ، وحب سفيان فى إقصاء العلماء عنه ، وتحذيره إخوانه من مجالستهم لما فيها من فتنة يعصم الله من يشاء منها ... كُلُّ ذلك حال أبعده عن تناول مالهم فتركه .

فأما المال الذى هو ثمرة الجهد فى عمل حلال لاتتخلله حرمة بأى وجه من الوجوه مع عدم الشغف به وحبه لذاته ، ونظرته إليه أنه يعصم الإنسان عن سؤال الناس فذلك (ترس المؤمن) يقيه ضربات الأيام .

ولأن المال ـ بهذه القيود التى تجعله ترس المؤمن ـ فى حاجة إلى نظرة سديدة ، وصبر أشد ، وبحث أدق فى شرعية العمل الذى سيأتى بهذا المال .. وقل من يتحرى ذلك ... هذا الذى دفع سفيان ـ رحمه الله ـ إلى القول بأنه : « لايعتد بعبادة رجل له عيال » .

قال أبو الأحوص سلام بن سليم : قال لى سفيان الثورى : « عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال ، والإنفاق على العيال » .

كان ـ رحمه الله ـ سريع البديهة ، قوى المنطق ، يمج التطرف ويظهر ذلك فى العديد من فتاواه ، نذكر منها ما يأتى :

● قال شعيب بن حرب : قلت لسفيان الثورى : ماتقول فى رجل قصار إذا كسب درهما كان فيه مايقوته وقوت عياله ولم يدرك الصلاة فى جماعة ، وإذا كسب أربعة دوانيق أدرك الصلاة جماعة ولم يكن فيه مايقوته ويقوت عياله .. أيهما أفضل ؟

قال : يكسب الدرهم ويصلى وحده .

● وجاءه رجل فسأله عن مسألة وعلى رأسه قلنسوة سوداء فنظر إليه فأعرض عنه ، فقال له : يا أبا عبد الله أيسألك الناس فتجيبهم ، وأسألك فتنظر إلىّ ثم تعرض عنى ؟

فقال : هذا الذى تسألنى ، أى شىء تريد به ؟ قال : السُّنَّة .

قال : فهذا الذى على رأسك أى شىء هو من السنة ؟!

هذه سنة سنها رجل سوء يقال له أبو مسلم لا تستن بسنته فنزع الرجل قلنسوته فوضعها ثم لبث قليلاً ثم قام فذهب وقيل : كانت مسألة الرجل عن الحج ، فقال : وضعك هذه يعدل حجة .

● سئل سفيان الثورى : طلب العلم أحب إليك

(١) ما بين القوسين لزيادة الإيضاح وليست فى الأصل .

يا أبا عبد الله أو العمل ؟ فقال : إنما يراد العلم للعمل ، لا تدع طلب العلم للعمل ، ولا تدع العمل لطلب العلم .

● وقيل له : أيكون الرجل زاهداً ويكون له مال ؟

قال : نعم ! إن كان إذا ابتلى صبر ، وإذا أعطى شكر .

● وسئل : يا أبا عبد الله أين تطيب العبادة ؟ قال : حيث جوالق من خبز بدرهم ؛ حتى لا يمدن أحد عينه إلى أحد .

نعم ، ومن لها غير أبى عبد الله ؟

وبقدر ماشمر سفيان - رحمه الله - عن ساعد الجد طلبا للعلم فقد شدَّ للعبادة مئزره .

● قال الحوارى بن أبى الحوارى أبو عيسى : رأيت سفيان الثورى يصلى قائما حتى تغلبه عيناه ، ثم يصلى قاعداً حتى يَغْيَى فيضطجع فيصلى مضطجعا .

وكان سفيان الثورى يصلى ثم يلتفت إلى الشباب فيقول : إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟

● وقال عطاء الخفاف : مالقيت سفيان الثورى إلا باكيا ، فقلت : ماشأنك ؟ قال : أخاف أن أكون فى أم الكتاب شقياً .

وكان يقول : البكاء عشرة أجزاء تسعة لغير الله . وواحده لله فإذا جاء الذى لله فى السنة مرة فهو كثير .

● قال أبو منصور الواسطى : زارنى سفيان إلى واسط ، فأتيته بثريد فأكل ، وأتيته بطُباخ (١) فأكل ، وأتيته برطب فأكل وأتيته بعنب فأكل وأتيته برمان فأكل ، فلما رآنى أنظر إليه قال : يا أبا منصور إنما هى اكلة فإذا أكلت فأشبع .

● قال مكى بن إبراهيم : دخلت على سفيان ابن سعيد يوماً وبين يديه رغيف وكف زبيب - أو حفنة - فقال لى : ادنُ يامكى ، قلت : يا أبا عبد الله : دخلت إليك غير مرة ، وأنت تأكل فلم تدْعُنى قبلها ، قال : اليوم حضرتنى النية .

● قال عبد الله بن الأسود : كنا عند سفيان الثورى فى بيته فجاء بقدر فيه لحم ومرق فأكفاه وصب عليه سمنا ، فقلت : يا أبا عبد الله أليس يُكْرَهُ الخليطان ؟ فقال : كان يُكْرَهُ لشدة العيش .

لقاؤه ربه :

● قال عبد الرحمن بن إسحق الكنانى : كنت بـ(عبادان) وسفيان مختف بالبصرة ، فأرسل إلى فجئت فإذا هو فى الموت ، فأدخل يده تحت رأسه ، فأخرج كيسا فرمى به إلىَّ وامرأة تتكلم خلف الستر فقال : إن هذه المرأة تزوجتها وبقى لها عندى من صداقها ثلاثون درهماً ، فإن هى تركتها فكفنى بها ، وإن لم تتركها فكفنى فى ثيابى ، فلما مات حملته إلى المغتسل اغسله ، فحللت إزاره فإذا فيها رقعة فيها أطراف الحديث .

● وقال عبد الرحمن بن مهدى : لما مات سفيان الثورى أردنا أن ندفنه ليلاً من أجلل السلطان فأخرجناه فلم ننكر الليل من النهار .

قال الأوزاعى : إذا مات ابن عوف وسفيان الثورى استوى الناس .

وقال جرير بن حازم :

من كان يبكى على حى لمنزلة
بكى الغداة على الثورى سفيانا

وقال عبد الله بن الصباح :

ابكى عليه وقد ولى وسؤدده
وفضله ناضر كالغصن ريانا

وكانت وفاته - رحمه الله - عام واحد وستين للهجرة وله من العمر أربع وستون سنة .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

الإمام الأكبر يلتقى ومستشار سفارة افريقيا الوسطى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته والسيد / جاك ديما مستشار أول سفارة أفريقيا الوسطى الجديد ، حضر اللقاء السيد / جريس بيبى جريل ليندر المستشار السابق بالسفارة .

وقد أعرب المستشار السابق عن شكره لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على الخدمات التى يقوم بها الأزهر لطلاب أفريقيا الوسطى وعلى التعاون المثمر الذى لمسه أثناء فترة تواجده فى عمله بالسفارة بالقاهرة .

كما أعرب المستشار الجديد عن امانيه فى أن يستمر التعاون بين سفارة جمهورية افريقيا الوسطى والأزهر الشريف لخدمة طلاب افريقيا الوسطى المسلمين .

وفى نهاية اللقاء كرر السيدان جاك ديما وجريس بيبى شكرهما العميق لفضيلة الإمام الأكبر على الحفاوة وحسن الاستقبال .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الشباب والرياضة فى مدغشقر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته السيد/ بدرالدين وزير الشباب والرياضة والإسكان بجمهورية مدغشقر .

وقد تم خلال اللقاء طلب بحث مزيد من التعاون بين الأزهر وجمهورية مدغشقر ، وقبول طلابها وإلحاقهم بالدراسة فى الأزهر ، وإيفاد العلماء لإلقاء المحاضرات الدينية للتوعية الدينية خلال شهر رمضان المعظم من كل عام .

وقد أعرب السيد الوزير عن شكر بلاده لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر لطلاب مدغشقر الدارسين بالأزهر الشريف .

●●●

الإمام الأكبر يفتتح احدث المنشآت الأزهرية بالدقهلية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بعض المشروعات التعليمية التابعة لمعاهد الأزهر الشريف وجامعته ضمن منشآت المركز الإسلامى (فى بلدة تفهنا الأشراف) الذى اقيم بالجهود الذاتية ..

وقد قام فضيلته بوضع حجر الأساس لفرع جامعة الأزهر (فى تفهنا الأشراف) الذى يضم

كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية والدراسات الإسلامية للبنات .

احاديث يومية بالتليفزيون المصري لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بمناسبة شهر رمضان المعظم يعرض التليفزيون المصرى على قناته الأولى حديثاً يومياً لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وذلك عقب صلاة العشاء .

●●●

إيفاد نخبة من علماء الأزهر لإحياء ليالي رمضان في إحدى عشرة دولة

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قراراً بإيفاد نخبة من علماء الأزهر الشريف فى بعثات إلى إحدى عشرة دولة هى : أمريكا وبريطانيا واستراليا واثيوبيا وبلجيكا والمالديف ونيجيريا ومدغشقر وبلغاريا وإسبانيا والبرتغال .

وذلك خلال شهر رمضان المبارك للقيام بالتوعية الدينية .

●●●

الإمام الأكبر يشيد بالدور التاريخي للأزهر في حمل راية الدعوة والدراسات العلمية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر احتفال كلية الطب جامعة الأزهر بمرور ٢٥ عاماً على إنشائها .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر بالدور التاريخى للأزهر فى حمل راية الدعوة والدراسات الإسلامية .

ونوه فضيلته بالأعداد الوفيرة من أبناء مصر والدول الإسلامية الذين تخرجوا فى كلية الطب

●●●

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبدالمنعم فودة ●

توحيد المنظمات الاسلامية فى كشمير

نقلت الإذاعة اللندنية فى مقابلة إذاعية مع البرفيسور (أليف الدين الترابى) أحد أعضاء حركة تحرير كشمير أن اثنتى عشرة منظمة جهادية إسلامية فى كشمير قد توحدت فى حركة واحدة باسم « حركة تحرير كشمير » وأخذت تمارس دوراً قياديا للتحرر من الاحتلال الاستعمارى الهندى .

بدات الحركة من يناير الماضى عملياتها التحريرية .

●●●

مطبعة للمصحف فى الاتحاد السوفيتي

أعلن (الشيخ طلعت صفا تاج الدين) مفتى مسلمى القسم الأوروبى وسيبريا - بالاتحاد السوفيتى انه قد انشئت مطبعة كبيرة لطباعة المصحف الشريف والكتب الدينية وعلى راسها ترجمة معانى القرآن الكريم .

وأعلن الشيخ طلعت أن أولويات العمل تتمثل فى إعادة بناء المساجد التى خربت فى الماضى وعددها (ثلاثة عشر مسجدا)

مجلة الأزهر : إن طباعة المصحف تتوقف على أعمال فنية دقيقة جدا لها خبراتها النادرة ، نرجو أن يتمكن القائمون على أمر طبع المصحف

أنبــــــاء وآراء

بالاتحاد السوفيتي مراعاتها حتى يأتى الكتاب العزيز فى هذه الطبعة خاليا تماما من الأخطاء .

●●●

الهندوس يطـاردون ويقتلـون المسلمين

أفادت الأنباء الواردة من الهند نقلا عن وكالة الأنباء الإسلامية أن المسلمين فى المناطق الغربية من الهند بولاية (براديش) قد تعرضوا لاضطهاد عنيف خلَّف أحوالا لا يمكن وصفها حيث قتل أكثر من ألف شخص فى مدينة بحتورا على أيدى الهندوس .

ولم يقنع الهندوس بسفك الدماء فعرجوا على السكان فى عمليات نهب وسلب وتجويع مما أجبر أكثر من ٨٠٪ من السكان على الهجرة خوفا من هذه الحملات الدموية .

سبق لسفير الهند أن التقى بالإمام الأكبر فى واحد من هذه الشئون مقررا أن حكومة الهند حريصة على تطبيق الديمقراطية وتجنب وقوع مثل هذه الأعمال .

ونذكر ـ فى هذا المقام ـ بما صدر من السيدة رئيسة الوزراء أنديرا غاندى فى مشكلة مماثلة إذ قررت عدم تقديم المذنبين إلى المحاكمة بحجة أن تقديمهم إلى المحاكمة يثير الجمهور مرة أخرى .

●●

مسجد جديد بالعـاصمة التشيلـيـة

افتتح مؤخرا أول مسجد بالعاصمة التشيلية (سانتياجو) بالجهود الذاتية للمسلمين يبلغ عدد المسلمين ٣٥٠٠ مسلم ومسلمة . يشكل الأصل العربى نصفهم والنصف الآخر من التشيليين .

ويعد مسجد النور فى العاصمة (سانتياجو) من المساجد الكبيرة فى العاصمة ، يهتم القائمون بالأمر فيه بتحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ودراسة اللغة العربية .

●●●

مسلمو الفلبين يرفضون حكماً ذاتياً محدوداً

رفض مسلمو جبهة مورو الإسلامية فى جنوب الفلبين ما اقترحته رياسة الجمهورية بإعطاء حكم ذاتى محدود للمناطق الإسلامية بجنوب الفلبين .

وأكدوا تمسكهم باحترام اتفاقية طرابلس عام ١٩٧٦ م .

هذا وقد أعلنت جبهة مورو الإسلامية عن إسلام عدد كبير من الوثنيين فى الفلبين على أيدى دعاة الجبهة فى المناطق الجبلية والغابات بالفلبين .

أوزبكستـان الاسـلامية تعلن الاستقـلال

أعلنت (أوزبكستان) الإسلامية فى استفتاء شعبى إعلان استقلال قوانينها عن قوانين الاتحاد السوفيتى .

قالت وكالة (تاس) السوفيتية التى أعلنت النبأ : إن وثيقة أقرت فى أول اجتماع لبرلمان طشقند الجديد بسيادة قوانين أوزبكستان .

الفهـرس

The practice of hardiness in diet indicates that man should avoid excess of food, should refrain from gluttony and excessiveness. The practice of hardiness in appearance is practiced by modesty in dress and living condition. Even health and beauty should practice hardiness by modesty, humbleness, chastity, serenity calmness and composure. The practice of hardiness in knowledge is its honest transmission and education to others; its proliferation to serve human prosperity. The concept of hardiness is a way of life, a culture that should be schooled to the human societies from an early age. Children must be taught to respect and properly utilize Divine bounties and gifts to mankind.

The Islamic doctrinal teachings aim at teaching the practice of hardiness in life, the avoidance of over indulgence and excessiveness, an the full respect of Allah's bounties and gifts to mankind. These doctrines teach and preach the control of human carnal desires. All rituals of worship in Islam are systematized practices of self discipline and self control. Prayers are practices of commitment and exercises of social human equality and self evaluation. They are programs of disciple, humbleness and devotion to the Transcendent Divine Power. The time of prayer is a short repose with the self aside from worldly life. Fasting is more rigorous form of self discipline, it is periodic total abstention of all body demands; the most elaborate form of self discipline and self control. The Zakat is the practice of giving with the aim of establishing social welfare, social equality and social justice. The Zakat purifies the wealth of the opulent, and upgrades the economic standards of those who are less affluent. It is a practical implement of the practice of hardiness by giving away part of one's money in satisfaction of a prescribed Divine doctrine. All forms of "Jihad" are efforts of hardships on the path of serving the cause of Allah. All forms of life's functions that serve humanity are considered forms of Jihad. In Islamic concept, such functions of life are practices of hardiness because they promote human society and proliferate the endeavors of mankind towards human goodness through social justice.

All human actions that motivate and publicize chastity, justice, benevolence, magnanimity, social equality, honesty, and decency; are acts that conform with the practice of hardiness, self control and self discipline. By such actions, the personal love of wealth will develop into a social system of economic utilization; a paradigm whereby wealth will serve instead of becoming master. Furthermore, all dealings and transactions between people will follow the Divine Code of practice for human inter relations. The optimization in the implementation of such code is achieve through the practice of hardiness.

Islam through its basic meaning is the total submission of whole human constitution and life to the Transcendent Creator. Everything that relates to human life are granted favours from the Divine Power. It is the duty of mankind to accept these favours with decorous respect, propriety and intelligent behaviour of recognition.

(Translated by Dr. Anas Moustafa El Naggar)

Quran indicates that meaning in several verses "And He giveth you of all that ye ask for, and if ye enumerate the favours of Allah, never will ye be able to number them (Surat Ibrahim, XIV, 34). Again the Holy Quran says "If ye count the favours of Allah, never would ye be able to number them; for Allah is Oft-forgiving, Most Merciful" (Surat Al-Nahl, XVI, 18). It is inherently conceived that of all the favours of Allah upon mankind, the Grace, Mercy, Forgiveness and Providence in the spiritual dimension of man's existence are the greatest and of most supreme value.

Everything that mankind enjoys is a grant gifted from Allah. Mankind accepts these gifts as a matter of fact, and recognizes them only when they are lost. The gift of respiratory function, the gift of digestion, the gift of excretion, the gift of mental faculty, the gift of energy, the gift of perception and senses; the complete integrated body structural anatomy and functional biology are infinite countless continuous endowments from Allah to mankind. These Divine bounties are utilized, exploited, functionally designed, consumed and manipulated to serve mankind. The optimal practice of management to utilize Allah's bounties is the justified practice for the ultimate human benefit. Over indulgence in relish, ease, comfort, delight and regalement, will ultimately result into disorganization, disintegration and mortification of the human faculties. The mind will lose the bright luster of thought and understanding; the spirit will become void of its seraphic attribute; and the body will deteriorate in vital functions to sink as a victim of depression, deterioration, disease, doubt and despair. Such conditions of deterioration affecting individuals will eventually reflect on the family and to a larger extent on the human society.

The Hadith is an instruction to mankind to practice hardiness in life, because opulence and wealth do not endure. In this context, opulence and wealth constitute all types of Divine favours and bounties, including health, knowledge, affluence, economic prosperity, and all other aspects pertaining to plentifulness. The Hadith instructs that mankind should endeavour hard to exploit all elements of Allah's bounties and favours to serve humanity to a useful purpose. This exploitation should carry within its schemes, serious intention, hard work, mental and physical fitness, avoidance of ease, relish, comfort and regalement. The concept must be well conceived that Allah endows mankind with gifts and favours, wealth and opulence, health and fitness, thought and understanding; not to be incorrectly utilized. These Divine gifts and endowments must be seriously practiced to serve the promotion of mankind. This seriousness entails the practice of serious hard living in all its forms, and the avoidance of extreme comfort in all its forms.

ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

" Practice Hardiness, Opulence does not Endure "

By: Abdel Hakim Ahmad Taha

The natural phenomenon of life is that nothing in existence is eternal that endures to defeat time. Everything ends, and the patterns of materiality are continually changing through preordained divinely controlled processes. Opulence as one aspect of materiality has a transient phase with people; favouring sometimes and depriving other times. It does not perish, it only changes ownership. Impoverished indigence is an opposite state to opulence, being a natural occurrence in life's processes. This state becomes factual norm of individual actuality; and perpetuates to gain accepted habituation by the individual. In some individual situations, richness cannot be utilized in exploitation nor consumption. The wealthy individual becomes deprived of the ability to use his wealth. Reasons for such deprivation are such conditions of misery, parsimony, incapability through illness, careless indolence, and deterrent actions.

Few people understand that Divine Blessings to mankind constitute the greater part of man's wealth and opulence. One aspect of Allah's mercy to humans is that fortune and prosperity are among several individuals who thank for the bountiful abundance. Deprivation from such plentifulness should be met with patient acceptance. Both thanksgiving and patience are too attributes bestowed by Allah upon mankind which rank as most supreme in quality.

All wealth, opulence, abundance, plentifulness, bountifulness, grace, patience, content, decorum are essentially Divine grants from Allah to mankind. This context is indicated in the Holy Quran " Say Allah, Sovereign of all Dominion, Thou givest Power to whom thou pleasest, and Thou strippest off Power from whom Thou pleasest: Thou enduest with honour whom Thou pleasest. and Thou bringest low whom Thou pleasest: In Thy hand is all Good. Verily, over all things Thou hast power." (Surat Al-Imran, III, 26). The bountiful favours that Allah bestows upon mankind are infinite. The Holy





of the north African coast. This would certainly have a two fold value; the propagation of Islam into Egypt and effectually into the north African continent, and also the safeguard security of Muslims in Palestine and Syria.

The whole panorama of the entire status of Egypt was vivid in the mind of Omar ibn Al-Khattab, he must allow time for inductive reasoning, discourse and consultative dialogue with men of ranking wisdom at Al-Madinah, men who were associated with Omar ibn Al-Khattab as an advisory body most of whom were companions of the Prophet Mohammad (prayers and peace from Allah upon him). Omar pleaded in prayerful appeal for being granted the correct resolution by Divine Providence. Omar ibn Al-Khattab finally took his decision to allow Amre ibn Al-Aas to lead a campaign into Egypt under the grace, mercy and expedient Divine Will. Omar ibn Al Khattab reached that resolution in thought after discussing the matter in meticulous detail with men of council.

Omar ibn Al-Khattab wrote to Amre ibn Al-Aas to advance to Egypt, a command that was most desirable to ibn Al-Aas, who marched to Al-Arish with a small contingent of Muslim warriors. This marked the start of a crucial vital milestone in early Islamic history.



teachings of justice and freedom that became proverbially recognized. The reputation of the performance of Muslim warriors on the field of combat was also highly acknowledged. Both Omar ibn Al-Khattab and Amre ibn Aas were among the most concerned about the internal modalities and events inside Egypt. The repercussions of the changing patterns of authority affected by the internal conflicts in Egypt, were of major concern to the Muslims. The security of Muslim warriors in Palestine and Syria, was directly related to the situations governing the Roman occupation of Egypt.

Omar ibn Al-Khattab meticulously analysed the complete portrait of the Romans in Egypt, and the precise situation of the Egyptian inhabitants, when he was addressed by Amre ibn Al-Aas concerning a Muslim campaign in Egypt. The suggestion conformed with the favourable opportune circumstances of the Roman defeat at Jerusalem, and their retreat from Palestine. Omar ibn Al-Khattab was not in favour to embark on such a bold undertaking without giving the matter the necessary thought, careful consideration and prior consultation. His initial reactionary attitude was the outcome of the sagacious judicious prudence of statesmanship and foresight. The complete issue had to be carefully deliberated with objective speculation, rational appraisal and requisite logistics.

Omar ibn Al-Khattab was well aware of the unstable conditions in Egypt as the result of Roman despotic authority. The creedal belief of the Egyptian inhabitants as Christians with the correct conceptualization of Christian Doctrines, provided an appropriate medium for Islamic propagation. The roots of both Christianity and Islam originate from the same Divine Light; the Holy Quran constitutes several sections about Christianity, and the birth and death of Jesus Christ. Islamic doctrinal teachings as presented by the Revelation of the Holy Quran are essentially more detailed ramified continuity of Christianity as was preached by the Prophet of Christianity Jesus Christ. Such people who truly followed the Christian faith, would understand and accept Islam as the natural instinctive paradigm in the thought sequence of belief. The didactic precepts of the Islamic faith have always been, and will remain recognized in affirmative acknowledgement by the human mind soliciting Truth and Reality of Divinity.

The spectral delusion of the Roman authority in Egypt was arbitrarily diverging the authentic doctrines of Christianity, to allow ground for a mosaic chimera of Christian thought under the specious pretext of unified Christianity. Such an allegation was rigorously rejected by the Egyptian Christian priesthood. This situation aggravated the initially existing discordant relations between the Egyptian inhabitants and the Roman authority occupying Egypt. The introduction of Islamic doctrines through a Muslim crusade against the Romans in Egypt, would not be resented by Egyptian Christians. Such a crusade, if successful, would drive the Roman Legions to the western territories

was famous for its pontific magnificence of great splendor. The inhabitants of the grand city were from various races mainly from Europe and north Africa; and these inhabitants belonged to the Jewish and Christian faiths.

Alexandria was also famous for its miraculous lighthouse, temples, galaries, amphitheaters, arenas, auditoriums, public baths, market grounds, and grand mansions. The splendor of the city was overwhelming, and the greatness of the harbour was incomparable in activity of trade action. The ship building arsenal of Alexandria was distinguished for the construction of maritime vessels, and worships of any size and capacity.

This capital city of Alexandria was the center of a great scientific, cultural activity, and numerous libraries. This scientific reputation of Alexandria became less active during the Roman occupation of Egypt, than during other eras. The picture of magnificence that elaborated the city of Alexandria corresponded to the heightened cultural status of the various theological and theosophical parties. During the Roman occupation of the country, the city of Alexandria in particular and Egypt in general, experienced a situation of creedal oppression, affliction and despotism. The Roman Emperor Heraclius, reputed at the time of Persian defeat, as the savior and champion of Christianity, presented to the Christian population in Egypt what he defined as a Unified Christian Doctrinate. This new scholastic Christian teachings were rejected by the more ardent orthodox Christians of Egypt. The forced imposition of the new Christian thought by the Romans, and the refusal of that thought by the Egyptian Christians, created a situation of hatred, anarchy and contentious polarization.

This religious despotism was not the only justification for the anti-Roman feelings expressed by the Egyptians towards the Roman occupation. Several other reasons including heavy taxation, injustice, economic failure, absence of reformative reconstructive plans, and the attitude of servitude by which the Romans treated the Egyptians. All these criteria, resulted in a feeling of poignant antagonism by the Egyptians towards the Roman occupation of their country.

The details of the despotic conditions dominant in Egypt were well known to the Arabs of the Peninsula during the life of the Prophet, the reign of Abu Bakre, and also at the time of Omar ibn Al-Khattab. The continuous trade convoys between the two territories across the Red Sea made the inhabitants of both countries very familiar with the social, political, economic and theological events and state of affairs. The news of the Muslim crusades in Iraq, Syria, and Palestine; provided examples of the Islamic

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE RESOLUTION

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The geographical position of Egypt as a passageway trade route interconnecting Europe with Asia, and situated north of the African continent, attributed particular importance to Egypt throughout history. This designation of significance culminated into an acme of classical mastery of all fields of culture; and provided the Nile Valley with the well deserved reputation of profuse agricultural productivity. The inhabitants of Egypt had been known through the ages as industrious, assiduous, diligent, hardworking population.

During the early Islamic era, Egypt was a state of the Eastern Byzantine Roman Empire. The Roman Legions were permanently stationed in Cairo, Alexandria, and several other places in Egypt. During the second decade of the Seventh Century AD, Egypt was occupied by the Persian Empire. The Persians retreated from Egypt, Palestine, and Syria after their defeat by the Romans under the leadership of the Roman Emperor Heraclius. This Roman victory over the Persians established the authoritative domination of the Romans over the entire territory from the western borders of Egypt to the eastern edge of the Syrian nomadic desert separating the Syrian mainland from the Arab Iraq, and the lands between the two rivers dominantly occupied by the Persian Empire.

Egypt as the land of the very fertile richly productive Nile Valley, yielding various grains and crops was exemplary as a country of copious productivity. Most of this abundant production supplied the Roman Empire. Besides, the cultivation productivity, Egypt was also renouned for its other mineral resources and great potentialities. It was the center of the combined cultures of the east and west, with broad dimensions in art, industry, agriculture and trade. These potentialities were progressively expanding in growth, giving opulence of prominent grandeur. The capital city was Alexandria, which

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART IX
Ramadan 1411, HIJRAH

EDITOR: *Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.*

CONTENTS

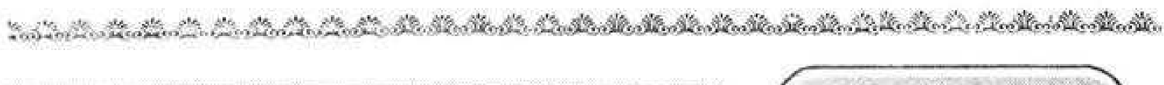
"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION





الأزهر
مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شوال ١٤١١ هـ
ابريل ـ مايو ١٩٩١
الجزء العاشر
السنة الثالثة والستون



ثلاث بثلاث

إن قوما اطاعوا الله في ثلاث اكرمهم بثلاث :

أولئك مسلمون تركوا ـ لله ، عز وجل ـ من الحلال الطعام والشراب وسُوَيعات المتعة من ازواجهم ، وتَبِعَتْهم ذرياتُهم فاكرمهم الله ـ سبحانه ـ بِعِيدٍ جَمَعَ ثلاثا هى :

الفِطْر والسَّعة والسلام .

فما اشرق فجر العيد حتى تمت لهم الفرحة برضا الله عنهم لادائهم صابرين صيامهم ، وقيامهم ، ورضاهم عن انفسهم بما حل فيهم من فطر وسَعَةٍ وسلام .

وفي الحق انه ماكان عيد الفطر لِعَاصٍ رفض رمضانَ وَأَكل وشرب كالأنعام .

إن الشريعة سَمَّتْهُ (عيد الفطر) ليكون عيد الصائمين ، لا عيد المفطرين فليس لأولئك منه نصيب في الدنيا ولا في الآخرة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه الإمام البخارى : للصائم فرحتان يفرحهما : إذا افطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه .

واين المفطرون من ذلك ؟ !

إنما يفرح بالعيد صائم تقرب إلى الغنى الكريم بطاعته ، وصَدَقَ اللهَ فيها سرًا وعلنا : فجزاه الله جزاء غير مقرون بحساب ، اليس ـ سبحانه ـ القائل ، فيما يرويه البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن رب العزة :

كُلُّ عمل ابنِ آدم له إلا الصيام ، فإنه لى ، وانا اجزى به .

وعيد الفطر سَعَة :

سَنّ الله ـ تعالى ـ فيه للمسلمين صدقة الفطر حتى لا يكون ـ بين الناس فى هذا اليوم ـ بائس ولا محروم فأَوْجَبَ وَتَأَكَّدَ ليجرى المال بأيدى المساكين فلا ينكسر يتيمٌ لحاجة ، ولا مسكين لضائقة .

وبهذه السعة تسعى إليهم حاجاتهم ، ويُشبعون ـ فى أنفسهم ـ رغباتهم .

ولا يزال المسكين يوم العيد ينال ثم ينال حتى يتصدق بدوره ..

وهل بعد أن يتصدق المسكين دليل على ما أراد الله ـ تعالى ـ لهذا اليوم من سعة .

تلك قطرة من شرعة البارى ـ جل علاه ـ تذكرك بقوله ـ سبحانه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1] .

●●●

والعيد ـ فى الإسلام ـ سلام :

جاء فى (أبواب صحيح البخارى) قوله :

(باب مايُكْرَهُ من حَمْل السلاح فى العيد[2] والحَرَم) وفيه تمت التسوية بين العيد والحرم ليكونا سلاما لا يرتفع فيهما السلاح إلا لضرورة .

وقد استطرد البخارى فقال :

وقال الحسن [أى البصرى] :«نُهُوا أن يحملوا السلاح يوم عيد إلا أن يخافوا عدوا »

ولقد يعلم المسلمون مدى ماأوجب الله من أمن للحرم ، ومثله ينبغى للعيد ، وبذا تتم فرحة العيد ، فلا يتخللها هزة خوف تبث القلق وتنزع السلام .

ولقد يحل العيدُ نفسُه فى الحرم فيتأكد الأمان ويتضاعف السلام ، وذلك ماقرره الإمام الصالح (عبد الله بن عمر) ـ رضى الله عنهما ـ وقد راح ضحية طاغية .

روى الإمام البخارى ـ فى صحيحه ـ عن ابن جبير ـ رضى الله عنهما ـ قال :

كنتُ مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح فى أَخْمَصِ قدمه فلزقت بالرِّكاب فنزلتُ فنزعتها ، وذلك بِمِنًى فبلغ الحجاج[3] ، فجعل يَعُودُهُ ، فقال الحجاج : لو نعلم من أصابك ؟ فقال ابن عمر : أنت أصبتنى !

قال : كيف ؟

قال : حَملتَ السلاح فى (يوم) لم يكن يُحْمَل فيه ، وادخلت السلاح (الحرم) ولم يكن السلاح يدخل الحرم .

ولم يلبث ابن عمر ان توفى ـ رحمه الله .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) الأعراف ١٥٦ .

(٢) انظر كتاب العيدين .

(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف ، وكان ضَعِيّقا بمن عاصره من الصحابة حتى إن أكثر من مؤرخ ـ فى مقدمتهم ابن الأثير ـ صرح بأن جرح عبد الله بن عمر بزج رمح فى قدمه كان مدبرا مقصودا للتخلص من ابن عمر وقد مات ـ رضى الله عنه ـ بسببه .



خطاب الرئيس مبارك

الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الإخوة والأخوات .

إن من دواعى السعادة أن التقى بكم الليلة فى هذا الملتقى الكريم ، لكى أحتفل معكم بذكرى حدث عظيم ، ذكرى بدء نزول الوحى على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .. إنها «ليلة القدر» التى هى ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ والتى ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

وأنتهز هذه الفرصة ـ ونحن نجتمع فى نور القرآن ـ لأقدم التهنئة الصادقة بهذه المناسبة المباركة ، إلى كل مواطن على أرضنا الطيبة ، أرض مصر ، وإلى كل شقيق فى بلادنا العربية ، وإلى كل أخ فى أمتنا الإسلامية .

كما أنتهز فرصة هذه الليلة المشرقة بنور القرآن ، والتى تتنزل فيها ملائكة الرحمن لأحيي قواتنا المسلحة الظافرة ، وأدعو الله ـ جل علاه ـ أن يجعل النصر دائما حليفها ، والفوز أبدا طريقها والمجد قاعدة راسخة لراياتها .

كما أنتهز فرصة هذه الليلة الميمونة ـ التى يستجيب الله فيها الدعاء ويفتح أبواب السماء ـ لكى ابتهل إليه سبحانه ، أن يحقق لنا جميعا ما نصبو إليه من أمن وسلام ووحدة ووئام ، ومن عز وفخار وتقدم وازدهار ، وأن يتم نعمته علينا بتحرير كل شبر من أرضنا العربية ، وبإحقاق الحق والشرعية فى كل بلادنا الإسلامية ، وبأن يتوج انتصاراتنا بحل القضية الفلسطينية ، حلا عادلا كريما ، يمكن الشعب الفلسطينى من نيل حقه المشروع ، واسترداد أرضه السليبة .

إن احتفالنا ببدء نزول الوحى ، هو احتفال بفجر الدعوة المحمدية ، وهذا يجب أن يذكرنا بما جاءت به تلك الدعوة من دين حنيف ، قوامه عقيدة صحيحة ، وشريعة قويمة ، وقيم إنسانية رفيعة .

● ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى « ليلة القدر » السابعة والعشرين من رمضان المبارك لهذا العام ١٤١١ هـ الكلمة التالية بالسرادق المقام بميدان القلعة .

فضل الإسلام على العالم

كذلك يذكرنا هذا الاحتفال بما صنعه هذا الدين بالعرب أولا ، وبما حققه للعالم ثانيا ، وبما أسداه إلى الإنسانية آخر الأمر ، فقد أخرج هذا الدين العرب من الجاهلية والتخلف ، إلى المدنية والتقدم ، وحولهم من قبائل مفرقة وشيع ممزقة ، إلى أمة موحدة ودولة موحدة .. كذلك حرر هذا الدين الشعوب المستعبدة والأمم المقهورة ، ففك عنها أغلال الدول المسيطرة والامبراطوريات المتجبرة ، وبهذا نعم العالم بحرية لم يعرفها من قبل ، وتنحت القوى الظالمة مفسحة الطريق للقوى الإسلامية المحررة ، وللدولة الإسلامية المتصدرة المتحضرة .. كذلك حمل الإسلام إلى الإنسانية ـ عبر كل العصور قيم الحرية والديمقراطية ، والمساواة والعدل، والمحبة والسلام ، حيث حارب العبودية والاستبداد . وقاوم التفرقة والظلم ورفض الصراع والعداوة والنزاع .. كذلك تذكرنا هذه المناسبة الكريمة ، بأن أمتنا قد نهضت عندما أخذت بتعاليم الإسلام وقيمه . وأنها تخلفت حين تنكرت لهذه التعاليم والقيم . كما أن قادة هذه الأمة يصيبون وينصرون ، حين تكون هذه التعاليم والقيم هاديهم الذى فى نوره يسيرون . ولكنهم يخطئون ويهزمون ، حين لهذه التعاليم والقيم يتنكرون أو لها يزيفون أو بها يتاجرون .

وهكذا يعلمنا التاريخ الإسلامى درسا يجب أن تعيه بكل العمق أمتنا . كما يجب أن يدركه بكل الحرص كل مسئول فى هذه الأمة .. فقد تألق نور الحق ، لكل من له عين ترى . ومن لا يرى هذا النور ، يصدق عليه قول ربنا : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ كما أن من يجادل فى هذه النتائج الباهرة يحق عليه قوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ . وحسبنا نحن أن نقول فى كل الأحوال : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

الحرص على اخوة المسلمين

والآن . وبعد أن تجلى نور الحق . وتوارت ظلمات الزيف . وبعد أن حقق الله نصر من اتخذوا موقف الصدق والعدل والشرعية . ولبوا نداء النجدة والمروءة والأخوة ، بعد هذا تبدأ مرحلة جديدة فى حياة أمتنا . هى مرحلة ما بعد الأزمة . أو مرحلة ما بعد المحنة .. وهذه المرحلة تحتاج إلى مراجعة كاملة ، تسلم إلى خطة عمل عربية جماعية . تحقق فى أقرب وقت ، تجنب عثرات الماضى . وتحول دون تكرار أخطائه . وتفتح الطريق إلى مستقبل مضىء تعيش فيه أمتنا ما هى جديرة به من حياة حرة كريمة . وتأخذ ما هى أهل له من مكانة عالية عظيمة . تستحق بها أن توصف بأنها: ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وأعتقد أن خطة العمل التى تسلم إليها هذه المراجعة الكاملة لكل ما حدث يجب أن تنبثق مما انبثق منه فجر الدعوة الإسلامية . حين بدأت أشعة هذا الفجر الجديد مع ليلة القدر . إنه القرآن الكريم ومبادىء ديننا الحنيف .. فليس علينا إلا أن نأخذ أنفسنا بتعاليم قرآننا وقيم ديننا وأن نسير على هدى ربنا دون انحراف أو تأويل ودون تحريف أو تبديل . ودون تسخير للآيات المطهرة والنصوص المقدسة ، لأغراض دنيوية زائلة أو منافع شخصية باطلة ، وفى هذا المقام أرى أن علينا فى هذه المرحلة ـ من مراحل أمتنا ـ ما يلى :

أولا : الحرص على الأخوة بين أبناء أمتنا . بحيث نتجنب أساليب الانتقام ونطرح مشاعر الحقد .

وننسى أحاسيس الكراهية . ونحل محل ذلك كله : الحب الأخوى الصادق . الذى يقرب القلب من القلب . ويشد اليد إلى اليد . ويضم الصف مع الصف . والذى يفرض التعامل الاخلاقى بغير نفاق أو خداع وبدون تلون أو تشكل .. التعامل الأخوى الحضارى الذى تتم معه المكاشفة . ويتحقق الصدق والمصارحة والذى يتسع للحوار الهادىء وينفسح للاختلاف فى الرأى دون اتهام بالخيانة ، أو رمى بالعمالة . أو طعن بالكفر والذى تحل معه كل الخلافات ـ إن وجدت ـ فى جو أخوى سلمى حضارى . لا يعرف الهجوم ولا العدوان . ولا يلجأ إلى التآمر أو العنف ، فهذا هو الأسلوب الذى يتفق مع مبادىء الإسلام السامية . وتقاليد العروبة الراقية . بل أكثر من هذا أرى أن الحرص على الأخوة يفرض علينا الحرص على روح التكافل . بحيث نستشعر جميعا ـ أفرادا وجماعات . شعوبا وحكومات ـ أن الواحد منا عليه واجب نحو أخيه . يفرض عليه أن يحس آلامه ويدرك احتياجاته ، ويوجب عليه أن لا يهنأ بينما أخوه يشقى ، ولا ينعم بينما شقيقه يعاني .. فقد قرر كتابنا العزيز هذه الحقيقة وأكد عليها . ومن ذلك قوله تعالى فى عبارة موجزة معجزة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وفصل النبى عليه الصلاة والسلام هذه الإخوة فى صورة إنسانية رائعة . حين صور المؤمنين فى صورة جسد واحد «إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» .

ثانيا : الحرص على تمكين أصحاب الحقوق المسلوبة من أن ينالوا حقوقهم .. لأن رد الحق إلى صاحبه فريضة واجبة الأداء ، وقد يتسامح الله فى حقه هو ، ويغفر لمن يقصر فى واجب من واجباته ولكنه لا يتسامح أصلا فى حقوق العباد ، ولا يغفر إطلاقا لسالب حق غيره . إلا إذا استرد صاحب الحق حقه ، أو تسامح هو بمحض إرادته متنازلا عن هذا الحق .. وذلك لأن حقوق العباد فى الإسلام مقدسة والدفاع عنها حق مشروع بل واجب محتم وقد أكد هذا رسولنا الكريم حين قال : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» ، وحين قال فى خطبة الوداع : «أيها الناس .. إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام . كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» . بل إنه ـ صلوات الله عليه ـ قد أباح لمن يتعرض لاغتصاب ماله على يد معتد ، أن يقاتل هذا المعتدى وقرر أن المدافع عن ماله إن قُتل فهو شهيد . وأن المعتدى إن قُتل فهو فى النار .

ثالثا : الحرص على مجازاة المسىء بقدر إساءته .. وذلك لكى يتحقق الزجر لكل من تسول له نفسه الإساءة فى المستقبل ، وما أصدق قول ربنا : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ على أنه يجب أن تكون المحاسبة دون انتقام أو تجاوز أو تشفٍ ، وعلى أن يكون الصفح والعفو أملا يرتجى لا فرضا يلزم ، وأقل ما يطلب فى حالة الصفح والعفو ، أن يعترف المسىء بأنه أساء . وأن يقرر الرجوع إلى الحق ويتعهد بعدم تكرار الإساءة ، فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، والاعتراف بالخطأ من صفات الصادقين الشرفاء .. وحسبنا فى الحرص على مجازاة المسىء بقدر إساءته إلا إذا تم العفو ، حسبنا قول الله سبحانه : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

رابعا : الحرص على تجاوز المحنة ، بكل ما خلفت من جراح أو سببت من آلام ، لأن الوقوف أمام الكوارث يفضى إلى العجز ، والاستمرار فى الكبوة يفرض الاستمرار فى الانكفاء ، ويحول دون النهوض ، فضلاً عن القدرة على السير والتقدم . ومن أجل هذا ـ وضمن أهداف إسلامية كثيرة ـ كنا مطالبين بالإيمان بالقضاء والقدر ، حتى لا ننهار أمام الكوارث ، ولا نشل حيال النكبات ، وكان علينا ـ كمؤمنين بقضاء الله وقدره ـ أن نكون ممن يصدق فيهم قوله جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ وما أروع قول ربنا سبحانه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

خامسا : الحرص على جمع الشمل وضم الصف ووحدة الكلمة . فقد كان من آثار المحنة ، هذا التفرق ، الذى كأنه انفجار نووى سياسى عربى ، ذهب بأناس فى واد ، وبآخرين فى واد آخر ، ولم يقتصر الأمر على بعض الحكام والرؤساء ، بل تعداهم ـ بكل أسف ـ إلى فصائل من الكتاب والسياسيين بل تجاوز هؤلاء وهؤلاء إلى طوائف من الجماهير المحتاجة إلى وحدة تجمع شتاتها وإلى ألفة تضم جمعها ، وإلى أخوة تربط بين قلوبها ، حتى تكون قوة ضاربة فى مجال الإنتاج فى مناخ الاستقرار ، قصدا إلى التقدم والرخاء والازدهار .. وما أكثر ما نردد قول الله سبحانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أجل . ما أكثر ما نردد هذا التوجيه القرآنى الإلهى النورانى الكريم ، ولكن الأحداث تؤكد ـ بكل أسف ـ أنه يمر على آذان الكثيرين منا دون أن ينفذ منها إلى القلوب ، أو أن يترجم إلى حقيقة فى السلوك .

المزيد من الديمقراطية

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الاستجابة إلى هذه الدعوة الإلهية المضيئة التى تقيم ما انهدم من بنائنا ، وترمم ماتصدع من وحدتنا ، وتلملم ما تبعثر من جمعنا .. إننا فى عصر التجمعات الكبيرة والتكتلات الضخمة ، أى أننا فى عصر لا مكان فيه للكيانات الصغيرة ، فضلاً عن الكيانات الممزقة أو الفصائل المفرقة .. إن روح العصر تفرض علينا أن نحرص على التجمع والتآزر قصدا إلى القوة وطلبا للبقاء العزيز الكريم ، فإما أن نكون كالجبال الرواسى أو نكون كالذرات فى مهب الريح ، تدفع بنا الأنواء كيف تشاء . ويكون مصيرنا ـ لاقدر الله ـ أن نذهب هباء ونضيع بددا .

سادساً : الحرص على مزيد من الديمقراطية .. فديننا الحنيف ، هو دين الشورى ، التى هى الوجه المضيء للديمقراطية ، وقد مجد الله المؤمنين لأخذهم بها كمبدأ من أهم مبادىء الإسلام ، وذلك حين قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ، بل إنه جل شأنه قد أمر رسوله ـ صلوات الله عليه ـ وهو المعصوم من الخطأ ـ والذى يتلقى الوحى عن ربه ـ أمره بأن يعمل بالشورى ولا ينفرد بالرأى ، وذلك فى قوله سبحانه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ القدوة الحسنة والمثل الأعلى ، حين نفذ هذا الأمر الإلهى ، وأخذ بالشورى ، حتى نزل على رأى الأغلبية وإن خالف رأيه فى بعض الأحيان .

إن المحنة وما جلبته من كوارث لم تكن لتدهمنا لو أن الديمقراطية التى تسمح بالرأى والرأى الآخر ، وتفسح الصدر لمن يخالف فى الرأى ، أن يبدى رأيه ويجلى وجهة نظره ، لو أنها وجدت مكانها الصحيح ، فلا شك أن الفرد يخطىء أحياناً ولا يصيب دائماً ، وإنما يحميه من الخطأ ويوجهه إلى الصواب ، تعدد الآراء وتقابل وجهات النظر ، ثم اختيار الرأى الذى تختاره الجماعة وتؤثره الأغلبية .. فقلما يخطىء هذا الرأى ، وهو مهما شابه من خطأ ، فلا يمكن أن يصل إلى فداحة خطأ الفرد المتسلط ، الذى يتوهم أنه وحده الملهم والمصيب ، وكأنه ـ فى وهمه ـ إله خبير بصير ، لا يمكن أن يخفى عنه أمر من الأمور ، بينما هو عبد من عباد الله ، محدود القدرة ، بشرى النظرة ، معرض للخطأ بقدر تعرضه للصواب .

سابعاً : الحرص على مزيد من التنمية المرتبطة بالأمن .. فلا أمن لنا دون تنمية جادة ، تتيح فرص عمل شريف للجميع ، وتحول دون البطالة والقلاقل ، التى يسببها الفراغ والتعطل .. كما أنه لا تنمية جادة ، دون أمن يصون ما ننميه ويحفظ ما ننتجه وكل ما نحققه من مكاسب .

التنمية طريقنا للاستقرار

وليتنا ندرك أن التنمية والاستثمار على أرضنا العربية خير وأبقى من محاولتهما على الأراضى الأجنبية ، فبلادنا هى عمقنا الاستراتيجى ، وهى بعدنا الجغرافى والبشرى ، وشعوبنا التى تمثل قوى عاملة مقتدرة ، مستطيعة بخبرتها أن تحقق تنمية عربية أفضل ، واستثمارات عربية أمثل ، كل ذلك فى إطار من الأخوة التى تحرص على مال الغير وتصونه ، وترعى حق الأخ ولا تخونه .. وعلاوة على ذلك فإن فى التنمية والاستثمارات على أرضنا العربية ، تحقيقا للتكافل المطلوب من الأخ نحو أخيه أولاً ، وأخذاً بلون إيجابى من ألوان التكامل المحقق للوحدة ثانياً .. إن هذا التكامل يسد بالفائض لدى البعض ، ما قد يكون من نقص عند البعض الآخر ، وكلنا عندنا فائض فى مجال ونقص فى مجال آخر . وبأسلوب التكامل نسد احتياجاتنا ، ونستغنى - أو نكاد - عن غيرنا ، ولا تخضع إرادتنا لمن يتخذوننا أسواقاً ويتعاملون معنا من منطلق أننا محتاجون مستهلكون ، وليس من منطلق أننا أنداد مستغنون متساوون .

إن التنمية الصحيحة فى ظل الأمن المستقر ، هى سبيلنا إلى تحرير إرادتنا ، وأخذنا لمكانتنا وصوننا لكرامتنا ، حيث نتعامل مع الآخرين مرفوعى الرءوس ، مصونى الكرامة ، ونعيش حياة عزيزة شامخة ، هى حياة الجديرين بأن يعيشوا كبارا فى عصر الكبار ، وأن يدركوا دورهم على خريطة العالم الجديد ، المقبل على القرن الحادى والعشرين .

ثامناً : الحرص على الأخذ بكل أسباب القوة .. وأعنى بالقوة : القوة فى أوسع معانيها وأشمل دلالاتها ، القوة العلمية ، والقوة الثقافية ، والقوة الفكرية ، والقوة الاقتصادية ، والقوة العسكرية وذلك أن ديننا الحنيف يحثنا على هذه القوة بكل الإلحاح والحماسة . وما أروع قول ربنا فى أمر شامل كامل يجمع بين روعة الإيجاز وروعة الإعجاز : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ، وواضح أن القوى تشمل كل مجالات القوة ، ولا تقف فقط عند قوة السلاح والعتاد ، فالعلم قوة ، والفكر قوة ، والاقتصاد قوة والخلق الكريم قوة ، والتدين الصحيح - قبل كل ذلك - قوة .. وجميع ما تقدم تحميه وتدافع عنه القوة العسكرية المقتدرة .. وقد أثبتت تجربة أزمة الخليج أن بلادنا العربية لاتزال محتاجة إلى أن تأخذ بأسباب القوة ، وخاصة القوة العسكرية ، ومن هنا كانت الضرورة التى لجأت إلى الاستعانة بالأصدقاء غير العرب . ونحن إذ نشكر لهؤلاء الأصدقاء نجدتهم وكريم عونهم ، نرجو أن نستطيع - فى المستقبل القريب - أن تكون لنا - كعرب - قوتنا الكافية المقتدرة ، التى تحمى أرضنا ، وتصون ترابنا ، وتدفع أى معتد ، تسول له نفسه الاعتداء علينا .. وهذا مطلب يفرضه الأمن العربى الضرورى للاستمرار دون نكسات ، ولتجنب تكرار ماحدث من عثرات ، نسأل الله أن تكون آخر ما يصيب أمتنا من ملمات .

ملحمة انتصارات جند مصر

الإخوة والأخوات :

لقد تجلى الله علينا بالنصر لسيرنا على مبادىء دينه وأخذنا بقيم قرآنه ، الذى نحتفل الليلة بذكرى بدء نزوله .. وإن كان هذا العطاء الكريم يفرض علينا أن نضاعف له الشكر ، ونجزل له الثناء والحمد .. وإن الشكر العملى يتمثل - فى رأيى - فى أن نعمل أكثر وأكثر ، لكى نحقق الانتصار الكامل فى معاركنا الداخلية ، كما حققناه فى معاركنا الخارجية ، ولكى ننال الفوز الأعظم بالجهاد الأكبر - بعد أن سعدنا بالفوز فى معركة الجهاد الأصغر ..

إن أمامنا على أرضنا معوقات ومشكلات ، هى من ألد أعدائنا ولابد من قهرها والانتصار عليها ،

وبنفس الروح التى تسلحنا بها فى معركة رمضان الخالدة على أرض سيناء ، ومعركة شعبان المظفرة على أرض الكويت .. إنها روح الإيمان الدافع إلى العمل ، والعمل الواصل إلى التجويد ، والتجويد المفضى إلى التفوق ، والتفوق المحقق للكفاية ، والكفاية المتطورة إلى الرخاء .

إن درس انتصار رمضان ـ منذ ثمانية عشر عاماً على أرض سيناء ـ ودرس انتصار شعبان ـ هذا العام على أرض الخليج ـ ليؤكدان أننا قادرون على حل كل المشكلات وإزالة كل المعوقات ، وتحقيق أعظم الانتصارات فى كل المجالات .

إن أبناء مصر حين يريدون ، وبالله يستعينون ، وبحبله يتمسكون ، يستطيعون أن يفعلوا ما يشبه المعجزات ، وأن يحققوا ما يبدو فى عداد المستحيلات .. إننا فقط نحتاج إلى الإيمان بربنا وأنفسنا ووطننا ، وأن نترجم هذا الإيمان إلى عمل دائب ، وجهد عارق ، وانتماء قوى ، وعزم فتى ، وأمل لا يعرف اليأس .

أمامنا أيها الإخوة ، معركة التنمية وتحقيق الاكتفاء فى الغذاء والكساء والإسكان ، وكل المتطلبات الضرورية لحياتنا ، حتى نستغنى بجهدنا ، ونحرر تماما إرادتنا ، ونحقق المستوى المعيشى الكريم لشعبنا .. وهذه المعركة التنموية تتطلب منا عملاً مضاعفاً ، فى ميادين الزراعة والصناعة والتشييد والتعمير ، وهو عمل لا يقل عن عمل المحاربين الذين يحررون الأرض ويصونون العرض ، لأن هذا العمل فى ميادين التنمية المختلفة ، يحرر إرادتنا ، ويحطم أغلال الحاجة والتعاسة عن أبناء وطننا ، ويحقق لهم حياة كريمة يستشعرون فيها إنسانيتهم ، ويعتزون بمصريتهم ، ويسعدون بانتمائهم إلى وطنهم .

ومن هنا أرى أن من ألد أعدائنا التكاسل والتراخى ، والتواكل والإهمال ، وضعف الانتماء ، وإهدار الوقت ، لأن نتيجة كل هذا هى قلة الإنتاج وعجزه عن الوفاء بما تتطلبه حياتنا أو تخلفه عن أن يكون فى المستوى اللائق بنا ، وعدم قدرته على أن يفتح الأسواق الخارجية أمامنا ، أو أن ينافس إنتاج من يسابقوننا ويعملون على التفوق علينا وكل هذا مضعف للاقتصاد ، ومثقل لكاهل الشعب بمزيد من الديون ، أو بمزيد من المعاناة ، من أجل الحصول على ضرورات الحياة .

معركتنا .. إصلاح الاقتصاد

وأمامنا أيها الإخوة معركة إصلاح الاقتصاد المصرى وتحريره ، لكى ينطلق مزدهراً وينمو متعاظماً ، من أجل أن يعين الدولة على تحقيق مسئوليتها نحو المواطنين ، فى خدماتهم ورعايتهم ، غذاء وكساء ، وتعليما وعلاجاً . وإسكانا واتصالا وأمنا وأماناً .. وهذا الإصلاح الاقتصادى ، لن يتم بالقروض التى كانت ضرورة فى بعض المراحل ، وإنما يتم بمزيد من الإنتاج والتجويد ، وتجنب الإسراف والتبديد ، وبالحرص على المال العام ، وبأداء حق الدولة فى الضرائب وسائر الالتزامات التى تفرضها المواطنة الصحيحة على المواطنين الصادقين .. كل هذا بالإضافة إلى التسلح بأخلاق ديننا الحنيف ، فى الأمانة والتعفف وترك الاستغلال والاحتكار ، والإقلاع عن التلاعب بأقوات الناس ، أو الطمع فى أموالهم والثراء على حساب امتصاص دمائهم .

وأمامنا بعد هذا ـ بل قبل كل هذا ـ مشكلة الانفجار السكانى الذى يعطل كل تنمية ، ويضعف كل اقتصاد ، ويبدد كل إنتاج ، ويلتهم كل جهد .. ولا سبيل إلى نجاح التنمية وإصلاح الاقتصاد والانتفاع بالإنتاج وكل ما يبذل من جهد ، إلا بإيقاف هذا الانفجار المدمر ، والأخذ ـ فى جدية وحزم ـ بأسلوب تنظيم الأسرة ، حتى لا نزيد المجتمع كل عام بمليون وثلث المليون من الوافدين الجدد الذين يرهقون آباءهم مادياً وصحياً ، ويزيدون بلدهم عجزاً عن رعايتهم وتقديم الخدمات المطلوبة لهم ولغيرهم وإن مما

يشرف ديننا الحنيف ، أنه قد أباح هذا التنظيم الاسرى ، بل دعا إليه وحث عليه ، ما دام ذلك من أجل دفع مفسدة محققة ، فقد نهانا ربنا سبحانه ، أن نلقى بأيدينا إلى التهلكة ، ولاشك أن فى هذا الانفجار السكانى تهلكة مدمرة ، كما استعاذ رسولنا ـ صلوات الله عليه ـ من « جهد البلاء » ، وفسره بأنه « كثرة العيال مع قلة المال » كذلك حض الرسول الكريم المسلمين على أن يكونوا أقوياء غير محتاجين ، فبين :« أن المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف » وقال :« لأن تدع أبناءك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس » .. وحين دعا الرسول أتباعه إلى الزواج والتناسل لكى يتكاثروا ولكى يفاخر بهم الأمم يوم القيامة ، لم يكن يعنى أن تبلغ الكثرة منهم حد الانفجار المدمر ، أو المسبب للضعف والفقر والتخلف ، فمن غير المعقول أن يفاخر الرسول بأتباع ضعفاء عاجزين ، أو أذلاء محتاجين ، فقد دعا الرسول دائماً إلى القوة والعزة وحث على الكرامة والقدرة ، حتى يكون أتباعه فعلاً :﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وأمامنا كذلك أيها الإخوة مشكلة التطرف ، التى تشق الوحدة الوطنية ، وتفرق بين أبناء الأمة ، وتثير القلق أحياناً ، وتنشر الفزع فى بعض الأحايين . وهى فى كل الحالات تحول دون الاستقرار ، وتفسد مناخ التنمية ، وتلحق أشد الأضرار بالاقتصاد ، فضلاً عما تسببه من إراقة دماء زكية ، وإزهاق أرواح بريئة ، وإيقاع الأذى بأبرياء آمنين مسالمين . كل ما قد يكون منهم ، فى رأى المتطرفين ، أنهم مخالفون فى الرأى ، أو مغايرون فى العقيدة ، أو أنهم سائرون فى حياتهم على أسلوب غير الأسلوب الذى يسير عليه المتطرفون .. ومن مفاخر ديننا السمح أنه يسمح بالمخالفة فى الرأى ، بل يسمح بحرية العقيدة ، ويرسم الطريق لمن يريد عرض رأيه على غيره ، أو من يريد ترشيد مسلك آخر سواه . فبين أن الطريق هو طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، حيث أنه :﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وحيث أنه :﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ وحيث أن :« الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » ، وحيث أن الأمر الإلهى الصريح يقول : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .. أما مسألة تغيير المنكر ، فمحتاجة إلى فهم أدق ووعى أصح ، وحسبنا أن الحديث الشريف قرر ابتداءً مراحل ودرجات لتغيير هذا المنكر ، وبين أنه ليس كل إنسان يستطيع أن يغير المنكر بيده ، وهذا من فهم الرسول المعجز وقوله الفصل ، الذى لا ينطق عن الهوى ، حيث أنه لو أبيح لكل إنسان حق التغيير باليد ، لأصبح المجتمع غابة ، يعتدى فيها من يشاء على من يشاء .. إن التغيير باليد مباح لمن له حق التغيير باليد كولى الأمر والوالد والمدرس ونحوهم .. وكذلك التغيير باللسان ، فهو مباح لمن له القدرة بعلمه وخبرته ومكانته ، وإلا تحول الأمر إلى مجادلات ومهاترات ومشاحنات ، وهكذا نرى أن ما يلجأ إليه بعض المتطرفين من محاولة حمل الآخرين على رأيهم بالقوة ، لا سند له من تعاليم الدين ولا من تقاليد الإسلام ، وإنما الأمر لا يعدو أن يكون فهماً ناقصاً لهذا الدين أو أخذاً ببعض الآراء المتشددة الغريبة ، التى ولدت فى بيئات غير بيئاتنا العربية الإسلامية المستنيرة الرشيدة .. إن الإسلام لا يعرف التعصب ولا التطرف ولا العنف ، ولا يقر البغضاء ولا الشحناء ولا العدوان وإنما يدعو إلى التعاطف والتراحم والحب ، ويأخذ الأمور باللين والرفق ، وبروح السماحة والأخوة .. وهذا يحتاج منا جميعاً ـ علماء ومفكرين ، ومثقفين وإعلاميين ، وآباء ومربين ـ يحتاج منا جميعاً ، إلى إشاعة هذه الروح السمحة ، وترسيخ قيم الإسلام الرحيمة ، والقضاء على روح التطرف الغريبة على ديننا ، والمفسدة لمجتمعنا ، والمفرقة لوحدتنا .

المخدرات تهدد مستقبلنا

وأمامنا أيها الإخوة ـ بعد كل ما تقدم ـ مشكلة المخدرات ، التى تخرب العقول وتدمر الشباب ◆

وتدفع إلى الإجرام ، كما تبدد الأموال ، وتهدد مستقبل القادم من الأجيال .. ولابد لنا من القضاء على هذا العدو الرهيب ، لكى نرد إلى كل أبناء شعبنا يقظة العقل ، وصحوة الضمير ، وعافية النفس ، وصحة البدن ، ولكى نصون الأموال ونحمى قادم الأجيال ، ونحول بين أبنائنا وبين الضعف والانحراف والانحلال .. ومن عظمة ديننا الرشيد ، انه حرَّم بكل الحسم هذه المخدرات وجاء تحريمها بالنص والقياس معاً ، أما النص فحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى نهى فيه عن كل مسكر ومفتر ، وأما القياس ، فهو اشتراك هذه المخدرات مع الخمر فى إذهاب العقل ، وزيادتها عليها إضراراً بالصحة وتدميراً للإنسان .. ولذا علينا أن نضاعف الجهد فى محاربة هذا العدو الرهيب ، الذى ابتلينا به فى السنوات الأخيرة ، والذى يمثل تآمراً إجرامياً على ابنائنا ومجتمعنا ومستقبل بلدنا .. وهذه ليست مسئولية الأمن ورجال المكافحة فحسب ، وإنما هى مسئولية الجميع ، البيت والمدرسة والنادى ، وكل مسئول فى أى تجمع كبير أو صغير ، فلا سبيل إلى القضاء على هذا البلاء إلا بتعاون الجميع ويقظة الجميع وجهود الجميع .

ايها الإخوة والأخوات

إن عدم الوصول بالتنمية إلى المستوى الذى نريد ، وإن عدم ازدهار الاقتصاد على الوجه الذى نرجو ، وإن مشكلة الانفجار السكانى المعوق ، والتطرف الدينى المخرب ، وإن مشكلة الإدمان المدمر ، إن هذه جميعاً هى تحدياتنا التى يجب أن نخوض من أجلها جهادنا الأكبر ، وإنى على ثقة من أننا قادرون ـ بعون الله ـ على الانتصار فى حلبة هذا الجهاد ، كما انتصرنا من قبل فى معركتنا المظفرة على ارض سيناء ، وكما انتصرنا اخيراً فى حربنا التحريرية الإنسانية على ارض الخليج العربى .

إننا لن نيأس ولن نضعف ، وسوف تستمر معاركنا لإنجاح التنمية ، وإصلاح الاقتصاد ، وإيقاف الانفجار السكانى ، وترشيد التطرف الدينى ، ومحاربة عدونا الوافد الرهيب ، الذى ينفث الدمار مع الدخان الأزرق ، وينشر الموت الأسود مع المساحيق البيضاء .. أجل ، لن نيأس ولن نضعف ، لأن تاريخ هذا الشعب وانتصارات هذا الشعب على كل ما اعترض مسيرته فى ماضيه وحاضره ، تؤكد أنه شعب قادر على اجتياز الصعوبات مهما بلغت ، وقهر المشكلات مهما تعقدت ، وأنه شعب أصيل مؤمن ، وكل عثراته أمور عارضة ، وهو بأصالته وإيمانه ، لابد أن يصحح كل خطأ ويتجاوز كل أزمة ، وذلك بالكفاح والعمل والصدق والأمل ، وبالتمسك بقيم الإسلام وتعاليم القرآن .

فليكن احتفالنا الليلة بداية مرحلة جديدة ، نزداد فيها تشبثاً بكتابنا العزيز ، ونسير على هديه المضىء ، ونمضى وفق قيمه العالية وتعاليمه السامية ، حتى يتم انتصارنا فى معركة التنمية والإصلاح ، كما تم ـ بعون الله ـ انتصارنا فى معارك التحرير والسلام .

وأكرر التهنئة لأمتنا العربية والإسلامية جمعاء ، مؤملاً أن يتحقق ما بسطته لها من رجاء .

كما أكرر التهنئة لأسرتنا المصرية وكل أبنائها الأعزاء فى كل الأرجاء ، راجياً ان نخوض معاً ـ بكل الحماسة والفدائية معركتنا الداخلية ، كما خضنا بكل النبل والشرف معركتنا الخارجية .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

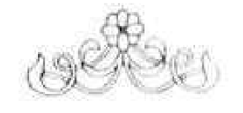
﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

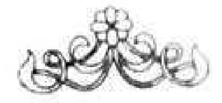
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مع الإمام الأكبر

عيد الفطر وثمرات الصوم



تهنئة بعيد الفطر المبارك



بيان ونداء من الأزهر الشريف

عيد الفطر

وثمرات الصوم

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[1] فقد اعان على صوم شهر رمضان وكشف من قبله الغمة فتوقف لهيب الفتنة .

اليوم عيد الفطر ، يوم : الخروج من زمن إلى زمن لا يستمر اكثر من يوم .

يوم : فرضه الدين على الناس للسلام والبشر والوفاء .

يقول الإنسان للإنسان عند اللقاء : « كل عام وانتم بخير » هو يوم الثياب الجديدة او المجددة يظهر بها الوجه الإنسانى بطابع جديد فهو يوم الزينة التى لا يراد منها إلا إبراز التغيير الشامل للنفس ، فتتخلى عن نوازعها حتى يصبح الناس كل الناس فى يوم مودة وتفاهم وحب .

يوم : يصطلح فيه المتخاصمون ، ويتقارب المتباعدون .

يوم العيد : تحلو فيه كلمات كل فم ، وتشيع الفاظ الدعاء والتهانى مرتفعة متدفقة ـ بقوة من الله وبتقواه لتعلو فوق منازعات هذه الحياة .

فى هذا اليوم ينظر كل إنسان إلى ذاته نظرة تعلوها السعادة بعد تأدية العبادة وينظر إلى أهله نظرة الإعزاز وإلى ما حوله نظرة تدرك جمال صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وإلى الناس جميعا نظرة تستظهر المودة والصداقة فتؤوب كل نفس راضية زاهية مبتهجة بالعالم وبالحياة .

(١) فاطر ٣٤

إنه يوم الفكر السامي الذي يجعل السرور فكرا مثمرا ظاهرا في العمل ، تعيش به النفوس هادئة مستريحة كأن ليس في هذه الدنيا إلا كل شيء ميسور .

وما أحرانا ـ نحن المسلمين ـ في يوم عيد الفطر إلى أن ندرك أهداف هذا العيد الذي فرضه علينا الدين ، وأن نرتفع إلى مستواه بفهم جديد نلقاه به ، فتسعد به أيامنا وتتجدد فيه نفوسنا بمعانيه الجليلة ، لا كما نلمحه الآن في حياتنا.اكبر همنا فيه تجديد الثياب وتمديد الفراغ واتساع ابتسامات النفاق .

العيد : هو المعنى الذي يكون في يومه ، وليس اليوم نفسه .

العيد في الإسلام : عيد الفكرة المطمئنة العابدة وليست الفكرة العابثة المبعثرة للفضائل الناشرة للرذائل .

إن عبادة الفكرة التي يعنيها العيد في الإسلام هي في جمع الأمة في إرادة واحدة وليس جمعها على مظهر المنفعة دون معناها .

العيد إثبات الأمة وجودها الروحي الإسلامي في أجمل وأبهى المعاني وليس إبراز الوجود الحيواني في اكثر واغلظ المظاهر .

العيد : يوم استرواح القوة من بعد الجِدِّ في الطاعة وليس استراحة الضعف إنه يوم المبدأ الرفيع لا يوم المادة الوضيع .

في العيد تشعر الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام وما بالنفوس من اوهام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٢] وليس شعورها بأن الأيام تتغير .

العيد : يوم تباهى فيه الأمة بجمال نظامها الاجتماعي ، وتناسق أحفالها وتساميها فيصبح يوم الشعور الواحد في نفوس الجميع والكلمة الواحدة التي ينطق بها الجميع ، ومن هنا كانت زكاة الفطر طهرة للصائمين وعونا للضعفاء والمحرومين والمساكين ومواساة من الاغنياء لأولئك الذين تعسرت ارزاقهم وباتوا طاوين .

في العيد : تتعلم الأمة كيف تشيع روح حسن الجوار ، وتمتد حتى يكون البلد وكأنه لأهل دار واحدة ، تمكن فيها الإخاء بالمعنى العملي ، واستعلنت فيه فضيلة الإخلاص ، حتى تهادى أهله عن مودة ومحبة ، وكأنما العيد بهذا قد أطلق روح الأسرة الواحدة في الأمة كافة .

إن العيد في الإسلام : صوت قوة يؤذن في الناس : أن اخرجوا من الاتراح إلى الأفراح فاليوم يوم النصر على شرور النفس وآثامها .

---

(٢) الرعد ١١

عيـد الفطـــر وثمـرات الصـــوم

سيكون العيد محوطا بالسرور مشبعا بالحبور لو أنه تميز بطابع الأمة الاجتماعى الشعبى وقيمها الذاتية الإسلامية ، ثيابها الجديدة من صنعها ، وكل ما تترفه به من إنتاجها عندئذ تكون معلنة فى عيدها استقلالها ، فى وجودها وفى جودة صناعاتها ، ووفرة إنتاجها ظاهرة بقوة إيمانها متناصرة بقوة طبيعتها وعدتها وعتادها واقتصادها وتماسك بنيانها ، مبتهجة فى دورها وأسواقها وحدائقها وكافة مباهجها .

للعيد فى التقاء الكبار بالصغار فرح بالحياة الناجحة المتقدمة ، فيه يتعلم الكبار من صغارهم براءة الفكر والتعبير من كل نفاق وخداع ، بل فى صفاء ونقاء العيد تعليم الأمة كيف تتجه بقوتها إلى معنى واحد ، فهذا الدين قد وضع العيد قاعدة تتخرج عليها أمثالها ، فتكون أيامها أعياداً ترفل فيها من نصر إلى نصر .

تلك بعض الأهداف التى فرض من أجلها العيد ميراثا أبديا فى الإسلام ما كانت الحياة .

وما أبهى العيد حين يلتقى الصغار والكبار والرجال والنساء فى صلاة العيد الذى افتتحوا يومه بالتكبير والتهليل والذكر والشكر لله ، الذى أتم عليهم النعمة واستمعوا إلى خطيبهم فى المسجد ؛ يذكرهم بتلك المعانى والأهداف ويبشرهم فى كل عيد بالجديد من الخطوط والتخطيط الذى يضبطون عليه إيقاعهم فى الحياة العملية وفى صلتهم بالله خالقهم وفى صلة الإنسان بالإنسان ؛ ألا ليت أئمتنا خطباء المساجد يرتفعون بما يقولون إلى حكمة التشريع يصوغونها للناس بلسما شافيا موجها .

اليوم عيد الفطر

به تكون أمة المسلمين قد ودعت شهر رمضان الذى تراءت ثمرات صومه وتوافرت ، الصوم تهذيب وتأديب وتدريب ..

فيه يكون الناس شعورا واحدا وحسا واحدا وطبيعة واحدة ، ويتحكم الصوم بقوة الإرادة وباستجابة لطاعة الله فتحول بين البطن وما تبتغى من مادة وسائر الشهوات ، وبهذا يضع الصوم الأمة المسلمة كلها فى حالة نفسية واحدة تلم بأنفس المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتتعلم منه هذه النفوس الرحمة والمساواة بين الغنى والفقير ، إذ هذه الرحمة تنشأ عن الألم ، وهذا بعض الحِكَم الاجتماعية للصوم حيث يبالغ الصائم أشد المبالغة ويحتاط كل الحيطة فى منع الغذاء وشبهه عن البطن ، جهد الطاقة ، وهذه طريقة عملية لتربية الرحمة فى الإنسان ومتى تحققت رحمة الغنى للجائع الفقير ، كان للكلمة الإنسانية الداخلية (الجوع) سلطانها النافذ فيبادر الغنى الجائع إلى الاستجابة لمواساة الفقير ودفع جوعه الذى أحس به بصومه ..

فى الصوم ثمرة الثمرات إذ به تتربى الإرادة وتقوى بهذا الأسلوب العملى ، حيث يتدرب الصائم على أن يكف نفسه باختياره عن شهواته وملذاته الحيوانية مصابرا نفسه ، مزاولا فى كل ذلك أفضل الطرق لاكتساب الفكرة الثابتة التى تترسخ ولا تتبدل ، وتلك منزلة اجتماعية سامية تقتل التردد فى الفكر وفى العمل .

والمسلمون حين يودعون شهر رمضان باستقبال عيد الفطر ينبغى أن يتساءلوا مع أنفسهم : هل حالكم يوم تودعونه خير من حالكم يوم استقبلتموه ؟

وهل تشعرون بأنكم قد أديتم هذا الركن من أركان الإسلام فأصبحت نفوسكم أطهر وأخلاقكم أكرم وأهواؤكم أرفع ؛ وهل به أصبحتم أشد قربا من الله وتحققت لديكم قوة المراقبة لله (الوازع الدينى) الحارس الأمين وهل توثقت صلتكم بالناس وملأت الرحمة قلوبكم وارتديتم الصبر عند الجزع والفزع وطبتم نفسا بالحياة ؟

لعلنا ـ نحن المسلمين ـ الصائمين الصابرين نجيب بالإيجاب .

وهذا ما يدعونا أن نستثمر هذا الذى اعتدناه من خصال الخير فى كافة شهور العام ونجعلها كشهر رمضان فنستمر فى الصوم عن ظاهر الإثم وباطنه ، ونغل أيدينا عن الأذى ونكف ألسنتنا عن الكذب وقول الزور والغيبة والنميمة والقول فى الدين بغير علم ، والجرأة على الفتوى فيما لا نحسنه ، ونطهر قلوبنا من الحقد والحسد والغل وننزه مكاسبنا عن الحرام ، ونبرأ إلى الله من الغش فى الصناعة والتجارة والنصيحة وسائر الأعمال .

لعل صوم رمضان يثمر فينا أن نقتصد فى الإنفاق خارج بيوتنا لنوسع على أنفسنا وأهلينا بقضاء حوائجهم ونقتصد كذلك فى الأنس بالمقاهى والنوادى لنوفر كثيرا من الأنس بالأسرة لتصلح من شأنها ونهدىء من روعها ونتابع أولادنا .

وإذا كان السُكِّير قد هجر خمره طوال رمضان صائما طائعا ، فزكا بهذا قلبه وصح بدنه وتوافرت أمواله فلماذا وهذه ثمرة طيبة للصوم لا يواصل العيش على هذا المنهج بعد رمضان ـ لا سيما ـ وقد تربَّت إرادته ، وقويت عزيمته حتى انهزم أمامها إدمانه ، وأفاق مما انغمس فيه من إثم وحرمات وإتلاف وهذا المدخِّن الذى استمسك ضد التدخين طوال نهار أيام رمضان فاستراح صدره وسكنت أعصابه وقويت شهوته للطعام واستفاد جسده لماذا لا يستثمر هذه الإرادة وتلك العزيمة عزيمة الصوم فيلغى عادة التدخين واستهلاك الأموال بالإحراق بالنار ونفخها فى الهواء .

وهذا القوى الذى تعلم الحلم والصبر من الصوم فكان يمر باللغو مر الكرام فيقابل الإساءة بالإحسان والقطيعة بالتواصل ، فاستقر السلام والأمن فى قلبه وسعدت نفسه بالوئام مع الناس لماذا لا يحرص على هذا الخلق الذى استفاده واعتاده ثلاثين يوما وليلة فيسعد نفسه ويسعد به الناس ويكون قدوة حسنة فى العالم .

عيد الفطر وثمرات الصوم

وهذا التاجر الذى راض نفسه بالصوم فوقف عند حدود الله فى تجارته فأوفى الكيل والميزان ولم يقارف الاحتكار ولم يغش بضائعه ، ولم يغل الأسعار ورضى الله عنه بذلك الصنيع الطائع لله ورسوله - ﷺ - ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾[٣] (من غشنا فليس منا) (المحتكر خاطىء) أفلا يستمر فيما أرضى به ربه ، وأن يلزم نفسه ذلك فى كل أوقاته وتصرفاته بعد أن ذاق طعم الحلال وأدرك حلاوة ومذاق الحق .

- ونحن المسلمين - نستقبل اليوم عيد الفطر ونودع شهر رمضان ينبغى أن نستديم خيره عبادة وسلوكا وأخلاقا وبرا وعدلا وإحسانا .

إنه شهر رياضة نفسية وجسدية وموسم استشفاء فلنروض أنفسنا على استمرار الثمرات التى اكتسبناها من صوم شهر رمضان ولنعتبر بذلك المريض الذى يهرع إلى الطبيب يستنصحه الداء والدواء ، فإذا ما فرض عليه طبيبه نظاما معينا للطعام والشراب والنوم والرياضة ، التزمه طلبا لشفائه فكيف وقد وصف الله خالقنا دواء لأدوائنا النفسية والجسدية صوم شهر رمضان كيف لا نلتزم هذا الدواء وثمراته .

إن الفرح بالعيد إذا امتزج بثمرات الصوم كانت المباهج وتضاءلت المثالب وكان شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن قد انصرم وبقيت ثماره زاداً من التقوى للقلب وللروح وقوة الجسد وشفاء لما فى الصدور وعدة من الصبر والجهاد والجلاد والعمل المنتج المثمر زادا وعتادا لهذا الأمة .

وباسم الأزهر الشريف بكافة هيئاته وطلابه وعلمائه وباسمى أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء وشعوب الأمة الإسلامية وأدعو الله أن يكشف عن هذه الأمة ما حاق بها وألا يؤاخذها بما فعل السفهاء من أبنائها وأن يربط على قلوب قادتها وأن يأخذ بنواصيهم إلى عمل الخير وخير العمل وأن يبصرهم بصوالح الأمة ويهديهم إلى الالتزام بكتابه القرآن وبسنة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - القائل : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى) .

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٣) الشعراء ١٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

تهنئة فضيلة الإمام الأكبر
بعيد الفطر المبارك

إلى أبنائه وإخوانه رجال القوات المسلحة المصرية بالكويت

فى هذه المناسبة الكريمة ـ عيد الفطر المبارك ـ أبعث إليكم فرداً فرداً باسم الأزهر الشريف : طلابه وعلمائه ، وجميع هيئاته ، وباسمى : أخلص التهانى ، وأدعو الله ـ سبحانه ـ أن يرعاكم ويؤيدكم بنصره إذ أنتم مرابطون فى سبيل الله ردعاً للظالم ودفعا للظلم ونصرة للمظلومين ، وقد رد الله بكم الحق إلى أصحابه .

وأوصيكم ـ حتى تنالوا ثواب المجاهدين ـ بطاعة الله ـ سبحانه ـ فيما أمر به من عبادات ومعاملات وحسن الأخلاق ، وأن تجتنبوا المحرمات .

« إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ »

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـر



لقد حث الإسلام على التكافل بين المسلمين ، وطلب منهم أن يتضامنوا عند الكوارث ، وأن يتعاونوا فى البناء وفى إقامة حياة جماعية مستقرة يسودها العدل والإحسان .

ففى القرآن الكريم قول الله سبحانه فى سورة التوبة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ وفى سورة المائدة قول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

ولقد شرح الله هذا البر فى سورة البقرة فى قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

فالبر المطلوب من المسلمين هو عقيدة وعبادة وتحمل فى الشدائد ، ومنح وإعطاء للمحتاجين والمنكوبين والبائسين وإيمان بالله وباليوم الآخر والكتاب والنبيين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحسن المعاملة ، والوفاء بالوعود وبالعهود ، وبذل المال ـ على الرغبة فيه والحرص عليه ـ لمن استحق العون والمساعدة من أبناء الجماعة المسلمة .

فهو تكافل فى البناء والاستقرار وهو تكافل فى المحافظة على البقاء ، وعلى هذا فإن رسالة المسلمين فى الحياة رسالة الاستقرار والبناء ، وتعاون فى سبيل تحقيق هذه الرسالة ، وليست رسالة هدم ولا كسل ولا بطالة ولا ضعف ولا استكانة أمام أحداث الحياة .

وهاهى الأمة الإسلامية تواجه طرد فئة من المسلمين من ديارهم واضطهادهم ، وتشريدهم وإهلاكهم بأسلحة الدمار .

وها هم الفارون من ظلم واضطهاد حكام العراق يهيمون على وجوههم فى الجبال والصحراء حفاة عراة جياعا ، هاهم الأطفال والنساء والمرضى والعجزة والشيوخ تراهم هاربين مطاردين دون مأوى ولا طعام ولاكساء ولاغطاء ، فأين شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها من هؤلاء ، وأين الإحسان والعطاء والبر... الإحسان الذى أمر الله به فى كتابه ونبه الرسول صلى الله عليه وسلم إليه فى سنته .

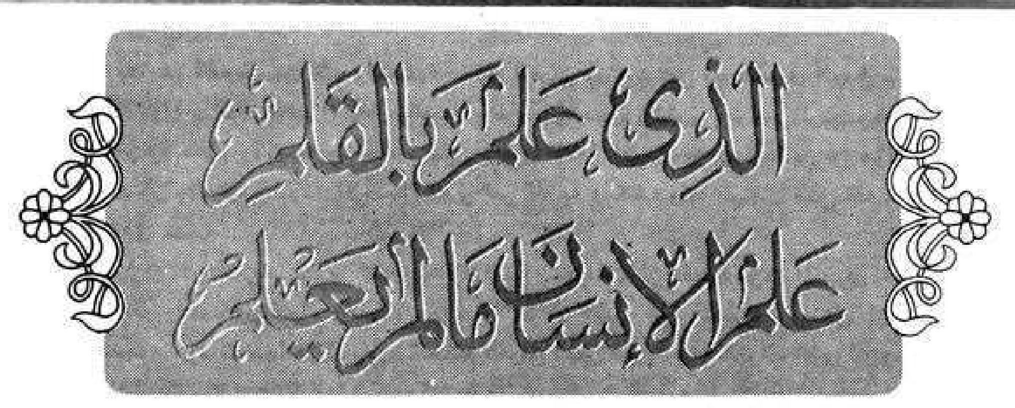
إن الأزهر الشريف ينادى الشعوب الإسلامية وحكوماتها أن أغيثوا هؤلاء المعذبين المطرودين ، بالطعام والكساء والدواء والغطاء ، وأعينوا هؤلاء الذين آوَوْا ونصروا ، وفتحوا لهم الحدود والسدود ، ولا تأخذوا هؤلاء بجريرة حكام العراق الذين فَجّرُوا هذا الخراب الذى أنزلوه بالأمة ، وهذا الزلزال الذى هز كيانها فى كل مكان ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

أيها المسلمون فى كل مكان:كونوا أرحم بإخوانكم العراقيين المطرودين ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ولاتتركوا الفضل والبر ينفرد به غيركم .

إن الأزهر الشريف ينادى كافة جهات الإغاثة فى العالم الإسلامى أن تسارع إلى تحمل مسئوليتها تجاه هؤلاء المشردين بحكم الأخوة الإنسانية والإسلامية ، وأن تنظم وتعلن عن قبول التبرعات المالية والعينية ، فإن فى هذه الأمة حياة ونخوة وحبا للخير وحرصا على أوامر الإسلام وأخلاقياته ، فيسروا للشعوب الإسلامية بأجهزتكم أداء واجبها نحو النازحين العراقيين إلى تركيا وإيران وغيرهما من بلدان العالم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ بل أقبلوا على الخير ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾

٢٤ من رمضان سنة ١٤١١ هـ
٩ من أبريل سنة ١٩٩١ م

شيخ الأزهر
ورئيس المجلس الإسلامى العالمى
للدعوة والإغاثة
(جاد الحق على جاد الحق)



أ. د. محمود محمد رسلان

هاتان الآيتان المباركتان من سورة العلق، التى افتتحها الله جل جلاله بقوله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ وهما الآيتان الرابعة والخامسة.

اى اقرا يامحمد ما انزل إليك من القرآن مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسمية فى ابتداء كل سورة .. فالمقروء محذوف تقديره: اقرا القرآن وافْتَتِحْهُ باسم الله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ النحل: ٩٨.

والحكمة من تخصيص الإنسان بالقراءة والعلم بالقلم: التشريف له والتكريم، والعلم بالقلم هو الخط والكتابة، أى علّم الإنسان الخط بالقلم.

روى سعيد عن قتادة قال:

القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، ولولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش فدل ذلك على كمال كرمه سبحانه بأنه علّم عباده مالم يعلموا. وهذه منة عظيمة يضاف إليها ايضا قوله سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١).

ففى العلم تخلص من ظلمة الجهل، وفضل الكتابة عظيم، فلولاها لما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كُتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هى ما استقامت أمور الدين والدنيا، ولا ارتقى الفكر الإنسانى.

اما تسمية الأداة المستخدمة للكتابة: قلما؛ فلأنه يقلم أى يقطع[1]، وفى وصف القلم قال بعضهم:

فكأنه والحبر يخضب رأسه
شيخ لوصل خريدة يتصنع
الا الاحظه بعين جلالة
وبه إلى الله الصحائف ترفع[2]

كان أول ما نزل من القرآن هو هذه الآيات الكريمات الشريفات وهن: أول رحمة رحم الله بها العباد.

وأول نعمة أنعم الله بها عليهم.

وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، ومن تكريم الله للإنسان أن علمه ما لم يعلم..

﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

(١) قلم يقلم باب: ضرب.

(٢) راجع تفسير القرطبى: سورة العلق.

وَالْأَفْئِدَةَ . . ﴾[٣] . فشرفه ، وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم عليه السلام على الملائكة .

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

يفهم منه مايلى : (أ) إما أن يكون المراد من العلم بالقلم هنا : الكتابة التى تعرف بها الأمور الغائبة ، فيكون القلم كناية عنها .

(ب) وإما أن يكون المراد علم الإنسان الكتابة بالقلم وكلاهما متقارب .

والمراد التنبيه على فضيلة الكتابة .

يروى أن سليمان عليه السلام سأل عن الكلام فقيل : ريح لايبقى ، قال : فما قيده ؟ قيل : الكتابة[٤] .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

وفى الأثر : « قيدوا العلم بالكتابة »[٥] .

وصح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه ـ فهو عنده فوق العرش :

« إن رحمتى تغلب غضبى » .

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام انه قال :

« أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فكتب مايكون إلى يوم القيامة فهو عنده فى الذكر فوق عرشه »[٦] .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ أى أن الله عز وجل أودع فى نفس آدم علم جميع الأشياء من غير تجديد ، ولا تعيين ، فالمراد بالأسماء المسميات ، عبر عن المدلول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له ، وسرعة الانتقال من أحدهما إلى الآخر .

والعلم الحقيقى : إنما هو إدراك المعلومات أنفسها ، أما الألفاظ الدالة عليها فإنها تختلف باختلاف اللغات التى تجرى بالمواضعة والاصطلاح ، فهى تتغير وتختلف والمعنى لا تغيير فيه ولا اختلاف[٧] .

ومن فضل الله على الإنسان أن هيأه قابلا لتعلم البيان كما فى قوله عز شأنه :

﴿ الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[٨] .

﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ أى علم نبيه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أداه إلى جميع الناس .

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴾ .

قال ابن عباس ، وقتادة والحسن يعنى آدم عليه السلام .

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ أسماء كل شىء ، وقيل : علمه اللغات كلها .

وقال السدى : علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به ، ونظيره : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

قال الضحاك عن ابن عباس : هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ودواب وسماء وأرض ، وسهل ، وبحر ، وخيل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها من الصحفة والقدر ، ..... وكل شىء[٩] .

وتعليم الله هنا : إلهام علمه ضرورة .

قال ابن عطاء : لو لم يكشف لآدم علم تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة فى الإخبار عنها ←

---

(٣) سورة النحل آية ٧٨ .

(٤) راجع التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى جـ ٣٢ ط الثالثة . دار إحياء التراث العربى ببيروت .

(٥) سنن الدارمى .. المقدمة باب (من رخص فى كتابة العلم) الحديث ٥٠٣ .

(٦) تفسير القرطبى سورة العلق .

(٧) راجع تفسير المنار جـ١ ص ٢١٨ .

(٨) سورة الرحمن الآيات ١ ـ ٤ .

(٩) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٧٣ ص الحلبى .

الذى علم بالقلم

وهذا واضح[10] . إذ لما سأل الملائكة رب العزة عن وجه الحكمة فى خلق آدم وذريته وإسكانه إياه فى الأرض ، وأخبر سبحانه وجه الحكمة على سبيل الإجمال بقوله عز شأنه : ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أراد رب العالمين أن يزيدهم بيانا ، ويفصل ما أجمل بيان فضل آدم عليه السلام مالم يكن معلوما لهم . وذلك بأن علّم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله . وقصورهم عنه فى العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالى فقال : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

قال الأشعرى والجبائى والكعبى : اللغات كلها توقيفية : بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ وتلك المعانى ، وبأن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعانى ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

ومن ثم يقتضى إضافة التعليم إلى الأسماء ، وذلك يقتضى فى تلك الأسماء أنها كانت قبل التعليم ، ومن هنا يفهم أن اللغات كانت حاصلة قبل ذلك التعليم .

وأيضاً فإن آدم عليه السلام لما تحدى الملائكة بعلم الأسماء فلابد ، وأن تعلم الملائكة انه صادق فى تعيين تلك الأسماء لتلك المسميات ، وإلا لم يحصل العلم بصدقه ، وذلك يقتضى أن يكون وضع تلك الأسماء لتلك المسميات متقدما على ذلك التعليم .

والذى ينبغى معرفته لدى البشر - بعدما تقدم - أن العلم فى الإسلام ليس ترفا ، ولا فخراً ، ولا هو من الكماليات ، بل هو من ألزم الضرورات فى الحياة ، فإن دعوة القرآن واضحة فى التأكيد على القراءة والتعلم بالقلم وهما من شعار الإسلام الحنيف ، ودعوته الخالدة .

وبعد :

فإذا كان أبو البشر - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - جعله الله - سبحانه - على هذه المرتبة العليا من العلم والحكمة ، فما هذا الذى يثيره المؤرخون نحو (الإنسان الأول) حيث هو أقرب إلى الوحش ، جاهل ، يتخبط فى عبادة الكائنات ... أدوات حياته ساذجة .. بسيطة تأويه الجبال والوحوش ... إلخ ؟

نقول : ينبغى الا ننسى أن المؤرخين ينقلون حياة الإنسان فى فترة تاريخية توصل إليها التنقيب .. ولم يصلوا - بعد - إلى أول خلق الله للإنسان .. لم يصلوا إلى أبى البشر - عليه السلام . فإن التنقيب حتى يومنا هذا لم يتجاوز - بحال - نحو ستة آلاف سنة من قبل الميلاد .

وللأمم دورات تاريخية مقررة معروفة ، ليس إلى نكرانها سبيل ، فالأمة - من الأمم - ترتفع حضاريا إلى أوج الرفاهية والحضارة ثم تدور بها عجلة الزمن فإذا هى فى الحضيض .. لا علم .. ولا حضارة ويفقد أبناؤها كل شىء .. حتى الصلات الوثيقة بالآباء .. وما الإنسان الأول فى التاريخ إلا إنسانا فَقَدَ حضارته ، وانقطعت السبل التى تهديه سواء السبيل فعاش بعضه فترة ما بعد الطوفان هائما على وجهه يلوذ بالجبال والكهوف ترتعد فرائصه من الرعد والبرق .. وما يذكره بهذا الحادث العريق .. ثم كان البحث والتنقيب الذى وصل به العلماء إلى قريب من هذه الفترة .. وقالوا عنها فترة الإنسان الأول وليس عن ذلك تحدث المولى عز وجل حين يتحدث عن أبى البشر : آدم عليه الصلاة والسلام[11] فحديث المولى - جل وعلا - عن أول إنسان خلقه .

---

(١٠) تفسير القرطبى ١/٢٣٨ ط الشعب .

(١١) راجع للدكتور على الخطيب - الصوم من البداية حتى الإسلام - المقدمة ، ط بيروت ١٤٠٠هـ .

تناسى المنكرات بلاء عظيم

الشيخ على حامد عبد الرحيم

عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن أَوَّلَ ما دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إسْرَائِيلَ أنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقُولُ : يَاهذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ الآيات - ٧٨ - ٨١ المائدة .

ثُمَّ قَالَ : « كَلَّا ، وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا ، وَلَتَقْصِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ » رواه ابو داود ، والترمذى وقال حديث حسن -

١ - الأطْر : العطف والرد ٢ - القصر : الحبس والمنع .

ولفظ الترمذى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان متكئا فقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا » .



﴿ قبس من أنوار النبوة ﴾

جاء الإسلام ليضيء آفاق الحياة أمام الناس بهديه الوضاح ، وليمحو من دنياهم الضلال والظلام ، ويبين لهم كيف يحيون كما يريد ربهم ويرضى وكيف يقيمون علاقاتهم فى شتى مجالات الحياة وفق عقيدتهم السليمة ومبادئهم السامية ، وحرم على المسلم الذى يخلص لله فى عقيدته ، وعبادته ، أن يقصر فى دوره الاجتماعى ، ويعيش فى فردية وأثرة وأنانية ، ولا يشارك فى تحقيق الطمأنينة والعدالة فى المجتمع ولا يسهم فى إشاعة الخير ، ونشر الرحمة والهداية بين الناس ولا يشعر بالمسئولية المشتركة بينه وبين أفراد المجتمع الإسلامى بمقتضى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ـ التوبة ـ ٧١ ـ

والمؤمنون متكافلون فى هذه الدعوة ، وكل واحد عليه أن يدعو ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكما يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة امتثالا لأمر الله ، فإنهم مأمورون بالنهوض بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهم أولياء بعض ، إنهم كالأسرة الواحدة ، إذا فسد فرد فيها أساء إليها كلها ، وتقويم هذا الفاسد إصلاح للأسرة جميعها .

ولقد زكى القرآن الكريم الأمة الإسلامية بشرط القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولم يزكها عصبية لمجرد انتسابها إلى الإسلام ، لينهض كل فرد بأداء واجبه فى هذا المجال ، حتى لا يستشرى الفساد ، وينتشر الظلم ، ويشيع الانحراف ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران « ١١٠ » ولقد خشى الصديق أن يتأول بعض المسلمين الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ المائدة ـ ١٠٥ ـ فخطب رضى الله عنه فقال : أيها الناس : إنكم تقرأون هذه الآية وتؤلونها على خلاف تأويلها ، وإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصى ، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم ، فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » ـ أبو داود والنسائى ـ

وسأل أبو ثعلبة الخشنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تفسير هذه الآية فقال : فيما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه « يا أبا ثعلبة ، مر بالمعروف وانه عن المنكر ، فإذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم ، للمستمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم .

قال أبو ثعلبة : بل منهم يارسول الله . قال : لا .. بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولايجدون عليه أعوانا » .

وإذا انتشرت المنكرات وشاع الفساد عم العقاب فلا يقتصر على المخالفين الذين كانوا سببا فى وقوع البلاء ، بل يعم الصالح والطالح والمحسن والمسىء ، ولذا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . ـ فيما رواه الإمام أحمد ـ « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا

المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه ، فإذا فعلوا عذب الله الخاصة والعامة » .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ ـ الأنفال ٢٥ ـ

وعندما تشيع المنكرات ويستفحل خطر المعاصى ، دون أن تجد من يقاومها ويدعو إلى المعروف ، ينزل بنا العقاب وتتسلط البلايا والشدائد ، عندئذ نفقد استجابة الدعاء ، فإذا سألنا الله ـ عز وجل ـ المعونة مُنعناها ، وإذا رجونا نصره لايرانا أهلا لفضله .

قال تعالى فى الحديث القدسى ـ فيما رواه ابن حبان فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم : ياأيها الناس « إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألونى فلا أعطيكم ، وتستنصرونى فلا انصركم » .

فعلى المسلم أن يقدر تلك المسئولية الجماعية ، ولا يقصر فيها ولا يمنعه خشية أحد من أدائها ، فعن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لايحقرن أحدكم نفسه قالوا : يارسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله ـ عز وجل ـ له يوم القيامة ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ، فيقول خشية الناس ، فيقول الله تعالى : « إياى كنت أحق أن تخشى » ـ أخرجه ابن ماجة ـ

ولنعلم أن ما حل ببنى إسرائيل من اللعنة والطرد ، يمكن أن يحل بمن صنع مثل صنيعهم ، واستحل المنكر ، وسكت الناس عن التصدى له وكبح جماحه ، فهل نستفيد مما وقع لأمتنا من أحداث ، وما أصاب مجتمعنا من نكبات بسبب تقصيرنا فى واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟

وتغيير المنكر له مراتب بعد التحقق من كونه منكرا .

أولها : تغيير باليد وهى وظيفة من له الولاية من حاكم فى رعيته ورب أسرة مع أهله وولده ، وكذلك المربون والرؤساء الذين ملكهم القانون شيئا من صور التغيير العملى .

ثانيها : تغيير بالقول واللسان لمن يقدر عليه ويكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثالثها : تغيير بالإنكار بالقلب والبعد عن صاحب المنكر وذلك أضعف الإيمان .

وحتى لا نكون كبنى إسرائيل الذى لعنهم الله فى محكم كتابه وعلى السنة رسله ..

فضيلة الأستاذ الدكتور حامد جامع وكيلا للأزهر الشريف

صدر قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ١١٧ لسنة ١٩٩١ بتاريخ ٢٢ من شعبان ١٤١١ هـ الموافق ٩١/٣/٩ بتعيين فضيلة الأستاذ الدكتور حامد عبد الحميد عبد الله جامع وكيلا للأزهر الشريف .

كما أسند إليه فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر مهمة القيام بأعمال الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية .

ومجلة الأزهر تهنىء فضيلته راجية له تمام التوفيق .

وسائل الاجتهاد

في الفقه الإسلامي

أ.د. محمد الدسوقي
قسم الفقه والأصول كلية الشريعة
جامعة قطر

يعد (علم أصول الفقه) المنهج او الأساس الذى يقوم عليه صرح البحث الفقهى . فهذا العلم هو الذى يضبط قواعد الاجتهاد ، أو يقدم الأصول والمبادىء العامة لاستنباط الأحكام .

والفقهاء المسلمون بهذا العلم سبقوا فقهاء القانون فى تأصيل القواعد التى يبنى عليها الفكر القانونى ، فلم يُعْنَ فقهاء القانون الوضعى هؤلاء بوضع أصول القانون إلا منذ نحو قرنين تقريباً على حين وضع فقهاء المسلمين أصول الأحكام او (قواعد الاجتهاد) منذ نحو اثنى عشر قرنا ، وكان اول كتاب وصل إلينا فى هذا هو (كتاب الرسالة) للإمام الشافعى (ت : ٢٠٤ هـ) .

وبعد الشافعى كثرت الكتابات الأصولية ، وتنوعت مناهجها ، بيد أنها كلها كانت تتغيا هدفا واحداً ، وهو الكشف عن الأصول الأساسية لاستنباط الأحكام ، سواء كان ذلك عن طريق وضع القواعد مجردة عن الفروع غالبا ، أو استقراء الفروع ، واستخلاص القواعد منها .

ولا خلاف بين الفقهاء والأصوليين فى أن النص الشرعى قرآنا أو سنة هو المصدر الاول للأحكام ، وان الاجتهاد هو المصدر الثانى لها ، لا باعتباره وسيلة مستقلة عن النص ، وإنما باعتباره أداة لفهم النص وتطبيقه ، واستلهام روح التشريع ومقاصده فى الوصول إلى حكم ما لم تتناوله النصوص بأسلوب صريح او مباشر .

يشهد لهذا ماروى عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما بعثه إلى اليمن قال له : كيف تقضى إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله . قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو . قال معاذ : فضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

صدرى ، ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله[1] .

فهذا الحديث يدل على أن مصدر الأحكام الكتاب والسنة والاجتهاد بالرأى ، وهو اجتهاد كما أومأت ـ آنفا ـ يدور فى فلك النص ولا يخرج عليه بحال .

على أن الاجتهاد قد يكون فرديا ، وقد يكون جماعيا ، والأول هو كل اجتهاد لم يثبت اتفاق المجتهدين فيه على رأى فى المسألة ، على حين أن الثانى هو كل اجتهاد اتفق المجتهدون فيه على رأى فى المسألة[2] .

ولكل من نوعى الاجتهاد وسائله ، فالاجتهاد الفردى يعتمد على : (القياس) و (الاستحسان) و (المصلحة المرسلة) ، و (الاستصحاب) ، وسوى ذلك مما تناولته المؤلفات الأصولية قديما وحديثا بالتحرير والبيان .

وأما الاجتهاد الجماعى فوسيلته الإجماع الأصولى .

والذى تجدر الإشارة إليه أن أوسع مجالات الاجتهاد بنوعيه ما لم ينص على حكمه فى الكتاب والسنة ، وقد يدخل النص فى مجال الاجتهاد إذا كان ظنى الثبوت أو ظنى الدلالة ، فإذا كان ظنى الثبوت كان موضع بحث المجتهد فيه سنده ، ومدى صلاحيته لإثبات الحكم ، وإذا كان ظنى الدلالة كان البحث فى تفسيره أو تأويله ، وفى قوة دلالته على المعنى المقصود ، وفى سلامته من المعارضة ، أو معارضته بما يؤثر فيه ، أو فى خصوصه أوعمومه ، وما يدخل فيه من الجزئيات وما لا يدخل وهكذا[3] .

وقد تدخل بعض النصوص القطعية فى ثبوتها ودلالتها فى مجال الاجتهاد ، من حيث البحث عن مقاصد الشارع فى هذه النصوص ، وقد حصر الشاطبى فى الموافقات درجة الاجتهاد على من اتصف بوصفين :

أحدهما : فهم مقاصد الشريعة على كمالها .

والثانى : التمكن من الاستنباط بناء على فهمه[4] فيها .

وبين العلماء اختلاف فى وسائل الاجتهاد ، وما يعتد به منها وما لا يعتد ، وقد نجم عن ذلك اختلافهم فى كثير من الأحكام والآراء ، وهو اختلاف لا يقدح فى مكانة هؤلاء العلماء ، أو يسىء إليهم ؛ لأنه قام على أصول علمية ، ويشهد لهم بالحرص البالغ على أن يكون لكل منهم أجر المجتهد المصيب .

واختلاف العلماء فى وسائل الاجتهاد وما يمكن أن يؤخذ به منها ومالا يؤخذ جعلهم يقسمون مصادر الأحكام إلى : (متفق عليها) و (مختلف فيها) .

والمصادر المتفق عليها هى : النص الشرعى ، ويلى النص مصادر يقول العلماء : إن الجمهور يأخذ بها ، فهى من ثم محل اتفاق لا بين جميع العلماء ، وإنما بين أغلبهم ، أو جمهورهم ، وهذه المصادر هى : الإجماع والقياس . ولكنهم حين يتحدثون عن المصادر التى يأخذ بها الجمهور

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، وانظر أعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٢٠٢ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٢) انظر ، أصول التشريع الإسلامى للأستاذ على حسب الله صـ ١٠٧ ، ١٠٨ ط دار المعارف .

(٣) المصدر السابق صـ ٧٩ .

(٤) الموافقات جـ ٤ صـ ١٠٥ ط التجارية .

وسائل الاجتهاد في الفقه الإسلامي

يقولون : إنها الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وهو قول غير دقيق ، ومرد ذلك إلى أن النص الشرعي الذى لا ريب فى صحته هو المصدر الذى لا خلاف فيه ، أما الإجماع والقياس فمن الفقهاء من يرفض اعتبارهما من المصادر الفقهية ، وإن كان أغلب الفقهاء يأخذ بهما ، ولهذا أرى أنه كان ينبغى أن تقسم المصادر على النحو التالى :

أولا : المصادر المجمع عليها ، وهى النص الشرعى الذى لا ريب فى صحته .

ثانياً : المصادر المتفق عليها بين الجمهور ، وهى : الإجماع والقياس .

ثالثاً : المصادر المختلف فيها وهى مادون ذلك مثل الاستحسان والمصلحة المرسلة والعرف والاستصحاب .. إلخ .

ومن العلماء من يطلق على هذه المصادر المختلف فيها أو على بعضها اسم المصادر التبعية ، ويعنى بذلك أنه لا استقلال لها ، وإنما تؤول إلى مصادر أخرى ، أو إلى قواعد أو مقاصد شرعية ، ومنهم من يسمى هذه المصادر المختلف فيها باسم الأدلة ، وهى تسمية فيها تجاوز أو توسع ، فهى ليست بذاتها أدلة ، وإنما تراعى فى استنباط الأحكام ، تطبيقا لمقصد شرعى من مصلحة أو ضرورة أو أخذ برخصة ، ولهذا تُعد - فيما أرى - وسائل للاجتهاد ، وفق الضوابط الأصولية الخاصة بها ، وليست بأدلة أو مصادر . وينسحب هذا أيضا على المصادر المتفق عليها بين الجمهور ، فالقياس وسيلة عقلية أو منطقية لتطبيق النص ، والإجماع وسيلة جماعية فى الاستنباط لها مستند من نص أو ما يحمل عليه .

وقد رغبت فى تقديم دراسة عن تلك الوسائل المتفق عليها بين الجمهور ، والمختلف فيها ، لا تقوم على سرد الآراء ومناقشتها والترجيح بينها بقدر ما تتوخى إلقاء نظرة نقدية تحاول أن تقدم جديدا مفيدا إن شاء الله .

وأبدأ هذه الدراسة بالوسائل المختلف فيها ؛ لأنها من القضايا الأصولية التى كثر الجدل حولها ، ومن ثم تحتاج إلى مزيد من القول عنها ؛ لتحرير أسباب الاختلاف فيها ، ولعل هذا يعين على دراسة علم الأصول على نحو آخر ، ينأى بمن يدرسه عن المسائل النظرية والجدلية التى شغلت العلماء قديما وحديثا دون غناء يذكر من ورائها ، وتُحقق له فى الوقت نفسه فقها جامعا بمنهج البحث الفقهى ، حتى يمكن أن يعيش هذا البحث (الواقع) المعاصر بكل أبعاده ، وحتى لا يظل فكرا نظريا مثاليا لا يعرف طريقه إلى التطبيق العملى ، ولا يمت إلى ما يجرى فى دنيا الناس من مشكلات إلا بسبب ضعيف .

أولا : الاستحسان :

تدور مادة « ح س ن » فى اللغة العربية حول معانى الجمال والتزين والإجادة والإتقان ، وكل ما تهش له النفوس من مكارم الأخلاق والعادات والتصرفات ، قال الراغب الإصفهانى فى المفردات : الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه ، وذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ، ومستحسن من جهة الحس .

والحسنة ، يعبر بها عن : كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه ، وأحواله ، والسيئة تضادها .

ومعنى الاستحسان في اصطلاح الأصوليين القائلين به ، يلتقى مع بعض المعانى اللغوية لمادة « حسن » ، وإذا كان بين هؤلاء اختلاف في التعريف فهو اختلاف لفظى ؛ لأن كل ما صدر عنهم لا يخرج عن معنى أن الاستحسان ليس قولا بالهوى ، وإنما هو تطبيق لقاعدة شرعية كالأخذ بما هو أرفق للناس أو مراعاة ما فيه صلاح لهم ، أو رفع للحرج عنهم .

ومن تعاريف الاستحسان لدى الآخذين به أنه : العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضى هذا العدول[٥] .

أو أنه العدول عن موجب قياس إلى قياس أقوى .

أو هو : تخصيص قياس بقياس أقوى منه[٦] .

تاريخ الاستحسان :

على أن مصطلح الاستحسان لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين من حيث الشكل وإن كان قد عرف من حيث المضمون ؛ لأن الاجتهاد بالرأى في القرن الأول كان يشمل كل ما سوى الأخذ من النص سواء أكان قياسا أم مصلحة ، أم عرفا أم سدا للذرائع .

وفي القرن الثانى جرى هذا المصطلح على السنة الفقهاء ، وبخاصة لدى مدرسة الكوفة ، واشتهر الإمام أبو حنيفة بأنه كان يمضى الأمور على القياس فإذا قبح القياس امضاها على الاستحسان ، وبأنه إذا اختلف مع أصحابه

وقال : استحسن لم يلحقه أحد[٧] ، كما أثر عن الإمام مالك أن الاستحسان تسعة أعشار العلم[٨] .

ولم يكن مصطلح الاستحسان في القرن الثانى قد تبلور مفهومه ، وتحررت أقسامه وضوابطه ، ولهذا وقف الإمام الشافعى منه موقف المهاجم له والمحذر منه ؛ لأنه رأى فيه ظلالا من المعانى التى قد تفتح باب الأهواء ، وتجعل من يقول بالاستحسان مشرعا ، أو مستحسنا ما يراه بعقله ، وذلك أن هذا المصطلح ـ كما أومأت آنفا ـ عرفته الحياة الفقهية في الكوفة أولا ، وكان فقهاء هذه المدينة يتوسعون في الرأى ؛ لكثرة المشكلات لديهم ، وقلة الآثار بأيديهم ، فلما تناقل العلماء هذا المصطلح عن هؤلاء الفقهاء كان له وقع نفسى خاص بالنسبة للإمام الشافعى ، حمله على أن يهاجم القائلين بالاستحسان[٩] .

وكان من أثر حملة الشافعى على الاستحسان ومن اتبع سبيله من الظاهرية والشيعة أن القائلين به أو تلاميذهم حاولوا أن يدافعوا عن وجهة نظرهم ، وأن يثبتوا أنهم لا يشرعون ، ولا يخرجون فيما يجتهدون على النصوص ، أو القواعد الشرعية بحال من الأحوال .

وعرفت المؤلفات الأصولية جدلا حاميا حول هذا الموضوع ، وكان كل فريق يسعى للانتصار لما يذهب إليه ، ويسوق من الأدلة والبراهين ما يراها كافية لتوضيح موقفه ، وأنه على حق فيما يقول به ، وإن كانت أدلة الجميع ظنية الدلالة ،

---

(٥) انظر المدخل الفقهى العام للأستاذ مصطفى الزرقاء جـ ١ ص ٧٧ ط دمشق .

(٦) انظر أصول البزدوى جـ ٤ ص ٦ ط تركيا .

(٧) انظر أصول الفقه الاسلامى للشيخ محمد مصطفى شلبى ص ٢٥٨ ط بيروت .

(٨) انظر الرسالة للشافعى تحقيق الشيخ احمد شاكر ص ٥٠٣ .

(٩) انظر الأم للشافعى جـ ٣ ص ٢٣٢ .

وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى

وكثير منها لا علاقة له بالموضوع إلا من حيث الجذر اللغوى لمادة « حسن » ، ولكن التعسف فى التأويل كان يذهب بكل فريق وجهة خاصة فى تفسير النصوص ؛ طوعا لما يراه ، وما كان الأمر فى حاجة إلى هذا الصراع الفكرى الذى لا جدوى منه ، لو كان هناك ما يسمى بتحرير موضع النزاع ، وهذا يعنى أن الإمام الشافعى ومن سلك سبيله هاجموا مفهوما للاستحسان ليس هو المفهوم الذى أخذ به الحنفية والمالكية والحنابلة ، بل إن هذا الإمام الجليل أخذ ـ فيما يروى عنه ـ بمفهوم الاستحسان الذى أخذت به المذاهب الثلاثة ، فقد جاء : أنه استحسن ثبوت الشفعة للشفيع إلى ثلاثة أيام ، وقال : إنه استحسان منى وليس بأصل[10] كما أنه استحسن التحليف على المصحف ، وقال فى هذا : وقد رأيت بعض الحكام يُحَلِّف بالمصحف وذلك عندى حسن[11] .

ولأن الخلاف بين الفقهاء والأصوليين حول الاستحسان كان مرده إلى عدم تحرير موضع النزاع ، آثرت ألا أخوض فى هذا الخلاف ، وألا أعرض لأدلة القائلين بالاستحسان والمنكرين له ؛ لأنه لا التقاء بينهما ؛ لتفاوت المفهوم الذى يتحدث عنه كل منهما ؛ ولأن هذه الأدلة ـ كما أشرت سابقا ـ ظنية الدلالة ، وتفسر وفق ما استقر فى الذهن من مضمون ، ومن ثم رأيت أن أذكر بعض الصور الفقهية التى جاء القول فيها بالاستحسان ، وأعقب عليها بكلمة عن هذا المصطلح ، ومدى اعتباره وسيلة من وسائل الاجتهاد أو إفراده بدراسة فى علم الأصول .

من المقرر أن المرأة كلها عورة بالنسبة للأجنبى فيما عدا الوجه والكفين ، ولكن أبيح للطبيب أن يرى من المرأة الأجنبية ما يقتضى علاجُها النظر إليه ، وإن كان محرما عليه فى الأصل ، وهذه الإباحة مرجعها إلى الضرورة ودفع المشقة فى العلاج استحسانا[12] .

وإذا كان المحجور عليه للسُّفه لا تصح تبرعاته ؛ فإن وقفه على نفسه مدة حياته يصح استحسانا ؛ لأن هذا الوقف يحفظ العقار الموقوف من الضياع ، للزوم الوقف ، وعدم قبوله للبيع والشراء ، فيتحقق الغرض الذى حجر عليه من أجله ، وهو المحافظة على أمواله ، فهو من ثم استحسان يستند إلى المصلحة[13] .

كذلك تصح وصية المحجور عليه فى سبيل الخير ؛ لأنها لا تناقض المقصود من الحجر ، فهى لا تفيد الملك إلا بعد الوفاة ، فاستثناؤها من القاعدة العامة ، وهى عدم صحة التبرع من المحجور عليه ، لأنها تحقق خيرا له ، أى مصلحة دون أن يلحقه بها ضرر فى ماله فى حياته[14] .

ولأن الوقف يقتضى تأبيد الموقوف كان العقار هو الذى يجوز وقفه ؛ لأنه يقبل التأبيد والدوام ،

---

(١٠) المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٨٩ .

(١١) انظر أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢١٠ ط دار الفكر العربى .

(١٢) انظر لدراسة الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٢٠١ ط مؤسسة الرسالة .

(١٣) انظر أصول الفقه الإسلامى للدكتور وهبة الزحيلى جـ ٢ ص ٧٤٦ ط دار الفكر . دمشق .

(١٤) انظر فتح القدير للكمال بن الهمام جـ ٧ ص ١١٢ ط الأميرية .

أما المنقول فلا يجوز وقفه لسرعة الهلاك إليه ولكن استثنى الفقهاء من هذه القاعدة العامة وقف المنقول الذى جرى العرف بوقفه فهو جائز استحسانا كالكتب وادوات الإضاءة فى المساجد[١٥] .

والقاعدة العامة فى تطهير النجاسات هى إزالتها ، وعدم بقاء اثرها ؛ فإذا وقعت نجاسة فى بئر فلا سبيل لصب الماء على البئر ليطهرهُ ، فالماء الذى يدخل فى البئر يتنجس بملاقاة الماء النجس ، والماء الذى ينبثق من باطن الأرض يتنجس كذلك ، فكانت الضرورة قاضية باستثناء الآبار من القاعدة العامة فى تطهير النجاسة ، والاعتماد فى تطهيرها على نزح عدد من الدلاء يغلب على الظن معه خفة النجاسة وضآلتها ، وهذا على وجه الاستحسان[١٦] .

وإذا باع الإنسان ارضا زراعية : فإن حقوق الارتفاق ، أى المنافع كحق المرور والشرب والمسيل لا تدخل فى عقد البيع إلا بالنص عليها ، فهل إذا وقف الإنسان ارضا زراعية فإن حقوق الارتفاق لا تدخل إلا بالنص ، أم يجوز أن تدخل دون نص عليها ؟

يذكر الفقهاء أن مثل هذه المسألة يتنازعها قياسان :

الأول : أن يقاس الوقف على البيع باعتبار ان كلا منهما إخراج للعين من ملك صاحبها فلا تدخل تلك الحقوق إلا بالنص عليها ، ويسمى الفقهاء هذا القياس بـ(القياس الجلى) ، اى الواضح الذى يتبادر إلى الذهن .

والقياس **الثانى** هو قياس الوقف على الإجارة باعتبار ان كلا منهما يراد به إفادة ملك المنفعة فقط ، وهى لا تتأتى إلا بحقوق الارتفاق ، ومن ثم تدخل دون نص عليها ، وهذا القياس يسميه الفقهاء بالقياس الخفى ، اى الذى لا يتبادر إلى الذهن ولا يتجه إليه المجتهد إلا بعد تفكير وروية ، ولهذا يرجح الأخذ به استحسانا[١٧] .

ومن ذلك (مسألة سؤر سباع الطير) ، وهو بقية الماء الذى يشرب منه ، فإن سباع الطير كالنسر والحدأة تشبه سباع البهائم فى كون لحمها نجسا لا يؤكل ، وكونها تتغذى من الحيوانات ، وبما ان سؤر سباع البهائم كالسبع والفهد نجس ، فكذلك يكون سؤر سباع الطير نجسا ايضا ، وهذا هو القياس الجلى ، ولكن المجتهد يتجه لقياس آخر خفى ، وذلك أن سؤر سباع البهائم كان نجسا لوجود لعابها فى الماء ، واللعاب يتصل باللحم فهو نجس بنجاسته ، اما سباع الطير فهى تشرب بمناقيرها ، وهو عظم طاهر لا تتخلله نجاسة من دم او لعاب ، فتشبه الإنسان الذى يشرب بفمه وهو طاهر فيكون سؤر سباع الطير طاهرا قياسا على الإنسان استحساناً[١٨] .

استخدام الاستحسان

من هذه الفروع ونحوها مما هو مبثوث فى كتب الفقه يتضح أن الفقهاء قد استخدموا الاستحسان فى حالتين :

(١٥) انظر كشف الأسرار على أصول البزدوى للبخارى جـ ٤ ص ٦ تركيا .

(١٦) انظر ، أصول الفقه للدكتور الزحيلى جـ ٢ ص ٧٤٦ ، وأصول الفقه الإسلامى للشيخ زكى الدين شعبان ص ١٨٢ ط ليبيا .

(١٧) انظر ، أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢١٠ .

(١٨) رواه الشيخان .

وسائل الاجتهاد في الفقه الإسلامي

الأولى : استثناء مسألة جزئية من قاعدة عامة لوجه اقتضى هذا الاستثناء كضرورة أو عُرف أو مصلحة مثل إباحة النظر إلى المرأة للعلاج ، وصحة تبرعات المحجور عليه للسفه ، وصحة وقف المنقول .

الثانية : ترجيح قياس خفى على قياس جلى ، لقوة تأثير ذلك القياس ، كما فى طهارة سؤر سباع الطير ، ودخول حقوق الارتفاق دون النص عليها فى حالة وقف الأرض الزراعية .

ومادام الاستثناء فى الحالة الأولى لوجه يقتضيه ، فإن هذا الوجه هو الذى يعول عليه فى بيان الحكم فهو دليله ، وليس بلازم أن يطلق على هذا كلمة استحسان ، اللهم إلا إذا قلنا : إن هذا أصبح مصطلحا ولا مشاحة فيه .

يبدو أن بعض العلماء يتوسعون فى هذا الاستثناء فيدخلون فيه ما كان استثناء من قاعدة عامة لنص ، أو إجماع ، ويطلقون عليه الاستحسان ، كقولهم : إن السلم ـ وهو بيع شىء غير موجود عند البائع بثمن حال يدفعه المشترى ـ جائز استحسانا ، استثناء من القاعدة العامة التى تشترط وجود المعقود عليه وقت إنشاء العقد ، وأن سند هذا الاستحسان هو السنة المروية عن رسول الله ـ ﷺ ـ فقد نهى عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص فى السلم فقال : « من أسلم منكم فليسلم فى كيل معلوم أو وزن معلوم إلى أجل معلوم »[19] كما قالوا : إن الاستصناع ـ وهو أن يتعاقد شخص مع صانع على أن يصنع شيئا نظير أجر معين ـ جائز استحسانا ، استثناء من قاعدة بطلان كل عقد يكون المعقود عليه وقت العقد معدوما ، وأن سند هذا الاستحسان هو تعامل الناس به فى كل الأزمان ، من غير إنكار العلماء فكان إجماعا[20] .

وفى إطلاق الاستحسان على مثل هذه الصور الفقهية التى دليلها السنة أو الإجماع تجوز لا ضرورة له ، فالمجتهد لا يستند فى حكمه على ترجيح أو مراعاة ضرورة ، وإنما دليله النص أو الإجماع .

أما الترجيح بين قياسين فهو لون من الترجيح بين الأدلة ، أو العمل بأقوى الدليلين ، ثم إن الخفاء والظهور مسألة نسبية ، كما أن قوة التأثير مسألة ترجع إلى النظر والاجتهاد .

ومهما يكن الأمر فهذا الترجيح يئول إلى مراعاة مصلحة أو ضرورة ، أو عرف أو تيسير تماما كاستثناء مسألة جزئية من أصل كلى ، وبذلك لا يكون الاستحسان دليلا ؛ لأنه كما يقول الإمام الشوكانى[21] راجع إلى الأدلة ، ولهذا رأى أن ذكره فى بحث مستقل لا فائدة فيه ، ويبدو أن ذكر الاستحسان وإفراده بالبحث لدى القدماء والمحدثين كان بسبب الخلاف الذى نشأ بين العلماء حوله .. والواقع أن هذا الخلاف لم يكن له ما يسوغه ، وقد شغل العلماء فى الماضى دون فائدة جوهرية ، ودفعهم الجدال والانتصار للآراء إلى تشقيق القول فى ألوان مختلفة من الاستحسان ، وبيان العلاقة بينه وبين القياس ، وكذلك العلاقة بينه وبين المصلحة المرسلة ، وتابع

(١٩) انظر أصول الفقه الاسلامى للشيخ زكى الدين شعبان ص ١٧٩ ط ليبيا .

(٢٠) قال الشوكانى ، فى إرشاد الفحول ص ٢٤١ : فعرفت بمجموع ما ذكرنا أن ذكر الاستحسان فى بحث مستقل لا فائدة فيه أصلا ؛ لأنه إن كان راجعا إلى الأدلة المتقدمة فهو تكرار ، وإن كان خارجا عنها ، فليس من الشرع فى شىء ، بل هو من التقول على هذه الشريعة بما لم يكن فيها تارة ، وبما يضادها أخرى .

(٢١) جـ ٢ ص ١٣٦ ط دار الفكر ، دمشق .

جمهور المحدثين والمعاصرين منهج القدماء فى الحديث عن الاستحسان ، فعرضوا لكل ما أثاره هؤلاء من قضايا ومسائل ، وكان الأولى بهم الا يفعلوا ، لأن معركة الاستحسان فى الماضى والحاضر معركة فى غير ميدان ، سببها عدم تحرير المراد منه .

واختم الحديث عن الاستحسان بما قاله الإمام الشاطبى فى الاعتصام قال : « وأما الاستحسان فإن اهل البدع ايضا تعلقوا به فإن الاستحسان لا يكون إلا بمستحسن ، وهو إما العقل او الشرع .

اما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرغ منهما ؛ لأن الأدلة اقتضت ذلك ، فلا فائدة لتسميته استحسانا ، ولا لوضع ترجمة له زائدة على الكتاب والسنة والإجماع ، وما ينشأ عنهما من القياس والاستدلال ، فلم يبق إلا العقل هو المستحسن ، فإن كان لدليل فلا فائدة لهذه التسمية ، لرجوعه إلى الأدلة لا إلى غيرها ، وإن كان بغير دليل فذلك البدعة التى تستحسن » .

والشاطبى فى هذا النص على إيجازه حلل مرد الاستحسان ، وبين أنه لا فائدة من هذه التسمية مادام الأمر يرجع إلى الأدلة لا إلى غيرها ، وهو بهذا يرفض دراسة الاستحسان كموضوع من موضوعات علم الأصول ، على ذلك النحو الذى درسه به القدماء واقتفى اثرهم فيه المحدثون ، ويكفى أن نومىء إلى هذا المصطلح فى ثنايا الحديث عن مآلات الأفعال ، أو المقاصد العامة للشريعة ، ولا ينبغى أن نشغل انفسنا بما شجر بين العلماء من خلاف حوله ، فلا ثمرة لهذا الخلاف ، كما لا ينبغى أن نسلك هذا المصطلح فى الأدلة المختلف فيها ، لأنه إن كان راجعا إلى الأدلة فذكره تكرار وإن كان خارجا عنها فليس من الشرع فى شىء .

"ندوات الأزهر"

إذا كانت آمال العرب والمسلمين تتجه إلى مصر ، فإن مصر بدورها تتجه إلى الأزهر الشريف الذى سمقت مآذنه إلى السماء منذ الف عام يؤدى حق الله بتبليغ دعوته ، وإقامة حجته ونشر دينه ، وتعاليم احكامه ، فهو المعقل الوحيد الذى ثبت لحملات الغير ، فانتهت إليه امانة الرسول ، واستقرت به وديعة السلف واستعصمت به لغة القرآن .

ولقد استن القائمون على أمر الأزهر الشريف سنة حسنة فى شهر رمضان المعظم هذا العام وذلك بإقامة ندوات دينية شملت العديد من المحافظات ، شارك فيها كوكبة ممتازة من العلماء الأفاضل دفعهم إلى الإسهام فى هذه الندوات إيمانهم بأن عليهم الكثير من الواجبات لقاء ما وهبهم الله من كفاية دينية ، وما ميزهم به من مستوى فكرى رفيع .

ولأن هذه الندوات صادرة عن إيمان وعقيدة صادقة ، ولأنها ـ ايضا ـ تمثل قوة المنطق الإنسانى فى الحجة ، وتحمل من الحقائق الدينية ما يبصر المسلمين بمكانتهم على نحو ما دعا إليه رسول الله ـ ﷺ ـ لاقت هذه الندوات إقبالا جماهيريا كبيرا .

ولعل الله يجعل منها توجيها سديدا ودعوة ليقظة مباركة تعيد للمسلمين امجادهم وتهيىء لهم فى الحياة مستوى إنسانيا كريما .

عبد الحفيظ محمد

حوار على حوار

الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى

رد لفضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض

كتب الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى كلمته التى نشرت بمجلة (منار الإسلام) بعنوان « رأى جديد جرئ حول المصحف الشريف » بعدد شهر ربيع الأول سنة ١٤١١ ص٦ . والأستاذ الدكتور البيومى أعرفه ، كما أعرف مايجب له من إعزاز وتقدير وتكريم ، فهو عالم أديب صحب ركب « العربية » الزاهر زهاء نصف القرن لا يبخل على بحوثها ، ولا يكل عن التنقيب فى أمرها ثم هو - فوق ذلك - الزميل الكريم الذى جمعنا وإياه هذا الأزهر الشريف ، فإن عرج بقلمه إلى الكتاب العزيز فهو المحب الذى يؤدى عن اجتهاد .

لذلك أرسل بهذه الكلمة - لأخى ، وللقراء حتى نقف من « رأيه » موقف بحث فى تؤدة تؤدى بنا إلى حق ولقاء كريم .

يتلخص رأى الدكتور البيومى فى أمرين :

أولهما : أن الأكثرية من قراء كتاب الله العزيز يلتزمون التزاما مطلقا بما جرى عليه العرف من تقسيمه إلى « أجزاء » فـ « أحزاب » و « أرباع » وفق ماجاء فى المصحف الشريف ، فالقارىء يبدأ القراءة أحيانا بأول الجزء ، كما يبدؤها أحيانا بأول الحزب أو أول الربع ، وأكثر هذه الابتداءات واضح المعنى لا لبس فيه ، إذ يأتى القول الجليل غير متصل مما سبقه فتتم المعانى القرآنية على وجهها الحميد .. ثم يستطرد فيقول :

ولكن الواقع الملموس يقدم لنا أمثلة لا يصلح الابتداء بها صلاحية توضح المرمى لمن لا يحفظ كتاب الله - تعالى .

كما يقدم لنا أمثلة لا يصلح الوقوف عندها ، إذ تبقى المعانى المتصلة مطردة السياق فيظل السامع متعطشا إلى تالٍ يكمل الموضوع ...

وضرب الدكتور البيومى أمثلة عدة لبدايات ونهايات لا يستقيم معها المعنى تاما فى ذهن السامع غير الحافظ لكتاب الله .

ثانيهما : اقتراحه تأليف لجنة علمية لتنظر إلى

● الكاتب : وكيل لجنة مراجعة المصحف بمجمع البحوث الإسلامية .

هذه الوقوف المعترض عليها . ثم لتضع الوقوف المناسبة . أ هـ .

يريد الدكتور أن تكون تلك الوقوف التى تنتهى إليها اللجنة فى القرآن موضوعة بهامش المصحف ، كما هو الحال الآن حيث توجد الأجزاء والأحزاب والأرباع .

ثم حوت كلمته بيانا بأن هذا التقسيم - كما نقل السيوطى - فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى ... واعقبه بدراسة نسبت التقسيم إلى ابى بكر بن عياش الذى لحق بربه عام (١٩٣) هـ .

اقول - لأخى الدكتور - والله المستعان :

اما ما قلت بشأن القراء - لا المصحف - فأنا أؤيدك فيه ؛ بل أزيد فأقول : إن من القراء من يسىء إلى نفسه وإلى القرآن العزيز ، وإلى الناس حين يرضى لنفسه أن يختار من الكتاب العزيز آيات بعينها ليقرأها ، ثم يتوقف عن المضى فيما يليها خشية أن يسىء إلى أحد .

وإلى القراء - قراء مجلة الأزهر ثم منار الإسلام ، وإلى أخى الدكتور البيومى - أسوق هذه العبارات القصار للإمام عَلَم الدين على بن محمد السخاوى من كتابه العاشر « علم الاهتداء فى معرفة الوقف والابتداء » وذلك من كتابه القيم .. « جمال القراء وكمال الإقراء » ص ٥٥ ومابعدها من الجزء الثانى . قال .. رحمه الله :

« أجاز حمزة الوقف حيث ينقطع النفس إلا نحو قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ لا يقف على (قالوا) ولا يقف على (اليهود) فى قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ولا على (اليهود) ، فى قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ ﴾ ولا على (النصارى) فى قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ١ هـ .

فمثل هذه وقوف تفسد المعنى ، بل تؤدى إلى خلط اثيم ، مُنِعَ الوقف عليها حتى فى حال الضرورة ...

لقد أساء كثير من القراء فيما يفعلون ، والحمد لله أن الأخ الدكتور البيومى قد أشار - بصراحة - إلى أن أغلبهم ليسوا بعلماء ، ولقد قال الإمام السخاوى أيضا : « إن من الفواصل مالا يحسن الوقوف عليه كقوله - عز وجل : - ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ لأن المراد : فويل للساهين عن صلاتهم المرائين فيها ، فلا يتم هذا المعنى إلا بالوصل » ٥٥٣/٢ .

وذلك يعنى أن على القراء للكتاب العزيز أن يتقوا الله ويعلموا مايجب عليهم نحو كلام الله وقفا وابتداء فلا يفسدون على الناس معانى التنزيل الجليل ، فإن الإساءة إلى التنزيل إساءة للمولى .. عز وجل .. نسأل الله الرحيم لنا ولهم أن يجنبنا إياها .

ثم نعود إلى المصحف فأقول لأخى الدكتور - بعد شكرى الغزير له :

لا ، يادكتور فأما كتاب الله .. تعالى - فينبغى صيانته عن امتداد الأيدى إليه حتى بهذه الفكرة التى لا تمسه فى شىء .

إننى - وأرجو أن يكون أخى الدكتور معى - انبذ هذا العمل ؛ فإن لجنة كالتى يقول ستفتح الباب إلى لجان ... وعصور ... لجان تقول : جاز كذا وكذا ، وتتالى العصور فلا نعلم : ماذا يكون من الأحداث ...

اخى الدكتور .

اذكرك ياأخى بأمر الكعبة المشرفة :

حول على حول

اليس قد قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ـ وأورد ذلك البخارى ـ رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعائشة : ياعائشة لولا أن قومك حديث عهدهم ـ قال ابن الزبير : بكفر ، لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب يدخل الناس ، وباب يخرجون » ففعله ابن الزبير . أهـ صحيح البخارى .

وحتى يلم القراء بهذه الواقعة أسوق لهم رواية الإمام ابن ماجه ـ رضوان الله تعالى عليه ـ قال .. بسنده إلى الأسود بن يزيد عن عائشة ـ رضى الله عنها ؛ قالت :

سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحجر ـ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : هو من البيت ، قلت : مامنعهم أن يدخلوه فيه ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم : عجزت بهم النفقة ، قلت : فما شأن بابه مرتفعا لا يصعد إليه إلا بسلم ؟ قال : ذلك فعل قومك ليدخلوه من شاءوا ويمنعوه من شاءوا ، ولولا أن قومك حديث عهد بكفر مخافة أن تنفر قلوبهم لنظرت : هل أغيره فأدخل فيه ماانتقص منه ، وجعلت بابه بالأرض ، صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

أخى دكتور البيومى .

لقد فعل ـ ابن الزبير هذا الأمر ـ وأنت بذلك ادرى ـ عام (٦٥هـ) ثم اعيد بناء الكعبة على ما كانت عليه قبل بناء ابن الزبير ـ رضى الله عنهما . ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يعيد الكعبة على أساس إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لصحة الخبر الوارد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى سقناه عن عائشة رضى الله عنها لكن نصحه الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ بترك هذا الأمر ، وكان مما قال لأبى جعفر :

أخاف أن يكون البيت نهبا للملوك فتضيع هيبته ، يأتى هذا فيقول : أصنعه على ماكان عليه ، ويأتى الثانى فيقول كذا ، فهذا يزيد وهذا ينقص » رضى الله تعالى عن الإمام مالك .

ولقد جاء فى ترجمة البخارى لحديث الكعبة هذا قوله :

(باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه) .

وقال الإمام ابن حجر ـ رضى الله عنه فى فتح البارى ١٩٩/١ : ط أولى « ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع فى المفسدة ، ومنه : « ترك المنكر خشية الوقوع فى انكر منه .

وإن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولا مالم يكن محرماً .

أخى د/ البيومى :

لقد صحبتَ وصحبتُ زمانا قام فيه خصوم هذا الدين، حتى من بعض من يحملون شعاره ـ بمحاولات ترمى إلى زعزعة شىء من أحكامه الشريفة فى النفوس .

فنادى فريق بكتابة المصحف بالخط الإملائى ..

وآخرون أرادوا حشو الكتاب العزيز بعلامات الترقيم من استفهام وتعجب وفصلة ونقطة .. الخ .

بل ذهب بعضهم إلى المطالبة فى مؤتمر باختصار القرآن العزيز .

فلما ضُيِّقَ عليهم اتجهوا إلى السنة يذبذبون الناس فى أمرها .

وحاشاى ، وإياك أن نحدث فى القرآن حدثا

البقية ص ١١٦١

عصر الإيمان

للدكتور: محمد رجب البيومي

جميع الدلائل توحي باننا مقبلون على عصر جديد ، عصر يستقبل الإيمان استقبالا مطمئنا تؤيده الحجج ، وتسنده البراهين ، ويُشَيِّعُ الإلحاد تشييعاً لاحزن فيه ولاهم ، بل تنفيس للصعداء ، كمن ازيح عن صدره عبء ثقيل ، فقد كان القرنان التاسع عشر والعشرون من اسوأ قرون التاريخ عصفا بالحقائق ، وتزييفاً للمقررات ، وتهجما على المقدسات ، لا بالرأى المقنع ، والدليل الحاسم ، بل بالشبهة العارضة ، والخاطر السانح ، والوهم الخادع ، حتى وقر لدى الكثيرين ان الشبهة حجة ، وأن الخاطر برهان ، وان الوهم قياس منطقى تترتب فيه المقدمات على نسق مطرد لتفضى إلى النتائج الناطقة ببطلان كل ما لا تراه العين او تسمعه الأذن مادام خارجا عن دائرة المحسوس المنظور !

مضى القرن التاسع عشر بشره ، واكبر شر جلبه للناس هو رواج الأسطورة الداروينية على نحو متسع فسيح ، لان صاحب النظرية العلمية ، واقول النظرية من باب التسليم الجدلى فقط : لأن النظريات لاتقوم على الفرض بل تعتمد على قدر اكبر من اليقين ، وقد اعترف داروين ان رأيه فى نظرية التطور فرض يجعل المصادفة اقوى دلائله ، ولن تكون المصادفة دليلاً مقنعا ! اقول إن صاحب نظرية التطور لم يرد ان ينتقل بها إلى مسالة الوجود الاول للكون ، وما جال بخاطره ان تتخذ وسيلة للطعن فيما جاءت به الأديان عن أصل الإنسان : ولكن ذوى الاهواء المنحرفة شاءوا أن يجعلوها مطية الإلحاد ، لأنهم لايطيقون قيود الإيمان ، وقد تعاظمهم ان ياتوا الفجور فيجدوا من يحذرهم بطش الرقيب المحاسب فى يوم تشخص فيه الأبصار ، ويقوم الناس لرب العالمين ، فلينكروا هذا اليوم ، وليجعلوا نظرية التطور إحدى الدعائم القوية فى هذا الانكار ...

وجاء أصحاب الدراسات الإنسانية ، ليجعلوا نظرية التطور ركينتهم الوطيدة فى هذه

عصــــر الإيمــــان

الدراسات ، وهى نقلة من العمليات إلى النظريات ، نقلة أحبوها تسهل لهم أن يعصفوا بالدين ، فلا تكون له حقيقة أصيلة فى دنيا العلم والعلماء ، فأساطين علم الاجتماع يتركون لُباب القضايا الاجتماعية ليبحثوا فى أصل الدين على ضوء نظرية التطور التى تقول بالارتقاء من الأسهل إلى الأصعب ، فإذا الدين ـ عندهم ـ قد نشأ عن أساطير فى العالم البدائى ، حيث كان الإنسان الأول فى وهمهم يخاف الظواهر الطبيعية من برق ورعد ومطر وشمس ، فاتجه إلى عبادتها ، وقام دينه على الخوف ، ومازال يخاف ويخاف حتى اتخذ لنفسه إلها يخافه ، إلها لا وجود له إلا فى عالم التفكير البدائى ، حتى إذا نضج فكره تجاوز دور البدائية إلى ما بعدها من تعقل يقوم على التفكير العلمى تارة وعلى النظر الفلسفى تارة ، وإذن فالقول بـ(الإله) وهم لا حقيقة له ، وما الدين إلا ركيزة هذا الوهم البعيد ! لقد أتاحت لهم نظرية التطور أن ينزعوا عن كواهلهم أعباء الرجولة ، وتكاليف المروءة وقيود العفة ، أو بمعنى آخر أتاحت لهم نظرية التطور أن يتطوروا إلى الأسفل ، لا إلى الأعلى فلا يكونون أناسيَّ بل حيوانات !

وإذا كان للدين أنصاره الذين يجادلون عنه بالحق الناصع ، وقد فهموا مدلوله الصحيح الذى لا مرية فيه ، فلابد ـ لأتباع دارون ـ من تحريف هذا المدلول ، وبدل أن يكون الدين علاقة وطيدة بين الخالق والمخلوق تقوم على اتباع ماسنه من قوانين العدالة والإخاء والمساواة ليستقيم نظام الكون على أقوم صراط ، أصبح الدين عند هؤلاء مجموعة طقوس وتقاليد ، أكدتها الأيام لتصبح شرعة متبعة !! وهو تعريف هش يسهل نقضه ، وإذا كان هو التعريف الوحيد لديهم فلابد أن نهجم على الطقوس البدائية والتقاليد الخرافية ليتم الهجوم على الدين ، فلا يصح له وجود عقلى !!

وإن تعمد الخيانة فى هذه التعريفات الخاصة بالألوهية والدين وسائر المعتقدات السماوية يدل على أن أصحاب هذا التحريف المقصود لا يستشعرون أدنى كرامة علمية تلزمهم بتحرى الحقائق ، فليسوا ممن يجهلون أثر الدين فى سعادة الإنسان ، وسلامته من الأرجاس إذا التزم بما يأمر ، وارتدع عما ينهى ، كما يعرفون كيف كان المتدينون سادة العالم يوم تمسكوا بمبادىء الدين الصحيح ، فقادهم إلى الحضارة المزدهرة والرخاء السعيد .

نعم إنهم يعرفون هذه الحقائق إذ هى مدونة فى صحائف متكررة تقرؤها الأجيال جيلا بعد جيل ، ولكنهم يتعمدون إغفالها ليستقيم التعريف الخرافى للدين فيكون تقاليد بدائية وطقوسا خرافية ابتدعها الإنسان الأول فى ماضيه البعيد ..

يجىء القرن العشرون بعد القرن التاسع عشر فيضيف إلى الإلحاد مذهباً مدمراً هداما هو (الشيوعية) التى اعتمدت على الحديد والنار فى انتشارها ، ولم تقف عند الدعوة بالمنطق الواضح ، والدليل المقنع ، فتجذب النفوس عن يقين ، وإذا كان الدين أول مناهض للبطش ، فقد جعلت الشيوعية الدين ألدَّ أعدائها ، وأظهر خصومها ، فأنتجت المعاول لهدم بنائه ، وراج فى الناس ما يقال على لسان الشيوعيين من أن الدين (أفيون الشعوب) أى أنه يخدر العقول فلا تفهم طريق سعادتها !!

ولو كان الدين مخدرا للشعوب مالازم الإنسانية منذ ميلاد آدم إلى أن يقوم الناس لرب

العالمين ، فكل إنسان يشعر فى أطوائه بقدرة تهديه ، وقد كانت السبب فى إيجاده ، وبدونها لم يكن شيئا مذكورا ، والملحدون انفسهم لايجزمون جزما اكيداً بنفى هذه القوة ، ولكنهم يشكون ويترددون ، بل إن أعرق فلاسفة الماديين أمثال هربرت سبنسر قد انتهى إلى وجود (قوة فعالة) دبرت أمور الكون ، وإن أنكر معرفة حدودها ، والقوة الفعالة التى يقول عنها سبنسر هى (القدرة الإلهية) عند المؤمنين . وبذلك تضاءلت شقة الخلاف إلى حد كبير .

أجل جاءت الشيوعية فرأت سطوة الدين ، وقوة نفوذه ، فذهبت إلى إنكاره ، مدعية ان رجال الدين كانوا السبب فى مظالم البشر ، وهم الذين مكنوا الملوك والأباطرة من استغلال الناس ، إذ زينوا لهم الزهد ، والعزوف عن الحياة لتكون مباهجها حجراً محجوراً على نفر قليل من الرؤساء !

وانت تسأل : هل كان (رجال الدين) فى جميع الأديان أداة تنويم وتخدير ؟ حتى يكون الدين تعويذة تنويم ، وأداة انصراف عن شئون الحياة !

إن المسيحية فى لُبابها إخاء ومحبة ، ومن شذ عن أصولها فليس من رجال الدين ، مهما انتسب إليه وتزيى بأزياء الأحبار والرهبان ، والإسلام منذ أشرق نوره على الآفاق أوجد من علمائه من جابهوا الطغيان ، وراوا الباطل فى فترات معينة فما وهنوا فى مقاومته ، بل قادوا المسلمين إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فكيف يكون الدين مخدرا للشعوب ، وملهيا عن اداء الحقوق ؟ لقد حاربت الشيوعية الإسلام فيما استولت عليه من بلاده الأصيلة محاربة ضارية ، وكأنه أعدى أعدائها .

فهل كان الإسلام كما زعمت مخدر عقول ، وأفيون رءوس ، أو كان عامل يقظة حية ، وباعث حرية كريمة فى حياة زاهية ذات حضارة وتمدن ؟

إننا نطالع تاريخ الإسلام فى مد عصوره فنجد علماءه سيوفاً تحطم رقاب البغى ، وتجابه الطغيان فى ميدانه الرهيب !

ألسنا نجد أمثال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، ويحيى بن يعمر والحسن البصرى يواجهون الحكام فى العصر الأموى هاتفين بكلمة الحق ؟

ألسنا نجد عمرو بن عبيد وأبا حنيفة النعمان ومالكا وابن حنبل وابن السكيت والأوزاعى ومن لا نحصى من الأفذاذ يجابهون الطغاة فى العصر العباسى ؟

ألسنا نجد سلسلة لا تنقطع حلقاتها إلى الآن تضم أمثال العز بن عبد السلام وابن تيمية والمنذر بن سعيد وابن دقيق العيد ومحيى الدين النووى من علماء العصر المملوكى إلى ورثتهم من بعدهم فى شتى الأقطار الإسلامية ممن صدعوا بالحق ، وعرفوا الشعوب حقوقها كما جاء بها القرآن !

فكيف تحارب الشيوعية الإسلام بضراوة لم تعهد ، واصمة إياه بأنه مخدر شعوب ؟

إن هذا البلاء النازل على الناس قد امتد ليله قرابة ثلاثة وسبعين عاما حتى أدركه الزلزال الرهيب ، فهوت الشيوعية فى منابت جذورها ، وتبرأت منها الدول التى أجبرت على اعتناقها حين رأت أنها وحدها كانت المخدر الرهيب ، الذى أكل عقول من غرتهم الظواهر الخادعة فانساقوا مبهورين ، ادعت الشيوعية أنها جاءت لتطعم الناس على قدم المساواة ، ثم تكشف الواقع عن مرارة كارثة حين وجد المخدوعون أن الرؤساء وحدهم كانوا أصحاب الرفاهية الملكية التى لم

عصر الإيمان

يحلم بها أعرق السلاطين ، وأكبر الأباطرة فى التاريخ ، وأن الإفلاس والقحط كان من نصيب الذين يزرعون ولا يأكلون ويعملون ولا يكسبون !

لقد انهارت الشيوعية قبل أن ينتهى القرن العشرين بعقد كامل ، وعلم الناس شرقاً وغرباً أن ظلاماً دامساً قد انجاب إلى غير رجعة ، وأن الإلحاد الشيوعى قد فسح الطريق لرسالة الإيمان كى تسطع أنوارها فتمحو الغياهب من جديد ! لقد انقضى عصر الإلحاد ، وأشرق عصر الإيمان ليعود إلى النفوس الحائرة أمنها المستقر ، وللقلوب الجريحة بلسمها الناجع ، وللعيون الكحيلة نورها الهادى ! ولن يأتى ذلك كله إلا عن وحى السماء ، وشريعة رب العالمين ..

لقد وهت أركان الإلحاد ، وتطلع الناس إلى عصر الإيمان ، لينقذ من شرور داهمت الناس ، أهونها هذه الحروب المدمرة ـ ومنها حربان عالميتان ـ روعت فيها الأسلحة المبيدة ملايين الآمنين دون جريرة ، فأسقطت المنازل ، وفجرت الزلازل ، ونشرت الخراب فى كل مكان ، حيث الثواكل الباكيات ، واليتامى من الأطفال والمعوقون والمشوهون ممن تساوت حياتهم كثيراً مع الممات .

أفلو كان الإيمان يشرق بنوره ، فعرف مثيرو الحروب ، وتجار الأسلحة أنهم محاسبون على ما يقترفون .

أفلو كان الإيمان يشرق بنوره فعرف مخترعو الديناميت والقنابل الذرية ، والصواريخ القاذفة أنهم مسئولون عن تسخير العلم فى الشرور ، وتدبير الاكتشافات المذهلة للإبادة والاستئصال !

أفلو كان الإيمان يشرق بنوره فى هذين القرنين لحاسب كل مجرم نفسه قبل أن يفكر فى الدمار بل لحاسبت الشعوب المؤمنة رؤساءها حين يدفعون بها إلى معارك طاحنة طمعا فى سيطرة كاذبة ، واستعلاء مقيت .

إن ضياع السلام فى قرنين مظلمين كريهين ، قد كشف للعقول ماران عليها من غشاوة كثيفة إذ صارت الحياة سباقا وحشيا يعتمد على الأنياب والمخالب دون ارتقاب لعدل إلهى يردع الظالم وينصف المظلوم لقد انحدر الناس فى سيطرة المذاهب المنحرفة من قمة الإنسانية إلى حمأة الحيوانية ، لأن الحيوان هو الذى يحيا دون إيمان سماوى ، فيعيش فى الغاب فى صراع مع الأضداد المتنازعة ، فرحا بالنصر تارة ، شقيا بالهزيمة تارات ، حتى يحين فناؤه فلا يعود شيئا يذكر ، فإذا أنكر الإنسان إيمانه بربه ، فما أتعسها حياة تقضى به بعد العراك المرهق إلى فناء بائد ، ككلب يموت بمدرجة الطريق .

هذا الهوان الإنسانى المرير قد ضاعف من مأساته ماتخلص منه الماديون من قوانين الخلق الفطرى ، وتعاليم الدين السماوى ، ولِمَ ينهضون بأعباء الفضيلة وتكاليف الكرامة ؟ وهم يعتقدون أن الموت فناء أبدى لا يعقبه بعث أو حساب ، وأن غرائزهم الهابطة لتدفع بهم إلى خضم الموبقات المنكرة ، فيجترحون السيئات دون رقيب ، وهم يقولون كما قال أسلافهم من قبل ﴿ مَاهِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الجاثية ٢٤

هذا عن المجتمع بعامة .

أما الفرد بخاصة ؛ فما أتعسه حين يتعامل مع إنسان لا يؤمن بثواب أو عقاب !!

إن الشكوك تمنع الثقة ، وتدعو إلى الارتياب ! إنك حين تتعامل مع إنسان يؤمن بربه ، تطمئن كثيراً إلى كلمته الصادقة ، وتدع لديه مالك وسرك

ووثائقك ووصاياك دون هاجس من ظن يحوم حوله ؛ لأن إيمانه سياج يقى من الغدر ، تأتمنه على ابنتك وعلى ولدك الصغير حين يحتاج إلى من يرعاه بعد ارتحالك ، أما حين تتعامل مع إنسان مادى لايخشى جزاء ، أو يحذر عقابا فأنت منه على مثل موج البحر ؛ لأن ظروف خيانته أكثر كثيراً من أحوال أمانته فإذا وجدت الخيانة لدى المؤمنين بنسبة خمسة فى المائة أو عشرة على الأكثر ، فإنها بين الماديين شىء طبيعى قد تبلغ درجتها التسعين !! ومن تمسك بالفضيلة من هؤلاء فهو استثناء لايمثل القاعدة التى تطرد فتشمل المجموع لا الجميع !

وحسبك من مبادئهم : « الدول بطبيعتها أعداء ، والغاية تبرر الوسيلة ».

لقد تولى عصر الإلحاد ، وجاء عصر الإيمان ليقارن المنصفون بين اطمئنانهم الراسخ ، وقلقهم الملحد ، فيرون الاطمئنان راحه نفسية ، والقلق زلزلة راجفة لاتغمض بها عين أو يرقد معها جنب .

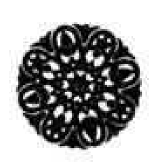
إلى من يلجأ المريض إذا فقد إيمانه وعجز الطب عن مداواته .

إلى من يلجأ المظلوم إذا دلس الظالم على العدل فأخذ مال غيره بسطوة القضاء .

وإلى من يلجأ من أصيب قضاء وقدرا بما بتر ساقه أو فقأ عينه ؛ إنه إذا كان مؤمناً فقد أوى إلى ركن شديد ، أما إذا كان مادياً فقد قذفت به الأوهام فى قلق لايزول إلا حين تزول الحياة .

يتحدث بعض الملحدين عن نفسه فيقول : لقد كنت فى بعض الأوقات أتصور نفسى دون إيمان ، كأننى أجلس على قمة مرتفعة لقطعة من الأرض ممتدة إلى البحر يحيط بها الماء من كل مكان ، فأجد نفسى محاطا بالمجهول من كل ناحية ، كأنى أقف فى إقيانوس لاساحل له ، وليس لدى سفينة ، أو شراع أو بوصلة فسألت نفسى عند ذلك ، مامعنى هذا التأمل فى المجهول إن لم يكن انفجاراً للعاطفة الدينية ، التى زادها العلم المحسوس قوة بدل أن يطفىء جذوتها ..

وإذا كانت التجربة أكبر أستاذ فإن تجربة قرنين مريرين فى ظلام الإلحاد ، كفيلة بأن تسرع بالناس إلى الفطرة الطبيعية المؤمنة ، وإذ ذاك يحمدون الله على النجاة ، كما يحمده من يستيقظ من كابوس مرعب تملأه المزعجات ، ليجد نفسه نائماً على فراشه بعيداً عما كان يتهدده فى نومه الثقيل ...



الصوم عن الغير

في الفقه الإسلامي ٢

د. حسين محمد قنديل

أدلة الرأى الثاني :

١ ـ عن عروة عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من مات وعليه صيام صام عنه وليه (٣٦) .

دل الحديث على أنه يصوم الولى عن الميت إذا مات وعليه صوم ، أى صوم كان . (٣٧)

٢ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « جاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « يارسول الله إن امى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : نعم ، فدين الله أحق ان يقضى » (٣٨) . دل الحديث على جواز صوم الولى عن الميت (٣٩) .

٣ ـ عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه ـ رضى الله عنه ـ قال : بَيْنَا أَنَا جالس عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أتته امرأة فقالت : إنى تصدقت على امى بجارية وإنها ماتت . قال ، فقال : وجب أجرك وردها عليك الميراث قالت : يارسول الله ، إنه كان عليها صوم شهر افأصوم عنها ؟ قال صومى عنها . قالت : إنها لم تحج ؟ افأحج عنها قال حجى عنها . (٤٠) .

دل الحديث على جواز صوم الولى عن الميت وإن لم يوص بذلك (٤١) .

علق ابن حجر على الأمر الوارد بالصيام فى الأحاديث السابقة فقال ـ بعد أن ذكر « صام عنه وليه » : (خبر بمعنى الأمر ، تقديره : فليصم عنه وليه ، وليس هذا الأمر للوجوب عند الجمهور ، وبالغ إمام الحرمين ومن تبعه فادعوا الإجماع على ذلك ، وفيه نظر ؛ لأن بعض أهل الظاهر أوجبه فلعله لم يعتد بخلافهم على قاعدته) (٤٢) .

٤ ـ ولأن الصوم عبادة تجب بإفسادها

---

(٣٦) صحيح مسلم مع شرح النووى ٢٣/٧ .
(٣٧) نيل الأوطار ٢٣٦/٤ .
(٣٨) فتح البارى ١٩٢/٤ .
(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٦/٧ .
(٤٠) المرجع السابق .
(٤١) نيل الأوطار ٢٣٧/٤ .
(٤٢) فتح البارى ١٩٣/٤ .

الكفارة فجاز أن يقضى عنه بعد الموت كالحج [٤٣] .

الراى الثالــث : [٤٤]

يرى الظاهرية ، وأبو ثور ، وأبو سليمان وغيرهم : أن من مات وعليه صوم فرض من قضاء رمضان ، أو نذر ، أو كفارة واجبة ، فَفَرْضٌ على أوليائه أن يصوموه عنه هم أو بعضهم ؛ ولا إطعام فى ذلك أصلاً ، أوصى به أو لم يوص به ، فإن لم يكن له ولى استؤجر عنه من رأس ماله من يصومه عنه ، ولابد أوصى بكل ذلك أو لم يوص ، وهو مقدم على ديون الناس .

أدلة الظاهرية ومن معهم على أن الصوم عن الميت فرض

١ ـ قوله تعالى : [٤٥] ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ . دلت الآية بعمومها على أن الدين أياً كان نوعه يقضى ، والصيام الذى على الميت دين : فيلزم الورثة قضاؤه عنه بالصيام .

٢ ـ ذكر ابن حزم حديث عائشة وابن عباس وعبدالله بن بريدة السابق فى أدلة الرأى الثانى ثم قال : [٤٦] هذه السنن المتواترة المتظاهرة التى لايحل خلافها تدل على أن من مات وعليه صوم ففرض على أوليائه أن يصوموا عنه ، أو يستأجروا من يصوم عنه) .

٣ ـ واستدل ابن حزم على مذهبه بالمعقول فقال : [٤٧] (وكلهم يقول : يحج عن الميت إن أوصى بذلك ، ثم لا يرون أن يصام عنه وإن أوصى بذلك ، وكلاهما عمل بدن ، وللمال فى إصلاح ما فسد منهما مدخل بالهدى ، وبالإطعام ، وبالعتق) .

الراى الرابع : [٤٨]

قال ابن عباس ، وأحمد ، وإسحق ، والليث ، وأبو عبيد : يصام عنه صوم النذر ، ويطعم عن صوم رمضان .

أدلــــته :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟ قال أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟ قالت : نعم ، قال : فصومى عن أمك [٤٩] .

دل الحديث على أن من مات ، وعليه صوم نذر يصوم عنه وليه .

٢ ـ حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ السابق والذى جاء فيه : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » . متفق عليه [٥٠] .

حمل الحنابلة ، ومن معهم ، حديث عائشة

(٤٣) المجموع ٣٦٧/٦ .
(٤٤) انظر : المحلى ٢/٧ .
(٤٥) الآية ١٢ من سورة النساء .
(٤٦) المحلى ٢/٧ .
(٤٧) المحلى ٣/٧ .
(٤٨) انظر : المغنى ١٤٣/٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى ٢٦/٧ .
(٤٩) صحيح مسلم مع شرح النووى ٢٤/٧ ـ ٢٥ .
(٥٠) مشكاة المصابيح ٦٣١/١ .

الصـــوم عـن الغيــر

على صوم النذر ؛ لأنه قد ورد النهى فى حديث ابن عباس من النبى - صلى الله عليه وسلم - عن أن يصلى أحد عن أحد ، أو يصوم أحد عن أحد ، وقالوا : وفقنا بين هذين النصين بحمل النهى على النيابة فى صوم الفرض ، وحملنا الإذن فى النيابة على صوم النذر .

وقال الشوكانى : [٥١] حديث عائشة (مطلق) ، وحديث ابن عباس الوارد بجواز قضاء صوم النذر عن الميت (مقيد) فيحمل عليه ، ويكون المراد بالصيام صيام النذر .

٢ - وقد قوى ابن القيم مذهب الحنابلة فقال : [٥٢] النذر ليس واجباً بأصل الشرع ، وإنما أوجبه العبد على نفسه ، فصار بمنزلة الدين الذى استدانه ، ولهذا شبهه النبى - صلى الله عليه وسلم - بالدين فى حديث ابن عباس ، والمسئول عنه فيه : أنه كان صوم نذر .

والدين تدخله النيابة ، وأما الصوم فلا تدخله النيابة بحال ، كما لا تدخل الصلاة والشهادتين ، فإن المقصود منها طاعة العبد بنفسه ، وقيامه بحق العبودية التى خلق لها ، وأُمِرَ بها ، وهذا أمر لا يؤديه عنه غيره ، كما لا يسلم عنه غيره ، ولا يصلى عنه .

وسر الفرق : أن النذر التزام المكلف لما شغل به ذمته ، لا أن الشارع ألزمه به ابتداء ، فهو أخف حكماً مما جعله الشارع حقاً له عليه ، شاء أم أبى ، والذمة تسع المقدور عليه ، والمعجوز عنه ؛ ولهذا تقبل أن يشغلها المكلف بما لا قدرة له عليه ، بخلاف واجبات الشرع ؛ فإنها على قدر طاقة البدن ، لا تجب على عاجز .

وعلى هذا لا يلزم من دخول النيابة فى واجب النذر بعد الموت ، دخولها فى واجب الشرع .

يتلخص ما سبق فى أن النيابة تدخل فى العبادة بحسب خفتها ، والنذر أخف حكماً من الواجب بأصل الشرع لإيجابه من نفسه . [٥٣] .

مناقشة الأدلـة

أولاً : مناقشة أدلة الرأى الأول :

١ - نوقش دليل الجمهور الأول وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ بأنه لا يدل على ما وجه به ؛ لأن الحج عن الغير ليس من سعى النائب ؛ وإنما هو من سعى المنوب عنه من حيث النفقة والأجر ؛ لأن نية العمل تعود عليه وليس على النائب .

ولم يوجد فى الآية ما يدل على أن له من سعى غيره عنه ، والصوم عنه من جملة ذلك . ومما يبين تناقض الجمهور فى استدلالهم بهذه الآية : أنهم يجيزون الحج عن الميت ، ولم يعتبروا هذا من سعى الغير عنه . فإن قالوا : إنما يحج عنه إذا أوصى بذلك ؛ لأنه داخل فيما سعى . قلنا لهم ، قولوا بأن يصام عنه كما إذا أوصى بذلك ؛ لأنه داخل فيما سعى . فإن قالوا : للمال فى الحج مدخل فى جبر ما نقص منه . قلنا : وللمال فى الصوم مدخل فى جبر ما نقص منه بالعتق والإطعام .[٥٤] .

---

(٥١) انظر : نيل الأوطار ٢٣٧/٤ .

(٥٢) انظر : تهذيب معالم السنن لابن القيم ٢٨٢/٣ . مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧١هـ .

(٥٣) انظر : كشاف القناع ٣٣٥/٢ . عالم الكتب .

(٥٤) انظر : المحلى ٤/٧ .

٢ ـ ونوقش الدليل الثاني بأنه لا يصلح للاحتجاج ؛ لأن الأعمال المذكورة في الحديث ليست من سعي الغير ، وإنما هي من سعي الإنسان وعمله أو هي آثار عمله ، يقول ابن كثير ـ (٥٥) بعد أن ساق حديث « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به » . يقول : [فهذه الثلاث في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله ، كما جاء في الحديث : « إن أطيب ماأكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه » ، رواه أبو داود والدارمي ، وعند ابن ماجه بإسناد صحيح (٥٦) : (إن أطيب ماأكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم) . والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه ، والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده . هو أيضاً من سعيه وعمله ؛ وثبت في الصحيح « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء »] .

ونوقش الحديث أيضاً بأنه : لا يوجد فيه ما يدل على انقطاع عمل غير الميت عنه ، وعلى هذا فصيام الولي عن الميت جائز ، ومقبول بدلالة الحديث نفسه (٥٧) .

٣ ـ ونوقش قول ابن عمر بأنه يعارض ما ثبتت صحته عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من رواية عائشة ، وابن عباس ، وبريدة . فيعمل بما ثبت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيره (٥٨) .

٤ ـ ونوقش حديث ابن عباس بأنه رأى له وفتوى أفتى بها ، وهذا يخالف ما رواه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثبتت صحته ، والراجح أن المعتبر ما رواه لا ما رآه لاحتمال أن يخالف ذلك لاجتهاده ، ومستنده فيه لم يتحقق ، ولا يلزم من ذلك ضعف الحديث عنده ، وإذا تحققت صحة الحديث لم يُتْرَكِ المحقق للمظنون ، والمسألة مشهورة في الأصول . (٥٩).

٥ ـ ونوقش ما روى عن عائشة في الدليل الخامس والسادس ، وابن عباس في الدليل الرابع بأن عائشة وابن عباس رويا الخبر وتركاه فقول فاسد لوجوه (٦٠) .

أحدها : أنه لا يجوز ما قالوا ، لأن الله تعالى إنما افترض علينا اتباع رواية الصاحب عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يفترض علينا قط اتباع رأى أحدهم .

والثاني : أنه قد يترك الصاحب اتباع ما روى لوجوه غير تعمد المعصية ، وهي أن يتأول فيما روى تأويلاً ما ، اجتهد فيه فأخطأ فأجر مرة ، أو أن يكون نسي ماروى فأفتى بخلافه ، أو أن تكون الرواية عنه بخلافه وهما ممن روى ذلك عن الصاحب ، فإن كل ذلك ممكن فلا يحل ترك ماافترض علينا اتباعه من سنن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما لم يأمرنا باتباعه لو لم يكن فيه هذه العلل ، فكيف وكلها ممكن فيه ؟ ولا معنى لقول من قال : هذا دليل على نسخ الخبر ؛ لأنه يعارض بأن يقال : كون ذلك الخبر عند ذلك الصاحب دليل على ضعف الرواية عنه بخلافه ، أو لَعَلَّهُ قد رجع عن ذلك .

(٥٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٤٦٢ . دار الأندلس بيروت ـ سنة ١٣٨٥هـ .
(٥٦) مشكاة المصابيح ٢/٨٤٤ .
(٥٧) انظر : المحلى ٧/٤ .
(٥٨) انظر : المرجع السابق .
(٥٩) انظر : فتح الباري ٤/١٩٤ .
(٦٠) انظر : المحلى ٧/٥ ـ ٦ .

الصـوم عـن الغيـر

والثالث : أنهم إنما يحتجون بهذه الجملة إذا وافقت تقليدهم ، وأما إذا خالف قول الصاحب رأى أحد منهم فأهون شىء عندهم اطراح رأى الصاحب والتعلق بروايته ، وهذا فعل يدل على رقة الدين وقلة الورع .

والرابع : يمكن أن نقول : لعل الذى روى عن عائشة فيه الإطعام كان لم يصح حتى ماتت فلا صوم عليها .

والخامس : أنه قد روى عن ابن عباس الفتيا بما روى من الصوم عن الميت كما سبق ، فصح أنه قد نسى ، أو غير ذلك مما هو فى علم الله .

وهناك وجه آخر للرد على الاستدلال بما روى عن عائشة وابن عباس ، وهو أن الآثار المذكورة عن عائشة وابن عباس فيها مقال ، وليس فيها ما يمنع الصيام إلا الأثر الذى عن عائشة وهو ضعيف جداً [٦١] .

٦ ـ ونوقش دليل الجمهور السابع بأن الاستدلال بحديث عبادة بن نسى مردود لعلل ثلاث فيه : [٦٢]

الأولى : أنه مرسل . **والثانية** : أن فيه الحجاج بن أرطاة وهو ساقط .

والثالثة : أن فيه إبراهيم بن أبى يحيى وهو كذاب .

وعلى فرض صحة الحديث ، فهو دليل عليهم لا لهم ؛ لأن فيه إيجاب الإطعام عنه إن صح بعد أن مرض ، والحنفيون والمالكيون لا يقولون بذلك إلا أن يوصى بذلك ، وإلا فلا ..

٧ ـ ويمكن أن يناقش القياس بما يأتى :

أ ـ قياس الصيام على الصلاة مردود ؛ لأن الصلاة تدخلها النيابة ، فينبغى أن يكون الصيام كذلك .

يحقق هذا ماقاله ابن حزم [٦٣] : يصلى عنه النذر ، وصلاة فرض إن نسيها أو نام عنها ولم يصلها حتى مات ، فهذا داخل تحت قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فدين الله أحق أن يقضى » ، والعجب أنهم كلهم أجمعوا على أن تصلى الركعتان إثر الطواف عن الميت الذى يحج عنه ، وهذا تناقض منهم لاخفاء به .

ب ـ وقولهم « الصيام عبادة بَدَنِيَّة لا مدخل للمال فيها » ، أيضاً مردود ، لأن للمال مدخلا فى جبر ما نقص من الصوم بالعتق والإطعام ، وهو فى هذا يختلف عن الصلاة ، فلا يصح قياسه عليها .

ثانياً : **مناقشة أدلة الرأى الثانى** :

ناقش المخالفون للمذهب الثانى أدلتهم بما يأتى :

١ ـ المراد بالصيام عن الميت فى حديث عائشة : صيام النذر دون غيره ، وهذا المعنى يزيل التعارض بين حديثى عائشة وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أى أن حديث عائشة مطلق ، وحديث ابن عباس مقيد ، فيحمل عليه . [٦٤] .

وأجيب عن هذا بأنه لا يوجد تعارض بين الحديثين حتى يجمع بينهما ، فحديث ابن عباس

---

(٦١) انظر : فتح البارى ٤/ ١٩٤ .

(٦٢) انظر : المحلى ٧/ ٤ ـ ٥ .

(٦٣) انظر : المحلى ٧/ ٨ .

(٦٤) انظر : نيل الأوطار ٤/ ٢٧٣ .

صورة مستقلة - أى أنه من التنصيص على بعض أفراد العلم، فلا يصلح لتخصيصه ولا لتقييده، كما تقرر فى الأصول - سأل عنها من وقعت له - وأما حديث عائشة فهو تقرير قاعدة عامة، وقد وقعت الإشارة فى حديث ابن عباس إلى نحو هذا العموم حيث قيل فى آخره « فدين الله أحق أن يقضى » . (٦٥)

ونوقش حديث عائشة - رضى الله عنها - من جهة ثانية بأنه - إن صح - يتأول على أن المراد : الإطعام، أى يفعل عنه ما يقوم مقام الصيام وهو الإطعام، وهو نظير قوله - صلى الله عليه وسلم - : « التراب وضوء المسلم إذا لم يجد الماء »، علق الماوردى على الحديث فقال : (سمى المبدل باسم البدل فكذلك هنا) (٦٦) .

وأجيب عن قولهم : (إن صح يتأول على أن المراد الإطعام) : بأن حديث عائشة رواه البخارى ومسلم، وقال البيهقى أيضاً فى (معرفة السنن والآثار) : قد ثبت جواز قضاء الصوم عن الميت من رواية عائشة (٦٧) .

وأجيب عن قولهم : (سمى البدل باسم المبدل) : بأنه صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل .(٦٨) .

٢ - ونوقش حديث ابن عباس بما يأتى :

أ - ضعف بعض الشافعية حديث ابن عباس بما روى عن بريدة بن زريع عن حجاج الأحول عن أيوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال : « لا يصوم أحد عن أحد ويطعم عنه »، وفى رواية عن ابن عباس أنه (فى صيام رمضان يطعم عنه وفى النذر يصوم عنه وليه)(٦٩) .

وأجيب عن هذا بأنه لا يوجد فيما ذكروا مايوجب ضعف الحديث فى الصيام عنه ؛ لأن من يجوز الصيام عن الميت يجوز الإطعام عنه(٧٠) .

وعارض النووى ما قاله بعض الشافعية فقال(٧١) : الصواب الجزم بجواز صوم الولى عن الميت سواء صوم رمضان والنذر وغيره من الصوم الواجب للأحاديث الصحيحة السابقة، ولا معارض لها، ويتعين أن يكون هذا مذهب الشافعى ؛ لأنه قال : إذا صح الحديث فهو مذهبى واتركوا قولى المخالف له، وقد صحت فى المسألة أحاديث كما سبق، والشافعى إنما وقف على حديث ابن عباس من بعض طرقه كما سبق، ولو وقف على جميع طرقه، وعلى حديث بريدة، وحديث عائشة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يخالف ذلك - كما قال البيهقى من أن « الأحاديث المرفوعة أصح إسنادا وأشهر رجالا وقد أودعها صاحبا الصحيحين كتابيهما، ولو وقف الشافعى على جميع طرقها ونظائرها لم يخالفها » - لأن كل هذه الأحاديث صحيحة صريحة فيتعين العمل بها لعدم المعارض لها .

(ب) ادعى البعض أن حديث ابن عباس مضطرب لاختلاف المسئول عنه والسائل(٧٢) .

وأجيب عن هذا : بأن حديث عائشة لا اضطراب فيه، وأما حديث ابن عباس فإن الاضطراب فيه ليس مسلما ؛ لأن السؤال وقع عن نذر، فمنهم من فسره بالصوم، ومنهم من فسره بالحج، والذى يظهر أنهما قصتان،

---

(٦٥) انظر : فتح البارى ١٩٣/٤ - ١٩٤ .
(٦٦) انظر : المجموع ٣٦٩/٦، فتح البارى ١٩٤/٤ .
(٦٧) انظر : المجموع ٣٧٠/٦ .
(٦٨) انظر : فتح البارى ١٩٤/٤ .
(٦٩) انظر : المجموع ٣٧٠/٦ .
(٧٠) انظر : فتح البارى ١٩٤/٤ - ١٩٥ .
(٧١) انظر : المجموع ٣٧٠/٦ .
(٧٢) انظر عون البارى ١٣٦/٣

الصوم عن الغير

ويؤيده أن السائلة فى نذر الصوم (خثعمية) كما فى رواية أبى حريز المعلقة ، والسائلة عن نذر الحج (جهنية) كما تقدم فى موضعه ، وقد ثبت فى أواخر الحج أن مسلما روى من حديث بريدة أن امرأة سألت عن الحج وعن الصوم معا . وأما الاختلاف فى كون السائل رجلاً أو امرأة والمسئول عنه أختا أو أما ، فلا يقدح فى موضع الاستدلال من الحديث ، لأن الغرض منه مشروعية الصوم أو الحج عن الميت ولا اضطراب فى ذلك(٧٣) .

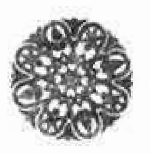
(جـ) ورد الحنفية حديث عائشة وابن عباس لأن فتواهما تخالف ما روياه ، وفتوى الراوى على خلاف مرويه بمنزلة روايته للناسخ ، ونسخ الحكم يدل على إخراج المناط عن الاعتبار(٧٤) .

وأجيب عن هذا : بما سبق أن ذكرناه عند مناقشة حديث ابن عباس فى أدلة الرأى الأول ، ويزيد على ذلك ما قاله صاحب (عون البارى) بعد أن ذكر الاعتراض السابق(٧٥) : (والحق أن الاعتبار بما رواه الصحابى لا بما رآه ، والكلام مبسوط فى الأصول ، والذى روى مرفوعا صريح فى الرد على المانعين) .

٣ ـ ونوقش حديث بريدة بأن بعض الروايات جاء فيها أنها قالت : (كان عليها صوم شهرين)(٧٦) ، والتردد بين الشهرين والشهر يجعل الحديث مضطربا ، وأيضا يمكن تأويل الحديث بأنه : تطعم عنها ابنتها . ويمكن أن يجاب عن هذا بما أجيب به عن دعوى اضطراب حديث ابن عباس . وأما عن التأويل ، فهو ضعيف بل باطل وأى ضرورة إليه ، وأى مانع يمنع من العمل بظاهره مع تظاهر الأحاديث مع عدم المعارض لها(٧٧) .

٤ ـ ونوقش القياس بأنه باطل ، لوجود الفرق بينهما ، إذ أن الحج تدخله النيابة فى الحياة فى حالة العجز ، ولا تدخل الصوم النيابة فى الحياة بلا خلاف(٧٨) .

يتبع بالجزء الأخير



---

(٧٣) انظر فتح البارى ٤/١٩٤ـ ١٩٥
(٧٤) انظر عون البارى ٣/٤٢٥ .
(٧٥) انظر عون البارى ٣/٤٣٦
(٧٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٧/٢٥ ـ ٢٦
(٧٧) انظر المرجع السابق
(٧٨) انظر المجموع ٦/٣٦٩

نظرات في الفقه الأباضي



رأى يعالج مشكلة لنا حاضرة

للشيخ محمد حسام الدين

اعتصم المذهب الاباضي بعمان في اواخر العهد الاموى، وصدر الدولة العباسية.

وكان ابناؤها يرحلون في طلب العلم إلى البصرة فيتلقون عن تلاميذ جابر بن زيد شيخ المذهب، ويعودون إلى بلادهم معلمين.

وغدت عمان منذ ذلك الوقت دار علم، ومطمانا، وموطنا لهم.

وقد نشات بها مدرستان كبيرتان إحداهما في «نزوى» والثانية في «الرستاق»: مدينتين بها. تخرج فيهما عدد كبير من العلماء على تتابع الأجيال.

وكذلك كان للأباضية مدارس في شمال افريقيا انجبت عددا من العلماء. ونحن إذا نظرنا إلى المذهب الأباضي اليوم، وجدنا له فصائل من اتباعه تقيم بالأردن، والعراق، والإمارات العربية، واليمن، وحضر موت، وكذلك في زنجبار، وافريقيا الشرقية، والوسطى، وفي شمال افريقيا: ليبيا وتونس، والجزائر.

اما الموطن الرئيسى للمذهب فهو في عمان.

وفي الحق أن اتباع هذا المذهب واجهوا - فيما مضى - ضغوطا سياسية واجتماعية وابتلاء شديدا في كل موقع، ومع هذا فقد بقيت فصائله على ثباتها، وتمسكها امام مُخْتَلِفِ الظروف، فلم تفقد صلابتها، ولم يؤثر فيها مناخ الكثرة الكاثرة من حولها، من ابناء مذاهب اهل السنة، او المذاهب الأخرى.

ولم تفقد هذه الفصائل خصائص مذهبها، ولم تمحقها العوامل فتذوب في المجتمعات حَوْلَها ولم تتأثر بالغواشي التي غشيت العالم الإسلامي مؤخرا، وما نشهد من تيارات فكرية واجتماعية خطيرة تزلزل الأقدام.

والرأى عندى أن هذه المتانة التي اتسمت بها هذه الفصائل ترجع إلى مبادىء عقدية، وفقهية يختص بها هذا المذهب ومن بينها: حكم فقهى يحرم على المجتهد أن ينصرف عن الرأى الذى يرى أنه أقرب إلى العدل - أى إلى الصواب وقوة الدليل - ليتجه إلى الرأى الذى يرى أنه أضعف في الحجة.

ولا يستثنى من هذه القاعدة إلا أن يكون في الرأى الأهزل في نظره نوع زهد وورع، وفي الرأى الراجح ترك لهذا التنزه والورع.

نظرات فى الفقه الأباضى

أما الضعيف ـ وهو من لاقدرة له على الاجتهاد ، ولا استطاعة له على ترجيح الأقوال ، فإنه إذا أراد أن يقوم بعمل يختلف الفقهاء فى حكمه ، يجب عليه أن يشاور من قدر على مشورته من العلماء والفقهاء ، استعانة بهم لطلب الرأى الأعدل ، ولا يجوز له أن يأخذ بقول مفضول مع وجود الفاضل وفى مكنته أن يسأله عنه .

قال السالمى [1] : « يحرم على المجتهد العدول عن الرأى الذى يرى أنه هو الأقرب إلى العدل للأدلة التى عنده عليه ، والأخذ بالرأى الذى يرى أنه أبعد عن الصواب لمخالفته للأدلة التى عنده ، لأن الله « عز وجل » كلف كل واحد منا أن يأخذ عند الحاجة إلى الأخذ بما أدى إليه اجتهاده ، فهو فرض فى حقه ، والعدول إلى غيره عدول عن فرضه) ..

(واستثنى بعضهم من هذا الرأى ، ما إذا كان فى الرأى الذى يرى أنه الأهزل فى نظره نوع زهد وتنزه ، وفى الرأى الذى يرى أنه الأرجح والأعدل ترك لذلك التنزه والورع ، فها هنا يجوز له أن يترك ما يرى أنه الأعدل فيأخذ بما فى نظره أنه الأهزلُ)[2] ..

وقال : (اختلف العلماء فى الضعيف الذى لاقدرة له على الاجتهاد ، ولا استطاعة له على ترجيح الأقوال وقد أراد أن يعمل بشىء من الأشياء التى قد اختلف العلماء فى حكمها .

فذهب بعضهم إلى أن لهذا الضعيف أن يأخذ بأى قول شاء من تلك الأقوال الموجودة فى مسألته ، ولا يلزمه فى كل قضية أن يستعين بالفقيه الحاضر ..

وذهب آخرون إلى أنه يجب على هذا الضعيف إذا شاء العمل بما يختلف فيه ، أن يشاور من قدر على مشورته من الفقهاء ، وأن يستعينه فى طلب الأعدل من الأقوال ، والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[3] .

لأن الاستنباط لايكون إلا من الفقهاء العلماء به ، وقد أمر الضعفاء برد الأمر فيه إليهم والأخذ فيه بقولهم ، فهم الحجة فيه لهم وعليهم ..

أقول[4] : وهذا المذهب أقوى دليلا ، وأقوم سبيلا من الذى قبله لهذه الأدلة ، ولما فى مشورة العالم من إمكان الاطلاع على دليل القول الذى يرشده عليه ، ويأمره بالأخذ به ، فيكون مع ذلك آخذا بالدليل الذى سمعه ، فيُنَزَّل فى وجوب المشاورة للعالم عند وجوده منزلة القادر على الاجتهاد .

ولا يخفى أن حكم من كان مجتهدا ، ولم يطلع على الأدلة فى شىء من الأحكام أن يكون حكمه حكم الضعيف ، لأنه فى ذلك الحكم ضعيف أيضا ، بناء على القول بتجزئة الاجتهاد ، وهو مذهب الإمام الكومى « رضى الله عنه »[5] .

وقال أيضا[6] : (يلزم ـ المجتهد ـ أن ينظر فى أقوى الأمارات ، ويأخذ بمقتضى أرجحها ، فإن تعارضت معه الأدلة ، ولم يمكنه الترجيح وجب عليه الوقوف ، ويلتمس الأرجح إن رجا حصوله ، فإن غلب فى ظنه عدم وجود الأرجح

(١) بهجة الأنوار ـ ص ٣٥ .
(٢) بهجة الأنوار ـ ص ٣٦ .
(٣) الآية ٨٣ من سورة النساء .
(٤) أى : يقول السالمى .
(٥) المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .
(٦) شرح طلعة الشمس جـ ٢ ص ٢٨٦ .

فقيل يطرحها جميعا ، ويرجع فى تلك الحادثة إلى حكم العقل .. والصحيح أنه يكون فى تلك القضية بمنزلة الجاهل فيجب عليه إذا شاء العمل أن يأخذ بقول غيره فيها ، كما يجب ذلك على الضعيف) .

وقال : «واعلم أنه يجب على المقلد البحث عن حال المفتى فى الصلاحية للفتوى ، وهل هو جامع للاجتهاد والعدالة .. أم لا ؟ .. وقيل : لايلزمه ذلك إذ لاطريق له إلى تحقيقه ، كما لا يلزمه البحث عن وجه الحكم» ..

ورد بأنه إن لم يبحث عن حال المفتى لا يأمن فسقه تصريحا أو تأويلا ، أو جهله بعلوم الاجتهاد ، أو بعضها ، فلا يصلح للفتوى فيكون تقليده إقداما على ما لا يؤمن قبحه ، ويكفيه فى ذلك سؤال من يثق بخبره ويثمر الظن ، ويكفيه أيضا أن يرى استفتاء الناس إياه معظمين له آخذين بقوله . قال صاحب المنهاج : إذا كان فى بلد شوكته لأهل الحق الذين لايسكتون على منكر ، وإلا لم يأمن مع استفتاء الناس إياه كونه غير صالح والله أعلم[7] .

وجاء فى كتاب (بيان الشرع) :[8] قال أبو سعيد : فى العالم (أى المجتهد) إذا أفتى بشىء يعلم الأصل فيه ، فزلت لسانه فى فُتْيَاه ، فخالف الحق ، فإنه لايسع المُفْتَى ـ بفتح التاء ـ أن يعمل بما أفتاه (أى العالم) من الباطل ، ولو لم يعلم أنه باطل ، فإن مات وهو على ذلك الباطل الذى يخالف الكتاب والسنة والإجماع فهو هالك ، ولا إثم على العالم فى ذلك .

وأما إذا كان المُفْتِى (بكسر التاء أى المجتهد) لا يعرف الأصل فتحرى من فُتْيَاه الصواب ، وأفتى فخالف الكتاب والسنة والاجماع فالمُفْتِى ـ بكسر التاء ـ والمُفْتَى ـ بفتح التاء مع الألف المقصورة ـ هالكان كلاهما ..

وإن وافق الحق من قول المسلمين مما يجوز فيه الرأى ، فالمُفْتَى ـ بفتح التاء مع الألف المقصورة ـ سالم إذا وافق الحق ، وأما المفتى ـ بكسر التاء ـ فقد قيل فيه بالخلاف ، فبعض عذره لأنه وافق الحق وبعض لم يعذره لأنه تكلم فى الاسلام بغير علم ، وقد قال الله فى تعداد المحرمات : ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[9] . .

قيل له : فإن حسن فى عقله (أى عقل المستفتى) خلاف مُا يُفْتَى ـ بفتح التاء ـ به ، وهو إلى الحق أقرب ، إلا أنه باطل فى الأصل .. هل عليه أن يعمل بما حسن فى عقله ، ويدع الفُتْيَا ، إذا لم يحسن فى عقله غير هذا ؟ قال : ليس له أن يعمل بالباطل على أى حال .. سواء اعتمد على حجة عقل ، أو قول معبر» أ هـ .

ومجمل القول أن الأباضية يوجبون على المفتى ـ أى المجتهد ـ أن يتحرى الرأى الأعدل أى الأقوى ، وأن لا يعدل عنه إلى الأهزل أى الأضعف إلا إذا كان فى هذا الرأى جانب زهد وورع .

ويجعلون المجتهد بمنزلة الضعيف المستفتى ، إذا لم يطلع على الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وإجماع ، أو إذا عجز عن النظر فيها مباشرة فيما يخص هذه المسألة بذاتها ، وذلك تبعا للقول بتجزئة الاجتهاد .

ومنعوا على هذا العالم أن يقول فيها برأيه ، أو أن يعمل فيها القياس ، أو يسلك إليها مسالك الاستدلال بالقواعد إذا عجز عن الاستنباط من الأدلة الشرعية الأصلية .

(7) شرح طلعة الشمس جـ ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(8) للشيخ محمد بن إبراهيم الكندى من علماء القرن الرابع .

(9) الآية ١٦٩ من سورة البقرة .

نظرات فى الفقه الأباضى

ومن ثم فقد أنزلوه منزلة الضعيف ، وأوجبوا عليه وعلى المستفتى أن يبحث عن الأرجح والأعدل من الفقهاء ، فإن أخذ برأى الأضعف ، أو المخالف لجمهرة العلماء كان هالكا .

أما أهل السنة فإنهم فى جمهرة علمائهم يجيزون الأخذ برأى المفضول مع وجود الأفضل .

قال فى شرح جمع الجوامع[10] : يجوز تقليد المفضول من المجتهدين ، وفيه أقوال :

أحدها : ورجحه ابن الحاجب : يجوز لوقوعه فى زمن الصحابة وغيرهم مشتهرا متكررا من غير إنكار .

ثانيها : لا يجوز . لأن أقوال المجتهدين فى حق المقلد كالأدلة فى حق المجتهد ، فكما يجب الأخذ بالراجح من الأدلة يجب الأخذ بالراجح من الأقوال والراجح منها قول الفاضل ، ويعرفه العامى بالتسامع وغيره .

ثالثها المختار : يجوز لمعتقده فاضلا غيره ، أو مساويا ، بخلاف من اعتقده مفضولا كالواقع[11] ـ جمعا بين الدليلين المذكورين بهذا التفصيل . ومن ثم لم يجب البحث عن الأرجح من المجتهدين لعدم تعيُّنه ، بخلاف من منع مطلقا .

فإن اعتقد العامى رجحان واحد منهم تعين لأن يقلده وإن كان مرجوحا فى الواقع عملا . والراجح علما فوق الراجح ورعا فى الأصح لأن لزيادة العلم تأثيرا فى الاجتهاد بخلاف زيادة الورع ، وقيل بالعكس ، لأن لزيادة الورع تأثيراً فى التثبت فى الاجتهاد وغيره بخلاف زيادة العلم ، ويحتمل التساوى لأن لكل مرجحا . اهـ .

هذا : وقد فشت بيننا اليوم ظواهر خطيرة تتمثل ـ اجمالا ـ فى الجرأة على القول فى الدين دون تثبت أو خوف وحذر .

فقد نبتت فينا نابتة لم تتأهل للنظر فى الاحكام بل ، ولم تتأهل للأخذ من كتب الفقهاء .

ومع هذا فإن هذه النابتة تصدر القول فى الدين على غير روية ، وتتلمس شديد الرأى من هنا أو هناك ، وترمى المجتمع الإسلامى بالضعف او المروق .

وقد نرى فى أعطاف هؤلاء عاطفة إصلاحية ، لكنهم بالتأكيد يخطئون الطريق .

ولدينا فى مقابل هذه الظاهرة ظاهرة أخرى اسوأ ، وهى ما يمكن أن نطلق عليها ظاهرة التجديد .

وليس المراد بالتجديد هناك بعث الأمة ، وإيقاظها لتستأنف صالح مسيرتها من جديد ، أو لتضع اساسا لعمل علمى واضح .

على مثل ما فعل عمر بن عبد العزيز ، أو الشافعى ، أو ابن دقيق العيد .

ولكن المراد بالتجديد هنا هو التغيير قصدا إلى مواكبة العصر على مايدعون .

ولقد نعلم أن هذه الظاهرة بدأت بالهند عندما خضعت للسيطرة الغربية ، وأراد الغربيون ضرب المجتمع الإسلامى ، وتنحيته عن مركز القيادة هناك ـ وهو ما حدث بالفعل ـ .

ثم انتقلت هذه الظاهرة إلى مصر مباشرة ، على بعد المسافة بينها وبين الهند ، ثم تجاوبت

---

(10) الجلال شمس الدين المحلى فى شرحه لجمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن السبكى . جـ ٢ ص ٣٩٥ ـ الحلبى ١٩٣٧ .

(11) قال البنانى فى الحاشية «قوله كالواقع» بدل من مفضولا ، أو نعت له ، أو مفعول مطلق .

أصداؤها فى أرجاء المجتمعات الإسلامية .

وقد وقف إلى جانب هذه الظاهرة حشود كثيرة ممن تأثروا بالثقافات والتيارات الغربية ، إلى جانب آخرين ممن يغريهم هذا الشعار .

وأنك لو رجعت إلى دائرة من دوائر المعارف الغربية : دائرة المعارف البريطانية ـ فى أى إصدار لها ـ أو دائرة المعارف الأمريكية ، أو دائرة المعارف الإسلامية ـ الصادرة عن «ليدن» بهولندا ـ أو راجعت كتابا من كتب المستشرقين أمثال كتب : «جولد تسيهر» ، أو «جوليوم» أو «هنرى ماسيه» ، أو غير هؤلاء ، لوجدت هذه المراجع فى حديثها عن الشريعة الإسلامية تفرد فصلاً لهذا التجديد : تحبذه وتدعو إليه ، وتعيب من يقفون عقبة فى سبيله .

ولعله من الواضح أن هؤلاء القوم يستهدفون مصالحهم بأكثر مما يبتغون وجه الله ، أو صادق العلم .

ومما يذكر أن الدعوة إلى التجديد فى الشريعة ، واكبتها فى ذات الوقت دعوة أخرى للتجديد فى الأدب العربى ، ليستقى من الأدب الغربى ، ولينفتح على العالم ... !!!! هكذا قيل .

وعلى أثر الدعوة إلى تجديد الأدب العربى نشأت محادة شديدة بين مذهب الأصالة ، وتيار المعاصرة ثم كانت النتيجة هذا المسخ المشوه الذى لا ينتمى إلى عربية ، ولا أعجمية .

وظاهرة جديدة ثالثة فى أيامنا غريبة فى بابها ، وهى ما يمكن أن نسميها ظاهرة النقد لمجرد النقد .

ومن أطرف ما صدر عن هذه الظاهرة أنها تعيب على الإمام أحمد بن حنبل أنه يقدم الحديث الضعيف على القياس .

وكأننا بعثنا اليوم لنصحح للأئمة أصول مذاهبهم الفقهية .. !!

ومن المعلوم أن الإمام أحمد يأخذ بالحديث الضعيف إذا لم يجد فى الباب ما يدفعه ، أى ما يعارضه .

ثم إن الحديث الضعيف عند الإمام أحمد هو ما قابل الصحيح ، بمعنى أنه يشمل الحسن ، والمقبول الذى يستدل به جميع فقهاء أهل السنة بمن فيهم الإمام أبو حنيفة .

فمصطلح الضعيف عند الإمام أحمد لا يعنى المتروك أو الواهى ، أو المنكر .

هذا : فضلاً عن أن الحكم بصحة الحديث ، أو ضعفه إثر بحث السند ليس حكما قطعيا ، لكنه حكم رجح ظنا ، وقد يروى الراوى الضعيف حديثا صحيحا .

والإمام أحمد من جهابذة نقد الأحاديث ومن المقدمين فى المعرفة بها ، وهو أحد أقطاب مدارس الفقه التى تعتمد على الحديث فى مقابلة مدارس الرأى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[12] .

وبعد :

فقد حرم الاباضية على المجتهد أن يعدل عن الدليل الأقوى إلى الدليل الأضعف .

وحرموا على المفتى أن يلجأ إلى الرأى إذا عجز عن النظر فى الدليل والاستنباط منه ، وجعلوه بمنزلة الضعيف .

وأوجبوا عليه وعلى المستفتى أن يشاور من قدر على مشورته من العلماء وأن يأخذ برأى الأعدل ـ قربا من الدليل ـ .

وقد كان فى هذا الحكم ـ مع معتقد وجوب الولاية لأهل الحق ـ عصمة لمذهبهم وثبات لمجتمعهم .

ولو أخذ الناس من أتباع مذهب أهل السنة بهذا الرأى ـ وهو موجود فى مذهبنا ـ ثم وعوه ، واستمسكوا به ، لكان فيه منجاة من هذه الآراء التى شغبت على الأحكام الشرعية وشغبت على المجتمع الإسلامى . ولله عاقبة الأمور .

(١٢) الآية ١٤٨ من سورة البقرة .



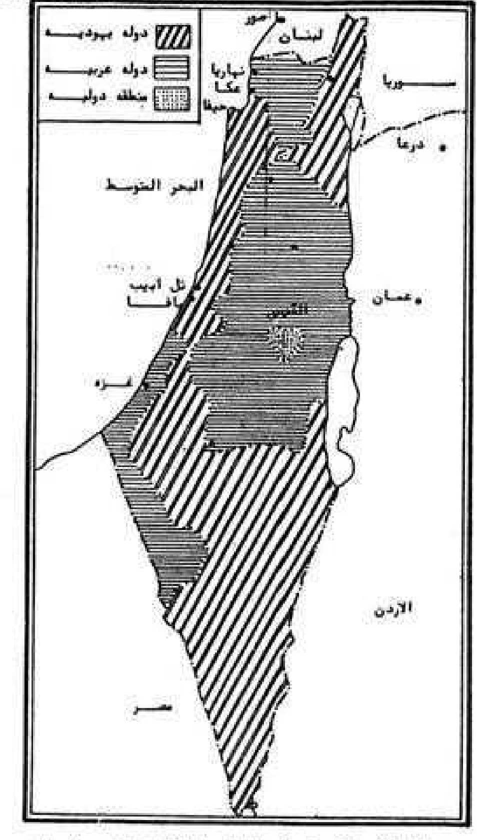


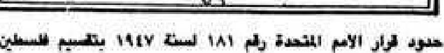
بقلم لواء
أ.ح. د. فوزى محمد طايل

تزايدت « الأطماع الصهيونية » شيئاً فشيئاً منذ عقدت الحركة الصهيونية العالمية مؤتمرها الأول ، فسعت هذه الحركة « العنصرية » منذ نهاية القرن التاسع عشر من اجل الحصول على « وطن قومي » في فلسطين ، وتمكنت ـ في غفلة من المسلمين ـ من أن تحصل على حماية دولية لإنشاء ذلكم الوطن ، الذى لم يكن يقصد به بأى حال من الأحوال إنشاء دولة ، ولم يكن من شأن ذلك المساس بالأوضاع الدينية أو القانونية لمدينة القدس ..

ويسجل التاريخ المعاصر أن الصهيونية العالمية قد نجحت في مسعاها ، مستغلة تفكك الأمة الإسلامية ، ووقوع معظم أقطارها تحت السيطرة « الامبريالية » . فاعدت « الوكالة اليهودية » مشروعاً لتقسيم فلسطين ، قدم للجمعية العامة للأمم المتحدة ، التى وافقت عليه بقرارها رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ م. متجاوزة بذلك صلاحيتها بموجب ميثاق الأمم المتحدة .

وعلى الرغم من كون هذا القرار مشكوكاً في قانونيته ، فقد اعتبره الزعماء اليهود الذين اعلنوا قيام « الدولة اليهودية » السند القانونى الوحيد لقيام دولتهم ، وهم يعلمون كل العلم ان قرار الأمم المتحدة ينص على أن تكون القدس كياناً مستقلاً « Corpus Separatum » ، وأن أى مساس بوضعها يعد خرقاً للمواثيق الدولية ، وينسف الأساس القانونى لقيام دولة إسرائيل ذاتها ، الأمر الذى يفرض




حدود قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين



على كل دول العالم الموقعة على ميثاق الأمم المتحدة ، والتى انضمت إليه التزاماً قانونياً برد الأمور إلى نصابها .

هذا ، ولم تكن « الدولة اليهودية » ، منذ قيامها ، براغبة فى احترام القانون ، أو الالتزام بالمواثيق الدولية ، فسعت من خلال الحركة الصهيونية العالمية ، مستغلة نفوذها ، بل سيطرتها على قطاعات مالية وإعلامية عريضة ، فى أوروبا الغربية ، وأمريكا ، بل ولدى أجهزة ومؤسسات اتخاذ القرار فى هذه البلدان ، وفى بلدان الكتلة السوفيتية .

أقول سعت للتأثير على المواقف الرسمية لحكومات تلكم الدول ، وللتأثير على الرأى العام فى داخل البلدان وتزييفه ، وتم تصوير المشكلة منذ عام ١٩٤٨ على أنها (**مشكلة لاجئين**) ، وعلى أنها (**صراع بين قوميتين هما : « القومية العربية »** ، و« القومية اليهودية ») ، فتم تداول اصطلاح « الصراع العربى الإسرائيلى » ، فرسخ هذا الاصطلاح فى الأذهان ، وبذا تم التعتيم على عنصرين هامين من عناصر هذه المشكلة هما :

« أرض فلسطين » .

ووضع « القدس » .

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

فبدأ الأمر كما لو كان أمراً لا يمس أحد مقدسات كل المسلمين فى كل بقاع الأرض ..

وقد عملت « الدولة اليهودية » منذ قيامها على تحقيق الأهداف التالية :ـ

- تأمين وجود الدولة والحصول على الاعتراف القانونى الدولى بها .
- تطويع إرادة البلدان العربية المحيطة بها لقبول الكيان الصهيونى ، الذى طرأ على المنطقة ، والتعامل معه كحقيقة واقعة ، وذلك باستخدام القوة المسلحة ، والتحرك الدبلوماسى فى أن واحد .
- تحريك حدود « الدولة اليهودية » إلى أن تتطابق مع « الحدود التاريخية » (انظر الخريطة) أو مع حدود « أرض الميعاد » : « من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » ، وفى أى الحالين تستجلب الدولة إليها الجزء الأكبر من يهود العالم (قرابة ٢٢ مليونا) ، وتتخذ من « القدس الموحدة » عاصمة لها .

هذه الأهداف تعنى ببساطة تهيئة الظروف الدولية التى تسمح بقبول ، او غض النظر عن ، انتهاكات إسرائيل لمبادىء القانون الدولى ، وللمواثيق الدولية ، وأن يكون استيطان اليهود المهاجرين إليها خارج الحدود التى رسمها « قرار التقسيم » ، الذى يعد السند القانونى الوحيد لقيام الدولة اليهودية ، وأن يقوموا بطرد الشعب الفلسطيني من ارضه شيئاً فشيئاً . وهذه الأهداف تعنى بوضوح النية المبيتة منذ اللحظة الأولى لتغيير الوضع الدينى والقانونى لمدينة القدس .

بيد أن التحرك الصهيونى تجاه تحقيق هذه الأهداف لم يخل فى ذاته من دليل دامغ يوضح الأطماع الصهيونية التى لا تعبأ بالعهود والمواثيق الدولية . فعلى إثر إعلان قيام دولة « إسرائيل » ، قام وسيط الأمم المتحدة بتقصى الحقائق لتقديم تقاريره للأمم المتحدة ، فصدر قرار الأمم المتحدة رقم (١١١) ١٩٤ فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ متضمناً تقريراً عن مهمة « الوسيط » ـ وكان ذلك بعد بداية الحرب التى بدأت منذ مطلع عام ١٩٤٨ بين قوات شبه عسكرية يهودية ، واخرى فلسطينية تدعمها عناصر من الدول العربية المجاورة تطوعت للقتال بجانب الفلسطينيين ـ وقد جاء فى هذا التقرير دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة كى تتولى مسئوليتها فى الحفاظ على الأماكن المقدسة ، وأن يتم تأمين طرق الوصول إليها ، وأن تسارع لجنة الوساطة التابعة للأمم المتحدة بتقديم مقترحاتها التفصيلية الخاصة بإقامة نظام دولى دائم « للقدس » يضمن حماية المقدسات ، ويضمن النزع الكامل للسلاح فى « بلدية القدس » والقرى والمدن المحيطة بها (حسب ما جاء بقرار التقسيم) ، وأن يحقق هذا النظام الاستقلال الكامل « للقدس » عن باقى فلسطين .

ذلك ، ويصعب القول بأن نتيجة حرب عام ١٩٤٨/١٩٤٩ ، والتى انتهت بتوقيع اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل وبين الدول العربية المجاورة (مصر ـ لبنان ـ الأردن ـ سوريا) ، فى المدة من فبراير حتى يوليو ١٩٤٩ م ترجع فقط إلى التآمر « الصهيونى الامبريالى » ، الذى كان يفرض الهدنة تلو الأخرى ، لإتاحة الفرصة لإسرائيل كى تنظم صفوفها ، وتتلقى المزيد من المهاجرين ، والمتطوعين ، والسلاح ، لكن نتيجة هذه الحرب ترجع أيضاً وبالدرجة الأولى إلى عدم إدراك المسلمين للخطر المحدق بأولى القبلتين وثالث الحرمين ، وإلى تفككهم .

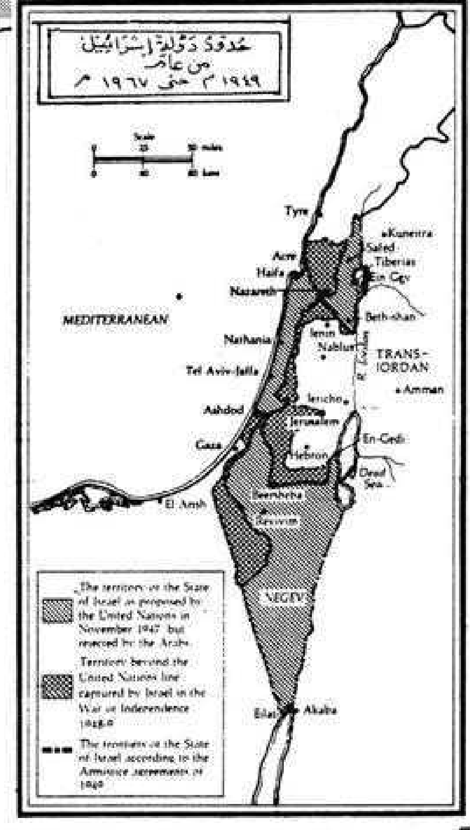
لقد تمكنت إسرائيل خلال تلكم الحرب من احتلال الجزء الغربي من « مدينة القدس » ، واستولت على ٧٧,٤٪ من أرض فلسطين ، وشردت مليونا وربع المليون من شعب فلسطين ، ومع ذلك فقد صدر قرار الامم المتحدة رقم (١١١) ٢٧٣ ، بتاريخ الحادى عشر من مايو عام ١٩٤٩ بقبول إسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة فنص على ما يلى : ـ

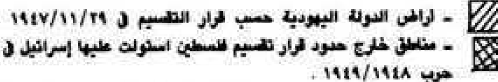
ـ إسرائيل راغبة فى القيام بالتزاماتها التى يوجبها ميثاق الأمم المتحدة ، وتتعهد باحترام هذه الالتزامات من يوم قبولها عضواً فى المنظمة .

ـ ذكر القرار ٢٧٣ بقرار تقسيم فلسطين الصادر فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وبقرار الأمم المتحدة الصادر فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ (المذكور أعلاه) ، وبأن إسرائيل تعهدت أمام اللجنة السياسية التى شكلتها الأمم المتحدة ، باحترام وتنفيذ هذين القرارين ، اللذين ينصان ، كما أوضحنا من قبل ، على أن « القدس » كيان مستقل ، ولا يجوز المساس بالأوضاع الدينية أو القانونية أو بحرية ممارسة العبادة ، أو بالمبانى والأماكن المقدسة فيها .

كان المفروض أن يؤدى قبول إسرائيل فى الأمم المتحدة (بوصفها العضو التاسع والخمسين) ، وقبول الدول العربية لقرار التقسيم ، فى اليوم التالى مباشرة ، إلى أن تلتزم بالمواثيق الدولية ، وأن تسوى مشكلة اللاجئين ، وأن تعود إسرائيل إلى الحدود المقررة « للدولة اليهودية » بموجب قرار التقسيم ...

ثم اعلن رئيس حاخامية « الأراضى المقدسة » ، « بن صهيون مائير هاعوزيل » ، ومقره القدس ، أعلن أنه « قد تم تحقيق المثل الأعلى لإقامة « دولة إسرائيل » ، التى عمل من اجل إقامتها جميع الصهاينة .. ومايزالون يعملون منذ ثلاثة قرون ، ودعا اليهود إلى أن





ـ اراضى الدولة اليهودية حسب قرار التقسيم فى ١٩٤٧/١١/٢٩
ـ مناطق خارج حدود قرار تقسيم فلسطين استولت عليها إسرائيل فى حرب ١٩٤٨/١٩٤٩ .
ـ حدود دولة إسرائيل بموجب اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ م هذا وثمة مغالطات تاريخية بالنسبة للأراضى منزوعة السلاح التى استولت عليها .

يحققوا فورا مشروعهم المثالى بالتوسع فى كل فلسطين ، وشرق الأردن ، وسوريا ، وبعد ذلك العراق ، وإيران ... » .. وربما كان « ديفيد بن جوريون » ـ أول رئيس وزراء لإسرائيل ـ أكثر تحفظاً عندما أعلن عام ١٩٥٢ أن : « إسرائيل ليست إلا جزءاً من وطننا » ..

ورغم الأطماع الصهيونية فقد أعد « مجلس الوصاية » التابع للأمم المتحدة قانوناً لمدينة « القدس » تمت المصادقة عليه فى الرابع من ابريل عام ١٩٥٠ م . ولعل أهم ما جاء فى هذا القانون التفصيلى ، الذى احتوى على ديباجة وثلاث وأربعين مادة :

القدس بين

الموائيق الدولية والأطماع الصهيونية

اما الديباجة فقد جاء فيها :

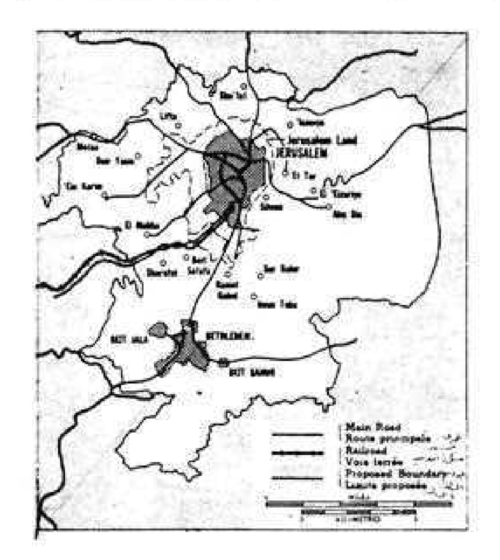
حيث إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد قررت فى قرارها رقم (١١) ١٨١ الصادر فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧ م أن « القدس » ، بالتحديد الوارد فى القرار ، (*) سوف تصبح كياناً مستقلاً « Corpus Separ- atum » يحكمها نظام دولى خاص ، وتديرها الأمم المتحدة .

وحيث إن الأمم المتحدة قد أوكلت إلى « مجلس الوصاية » القيام بمهام السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة .

وحيث إن الأهداف الخاصة ، التى أوكلت من قبل الأمم المتحدة ، فى القرار سالف الذكر ، كى تتولى القيام بمهامها الإدارية هى كما يلى :

(أ) من أجل الحماية والحفاظ على المصالح الروحية والدينية الموحدة الواقعة فى المدينة ، والتى تخص عقائد التوحيد فى العالم : النصرانية ، واليهودية ، والإسلامية ، فيلزم تأمين النظام والسلام ، وبصفة خاصة السلام الدينى ، ليسود « القدس » .

(ب) من اجل تنمية التعاون بين سكان المدينة فى مجال مصالحهم الخاصة ، وتشجيع ودعم نمو العلاقات السلمية المتبادلة بين « الشعبين الفلسطينيين » (**) فى كل الأرض المقدسة Between The Two Palestinian Peoples Throughout The Holy Land فيجب المساهمة فى تأمين وتحسين الأحوال المعيشية ، واتخاذ أى إجراءات بناءة للنهوض بالسكان المقيمين هناك ، مع الأخذ فى الاعتبار الظروف والأعراف الخاصة بمختلف الشعوب والجاليات .



مدينة القدس
الحدود المقدمة بمعرفة اللجنة التى شكلت لبحث المسالة الفلسطينية

وحيث إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد كلفت ، فى قرارها سالف الذكر ، مجلس الوصاية بإعداد قانون تفصيلى « للمدينة » والتصديق عليه ، وتم إعداد نصوص مواده التى شملها هذا القرار ..

وحيث إن .... الخ ، وبدون المساس بالمبادىء الأساسية للنظام الدولى الخاص « لمدينة القدس » ، حسب ما جاء بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١١) ١٨١ الصادر فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧م ...... يصادق « مجلس الوصاية » على القانون التالى لمدينة القدس :ـ

(*) يرجع للمقال السابق وللخريطة المرفقة فى هذا المقال .

(**) يشير هذا القانون إلى كل من العرب واليهود ، القاطنين ـ آنذاك ـ فى « القدس » ، بوصفهم جميعاً فلسطينيين ، لينفى بذلك اية شبهة حق لإسرائيل فى مدينة « القدس » .

وأما مواد القانون المذكور :

فقد حوت أحكاماً تنظم كل جوانب الحياة فى المدينة ، من أهمها أنه :ـ

ــ عرفت المادة الأولى المقصود « بالنظام الدولى الخاص للمدينة » فقالت إنه يعنى أن تصبح مدينة القدس « كياناً مستقلاً » « Corpus Separatum » تحت إدارة الأمم المتحدة .

ــ أوضحت المادة الثالثة أن « هذا القانون » هو الوحيد الذى يسرى فى « مدينة القدس » ، وأنه لا يجوز أن يسرى عليها اى قرار قانونى آخر يتعارض أو يتداخل مع نصوص « هذا القانون » ، كما لا يجوز أن يسرى اى تصرف إدارى أو إجراء تشريعي يتعارض أو يتداخل مع نصوص هذا القانون :

« This Statute Shall Prevail In The City. No Judicial Decision Shall Conflict Or Interfere With Its Provisions, And No Administrafive Act Or Legislative Measure Which Conflicts Or Interferes With Its Provisions Shall Be Valid. » (Article 3) .

ــ أكدت المادة الرابعة على حدود « بلدية القدس » ، كما جاء بقرار الأمم المتحدة فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧ (حسب الخريطة المرفقة) .

ومن المادتين الثالثة والرابعة يتضح للقارىء الكريم البطلان الكامل للإجراءات الإسرائيلية ، النابعة من أطماعهم الصهيونية ، فيما يختص بضم اى شبر من القدس ، فضلاً عن بطلان ضم القدس الغربية ، أو كل القدس ، أو سريان القانون الإسرائيلى عليها ، أو اعتبار القدس ـ ذات الوضع القانونى الدولى الخاص ـ عاصمة لإسرائيل !..

ــ وبينما توضح المادة الخامسة من القانون مسئولية مجلس الوصاية فى إدارة المدينة نيابة عن الأمم المتحدة ، فإن المادة السادسة تؤكد على « وحدة أراضى القدس » « The Territorial Integritg Of The City » .. وتحرم تماماً اية محاولة لتغيير نظامها الخاص بالقوة .

ــ اما المادة السابعة فتؤكد حياد المدينة وعدم جواز تواجد قوات عسكرية أو شبه عسكرية بها ، او أن تتم على أرضها تدريبات أو نشاطات من هذا القبيل ، فيما عدا ما تقرره المادة الخامسة عشرة من تواجد قوة للشرطة تابعة لمحافظ المدينة لغرض حفظ النظام .

ــ هذا ، وتنظم المادة الثلاثون دخول الحجاج والزوار إلى المدينة ، والخروج منها ، وتنص فى فقرتها الثانية على أن يتولى محافظ المدينة السيطرة على عمليات الهجرة إليها بغرض التوطن فيها مع مراعاة ما يصدره مجلس الوصاية من تعليمات فى هذا الشأن ، وحسب الطاقة الاستيعابية للمدينة ، وبما لايخل بالمساواة بين الطوائف المختلفة .

البقية ص ١١٨٠

الصحابي الجليل ذو الصوت الحسن

أبو موسى الأشعري

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

هو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضّار بن حرب، ويكنى بأبي موسى الأشعري من اهل زَبِيد « بتهامة »، غادر اليمن بلده ووطنه إلى مكة ، فور سماعه ببعثة نبي يدعو إلى التوحيد ، ويامر بمكارم الأخلاق .. وفي مكة المكرمة ، جلس بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، وتلقى عنه الهدى واليقين بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وعاد إلى بلاده يحمل كلمة الله ، ويبشر بهذا الدين الجديد ، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين : على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد هذا ماروى عن مسلم بن الحجاج قال : حدثنا عبد الله بن برّاد الأشعري ، ومحمد بن العلاء الهمداني قالا : حدثنا ابو اسامة قال : حدثني بريد عن ابي بردة عن ابي موسى قال : بلغنا مخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين انا وأَخَوَان لى ، انا اصغرهما ، احدهما : ابو بُرْدة ، والآخر : ابو رهم ومعنا ـ إما قال : بضع وإما قال : ثلاثة وخمسون رجلا من قومى ، فركبنا السفينة ، فالقتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن ابي طالب واصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعثنا ههنا وامرنا بالإقامة ، فاقيموا ، فاقمنا معه ، حتى قدمنا جميعا ، قال : فوافقنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين افتتح خيبر ، فاسهم لنا ، او قال : اعطانا منها ، وما قسم لاحد غاب عن خيبر منها شيئا إلا من شهد معه إلا اصحاب سفينتنا مع جعفر واصحابه » .

قال أبو عمر : « إنما ذكره ابن اسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشه : لأنه اقبل مع قومه ، إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانوا في

سفينته ، فألقتهم إلى الحبشة ، وخرجوا مع جعفر وأصحابه : هؤلاء فى سفينة ، وهؤلاء فى سفينة ، فقدموا جميعا ، حين افتتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيبر ، فقسم لأهل السفينتين »

الأشعريون وثناء الرسول عليهم

وقد سمى النبى -صلى الله عليه وسلم - هذا الوفد بالأشعريين ، ونعتهم بأنهم أرق الناس أفئدة ، وكثيراً ماكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضرب بهم المثل الأعلى لأصحابه ، فيقول فيهم وعنهم مارواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » .

وإذا أرملوا : أى قل زادهم فى الغزو أو فى الحضر ، جمعوا ماعندهم واقتسموه بالسوية ، رفقا ورحمة بفقيرهم .

والأشعريون قبيلة ، تنسب إلى أبيهم الأشعرى ، بأرض اليمن ، وكانوا معروفين بالشجاعة والبسالة ، والعفة والأمانة .

روى الترمذى عن أبى عامر الأشعرى رضى الله عنه : عن النبى - صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « نعم الحى الأشعريون ، لا يفرون فى القتال ، ولا يغلون (أى لا يخونون) هم منى وأنا منهم » ..

عبادته وورعه وعلمه

كان أبو موسى رضى الله عنه : عابدا ورعا ، حسن الصوت بالقرآن ، يقرؤه ، فيهز أعماق من يسمعه .

ولقد مر به النبى - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة ، وهو يقرأ ، فجعل يستمع لقراءته ، وقال : « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » .

وقال : « ياأبا موسى لقد مررت بك البارحة ، وأنت تقرأ ، فجعلت أستمع لقراءتك ، فقال : لو علمت أنك تستمع لقراءتى : لحبرتـه لك تحبيرا » . أى حسنته لك تحسينا .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلما رآه دعاه ليتلو عليه من كتاب الله قائلا له : « شوقنا إلى ربنا ياأبا موسى ، فيقرأ وهم يستمعون » .

وكان رضى الله عنه ذكيا حصيفا ، وعالما ضليعا .

سئل عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : « صبغ فى العلم صبغة » كان فقيها : برع فى الإفتاء ، وبَرَّ فى القضاء .

وفيه قال الشعبى : « قضاة هذه الأمة أربعة : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وأبو موسى الأشعرى ، وزيد بن ثابت » .

جهاده واستبساله

كان مناضلا صلبا ، ومقاتلا جسورا ، كان يحمل مسئولياته : فى استبسال مجيد ، ومراس شديد مما جعل النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول عنه : « سيد الفوارس : أبو موسى » ويحدثنا عن نفسه : كمقاتل عرف بالصبر ، وقوة الجلد : « خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى غزاة ، نقبت فيها أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وتساقطت أظفارى ، حتى لففنا أقدامنا بالخرق » .

كان موضع ثقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وثقة صحابته وحجتهم ، ولاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على « زبيد » « وعدن » ، واستعمله عمر - رضى الله عنه - على البصرة .

الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى

قال عاصم بن حفص : « قدم ابو موسى إلى البصرة سنة سبع عشرة من الهجرة واليا ، بعد عزل المغيرة بن شعبة ، وكتب إليه عمر رضى الله عنه : أن سر إلى الأهواز ، فأتى الأهواز ، فافتتحها عنوة ، وقيل : صلحا » .

وقال ابن اسحاق : بعث سعد بن ابى وقاص سنة تسع عشرة عياض بن غنم إلى الجزيرة ، وبعث معه ابنه عمرو بن سعد وأبا موسى ، ثم بعث عياض أبا موسى إلى « نصيبين » : فافتتحها فى سنة تسع عشرة من الهجرة ..

وفى المعارك : التى خاضها المسلمون : ضد امبراطورية فارس ، كان لأبى موسى الأشعرى ، بلاؤه العظيم وجهاده الكريم .. ففى موقعة « تستر » حيث انسحب الهرمزان بجيشه إليها ، وتحصن بها وجَمع فيها جيوشا كبيرة، كان ابو موسى بطل هذه الموقعة .. ولقد أمده عمر بن الخطاب بعدد كبير من المسلمين ، على راسهم : عمار بن ياسر ، والبراء بن مالك ، وأنس بن مالك ، ومجزاة البكرى ، وسلمة بن رجاء .. والتقى الجيشان : جيش المسلمين : بقيادة أبى موسى ، وجيش الفرس بقيادة الهرمزان ، فى معركة عظيمة ، من أشد المعارك ضراوة وبأسا ، وانسحب الفرس إلى داخل مدينة « تستر » المحصنة ، وحاصرها المسلمون أياما طويلة ، حتى أعمل ابو موسى عقله وحيلته ، فأرسل مائتى فارس مع عميل فارس أغراه أبو موسى ، بأن يحتال ، حتى يفتح باب المدينة ، أمام الطليعة التى اختارها لهذه المهمة ، ولم تكد الأبواب تفتح ، والفرسان يقتحمون الحصن ، حتى انقض أبو موسى بجيشه ، انقضاضا عظيما ، واستولى على المعقل الخطير : فى ساعات قلائل ، واستلم واستسلم قادة الفرس ، حيث بعث بهم أبو موسى إلى المدينة ، ليرى أمير المؤمنين عمر رأيه فيهم .. وافتتح أبو موسى « اصبهان » سنة ثلاث وعشرين ، فقد هبط بجيشه على أهلها الذين صالحوه على الجزية فصالحهم ، بيد انهم لم يكونوا فى صلحهم صادقين ، إنما أرادوا أن يهيئوا لانفسهم فرصة الإعداد لضربة قوية غادرة ، ولكن فطنة أبى موسى التى لا تغيب عند الحاجة إليها : كانت تستشف أمر أولئك ، وما يبيتون له من مكر وخديعة ، وغدر وخيانة ، فلما هموا بضربتهم ، لم يؤخذ القائد على غرة ، وهنالك بارزهم بالقتال ، فلم ينتصف النهار ، حتى كان قد انتصر عليهم ، انتصارا باهرا ..

مرضه ووفاتــه

لما ثقل أبو موسى : صاحت عليه امرأته ، فقال لها : اما علمت ما قال رسول الله - (ﷺ) قالت : بلى ، ثم سكتت ، فقيل لها بعد : أى شىء قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : قال : « إن الله برىء ؛ ممن حلق أو خرق أو سلق » أخرجه الإمام احمد من حديث أبى معاوية .. (سلق : أى رفع صوته عند المصيبة ، وقيل : هو أن تصك المرأة وجهها) ..

ومات بالكوفة ، وقيل : بمكة سنة اثنتين واربعين من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، رحمه الله رحمة واسعة ..

المراجع :

(١) البخارى
(٢) صحيح مسلم
(٣) سنن الترمذى
(٤) مسند الإمام احمد
(٥) الإصابة فى تاريخ الصحابة
(٦) أسد الغابة فى معرفة الصحابة
(٧) السيرة الحلبية
(٨) البداية والنهاية

الفتاوى

إعداد:
أحمد السيد تقى الدين

● س : تسال « ب » السكرى من سوهاج هل هناك اجناس ثابتة ومعينة تلزم المزكى ان يخرجها فى زكاة الفطر ؟

— ج : نصت الأحاديث الواردة فى زكاة الفطر على أصناف معينة من الطعام وهى : التمر والشعير والزبيب و« الأقط » ، وهو اللبن المجفف الذى لم ينزع زبده وزادت بعض الروايات : القمح وبعضها : السلت أو الذرة ، فهذه الأصناف تعبدية ومقصودة لذاتها بحيث لا يجوز للمسلم العدول عنها إلى غيرها من أصناف الأطعمة الأخرى والأقوات .

أما المالكية والشافعية فقالوا : هذه الأصناف ليست تعبدية ولا مقصودة لذاتها ، ولهذا كان الواجب على المسلم أن يخرج فطرته من غالب قوت البلد ، وفى قول : من غالب قوت الشخص نفسه .

وظاهر مذهب أحمد أنه لا يجوز العدول عن الأصناف الخمسة المنصوص عليها مع قدرته سواء كان العدول إليه قوت بلده أو لم يكن .

كما يجوز عند ابى حنيفة واحمد إخراج الدقيق والسويق لانه مما يكال وينتفع به الفقير .

وفى الواجب من الأجناس المجزئة ثلاثة أوجه : أصحها عند الجمهور غالب قوت البلد ، والثانى قوت نفسه ، والثالث يتخير بين الأجناس ، والذى يظهر أن النبى — صلى الله عليه وسلم — إنما حدد الأصناف المذكورة لأنها كانت هى الأقوات المتداولة فى البيئة العربية عندئذ ، فلو أن قوماً يعيشون على الأرز كما فى الريف المصري لكان واجبهم الأرز ، فالأرجح فى ذلك أن يخرج المرء فطرته من غالب قوت بلده أو من غالب قوته إذا كان أفضل من قوت البلد .

● س : هل يجوز تعجيل زكاة الفطر قبل وقتها ؟

— ج : صح عن الصحابة — رضوان الله عليهم — آثار وأخبار كثيرة تبين جواز تعجيل زكاة الفطر عن وقتها ، ومن ذلك ما رواه البخارى عن ابن عمر قال : « كانوا يعطونها قبل الفطر بيوم أو يومين . والضمير فى « كانوا » يرجع إلى أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — وهم الذين بهم يقتدى فيهتدى وإلى هذا ذهب احمد وقال : لا يجوز اكثر من ذلك ، يعنى يوماً أو يومين . وهو المعتمد عند المالكية ايضاً — واجاز بعضهم التقديم إلى ثلاثة ايام .

وقال بعض الحنابلة : يجوز تعجيلها من بعد نصف الشهر .

الفتــــــاوى

وقال الشافعى : يجوز من أول شهر رمضان لأن سبب الصدقة الصوم والفطر عنه ، فإذا وجد أحد السببين جاز تعجيلها كزكاة المال بعد ملك النصاب .

وقال أبوحنيفة : (يجوز تعجيلها من أول الحلول لأنها زكاة فأشبهت زكاة المال) .

إلا أن قول مالك وأحمد أحوط وأقرب إلى تحقيق المقصود وهو إغناؤهم فى يوم العيد بالذات .

والقول بجواز إخراجها بعد نصف الشهر أيسر على الناس وخاصة إذا كانت الدولة هى التى تتولى جمع زكاة الفطر ، فقد تحتاج إلى زمن لتنظيم جبايتها وتوزيعها على المستحقين بحيث تشرق شمس العيد ، وقد وصل إليهم حقهم .

● س : يسأل السيد / م . ح . عوض من الزقازيق - عما إذا كانت زكاة الفطر واجبة على الجنين أم غير واجبة ؟

- ج : ذهب جمهور العلماء والفقهاء إلى عدم وجوبها عنه .

وقد ذكر الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار : أن ابن المنذر نقل الإجماع على أنها لا تجب على الجنين ، وكان أحمد يستحبه ولا يوجبه .

يقول الإمام النووى فى المجموع : لا تجب فطرة الجنين لا على أبيه ولا فى ماله بلا خلاف عندنا ، ولو خرج بعضه قبل غروب الشمس وبعضه بعد غروبها ليلة الفطر لم تجب فطرته لأنه فى حكم الجنين ما لم يكمل خروجه منفصلاً .

وقال ابن حزم : إذا أكمل الجنين فى بطن أمه مائة وعشرين يوماً قبل انصداع الفجر من ليلة الفطر وجب أن تؤدى عنه صدقة الفطر لما صح فى الحديث أنه ينفخ فيه الروح حينئذ .

والحق أن ما ذكره ابن حزم لا دليل فيه على وجوب التزكية عن الحمل ، ومن التعسف أن يقال إن كلمة صغير فى الحديث تشمل الحمل .

كما أن ما روى عن عثمان وغيره لا يدل على أكثر من الاستحباب ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ .

● س : إذا صام صائم ثلثى الشهر فى بلد ما وكان ينوى صيام بقية الشهر فى بلد آخر ويشهد العيد فى هذا البلد ، ففى أى البلدين يجب أن يخرج الزكاة ؟
(سيد أحمد محمود - القليوبية)

- ج : يخرج المسلم زكاة فطره فى البلد الذى تدركه فيه أول ليلة من شهر شوال (ليلة العيد) لأن هذه الزكاة ليس سببها الصيام وإنما سببها الفطر ، ولهذا أضيفت وسميت زكاة الفطر ، ولهذا لو مات إنسان قبل مغرب اليوم الأخير من رمضان لم تكن زكاة الفطر واجبة عليه وإن صام سائر أيام رمضان ، ولو ولد مولود بعد مغرب آخر يوم من رمضان أى فى الليلة الأولى لدخول شهر شوال كان من الواجب إخراج زكاة الفطر عنه بالإجماع فهى زكاة مرتبطة بالعيد وبتعميم الفرحة به بحيث تشمل الفقراء والمساكين ، ولهذا جاء فى الحديث : « أغنوهم فى هذا اليوم » ..

● س : ويسأل ج . ع السيد من المنصورة عما إذا كان الدين المؤجل يمنع زكاة الفطر أم لا ؟

- ج : إذا كان فى يد الإنسان ما يخرجه عن صدقة الفطر وعليه دين مثله لزمه أن يخرج الصدقة إلا أن يكون مطالباً بالدين فعليه قضاء الدين ولا زكاة عليه .

قال ابن قدامة فى كتاب « المغنى » : إنما يمنع الدين الفطرة كما يمنع زكاة المال لأنها آكد وجوباً بدليل وجوبها على الفقير ، وشمولها لكل مسلم قدر على إخراجها ، ووجوب تحملها عمن وجبت نفقته على غيره ولا تتعلق بقدر من المال فجرت مجرى النفقة ، لأن زكاة المال تجب بالملك فأثر فيها ، وهذه تجب على البدن والدين لا يؤثر فيه وتسقط الفطرة عند المطالبة بالدين لوجوب أدائه عند المطالبة ، وتأكد بكونه حق آدمى معين ولا يسقط بالإعسار وكونه أسبق سبباً وأقدم وجوباً يأثم بتأخيره ، فإنه يسقط غير الفطرة وإن لم يطالب به لأن تأثير المطالبة إنما هو إلزام الأداء وتحريم التأخير .

● س : ويسأل ع . م . عبدالباقى من دمنهور عن شروط وجوب الفطرة على الفقير ؟

ــ ج : لقد اشترط الجمهور لإيجاب هذه الزكاة على الفقير أن يكون عنده مقدارها فاضلاً عن قوته وقوت من تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وأن يكون فاضلاً عن مسكنه ومتاعه وحاجاته الأصلية ، فمن كان له دار يحتاج إليها لسكناها أو إلى أجرها لنفقته أو ثياب بذلة له أو لمن تلزمه مؤنته أو بهائم يحتاج إلى ركوبها والانتفاع بها فى حوائجه الأصلية أو سائمة يحتاج إلى نمائها كذلك أو بضاعة يختل ربحها الذى يحتاج إليه بإخراج الفطرة منها فلا فطرة عليه ، ومن له كتب يحتاج إليها للنظر فيها والحفظ منها لا يلزمه بيعها ، والمرأة إذا كان لها حلى للبس أو لكراء تحتاج إليه لم يلزمها بيعه فى الفطرة،وما فضل من ذلك عن الحوائج الأصلية وأمكن بيعه وصرفه فى الفطرة وجبت الفطرة به لأنه أمكن أداؤها من غير ضرر أصلى فأشبه ما لو ملك من الطعام ما يؤديه فاضلاً عن حاجته .

● س : ويسأل ع . ش من الإسماعيلية عن وقت إخراج زكاة الفطر ، وهل تبقى دينا فى ذمة من لم يخرجها أم أنها تسقط عنه ؟

ــ ج : روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة ..

وعن عكرمة قال : يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدى صلاته إن الله تعالى يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ « سورة الأعلى ١٤ ـ ١٥ » .

وقد أخرج البخارى ومسلم عن أبى سعيد « كنا نخرج فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الفطر صاعا من الطعام » ، وظاهره صحة الإخراج فى اليوم كله ، ولكن الشراح تأولوا بأول اليوم ، وهو ما بين صلاة الصبح وصلاة العيد .

وحمل الشافعى التقيد بـ « قبل الصلاة » على الاستحباب لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أغنوهم فى هذا اليوم » واليوم يصدق على جميع النهار . فلو أخرها عن صلاة الإمام وفعلها فى يومه لم يأثم وكانت أداء وإن أخرها عن يوم الفطر أثم ولزم إخراجها وتكون قضاء ـ وهو مروى عن مالك وأبى حنيفة وأحمد .

ويرى جمهور الفقهاء أن تأخيرها عن الصلاة مكروه لأن المقصود الأول منها إغناء الفقير عن السؤال والطلب فى هذا اليوم ، فمتى أخرجها فات جزء من اليوم دون أن يتحقق هذا الإغناء .

ومن لم يؤدها حتى خرج وقتها وجبت فى ذمته ، وماله لمن هى له فهى دين له وحق من حقوقهم ، وقد وجب إخراجها من ماله وحرم عليه إمساكها فى ماله فوجب عليه إخراجها أبدا ، ويسقط بذلك حقهم ويبقى حق الله فى تضييعه الوقت لا يقدر على جبره إلا بالاستغفار

وصف خروج المتوكل

لصلاة عيد الفطر

للبحتري

بالبر صمت وانت افضل صائم ... وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عيدا إنه ... يوم أغرّ من الزمان مُشهّر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب ، يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل ، والفوارس تدعي ... والبيض تلمع ، والأسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها ، ... والجو معتكر الجوانب اغبر
والشمس ماتعة توقد بالضحا ... طورا ، ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت ... تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
وافتن فيك الناظرون : فَإصْبَع ... يُومى إليك بها ، وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها ... من انعم الله التى لا تكفر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ، ولا يتكبر
فلو ان مشتاقاً تكلف فوق ما ... فى وسعه لسعى إليك المنبر

الشاعر :

هو أبوعبيدة الوليد بن عبيد الطائى ولد بناحية منبج بالشام عام ٢٠٤ هـ وتنقل فى قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطىء الفرات ، فغلبت عليه فصاحة العرب ، اتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان ـ وتوفى عام ٢٨٤ هـ ويمتاز شعره برقة الاسلوب وحسن الخيال وإجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح وقد لازم الشاعر ابا تمام وتاثر به ، وكان لذلك اثر واضح فى جودة شعره .

القصيدة :

رغم أنها تمدح المتوكل العباسى إلا أن الشاعر يبرز بوضوح قوة الإسلام حينئذ مجسمة فى جيش ضخم كان يحف بالمتوكل وكأنه جبال تتحرك فترجف الارض وتهتز لضخامته وعدده الكثيف ، ويتحدث عن جلال موكب المتوكل فى اثناء خروجه لاداء صلاة عيد الفطر ، وما احاط المتوكل من هالات ومن محبة للشعب ، كل ذلك فى وصف دقيق وشعر رقيق وجمال صوتى بديع وارتفاع باختيار الكلمات والملاءمة بينها فى الجرس حتى أننا نجد بين الحروف والكلمات وحركاتها ما يرتفع بها إلى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها شاعر ، وكأنما كانت له اذن داخلية مرهفة تقيس كل حرف وكل حركة وكل ذبذبة صوتية حتى جاء شعراً مصفى مروقاً تلذ به الألسنة والآذان والاذهان .

ابتهال

للأستاذ/ عمر موسى البرعى

يامن له الامر فى الأولى وفى الاخرى ... جلت أياديك فاقبل منى الشكرا
ياخالق الأرض والافلاك مقتدرا ... فى بدع صنعك رحنا نمعن الفكرا
يامن جباه الورى تعنو لعزته ... اكشف بفضلك عنا الباس والضرا
انت الميسر لليسرى وانت إذا ... ما شئت بدلت عسر المشتكى يسرا
فى ظل فضلك يحيا الناس فى رغد ... من يرتجيك بصدق لا يرى الفقرا
انت الذى ابدع الأكوان من قدم ... وسخر الشمس والأفلاك والبدرا
وانت من ابدع الأشياء فى صور ... شتى وانشا فيها السهل والوعرا
قد سبحت باسمك الدنيا باجمعها ... طوعا واخلصت التوحيد والذكرا
من يعبد الواحد الديان محتسبا ... اثابه الله واستوفى له الأجرا
ياكاشف الضر والارزاء مكرمة ... فى ظل فضلك نرجو العفو والخيرا
إنى بجاهك ياألله معتصم ... ومن يلوذ به لا يرهب الدهرا
من يتق الله للتوحيد منتسبا ... بنى له الله فى جناته قصرا
ياعالم الغيب والأسرار اجمعها ... لانت تعلم منى السر والجهرا
إنى اقترفت ذنوبا لا عداد لها ... وانت من يغفر الزلات والوزرا
ياسابغ الفضل إحسانا ومرحمة ... اسبغ علينا الرضا والفضل والسترا
فالله يحفظ من بالحب آثره ... وفى عبادته يستعذب الصبرا
انزلت «ذكرك» للإنسان موعظة ... كم فاز بالخير عبد يقرأ الذكرا
فاجعله يارب يوم العرض يشفع لى ... يامن له الامر فى الأولى وفى الأخرى



دراسة نصية منهجية ٢

د. أحمد محمد على حنطور

(ب) الرواية والتوثيق :

وردت أبيات العباس بن عبد المطلب فى مدح الرسول الكريم فى مصادر متعددة ، نوجز الحديث عما وقفت عليه منها فى ذكر المصادر الآتية :

١ ـ غريب الحديث ، لأبى محمد عبد الله ابن قتيبة الدينورى « ت ٢٧٦ هـ » ، فقد جاء فى الجزء الأول ص ٣٥٩[٢] . « وقال أبو محمد فى حديث النبى ﷺ ، إن العباس ابن عبد المطلب قال له : يارسول الله ، إنى أريد أن امتدحك ، قال : قل لا يفضض الله فاك .

قال العباس : « من المنسرح »

١ ـ من قبلها طبت فى الظلام
وفى مستودع حيث يخصف الورق[١]

٢ ـ ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق

٣ ـ بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق[٢]

٤ ـ تنقل من صالب إلى رحم
إذا مضى عالم بدا طبق[٣]

---

(١) جمهرة أشعار العرب . تحقيق على محمد البجاوى . ص ٢٩ .

(٢) تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى . نشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية . مطبعة العانى ببغداد .

(٣) يريد : من قبل هذه الحياة طبت فى ظلال الجنة ، وفى الموضع الذى استودعته منها . حيث يخصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة .

(٤) نسر : صنم كان لقوم نوح ، والجمهم الغرق : وصل إلى أفواههم فصار لهم مثل اللجام للدابة .

(٥) الصالب : الصلب ، وهو الظهر ، والمراد بالطبق القرن ، ويطلق على العالم أو الأمة كذلك .

٥ ـ حتى احتوى بيتك المهيمن من

خندف علياء تحتها النُّطق[٤]

٦ ـ وأنت لما ولدت أشرقت الـ

أرض وضاءت بنورك الأفق[٥]

٧ ـ فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ

ـور وسبل الرشاد نخترق[٦]

٢ ـ الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية ، لأبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى « ت ٣٢٢ هـ » وقد أورد الأبيات الخمسة الأولى فى الجزء الأول من الكتاب ص ١١٠[٧] .

٣ ـ أمالى الزجاجى ، لأبى القاسم عبد الرحمن ابن أبى اسحاق الزجاجى « ت ٣٤٠ هـ » ، وقد أورد الأبيات السبعة فى كتابه ص ٦٥ ، وذلك مع مخالفة فى رواية البيت الأخير ونصه :

ونحن فى ذلك الضياء وفى سبـ

ـل الهدى والرشاد نخترق[٨]

٤ ـ دلائل النبوة ، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى « ت ٤٥٨ هـ » ، وقد ذكر الأبيات السبعة فى الحديث عن أعقاب غزوة تبوك . جـ ٥ ص ٢٦٨[٩] .

٥ ـ الفائق فى غريب الحديث ، لجار الله محمود ابن عمر الزمخشرى « ت ٥٣٨ هـ » ، وقد أورد الأبيات السبعة فى كتابه الجزء الثالث ص ١٢٣[١٠] .

٦ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين المبارك بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير « ت ٦٠٦ هـ » ، وقد جاءت الأبيات السبعة مفرقة فى الأجزاء : ١ ص ٥٦ ، ١٧٠ ، ٢ ص ٣٨ ، ٣ ص ٤٤ ، ١٠٥ ، ١٦٠ ، ٢٩٥ ، ٥ ص ٤٧ ، ٧٥ ،١٦٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٥[١١] .

٧ ـ الحماسة البصرية ، لصدر الدين على ابن أبى الفرج البصرى « ت ٦٥٦ هـ » ، وقد جاءت روايته للأبيات فى الجزء الأول ص ٦١٠ ، وهى تقتصر على ستة منها مرتبة بترقيم ابن قتيبة على النحو الآتى : ٦ ، ٧ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤[١٢] .

٨ ـ تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن الكريم ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى « ت ٦٧١ هـ » ، وقد ذكر فى تفسيره لآخر سورة الشعراء أربعة أبيات منها ، هى من ١ – ٤ بترتيب ابن قتيبة .

٩ ـ لسان العرب ، لجمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم بن منظور « ت ٧١١ هـ » ، وقد جاءت الأبيات السبعة مفرقة فى المعجم فى مواد : أفق ، بيت ، خصف ، صلب ، ضوأ ، ظلل ، علا ، نطق ، هبط ، همن ، ودع . « طبعة دار المعارف بالقاهرة » .

١٠ ـ زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية « ت ٧٥١ هـ » ، وقد جاءت الأبيات السبعة فى الجزء الثالث ص ٥٥١[١٣] .



(٦) احتوى بيتك : حاز شرفك . المهيمن : الشاهد بالشرف القائم بالأمر . « وخندف كزبرج : اسم امرأة إلياس بن مضر ، وهى ليلى القضاعية أم عرب الحجاز » والتى يضرب بها المثل فى الشرف . والنُّطق جمع نطاق والمراد بها أعراض الجبال وأوساطها . فقومه يمثلونها ، وهو فى العلياء اى فى القمة من شرف قومه .

(٧) ضاءت الأفق : استنار ما ظهر من نواحى الفلك وأطراف الأرض .

(٨) نخترق : نسلك ونسير .

(٩) تعليق حسين بن فضل الله الهمدانى . مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

(١٠) تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة المدنى بالقاهرة .

(١١) توثيق وتخريج د . عبد المعطى تلعجى . دار الكتب العلمية ببيروت . الطبعة الأولى .

(١٢) تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى . مطبعة عيسى البابى الحلبى .

(١٣) تحقيق طه الزواوى ومحمود الطناحى . مطبعة عيسى البابى الحلبى .

قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم

ومن قراءة الأبيات فى المصادر السابقة يمكن الخروج بالملاحظات الآتية :

١ ـ أن ترتيب الحماسة البصرية أقرب إلى القبول من ناحية الدراية ، فهى أوفق من ناحيتى الابتداء وعود الضمائر . فقصة الأبيات تحكى أنه لما « دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه ، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن : طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع « الأبيات »

فلما أشرف على المدينة قال : هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه ، فلما دخل المدينة قال العباس : يارسول الله ائذن لى أن امتدحك ، فقال ﷺ : قل لا يفضض الله فاك[١٤] » ، فقال الأبيات .

فالحوار قائم بين الرسول الكريم ﷺ وعمه ، وتصدير الأبيات بضمير المخاطب « أنت » يأتى فى نسقه المتوائم مع المقام ، وفى البدء بقوله « من قبلها » يواجهنا عود الضمير على غير مذكور . وقد تأول شراح الأبيات أن يعود الضمير على مفهوم هو : الحياة الدنيا أو الولادة أو النبوة كما يؤخذ من الأبيات[١٥] . أو الأرض ونزوله إليها ، فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى[١٦] أو البلاد بعده ، فهو ضمير يفسره مابعده على ما ذهب الأخفش فى مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ « سورة الحج » .

٢ ـ ويتصل بما سبق أن صاحب الحماسة البصرية ذو بصر بالشعر ونسقه ، وقد أعمل ذوقه حين ذكر الأبيات بهذا الترتيب ، وهو بذلك يختلف عمن سواه من العلماء الأجلاء الذين نجدهم بين لغوى محدث يصوب نظره إلى الشاهد اللغوى قبل الفن فى الشعر ، أو معجمى مؤصل للغة يبحث عن المستعمل فى كلام العرب فى نظرة جزئية تحول دون رؤية العمل فى تناسقه الكلى ، أو عالم دينى ينهج طريق أصحاب السير فى عنايتهم بتسجيل الأحداث كما سمعت دون تحقيق البناء . وذلك يذكرنا بما قاله أبو عثمان الجاحظ « طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد ابن عبد الملك الزيات[١٧] » .

ويشهد للترتيب الوارد فى غريب الحديث لابن قتيبة أن أبيات العباس جاءت ـ فيما نرى ـ تجاوبا مع الأحداث المتقدمة عليها ، من إنشاد أهل المدينة فى استقبالهم للرسول الكريم ، وقوله عند إشرافه عليها « هذه طابة .. » وذلك يجعل الأبيات ـ بعد التجاوب ـ تعقيبا على كلمة « هذه طابة » ، ويقف بنا على معود جديد للضمير لم نجده لدى الشراح وهو طابة ، كما يؤكده التعبير بالفعل « طبت » . ومن ثم فنحن نتناول الأبيات فى نسقها الوارد فى «غريب الحديث» لذلك ، فضلاً عن تسلسلها المعنوى فيه الذى يجعل منها قصة متتابعة الأحداث .

---

(١٤) تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

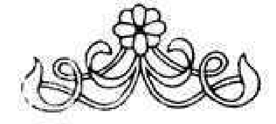
(١٥) تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة ببيروت .

(١٦) زاد المعاد حـ ٣ ص ١٥٥١ . وفى غريب ابن قتيبة من حديث حريم بن أوس بن حارثة قوله : هاجرت إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد منصرفه من تبوك . فسمعت العباس يقول ذلك لرسول الله ﷺ (حـ ١ ص ٣٥٩) .

(١٧) الكشف عن مساوىء المتنبى . كتاب الإبانة عن سرقات المتنبى للعميدى . دار المعارف ص ٢٤٤ .

العلوم الكونية

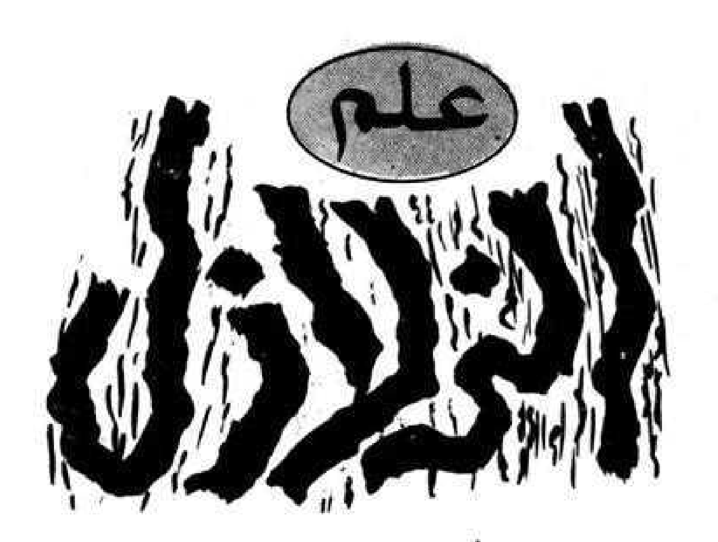
علم الزلازل



ناقوس الخطر: الإسراف في تناول الطعام

الجديد في العلم والتقنية





د. أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم
جامعة القاهرة

علم الزلازل فى التراث الإسلامى :

العلم الحديث الذى يعنى بدراسة ظاهرة الزلازل والتعرف على أسبابها وخواصها وآثارها من جميع جوانبها الجيولوجية والجغرافية والكونية والفيزيائية يعرف باسم « علم الزلازل » أو « السيزمولوجيا » Seismology وهى كلمة إغريقية الأصل .

وقد كان التعليل القديم لحدوث الزلازل قائماً على الخرافات والأساطير والتصورات العقلية البحتة ، كأن يعتقد أن الثور الذى يحمل الأرض يتعب فينقل الأرض من قرن إلى قرن ، أو أن الأموات يحاولون أن يخرجوا إلى سطح الأرض فتهتز من محاولتهم[١٤] . حتى ماجاء فى الفلسفة الإغريقية عن الزلازل يعتبر مجرد تخيلات عقلية بعيدة عن الواقع ، يمثلها رأى ارسطو الذى يقول بأن الأرض جافة بطبيعتها ، لكن المطر يملؤها بالرطوبة ، وتقوم الشمس ونارها بتسخينها وتتسبب فى الرياح ، والزلازل هى نتيجة ضرورية لذلك[١٥] .

ولم يشهد علم الزلازل بدايته الحقيقية إلا على أيدى علماء الحضارة الإسلامية الذين تشبعوا بروح الإسلام وتعاليمه ، واستلهموا منها مقومات البحث العلمى ومنهج التفكير السليم فى مختلف الظواهر الكونية للتعرف على طبيعة سلوكها والاهتداء إلى حكمة وجودها فى ربط

(١٤) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، محرم ١٣٩٧ ـ كانون الثانى ١٩٧٧ ، ص ٥٦ .

(١٥) Vide Arstotle : Meteorologica, ed. ross, Oxford 1930, Vol.3, P.3656

عن كتاب : « الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، الثالث والرابع الهجريين ، الترجمة العربية ، الكويت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠ م ، ص ١١٧

الإنسان بخالقه ، وربطه أيضاً بعالمه الذى يعيش فيه .

فقد ذكر ابن سينا آراء علمية عن أسباب حدوث الزلازل بقوله : « الزلزلة حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض بسبب ما تحته ، ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه ، والجسم الذى يمكن أن يتحرك تحت الأرض ويحرك الأرض ، إما جسم بخارى دخانى قوى الاندفاع كالريح ، وإما جسم مائى سيال ، وإما جسم هوائى ، وإما جسم نارى ، وإما جسم أرضى ، والجسم النارى لا يكون ناراً صرفة بل يكون لا محالة فى حكم الدخان القوى وفى حكم الريح المشتعلة ، والجسم الأرضى لا تعرض له الحركة أيضاً إلا بسبب مثل السبب الذى عرض لهذا الجسم الأرضى فيكون السبب الأول الفاعل للزلزلة ذلك ، فأما الجسم الريحى ، ناريا كان أو غير نارى ، فإنه يجب أن يكون هو المنبعث تحت الأرض ، الموجب لتمويج الأرض فى أكثر الأمر »[١٦] .

ويذكر ابن سينا أن أكثر أسباب الزلزلة هى الرياح المحتقنة ، ويستدل على ذلك بأن البلاد التى تكثر فيها الزلازل إذا حفرت فيها آبار وقنى كثيرة حتى كثرت مخالص الرياح والأبخرة قلت الزلازل بها ، وأكثر ما تكون الزلازل إنما تكون عند فقدان الرياح ، لأن مواد الرياح يعرض لها الاحتباس ، وأيضاً أكثر ماتكون الزلازل فى بلاد متخلخلة غور الأرض ، متكاثفة وجهها ، أو مغمورة الوجه بماء يجرى ، أو ماء غمر كثير لا يقدر الريح على خرقه ، ولا يفوت عبقرى الحضارة الإسلامية أن يذكر بفوائد الزلازل والغاية منها فيقول : « منافع الزلازل تفتيح مسام الأرض للعيون ، وإشعار قلوب فسقة العامة رعب الله تعالى »[١٧] . كما يصف ابن سينا بعض أنواع الزلازل فيقول : « منها مايكون على الاستقامة إلى فوق ، ومنها مايكون مع ميل إلى جهة ، ولم تكن جهات الزلزلة متفقة ، بل كان من الزلازل رجفية ، ما يتخيل معها أن الأرض تقذف إلى فوق ، ومنها ما تكون اختلاجية عرضية رعشية ، ومنها ماتكون مائلة إلى القطرين ويسمى القطقط ، وماكان منها مع ذهابه فى العرض يذهب فى الارتفاع أيضاً ويسمى سلّمياً »[١٨] . ويتضح من الدراسة التحليلية لهذه النصوص أن تصور ابن سينا للرياح المحبوسة يختلف تماماً عما ذكرناه منسوباً لأرسطو ، كما أن آراء ابن سينا تتفق مع ماجاء فى علم الجيولوجيا الحديث من أن خسف الأرض الملازم أحيانا للهزات الأرضية يحدث نتيجة لخروج حمم بركانية أو لوجود فراغات تحت سطح الأرض فى المناطق التى يكثر فيها حجر الجير ، وكنتيجة للهزة الأرضية ينخفض مستوى سطح الأرض أو يحدث أحياناً انجراف أرضى أثناء حدوث الزلازل . وفيما يتعلق بفوائد الزلازل فى تفتح العيون فهو صحيح من الناحية العملية ، ◆

---

(١٦) د . عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ١٤١ .

(١٧) د . عبد الحليم منتصر ، المرجع السابق ، نفس الصفحة . انظر أيضاً مؤلفنا : « التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة » ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٢٥ .

(١٨) انظر المرجعين السابقين . وتجدر الإشارة إلى أننا لم نعثر على معنى لكلمة « القَطْقَط » يتصل بحدوث الزلزال ، اللهم إلا ما جاء فى لسان العرب ، مادة « قطط » ليشير إلى الميل والانحدار ، حيث يقال : تقطقطت الدلو إلى البئر ، أى انحدرت ، ولعل هذا ما قصده ابن سينا من التسمية تعبيراً عن الحركة المائلة للزلزلة . أما الزلزال السلمى الذى يذهب فى العرض وفى الارتفاع ففيه معنى السلم الذى يرتقى عليه .

علـــم الـــزلازل

حيث تؤدى الزلازل إلى تفتح عيون المياه، وخاصة عيون المياه المعدنية فى بعض الحالات.

أما عن تقلص عدد الزلازل فى المناطق التى تحفر فيها آبار وقنى كثيرة، بحسب رأى ابن سينا، فقد كان يعتقد حتى عهد قريب أنه رأى لا يوجد له سند علمى نظراً لعمق مصادر التحركات الأرضية المسببة للزلازل إلى مسافات كبيرة تحت سطح الأرض. ولكن دراسة السجلات الاهتزازية أوضحت حديثاً أن أغلب الزلازل تنشأ عن أعماق تبدأ من ٥ كم حتى أقل من ٦٠ كم تحت سطح الأرض، وتعرف بالزلازل الضحلة، بينما تحدث نسبة ضئيلة من الزلازل العميقة والمتوسطة العمق عند أعماق أكبر تصل إلى ٧٠٠ كم، وتتجه الأنظار حاليا إلى الاستفادة من هذه الدراسات فى ولاية كاليفورنيا التى تحدث بها الزلازل عند أعماق ضحلة، مما يسهل من عمليات الحفر باعتبارها من الحالات المناسبة للتحكم فى الزلازل[١٩].

كذلك حاول «إخوان الصفا» شرح أسباب الزلازل، فجاء فى الجزء الثانى من رسائلهم أن «الكهوف والمغارات والأهوية التى فى جوف الأرض والجبال، إذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه، بقيت تلك المياه هناك محبوسة زمانا، وإذا حمى باطن الأرض وجوف تلك الجبال، سخنت تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخاراً، وارتفعت وطلبت مكانا أوسع، فإن كانت الأرض كثيرة التخلخل، تحللت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ، وإن كان ظاهر الأرض شديد التكاثف حصينا، منعها من الخروج، وبقيت محتبسة تتموج فى تلك الأهوية لطلب الخروج، وربما انشقت الأرض فى موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسف مكانها ويسمع لها دوى وهدة وزلزلة .. وجوف الأرض على درجة حرارة عالية جداً ويوجد بداخله أيضاً مياه كبريتية أو نفطية دهنية، ولهذا فإن الرياح التى تتخذ طريقها فى الأجزاء السفلية تتطاير وتتحد مع الكبريت وينتج عنها قوة انفجارية ودخان ونار»[٢٠].

ومرة أخرى، يحاول الذين يصرون على إسقاط الدور الإسلامى من حركة التاريخ أن يوصلوا للعلم الحديث بالرجوع إلى عصر الإغريق، وذلك بالمقارنة بين هذا الرأى «لإخوان الصفا» والرأى الذى ذكرناه منسوبا لأرسطو، لكن المقارنة الأمينة بين الرأيين توضح لنا فارقا كبيرا فى التحليل والتعليل، تبين ما عليه الرأى العربى من وضوح وتوافق مع آراء المدرسة العلمية الإسلامية من جهة، على نحو ما وجدنا عند ابن سينا، ومع الآراء العلمية الحديثة من جهة أخرى.

علم الزلازل فى العصر الحديث:

يرى العلم الحديث أن الزلازل ما هى إلا هزات سريعة خاطفة ومتلاحقة لسطح الأرض الذى نعيش عليه نتيجة وصول طاقة زلزالية إليه تكون قد انطلقت فى جميع الاتجاهات على هيئة موجات زلزالية من بؤرة تقع على أبعاد ضحلة أو متوسطة أو عميقة تحت سطح الأرض. وتنقسم الموجات الزلزالية المنبعثة من البؤرة إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى:

(١٩) تاربوك ولوتجنز، الأرض، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، الترجمة العربية، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، جامعة الفاتح، طرابلس ليبيا ١٩٨٩، ص ٤٠٠.

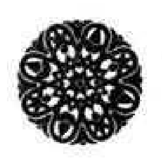
(٢٠) الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، مرجع سابق، ص ١١٧.

(أ) الموجات الأولية التضاغطية ، وتنتقل خلال الأرض بسرعة تزيد قليلاً على ٦ كم/ث ، وتنتقل بنفس الطريقة تقريباً التى تنتقل بها موجات الصوت خلال الهواء ، أى أنها عبارة عن موجات طولية تحرك جسيمات الوسط فى نفس اتجاه انتقالها ، وتتميز بقدرتها على الانتقال خلال المواد السائلة والصلبة .

(ب) الموجات الثانوية المستعرضة ، وهى تنتشر بسرعة ٣ ـ ٤ كم/ث وتحرك جسيمات الوسط فى اتجاه عمودى على اتجاه حركتها ، ولا يمكنها الانتقال إلا خلال الأوساط الصلبة .

(حـ) الموجات السطحية ، وهى أبطأ الموجات الزلزالية ، وتنتشر فقط على طول سطح الأرض بحركة تشبه حركة أجزاء الماء المتموج . وتعتبر حركة الموجات السطحية من أكثر الحركات الموجبة تعقيداً ، ويحدث أثناء انتقالها عبر سطح الأرض أن تحركه وتحرك كل ما فوقه بنفس الطريقة التى تقذف بها أمواج المحيط العاتية سفينة فوق سطح الماء . فبالإضافة إلى حركة الموجات السطحية إلى أعلى وإلى أسفل ، تتحرك أيضاً من جانب إلى جانب آخر فيما يشبه حركة الموجات الثانوية المتجهة أفقيا ، وهذه الحركة الأخيرة هى المسئولة عن الدمار الذى يلحق بالمبانى والمنشآت .

أما شدة الهزات الزلزالية فى منطقة ما ، فتقدر بأعداد وضعها العالم « ريختر » على مقياس يعرف باسمه ، ويقضى بأن الزلازل الضعيفة تتراوح درجتها بين ١ و٣ وتحدث بمعدل ٩٠٠,٠٠٠ زلزال سنويا ، ولكن الإنسان لا يشعر بها عادة ، والزلازل المتوسطة تتراوح بين ٤ و٥ والزلازل العنيفة بين ٦ و٧ والزلازل التى يصاحبها دمار شامل لكل المواقع المأهولة القريبة تزيد درجتها على ٨ واحتمال حدوثها عالميا ضئيل جداً . ولقد بلغ أقوى زلزال حتى الآن حوالى ٨,٦ على مقياس « ريختر » وهو ما حدث فى جنوب شيلى عام ١٩٦٠ ، ويبدو أنه لم يقع أى زلزال يزيد مقداره على ٩ ويتم تسجيل هذه الموجات الزلزالية بواسطة المرجفة أو السيزموجراف Seismograph لكن العلم لايزال عاجزاً أمام التنبؤ بالتحديد الدقيق لموعد ومكان وشدة الزلزال قبل حدوثها .. وبالرغم من ذلك فإن الأمل فى إنقاذ البشرية من أى زلزال مدمر هو الذى يدفع العلماء إلى مواصلة البحث الذى بدأه علماء الحضارة الإسلامية عن أسباب حدوث الزلازل ومحاولة التحكم فى شدتها وتخفيف آثارها المدمرة .



ناقوس الخطر

الإسراف فى تناول الطعام

د. موسى مدنى مصطفى

إذا كان الغذاء هو الأساس فى بناء الجسم وتجديد نشاطه وقواه، فهو ـ فى الوقت نفسه ـ من أسباب ضعفه ومرضه، وليس فى جسم الإنسان ما هو أضر به من إدخال الطعام وازدحام المعدة به.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِهِ».

رواه النسائى والترمذى وقال: حسن صحيح! «وأكلات» جمع: «أكلة»، وهى لقمة: وروى الديلمى عن أنس ـ رضى الله عنه، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إياكم والبطنة[1] من الطعام، فإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على آخرته» وروى الطبرانى عن واثلة ـ رضى الله عنه ـ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «أصل كل داء البَرَدَة».

و«البردة»: «التخمة»، لأنها تبرد حرارة الشهوة. والمضار الكثيرة التى يسببها الإفراط فى تناول الطعام هى التى جعلت سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول للناس:

«إياكم والبطنة، فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فى قوتكم، فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن التَّرف، وإن الله ليبغض الحبر السمين».

والتخمة أو الإفراط فى تناول الطعام بأنواعه (المواد النشوية والسكرية والبروتين والدهون)، هو العامل الرئيسى لإحداث السمنة، حيث يأخذ الجسم حاجته منها فى صورة سعرات حرارية، ويخزن الزائد فى صورة دهون، فإذا صاحب ذلك قلة استهلاك الطاقة لعدم بذل الجهد البدنى، فإن ذلك يؤدى إلى

تراكم كميات زائدة من الدهون فى جسم الإنسان وهو ما يعرف بالسمنة[2].

(١) البطنة: الامتلاء الشديد نتيجة الإسراف فى تناول الطعام.

(٢) تعرف السمنة بأنها فرط «زيادة» فى دهن الجسم.

وتشيع السمنة بعد سن الخامسة والثلاثين حيث تقل كمية المجهود البدنى الذى يبذله الشخص بعد هذه السن ، ومع اقتراب منتصف العمر ، فإن الترقى لوظائف إدارية كبيرة وما يتبع ذلك من الجلوس على المكتب لساعات طويلة دون جهد بدنى يذكر ، يؤدى إلى المزيد من السمنة » .

من هنا فإن نقص النشاط الجسدى إذا لم يصاحبه نقص مماثل فى الأكل (إدخال الطعام إلى الجسم) ، فإن ذلك يؤدى إلى السمنة ، وكذلك وجد أن تناول بعض الأدوية يؤدى إلى السمنة .

وقد يؤدى الخلل الهرمونى الناتج عن خلل فى وظائف الغدة الدرقية أو النخامية أو جار الكلوية إلى السمنة ، كما أن هرمونات الأنوثة تلعب دوراً فى ذلك ، فقد تحدث السمنه عقب الحمل ، أو بعد استئصال المبيضين ، أو الرحم ، أو فى سن اليأس ، وفى هذه الحالات يؤدى علاج الخلل الهرمونى إلى تحسن ملحوظ فى السمنة .

أما عن عوامل الوراثة فلم يفهم دورها فى السمنة بصورة واضحة ومن ناحية أخرى فإن العادات الغذائية للأسرة قد تكون هى المسئولة عن السمنة أكثر من العوامل الوراثية ، فأطفال الأسر التى تميل إلى تناول الأطعمة المقلية والحبوب ومنتجات الألبان والحلويات يكونون أكثر وزنا من جيرانهم الذين يميلون إلى تناول الخضروات والفواكه واللحوم .

الأخطار المنسوبة إلى السمنة : تزيد السمنة خطر المرض ، خصوصاً عندما يصاحبها الداء السكرى[٣] أو ارتفاع الكولسترول فى الدم ، أو الضغط الدموى المرتفع ، وفرط الوزن يشكل عامل خطر يمكن أن يؤدى إلى حدوث تصلب الشرايين ومرض الشريان التاجى للقلب ، وبعض انواع السرطان ، وبعض الاضطرابات المعدية والمعوية ومنها : الحصاه الصفراوية ، ولكن السمنة لا تكون دائما مرتبطة مع أمراض أخرى .

مرض السكر (البول السكرى) :

تمثل السمنة عاملا قويا فى الإصابة بمرض السكر فى مراحل العمر المتوسطة وزيادة الوزن دائما تكون علامة خطر ، ويرتبط نمط الداء السكرى الثانى بالسمنة فى أكثر الأحيان ، فثمانون فى المائة من المصابين بالنمط الثانى هم من السمان ، ويعتقد أن السمنة من أسباب مقاومة الإنسولين فى هذا النمط من الداء السكرى ، ولذلك فإن أفضل وقاية معروفة من الداء السكرى هى إنقاص الوزن بين المرضى ، وقد وجد « كيسبا » وزملاؤه عام (١٩٨٢) أن الداء السكرى يتوافق مع دهن القسم الأعلى من الجسم أكثر مما يترافق مع دهن الطرفين السفليين ، ويؤدى إنقاص الوزن فى المصابين بالداء السكرى إلى إنقاص مستوى مقاومة الإنسولين ومستوى الجلوكوز فى الدم ، وكذلك إلى نقص ارتفاع ضغط الدم ودهنيات الدم العالية التى تصاحب الداء السكرى .

وعموما فإن تنظيم التغذية هو أفضل علاج لمرضى السكر المسنين المصابين بالسمنة ، كما انه

(٣) الداء السكرى : المقصود به مرض السكر فى الدم (مرض البول السكرى) .

ناقوس الخطر

الإسراف فى تناول الطعام

عامل مساعد إلى جانب العلاج بالإنسولين فى مرضى السكر صغار السن .

ارتفاع ضغط الدم :

أكدت الدراسات الوبائية والتجارب على العلاقة الوثيقة بين زيادة وزن الجسم (السمنة) وارتفاع ضغط الدم ، كما أن إنقاص الوزن يؤدى إلى نقص ارتفاع ضغط الدم والعكس بالعكس ، وارتفاع ضغط الدم يشكل عامل خطر يمكن أن يؤدى إلى حدوث مرض الشريان التاجى للقلب ، وللحوادث المخية الوعائية (السكتات) وكذلك يمكن أن ينسب عدد كبير من حالات مرض الكلية فى المرحلة المنتهية إلى ضغط الدم العالى ، والعلاج الأمثل لارتفاع ضغط الدم الأولى ليس صيدلانيا بل إنه قوتى بالدرجة الأولى . وهو يتضمن إنقاص الوزن ، والحد من الصوديوم ، والحد من الكحول ، وإيقاف التدخين ..

تصلب الشرايين :

ويعتبر مرض تصلب الشرايين الناتج عن السمنة[4] سببا لأكثر الأمراض القلبية الوعائية ، ومع أن بعض الأمراض القلبية الوعائية يمكن أن تعزى إلى عوامل أخرى ، فإن مرض تصلب الشرايين يسهم فى هذه الأمراض أو يزيدها سوءاً ، وهذه الأمراض كلها قد تؤدى إلى الشلل الدائم ، وكلها من عواقب تصلب الشرايين الذى لم يزل يعزى إلى السمنة الناتجة عن الإفراط فى تناول الطعام .

الكوليسترول :

وقد خلص كبير أطباء الولايات المتحدة أوزدهس فى تقريره الحديث عام (١٩٨٨) عن التغذية والصحة إلى أن الصلة بين كوليسترول الدم ومرض تصلب الشرايين صلة قوية مستمرة ومتدرجة ، وقد خلص التقرير إلى العلاقة الأكيدة بين كوليسترول الدم وتناول الطعام .

إن تناول الدهون والكوليسترول فى الطعام يرفعان المستوى الكلى لكوليسترول الدم ومستويات البروتينات الدهنية الضارة . والأطعمة الغنية بالكوليسترول هى اللحم ومشتقات الحليب والبيض ، ويوجد الكوليسترول فى القسم الدهنى من النواتج الحيوانية (القشده والسمن ..) ، ولذلك فهو قليل فى النواتج الحيوانية القليلة الدهن أو المقشودة (الجبن القريش والزبادى) ، ولا يوجد الكوليسترول أبداً فى الخضار أو الحبوب .

وقد أجريت فى السنوات الأخيرة عدة دراسات تجريبية غايتها فهم كيف يسهم الكوليسترول فى تشكيل اللويحات التصلبية الشرايينية ؟ حيث وجد أن البروتينات الدهنية المحتوية على

(٤) ثبت علميا وجود علاقة وثيقة بين ارتفاع نسبة الدهون فى بلازما الدم وبين الإصابة بتصلب الشرايين فقرب أول القرن الحالى أحدثت لويحات تصلبية شرايينية ، شبيهة بتلك التى تشاهد فى شرايين الإنسان ، وذلك بإعطاء الحيوانات طعاما من الكوليسترول المصفى وأطعمة غنية بالبروتينات الحيوانية .

الكوليسترول تسهم فى تبطين جدران الشريان ، وينتج عن ذلك تكاثر الخلايا الشريانية والخثار Thrombosis وتشكيل اللويحات التصلبية الشرايينية . والدهون المشبعة مسئولة بشكل خاص عن ازدياد كوليسترول الدم . وهى تزيد أيضا نشاط التجلط وتكدس الصفيحات الدموية .

والأسباب الأخرى لارتفاع كوليسترول الدم هى :

- ازدياد نسبة الدهون المشبعة فى الطعام « تتضمن الدهون من أصل حيوانى ».
- الداء السكرى « مرض السكر » .
- السمنة .
- تدخين السجائر .

ولا ينبغى أن يساء تفسير هذه المعلومات فيستنتج منها أنه من المفيد تناول كميات كبيرة من الدهون المتعددة اللاتشبع ، فكل الدهون ، سواء كانت مشبعة ، أم وحيدة التشبع ، أم متعددة اللاتشبع « غنية بالسعرات الحرارية » وتناولها بكثرة يؤدى إلى السمنة وخطر احتمال الإصابة بمرض تصلب الشرايين وأمراض القلب الوعائية .

أما عن آثار السكريات فى مستويات كوليسترول الدم فقد لوحظ أن السكروز « سكر المائدة » والفركتوز « سكر الفواكه » ، دون باقى السكريات لهما تأثير عظيم فى ارتفاع دهون الدم خاصة الدهن ثلاثى الجليسريد .

وقد أوصى فريق من الخبراء فى اجتماع دعت إليه منظمة الصحة العالمية حديثا بأن « يكافح المرض القلبى التاجى « مرض شريان القلب التاجى » بالوقاية الأولية .. البادئة فى الطفولة فيمنع الأطفال من الإفراط فى الأكل الذى يؤدى إلى سمنة مبكرة يصعب التخلص منها .

- وبالتركيز على التمرين المنتظم ومراقبة الوزن .
- وعدم التدخين .
- وتناول طعام متوازن يحد فيه من الدهون الكلية ، والدهون المشبعة والكوليسترول والملح .

التغذية والسرطان :

اتفقت أكثر البيانات على وجود ترابط قوى بين التغذية وبين حدوث بعض أنماط السرطان . وقيل إن الطعام « بنسبة ٣٥٪ » والتدخين « بنسبة ٣٠٪ » هما من أهم الأسباب التى يعزى إليها حدوث السرطان والترابط القوى يشاهد عملياً بين فرط تناول الدهون والسرطان أكثر منه بين البروتين والسرطان .

وقد ذكرت بعض الدراسات ، وجود دلالة إيجابية بين ازدياد وزن الجسم ، وبين ازدياد خطر السرطان وخلصت دراسة استخدمت معطيات الوزن ومعدل الوفيات بالسرطان فى مجموعة فيها ٧٥٠,٠٠٠ رجل وامرأة ، إلى أن أقل معدل وفيات بالسرطان قد شوهد فى الرجال الذين تتراوح أوزان أجسامهم بين ما هو أقل بـ ١٠٪ من الوزن الوسطى لسنهم وطولهم ، وما هو أكثر بـ ٢٠٪ من هذا الوزن .

أما النساء فقد كان الخطر الأدنى لهن فى اللواتى تتراوح أوزانهن بين ما هو أقل بـ ٢٠٪ من الوزن الوسطى وما هو بأكثر بـ ١٠٪ منه ، كما أنه توجد علاقة وثيقة بين تعاطى الكحول والتدخين والإصابة بالسرطان .

وتشير عدة دراسات دولية على أن السكان الذين يستهلكون أقواتا غنية بالأطعمة المعالجة لحفظها بالخل ، وبالملح ، وبتعريضها للدخان ، معرضون أكثر من سواهم للإصابة بسرطان المعدة والمرىء ، وعند تدخين الأطعمة

ناقوس الخطر

الإسراف فى تناول الطعام

وتفحيمها ، تشكل هيدروكربونات عطرية حلقية متعددة ، منها عدة مواد قد تكون مسرطنة ، وقد يحدث هذا عند معالجة الطعام أو عند طبخه فى نار عارية اللهب .

وقد أثبتت أكثر الدراسات وجود علاقة عكسية بين تناول الأطعمة الغنية بالألياف ، وبين حدوث سرطان القولون ، ولم تستطع بعضها « وهى أقل من ١٠٪ » كشف أى فعل ، ومع ذلك فالدليل قائم على أن الألياف تحمى من السرطان .

ومصادر الألياف الرئيسية فى الطعام هى : الفواكه ، والخضار ، والبقول ، والحبوب الكاملة غير المنخولة .

التغذية والشيخوخة :

تشير آخر الأبحاث فى هذا المجال ، إلى أن بعض المواد الكيماوية الموجودة فى الجسم قد تعجل ظهور الشيخوخة ، وأهم هذه المواد :

١ ـ مادة الليبوفيوسين « تنتج عن تحلل المواد الدهنية » .

٢ ـ مادة السكر . المعروف أن مادة « الليبوفيوسين » تنتج عن تحلل المواد الدهنية ، وتزيد مع تقدم العمر ، وهى تنتج داخل خلايا الجسم المختلفة ، وربما يؤدى وجودها بكميات كبيرة إلى تعطيل بعض العمليات الحيوية ، وبالتالى إلى ظهور الشيخوخة .

أما مادة السكر فتمثل ـ حسب ما يرى معظم العلماء حاليا ـ المسئول الأول عن الشيخوخة ، يؤكد ذلك البروفيسور « ريتشارد بوكلا » الذى توصل إلى أن جزىء الجلوكوز ـ أحد أنواع السكر ـ يؤدى إلى إصابة بروتينات الخلية المختلفة بعديد من الأعطاب ، مما يؤثر على كفاءة الخلية فى القيام بوظائفها المختلفة .

مما سبق يتضح جليا أن أعظم الأخطار وأكثرها ضرراً على الإنسان تكمن فى كثرة الأكل والشرب ، لهذا جاء الخطاب صريحا من الله عز وجل يحذرنا من كثرة الأكل والشرب ويأمرنا بالاعتدال فى تناول الوجبات ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف آية ٣١ .

* لقد أرسل المقوقس حاكم مصر إلى النبى محمد ﷺ بهدايا ثلاث : جارية وفرس وطبيب ، فقبل النبى الهدية الأولى والثانية ، ورد الثالثة شاكرا قائلا : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

وكان قوله ﷺ حكمة خالدة ، ونصيحة طبية غالية ، تبقى ما بقى الزمن .

إرشادات طبية فى التغذية

الدهون والكوليسترول :

ينبغى الإقلال من تناول الدهون « وخصوصا الدهن المشبع » والكوليسترول . ويفضل تناول أطعمة تقل فيها هاتان المادتان ، كالخضر ، والفواكه ، والأطعمة ذات الحبوب الكاملة ، والسمك والطيور الداجنة ، واللحوم القليلة الدهن ، ومشتقات الحليب القليلة الدهن .

طهى الخضروات بطرائق لا تستعمل من الدهن إلا النزر اليسير . البعد عن الأطعمة المقلية بقدر الاستطاعة .

الطاقة ومراقبة الوزن :

اعمل على أن يكون وزن جسمك هو الوزن المستحب ، وحافظ على هذا الوزن ، ولتحقيق ذلك ، اختر طعاما يكون فيه مدخول السعرات الحرارية مناسبا لإنفاق الطاقة ولإنقاص مدخول السعرات الحرارية ، ينبغى الحد من تناول الأطعمة الغنية بها مثل الدهون والسكر ، وتجنب تعاطى الكحول ما استطعت وهو محرم شرعاً ، ينبغى الامتناع عن التدخين تدريجيا ، يجب زيادة إنفاق السعرات الحرارية بنشاط جسدى منتظم ومستمر .

السكريات المركبة والألياف :

ينبغى تناول الأطعمة ومنتجات الحبوب ذات الحبات الكاملة - والخضار ، بما فى ذلك اللوبيا والفاصوليا والفول والبازلاء ، البسلة ، المجففة والفواكه .

الصوديوم :

انقص مدخول الصوديوم(*) باختيار الأطعمة القليلة الصوديوم ، وبتحديد مقدار الملح المضاف عند إعداد الطعام وعلى المائدة .

(*) مصادر الصوديوم فى الأكل هو ملح الطعام .

حـول علـى حـول - بقيـة

يقصر فهم الناس عنه ثم يقال : جاز كذا وكذا فما يمنع أن يكون كذا وكذا .

وذلك حسبى ، فإنما اخاطب عالما لا أزيده علما .

ثم دعنى - ياأخى - المس .. « معلومة » برفق لأنهنه من غربها وأرد تعميما فيها إلى صواب يلزمها جانب العلم .

لقد ذهب عامة الناس فى أمر التحزيب من أجزاء وأحزاب وأرباع إلى زمن الحجاج حتى أبى بكر بن عياش ، كما سبقت الإشارة .

ومن الحق أن نقول : إن هذا الأمر يمتد إلى عصر الصحابة وصدر الإسلام : حَزَّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - روى أبو عبيدة بسنده - إلى عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفى عن جده الذى كان فى وفد قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم وتأخر - عليه الصلاة والسلام - يوما عن موعده معهم ، قال :

« فاحتبس عنا ليلة ، فقلنا : يارسول الله ، لبثت عنا الليلة اكثر مما كنت تلبث قال : نعم ، طرا علىّ حزبى من القران فكرهت ان أخرج من المسجد حتى اقضيه .

هذا .. وجاء - فى (المدنى الأخير) الذى رواه إسماعيل بن جعفر - بسنده إلى شيبة مولى أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - وعن ابى جعفر يزيد بن القعقاع مولى عبد الله بن عياش بن ابى ربيعة المخزومى ، وعليه الأخذون لقراءة نافع اليوم ، وبه ترسم الأخماس والأعشار ، وفواتح السور فى مصاحف اهل المغرب[1] ...

وفى ذلك إشارة واضحة إلى قدم التحزيب بأسبق من عصر الحجاج بمدى طويل والله اعلم .

(١) انظر جمال القراء للسخاوى ١/١٢٤ ، ١٨٩ نشر الخانجى مطبعة المدنى سنة ٤٠٨ .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقا

الإيمان بالله هداية ، والابتعاد عن المعصية رشد ، والقيام بطاعة الله قربة ، والقربة إلى الله سعادة .

هكذا كانوا

قال رجل ليونس بن عُبَيْد : تَعْلَمُ احداً يَعمل بِعَملِ الحسن - رضى الله عنه - ؟

قال : والله ما أعرف احداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله !

قيل : فصفه لنا .

قال : كان إذا اقبل فكأنه اقبل من دفن حميمه[1] ، وإذا جلس فكأنه اسير أُمِر بضرب عنقه ، وإذا ذُكرت النار فكأنها لم تُخلَق إلا له .

نصيحة

قال رجل للمأمون :

ياأمير المؤمنين الله ، الله فى أصحاب الأخبار ، فإنهم قوم إن أُعطوا كذبوا ، وإن حُرموا كذبوا ، فإن أعطوا مدحوا وهم كاذبون ، وإن حُرموا ذموا وهم كاذبون .

فقال المأمون : لله درها من كلمة ما اقصدها وأبين فضلها وامر ان تثبت فى أمور أصحاب الأخبار .

فلسفة بخيل

حكى عن بخل « مروان بن أبى حفصة » : انه كان يرسل غلامه كل يوم ليشترى له راس خروف مطبوخ فيأكله .

(١) نفس عزيزة عليه .

فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرأس دون سائر اللحم صيفاً وشتاء .

فقال : نعم .

أولاً : لأن الرأس أعرف سعره فلا يقدر الغلام أن يغبننى فيه وليس بلحم فيأخذ منه دون أن أعلم .

ثانياً : إن مسَّ عينا أو أذناً أو خداً أعلم به ، ثم إننى أكل منه ألواناً ، فعينه لون ، وأذنه لون ، ودماغه لون ، ولسانه لون ؛ ففى الرأس ألوان شتى .

المال

المال يذهب حِلُّهُ وحرامه
يوما ويبقى فى غد آثامه

أخى

لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءا وأنت تجد لها فى الخير محتملاً .

لا تأمن الدنيا

لما بنى المأمون بن ذى النون ، وكان من « ملوك الأندلس » قصره وأنفق فيه بيوت الأموال ، جاء على أكمل بنيان فى الأرض ، وكان من عجائبه أن صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة ، وبنى فى وسطها قبة وساق الماء من تحت الأرض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون ، وكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلاً بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكبا لا يفتر والمأمون قاعد فيها .

ورُوى : أنه بينما هو نائم إذ سمع منشداً يقول :

أتبنى بناء الخالدين وإنما
بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الأراك كفاية
لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها إلا يسيراً حتى قضى نحبه .

ووجد مكتوباً على قصر قد باد أهله وأقفرت منازله .

هذى منازل أقوام عهدتهم
فى خفض عيش نفيس ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا
إلى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك لما عَدَتْ هذا البيت :

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض
على الماء خَأنَتْهُ فروج الأصابع

حق لى أن أعجب

قيل لإياس بن معاوية : مافيك عيب إلا أنك معجب !!

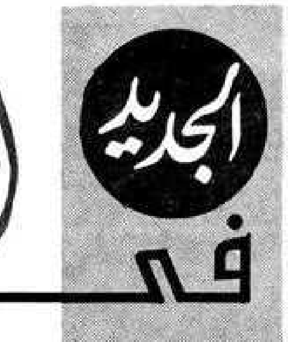
قال : أفأعجبكم ؟

قالوا : نعم .

قال : فأنا أحق أن أعجب بما يكون منى .

دعــاء

« اللهم ارحم غربتى فى الدنيا ، ومصرعى عند الموت ، ووحدتى فى القبر ومقامى بين يديك »



في العلم والتقنية

إعـــداد
د. نجـوى السـيد أحمـــد

أنين الأشجار المريضة :

توصل العلماء حديثا إلى نتيجة علمية مثيرة تقضى بأن الشجرة المريضة ترسل بالفعل صوتا هادئا هو بمثابة الأنين الذى يصدر عن المريض عندما يتألم . فقد قام باحثون من إدارة الغابات فى وزارة الزراعة الأمريكية برصد هذا الأنين عن طريق ربط مجسات على لحاء أشجار أصيبت بالجفاف ، وسمعوا بوضوح أنات الألم والحزن .

يقول « روبرت هـاك » الإخصائى بعلم الحشرات فى إدارة الغابات : إن الأشجار الأكثر ظمأ كانت تبث نداءاتها على موجة يتراوح ترددها بين ٥٠ و ٥٠٠ كيلو هرتز (ولا تستطيع الأذن البشرية سماع أصوات تردد أكثر من ٢٠ كيلو هرتز ، بدون مساعدة .

ويؤكد العلماء أن الأشجار المختلفة تطلق أصواتا تختلف بشكل ضئيل فيما بينها على شكل اهتزازات على سطح الخشب . ويعتقد أن هذه الاهتزازات تنجم عن المياه داخل الأنابيب التى تمتد داخل الشجرة حيث تسمع لها طقطقة نتيجة لقلة المياه المتدفقة .

إنتاج مضاد حيوى من بعض فصائل النمل :

نجح فريق من العلماء بإحدى جامعات استراليا فى التوصل إلى إنتاج مضاد حيوى من إحدى فصائل النمل بغرب استراليا وبالتحديد من غدد الميتابلورال Metapleural الموجودة فى مؤخرة زور النملة .

تبين أن هذا المضاد الحيوى فعال بدرجة كبيرة فى القضاء على بعض سلالات البكتريا العادية ، والتى تعوق التئام الجروح لعدة شهور بعد إجراء العمليات الجراحية ، كما أنه يقتل أنواعا كثيرة من الفطريات التى تصيب الإنسان بأمراض الأغشية المخاطية فى الفم والقصبة الهوائية والأنف .

ظاهرة علمية مثيرة :

حقق فريق من العلماء فى إحدى الشركات الأمريكية إنجازا عظيما فى مجال أبحاث «فوق الصوتيات Ultrasonics» وذلك عندما أجروا تجربة ناجحة لرفع حامل كرات فولاذى يبلغ وزنه ٣٢ جراما باستخدام الموجات الصوتية فقط . حاول علماء هذه الشركة ـ بالتعاون مع جامعة ميسورى ـ الاستفادة التامة من حالة انعدام الوزن الموجودة على متن المكوك الفضائى « تشالنجر » لرفع عينات من الزجاج والسيراميك بواسطة الصوت .

ساعة يد لقياس ضغط الدم :

قامت إحدى الشركات اليابانية بإنتاج ساعة يد لقراءة ضغط الدم . فبمجرد الضغط على زر خاص تعطى الساعة خلال ٣٠ ثانية قياس ضغط الدم ومعدل ضربات القلب .

وتستطيع هذه الساعة استيعاب ٣٠ قراءة للضغط وضربات القلب وتخزينها مع تاريخ وموعد كل قراءة ، كما أنها تصدر صوتا تحذيريا لتنبيه حامليها عند ارتفاع ضغط الدم عن المستوى الطبيعى .

الإضاءة ليلا باستخدام الطاقة الشمسية :

تشهد تقنية (علم الكهربية) تطورا جديدا فى مجال تصنيع لمبات تعمل بالطاقة الشمسية لإضاءة الحدائق والشوارع ليلا .

توصلت شركة إنجليزية إلى شحن الطاقة المتولدة من اشعة الشمس فى بطارية خاصة تدخل فى تصميم اللمبات بحيث يمكن إضاءتها ليلا بالطاقة المخزونة طوال النهار دون الحاجة لـ (الكابلات) الكهربائية .

جهاز لقياس الغازات السامة فى المنازل :

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية جهازا لقياس تركيز الغاز داخل المنازل . ويعتبر غاز أول (أكسيد الكربون) من الغازات السامة وهو ينتج من عملية الاحتراق لبعض أنواع الوقود التقليدى مثل الفحم و (الكيروسين) والغاز الطبيعى ، إلا أن زيادته تمثل خطورة فائقة على حياة الإنسان ، خاصة فى المنازل .

يتكون الجهاز من حلقة (بلاستيكية) صفراء اللون توضع على الحائط وعندما تزيد كمية الغاز يتحول اللون الأصفر إلى اللون الأخضر ثم الأزرق بينما يعود الجهاز إلى لونه الطبيعى عندما يقل تركيز الغاز إلى الكميات الطبيعية .

منظار فلكى بمرآة عملاقة :

توصلت التقنية الألمانية إلى تصنيع مرآة عملاقة بقطر ٨,٦ متر ومساحة تزيد على ٥٥ مترا مربعا ، وذلك لاستخدامها مع ثلاث مرايا أخرى فى أكبر منظار فلكى يتبع معهد المراصد الأوروبية الجنوبية ، مقاربا إلى حد كبير جدا فى كفاءته المراصد التى تحملها مركبات الفضاء خارج

الجديـــد فـــى العلـــم

الغلاف الجوى لكشف الأجرام السماوية البعيدة والخافتة الإشعاع الضوئى .

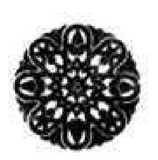
مولد كهربائى اقتصادى :

نجح الباحثون البريطانيون فى صنع أول مولد كهربائى يعمل باستخدام الموصلات الفائقة عالية الحرارة High – Temperature Supercon- ductors . ويحتوى قلب هذا المولد الجديد على ملف Coil من سلك فائق التوصيل مصنوع من (اكسيد الايتريوم ، والباريوم ، والنحاس) لكن هذا الإنجاز الهام لايزال بحاجة إلى المزيد من الأبحاث العلمية لتطويره على مستوى تجارى .

ذلك لأن تقنية الموصلات الفائقة عالية الحرارة لايمكنها فى الوقت الحالى أن تنقل كميات كبيرة من التيار الكهربى . وإذا ما نجح العلماء فى رفع قدرة هذه الموصلات على حمل التيار فسوف يصبح بالإمكان استعمالها لجعل توليد الكهرباء اكثر فاعلية وأقل كلفة .

طريقة جديدة لحفظ الكتب من التلف :

توصل خبراء مكتبة الكونجرس الأمريكى مع علماء الكيمياء فى مؤسسة (اكرو الهولندية) إلى وسيلة جديدة لحفظ الكتب والمطبوعات لمئات السنين باستعمال مادة « داى ايثيل زنك Diethyl Zinc » التى تتبخر فى غرفة التفريغ وتتفاعل مع بقايا الأحماض فى الورق التى تسبب تلفه ، وتترسب مادة أوكسيد الزنك على الصفحات لوقايتها وخصوصا عند أطراف الصفحات وهى الاكثر تعرضا للتآكل نظرا لانتقال المواد الدهنية والأحماض مع العرق من ملامسة قراء الكتب وأصابعهم ، ولقرب الأطراف وتعرضها للتلوث الجوى . وكانت الطريقة المستعملة لحفظ أوراق الكتب هى تفكيك الكتاب إلى صفحاته ، ومعالجة كل صفحة بمحلول كربونات ، وبعد التجفيف يعاد جمع الكتاب .



من روائع الماضى بمجلة الأزهر



في العدل والجور

لصاحب الفضيلة : الشيخ محمود النواوى

إعداد وتقديم
عبدالفتاح حسين الزيات

لا تستقيم حياة الإنسان إلا على أساس العدالة ، وضمان الحقوق كافة ، والعدل أساس ذلك كله لذا أمر تعالى به ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ . .

والعدل - هنا : ضد الجور ، والإنسان العدل هو الإنسان المنصف الذى يعرف ما له وما عليه ، ويلتزم بحدود الله فلا يتعداها .

ولقد علم الله أن الإنسان قد تدفعه الأغراض الشخصية إلى الانتقام أو الحيف والميل مع الأهواء وترك ما هو عدل ، فحذرنا مغبة ذلك فى آيات كثيرة من القرآن الكريم .

قال ابن مسعود - رضى الله عنه - : إن أجمع آية فى سورة النحل هى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

قال الأستاذ - رحمه الله - :

فى كتاب الله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾(١) .

وفى السنة النبوية الكريمة « عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة » .

وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن العبادة توجيه سليم ، وتهذيب عظيم : ليكون

(١) النساء ١٣٥ .

من روائع الماضي

﴿ فى العدل والجور

الإنسان خليفة فى الارض ، قائماً بالقسط ، حتى يحيا الناس حياة طيبة فى دنياهم ، وحتى يسعدوا بجوار الله الكريم فى آخرتهم .

شهد بذلك الكتاب والسنة ، فإن كتاب الله سبحانه يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢] . ويذكر أنه فرض الصيام لتهذيبه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣] . ويذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأن الزكاة طهرة وزكاة للنفوس : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[٤] ، والسنة وزير الكتاب ونصيره . فإنها تقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » و « من لم تنهه صلاته فلا صلاة له » وقيل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها . فقال : « لا خير فيها وهى من أهل النار » . وما أكثر ذلك المعنى فى الدين . وجماعه فى قول الله سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾[٥] ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾[٦] . ولهذا قال العلماء إن أحكام الشريعة الإسلامية دائرة حول أمرين : جلب المنافع ودرء المفاسد . ولعل أساس ذلك كله العدل ، فهو الميزان الذى وضع الله لعباده ، لا تصلح حياة إلا عليه ، ولا يقوم نظام إلا به . وهو القسطاس الذى أراد الله سبحانه لعباده ، فما عبَدالله من تنكب عنه ، ولا عرف الله من أنكره .

إن العبادة الحق خشوع فى القلب ، واتصال بالرب . ولن يكون خشوع واتصال إلا ومعه ميزان واعتدال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٧] .

وما كان الله ليقبل شخصاً فى ملكوت السماء حتى ينزل على حكم الحق ، ويكون هواه فى كنف القسط والعدل ، لا تميل به شهوة ، ولا تستهويه نفس جامحة .

إن العبادة الحق دين قيم ، ولا دين إلا بالعدل فى القضية ، والمساواة بين الرعية ، على اختلاف جهات الرعاية ، ولو كان الراعى مالكا لما يقضى فيه . ولذلك قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن جاءه يشهده على هبة لأحد أبنائه : هل وهبت لأخيه ؟ قال لا ، قال : « فأشهد غيرى ، لا أشهد على زور ، اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم »[٨] .

إنه لا دين حتى يكون عدل تعمر به الأرض ، ويأمن به الخائف من الخوف ، وحتى يرحم الكبير الصغير ، ويوقر الصغير الكبير ، ويتعاون الكل مع الكل ، ولذا يظهر ذلك المعنى حق الظهور فى عهد النبيين والخلفاء الراشدين والأئمة الصالحين . . .

وفى الكتاب والسنة كثير من التوجيهات ذات الدلالة على أن مرضاة الله فى العدل وسخطه فى

(٢) النحل ٩٧ .
(٣) البقرة آية ١٨٣ .
(٤) التوبة آية ١٠٣ .
(٥) الانعام ١٢٢ .
(٦) الانعام ١٢٥ .
(٧) البقرة ١٢٤ .
(٨) رواه مسلم فى باب الهبات والنسائى فى النحل .

البغى ، فهو ينتقم من الظالمين ، وينصف المظلومين ولو بعد حين .

لقد كان قارون من قوم موسى فبغى عليهم فخسف الله به وبداره الأرض . ولقد علا فرعون فى الأرض وجعل أهلها شيعا ، واستكبر هو وجنوده فأخذهم الله سبحانه فنبذهم فى اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .

وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فدمرهم الله وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وكل أخبار الأمم السالفة فى قصص القرآن تدور حول الظلم والطغيان وجزاء الظالمين . لقد تردد هذا المعنى فى الكتاب بما هو جدير أن يكون عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وكذلك سارت السنة تساند الكتاب الكريم وتستمده ؛ فقال السيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الحية لتأرز إلى جحرها من ظلم ابن آدم » . ثم تلا : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ الآية[9] وقال السيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » . ثم تلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ وفى الحديث الصحيح : « إنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أعلم ، فمن قضيت له بشىء من مال أخيه فإنما اقتطع له قطعة من جهنم »[10] .

وإذا كان الرضا فى العدل والسخط فى الظلم ، فإن العدل خير من العبادة مع الظلم ، وعدل يوم واحد خير من عبادة ستين سنة ، لأن العبادة بدونه غير مثمرة ولا مؤدية لما هو المقصود . وإذا كانت السنة الكريمة قد نصت على عدد معين وهو الستون من السنين ، فإن العدد فى ألفاظ الدين لا يراد به التحديد ولكنه للتأثير والتسديد ؛ فما أكثر العدد فى ألفاظه من غير قصد إلى ظاهر دلالته .

وبعد : فإن الدين ليس صورا من العبادات فى صلاة وصوم ، وتحريك الشفة بما يوهم أنك من خيرة القوم ، وإنما الدين إيمـان يخالط السويداء ، ونور من الله يقتحم فى النفس إلى كل داء ، فيشفى الصدور ، ويخرج منها كل بغى وزور . . .

إن الدين إصلاح فى الأرض ، وسعى بين الناس بالخير ، ونصفة للمظلوم ، وأخذ بناصر كل مكلوم ، ومسح براس البائس ، وتخفيف من آلام المحروم اليائس ، وطهر وصفاء ، وصدق ووفاء .

●●●

والعدل إنما يصح فى نفس تخشى الله ، أو تخاف التلف أو الشقاء .

والأول هو العدل الإسلامى الذى تعبد الله به عباده .

والثانى هو العدل النظرى الذى قصد إليه الحكيم بقوله : الملك يبقى على الكفر ، ولا يبقى على الظلم . فكفر مع ذلك العدل النظرى أسعد للملك ، وأبقى له من إيمان لا عدل معه . وفى ذلك تعزيز للحديث الذى جاء فى صدر هذا المقال ، والذى يدور حوله . وقد ظهر للقارىء الكريم أن الحديث عن العدل الدينى الذى يكون منزعه مراقبة الله ، وخشيته . فهو من غير ريب وليد التدين ، ونتيجة التحنث[11] . فكلما صفا القلب

(٩) رواه البخارى ـ قضاء المدينة .

(١٠) رواه البخارى عن أم مسلمة رضى الله عنها .

(١١) أما الشرك بالله فهو فى الدين أظلم . قال الله سبحانه « إن الشرك لظلم عظيم » .

من روائع الماضي

◆ في العدل والجور

لله ، وتعرف إلى ساحة مولاه ، بإدمان الاستغفار ، والقيام بالأسحار ، وتلاوة كتاب الله ، وإقام الصلاة ، والإنفاق في رضاه ـ كانت الاستقامة والاتزان ،والنفع والحنان ، والإصلاح والإحسان ، وذلك هو العدل والميزان ؛ وإن خبث القلب بالفسوق والعصيان ..

إن العدل في ذاته معنى واسع فسيح ، فهو يكون مع من فوقك ، ومع من دونك ، ومع من يساويك ؛ وتفصيل ذلك في كتب الأخلاق . والعدل معنى غامض في جزئياته محفوف بمخاطر الهوى . والهوى إله يعبد . ولذلك عز تحققه ، ورفع إلا من قليل النزوع إليه . فخلط الناس وخبطوا ، وغلوا واشتطوا . فليس هناك إلا في النادر العزيز من ينصف من ابنه أو أبيه ، ومن يحكم لخصمه ومعاديه ، ولكن الكتاب ينطق بالحق ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .

وقد عرف ذلك أولو العزم ، فقال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ، ووضع ربا عمه العباس قبل كل الناس . وعرفه عمر فأخرج ابنه من ولاية المسلمين لئلا يكون اثنان في بيت الخطاب . يليان ذلك الجانب الخطير . رحم الله عمر . وهل يقول الله سبحانه في كتابه : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ إلا والعدل معنى غامض ، ومرام عزيز . ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

افبعد هذا يستطيع إنسان أن يستهين بالعدل ولا يضعه من الدين في السنام ، ويقر بأن عدل ساعة خير من عبادة كثير من الأعوام ..

لقد ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعة يأمنون يوم يخاف الناس ، ويستظلون بظل العرش يوم لا ظل إلا ظل الله ؛ فبدأ بالإمام العادل لأنه إمام هؤلاء ومقدمهم . ولولا خطورة العدل وبالغ أثره في إصلاح الحياة ، وغمرها بالخير والسعادة ؛ لولا ذلك لما كان ذلك الوضع من الرسول الحكيم ، والنبي الكريم . وهل كان الصديقون من المؤمنين يتحرجون من الولاية ، وينفرون من قبول القضاء إلا لما رأوا من خطورة ما استهدفوا له وتعرضوا لمزالقه . سجن الإمام الأعظم أبو حنيفة على أن يلي القضاء وضرب بالسياط ، فاحتمل كل ذلك في جنب الله ، لأنه رأى القضاء مظنة الظلم ، والظلم معصية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

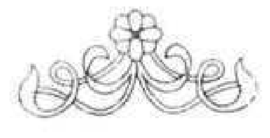
إن ذلك العدل جعل عمر وهو الأمير الشديد في الحق ، القاسي في التحامل على كل مشتط ، ينام في الطريق بلا سلاح ولا حارس ، لا يبالي في الله أن يؤلم أي كبير ، ولا يستثني من درته أي وال أو أمير ، الضعيف عنده قوي حتى يأخذ بحقه ، والقوي ضعيف حتى يأخذ الحق منه .

إن كل فساد في الأرض وشق لعصا الطاعة ، ومشاقة للجماعة ، وقتل وفتك ونقض للعهد ، وتعد للحد ، وتظاهر بالإثم والعدوان ، واضطراب في نظام العمران ـ إن كل ذلك من الجور بين

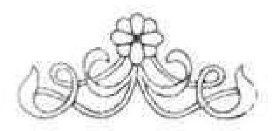
البقية ص ـ ١١٨٥ ـ

اللغة والأدب والنقد

نظريات لغوية



آراء الزمخشري ومقاماته



لحظات طيبات مع الإمام سفيان بن عيينة

نظريات لغوية

عند ابن القيم

رأيه في الاشتقاق اللغوى - نظرية وتطبيقا

د . توفيق محمد شاهين

في كتابات ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ نظريات لغوية ، هي من صميم علم أصول اللغة ، والناظر فيها بتأمل وتأن يرى انها تكاد تعقد لهذا العلامة زعامة لغوية عامة ، كما عقدت له زعامات علمية ودينية في ميادين مختلفة لتنوع معارفه ، ووفرة ما افاء الله سبحانه عليه من الوان المعارف .

وفي هذا البحث نرى الفقيه ابن القيم مشتملا عباءة أصول اللغة في مباحث الاشتقاق نظرية وتطبيقا :

فيعنى بالاشتقاق نظرية وتطبيقا لإيضاح المعنى أتم توضيح ، ويذكر تقاليب الكلمة ودوران المعاني والألفاظ ، ويفرق بين الحقيقة والمجاز ، ويتتبع استعمالات اللفظ ويرد توهم المتوهمين من اللغويين ، ويذكر الصحيح من المنقول والمعقول .

ويرينا اشتقاق (الجن ، وعاذ ، وأعوذ ، والوسوسة ، والفرق بين الخناس والوسواس ومم اشتقت البركة)... إلخ .

وتلك أمثلة مقتطفة من كتابه القيم (بدائع الفوائد) ، ترينا أنه اسم على مسمى وتزيدنا معرفة بجوانب ثرة للإمام ابن القيم ، جزاه الله عن العربية والإسلام كل خير ، وجعل الفردوس مثواه .

اللغة العربية لغة اشتقاق ، لا إلصاق وإضافة كغيرها من اللغات التي تعتمد على ذلك أكثر من الاشتقاق .

والاشتقاق كما قال علماء أصول اللغة باب عظيم من أبواب تنميتها والتصرف في فنونها ، وسبب في مرونتها وسعتها وحيويتها .

والاشتقاق له أبواب متعددة : من صغير أو أصغر ، إلى كبير أو أكبر ، إلى كُبَّار وهو « النحت » ، وترجع تقاليب الكلمة في العربية إلى معنى واحد ، هو جامعها ومحور دوران حروفها في بناءاتها المختلفة .

وللعلامة ابن القيم في هذا الصدد باع واسع ، ومعرفة وطيدة ، تتميز بالوضوح ، ومعرفة أوجه

الاستعمال ، وأثر هذا الاستعمال فى تحديد الأصل اللغوى ، ثم بيان الاستعمالات المجازية الأخرى ، سواء تنوسى الأصل أو لمح ، أو انتقل المعنى إلى شىء جديد فى الاستعمال .. إلخ .

نسوق مثالا لذلك فى تفسير ابن القيم لقوله تعالى فى سورة الناس : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (١) يقول رحمه الله تعالى :

« ... ... الجن ، إنما سموا جنا من الاجتنان وهو الاستتار ، فهم مستترون عن أعين البشر ، فسموا جنا لذلك ، من قولهم : جنه الليل وأجنه : إذا ستره وأجن الميت إذا ستره فى الأرض ، قال الشاعر :

ولاتبك ميتا بعد ميت أجنه
على وعباس وآل أبى بكر

يريد النبى صلى الله عليه وسلم .

ومنه الجنين لاستتاره فى بطن أمه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (٢) .

ومنه المجن لاستتار المحارب به من سلاح خصمه . ومنه الجُنة لاستتار داخلها بالأشجار . ومنه الجنة (بالضم) لما يقى الإنسان من السهام والسلاح . ومنه المجنون لاستتار عقله (٣) .

ويبين المناسبة بين اللفظين فى اللفظ والمعنى ، ويذكر الاشتقاق الوسط أو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد ، ويقصد بذلك رجوع تقاليب الكلمة أى تصرفاتها إلى معنى واحد ، يقول :

(وأما ـ لفظ ـ الناس ، فبينه وبين الأنس مناسبة فى اللفظ والمعنى ، وبينهما اشتقاق أوسط ، وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد .

والأنس والإنسان مشتق من الإيناس ، وهو الرؤية والإحساس . ومنه قوله تعالى : ﴿ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ (٤) أى رآها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ (٥) أى أحسستموه ورأيتموه . فالإنسان سمى إنسانا ، لأنه يونس ، أى يرى بالعين .

والناس ، فيه قولان :

أحدهما : أنه مقلوب من أنس ، وهو بعيد ، والأصل عدم القلب .

والثانى : وهو الصحيح : أنه من النوس ، وهو الحركة المتتابعة ، فسمى الناس ناسا للحركة الظاهرة والباطنة ، كما سمى الرجل : حارث وهمام ، وهما أصدق الأسماء كما جاء فى الخبر لأن كل أحد له هم وإرادة ، وهى مبدأ وحرث وعمل هو منتهى .

فكل أحد حارث وهمام ، والحرث والهم حركتا الظاهر والباطن ، وهو حقيقة النوس .

وأصل ناس : نوس ، تحركت الواو وقبلها فتحة فصارت ألفا .

هذان هما القولان المشهوران فى اشتقاق الناس ، «أى أنه مقلوب من أنس أو أنه من النوس وهو الحركة المتتابعة » .

وأما قول بعضهم : أنه من النسيان ، وسمى الإنسان إنسانا لنسيه ، وكذلك الناس سموا

(١) الناس ٦ .
(٢) النجم ٣٢ .
(٣) بدائع الفوائد ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(٤) القصص ٢٩ .
(٥) النساء ٦ .

نظريات لغوية عند ابن القيم

ناسا لنسيانهم ، فليس هذا القول بشىء : وأين النسيان الذى مادته (ن س ى) إلى الناس ، الذى مادته (ن و س) .

وكذلك : اين هو من الانس الذى مادته (أ ن س) ؟

والالف والنون فى آخره (لفظ الإنسان) زائدتان ، لايجوز فيه غير هذا البتة إذ ليس فى كلامهم (انسن) حتى لايكون إنسانا إفعالا منه .

ولا يجوز أن يكون الألف والنون فى اوله زائدتين ، إذ ليس فى كلامهم (انفعل) فيتعين انه فعلان من الأنس . ولو كان مشتقا من نسى لكان نسيانا لا إنسانا .

فإن قلت : فهلا جعلته إفعلالا ، وأصله إنسيانه ، كليلة إصحيان ، ثم حذفت الياء تخفيفا ، فصارت إنسان ؟

قلت : يأبى ذلك عدم إفعلال فى كلامهم ، وحذف الياء بغير سبب ، ودعوى ما لانظير له ، وذلك كله فاسد .

على أن الناس ، قد قيل أصله الاناس ، فحذفت الهمزة فقيل : الناس ، واستدل على ذلك بقول الشاعر :

إن المنايا يطلعن على الأناس الفافا .

ولاريب أن أناسا فعال ، ولا يجوز فيه غير ذلك البتة .

فإن كان أصل ناس أناسا ، فهو أقوى الأدلة على أنه من أنس ، ويكون الناس كالانسان سواء فى الاشتقاق . ويكون وزن ناس على هذا القول (عال) لأن المحذوف فاؤه .

وعلى القول الأول يكون وزنه (فعل) لأنه من النوس .

وعلى القول الضعيف يكون وزنه (فلع) لأنه من نسى ، فقلبت لامه إلى موضع العين فصار ناسا وزنه (فلعا)[٦] . أ . هـ

تتبع ابن القيم اللفظ فى اشتقاقه ، وبين الأقوال التى قيلت فيه ، ورجح مارتآه ، ووهن غيره ، وارجع تقاليب الكلمة إلى معنى واحد ، ورد توهم المتوهمين بالدليل والبينة ، ثم جاء بميزان اللفظ على جميع الأقوال ليوضح الصحيح ، ويرد الضعيف .

ويعنى ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فى ابحاثه ببيان الاشتقاق ، ومصدره تبيانـا للحقيقة ، وإظهارا للمعنى ، وتفرقة بين الحقيقة والمجاز ، وتتبعا لاستعمالات اللفظ فى مواضع مختلفة .

ولو أن علماء اللغة عنوا بهذا الجانب حين جمعوا اللغة ، وتتبعوا مواطن الاستعمال لكان لنا من خرائط التاريخ اللغوى مايعيننا على تبيان المعنى والاستعمال ، كسجل للفظ .

فهو يرى :

أن الظرف إن كان مشتقا من فعل ، فهو يتعدى إليه بنفسه ، لأنه فى معنى الصفة التى لاتتمكن ، ولا يخبر عنها : وذلك كقبل وبعد وقريبا منك ، لأن فى قبل معنى المقابلة وهى من لفظ قبل . وبعد من لفظ (بعد) .. [٧] .

(٦) بدائع الفوائد ٢/٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٧) بدائع الفوائد ٢/١٠٨ .

والمصدر قد يبقى بينما فعله أميت ، وهذا ما تحاول بعض المجامع اللغوية اليوم البحث عن الفعل المفقود ، أو إحياء الفعل الذى أميت ، أو إكمال المادة اللغوية بصفة عامة .

يقول : ومن هذا القبيل ـ قبيل تعدى الفعل واشتقاقه جلست خلفك وأمامك ، وفوق وتحت وعندك فى معنى القرب ، لأنها (عندك) من لفظ العند ، قال الراجز :

وكـل شىء قد يحب ولـده
حتى الحبارى فتطير عنـده

أى إلى جنبه . وهذه الألفاظ غير خاف أنها مأخوذة من لفظ الفعل :

فخلف (الظرف) من خلفت (الفعل) ، وقدام من تقدمت ، وأمام من أممت أى قصدت ، وكذلك سائرها (أى الظروف من أفعالها) الا أنهم لم يستعملوا فعلا من تحت ، ولكنها مصدر فى الأصل أميت فعله ..»[8] .

ومادل على الهيئة لمح فيه الاشتقاق ، كما إذا وقع الحال جامدا ، ويشترط فيه الاشتقاق كشرط الحال ـ لأن :

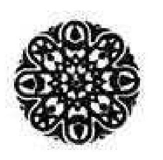
(الحذاق من النحاة)على أنه لايشترط ـ فى الحال أن يكون مشتقا ـ بل كل مادل على هيئة صح أن يقع حالا ، فلا يشترط فيها إلا أن تكون دالة على معنى متحول ، ولهذا سميت حالا ، قال الشاعر :

لـو لم تحل مـاسميت حـالا
وكـل مـاحـال فقـد زالا

فإذا كان صاحب الحال قد أوقع الفعل فى صفة غير لازمة للفعل ، فلا تبالى أكانت مشتقة أم لا ؛ فقد جاء فى الحديث : «يتمثل لى الملك رجلا » ، لأن صفة الرجولية طارئة هنا على الملك ، فوقعت حالا ، إذ هى لازمة للملك فى وقت وقوع الفعل فقط أى (أنه تحول إليها للحظات) ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾[9] . ﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾[10] ، ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا ﴾ .[11] .

ويقولون : مررت بهذا العود شجرا ، وهذا زيد أسدا ، وتأويل كل ذلك بمشتق تعسف ظاهر ، ولكنها أفعال تحول الفاعل إليها ، فصلح أن يكون حالا ، لدلالته على الهيئة .

يتبع



(8) السابق ١٠٩ .
(9) غافر ٦٧ .
(10) الأعراف ٧٣ .
(11) مريم ١٧ .



للدكتور شعبان محمد موسى

الزمخشريّ اسمه محمود بن عمرِ بن احمد ، وكنيته ابو القاسم[1] ، وأطلق عليه جار الله حينما رحل إلى مكة واقام بجوار بيت الله الحرام مدة . والزمخشرى نسبة إلى (زمخشر) ، وهى قرية من قرى خوارزم ، شاء الله ان يرفع ذكرها بوجود هذا الشيخ ، ومازلنا نذكرها كلما ورد اسم هذا العالم المسلم .

ولد الزمخشرى بقريته زمخشر ، يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة ، من اصل طيب : امّ تقية وأب صالح ، فنشّأه على حب الخير وطلب العلم .

تلقى الزمخشرى شيئا من علوم العربية والإسلام ببلده ، ثم رحل إلى العلماء فى الأمصار المختلفة كبخارى وغيرها ، ومرّ ببغداد وهو فى طريقه إلى مكة ، واستمع إلى علمائها ، ولم يكن يستنكف عن تحصيل العلم وهو كبير السن ذائع الصِّيت ، آية ذلك ماحكاه القِفْطِى إذْ قال : « إن الزمخشرى قدم علينا ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ورأيته مرتين عند شيخنا أبى

---

(1) ترجمة الزمخشرى فى هذه الكتب :

١ ـ معجم الادباء ، لياقوت ١٩/١٢٦ ـ ١٣٥ طبعة فريد رفاعى الأخيرة .

٢ ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ٥/١٦٨ ـ ١٧٤ تحقيق إحسان عباس ، بيروت .

٣ ـ لسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى ٦/٤ طبعة الأعلمى الثانية ، بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م .

٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى ٣/٢٦٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م .

٥ ـ طبقات المفسرين ، للسيوطى .

٦ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى ٣/١١٨ ط ، بيروت .

٧ ـ طبقات المفسرين ، للداودى .

٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ١٠/٤٠٣ ـ ٤١٠ مادة الزمخشرى .

٩ ـ منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن للدكتور مصطفى الصاوى الجوينى ط . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م ، الباب الأول ١٧ ـ ٤٣ .

١٠ ـ الزمخشرى للدكتور محمد الحوفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٨٠ م ، الفصل الأول ٣٥ ـ ٤٧ .

منصور بن الجواليقى قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها »[٢] .

وفى مرحلة الطلب توالت على الزمخشرى الآلام ؛ إذْ مات أبوه قبل أن يشيخ ، بعد أن لحقه الأذى من حاكم مستبد هو مؤيد الملك المتوفى سنة أربع وتسعين وأربعمائة ؛ سجن مؤيد المُلْك هذا والد الزمخشرى عمر بن أحمد ، فتوجه جار الله بقصيدة إلى هذا الحاكم يستعطفه ليطلق سراح أبيه ، جاء فيها :

ارحم أبى لشبابه ولفضله
وارحمه للضعفاء من أطفاله

ارحم أسيرا لو رآه من العدى
أقساهم قلبا لرق لحاله

يشكو قيودا قصرت من خطوه
وسلاسلا حكمت بضيق مجاله[٣]

ويبدو أن استعطاف أبى القاسم لم يأت بنتيجة ، فتجرع الزمخشرى آلامه ، وزادها الفقر كثافة وثقلا ؛ مات عائل الأسرة ، ولم يكن آنئذ ضمان اجتماعىّ .

وفى إبان طلبه العلم أيضا كسرت رجله ، فقرر الأطباء بترها ؛ كى لايفسد الجسد كله ، فصار الزمخشرى أعرج ، واتخذ رجلا من خشب ، وكان يحمل معه شهادة من عدول بأن رجله قد قطعت لهذا السبب ، لا لريبة ؛ وهذا يدلنا على رهافة شعوره ، حتى إنه يخاف أن يُظَنّ به الظنون .

ولما بلغ أبو القاسم من العلم مبلغا طمح لنيل المنصب وتحصيل المال ، فطرق أبواب الكبراء فى عصره علّه يبلغ رغبته ، فمدحهم بشعره على طريقة شعراء زمانه ، وكان يعرض علمه وفضائله فى قصائد مدحه عسى أن يفهم الممدوح فيجيبه لطلبه ، ولكن هيهات ، لقد خاب أمل الزمخشرى ، فتضاعفت آلامه ، وكان هذا الشيخ دائم المقارنة بين حاله على علمه وأدبه وعقله ، وضيق يده ، وحال غيره على جهله وغباوته واتساعه فى الرزق وعلوّ المنصب ، فكان يزداد غمًّا على غمّ ، وكان ينفث ضيقه هذا فى أشعاره ، من هذا ما ورد فى قصيدة يمدح بها نظام الملك الوزير الشهير ، وزير مَلِكْشاه السلجوقى ، يقول فى بعض أبياتها :

خليلىّ هل تجدى علىّ فضائلى
إذا أنا لم أُرفع على كل جاهل ؟

ومَنْ لى بحقى بعدما وفرتْ على
أراذلها الدنيا حقوق الأماثل ؟

وممَّا شجانى أنَّ غُرَّ مناقبى
تَغَنَّى بها الركبان بين القوافل

غنىٌّ من الآداب لكننى إذا
نظرتُ فما فى الكفّ غير الأنامل[٤]

ولما بلغ جار الله الخامسة والأربعين أتاه الفرج ؛ فقد ابتلاه الله بالمرض ، وكان مرضا شديدا ؛ حتى إن الزمخشرى أطلق على هذه

(٢) إنباه الرواة ٣/٢٧٠ .
(٣) ديوان الزمخشرى ، تحقيق ودراسة عبد الستار ضيف ، رسالة ماجستير بدار العلوم ، القسم الثانى / ص ٣٨٩ سنة ١٩٨٠ .
(٤) ديوان الزمخشرى ، السابق ص ٧٠ .

آلام الزمخشـرى ومقاماتـه

المرضة اسم « المُنْذِرَة » ، وبها تغير سير حياته ، وتحوّل حرصه على الدنيا إلى زهد فيها ، وعاهد الله الاّ يطأ عتبة السلاطين ، والاّ يمدحهم ، والا يقبل عطاياهم ، وأن يفرّ من الشهرة إلى الخمول ، وأن يحرص على نشر العلم بين من يتوسم فيهم خشية الله ؛ ومنذ هذه المرضة الناهكة واصل كتابة مقاماته .

متى بدأ الزمخشرى كتابة مقاماته ؟

يقول دكتور مصطفى الصاوى الجوينى فى كتابه (منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه) : « ألفه [كتاب المقامات] بعد مرضه سنة ثنتىْ عشرة وخمسمائة ، وتممّه خمسين مقالة يعظ فيها نفسه »[٥] ، وتابعه فى هذا الرأى دكتـور أحمد محمد الحوفى فى كتابه (الزمخشرى) إذْ قال « وأما المقامات فقد ألفها سنة ٥١٢ هـ ؛ لأنه قال : إنه أصيب فى تلك السنة بالمرضة الناهكة التى سماها المنذرة ، فأخذ على نفسه الميثاق إن منّ الله عليه بالصحة الاّ يطأ عتبة السلطان ولا أعوانه ... »[٦] .

وحقيقة الأمر أن الزمخشرى ابتدأ تأليف مقاماته قبل مرضته المنذرة ، وقد أخبرنا بذلك فى مقدمة مقاماته حين قال : « هذه مقامات أنشأها الإمام فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ ، والذى ندبه لإنشائها أنه أُرِىَ فى بعض إغفاءات الفجر كأنما صوّت به مَن يقول له : ياأبا القاسم ، أَجَل مكتوبٌ ، وأمل مكذوبٌ . فهبّ من إغفاءاته تلك مشخوصا به ممّا هاله من ذلك وروّعهُ ، ونفّر طائره وفزّعهُ ، وضم إلى هذه الكلمات ما ارتفعت به مقامة ، وآنسها بأخوات قلائل ، ثم قطع لمراجعة الغفلة عن الحقائق وعادة الذهول عن الجدّ بالهزل ، فلما أصيب فى مستهل شهر الله الأصم* الواقع فى سنة ثنتىْ عشرة بعد الخمسمائة بالمرضة الناهكة التى سماها المنذرة ، كانت سبب إنابته وفيئته ، ... ، وحين أتاح الله له الصحة ، ... ، انتدب للرجوع إلى رِئاسِ عمله فى إنشاء المقامات حتى أتممها خمسين مقامة .... »[٧] .

فمن كلام الزمخشريّ هذا ندرك أنه ابتدأ فى تحبيرها قبل سنة ٥١٢ هـ ، إثر الرؤيا التى رآها ، ولعلها كانت سنة ثمان وخمسمائة ؛ ففى هذه السنة كان قد بلغ الحادية والأربعين ، وهى سن تمام العقل وإدراك الحقائق العليا ، والميل إلى الزهد فى الدنيا وزخرفها ؛ وقد جاء فى المقامة السابعة وعنوانها « الإنابة » مايلى : « ياهذا الجدَّ ، الجدَّ فقد بلغتَ الأشُدّ ، وخَلَّفتَ ثنيّةَ الأربعين »[٨] ، والثنيّة المنعطف الملتوى ، أى أنه قد تعدى الأربعين ، وعلى هذا تكون ميوله إلى الزهد أسبق من سنة مرضه ، ثم شغلته الشواغل ، فلما أصيب بالمرضة الناهكة عاد إليه زهده أشد مايكون ، وأخذ على نفسه الميثاق أن يعمل لله ، وأن يعتزل .

---

(٥) منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه . ص ٥٥ .

(٦) الزمخشرى . ص ٢٧٦ .

(*) شهر رجب وأطلقت عليه هذه التسمية ، لأنه من الأشهر الحرم التى يحرم فيها القتال وكانت العرب قبل الإسلام تمتنع عن القتال فيه ، فلا يسمع صوت للسلاح .

(٧) مقامات الزمخشرى ، تحقيق يوسف بقاعى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ ص ١٧ ـ ٢٢ .

(٨) السابق . ص ٥٢ ـ ٥٣ .

وقد كان هذا الاعتزال بركة ؛ فقد تم لنا المقامات ، وتركها أثرا أدبيا راقيا ، نقرأها فنتمتع بها ، ونتملّى جمالها وجزالة أسلوبها ، وشرف غرضها . وعدد هذه المقامات خمسون ، هذه عناوينها نوردها لنستوحى منها تطور تيار الزهد لدى كاتبنا : ١ ـ المَرَاشِد ٢ ـ التقوى ٣ ـ الرضوان ٤ ـ الارعِواء ٥ ـ الزاد ٦ ـ الزهد ٧ ـ الإنابة ٨ ـ الحذر ٩ ـ الاعتبار ١٠ ـ التسليم ١١ ـ الصمت ١٢ ـ الطاعة ١٣ ـ المُنْذِرَة ١٤ ـ الاستقامة ١٥ ـ الطيِّب ١٦ ـ القناعة ١٧ ـ التوقى ١٨ ـ الظُّلُف ١٩ ـ العزلة ٢٠ ـ العفة ٢١ ـ الندم ٢٢ ـ الولاية ٢٣ ـ الصلاح ٢٤ ـ الإخلاص ٢٥ ـ العمل ٢٦ ـ التوحيد ٢٧ ـ العبادة ٢٨ ـ التصبر ٢٩ ـ الخشية ٣٠ ـ اجتناب الظُّلْمَةِ ٣١ ـ التهجد ٣٢ ـ الدعاء ٣٣ ـ التصدّق ٣٤ ـ الشكر ٣٥ ـ الأسوة ٣٦ ـ النصح ٣٧ ـ المراقبة ٣٨ ـ الموت ٣٩ ـ الفرقان ٤٠ ـ النهى عن الهوى ٤١ ـ التماسك ٤٢ ـ الشهامة ٤٣ ـ الخمول ٤٤ ـ العزم ٤٥ ـ الصدق ٤٦ ـ النحو ٤٧ ـ العروض ٤٨ ـ القوافى ٤٩ ـ الديوان ٥٠ ـ أيام العرب[٩] .

والزهد ظاهرة إنسانية ، لكن الثقافة الدينية تنمى هذه الظاهرة ، ثم تجىء دوافع أخرى فتزيد حدتها كفقدان عزيز ، أو خيبة الأمل التى تصيب ذوى المطامع المادية حينما لا تتحقق ، فينطوون ويزهدون فى كل شىء ، فكأنهم قد تحولوا من النقيض إلى النقيض . والزمخشرى بنشأته وثقافته الدينية يبدو طبيعيا فى اتجاهه نحو الزهد ، وعمّق هذا الاتجاه لديه تحطم آماله الدنيوية ، ثم المرضة الناهكة التى سماها المنذرة . والسؤال المهم الآن هو :

هل هذه المقامات بهذا الترتيب تصوّر لنا خط الزهد عند الزمخشرى ؟

لا أظن ؛ فإنها غير مرتبة تاريخيا ؛ إذْ المقامة الثالثة وهى (مقامة الرضوان) تبدأ بقوله : « ياأبا القاسم ، أجل مكتوبٌ ، وأمل مكذوبٌ[١٠] » . وقد سبق القول أنه رأى فى منامه « كأنما صوّت به من يقول له : ياأبا القاسم ، أجل مكتوب ، وأمل مكذوب » فقام من نومه وكتبها وأكمل مقامة ثم ألحق بها مقامات أخرى ، ثم انقطع عن كتابة المقامات حتى مرض ، ثم واصل الكتابة بعد أن أبَلَّ* من مرضته المنذرة ، إذن كان حق (مقامة الرضوان) ، وهى الثالثة فى الترتيب الذى بين أيدينا أن تكون الأولى ؛ لأنها أول ماكتب . ربما رأى الزمخشرى أن هذا الترتيب أفضل لتماثل الموضوعات ، غير أننى أرى أن (مقامة القناعة) وهى السادسة عشرة أقرب فى موضوعها إلى (مقامة الزهد) وهى برقم ستة ، فكان أولى أن تليها مباشرة ، على كل حال فإن النظرة العجلى فى عناوين المقامات تبين لنا أخلاق الزهد ، وتوضح رؤية المؤلف للموضوع ؛ فهو يبدأ بالمراشد ، والمراشد جمع مُرْشِدٍ ، وهو الرشد ، وهو بداية الطريق إلى السعادة ، ثم ثنّى الكاتب بالتقوى ، وهى جمّاع الخير ، وثلّث بالرضوان ، وهو أكبر ، وهكذا يسير حتى يصل إلى مقامة النحو ، وهى السادسة والأربعون ، ثم مقامة العروض والقوافى ، والديوان وأيام العرب ، وهى خمس مقامات ، يبدو منها أنه قد

(٩) يبدو واضحا من هذه العناوين تشاكلها مع أدب الصوفية وطريقتهم فى تهذيب النفس على الرغم من أن الزمخشرى من المعتزلة ، وقد كان يقاوم التيار الصوفى .

(١٠) المقامات . ص ٣٣ .

* شفى منها .

ألام الزمخشرى ومقاماته

خرج عن موضوعه الأخلاقى ، ولكن الأمر مختلف ؛ إنه مازال فى موضوعه الإصلاحى ، يستخدم مصطلحات النحو والعروض والقوافى وسيلة للتعبير عن مقصوده ، فمثلا يقول فى مقامة النحو :

« ياأبا القاسم ، أَعَجزْتَ أن تكون مثل همزة الاستفهامْ ، إذْ أخذت على ضعفها صدر الكلامْ ، ليتك أشبهتها متقدما فى الخير مع المتقدمين ، ولم تشبه فى تأخرك حرف التأنيث والتنوين[(١١)] ، وفى (مقامة العروض) يبدأ بقوله : « ياأبا القاسم لن تبلغ أسباب الهدى بمعرفة الأسباب والأوتادْ ، أو يبلغ أسباب السماوات فرعونُ ذو الأوتادْ ، إن الهدى فى عروض سوى علم العـروضْ ، فى العلم والعمـل بـالسُّنَن والفروضْ[(١٢)] » ، وكذلك فى مقامة الديوان وأيام العرب ، يخاطب نفسه ، ويحضها على الخير ، ويستنبط العبر من تاريخ العرب ووقائعهم ، إذن فليس موضوع هذه المقامات مختلفا ، على النقيض مما جاء فى (دائرة المعارف الإسلامية) تحت مادة الزمخشرى إذ قالت : .. وقد ألف الزمخشرى مجموعة من الرسائل الخلقية استهلها بقوله : (ياأبا القاسم) وسميت بـ « المقامات » أسوة بمعنى هذا المصطلح القديم ... وزاد عليها ست رسائل فى موضوعات مختلفة كالنحو والعروض وأيام العرب بعد إبلاله من مرض شديد أصابه سنة ٥١٢ هـ ١١١٨ م[(١٣)] .

يتبـــع

---

(١١) السابق . ص ٢٥٨ .

(١٢) السابق . ص ٢٦٥ .

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة الزمخشرى ، ١٠/٤١٠ .

القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية - بقية

ومن هذه المادة يتضح بطلان إجراءات توطين اليهود المهاجرين فى المدينة بغرض تهويدها .

ــ وقد تضمن هذا القانون مادة مكونة من عشر فقرات ، هى المادة الثامنة والثلاثون ، وفيها عالج تفصيلاً أسلوب ووسائل حماية المبانى والمواقع الدينية فى المدينة .

ذلك ، ومهما كانت القوة الإلزامية للمواثيق الدولية .. فهى عديمة الجدوى ما لم يكن لدى كل الأطراف النية الصادقة فى الالتزام بها ، ومهما كانت دقة صياغة القوانين وشمولها فإنها لن توضع موضع التطبيق ، ولن تنال الاحترام الواجب لها ما لم تكن هناك قوة تجبر على احترامها .

لقد استشعرت « الصهيونية العالمية » ضعف وتمزق الأمة الإسلامية فأطلقت لأطماعها العنان ، وضربت بالمواثيق الدولية عرض الحائط ، وحالت دون وضع مواد القانون موضع التطبيق .... لذا فليس من الغرابة ، والحال هكذا أن تنتهز « إسرائيل » هذه الظروف وتستولى على كل الأراضى منزوعة السلاح فى إطار تآمرها إبان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م ، ثم تستولى على القدس بأكملها أثناء عدوانها على الدول العربية المجاورة لها فى شهر يونيو عام ١٩٦٧ وتعلنها عاصمة لإسرائيل .....

وللحديــث بقيـــة



أ. عادل خفاجة

قال الإمام الشافعي :

« لولا مالك وابن عيينة لضاع علم الحجاز » .

وإمامنا الجليل هو :

الحافظ الفقيه الثقة سفيان بن عيينة بن ابى عمران ميمون الهلالى ، ابو محمد الكوفى ثم المكى .

يبدو مذهبه فى « التقوى » من قوله : لا يصيب رجل حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال ، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه .

ويجمع إلى « التقوى » عدم حبه للشهرة ، فهو يتقيها ماوسعه ذلك ، فكان إذا اراد قول شىء لا ينسبه إلى نفسه ، بل يقول : « قال رجل » .. وهذا مايلحظه من يقرا عن هذا الإمام الكبير ، وعرف ذلك إسحاق بن ابى إسرائيل فقال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : قال رجل : « واحزناه على ان لا احزن » ، قال : واراه اراد نفسه .

لحظات طيبات مع الإمام

سفيان بن عيينة

نعم ، لقد كان ابن عيينة محباً للتخفى وعدم الظهور . وإلا فمن هذا الرجل الذى تحدث عنه سفيان ـ رحمه الله ـ حين قال : إن رجلاً من العلماء قال : « اثنتان انا اعالجهما منذ ثلاثين سنة : ترك الطمع فيما بينى وبين الناس ، وإخلاص العمل لله عز وجل » .

لا نشك انه سفيان بن عينيه القائل : قال رجل اهلكتني حب الشرف . فقال له رجل : إن اتقيت الله شرفت .

ولعل ذلك هو ما دعاه لان يقول : « لان يقال فيك الشر وليس فيك ، خير من أن يقال فيك الخير وهو فيك » ثم يعلل لذلك فيتلو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ النور ـ ١١ .

خير العلماء وواجبهم :

كان ـ رحمه الله ـ محباً للعلم والعلماء العاملين ، وكان يقول : إنما ارباب العلم الذين هم أهله ، الذين يعملون به .

ويرى أن من تزين للناس بالعلم ولم يعمل به كان ذلك مبعث حسرته يوم القيامة .

قال إبراهيم بن الاشعث : قال سفيان ابن عيينة : كان يقال : اشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة :

رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة افضل عملاً منه .

ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه .

ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فَعَلَّمَهُ غيره فانتفع به . ويحض على طاعة العلماء وتقديرهم وتوقيرهم فيتمثل بقول أبى الدرداء : إنكم لن تزالوا بخير ما احببتم خياركم وقيل فيكم بالحق ، ويل لكم إذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح .

وكان يحض العلماء على الاستمرار فى نشر العلم ، ويؤكد لهم أن علمهم لابد بالغ من يعيه ، فيقول : « إن العلم لا يخرج من وعاء قط إلا صار فى دونه » ، وكان ـ رحمه الله ـ يعلم أن المرء إذا اعجب بحاله ، اورده ذلك موارد الهلاك ، لذا يقول : « إذا اعجبك الصمت فتكلم ، وإذا اعجبك الكلام فاسكت » .

ومن خير صفاته انه كان لا يلقى احداً إلا رأى نفسه دونه ، والعاقل عند الإمام سفيان من تمت فيه عشر خصال عد منها :

- أن يكون الكبر منه مأمونا والرشد منه مأمولا .
- وحتى يكون الذل احب إليه من العز .
- والفقر أحب إليه من الغنى .
- وحتى يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل كثيره من نفسه .
- وحتى يكون نصيبه من الدنيا القوت .
- وحتى يكون طالبا للعلم طول عمره .
- ولا يلقاه احد إلا رأى نفسه دونه .

وكان يقول : من رأى انه خير من غيره فقد استكبر ؛ وذاك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره .

وكان يؤكد على حاجة العالم إلى العلم .

قال أحمد بن محمد بن ايوب ـ صاحب المغازى : اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينة فقال : من أحوج الناس إلى هذا العلم ؟ فسكتوا ، ثم قالوا : تكلم ياابا محمد . قال : أحوج الناس إلى العلم العلماء ، وذلك أن الجهل بهم اقبح ؛ لأنهم غاية الناس وهم يسألون .

وليس ذلك فحسب ، فالعلماء فى حاجة إلى العلم ؛ لان العبد لا تصل إليه عقوبة اشد من الجهل بالله والجهل بأوامر الله ، وعقوبة العلماء

فى ذلك أشد ؟ لذلك كان ـ رحمه الله ـ يقول : « أفضل العلم العلم بالله ، والعلم بأمر الله ، فإذا كان العبد عالما بالله وعالما بأمر الله ، فقد بلغ ، ولم تصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله ، والعلم بأمر الله ، ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله والجهل بأمر الله » .

وإذا علم الإنسان قدر نفسه وأفاض الله عليه بقبس من نوره ، استوى عنده مايحب ومايكره ، فهذا سفيان ـ رحمه الله ـ يتمثل بقول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : « ما أبالى على ما أصبحت ، على ما أحب أو على ما أكره ، إنى لا أدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره ؟

لله در قائلها ، فهى كلمات جمعت لب العلم وخلاصة المعرفة والتوكل على الله .

وكان ابن عيينة ـ رحمه الله ـ يقول : التفكر مفتاح الرحمة ، ألا ترى انه يتفكر فيتوب ؟

يقول : الفكرة نور تدخله قلبك .

ويتمثل :

إذا المـرء كـانـت لـه فكـرة
ففـى كـل شىء لـه عبـرة

منزلة الصبر والزهد عند سفيان :

علم ـ رحمه الله ـ ما للصبر من فضل ، فكان يقول :

« لم يعط العباد أفضل من الصبر ، به دخلوا الجنة » .

وقال : لا تصلح عبادة إلا بزهد ، ولا يصلح زهد إلا بفقه ولا يصلح فقه إلا بصبر .

ثم يعرِّف الصبر وحال الصابرين ، فيقول : قيل لبعض الحكماء : ما الصبر ؟ قال : الذى يكون فى الحال الذى نزل به ما يكره صبر ، وكان مثل حاله الأول إذا لم يكن أصابه البلاء .

ويعرِّف الزهد ، إذ جاءه أحمد بن أبى الحوارى سائلاً : ياأبا محمد أى شىء الزهد فى الدنيا ؟

قال : من إذا أنعم الله عليه نعمة فشكرها ، وابتلى ببلية فصبر ، فذلك الزهد .

فقال ابن أبى الحوارى : ياأبا محمد ، فإن أنعم الله عليه بنعمة فشكر ، وابتلى فصبر وهو ممسك للنعمة ، كيف يكون زاهداً قال : اسكت ، فمن لم تمنعه البلوى من الصبر ، والنعمة من الشكر فذلك الزاهد .

ثم يعرِّفه فى موقف آخر ، إذ سئل عن الزهد ماهو ؟

قال : « الزهد فيما حرم الله ، فأما ما أحل الله فقد أباحكه الله ، فإن النبيين قد نكحوا وأكلوا وركبوا . ولكن الله نهاهم عن شىء ، فانتهوا عنه ، وكانوا به زهاداً ؟

القرآن .. والكلمة :

وللقرآن عنده عظيم المنزلة ، فهو كتاب الله ، لا يبلغ بشر أوجه ، أو يحيط بإعجازه يقول : « لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شىء أحب إليكم من الله ، ومن أحب القرآن فقد أحب الله ، افقهوا مايقال لكم » ويقول : « من قرأ القرآن يُسأل عما يُسأل عنه الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إلا تبليغ الرسالة » .

وهو ـ رحمه الله ـ يقدِّر للكلمة حقها ويعرف قدرها ، فها هو يوضح لأصحابه حقوق « السلام عليكم » ، فيقول : « قوله ، السلام عليكم ، « أى » أنت منى سالم ، وأنا منك سالم ، ثم يدعو له ويقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فلا ينبغى لهذين إذا سلم بعضهما على بعض أن يذكره من خلفه بما لا ينبغى له من غيبة أو غيرها ، ويردد قول مساور الوراق : « ما كنت أقول لرجل إنى أحبك فى الله ثم أمنعه شيئاً من الدنيا » .

نعم ، لم يكن ـ رحمه الله ـ يقول إلا ما يعنى ، ويستطيع البر به .

منطقه وفكره :

وكان ـ رحمه الله ـ يتمتع بمقدرة كبيرة على حسن الاستدلال : ومن ذلك ماحكاه عمر

لحظات طيبات مع الإمام

سفيان بن عيينة

ابن السكن ، قال : كنت عند سفيان بن عيينة فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال :

يا أبا محمد أخبرنى عن قول مطرف : « لأن أعافى فأشكر أحبُّ إلىَّ من أن أبتلى فأصبر » أهو أحب إليك أم قول أخيه أبى العلاء « اللهم رضيت لنفسى مارضيت لى » ؟

قال : فسكت سكتة ثم قال : قول مطرف أحب إلىَّ .

فقال الرجل : كيف وقد رضى هذا[1] لنفسه ما رضيه الله له ؟

فقال سفيان : إنى قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام ـ مع العافية التى كان فيها ـ « نعم العبد إنه أواب » ووجدت صفة أيوب عليه السلام ـ مع البلاء الذى كان فيه « نعم العبد إنه أواب » فاستوت الصفتان ، وهذا معافى وهذا مبتلى ، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر فلما اعتدلا ؛ كانت العافية مع الشكر أحب إلىَّ من البلاء مع الصبر .

وكان يقول : يقال : لا إله إلا الله فى الآخرة بمنزلة الماء فى الدنيا لا يحيا شىء فى الدنيا إلا على الماء ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فـ (لا إله إلا الله) بمنزلة الماء فى الدنيا ، من لم تكن معه (لا إله إلا الله) فهو ميت ، ومن كانت معه (لا إله إلا الله) فهو حى .

يقول : ليس فى الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه ، قال : وهى فى كتاب الله ، قالوا : وأين هى من كتاب الله ؟

قال : أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[2] قالوا : ياأبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة ، قال : كلا ! اتلوا مابعدها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ فهى لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة . وكان يُحذِّر المؤمن أن ينال من عرض أخيه فيقول : الغيبة أشد من الدَّين : الدَّين يقضى ، والغيبة لا تقضى .

وكان يقول : لو أن رجلاً أصاب من مال رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته فجاء به إلى ورثته لكنا نرى ذلك كفارة له ، ولو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته فجاء إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه فى حل ، ما كان فى حل ، فعرض المؤمن أشد من ماله .

افقهوا مايقال لكم .

وكان يحض أصحابه على ارتياد طريق الخير غير عابئين بما يلاقونه فى سبيل الله ، فيقول : كان يقال : « اسلكوا سبيل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها » وكان يعلم أهله وإخوانه أن يعملوا الخير ، لا يعملوه إلا لله فيقول : « العمل الصالح : الذى لا تحب أن يحمدك عليه أحد إلا الله » .

فما أضر من عملٍ لا يرجى به وجه الله !

لذلك نجده يردد لأبى حازم قوله : « إن الرجل ليعمل الحسنة ما عمل سيئة أضر عليه منها » .

ويحض على سرعة التوبة فيقول :

« بئس منزل ـ أو متحول ـ عبد مقيم على ذنب ، ثم يتحول منه إلى غير توبة » .

ويحض على التبكير إلى الجماعة فيقول :

« لا تكن مثل العبد السوء ، لا يأتى حتى يدعى ، ائت الصلاة قبل النداء » . وقال : « من توقير الصلاة أن تأتى قبل الإمامة » .

ويستحسن سماع لطائف القول ، فيقول : « إنما تطيب المجالس بخفة الجلساء » .

عاش ابن عيينة إحدى وتسعين سنة ، أوجزها

(١) يقصد أبا العلاء ، أخا مطرف .

(٢) الأعراف ١٥٢ .

فى قوله « كان يقال : الأيام ثلاثة : فأمس حكيم مودع ترك حكمته وابقاها عليك ، واليوم صديق مودع يحبك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظعن ، وغداً لا تدرى اتكون من أهله او لا تكون .

روى سفيان بن عيينة عن كبار التابعين ، وأدرك ستة وثمانين نفسا من اعلامهم وأركانهم ، كعمرو بن دينار ، والزهرى ومحمد بن المنكدر وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم وأبى حازم ويحيى بن سعيد الأنصارى .

ومن الكوفيين : ابو اسحاق وعبد الله ابن عمير والشيبانى والأعمش ، ومنصور وإسماعيل بن ابى خالد ، ومن البصريين : أيوب وسليمان التيمى وداود ابى هند وعلى بن زيد ابن جدعان وحميد الطويل .

وحدَّث عنه من الائمة : « سفيان الثورى » وشعبة بن الحجاج » و« الأعمش » و« الاوزاعى » .

وكان سفيان بن عيينة بعد ما اسن يتمثل بهذا البيت :

يعمر واحد فيغر قوما
وينسى من يموت من الصغار

وكان يقول : لولا أن الله طاطا من ابن آدم بثلاث ما اطاقه شىء ، وإنهن لفيه ، وإنه على ذلك لوثاب : الفقر ، والمرض ، والموت .

وفاته :

كانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وتسعين ، وله من العمر إحدى وتسعون سنة .

من روائع الماضى ـ بقية

الناس . ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . بل إن كل قحط وجدب ، وضيق وضنك ، وجوع ، وخوف ، وبلاء وانتقام من الملك العلام ـ هو من التظالم بين العباد ، وبما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

وإن كل خير ورشد ، وصفاء وود ، وتعاون وتساند ، وهدوء سائد وإخاء وإصلاح . هو من تنسم ريح العدل الرخاء ، ووضع كل شىء فى وضعه غير ناب ولا قلق .

ولم يجمع الناس على تقدير فضيلة إجماعهم على تقدير فضيلة العدل التى هى القلب النابض لجميع الفضائل ، ولا اجمعوا على إنكار رذيلة إجماعهم على إنكار الجور والمظالم . فكيف لا يكون عدل يوم يقوم فيه معوج ، ويغاث فيه ملهوف ، خيرا من كثير من العبادة التى يقصر خيرها على صاحبها ولا يتعدى إلى سواه .

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى المثل للعدل فى أدق صوره حتى فى أتفه شىء واحقره عنده وهو الدنيا ، فجعلها بين الناس دولا ، لهذا زمان ولهذا زمان ، فكانت مصائب قوم عند قوم فوائد ، وكان النظام كما قال القائل :

إذا ما الدهر جر على اناس
كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

بل كان أدق من هذا ، فجعل الأيام قسمة للشخص الواحد ، فيوم لك ويوم عليك . ذلك عدل الله وحكمه فى السماء . فمتى يرضى عباد الله أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسهم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً او فقيرا فالله أولى بهما . ويارحمة السماء لمن فى الأرض .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

برقية شكر من الرئيس مبارك لفضيلة الإمام الأكبر

تلقى فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر برقية شكر من الرئيس محمد حسنى مبارك ردا على تهنئة فضيلته بمناسبة تحرير الكويت والإنجاز الذى حققته قواتنا المسلحة الباسلة ..

جاء فى برقية الرئيس :

ابعث إليكم وإلى أسرة الأزهر الشريف بفائق الشكر والامتنان على تهنئتكم بتحرير دولة الكويت الشقيقة ، والدور البطولى لقواتنا المسلحة فى أداء مهامها لإحقاق الحق وردع الظلم والعدوان . وأسأل الله أن يوفق جهودنا دائما إلى ما فيه خير أمتنا العربية والإسلامية ..

حلقات الإمام الأكبر عن « الإحسان فى القرآن الكريم »

على امتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة (التليفزيون) قبل صلاة العشاء فى ليالى شهر رمضان المعظم أحاديث فضيلة الإمام الاكبر التى تناولت آدابا شرعية تهم المجتمع الإسلامى عن (الحِكَم والأمثال والإحسان) فى القرآن الكريم .

كذلك نقلت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تهنئة فضيلته للمسلمين باستقبال شهر رمضان وحلول عيد الفطر

الإمام الأكبر يشارك فى التحكيم لجائزة الملك فيصل العالمية

شارك فضيلة الإمام الاكبر فى اجتماعات الدورة الرابعة عشرة للجنة اختيار الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام التى عقدت (فى الرياض) بالمملكة العربية السعودية فى مارس الماضى .

الإمام الأكبر يزور الجرحى المصريين بجدة

قام فضيلة الإمام الاكبر - أثناء وجوده بالحجاز - بزيارة للجرحى من القوات المسلحة المصرية بالمستشفى العسكرى بجدة ..

وقد اطمأن فضيلته على المصابين وتمنى لهم الشفاء العاجل ..

هدية الأزهر فى رمضان

قامت الشئون الفنية بتوجيه من فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بإهداء المساجد والهيئات والأفراد مصحف الأزهر الشريف بأحجامه المختلفة ، ومجموعات من الكتب الدينية توضع بمكتبات المساجد كى يستفيد منها رواد بيوت الله تعالى ، وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم ..

أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير واليُمن والبركات ..

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبدالمنعم فودة ●

أولى ندوات الأزهر

عقدت بالجامع الأزهر فى الخامس من رمضان ١٤١١هـ الموافق ٢١ من مارس ١٩٩١م أولى ندوات الأزهر التى ستعقد بمختلف أماكن الجمهورية حضرها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، والقى كلمة تحدث فيها عن مسئولية كل مسلم تجاه نفسه وعائلته ودينه ، ثم تحدث فضيلة وكيل الأزهر الدكتور حامد جامع فعرف بأهداف هذه الندوات التى يعقدها الأزهر الشريف ، مع نبذة عن تاريخ إنشاء الأزهر الشريف تلاه فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى وزير الأوقاف السابق فتحدث مفسراً لآية الصيام الواردة بسورة البقرة هى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . ثم تحدث الدكتور أحمد عمر هاشم فحث المسلمين على الأخوة ونبذ الخلافات والتضامن فيما بينهم .

اختتم الاحتفال بآيات من الذكر الحكيم .

انشاء حزب اليقظة الاسلامية فى موسكو

أعلنت وكالة (تاس) الرسمية للاتحاد السوفيتى عن قيام المسلمين بتشكيل حزب اسلامى باسم (حزب اليقظة) .

وأعلن الشيخ أحمد التتارى وهو مؤسس الحزب أن العقيدة الإسلامية أساس فى تعامل الحزب مع الشئون المختلفة ، وسوف يشكل فروعا للحزب فى أذربيجان . وأوزبكستان .

وقد انتخب (أحمد قاضى التاى) رئيسا للحزب يساعده مجلس شورى من العلماء فى الاتحاد السوفيتى .

المسلمون اليوغسلاف يفوزون فى انتخابات البوسنة والهرسك

جرت انتخابات فى مدن (البوسنة والهرسك) بيوغسلافيا أسفرت عن فوز المسلمين فى النتائج العامة بنحو ٣٥٪ من الأصوات كما حصل الصرب على نحو ٢١٪ ، وحصل الكروات على نحو ١٧٪ . وقد جاء ترتيب الشيوعيين بعد كل هذه الأحزاب برغم وجودهم على رأس السلطة .

أما بالنسبة لانتخابات رئاسة الجمهورية فقد اكتسحها الحزب الإسلامى بأعضائه الثلاثة وهم على عزت بك موسى ـ فكرت عابد ريج وأيوب لقمان .

مجلة الأزهر : سبق أن قدمت المجلة بحثا مستفيضا بقلم العلامة المسلم الشيخ توفيق إسلام يحيى عن معاناة المسلمين الأليمة على أيدى الصرب ، وقد شاء الله أن يبرز هذه النتيجة التى نرجو أن تكون الهدف الذى يمثل فى ضوئه الحكم .

مضايقات لمسلمي العالم فى سنغافورة واليونان وأندونيسيا والهند

فى سنغافورة : تم هدم اثنى عشر مسجدا ، وإزالة بعض الأحياء التى يعيش بها المسلمون .

وفى اليونان : أعلن الدكتور صادق أحمد النائب البرلمانى عن مدينة (جومولجينه) اليونانية أن الحكومة اليونانية تقوم بتنفيذ خطة

أنبـــــــاء وآراء

لإخراج المسلمين من مواطنى منطقة تراقيا الغربية وإسقاط الجنسية اليونانية عنهم دون علمهم وأكد الدكتور صادق أحمد أن لديه قائمة بأسماء أكثر من مائتى (٢٠٠) شخص أسقطت عنهم صفة المواطنة .

وفى أندونيسيا : تظاهر أكثر من مائة طالبة فى (جاكرتا) خارج مقر المحكمة للمطالبة بحق ارتداء الحجاب ورفعن شعارا يطالبن فيه الحكومة بالتمسك بتعاليم الإسلام ، حيث إن أندونيسيا دولة مسلمة .

وفى الهند : بعث الشيخ أبو الحسن الندوى برسالة إلى رئيس وزراء الهند حذره فيها من الأخطار التى تواجه المسجد البابرى من الحركات المعادية للإسلام بالهند .

الإسـلام فـى تايلانـد

ذكرت الإذاعة اللندنية فى إحصاء حول شئون المسلمين بتايلاند أن عدد المساجد يبلغ أكثر من ألفين وخمسمائة مسجد موزعة فى الجنوب والوسط ، يؤدى شعائر العبادة فى هذه المساجد أكثر من سبعة ملايين من التايلانديين .

وأوضح الإحصاء أن الحكومة التايلاندية أعطت الحرية للمسلمين لأداء الشعائر الدينية .

وأن مجلس النواب التايلندى به أحد عشر عضوا من المسلمين يمثلون جميع المسلمين فى تايلاند .

يوجد بتايلاند ١٢٣ مبعوثا لتعليم الدين الإسلامى .

تشييد مسجد ومركز ثقافى فى منطقة ملقاه الاسبانية

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أنه قد تم وضع حجر الأساس لبناء مسجد ومركز ثقافى جديد بمدينة (فنجرولا) فى منطقة ملقاه الإسبانية .

والجدير بالذكر أن منطقة ملقاه يسكنها عدد كبير من العرب المسلمين .

تكلف المشروع مائتى (٢٠٠) مليون دولار أمريكى ونصف المليون . بالجهود الذاتية الإسلامية بالمدينة .

ندوة عن السوق الاسلامية المشتركة :

تُعقد ندوتان بمركز (صالح عبد الله كامل) للدراسات الاقتصادية الإسلامية التابع لجامعة الأزهر ـ بمدينة نصر ـ بالقاهرة . خلال شهرى شوال/ ذى القعدة ١٤١١/مايو ١٩٩١ .

موضوع الندوة الأولى : (نحو سوق إسلامية مشتركة) .

وتعقد فى المدة من ١٩ ـ ٢٠ شوال ١٤١١ هـ الموافق ٤ ـ ٥ مايو ١٩٩١ ويتم فيها مناقشة ثلاثين بحثاً تتناول موضوعات مختلفة تتعلق بحتمية وأهداف السوق وفلسفته ، والعوامل المشجعة على إقامته ، والمعوقات التى تعترض الفكرة ، كما تتناول الندوة بعض الدراسات المستقبلية المتعلقة بالموضوع .

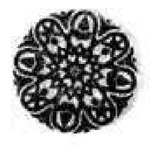
● وتتناول الثانية : (الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لأزمة الخليج) وتعقد فى المدة من ٦ ـ ٩ من ذى القعدة الموافق ٢٠ ـ ٢٣ مايو ويُناقش فيها أربعة وعشرون بحثاً تتناول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية للأزمة ، فضلاً عن إلقاء الضوء على جذور الأزمة .

كما يُناقش أثناء الدورة عدد من الدراسات المستقبلية .

الفهرس

unbridled freedom to satisfy the demands of the flesh. It aims at the attainment of a balance between these two extremes. All articles of Faith promote spiritual elevation and human excellence by disseminating the Words of Allah. Islam aims at establishing an equilibrium between the two aspects of life, the material and the spiritual. Everything in the world is for the needs of man; but man himself is to serve Allah the Creator. Man's mission in life is to fulfil Divine Will. Islamic teachings cater for the spiritual as well as the temporal needs of man. It enjoins man to purify his soul and also to organize, control and reform the mundane life, both individually and collectively, and to establish right over might and virtue over vice.

The teachings of Islam also freed man from all absurdities and superstitions to which he had fallen a prey in the course of history, in theory and practice. Some of these were even falsely described to have had some divine origin. This is the ecumenic progressive influence of Islamic practice which are qualified as being simple and intelligible. Unity of Allah, Prophethood of Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) the true understanding of the purpose concept of life-after-death are the basic articles of Islamic Faith. They are based on reason and sound rational logic. All teachings follow from these basic beliefs; they are simple and straightforward. There is no heirarchy and no abstractions, no complicated rites and rituals.



cause benefit or avert distress. All humans will be presented before Allah on the Day of Judgement to account for their deeds in this worldly life. Islam teaches freedom from fear, oppression, discrimination, death, or any worldly misfortune in life. Such status of comprehensive perception of the basic fundamental realities of human life, immunes Mankind against all forms of mental or physical captivity and servility or obsequiousness. Contemporary human societies present disgraceful humiliating examples of false gods, human injustice, social tyranny, economic oppresion, and all the patterns of thralldom and dominative servitude. The matrix of subordinate slavery still remains a salient predominant characteristic of the behaviours of current human relationships; the organizational framework of present-day thralldom differs only in its action plan, it operates with different appearances and various facades and false pretences.

The doctrinal maxims of the Islamic Shariah provide articles of faith that dictate the practice of certain formalities of religious functional observances. These ritualistic graces provide perpetual mental attitudes of self emancipation from the carnal driving forces of body lust and excessive indulgencies. Such urges of voracity may enslave the body and mind to become devoured and consumed by desires. This develops into a despicable state of inferior deprivation of mental freedom and self determination. The antidotes against blind passions are Divine Love and submission to Divine Will. Such conditions generate in human life the value of self dignity, confidence, love, truth, chastity, justice and ecumenic beliefs in the realities of creation. They optimize human actions, passions, and apetites to the service of man's absolute mental emancipation and freedem; the service of the graceful noble goals of human life. The most dominant force that directs man's life to the climax of dignity and freedom is love and obeisance to Allah, the Santuary, the Transcendent Supreme.

The uncontrolled practice of carnal pleasures leads to a state of slavery to the passions of the body. This develops into a doomed perpetual life of deprivation and restlessness . Bodily desires when uncontrolled run rampant and become insatiable, the avarice increases with every effort to satisfy it. The result is a craze for the maximization of the captivating enslaving self indulgencies. Such attitudes towards life cannot be conductive to progress, material or spiritual. Humanity cannot reach or approach higher realms of nobility unless it is freed from the dominance of uncontrolled desires. It is only through the control of the animal self that man is freed to develop and make progress, and satisfy the real purpose of human creation.

Islamic Theism attributes justified optimal importance to the emancipation of man from his animal passions. For this purpose it neither favours monasticism nor gives man

comprehensive assimilation of the essential precepts of the relation of Mankind with the Eternal Creator.

Islam, means liberation from all forms of slavery bondage or dependance; such as may inhibit the progress of humanity or may prevent or impede human efforts to follow the path of goodness and virtue, or prevent-in any way man's fulfilment of Allah's Will on this earth. The true primary practice of abolition of slavery in human societies commenced from the early days of Islamic history at the time of the Prophet Muhammad (Prayers and peace from Allah upon him). The institution of Islamic Divine Law of the Holy Revelation, and the traditions of the Prophet, formulated several channels of action which abrogated the practice of slavery in Islamic constitution. The total eradication of slavery was achieved during a short period of few decades. This was achieved by the proper implementation of the teachings of the Quran and Sumah. The ecumenic practices of Islamic doctrines removed much of the injustice and raised the human status of slaves to that of their masters and paved the way for the ultimate abolition.

This abolition of slavery was the first of its kind in history. Racial and colour discrimination and social injustice are still rampant among several non-Muslim societies to the extent of causing severe national instabilities resulting from the demotion of basic human rights of some human groups. In Muslim societies, such social symptoms of human injustice and discrimination are never encountered. The practice of abolishing slavery was initiated during the time of the Prophet, and developed through the implementation of the Islamic shariah. The Prophet repeatedly exhorted his followers in the name of Allah to enfranchise slaves, an act highly acceptable to Allah. He ruled that for certain sins of omission, the penalty should be the emancipation of slaves; and that slaves should be allowed to purchase their liberty by the wages of their services. He also provided that money allowances should be advanced from the public treasury to purchase their liberty. In certain contingencies, it was provided that the slave should become enfranchised without the interference and even against the will of his master. Islamic doctrines legislated, that a fugitive fleeing to the territories of Islam should be enfranchised; that the child of a slave woman follows the status of the father, the slave should be able to contract with his master for his emancipation.

Islamic teachings preach peace, harmony, brotherhood and co-operation. They introduce practices that free mankind of tyranny and oppression Man's freedom from social slavery, economic need, indignant exploitation, class distinction, and racial discrimination. This is achieved through the proper understanding of the purpose of human creation. This depends on understanding that all authority vests in Allah and Allah alone. He alone is the Real Sovereign. All humans are subjects to Divine Authority, and as such Allah alone controls the destinies. None other has the power to



bonds of servile obsequiousness. The only single unique submissive obedience is to Divine Function, the Divine Truth, the Infinite Love, the Omniscience, the Infinite Mercy, the Infinite Power, the Infinite Justice, the Sovereignty of the Transcendent Light and Glory, the Creator and the Supreme Being. Only to Allah is Mankind required to submit.

The concept of freedom in Muslin thelogical doctrines justifies the prerogative of human liberation to become an article of faith. It is a solemn command from Allah that Mankind is born free, and leads a life without coercion restrain or servitude. This precept is fundamentally based on man's conscious responsibity subject only to Divine judgement. Within this framework, Mankind has been provided with sufficient guidance, doctrinal teachings, divine texts. Such sources of mental and spiritual promotion, qualify Mankind to bear the responsibility of being liberated as the vicegerent of Allah on earth.

The doctrines of the Muslim faith provide the liberal ecumenic paradigm of human unity to develop in total submission to Divine Will of Allah. Allah is the Creator, the Sovereign, and man is his vicegerent on earth. This exalts man to the noble dignified position of being Allah's deputy and endows human life with an optimal purpose: to fulfil the Will of Allah. This representation of Belief constitutes the ultimate true justification of human existance. Islamic doctrines teach that the two fundamental concepts of Muslim Theism are the total submission to Allah; and the honest effort to implement, practice and fulfill in function the Will of Allah. These two parameters of human life are completely related to the degree of pious devotion in reverence to the Divine Omniscience, the Transcendent Creator. Such human qualities and efforts are arbitrated in appraisal by Allah alone. Rightousness, virtuousness, moral goodness, purity, chastity, magnanimity, humbleness, justice and piety are the criterion of superiority in excellence. This is distinctly pointed out in the Holy Quran "O mankind, We have created you from a single pair of male and female, and made you into nations and tribes; that you may know each other. Verily, the most honoured of you in the sight of Allah is he who is the most Righteous. Allah is All-Knowledgeable, All-Cognizant (Surat Al-Hujurat XLIX, 13). The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) laid stress on this idea in the Hadith: "No Arab has superiority over non-Arab, nor a white over a black except through true piety in life".

The fundamental concept of freedam, emancipation and liberation of human life generates from the basic constituents of Muslim Theism; submission to Allah, and the implementation of Allah's Will in the life of man. The path to emancipation unconstraint and the attainment of human freedom from want and fear is attained by the ecumenic

EMANCIPATION OF MANKIND

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Islamic Doctrines teach that Allah the Most Exalted created the universe and selected mankind out of all creation as his vicegerent on this earth. Allah endowed human creation with qualifications of the most supreme distinctive potentials of dignity, honour and the inherent powers of the faculty of thought. Allah gifted mankind with spiritual as well as material provisions. Nature with all its terrestrial and extraterrestrial resources of infinite reserves is completely disposed for the exploitation of mankind.

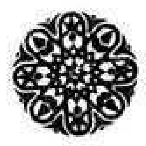
Human creation is structured in such a manner to possess an essential optimized spiritual component. This particular constituent of human creation is the fundamental quality that distinguishes mankind from all other creations. The realization of that spiritual component in man's constitution, necessitates the elaborate faculty of thought. Mankind becomes unable to practice his spiritual qualities except when he believes, and he cannot believe unless he submits to what he believes, and he cannot submit unless there is a mental understanding of true thought and honest conviction to give roots and anchor to the firm trunk of belief.

Based up on this rational reasoning, Allah has specified Mankind with the Divine gift of ingenuity and the command over mental powers. The human species is the only class of creation that has the profound appellation of dignified distinction of the faculty of thought. This distinction entitles the human race to be the most supreme amongst all creation. Mankind is the only creature of all the totality of creations that will be faced with judgement on the day of judgement.

Allah, the creator has entrusted mankind with the most superlative quality of mental association, exercise of intellect, speculation, rationalization, perception and conceptualization. Because of these qualities, Mankind is qualified to optimize. The resultant proficiency of function of these mental faculties and characteristics. These Divine endowments elevate Mankind to a unique order of moral excellence and emancipation. The ultimate scheme of creation is to provide Mankind with freedom. Freedom from want, freedom from fear, freedom of expression, freadom from domination and subjection. Mankind with these qualities is created liberalized from all

Shams. The Romans were certain of victory, being more in numbers and more well equiped. The Roman command recognized the crucial significance of this confrontation. The Muslims also realized that the campaign to Egypt would collapse to utter failure if they were to be defeated. Both sides were strongly intent on victory; defeat would be catastrophic to any of the two opponents. The battle started, and by mid-day the crescendo of the clashing swords resounded mixed with the battle cries of the battling armies. As the battle was at its peak, the Muslim contingent ambushed to the east emerged to strike the Roman troops from the rear. Soon after that, the other Muslim contingent emerged from its concealment to assault the besieged Roman troops. The Roman army became striken with panic and tribulation; not finding a way out to maneuvre an orderly retreat. The pandemonium of total defeat, the unorganised withdraw, the overwhelming anarchy of complete confusion. The dispersed shreads of the Roman army finally found their way to the fortress of Babylon where they could seek refuge.

The supreme Muslim triumph at the battle of Ain Shams was a masterpiece of military strategy. The victorious Muslim warriors advanced to Um Dunin to capture it for the second time. The Muslims then proceeded to the city of Cairo and occupied it without any resistance. Amre Ibn Al-Aas moved his encampment from Ain Shams to the north and east of Babylon at a site where Al-Fustat was later built. The Egyptian public was acting throughout these events as a spectator, not indulged in any action. It was clear that Muslim presence in Egypt was becoming established. The ultimate outcome was to be awaited.



territory between Cairo and Al-Fayoum without losses, the desert was their natural habitation. They impressed the Roman command, the Egyptian population, and above all gained positive justification for support from Omar Ibn Al-Khattab to send further reinforcements. The campaign to Egypt was so far successful. The Romans, however, prepared themselves to defend the territory of Al-Fayoum against Muslim invasion of the inland regions. Amre Ibn Al-Aas remained with his men protected by the desert, raiding places to obtain supplies for his men. The Muslims discovered that Roman contingents were scrambling to skirmish around for scouting and alarm. Amre confronted the Roman contingents in the open and massacred them. The Roman command at Al-Fayoum decided to retaliate the defeat of the Roman contingents, however, Amre Ibn Al-Aas with his men disappeared into the vastness of the desert, where the Romans were very reluctant and unwilling to risk pursuit of Muslims into the desert.

Amre Ibn Al-Aas returned with his men to Um Dunin with all haste in order to meet with the new reinforcements that Omar Ibn Al-Khattab had sent from Al-Madinah. It was imperatively momentous for Amre Ibn Al-Aas to rendevous with the warriors from Al-Madinah before they encountered Roman troops. To that purpose, Amre Ibn Al-Aas accomplished with competent efficiency an action of undaunted gallant fortitude. He crossed the Nile with the whole Muslim army to the east bank; and proceeded with all speed to Heliopolis on the east precincts of Cairo, where both Muslim armies joined forces. The sources of literature do not give details of the return journey of the Muslim army from Al-Fayoum to the east bank of the Nile. The exact strategy and plans of the Roman command were unclear and not rationale; they lost the most suitable chance to prevent the two Muslim armies joining forces. The meeting of the Muslim armies was a most jubilant occasion for everybody, and most of all for Amre Ibn Al-Aas. Omar Ibn Al-Khattab had sent reinforcements of eight thousand men with four reputed war veterans Al-Zubair Ibn Al-Awam, Ubadah Ibn Al-Samit, Al-Miqdad Ibn Al-Aswad, and Maslamah Ibn Mukhallad; who were to be the staff of Amre Ibn Al-Aas. At Heliopolis the Muslim consortium forces camped at a suitable site for the men to recuperate, and to obtain the necessary provisions. Amre Ibn Al-Aas drew his plans of strategy taking the opinion and concensus of his staff. The most pressing issue was to bring the Romans out of the fortress of Babylon into the open for combat. News that the Roman troops in massive numbers had moved from Babylon towards Heliopolis to confront the Muslims reached Amre Ibn Al-Aas; that was the occasion he was patiently awaiting.

Amre Ibn Al-Aas prepared the strategy for the battle. He ordered a contingent of horsemen to hide behind the hills to the east, and another contingent to ambush to the west near Um Dunin. At day break, the rest of the Muslim army marched to meet the Roman troops advancing, from Babylon. Both armies confronted each other at Ain

dates and the period of time that Muslims remained at Bilbees are controversial. However, most authors agree that the Muslims were at Al-Arish during Zu Al-Hijah of the Eighteenth year of Al-Hijrah, December 639 AD, and at Bilbees during February and March 640 AD.

The Muslims marched from Bilbees across desert terrain to reach near the village of Um Dunin in the precincts of Cairo. This village was situated to the north of the strongly fortified renowned much acclaimed fortress of Babylon, the great bastion of the city of Cairo. Between Um Dunin and Babylon, the majestic river Nile exhibited its pontific expanse to the fascinated astounded Muslim warriors as they gazed across the great river. Their vision had never experienced this likness of portrayal of the spectacular greatness of nature. The Muslims soon recovered from the trance of ecstasy of nature's effect, and became awarely conscious of the strong Roman fortifications at Um Dunin and at Babylon. Amre Ibn Al-Aas considered the situation with his ranks; he received information that the Romans were heavily fortified at Babylon, which made it impossible for the Muslims to storm the great fortress. Amre Ibn Al Aas wrote to Omar Ibn Al-Khattab explaining the details of the situation, with justifications for the urgency of reinforcements.

The strategy adopted by Amre Ibn Al-Aas was to keep continually moving, within the largest margin of safety for his men, to impress the Egyptian natives of Muslim maneuverable skill against the Romans, and to place the Roman command in a position of total surprising astonishment, ignorant of his intentions and plans. Amre Ibn Al Aas decided to besiege the smaller fortress of Um Dunin, and further utilize the ships anchored in the nearby creek when the fortress surrenders. The Muslim siege of Um Dunin was optimally organized to ensure victory for the Muslims. Amre Ibn Al-Aas was awaiting reinforecements, his troops were in a position that allowed provision of all requirements of supplies. The reinforcements arrived, the Muslims strormed Un Dunin which they triumphantly occupied, with heavy losses to the Romans. Amre Ibn Al-Aas ordered his men to cross the great river using the boats, and proceeded across the plateau of the Giza Pyramids deep into the desert expanse. This particular shrewdness of manipulative tactics left the Roman command in total obscure vagueness and bewildered dubious speculation as to the schemes of the Muslim leader.

It was a great surprise to the Roman command, and to the Egyptian population to discover that the Muslims had appeared at Al-Fayoum, about hundred miles south of Cairo, west of the Nile. This skilled ingenious agility of Amre Ibn Al-Aas proved his qualification of talent strategy and craftsmanship. The Muslims covered the whole

OMAR IBN AL-KHATTAB

MUSLIMS INSIDE EGYPT

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The envoy of Omar Ibn Al-Khattab to Amre Ibn Al-Aas returned to Al-Madinah with the news that the Muslim warriors had crossed the eastern Egyptian frontiers, and that their leader Amre Ibn Al-Aas was more determined to crusade into Egypt, than ever before. The situation called for intimate concern from Omar Ibn Al-Khattab, and reinforcements were certainly required. Amre Ibn Al-Aas proceeded to the coastal city of Al-Arish which was defenceless with no garrison; and advanced south to reach the city of Al-Farama, where the Romans decided to confront the Muslim warriors. The road between Al-Arish and Al-Farama extends for about seventy miles, being the ancient trade route between Egypt and Palestine.

The news of the Muslim advance had reached the Roman command since the time Amre Ibn Al-Aas reached Al-Arish. The Roman command decided to establish Al-Farama the stonghold where the Muslims were to be confronted. The Romans were confident of victory, they greatly outnumbered the Muslims, who lacked the necessary equipment to maintain an effective siege. The Muslims inspite of all adverse conditions besieged Al-Farama for one whole month, and were finally able to storm the city and gain decisive victory over the Roman garrison which greatly outnumbered the Muslims. Several nomad bedouins resident in territories around Al-Farama, joined the Muslim warriors to gain the spoils of battle.

Amre Ibn Al-Aas marched further south to reach the city of Al-Qantara, and then advanced west into the Egyptian mainland towards Al-Qassasin, and took a course south west to reach the city of Bilbees. Throughout this long stretch of travel on Egyptian soil, the Muslim crusaders met very little resistance. The Muslims at Bilbees were about thirty five miles away from the capital city of Cairo. During the time Muslims were at Bilbees, Al-Muqawqas chief of Egyptian copts deligated envoys to convene with Amre Ibn Al-Aas. The encounter was brief and futile; the Roman command decided to confront the Muslims on the battlefield, they marched twelve thousand strong towards the Muslim encampment. After severe intense fighting, the Roman forces were defeated with heavy casualities. The Muslims remained for about one month at Bilbees to recover, draw plans and wait for reinforcements that Omar Ibn Al-Khattab had promised to send. The exact

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART X

Shawal 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





مرحبا بالعام

فى سماء الإسلام

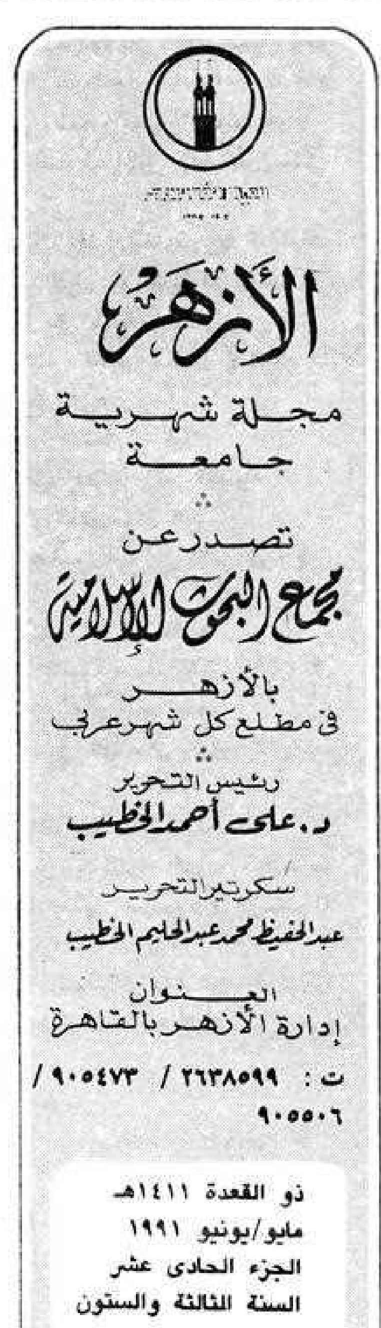
بكل الحياد الوقور الذى يمليه علينا ديننا الحنيف نسوق هذه النصوص من مصادر اهل الكتاب الخاصة بـ « بابوية روما » ليس لنناقشها ، او لنحكم عليها ، فليس ذلك من حقنا ، إنما نسوقها لنبين لفريق من كتابنا المسلمين اختلاف مصدر التشريع ، ثم نمضى ، وفى ذلك البلاغ : مهما رُمِىَ علماء المسلمين بالجمود .

تقرر الكنيسة البابوية الكاثوليكية :

ان الكتب المقدسة «لم تذكر كل شىء» وبناء على ذلك : فـ «بابا الفاتيكان» نائب المسيح فى الأرض ، وهو معصوم من الخطا فى احكامه الدينية ، فكل ما يشرعه فى جانب الإيمان ، وما يحدده فى العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير او التبديل ، كما انها ليست بحاجة إلى موافقة الكنيسة عليها ، وإذا تجاسر احد على تخطئة تحديدها يكون محروما ، وله ايضاً ان ينشر تعليما إيمانيا ويحتم حفظه ؛ لأن فحص الآيات امر خاص به منذ اجيال عديدة[1] .

وفى إطار هذه النصوص :

اذاع الفاتيكان عام ٤٧ ، ١٩٤٨ أن السيدة مريم البتول صعدت ـ بدورها ـ إلى السماء ، وصارت ...   ، واذكر ان فريقا من القساوسة الكاثوليك بجنوب إفريقيا احتجوا على هذا القرار فهددوا بالحرمان فلاذوا بالصمت .



الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٩٠٥٤٧٣ / ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٥٠٦
ذو القعدة ١٤١١هـ
مايو/يونيو ١٩٩١
الجزء الحادى عشر
السنة الثالثة والستون

كذلك بعد هذا القرار بسنتين أو ثلاث على الأكثر، قام «المنصّرون» بدعوتهم بين «الإسكيمو». فلما قرأ هؤلاء في «الأناجيل المتداولة»: «خبزنا كفافنا»، امتنعوا عن الطعام، وتساقطوا إعياء، فسحبت هذه الأناجيل، وجيء لهم بطبعة أحدث تحمل عبارة ذات مدلول أشمل من «الخبز» حتى لا يموتوا جوعا.

نشر هذا الخبر «صحيفة النداء» المصرية التي صدرت في نهايات النصف الأول لهذا القرن وذكر المحرر هذا الموضوع تحت عنوان «شجاعة أدبية».. كذا !!

من هنا يتبين للقارئ أن هذه الكنيسة تشرع ما تريد: فكأنها «إنجيل» مفتوح يضيف إليه البابوات ما يرون، ومن آيات ذلك تشريعاتها المختلفة في الصوم، والانقطاع .. الخ، ولا عليها ألا تعتمد على الأناجيل: لأنها ترى أن الأناجيل، بل الكتب المقدسة، لم تذكر كل شيء.

ثم بعد هذه النصوص، وشيء من تطبيقاتها، ننظر في فروق عدة، لنتبين مصدر التشريع في الإسلام، فإنه إذا رأت الكنيسة أن «الكتب المقدسة لم تذكر كل شيء».

نقول ـ في القرآن الكريم: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام ـ ٣٨.

وإذا رأت أن (رأس الكنيسة) معصوم. قلنا: ليس في الإسلام عصمة لغير الأنبياء.

وإذا قررت أن لرأس الكنيسة أن يشرع في (جانب الإيمان) و(العقيدة) .. الخ.

قلنا: ليس ذلك لأحد في الإسلام، قال ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

وإذا كان لرأس الكنيسة أن يضع آية، أو يعمم مضمونا..

قلنا: في القرآن الكريم: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾

فالقرآن الكريم لم يفرط في شيء، ولا تبديل لكلماته، ولا عصمة بعدَ أنبيائه، وقد تضمنت آياته كل شيء، ثم «الصحيح» من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ يُبيّنْ ويوضح ويُعلّم كيف نمضي.

فإذا كان لليهود (مِشْنا) جمعت أقوال (الحاخاميم) وجعلتها ـ على أي حال ـ فوق التوراة.

وكان لدى (البابوية) معصوم يقرر ما يراه.

قلنا: لا بابوية في الإسلام، ولا مِشْنا بجانب «الصحيح» و«القرآن».

إنما هو كتاب الله ـ تعالى، وسنة رسوله ـ ﷺ: فإذا كان اجتهاد فليس تركا للقرآن الكريم، ولا طرحاً للسنة الصحيحة: بل منهما وعنهما يصدر المجتهد، وبشروط أيضاً لها عِلْمُها: فالفهم ـ في الإسلام له أصوله وقواعده المحددة.. المشتقة من أصول الشرع الشريف وقواعده الفقهية.

نقول هذا لفريق من كتاب المسلمين، ثم لهم ـ من بعد ـ الخيار، إن شاءوا كانوا منصفين، أو شاءوا رَمَوا العلماء بالجمود، أو بغيره مما امتلأت منه آنيتهم: فذلك ليس يضير العلماء في شيء: فإن لحوم العلماء مسمومة[٢] ورَشْقَهم أوسمة.

للبابوية أجواؤها تقرر ما تريد، وللإسلام صراط لا يتنكب الطريق.

ونقولها ـ لأي كاتب شاء أن يجعلها «حلالا» في كل شيء.

أو شاء أن يقول: نحن أعلم بشئون دنيانا.

أو شاء أن يرد صحيح رسول الله ـ ﷺ ـ بما يراه هو فقط: علة قادحة.

نقول: سلام عليكم .. هذه بابوية .. لا إسلام.

د. علي أحمد الخطيب

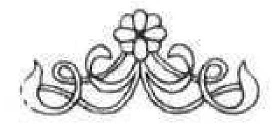
---

(١) انظر: الأب نعمة الله العنداري ـ سلاحك أيها المسيحي ص (٢٢٢) مطبعة المرسلين اللبنانيين ـ جونيه ـ لبنان ـ ١٩٢٩. والقس يوسف لويس «شرح التعليم المسيحي» ص ١٤٧ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٧٦ مطبعة البرتيري ١٩٣٩.

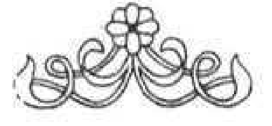
(٢) انظر الصارم المسلول لابن تيمية ص ١٦٥ تحقيق أستاذنا الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

مع الإمام الأكبر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر



لقاء فضيلة الإمام الأكبر ومفتي جمهورية الصين



كلمة

فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر الشريف

أمام المؤتمر العام الرابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

السيد الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء .

السادة العلماء

السادة الوزراء

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد :

فإن هذا اللقاء فرصة للتعبير للأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها ولغاتها ومواقعها كى تقف وقفة مع النفس ، تراجع فيها ما فرط من أمرها ، وما انفرط من عقدها ، وتجسم ذلك الخلاف لا لتحييه ، وإنما لتضع العلاج له ، إن رسول الله ـ ﷺ ـ مثل الأمة بالجسد الواحد فقال : «مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

ونحن نتمثل عمل الطبيب ـ أو الأطباء ـ إذا اجتمعوا فى (كونصلتو) عام للفحص ، نتمثل أن يكون هذا (الكونصلتو) هو هذا الجمع الذى يفحص هذا الجسد كُلٌّ فى تخصصه واختصاصه ، لنصل إلى وصف العلة ثم تحديد الدواء .

وإنى إذ أنصح المؤتمر الرشيد الموقر بأن يجلس متصورا هذا الجسد ، جسد الأمة الإسلامية ليفحصه من الرأس حتى القدمين ، ويحاول أن يضع الدواء لعلله ، ويضع الأولوية للعلاج إذا تعارضت الأدوية أو تضاربت . إذا فعل المؤتمر ذلك كنا قد وقفنا وقفة مع النفس ، والوقفة مع النفس أهم العلاج ، تلك التى قال عنها الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد ١١ .

إننى أنصح الا ندور حول المشكلات او نتجاوزها ، او نفكر بصوت عال ، لا يخلف طحنا نستفيد به .

إننى انصح ان يطرح المؤتمر الموقر مشكلاتنا وما آلت إليه حال هذه الأمة من تفكك وانفراط عن التنكس بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وبُعْدٌ عن القرب منها .

أنصح أن يكون المؤتمر على وعى بكل هذه العلل . والصيدلية التى نأخذ منها الدواء موجودة بحمد الله ، محفوظة بحفظ الله تلك هى : القرآن والسنة .. والثروات العلمية المتنوعة من حولهما .. إن فعلنا ذلك ـ أو إن فعلتم ذلك ـ أوصلتمونا إلى الهدف المرتقب من هذا المؤتمر .

إننى انصح الا ننكأ الجراح ، وإنما نَطُبُّ لها ، ننقيها ، ونعالجها حتى تلتئم ، على صفاء ونقاء .

إننى ارجو ان يكون البحث والفحص لما ينبغى ان نعالج به أمورنا جميعها ، تلك الأمور وأهمها فى تقديرى الترابط بين الشعوب .

الأمور الاجتماعية بالمعنى المتداول فيما بيننا أن نستعيد الروابط الاجتماعية بين الشعوب الإسلامية على اختلاف مواقعها ، وأن نستعيد بينها التراحم والتكامل والتعاطف ، أن يشعر المسلم بضائقة شعب مسلم اعتبر أقلية فى بلد من البلاد ، وسيم سوء العذاب .

إن فعلنا ذلك : كنا قد وقفنا مع أنفسنا وقفة تعيدنا إلى الصواب ، وتجمع خطنا على خطة واحدة .

ايها الإخوة :

لقد استمعنا إلى الكثير من أقوال السادة المتحدثين ، وسيتحدث منكم الكثير .

إننى أرجو أن يكون حواركم هادئا ، هادفا ، مثمرا ـ إن شاء الله ـ وموصلا إلى النتائج التى نرجوها .

إن العناوين المطروحة أرجو ان تؤخذ بحذر ، والا تجعل الناس فى يأس من الإصلاح ، فمؤسساتنا السياسية العامة تحتاج إلى تقويم ولا تستحق الهدم ، إنها تحتاج إلى أن نطرح عيوبها ، حتى يتناولها المسئولون بالعلاج الحاسم ، نحن فى حاجة إلى ان نحيى لا أن نميت ، الا نيأس من روح الله ورحمته ، وإنما نأخذ الطريق إلى الصواب وإلى السداد ، وإلى التقويم ، وإلى التحسين ، هذا ما رجوت أن أنصح به ، ولست أكتمكم أن علماء الأزهر الشريف المنبثين بين كافة شعوب الأمة الإسلامية يأتون بمعلومات تدل على أن هذه الشعوب ملتزمة بدينها ، هذه الشعوب ملتزمة بالدين راغبة فى التمسك به ، لا تحتاج إلا إلى التنوير والتثقيف .. وهذا يعجز عنه أو تعجز عنه أية هيئة من هيئات هذه الأمة مهما كانت قدرتها وقوتها .

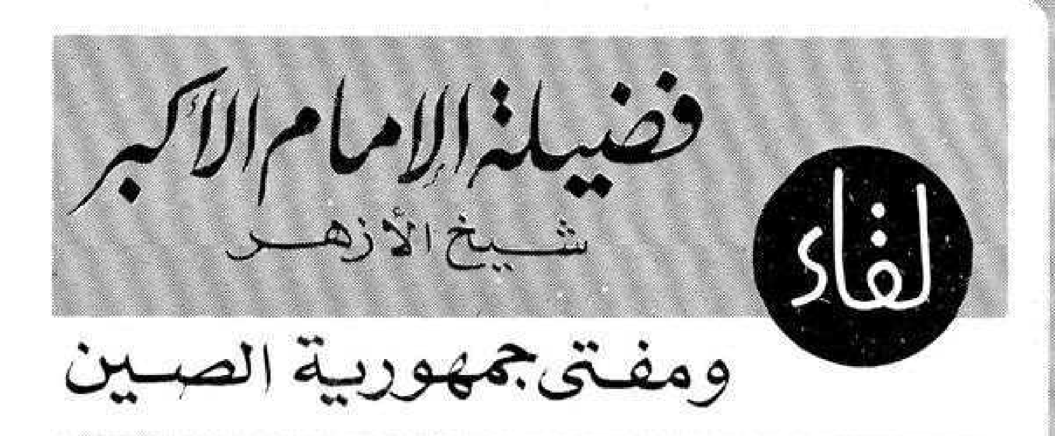
وإن الأمر يحتاج دائما إلى التكامل وإلى التعاون حتى يمكن ان تستقيم هذه الأمة على أمر الله .

شكراً لكم .. وادعو الله لكم بالتوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق



ومفتي جمهورية الصين

استقبل فضيلة الإمام الاكبر ـ شيخ الأزهر ـ سماحة الشيخ نعمان ناشن مفتي جمهورية الصين وذلك بمكتب فضيلته ظهر يوم الثلاثاء ١٥ من شوال ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١/٤/٣٠ م .

وقد بدأ اللقاء بالترحيب والشكر ثم أعرب الضيف عن شكره وامتنانه وسعادته للقاء **فضيلة الإمام الاكبر ـ شيخ الأزهر** وقال : إنه جاء يحمل تحيات المسلمين جميعا فى الصين إلى فضيلة الإمام الاكبر وأن هذه هى الزيارة الثانية له للأزهر ، حيث إن المرة الأولى لزيارة الأزهر كانت فى عام ١٩٨٣ مع احتفالات الأزهر بعيده الألفى ، واشار إلى انه قد سبق له لقاء فضيلة الإمام الأكبر فى "مسقط بعمان"، كما اشاد بدور الأزهر وأثره الكبير فى نفوس المسلمين الصينيين ، كما أنهم يقدرون عظيم التقدير للأزهر الشريف الدور الكبير الذى يؤديه لخدمة الإسلام والمسلمين .

فقال فضيلة الإمام الأكبر : مرة أخرى أهلاً بكم فى القاهرة وفى الأزهر ويسرنى أن أطمئن على إخوتنا المسلمين فى الصين .

فقال الضيف : نحن نعرف أنكم مشغولون بسبب مسئولياتكم الكبيرة وقد جئنا لنعرب عن شكرنا لكم وللأزهر ، ولقد قرأت كثيراً من مؤلفاتكم واستفدت منها الكثير .

ثم أشار الضيف إلى أنه قد حضر اجتماعات مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقدته وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة ، وأن هذا المؤتمر قد جاء فى وقت مناسب بعد انتهاء حرب الخليج وأن الأمة الإسلامية تواجهها تحديات ومشاكل كثيرة ولابد من التضامن لمقاومة مثل هذه التحديات .

واستفسر **فضيلة الإمام الأكبر** عن وضع الطلاب الصينيين الذين يدرسون بالأزهر فأفاد أحد المرافقين لفضيلة مفتى الصين بأن معظمهم يسكنون بمدينة البعوث الإسلامية ، فأشار فضيلة الإمام

إلى وجود بعض المنح لدى السفارة المصرية فى بكين ويمكن الاتصال بها لترشيح من يرونه على هذه المنح .

فقال مفتى الصين : نحن نتبادل الآراء بالفعل مع السفير المصرى فى بكين ونشكر الأزهر على قبول هذا العدد الكبير من الطلبة الصينيين للدراسة بالأزهر ، هذا وقد سمحت الحكومة الصينية الآن بدراسة العلوم الدينية . كما بدأت المساجد والمؤسسات الدينية فى إعداد النشء المسلم من النواحى الدينية ونود إرسال مزيد من الطلاب للأزهر لدراسة اللغة العربية لكى تعم الفائدة ونأمل أن تزداد المنح الدراسية لطلابنا فى المستقبل .

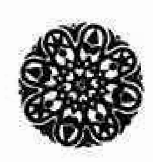
فضيلة الإمام : الأزهر على استعداد دائم أن يوفر للمسلمين فى الصين ما يحتاجونه إن شاء الله سواء فى قدوم الطلاب للدراسة بالأزهر أو بسفر المدرسين لتعليم أبناء المسلمين هناك أو تلبية احتياجات الكتب والمناهج الدينية والعربية .

فقال مفتى الصين : نحن لا ننسى جهود الأزهر فى تعليم الأئمة الصينيين .

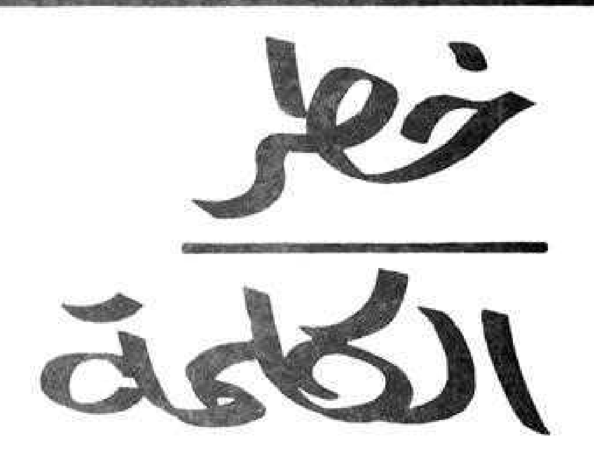
فضيلة الإمام : الأزهر يقيم دورات للأئمة المسلمين الذين يتحدثون اللغة العربية من كل أنحاء العالم ، وسوف تكون هناك دورة فى أغسطس القادم ويمكنكم الاتصال بالسفارة المصرية لترشيح من يجيد اللغة العربية ويعمل فى مجال الدعوة والوعظ والخطابة ، وبالنسبة للسفر والإعاشة والإقامة فهى على نفقة الأزهر وسوف نرسل لسفارتنا فى الصين ليكون لديهم العلم إذا ما اتصلتم بها فى هذا الشأن .

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب .

حضر اللقاء
أحمد عبد الخالق محمد
المترجم بمكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر .







خطر الكلمة

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قلتُ للنبى ﷺ : حَسْبكَ مِنْ صَفِيّة كَذَا وَكَذا ـ قال بَعْضُ الرُّوَاة : تَعْنِى قصيرة فقال : لقدْ قُلتِ كَلِمةً لَوْ مُزِجتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ .
قالتْ : وَحَكَيْتُ لَهُ إنسانا ، فقال : ما أُحِبُّ أنّى حَكَيْتُ إِنسَانًا وَإنَّ لى كَذا وَكَذا » .
رواه ابو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
اللغة مزجته : خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها .
حكيت : فعلت مثل فعله يقال : حكاه وحاكاه : اى مثلت له .

اكثر المعاصى عدداً ، واخطرها إثما ، وايسرها وقوعا معاصى اللسان ، فعن سفيان بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه الترمذى ـ « قلت يارسول الله ما اخوف ما تخاف علىَّ ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال « هذا » .

وفى الحفاظ على اللسان سبيل إلى النجاة ، قال عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه : قلت يارسول الله ، ماالنجاة ؟ قال : « امسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » . رواه الترمذى بإسناد حسن .

ولقد وجهنا الرسول الكريم ﷺ إلى مراحل الاستقامة حيث قال :

ـ فيما رواه الإمام احمد : لايستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

وروى البيهقى وابن خزيمة والترمذى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « إذا اصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ـ اى تذل وتخضع ـ وفى رواية تفكر اللسان ـ فتقول : اتق الله فينا فإنما نحن

بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » وجاء في الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ انه اخذ بلسانه وهو يقول « ويحك : قل خيرا تغنم ، أو امسك عن سوء تسلم ، وإلا فاعلم أنك ستندم » .

وقد يقذف اللسان بكلمة لا يرى بها بأسا تهوى بصاحبها في النار ، روى الترمذي « أن الرجل ليتكلم بالكلمة ـ وفي رواية من سخط الله ـ لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً في النار » ، وفي حديث البيهقي « إن العبد ليقول الكلمة ، لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس ، يهوى بها أبعد مابين السماء والأرض ، وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه » .

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل

ومن هنا كان من أخطر الكلمات ، وأشدها بلاء أن يتشفى المرء بذكر عيوب غيره ـ خِلقية أو خُلقية ـ وما ينبغي لمن عمر الإيمان قلبه أن يتلهى بسرد العيوب ، وإبداء العورات ، وكشف السوءات بفاحش القول وساقط الكلام ، ورخيص الألفاظ .

إن الإسلام حرم على اتباعه تتبع عورات الناس والنهش في أعراضهم والولوغ في دمائهم بالوقوع في أعراضهم ، والتلذذ بالحديث عن عثراتهم ، وصرف الأوقات في ذكر مساوئهم ، وليس من الإسلام أن يعتدى المرء على عرض أخيه .فيهتكه بالقول أو العمل ، أو أن يتخذ من كرامته محلاً للهو واللعب والتسلية في المجالس والمحافل ، أو أن يدفعه الحقد والغضب إلى ذكر هذه المساوىء بالغيب ، فإن ذلك يتنافى مع مبادىء الإسلام القويمة ، ويقضى على روابط الإخاء الذي ربط الله به بين قلوب المؤمنين ، بل إن الله ـ عز وجل ـ صور هذا الصنيع بأبشع صورة ـ قال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ . . ﴾ الحجرات ١٢ .

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه « إعلام الموقعين » :

هذا من أحسن القياس التمثيلي « فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه ، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت ، ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن مجلس ذمه كان بمنزله الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر ، فكان من المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن ، كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه والأخوة تقتضى حفظه وصيانته والذبَّ عنه ولما كان المغتاب متمتعاً بعرض أخيه ، متفكها بغيبته وذمه ، محليا بذلك . شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه . ولما كان المغتاب محبا لذلك معجباً به شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتا ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله ، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه ، وتأمل إخباره عنهم بكراهة لحم الأخ ميتا ووصفهم بذلك في آخر الآية ، والإنكار عليهم في أولها : أن يحب احدهم ذلك ، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون مثله ونظيره فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه ، وشبه لهم مايحبونه بما هو اكره شيء إليهم ، وهم أشد شيء نفرة عنه فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه ، وبالله التوفيق . » ا . هـ .



قبس من أنوار النبوة

خطـــر الكلمـــة

وقال قتادة فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ : الهمزة الطعان فى الناس ، واللمزة : الذى يأكل لحوم الناس .

روى مسلم : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : قال : كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه مسلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » أى قلت فيه بالباطل ، وافتريت عليه الكذب .

ومن هنا كان الدفاع عن المسلم والمسلمة من أجل الأعمال وأزكاها .

روى الإمام أحمد وغيره ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال : « من ذبَّ عن عرض أخيه الغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار .

ومن أقبح الأعمال خذلان المسلم أو المسلمة »

قال صلى الله عليه وسلم : ما من امرىء مسلم يخذل امرءا مسلما فى موضوع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته ـ رواه أبو داود وغيره .

فعلى المسلم أن يحذر الغيبة حتى ينجو من عذاب النار وحتى لا يكون من المفلسين فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم :

« أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولامتاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » .

وإذ كانت كلمة ـ قصيرة ـ أخبر عنها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها لقبحها بهذه المثابة فى مزج البحر الذى هو من أعظم المخلوقات وتغيير لونه أو تغيير ريحه ، فما بالك بغيبة أقوى منها وليحذر المسلم أن يحاكى غيره كأن يمشى بعرج أو مطأطئا، فإن ذلك من أشد أنواع الذنوب .

احفظ لسانك أيها الإنسان
لا يلدغنك إنه ثعبان

وليحذر المسلم هذا الوعيد الشديد الذى ينال المغتابين .

إلا مادعت إليه حاجة شرعية كالشهادة والنصيحة وغير ذلك أوصلها بعضهم إلى ستة أسباب بقوله :

يباح اغتياب الفتى إن تجاهرا
بفسق وللتعريف أو للتظلم
كذاك لتحذير ومن جاء سائلاً
كذا من أتى يبغى زوال المحرم

وإذا أبيحت الغيبة بضرورة فيجب أن تقدر الضرورة بقدرها .

١ ـ المجاهر بفسقه فيجوز ذكره بما جاهر به .

٢ ـ التعريف بلقب لا يعرف إلا بذكره .. كالأعمش والأحول .

٣ ـ التظلم : كقولك لمن ينصفك ظلمني فلان ، وإن كان الأفضل العفو والصفح .

٤ ـ الاستعانة على تغيير المنكر ـ كقولك فلان يفعل كذا فازجره . فإن لم يكن القصد تغيير المنكر كان ذلك حراما .

٥ ـ تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم .. وخاصة عند المشورة كقولك فلان يضرب النساء كثيراً ـ فيمن اتصف بذلك .

٦ ـ الاستفتاء ـ كمن يطلب الفتوى فيقول : فلان ظلمني فكيف أصل إلى حقي ، وإن كان الأفضل ـ أن يقول : ما قولك في شخص ظلم آخر .. من غير تعيين ؟

فهل نتكلم بالكلمة التي ترضى ربنا ، حتى نسعد برضا الله قال ﷺ : فيما رواه البخاري ـ « إن العبد يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات .

وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم » .

نسأل السلامة ، والتوفيق لصالح القول والعمل .

إلى السادة الكتاب

١ ـ فيما يخص إجراءات صرف مكافاتهم ينبغي أن يكون اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل .

فأما الاسم الصحفي فللكاتب الحرية في جعله من اسمين فقط .

٢ ـ لا تلتفت إدارة التحرير بالمجلة إلى ما يرسله بعض الكتاب مصوراً من الأصل . ينبغي أن يرسل إلى المجلة بالأصل .. مع الشكر .

ذكر الله عز وجل

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن مسلم

عن ابى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال :
قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان فى الميزان ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . رواه الترمذى .
واهب نعمة الوجود لكل موجود هو الله تعالى خالق الارض والسماء والماء والهواء والناطق الصامت والجامد والمتحرك ، نعم هو سبحانه وتعالى خالق كل شىء وإليه مصيره وَمَرَدُّهُ ولكن هل من مدكر ؟؟

إن الإنسان الذى علمه الله البيان وأعطاه العقل المفكر والحواس المدركة ، وسخر له من صنعه مابه يحصل على السعادة والراحة والطمأنينة ، لو أدرك ذلك تمام الإدراك ووعاه حق الوعى ، وألزم نفسه بما شرعة الله من كل ما أمر به ونهى عنه ، لصار قريبا من عالم الملائكة ، ولأضحى يقول للشىء : كن فيستجيب الله له ويحقق رجاءه ، ولكن غفلة الكثير من بنى الإنسان أبعدتهم عن هداية الرحمن فتسلط عليهم الشيطان ، وتخطفتهم السبل المضللة فقذفت بهم إلى مكان سحيق والقليل منهم الذين أخبر عنهم الرحمن بقوله الكريم : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾

هذا القليل الشكور هو الذى تُستضاء به الدنيا ، وهو الذى يجرى ذكر الرحمن على لسانه بعد أن يتحرك به قلبه ووجدانه ، فيسعد بهذا الذكر السعادة الحقة ، ويطمئن به الطمأنينة الكاملة : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وفى الحديث القدسى يقول الخالق جل جلاله وعز سلطانه : (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير من ملئه)

نعم وإنها فى الحقيقة لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

هذا الإنسان وهو صنعة الرحمن وعبده ونوع من خلقه ، لو علم حق العلم أن واهب الوجود كرَّمه وميزه وشرفه فى قوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ لو علم بصدق وتدبر هذا التكريم لقام بواجب شكر المنعم المكرم المتفضل وقيامه بشكره يزيده من خيره ، كما قال فى محكم التنزيل ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ومن المعلوم بالبداهة أن الخالق ـ جل جلاله وعز سلطانه ـ غنى الغنى الكامل المطلق ، فلا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية المنحرفين المقصرين إنما طاعة الطائعين تعود عليهم بالسعادة والراحة والطمأنينة وانحراف المنحرفين يعود عليهم بالتعاسة والشقاء ورحم الله القائل :

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى
ولكنها الأهواء عمت فأعمت

نعم إن الأهواء تصيب القلب بالعمى وإن عمى القلوب أضر على الإنسان من عمى الأبصار ، ولو أدرك الإنسان بعمق وتدبر أن مصيره إلى الله تعالى ، وإن طال به الزمان وأنه سيحاسب على ماقدم من عمل ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، لكان له فى مسار حياته فى الدنيا وضع غير وضعه الذى هو عليه ، وشأن غير شأنه الذى هو فيه وصدق الله العظيم ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا. وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

وهذا الحديث النبوى الشريف الذى صدرنا به القول خير دواء يعالج به المؤمن نفسه ، وخير تجارة يتجر بها مع العليم الخبير ليعظم ربحه ويكثر أجره ويخرج من ظلمات الغفلة إلى نور الصحو واليقظة ، وإن شر مايبتلى به الإنسان وقوعه فى الغفلة يقول الخالق ـ جل جلاله وعز سلطانه ـ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ فأهل الغفلة ألحقهم رب العالمين بالأنعام التى لا تعقل فخلع عنهم ثوب العقلاء وشبههم بما لا يعقل ، ثم جعلهم أضل من الأنعام لأنها لم تعط ما أخذه الإنسان من العقل وبه مناط التكليف .

والكلمتان الخفيفتان على اللسان الثقيلتان فى الميزان الحبيبتان إلى الرحمن : «سبحان الله وبحمده» «سبحان الله العظيم» لامشقة فى ذكر الله تعالى بهما ، فهما حقا سهلتان فى النطق مع مافيهما من حب الله تعالى ، ومن جزلة المثوبة وعظيم الأجر ، وتسبيح الخالق تنزيهه عن كل نقص ووصفه بكل كمال وهو .. وحده المستحق لذلك وجميع من عداه مربوب له ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا. لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .



للدكتور
حسين محمد قنديل

ثالثاً : مناقشة ادلة الراى الثالث :

١ ـ ناقش الحنفية استدلال الظاهرية بالآية(٧٩)

فقالوا : قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ يدل على ان من ليس عليه دين لآدمى ولم يوص بشىء أن جميع ميراثه لورثته ، وأنه إن كان عليه حج او زكاة لم يجب إخراجه إلا أن يوصى به وكذلك الكفارات والنذور .

فإن قيل : إن الحج دين وكذلك كل مايلزمه الله تعالى من القرب فى المال لقول النبى ـ ﷺ ـ للخثعمية حين سألته عن الحج عن ابيها : ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته أكان يجزىء ؟ قالت : نعم ، قال : فدين الله أحق بالقضاء .

قيل له : إن النبى ﷺ ـ إنما سماه دين الله ولم يسمه بهذا الاسم إلا مقيداً ، فلا يتناوله الإطلاق ، ولفظ الدين فى الآية إنما اقتضى التبدئة بما يسمى به دينا على الإطلاق ، فلا ينطوى تحته ما لا يسمى به إلا مقيدا ، لأن فى اللغة والشرع أسماء مطلقة وأسماء مقيدة ، فلا يتناول المطلق إلا مايقع الاسم عليه على الإطلاق ، فإذا لم تتناول الآية ماكان من حق الله تعالى من الديون لما وصفنا اقتضى قوله تعالى ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ انه لم يوص ولم يكن عليه دين لآدمى أن يستحق الوارث جميع تركته .

٢ ـ ونوقش حديث عائشة ، وابن عباس ، وابن بريدة بما سبق فى أدلة الراى الأول والثانى ، واجيب عنها بما اجيب به هناك .

٣ ـ ونوقش استدلال الظاهرية من المعقول بأن الصيام لايقاس على الحج لوجد الفرق بينهما ، إذ أن الحج تدخله النيابة فى الحياة ، أما الصوم فلا تدخله النيابة فى الحياة بلا خلاف(٨٠) .

رابعاً : مناقشة ادلة الراى الرابع :

نوقشت أدلة الحنابلة ومن معهم بما يأتى :

---

(٧٩) انظر : « احكام القران » للجصاص ٢/ ٩٧ ـ ٩٨ . دار الكتاب العربى ـ بيروت .

(٨٠) انظر « المجموع » ٦/ ٣٦٩ .

١ ـ فيما يتعلق بحديث ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فإنه قد تعددت رواياته : ففى رواية للبخارى : « وعليها صوم شهر » .

وفى اخرى له : « انه اتى رجل فسأل » .

وفى رواية ثالثة له ايضاً : « وعليها خمسة عشر يوما » ، وفى رواية رابعة : « وعليها صوم شهرين متتابعين » ، وعد بعضهم أن هذا اضطراب من الرواة[٨١] .

واجيب عن هذه الدعوى بما سبق أن ذكرناه فى الإجابة عن مناقشة أدلة الراى الثانى .

٢ ـ ونوقش حمل الحنابلة حديث عائشة على صوم النذر بأنه حمل من غير دليل ، وتخصيص بلا مخصص ، لأن حديث عائشة تقرير لقاعدة عامة ، وقعت الإشارة به فى آخر حديث ابن عباس ، وحديث ابن عباس من قبيل التنصيص على بعض افراد العام فلا يصلح لتخصيص حديث عائشة ولا لتقييده[٨٢] .

٣ ـ ويمكن مناقشة المعقول بأنه يرد لمخالفته الأدلة العامة التى دلت على مشروعية الصوم عن الميت مطلقا ، وايضاً النصوص التى رويت عن عائشة ، وابن عباس ، وابن بريدة والتى جاء فيها الصوم عمن مات وعليه صيام ، يجوز لوليه أن يصوم عنه .

الراى الراجح فى الموضوع : بعد العرض السابق للآراء وأدلتها وما وجهه كل فريق لأدلة الآخر من مناقشات والإجابة عنها اميل إلى ترجيح المذهب الثانى القائل بجواز صيام الولى عن الميت الذى مات ولم يقض ماعليه من صيام مع تمكنه من ذلك ، وذلك لقوة ادلتهم وعلى رأسها حديث عائشة فى الصحيحين ، وايضاً حديث ابن عباس وحديث ابن بريدة وغيرها ، ولأن فى القول بهذا الراى توسيعا لقاعدة تحصيل الأجر فى الإسلام حتى بعد الموت ، فيرفع الولى عمن مات مايكون قد وقع فيه من التقصير قبل الموت ، فيجبر تقصيره ويتحصل للولى أجر الصلة عن صيامه عنه .

ولقد ورد عن الفقهاء والمحدثين ما يؤيد القول بالصيام عن الميت : قال النووى[٨٣] : « يستحب لولى الميت أن يصوم عنه ويصح صومه عنه ويبرأ به ولايحتاج إلى إطعام عنه وهذا القول هو الصحيح المختار الذى نعتقده وهو الذى صححه محققو اصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة » .

وقال ابن حجر[٨٤] : « فأجاز الصيام عن الميت أصحاب الحديث ، وقال البيهقى فى الخلافيات » : هذه المسألة ثابتة لا اعلم خلافا بين أهل الحديث فى صحتها فوجب العمل بها ، ثم ساق بسنده إلى الشافعى قال : كل ما قلت وصح عن النبى ـ ﷺ ـ خلافه فخذوا بالحديث ولا تقلدونى » .

وقال صاحب « عون البارى »[٨٥] : « الصوم عن الميت مشروع بالأحاديث الصحيحة ، وقد رد الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى « اعلام الموقعين عن رب العالمين » رداً مشبعاً على من انكر صوم المولى عن الميت » .

لكل ماسبق رجحت القول بالصوم عن الميت ـ والله اعلم بالصواب ـ

(٨١) انظر « نيل الأوطار » ٢٣٦/٤ .

(٨٢) انظر « عون البارى » ٤٣٦/٣ ـ ٤٣٧ .

(٨٣) انظر « صحيح مسلم » بشرح النووى ٢٥/٧ .

(٨٤) انظر : « فتح البارى » ١٩٣/٤ .

(٨٥) « عون البارى » ٤٣٧/٣ .

الصوم عن الغير

في الفقــه الإســلامى

المبحث الثانى
المراد بالولى وكيفية صيامه عن الميت

اختلف القائلون بالصوم عن الميت فى تحديد معنى الولى ، وكيفية صيامه عن الميت ، وسأبين ذلك من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول
فى تحديد المراد بالولى

اختلف الفقهاء والمحدثون فى تحديد معنى الولى وذلك على النحو التالى :

قال إمام الحرمين : يحتمل أن يكون من له الولاية يعنى ولاية المال ، ويحتمل مطلق القرابة ، ويحتمل أن يشترط الإرث ، ويحتمل أن يشترط العصرية .

وقال الرافعى : الأشبه اعتبار الإرث ، واختار الشيخ عمر ، وابن الصلاح أنه مطلق القرابة ، لأن الولى مشتق من الولى « باسكان اللام » وهو القرب فيحمل عليه مالم يدل دليل على خلافه ، وهذا الذى اختاره أبو عمر هو الأصح المختار ، كما قال النووى[86] .

وسبق أنه جاء فى صحيح مسلم من رواية ابن عباس ومن رواية ابن بريدة : « أن النبى - ﷺ - قال لامرأة ماتت أمها وعليها صوم صومى عن أمك » وهذا يبطل احتمال الولاية والعصوبة . فالصحيح أن الولى : مطلق القرابة . واحتمال الإرث ليس ببعيد[87] .

وقال ابن حزم : الأولياء هم ذوو المحارم بلاشك ، ولو صامه الأبعد من بنى عمه أجزأ عنه لأنه وليه[88] .

يتضح لنا مما سبق أن أرجح الأقوال فى تحديد الولى أنه يطلق على كل قريب ، ويختص ذلك بالولى ، لأن الأصل عدم النيابة فى العبادة البدنية إلا ما ورد فيه الدليل فيقتصر على ماورد فيه ويبقى الباقى على الأصل ، وهذا هو الراجح .

وقيل : يصح استقلال الأجنبى بذلك ، وذكر الولى لكونه أغلب ، وظاهر صنيع البخارى اختيار هذا الأخير ، وبه جزم أبو الطيب الطبرى وقواه بتشبيهه ﷺ ذلك بالدين ، والدين لا يختص بالقريب[89] .

وقيل يختص بالولى فلو أمر أجنبياً بأن يصوم عنه أجزأ كما فى الحج[90] .

ويرى الشافعية فى القديم أن الولى لو أمر أجنبياً فصام عن الميت بأجرة أو بغيرها جاز بلا خلاف كالحج ، ولو صام الأجنبى مستقلا به من غير إذن الولى فوجهان مشهوران « أصحها » لا يجزئه وهذا هو المشهور فى المذهب[91] .

ويرى الحنابلة[92] : أن صوم غير الولى عن الميت يجزىء عنه بإذنه وبدونه ، لأن النبى ﷺ شبهه بالدين ، والدين يصح قضاؤه من الأجنبى .

وأجاز الظاهرية إن لم يكن له ولى أن يستأجر

---

(٨٦) انظر : « المجموع » ٣٦٨/٦ .
(٨٧) انظر : « فتح البارى » ١٩٤/٤ .
(٨٨) انظر « المحلى » ٨/٧ .
(٨٩) انظر : « عون البارى » ٤٣٤/٣ - ٤٣٥ .
(٩٠) انظر : « فتح البارى » ١٩٤/٤
(٩١) انظر : « المجموع » ٣٨٦/٦ .
(٩٢) انظر « كشاف القناع » كشاف القناع ٣٣٥/٢ .

عنه من رأس ماله من يصومه عنه اوصى بذلك او لم يوص[٩٣] .

ومما سبق يتضح لنا ان القائلين بجواز الصيام عن الميت ـ يختلفون فى صيام الأجنبى عنه . فالبعض يجيز ذلك والبعض الآخر يخص ذلك بالولى . وظاهر الأحاديث يرجح ان يصوم عنه وليه وإن لم يوص بذلك . وان من صدق عليه اسم الولى لغة أو شرعا أو عرفا صام عنه . ولا يصوم عنه من ليس بولى . ومجرد التمثيل بالدين لا يدل على أن حكم الصوم كحكمه فى جميع الأمور[٩٤] .

المطلب الثانى
فى
كيفية صيام الولى عن الميت

اختلف القائلون بالصوم عن الميت فى إلزام الولى بذلك . وفى حكم صوم جماعة عن الميت فى يوم واحد . وإليك بيان ماسبق :

يرى الشافعية[٩٥] : ان الولى لا يلزمه الصوم عن الميت . وهو مخير بين الصيام والإطعام .

وقال الحنابلة[٩٦] : إن لم يخلف الميت تركة لم يلزم الولى شىء . لكن يسن له فعله عنه . لتفرغ ذمته كقضاء دينه . وإن خلف الميت تركة وجب الفعل كقضاء الدين . فيفعله الولى بنفسه استحبابا لأنه أحوط لبراءة الميت . فإن لم يفعل الولى بنفسه . وجب أن يدفع من تركته إلى من يصوم عنه عن كل يوم طعام مسكين . لأن ذلك فدية الصوم .

ويرى الظاهرية[٩٧] : ان الصوم عن الميت فرض على أوليائه ان يصوموه عنه هم او بعضهم . فإن لم يكن له ولى استؤجر عنه من رأس ماله من يصومه عنه ولابد أوصى بكل ذلك او لم يوص . وهو مقدم على ديون الناس .

فإن أبوا من الصيام فهم عصاة لله تعالى ولا شىء على الميت من ذلك الصوم . لأنه قد نقله الله تعالى عنه إليهم بقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « من مات وعليه صوم صام عنه وليه » . ويأمر عليه الصلاة والسلام الولى ان يصوم عنه .

وأرى أن قول الحنابلة ارجح من غيره لوضوحه . وتأييد ظاهر السنة له كما سبق . وأما عن صوم الجماعة عن الميت فى يوم واحد . فإن الفقهاء مختلفون فى ذلك . فقال بعضهم : إذا كان على الميت صوم عشرة ايام مثلاً فصام عنه عشرة رجال فى يوم واحد يجزىء ذلك عنه . وقال البعض الآخر ـ وهم قلة ـ لا يجزىء .

جمع ماسبق الحنابلة فقالوا[٩٨] : ويجزىء صوم جماعة عن الميت فى يوم واحد عن عدتهم من الايام . أى لو كان على الميت صوم عشرة ايام . فصام عنه عشرة رجال فى يوم واحد أجزأ عنه . لأن المقصود يحصل به مع نجاز إبراء ذمته . ونقل عن أحمد انه يصوم واحد . وحمله المجد على صوم شرطه التتابع .

وقال ابن حزم[٩٩] : فإن صامه بعض أوليائه أجزأ لعموم الخبر فى ذلك . وإن كانوا جماعة فاقتسموه . جاز كذلك ايضاً إلا انه لا يجزىء ان يصوموا كلهم يوما واحدا لقوله تعالى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ، فلا بد من ايام متغايرة .

وقال النووى[١٠٠] : إن صام عنه ثلاثون

(٩٣) انظر . المحلى . ٢/٧ .
(٩٤) انظر . نيل الأوطار . ٢٣٧/٤ .
(٩٥) انظر : . المجموع . ٣٦٩/٦ .
(٩٦) انظر . كشاف القناع . ٣٣٥/٢ .
(٩٧) انظر . المحلى . ٢/٧ . ٨/٧ ـ ٩ .
(٩٨) انظر . كشاف القناع . ٣٣٥/٢ .
(٩٩) انظر : . المحلى . ٨/٧ ـ ٩ .
(١٠٠) انظر . المجموع . ٣٧١/٦ . فتح البارى . ١٩٢/٤ .

في الفقـه الإســـلامي

إنسانا في يوم واحد هل يجزئه عن صوم جميع رمضان ، فهذا مما لم أر لأصحابنا كلاما فيه ، وقد ذكر البخاري في صحيحه عن الحسن البصري أنه يجزئه وهذا هو الظاهر الذى نعتقده .

يتضح لنا مما سبق أن الشافعية والحنابلة في الرواية الراجحة ، والحسن البصري يجيزون القضاء عن الميت في يوم واحد ، وذلك بأن تصوم جماعة ما على الميت من قضاء في يوم واحد ، ومنع من ذلك الظاهرية والحنابلة في رواية ثانية .

والراجح من وجهة نظرى رأى القائلين بالجواز وهم الشافعية ومن معهم ، لأن الغرض من الصيام عن الميت إبراء ذمته ، وهذا يتحقق بصيام جماعة عنه في يوم واحد ، أو أيام متغايرة - والله أعلم بالصواب -

نتائج البحث :

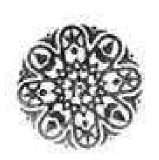
١ - لا تصح النيابة عن الحى في الصيام مطلقا .

٢ - إذا وجب الصيام على المسلم فلم يصم ، ثم مات وعليه قضاء من رمضان ، وكان معذوراً في تفويت أدائه ، ودام عذره إلى الموت ، لم يجب شيء على ورثته ولا في تركته لاصيام ولا إطعام .

٣ - أما من مات وعليه قضاء من رمضان ، ولم يقض مع أنه كان يمكنه ذلك ، فإنه يجوز لوليه أن يصوم عنه ولا يلزمه ذلك ، ولو أطعم عنه جاز .

٤ - المراد بالولى من كانت لى صلة قربى بالميت ، فيصوم القريب عن الميت ، ولو أمر الولى الأجنبى بالصيام عنه أجزأ كما في الحج .

٥ - لو كان على الميت صوم عشرة أيام ، فصام عنه عشرة رجال في يوم واحد أجزأ عنه ، لأن المقصود يحصل به - والله أعلم بالصواب -



جند الله لا يقهرون

للـــواء أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ .

افضل الناس فى افضل الأعمال :

● الذين يدافعون عن الوطن ، مجاهدون فى سبيل الله ، من أجل ذلك فهم فى تقدير الإسلام أفضل الناس يؤدون أفضل الأعمال ولهم عند الله خير الجزاء فهنيئا لهم .

(١) **أفضل الناس** : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « قيل : يارسول الله ، أى الناس أفضل ؟ قال : مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله »[١] .

(٢) **وأفضل الأعمال** : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : « قلت : يارسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله والجهاد فى سبيله »[٢] .

(٣) **وخير الجزاء** : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، مابين الدرجتين مابين السماء والأرض »[٣] .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى ، وإيمان بى ، وتصديق برسلى ، فهو ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ما من كلم (جُرح) يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كُلم ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية لغزو

(١) الحديث : رواه البخارى .
(٢) الحديث : رواه الشيخان .
(٣) الحديث : رواه البخارى .

جند الله لا يقهرون

فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغـزو فأقتل » .(٤) .

أعلى درجات الروح المعنوية وإرادة القتال

● فما الذى يُنتظر من أفضل الناس الذين يؤدون أفضل الأعمال ، ولهم عند الله خير الجزاء ؟

● قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « التمسنا جعفر بن أبى طالب فى القتلى يوم مؤتة ، فوجدنا فيما أقبل من جسده (أى فى الجسد من الأمام مما يلى الوجه) بضعا وتسعين ضربة ورمية وطعنة ، ليس منها شىء فى دُبُره (أى ظهره) ».(٥) .

● وجاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به ثم قال : « أهاجر معك » .. فأوصى به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعض أصحابه ، فكانت غزاة غنم فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقسم عليه الصلاة والسلام وقسم له (أعطاه نصيبه من الغنائم) فقال الرجل : ماهذا ؟ فقال : قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أُرمى إلى هاهنا (وأشار بيده إلى حلقه) ... فلبثوا ثم نهضوا فى قتال العدو ، فأتى به إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمولا قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال عليه الصلاة والسلام : أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : صَدَق الله فصدقه ، ثم كُفِّن فى جبة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قدَّمه فصلى عليه ، فكان مما قاله مماظهر من صلاته دعاؤه : اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا ، وأنا شهيد على ذلك ».(٦) .

● هاتان صورتان رفيعتان للإرادة القتالية للمجاهدين فى سبيل الله من أجدادنا المسلمين الأوائل ، والتى حفل تاريخ الإسلام من صورها بما لا يحصى ، فما هى منابع تلك الإرادة القتالية الفذة ؟

أولا : الجهاد تكليف وتشريف

● إن المسلم المجاهد ، يدرك بكل وعيه أنه يؤدى عملا « كلفه الله ، تعالى به » ، « وشرفه باختياره » للقيام به حيث يقول جل شأنه : ﴿ وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾(٧) (واجتباكم يعنى اختاركم) .

● والمجاهد يدرك أيضا « المغزى العظيم » لهذا الاختيار وما ينطوى عليه من « التزام » إذ أن هناك فرقا بين أن تقول لشخص ما : « مهمتك كذا ... » وبين أن تقول له : « مهمتك كذا ، وأنا اخترتك لأدائها » فالاختيار ينطوى على معانى الثقة والتكريم والأمل ، وكلها من أعظم « الحوافز المعنوية » ، كما يترتب على الاختيار التزام المجاهد بأن يكون عند حسن الظن به ، وأن يثبت عملياً أنه جدير بالثقة التى وضعت

(٤) الحديث : رواه مسلم .
(٥) الحديث : رواه البخارى .
(٦) الحديث : رواه النسائى .
(٧) الآية الكريمة ٧٨ من سورة الحج .

فيه ، وأهل للتكريم الذى ناله ، وقادر على تحقيق الأمل المعقود عليه .

يقول المشير مونتجمرى وهو يتحدث عن انتصارات المسلمين : « من العوامل التى شاركت فى نجاح زحفهم (أى المسلمين) غير العادى ، ذلك الزحف الذى كان عبارة عن نجاح تلو النجاح ، انهم كانوا يندفعون نحو القتال يحركهم أقوى دوافع الحرب الا وهو الإيمان والعقيدة » ..(٨)

ثانيا : الإيمان بعدالة القضية

● إن المجاهد الذى يدافع عن وطنه ، يؤمن بعدالة قضيته وشرف مقاصدها ، فليس غرضه من جهاده عدوانا على أحد ، أو اغتصابا لحق ، أو حظا من حظوظ الدنيا ، وإنما هو إعلاء لكلمة الله ، وكلمة الله هى الحق وهى العدالة ، وهى الرحمة وهى الأخوة ، وهى السلام العام للفرد فى نفسه وماله وعرضه ، وللأمة فى كرامتها وعزتها وكل مقدساتها ، وللناس جميعا ..

● وبذلك تتوافر للجندى الظروف الموضوعية « لبعث الروح المعنوية العالية » وفى ذلك يقول المسير مونتجمرى : « إن التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت سوف يواجهها الجندى المقاتل بقلب جسور إذا كان على علم وإيمان بالغرض الذى يقاتل من أجله ، ويثق فى ضباطه ورفاقه ، وفى نفس الوقت يعلم أنه لن يطلب منه تحقيق ما لايكون فى استطاعته » .

ثالثا : المجاهدون جند الله

● وأى دافع أعظم من إحساس المجاهد الذى « اختاره » الله جل شأنه للجهاد فى سبيله بأنه جندى من جنود الله يقاتل من أجل إعلاء كلمة الله ؟ إن هذا الإحساس ، فضلا عن أنه يضاعف من قوة الالتزام لدى المجاهد بالاستبسال فى القتال ، لا يقتصر أثره على الفرد وحده ، بل إنه يجعل روح المجاهد ونفسه وقلبه ، « مصادر إشعاع » لكل عمل بطولى ، وجمال نفسى ، وجلال خلقى .

رابعا : الثقة فى مَعِيَّة الله ونصره

● وتبلغ الحوافز المعنوية والدوافع النفسية اوجها فى نفس المجاهد ، بشعوره وثقته فى معية الله لجنده الذين يقاتلون فى سبيله ، ويقومون على مبادئه ، وثقته فى وعده جل شأنه لهم بالنصر حيث قال تعالى :

﴿ ... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .(٩)

﴿ ... إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .(١٠)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١١) ـ ﴿ .. وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ـ(١٢) ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ـ(١٣) ﴿ .. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ ـ(١٤) ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ

---

(٨) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ حـ ٢ ص ١٨٦ .

(٩) الآية الكريمة ٤٠ من سورة الحج .

(١٠) الآية الكريمة ٧ من سورة محمد .

(١١) الآية الكريمة ١٢٨ من سورة النحل .

(١٢) الآية الكريمة ٤٧ من سورة الروم .

(١٣) الآيات الكريمة ١٧١ ـ ١٧٣ من سورة الصافات .

(١٤) الآية الكريمة ٨ من سورة المنافقون .

جند الله لا يقهرون

أمنا .. ﴾[15] - ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾[16] - ﴿ .. ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾[17] (سبيلا اى سلطانا) .

.. هذه الآيات ونظائرها تدل على أن العز والعلو والرقى والسعادة للمؤمنين وأنه لا سلطان للكافرين عليهم ..

● والمؤمنون الذين « ضمن الله لهم النصر » ، واخبر أن لهم الغلبة ولا سلطان للكافرين عليهم ، ذكرهم الله تعالى فى اوائل سورة الانفال فقال جل شـأنه مبينـا « صفة المؤمنين المنصورين » فى الدنيا والآخرة : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾[18] .

فهؤلاء هم المنصورون والسعداء والمفلحون فى الدنيا والآخرة « ماداموا متصفين بهذه الصفات الخمس التى وصفهم الله بها ، اما إذا حادوا عن دينهم » وعدلوا عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، عند ذلك يتخلى الله عنهم وعن نصرهم : ﴿ .. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ﴾[19] .

ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لازلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتى ، فإن خرجتم عن سنتى سلط الله عليكم من لا يخافكم ولا يرحمكم حتى تعودوا إلى سنتى »[20] .

خامسا : المجاهدون لا يقهرون

● إن الاستسلام لا يدخل فى حساب المؤمن المجاهد فى سبيل الله ، لأنه يضع نصب عينيه أحد أمرين لا ثالث لهما : إما شرف النصر ، أو شرف الاستشهاد ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾[21].

● ويقول الله تعالى : ﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾[22] .

لقد تأمل المؤمنون فى المقابلة بين (يقتل) و (يغلب) فادركوا مغزاها الرفيع وهو أن المجاهد المؤمن لا يغلب أبداً أى لا يقهر ، وذلك لانه ينتظر إحدى الحسنيين ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج لانه « فائز » فى كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب ، فكان الشهيد يقول وهو يحتضر : « الله اكبر ، فزت ورب الكعبة »[23] ، وكان جاره فى الصف يقول له : « هنيئا لك الشهادة » .

● ويحكى التاريخ كيف أن بعض الكفار دخل الإسلام حين رأى تلك الصورة الرفيعة لحب المجاهدين للشهادة فى القتال فى سبيل الله ، ومن ذلك قول جبار بن سلمى بن مالك : « إن مما

(15) الآية الكريمة 55 من سورة النور .
(16) الآية الكريمة 139 من سورة آل عمران .
(17) الآية الكريمة 141 من سورة النساء .
(18) الآيات الكريمة 2 - 4 من سورة الأنفال .
(19) الآية الكريمة 11 من سورة الرعد .
(20) الحديث : رواه مسلم .
(21) الآية الكريمة 52 من سورة التوبة .
(22) الآية الكريمة 74 من سورة النساء .
(23) انظر القصة كاملة فى صحيح البخارى جـ 5 ص 135 .

دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم (أى من المسلمين) يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله ! فقلت فى نفسى : مافاز ؟ الست قد قتلت الرجل ؟ .. حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، قالوا : للشهادة فقلت : فاز لعمرو الله »[٢٤] .

● ولقد استجاب المؤمنون لما ينطوى عليه تقديم القتل على الغلب فى الآية الكريمة (فيقتل أو يغلب) من « تحريض » للمجاهدين على الإقدام واسترخاص النفوس فى سبيل الله ، بل « وإغراء » بالاستشهاد وإشعار بأن شرفه أعظم وأكرم من شرف النصر ..

يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أخاه زيدا فى غزوة بدر لا يلبس درعا ، فخلع عمر درعه وقال لأخيه : « أقسمت عليك إلا لبست درعى ، فأخذها زيد ولبسها ثم نزعها ، فقال عمر : مابالك ؟ فقال زيد : إنى أريد بنفسى ماتريد بنفسك ! » .

واختلف اثنان من المسلمين كان على أحدهما أن يخرج للقتال ويبقى الآخر فى المدينة لظروف تحتم بقاءه ، ولم يكن سبب الخلاف أن كلا منهما كان يريد أن يبقى ، بل لأن كلا منهما كان يريد الخروج للقتال ، فيقول للآخر الذى يدعوه للبقاء : « أتريد أن تخرج لكى تظفر بالشهادة دونى ؟ ! » ، وقد قال الرسول القائد ــ وهو المعبر الصادق دائما عن موقف المؤمنين ــ : « والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »[٢٥] .

سادسا : أمة المجاهد وراءه مجاهدة

● « لقد زادت الحرب الحديثة تعقيدا ، وأصبحت تشمل كل أوجه الحياة والنشاط للأمة فترة طويلة بما فى ذلك معنويات هذه الأمة . » ، هذا ما قاله المشير مونتجمرى وهو ينوه بضرورة حشد كل طاقات الأمة المادية والمعنوية لتحقيق القدرة على الدفاع والنصر على العدو .

● والحق أنه مما يشد أزر المجاهد فى الميدان ويقوى عزيمته شعوره وثقته بأن أبناء أمته كلهم وراءه يجاهدون ، إذ يؤدون واجباتهم فى مجالات العمل المختلفة وفى حماية الجبهة الداخلية .. فالأمة الإسلامية أمة مجاهدة ، كل أبنائها مجاهدون ، سواء منهم المقاتلين فى الميدان أوغير المقاتلين ، وهذا ما أكده الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى قوله :

ــ « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا »[٢٦] .

ــ « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعه الخير ، والرامى به ، والممد به » (أى رجال الإمداد والتموين)[٢٧] .

ــ « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد »[٢٨] .

● وبذلك تلتقى قدرات الأمة بأسرها شعبا وجيشا تحت راية الجهاد فى سبيل الله مع كل الثقة فى نصر الله الذى وعده جنده :

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

---

(٢٤) انظر القصة كاملة فى سيرة ابن هشام : القسم الأول (حـ ١ ، ٢) ص ١٨٣ ــ ١٨٧ .

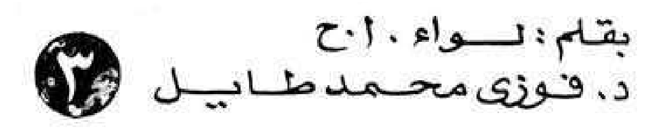
(٢٥) الحديث : رواه مسلم .

(٢٦) الحديث : رواه الشيخان .

(٢٧) الحديث : رواه الخمسة .

(٢٨) الحديث : رواه البخارى .

القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية



إن الهدف الأعلى « للصهيونية العالمية » الذى تعمل ، بكل الوسائل غير المشروعة ، لبلوغه هو إقامة « إسرائيل الكبرى » بحدودها « التاريخية » او « الدينية » التى اشرنا إليها فى المقال السابق ، وان تستولى على مدينة القدس الموحدة لتصبح عاصمة لإسرائيل ، او على حد تعبيرها « عاصمة ابدية » لها .

وعلى الرغم من الفرية الكبرى التى قامت على اساسها تلكم الحركة العنصرية التى تفتقد كل مبرر « دينى » او « تاريخى » او « قانونى » فقد تمكنت ـ فى غفلة من المسلمين ـ من الحصول على وعد بإنشاء مجرد وطن قومى فى فلسطين ، ونقلت هذا الوعد ـ غير المشروع ـ إلى إطار المواثيق الدولية فنص عليه صك الانتداب على فلسطين الصادر من عصبة الأمم ، ثم تمكنت « الصهيونية العالمية » من استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى « دولة يهودية » و« دولة عربية » ، ووضع « القدس » وضواحيها تحت « نظام دولى تشرف عليه الأمم المتحدة » .. ورغم تجاوز الجمعية العامة للأمم المتحدة حدود صلاحياتها بإصدارها لمثل هذا القرار ، الأمر الذى يجعل قيام « الدولة اليهودية » فى ارض فلسطين « باطلا » من اساسه ، إلا ان نتائج حرب عام ١٩٤٨ م ، قد ادت إلى خلق امر واقع فرضته الأطماع الصهيونية ، الا وهو وجود « الدولة اليهودية » على اراض فلسطينية تجاوز حدود قرار التقسيم المشار إليه بكثير .. ودخلت « إسرائيل » الأمم المتحدة لتصبح عضواً من المفروض ان يحترم المواثيق والعهود الدولية ، وان يحترم نصوص ميثاق الامم المتحدة ، كما نص على ذلك قرار قبول العضوية .

ولم تكن « الدولة اليهودية » لتنسى « الهدف الأعلى للصهيونية » فما فتئت تعتدى من اجل التوسع ، وكان ابرز هذه الاعتداءات مشاركة إسرائيل لكل من بريطانيا وفرنسا فى مؤامرة « سيفر » [١] بفرنسا التى نفذت فى شكل عدوان ثلاثى على مصر بدأته إسرائيل مساء التاسع والعشرين من اكتوبر عام ١٩٥٦ م .

ولعل اهم الدروس المستفادة ، التى خرجت بها الصهيونية العالمية من هذا العدوان ، هو ان مركز ثقل تحريك امور السياسة الدولية قد انتقل إلى يد الولايات المتحدة الأمريكية ، التى كان لها الدور الأكبر فى إنهاء هذا العدوان وانسحاب القوات المعتدية . ولم يكن ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية حباً فى مساعدة مصر - على حد تعبير الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » الذى قال معبراً عن هذا : « انا لا اهوى مساعدة مصر » « I do not Fancy helping Egypt » ، بل كان ذلك إزاحة لما تبقى من النفوذ الأوروبى فى المنطقة ، لتحل الولايات المتحدة الأمريكية محله ، فيما سمى باستراتيجية « ملء الفراغ » .

ومنذ إتمام إسرائيل انسحابها من سيناء ، فى الثامن من مارس عام ١٩٥٧ ، وضعت نصب عينيها « الهدف الأعلى للصهيونية » من جديد فكان التخطيط لمعاودة الكرة ، لكن مع الاستفادة من الدرس المستفاد ، فعملت « الصهيونية العالمية » - التى تتخذ منظمتها من مدينة « نيويورك » مقراً لها - على إقامة علاقات استراتيجية وثيقة بين « الدولة اليهودية » وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، ووصل عدد من اليهود البارزين إلى مؤسسات رسم السياسة الخارجية وصنع القرار فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فكان الرئيس الأمريكي « جونسون » يرى كل امور منطقة الشرق الأوسط من خلال عيونهم .

ويروى « ابا إيبان » - وزير خارجية إسرائيل الأسبق - فى مذكراته التى نشرت عام ١٩٧٧ م ، ان وضعا قريب الشبه كان فى الاتحاد السوفيتي فى ذلك الوقت أيضاً .

ودون الدخول فى تفاصيل قد لا يتسع لها المقام تمكنت « الصهيونية العالمية » من تهيئة الظروف العالمية والمحلية - فى غفلة من المسلمين - وقامت بالهجوم يوم الخامس من يونيو ١٩٦٧ م ، عبر كل حدودها ، فاحتلت سيناء ، وهضبة الجولان ، والضفة الغربية للأردن ، وغزة ، وسقطت « القدس » أسيرة فى أيدى الإسرائيليين .. وبذا بدأت أول خطوة فى سبيل الاعتداء على الأوضاع الدينية والسكانية والقانونية للقدس .. وتحدت إسرائيل كل المواثيق والعهود وقرارات الأمم المتحدة الخاصة بهذه المدينة .. سواء السابقة على هذا العدوان أو اللاحقة عليه .

هذا ولم يخف القادة الإسرائيليون أهدافهم العدوانية وأطماعهم غير المشروعة منذ اليوم الأول ، فبمجرد وصول وزير الدفاع الإسرائيلى ، الجنرال « موشى ديان » ، إلى مدينة القدس ، مساء يوم السابع من يونية ١٩٦٧ م ، توجه من فوره إلى « حائط المبكى » ، ومن هناك صرح قائلاً : « لقد حررت قوات الدفاع الإسرائيلية القدس . لقد قمنا بتوحيد المدينة التى كانت ممزقة ، عاصمة إسرائيل . لقد عدنا إلى هذه

---

(١) مدينة فرنسية تم فيها التوقيع على « بروتوكول » للعدوان الثلاثى على مصر تبدأه إسرائيل ، وقد تم توقيع هذا الاتفاق « البروتوكول » يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٥٦ ، بحضور « بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل ، وه جى موليه » رئيس وزراء فرنسا ، وه سلوين لويد » وزير خارجية بريطانيا ، وبدا العدوان يوم ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ .

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

البقعة الأكثر قدسية فى العالم ، وإننا لن نغادرها بعد ذلك أبدا ... !! » .

وفى يوم التاسع عشر من يونية ١٩٦٧ وقف وزير الخارجية الإسرائيلى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ليعلن فى تحد : « إن احتلال إسرائيل للقدس كان بسبب الهجوم الأردنى على إسرائيل ، وأن على الأردن أن تتحمل النتائج » ، فكان هذا بمثابة إشارة غير مباشرة إلى أن إسرائيل لن تحترم المواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالوضع القانونى للقدس .

هذا ، ولم تتردد إسرائيل فى إعلان ضم « القدس » إليها وسريان القانون الإسرائيلى على كل مدينة القدس .. فصدر ذلك الإعلان يوم السابع والعشرين من يونية عام ١٩٦٧ م ، على هيئة قانون أصدره المجلس التشريعي الإسرائيلى (الكنيست) ، سمى بالقانون رقم « ٥٧٢٧ » لعام ١٩٦٧ م ، بخصوص « حماية الأماكن المقدسة » .. أى حماية هذه التى عبر عنها « دافيد بن جوريون » رئيس الوزراء الإسرائيلى فى بيانه الصحفى قبل صدور القانون بأربعة أيام إذ قال : « إن القدس وجوارها يجب أن تبقى ضمن إسرائيل إلى الأبد .. ! » .

وإزاء عدم الرضا العام الذى ساد العالم كله بسبب التصرف الإسرائيلى ، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم « ٢٢٥٣ » فى جلستها الطارئة يوم الرابع من يولية عام ١٩٦٧ م ، وجاء فيه [٢] : « أن الجمعية العامة للأمم المتحدة مهتمة اهتماماً بالغاً بالموقف السائد فى القدس نتيجة للإجراءات التى اتخذتها إسرائيل من أجل تغيير الوضع القانونى للمدينة :

١ ـ وتعتبر الجمعية العامة أن هذه الإجراءات باطلة .

٢ ـ وتدعو الجمعية العامة إسرائيل إلى إلغاء كل الإجراءات التى اتخذتها ، وأن تتوقف مستقبلاً عن أى أعمال من شأنها أن تغير الوضع القانونى للقدس .

٣ ـ وتطلب الجمعية العامة من الأمين العام للأمم المتحدة أن يقدم لها ولمجلس الأمن تقريراً عن الموقف وعن تنفيذ هذا القرار ليس متأخراً عن أسبوع من تاريخ اتخاذه ..

وبالفعل أرسل الأمين العام للأمم المتحدة خطاباً إلى وزير الخارجية الإسرائيلى فى اليوم التالى (الخامس من يولية) ، لإحاطة حكومته بقرار الأمم المتحدة باعتباره أمراً عاجلاً جداً ، بيد أن خطاب الرد الذى وصل الأمين العام عن طريق المندوب الدائم لإسرائيل فى الأمم المتحدة فى العاشر من يولية ١٩٦٧ م ، لم يحتو سوى معنى واحد ، وهو أن إسرائيل قد استولت على القدس ، وأنها لن ترجع عن الإجراءات التى اتخذتها . والغريب الجدير بالملاحظة أن « أبا إيبان » وزير خارجية إسرائيل آنذاك حاول التسويف بنفى أن إسرائيل قد ألحقت القدس بها ، وأن ما قامت به لم يكن سوى توحيد القدس على الصعيد الإدارى والبلدى ، وأنها وضعت أسساً قانونية لحماية الأماكن المقدسة فى القدس . وهاك نص ماجاء فى خطابه بهذا الخصوص :

« The Term «Annexation» Used By Sup-Porters Of The Resolution Is Out Of Place. The Measures Adopted Relate To The

(٢) كان مشروع القرار مقدماً من باكستان .

Integration Of Jerusalem In The Administrative And Municipal Spheres, And Furnish A Legal Basis For The Protection Of The Holy Places In Jerusalem .»

لم ينطل التسويف الإسرائيلي على أحد ، فكان أن اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم « ٢٢٥٤ » في الرابع عشر من يولية ١٩٦٧ م ، بأغلبية مائة عضو ، وامتناع ثماني عشرة دولة عن التصويت ، وعدم معارضة اية دولة للقرار .

وقد أعرب القرار عن أعمق الأسف The Deepest Regrt لعدم قيام إسرائيل بتنفيذ القرار رقم ٢٢٥٣ الصادر في الرابع من يولية ، وأعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة مطالبتها لإسرائيل بإلغاء كافة القرارات التى اتخذتها ، ومن شأنها تغيير الوضع القانوني للقدس ، وكلفت الأمين العام للأمم المتحدة بتقديم تقرير إلى مجلس الأمن والجمعية العامة .

لقد جاء الرد على قرار الأمم المتحدة في تصريحات الجنرال « موشى ديان » لصحيفة « جيروسالم بوست » الإسرائيلية في العاشر من اغسطس عام ١٩٦٧ إذ قال : « إذا كنا نعتبر انفسنا « شعب التوراة » ، فينبغى أن نمتلك ايضاً بلاد التوراة ، وبلاد القضاة ، وارض اورشليم (القدس) ، وحبرون (الخليل) ، واريحا ، واماكن اخرى .. » .. وجاء الرد بشكل عملي ، إذ بدأت إسرائيل في تغيير معالم المدينة بهدم العديد من المنازل ، بل وهدم شوارع بأكملها مثل هدم « حارة المغاربة » [٣] بما في ذلك هدم مسجدين هناك .

ومن ناحية أخرى بدأت إسرائيل في تغيير الأوضاع السكانية للمدينة بإقامة المستوطنات اليهودية بداخلها ، وتطويقها بنطاقات من هذه المستوطنات ، حتى يصبح اليهود فيها أغلبية .

ومن ناحية ثالثة قامت إسرائيل بأعمال طرد للفلسطينيين ، وبأعمال استيلاء على الأراضي من خلال إصدار مجموعة من القوانين تسمح للحكومة بالاستيلاء على أراضي الفلسطينيين الذين يغادرون الأرض المحتلة ، ولو مؤقتاً ، كذا مصادرة الأراضي بحجة « الدواعي الأمنية » والمصلحة العامة .

لم تكن الأطماع الصهيونية لتقف عند حد ، فقد لعبت أصابعها في الخفاء فصدر قرار « مجلس الأمن » رقم ٢٤٢ ، بشأن « وضع المبادىء العادلة والدائمة للسلام في الشرق الأوسط » ، في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٦٧ م .

وعلى الرغم من قبول كل دول العالم تقريباً للقرار المذكور بشكل صريح أو ضمني ، بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية [٤] ، إلا أن القرار في حقيقته قد انحاز إلى جانب إسرائيل دون وجه حق إذ جاء به ما يلي :

— « انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من اراض احتلت في النزاع الأخير » .

« From Territories Occupied In The Recent Conflict »

وهذا يعنى السماح لإسرائيل بالاحتفاظ بالأراضي التى احتلتها اثناء حرب عام ١٩٤٨ ، وبتلك التى احتلتها اثناء حرب عام ١٩٥٦

(٣) كانت الحارة موقوفة من قبل أبى مدين الغوث المتوفى بالقدس عام ١١٩٧ م .

(٤) كان القبول دائماً مرتبطاً بالإشارة إلى ضرورة مراعاة الوضع القانوني للقدس كما حدده القرار رقم ١٨١ . وقد أعربت عن ذلك كل دول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، والمجموعة الاقتصادية الأوروبية في بيان البندقية الصادر في ١٩٨٠/٦/١٣ ، وقرار القمة العربية في فاس في سبتمبر ١٩٨٢ . وقد قبلت منظمة التحرير الفلسطينية القرار في ديسمبر ١٩٨٨ .

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

(المناطق منزوعة السلاح) ، بل وبأراض أخرى احتلتها عام ١٩٦٧ . لذا فما فتىء قادة إسرائيل منذ ذلك الوقت يعلنون بكل صراحة عن عزمهم عدم الانسحاب من الضفة الغربية (« يهودا » و « السامرة ») ، ولا من القدس التى صارت حسب زعمهم « عاصمة أبدية لإسرائيل » .

فأين إذن القانون الدولى ؟

وأين ميثاق الأمم المتحدة الذى ينص على عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة ؟

بل أين السند القانونى الذى أسست إسرائيل قيامها عليه ، وهو القرار رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ ؟..

وأين القرارات والمواثيق الدولية التى تجعل من القدس منطقة لها نظام قانونى دولى خاص ؟

ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

A justSettlemente Of The Refugee Problem

فهل من العدل أن تغتصب الأرض ، ثم تتحول المشكلة إلى مشكلة لاجئين ؟

وهل من العدل أن تنتهك المواثيق الدولية فلا يأتى القرار وبه كلمة واحدة عن الوضع القانونى الدولى الخاص لمدينة القدس ؟

● ● ●

استغلت الصهيونية العالمية هذا الوضع ، وظن قادتها أن الوقت قد حان لمد عدوانهم إلى المقدسات الإسلامية ، فقام عدد من اليهود ـ وصفوا بأنهم متطرفون ـ بإضرام حريق فى المسجد الأقصى يوم الحادى والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ م (جمادى الآخرة ١٣٨٩ هـ) ، فكان ذلك بمثابة تحد سافر لمشاعر مسلمى العالم كافة . وسرت موجة عارمة من الغضب ، اجتمع على أثرها مجلس الأمن ليتخذ قراره « رقم ٢٧١ » فى الخامس عشر من سبتمبر ١٩٦٩ بخصوص « إجراءات وتصرفات إسرائيلية تؤثر على الوضع القانونى لمدينة القدس » . وقد صدر القرار بأغلبية أحد عشر عضوا ، وعدم اعتراض أحد ، وامتناع أربعة أعضاء عن التصويت هم مندوبو (الولايات المتحدة الأمريكية ، وكولومبيا ، وفنلندا ، وباراجواى) ، وكان أهم ما جاء فى هذا القرار مايلى :

ـ يؤكد مجلس الأمن على المبدأ المستقر الذى يقضى بعدم جواز اكتساب الأراضى عن طريق الغزو العسكرى .

ـ يؤكد المجلس على أن أى تصرف من شأنه التدمير أو المساس بقدسية الأماكن المقدسة ، والمبانى والمواقع الدينية فى القدس ، وأن أى تشجيع أو موافقة على مثل هذا التصرف ، يعرض السلم والأمن الدوليين لخطر جسيم .

ـ يقرر المجلس أن التصرف اللعين «execr-able act» الذى عمد إلى التدنيس والمساس بقدسية المسجد الأقصى المقدس .. of desecration and profanation of the Holy Al Aqsa Mosque ليؤكد على الحاجة الملحة لأن تكف إسرائيل عن العمل على مناقضة قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالقدس ، وأن تقوم بناء على ذلك ، بإلغاء كل الإجراءات والتصرفات التى اتخذتها بغرض تغيير الوضع القانونى للقدس .

ـ يلفت المجلس نظر إسرائيل إلى ضرورة مراعاة نصوص اتفاقات جنيف[٥] ، والقانون

(٥) الصادرة فى ١٢ أغسطس عام ١٩٤٩ ـ خاصة ما جاء فيها من عدم جواز تغيير الأوضاع فى الأراضى التى تقع بسبب الحرب تحت الاحتلال العسكرى .

الدولى التى تحكم حالة الاحتلال العسكرى ، وأن تكف عن أى أعمال من شأنها إعاقة قيام « المجلس الإسلامى الأعلى » بالقدس من أداء وظائفه ، بما فى ذلك ما قد يحتاجه المجلس من تعاون مع البلدان ذات الأغلبية السكانية المسلمة ، ومع الجاليات الإسلامية ، فيما يتعلق بخططه لصيانة وإصلاح الأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس .

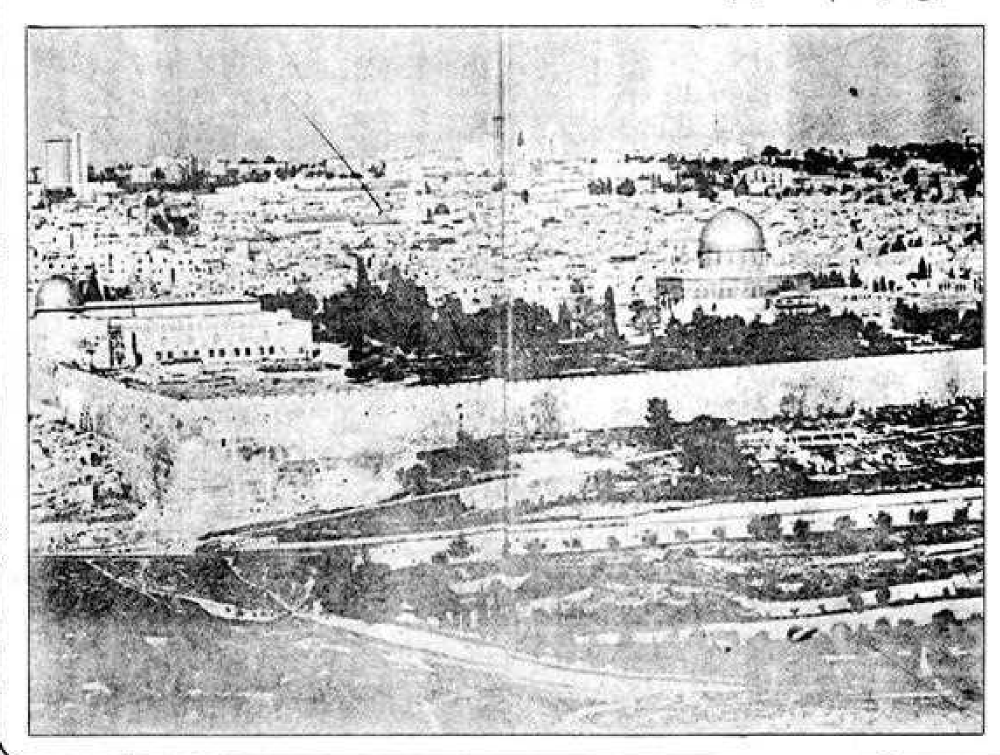
ــ يدين المجلس فشل « إسرائيل » فى التوافق مع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقدس ، ويدعوها إلى تطبيق نصوص تلكم القرارات .

ــ يذكر المجلس بما جاء فى الفقرة السابعة من القرار رقم (٢٦٧) لعام ١٩٦٩ م التى تنص على أن على مجلس الأمن أن يقوم باتخاذ الإجراءات الضرورية ، دون تأخير فى حالة الرد السلبى أو عدم الاستجابة .

ــ يطلب المجلس من الأمين العام للأمم المتحدة متابعة تنفيذ هذا القرار عن كثب ، وأن يقدم تقريرا عن ذلك إلى مجلس الأمن .

لقد جاء هذا القرار ، بحق ، ليسد الثغرة الخطيرة التى اعتورت القرار رقم (٢٤٢) ، إذ اغفل هذا الأخير وضع « القدس » فكان بمثابة ضوء أخضر للأطماع الصهيونية .

ومن الأمور التى تدعو إلى العجب كل العجب أن أى حديث عن تسوية المشكلة الفلسطينية ، وأى قرار أو اتفاقية أو تصريح يتعلق بها يذكر القرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ م ، ويؤكد على ضرورة التمسك به ووضعه موضع التنفيذ ، ويتغافل ــ عن قصد أو عن عدم وعى ــ عما جاء فى القرار رقم (٢٧١) لعام ١٩٦٩ م مع أهمية وخطورة وضرورة تكامل القرارين ، بل ومع الحاجة إلى ما يخرج المشكلة من إطار كونها مشكلة لاجئين إلى مشكلة ذات ثلاث شعب :



القدس بين

♦ المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

— ارض مقدسة قررت لها المواثيق الدولية كلها وضعاً خاصاً، وكيانا خاصاً مستقلا منفصلا Corpus separatum .

— شعب فلسطينى من حقه ان يقرر مصيره وان يقيم دولته .

— ارض مغتصبة حدها الأدنى تنفيذ القردار رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ الذى تستند إليه « الدولة اليهودية » كأساس قانونى لوجودها ، والقول بتجاوزه يعنى بطلان قيام هذه الدولة ذاتها ..

هذا يعنى ببساطه أن تقوم الدولة الفلسطينية على الأرض التى خصصها القرار ١٨١ للعرب (راجع الخريطة فى المقال السابق) إن الحق لابد له من قوة تحميه ، فإن لم توجد أوشك الحق أن يضيع ، ويحل الظلم محل العدل ، ويشيع الفساد فى الأرض .

فعلى الرغم من تنبيه حريق المسجد الأقصى لقادة وزعماء المسلمين ، كانت نشأة منظمة المؤتمر الإسلامى نتيجة لاجتماع ملوك ورؤساء اربعة وعشرين قطراً إسلامياً فى المدة من ٢٢ حتى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩ ، إلا أن ميثاق المنظمة قد جاء معبرا عن حقيقة تمزق الأمة الإسلامية وضعفها ، وهو امر قد يكون من المناسب معالجته بالدراسة التفصيلية فى وقت لاحق .

هذا وقد جاءت أهداف المنظمة فى « المادة الثانية » من الميثاق لتشير - على استحياء - شديد فى بندها « الخامس » إلى الحفاظ على سلامة « الأماكن المقدسة » وتحريرها ، دون ذكر « القدس » على وجه التحديد ، فكان النص كمايلى :

(٥) « تنسيق العمل من اجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها ودعم كفاح الشعب الفسطينى ، ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير اراضيه » .

هذا ولم يتم تأسيس « لجنة القدس » التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى إلا بناء على توصية المؤتمر السادس لوزراء خارجية البلدان الأعضاء فى المنظمة عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ، ولم يتأسس « صندوق القدس » إلا بناء على المؤتمر السابع لوزراء الخارجية عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) !!

ومع ذلك فإنه لا يمكن تجاهل النشاط السياسى للأقطار الإسلامية على المستوى الدولى ، والأمر الذى نتج عنه إصدار مجلس الأمن « للقرار رقم ٢٩٨ » فيما يختص « بالإجراءات والتصرفات الإسرائيلية من أجل تغيير الوضع القانونى لمدينة القدس » . وقد صدر القرار يوم الخامس والعشرين من سبتمبر ١٩٧١ م .. وكان اهم ما جاء به :

— بالنظر إلى ما جاء فى تقرير المندوب الدائم للأردن عن الموقف فى القدس ، وبالنظر إلى تقارير الأمين العام للأمم المتحدة .. فإن المجلس يؤكد من جديد مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الغزو بالقوة المسلحة .

— لقد تابع المجلس باهتمام بالغ عدم تنفيذ إسرائيل للقرارات المذكورة بعاليه (يقصد المتعلقة بالقدس) .

— لقد تابع المجلس باهتمام بالغ ما قامت به إسرائيل منذ القرار الأخير للمجلس من إجراءات تستهدف تغيير الوضع القانونى وطبيعة الجزء المحتل من القدس measures designed to change the status and character of the occupied section of Jerusalem

— يدين المجلس عدم احترام إسرائيل للقرارات السابقة الصادرة عن الأمم المتحدة

فيما يختص بالإجراءات والتصرفات التي من شأنها التأثير على الوضع القانوني لمدينة القدس .

— ويؤكد المجلس « بأوضح العبارات الممكنة in the clearest possible terms » أن كل التشريعات والأعمال الإدارية التي اتخذتها إسرائيل لتغيير الوضع القانوني لمدينة القدس ، بما في ذلك نزع ملكية الأراضي ، والممتلكات الأخرى ، ونقل السكان ، والتشريع الذي استهدف ضم الجزء المحتل من المدينة ، كلها « باطلة تماماً ولا يمكن تغيير ذلك الوضع القانوني » « are totally invalid and cannot change that status » .

ويدعو المجلس إسرائيل بشكل عاجل إلى إلغاء كل الإجراءات والتصرفات السابقة ، وأن تمتنع عن اتخاذ أي خطوات مستقبلية من هذا القبيل في القدس المحتلة يكون من شأنها تغيير الوضع القانوني للمدينة ، أو المساس بحقوق السكان ، أو مصالح الجاليات ، أو السلام العادل الدائم .

— يطلب مجلس الأمن من الأمين العام للأمم المتحدة أن يتشاور مع رئيس مجلس الأمن من أجل استخدام الوسائل التي يتخيرها ، وأن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن خلال ستين يوما عن تنفيذ هذا القرار .

وفي اليوم التالي مباشرة وجهت حكومة إسرائيل خطابا إلى مجلس الأمن رداً على هذا القرار جاء فيه :

« إن حكومة إسرائيل تعتبر أنه ليس هناك مبرر لإثارة موضوع القدس في مجلس الأمن ، ولا للقرار الذي اتخذ . وإن حكومة إسرائيل لن تدخل في أي مناقشات مع أي جهاز سياسي على أساس هذا القرار .

إن سياسة إسرائيل تجاه القدس سوف تبقى دون أي تغيير . ولسوف تستمر إسرائيل في تطويرها للمدينة لصالح كل السكان .. إلخ !! » ..

أي تحد هذا ؟!!

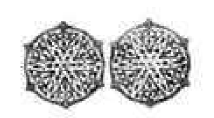
كان هذا بمثابة الرد « القانوني » أو قل « غير القانوني » المعبر عن الأطماع الصهيونية الواضحة الصريحة والتي تضرب بكل المواثيق الدولية عرض الحائط ..

أما عن الرد السياسي الذي يعطي نفس المعنى فقد جاء على لسان رئيسة وزراء إسرائيل « جولدامئير » إذ صرحت لجريدة « لوموند » الفرنسية في الخامس عشر من أكتوبر عام ١٩٧١ قائلة : « لقد وجد هذا البلد (تقصد إسرائيل) تنفيذاً لوعد الرب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحا عن شرعية هذا الوجود .. ! » .

ألا ترى أن « جولدامئير » قد استندت إلى مغالطة لتبرر بها تغليب الأطماع الصهيونية على القوة الإلزامية للمواثيق الدولية ؟ .

ظل الحال هكذا ..

تتزايد « الأطماع الصهيونية » يوما بعد يوم ، ولا تخرج القرارات والتوصيات والمعاهدات والمواثيق عن حدود الورق الذي تكتب فيه إلى أن كان يوم العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ (السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م) فانتهت مرحلة وبدأت مرحلة جديدة .. صيغت فيها مواثيق دولية جديدة وازدادت فيها الأطماع الصهيونية حدة .





اليوم الآخر ٢

بين اليهودية والنصرانية والإسلام

د. فرج الله عبد البارى

ملخص المقال الأول :

عرضنا فى المقال الأول باليوم الآخر عند اليهود والنصارى والمسلمين . (وبينا ان اليهود كانوا يسخرون من الآخرة ويرون انها بعيدة جداً ، واوضحنا الاختلاف حول الآخرة بين الباحثين حتى من اليهود . فالبعض يرون ان اليهود ينكرون الآخرة بناء على خلو التوراة المتداولة من الحديث عن البعث والبعض الآخر يذهب إلى أن الإشارات الواردة عن البعث فى العهد القديم - وهو التوراة المتداولة - مقصود بها العودة القومية وانتصار اليهود على اعدائهم .

وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية من البعث والجزاء ثم وجود بعض الإشارات فى اسفار الأنبياء المتأخرين ، رايت أن ادرس البعث عند اليهود فى اتجاهات ثلاثة :

الأول : عرضت خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والجزاء واوضحت ان التوراة التى انزلها الله على موسى - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - اشتملت على الحديث عن الآخرة . وان خلو التوراة الحالية من الحديث عن الآخرة دليل على التحريف البشرى الذى مارسه اليهود فى التوراة التى انزلها الله على موسى . وساعرض فى هذا المقال :

الاتجاه الثانى : الإشارات التى وردت عن البعث والجزاء فى أسفار الأنبياء ..

إذا تركنا أسفار موسى الخمسة ، وتأملنا اسفار الأنبياء بعد موسى - عليه السلام - نجد ان هناك بعض الإشارات عن البعث والجزاء خاصة فى اسفار : (أشعياء) و(دانيال) و(حزقيال) .

وهذه الإشارات يختلف فكر مجتهديهم حولها :

فالبعض يرى أن هذه النصوص تشير إلى البعث القومى لليهود وعودة دولتهم وانتصارهم على أعدائهم .

وآخرون يذهبون إلى أن هذه الإشارات مقصود بها البعث الأخروى . ولكنهم يرجعون ذلك إلى تأثر اليهود بعقيدة الآخرة من الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلى . وسوف نناقش كلا الرأيين عند إيرادنا للنصوص المشار إليها .

ورد فى قاموس الكتاب المقدس ـ لدى عنوان « القيامة فى العهد القديم » :

« يظهر من الإيمان بالإثابة والجزاء الوارد فى (أيوب)[1] أن القيامة بمعنى اليوم الآخر مفهومة ضمناً ، وكذلك تذكر القيامة ضمناً فى المواضع التى يُعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله ، وفى حضرته فى (المزامير)[2] ، ويحدثنا (أشعياء) [3] عن قيامة المؤمنين ، وكذلك يعلم (دانيال) [4] عن قيامة البعض للحياة الأبدية وقيامة آخرين للعار للازدراء الأبدى ويصف حزقيال نوعاً من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله » [5] .

ونص أيوب ونصوص المزامير فيها إشارات ضمنية عن البعث والجزاء [6] . ولأنها إشارات ضمنية فلن نتوقف عندها . ولكننا سنتوقف عند نصوص أشعياء ؛ ودانيال ؛ وحزقيال ؛ لنرى دلالة تلك النصوص على البعث والجزاء فى الآخرة كما يذهب بعض الباحثين أو البعث القومى لليهود كما يرى البعض الآخر منهم .

أولاً :

نص أشعياء : ورد فى سفر أشعياء إصحاح ٢٦ فقرة : ١٩ ما نصه :

« تحيا أمواتك تقوم الجثث . استيقظوا ترنموا ياسكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة » [7] .

يفسر هذا النص على أنه إشارة إلى البعث القومى وعودة اليهود لأرضهم ، يقول صاحب السنن القويم فى تفسير العهد القديم : « الرب قال لشعب اليهود « تحيا أمواتك » ، كانت اليهود فى بابل مدة السبى فى الذل ، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات فقال الرب : إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم أمة اليهود ثانية » . .

أى أن الكلام هنا فى موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة كأمة جديدة بإسكان الأرض ، إن الرب دعا ـ هنا ـ المذلين والحزانى إلى الفرح والتسابيح : لأنه سيخلصهم ، وقد شبه اليهود بعشب قد يبس لفقدان الرطوبة ، ثم نزل عليه المطر ، أى نعمة الله ، فانتعش « تحيا أمواتك » أى هى إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية[8] . والبعث فى نص أشعياء ـ فى هذا التفسير ـ يعنى البعث القومى وعودة دولة إسرائيل .

ونفس التفسير يذهب إليه ناشد حنا يقول « الحياة من الموت كناية عن نهضة قومية ورجوع روحى معاً يغفر خطاياهم »[9] .

---

(١) انظر سفر أيوب ١٩/ ٢٥ ـ ٢٧ .

(٢) انظر المزامير ١٦/ ٩ ـ ١١ ، ١٧ ـ ١٥ ، ٤٩ : ١٥ ، ٧٣ : ٢٤ .

(٣) أشعياء ٢٦ / ١٩ .

(٤) دانيال ١٢ / ٢ .

(٥) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ / ٧٤٩ .

(٦) انظر السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .

(٧) أشعياء ـ ٢٦ / ١٩ .

(٨) انظر السنن القويم فى تفسير العهد القديم ص ١٨٦ / ١٨٧ .

(٩) أشعياء مفصلاً آية آية جـ ١ ص ٢٤٤ / ٢٤٥ .

اليهودية والنصرانية والاسلام

وبالتأمل في نص أشعياء نجد النص يتحدث عن البعث - تحيا أمواتك .. والذى يفهم منه البعث الأخروى ، وذلك ماتقتضيه بداهة المعنى اللفظى للنص ، ولا يوجد فيه أو حوله مايصرفه إلى المجاز ، ولست أدرى لماذا حرفه صاحب السنن القويم ، وناشد حنا عن بعث الأموات إلى بعث اليهود القومى ؟

وعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية لليهود فإن اليهود يعتقدون أنهم سيبعثون قبل يوم القيامة لتقوم دولتهم وينتصرون على أعدائهم ، ثم بعد ذلك يبعثون للآخرة باعتبارهم أبناء الله وأحباءه ، ويعتبرون أن العودة القومية التى تسبق الحياة الأخرى مما يميزهم عن بقية الأمم - يقول سعديا الفيومى من علماء اليهود : « ألسنا نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله محيى جميع الموتى في دار الآخرة للمجازاة فأى شيء لمنكر أن يكون فضّل هذه الأمة مدة زيادة ، يحيى فيها موتانا قبل دار الآخرة ، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة ؟ وأى شيء السبب المانع من ذلك والدافع له ؟ أو ليس هو عدلاً يعوض كل ممتحن حسب محنته ؟ وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة !!»[10]

وما ذهب إليه سعديا الفيومى هو التحريف بعينه إذ ليس بين يديه حتى في التوراة المتداولة مايؤيد ما ذهب إليه من حياة اليهود قبل البعث الأخروى ، وهو يصور النزعة المادية عند اليهود ، إذ أنهم لا يكتفون بما عند الله ولكنهم يتعجلون التمتع بالخيرات في الدنيا قبل الآخرة حسب زعمهم .

وفي الوقت نفسه يعتبرون أنهم مميزون عن خلق الله ، ومن ثم يجمع الله لهم النعيم في الدنيا قبل الآخرة ، بناءً على زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه . ومعلوم أن الله كذبهم في افتراءاتهم عليه [11] .

ثانياً : نص دانيال :

أما النص الوارد في سفر دانيال فهو : « وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون : هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار إلى الازدراء الأبدى » [12] .

وهذا النص لا يشير إلى البعث الأخروى لأمر بَدَهِيّ وهو أن البعث الأخروى عام للبشر كلهم لا يخص طائفة دون طائفة ، أما قوله : « وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض » فهو يدل على التحريف الذى مارسه اليهود في نصوص الوحى [13] إذ أنهم يشيرون إلى البعض فقط ، الذين يقومون إلى الحياة الأبدية وإلى العذاب الأبدى .

ثالثاً : نص حزقيال :

أما نص حزقيال فهو : « أيتها العظام

---

(١٠) الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومى ص ٢٢٩ .

(١١) انظر الآيات ٧٩/٨٠/٨١ من سورة البقرة ، والآية ٢٥ من سورة آل عمران ، والآية ١٨ من سورة المائدة ، والآيات ٦ ، ٧ ، ٨ من سورة الجمعة . وهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر وفيها يكذب الله اليهود في زعمهم التميز على الناس .

(١٢) دانيال ١٢ / ٢ .

(١٣) انظر الديانات والعقائد جـ ٢ ص ٢٤٣ . وانظر اليهود تاريخاً وعقيدة ص ١٦١ .

اليابسة ، اسمعي كلمة الرب ، هكذا قال السيد الرب ـ لهذه العظام : هأنذا ادخل فيكم روحاً فتحيون واضع عليكم عَصَباً واكسيكم لحماً وابسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون انى انا الرب » (١٤) .

يقول رشاد فكرى فى تفسيره لسفر حزقيال : « هذه الأعداد تتكلم عن رجوع الشعب وإحيائهم كأمة يتمتعون بالبركات الإلهية ، فالموضوع هنا ليس رجوع النفس ولا القيامة الطبيعية ، لكن عمل الله فى إسرائيل ، لكى يحيا مرة أخرى كأمة »(١٥) والتفسير الذى اورده رشاد فكرى ينكر الآخرة . ونفس التفسير يذهب إليه مؤلفو قاموس الكتاب المقدس (١٦) . ولا ارى مبرراً للتأويل لهذا النص عن البعث الأخروى إلى البعث القومى السياسي لأن ظاهر النص شديد الدلالة على البعث والحياة بعد الموت والفاظ النص نفسه تشعر بذلك « ادخل فيكم روحاً فتحيون واضع عليكم عصباً واكسيكم لحماً وابسط عليكم جلداً » (١٧) ، هذه عبارات واضحة تدل على البعث وتبين قدرة الله على ذلك « وتعلمون أنى انا الرب » ، ولا ادرى لماذا عدل مفسرو النص عن القول بأن نص حزقيال يشير إلى البعث الاخروى ، ورجحوا دلالة النص على البعث القومى السياسي ؟

والنصوص الثلاثة الآخرة التى اشرنا إليها يذهب بعض الباحثين إلى انها تشير إلى البعث الأخروى لا البعث القومى السياسي ولكنهم يرون أن اليهود تأثروا بالآخرة من الامم الأخرى كالفارسية والبابلية .

يرى مؤلف تراث العالم القديم انه حتى « عشية النفى كانت الأمة مسئولة عن خطايا اعضائها وكان البرىء والمذنب على السواء ينالهما الجزاء الذى يقع على المجتمع ، ثم حدث مع النفى تغير ، واصبحت مطالب الفرد فى عدالة « يهوه » تلح إلحاحاً يطرد ازدياداً لإرضائها . لقد كانت وطأة الاضطهاد هى التى فرضت الاعتقاد فى البعث على العقل اليهودى ، وان النصوص التى تشير إليه قليلة ومتأخرة » (١٨) .

ويذهب إلى هذا الراى ايضاً ـ تأثر اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس وبابل ـ جرهاردوش فوس بقوله : « إن الإيمان العبرانى كما انه تأثر فى امور كثيرة بالمعتقدات السائدة تأثر ايضاً فيما يختص بالآخرة » (١٩) .

وقد ذهب إلى هذا الراى ايضاً صاحب قصة الحضارة .

يقول « وول ديورانت » : « ولم تبن فكرة البعث فى خلد اليهود إلا بعد ان فقدوا الرجاء فى ان يكون لهم سلطان فى هذه الأرض ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس أو لعلهم أخذوا شيئاً منها عن المصريين » (٢٠) .

ولنا ملاحظات على ماذهب إليه بعض الباحثين من تأثر اليهود بالآخرة من الأمم الوثنية .

اولاً : مع تسليمنا بان اليهود قد مارسوا التحريف والتبديل لوحى الله فإنا لا نسلم أن

---

(١٤) سفر حزقيال ٣٧ / ٤ ـ ٧ .
(١٥) تفسير حزقيال ص ٣٢١ / ٣٢٢ .
(١٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩ .
(١٧) حزقيال ٣٧ ـ ٤ ـ ٧ .
(١٨) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ .
(١٩) علم اللاهوت الكتابى جـ ٢ ص ٤٤٦ .
(٢٠) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ ، وانظر تراث العالم جـ ١ ص ٩٨ / ٩٩ .

اليهودية والنصرانية والاسلام

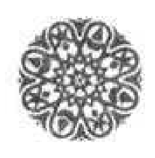
اليهود تأثروا بالآخرة من أرباب الديانات الوثنية كأمة الفرس ، وبابل ، إلا أننا في الوقت ذاته لا ننفى تأثر اليهود بالأمم الوثنية في كثير من التصورات العقائدية . ولكن البعث مصدره الوحى فلا يمكن أن تتأثر الأمة اليهودية بغيرها في هذه القضية بالذات .

ثانياً : ترجح أن الاضطهاد الذى وقع على اليهود هو الذى حرّك فطرة اليهود نحو الآخرة والاعتقاد فيها ، وهذا شأن البشر عند النوازل والمصائب .

ثالثاً : أن موسى ـ عليه السلام ـ قد أوضح عقيدة الآخرة لبنى إسرائيل ولكنهم حرفوا وبدلوا .. يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب : « إن يكن بنو إسرائيل قد عبثوا بهذه الصورة في عهد من عهودهم ، فإنهم حين جددوا العهد والتمسوا الحياة الآخرة فيه ، كان أقرب شيء إليهم هو ما في شريعة موسى المكتوبة في الصحف أو المحفوظة في بعض الصدور . فذلك أقرب إليهم بلا شك من أن يلتمسوا هذه الصورة عن الحياة الآخرة بين الأمم الأخرى التى تعد ذات ديانات وثنية بالنسبة لديانة موسى ـ عليه السلام ـ » (٢١) .

والحق ماذهب إليه الأستاذ « الخطيب » فإنه مهما كان التحريف في عهد من عهود اليهود ، فإن احتمال رجوعهم إلى شريعة موسى ـ عليه السلام ـ أقرب من رجوعهم إلى غيرهم من الأمم الوثنية ـ خاصة فيما يتعلق بالآخرة .

يتبـــع



(٢١) انظر ـ بتصرف ـ الله والإنسان ص ٢٥٥ .

محنة المسلمين

في بلاد الهند

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

لوان عقلا ـ الكترونيا ـ من تلك العقول التى صنعتها الحضارة الحديثة توفر على إحصاء دقيق لتلك الملايين من الرءوس البشرية التى انفصلت عن اجسادها فى غير حرب وبلا ثمن ، ولتلك الدماء التى سالت واهدرت بالشعارات البشرية الجوفاء لأثبت بما لا يدع مجالا للشك ان الدم الإسلامى هو ارخص الدماء فى الأرض فى زماننا المعاصر ، وحتى لا يتشعب بنا البحث نقتصر فى هذا المقال على مايعانيه المسلمون حاليا فى بلاد الهند من المآسى التى تشيب له رءوس الولدان ، هؤلاء المسلمون الذين يبلغون اكثر من اربعين ومائة مليون من البشر ، وقد رددت بعض وسائل الإعلام الخارجية طرفا مما يعانونه من اضطهادات منكرة ، وصلت إلى حد اغتيال الكثير من رجالهم وسفك دماء ابنائهم وهتك اعراض نسائهم ، ونهب اموالهم ، وإحراق متاجرهم ، مما يذكرنا بزمن الاستعمار البريطانى عندما كان قابعا على شبه القارة الهندية قبل الاستقلال ، إذ كان الهندوس يتعاونون مع المستعمرين الإنجليز على إبادة المسلمين لدرجة ان هؤلاء الإنجليز كانوا يجعلون من المسلمين الهنود بديلا للدواب التى يسوقونها امامهم ليكونوا ضحية الالغام الموضوعة فى باطن الارض(١) .

رجعة إلى تاريخ الإسلام بالهند

تعتبر الهند من الأمم العريقة التى كان لها على مر التاريخ صلات مع الأمم التى حولها ولا سيما جزيرة العرب مهد الإسلام ، وكان التجار والبحارة من العرب والهنود من دعائم هذه الصلات ، وقد ذكر ابن خرداذبة فى كتابه المسالك والممالك أن البضائع الهندية كانت توجد فى أسواق بلاد العرب قبل زمان البعثة المحمدية .

فلما ظهر الإسلام ودخل العرب فى دين الله أفواجا كان من هؤلاء التجار والبحارة مسلمون حملوا معهم دينهم الجديد إلى هذه البلاد التى يتعاملون معها وما كان يمتاز به من عقيدة الإله


(١) كتاب « المسلمون فى معركة البقاء » للدكتور عبد الحليم عويس طبعة سنة ١٩٧٧ دار الصحوة بالقاهرة .

محنة المسلمين فى بلاد الهند

الواحد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعا .

ولما كانت الهند تئن وقتئذ ـ ومازالت ـ تحت ثقل التفرقة ونظام الطبقات القاسى وتعدد الآلهة مما تزخر به الديانة الهندوسية ، لذلك كان من الطبيعى أن تتفتح قلوب بعض أولئك الهنود خصوصا طبقة المنبوذين لدعوة الإسلام فاعتنقوها ليتخلصوا من نظام الطبقات الذى أصابهم بالعناء النفسى والاجتماعى الذى يعيشون فيه ، كما ينفضون عن أنفسهم عبادة البقر وغبار الوثنية المحشوة بالخرافات ، وبذلك أصبح فى كل ميناء أو مدينة اتصل بها المسلمون العرب جماعة من أهل الهند اعتنقوا الإسلام ، وأقاموا المساجد وباشروا شعائرهم فى حرية تامة ، وذلك لما كان للمسلمين العرب من مكانة عند حكام هذه المدن باعتبارهم العامل الأول لرواج تجارتهم ، ولما كانوا يتحلون به من صدق وإخلاص فى المعاملة[٢] .

جيوش الفتح الإسلامى تطرق ابواب الهند

بدأت تلك الحملات منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث وجه عثمان بن أبى العاص الثقفى والى البحرين وعمان عام ١٥ هجرية أخاه الحكم بن أبى العاص بحملات خاطفة استطلاعية إلى (تانة) شمال مدينة بومباى ببلاد الهند ، ثم حملة أخرى إلى (بروص) شمال مدينة (سورت) فى (إقليم كجرات) الهندى ، وحملة ثالثة إلى مدينة (الديبل) (قريبة من مدينة كراتشى فى الباكستان حاليا) واستمرت تلك الحملات الاستطلاعية فى عهد خلافة الراشدين : عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ثم فى عهد الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان حيث غزاها المهلب ابن أبى صفرة سنة ٤٤ هجرية[٣] .

محمد بن القاسم هو اول قائد إسلامى نجح فى فتح الهند

فقد وجهه حاكم العراق الحجاج بن يوسف الثقفى عام ٩٢ هجرية على رأس حملة إلى بلاد الهند زمن خلافة الوليد بن عبدالملك الأموى فانتصر فى جميع المعارك التى خاضها حتى وصل إلى (مولتان) فى شمال الهند ، وبذلك أخضع بحملته (إقليم السند) بأكمله ، ثم ساس البلاد التى فتحها بالحلم والعدل ، لكنه قتل بفعل الأحقاد والدسائس التى حيكت ضده من رجال الحكم الأمويين زمن الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك[٤] .

ثم استقر الإسلام هناك فى عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز الذى كتب لملوك السند يدعوهم للإسلام على أن يظلوا فى مراكزهم فأسلم بعضهم وتسموا بأسماء عربية وانتشر الإسلام فى ولاياتهم ، ولما تولى السلطان محمود بن سيكتكين أمور الدولة الغزنوية ، استأنف حملات الفتح الإسلامية على أرض الهند ، والتى بلغت

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا) تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ م .

(٣) كتاب فتوح البلدان للإمام أحمد بن يحيى البغدادى الشهير بالبلاذرى باب فتوح السند طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ . سنة ١٩٠١ م .

(٤) كتاب « تاريخ الإسلام فى الهند » تأليف الدكتور عبدالمنعم النمر ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ . سنة ١٩٨١ بيروت لبنان .

عشرين حملة ، فضم إلى حكمه جزءا كبيرا من أرض الهند من الغرب والشمال والجنوب الغربى ، ولما جاءت الدولة الغورية سارت على خطة الدولة التى سبقتها فى فتح الهند ، لاسيما فى عهد السلطان شهاب الدين عام ٥٨٢ هجرية ، وقطب الدين أيبك الذى فتح مدينة دهلى عام ٥٨٩ هجرية واتخذها عاصمة له .

وأخيرا جاءت الدولة التيمورية أو المغولية التى أسسها (بابرشاه) من نسل القائد المغولى (تيمور لنك) عام ٩٣٢ هجرية فكان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامى فى بلاد الهند ، وقد بلغ ذروة القوة والاتساع فى عهد أحد ملوكها ، وهو الامبراطور (أورنكيب) أو (عالمكير) عام ١٠٦٩ - ١١١٨ هجرية التى توافق ١٦٥٩ - ١٧٠٧ ميلادية فقد ضم الهند كلها تقريبا تحت سلطانه مما لم يسبق له مثيل من قبل[٥] .

ضعف الدولة التيمورية وغلبة الاستعمار البريطانى على الهند

بعد وفاة الامبراطور أورنكيب جاء بعده ملوك ضعاف فأخذت دولة الإسلام هناك تتفتت شيئا فشيئا وينحسر نفوذ ملوكها وينكمش سلطانهم ، حتى أصبحوا صورة لانفوذ لها ، ومن خلال هذا الضعف وهذا التفتت أخذت الدول الغربية تتصارع فى بسط نفوذها على الهند بواسطة شركاتها التجارية ، وكانت فى انطلاقها كالذئاب المسعورة تتصارع على الفريسة الدسمة ، كل يريد أن يلتهمها وحده ، وأخيرا استطاعت شركة الهند الشرقية الانجليزية أن تقضى على نفوذ شركات باقى الدول الغربية ، ثم عملت على شل كل نفوذ للإمبراطور المسلم القابع على عرشه فى مدينة دهلى ، ولما حاول المسلمون الهنود الغيارى إنقاذ البلاد فى ثورة جامحة عام ١٢٤٧ هجرية - ١٨٥٧ م تصدت لها الحكومة البريطانية بكل ما أوتيت من عنف وقوة ففشلت الثورة وتحمل المسلمون الهنود وحدهم نتائج هذا الفشل أمام العدو المنتصر :

١ - فمثل بهم الإنجليز شر تمثيل واستباحوا أموالهم وصادروا ممتلكاتهم .

٢ - وعملوا على إذلالهم بكل الطرق ومطاردتهم أينما وجدوا والقضاء على كل حيوية فيهم .

٣ - ونتيجة لذلك قبضوا على الامبراطور المسلم وحاكموه بتهمة تزعمه للثورة ، وحكموا عليه بالإعدام .

٤ - ثم قتلوا أولاده وقدموا رءوسهم له فى أطباق على مائدة طعامه .

٥ - ولما خففوا حكم الإعدام عنه ، قاموا بنفيه إلى (مدينة رانجون) عاصمة (بورما) ونفذ هذا النفى فى أكتوبر عام ١٨٥٨ م حيث رحل هو وأسرته وحاشيته وأودعوا جميعا السجون حتى توفى عام ١٢٧٩ هجرية التى توافق عام ١٨٦٢ م .

٦ - وفى أول نوفمبر عام ١٨٥٨ ميلادية أعلنت فيكتوريا ملكة انجلترا قرارا بنقل حكم الهند من الشركة الإنجليزية إلى يد الحكومة البريطانية ، وضمت الهند جميعها لمستعمرات التاج وقبضت على البلاد هناك بيد من حديد ، يملأ قلبها حقد يتقد على مسلمى تلك البلاد ، فانفردت بهم تفعل كل مايمليه عليها حقدها ، ويمكنها منه سلطانها ، وفى ذلك يقول نهرو رئيس وزراء الهند الأسبق الهندوكى فى كتابه من السجن إلى الرئاسة (كانت الحكومة البريطانية

(٥) كتاب « تاريخ الإسلام فى الهند » المرجع السابق .

محنة المسلمين في بلاد الهند

قد تعمدت سحق المسلمين وقمعهم إلى درجة أكبر مما فعلت بالهندوس[٦] .

كما صرح حاكم الهند الإنجليزى أيام الشركة المشار إليها عام ١٨٤٣ وهو اللورد النبرو المعروف بدوق ولنجتون فى تقرير له ، إذ قال بصريح العبارة : (إنه لايمكن الإغضاء عن حقيقة جلية وهى أن الأمة المسلمة معادية لنا بطبيعتها فالبرنامج الحقيقى عندنا أن نبتغى مرضاة الهنادك)[٧] .

خطط الإنجليز فى إبعاد السكان المسلمين عن اى نشاط فى بلادهم

بعد أن تولت الحكومة الإنجليزية مسئولية الحكم فى الهند بدأت سياستها لإبعاد سكانها المسلمين بقوانين مدروسة وخطط مرسومة ، كان الهدف منها تقليم أظافر المسلمين ، والقضاء على معنوياتهم وقتل كل أمل يراودهم فى استرداد مكانتهم السابقة بل وملاحقة كل مايتصورونه من شعاع يؤدى إلى هذا الأمل بكل الطرق وكل الحيل فمن ذلك :

١ ـ اتجهوا إلى إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية وذلك بمضاعفة ديونهم بأساليب الحيلة والخداع .

٢ ـ ثم ساعدوا المرابين الهندوس على انتزاع أملاكهم .

٣ ـ سدوا فى وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة .

٤ ـ كما وضعوا العراقيل المادية فى سبيل الذين يحترفون التجارة منهم ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

٥ ـ عملوا على إسقاطهم فى غيابات الجهل بعد أن كانوا حين دخل الإنجليز الهند أرقى السكان عقلا وعلما وحكما وسياسة فحاربوا مدارسهم ونزعوا الأوقاف الإسلامية التى كانت موقوفة للصرف والإنفاق على تلك المدارس .

٦ ـ عمدوا إلى المسلمين الأغنياء ، ممن كانت تدفعهم حميتهم لمساعدة تلك المدارس فأرهبوهم أو أغروهم بالبعد عن مساعدتها حتى كفوا عنها فأغلق الكثير منها أبوابه .

٧ ـ وفى الوقت الذى كان المسلمون يقاطعون المدارس التى أنشأها الإنجليز ، كان الهندوس يقبلون على تلك المدارس فضلا عن تشجيع الإنجليز لهم فى دخولها ، لأنهم عنصر أضمن لتنفيذ سياستهم ومآربهم ، ولهذا كله احتضنوهم ، وعملوا على زيادة الفرقة بينهم وبين المسلمين ليضمنوا ولاءهم .

٨ ـ زادوا من إثارة أحقاد الهندوس على المسلمين بشتى الوسائل من صحافة ومؤلفات تفترى على الحكم الإسلامى ومواقفه من الهندوس ، ومناهج يدرسونها للطلبة فى المدارس مما قاسى منه المسلمون ألوانا شتى من الشدائد من أبناء وطنهم ، فوق الشدائد التى كانوا يعانونها من المستعمر نفسه وهذه سياسة معروفة عن الإنجليز فى البلاد التى يستعمرونها ، وفى ذلك يقول (جون مينورد) عضو المجلس البريطانى لحاكم البنجاب (إن الخلاف بين

(٦) كتاب أبو الكلام آزاد ـ الجزء الأول تأليف الدكتور عبدالمنعم النمر ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م

(٧) أطلس تاريخ الإسلام ـ الهند الإسلامية ـ تأليف الدكتور حسين مؤنس ـ الزهراء للإعلام العربى الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ـ سنة ١٩٨٧ م .

الهندوكيين والمسلمين على العموم بدأ في عهد بريطانيا) .

٩ - وانتهز الكثير من الهندوس المحنة التى يمر بها المسلمون وراحوا يدعون جهرا إلى التخلص منهم باعتبارهم دخلاء غزاة فاتحين[٨] .

١٠ - وفي ذلك قال الزعيم الهندوكي ويكرام ساواركر في محاضرة ألقاها بتاريخ ١٣/٩/١٩٦٤ م على المسلمين أن يعلموا أن حزب المؤتمر لا يستطيع أن يحميهم ، ففى كلكتا وغيرها من المدن قتل آلاف المسلمين ، ونهبت منازلهم وحوانيتهم ، وامتنع حزب المؤتمر وحكومة حزب المؤتمر عن حمايتهم ، إن المسلمين مثل النمل ويجب أن يسحقوا ولا يجب أن يعطى المسلمون حق التصويت لأنهم ليسوا وطنيين » .

هكذا استباح زعماء الطائفة الهندوكية دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم على مرأى ومسمع من حكومتهم ، ولم تمنع هذه البربرية أن تظل الأحزاب الدموية هذه تحت مظلة الشرعية الهندية المتحيزة لتولغ في دماء المسلمين وتذبح عشرات الآلاف منهم سنويا دون أن يتحرك مايسمونه ضمير العالم الحر والمنظمات الدولية[٩] .

ماساة المسلمين الحالية في الهند .

وحاليا يحدث في الهند لسكانها المسلمين مأس أفظع من كل المآسى المروية ، وإن وصف ما يحدث بالوحشية والبربرية فيه ظلم للبرابرة والمتوحشين ذلك على أيدى المتطرفين والإرهابيين الهندوس الذين سفكوا أنهارا من الدماء ، كان ضحاياها من المسلمين العزل أطفالا ونساء وعجزة وغيرهم من الشباب المسلم . وكان رجال الشرطة وإدارات الحكم يساعدون المعتدين الهندوس ضد المسلمين المسالمين .

وقد كشف أمر هذه المآسى البشعة عضو هندوسية مثقفة تشغل مقعدا في البرلمان الهندى هى السيدة (ماياوتى) عرضت نفسها وحياتها للخطر من بنى قومها الهندوس وذلك دفاعا على الحق الأبلج فتقول في بيان لها : -

١ - لقد بدأت حوادث الصدام في (مدينة بنجور) منذ يوم ٩ اكتوبر سنة ١٩٩٠ حيث قام كبير وزراء ولاية (أوتار - براديش) المدعو (ملائما سينغ يادوا) بمسيرة السلام التى أشاعت عنها العناصر الهندوسية المشاغبة كثيرا من الأقاويل المثيرة بهدف إثارة الهندوس ضد العناصر المحبة للسلام ، وكان مخططا لتفجير اضطرابات ليس في مدينة (بنجور) وحدها وإنما في جميع الأماكن التى يسكنها المسلمون عبر ولاية أوتار براديش) .

٢ - وكانت الإدارة المحلية على علم بتأزم الوضع منذ يوم ٩ أكتوبر المشار إليه ، ومع ذلك سمحت للهندوس بالقيام بتلك المسيرة كما أشارت عليهم باقتحام الأحياء الإسلامية ، وعندما بدأ الصدام قام جهاز الشرطة P.A.C بتخريب شديد في ممتلكات المسلمين ، وعمل على الفتك بهم وإبادتهم ، وتخريب أحيائهم وسلب ونهب أموالهم .

٣ - وعندما حاولت السيدة عضو البرلمان الهندى الاتصال برئيس أحد الأحزاب الإسلامية بالمدينة المنكوبة ، قامت الإدارة بقطع جميع خطوط الاتصال التليفونية ، فقررت تلك السيدة زيارة (مدينة بنجور) على الفور لكن الإدارة رفضت السماح لها بهذه الزيارة حتى لا ترى

(٨) كتاب أبو الكلام ازاد - الجزء الأول - المرجع السابق .

(٩) منار الإسلام جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ .

معنة المسلمين فى بلاد الهند

كيف تحصد أرواح المسلمين رخيصة دون أى اهمية تذكر من رجال الإدارة الهنود .

٤ ـ واخيرا تمكنت السيدة ماياوتى من دخول المدينة فشاهدت الكثير من محلات المسلمين التجارية فى (حى شيرين) قد نهبت ، ثم أحرقت وصارت رمادا ، وتقدر خسارة المسلمين عنها بالبلايين ، وذلك على مرأى ومشهد من رجال الشرطة بينما محلات الهندوس لم تصب بأى سوء .

٥ ـ ومن المؤسف بل من المحزن أن رجال الشرطة اعتدوا على من نجا من المسلمين من القتل بكسر عظام ايديهم وارجلهم كسرا جعل حياتهم عبئا عليهم ، كما انتهكوا حرمات النساء فاغتصبوهن عنوة ثم قاموا بقتلهن بعد ذلك .. تماما كما يفعل الجنود الإسرائيليون بنساء وأطفال وأبناء المسلمين ، وبتعاون من الفريقين .

٦ ـ وبدلا من قيام الإدارة بمحاسبة المعتدين الهندوس ومن عاونهم من رجال الشرطة قامت باعتقال الأبرياء من المسلمين .

٧ ـ وتختم السيدة الهندوسية عضو البرلمان الهندى بيانها بقولها : إنها تعتقد جازمة أن الإضطرابات الطائفية ضد المسلمين قد اوقدت نارها بخطة مدروسة عبر الشريط الذى يسكنه المسلمون فى مديريات غازى أباد ـ وميروت ـ وبلندشهر ـ وعلى جراه ـوسهارينوز ومظفر نجر ـ وبنجور ـ ومراد اباد ورامبور ـ وكانبور وغيرها من أماكن سكن المسلمين الكثيرة .

جمعية علماء الهند المسلمين تبعث وفدا منها لزيارة المدينة المنكوبة :

زار وفد جمعية العلماء ، الأحياء الإسلامية وشاهد الدمار الشامل الذى لحق بالأحياء التى يقطنها المسلمون وجمعوا بعض الحقائق الدامية التى لا ينبغى أن تمر دون وقفة حازمة حاسمة من مسلمى العالم ، قبل أن تمتد يد الغدر الهندوسى إلى مزيد من الدموية التدميرية لأرواح المسلمين وممتلكاتهم وأموالهم ومقدساتهم ، وقد ضمنوا ماشاهدوه فى تقرير نقتطف منه الحقائق الآتية : ـ

أولا ـ لما كان عدوان الهندوس على المسلمين تم على نطاق واسع لم يتيسر إعداد قائمة كاملة عن شهداء المسلمين ، وإن أمكن معرفة أسماء ٧٥ شهيدا منهم ، كما أن هناك عددا كبيراً من المسلمين اختطف بواسطة الهندوس المعتدين ورجال الشرطة ، ولم يعرف مصيرهم بعد ، وفى بعض الإحصاءات وصل عدد قتلى المسلمين إلى الفين .

ثانيا ـ عدد محلا المسلمين المنهـوبة والمحروقة بعد نهبها فى حى (جاه شيرين وبى) اربعة وعشرون ، وفى حى (لا دوبورة) بلغت خمسة عشر وثلثمائة ، اما البيوت التى اقتحمها الهندوس ونهبوا محتوياتها ثم احرقوها ، فقد بلغت حسب الإحصاءات المبدئية ثلاثة وخمسين وستمائة بيت فى (حى بكلى) ، (٢٧٩) بيتا فى (حى جاه شيرين) ولادبوره ، وفى حى قصابان (٧٢) بيتا ، وفى (حى جاتان) ٣٠ بيتا ، وفى (حى مرد كان) ٢٥ بيتا ، وفى (حى نجارا) عشرة بيوت ، وفى (حى قاضى باره) خمسة بيوت بالإضافة إلى ١٩ بيتا فى أماكن أخرى متفرقة ولا شك أن الخسائر اكثر بكثير من أية إحصائية تمت حتى الآن .

ثالثاً ـ وقد بلغت قسوة هؤلاء المعتدين أن كانوا يقتلون أولاد المسلمين أمام آبائهم وذويهم عند اقتحامهم لمنازل المسلمين ويهتكون أعراض نساء المسلمين ثم يقتلونهن أو يحرقون المنازل بمن فيها من سكان ، وذلك نفس أسلوب عصابات اليهود بفلسطين المحتلة .

رابعاً ـ ألحقوا أضرارا فادحة بعدد من المساجد وقتلوا مؤذنيها وأسرهم مثل (مسجد تكية شاه) ومسجد (كجهرى) ومسجد (ربانى) ومسجد (سرائى) شاه محمد ، و (مسجد بازار والى) ومسجد (صديقيان) و (مسجد قرية بكلى) وفى بعض تلك المساجد شنت الميليشيات الهندوسية هجومها وعدوانها على المصلين والمعتكفين فضربوهم وسلبوا منهم أموالهم ثم أشعلوا النيران فيهم فماتوا حرقا .

خامساً ـ لم تسلم الكتب الدينية من عدوان الهندوس على المساجد ، فقد تناولوا المصاحف والكتب الدينية وأهانوها ومزقوها كما أحرقوا دراجات المسلمين وسياراتهم[١٠] .

وبعد ..

فيحق لنا أن نتساءل : أين وسائل الإعلام العربية والإسلامية من هذه الفاجعة التى أصابت هؤلاء المسلمين فى الهند ؟

ولماذا لم تتحرك التحرك الواجب فى مثل هذه المحن والمآسى التى تحيط بالمسلمين إذا علمنا أن التعتيم الإعلامى على المجازر التى يذبح فيها المسلمون وتدمر فيها ممتلكاتهم خطة دولية مقررة من جانب الصليبية العالمية ؟

إننا نسائل شعوب الدول العربية والدول الإسلامية : ما معنى تجاهلهم لآلام إخوانهم المسلمين فى الهند وتبلدهم بإزائها ، رغم أنهم يذبحون ويبادون فى الوقت الذى تتبارى فيه أجهزة إعلام تلك الدول بإذاعة مباريات كرة القدم تحتشد فيها الألوف لرؤيتها ؟

لو أن صعلوكا من دول الغرب أو من اليهود خدش ظفره لتحركت له الهيئات الدولية أما شعوب المسلمين فإن الألوف المؤلفة منهم يقتلون فما يكترث لمصابهم أحد ، وهاهم فى بلاد الهند كما قالت صحيفة Sunday الأسبوعية يعيش المسلمون هناك حاليا فى حالة من الخوف والذعر ، فقد أعلن الكاهن الهندوسى المتآمر (رام جندرداس) الحرب على العناصر التى تعارض الهندوس والديانة الهندوسية ، كما أعلن المدعو (أشوك سنغل) الأمين العام لمنظمة الهندوسية العالمية تهديده السافر للمسلمين فيقول : إنه لا يمكن للقوات الحكومية والأحزاب السياسية أن تحمى المسلمين من غضب الهندوس[١١] .

فهلا تحركت الحكومات الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامى وغيرها من المنظمات الإسلامية ووقفت وقفة شجاعة ، واستخدمت سلاح المصالح الاقتصادية ، كالامتناع عن شراء الشاى الهندى وماماثله من سلع للضغط على حكومة الهند ، فتثوب إلى رشدها فتقبض على مثيرى الفتنة من زعماء ورؤساء العصابات الهندوسية المتطرفة وكذا على من يساندهم من رجال الإدارة ورجال الشرطة هناك ، وتحاكمهم على ما اقترفت أياديهم الآثمة فتوقف سفك دماء المسلمين ، وتمنع تدمير ممتلكاتهم وإحراق دورهم ، ونهب ثرواتهم وأموالهم وهتك أعراضهم .

وبذلك تبعث الأمن والأمان فى نفوس المسلمين هناك ، فهم بلا جدال جزء من بناء الهند وبعض من نسيج أهلها وشعبها .

ترى : ما المانع ؟!!

---

(١٠) مجلة منار الإسلام بدولة الإمارات العربية المتحدة عدد شعبان سنة ١٤١١ هـ ـ فبراير سنة ١٩٩١ م .

(١١) المرجع السابق .

لحظات طيبات مع

الإمام جعفر الصادق

إعداد: عادل خفاجة

قال عمرو بن المقدام : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين .

وكان جعفر - رضى الله عنه - يقول : سلونى قبل ان تفقدونى ؛ فإنه لا يحدثكم احد بعدى بمثل حديثى .

إنه الإمام الثقة الجليل : جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الهاشمى العلوى ، ابو عبدالله المدنى الصادق .

وامه فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر وامها اسماء بنت عبدالرحمن بن ابى بكر : فلذلك كان يقول : ولدنى ابو بكر مرتين .

منهجه

كان يحب أن يسأله الناس وبقدر ما كان حرصه أن يسألوه ، كان حرصه الا يجيب فى أمر الدين برأيه ، وكان يحذِّر من ذلك .

غزارة علمه :

لما اقدمه المنصور الحيرة ، بعث إلى أبى حنيفة فقال : يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهىء له من مسائلك الصعاب ، فهيأت له أربعين مسألة . ثم أتيت أبا جعفر ، وجعفر جالس عن يمينه ، فلما بصرت بهما ، دخلنى لجعفر من الهيبة ما لا يدخلنى لأبى جعفر ، فسلمت وأذن لى ، فجلست ثم التفت إلى جعفر ، فقال : يا أبا عبدالله تعرف هذا ؟

قال : نعم . هذا أبو حنيفة ، ثم أتبعها : قد أتانا .

ثم قال[1] : يا أبا حنيفة ، هات من مسائلك نسأل أبا عبدالله فبدأت أسأله . فكان يقول فى المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ، ونحن نقول كذا وكذا ، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة ، وربما خالفنا جميعا ، حتى أتيت على الأربعين مسألة ما أخرِمُ منها مسألة .

ثم قال أبو حنيفة : أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ؟

وكان سفيان الثورى يحب سماع الحديث منه ، ويصر على الاستزادة فقد حدَّث مالك بن أنس عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ،

(١) أى أبو جعفر المنصور .

قال : لما قال سفيان الثورى : لا أقوم حتى تحدثنى .

قال له : أنا أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير ياسفيان ، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها ؛ فإن الله ـ عز وجل ـ قال ـ فى كتابه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[٢] .

وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ؛ فإن الله تعالى قال فى كتابه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾[٣] .

ياسفيان : إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من (لا حول ولا قوة إلا بالله) ؛ فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة . فعقد سفيان بيده ، وقال : ثلاث وأى ثلاث .

قال جعفر : عقلها ـ والله ـ أبو عبدالله ولينفعنه الله بها .

وقال نصر بن كثير : دخلت أنا وسفيان الثورى على جعفر بن محمد فقلت : إنى أريد البيت الحرام فعلمنى شيئاً أدعو به . فقال : إذا بلغت البيت الحرام فضع يدك على الحائط ثم قل : يا سابق الفوت ياسامع الصوت ، وياكاسى العظام لحماً بعد الموت ، ثم ادع بما شئت .

وكان ـ رحمه الله ـ قوى الحجة ، واضح المثل ، ولله المثل الأعلى ، التقى به سفيان الثورى بمكة ، فسأله : يا ابن رسول الله لم جُعِلَ الموقف من وراء الحرم ؟ ولم يَصِرْ فى المشعر الحرام ؟

فقال : الكعبة بيت الله ، والحرم حجابه ، والموقف بابه ، فلما قصده الوافدون ، أوقفهم بالباب يتضرعون ، فلما أذن لهم فى الدخول ، أدناهم من الباب الثانى وهو المزدلفة ، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم ، رحمهم ، فلما رحمهم ، أمرهم بتقريب قربانهم ، فلما قربوا قربانهم وقضوا تفثهم ، وتطهروا من الذنوب التى كانت حجابا بينه وبينهم ، أمرهم بزيارة بيته على طهارة .

قال : فلم كُره الصوم أيام التشاريق ؟

قال : لأنهم فى ضيافه الله . ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه ....

وسأله بعض أصحابه : لم حرم الله الربا ؟

قال : لئلا يتمانع الناس المعروف .

ودخل عليه سفيان الثورى ، مرة ، وعليه جبة خز دكناء فجعل ينظر إليه معجبا ، فقال له : « ياثورى مالك تنظر إلينا لعلك تعجب مما رأيت ؟ » ، فقال الثورى : يا ابن رسول الله ليس هذا لباسك ولا لباس آبائك ! فقال له : « ياثورى كان ذلك زمانا مقفرا مقترا ، وكانوا يعملون على قدر إقفاره وإقتاره ، وهذا زمان قد أقبل كل شىء فيه (عز إليه)[٤] ، ثم حسر عن ردن جبته ، وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن ، فقال ياثورى لبسنا هذا لله وهذا لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

جوده وكرمه :

أما عن جوده وكرمه ، فيقول الهياج بن بسطام : « كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شىء » .

وكان يقول : « أوحى الله تعالى إلى الدنيا ، أن اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك » .

(٢) إبراهيم ـ ٧
(٣) نوح ١٠ ـ ١٢
(٤) يبدو أنه تعبير العصر ، ويعنى : عدم المشقة فى الحصول على الشىء بسبب المستوى الطيب للمعيشة .

الإمام جعفر الصادق

وصاياه :

وللإمام ـ رضى الله عنه ـ وصايا تعتبر ذخيرة نفيسة نسوق بعضها .

قال بعض أصحابه : دخلت على جعفر وموسى[٥] بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية ، فكان مما حفظت منها أن قال : يابنى اقبل وصيتى واحفظ مقالتى فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً ، وتموت حميداً ؛ يابنى من رضى بما قسم له استغنى ، ومن مدَّ عينه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه .

يابنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم .

يابنى إياك أن تزرى بالرجال فيزرى بك وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتزل لذلك .

يابنى قل الحق لك أو عليك تستشان[٦] من بين أقرانك ، يابنى كن لكتاب الله تاليا وللإسلام فاشيا ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهيا ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئا ، ولمن سألك معطيا ، وإياك والنميمة ؛ فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ؛ فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولها ، وللأصول فروعا ، وللفروع ثمراً ، ولا يطيب ثمر إلا بأصول ، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب .

يابنى إن زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها .

قال على بن موسى : فما ترك هذه الوصية إلى أن توفى .

وحدث عنه الأصمعى بتلك الوصية العامة قال : « الصلاة قربان كل تقى ، والحج جهاد كل ضعيف ، وزكاة البدن الصيام ، والداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وما عال من اقتصد ، والتدبير نصف العيش ، والتودد نصف العقل ...

ومن أحزن والديه فقد عقهما ، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته فقد حبط أجره ، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذى حسب ودين ، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق على قدر المؤونة ، ومن قدّر معيشته رزقه الله تعالى ، ومن بذّر معيشته حرمه الله تعالى .

ومن أقواله التى تجرى مجرى الحكمة :

● لا زاد أفضل من التقوى ، ولا شىء أحسن من الصمت ، ولا عدو أضر من الجهل ، ولا داء أدوى من الكذب .

● إياكم والخصومة فى الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق .

● لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره .

● إذا بلغك عن أخيك شىء يسوؤك فلا تغتم ؛ فإنه إن كان كما يقول ، كانت عقوبة

(٥) هو ولد الإمام جعفر .

(٦) أى يصير لك شأن .

عجلت ، وإن كان على غير ما يقول ، كانت حسنة لم يعملها .

حَدَّث عبدالجبار بن العباس الهمدانى ، أن جعفر بن محمد أتاهم - وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة - فقال : « إنكم - إن شاء الله - من صالحى أهل مصركم ، فأبلغوا عنى : من زعم أنى إمام معصوم مفترض الطاعة ، فأنا منه برىء ، ومن زعم أنى أبرأ من أبى بكر وعمر فأنا منه برىء » .

يقينه بالله :

لقد وصل جعفر الصادق ما بينه وبين الله ، فلم يبال بما بينه وبين السلطان ، فقد ذُكر له يوماً بُخل المنصور ، فقال : « الحمدلله الذى حرمه من دنياه ما بذل لأجله دينه » .

لم يركن يوماً إلى السلطان ، بل كان دائم النقد له كلما عنّ له من أمره شىء ، حتى أغضب المنصور فعزم على قتله .

ذكر الفضل بن الربيع عن أبيه قال : دعانى المنصور فقال : إن جعفر بن محمد يلحد فى سلطانى ، قتلنى الله إن لم أقتله . فأتيته فقلت : أجب أمير المؤمنين فتطهَّر ولبس ثيابا - أحسبه قال : جدداً - فأقبلت به ، فاستأذنت له ، فقال : أدخله ، قتلنى الله إن لم أقتله ، فلما نظر إليه مقبلاً ، قام من مجلسه ، فتلقاه وقال : مرحبا بالنقى الساحة ، البرىء من الدغل والخيانة ، أخى وابن عمى ، فأقعَده معه على سريره ، وأقبل عليه بوجهه ، وسأله عن حاله ، ثم قال : سلنى عن حاجتك ، فقال : أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به ، قال : أفعل - ثم قال : ياجارية ائتنى بالتحفة ، فأتته بُمدْهُن زجاج فيه غالية ، فغلفه بيده وانصرف ، فاتبعته ، فقلت : يا ابن رسول الله ، أتيتُ بك ولا أشك أنه قاتلك ، فكان منه ما رأيت . وقد رأيتك تحرك شفتيك بشىء عند الدخول فما هو ؟

قال : قلت : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام ، واكفنى بركنك الذى لا يرام واحفظنى بقدرتك علىّ ، ولا تهلكنى . وأنت رجائى . رب كم من نعمة أنعمت بها علىّ قلَّ لك عندها شكرى ، وكم من بلية إبتليتنى بها قلَّ لها عندك صبرى ؟!

فيامن قلّ عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ، ويامن قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على المعاصى فلم يفضحنى ، ويا ذا النعم التى لا تحصى أبداً ، ويا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبداً ، أعنى على دينى بدنيا ، وعلى آخرتى بتقوى ، واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى إلى نفسى فيما خطرت .

يامن لا تضره الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة ، اغفر لى ما لا يضرك ، وأعطنى ما لا ينقصك ، يا وهّاب أسألك فرجا قريباً وصبراً جميلاً ، والعافية من جميع البلايا ، وشكر العافية .

أخذ عن جعفر الصادق ، وتتلمذ له عدة من التابعين ، منهم :

يحيى بن سعيد الأنصارى وأبو السختيانى ، أبان بن تغلب وأبو عمرو بن العلاء ، ويزيد بن عبدالله بن الهاد .

وحدَّث عنه من الأئمة الأعلام : مالك بن أنس وشعبه بن الحجاج ، وسفيان الثورى ، وابن جريج .... وغيرهم قال عنه الإمام مالك : « اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلٍ ، وإما صائم وإما يقرأ القرآن . وما رأيته يحدِّث إلا على طهارة » .

ومن دعائه :

« اللهم أعزنى بطاعتك ، ولا تحزنى بمعصيتك ، اللهم ارزقنى مواساة من قترت عليه رزقه بما وسعت علىّ من فضلك » .

وفاته :

كانت وفاته - رحمه الله - سنة مائة وثمان وأربعين وله من العمر ثمانية وتسعون عاما .

عالمية الإسلام

مدخلنا لإعلام دولى إسلامى

للأستاذ
حسن على الحنبسى

تهتم القوى المعادية للإسلام بالإعلام اهتماما كبيراً ، وراءه هدفه المخطط له بدقة يتبعها مراحل تنفيذ ادق واحكم لصرف المسلمين عن اهداف دينهم ، وسلوكه ، وتقاليده ، وممارسته عموما .

ولا نشك ـ حين نلقى نظرة على مجتمعاتنا الإسلامية فى اى مكان ـ لا نشك ان القوم نجحوا فيما يريدون ويدبرون ـ حتى الآن ، فبين ايديهم ارقى ما انتجه التقدم العلمى فى مجال الإعلام ، إلى المال الوفير ، فالجنس الساخن بلا ضوابط ولا تقاليد .. إعلام محفوف بالشهوات يتساقط عليه الناس دونما رادع صارف عن هوى الممارسة وحب التقليد ، ونبذ قيمنا الغالية .

شىء من وسائل العمل ضد الإسلام :

سيطر الغرب المعادى على وسائل الإعلام الدولى بمختلف إمكاناته ، فتيسر له بث أفكاره ، والدعاية غير المباشرة لأهدافه بين صفوف المسلمين ، كذلك تحكم فى مصادر الأنباء وتوزيعها ، فاستمد منه الإعلام فى البلاد الإسلامية أكثر وأهم أخباره .

وفى مجال (الراديو) وطن للإذاعات التبشيرية أن تبث نحو (٩٠٠) تسعمائة ساعة اسبوعياً عبر إذاعاتها المختلفة ، وبأكثر من (٨٠) ثمانين لغة ، وبكافة اللهجات المحلية والعالمية ، ولم تنس ـ فى مخططها ـ مختلف الأسنان من طفولة ، أو مراهقة ، أو رشد ، أو

كهولة .. حتى بلغ ما يرصد للبرامج المتخصصة عشرة ملايين دولار اسبوعياً[1] .

عالم الإعلام الدولى الجديد :

إن العالم الإسلامى يملك الكثير من الوسائل والأموال والخبرات ، فلماذا اصبحت طاقاته مبددة ، وإمكاناته ضائعة ..

والأمر لايحتاج لأكثر من حزم ليعادل التقارب الرهيب الذى ربط بين قارات العالم ، لتصير فى عالم الإعلام الدولى شيئا ليس أكثر من قرية تشاهد أخبارها وأعمالها بالصوت والصورة .

هذا المجتمع الجديد فى « عالم الاتصال الدولى » لم يكن عادلاً فى حيازة وسائل الإعلام ؛ فقد أصبح هناك من يملك ، ومن لا يملك .

واصبح من لا يملك هو المجتمع المسلم !! ولم يكن عصرنا الحالى عادلاً فى حركة تدفق الأنباء والمعلومات ، ذلك لأن من يملك الوسيلة يملك الهدف وله الحق فى المحتوى الذى تحمله الوسيلة وكما يريد ...

واصبحت الأنباء فى كل وسائل الإعلام العالمية هى أنباء الغرب ، واصبحت الحياة هى الحياة الغربية ، تطغى على محتوى وسائل الإعلام ، وينتقل هذا بدوره إلى إعلام المجتمع الإسلامى فيصبح .. دون - أن يدرى ، أو يدرى - صورة مكررة لإعلام غير إسلامى ..

وأصبحت أنباء المسلمين فى ذيل الأنباء إن ذكروا شيئاً عن المسلمين ..

المحصلة :

إن الله - تعالى - لا يحب للمسلمين ذلة ؛ بل هو القائل - سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨ - المنافقون .

إنما الذليل من استهواه الغرب وركن إليه واحب خطاه ، ثم تواكل فلم يقدم - للمسلمين فى كل مكان ، ومن بين الوسائل التى يمتلكونها - إعلاما إسلاميا حصيفا تبهر مناهجه وأهدافه الناس أجمعين .

ثم إن احتكار الدول الغربية الكبرى للإعلام الدولى ، أمر يثير القلق على مستقبل أهل هذا الدين ؛ ذلك ، لأنه على الرغم من أرباح الإعلام الغربى العظمى من أموال المسلمين - لا يُغْنِى - إطلاقا - برد الفرية والكذب عنهم ، وإعلامه - فى هذا الجانب - هزيل لا يفند دعاية ، ولا يدحض كذبة ، ولا يصنع شيئا يلفت النظر إلى الإسلام .

والعكس هو الصحيح :

فهاهى قضية سلمان رشدى أصر الغرب على تقديمها للناس على أنها معارضة لمشاعر (كثير من المسلمين) واصر الإعلام الغربى على هذا المنطق فأوحى بذلك أن كثيرا من المسلمين أيضا لايخدش مشاعرهم فى شىء ، بينما كان يثير غضب المسلمين أجمعين .

ثم أعلنت رئيسة وزراء انجلترا - فى هذه القضية - أن قانون بلادها يحمى الديانة النصرانية فقط .

(١) انظر : عبد الباسط عز الدين - اهمية الإعلام الإسلامى . جريدة أخبار العالم الإسلامى عدد ٦ من شعبان ١٤٠٩/١٢/٥/١٩٨٩ .

عالمية الإسلام

وعملت أبواقها فى الفت فى عضد المقيمين من المسلمين ببلادها ، كذلك عمد الإعلام الغربى على احتضان كل ذى اتجاه مضاد للسلوك الإسلامى من أبناء المسلمين يقدمهم فى حلقاته فى صورة الأعلام النابغين الذين سبقوا زمانهم .. الخ .

وأسوأ من ذلك كله تغطيته على أنباء المسلمين ، وما يحدث لهم فى بلغاريا .. وألبانيا .. ويوغوسلافيا .. وغيرها ، ومن قبل سكت عن المذابح الرهيبة التى راح ضحيتها المسلمون فى قبرص ، واليوم يصمت تماما عن مذابحهم فى الهند .

ولعلك تجد عذرا لهذا الإعلام الذى يتقدم إليك فى إطار أهدافه ، ومنها غبن الإسلام والمسلمين .

فأما إذا كان المسلمون يملكون - وهم يستطيعون - العمل بطاقة الإعلام الغربى ، وبإخلاص القيم الإسلامية لما كان هناك غطاء على أحوال المسلمين .. كيف .. ؟

والإسلام فى صلاته .. وحجه وعبادته يقيم التكافل بين المسلمين ويوجبه ، وأين منا الحديث الشريف ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » .

رواه البخارى - باب الأدب

عالمية الإسلام تقتضى عالمية إعلانه

جاء الإسلام للناس أجمعين ، ونصت - على ذلك - آية ليس إلى زحزحة العالمية عنها من سبيل ، وذلك قوله - تعالى .. على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم :

﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ ١٩ - الأنعام

وروى أبو نعيم :

«من بلغه القرآن فكأنما شافهته .»

وليس من شك أن وسيلة التبليغ عن هذا الدين ينبغى أن تكون عالمية بدورها ، وإلا كنا مقصرين ، إن عالمية هذا الدين تحتم علينا أن نقيم إعلاما دوليا ، وأن نستفيد من وسائل الاتصال الدولية لنبلغ الرسالة ، ولنذود عنها كيد الصليبية والصهيونية وما خلفهما من عداوة شرسة .

إن عالمية الإسلام ، تحتم علينا أن نبنى نظاما إعلاميا إسلامياً دولياً قويا نظيفا بعيداً عن الخلافات السياسية والمذهبية والعرقية التى أفسدت وأضرت وكانت معول هدم لأهل هذا الدين على مر التاريخ ..

واجبنا فى البداية :

أن نتجاوز الخلط فى المفهوم ، فإنه ينبغى أن يُحدد - بدقة - المراد من معنيين : أ - الإعلام الإسلامى . ب - والإعلام الدينى .

وحتى تتضح لنا معالم الطريق يجب أن ننظر إلى (وظائف الإعلام) قبل أن نطرح عليه (وصف) الإسلام ، أو الدين .

إن على الإعلام عامة أن يقدم : الخبر ، والثقافة ، والترفيه ومراقبة البيئة .. الخ .

وليس من شك أن واجب الإعلام الإسلامى أن يؤدى - داخل إطار أخلاقيات الإسلام والتزامه وأهدافه - كل وظائف الإعلام حتى الترفيه البرىء الذى لا يخدش حياء ، ولا يثير

غريزة ، ولا ينمى انحرافا ، ولايدفع إلى جريمة ... الخ .

بينما « الإعلام الديني » - باختصار - مختص بـ « المادة الدينية » ، والمادة الدينية قد تكون إسلامية ، أو لا تكون ، فهو إعلام يقدم عقيدة ما ، ومن الإجحاف أن نحمل « الإعلام الديني » في إطار الإسلام كل وظائف الإعلام الإسلامي .

ونحن إذا ارتضينا وجهة النظر هذه أمل أن تفسح أمامنا الطريق لتنظيم أدق ، وعمل أوفى .

ومن هنا نجد أن « محاضرة في حديث شريف » إعلام ديني بحت ، وهو إسلامي باعتبار مادته . بينما إذاعة (خبر) عن حدث سيق بصدق غير مغلف بتوجيه لإحداث أمر في توجيه الناس ، مع الأمانة التامة في النقل والشمول - هذا الخبر بتلك الكيفية إعلام إسلامي ، وليس إعلاما دينيا ، لأنه لم يشتمل على مادة دينية ، لذا نرى :

أن الإعلام الإسلامي أشمل من الإعلام الديني من جهة ارتباط كل بالإسلام ، ويكون الإعلام الديني أشمل حال النظر إلى شموله للعقائد جميعا .

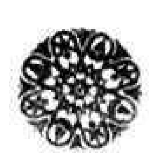
وهذا يعني أننا ينبغي أن نفرق بين (الكيف) و (المادة) :

فحيث توفر في الإعلام الصفات الإسلامية المطلوبة ، والتي يجمعها قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام - ١٥٢ وتعني العدالة ماقدمنا من شمول العدل ومايقتضيه من صدق وموضوعية وحيدة - إذا توفر ذلك فالإعلام إسلامي ، ولو لم تكن المادة - أو (المحتوى) - دينيا .

وإذا كان المحتوى مادة دينية فالإعلام ديني .

فإذا كان المحتوى مادة دينية إسلامية فالإعلام ديني إسلامي .

وإليك هذا الشكل التوضيحي .. وإلى العدد القادم .



الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

يسأل محمود عبد الغنى من (سوهاج) عن حكم : من قدر على الحج فلم يحج .

جـ : عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا ، أو نصرانيا ، وذلك أن الله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ .

(رواه الترمذى والبيهقى)

وعن أبى أمامة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : « من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو مرض حابس ، أو سلطان جائر ، ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » .

(رواه البيهقى)

وعن حذيفة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : « الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم . وحج البيت سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهى عن المنكر سهم ، والجهاد فى سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » .

(رواه البزار)

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « يقول الله عز وجل : إن عبدا صححت له جسمه ووسعت عليه فى المعيشة ، تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلىّ لمحروم » .

(رواه ابن حبان والبيهقى)

الحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر

وتسأل امتثال عبد الرحمن من (المحلة) عما إذا كان الحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر أم لا ؟

جـ : ظاهر الآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ أن الحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر ، وهو رأى الجمهور إذ ليس فى الآية ما يوجب التكرار وقد أكد النبى - ﷺ - ذلك بقوله فى الحديث الذى رواه أبو هريرة قال : « خطبنا رسول الله - ﷺ - فقال : أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا .. فقال رجل : كل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ : لو قلت : نعم ، لوجبت ولما

استطعتم ثم قال : ذَرُونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم فإذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » . (اخرجه البخارى ومسلم)

ورسول الله ـ ﷺ ـ لم يحج بعد فرض الحج إلا مرة واحدة ، وهى حجة الوداع . ولخبر مسلم « احجنا هذا لعامنا أم للأبد ؟ قال : للأبد » .

شروط صحة الحج والعمرة

ويسال عبد التواب طه من « ابى صير » بمحافظة الجيزة عما إذا كانت هناك شروط تشترط لصحة الحج والعمرة ؟

جـ : يشترط لصحة الحج والعمرة : الإسلام ؛ فلا يصح من كافر أصلى ، أو مرتد ، لعدم أهليته للعبادة ، ويصح للولى أن يحرم عن الصغير ولو مميزا ، وعن المجنون قياسا على الصغير ، لخبر مسلم ، عن ابن عباس :

« أن النبى ـ ﷺ ـ لقى ركبا بالروحاء ، ففزعت امراة ، فاخذت بعضد صبى صغير ، فاخرجته من محفتها فقالت : يارسول الله ، هل لهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجر » .

ويشترط إلى جانب الإسلام التمييز : ولو من صغير أو رقيق كما فى سائر العبادات . وللمميز أن يحرم بإذن وليه من أب وغيره .

ويشترط لوقوعه عن فرض الإسلام مع ما تقدم : البلوغ والحرية ، ولو غير مستطيع ، فيجزىء ذلك من فقير تحقق فيه البلوغ والحرية ولا يجزىء من صغير ورقيق إن كملا بعده .

لحديث رسول الله ـ ﷺ ـ « أيما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة أخرى ، وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة أخرى » . رواه الطبرانى بسند صحيح .

حج الزوجة

تسال السيدة (م . م) من (المنزلة ـ دقهلية) عن حكم الإسلام فى منع الزوج زوجته من اداء فريضة الحج .

وهل يجوز للزوجة اداء الفريضة دون موافقة الزوج مع رفقة مامونة ؟

جـ : إذا ملكت الزوجة مايكفيها لأداء فريضة الحج فائضا عن كل حاجاتها والتزاماتها وجب عليها الحج ، ومادام واجبا لا يجب أن تستأذن الزوج ، وإن كان مستحبا ، كما لا يجب أن يكون معها محرم ، بل تكفى الرفقة المأمونة ، ويحرم على الزوج أن يمنعها من ذلك ، كما يحرم عليه منعها من الصلاة والصوم والزكاة .

أما إذا ما كان معها من المال لا يكفيها فلا يجب عليها الحج لعدم الاستطاعة ، ولا يجب على الزوج ان يساعدها ؛ لأن حجها ليس من النفقات الواجبة عليه وبالتالى لا يجوز لها أن تحج بغير إذنه ، وله منعها من ذلك .

هذا فى الحج الواجب أما المندوب فلابد من إذن الزوج ، وله منعها ، ولو حجت بدون إذنه صح حجها واثمت .

الفتـــاوى

الحج عن الغير

ويسال عبد اللطيف عبد رب النبى من (اسوان) عما إذا كان يمكنه ان يحج عن ابيه المقعد ؟ وكذلك يسال عبد الرحمن على من (الواحات) عن جواز حجه عن والدته المتوفاة ؟

جـ : الحج عن الغير يكون إما فى (ميت)، وإما فى (حى) عاجز عن مباشرة النسك بنفسه .

أما الميت : وهو الذى مات وعليه حجة الإسلام ، أو حجة كان قد نذرها ، فيجب الإحجاج عنه من تركته ، اوصى به أم لا ، لما روى ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : « اتى النبى - ﷺ - رجل فقال : إن ابى مات وعليه حجة الإسلام ، افاحج عنه ؟ قال : ارايت لو ان اباك ترك دينا عليه ، اقضيته عنه ؟ قال : نعم ، قال : فاحجج عن ابيك » .

رواه الدارقـطنى والنسائى وابن ماجه والشافعى .

ويشترط للإنابة عن الميت :

(ا) أن لا يكون الميت قد ارتد قبل موته .
(ب) أن يكون الحج والعمرة واجبين عليه ولو بالنذر .

وأما الحى : وهو الذى قدر على الحج ماليا وعجز عنه صحيا ، بسبب مرض مزمن لا يرجى البرء منه ، أو بسبب شيخوخة ، فيلزمه إحجاج غيره ، لأنه أيس من الحج بنفسه ، لما روى عن عبد الله بن عباس : « أن امراة من (خثعم) قالت : يارسول الله ، إن أبى أدركته فريضة الله فى الحج شيخا كبيرا ، لا يستطيع أن يستوى على ظهر بعيره . قال : فحجى عنه »، رواه البخارى ومسلم .

وإذا عوفى العاجز عن الحج واستطاع الحج عن نفسه بعد أن حج عنه غيره ، يجب عليه أن يحج بنفسه ، ولا يجزه حج غيره عنه .

ويشترط للإنابة عن الحى :

(ا) أن لا يستطيع الثبوت على المركوب .
(ب) أن يكون قد أيس من القدرة على ذلك .
(جـ) أن يكون بينه وبين مكة مرحلتان فاكثر (٨١ كم) .

(د) أن يكون ذلك بإذنه ؛ لأن الحج مفتقر إلى النية . وهو اهل للإذن .

وتجب النيابة بأحد أمرين :

١ - بأجرة فاضلة عن دينه ، وعن مسكنه اللائق به ، ولا يشترط كونها فاضلة عن مؤونة نفسه وعياله .

٢ - بوجود متبرع بحج ويشترط فيه :
(ا) ان يكون غير عاجز .
(ب) ان يكون موثوقا به .
(جـ) أن يكون ممن تصح عنه حجة الإسلام .
(د) أن يكون قد حج عن نفسه ، وأدى فريضة الإسلام ، لما رواه عبد الله بن عباس : « أن رسول الله - ﷺ - سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة ، فقال : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا . قال : فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » . (رواه ابو داود وابن ماجه)



الشيخ الحسينى شحاتة

علم من اعلام الأزهر المعاصرين ، ودرة من رجاله النابهين ، اسهم فى الحركة العلمية بجهود عظيمة ، وخرَّج اجيالاً عديدة على مدى سنوات طويلة تلك الأجيال التى (خرجها الأزهر) ، وحملت مشاعل الإسلام إلى القاصى والدانى .

ذلك العالم الجليل هو فضيلة الشيخ محمد محمد مصطفى شحاتة وشهرته « الشيخ الحسينى شحاتة » ، الذى اشتهر بالعلم الوفير والعمل الدعوب والنشاط الملموس والحيوية المتدفقة .

تشهد له بذلك مؤلفاته الفقهية التى استفاد منها ابناؤه ، وتأثر بها محبوه وعارفو فضله .

مولده ونشأته

ولد الشيخ الحسينى فى قرية بصعيد مصر تسمى (تانوف) مركز (دير مواس) محافظة المنيا فى الثامن من شهر مارس سنة سبع وتسعمائة وألف من الميلاد .

ثم حفظ القرآن الكريم فى صباه بقريته فى

بقلم الدكتور
محمود عبد المتجلى خليفة

كُتّابها على عادة القرى المصرية التى تنتشر فيها الكتاتيب ، وكل راغب فى الخير يلحق ابناءه بها ليجيدوا حفظ القرآن الكريم ويتقنوا تلاوته ، حتى يكون ركيزة أساسية فى حياتهم التعليمية فيما بعد يقوم السنتهم ويجعلهم يتذوقون حلاوة اللغة العربية ويحسون روعتها وينشأون على حبها منذ نعومة أظفارهم .

تعليمه الابتدائى والثانوى والعالى

بعد أن أتقن حفظ القرآن الكريم وبلغ الثانية عشرة من عمره التحق بالمعهد الابتدائى (الاعدادى حالياً) الذى انشأه آل قرشى فى مطلع القرن العشرين بمدينة ديروط محافظة أسيوط حتى حصل منه على الشهادة الابتدائية سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف .

وبعد أن أتم دراسته فيه التحق بالمعهد الثانوى بمدينة أسيوط حيث حصل على الشهادة

(•) الكاتب عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

الشيخ الحسينى شحاتة

الثانوية بتفوق سنة ثمان وعشرين وتسعمائة والف .

ثم التحق بعد ذلك بالقسم العالى بالأزهر الشريف حيث لم تكن الكليات الأزهرية موجودة فى ذلك الوقت ، وإنما أنشئت سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة والف .

مما جعل شيخنا يدرك جزءاً من تعليمه فيها بعد إنشائها إذ تخرج حاصلاً على الشهادة العالمية سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف منسوباً تخرجه إلى كلية الشريعة .

وكان نظام التعليم العالى قبل إنشاء الكليات الثلاث (الشريعة وأصول الدين واللغة العربية) تابعاً للجامع الأزهر يتلقى فيه الطلاب دروسهم داخل الجامع الأزهر بدون تخصص ، فالطالب يدرس فيه سائر العلوم الدينية والعربية من تفسير وحديث وفقه وأصوله وتوحيد ونحو وصرف وبلاغة وأدب وغيرها من العلوم الأخرى .

ولما أنشئت الكليات كان طلاب القسم العالى مخيرين بين البقاء على نظامهم فى التحصيل أو التحول إلى إحدى الكليات التى يرغبونها .

ففضل شيخنا تكملة تعليمه فى كلية الشريعة ..

ثم حصل بعد ذلك على شهادة العالمية من درجة أستاذ « الدكتوراه » فى الفقه الإسلامى « النكاح وما يتعلق به » ، وذلك فى عام اثنين وستين وتسعمائة وألف .

التدرج الوظيفى

عين الشيخ مدرساً بمعهد الزقازيق الدينى بعد تخرجه ..

وبعد حصوله على الدكتوراه من كلية الشريعة عين مدرساً فيها ـ سنة اثنتين وستين .
ثم أستاذاً مساعداً سنة أربع وستين .
ثم أستاذاً سنة ست وستين .

ثم عين رئيساً لقسم الفقه الإسلامى بكلية الشريعة والقانون سنة سبع وستين ، ثم عين عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية سنة تسع وستين وتسعمائة الف ..

كما اختير عضواً بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا سنة إحدى وسبعين ..
كما عين عضواً بلجنة الفتوى بالأزهر سنة اثنتين وسبعين ، وكان تمكنه من الفقه ذا أثر فيما يصدره من فتاوى .

وفى السابع من مارس سنة الف وتسعمائة واثنتين وسبعين أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية .

ولكن نشاطه لم يتوقف عند هذه السن كما لم يتوقف شغله لمناصب عدة ، ففى نفس هذا العام عين أستاذاً متفرغاً بكلية الشريعة والقانون .

أما اختياره عضواً بمجمع البحوث الإسلامية فكان ذلك سنة أربع وسبعين بقرار جمهورى صدر بتعيينه فى هذا المنصب ضمن بقية الأعضاء من الزملاء الأفاضل ، فكان ممن حظى بشرف عضوية مجمع البحوث الإسلامية الذى أنشىء عام واحد وستين وتسعمائة والف بمقتضى قانون تطوير الأزهر رقم ثلاثة ومائة لعام واحد وستين .

وحل هذا المجمع محل هيئة جماعة كبار العلماء بالأزهر التى كانت قائمة بمقتضى قوانين سابقة ، وكانت تعتبر أكبر هيئة علمية يرجع إليها فى كل مايجد من أحداث .

وفى عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف عين مشرفاً عاماً لشئون الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر .

وهذه الجهة هى التى تتولى الإشراف على الدراسة والامتحانات فى العلوم الدينية والعربية لطلاب الكليات العملية فى جامعة الأزهر ، وهى كليات الطب والصيدلة والعلوم والزراعة والتجارة وغيرها ، لتزود طلاب هذه الكليات بمقدار طيب من الثقافة الدينية حتى يستفيدوا به فى حياتهم بعد تخرجهم ويفهموا الكثير عن دينهم لأنهم منسوبون للأزهر .

كما عين عضواً بلجنة البحوث الفقهية سنة خمس وسبعين .

ثم عين عضواً بلجنة تقنين الشريعة الإسلامية بمجلس الشعب سنة ستة وسبعين .

وعين عضواً بمركز الدراسات الإسلامية بجزر المالديف سنة ثمانين .

ثم عين عضواً بالمجلس الأعلى للأزهر سنة إحدى وثمانين .

ثم عين عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة اثنتين وثمانين .

وأخيراً عين عضواً بالمعهد العالمى للفكر الإسلامى بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف من ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ .

إنتاجه العلمى

من آثار علمه الغزير تلك الكتب التى تدل على طول باعه فى الفقه الإسلامى وتمكنه منه وهاهى تلك الكتب :

١ ـ الموجز فى فقه العبادات .
٢ ـ أحكام العقود فى الشريعة الإسلامية .
٣ ـ فى ظلال الشريعة الإسلامية .
٤ ـ المواريث .
٥ ـ الأحوال الشخصية فى الزواج والطلاق .
٦ ـ أحكام الجهاد .
٧ ـ العلاقات الدولية فى الفقه الإسلامى .
٨ ـ الأحوال الشخصية فى حقوق الأولاد والنفقة .
٩ ـ الأزهر فى ألف عام .
١٠ ـ الأحوال الشخصية فى الولاية والوصية والوقف .

ويحسن أن أنقل بعض مقتطفات من مقدمة هذا الكتاب الأخير ؛ لأن فيها ما يشعر باستعداده للقاء رب كريم .

قال ـ رحمة الله عليه : نحمدك يامن تنزهت عن الفناء ، ونعترف بأنك حقيق بالثناء ، وأن الموت حق على جميع عبادك ، فأنت المتفرد بالبقاء ، ولقد تفضلت على الأسرة البشرية بنظام جليل وقانون دقيق هو قانون التوارث بين أفراد العائلة ، وأرشدتنا الحياة الاجتماعية إلى أن هذا النظام لازم لحفظ كيان الأسرة وضمان مجدها وتدعيم بنيانها ، ولا يستقيم هذا المجتمع الصغير إلا برياسة لها سلطان كامل على النفس والمال

الشيخ الحسينى شحاتة

يسميها الفقه الإسلامى بالولاية وما يتصل بها من تشريعات .

فإن العلوم الدينية هى التى نظمت جماعة الإنسان وكانت سبب سعادته ورقيه ، إذ ربطت الصلات بين العبد وربه ، وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين غيره .

من مظاهر التقدير

من مظاهر التقدير التى حظى بها الراحل الكريم أن منحه السيد رئيس الجمهورية السابق المرحوم محمد انور السادات وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

وذلك خلال الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر على ثلاثة وسبعين وتسعمائة والف .

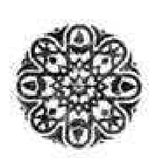
وخلال رحلة العمر الطويلة قام الأستاذ الفاضل بالإشراف والمناقشة لما يزيد على مائتى رسالة للماجستير والدكتوراه .

واخيراً وبعد حياة حافلة بالعلم وجهاد طويل فى سبيل نشره فى العالم الإسلامى .

طويت صفحة ذلك العالم الجليل من دار الغرور إلى دار الخلود وانطفأ المشعل الذى استضاءت بنوره أجيال ، وسقطت راية الجهاد من يده يوم الجمعة لحادى عشر من شهر شوال سنة إحدى عشرة واربعمائة والف من الهجرة النبوية المباركة الموافق السادس والعشرين من شهر ابريل سنة إحدى وتسعين وتسعمائة والف ميلادية بعد جهاد دام قرابة ستين عاماً .

وصلى عليه آلاف المسلمين فى الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة ثم نقل إلى مثواه الأخير بمدافن العائلة بالقاهرة .

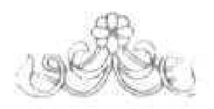
طيب الله ثراه ، وسقى جسده الطاهر شآبيب رحمته وتقبله بأحسن قبول وأحله الفردوس الأعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .



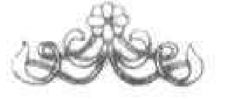
الشعر والشعراء

إشراف : رشاد محمد يوسف

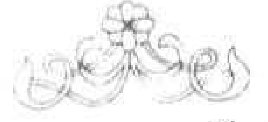
في الفخر



قطرات من الندم والاستغفار



مراقي السمو



ديوان الأفنون التغلبي

فى الفخر

من قصيدة طويلة

للشريف الرضى

لغير العلا منى القلى والتجنب ... ولولا العلا ما كنت فى الحب ارغب
إذا الله لم يعذرك فيما ترومه ... فما الناس إلا عاذل ومؤنب
ملكت بحلمى فرصة ما استرقها ... من الدهر مفتول الذراعين اغلب
فإن تك سنى ما تطاول باعها ... فلى من وراء المجد قلب مذرب
فحسبى انى فى الأعادى مبغض ... وانى إلى غر المعالى محبب
وللحلم اوقات ، وللجهل مثلها ... ولكن ايامى إلى الحلم اقرب
يصول علىّ الجاهلون ، واعتلى ... ويعجم فىّ القائلون ، واعرب
يرون احتمالى غصة ، ويزيدهم ... لواعج ضغن اننى لست اغضب
واعرض عن كاس النديم كانها ... وميض غمام غائر المزن خُلّبُ
ولا اعرف الفحشاء إلا بوصفها ... ولا انطق العوراء والقلب مغضب
تحلم عن كر القوارص شيمتى ... كان معيد الذم بالمدح مطنب
لسانى حصاة يقرع الجهل بالحجا ... إذا نال منى العاضة المتوثب
ولست براض أن تمس عزائمى ... فضالات ما يعطى الزمان ويسلب
غرائب آداب حبانى بحفظهما ... زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب

الشاعر : هو أشعر شعراء بنى هاشم ونقيب اشراف بغداد ، توفى سنة ٤٠٦ هـ ، وهو أستاذ الشاعر الكبير مهيار الديلمى الذى أسلم على يديه وتشيع بمذهبه وله شعر رقيق فى الغزل والمديح ، ومن عذب شعره الأبيات المشهورة :

ياظبية البان ترعى فى خمائله ... ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلا مدمعى الباكى

القصيدة : الأبيات من قصيدة يمدح بها أهل البيت إذ كان متشيعا شديد الغلو فى تشيعه ، والأبيات تعبر بوضوح عن أخلاقياته وطموحه إلى المعالى وحلمه وطول تحمله وكيف أن ذلك يجعله مبغضا فى الاعادى ومحببا إلى غر المعالى ، ويتحدث عن بعده عن الدنايا وإعراضه عن الكأس والنديم . وعدم معرفته الفحشاء إلا بوصفها فقط وليس بممارستها ، وهو كريم بطبعه وشيمته لايقابل تكرار الذم إلا بالحلم حتى أن مكرر ذمه ينقلب إلى مدحه ، وكذلك يعتز بأن فضالات الحياة ولذائذها لا تثنيه عن معالى الأمور ويقول : إن هذه الآداب علمه إياها الزمان وهو نعم المعلم والمؤدب .

قطرات من الندم والاستغفار

لأبي نواس

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لاشريك لك
ماخاب عبد أملك ... أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك
كل نبي وملك ... وكل من أهلَّ لك
وكل عبد سألك ... سبح ، أولبَّى فلك
لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك ... والسابحات في الفلك
على مجاري المنسلك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك
يا خاطئا ما أغفلك ... اعمل وبادر أجلك
واختم بخير عملك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك

الشاعر : هو أبو نواس الحسن بن هانىء من مشاهير الشعراء في الأدب العربي ، ولد في الأهواز بفارس سنة ١٤٥ هـ ، ثم انتقل به أبواه إلى البصرة ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ـ وكان حيثما حل ولوعا بحضور مجالس الأدب واللغة ومخالطة فصحاء العرب ، فكان يعي ويحفظ ما يسمع حتى صار من نوابغ الأدب والشعر ، كما أصاب جانبا من ثقافات عصره:إسلامية وعربية وأجنبية ، رحل إلى الشام ومصر ومدح الملوك والوزراء والولاة ، وفي عصره بدأ يزهر كل ما استنبت من غروس الحضارة بخيرها وشرها وجدها وهزلها بيقينها وشكها ، وكان أبو نواس بحكم نشأته ومزاجه وبنيته الدقيقة أميل إلى اللهو فتغنى في شعره بكل تيارات عصره ولاسيما تياراته اللاهية ، وتطرف في اللهو والخمر والمجون ، ولما كانت النفس الإنسانية لا تطيق الاستمرار في لذائذها المادية ، فإن شاعرنا كان يستشعر الندم على إفراطه في المجون فيعود إلى التوبة والاستقامة ولاسيما في شيخوخته ، فقد أكثر من النظم في الزهد وزجر النفس عن المعاصي والتوبة إلى الله،وله في ذلك عشرات القصائد ، ولعلنا لا نجد شاعرا صاغ تلبية الحجيج غير أبي نواس،ونحن نقتبس من هذه الأشعار قطرات من التوبة ودموع ندم وحبات استغفار وقربى إلى الله والله هو الغفور الرحيم .

مراقى السمو

للأستاذ
محمد عبد الرحمن صان الدين

رقق بذكرك يالطيف مشاعرى ... واجعل جلالك ماثلا فى خاطرى
بدد بنور سناك ظلمة طينتى ... الق السكينة فى فؤادى الهادر
لاكون من زيف الضلال محصنا ... لاتُزهَينُ رؤى الحياة لناظرى
إن الطريق إلى رحابك زاخر ... بحبائل منصوبة ومخاطر
ومواطىء الاقدام غشاها الركا ... م من الضباب فلا تبين لسائر
هى خطرة، هى لمحة، مابين ... منزلق ومنجى للضرير العابر

** **

اواه من ثقل التراب وقيده ... اواه من حكم الحياة القاهر
افكلما رمت النهوض إلى العلا ... وبسطت من صفوى جناحى طائر
الفيتنى برغاب نفسى موقرا ... يهوى تراب الأرض جل عناصرى

** **

ياخالقى مما أردت لحكمة ... ياعالما بحقيقتى وسرائرى
ماقوتى ماحيلتى وتهافت ... الصلصال يضرب فى كيانى الخائر
لكن بروح منك يانور الوجو ... د امد فى لجج الفتون معابرى
واشق فى وعر الحياة مسالكى ... واجوب آفاق الضياء الباهر
وبها اقيم النفس فى نهج الهدى ... واردها عن كل نهج جائر

** **

رباه إنى حائر متغرب ... ابغى النجاة من الفتون الغامر
وافر من عيش تكدر ورده ... يارب خذ بيد الغريب الحائر

ديوان أفنون التغلبي

جمع وتحقيق/الأستاذ
أيمن محمد ميدان

ترجمتـــه :

قال ابو عمرو فى إشعار تغلب .... :
صُرَيم بن مَعْشَر بن ذُهْل بن تَيْم بن عمرو ابن مالك بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلَب بن وائل[1] وافنون شاعر جاهلى يروى بضم الهمزة وفتحها [2] وقيل : لُقِّبَ بافنون لأنه ، كان يُشَبِّبُ بنساء قومه ، فقالت امراة منهن : لأسَمِّيَنَّ نفسى وابنتى اسما لا يُشَبِّبُ به صُرَيْم . قال : فسمت بنتا لها مَضْنُونَة ، فقال صُرَيْم عند ذلك ليريَها ان ذلك لا ينفعها :

منيتنــا الــود يــامضنــون مضنونا
زماننا إن للشبان أُفْنُونا

قال : فسمي افنونا بهذا البيت .. [3]
واضاف « ابوعمرو الشيباني » قائلاً :

افنـــون لَقَبٌ لُقِّبَ بـــه لقـــولـــه مـــن قطعة : [4] ... البيت .

واخطأ الآمدى فسماه « ظالم بن معشر وهو افنون التغلبى من شعراء بنى تغلب المشهورين ، وهو القائل :

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى
إذا هو لم يجعل له الله واقيا[5]

واخطأ ايضاً البحترى فى (حماسته) عندما اسماه « افنون بن صُرَيْم .... [6] وقال افنون عندما قتل عمرو بن كلثوم ، عَمرو بن هند :

لعمرك ماعمرو بن هند وقد دعا
لتخدم ليلى أمــه بمــوفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا
وأمسك من ندمانه بالمخنق [7]

ويروى أن كاهنا فى الجاهلية التقى بأفنون التغلبى فقال له : إنك تموت بِثَنِيَّةٍ يُقَالُ لها : إلاهة ، وأنه خرج مع ركب فَضَلّوا الطريق فى ليلهم ، وأصبحوا بمكان ، فسألوا عنه . فقالوا : هذه إلاهة ، فنزلوا ولم ينزل أفنون وخلّ ناقته ترعى .

---

(١) شرح ابيات مغنى "للبيب ٢٥٢/١ - ٢٥٤ .
(٢) السابق ٢٥٣/١ .
(٣) نقائض جرير والفرزدق ٨٨٦ .
(٤) شرح ابيات مغنى اللبيب ٢٥٣/١ .
(٥) المؤتلف والمختلف ١٥١ .
(٦) الحماسة للبحترى ١٦٣ .
(٧) نقائض جرير والفرزدق ٨٨٦ .

أفنون التغلبى

فعلقت مِشْفَرَها افعى ، فأمالت الناقة راسها نحو ساقه ، فاحتكت بها فنهشته الأفعى فرمى بنفسه ... ومات من ساعته » [1] .

فلننظر إليه وهو يعبر من خلال نغمات قيثارته الحزينة عن آخر لحظات عمره تعبيراً يفيض إحساساً بالالم فادحاً ، حاول التعالى عليه بالحكمة ، شأنه شأن العقلاء من بنى البشر . ولكن صوت الالم كان اعلى من ان يخففه تَسَلٍّ بالحكمة ، او تعلل بقدر !

فجاءت القصيدة ـ والبيت الأخير منها بصفة خاصة ـ صرخةَ غريب كُتِبَ عليه ان يلقى حتفه مسموماً ، بعيداً عن مضارب خيام اهله وعشيرته وتحققاً لنبوءة كاهن ظلت تطارد هواجِسُها مخيلتَه ردحا من الدهر .

فقال :

الا لَسْتُ فى شَئٍ فَروحا مُعَاوِيَا
ولا المُشْفِقَاتُ إذْ تَبِعْنَ الحَوازِيا

كَفَى حُزْنا انْ يَرْحَلَ الحَىُّ غُدْوَةً
وَأُترَكُ فى اعلى ألاِهَةَ ثَاوِيَا [2]

شِـعـره

(١)

قال افنون : ـ السريع ـ

يَاأيُّهَا المُزْمِعُ وَشْـكَ النَّوَى
لا يُثْنِكَ الحَازِى وَلا الشَّاحِجُ [1]

وَلا وعولٌ نَجَشَتْ كدَّسا
خَارِجُهَا مِنْ غَمْرَةٍ وَالِجُ [2]

كُـلٌّ لَهُ دَاعٍ إلى وَقْتِـهِ
لَيْسَ لنفسٍ عَنْ رَدَىً خَالِجُ [3]

فَاقْصِدْ لأقْصَى هِمَّةٍ تِضْوَهَا
قَدْ يُدْرِكُ المَشْبُوبَةَ الحَادِجُ [4]

(٢)

وقال افنون التغلبى : ـ الطويل ـ

لَعَمْرُكَ ماعَمْرو بْنُ هِنْدٍ وَقَدْ دَعَا
لِتَخْـدِمَ لَيْلَى أُمَّـهُ بِموفَّقِ [1]

---

(١) الشعر والشعراء ١/٤١٩ .

(٢) السابق ١/٤١٩ .

حماسة البحترى ص ١٦٢ .

(١) المزمع : المتأهب . النوى : البعد . يثنى : يصرف . الحازى : زاجر الطير . الشاحج : ألغراب الذى ينعق بصوت خشن غليظ .

(٢) الوعول : واحدها وعل ، ويقول ابن فارس : الوعل هو ذكر الأروى ، وهو الشاة الجبلية . نجشت : صرخت . كدس : واحدها كادس وهو الذى يجيء من الخلف . والعرب تتشاءم به ، ويسمى القعيد . غمرة : الجماعة من الظباء والوعول .

(٣) داعٍ : نادٍ . ردى : هلاك . خالج : منتزع .

(٤) اقصى : أبعد . همة : اول العزم وقد تطلق على العزم القوى . المشبوبة : النار المرئية عن بعد ، او الفرس الشديدة العدو . الحادج : الذى يمشى على هونٍ وضعف .

نقائض جرير والفرزدق ص ٨٨٦ .

قال افنون التغلبى ابياته عندما فتك عمرو بن كلثوم بعمرو ابن هند امير الحيرة فى عقر بيته .. فى حديث طويل . انظر النقائض ٨٨٤ ومابعدها .

(١) عمرو بن هند : امير الحيرة الذى قتله عمرو بن كلثوم فى عقر داره . وليلى ابنة مهلهل وأم عمرو بن كلثوم .. حيكت حول مولدها الأساطير انظر فى ذلك الأغانى ٩/١٨١ ـ ١٨٢ ، وثمار القلوب ١٢٩ ـ ١٣٠ .

ورد البيت برواية النقائض فى : الحيوان ٣/١٣٥ منسوبا لجابر بن حنى التغلبى ، وفى كل من : ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ ، والكامل لابن الأثير ١/٥٤٩ ، والأغانى ١١/٥٥ وجاء منسوبا فيها إلى افنون التغلبى .

وبرواية ثانية فى : الشعر والشعراء ١/٤١٩ منسوبا لأفنون :

ـــــــ إذا دعا   لتخدمَ امى أمّه بموفق

فقامَ ابْنُ كلْثومٍ إلى السَّيْفِ مُصْلَتا
فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالمُخَنَّقِ (٢)
وَجَلَّلَهُ عمرو على الرَّأسِ ضَرْبَةً
بِذِى شُطَبٍ صافى الْحَدِيدَةِ رَوْنَقِ (٣)

وقال افنون التغلبى: (٣) — البسيط —
مَنِّيَتِنا الودَّ يامَضْنُونُ مَضْنُونا
زَمانَنا إنَّ لِلشُّبَّانِ أُفْنُونَا

وقال افنون: (٤) — البسيط —
ابلغْ حُبَيِّبًا وَخَلِّلْ فى سَراتِهِمُ
أنَّ الفُؤادَ انْطَوَى مِنْهُمْ على حَزَنِ (١)

قَدْ كنتُ أسْبَقَ مَنْ جَارُوا على مَهَلٍ
مِنْ وُلْدِ آدمَ مَا لَمْ يَخْلَعُوا رَسَنِى (٢)

---

(٢) أصلت السيف : جرده من غمده . والندمان : رفيق الشراب . والمخنق : موضع حبل الخنق من العنق.

ورد البيت برواية النقائض فى : الأغانى ١١/٥٥ منسوباً لأفنون ، وبرواية ثانية فى الكامل لابن الأثير منسوباً لأفنون :

———— فأمسك من ندمانه بالمخنق

وبرواية ثالثة فى الحيوان ٣/١٣٥ لجابر بن حنى

———— مُغضباً ————

(٣) شُطَبُ السيف : طرائقه فى متنه من شدة بريقه ، والواحدة شطبة . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه .

ورد البيت برواية النقائض فى الأغانى ١١/٥٥ . وبرواية ثانية فى الحيوان ٣/١٣٥ .

وعممه عَمْداً ———— مُخْفِقُ

والمخفق من السيوف العريض .

وبرواية ثالثة فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ منسوباً لرجل يرثى حنيا التغلبى :

فَعَمَّمَهُ ———— مُخْفِقُ

وعممه : ضربه بالسيف فى موضع العمامة من الرأس .

مناسبته : يروى أن أفنون « كان يشبب بنساء قومه ، فقالت امراة منهن الأسمين نفسى وابنتى اسماً لا يشبب به صُرَيْم . قال : فسمت بنتا لها « مضنونة » ، فقال صُرَيْم عند ذلك ليريها أن ذلك لا ينفعها ... البيت » . النقائض ٨٨٧ .

ويروى عن أبى عمرو الشيبانى : « أن أفنون لقب به لقوله من قطعة .. البيت » . فى شرح أبيات مغنى اللبيب ١/٢٥٣ . ومن هاتين الروايتين يتأكد لدينا أن شعراً كثيراً لأفنون ضاع ولم يصلنا ، فلم يرد فى شعره الذى جمعناه شيء يؤكد ولعه بمغازلة النساء . ولم نعثر على أبيات أخرى تنتمى لقصيدة البيت التى أشار إليها أبوعمرو الشيبانى .

تخريج البيت : ورد البيت بروايته السابقة فى : الاشتقاق ص ٢٠٣ منسوباً لأفنون والجمهرة ١/١١٨ منسوباً أيضاً له ، وفى الشعر والشعراء ١/٤١٩ ، وفى شرح المفضليات للأنبارى ٥٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٠ ، ونقائض جرير والفرزدق ٨٨٦ ، وفى شرح أبيات مغنى اللبيب ١/٢٥٣ ، وفى « خزانة الأدب ٤/٤٦٠ » .

(١) حبيب : بالتصغير : قبيلة أفنون وهو حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . خلل : أى اجعل بلاغك يتخللهم ، وينتشر بينهم . سراتهم : الواحد سَرِىّ ، وهم خيارهم وصدورهم . « يريد : عرفهم أن القلب انطوى من أجلهم على ضغن وحُزْن » التبريزى شرحه للمفضليات . وفى الخزانة ٤/٤٥٦ « يريد : أنه قد تألم منهم لما طلب منهم أباعر فتخيبوا أمله منهم ، ولم يتحملوا عنه ديات من قتلهم » .

ورد البيت السابق فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرح المفضليات للأنبارى ٥٢٤ والنوادر لأبى زيد ١٢٠ ، وخزانة الأدب ٤/٤٥٦ .

وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ٦٢٣ .

ابلغْ حُبَيًّا ———— ————

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

بَلِّغْ حُبَيًّا ———— ————

وبرواية رابعة فى اللسان (خلل)

ابلغْ كُلابا ———— ————

كلاب : قبيلة عربية عريقة : انظر جمهرة أنساب العرب

وبرواية خامسة فى شعراء النصرانية ١/١٩٣

بَلِّغ حُبَيِّبًا ———— ————

(٢) ولد آدم : أى من الناس كلهم . مالم يخلعوا رسنى : أى ماكنت فى حبالهم ؛ أى كنت أسبق من فاخرهم وفاخروه ، ومن طلب مغالبتهم مالم يهملونى ويتخلوا عنى . وجعل خلع الرسن مثلا كأنهم تبرءوا منه لكثرة جرائره .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٣ ، وخزانة الأدب ٤/٤٥٥ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٣ .

أفنــــون التغلـــبى

فَـالُـوا عَـلَـىَّ ولَمْ امْلِـكْ فَيـالَتَهُمْ
حتى انْتَحَيْتُ على الأَرْسَاغِ والثُّنَنِ(٣)

لوْ اننى كنت من عادٍ ومن إرَمٍ
رُبِّيتُ فيهم ولقمانٍ ومن جَدَنِ(٤)

---

(٣) فالوا على : أخطأوا علىّ في رأيهم . انتحيت : اعتمدت . الأرساغ : جميع رُسغ . الثنن : جمع ثنه ، بضم الثاء وتشديد النون وهى الشعر فى مآخير الحوافر . فيالتهم : قولتهم المسرفة . يعلق التبريزى على البيت قائلاً : « أخذوا يظنون بى الظن السيىء ويتحيفون علىّ فيما كانوا يعتقدون فىّ حتى تجاوزوا كلّ حدّ وطرحو كل اطراح ، فحظى منهم الأخسّ ، ومكانى الأبعد » . ويضيف البغدادى فى خزانته « .. ضربهما مثلاً لأسافل الناس . يريد أنهم لما أخطأوا فى أمرى وأصروا قصدت أراذل الناس ... » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٤ ، وخزانة الأدب ٤٥٥/٤ ، وأشار إلى رواية « اللسان » ، « القُنَن » .

وورد برواية ثانية فى شعراء النصرانية ١٩٣/١ .

——— فِيَالَتَهُمْ ———

بكسر الفاء .

(٤) عاد : اسم رجل من العرب البائدة ، وبه سميت القبيلة قوم هود . ربيت : نشأت وكبرت بينهم . لقمان : صاحب النسور المشهور . جدن : من أقيال اليمن . ويعلق التبريزى فى شرحه للمفضليات على هذا البيت قائلاً : « ... لو لم أكن من العرب ، ولم يجمعنى وإياهم نسب ، بل كنت من الأمم الذين بادوا ، وكنت راعياً يعاهد البهم ، ويغتذى منها ، ويعيش معها ، فلا حشمة له ولا حرمة لما فدوا بأخيهم .. » .

ورد بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٥ ، وبرواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٦٢٤ .

——— رُبِيتُ ———

وأشار أيضاً إلى رواية ثالثة :

——— ومن إرم غَذِيَّ بَهْمٍ ———

غذى بهم : أى راعى مواشى .

وبرواية رابعة فى « مجالس العلماء للزجاجى » ٣٢

——— غَذِيَّ سَخْلٍ ولقماناً وذاجَدَنِ

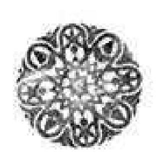
السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد والجمع سِخَال ، وتجمع أيضاً على « سَخْل » .

وبرواية خامسة فى « معجم البلدان » لياقوت ٧٥٣/٣ .

——— غُذِّيتُ بهم ——— وذى جدن

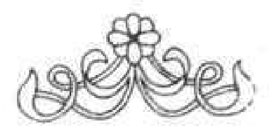
وبرواية سادسة فى « شعراء النصرانية » ١٦٢/١ .

——— ——— ومن لقمان أوجدن ———

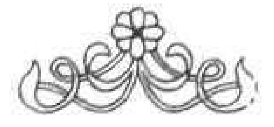


العلوم الكونية

علم الصوتيات



التأصيل الإسلامي لعلم الإنسان



الجديد في العلم والتقنية

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى



د. أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

علم الصوتيات من العلوم الكونية التى شهدت تطوراً هائلا فى العصر الحاضر، وتدين بنشأتها وإرساء أصولها المنهجية والمعرفية السليمة لعلماء المسلمين الأوائل فى عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة. ويعنى علم الصوتيات بدراسة الصوت والظواهر الصوتية بمختلف تطبيقاتها فى نواحٍ عديدة من حياة الإنسان تشمل مجالات الطب والهندسة والاتصالات والحاسبات والفضاء والموسيقى والبحث العلمى وغيرها.

وإن تأكيد الدور الإسلامى فى تأسيس تلك العلوم الحضارية بالبرهان القاطع والحجة الواضحة من شأنه أن يسهم فى تصحيح تاريخ العلم والحضارة بعد أن عبث به العابثون، وأن يعيد لشباب الأمة الإسلامية الثقة فى نفسه، وفى عقيدته، بعد أن حاولت قوى كثيرة طمس معالمها وإخماد جذوتها وإطفاء نورها. لقد أدى تجاهل مآثر أسلافنا فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية إلى فصل المسلمين المعاصرين عن ماضيهم العريق، وتعميتهم عن تراثهم الثمين، وتعميق الشعور لديهم بالنقص والعجز وعدم القدرة على استيعاب مقومات التقدم والرقى، فلا يكاد الدارس فى أى تخصص علمى، يجد أثراً لعالم مسلم، لأن غالبية الكتب التى يدرسها تزدان فقط بأسماء علماء الغرب القدامى والمحدثين، من أمثال أرسطو وأرشميدس وفيثاغورس ونيوتن وأينشتين وغيرهم، وتغفل ـ عن قصد أو جهل ـ عشرة قرون أو تزيد، حمل فيها المسلمون وحدهم لواء المعرفة فى كل مجال، وأرسوا قواعد النهضة العلمية المعاصرة.

علم الصوتيات فى التراث الإسلامى :

لم نعرف شيئا ذا قيمة علمية عن اهتمام اهل الحضارات القديمة بدراسة ظاهرة الصوت ، اللهم إلا فيما يتعلق ببعض انواع الغناء والعزف (الموسيقى) . ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نبدأ الحديث عن نظرية الصوت والظواهر الصوتية إلا من حيث بدأ علماء الحضارة الإسلامية فى تناولها بالبحث والتحليل على اسس منهجية سليمة . فقد اجمعوا من حيث المبدأ على أن هناك شيئين ضروريين لانبعاث الصوت وانتشاره . أما الشيء الأول فلا بد من وجود جسم يهتز لإحداث موجات الصوت التضاغطية ، على نحو ما نجد فى وتر العود أو الكمان ، أو فى الأوتار الصوتية عند الإنسان . وأما الشىء الثانى فلا بد من وجود وسط مادى ، كالهواء أو الماء ، تنتقل خلاله هذه الموجات الصوتية إلى أن تصل إلى الأذن ويحدث الإحساس بالسمع . فوتر العود ، مثلا ، لا نسمع له صوتا إذا اهتز فى الفراغ لأن التموجات الصوتية لا تجد الوسط الذى تنتقل خلاله إلينا . ونحن نعلم اليوم أن القمر ليس له غلاف هوائى مثل الأرض ، ولهذا فإن رواد الفضاء على سطحه يتبادلون الحديث بواسطة الراديو (اللاسلكى) ، حيث يمكن للضوء وموجات الراديو - وليس موجات الصوت - أن تنتقل خلال الفراغ . والتجربة البسيطة التى يجريها الطلاب فى المعمل للتأكد من صحة هذه الحقيقة العلمية يضعون فيها ناقوساً زجاجيا فوق ساعة « منبه » به جرس يدق ، ويستخدمون مضخة هوائية لتفريغ مايمكن إفراغه من هواء الناقوس ، ثم يسمحون بدخول الهواء تحت الناقوس مرة أخرى ، فيلاحظون أن صوت دقات الجرس يخفت رويدا رويداً أثناء تفريغ الناقوس من الهواء ، ثم يشتد الصوت عندما يدخل الهواء فى الناقوس .

كذلك أجمع علماء المسلمين على تفسير جيد لحدوث « الصدى » نتيجة لانعكاس الموجات الصوتية عندما يعترض مسارها عائق ، فتحدث فى ارتدادها رجعاً يشبه الصوت الأصلى .

ومن أوضح النصوص التى وردت فى تراثنا الإسلامى عن طبيعة الصوت والصدى ما ذكره بهمنيار بن المرزبان فى كتابه « تحصيل بهمنيار » ، حيث قال : « والصوت أمر يحدث من تموج الجسم السيال الرطب كالهواء والماء بين جسمين متصاكين متقاومين . وأما الصدى فإنه يحدث من تموج يوجبه هذا التموج ، فإن هذا التموج إذا قاومه شىء من الأشياء كجبل أو جدار حتى دفعه لزم أن ينضغط أيضا بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحائط أو الجبل وبين مايقرعه هواء آخر يرده ذلك ويصرفه إلى خلف بانضغاطه ، ويكون شكله شكل الأول وعلى هيئته ... ويجوز أن يكون لكل صوت صدى ولكن لا يسمع كما أن لكل ضوء عكساً .. والسبب فى ألا يسمع الصدى فى البيوت أن المسافة إذا كانت قريبة من المصدر وعاكس الصوت سمعا معاً فى زمان واحد أو قريب من واحد »[(١)] .

ويؤكد الجلدكى فى كتابه « أسرار الميزان » أن « التموج الذى يحدث الصوت ليس المراد منه حركة انتقالية من ماء أو هواء واحد بعينه ، بل

(١) د . احمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٨٩ .

علم الصوتيات

هو أمر يحدث بصدم بعد صدم ، وسكون بعد سكون ... والصدى يحدث عن انعكاس الهواء المتموج (بنفس شكله وهيئته) من مصادمة عال كجبل أو حائط ، ويجوز ألا يقع الشعور بالانعكاس لقرب المسافة فلا يحس بتفاوت زمانى الصوت وعكسه ... »[٢] .

ويستدل من هذا النص على أن الطاقة الصوتية ـ لا الوسط ـ هى التى تنتقل أثناء انتشار الصوت ، وهو ماسنعرض لشرحه بعد قليل فى ضوء التفسير الحديث لحركة الموجات التضاغطية .

وللصوت ، عند الفخر الرازى ، سببان أحدهما قريب والآخر بعيد . فالسبب القريب تموج الهواء ، وهو حالة شبيهة بتموج الماء تحدث بالتداول : من صدم بعد صدم مع سكون بعد سكون . وأما السبب البعيد فهو من وجهين : إمساس عنيف وهو القرع أو تفريق عنيف وهو القلع . « وإنما اعتبرنا العنيف (وحده) لأنك لو قرعت جسما لينا كالصوف بقرع لين جداً لم تحس صوتا ، ولو شققت شيئا (شقاً) يسيراً ، وكان الشىء المشقوق لا صلابة فيه ، لم يكن للقلع صوت . ثم إن تموج الهواء لازم من كلا السببين ، لأن القارع للهواء يحوج (الهواء) إلى أن ينقلب من المسافة التى يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف شديد . وكذلك القالع . ثم (إننا نجد) فى الأمرين جميعاً (أنه) يلزم للمتباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقعين هناك ، وإن كان القرعى أشد انبساطا من القلعى »[٣] .

إن تأمل هذه النصوص التراثية يدل دلالة واضحة على إحاطة علماء المسلمين بالحقائق الأساسية فى نظرية الصوت ، وخاصة مايتعلق بشروط إحداثه وطبيعة انتشاره وانعكاسه . بل إنهم فطنوا كذلك إلى تأثير الحركة الصوتية فى الهواء الذى « لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها ، فإذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروى واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجّاج (صانع الزجاج) فيها ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يسكن ويضمحل »[٤] . ولعل فى هذا القول مايؤكد سبق علماء المسلمين إلى تقرير ما أثبته العلم التجريبى حديثا من أن الموجات الصوتية المنتقلة فى الوسط المادى تفقد قدراً من طاقتها عند اصطدامها بالأجسام تبعا لنوعيتها وطبيعتها .

حركة الموجات التضاغطية :

أما عن كيفية انتقال موجات الصوت الطولية التضاغطية خلال الهواء (أو أى وسط مادى) فإننا نعلم الآن أن ذلك يتم عبر سلسلة من التضاغطات (تكاثفات) والتخلخلات التى

(٢) قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، سلسلة الألف كتاب ، مكتبة مصر بالفجالة (بدون تاريخ) ص ٣٨ .

(٣) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٢٤١ .

(٤) عن قدرى حافظ طوقان ، مرجع سابق . وقد وجدنا نفس النص منسوبا لإخوان الصفا فى مؤلف الدكتور عمر فروخ : إخوان الصفا ، درس ـ عرض ـ تحليل ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ، ص ٧٣ .

تحدث لوسط الانتقال ، أى أن الطاقة الصوتية ، لا الوسط ، هى التى تنتقل عن طريق اهتزاز جسيمات الوسط فى اتجاه انتشار التموجات . فعندما يهتز وتر العود ، مثلا ، فإن حركته إلى الأمام تعمل على ضغط الهواء الملاصق له وانطلاق موجة تضاغطية فى الهواء . وفى لحظة تالية يتحرك وتر العود إلى الخلف تاركا وراءه منطقة تخلخل ذات ضغط منخفض تتباعد فيه جزيئات الهواء عن بعضها . ويتكرار هذه العملية مرات كثيرة تتحرك مناطق التضاغط والتخلخل ذهابا وإيابا بنفس الطريقة التى يهتز بها وتر العود وينشأ مانسميه بموجات الصوت الطولية التضاغطية .

ومن الجدير بالذكر ان علماء المسلمين قد تعرضوا للحديث عن عملية التكاثف والتخلخل فيما يتعلق بإشكاليات المكان والمادة والخلاء ، فقال بعضهم بأن التخلخل هو تباعد الأجزاء تباعدا يترك مابينها خاليا ، والتكاثف رجوع من الأجزاء إلى ملء الخلاء المتخلخل . وذكر ابن سينا أن هناك نحواً آخر من التكاثف والتخلخل لا يكون سببه اجتماع الأجزاء المتفرقة ، بل سببه أن المادة نفسها تقبل حجما أصغر تارة وحجما أكبر تارة أخرى ، وكلاهما أمران عارضان للجسم[٥] . لكن ربط هذا الكلام بحركة التموجات الصوتية فى الهواء لم يكن وارداً فى تلك المرحلة المبكرة جداً من التناول العلمى لظاهرة الصوت ، وإن كان من المهم أن يعول عليه عند التأريخ لحركة الموجات التضاغطية فى العلم الطبيعى بوجه عام ، وذلك للوقوف على حقيقة الدور الهام الذى أسهم به أسلافنا فى تحديد وصياغة واستخدام المفاهيم والمصطلحات العلمية .

سرعة الصوت فى التراث الإسلامى :

يكتسب الحديث عن سرعة الصوت فى كتب التراث الإسلامى أهمية خاصة ، فى الإطار المنهجى لتقييم المعرفة العلمية تاريخيا . ومن يستعرض هذا الموضوع فى مختلف النصوص التراثية سوف يلاحظ أن البحث فى سرعة الصوت يأتى فى أغلب الأحيان مقارناً بسرعة الضوء ، فقد ذكر البيرونى ، على سبيل المثال ، أن سرعة النور أعظم كثيراً من سرعة الصوت[٦] وتحدث ابن سينا عن تأخر سماع صوت الرعد عن رؤية وميض البرق ، لكنه علَّل ذلك بأن البرق يرُى فى الآن (أى فى نفس لحظة حدوثه) بلا زمان ، وأما السمع فيحتاج فيه إلى تموج الهواء أو مايقوم مقامه من أجسام صلبة أو سائلة ، وذلك يحدث فى زمان .

فإذا اتفق أن قرع إنسان من بعد جسماً على جسم فإنك ترى القرع قبل أن تسمع الصوت ، لأن الإبصار ، فيما يرى ابن سينا ، ليس له زمان والاستماع يحتاج إلى (آن) . وإذا كان ابن سينا قد جانبه الصواب فى تعليل الشق الخاص بالإبصار ، فإن الحسن ابن الهيثم استطاع بالتجربة العملية أن يبطل نظرية السرعة الآنية للضوء التى قال بها ابن سينا ، وأن يثبت أن للضوء زماناً وسرعة معينة كما أن للصوت زمانا

(٥) راجع فى ذلك :
د . محمد عاطف العراقى ، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ، دار المعارف ١٩٨٣ ، ص ١١٢ وما بعدها .

(٦) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

علم الصوتيات

وسرعة معينة ، إلا أن زمان حركة الضوء أسرع بحيث لا يحس به أصلا[٧] .

ومما يؤسف له أن أحداً فى ذلك الوقت لم يفد من هذه الأفكار الهامة فى تقدير سرعة الصوت كميا[٨] ، وتأخرت هذه الخطوة الهامة والبسيطة إلى القرن السابع عشر عندما تمكن ميرسين وجاسندى Mersenne and Gassendi من إجراء أول تجربة عملية لتعيين سرعة الصوت فى الهواء عن طريق قياس الفترة الزمنية التى تنقضى بين لحظة رؤية النار المنبعثة من فوهة مدفع (أو بندقية) عند إطلاق قذيفة منه على مسافة بعيدة محددة وبين لحظة سماع صوت القذيفة . وظلت فكرة الربط بين ضوء وصوت صادرين من مصدر واحد فى نفس اللحظة أساساً لتجارب عديدة أجريت بعد ذلك إلى أن تمكن إسكلاجنون E.Esclagnon خلال الحرب العالمية الأولى فى عامى ١٩١٧ و ١٩١٨م من تقدير سرعة الصوت فى الهواء الجاف عند درجة الصفر المئوى بدقة عالية تقترب من القيمة النظرية لسرعة الموجات التضاغطية وهى ٣٣٠,١ متراً فى الثانية[٩] .

آراء متقدمة للمسلمين فى علم الصوتيات وتطبيقاته :

يتضح مما سبق أن طبيعة الصوت وانتقال الموجات الصوتية وإنعكاسها كانت معروفة تماماً فى كتب التراث العلمى الإسلامى بنفس المفاهيم التى نعرفها عنها اليوم ، وقد افاد علماء الحضارة الإسلامية من نظريتهم فى علم الصوتيات ، وسجلوا آراء كثيرة متقدمة فى مجالات متنوعة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ـ

١ ـ تقديم تفسير مناسب لآلية بعض مصادر الصوت ، على نحو ماورد عن إخوان الصفا فى صوت الرعد . فقد زعموا الصواب فى أن « البخار الرطب » يتمدد فى طبقة ما من الهواء فيضيق به مكانه فيحاول الانفلات فيمر فى الهواء كله ويحدث صوتا هو الرعد[١٠] . وهذا التصور لا يختلف كثيراً عن التفسير المعاصر الذى يقضى بأن صوت الرعد ينجم عن تسخين شديد مفاجىء يحدثه البرق فى منطقة انبعاثه ، حيث يتمدد الهواء فجأة ويزداد حجمه ويتمزق محدثا تفريغا جزئيا فى المكان ، اى تخلخلا ، ولذا سرعان مايندفع الهواء من كل صوب ليملأ موضع الفراغات ، وتتولد بذلك سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل فى الجو ، هى صوت الرعد .

ومادوى الرعد المعروف إلا سلسلة الانعكاسات التى تحدث لموجات صوت الرعد الأصلى من قواعد السحب وقمم المرتفعات ونحوها .

(٧) كمال الدين الفارسى ، كتاب تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٠ وما بعدها .

(٨) نرى سببا لذلك غير عدم توافر أجهزة دقيقة لقياس الزمن بالثوانى فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ التقنية عموماً وأجهزة القياس الدقيق بخاصة .

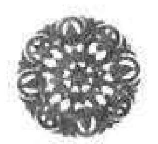
(٩) A.L Reimann, Physics, Vol. 1, PP 285 - 286, Barnes Noble, Inc. , New York 1971.

(١٠) الدكتور عمر فروخ ، إخوان الصفا ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

٢ ـ استخدام القياس والمماثلة لاستحداث نظريات جديدة ، على نحو ماذكر كمال الدين الفارسى فى كتابه « تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر » من أن « الحركة التى مر تقريرها فى الأضواء إنما هى على نحو حركة الأصوات ، لاعلى نحو حركة الأجسام »[١١] فهو بذلك يشير لأول مرة إلى أن الضوء يسرى بحركة موجية شأنه شأن الصوت الذى اتفق على انه ينتقل فى تموجات . ومما يحز فى نفس كل مسلم أن هذا الرأى المتقدم لكمال الدين الفارسى يذكر فى كتب العلم منسوبا لعالم غربى يدعى « هيجنز » ، نشره عام ١٦٩٠ م وأيدته تجربة يونج المشهورة عام ١٨٠١ م ، ثم تجربة فرنل عام ١٨١٤ م .

٣ ـ تطوير علم التأليف (الموسيقى والآلات الموسيقية) ، والتوصل إلى أن اهتزاز الأوتار يخضع لعلاقة ثابتة تربط بين طول الوتر وغلظه وقوة توتره وشدة النقر عليه وبين نوع الصوت الذى يحدث عنه . لكن الصياغة الرياضية لهذه العلاقة لم تتحقق إلا فى القرن السابع عشر . ولعل الكندى كان صاحب أول مدرسة عربية للموسيقى فى العصر الإسلامى . وكانت الموسيقى عنده من العلم الطبيعى ، ولكنها أيضا ذات صلة وثيقة بالرياضيات ، ثم هى ذات أثر فى شفاء الأمراض ، وكان يعدها وسيلة لتحقيق غاية إنسانية اعلى[١٢] .

٤ ـ الاستفادة من الخصائص المعروفة للصوت فى علم التصنيف . مثال ذلك : تصنيف الأصوات إلى أنواع منها الجهير والخفيف والحاد والغليظ تبعاً لطبيعة الأجسام المصوتة وقوة تموج الهواء ، وأيضا تصنيف الحيوانات إلى : حيوانات ذوات الرئة ، وهى التى تختلف أصواتها باختلاف أطوال أعناقها وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها الهواء وقوة دفع انفاسها من أفواهها ومناخرها ، وحيوانات ليست لها رئة ولكن لها اجنحة كالزنابير ، وهى التى تحدث الأصوات نتيجة لتحرك الهواء بالأجنحة ، وحيوانات ليست لها رئة ولا أجنحة كالديدان والسلاحف ، وهى تسمى الحيوانات الخرس ، وتختلف الأصوات التى تحدثها باختلاف يبسها وصلابتها .



(١١) د . على الدفاع ود . جلال شوقى ، اعلام الفيزياء فى الإسلام ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥ م ، ص ٦٩ .

(١٢) راجع فى ذلك : د . احمد فؤاد الإهوانى ، الكندى فيلسوف العرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ١٦١ وما بعدها .

التأصيل الإسلامي لعلم الإنسان

الأنثروبولوجيا

٢

د. زكى محمد إسماعيل

عود على بدء

في عدد رمضان ١٤١١ هـ تناولنا شرحا لمفهوم « الأنثروبولوجيا » كعلم حديث في المفهوم الغربي له جذوره التاصيلية في تراث العلماء المسلمين الرواد من خلال رحلاتهم وكتاباتهم العلمية المنهجية الرائدة في هذا المجال ، كما تناولنا شرحا لمفهوم التاصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية بصفة عامة ، واشرنا إلى رفض الإسلام لفكرة العلمانية التي تنادي بفصل العلم عن الدين ، فالإسلام عقيدة في العلم وعلم في العقيدة ، يمزج بين الدين وسائر شئون الحياة ، من حيث الكسب والسعي في مناكبها والأكل من الرزق الحلال ، وبهذا فهو يوجه ويرشد للنظر في ملكوت الله وسننه الكونية والإنسانية ، وعليه فالإسلام لا يفرق بين سلطة زمنية او دينية ، مهنة معيشية أو عقيدية ، بمعنى أن المسلم في شئون حياته التي يستقيم فيها كما أُمر هو رجل دين ، كما أنه فقيه في امور الشريعة بقدر ما اوتي من علم بها ، ودراسة لها ، وحرص على فروضها وواجباتها ، ايا كانت وظيفته المهنية ، وطبيعة حياته المعيشية ، الأمر الذي أتاح

لعديد من المتخصصين في الهندسة او الطب او العلوم التجريبية والإنسانية ان ينبغوا في علوم الشريعة بقدر دراستهم لها والتفقه في علومها ، والخروج بتفسيرات غير تقليدية اظهرت مدى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة طبقا لأحدث ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق ونظريات في هذا المجال .

ولقد كانت كلمة « عالم » في معناها التقليدي سابقا تعني العالم بأمور الشريعة الإسلامية .

وإذا كان التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية يعني عرض حقائق ونظريات هذه العلوم على الشريعة الإسلامية لتقويمها لهذه النظريات ، وإظهار كلمتها فيها ، فإن هذا لا يعني أن نقحم الإسلام في أمور تتصل بجزيئات العلم وفروعه ، إلا إذا كانت هناك إشارات من القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى هذا طبقا لما أسفر عنه العلم الحديث ، والذي يقاس صدقه بمدى مطابقته للإشارات الإلهية

لا العكس فما كان من عند الله فهو الصدق المطلق ، وما خالفه فهو ما ينبغى أن يعاد النظر فيه ، والتوفر على تعديل منهج البحث المستخدم اداة علمية به .

إن المعارضين لعلاقة العلم بالدين الإسلامى يقولون إن القرآن ليس كتابا فى العلوم التجريبية أو الإنسانية ، وينبغى أن ننزهه عن العلم حصيلة افكار البشر ، التى تصدق وتخطىء ، وهذا صحيح ولكنهم نسوا أن القرآن ـ وإن لم يكن كتاب علم ـ إلا انه دعا إلى تحصيله والتبحر فيه ، واجتلاء سنن الله تعالى فى الكون ، سمائه وارضه ، وسائر خلقه ، بعضها قد خلا ، وبعضها ماثل امام اعيننا : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾(١) ويقول جل وعلا : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(٢) .

ماذا ينبغى اذن ؟

إن التأصيل الإسلامى للانثروبولوجيا ينبغى أن يكون فى ربط العلم بالثقافة الإسلامية ، بحثا ميدانيا ، عرضا وشرحا ، تفسيرا وتحليلا وتمثيلا ، فللاسف كان كل أو جل ما يساق من امثلة ميدانية تزخر بها كتب علم الإنسان مستمدا من الثقافة غير العربية او الإسلامية ، صحيح أنه فى الآونة الأخيرة بدأت تنتشر البحوث الميدانية فى المجتمعات العربية والإسلامية، تقليدية أم حضرية ولكنها مقطوعة الصلة بالثقافة الإسلامية فى مجال التحليل والتقويم والتفسير .

وإذا كان لمجتمعاتنا الإسلامية ان تستورد التكنولوجيا بأنواعها المختلفة من الغرب والشرق معا ، فلا ينبغى أن تستورد القيم والمفاهيم ، العقائد والنظريات لتدور فى فلكها ، وتفسر وتقوم من خلالها ، فلكل مجتمع « ثقافته » التى ينبغى أن تكون إطاره المرجعى فى التفسير والتقويم مهما كان فعل الانتشار الثقافى والتغير الحضارى ، ولهذا أخطأ علماء الانثروبولوجيا الغربيون فى تقويمهم للقيم والعادات والتقاليد والمفاهيم الإسلامية لاختلاف هذه الانماط الثقافية عن مثيلاتها فى الغرب اليمينى أو الشرق الشيوعى .

وعلى أية حال ، ومن خلال هذا العرض التأصيلى نسوق بعض الأمثلة التى يمكن أن يدور حولها ، ويتحرك فى فلكها التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان ، من خلال شرح الأساتذة أو محتويات الكتب ، أو الاتجاه البحثى الميدانى .

أمثلة لقضايا التأصيل :

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٣) .

إن تفسير الآية الكريمة لا ينبغى أن يقف عند التفسير التقليدى الذى يرى أن تكريم وتفضيل بنى أدم من الخالق جل وعلا إنما يرجع إلى خلقه لهم « على أكمل الهيئات وأحسنها ، فإن الإنسان يمشى منتصبا على رجليه ، ويأكل بيديه ، وغيره من الحيوانات يمشى على أربع ويأكل بفمه »(٤)

---

(١) العنكبوت آية رقم ٢٠ .
(٢) الفتح اية رقم ٢٣ .
(٣) الإسراء اية رقم ٧٠ .

(٤) راجع « اضواء البيان فى ايضاح القران بالقران » لمحمد الامين الشنقيطى الجزء الثالث . الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ـ الرياض ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ ص ٦١٥ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

وإنما ينبغى أن نرجع إلى أهم ما توصلت إليه أبحاث الأنثروبولوجيا الفيزيقية « الجسمية » فى هذا الموضوع والتى تبرز بجلاء علمى تجريبى مظاهر هذا التكريم والتفضيل حيث يحتل الإنسان وضعا فريداً فى المملكة الحيوانية ، فهو إن اتفق مع الحيوان فى إشباع دوافعه الفطرية كالجوع والعطش والنوم ليعيش حياته ، وفى الدافع الجنسى والتوالد ليحفظ بقاءه ، إلا أنه لا يمتاز فحسب عن تلك المملكة بما وهبه الله تعالى من عقل يفكر ، وقلب يؤمن ، وفكر يبدع ، وإنما يمتاز عنها كذلك بالبناء العضوى والتكوين الجسدى ، ومن خلال التركيب المخى الفريد الذى يمتاز بتعقيد معين ودقة بالغة فى تركيبه العضوى ، وكذلك بالوقوف والمشى منتصبا وفى وضع معتدل ، وما يتبع ذلك من تركيب مميز لقدم الإنسان يساعده على هذا الاعتدال ، وترتب على هذا تحرر اليدين وإمكان استخدامهما فى العمل وبالتالى اكتساب مهارات يدوية ، أبدعت أدق وسائل البناء والصناعات اليدوية التقليدية والحضارية معا ، كما وهب الله تعالى الإنسان سلسلة فقرية مرنة تمكنه من الاستقامة والانثناء معا بفضل طواعيتها ومرونتها ، كما يمتاز الإنسان بثنائية الإبصار حيث يمكنه أن يشاهد الرؤية المجسمة ثلاثية الأبعاد ، والإنسان هو وحده الذى يعيش طوال حياته فى مجتمع منظم متماسك .

وإذا كانت بعض القردة العليا APES كالغوريلا والشمبانزى تعيش فى جماعات على درجة معينة من التنظيم ، ويقوم بينها نوع من التعاون فى الحياة اليومية ، إلا أن المجتمع البشرى ينفرد بوجود النظم الاجتماعية الواضحة المعالم ، والتى ينتظم بمقتضاها سلوك الأفراد والجماعات التى تدخل فى تكوينه البنائى كنظم الزواج والقرابة والاقتصاد والدين ، وفوق كل هذا فالإنسان وحده صاحب التراث الثقافى الطويل والذى يتمثل فى أبسط صورة فى العادات والقيم والتقاليد الموروثة بالإضافة إلى الفنون والصناعات المختلفة التى مهما بلغ شأنها من البساطة إلا أنها تتطلب قدرا معينا من المهارات والذكاء والقدرة على الابتكار لا تتوافر لبقية الرئيسات Primates وهى أعلى رتب الحيوانات . وتلك أمور كلها تتآلف فى كل متماسك يفسر معنى التكريم والتفضيل للإنسان فى الآية الكريمة .

التأصيل ونظرية التطور:

لازالت نظرية الاختيار الطبيعى Natural Selection أو الانتقاء الاختيارى بزعامة دارون Ch. Daruin تساق فى كتب الأنثروبولوجيا الفيزيقية « علم الإنسان الطبيعى » دون أن تقوم دينيا بعامة ، وإسلاميا بخاصة ، رغم أن تلاميذ دارون أنفسهم أثبتوا تهافتها وزيفها تماما . وملخص النظرية يشير إلى تفرع الإنسان عن غيره من الفصائل الحيوانية ، وأن الفضل فى نشأة مراكز اللغة لديه يرجع إلى ما أحيط به من ظروف اقتصادية واجتماعية ودفاعية أحاطت به منذ نشأته بأن جعلته مثلا يضطر إلى الوقوف على رجلين ، بعد أن كان يمشى على أربع أثناء دفاعه عن نفسه مما جعل قامته تعتدل رويدا رويدا حتى استوى الجزء الأعلى من جسمه مع أطرافه السفلى ، وبذلك ضعفت لديه عادة المشى على أربع حتى انقرضت ، وبالتالى لم يعد بحاجة لاستخدام فكه وأسنانه دفاعا عن نفسه ، وإنما استخدم اليد بديلا عن ذلك ، مما ترتب على

هذا ـ كما يزعم غلاة التطوريين ـ ضمور عضلات وعظام الصدغ مما أتاح مجالا لنمو الجمجمة وزيادة حجمها وبالتالى ازدياد مجال النمو للمخ من حيث حجمه ، وبذلك نشأت مراكز جديدة فيه .

إن هذه النظرية لم تعد تحتاج ـ من المؤمنين بخلق الله للإنسان بشرا سويا ـ أن يدحضوها ويثبتوا تهافتها ومدى الزيف فيها إذ سبقهم إلى ذلك تلاميذ دارون نفسه حيث أثبتوا بالتجربة فساد هذا الزعم الذى لا يرتكز على أية حقيقة علمية ، وانتهت أبحاثهم إلى أن تعطيل الفك والأسنان ـ وإن نشأ عنه اتساع فى الجمجمة إلا أنه لا يترتب عليه إطلاقا اتساع فى المخ أو اختلاف فى تعاريجه وشكل تكوينه ، الأمر الذى يهدم رأى التطوريين الارتقائيين الداروينيين فى مزاعمهم حول تطور الإنسان عن فصائل حيوانية ، وبهذا يعمق الإيمان بما أخبرنا به القرآن الكريم من أن الله تعالى خلق الإنسان خلقا مستقلا وجعله خليفته فى الأرض . قال تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾(٥) ﴿ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾(٦) وقال جل شأنه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾(٧) وفى خطابه جل وعلا للملائكة حكاية عن آدم ، ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(٨) .

وعليه فإذا تحدث علماء الإنسان عن التطور وأطوار الكون فإن عليهم أن يشيروا ـ فى مجال التأصيل الإسلامى للعلم ـ إلى قوله تعالى على لسان نوح وهو يذكر قومه بقوله لهم : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾(٩) والأطوار هنا تنسحب على معان شتى . تنسحب على خلق الأجنة فى بطون الأمهات طورا من بعد طور من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، وقد يراد بها تدرج الإنسان من بعد ذلك من طور الطفولة إلى الصبا فالشباب فالرجولة فالشيخوخة ، كما قد يراد بها تدرج الجنس البشرى من الإنسان القديم فالوسيط فالحديث فالمعاصر ، من حيث القوة والشكل والطول واللون ، ونتائج الاختلاط فى الهجرة والحرب والتزاوج ، وما أسفر عنه ذلك إنما يعد ـ بمعنى ما ـ نوعا من الأطوار فى خلق الله للإنسان .

التطور مفهوم قرآنى :

وانطلاقا من هذا المفهوم فإن التطور والأطوار مفهوم قرآنى أصيل يدعو إلى الإيمان ، يزيده ويعمقه ، لا يشرخه أو يمحقه ، وإذا أردنا أن ندرس التطور دراسة علمية من خلال بقايا وهياكل الأحياء المنقرضة فى التاريخ الجيولوجى الغابر ، فتلك طريقة علمية وحيدة يمكنها أن تثبت وتؤكد أن شكلا ما تغير وتطور من عصر قديم إلى عصر أحدث طبقا لسنن الله تعالى فى الكون جغرافية كانت أم تاريخية أم طبيعية .

وإذا كان من أهم أهداف الأنثروبولوجيا من خلال بحوثها الميدانية عبر كافة المجتمعات تقليدية كانت أم حضرية هو إثبات وحدة الجنس البشرى الذى ينبغى أن يتعارف ويتآلف ، وأن يسوده التسامح لا التعصب ، التقارب لا التباعد ، الحب لا الكراهية ، السلم لا الحرب ، فإن القرآن الكريم دعا إلى هذا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ ﴾

(٥) القيامة ٣٨ .
(٦) الانفطار ٧ ، ٨ .
(٧) الشمس ٧ .
(٨) الحجر ٢٩ ، وكذلك ص ٧٢ .
(٩) نوح ١٤ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(١٠) .

لقد أكدت أبحاث علم الإنسان أنه مهما تمايزت ألوان وأشكال وجغرافية وتاريخ وسلالات البشر إلا أنهم يتفقون فى أن لكل جماعة أو مجتمع « ثقافة » تنتظم قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ومعارفهم وأدواتهم ورموزهم التى تميزهم عن غيرهم ، وأن هذه الثقافات لا تنبع أساسا من لون أو عنصر أو سلالة أو تفوق عقلى ، وإنما من طبيعة المكان والزمان وتفاعلهما مع أفراد المجتمع ذاته وتاريخه الموروث وحاضره المعاش بعيدا عن أى مفهوم عنصرى أو تفوق سلالى ، أو امتياز فطرى فى الذكاء أو المواهب والقدرات ، ويؤكد هذا حديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »(١١)

أنماط المجتمعات بين المفهومين العربى والمعاصر

وإذا قسم علماء الإنسان المجتمعات إلى بدائية وشبه بدائية وقبلية وريفية وحضرية فإن العرب درجوا على تقسيمها ـ من حيث كثافتها ـ إلى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ، ولهذا فهم يقولون إن خزيمة شعب ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة ، وذلك على أساس أن الشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل ، وقد يطلقون بعض هذه المسميات على البعض الآخر كأن يقولون قبيلة قريش . ولاشك أنه تقسيم دقيق يترجم عن طبيعة البيئة التى عايشها العرب قديما .

ورغم أن التفاخر بالأنساب والتباهى بالألقاب والتنابذ بها كان من أهم عادات وتقاليد العرب قبل الإسلام ، إلا أن الإسلام دعاهم إلى نبذ التعصب ، ورفض التطاول على الآخرين ونادى بأن الفخر لا يكون إلا بتقوى الله تعالى ، وصدق الإيمان ، ورسوخ اليقين قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١٢) .

منهج علم الإنسان والدعوة الإسلامية

أصبح المنهج الأنثروبولوجى الذى يعتمد أساسا على اهتمام الباحثين بمعايشة مجتمع البحث فترة لا تقل عن عام لملاحظة قيم وعادات وتقاليد المجتمع بعامة والسمات الخاصة بموضوع البحث بالذات من خلال الكل « الثقافى » لهذا المجتمع بما يعرف فى الدراسات المنهجية للانثروبولوجيا « بالملاحظة بطريق المشاركة » أو « المعايشة الميدانية Participation by Observation وهى ملاحظة ذات ضوابط علمية خاصة تفرض تعلم الباحث لغة بالمجتمع واكتساب ثقته وتبديد الشكوك التى قد تثار حوله ، وتسجيل كل ما يتصل بسمات وأنماط ثقافة هذا المجتمع . نقول إن هذا المنهج ـ والذى استخدم فى نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ـ على يد المبشرين وعلماء الإنسان الغربيين لنشر المسيحية فى

(١٠) الحجرات ١٣ .

(١١) تأمل المجلة من الكاتب أن يذكر مرجع الحديث . وهذا أمر واجب فى هذه المجلة .. التحرير : الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٢ ص ٢٧٥ .

(١٢) الحجرات ١٣ .

أفريقيا وآسيا وغيرهما أصبح الآن من أهم الأمور التى ينبغى أن يوظفها الدعاة المسلمون فى الدعوة إلى الإسلام لا بين غير المسلمين فحسب وإنما بين المسلمين أنفسهم الذين تنتشر بينهم القيم والعادات والتقاليد والموروثات التى لا تتصل بالإسلام كالدعوة لغير الله ، ولطم الخدود وشق الجيوب تعبيرا عن الحزن ، والتداوى بالأحجبة إلى غير ذلك من البدع والخرافات ، وعليه فإن أسلوب الدعوة اليوم أصبح يختلف باختلاف البناء الاجتماعى والثقافى لمجتمع الدعوة ، أى من حيث مستوى التحضر ، ونوع الفكر ، وطبيعة المعرفة ، وسمات الثقافة ، ومدى التقبل للحجة المقنعة ، وتحديد لغة التفاهم نفسها ، ونوعية الاتصالات بمن ستوجه إليهم الدعوة ، لاسيما وقد غزت المجتمع الدولى ثورة الاتصالات بما تحمل من مبادىء وقيم ومعتقدات وغزو فكرى سريع المدى ، مما يحتم الاستفادة التامة من منهج علم الإنسان الميدانى فى دراسة المجتمعات دراسة واعية قبل توجيه الدعوة إليها أو تصحيح مفاهيم الإسلام السمحة فى ربوعها ، وتبصيرهم الواعى بحقيقة الإسلام بعيداً عن البدع والخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، الأمر الذى يتطلب إعداداً واعيا للداعية فكريا وثقافيا ودينيا وأخلاقيا من ناحية ، وتبصيره بمنهج البحث الأنثروبولوجى كأداة هامة لنجاحه فى مجال الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة من ناحية أخرى .

وقد يقال إن الداعية مطبوع لا مصنوع بمعنى أن قوة إيمانه وبرهان حجته ومدى تأثيره فى نفوس مخاطبيه ، أمور تكفى لتحقيق الغاية وبلوغ الهداية ، ولا تحتاج إلى إعداد أو تعليم خاص يستدعى إقامة المعاهد أو إنشاء البرامج . لقد كان هذا صحيحا فى العصور السالفة فى فجر الدعوة وربيعها حيث كانت التربية الإسلامية الهادفة هى غاية المسلم من مهده إلى لحده ، وعلى هذا الأساس دخل البلغار الإسلام على يد التجار المسلمين ، والهنود عن طريق التجار والعلماء والرحالة العرب ، وبفضل هؤلاء وهؤلاء كان انتشار الإسلام لدى المغول وفى أندونيسيا والفلبين وجنوب شرقى آسيا بصفة عامة .

أما اليوم فقد اختلفت الصورة تماما أمام دعوات التبشير المكثفة بشتى أساليب العصر مقروءة ومسموعة ومرئية عبر أقمار صناعية ، مما يحتاج إلى استخدام الوسائل المنهجية العلمية فى الدعوة الإسلامية والوعظ والإرشاد والتذكير ، واعتبار « ثقافة » المجتمع ودراستها دراسة مركزة فى كافة أبعادها هى نقطة الانطلاق ومحور الارتكاز فى تحديد أسلوب الدعوة ذاته ، وطبيعة منطقه ، وأسلوب توجيهه بحيث لا يعتمد على النبرة الخطابية ، وإنما المخاطبة العقلية أولا ، فالوجدانية ثانيا ، فالإقناع المنشود أخيراً .

لله على علماء الإنسان المسلمين عند تحليلهم للسلوك الاجتماعى للمسلم الا ينطلقوا فى ذلك من منظور الربح أو الخسارة الفردى الذى يكتسبه فى سجله الشخصى فحسب ، وإنما ينبغى أن يحلل السلوك مقوما حسب الفائدة أو الضرر بالنسبة للمنظمة الاجتماعية التى هو فرد فيها ، فالإسلام أمر بالتعاون والتضامن والتكافل : « ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط » ، بل إن الإسلام جعل الإيثار من أهم الفضائل التى يتصف بها المسلم فقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١٣) كما أن على علماء الإنسان المسلمين فى مجال التحليل لدراساتهم الميدانية فى المجتمع الإسلامى أن

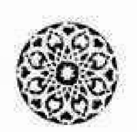
(١٣) الحشر ٩ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

يشيروا إلى الخلفية الإسلامية من مبادىء وقيم ومثل كأطر مرجعية لتحليلاتهم العلمية ، وإذا كان المسلم جزءا أساسياً فى المجتمع الذى ينتمى إليه ينبغى أن يهتم بقيمه وثقافته ، وإلا ينسلخ منها بعكس المواطن الغربى الذى ينظر إليه كفرد حر له أن يحقق حريته إن لم يكن فى كل أبعادها ففى معظم تلك الأبعاد ، ومن هنا كان التقويم الجائر لعلماء الإنسان الغربيين فى تحليلهم وتقويم دراساتهم فى المجتمع الإسلامى حيث ادعوا بأن المرأة مسلوبة الحقوق فى هذا المجتمع أو فى نظرتهم الجائرة للمجتمع الإسلامى الذى يحرم لحم الخنزير مع أنهم يقولون إن هناك حيوانات أخرى محرمة ونجسة . وحتى عهد قريب كان ذلك موضوع جدل علمى فى مجلة « الانثروبولوجيا المعاصرة » Current Anthropology ، إذ أصبح هذا التحريم عندهم موضوع رسوم هزلية ، كاريكاتيرية وتهكم ، بل أصبح هذا التحريم عندهم رمزا يفصل بين العالم الغربى (أكل الخنازير) والعالم الإسلامى (الذى لا يأكل الخنازير) .

لهذا كان على علماء الإنسان المسلمين أن يوضحوا حقائق هذه الأمور وأهميتها مسترشدين بعلماء الشريعة الإسلامية ومفاهيمها ، ونظرة الإسلام الذى يضع الحد الأمثل بين الانضباط والتحلل ، الحرية والفوضى ، الحلال والحرام ، المسموح والممنوع ، شمولية الحكم وخصوصية التطبيق ، فإذا كان الصيام فريضة عامة ، فليس كذلك بالنسبة للمسافر والمريض وغير القادر بضوابط خاصة .

لقد أدرك هذا بوعى وبصيرة الرئيس الأمريكى جورج بوش فى حرب الخليج حين وعى ضباطه ونصح جنوده بضرورة احترام وتقدير معطيات الثقافة الإسلامية فى المملكة العربية السعودية ، بل إن المتحدث الأمريكى فى وقائع الحرب لم يكن يظهر فى قناة التليفزيون الأمريكية إلا وخلفه العلم السعودى رمزا للثقافة الإسلامية ، كما أدرك القادة والجنود الفرنسيون أن لقيام حفلاتهم فى أرض إسلامية حدودا وقيودا لا تتعدى أو تتجاوز رضوا بذلك أم أبوا ، غضبوا أم لم يغضبوا ، مادامت ثقافتهم تباشر على أرضهم وفى ربوع وطنهم حسبما يشاءون هم لا غيرهم .





إعداد
د. نجوى السيد أحمد

تطورات جديدة فى تقنية الحاسبات .

توصلت « التكنولوجيا » الألمانية الخاصة بأشباه الموصلات المستعملة فى مكونات ذاكرة الكمبيوتر إلى تخزين الحروف التى تملأ الف صفحة فلوسكاب على شريحة ذاكرة جديدة لا تتعدى مساحتها (ملليمتر) مربعا واحدا ، وسمكها جزء من المائة من سمك شعرة آدمية ، وسوف يؤدى هذا الاختراع الجديد إلى تطوير جذرى فى سرعة وأداء اجهزة الكمبيوتر المختلفة

كذلك توصل الباحثون الألمان إلى وضع برنامج لتدريب الصم على تعلم قراءة حركة الشفاه بطريقة جديدة تعتمد على تحويل المعلومات إلى رسوم متحركة للشفتين تعبر ـ بوضوح ـ عن الأصوات والكلمات والجمل التى تتضمنها الرسالة المطلوب تبليغها .

اسبرين | علاج للنبات أيضا ..

اكتشف بعض العلماء البريطانيين أن الأسبرين ربما يكون دواء للنباتات التى تعانى من الضعف ، ويمكن استخدامه لمعالجة الإصابة فى الأزهار والخضروات ، وبهذا الاكتشاف يمكن استخدام أدوية قريبة من الأسبرين لجعل المحاصيل اكثر مقاومة للأمراض وذلك بتعزيز دفاعاتها الطبيعية بدون آثار جانبية .

راديو | يعمل بالطاقة الشمسية .

توصل العلماء فى المانيا الغربية إلى تشغيل جهاز الراديو بالطاقة الشمسية بواسطة خلايا شمسية من (السليسيوم) المتعدد التبلور حيث تلتقط اشعة الشمس وتحولها إلى كهرباء ، وقد زود الراديو ببطارية داخلية تختزن الكهرباء لكى يعمل ليلا .

زيت الشلجم .. وقود للسيارات .

نجحت المانيا فى استخدام زيت الشلجم المستخرج من ثمار « اللفت » بدلا من زيت

الجديد فى العلم والتقنية

الديزل فى إحدى الشاحنات حيث قطعت مسافة ١٨٠ كيلو مترا دون أن يحدث بها أى خلل .

أشجار من البلاستيك لتعديل مناخ الصحراء .

توصل مهندس إسبانى إلى ابتكار شجرة من البلاستيك تحاكى الأشجار الطبيعية فى التبخر والتكثف ، يبلغ طول الشجرة البلاستيكية حوالى عشرة امتار ، وتصنع اغصانها واوراقها من رغوة (الفينوليك) التى تمتص الرطوبة ليلاً وتطلقها نهاراً ، بينما يحشى الجذع بمادة « البوليوريثان » المثقب بقنوات شعرية تمتص الماء من الأرض . يؤمل الإفادة من هذه الأشجار فى تخضير الصحراء ، وتلطيف مناخها بتخفيف التفاوت بين حرارة النهار ، وبرودة الليل .

استخدام البكتريا فى تنقية المياه الملوثة بإشعاع .

اكتشف فريق بحثى امريكى بكتيريا غير ضارة يمكنها المساعدة فى تنقية المياه الملوثة بالإشعاع بطريقة ارخص واكفأ من الطرق القديمة ، كما يمكن استخدامها فى محطات توليد الكهرباء بالطاقة النووية وهذه البكتريا تجذب الجزيئات المشعة كما يجذب المغناطيس برادة الحديد ثم يصفى الماء من البكتريا والمواد المشعة .

مواد للبناء من قيعان البحار .

يجرى مهندسون يعملون فى برنامج الامم المتحدة للتنمية تجارب فى عرض البحر (قبالة كولومبيا) لإنتاج حجارة بناء وانابيب باستخدام قوالب شبكية من البلاستيك بأشكال مختلفة حسب الطلب فى قاع البحر ، ثم يوصل بها تيار كهربى مناسب ، ويلى ذلك فترة انتظار لمدة ثلاثة شهور تتغلف خلالها القوالب بطبقة صخرية صلبة من المواد العضوية يبلغ سمكها حوالى ١,٥ سم .

وتتميز هذه المواد بأنها صلبة جدا ، كما أن تكلفتها لا تتعدى نصف تكلفة مواد البناء العادية .

بطارية جديدة من البلاستيك

يعكف العلماء فى مختلف دول العالم على تطوير بطارية بلاستيكية صغيرة بحجم كف اليد ، تصلح للسيارات التى تحتاج إلى عدة بطاريات كى تقطع مسافات طويلة . وتتميز هذه البطارية المصنعة من (البوليمر) أو (البلاستيك) بأنها ستكون خفيفة ولا تلوث البيئة ، وليست لها اية أخطار . كما سيكون لها استخدامات أخرى فى الحاسبات الالكترونية واجهزة الكشف ذات الألواح الزجاجية التى تغير لونها لامتصاص أو عكس الحرارة اعتمادا على احتياجات الطاقة .

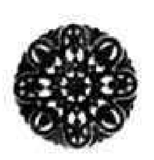
بنكرياس صناعى لمرضى السكر .

نجح العلماء فى أوروبا وأمريكا واليابان فى إنتاج (بنكرياس) صناعى لعلاج مرضى السكر . يستطيع أن يقيس كمية السكر فى الدم ويعطى المريض كمية الأنسولين المناسبة له حتى يبقى نسبة السكر فى الدم فى المعدلات الطبيعية لها .

البنكرياس الصناعى عبارة عن جهاز يوضع فى تجويف البطن ، أو تحت القفص الصدرى ، أو تحت الجلد ويشبه منظمات القلب الصناعية ، ويعرف باسم « بالكترود » ، ويمكنه قياس نسبة السكر فى الدم وبه مخزن للأنسولين لإفراز الكميات المناسبة . والجهاز الجديد مازال فى نطاق التجارب ، وتكلفته عالية ويعكف العلماء على تطوير الجزء الخاص بقياس نسبة السكر فى الدم وأنه أفضل فى الاستعمال من مضخة الأنسولين ومن عمليات زرع البنكرياس .

جهاز جديد لقياس الغازات السامة الصادرة من عادم السيارات .

ابتكر جهاز جديد يقيس كميات الغازات السامة التى تصدر من عادم السيارة فى الطرق السريعة بواسطة « كاميرا فيديو » تسجل بوضوح رقم الرخصة وعداد قياس غازات العادم . ويقوم مركز متخصص بإصلاح الخلل فى السيارة مجانا ، حفاظا على البيئة فى مدينة شيكاجو الأمريكية وتم تركيب جهاز على الطرق السريعة يصور بالفيديو بكاميرات متصلة بالكمبيوتر لتحديد درجة العادم من غازات أول وثانى أكسيد الكربون الضار بالبيئة . والجهاز الجديد مزود أيضا بعداد يقيس درجة تركيز (الهيدروكربونات) الضارة فى الهواء الجوى .



للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« ما الحب عندكم ؟ »

سأل بعض العارفين امرأة فى البادية : ما الحب عندكم ؟

فقالت : جل فلا يخفى ، ودق فلا يرى وهو كامن فى الحشا كمون النار فى الصفا ، إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى .

« الحث على المشورة »

الرأى كالليل مسود جوانبه
والليل لا ينجلى إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى
مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

« أعطيتمونا ثمن القرى »

قيل لقيس بن سعد : هل رأيت قط أسخى منك ؟

قال : نعم . نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت : إنه نزل بك ضِيفان ، فجاء بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم ، فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال : شأنكم .

فقلت : ماأكلنا من التى نحرت البارحة إلا اليسير فقال : إنى لا أطعم أضيافى الغَابَّ ، فأقمنا عنده أياما ، والسماء تمطر ، وهو يفعل كذلك .

فلما أردنا الرحيل وضعنا فى بيته مائة دينار ، وقلنا للمرأة اعتذرى لنا منه ومضينا ، فلما متع النهار إذا رجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتمونا ثمن القِرَى ، لتأخذنها ، وإلا طعنتكم برمحى ، فأخذناها وانصرف .

« حقائق »

مات حكيم ، وقد وجد فى جيبه رقعة مكتوب فيها : أحمق الحمقى من يملأ بطنه من كل مايجد ، وما أكلته فلجسمك ، وما تصدقت به فلروحك ، وما خلفته فلغيرك ، والمحسن حى وإن نقل إلى دار البلا والمسىء ميت وإن بقى فى الدنيا ، والقناعة تستر الخلة ، وبالصبر تدرك الأمور ، وبالتدبير يكثر القليل ، ولم أر لابن آدم شيئاً أنفع من التوكل على الله .

« يارب ارحم »

دخل رجل على المأمون فى مرضه الذى مات فيه ، فوجده قد أمر أن يفرش له جل دابة ، ويبسط عليه الرماد ، وهو يتمرغ عليه ، ويقول : يامن لا يزول ملكه ، ارحم من زال ملكه .

« وصية »

وصى عبد الله بن الأهتم ابنه ، فقال : يابنى : لا تطلب الحوائج من غير أهلها ، ولا تطلبها فى غير حينها ، ولا تطلب مالست له مستحقا ، فإنك إن فعلت ذلك كنت حقيقا بالحرمان .

« أخى »

ينبغى أن تفرح بالموت وتغتم بالحياة ، لأننا نحيا لنموت ، ونموت لنحيا .

« قناعة »

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

« الانتفاع بالأعداء »

قال حكيم : لقد انتفعت بأعدائى أكثر مما انتفعت بأصدقائى ، لأن أعدائى كانوا يعيروننى بالخطأ ، وينبهوننى عليه ، وأصدقائى كانوا يزينون لى الخطأ ويشجعوننى عليه .

عداى لهم فضل علىَّ ومنة
فلا قطع الرحمن عنى الأعاديا
همو بحثوا عن زلتى فاجتنبتها
وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

« قالوا ... »

- اضعف الناس من : ضعف عن كتمان سره .
- واقواهم من : قوى على غضبه .
- واصبرهم من : ستر فاقته .
- واغناهم من : قنع بما تيسر له .
- ذو الشرف : لا تبطره منزلة نالها وإن عظمت كالجبل الذى لا تزعزعه الرياح .
- والدنىء : تبطره أدنى منزلة كالكلا الذى يحركه مر النسيم .
- من تجبر على الناس احب الناس زلته .
- ما ابعد من استعبدته الشهوات من أن يكون فاضلاً .
- السعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ به غيره .

« المال .. والعلم »

إذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب له أطول من زمان الاستمتاع به ، وإذا طلبت العلم فاجعل زمان الارتياض به والفكر فيه أطول من زمان الجمع له .

« هكذا كانوا »

كان أبو العباس عم الرسول - ﷺ - يقول : كنا نترك ثلاثة ارباع الحلال خوفا من شبهة الحرام .

« من حكم السابقين »

فى زماننا هذا تحق النار على من يفرط فى عشر دينه ، ويأتى زمان تجب الجنة لمن يحافظ على عشر دينه .

« دعاء »

اللهم اقطع حوائجى من الدنيا بالشوق إلى لقائك ، واجعل قرة عينى فى عبادتك ، وارزقنى غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود .

اللهم إنك تعلم ما يصلحنى فى دنياى وأخرتى فكن بى حفيا .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الحج من الناحية الفلسفية

للدكتور محمد يوسف موسى

إعداد وتقديم
عبدالفتاح حسين الزيات

اقتضت حكمة الله ان يجعل لكل عبادة مما افترضه وشرعه للمسلمين حكمة خاصة تعود بالنفع على الفرد المسلم.

والحج باعتباره ـ المؤتمر العام للمسلمين جميعاً ـ تحمل فريضته معانى سامية إذ يلتقى الحجيج عند بيت الله الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وامنا.

هذا اللقاء يعطى الأمل فى عودة الإسلام كقوة عالمية وكعقيدة يضحى المؤمنون فى سبيلها بارواحهم واموالهم، ولن يتاتى ذلك إلا إذا تاكدت القيم الإسلامية فى المجتمع، وسادته اخلاق الإسلام، واخذ العدل الاجتماعى مجراه.

قال رحمه الله:

الحج، كما نعلم جميعا، ركن من أركان الإسلام، وشعيرة يتطلب القيام بها البذل من المال والنفس، وعبادة لا يتم للقادر عليها دينه إلا بالاضطلاع بها، حتى لَيُروى عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه انه قال: « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانيا ».

وليس من همّى الآن بيان ما للحج من مقدمات ومعالم وشروط لا يتم إلا بها، بل موضوع الحديث هو الحج باعتباره عملا اجتماعيا تدعو إليه الفكرة الفلسفية، لو لم يدع إليه الدين.

الإنسان مركب من عنصرين: أرضى وهو الجسد؛ وسماوى وهو الروح. وقديما قام النزاع الحاد بينهما كما يكون بين الشيئين أحدهما للآخر ضد وعدو. والناس فى ميلهم لهذا العنصر أو ذاك بين مفرِّط، ومُفْرِط، إلا من كان حكيما فعرف لكل حقه وأرضاه بقدر. ولم ترتطم

الإنسانية فى هذه الغمرة التى نلمسها هذه الأيام إلا بسبب انحيازها للناحية المادية وانغماسها فيها .

لهذا ، كان لابد من عمل يلفتنا بقوة عن هذه الحياة بما يستلزمه من إعراض عن زينة الدنيا وطيباتها ، وبما يوجبه من مساواة تشعر الغنى منا بأنه أخ لمن يعيش بينهم من عبيد الله لا يتميز عنهم فى ملبسه ومظهره وعامة أحواله .

هذا العمل هو الحج الذى ، كما يقول الغزالى : يعتبر فى الشريعة الإسلامية عوضا عن الرهبانية فى المسيحية ، إذ فيه ما فيه من كبت الشهوات والبعد عن الدنيا والإقبال على الله والسمو بالروح ، وقد سلم مما يلازم الرهبانية من عنت وإرهاق دائمين .

ثم ، فى الحج مع هذا ، زيارة البيت العتيق الذى أضافه الله تعالى إلى نفسه لشرفه ، وجمعٌ لأكبر عدد من المسلمين فى صعيد واحد يؤمون غرضا واحداً ، ولك من هذين حكمته وأثره البعيد فى حياة الأمة أفرادا وجماعات ، إنما تشقى الأمة إذا تناكدت وتفرقت بها السبل ؛ والإسلام ، الذى حث المسلمين على أن يأتمروا بينهم بمعروف ، جعل لهم مؤتمرات : بعضها يومى وهو الصلاة جماعة ، وبعضها أسبوعى ، أوسع وأعم من سابقه ، وهو صلاة الجمعة ، وبعضها كل عام على نحو أشمل وهو صلاة العيدين ، وأخيراً المؤتمر الأكبر وهو الحج الذى يجب أن يشهده كل مسلم قادر ، مرة واحدة على الأقل فى حياته .

ومن الناس من لا يفهم الحقائق إلا ممثلة ، أو مرموزا لها بمُثل محسة ، فكان من الحكمة أن يكون من شعائر الحج الطواف بالبيت واستلام الحجر الأسود ، رمزا لما يجب أن يكون عليه المسلمون من وحدة فى الهدف واتحاد فى التوجه لله . إن البيت الذى أُمرنا بالطواف حوله ، هو بيت الله ، الذى جعله مثابة للناس وأمْناً ، وفى الطواف به تشبه بالملائكة الحافين بالعرش ، الطائفين به قانتين مسبحين لا يفتُرون ، وفى ذلك ما فيه من سمو للروح وعروج بها إلى السموات العلى . ونفس الحلول بالبيت ورحابه ، تمهيد طيب لرؤية صاحبه جل وعلا ، متى صفت النفس ، فصارت أهلا لهذه السعادة القصوى ، وفى استلام الحجر من المسلمين كافة بيعة منهم جميعاً لله عز وجل على كل ما هو حق وجميل وخير وفضيلة .

أليس هذا الحجر المقدس ، كما جاء فى الحديث الشريف « يمين الله يصافح بها خلقه » ؟ إن فى استلام هذا الحجر ، وهذا ما يرمز له ، حافزا قويا على وفاء الحاج بما يعاهد الله عليه من بُعد عن الشر ، وحب للفضيلة ، وحرص على عمل الخير ...

والحج ، بعد ما نعرف من الأعمال الظاهرة ، له حقائق باطنة يجب النفوذ إليها ، وأحوال نفسية يشعر بها الحاج وينعم بها . إنه ليعجبنى فى هذا حديث جرى بين الشبلى - رضوان الله عليه - وبين صاحب له . كان من هذا الحديث أن الشبلى - وهو متصوف جرى بهذا الوصف ، وليس كأدعياء التصوف فى هذه الأيام - يرى أن من عقد الحج لله ، ولم يفسخ بهذا العقد كل عقد يخالفه ، كان كأنه ما عقد الحج ونواه ؛ وأن من تجرد من ثيابه للإحرام ، ولم يتجرد مع هذا من المعاصى ، يكون كأنه ما تجرد من ثيابه ؛ وأن من لبى ، ولم يذق عن الله جواب تلبيته ، يكون كأنه ما لبى ؛ وأن من أشرف على مكة ، فلم يشرف عليه حال من الله تعالى ، يكون كأنه ما دخلها ؛ وأن من صافح الحجر الأسود ، فلم يجد أثر الأمن ، كان كأنه ما صافحه أو لمسه ، لأن من

من روائع الماضي

صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى ، ومن صافح الله صار فى أمن وسلام منه ؛ وأن من رمى الجمار ، فلم يرم بهذا جهله ولم يزدد به علما يظهر عليه ، كان كأنه ما رمى ؛ وأن من مضى من مكة إلى المدينة فزار الروضة الشريفة ، ثم لم يكاشف بشىء من الحقائق ، ولم ير زيادة فى الكرامات عليه ، كان كأنه ما زار ، لأن النبى ﷺ يقول : « الحجاج والعمار زوار الله ، وحق على المزور أن يكرم زواره » . وهكذا ، نجد من الشبلى ، رحمة الله عليه ـ تحليلا دقيقا طريفا للحج وأعماله ومشاعره ، تفهم منه كثيرا من أسراره وفلسفته .

ومن الحق أن نوافق الشبلى وأمثاله فى نظرهم للحج وحكمه وأسراره ، هذه النظرة الفلسفية العالية . إن منا من يبذل فى سبيل السفر للحجاز كثيرا من المال ، ويتعب نفسه بكثير من المشقات ، وذلك فى سبيل أن يظفر بلقب « حاج » ينال به من عروض الحياة الدنيا ، ومنا من يعيش أيام الحج فى تلك البلاد المقدسة والأجواء الروحية السامية ، ثم لا يتذوق شيئاً منها ، فيعود أغلظ قلبا مما ذهب ، ومنا أخيراً من عرف يقيناً خطر ما هو مقبل عليه ، وعلم أنه يهجر الأهل والوطن والشهوات واللذات فى سبيل الله وزيارة بيته الحرام ، وإذاً فهو يقدر البيت قدره ويرى لربه عظمته وجلاله ، فيخلص النية له ويرعاه فى كل خطوة له وعمل ، ويجاهد نفسه وهواه حتى يرجع لبلده خيراً مما ذهب ، ويعود لأهله وقد تقبل الله حجه ورضيه وأرضاه .

ذلك ، والحج للكعبة وإن كان من خصائص أمتنا الإسلامية . فإنه باعتباره قصدا إلى مكان مقدس ، عرفته الأمم المتمدنة فى العصور المختلفة : عرفه اليونان فكانوا يحجون قبل المسيح عليه السلام إلى معابد مقدسة لديهم ، وعرفه الهنود والصينيون القدامى ، ثم عرفه اليهود والمسيحيون الذين لا يزالون يحجون إلى بيت المقدس .

ومما يجدر ملاحظته أن الحجاج من هذه الأمم المختلفة وغيرها ، يلتزمون أثناء الحج التقشف والزهد فى هذه الدنيا كما نلتزم ، ليشعروا أنفسهم شيئا من الروحية العالية ، وطلبا لمرضاة معبوداتهم وطمعا فى ثوابها . وليس هذا التوافق من الأمم المختلفة بعجيب ؛ فالإنسان هو الإنسان فى كل زمن ، وإنه ليحس فى قرارة نفسه : الحاجة للسمو الروحى والتقرب من المعبود أو من الرمز الذى اتخذه لهذا المعبود . وهذا السمو وهذا التقرب لهما سبل عدة ، من أهمها تجشم التعب وبذل المال فى سبيل الحج للمكان المقدس الذى يراه ألصق البقاع بما اتخذه من إله .

هذا هو خطر الحج عند الأمم المختلفة لما يعتبرونه مقدساً من مكان ، فكيف عندنا وهو تلبية لنداء أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام وإجابة لرجائه ربه إذ يقول : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ وهو مع ذلك استجابة لأمر نبينا محمد ـ ﷺ ـ حين أمره الله بقوله : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ .. فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآيات صعد أبا قبيس فقال : « ياأيها الناس حجوا بيت ربكم » ،

البقية ص ١٢٩٣

اللغة والأدب والنقد

نظرات لغوية عند ابن القيم

آراء الزمخشري وحماقاته

أشعار أم أغلال؟



د. توفيق محمد شاهين

ولفظ المشتق قد يأتى واحداً فى الوزن والهيئة، ولكن يتنوع استعماله بحسب الفعل والإضافة، فلفظ (البركة) نوعان :

أحدهما :

بركة من فعله تبارك وتعالى، والفعل منها بارك. ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة، وبأداة فى تارة، والمفعول منها مبارك، وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى.

والنوع الثانى :

بركة تضاف إليه (تعالى) إضافة الرحمة ـ والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له ـ عز وجل ـ فهو سبحانه المبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما قال المسيح ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ ﴾ (١)، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك، وأما صفته (تبارك) فمختصة به تعالى، كما أطلقها على نفسه بقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (٢) .. أفلا تراها كيف اطردت فى القرآن جارية عليه مختصة به، لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوها، فجاء بناء (تبارك) على بناء (تعالى) الذى هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك تبارك دال على بركته وعظمها وسعتها ...) (٣) .

* * *

وتدور المعانى حول اللفظ متقاربة أو متنافرة، ومن المتقاربة ماذكره ابن القيم حول لفظ (عاذ) وماتصرف منها، فهى تدل على التحرز والتحصن والنجاة ..

---

(١) مريم : ٣١ .
(٢) أول الملك .
(٣) بدائع الفوائد : ٢/١٨٥، ١٨٦ .

وحقيقة معناها : الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا ، كما يسمى ملجأ ووزرا . وفي الحديث : أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فوضع يده عليها ، قالت : « أعوذ بالله منك ، فقال لها : لقد عذت بمعاذ ، الحقي بأهلك » .

فمعنى أعوذ : ألتجيء وأعتصم وأتحرز .

وفي أصله قولان :

أحدهما :

أنه مأخوذ من الستر .

والثاني :

إنه مأخوذ من لزوم المجاورة .

فأما من قال إنه من الستر ، قال : العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة التي استتر بها عُوّذ بضم العين وتشديد الواو وفتحها : فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها سموه عوذا ، فكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه ، واستجن به منه .

ومن قال : هو لزوم المجاورة قال : العرب تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه عوذ ؛ لأنه اعتصم به واستمسك به ، فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه .

والقولان حق (الستر واللـزوم) ، لأن الاستعاذة تنتظمهما معا .

وعن الـوسوسـة والوســواس وأصلها ، واشتقاقها ، وأصل تسميتها ، وسر التكرار في سورتي (الفلق والناس) ، ومتابعة حركة اللفظ بإزاء المعنى في متابعة حركتها ، وهل الرباعي في (وسواس) بمعنى الثلاثي المضعف أو لا ، وماالفرق بين هذا الوزن وما شابهه ؟ .. الخ يقول الإمام الفقيه اللغوي ابن القيم :

(الوسواس) فعلال من وسوس ، وأصل الوسواسة الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه :

فالوسواس الإلقاء الخفي في النفس : إما بصوت لا يسمعه إلا من ألقى إليه ، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

ومن هذا وسوسة الحلي ، وهو حركته الخفية في الأذن ..

والظاهر - والله أعلم - أنها سميت وسوسة لقربها وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس وهو الأذن ، فقيل : وسوسة الحلي لأنه صوت مجاور للأذن كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أذن من يوسوس له .

ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه إليه - كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها ، فقالوا : وسوس وسوسة ، فراعوا تكرير اللفظ ليفهم تكرير مسماه .

ونظير هذا ، تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه ، كالدوران ، والغليان ، والنزوان وبابه ..

ونظير ذلك : زلزل ، ودكدك ، وقلقل ، وكبكب الشيء ، لأن الزلزلة حركة متكررة ، وكذلك الدكدكة ، والقلقلة ، وكذلك كبكب الشيء إذا كبه في مكان بعيد فهو يكب فيه كبا بعد كب ، كقوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (٤)

(٤) الشعراء : ٩٤ .

ومثله : رضرضه ، إذا كرر رضه مرة بعد مرة .
ومثله : ذرذره ، إذا ذره شيئاً بعد شيء
ومثله : صرصر الباب ، إذا تكرر صريره .

ومثله : مطمط الكلام إذا مططه شيئاً بعد شيء . ومثله : كفكف الشيء إذا كرر كفه وهو كثير .

وقد علم بهذا : أن من جعل هذا الرباعى بمعنى الثلاثى المضعف لم يصب ، لأن الثلاثى لا يدل على تكرار ، بخلاف الرباعى المكرر .
فإذا قلت : ذر الشيء ، وصر الباب ، وكف الثوب ، ورض الحب .. لم يدل على تكرار الفعل ، بخلاف : ذرذر ، وصرصر ، ورضرض ، ونحوه ... فتأمله ، فإنه مطابق للقاعدة العربية فى الحذو بالألفاظ حذو المعانى ..
وكذلك قولهم : عج العجل إذا صوت ، فإن تابع صوته .. قالوا : عجعج .
وكذلك بح الماء إذا صب ، فإن تكرر ذلك قيل بحبح .
والمقصود : أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ، قيل : وسوس (٥)
فالوسوسة : الحركة أو الصوت الخفى ، أو بغير صوت ، وسميت كذلك لقربها من الأذن محل الوسوسة ، وكرر لفظها لتكرير معناها ، ولأن حركة اللفظ تواكب أو تتابع حركة المعنى ، ومن ينزل هذا الرباعى ـ فى وسوس ـ منزلة الثلاثى أخطأ ، لأن الثلاثى لا يدل على التكرار كالرباعى ، والعرب تحذو بالألفاظ حذو المعانى .

* * *

ويفرق العلامة ابن القيم بين لفظ الوسوسة والخناس فى المعنى وفى الاشتقاق ، ولم كان الاختلاف ؟ ولماذا جاء (الخناس) على فعال ، دون خناس أو مخنس ؟ وكيف يكون الخنس ؟ .. وما حقيقة لفظ (خناس) ؟ وممَّ أخذ اشتقاقه ؟ من الرجوع إلى الوراء أو من الاختفاء ؟

وهل تسعف الشواهد ـ فى الاستعمال الفصيح ـ الاستعمالين ؟ ومالرتباط اللفظ بالمعنى ؟

يجيب عن أسئلتنا ابن القيم ، حين يقول : ـ « وأما الخناس ، فهو فعال من خنس يخنس إذا توارى واختفى ، ومنه قول أبى هريرة : « لقينى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض طرق المدينة وأنا جنب فانخنست منه » .
وحقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور فليست لمجرد الاختفاء ..

وقالت طائفة : الخنوس أصله الرجوع إلى وراء .. والخناس مأخوذ من هذين المعنيين : فهو مأخوذ من الاختفاء والرجوع والتأخر .
فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم الشيطان على قلبه ، وانبسط عليه ، وبذر فيه أنواع الوساوس التى هى أصل الذنوب كلها . فإذا ذكر العبد ربه ، واستعاذ به انخنس وانقبض كما ينخس الشيء ليتوارى .

وذلك الانخناس والانقباض هو أيضاً تجمع ورجوع وتأخر عن القلب إلى خارج فهو تأخر ورجوع معه اختفاء . وخنس وانخنس يدل على الأمرين معا ..

وجيء من هذا الفعل بوزن فعال الذى للمبالغة ، دون الخانس أو المنخنس إيذانا بشدة هروبه ورجوعه وعظيم نفوره عند ذكر الله ، وأن ذلك دأبه وديدنه ، لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر الله أحياناً ، بل إذا ذكر الله هرب وانخنس وتأخر ...

وتأمل كيف جاء بناء الوسوسة مكرراً لتكريره الوسوسة الواحدة مراراً حتى يعزم عليها العبد .
وجاء بناء الخناس على وزن فعال الذى يتكرر

(٥) بدائع الفوائد : ٢ ـ ٢٥٠ / ٢٥١ .

منه نوع الفعل ، لأنه كلما ذكر الله انخنس ، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء بناء اللفظين مطابقاً لمعنييهما » .

وتأمل ختامه لهذا الفصل بقوله : فجاء بناء اللفظين : (الوسوسة والخناس) مطابقاً لمعنييهما ، وماجاء فى حديثه من زيادة المعنى لزيادة المبنى ، ورجوع اللفظ للمعنيين ، ودوران اللفظ حول المعنى ، وقد قال علماء أصول اللغة إن هناك فرقاً فى المعنى بين الحروف حين تختلف صفة ومخرجاً ، كالحاء والخاء فى (نضح الماء ونضخ) وبين قولة أبى ذر - رضى الله عنه - فى صبر الفقراء وتقشفهم وتنعم المترفين حين قال : « ويخضمون ونقضم والموعد الله » فالقضم وفيه القاف لليابس والجامد ، والخضم بخائه للهش والطرى ...

وينطبق اللفظ على المعنى المستفاد من لفظى : الوسوسة والخنس عند ابن القيم ، فيقرر للفظ ماقرره علماء أصول اللغة للحرف بدءا بالخليل ابن أحمد العبقرى ، ومروراً بالألمعى ابن جنى ، وابن سينا ، والخفاجى . ومعاصرة بالشيخ عبدالله العلايلى فى مقدمته لدراسة لغة العرب .

جزى الله علماءنا عن الإسلام والعربية كل خير .... والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

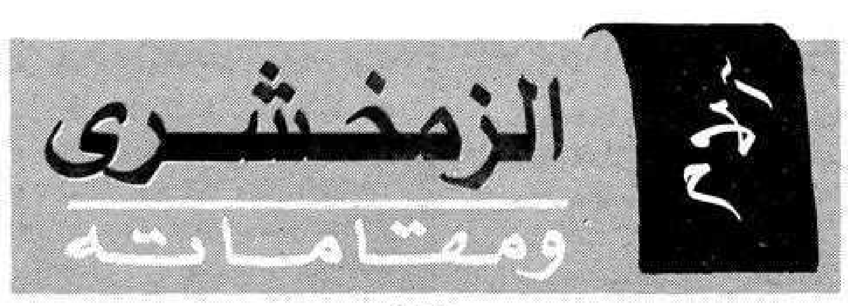
من روائـــع المـاضـى . بقية .

فأسمعه الله تعالى من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه تعالى أنه يحج ، من الطائفين والقائمين والركع السجود .

إنى أحاول أن أتصور دينا خلا من الحج لمشهد مقدس وبقاع طاهرة ، فلا أكاد أظفر إلا بصورة باهتة لدين ميت لا حياة فيه ، وقاصر عن بلوغ الكمال بمتبعيه .. إنه من النافع كل النفع أن يصلى المرء ، ففى هذا رياضة للجسم والروح ؛ وحسن وجميل أن يصوم ، ففيه تعويد على الصبر وترقيق للنفس وفائدة للجسم ؛ ومن الخير للمجتمع أن يؤدى أفراده الزكاة على اختلاف ألوانها ، ففى هذا اقتلاع للحسد والحقد من قلوب المعوزين على القادرين ، وعون للفقراء على متاعب الحياة ، وإغلاق لكثير من السجون ، وفتح لغير قليل من المنشآت الاجتماعية ولكن ، هذه العبادات كلها لا تغنى عن التزام الأمة للحج لمكان واحد وقصد غرض واحد ، والعيش فترة من الزمن فى تجرد عن الحياة ومفاتنها ، وإقبال على الله وحده ، واستعداد لتلقى فيضه ورحمته ما دمنا قد سعينا إلى بيته مخلصين النية له .

من ذلك كله ، نعرف أن الحج عمل يأمر به العقل قبل أن يوحى به الدين ، وأن لكل عمل من أعماله وشعيرة من شعائره حكمته وفلسفته ، وأن دينا صحيحا لا يمكن أن يقوم بدونه ، وأن أمة من الأمم لا يسعها أن تستغنى عنه ، وحسبنا دلالة على هذا ، ما أشرنا إليه من أن الأمم التى خلت عرفته وعرفت له خطره ، وأن الأمم التى تعمر العالم اليوم - على اختلاف مللها ونحلها - تعد الحج لمكان ما ، أمراً مقدسا فيه رياضة للجسم وسمو للنفس وخير للأمة عامة . وإن أمراً تجمع عليه الأمم فى العصور الخالية والأيام الحاضرة ، رغم ما يفرق بينها من اختلاف فى الجنس والدين والتقاليد ، لهو أمر لا يقادر قدره ولا يكاد يدرك كل ما فيه من جمال وخير وفضيلة .

من أجل هذا ، أدعو الله أن يوفقنا لهذا الخير مرة بعد مرة ، وأن يجعل حج من يحج من المسلمين عامة حجا مبرورا ، ليس له جزاء إلا الجنة كما جاء فى حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .



للدكتور شعبان محمد موسى

والمقامة ما هى إلا حديث يقال فى مجلس ، وقد كان الزهاد الأوائل يعظون الخلفاء والأمراء ، ويحثونهم على الخير ، وقد اورد ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) شيئا من ذلك[١٤] ، ثم تطورت هذه الأحاديث ، وتعددت موضوعاتها ، وصارت مادة للسمر ، إلى ان جاء بديع الزمان الهمذانى ، وكتب مقاماته ، واتخذ لها بطلا وراوية ، وسار على نهجه من تلوه مثل الحريرى . لكن الزمخشرى عاد بالمقامة سيرتها الأولى ، فجعل موضوعها الوعظ والإصلاح الأخلاقى ، ولم يوجد لها بطلا ، ولا راوية ، وإنما توجه بالحديث إلى ابى القاسم الذى هو نفسه ، يحثه على الخير ، ويبثه جواهر الكلم ، واستعمل ضمير المخاطب بطريقة جميلة ، يظهر فيها الودّ والتواصل على طريقة المؤلفين المسلمين قبل العصر الحديث ، حينما كانوا يقولون مثلا فى بداية كتبهم : « اعلمْ ـ حفظك الله ـ أن ... » .

والخطاب موجه لكل قارىء ، واستخدم ضمير الغائب فى خطبته التى صدّر بها مقاماته . والأسلوب المتبع فى مقامات الزمخشرى هو أسلوب السجع ، ولكنه سجع خفيف ، والسجع هو الأسلوب الغالب فى الكتابة العربية منذ أيام العباسيين حتى مطلع العصر الحاضر باستثناء بعض المفكرين المسلمين من أمثال ابن حزم الأندلسى وابن خلدون ، فقد كانا يكتبان بالأسلوب المرسل . والقراءة الصحيحة للسجع تقتضى الوقف على أواخر الكلم ؛ لكى تتحقق الموسيقى ، وقد أشار الزمخشرى إلى ذلك بقوله : « ... وتفهيمك أن كلمات السجع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها ؛ لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ، وما يتم ذلك إلا بالوقف ، وإلا ذهبت أيادى سبأ ... »[١٥] .

وقد رصع الزمخشرى بعض مقاماته بأبيات

(١٤) عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، ٢/٣٥٩ ـ ٢٧١ ، نشر يوسف على طويل بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ .
(١٥) المقامات ، ص ١٣ ، (ذهبت أيادى سبأ) مثل عربى يضرب للتعبير عن التفرق بعد الاجتماع ، وأصله تفرق قوم سبأ عقب انهيار سد مأرب بسيل العرم .

من الشعر من نظمه هو ، كما صنع بديع الزمان والحريرى وغيرهما فى مقاماتهم ، والمقامات الزمخشرية التى بها شعر هى : الزهد ، والتسليم ، والصمت ، والمنذرة ، والطيب ، والعزلة ، والولاية ، واجتناب الظلمة ، والمراقبة ، والنهى عن الهوى ، والخمول ، وقد تراوح عدد الأبيات الشعرية فى المقامة بين بيت واحد إلى ستة أبيات ، وهو شعر دينى ينسجم مع موضوع هذه المقامات .

وألفاظ المقامات الزمخشرية جزلة حسنة السبك ، وهى فى غالبها مفهومة ، وما كان صعبا فالسياق يساعد على توضيحه ، وأصعب هذه الألفاظ هى ألفاظ العلوم ، وجلها فى مقامة النحو والعروض والقافية والديوان ، يضاف إلى ذلك الإشارات التاريخية فى مقامة أيام العرب ، وقد تولى الزمخشرى شرحها .

ونلمح فى هذه المقامات سعة ثقافة جار الله فى علوم العربية نحوا وبلاغة وأدبا ، وأيضا فى العلوم الإسلامية ، كعلوم القرآن والحديث ، والشواهد كثيرة من أول المقامات إلى آخرها ؛ من أجل ذلك تحتاج إلى قارىء مثقف واسع الاطلاع فى علوم العربية والإسلام ، لكى يفهمها ويتذوقها على أتم وجه ممكن .

وقد طبعت المقامات الزمخشرية بشرح الزمخشرى فى مصر سنة ١٣١٣ هـ ، ثم طبعت طبعة ثانية فى مصر أيضا سنة ١٣٢٥ هـ ، وقد ترجمها إلى الألمانية المستشرق ريشر O.Rescher سنة ١٩١٣[١٦] ، وقد شرح هذه المقامات محمد سعيد الفاروقى الطرابلسى[١٧] ، ثم طبعت هذه المقامات فى لبنان بتحقيق يوسف بقاعى ، سنة ١٩٨١ ، مذيلة ببعض الشروح فى هامش الصفحات ، وهى طبعة جيدة ، على ورق ممتاز ، وضبطها المحقق بالشكل ، وفى شرحه أفاد من الشروح السابقة ، غير أننى آمل أن يلحق بها المحقق فهارس منوعة تيسر على الباحث سبيل الدرس ، فى طبعة لاحقة ، وقد اعتمدت فى دراستى هذه على طبعة يوسف بقاعى ، وقد بخل المحقق على هذه المقامات حتى بفهرس لعناوينها ، فليس فيها هذا الفهرس ؛ صحيح أن بعض مناهج التحقيق يعتمد إخراج النص فحسب ، ولكن الفهارس ضرورية أيا كان منهج التحقيق .

أخيراً يرد هذا السؤال : ما قيمة المقامات الزمخشرية ؟ تمثل المقامات الزمخشرية حلقة مهمة فى تاريخ « فن المقامة » ، وهى كذلك بالنسبة لتاريخ الوعظ ؛ فإن الأدب العربى يحتوى على كتب ورسائل فى الوعظ والإصلاح الأخلاقى ، بجوار الخطابة الدينية ، وهى فن أدبى ، فمقامات الزمخشرى تعد لبنة من لبنات الأدب الإصلاحى الذى يصور لنا قيم المجتمع وتطلعاته نحو المثل الأعلى ، كما يكشف لنا عن عقل هؤلاء الكتاب وروحانيتهم ، وتطورهم النفسى ، وأدب المواعظ جزء من الأدب العربى بعامة ، ولا يمكن التأريخ له على وجه الصحة حتى تدرس كل حلقاته ، ويكشف عن خصائصها ، وتاريخ إنشائها وتطورها .

وقد مضى على هذه المقامات تسعمائة عام تقريبا ، ولا تزال تحتفظ بقيم كثيرة ، سواء كانت قيما أدبية أو نفسية ، إن الوعاظ يمكن أن يفيدوا منها مادة ثرية لخطبهم ، وحلاوة فى أسلوبهم ، والشعراء والكتاب إذا قرأوها بحبر سيستمدون

---

(١٦) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/٤١٠ .

(١٧) المقامات . ص ٩ .

آلام الزمخشرى ومقاماته

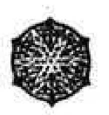
منها كثيرا من الملاحظات النفسية ، وكثيرا من الخيالات ، ومادة البيان فى هذه المقامات ممتازة ، وحتى السجع ـ وهو الذى ينفرُ منه أهل عصرنا هذا ـ يرد فى مقامات الزمخشرى سمحا لطيفا ؛ لسمو الغرض .

وفى هذه المقامات قطع جميلة تتخطى الزمان والمكان ؛ لأنها تعبر عن أحوال تنتاب البشر ، والملحوظ أن الزمخشرى يعتمد على عنصر المفارقة ليوضح قصده . اقتبس هنا قطعة من القطع التى أعجبتنى فى المقامات الزمخشرية : « إن القانع أصاب كل ما أراد وزاد ، ولن تجد حريصا يبلغ المراد ، الحريص وإن استمرأ المطعم ، لا يترك أن يطلب الأنعم فالأنعم ، وإن استسرى اللباس ، واستقره الأفراس ، وجدته أحرص وأشره ، على أسرى وافره ، يوغر دائما أن يُنْعِمُوا له المهاد ، ويقول خشن يورث السهاد ، حتى إذا بلغ كل مبلغ فى التوطئة والإنعام ، وكسى بشكير السَّمُّور وزف النعام ، دعته نفسه إلى تمنى بيتوتة أهنأ مهجعا ، وأوطأ مضجعا ، وإن اجتلى أنور من القمر عض على الخمس ، وقال هلّا كان أضوأ من الشمس ، شقى تصب إلى كل مشتهى لهاته ، وتضب لكل متمنى لثاته ، فليس له إذن حد ينتهى إلى مطلبه ، ولا أمد يتوقف وراء مرغبه[١٨] » .

هذا النص من المقامة السادسة عشرة ، وعنوانها القناعة ، وهو يصور لنا نفس الحريص ـ الذى لايقنع ـ تصويرا جميلا ، لم يفقد جماله رغم مر القرون ، وأعتقد أنه لن يفقد قيمته فى قابل الزمان ما دامت النفس البشرية يتعاورها الطمع ، فالشره إلى الماديات كلما حصل قدرا منها تاق إلى أفضل منه ، لذلك لا ينعم مثل هذا الشخص بالموجود ، وغالبا لا يدرك كل المقصود ، فهو يعيش أبدا فى كرب وهمّ ، وضدّ ذلك القانع يبيت خالى البال ، عالما بأن ما قسم له سيأتيه ، إن حصل قليلا شكر ، وإن لم يدرك شيئا صبر ، فهو دائما سعيد ؛ والنص هنا مبنى على الموازنة بين أهل القناعة وأهل الحرص الذين يلهثون وراء الماديات التى لا تنتهى ، فيهلكون أنفسهم وهم لا يشعرون .

هناك بالتأكيد نصوص أخرى جميلة يمكن أن تقتبس ، ولكن أكتفى بهذا ، وأحب فقط أن أشير إلى أن كثيرا منها يحتوى جملا ، هذه الجمل بمفردها حكم بالغة ، وبعضها مستنبط من القرآن العظيم ، وبعضها الآخر من الحديث النبوى ، هذه الجمل الحكمية لا تخلو منها مقامة من مقامات الزمخشرى .

رحم الله الزمخشرى وأجزل ثوابه .



(١٨) السابق . ص ٩٢ ـ ٩٣ .

أشرار أم أغرار؟

ترجمة وإعداد
مجدى عبد الحميد بشير

كثيراً ما يراودنى هذا التساؤل كلما طالعت حكايات كليلة ودمنة ، وما خطت يراع أمير الشعراء من قصص شعرى تعليمى بديع ، يصور للأطفال طرفاً من مكائد الحيوان خصوصاً تلك التى مطلعها :

برز الثعلب يوما ** فى ثياب الواعظينا

فاجدنى اصرخ من اعماقى مردداً ما قاله عامل المناجم باقاصى الريف فى كلاسيكية القرن التاسع عشر لـ Mark Twain ، والمسماة « جعجاع بالخارج » عندما قال بعد أن ضاقت به السبل مع أحدهم : لم يكن ما يتمتع به رجل مجلس النواب من مبادىء وقيم خلقية ليزيد بحال من الأحوال على ما اوتى ابو زريق منها . فابو زريق[1] ـ والكلام ليس لى ـ لا يتورع عن ان يكذب ويسرق ويخدع ويخون . اما وفاؤه بالوعد فلا ينطبق عليه إلا المثل القائل : « ليت هندا انجزتنا ما تعد »

فهو على استعداد أن يحنث أربع مرات فى وعد قطعه على نفسه خمس مرات لا يضيره حتى إن كان ذلك وعده الوحيد .

وبعد ، فإن وجهة النظر المطروحة فيما تقدم والقائلة بقدرة الحيوانات غير المحدودة على الإتيان بأعمال تتسم بالذكاء ، هى فى الواقع تصرفات مبتكرة ، تكتسب هذه النظرة قدراً كبيراً من الذيوع والانتشار لدى مُرَبِّى الطيور الأليفة وزوار حدائق الحيوان .

بيد أن العلماء درجوا على رفض هذه النظرية رفضاً تقليدياً . فهم يفضلون حين الحديث عن عالم الحيوان مفهوماً ينأى بأفراد هذه المملكة عما امتاز به الإنسان من فضل ولو قليلا ، وهم فى ذلك يلتئمون مع الحقيقة القرآنية التى جاءت فى

(١) طائر كالغراب يضرب به المثل فى الغربة وعدم الخبرة .

أشـــرار أم أغــرار

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠ الإسراء) .

ويزيدون هذا المفهوم تأصيلاً بقولهم : إن النية مع سبق الإصرار والترصد فى أعمال اصطبغت بالمراوغة والخداع على وجه الخصوص من المقطوع به أن تكون منطقة لا يقربها إلا شراذم من البشر .

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كل خوّان للعهود يقسم على الإخلاص وما فى قلبه حبة خردل منه ، وكذلك السّاسة الذين اعتادوا تحويل الأبيض ، إلى أسود والأسود إلى أبيض والذين ماينفك أحدهم يؤكد لناخبيه أنه سيعمل جاهداً على عدم رفع الضرائب إن تمكن من البقاء تحت قبة البرلمان ، فلا يزيده ما أطلق من العهود والوعود والمواثيق إلا تماديا فى الغى والإجحاف ؛ فالحيوانات فى رأى معظم الباحثين عدمت منذ خلقت وسيلتى الخداع الأساسيتين ، ألا وهما : اللغة والقدرة على التخطيط ، فقد قُدّت أجسادها من نسيج سرت فيه الأمانة ، وهى ، وإن كانت أقل منا قوة ، إلا أن مابها من فطرة لم تتبدل ، وجبلة لم تتدنس ، زادتها طهارة قلب ونقاء روح ، لكن هذا الرصد الرافض لما يمكن أن تتمتع به الأجناس الأخرى من قدرات ذهنية ، أخذ يتعرض الآن للتحدى ، فقد تزعمت وأحيت الجدل الجديد القديم مجموعة من أصحاب النظريات القائلة بقدرة الحيوان على التفكير ، وإن اختلفت طرائق ذلك التفكير وأساليبه عن أساليب الإنسان وطرقه اختلافا بينا . ولتعضيد موقفهم يشير أولئك الخبراء إلى البحوث المتنامية التى تبين قدرة كثير من الحيوانات على الإتيان بتصرفات ، لو أداها الإنسان لاصطلح ـ دونما أدنى تردد ـ على وصفها بالكذب والاحتيال .

ومن ثم فإنهم يقولون : إنه أصبح من المحتم علينا أن نعيد رسم الخط الفاصل الذى يعرف ويحدد بدقة ما لا يمكن وصفه إلا بأنه عمل إنساني .

ويُتهَم أصحاب النظرية التى تخلع على الحيوان ثوب العقل بالانجراف وراء ذات الإغراء الذى حدا بالبعض إلى تأكيد القصد والعمد فى عجماوات لا تعى ولا تعقل ، ويقولون : إن الخداع يتطلب نية واعية مدركة لمعنى الخداع ، وإنه يمكن تفسير ما قد يبدو مكرا مقصوداً فى الحيوانات بالغريزة أو الارتباط الشرطى . ومن هنا فإن طرح أسئلة من قبيل : ماذا تعرف الحيوانات ؟ ومتى تعلمت ما عرفت ؟ أضحى مثار مناقشات حامية فى الأوساط العلمية .

إن الخداع فى أدنى مستوياته الأولى ماهو إلا (استراتيجية) وقائية تهدف إلى الحماية تم تشكيلها عبر مراحل تطور* الحيوان المختلفة ، وكون الله عز وجل زاخر بالكائنات التى تفننت وبرعت فى تنكير مظاهرها للتقليل من فرص التهام غيرها لها . ومن أمثلة ذلك ملكات الفراشات التى نسجت على منوال الملكات السامة . وكذلك الحشرات التى أشبه شكلها الخارجى شكل العصى والأحجار ناهيك عن (العُثّة) ذات الأجنحة المدببة ، الشكل التى بدت كعينى البومة فانطلى تدبيرها على الطيور التى ولت بدورها بحثا عن إفطارها فى مكان آخر ، وفيما يخص تلك الظاهرة بالذات فليس هناك كثير اختلاف .

● الترجمة الأمينة تفرض على الكاتب هذا اللفظ ، وليست مجلة الأزهر مع مضمونه البرىء من الإيمان .

فمعظم هذه المظاهر ليس إلا تمويها بسيطا ، هو فى جوهره نتاج برامج (جينية) وراثية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بعمليات التفكير العقلانية . فمن المستحيل مثلا أن يقال بمعرفة العثة لتقليدها البارع للبومة . وحين فحص الباحثون أمثلة انطوت على السلوكيات أكثر من المظهر ، تبين لهم دون لبس أن ذلك السلوك الذى اعتقد فى السابق اعتقاداً جازماً بغريزيته المحضة ليس إلا سلوكاً (آنىّ) المرونة (لحظى) الظهور . وهذا يوضح فى أن بعض الأنواع خفيضة الرتبة تمارس قدراً لا بأس به من الضبط والإتقان .

تأمل (القطاة) وهو طائر رملى اللون يبنى أعشاشه فى الكثبان كيف تغطى مغارضها بالطحالب والأعشاب . والقطاة - تشبه كذلك طيوراً أخرى - تبتعد عن عشها وتقوم بأداء دور الطائر كسير الجناح لدى اقتراب أحد الضوارى منها . وقد اكتشفت كارولين ريستو «Carolyn Ristau» المحاضر الزائر فى علم النفس بكلية «Hunter» فى نيويورك أن الطيور شديدة الحساسية للظروف المتغيرة تماما كانقيادها لما تتكهن به الغريزة . إنها لا تقف عند ذلك الحد ؛ بل إنها تعدل من تصرفاتها . فعندما تواجه بالقادمين من بنى البشر ؛ فإنه يكون واضحاً أن القطاة تميز بين أولئك الذين يشكلون تهديداً لحياتها ، وأولئك الذين لا خطر منهم . فالإنسان الذى يُبدى اهتماما شديداً بعش الطائر هو إنسان فضولى يتطلب عرضا مطولاً لمنظر الطائر كسير الجناح . أما ذلك الذى يسير الهوينا فقد خلب لبه منظر المحيط وسبى بصره موجه الرقراق لا يكلف الطائر إلا التحية التى قلت فيها الاستجابة الحذرة . ولو أن القطاة كانت تقرأ من (نص جينى) لكان المتوقع منها أداء رقصاتها المؤثرة بنفس النمط فى كل مرة بصرف النظر عن رد الفعل الصادر عن الذئب المفترس أو (الراكون) المتحفز و(الرّاكون حيوان ثمين الفراء) . إلا أن Ristau وجدت أن القطاة يبدو أنها تراقب سلوك الضوارى جاهدة فى اكتشاف ما إذا كان هجومهم سيكلل بالنجاح . وعندما لا تبدو على هذا المغير أو تبدر عنه - وهو فى هذه الحالة الإنسان - علامات أو إشارات تنبىء عن فقدان اهتمامه باستعراض الطائر كثير الجلبة فستكثف القطاة من مجهوداتها سعياً إلى صرف الانتباه عنها ، وتفضل Ristau الحذرة من القفز إلى الاستنتاجات موقفا محافظا ، ومن ثم فهى تحذر قائلة : إن أيا من تلك الأمثلة لا يثبت أن لهذه الطيور غرضا واضحا فيما تأتى من افعال . إلا أن باحثين آخرين يعدون مرونة القطاة دليلا أوليا على توافر القصد لديها مهما كانت بدائيتها .

وحتى سلوك العناكب يمكن أن يكون أكثر تعقيداً مما كان مفترضا من قبل . فالعنكبوت النطاط من فصيلة «Portia» ينخرط فى عدة خطط مبتكرة ليخدع ويستغفل ويصطاد فريسته من العناكب الأخرى .

قام البيولوجى «Stimson Wilcox» وزميله النيوزولندى «Robert Jackson» بدراسة عادات تلك الحشرة فشاهدوه وهو يغزو نسيج أحد العناكب الآمنة الوادعة ، فيرسل بإشاراته إلى الخيوط الحريرية كما تفعل الذبابة أو النملة من شد وجذب وضرب وهز فيتحرك المضيف الجائع حذراً إلى مدى ما ، فما يلبث أن يلتهمه (اليورشيا) . وكان مثار عجب الباحثين أن (اليورشيا) هذا أكثر من اعتماده على (استراتيجية) واحدة للهجوم ، فإنه يغير (تكتيكاته) معتمداً فى ذلك على نوع العنكبوت ونوع النسيج الذى يواجهه ولو أنه لمح ضحية مهمة خارج نطاق مدى قفزه فإنه يفكر ويحسب ثم يتحرك إلى موقع أفضل .

ويرى «Wilcox» أن مقدرة العنكبوت على

البقية ص ١٣٠٦

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

علماء المسلمين أدوا صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف

أدى علماء المسلمين أعضاء المؤتمر الرابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية صلاة الجمعة (١١ شوال ١٤١١ هـ ـ ٢٦ إبريل ١٩٩١ م) بالجامع الأزهر الشريف يتقدمهم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور محمود شريف محافظ القاهرة ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف .

وقد تناولت خطبة الجمعة أسباب وحدة المسلمين المتمثلة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وضرب أمثلة بالقدوة الحسنة للرسول الكريم وأصحابه والتابعين .

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يعقد مؤتمره الرابع بالقاهرة تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية

عقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمره الرابع بالقاهرة برعاية الرئيس محمد حسنى مبارك فى الفترة من ٢٥ ـ ٢٧ ابريل ١٩٩١ . وقد شارك فى أعمال المؤتمر عدد كبير من علماء مصر ووزراء أوقاف دول إسلامية وعربية ووفود تمثل أكثر من مائة دولة وهيئة ومنظمة .

وقد وجه الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة إلى المؤتمر القاها نيابة عنه الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء . أكد فيها على أن الأمة الإسلامية والعربية تأمل من اجتماع القاهرة كل الخير وإرساء أسس وثوابت الحفاظ على العقيدة الإسلامية وحماية الأقليات المسلمة .

وتحدث الإمام الأكبر فدعا المؤتمر إلى وقفة مع النفس لدراسة ما اختلط من شأن الأمة الإسلامية فأدى إلى انفراط عقدها لتعالج أمره علاجا رشيداً يعيد مجدها .

وقد التقى الرئيس مبارك بوفود وأعضاء المؤتمر بمناسبة اختتام أعماله ، وطالبهم سيادته بالقيام بعملية تقدير للموقف العربى والإسلامى بعد حرب الخليج .

برقية شكر للإمام الأكبر من خادم الحرمين الشريفين

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر برقية شكر من خادم

الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ردا على تهنئة فضيلته بمناسبة تحرير دولة الكويت وانتصار الحق .

جاء فى البرقية :

« تلقينا رسالة فضيلتكم المشتملة على تهنئتكم وتهنئة علماء وطلاب وهيئات الأزهر الشريف بانتصار الحق على الباطل وتحرير دولة الكويت الشقيقة من الاحتلال والعدوان ، ونشكر فضيلتكم وكافة منسوبى الأزهر على مشاعركم الطيبة ، ونقدر ماأعربتم عنه ، ونرجو الله القدير أن يحفظ أمتنا من شرور المعتدين ، والله يرعاكم » .

برقية تهنئة لفضيلة الإمام الأكبر من الرئيس الأمريكى

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من فخامة الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية برقية تهنئة بمناسبة عيد الفطر ، أعرب فيها لفضيلته عن أطيب تمنياته لشخصه بقضاء عيد فطر سعيد وللشعب المصرى المزيد من الرخاء والازدهار والاستقرار وتعميق الصداقة بين الشعبين المصرى والأمريكى . وقد شكر فضيلته الرئيس بوش على هذه المبادرة ببرقية متمنياً أن يعم السلام والعدل بنى الإنسان فى أرجاء المعمورة .

قرار فضيلة الإمام الأكبر ببعثة الحج

أصدر فضيلة الإمام الاكبر قراراً بتكليف فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية - برياسة بعثة الأزهر للحج لعام ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م لكى تقوم بدورها فى التوعية الدينية بين الحجاج وأداء رسالتها فى الاراضى المقدسة للإرشاد الدينى والاسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لجمهورية مصر العربية .

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبدالمنعم فودة ●

تعديلات جديدة فى الدستور الباكستانى أساسها القرآن والسنة

اعتمدت التعديلات الجديدة فى الدستور الباكستانى من أجل تحويل باكستان إلى دولة حرة ديمقراطية ، وروعى أن تتضمن التعديلات التطبيق للنظام الإسلامى فى ضوء القرآن والسنة لضمان تطبيق العدالة على مختلف المستويات وتحسين انظمة الأمن وتطبيق الإصلاحات الاجتماعية من أجل قيام اقتصاد سليم على اسس إسلامية .

وتهدف التعديلات الجديدة إلى تخليص المجتمع الباكستانى من الشرور الاجتماعية مثل الفساد والرشوة والفسق .

الإسلام فى اليابان

ذكرت الإذاعة اللندنية فى تقرير لها عن تاريخ الإسلام - فيما يخص اليابان : أن ثمانية

أنباء وآراء

وعشرين ألف مسلم يعيشون باليابان ، وانه قد بدأ تعرف الشعب اليابانى على الدين الإسلامى عن طريق جيرانهم فى الصين ، وبواسطة الكتب التى نشرها الأوروبيون ، وكان الاتصال المباشر بالعالم الإسلامى خلال الحروب الروسية اليابانية فى مطلع القرن العشرين ، حيث كان بين الجنود الروس مسلمون ، وقد وصل إلى اليابان فى ذلك الوقت عدد من المسلمين .

وبعد الحرب العالمية الأولى زادت الاتصالات بين اليابانيين والمسلمين فى عام ١٣٤٢ هـ حيث قام الشيخ محمد عبدالحى قربان ومعه ستمائة مسلم بالهجرة إلى اليابان هربا من اضطهاد النظام الشيوعى الجديد فى الاتحاد السوفيتى آنذاك وكانت هذه أول هجرة كبيرة للمسلمين إلى اليابان .

وقد بنى الشيخ قربان أول مسجد ومدرسة لتعليم القرآن الكريم عام ١٣٥٧ هـ .

فشل خطط المنصرين فى زائير

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية فى تقرير لها من زائير أن المنصرين فى (زائير) قد فشلوا فى إقناع القبائل الوثنية بالانضمام إليهم بعد أن أعلن الذين تنصروا عدولهم عن النصرانية .

وأشار التقرير الذى أعدته الوكالة أن القبائل الوثنية مهيأة الآن لاعتناق الإسلام اكثر من أى وقت مضى ، لو أحسن التعريف به بين صفوة القبائل الوثنية بـ (زائير) .

وأوضح التقرير أن عدد المنصرين بلغ خمسة عشر ألف منصر وبلغ عدد النصارى بـ (زائير) سبعة ملايين ، وعدد المسلمين ثلاثة ملايين مسلم .

وطالب التقرير جهات الدعوة الإسلامية بإيفاد قوافل التوعية الدينية على مستوى عالٍ لنشر الإسلام بين تلك القبائل .

انشاء أول معهد إسلامى بجمهورية كازاخستان

انشىء مؤخرا بجمهورية كازاخستان بالاتحاد السوفيتى أول معهد إسلامى لتدريس العلوم الدينية للطلاب المسلمين .

وسوف يلتحق بالمعهد بصفة مبدئية ثلاثون دارسا ، وتقرر أن يكون التاريخ الإسلامى والعلوم الإسلامية مثل التفسير والفقه من العلوم الأساسية التى تدرس بالمعهد بجانب تاريخ الاتحاد السوفيتى وتاريخ الأمة الإسلامية ، وتكون الدراسة باللغتين العربية والروسية .

البحث فى إنشاء سوق إسلامية مشتركة

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق تعقد ندوتان بمركز (صالح كامل) للدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر لبحث مستقبل التعاون الاقتصادى بين الدول الإسلامية ، بدأت الندوة الأولى يوم الاثنين ٦ مايو ١٩٩١ م لمدة ثلاثة أيام .

أما الندوة الثانية فتبدأ يوم ٢٠ مايو ١٩٩١ م وتستمر - أيضاً - ثلاثة أيام .

بحثت الندوة الأولى قيام سوق إسلامية مشتركة والصعوبات التى تواجه قيام هذه السوق ، وآثار قيام السوق الإسلامية على النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الأمة الإسلامية .

وتبحث الندوة الثانية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لأزمة الخليج .

التوصيات الختامية لندوة

"نحو سوق إسلامية مشتركة"

دعت جامعة الأزهر إلى عقد ندوة علمية بعنوان « نحو سوق إسلامية مشتركة » برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، عقدت في الفترة من ١٩ إلى ٢٦ شوال ١٤١١ هـ الموافق ٤ إلى ٦ مايو ١٩٩١ م ، بمركز صالح عبد الله كامل للدراسات التجارية الإسلامية .

حضر الندوة لفيف من العلماء والمهتمين بالدراسات الإسلامية والاقتصادية من مصر والعالم الإسلامي .

افتتح الندوة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وقد شارك فيها السيد الدكتور/وزير الاقتصاد الذى اختير رئيسا شرفيا للندوة ، والأستاذ الدكتور/عبد الفتاح الشيخ - رئيس جامعة الأزهر رئيس الندوة .

وقد ركزت الكلمات الافتتاحية على ضرورة الاهتمام بوضع خطة عملية تقوم على المعطيات العلمية والاقتصادية للوصول إلى تحقيق تدريجى للسوق الإسلامية المشتركة .

عقدت الندوة جلسات عمل عديدة غطت المحاور الرئيسية للندوة التى تناولت : الضرورات الداعية لقيام السوق الإسلامية فى الظروف الراهنة ، والمقومات الأساسية التى يجب أن تتوافر لكى تقوم هذه السوق ، ثم تعرضت للمراحل المنطقية لإقامة السوق .

وأخيراً نوقشت الآثار والنتائج التى تترتب على تحقيق هذه الفكرة فى الواقع الإسلامى .

وقد تخلل الندوة العديد من المناقشات والتعقيبات التى افادت كثيراً فى توضيح الفكرة ، ورسم الطريق أمام سبل تطبيقها .

وبعد أن تداول أعضاء الندوة البحوث والدراسات والمناقشات التى تمت ، صدرت التوصيات الآتية :

أولاً :

ضرورة العمل على تهيئة المجتمعات الإسلامية لتطبيق فكرة السوق الإسلامية المشتركة ويتطلب ذلك تطبيق الشريعة الإسلامية فى كل الدول الإسلامية ؛ لكى تتوافر الأسس المشتركة للتعامل بين هذه الدول فى المجال الاقتصادى ، ولكى تتقارب التشريعات والأنظمة والمبادىء التى تحكم النشاط الاقتصادى بين الدول الإسلامية .

ثانياً :

توجيه مختلف الجامعات والمؤسسات العلمية ومراكز البحث فى مختلف الدول الإسلامية إلى العناية بالدراسات والبحوث التى تدعم فكرة الوحدة بين الدول الإسلامية وتبرز أهمية تحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية .

ثالثاً :

التعاون بين أجهزة الإعلام فى مختلف الدول الإسلامية لكى تساعد على تكوين رأى عام فى تلك الدول يبرز أهمية تحقيق التعاون والتكامل بين مختلف الدول الإسلامية .



أنباء وآراء

رابعاً :

حث منظمة المؤتمر الإسلامي بأجهزتها المختلفة ، وعلى وجه الخصوص البنك الإسلامي للتنمية ، واللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي والتجاري بين الدول الإسلامية (الكومسك) ، على بذل كل السبل لتحقيق قيام السوق الإسلامية المشتركة .

خامساً :

العمل على حرية انتقال العمالة بين مختلف الدول الإسلامية ، وإزالة القيود المفروضة على هذا الانتقال ، مع تغيير نظم التعليم والتدريب للقوى البشرية بين مختلف الدول الإسلامية بما يؤهلها لتولى المسئوليات المتصلة بالإنتاج والتسويق ومختلف الأنشطة اللازمة لقيام المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في الدول الإسلامية ، مع عدم الاستعانة بالعمالة الأجنبية إلا عند الضرورة القصوى ، وفي حالة عدم توافر عمالة فنية لدى الدول الإسلامية .

سادساً :

حث الدول الإسلامية ذات الفائض المالى الكبير على استثمار أموالها وأموال مواطنيها في الدول الإسلامية ، وعلى اتخاذ كافة الصور الحديثة لاستثمار الأموال بما يكفل عائدا مجزيا وعادلاً لأصحابها بما في ذلك تشجيع المشروعات الاقتصادية المشتركة ، وتكوين الشركات الإسلامية الكبرى التي تعمل بين مختلف الدول الإسلامية ، ومنحها كافة التسهيلات في أقاليم الدول الإسلامية لكى تعمل وتربح وتحول أرباحها إلى حيث تريد .

سابعاً :

الاهتمام برسم خطة للتصنيع بين مختلف الدول الإسلامية تراعى اعتبارات توافر المواد الخام والعمالة ورأس المال بين مختلف الدول الإسلامية بحيث يتكامل إنتاجها في الجملة وبهدف تحسين الجودة وتقليل التكلفة في مختلف الصناعات .

ثامناً :

وضع خطة للتكامل الزراعى بين مختلف الدول الإسلامية ، والعمل على استزراع المناطق العديدة المنتشرة فيها بهدف توفير الغذاء ، لكل المجتمعات الإسلامية ، وتحقيق الأمن الغذائى الذى يخلص الأمة الإسلامية من الخضوع لضغوط الحاجة إلى الغذاء من الدول الكبرى بما يفرضه ذلك عليها من أعباء سياسية واقتصادية ونفسية .

تاسعاً :

العمل على إنشاء مراكز للمعلومات تستخدم أحدث أجهزة المعلومات والاتصالات لإمداد الباحثين والدارسين والمستثمرين بالمعلومات التى تكفل توفير الدراسات التى تساعد على التكامل الاقتصادى ، وكذا تمكن رجال الأعمال والمستثمرين من استثمار أموالهم على أفضل وجه على أساس الدراسات العلمية .

عاشراً :

حث المنظمات الإسلامية ومراكز البحوث المختلفة فيها على الاهتمام بإعداد دراسات الجدوى لمشروعات يمكن تنفيذها سريعا في مختلف الدول الإسلامية .

حادى عشر :

إنشاء سوق إسلامية لرأس المال الإسلامى يسهل فيها تداول الأسهم التى تصدرها الشركات

الإسلامية فى مختلف الدول الإسلاميـة ، والسماح بتملك الأسهم والصكوك لكل المسلمين فى أية دولة إسلامية .

ثانى عشر :

التوسع فى إنشاء البنوك الإسلامية لجذب رءوس الأموال واستثمارها فى مختلف الدول الإسلامية ، والعمل على الربط بين مختلف البنوك الإسلامية ، وتنسيق التعاون بينها فى إطار البنك الإسلامى للتنمية بما يحقق سوقا واسعة أمامها ، ويحميها من السهام التى توجه لكل بنك منفردا .

ثالث عشر :

تنظيم جمع الزكاة من كل أوعية الأموال التى تخضع لهذه العبادة المالية فى كل الأقطار الإسلامية ، وإنفاقها فى مصارفها الشرعية بين مختلف الدول الإسلامية .

رابع عشر :

العمل على تنسيق التعاون بين الدول الإسلامية والتكتلات الاقتصادية الأخرى بما يحقق إتباع سياسة اقتصادية موحدة للدول الإسلامية تكفل الحصول على أكبر المزايا فى التعامل مع العالم الخارجى .

خامس عشر :

العمل على اتخاذ سياسة (جمركية) تعمل على منح الدول الإسلامية معاملة تفضيلية فى التجارة والسياحة حتى يمكن إزالة الحواجز الجمركية بين الدول الإسلامية نهائيا .

خطة عمل لتنفيذ توصيات الندوة

١ ـ سيقوم المركز بتشكيل لجنة مهمتها متابعة تنفيذ قرارات الندوة والاتصال بكافة الجهات والهيئات المعنية بتوصيات اللجنة فى مختلف الدول الإسلامية ، وعمل تقرير شهرى عن التقدم فى تنفيذ التوصيات . وكذا التهيئة الإعلامية الكاملة لقبول الفكرة فى مختلف الدول الإسلامية .

٢ ـ سترسل توصيات الندوة إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية وإلى الوزارات المعنية فى كل الدول الإسلامية ، وهى على وجه الخصوص : وزارات الاقتصاد والمالية والتخطيط ، ويطلب منها المبادرة إلى اتخاذ الخطوات اللازمة لوضعها موضع التنفيذ أو إبداء الملاحظات التى قد تعن لها أو ترى أنها قد تقتضى التعديل أو التغيير .

٣ ـ سنطالب منظمة المؤتمر الإسلامى والبنك الإسلامى للتنمية واللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى بين الدول الإسلامية وكافة الهيئات المعنية الأخرى باتخاذ ما يراه مناسباً من خطوات لوضع هذه التوصيات فى جداول أعمالها واتخاذ ما تراه من تدابير لتنفيذها .

٤ ـ سيقوم المركز بإرسال التوصيات إلى الجامعات ومراكز البحوث الإسلامية للعمل على إجراء البحوث والدراسات المساعدة على تكوين السوق الإسلامية المشتركة .

٥ ـ سنطالب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتبنى توصيات الندوة والعمل على إقناع الدول الإسلامية بأهمية تنفيذها فى الواقع العملى ، وكذلك عرضها فى مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

٦ ـ سيطلب من السيد الدكتور وزير الاقتصاد باعتباره رئيسا للندوة ، المساعدة فى وضع هذه التوصيات موضع التنفيذ واتخاذ مايراه مناسبا بالتعاون مع المركز لتحقيق نشرها والإعلام بها بين كل الجهات الرسمية المعنية .

أضــرار أم أضــرار - بقية -

الخداع يمكن مقارنتها بالسلوك المقلد للفراشات النارية التى وصفها «James Lloyd» عالم طبائع الحشرات فى جامعة فلوريدا . فقد وجد «Lloyd» ان إناث النوع «Photurias» تقلد إشارات التزاوج الصادرة عن نوع آخر من الفراشات النارية بطريقة فيها من الضبط والإتقان ما لا يتسرب إليه أدنى خلل . إنها تغرى الذكور بإطلاق أضوائها الساطعة فى الاتجاه الصحيح ثم ترسل إشارات تعبر عن الرغبة فى التزاوج ، ثم تقوم بالتهام المستجيب دون اية مبالاة . وكذلك توجد امثلة اكثر إقناعا لخداع يشبه خداع الإنسان فى الحيوانات عالية الرتبة ، فالكلاب مثلا تتظاهر أحيانا بمظهر الحيوان كسير القدم لتتلقى قسطا أكبر من الرعاية والعطف . كما لوحظ أن الفيلة الآسيوية تتمايل (خراطيمها) بطريقة ظاهرها البراءة ثم لاتلبث أن تستغل الميلة السفلى لتخطف بغتة بعض القش من جيرانها . كذلك تندمج حيوانات (الشمبانزى) فى استعراضات بهلوانية قريبة الشبه بحركات البعض منا ، لدرجة جعلت باحثين فى رتب حيوانات المقدمة التى تشمل البشريات والسبحيات يقولون : إنه من المحتم علينا مقاومة الإغراء الذى يضفى صفة الإنسان على هذه الحيوانات . وقد قام عالمان بريطانيان محققان فى بحث لهما عن خداع حيوانات المقدمة بطرح سؤال له وجاهته يقول : هل تجذب بحوث (الشمبانزى) العلماء لانهم شديدو الاهتمام بالعثور على البراعة ، أم هل تتفرد حيوانات الشمبانزى حقيقة بشىء من هذه الخصوصية !؟ .

ويضيف «Frans Dewall» باحث حيوانات المقدمة فى جامعة ويسكونسن تصالح ذكرين بالغين من ذكور الشمبانزى بعد مشاحنة ؛ فيقول : لقد ظلا جالسين وقد أعطى كل منهما ظهره للآخر لمدة نصف ساعة ، يتحاشى كل منهما أن تلاقى نظرته نظرة صاحبه . ثم يكتشف أحد المتخاصمين فجأة شيئا ما فى العشب ، فيصرخ بصوت مرتفع ناظرا فى كل الاتجاهات وعلى الفور تتدافع حيوانات الشمبانزى الأخرى لكنها سرعان ما يفتر حماسها عندما لا تكتشف شيئا يستحق كل هذا اللغط والصياح . لكن الأمر مع الخصم الآخر الذى اضحى مستثارا بنفس القدر كان مختلفا تماما . وفى النهاية يتلامس الذكران بالرءوس والأكتاف ثم يشرع أحدهما فى الإعراس[1] بالآخر . هل هذه مجرد غريزة أم سلوك مكتسب بالتعلم ، أو كما يفضل «Dewall» ان يقول عنه : أسلوب لإنقاذ ماء الوجه أملاه إحساس ما بالكرامة ثم يضيف العالم قائلا : إنه من المجدى ان نعتبر كل هذا كذبة جماعية ، يقوم فيها طرف بتمثيل دور المخادع ويقوم الطرف الآخر بأداء دور المخدوع . وبعد دراسة الكيفية التى تفهم بها الأنواع الأخرى العالم فإن العلماء يأملون أن يكوّنوا نوعا من الرؤية التى يستطيعون عن طريقها فهم مغزى الخداع البشرى ذاته . لكنهم ما دروا انهم يقومون بخداع هذه الحيوانات التى غاب عنها مايفعل بها . وعلى أية حال فإنه حتى بنى البشر يضطرون إلى اللجوء أحيانا لهذه المستويات المتدنية من السلوك المراوغ ، ليتأكدوا إذا ما كان اقرانهم ينوون حقيقة مواصلة الخداع حتى آخر الشوط أو أن قصدهم يتركز فى توجيه ضربة قاضية .

---

(١) هذا يعنى وقوع الشذوذ الجنسى بين هذا النوع من الحيوان ، وقد ذكر ابن القيم مثله فى كتابه (شفاء العليل) بين الحمام .. مجلة الأزهر .

الفهـــرس

٢٥ «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»
اللؤلؤ والمرجان (٣٠٧/٣) مسلم (١٨٣/٨) البخارى (٧٣/٩)

٢٦ Monnaie.

٢٧ On désigne par le terme "Agam" tout étranger, non arabe.

٢٨ On désigne par le terme "Roum" les Chrétiens ou, par extension, les Occidentaux.

٢٩ عن الجريرى عن أبى نضرة قال : كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل العجم، يمنعون ذاك ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدى. قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل الروم. ثم سكت هنية، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثيا، ولا يعده عددا». مختصر صحيح مسلم (١٨٥/٨)

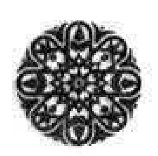
٣٠ عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ؟! سمعت أبى بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الفتنة تجىء من ها هنا»، وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض». صحيح مسلم (م١٨١/٨)

٣١ إن ربى قال : يا محمد إنى اذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال : من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا صحيح مسلم (١٧١/٨)

٣٢ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «سمعتم بمدينة جانب منها فى البر، وجانب منها فى البحر؟ قالوا : نعم يا رسول الله. قال : «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها (قال ثور : لا أعلمه إلا قال الذى فى البحر)، ثم يقولوا الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال : إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شىء ويرجعون». مختصر صحيح مسلم ص ٥٣٤ (م١٨٨/٨)

٣٣ Gibril est le nom arabe de l'Archange Gabriel.

٣٤ «قال : فأخبرنى عن الساعة. قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال : فأخبرنى أماراتها. قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان». أخرجه النواوى





١ «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام» سورة لقمان [من آية ٣٤]

٢ «إنما يخشى الله من عباده العلماء» سورة فاطر [من آية ٢٨]

٣ «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو إجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» سورة الحج [آية ٧٣]

٤ «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» سورة الإسراء [آية ٨٥]

٥ «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب» سورة آل عمران [آية ١٩٠]

٦ «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا.. وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا» سورة الكهف [آية ٧-٨]

٧ «أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون» سورة الصافات [آية ٩٥-٩٦]

٨ «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا.. فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» سورة طه [آية ١٠٥-١٠٧]

٩ يوم الحشر

١٠ El-Bokhâri, Les Traditions islamiques, traduites de l'arabe avec notes, et index par O. Houdas et W. Marçais, tome II, Libr. d'Amérique et d'Orient, Paris 1978, p. 548.

١١ قال رسول الله الله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين:
«بعث أنا والساعة كهاتين. وأشار إلى أصبعيه السبابه والوسطى وقرن بينهما».

١٢ إقتربت الساعة وإنشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر [٢] وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر» سورة القمر [١-٣]

١٣ Hadith rapporté par Al-Bokhâri et Moslem (VIII, 132-153) ainsi que les autres Imams. Voir les Perles et le Corail (t II, p. 208)

١٤ «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة» صحيح مسلم (١٧٠/٨) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٣/٣) والبخارى (٢٤٣/٤)

١٥ «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من الذهب تقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو».
صحيح مسلم (١١٤/٨) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٥/٣) البخارى (٧٣/٩)

١٦ S'il s'agit du pétrole, cette guerre a effectivement eu lieu.

١٧ «والذى نفسى بيده ليأتين على الناس زمان لا يدرى القاتل فى أى شىء قتل ولا يدرى المقتول على أى شىء قتل» مختصر صحيح مسلم ص ٥٣٣ (١٧٠/٨)

١٨ «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟
قال : «القتل – القتل» مختصر صحيح مسلم (١٧٠/٨)

١٩ «لا تقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى» اللؤلؤ والمرجان (٣٠٥/٣) البخارى (٧٣/٩) مسلم (١٨٠/٨)

٢٠ «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» مسلم (٧٦/١)

٢١ «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله فإلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» مسلم (١٨٨/٨) البخارى (٥١/٤) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٨/٣)

٢٢ عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعى. فمن وجد ملجأ (أو معاذا) فليستعذ» (أى يعتزل ما يحدث)

٢٣ «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه !» أخرجه مسلم

٢٤ «منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم» مسلم (١٧٥/٨)

14. Nous citerons également le Hadith rapporté par Muslim et où le Prophète (b.s.) a dit: *"Mon Seigneur a dit: Ô Mohammad, lorsque J'ai décrété une chose, Mon décret est immuable. J'ai accordé à ta communauté qu'elle ne soit point anéantie comme les autres et qu'elle ne soit pas victime d'un adversaire qui lui soit étranger et qui se saisisse de ses biens, et cela même si tous ceux qui se trouvent sur la terre se coalisent contre eux: ils s'entretueront par leurs propres mains et se captureront réciproquement."*[31]

15. Enfin, le Hadith suivant a été rapporté par Abou Horaïra: le Prophète (b.s.) a dit: *"Vous avez entendu parler d'une cité dont une partie est dans la mer et l'autre sur terre?"*
Ses compagnons répondirent: Oui, Ô Envoyé d'Allah". Il reprit alors: *"L'Heure dernière n'aura lieu que lorsque cette cité sera envahie par soixante dix mille des descendants d'Isaac. Lorsqu'ils pénétreront ils ne se battront point avec des armes ni avec des lances, mais il diront: "Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah et Allah est le plus Grand" (La Ilaha Illa Allah wa Allahou Akbar), aussitôt un des côtés de la ville cèdera (certains disent que c'est le côté qui est dans la mer). Puis ils répèteront: "Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah, Allah est le plus grand.", alors l'autre côté cèdera. Ensuite ils répèteront pour la troisième fois: "Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah. Allah est le plus grand."*
C'est alors qu'on capitulera devant eux et qu'ils entreront et se saisiront du butin. Mais pendant qu'ils se partageront le butin, ils entendront ce "L'Antéchrist est apparu!"; alors ils abandonneront tout et retourneront sur leurs pas."[32]
Selon ce Hadith, ce signe précédera de peu les Signes Majeurs dont l'apparition de l'Antéchrist fait partie.

Les signes précurseurs dévoilés par les Hadiths que nous venons d'énumérer ne sont que les présages des signes majeurs. Ils s'échelonnent sur une durée plus ou moins longue, mais nous savons du moins que leur point de départ fut le dernier Message d'Allah envoyé avec le Prophète Mohammad (b.s.).

Rappelons à ce propos le célèbre Hadith où Gibril[33] interrogea ainsi l'Envoyé Allah (b.s.): *"Quand aura lieu l'Heure dernière?"* à quoi Mohammad (b.s.) répondit: *"Sur l'Heure dernière, l'interrogé n'en sait pas plus long que celui qui le questionne."* Là-dessus, *l'homme lui dit: "Quels en sont les signes précurseurs?" Le Prophète répondit: "Elle aura lieu lorsque l'esclave donnera naissance à celle qui sera sa maîtresse, lorsque les va-nu-pieds, les miséreux (parasites) et les bergers se feront élever des bâtiments qui rivaliseront en hauteur."*[34]

Puis le Prophète (b.s.) ajouta que l'Heure est une des cinq choses dont Allah seul détient le secret (voir Sourate XXXI v. 34)

cacheront alors derrière les arbres et les rochers; alors ces derniers parleront et diront: 'Ô, Musulmans, serviteurs d'Allah, derrière moi se trouve un Juif, venez et tuez-le."[21] (à l'exception de l'arbre nommé "Al-Gharkid" qui est un arbre célèbre chez les Juifs)

8. Selon Abou Horaïra, le Prophète (b.s.) a dit qu'avant la fin du monde on sera témoins d'épreuves durant lesquelles *"le sort de l'homme qui dort sera meilleur que celui de l'homme éveillé, la condition de celui qui est couché sera meilleure que celle de l'homme qui est debout, et la condition de celui qui est immobile sera meilleure que celle de l'homme qui se déplace. Celui qui peut trouver un refuge, qu'il s'en préserve"*[22]

9. Abou Horaïra rapporte également ces propos du Prophète (b.s.) *"Avant l'arrivée de l'Heure dernière, celui qui passe devant un tombeau souhaitera être à la place de ce mort."*[23]

10. L'un des signes précurseurs ainsi annoncé par le Prophète (b.s.) sera que, par suite de graves crises économiques ou, selon d'autres interprètes, par suite de leur indépendance et de leur abandon du mode de gouvernement islamique l'Irak, la Syrie et l'Egypte cesseront de verser la Guiziah au Hidjaz (Arabie Séoudite)" ou, dans une autre version: *"Cesseront d'exiger le versement de la Guiziah"* (somme d'argent versée aux Musulmans par les non-musulmans en échange de leur protection)[24]

11. Un autre Hadith du Prophète cité dans les deux Sahihs dit: *"Avant l'Heure dernière apparaîtra un homme qui mènera les hommes avec son bâton, (comme on mène un troupeau)"*[25]

12. Selon Al Gourayri, Abou Nadra a dit: *"Nous étions chez Gaber Ibn Abdallah lorsque ce dernier a dit: "Les habitants de l'Irak bientôt ne recevront ni la moindre mesure de provisions, ni le moindre dirham."*[26]
Nous demandâmes alors: "De la part de qui?"
"De la part des étrangers [27]*qui les en priveront", répondit-il:*
Puis il ajouta: "les habitants d'Al Sham sont sur le point de ne plus recevoir d'argent, ni d'approvisionnement." Nous demandâmes alors: "De la part de qui?"
Il répondit: "De la part des Occidentaux."[28]

Il se tut un instant puis ajouta: "le Prophète d'Allah a dit: *"Parmi les derniers membres de ma communauté il y a un descendant qui aura de l'argent à profusion et qui en aura tant qu'il ne pourra pas le compter."*[29]

13. D'autre part, Salem Ibn Abdallah Ibn' Omar a dit: "Ô peuple d'Irak, combien vous attachez-vous aux choses futiles alors que vous négligez les choses graves? J'ai entendu Abou Abdallah Ben Omar rapporter ces paroles du Prophète (b.s.): *"La discorde commencera par là"* (et il désigna de la main l'est, du côté où apparaissent les cornes du diable)[30]*, alors que vous êtes en train de vous entretuer."*

Il existe en outre un grand nombre d'autres signes mineurs que nous connaissons par le Coran et les Hadiths du Prophète (b.s.) et dont nous citerons quelques-uns.

1- **Selon Abou Horaïra, le Prophète (b.s.) a dit:** *"L'Heure dernière n'aura lieu que lorsque deux nations qui appartiennent à la même foi religieuse se seront combattues et que cette guerre aura causé des milliers de morts."*[14]
Certains exégètes ont interprété ce Hadith comme étant une allusion à la guerre qui eut lieu quelques années après la mort du Prophète Mohammad (b.s.) entre Ali et Mo'awiya. Cette opinion a été pourtant réfutée par d'autres savants.

2. Selon Abou Horaïra, le Prophète Mohammad (b.s.) a dit: *"l'Heure dernière n'aura lieu que lorsque l'Euphrate découvrira une montagne d'or pour laquelle les hommes s'entretueront."*[15] La suite de ce Hadith nous apprend que 99% des hommes seront tués et pourtant chacun gardera l'espoir d'être parmi les rares survivants.
Certains commentateurs ont dit que cette montagne d'or, c'est le pétrole, qu'on appelle également "l'or noir"; alors que d'autres pensent que ce signe ne s'est pas encore produit.[16]

3. On rapporte de même ce Hadith du Prophète (b.s.): *"L'Heure dernière aura lieu lorsque celui qui est tué ignorera pourquoi il est tué et que le meurtrier ne saura pas davantage pourquoi il a tué."*[17]

4. Abou Horaïra a rapporté ces paroles du Prophète (b.s.): *"L'Heure dernière n'aura lieu que lorsque le chaos (désordre) règnera"* On demanda alors au Prophète: "Et quel est ce chaos, ô Envoyé d' Allah?, il répondit: *"le meurtre, le meurtre."*[18] Or, ce signe est évident à l'époque actuelle où les guerres causent non plus des dizaines de morts comme à l'époque islamique mais des milliers de morts.

5. On trouve de même le Hadith suivant dans les deux Sahihs: *"L'Heure dernière n'arrivera que lorsqu'un grand incendie aura éclaté dans la terre du Hedjaz (en Arabie Séoudite) et qu'il éclairera le cou des chameaux à El-Basra" (à El Sham, i.e. en Syrie)*[19]
Or, ce signe, selon certains commentateurs, a déjà eu lieu: le quartier Est de Médine a brûlé et l'incendie a duré si longtemps que les flammes pouvaient être aperçues de Basra en Syrie. Ceci eut lieu le 3e jour du mois de Gamadi Second en l'an 654 de l'Hégire et l'on peut encore voir jusqu'à ce jour à Médine les pierres noires calcinées.

6. Un autre Signe de l'Heure est mentionné dans le Hadith suivant: *"Empressez-vous de faire le bien. Les hommes vivront tant d'événements déroutants que celui qui était croyant en s'éveillant, reniera sa foi le soir même et celui qui s'est couché en ayant la foi, la perdra à son réveil: il aura échangé sa religion contre les biens terrestres."*[20]
Or, à l'époque où nous vivons, ceci est assez courant.

7. Abou Horaïra a rapporté que le Prophète (b.s.) a dit: *"L'Heure dernière aura lieu lorsque les Musulmans auront combattu les Juifs et les auront exterminés. Les Juifs se*





C'est grâce au Coran et à la Sunna que nous pouvons reconnaître ces signes. Il existe des signes "mineurs", qui précèdent les signes "majeurs" annonçant la fin du monde et le Jour du Rassemblement[9], jour où les hommes seront tous ressuscités pour comparaître devant leur Créateur.

Les signes "précurseurs" qu'on appelle également signes "mineurs" sont multiples. Ceux qui sont versés dans la science islamique assurent que certains d'entre eux se sont déjà manifestés, alors que les autres se produiront dans un avenir proche.

En effet l'humanité a déjà été témoin de deux événements importants qui annoncent l'apparition de tous les autres signes:

a. Le Message du Prophète Mohammad (b. s.), le sceau et le dernier des prophètes envoyés par Allah aux humains. Comme son message confirme et complète tous les messages précédents, il marque la fin de la vie de ce monde; car la période qui reste pour l'humanité à vivre n'a plus besoin d'autres législations divines.

Selon Abou Horaïra, l'Envoyé d'Allah a dit: *"Comparée à celle des prophètes qui m'ont précédé, ma situation est pareille à celle d'un homme qui a bâti une maison, l'a embellie et parée, sauf qu'il a laissé vide la place d'une brique dans un angle. Les gens sont venus visiter cette maison: ils l'ont admirée et ont dit: Pourquoi n'as-tu pas posé cette brique?. C'est moi qui suis cette brique et je suis le sceau des prophètes."*[10]

Sahl-Ben-Sa'd a rapporté également le Hadith suivant: *"J'ai vu, dit-il, l'Envoyé* **d'Allah** *désigner deux de ses doigts, l'index et le majeur, en disant: 'J'ai été envoyé par Allah, et l'Heure dernière comme ces deux doigts-ci."*[11]

Dans une autre version du Hadith: *"Mon message est aussi proche de l'Heure dernière que ces deux doigts-ci"*, et il rapprocha son index de son majeur.

Le fait qu'aucun messager ne sera envoyé aux hommes après Mohammad (b. s) témoigne que la vie sur cette terre est près de prendre fin et que son message est l'un des signes de l'Heure.

b. La scission de la lune qu'Allah nous a annoncée comme étant l'un des signes précurseurs de l'Heure, dans la sourate "La Lune" (v 1 à 3)

[L'Heure approche et la lune se fend!
S'ils voient un Signe, ils s'écartent en disant:
"C'est une magie continuelle!"
Ils crient au mensonge; ils suivent leurs passions;
mais tout décret est immuable]

Sour. "La Lune" (v 1–3)[12]

Or, la scission de la lune a effectivement eu lieu: elle est l'un des miracles dont Allah a appuyé le Message de son prophète:

Lorsque les Koraïchites incrédules, accusant le Prophète Mohammad (b.s.) de mensonge et de sorcellerie, le défièrent de produire un miracle, il invoqua Allah; alors tous les habitants de la Mecque purent voir la lune se scinder en deux au-dessus du Mont Kobéiss.[13]

éternellement stable: tout ce à quoi nous étions familiarisés disparaîtra de la surface de la terre et tout ce que les hommes pensaient être leur œuvre n'existera plus. C'est alors que l'homme stupéfait se rendra compte de son impuissance.

[Adorez-vous ce que vous avez sculpté, alors que c'est Allah qui vous a créés vous et ce que vous faites?]

Sour. "Ceux qui sont placés en rangs" (v. 95-96)[7]

Lorsque l'homme en arrivera à nier l'existence de Allah pour n'obéir à d'autre loi que la sienne; lorsqu'il pensera être devenu le maître de l'univers, c'est alors que Allah donnera l'ordre de démolir tout ce que les hommes prenaient pour acquis et tout ce qui les a égarés: le soleil cessera de se leve· à l'est, les étoiles s'éparpilleront et les montagnes s'affaisseront, comme en témoigne le verset du Coran dont l'interpretation est:

"Ils t'interrogent au sujet des montagnes
Dis : "Mon Seigneur les réduira en poudre;
Il en fera un bas-fond aplani
où tu ne verras ni ondulation, ni dépression]

Sour. "Ta-Ha" (v. 105-107)[8]

Lorsque la dévotion humaine aura fait place à l'attachement aux biens terrestres et lorsque l'orgueil humain aura atteint son paroxysme, Allah présentera la Vérité aux hommes par des événements réels qui seront les Signes de l'Heure dernière et qui précèderont les bouleversements cosmiques marquant la fin de la vie sur cette terre.

Les Signes de l'Heure

Comme toute existence sur cette terre est temporaire, de même notre univers est voué à l'anéantissement. Ceci a été certifié dans tous les messages monothéistes grâce aux prophètes qui nous ont révélé, non seulement l'unicité d 'Allah,Créateur de l'univers, mais encore l'existence d'une vie de l'âme après la mort (dans l'Enfer ou le Paradis, chacun selon ses actions).

La croyance dans l'au-delà est l'un des fondements de la foi islamique. Si l'on nie l'existence d'un Jugement Dernier, i.e. des châtiments et des rétributions, on ouvre la voie au déchaînement des passions humaines et de tous les bas instincts. Or, à partir du moment où l'être humain a la certitude qu'il n'aura point de comptes à rendre à qui que ce soit, il laissera libre cours à ses passions sans se soucier du bien d'autrui. Seule la certitude qu'il existe un jour de Jugement dernier où le bon et le méchant ne seront point rétribués de la même façon, permettra une évaluation équitable de toutes les actions humaines.

Les Signes précurseurs (ou signes mineurs)

La fin du monde où nous vivons sera annoncée par des signes précurseurs, ou Signes de l'Heure dernière.



pourraient le lui reprendre. Combien faible est celui qui demande et celui qui est sollicité!–

Sour. "Le Pélerinage" (v. 73)

L'observation de l'univers nous permet de déduire qu'il y a , d'une part, une créature et, d'autre part, des créations qui sont à son service. L'être humain est la créature pour laquelle l'univers a été créé. Toutefois, si l'univers obéit à des lois stables et immuables, l'homme lui, au cours de sa vie, est sujet à des changements d'état dont certains sont prévisibles et d'autres inexplicables.

Le savoir humain, malgré son étendue reste très limité par rapport au savoir d Allah qui est l'Omniscient:

[Il ne vous a été donné que peu de science]

Sour. "Le Voyage Nocturne" (v. 85)

En fait, la présence des humains sur cette terre n'est que temporaire; elle n'est point fonction de la durée de cet univers qui peut s'étendre sur des milliers d'années:

[Dans la création des cieux et de la terre, dans la succession de la nuit et du jour, il y a vraiment des Signes pour ceux qui sont doués d'intelligence]

Sour. "La Famille de 'Imran" (v.190)

Toutefois, l'homme, persuadé de la permanence de cet univers, est victime de deux illusions: la première, c'est que cet univers qui a duré des milliers d'années, est éternel; et la seconde, c'est que tout ce qu 'Allah a mis au service de l'homme (le soleil, la mer, les animaux, les plantes, mais aussi l'électricité, etc) est un acquis et un droit. Or, en réalité, tout ce qui existe et tout ce qui a lieu dans cet univers est soumis à la volonté et au pouvoir divins –le pouvoir de l'homme se limite en fait à tirer profit de ce qui existe déjà sur notre planète: il peut uniquement la parer en vue de rendre sa vie plus agréable–

[Nous avons embelli ce qui se trouve sur la terre pour voir quel est celui d'entre eux qui agit le mieux, puis nous transformerons sa surface en un sol aride]

Sour. "La Caverne" (v. 7–8)

Lorsque la vie d'un homme prend fin, tous les objets dont il s'est entouré pour rendre sa vie plus agréable sur cette terre demeurent; lui seul disparaît et, désormais, il ne peut plus en jouir.

Le jour où, sur l'ordre divin, notre univers prendra fin, toutes les beautés de cette terre ne seront que décombres. Or, plus la science humaine se développe et plus les hommes se prennent pour les maîtres de l'univers dont ils veulent disposer à leur gré.

Lorsque Allah aura jugé que l'homme, aveuglé par l'orgueil, n'aura pas vu les signes de Sa toute-puissance, à ce moment le rôle de cet univers prendra fin.

Grâce à son pouvoir suprême, Allah transformera alors tout ce que nous pensions être

Les Signes de l'Heure d'après le Coran et la Sunna

Dr. Rokeya GABR

Professeur-Adjoint au Département de Langue Française
Université Al-Azhar

Introduction

Le sujet de la fin du monde ou de l'heure dernière a longtemps préoccupé les hommes de science. Chacun essaie de prédire le jour ou la date approximative qui marquera l'anéantissement de l'univers où nous vivons.

Or, toutes les théories scientifiques et toutes les prédictions ne sont fondées que sur de simples hypothèses car le savoir humain est limité.

En fait, le vrai croyant sait que seul Allah, qu'Il soit glorifié, est au courant de cette date, comme en témoigne la parole divine:

[La science de l'Heure est auprès d'Allah. Il fait descendre l'ondée. Il sait ce que contient le sein des mères.]

Sour "Luqman" (v. 34)[1]

Plus l'homme observe le monde qui l'entoure, plus il y réfléchit et plus il se doit de découvrir des preuves de la toute-puissance du Créateur. C'est ce qui explique la parole divine:

[Parmi les serviteurs d'Allah,
les savants sont les seuls à le redouter]

Sour. "Le Créateur" (v. 28)[2]

En effet, si nous observons l'univers, nous découvrons qu'il est régi par des lois que l'homme ne peut expliquer et sur lesquelles il n'a point d'emprise. Ces secrets de l'univers sont demeurés une énigme pour les savants; seuls peuvent les comprendre ceux à qui Allah a octroyé la vraie science religieuse.

Il est vrai que les progrès accomplis au cours des siècles ont permis à l'homme de faire un meilleur usage de tous les bienfaits que Allah a mis à sa disposition. Toutefois, si l'homme a su tirer profit du monde où il vit, il s'est avéré incapable de creer par lui-même le moindre insecte ou la moindre matière première.

[Ceux que vous invoquez en dehors d'Allah ne créeront jamais une mouche, même si tous s'unissaient ... et si la mouche leur enlevait quelque chose, ils ne





REVUE AL-AZHAR

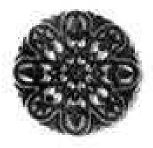
Section Française

XIème Partie, 63ème Valume
Mois de Chawwal 1411 de l'Hégire

CONTENU

The Islamic concept of worship extends much further than just the glorification of the Creator by bowing, prostration, liturgy, prayer, fasting and the other acts of worship. They in fact encompass all the dimensions of human activities in life with an inherent comprehensiveness that all good deeds are in fact acts of worship. This understanding extends the objectivity of purpose, the inner consciousness of responsibility in conduct and behaviour, and man's harmony with the surrounding universe to embrace the total integrated actions of the individual. By this understanding, the acts of devotion and worship in Islam are essentially means of promoting the purpose of human life. All actions of mankind are for the sake of Allah, falling within the framework of association with the Absolute, become acts of devotion and worship. Human intellect is a combination of perception and ratiocination, and for this very fact, the Islamic formulation of worship bears both intellectual and perceptional aspects.

The Muslim acts of worship have their own detailed characteristics, each doctrined to promote and cultivate a certain perspective particular of human life. They associate mankind to the Creator, they train man that all good deeds for the benfit of humanity are acts of worship. Worship in man's life satisfies the inherent need for the psychokinetic extrasensory scared quality of man's basic constitution. "Why should I not worship Him who created me. And to Him you will be returned" (Surat Yassin, XXXVI, 22).



the Absolute. These articles of worship are all prescribed to induce mankind to make effort and exertion with the objectivity of purpose in looking beyond self interests. This formal training of self denial and unselfishness projects the efferts of man towards a wider and more superior goal than his own personal material objectives. The training provided by the acts of worship puts emphasis on the objectivity of purpose, it binds the value of any deed to its motives and not its results. The value of any human action is judged by the objectives of its motives. The attainment of such an understanding is the realization and recognition that all human action are "for Allah". This phrase in Islamic concepts associates and relates all human actions as being sponsored and patronized by Allah. Such an understanding dictates with meticulous precision that all human actions must be virtuous, righteous, immaculate, pure, unsinful, chaste, moral, aiming to serve humanity rather than one's own demands, and done with the spirit of a devotee. Such an objective purpose of human actions is optimized through the genuine associative affiliation of man with his Creator. This necessitates that all human action must be enriched with the grace of a sacred quality, and should be justified by faith.

The practical implementation of the objectiveness of all human action, demands an equally potent inner consciousness of responsibility. Such human observant dutiful responsibility becomes a living paradigm in the mind of man, only if it is accompanied by genuine Belief in the constant Dominant Vigilant Omniscient unique identity of Allah. The regular acts of devotion and worship are performed as the result of man's inner responsibility to himself, to his Belief, and to the objective purpose of self association with the Absolute. This psychokinetic quality of sacred responsibility is the matrix of the esoteric seraphic human features, a human quality that is only known to Allah, The Sovereign, the Just. The concept of responsibility towards the objectiveness of the acts of devotion and worship represents a constant requirement for the promotion of the cultural social, economic, liberal and private life of mankind. Several aspects of the Muslim acts of worship cannot be comprehended and are unexplained in tangible terms. This introduces a new important dimension of the submissive obedience in the quality of Belief. The concept of true submissive obedience is inculcated into the attainment of true Belief. The elementary fundamental understanding of this context is that the knowledge of Allah is infinite, ubiquitous, eternal and omniscient; and the knowledge of man is only finite, being only the part that man utilizes from Divine Supreme knowledge. All human knowledge is relative, and all Divine knowledge is absolute; the relative must relate to the Absolute with submission and obedience. Therefore man is expected to practice the acts of worship without questioning their ununderstood aspects. Total submission and resignation requires an effort in faith in the Absolute; the higher the quality of submission and resignation, the firmer will be the association with the Absolute.

That which is referred to as individual mind or individual intelligence, is in reality that much which is utilized by the individual from the Universal Intelligence. The distinct realization of this precision of truth, brings about the inception of Belief and a corresponding association with the "Divine Milieu". The ultimate purpose of all acts of devotion and worship is to bring human thought and spirit into resonance and association with the Divine Tanscendence. This is achieved by subjecting the human body, mind, and sensory functions to specific acts of devotion and worship. The constancy, depth, zeal, concentration and understanding by which these acts are performed will affect the degree of association. The extrasensory wonders and harmonious beauty of association with the Divine presence is known only to those of experience.

The acts of devotion and worship are in fact a continuous journey of man striving towards an association with the Absolute. This requires a constant endless struggle against all forms of ignorance, weakness, injustice and humility; such struggle places mankind in a position of responsibility to the Absolute. All human intentions, actions and functional conduct must consequently become optimized to responsibility and purpose. The Islamic maxim of the Absolute "There is no god except Allah" specifies the ultimate responsibility and purpose of the human journey through life. This is infact the total submissive resignation to the Transcendent Absolute. The quality and authenticity of this submissive resignation quantifies the degree of association. The practice of the acts of devotion and worship are outward manifestations of associating one's self with the Absolute. The continuous recognition and acknowledgement of the Unity of Allah ties the human mind to the continuous rejection of false gods. There is no aspect of human life more important and vital than the recognition of this fundamental maxim. There is no human experience more extensive in dimnensions, and wider in significance than that of Belief. Man has always strived to seek for the Absolute beyond the limits within which mankind has lived. It is a natural instinct of the human species to associate with the infinite Dominion of the Absolute, The Divine Milieu. The prime purpose of the acts of devotion and worship is to develop, augment and energize this natural instinct to raise mankind to the level of cognizance, enlightenment, emancipation, ecumenic knowledge, and the proper practice of human faculties. All these qualities of mankind are attained when man strives and makes the genuine effort to associate with the Absolute through the acts of worship. These acts of worship are a practical demonstration of man's link with the Absolute, through which a continuous perpetual association is maintained. These acts of worship in Muslim theism, institute submissive obedience, and the infallible recognition of the Absolute. It follows, that the acts of devotion and worship are a constant energizer of man's true association with the Absolute; they are the energy potential affiliating man with the Divine Milieu.

The Islamic doctrinal articles of worship provide another modality of human acculturation of enlightement and civil refinement, besides the associate affiliation with

social rank. The nuclear reactor engineer, the astronaut, the physician, the civil servent, the most learned, and the man with a hand plough are all subject to the same prescriptions and the same formalities of worship. This perpetuate canonization of the acts of worship throughout human life indicates their indispensible nature. The changing patterns of human life through the development of resources and implements are in essence changes in the bilateral orientation between man and the natural environment; and are influences only of the material forms of this relationship. The acts of devotion and worship to the Divine Supreme Being are not subject to changes in the material development; they are subject only to the strength of genuine faith, and the individual potentials of Belief. They represent the relationship between man and his Creator; and indirectly regulate and control the relationship between man and man. The elaborate multidisciplinary systems of worship presented by Islamic doctrines have provided an optimized paradigm to establish a coherent relationship between man and the "Divine Milieu", and to build up his individual, social and cultural character within the framework of the Islamic paradigm. This plays a major role in structuring human culture and in solving socio-cultural problems continuously taking place in human life.

The acts of devotion and worship in Islam are forms of practical practices that associate and affiliate man to the Divine Transcendent Milieu. The optimal practice of this associated affiliation enhances the progressive movement of mankind towards creative development. The most enlightened phases of human mental faculties developed through man's genuine communion with the Absolute. The true genuine affiliation of man to Allah in his capacity and attributes of being the Absolute, means the total rejection of imaginary absolutes of the mind, false gods and deitified idols or chimerical beliefs. Such genuine association requires the total mental comprehension and ecumenic understanding of the Divine Omniscience. The All-Cognizant Creator, the infinite Absolute powers of perception and ratiocination, and the indisputable evidences of universal cosmic intelligence. The elements of Belief are the particles of knowledge, the faculty of thought is the product of intelligence. The human mind learns knowedge through the practice of intelligent thought; the source of knowledge is the whole vast infinite cosmic creation with all its phenomenal marvels, the wanders of the universe, the exalted sublimes of creation. Every atom in the science of chemistry is based upon an undeviating work plan; every molecule functions according to an intelligent work plan; every cell divides, proliferates and differentiates according to an intelligent work plan; the location and movement of the stars and planets are evidence of a guiding creative intelligent work plan. Human knowledge throughout the ages has discovered that all intelligence is one, and that all the laws of nature are essentially one law. The intelligence that man uses to plough the earth, is the same intelligence that runs the universe; it differs only in degree, not in kind. This universal cosmic intelligence is an infinite ocean surrounding our cosmic world in which we are all submerged; and upon which we draw.

WORSHIP IS INDISPENSIBLE TO MANKIND

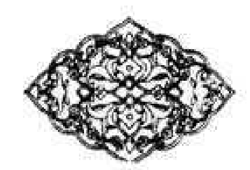
By: Saad Moustafa Moustafa M.D.

The structural elements of human creation constitutes an integrated complex matrix of biological system mechanisms from conception to death; and another supereminent preponderant psychokinetic extrasensory sacred quality of spiritual grace. The prime purpose of Islamic doctrinal teachings is to establish a paradigm that will provide the optimal requirements to satisfy the needs of both elements of human life. The biological mechanisms are controlled regulated operated and maintained by auto-inherent dynamic systems constituting the phenomena of life. The animate mammalian body is structured to perform the various complicated molecular, cellular and organ biomechanisms in a perpetual manner to maintain the physical existence of the body. The basic requirements of this bodily organization are sources of energy as food and water. The spiritual extrasensory aspect of human life is controlled, regulated, operated and implemented through a perfected consummated framework of association with the "Divine Milieu". The choerence of such association is a function of Belief. For this pivotal reason, the most essentially demanding context of theism is the doctrinal presentation of deductive reasoning, inference and judgement, the logistics of conceptualization that will justify the thesis of Belief. The nourishment of Belief is worship. The various acts of worship in Islam are very distinctively organized, regulated and specifically cannonized. These acts of worship play a major essential role in Muslim Theism; the ordinances governing their performance, and the associated devotional behaviour form a tangible representation in the daily life of the Muslim.

Since the practice of worship sustains, preserves and strengthens the premise of credulity and certainty; such practice must possess a continuous nature. One important aspect of the devotional acts of worship is the innate indispensible need to mankind. This remains constant throughout the continuously changing development of human life. The acts of worship are not subject to the variations in the patterns of human conditions, and their necessity of performance is not affected by the increasing human control over nature's resources, or the alteration in the modes of living. The acts of worship in Islamic law are incumbent on all individuals irrespective of sex, profession; wealth, or

upper Egypt was then under Muslim dominance. During that primary phase, conditions were very critical and adverse to Muslims, and Amre Ibn Al-Aas surmounted difficulties with skill, craftiness and shrewd expedient stratagem. Instructions from Omar Ibn Al-Khattab were continually reminding him to save the lives of his men, not to kill the enemy except in battle, not to kill children women or old men or inhabitants not taking part in combat. Instructions also included the preservation of plantations, trees, houses, dwellings, property and animal life; not to plunder, loot, wreck or seize by force. Amre Ibn Al-Aas and his men obeyed these instructions, as doctrinal teachings of Muslim theism. After the triumph and occupation of Babylon, Amre Ibn Al-Aas remained between his men silent and deliberating with his ranks, awaiting news of advice from Omar Ibn Al-Khattab. The conditions were optimal to encourage the Muslims to march to Alexandria. The hatred of the Egyptian Coptics to the Romans was intense, the Romans were at low spirit, depressed and certainly deteriorated in military organization. The road to Alexandria was ready, and Amre Ibn Al-Aas was confident that Alexandria was ready to receive the Muslim crusaders. After resting his men, and drawing his plans, Amre Ibn Al-Aas was patiently awaiting orders from Omar Ibn Al-Khattab. The policy adopted by Amre Ibn Al-Aas towards the Egyptian population of copties was very successful in passifying them, and inducing some to enter Islam as the new creed.

The triumph at Babylon raised the confidence of Muslim warriors, they had been victorious since they crossed the eastern Egyptian borders. The victory at Ain Shams, and the occupation of Babylon, established their zeal and heightened their combat psychology. They travelled through regions around Cairo and witnessed the historic relics of the pontific and spectacular magnificence of the ancient Pharonic civilization. Their feet moved across the fertile plains of the Nile which gave evidence of the opulent richness of the land. Muslim warriors received the permission of Omar Ibn Al-Khattab to Amre Ibn Al-Aas to move with his troops to Alexandria, before the season of the high flood.Amre Ibn Al-Aas leftKharijah Ibn Huzafah Al-Sahmii at the head of a garrison at fort Babylon, and advanced with the rest of the Muslims towards Alexandria.



to Constantinople for final approval of Emperor. The Roman forces were to remain in the fortress, and the Muslim warriors were to hold their grounds untill the final decision of Heraclius.

Emperor Heraclius of the Eastern Byzantine Empire could not understand the final outcome of the agreement. Was that concerned with the fortress of Babylon? was Egypt to be surrendered to the Muslims; the exact outcome of the truce agreement was not clear. Heraclius had hundred thousand troops in Egypt, where there was some of the most fortified strongholds. How could such Roman military might agree to capitulate to few thousand Muslim crusaders. Heraclius accused Al-Muqawqas of treason and of giving up Egypt very cheeply to the Muslims. Al-Muqawqas was released from all official duties. Heraclius refused the truce terms, and hostilities were renewed between the Romans and Muslims by December 640 AD.

The season of the flood was over, the fortress of Babylon received no reinforcements, and the Nile waters were low. Again repeated confrontations between both Romans and Muslims took place during the early months of 641 AD. The fortress of Babylon lost all hope of receiving reinforcements, and by March of the same year, the Nile water was very low. During that time, news of Heraclius's death paralyzed the last string of hope for the defenders of Babylon, however, the invincible nature of the fortress of Babylon remained to stand resistant to the long siege, till the month of April. The Muslims became impatient after eight months of blockade, and alertness; they were eager to storm the fortress and occupy the great Egyptian bastion of Babylon. Several Muslim leaders including Al-Zubair Ibn Al-Awam convened with Amre Ibn Al-Aas to discuss the strategy to storm the fortress of Babylon. The Muslims decided to plug the moat at a certain point by gradual padding, which when finished allowed them to cross the moat to the walls of the fortress. Al-Zubair Ibn Al-Awam was the first to climb the walls to the top followed by other Muslims. Once at the height of the walls, they shouted "Allahu Akbar", Allah is Greatest, and descended to the inside to open the gates for the storming Muslims. The Roman troops inside the fortress were helpless against the very eager tempestnous Muslim warriors. The fortress of Babylon finally succumed, and the legend of Babylon finally yielded. The Roman garrison left the fortress during the early days of April 641 AD, leaving behind them all armaments. The Roman commander surrendered officially the fortress of Babylon to Amre Ibn Al-Aas the leader of Muslim crusaders. News of Babylon occupation were at once dispatched to Omar Ibn Al-Khattab with details of the situation, and permission to plan the march of Alexandria - the capital city of Egypt.

The famous fortress of Babylon was finally occupied by Muslim warriors after eight months of stringent bitter siege for both parties, the Romans and Muslims. This ended the first phase of Muslim emergence into Egypt. The whole territory of middle and

Muslims showed great patience, and the Romans awaited reinforcements which had not arrived from the capital city of Alexandria.

The summer months were ending, and the flood waters were lowering; the time was October 640, AD and the situation was becoming critical for the Romans. Al-Muqawqas and few others deliberated among themselves to negotiate the situation with the Muslims. They secretly crossed the river to the Muslim encampment site. They sent envoys from among themselves to meet with Amre Ibn Al-Aas advancing to him a message from Al-Muqawqas and his party. Amre Ibn Al-Aas kept the envoys for few days with the strategy that these envoys would witness the exact conditions of Muslims. The envoys finally returned to Al-Muqawqas carrying the conditions the Muslims had dictated in reply. To enter into Islam, to pay the "Jiziah", or to confront in battle. The delegates of Al-Muqawqas described the Muslims as being very humble, they gather for prayers, they are all similar in rights, they eat little, they wash before prayer, they are detached from mundane worldly demands. Al-Muqawqas returned the message to the Muslims asking them to send delegates for negotiations. Amre Ibn Al-Aas send ten men, among them was their speaker Ubadah Ibn Al-Samet, who was black, with instruction to negotiate only within the three alternatives; Islam, Jiziah, or combat. When in the presence of Al-Muqawqas, Ubadah started to speek; Al-Muqawqas shouted "take away that black man; let someone else speak". The Muslim delegates stated that Ubadah was their speaker, and they consented and agreed to all he was to say. Ubadah stated the three alternatives, which Al-Muqawqas found very unacceptable for negatiations. The meeting ended without agreement, and the situation of hostilities was resumed.

Fighting was renewed after the Muslims stormed the fortress several times; on other occasions, the Romans attacked Muslim warriers on open ground. These confrontations resulted in heavy casualities among the Romans, who were compelled to retreat into the fortress for safety. Consequent upon this, Al-Muqawqas renewed his policy for negotiations with the Muslims, and after gaining approval from his people, he contacted Amre Ibn Al-Aas. The Muslims were contradicting truce negatiation to have the full rights for complete indemnity retributions. Amre Ibn Al-Aas reminded his men that his orders from Omar Ibn Al-Khattab were to accept one of the three alternates; on the other hand, the strategic situation was not very favourable, and it was a wise decision to negotiate terms of truce according to what Islamic law dictated. Amre Ibn Al-Aas and Al-Muqawqas agreed on several articles to end hostilities. These terms were that every adult Egyptian male should pay two dinars per annum. The inhabitants of Egypt were to remain free, having their lands, properties, belongings, churches, crosses, articles of value; and to be protected by Muslim against any invasion, they were to have the right of free trade. These terms were agreed upon, and were subject to the final approval of the Roman Emperor Heraclius. Al-Muqawqas travelled to Alexandria and sent the agreement

OMAR IBN AL-KHATTAB

The Gates of Babylon

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim triumph against the Romans at Ain Shams assured their victorious influence prevalent over the whole region of middle Egypt. The defeated remnants of the Roman troops retreated to the great fortress of Babylon soliciting safety, and others used boats to withdraw to the fortress of Naqious situated north of Menouf. The Muslim warriors marched to occupy the city of Cairo without any resistance, and finally concentrated their forces within the green belt around the fortress of Babylon. Muslim contingents moved to the region of Al-Fayoum and occupied it, and others travelled to the middle of the Nile Delta to establish security in territories north of Cairo. The strategy of Amre Ibn Al-Aas after the triumph at Ain Shams was to secure his forces in Cairo without danger from the surrounding regions, to draw plans to ocupy the fortress of Babylon, to ensure provisions and supplies to his men, and to leave Alexandria untill the Muslims had occupied Babylon. The Egyptian population were amazed at the achievements of the Muslim warriors against the large numbers and better equiped Roman legions. Amre Ibn Al-Aas decided to besiege the great fortress of Babylon.

The time was the summer of the year 640 AD, the months season of the flood, and the waters of the Nile was high, making it difficult to storm the fortress. Both the Romans inside the fortress of Babylon, and the Muslims outside, knew that it was to be a long siege. Both opponents had to be patient and plan for the suitable strategy. The Romans awaited reinforcements from Alexandria, and were confident in the invincible strength of the fortress. Babylon was at the time one of the strongest Roman fortreses with its walls sixty feet high and several feet broad. It had several towers much higher than the walls, with stairways. These provided a detailed panorama of Al-Muqattum mountains on the east, and of the Pyramids on the west. The huge steel gates of the fortress were on the water front. The whole fortress was surrounded by a moat with a drawbridge infront of the main gate. Inside and in the direct vicinity of the fortress, large areas of plantations and orchards provided supplies to the inhabitants of the fortress with the necessary provisions. Amre Ibn Al-Aas besieged the fortress and realized that the ordeal of confrontation was lengthy and bitter. Al Muqawqas the chief of the Egyptian coptics was among those taking refuge in the fortress. The Romans inside the fortress, and the Muslims outside exchanged salvos of arrows, stones, and fire blocks. The

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART XI
Zu Al - Qiddah 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

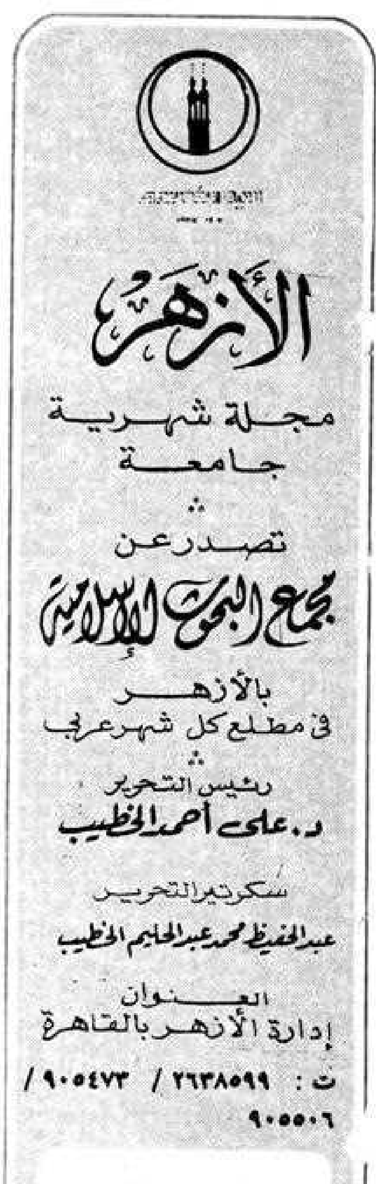
Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





ذو الحجة ١٤١١ هـ
يونيو ١٩٩١ م
الجزء الثانى عشر
السنة الثالثة والستون

بقدر مايسجل التاريخ « العمل » تسجل الحضارة « الأثر » بل تكاد تكون الحضارة اثراً محضاً ، منشؤه الارض وكم للأرض من فضل ..!!

تنقُبُ الحضارةُ الأرضَ كاشفة عن مدن مطمورة ، وآثار مهجورة : فتجد شيئا من تماثيل وأعمدة ، او قطعة نسيج او آنية ، فيعكف علماؤها على ماحوت من الطِلّسْمات ، ثم ينتهون إلى (لغة) تحدثهم ـ بصدق ـ عن عصر بل عصور ، ينال منها التاريخُ احداثَه ، وتحظى منها الحضارة بمادتها لتحدثك عن : الدِّين والقانون والادب والفن والعمارة والعادات والتقاليد ، وشتى شئون اختصاصها ، فإذا الارض الصامتة سِجِلُّ عصر وشاهد إثبات ، وإذا الإنسان ليس كائنا فى فراغ .. إنه جزء من الأرض ، عاش على متنها ما عاش ، ثم غاب فى احشائها ، وقد سجلت آثاره ووعت اخباره .

الارض واحدة من كُبْرَيَات خلق الله ـ عز وجل ـ أُعطِيت الامانةَ فادتها ، وَآبت ان تحملها ، وهى ـ بعد ـ مادة الخَلْق ، من ترابها استوى آدم ، ومنه كان البشر ، وعلمه ربه لتعرف ذريته الصراط المستقيم .

على نبينا وعليه افضل الصلاة واتم التسليم ◄

شهـــادة .. لا عبــادة

وفى الأرض آيات الإبداع زينة للحياة ، ولها فضلها : طعاما وشرابا ورونقا وكساء ... وفى أحشائها كنوز نعلم منها ونجهل ... ومنها بقاع عزيزة على الله ـ تعالى ـ قدَّسها وطهرها وبارك فيها ، وَبَعَثَ الشوقَ إليها فشغفت بها القلوب وهوت إليها الأفئدة من كل فج عميق ، فهى حول (الكعبة) وعند (المشعر الحرام) وأمام (مقام نبينا) عليه الصلاة والسلام ، أو عاكفة فى (بيت المقدس) مجمع النبيين ومهبط الملائكة الكرام .

بقاع من الأرض طاهرة مقدسة حفَّتها الملائكة ، وتعالت من فوقها إلى سبع سماوات ..!

وهى ـ على قدسيتها ـ غَيْرُ معبودة .

كَفَرَ من عبدها أو جزءا منها .

كَفَرَ من عَبَدَ الكعبة أو عَبَدَ الحجر .

إنما المعبود اللهُ ـ وحدَه .

كتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء ـ رضى الله عنهما :

« إن الأرض لا تُقدِّس احداً ، وإنما يُقَدِّسُ الإنسانَ عملُهُ »(١)

فالأرض المقدسة المطهرة لا تطهر مؤمنا ولا تقدسه .

« قل آمنت بالله ثم استقم » .

إنما للأرض فى الدين ما للأرض فى « الحضارة » .

هى شاهدٌ صِدْقٍ على هذا الإنسان .. إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .. شَاهِدٌ غيرُ معبود .

كذا حدد الله ـ عز وجل ـ طبيعتها فاستوت عليها ، وبذلك بَيَّنَ الكتابُ والسنة :

ففى الكتاب ـ بشأن الكَفَرة الفَجَرة من آل فرعون ثم ماشابههم : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ الدخان ٢٩ .

روى الترمذى ـ بسنده إلى أبى هريرة فى حديث حسن صحيح ـ قال :

قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ الزلزلة ـ ٤ .

قال : أتدرون ما أخبارها ..؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارَها أن تشهد على كل عبد أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها ... تقول : عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها » .

قال على ـ كرم الله وجهه : ليس من عبد إلا له مصلى فى الأرض ومصعد من السماء ..يقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما : فإذا مات المؤمن فَأُغْلِقَ بابه من السماء ... بكى عليه ، وإذا فَقَدَ مُصَلَّاهُ من الأرض التى كان يصلى فيها ، ويذكر اللهَ ـ عز وجل ـ فيها ، بكت عليه . اهـ

فالكعبة شاهد لمن طاف ، والحَجَرُ شاهد لمن قَبَّل ، والمقام شاهد لمن صلى ، والمسعى شاهد لمن سعى .

آثار محفوظة لا تغيب ، ورحمة موصولة لا تبيد .

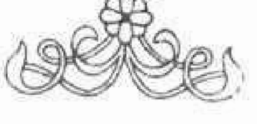
د. على أحمد الخطيب

(١) موطأ مالك ٢/٧٦٩ ط عيسى الحلبى ١٣٧٠

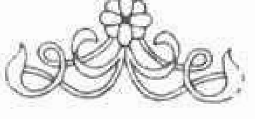
مع الإمام الأكبر

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

تأمين المصالح الحكومية على موظفيها



أرباح البنوك في البلاد الغربية
وبناء المؤسسات بها



للإمام الأكبر والسوق الإسلامية

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

من مقاصد الحج في الإسلام



تنمية العلاقات الإنسانية

جاءت أسس الإسلام فى جملتها لتقيم العلاقات الإنسانية على أسس وثيقة من المساواة والتكافل، تخرج الفرد من عزلته، فصلاة الجماعة يشتد بها عزم المصلين وعزيمتهم على طاعة الله، وبها تستقر النفوس على حقيقة الإيمان بالله وحده.

وتأتى فريضة الحج بمؤتمر عام أكبر من الجماعة فى الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة وفى صلاة الجمعة وصلاتى العيدين.

فالحج ـ كما قال الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) ـ من أركان الإسلام ومبانيه، عبادة العمر، وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1].

وإذا كان من وظيفة العبادة وشأنها فى الإسلام تنمية العلاقات الإنسانية وتأكيد الأخوة بين المؤمنين، والتذكير بالمساواة بينهم أمام الله وعند البشر فإن فريضة الحج فى الإسلام تؤكد هذه المساواة، بل وتعلنها منذ اللحظة الأولى فى دخول المؤمن فى واجبات أدائها.

فهذا الإحرام بالحج: بمثابة إعلان من المحرم وإلزام لنفسه بالإقلاع عن كل ما يحول دون المساواة بينه وبين غيره ممن شاركوه هذا الإحرام، وبه يدفع عن نفسه كل عوائق الإخلاص لله فى عبادته التى أقدم على الدخول فيها.

---

(١) من الآية ٣ سورة المائدة.

والمُحْرِم حين يخلع كل الثياب المخيطة ويحرمها على نفسه ، ويعود إلى ارتداء ثوب بسيط ، تاركا كل مظاهر الزينة التى تتبع الثياب المخيطة التى تتنوع فى مظهرها ، وتتعدد فى ذاتها ، بحيث تنعدم بين المرتدين لها حقيقة المساواة إذ يفعل المحرم ذلك ويترك مظاهر زينته الأخرى من حلق وطيب ، إنما يندمج فى عناصر المساواة مع غيره .

فالإحرام يستهدف تجرد المحرمين من كل ما يظهر الفروق بينهم فى أداء هذه الفريضة فلا مظهر للغنى أو صاحب الجاه يميزه عن الفقير الذى لا جاه له ، كما يستهدف أن يكون المؤدون لهذه الفريضة متجهين إلى الله ربهم لا تشتغل نفوسهم إلا بذكره والنزول على أمره حيث تساووا فى الإيمان به ، فجمعهم تحت وصف الأخوة فى هذا الإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

وليس تخلى المحرم عن زينة الحياة من الثياب وغيرها مظهرا خارجيا للمساواة فحسب إذ بالإحرام يعلن المحرم بعده عن كل ما يربطه بمتع الدنيا الأخرى ، فما بينه وبين زوجته من صلات جسدية قد توقف بهذا الإحرام وكل انحراف عن الصراط المستقيم يتوقف ، فلا لغو فى الحديث ولا فضول ، ولا خصومة ولا جدل فى المناقشة ، ولا إساءة إلى الغير .

فهذا الإحرام قد أوجب على كل محرم أن يحزم أمره على ضبط سلوكه بحيث يصبح الخير المهذب .

وهذا هو ما افصحت ووجهت إليه الآية الكريمة من سورة البقرة : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٢) .

ومع هذا الانصراف الكلى من المحرم إلى واجبات هذه الفريضة والتجرد لعبادة الله وإخلاص النية فى ادائها وضرورة البعد عن هذه المنهيات التى أشارت إليها هذه الآية الكريمة لم يحرم الله عليه السعى لتحصيل رزقه اثناء اداء هذه الفريضة بمراعاة الا يجره سعيه هذا إلى الرزق إلى الانحراف فيصير ماديا هدفه جمع المال وما يعتور طريق الحصول عليه من اغلاط واخطاء فينزل إلى مجال يغاير هدف الإحرام من مباشرة اركان هذه العبادة كما يشير إلى قول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾(٣) .

وبهذا الترخيص من الله كان السعى على الرزق من الحاج غير مخل بإحرامه ولا بعبادة الحج بوجه عام متى راعى البعد عن الأمور التى تتنافى مع اركان هذه العبادة وآدابها .

وذلك مماثل لما رخص الله به من الانتشار فى الأرض والسعى فيها طلبا للرزق بعد أداء صلاة الجمعة دون أن يكون فى هذا إخلال بأداء هذه الفريضة ، متى حان وقتها ونودى إليها .

ذلك ماقرره قول الله سبحانه فى شأن صلاة الجمعة فى سورتها :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَت الصلاة فانتشروا فِي الْأَرْضِ وابتغوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤) .

ذلك أن عبادة الله المفروضة على الإنس والجن وإن كانت هى الغاية من خلق الله لهما كما جاء فى قوله

---

(٢) الآية ١٩٧ . (٣) من الآية ١٩٨ . (٤) الآيتان ٩ ، ١٠ .

تعالى من سورة الذاريات :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٥] إلا ان العمل للحصول على الرزق من وسائل تمام هذه العبادة ، ثم هو سعى وابتغاء من فضل الله فالساعي على رزقه يتجه إلى الله ، كما يتجه إليه حين يدخل فى العبادة بالتكبير فى الصلاة أو بالإحرام للحج ، وبالرزق الذى هو قوته يقوى على العبادة ، وبها يهتدى إلى صراط الله المستقيم ، وينتهى عن الموبقات المهلكات ، اذ بالعبادة يتجنب المنكرات من سرقة وقتل واكل مال يتيم ..

ومن ثم كانت الرخصة بالسعى على الرزق بما لا يتناقض مع العبادة ، وكان فى هذا توثيق للعلاقات الإنسانية وازدهارها ، وصار العمل مع العبادة من باب التعاون على البر والتقوى .

ومن مقاصد الحج تنمية الترابط بين المسلمين : فالإحرام يستهدف إعلان المساواة بين العابدين حجاج بيت الله الحرام ، ولهذه الفريضة اثر مباشر آخر هو إيجاد الترابط بين هؤلاء المؤمنين على أساس من الصفاء والنقاء ، بعد أن ارتفع من بينهم التمايز فى الاعتبارات البشرية ، ويتجلى هذا الترابط بطوافهم حول الكعبة ، بل إن هذا الترابط غير قاصر على أولئك الطائفين المؤدين للفريضة فى عام من الأعوام ، وإنما هو تواصل بما كان منذ نبى الله إبراهيم(عليه السلام)إلى رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممتدا هذا التواصل والترابط بين أجيال المؤمنين الذين يفدون إلى هذا البيت الذى جعله الله مثابة للناس وامناً وقبلة يتجهون إليها فى الصلاة .

فاستمرار الطواف كواحد من شعائر الحج يسهم فى تذكير المؤمنين بالله بالصلة القوية التى تربط بين اجيالهم ، الا وهى : صلة الإيمان بالله وهى صلة تاريخية تبرزها عبادة الحج وتضيفها إلى صلة الترابط بين المؤمنين بالله اتباعاً لرسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى جاءت بهذه العبادة .

وصلة الإيمان بالله التى تربط بين قلوب المؤمنين فى الأجيال المتتابعة ينبغى أن تشدهم دائماً إلى ان يكونوا قوة فى مواجهة الإلحاد الذى يعمل دائماً على تمييع العقيدة ، بل ومحاولة حجبها وربما سحبها من القلوب .

فهل لنا أن نحرص ـ نحن المؤمنين ـ على أن يمتد هذا الترابط بيننا ويشتد ، وأن نتواصى بالحق حتى يتوافر لهذه الأمة الأمن والأمان ؟

ومن مقاصد الحج تنمية فضيلتى الصبر والمثابرة ، بل والمبادرة وسرعة الاستجابة على هذا النمط الملحوظ فى اداء السعى بين الصفا والمروة ، باعتبار ان الاستجابة السريعة هنا عبادة وقربى إلى الله الذى شرعها ، كما أن فى الزيادة فيها والتطوع بها خيراً كبيراً .

ولاشك ان حيوية الأمة تقاس بصبرها وجلدها فى المحن والأزمات ومواجهة الشدائد برباطة الجأش وحسن التدبير ، وذلك يكون بالمثابرة على دقة الفكر ونقاء الإيمان ، وسرعة الحركة لمواجهة الخطر مع الحذر .

ذلك الصبر مع البدار إلى المواجهة هو ما يوحى به السعى بين الصفا والمروة طلبا لفضل الله ورحمته ، وهدايته .

فقد كان سعى هاجر ام إسماعيل فى هذا المكان سعياً مبروراً مشكوراً ما أن اتمته طلبا للنجدة وارتقاباً للإغاثة حتى كانت رحمة الله وثوابه استجابة لدعوة إبراهيم .

وذلك ما ينبغى أن يكون عليه الحجاج استجابة لما يطلبه الله سبحانه من المؤمنين : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ

(٥) الآية ٥٦ .

﴿خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .

وفى الحج ينعقد المؤتمر العام للمسلمين ذلك أن هذا اللقاء الجماعى لأمة الإسلام على اختلاف أوطانهم والسنتهم والوانهم لا يقوى فحسب الشعور بالقوة وبالعزة وَبِتَرَابُطِ المؤمنين برسالة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يذكرهم بالمؤمنين السابقين منذ رسالة إبراهيم عليه السلام فى محاربة الشرك فحسب ، وإنما يذكرهم بأبى البشرية آدم ورسالته الأولى تعزيزاً لروابط الأخوة بين المؤمنين على اختلاف الأزمنة وتعاقب الرسالات السماوية ، ولعل ارتباط الحج بأمكنة وازمنة معينة كان لأن هذه الأمكنة تحدد ذكريات من شأنها أن تطهر النفوس وتزكيها ، وتقوى الصلات وتنميها ، فهذه الأمكنة لاتقصد لذاتها ، بل لما يتصل بها من ذكريات العمل والرحمة من أجل الإنسانية ووحدتها ، بل وتوحدها بالإيمان والعمل الصالح .

وفى الوقوف بعرفات إشارة إلى اجتماع قوى الحق والإيمان وثباتهم فى وجه الباطل ، وتجديد عزائمهم المتحدية لصنوف الإفك والإثم والعدوان .

فالوقوف بعرفات فى واقعة مؤتمر عام تتجمع فيه قوى الخير وتتضامن ، وتتواصى بالحق والصبر .

ولقد كانت خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حجة الوداع فى مؤتمر عام للمؤمنين ، تقررت فيه الحقوق وأعلنت على الملأ : حقوق الإنسان كل إنسان ، وكل الحقوق المتنوعة ابان فيها الحلال والحرام وحذر من الاختلاف ، ودعا فيها إلى التآخى بين المؤمنين والتضامن والتعاون حتى ينتصر الحق ويزهق الباطل .

وليتقدم دعاة الخير ودعاة الهدى والرشد إلى تجلية القلوب وتنقية النفوس مما ران عليها من آثام الخلف والصلف وحب الذات ولنرجم الشيطان وحزبه حين نرمى الجمار الثلاث بعد الوقوف بعرفات وفى المسير من منى إلى مكة نرمى الجمار نطارد الباطل وننصر على الوقوف فى وجهه ، ولعل شرع رمى الجمار وتكرارها فى أيام متفرقة يشير إلى ضرورة المثابرة على مناواة الشر والباطل ، مناواة مؤكدة لاتهاون ولا هوادة فيها ، وكأن هذه الجمار الثلاث تشد العزم والعزيمة لدى كل حاج إلى إنكار المنكر ودفع الباطل وإلى الوقوف بجانب الحق بروح الجماعة المؤمنة التى تساند الحق وتعاند الباطل وتدعو إلى الله على بصيرة .

هذه إشارات فى عبارات تشير إلى الثمرة المرجوة من اداء هذه الفريضة الحج . تلك الثمرة المرتقبة : مداومة ذكر الله وحده وذلك السلوك ، والأفعال والأقوال والمواقف ، وفى التفكير والتذكير والتصور ، وهذا ما دعت إليه الآية فى سورة البقرة إذ قال الله فيها :

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(٦) .

إذ مقتضى هذه الدعوة أن يظل الحجاج ذاكرين ما ادوا من مناسك الحج التى تمرسوا عليها واخلصوا لله فى ادائها كما يذكرون آباءهم الذين إليهم ينتسبون .

الا فليعلم الحاج انه ينبغى أن يحافظ على ما وقر فى قلبه وأن يظل متمثلا أمر الله ومجتنبا ما نهى عنه وان عليه أن يعمل للدين والدنيا . تقوى وعطاء فى سبيل الله وبعداً عن البخل والاستغناء بالمال والبنين .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾(٧) .

---

(٦) من الآية ٢٠٠ .

(٧) الآيات من ٥ - ١٣ سورة الليل .

تأمين المصالح الحكومية على موظفيها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من المواطن إبراهيم عبد الرازق (الاسماعيلية - حى الشيخ زايد - حى الزهور - عمارة ٢ شقة ٧) .. السؤال التالى :

(١) تعاقدت مصلحة حكومية مع شركة تأمين على الآتى -

- يدفع الموظف ٦٪ من راتبه الأصلى الأساسى .
- تدفع له مصلحته التى يعمل بها ٥٪ من راتبه وتتحمل هى هذه النسبة .
- يدفع له عند خروجه على المعاش حد أدنى مرتب ٤٠ شهراً .
- هناك عقد بين المصلحة وشركة التأمين (لم يعلن على المشتركين) .
- مثال : موظف يدفع ٦٪ لمدة ثلاث سنوات ثم يخرج (معاشاً) فيكون ما يدفع (٤٠٠) أربعمائة جنيه - وتدفع له الشركة (٨٠٠٠) ثمانية آلاف جنيه ..

ملاحظة : ترسل المصلحة شهرياً إلى شركة التأمين (٦٪) من راتب الموظف ، و (٥٪) من المصلحة = ١١٪ .

- ما موقف الدين ؟ هل هذا حلال أم حرام ؟

الجـــواب :

أولاً : تمهيد :

(١) من مقاصد الشريعة التعاون بين الناس على البر والتقوى وذلك لقول الله سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[١] .

(٢) المسلم مسئول أمام الله عن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه ..

كما ورد فى الحديث الشريف عن أبى برزة الأسلمى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه)[٢] .

(١) من الآية رقم ٢ من سورة المائدة .

(٢) صحيح الترمذى جـ ٩ ص ٢٥٣ .

(٣) المقصود من التأمين التعاونى توفير ما يسد حاجة الإنسان عند العجز أو المرض ، أو يقى الإنسان وأولاده وورثته ذل العَوَز والاستدانة ، فقد جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الجماعة عن سعد ابن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ فى شأن التصدق ببعض المال[٣] : (... إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) ..

(٤) الحياة متجددة ، وعقود التعامل تبعاً لهذا متوافدة ، متغايرة ، ومن بينها عقود لا تدخل فى نطاق دليل مُحرِّم لها ، كما لا يوجد بها غرر فاحش يفضى إلى التنازع فهى لذلك تباح عند الحاجة .

ثانياً : على ضوء هذه المبادىء يتضح أن ما تقوم به بعض الهيئات والمصالح الحكومية من تأمين جماعى بين أفراد العاملين بها على هذا الوجه المشروح بالسؤال يعد من التعاون على البر ، ومن باب التأمين التعاونى الذى تقوم به الجمعيات التعاونية والمؤسسات الحكومية ، والتى يشترك فيها جمع من العاملين طلباً لمدخرات تؤدى لهم فى نهاية مدة الخدمة الوظيفية مع نقص مواردهم عما اعتادوه سداً لحاجتهم ، وعوناً لهم على مواجهة أعباء الحياة .

● وظاهر أن العقد المسئول عنه قد خلا من الغرر والربا ، كما سلم مما يؤدى إلى التنازع أو يفضى إلى التشاحن ، ومن ثم يندرج فى العقود التعاونية المشروعة فيكون من المباح الذى لا حرج فيه .

هذا وقد قرر مؤتمر علماء المسلمين الثانى بمجمع البحوث الإسلامية المنعقد فى الأزهر الشريف عام ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م ما نصه : « **التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من التعاون على البر** » .

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وكان العقد المبرم فى هذا الشأن فى نطاق الحديث النبوى الشريف الذى رواه الترمذى : (.. والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرّم حلالاً أو أحل حراماً)[٤] .

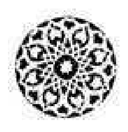
ومن ثم ينبغى لزوم خلو بنود عقد الشركة ـ مع المصلحة ـ مما يتعارض مع أحكام الشرع الإسلامى الحنيف .

ومما سبق يعلم الجواب عن السؤال ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيـخ الأزهـر

جـاد الحـق علـى جـاد الحـق



(٣) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٦ ص ٣٧ .

(٤) صحيح الترمذى جـ ٧ ص ١٠٣ ، ١٠٤ فى الصلح .

أرباح البنوك فى البلاد الغربية

وبناء المؤسسات بها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر من : رئيس مركز بلال الإسلامى فى شمال كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ـ كتاب يطلب فيه الإجابة عن الاستفسارات الآتية :

١ ـ اخذ الأرباح التى تقدمها البنوك فى امريكا ؟

٢ ـ بناء المسجد بالقرض من البنوك بالفوائد ...؟

٣ ـ شراء تامين الحياة ؟

٤ ـ شراء تذاكر الحظ ..؟

والجواب

اولا : عن اخذ الأرباح التى تقدمها البنوك فى أمريكا :

* تقضى نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة أن الفائدة المشروطة المحددة مقدما كتابة أوعرفا التى تصرفها البنوك نظير إيداع الأموال بها هى من قبيل الربا المحرم شرعا ، ولا فرق فى حرمة التعامل بالربا بين الأفراد والجماعات ، أو بين الأفراد والدول ، ولا يحل للمسلم الانتفاع بها فى حاجته الخاصة ، ومتطلبات حياته هو وأسرته (غذاء أو كساء أو غيرهما) لأنها كما تقدم من الربا المحرم . قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾[1] .

* وقال فى سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[2] .

* ومادامت هذه الأرباح ربا محرما فإن التصرف فيها يكون بالإنفاق فى المصالح العامة كإقامة المستشفيات أو المدارس ، ولا يجوز تركها للبنوك فى البلاد غير الإسلامية .. تستغلها فى المصالح المضادة للمسلمين . هذا :

* وقد ذهب جمهور فقهاء المسلمين إلى أن المسلم إذا وقع له مال حرام كان عليه أن يصرفه إلى مالكه إن كان معروفا لديه وعلى قيد الحياة، او إلى وارثه إن كان قد مات ، وإن كان غائبا كان عليه انتظار حضوره وإيصاله إليه مع زوائده ومنافعه ، أما إذا كان هذا المال الحرام لمالك غير معين ووقع اليأس من التعرف على ذاته ، ولا يدرى أمات عن وارث أم لا ، كان على حائز هذا المال الحرام إنفاقه فى المصالح العامة للمسلمين كبناء المستشفيات والقناطر وشق الطرق ورصفها وغيرها .

* وقد استدل جمهور الفقهاء على ما قالوا من إنفاق المال الحرام فى المصالح العامة للناس ـ بالحديث الشريف الذى أورده الغزالى فى كتابه "إحياء علوم الدين" فى موضوع « الحلال والحرام » ، وقد خرج

---

(١) من الآية : ١٣٠ من سورة آل عمران . (٢) من الآية : ٢٧٥ من سورة البقرة .

العراقى الحديث عن الإمام احمد بسند جيد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « قُدِّمت إلى النبى ـ ﷺ ـ شاة مصلية فَكَلَّمَتْهُ بأنها حرام،فلم يَطْعَمْها وامر بالتصدق بها وقال:أطعموها الأسارى » .

* واستدل الجمهور على هذا بالقياس ايضا فقالوا : إن المال مُردد بين أن يضيع ، وبين أن يصرف فى خير،وبالضرورة يُعلَم أن صرفه إلى خير أوْلَى من رَمْيِه،لأن رميه لا يأتى بفائدة ، أما إعطاؤه للفقير أو لجهة خيرية ففيه الفائدة بالانتفاع به والخلاص منه ، وتطهير مال خبيث انتفع به وقتا ما فى دفع حاجة للناس ومن ثم كان الأوْلى صرف هذه الفوائد ـ وإن كانت من الربا المحرم ـ فى المصالح العامة كالمدارس والمستشفيات وملاجىء الأيتام والفقراء ولا تترك يستعين بها غير المسلمين على الإضرار بالمسلمين .

ثانيا : وعن بناء المسجد بالقرض من البنوك بالفوائد :

* فإن المسجد بيت الله فى ارضه . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾(٣) .

* وقد ماز الله شريعة الإسلام فجعل الأرض للمسلمين مسجدا يصلون عليها وطهورا يتيممون بها . فقد روى مسلم والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (فُضِّلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا ، وارسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون)(٤) .

* وما دام الأمر كذلك : فإن بناء المساجد من أعمال الخير الخالصة لله تعالى ، وبناؤها من المال الحلال لازم ، لأنه تقرب إلى الله ، وهو سبحانه لا يقبل إلا ما كان طيبا ، والمسلمون لا يقدمون على بناء المسجد بالقرض من البنوك بالفوائد عليها لحرمتها ، بل يشارك جميعهم فى إقامة المسجد كل حسب طاقته وجهده المالى او الفنى .

* وقد اشتهر بين المسلمين أن الصحابة الأوائل تضافرت جهودهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى بناء مسجده بالمدينة المنورة .

* وإذا كان المسلمون فى شمال كاليفورنيا وعددهم خمسة عشر الف شخص يعجزون عن ان يقيموا المسجد بالجهود الذاتية وبالمال الحلال او القرض الحسن وليس القرض بالفائدة المحرمة لأنها ربا ، فإنه يجوز ويباح لهم توجيه جزء من زكاة أموالهم الحلال فى إقامة المسجد (وهى بمقدار ٢,٥٪) إذا بلغ رأس المال نصابا،وهو ما يقابل ثَمَنَ خمسة وثمانين جراما ذهبا بالعملة التى يجرى بها التعامل وبالسعر السائد وقت استحقاق الزكاة بمضى العام على هذه الأموال المدخرة وتوافر باقى الشروط المقررة شرعا ، فإن لم يكن لهم مال يزكى،ولا قدرة على بذل الجهود الذاتية لبناء المسجد ، فإنه فى تلك الحال يطلب من الهيئات الإسلامية والمؤسسات الدينية أن تمد يد العون وتقدم المساعدات لبناء المسجد المحتاج إليه لا المستغنى عنه بغيره .

* فإذا لم تصل المعونات ، او ضَنَّ الأغنياء بالتصدق بجزء من أموالهم الحلال فعندئذ يجوز اقتضاء القرض بفائدة ضرورة ويمكن توجيه الفائدة الربوية التى تعطيها البنوك للاستعانة بها فى بناء المسجد للضرورة أيضا .

* وتوجيه تلك الفائدة لغرض بناء المسجد خير من تركها للبنك وتمكين الغير من استثمارها فى محاربة المسلمين والإسلام . ولقد أجاز جمهور الفقهاء ذلك بأدلة مقبولة كما تقدم .

---

(٣) الآية رقم ١٨ من سورة الجن .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٥ ص ٥ ، صحيح الترمذى جـ ٧ ص ٤٢ .

أرباح البنوك فى البلاد الغربية وبناء المؤسسات بها

ثالثا : وعن شراء تأمين الحياة فإنه بعرضها على قواعد الشريعة يتضح ما يلى :

أولا : قضت قواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة إلا إذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق أو أضاعه على صاحبه ، أو أفسد عليه الانتفاع به بطريق مباشر أو بالتسبب .

وأسباب الضمان المشروع فى هذه الأوجه لا تتحقق فى شراء تأمين الحياة الذى تقوم به شركة التأمين على الحياة ذات القسط المحدد سلفا المشمول بالربا نظير المبلغ المتعاقد عليه .

ثانيا : إن هذه الشركة فى الواقع شركة لضمان الأنفس، وهو ما لا يجوز الضمان فيه شرعا .

ثالثا : فى شراء عقد تأمين الحياة غَرَرٌ ، بمعنى أنه لا يمكن لأحد المتعاقدين أو كليهما وقت العقد معرفة مدى ما يعطى أو يأخذ بمقتضى هذا العقد ، والغرر والمخاطرة كل أولئك مبطل للعقود فى الإسلام .

لما كان ذلك كانت عقود التأمين على الحياة بوضعها السائد ذات القسط المحدد غير التعاونى ـ من العقود الاحتمالية تحوى مخاطرة ومقامرة ومراهنة وبهذا تكون من العقود الفاسدة بمعايير العقود التى يشير إليها الحديث الشريف الذى رواه الترمذى : (.... والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو احل حراما)[5] وغير هذا من النصوص الشرعية ، والعقد الفاسد يحرم شرعا على المسلم التعامل بمقتضاه ، وكل كسب جاء عن طريق خبيث فهو حرام .

رابعا : وعن شراء تذاكر الحظ :

فإن شراء هذه التذاكر المشهورة باسم « اليانصيب » من باب القمار المحرم، وبيعها والاتجار فيها باطل شرعا، أو فاسد للجهالة وللمخاطرة ، ويترتب على هذا التعامل أضرار جسيمة تصيب الأفراد والمجتمعات فتقعدهم عن نشاط العمل الجاد ، والكسب الحلال ، وعن الاقتصاد المثمر ، وعن الشعور بالمسئولية نحو النفس والمجتمع ، وكل من يملك مالا عن طريق شراء الحظ واليانصيب فإنما يملك مالا حراما خبيثا عليه أن يتخلص منه وينتهى عنه بالتوبة إلى الله ، والندم على ما اقترف من آثام وما حصل من كسوب محرمة ، بسبب "اليانصيب" أو تذاكر الحظ وكم من ويلات ونكبات لحقت بالأشخاص والأسر التى ابتليت فى بعض أفرادها بأناس مقامرين فأصبحوا فى ذل وفاقة . وعداوة وبغضاء وقعدوا عن الكسب الحلال .

وقد حذر الله المؤمنين من الميسر وهو القمار وبين لهم آثاره السيئة ، وأمرهم باجتنابه والبعد عنه فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[6] .

* إن على المسلمين جميعا أن يقولوا : بلى : انتهينا ورضينا بحكم الله ... إذ ليس بعد قول الله حكم .. ولا مراء فيما أمر به وفيما نهى عنه .. ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٥) صحيح الترمذى جـ ٧ ص ١٠٣ و ١٠٤ فى باب الصلح .

(٦) الآيتان أرقام : ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .



أمام ندوة

السوق الإسلامية المشتركة

المنعقدة فى الفترة
٦-٩ من ذى القعدة ١٤١١هـ - ٢٠ - ٢٣ مايو ١٩٩١م
بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر.

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. الحفل الكريم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

امر طيب وجميل ان تجتمع هذه الندوة المباركة لمدارسة امر ينفع هذه الامة فى حاضرها ومستقبلها ـ هذا الامر ـ كما استمعتم ـ يشبهه ما كان العرب يقومون به ، فقد كانت لهم اسواق فكرية ، واسواق تجارية لعلنا نذكر (سوق عكاظ) ، التى حل محلها او يشبهها مجمع اللغة العربية ، إنها كانت سوقاً يتبادلون فيها بضاعة اللغة ، التى نرجع إليها الآن ، وفى الوقت نفسه يتبادلون فيها التجارات . كل قبيلة تاتى بحصيلتها لتتبادل مع الاخرى ، وكان لهم رحلتان ، حدثنا عنهما القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ .

هذه منة ، امتن الله بها على العرب والمسلمين ، ولا يمتن الله إلا بنعمة ، تلك هى نعمة السوق ، وإذا اتخذنا موضوع هذه الآية ورحلتيها إيماء إلى فكرة السوق المشتركة ـ الاصطلاح السائد الآن ـ فالفكرة إذاً ليست جديدة على الإسلام ، وإنما الجديد أن نتنبه إلى فوائدها ، بعد أن استوفدنا كل حاجاتنا ، وذهبنا نستورد حتى ما لا يصلح لنا إشباعاً للرغبة فى كل جديد ولو لم يكن مفيداً .

إن الإسلام ـ فى عقيدته وفى شريعته ـ يجمع الأمة دائماً على ما فيه نفعها ، فقبلتنا واحدة وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، أليس هذا أصلاً مشتركاً ، يدعونا ان نعمل دائماً على وحدة تجاربنا وتجارتنا ايضاً وما فيه نفع الأمة .

المال فى الإسلام إحدى الضرورات الخمس التى استهدف القرآن حمايتها : المحافظة على الدين ، المحافظة على النفس ، المحافظة على المال ، المحافظة على النسل ، المحافظة على العرض .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر أمام ندوة السوق الإسلامية المشتركة

المال إذاً فى الإسلام أحد الضرورات أو أحد الأهداف التى حث القرآن عليها - ليس فى تحصيله فحسب ، وإنما فى استثماره أيضاً ، لأنه كما نقول — نحن الآن : إن المال عصب الحياة ، ذُكر المالُ فى القرآن فى أكثر من موضع : مرة فى تحقيره حتى لا ينصرف الناس إليه ، ومرة فى الحث على استثماره ، حتى إن الله توعد أولئك الذين يكنزون المال ولا ينفقونه فى سبيل الله بالعذاب ، وليس هذا العذاب لأنهم كنزوا المال بمعنى حافظوا عليه فقط أو حفظوه من أن ينفقوه فى سبيل الله - وإنما فى تقديرى - والله أعلم - من أهم معانى الآية أنهم لم يحركوه حتى ينتفع به الناس فى تجارة ، وفى زراعة ، وفى صناعة وغيرها من المستثمرات التى ينبغى أن يتجه إليها المال ليستفيد به ومنه الكثير ممن لا مال لهم .

فالسوق المشتركة باصطلاح عصرنا يدعو إليها الإسلام لتحريك المال واستثماره وتنميته ليكون هناك العمل والعمال ويكون الربح ، ويكون هناك الصدقات والإنفاق فى سبيل الله ، بل إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حث على استثمار أموال اليتامى حتى لا تأكلها الصدقة - أى الزكاة - ونحن لدينا أموال لليتامى كثيرة مكتنزة - الله أعلم كيف تستثمر - هل تستثمر فى الإقراض بالربا ، أو فى غيره - وينبغى أن ينظر فى هذا الأمر .

إذاً فى مشروعنا ، وفى اجتماعنا فى هذا اليوم أمر ينبغى أن ننظر إليه على أن له أصلاً فى الإسلام ، وأن هذه التسمية - السوق المشتركة - لا تكون بعيدة عن قواعد الإسلام وأصوله - فإن قواعد الإسلام كما تفضل الإخوة اليوم تسمح بالتحرك فى إنماء هذه الحياة ، لأن الله استخلف الإنسان فى الأرض ليعمرها بفكره وجهده وعلمه وعمله وماله ..

ومن ثم فكل سبيل لتنمية الحياة وإثرائها يكون مشروعاً فى نطاق قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً) ، وهذا النص الشريف غير تلك القاعدة المشهورة لدى القانونيين (العقد شريعة المتعاقدين) وهذا لا يخفى على العلماء الأفاضل . فقاعدتنا التى نطق بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشمل وأحكم وأنقى وأبقى ، وهذا ما ينبغى أن ندور فى نطاقه حتى ننشىء سوقاً مشتركة ، وأن نطبق هذه القاعدة وهى (المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً) .

الأمر - حين نرجعه إلى الشريعة - ليس بعيداً عن أصولها ، ولا سيما المصالح المرسلة آلتى توافق العلماء عليها باصطلاحات مختلفة ، لكن المقتضى الذى تنتهى إليه هذه المصطلحات هو ضرورة العمل على ما فيه المصلحة العامة ، ذلك أن الأمور التى لا نص فيها تجرى فى نطاق المصلحة العامة التى يتغياها المسلمون كأمة واحدة حسبما أسبغ الله سبحانه عليها هذا الوصف فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[1] وليست الأمة أمة العقيدة فقط ، وليست الأمة أمة الشريعة فقط ، وإنما أمة العمل أيضاً ، فالعمل هو صمام أمان هذه الأمة ، ولا يكون العمل المثمر إلا بتلاقى الأموال والأفكار وإلا بتبادلها ، وهذا ما ينبغى أن نحرص عليه وأن نسعى إليه .

إننا فى عالم يتجمع الآن ويتكتل - كما يقال ، ونحن أمة كونها الله سبحانه بأوامره فى كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقت بنا السبل بعد أن كان طريقنا واحداً : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

تفرقت بنا السبل بعد أن انصرفنا عن الطريق الواحد ، وإذا أردنا أن نعود لتكون أمة واحدة ينبغي أن نسير بخطى ثابتة نحو هذا الهدف وبعد دراسة الجدوى .

إننا الآن دول ، وفي الدول احزاب وشيع كثيرة ، وإن كلا منا يعتبر نفسه أمة وحده ، وهذا ما ينبغي أن نتنحى عنه ، وأن نحاول أن نكون أمة واحدةً ـ لا أقول : نتجاوز الحدود والسدود السياسية والجغرافية القائمة ، وإنما أقول : نكون أمة واحدة لأن ديننا واحد ، عقيدة وشريعة ـ فلنترك الحدود والسدود القائمة حتى تذوب متى صرنا أمة واحدة ، وحتى نلتقي ونتجاوزها إن شاء الله لا إهدارا لها ـ فإنها مِلْكيات خاصة ، والإسلام يحترم الملكية الخاصة ، يحترم ملك كل إنسان في داره . ولنُقْبِلْ على الأخذ بالأسباب حتى تقوم الأمة على أصول العقيدة والشريعة الإسلامية ، الأمر الذى أنصح به أهل هذه الندوة من العلماء والباحثين أن يغلبوا الجانب العملي في بحوثهم ، وعلى أهل هذه الندوة أن يعملوا كأصحاب المعامل فيبحثوا عن الطرق العملية المجدية للوصول إلى تحديد كيان هذا المشروع بما يناسب البيئة الإسلامية في شريعتها وعاداتها وأعرافها ، ولعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أرشدنا إلى هذا حين قال ـ في قصة تأبير النخل : (أنتم أعلم بشئون دنياكم) لم يقل هذا لأنه يتخلى عن تشريع ، وإنما لينبهنا إلى أن الأمر التجريبي يجب أن يكون مفتوحاً لكل ما يجد ويستجد ، ولا يكون مقيداً بقانون ثابت لا نحول عنه .

نعم : هو قيدنا بقوانين ثابتة في الأحكام التشريعية التفصيلية اللازمة التى لا تتغير ولا تتدخل فيها العادات والأعراف ولا المعامل التى أصبحت ميسورة ودقيقة في عصرنا ، ولا أقصد المعامل الطبية فحسب ، ولكن أقصد كل المعامل ، كل ما يحتاج إليه الإنسان من تجربة . فإذا كانت (الأسواق المشتركة) قد نجحت لدى غيرنا كتجربة وجمعت الشعوب المختلفة التى ليس لديها قوام الأمة في ذاتها ، فنظمتها ، وأثرتها ونجحت بذلك تجارتها ، وامتدت واشتدت مصانعها ، وأنتجت زراعتها وأثمرت ، إذا كان كل هذا فلم لا نجرب كما جرب غيرنا ولم لا نقبل على هذا ؟!

أنصح إخوتي وأبنائي وزملائي الباحثين في هذه الندوة أن يكون عماد عملهم هو الأمور العملية ، وألا نكون (أكاديميين) بالمعنى المعروف ونغرق في (الأكاديميات) والبحوث دون أن نصل إلى الهدف المنشود .

أيها الإخوة أيها السادة والسيدات ـ نرجو أن نخرج كما قال السيد الدكتور وزير الاقتصاد اليوم (بخطة عمل) ، وأمل أن يتبناها السيد الوزير باعتباره المسئول عن الاقتصاد في مصر ، لتدور هذه الخطة بين وزراء الاقتصاد والمسئولين في أمتنا ، ثم يكون عملاً ملموساً ، ولعلي أقول : لا يشترط أن تبدأ الأمور كبيرة ، فنحن ننشأ أطفالاً صغاراً فأى مشروع يحبو ، ثم يقف على قدميه ، ثم يشتد ساعده ، ويكون عملاقاً ، وهذا ما أرجو أن يكون في اعتبار التخطيط والتنظيم لهذا المشروع .

أدعو الله لكم بالتوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

---

(١) الأنبياء ٩٢ . (٢) الأنعام ١٥٣ .

رسم القرآن
في المصاحف العثمانية
معجز لنظمه فنون القراءات

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

وابتداء :

نقف هنيهة عند كلمة « رسم » وما تعنى .. ؟

فمما لا شك فيه إن كلمة « رسم » لها مدلول مخالف لكلمة « كتابة » ، فهذا اللفظ الاخير يعنى : خط اى لفظ شئت باى نوع من الحروف : عربية او اعجمية . خَطَطْتَه رقعة او نسخاً او غيرهما من فنون الخط او اشكاله .

وليس كذلك كلمة رسم : فهذه الكلمة تعنى محاكاة شكل من الاشكال بدقة بحيث يتطابق الاصل مع الرسم ... وزين فى المحاكاة كما شئت ، غير انك لا تخرج على الأصل بحال .

وحسبك - هنا - ان تنظر إلى الرسام وعمله ..!

لذلك كان الاقدمون من علمائنا متحرين كل التحرى حين استخدموا لفظ « الرسم » فى كتابة اى القران الكريم ، وذلك لوجوب الالتزام التام بمحاكاة الاصل الذى كتبه اصحاب رسول الله - ﷺ .

هذا المعنى غاب عن كثير من المعاصرين حتى ظنوا أن المصحف يمكن ان يكتب نقول : « ظنوا » لأننا نغلب جانب « براءة القصد » فى اتجاههم ، فأما من ركب هذا الأمر قصداً إلى سوء فالله حسيبه .

ثم بعد :

إن المصحف يرسم شكلاً ، ولا يكتب إملاء ، وإذا رسم ، فإنما يرسم على الخط العثمانى ، أى على مصحف عثمان الذى يرسم بدوره عن مصحف ابى بكر الصديق عن الكِتْبَة الأولى على عهد رسول الله - ﷺ . تلك الكتبة التى كانت

على : الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف والكرانيف والأقتاب وقطع الأديم[1] .

أى على ما توفر للقوم من طاهر صلح للرسم .. رسم الآى على ما أقرأ رسول الله - ﷺ - أصحابه - رضوان الله عليهم .

قال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى المتوفى عام أربعة وأربعين وأربعمائة هجرية فى كتابه : « المقنع[2] فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتابة النقط » ص ٧ - بسنده قال :

.. كانوا يختلفون فى الآية « أى فى كيفية رسمها » فيقولون : أقرأها رسول الله - ﷺ - فلان ابن فلان ، فعسى أن يكون على رأس ثلاث ليال من المدينة ، فيرسل إليه ، فيجاء به ، فيقال له : كيف أقرأك رسول الله - ﷺ - فيقول : كذا وكذا فيُكتب كما يقول .

وكتب رحمه الله يقول - ص ٨ :

حدثنا خلف بن حمدان بن خاقان المالكى قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن زكريا قال : حدثنا عمى يحيى بن زكريا قال : حدثنا يونس ، قال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : إنما أُلِفَ القرآن « أى رسم » على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ .

وقال أشهب - ص ٩ : سئل مالك ، فقيل له : أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء « أى الكتابة الإملائية » اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى .

قال أبو عمرو : ولا مخالف له فى ذلك من علماء الأمة وبالله التوفيق .

مصحف عثمان - رضى الله عنه :

أمر الخليفة الثالث - رضوان الله تعالى عليه - رهطا من قريش والأنصار يتقدمهم كاتب القرآن على عهد رسول الله - ﷺ - زيد بن ثابت رضى الله عنه - أن يكتبوا للناس « إماما » يجمعهم ، فرجع الرهط إلى الصحف الأولى ، وكانت عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين - رضى الله عنها ، وإلى صحف الصديق - رضى الله عنه ، فكتبوا المصحف الذى عرف بمصحف عثمان رسماً عن تلك الألواح . وأعدوا من ذلك عدة مصاحف بعث عثمان - رضى الله عنه - إلى كل أفق بمصحف ، فهو هذا « الإمام » الذى بين أيدينا إلى يوم الساعة .

هذا الرهط :

حدد صاحب « المقنع » ستة من أصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا الرهط الذى رسم مصحف عثمان - رضوان الله عليهم ، وهم :

١ - زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان ابن عمرو بن عبد بن عوف ينتهى إلى النجار ، أنصارى خزرجى ، أمه النوار بنت مالك بن معاوية من بنى عدى بن النجار أيضاً ، كان عمره - مقدم رسول الله - ﷺ - المدينة إحدى عشرة سنة ، كتب لرسول الله - ﷺ - الوحى وغيره وهو من الحفظة الأول للقرآن الكريم وأمره رسول الله ﷺ - أن يتعلم لغة أهل الكتاب فأتقنها . توفى فى منتصف العقد السادس للهجرة ، وصلى عليه مروان بن الحكم .

(١) راجع للدكتور على أحمد الخطيب - عمر بن الخطاب : حياته . علمه . أدبه ص ٥٦ ط عالم الكتب - بيروت ١٤٠٦ .

(٢) مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥٩ هـ .

في المصاحف العثمانية

٢ ـ عبد الله بن عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم ينتهي إلى كعب بن لؤي القرشي السهمي ، أمه : ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمي ، كان يصغر أباه باثنتي عشرة سنة ، وأسلم قبل أبيه ، وكان يكتب عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو من القلة الذين أذن لهم رسول الله ـ ﷺ ـ بالكتابة عنه ، وكان من الحفظة لكتاب الله ـ تعالى . اختلف في سنة وفاته ومكان قبره ، وعمر قريبا من الثمانين .

٣ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ينتهي إلى كلاب بن مرة ، القرشي الأسدي ، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهم ـ أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، حنكه رسول الله ﷺ ـ بتمرة لاكها في فيه ، فكان ريق رسول الله ﷺ ـ أول شيء دخل جوفه ، قتل ـ رضي الله عنه ـ في النصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين .

٤ ـ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ وحبر الأمة ، إمام التفسير بلا منازع ، أمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية . فات الناس بعلم ماسبقه ، من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ، وقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ، عالما بالشعر والعربية . توفي سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ـ رضي الله عنهم .

٥ ـ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي .. أمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، كان من فضلاء المسلمين وخيارهم علما ودينا وعلو قدر ، نشأ ـ رضي الله عنه ـ في حجر عمر ابن الخطاب ـ فقد تزوج عمر والدته فاطمة بعد وفاة أبيه في « طاعون عمواس » ، تزوج عبد الرحمن بمريم ابنة عثمان بن عفان رضي الله عنهم . وتوفي ـ رضي الله عنه ـ في خلافة معاوية ـ رضي الله عنه .

٦ ـ سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي . أمه ؛ أم كلثوم بنت عمرو بن عبد الله بن أبي قبيس العامرية ، ولد عام الهجرة ، كان سعيد من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم . لازم الجهاد طويلاً . وتوفي سنة تسع وخمسين .

● وكلهم قرشي عدا زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ فهو انصاري خزرجي .

وعدة المصاحف التي كتبوها رسما على الكتبة الأولى ستة ، كما يشهد له الاستقراء ، فإن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قد أرسل إلى « مكة » واحداً ، وإلى « الشام » واحداً ، وإلى « الكوفة » واحداً ، وإلى « البصرة » واحداً ، وأمسك بالمدينة واحداً ، وواحداً لنفسه ، وهذا العدد من مصاحف عثمان متيقن منه .

● ● ●

وقرأ أهل كل مصر بما في مصحفه ونقلوا مافيه عن الصحابة الذين تلقوا عن النبي ـ ﷺ ـ ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء رجال سهروا ليلهم في ضبطها وأتعبوا نهارهم في نقلها حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء وأنجما للاهتداء ، أجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم ودرايتهم ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ؛ فكان من المدينة « نافع ابن أبي رويم » ، و« أبو جعفر يزيد بن القعقاع » .

ومن مكة « عبد الله بن كثير » .

ومن البصرة « أبو عمرو بن العلاء » . « ويعقوب الحضرمى » .
ومن الشام « عبد الله بن عامر » .
ومن الكوفة « عاصم بن ابى النجود » ، و« حمزة بن حبيب الزيات » و« على الكسائى » و« خلف البزار » . هؤلاء أئمة القراءات العشرة المتواترة فى جميع بلاد المسلمين .

وقد كتبت هذه المصاحف كلها ـ كما رايت ـ بأيدى الصحابة مائة واربع عشرة سورة أولها « الحمد » وأخرها « الناس » على هذا الترتيب . أول كل سورة البسملة كما نزل الوحى إلا « براءة » فجعلوا مكان البسملة بياضا ، وجردوا المصاحف من أسماء السور ونسبتها وعددها وتجزئتها وفواصلها .

واجتمعت الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها .

كذلك جردت هذه المصاحف كلها ايضاً من النقط والشكل ليحتملها ماصح نقله من قراءات وثبتت روايته من قراءات عن النبى ـ ﷺ ـ فجعلوا الكلمة التى تحمل اكثر من قراءة بصورة واحدة ، كـ « يعلمون » و« جبريل » على حالها ، والتى لا تحمل اكثر من قراءة بصورة واحدة فى البعض وبأخرى فى آخر نحو « الضالين ، والسائلين » لـرسم ذلك بـالألف فى اكثر المصاحف ، وبالحذف فى الأقل ؛ وذلك لأنها لا يمكن تكرارها فى مصحف ، لئلا يتوهم نزولها كذلك . ولا كتابة بعض فى الأصل وبعض فى الحاشية ، لأن الاعتماد فى نقل القرآن على الحفظ لا على مجرد الخط . إذا علمت ذلك فاعلم انه ينبغى لكل مسلم أن يتلقى ما كتبته الصحابة بالقبول والتسليم لقول سيد الأنام ـ ﷺ « اقتدوا بالذين من بعدى . ابى بكر وعمر » زاد السيوطى فى الجامع الصغير « فإنهما حبل الله المدود ، من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى » .

فيجب على كل من يريد أن يكتب مصحفاً أن تكون كتابته على مقتضى الرسم العثمانى ، لا على الخط المتداول وذلك لإجماع المسلمين ، وكما لا يجوز لأحد أن يطعن فى الكتابة لا يجوز الطعن فى التلاوة . وأما مايتعلم فيه الأطفال كالأجزاء والواحهم فلا حرج فيه إذ الغرض التعليم .

قال : مالك ـ رحمه الله تعالى :

« وأما المصاحف الصغار » أى الأجزاء ، لا الكاملة » التى يتعلم فيها الصبيان والواحهم فلا أرى بذلك بأساً . وأما الإمام من المصاحف الكبار فلا » .

فى تعريف الرسم القياسى ، والاصطلاحى

أما الرسم القياسى فهو : تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها .

وأما الاصطلاحى[1] : فهو مخالفة القياسى بحذف أو زيادة ، أو بدل أو فصل او وصل ، أو همزة ؛ وذلك للدلالة على ذات الحرف أو أصله ، أو رفع لبس أو نحو ذلك من الحكم . الا ترى ـ أن الحرف يبدل فى الرسم ولا يلفظ به اتفاقا كـ « اصطبر » ولا يلفظ به .

كـ « الصلـواة » ويـرسم ويختلف فيـه . كـ « الغدوة » .

ويزاد ويلفظ به اتفاقا كـ « حسابيه » .

---

(١) القياسى هو الإملائى ، والاصطلاحى : ما اصطلحت على رسمه الصحابة .

في المصاحف العثمانية

ويزاد ولا يلفظ به اتفاقا كـ « أولئك ، ومائة » .

ويزداد ويختلف فيه كـ « سلطانيه » ، ويحذف ويلفظ به نحو «الرحمن» ، ويحذف ويختلف فيه نحو «تفادوهم» وشبهه مما كتب على إحدى القراءتين . ويوصل ويتبعه اللفظ به نحو «الرحمن» . ويوصل ويخالفه اللفظ نحو «يبنؤم» بـ (طه) ، ويوصل ويختلف فيه نحو «ويكأن» ويفصل ويوافق نحو «حم عسق» ويفصل ولا يوافق نحو «إسرائيل» ، ويوصل ويختلف فيه نحو «مال هذا» .

اصول الرسم :

ومما تقرر علمه أن رسم المصاحف العثمانية قد انحصر في خمسة أصول .

الأول : الحذف ونعني به : ترك كتابة الحرف في المصحف كما يقع في الألف والواو والياء ، مثل حذف الألف وقد وقع في القرآن على نوعين . أولهما ـ التخفيف مثل «الخاطئين» يوسف ٢٩ ، وشبهه والثاني احتمال إحدى القراءتين نحو «فتبينوا» الحجرات ٦ .

والتخفيف مطرد في كلمات في جميع القرآن . وغير مطرد بل حذف في بعض دون بعض مع اتحاد اللفظ ؛ فمن المطرد : ألف هاء التنبيه نحو (هذا) وألف ياء النداء نحو «ياأيها» وألف «ذلك» وغيره .

ومن غير المطرد الألف في لفظ «الكتاب» أو «كتاب» فهي محذوفة في جميع القرآن إلا في أربعة مواضع : في الرعد في قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ وفي الحجر : ﴿ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ وفي الكهف : ﴿ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ وفي النمل ﴿ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .

والثاني : الزيادة ، ويراد بها : ما رسم من حرف دون التلفظ به لزيادته ، وهو جار في حروف العلة . من ذلك : اتفاقهم على زيادة الألف بعد (واو) الجمع ، والفرد إذا تطرقت نحو (ءامنوا) و(عملوا) و(اشتروا) و(مرسلوا الناقة) ومنها في المفرد : (وما كنت ترجوا) واستثنوا من واو الجمع ذلك في مواضع نحو (وعتو عتوا كبيرا) بالفرقان ، و(سعو) بسبأ وغيرهما ومن (واو) الواحد ايضاً : ﴿ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ بالنساء .

والثالث : البدل ، ونعني به : إبدال حرف بحرف : اتفقوا على كَتْب صراط ، ويبصط من قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾ ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ ﴿ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ بالطور ﴿ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ بالغاشية بالصاد ، والأصل (السين) وكتبوا نون التوكيد الخفيفة في ﴿ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ، ﴿ لَنَسْفَعًا ﴾ ، وكذا (إذاً) بالألف ، و(كاين) بالنون وكتبوا (الصلوة) بالواو بدل الألف ، وكذا (الزكوة) معرفا ومنكرا ، (وحيوة) ومعرفا ومنكرا .. الخ .

وأما (صلاتى) و(حياتنا) المضاف فبالألف . وأما (صَلَوٰتك) بالتوبة و(هود) فبالواو . وكتبوا (الربا) واوا ، و(ان امرؤ هلك) بالنساء بالواو وألف بعدها .. ولكل ذلك توجيه يطلب ـ في موضعه ـ من علم الرسم ، وبالمقال ثبت به كثير .

والرابع : الفصل والوصل ، الأول في نحو «عن ما نهوا عنه» الأعراف ١٦ .. فصلت (عن) عن (ما) ـ والثاني نحو ﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ البقرة ـ ١١٣ ـ وصلت (في) بـ (ما) .

الخامس : ما يتعلق بالهمزة ، فقد كتبوا صورة الهمزة بالحرف الذى تئول الهمزة إليه بالتخفيف أو تقرب منه ، واهملوا المحذوفة فيه ، ورسموا المبتداة ألفا والمتوسطة والمتطرفة الساكنة حرفا يجانس حركة سابقة فيكون ألفا بعد الفتحة ، وياء بعد الكسرة ، وواوا بعد الضمة ، والمتحركة الساكن ما قبلها مطلقا لا يرسم لها صورة إلا المضمومة والمكسورة المتوسطتين بعد الألف : فتصور المكسورة ياء ، والمضمومة واوا ، والمتحرك ما قبلها تصور حرفا يجانس حركتها إلا المفتوحة بعد ضمة فواو ، وبعد كسرة فياء .

وقد خرجت مواضع من المبتداة فكتبت بالواو فى بعض ، وبالياء فى بعض . وذلك على إرادة وصلها بما قبلها فصارت الهمزة بذلك فى حكم المتوسطة .

الكلام على الضبط

اعلم أن المصاحف لم تزل مجردة عن النقط والشكل إلى أن كثرت الأعاجم واختلطت بالعرب ففشا اللحن فترخصوا فى ضبطها فكان أول من وضع الضبط عليها أبو الأسود الدؤلى ـ رضى الله عنه ـ وذلك فى خلافة معاوية ـ رضى الله عنهما .

روى أبو عمرو الدانى فى كتابه (المحكم) أن معاوية أرسل كتابا إلى زياد عامله على العراقين يطلب عبيد الله ابنه . فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن . فرده إلى زياد ، وكتب إليه كتابا يلومه فيه ، ويقول :

أمثل عبيد الله يضيع ؟ فبعث زياد إلى أبى الأسود فقال : ياأبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت ، وأفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله تعالى . فأبى ذلك أبو الأسود ، وكره إجابة زياد إلى ما سأل .

فوجه زياد رجلا ، فقال له : اقعد فى طريق أبى الأسود ، فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن ، وتعمد اللحن فيه ، ففعل ذلك . فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقال : « إن الله برىء من المشركين ورسوله »(١) بخفض رسوله . فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله . ثم رجع من فوره إلى زياد فقال : ياهذا ، قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن . فابعث إلى ثلاثين رجلاً ، فأحضرهم زياد . فاختار منهم أبو الأسود عشرة . ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلاً من عبد القيس ، فقال : خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فإذا فتحت شفتى ـ فانقط واحدة فوق الحرف ، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة فى أسفله ، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين .

فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره . ثم وضع (المختصر) المنسوب إليه بعد ذلك . ثم لم يزل كذلك إلى زمان الخليل بن أحمد النحوى فوضع هذا الشكل المطول ، فجعل علامة الفاتحة ألفا صغيرة توضع مبطوحة فوق الحرف ، والضمة واوا صغيرة توضع بأعلى الحرف أمامه ، والكسرة ياء صغيرة معقوصة هكذا (ے) تحت الحرف ، فإن صحب الحركة تنوين أضيف إليها مثلها ، ثم جعل علامة الشد ـ رأس شين (هكذا ـّ) إلى آخر ما هو معروف مما استقر أمره ، ولزم أهل العلم معرفته والله ولى التوفيق .

البقية ص ١٤٢١

(١) سورة التوبة ٩/٣ وصلته ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾

(٢) يريد بالغنة التنوين .



للدكتور فرج الله عبد البارى أبو عطا الله

ملخص مانشر

تناولنا فى المقال الأول البعث عند اليهود وناقشنا ادعاء علمائهم أن التوراة التى نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ لم تتحدث عن البعث والجزاء، وفندنا ادعاءهم بما أوردنا من الآيات القرآنية التى تثبت إخبار موسى ـ عليه السلام ـ لبنى إسرائيل باليوم الآخر ومافيه. وانتهينا إلى أن اليهود حرفوا التوراة التى انزلها الله على موسى ـعلى نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ـ.

وفى المقال الثانى تعرضنا للإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء عن البعث والجزاء، واوردنا فهم علماء اهل الكتاب لتلك الإشارات، وان كثيرا منهم يذهبون إلى ان الإشارات الواردة عن البعث فى تلك الأسفار مقصود بها البعث القومى والسياسى لأمة اليهود.

وبينا أن اليهود يزعمون انهم يبعثون بعثاً قوميا سياسياً قبل البعث الأخروى، ويعدون أن هذا تمييز لهم عن بقية الشعوب.

وفى هذا المقال ـ نتحدث عن الاتجاه الثالث وهو :ـ

البعث والجزاء فى التلمود والفكر اليهودى.

يتمثل هذا الاتجاه فى عرض النصوص التى تثبت البعث الأخروى من التلمود والكتب اليهودية، وتجدر الإشارة إلى أن اليهود يقررون أن التلمود يتحدث عن المعاد «لأن التوراة لم تفصح عن المعاد. إفصاح التلمود مبين خصوصاً بعد عودتهم من سبى بابل[1]».

ويحسن بنا أن نلم إلمامة سريعة عن التلمود وأهميته عند اليهود.

يعرف التلمود بأنه : «عبارة عن التقاليد والتعاليم الشفاهية التى القاها موسى النبى على أمته أثناء تدوين التوراة؛ فتلقاها الخلف عن السلف بالحفظ إلى أن دونها «ربى يهودا هناس» ومن جاء بعده[2]».

فاليهود يعتبرون أن التلمود تعاليم شفاهية كان يعلمها موسى ـ عليه السلام ـ لأمته ـ بل أكثر من ذلك يعدون التلمود التوراة الشفاهية «على اعتبار أن لفظة التوراة مجردة من كل قيد (للدلالة على العلم) لأن التلمود يحتوى ليس فقط على العبادات بل على القوانين المدنية

---

(١) انظر التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠ / ٩١ ترجمة شمعون يوسف موبال ـ دار الكتب المصرية تحت رقم ١ لاهوت.

(٢) نفس المرجع ص ٣.

والسياسية والحربية ، وعلى كل ما كان يعرفه الأئمة من العلوم الفلسفية والطبيعية والطبية فهو إذاً مجموع معارف وعلوم أبناء تلك الأزمان[٣] » .

هكذا يعد اليهود التلمود ويعدون تعاليمه في غاية الأهمية بعد العهد القديم ، وهو على هذا دستورهم .

اقسام التلمود :

يتكون التلمود من قسمين :

الأول : المشناة ، وهى الأصل ، ومعنى المشنا بالعربية : « العرقة » ، وتعنى أيضا : التكرار أو الشريعة المكررة ؛ لأن شريعة موسى المعروفة في الكتب الخمسة وردت مكررة في هذه (المشناة) مع توضيح وتفسير ما التبس منها .

الثانى الجمارا ، وهى شرح للمشناة .

والجمارا : عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة « المشناة » فيما بعد بقصد استكمالها والجمارا أو الشرح نوعان : -

١ - جمارا أورشليم (أى فلسطين) وقد كتب في فلسطين .

٢ - جمارا (بابل) وقد دونها العلماء اليهود في بابل .

وعلى هذا الأساس انقسم التلمود نتيجة للشرح إلى قسمين :

الأول : التلمود الفلسطينى .

الثانى : التلمود البابلى .

وأساس الاختلاف بين التلمودين كائن في (الجمارا) هذه ، أى الشرح ؛ فإن اليهود - وإن اتفقوا على المشناة - فقد اختلفوا في الشرح ، ومظهر الاختلاف بينهما من ناحيتين :

الأولى : الكم - فما يحتويه تلمود أورشليم يعتبر ثلث مايحتويه التلمود البابلى .

الثانية : الكيف فتلمود فلسطين ينقصه العمق الذى يمتاز به التلمود البابلى ؛ لأن تلمود فلسطين كتب على عجل وفى ظروف قاسية بسبب الاضطهاد الرومانى لليهود ، أما التلمود البابلى فقد ألف وجمع في فترة استغرقت قرنا من الزمان ، وكان اليهود فيه في سلام وأمن واطمئنان[٤] ...

وقد طبع التلمود عدة طبعات ولكن مايكاد يظهر حتى يخضع للرقابة الكنسية الصارمة نظراً لما يحتويه من تعاليم ضد الأمم كلها وبخاصة النصارى[٥] والمسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - وجدير بالذكر أن التلمود يعد « من أندر الكتب في العالم على الإطلاق ، ولا يوجد منه في العالم أجمع أكثر من خمس نسخ ، إحداها في مصر محفوظة حفظ الوثائق الشديدة الأهمية ، وقد استلزم وصولها من مكانها الأصلى إلى مصر وضع خطة أشبه بخطط الجاسوسية ، واستغرق تنفيذها بصبر وحرص وتكتم شديد ثلاث سنوات كاملة[٦] » .

وقد وردت في التلمود فقرات عن الجزاء والجنة والنار من ذلك : « الجنة مأوى الأرواح الزكية ، ومأكل المؤمنين في الجنة هو لحم زوجة الحوت المملحة ، ويقدم لهم أيضاً على المائدة لحم ثور برى كبير جداً ، كان يتغذى بالعشب الذى ينبت في مائة جبل ، ولا يدخل الجنة إلا اليهود .



(٣) نفس المرجع ص ٤ .

(٤) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١٤٥ / ١٤٦ لأستاذنا الدكتور عوض الله حجازى .

(٥) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٢٧ ظفر الإسلام خان دار النفائس بيروت .

(٦) من مقدمة كتاب بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود . للأستاذ شوقى عبد الناصر .

بين اليهودية والنصرانية والاسلام

أما النار فهى مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء لما فيها من الظلام والعفونة والطين ، وتوجد فى كل محل زيادة فضلاً عن ذلك ستة آلاف صندوق ، وفى كل صندوق منها ستة آلاف برميل ملأى بالصبر ، والنار أكبر من الجنة ستين مرة ، وسيظل المسلمون فى النار إلى الأبد لأنهم لايغسلون سوى أيديهم وأرجلهم ، والمسيحيين لأنهم لا يختتنون[٧] » .

وقد أوردنا هذه الفقرة لنرى إلى أى حد يتدخلون بأهوائهم ثم ينسبونها إلى موسى عليه السلام .

كما نلاحظ فى الوقت ذاته هذه التفصيلات عن الجنة والنار فى التلمود ـ بالرغم من خلو التوراة المتداولة من هذه التفصيلات ؛ بل ليس فيها إلا نص واحد عن الجزاء مختلف حوله[٨] .

البعث فى الفكر اليهودى :

إذا تركنا التلمود فإننا نجد أن مفكرى اليهود وعلماءهم يقرون بالبعث والقيامة يقول سعديا الفيومى : « إن إحياء الموتى الذى عرفنا ربنا انه يكون فى دار الآخرة للجزاء ، فذلك مما أمتنا مجمعة عليه[٩] » .

ويبين السبب فى ذلك بقوله : « لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان ، وسبب تشريفه الطاعة ، وثمرتها الحياة الدائمة فى دار الجزاء[١٠] » .

وموسى بن ميمون يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان عند اليهود ، وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا ، يقول ابن ميمون : « أنا أومن إيمانا كاملاً بقيامة الموتى فى الوقت الذى تنبعث فيه إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الآبدين[١١] » .

وجاء فى مقدمة كتاب « التاريخ مما تقدم عن الآباء » : « رزقنا الله الممات على حفظه وحب هذا النبى العظيم (أى موسى عليه السلام) ـ وحشرنا فى زمرته ، ولا جعلنا من المبعودين فى هذه الدار من أمته ، المحرومين فى الآخرة من شفاعته[١٢] » .

والروح التى تجدها تسيطر على علماء اليهود ـ فيما يتعلق بعقيدة الآخرة ـ لا تجدها فى التوراة المتداولة ، ومرد ذلك إلى أمرين :

الأول : أن اليهود حرفوا التوراة خاصة فيما يتعلق بالآخرة ، وما فيها من حساب وجزاء وجنة ونار .

الثانى : أن علماء اليهود بالرغم من إقرارهم بخلو التوراة من الحديث عن البعث ، إلا أنا وجدنا هذه العقيدة تتردد فيما بينهم ، ويعدونها من أركان الإيمان فهل مرد ذلك تأثرهم بالبيئة الإسلامية التى عاشوا فيها ؟

لقد ذهب بعض الباحثين إلى ذلك[١٣] ..

الفرق اليهودية وموقفها من عقيدة البعث والجزاء .

اختلفت الفرق اليهودية فى عقيدة البعث

(٧) من التلمود . نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٨) انظر عدد شعبان من مجلة الأزهر سنة ١٤١١ هـ .
(٩) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ .
(١٠) نفسه ص ٢١٣ .
(١١) الفكر الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١٥٩ .
(١٢) نقلا عن مقدمة يقظة أولى الاعتبار ص ١٢ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا .
(١٣) انظر الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٢١ / ٢٢ د / على سامى النشار ، وعباس الشربينى ـ منشأة دار المعارف بالاسكندرية .

والجزاء تبعا لاختلافهم حول قدسية المصادر اليهودية من العهد القديم ، أو التلمود على حسب معتقدهم .

ففرقة (الصدوقيين) على سبيل المثال ينكرون البعث والجزاء ؛ لأنهم لا يعتقدون فى التعاليم الشفوية التى يزعم اليهود أنها أفصحت عن (المعاد) أكثر من إفصاح التوراة .

ولما كانت التوراة فى زعم « الصدوقيين » لم تتحدث عن البعث فمن ثم لم يؤمنوا به ، ولم يعتقدوا فيه ، وغمروا أنفسهم غمراً فى فلسفة اللذة المعروفة لابيقور ، وقد ورد فى الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية عن الصدوقيين « وكانوا ضد تقليد الآباء على عكس « الفريسيين » خصومهم ومالوا إلى الفلسفة اليونانية ومدافعة الشر وأنكروا وجود الملائكة والروح ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب فى الجسد بدعوى أن النفس تموت مع الجسد وأن النص (التوراتى) يخلو من أية إشارة إلى معاد وحساب[١٤] » فإنكارهم للبعث مرده إنكار تقليد الآباء ، الذين يزعم اليهود أنهم أخذوا عقيدة البعث والجزاء عنهم ، وقد دارت بينهم وبين المسيح مناقشات حول عقيدة الآخرة ، أوردتها الأناجيل المتداولة[١٥] .

وهناك فرقة أخرى تدعى « الدوستانية » من فرق اليهود تنكر البعث والقيامة فى الآخرة وتؤمن بأن الثواب والعقاب فى الدنيا ، ذكر الشهرستانى فى الملل والنحل أن « الدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب فى الدنيا »[١٦] .

تعقيب

بعد عرضنا الذى تضمنته المقالات الثلاث يمكن أن نخرج بالنتائج التالية :

أولاً : أن خلو التوراة المتداولة من الحديث عن البعث والآخرة ومايقع فيها من حساب وجزاء وجنة ونار يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة بعد سيدنا موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لأن الله أنزل على موسى التوراة وفيها تفصيل لكل شىء وعلى رأس الأشياء التى فصلها الآخرة ومافيها -

يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[١٧] .

ولما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التى جعلتهم يتعلقون بالدنيا ومتاعها كتموا ما أنزل فى التوراة من حساب وعقاب وجنة ونار .

ثانيا : أن أسفار الأنبياء المتأخرة أشارت إلى البعث إشارات عابرة ، ولكن تلك الإشارات لا تعطى تفصيلات تتناسب مع أهمية هذا الركن العقدى الهام ؛ وبخاصة أن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا وما فيها . من أمور الزراعة والمعاملات بين اليهود وغيرهم من الأمم ، وأمور الحرب والقتال وغير ذلك مما يعتبر أقل أهمية من (الآخرة) . التى كان يجب أن تحتل مكانة كبيرة فى هذه الأسفار ، ولكن التحريف والتبديل سبب كثيراً من المفارقات عند اليهود .

ثالثا : جاء من بعدهم من حرف فى البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر فى أسفار الأنبياء بتأويل معناها إلى « البعث القومى والسياسى على الرغم من صراحة بعض النصوص كنصى « أشعياء » و « حزقيال » ، وكان ذلك

البقية ص ١٣٧٥

(١٤) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٣٥ د / عبد المنعم حنفى دار السر - بيروت .

(١٥) متى ١٩ / ٢٩ ، متى ٥ - ٣١ - ٣٢ ، لوقا ١٨ / ٢٩ / ٣٠ .

(١٦) الملل والنحل للشهر ستانى بهامش الفصل لابن حزم جـ ٢ ص ٤٨ .

(١٧) سورة الأنعام الآية ١٥٤ .

مع الرسول فى حجة الوداع

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن انس رضى الله عنه قال : « صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالمدينَةِ الظُّهْرَ اربعاً ، والعَصْرَ بذِى الحُلَيفَةِ ركعَتَيْنِ ، ثُمَّ باتَ بها حتَّى اصبحَ ، ثم رَكِبَ حتى اسْتَوتْ بِهِ عَلَى البَيْدَاءِ حَمِدَ اللهَ وسبَّحَ وكبَّرَ ، ثم اهلَّ بِحَجٍ وَعُمْرةٍ واهلَّ الناسُ بِهِمَا ، فلمَّا قدِمْنَا - مكَّةَ - امرَ الناسَ فحلُّوا ، حتى كان يوم التَّرْوِيَةِ اهلُّوا بالحَجِّ ... » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : انطلقَ النبىُّ ﷺ من المدينةِ بعدما ترجل وادَّهن ولَبِسَ إزارَهُ ورِداءَهُ هو واصحابُه ، فلم يَنْهَ عن شيءٍ من الارديةِ والأُزُرِ تُلبَسُ إلا المُزَعْفَرةِ التى تَرْدَعُ - تلطخ - على الجلدِ فاصبح بذى الحُلَيفَةِ رَكِبَ راحلتَهُ حتى استوى على البيداءِ اهلَّ هو واصحابُه وقلَّدَ بُدْنَتَهُ ، وذلك لخمسٍ بَقِينَ من ذى القعدة ، فقدِمَ مكة لاربعٍ خَلَوْنَ من ذى الحجة فطافَ بالبيتِ ، وسَعَى بين الصفا والمَرْوَةِ ولم يَحِلَّ من اَجْلِ بُدنه ؛ لانه قلَّدهَا ثُمَّ نزلَ بِاَعلَى مكة عند الحُجُونِ وهو مُهِلٌّ بالحَجِّ ولم يَقْرَب الكَعْبَةَ بعد طوافِهِ بها حتَّى رَجَعَ من عَرَفَةَ ، واقرَّ اصحابَه ان يَطَّوفُوا بالبيتِ وبين الصفا والمَرْوَةِ ثم يُقصِروا من رُءُوسِهِم ثم يُحلُّوا وذلك لمن لم يَكُن مَعَهُ بَدَنةٌ قلَّدها ، ومن كانت معهُ امرأتُهُ فهى له حَلَالٌ ، والطيِّبُ والثياب .

رواهما البخارى .

عبر السنين والزمان ، وفى السنة العاشرة من الهجرة النبوية ، نعيش مع هدى الرسول ﷺ فى حجة الوداع ، نستلهم الدرس النافع ، والقدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، ولنأخذ مناسك حجنا ، وحتى يكون حجنا مبرورا جزاؤه الجنة ، فنرجع وقد طهرنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا .

لقد أُذن فى الناس أن رسول الله حاجٌ ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يتلمس أن يأتم برسول الله - ﷺ - ويعمل مثل عمله .

وخرج - ﷺ - بعد صلاة الظهر أربعا بالمدينة ، والعصر ركعتين بذى الحليفة ، وتجرد ﷺ فى إزار ورداء وصلى فى مسجده ركعتين وأوجب فى مجلسه فأهل بالحج حين فرغ من

ركعتيه ، وسمع ذلك منه أقوام منهم ابن عباس ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهَلَّ وادرك ذلك منه أقوام ، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالا - «أفواجا» - فسمعوه أهلَّ حين استقلت به ناقته ، ثم مضى رسول الله - ﷺ - فلما علا على شرف البيداء أهل وادرك ذلك منه أقوام فقالوا : إنما أهلَّ حين علا على شرف البيداء - «وهى الطرف المقابل لذى الحليفة» .

قال ابن عباس : وأيم الله لقد أوجب فى مصلاه ، وأهلَّ حين استقلت به ناقته ، وأهل حين علا على شرف البيداء .

روى مسلم عن موسى بن عقبة «كان ابن عمر إذا قيل له أحرم ﷺ من البيداء ، قال : البيداء التى يكذبون فيها على رسول الله ﷺ ؟ والله ما أهلَّ إلا عند مسجد ذى الحليفة» .

وإذا تجردت - أيها الحاج - فلك أن تحرم بالحج مفردا فقد جاء فى الصحيحين عن جابر - رضى الله عنه - قال : «أهل النبى ﷺ هو واصحابه بالحج» .

ولك أن تحرم بالحج ثم تدخل العمرة عليه - وهذا هو (القران) ولك أن تحرم بالعمرة فإذا فرغت من أدائها - بالطواف والسعى بين الصفا والمروة - والحلق أو التقصير ، تحل ثم تقيم حلالا إلى يوم الثامن من ذى الحجة فتحرم بالحج وبذلك تكون (متمتعا) .

هذا وقد أحرم النبى - ﷺ - بالحج (مفردا) ثم أدخل عليه العمرة ليبين لنا تشريعها - فكان بذلك (قارنا) - حيث أنهم كانوا يرون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور . كما فى رواية البخارى عن ابن عباس .

فبين لهم النبى - ﷺ - : وجوه الإحرام وجوز الاعتمار فى أشهر الحج وقطعت بذلك السنة المتواترة عن عائشة وابن عمر وجابر رضى الله عنهم .

وفى حال إحرامنا بالحج ، أو بالعمرة أو بهما معا من الميقات علينا عقب كل صلاة ، وكلما صعدنا أو نزلنا أو قابلنا رفقاء ، أن يرفع الرجال أصواتهم بالتلبية كما فعل رسول الله - ﷺ - حتى إذا قدمنا مكة المكرمة بادرنا بالذهاب إلى المسجد الحرام للطواف حول الكعبة المشرفة سبعة أشواط بدءاً من الحجر الأسود مع الرمل أى الإسراع قليلاً فى الأشواط الثلاثة الأولى ، ثم السير المعتاد فى الأربعة الأخيرة .

روى البخارى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال : «فمالنا والرمل ؟ إنما كنا رائينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال : شىء صنعه النبى ﷺ فلا نحب أن نتركه ؟

وفى رواية لمسلم عن جابر - رضى الله عنه : « ... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت » ..

وبعد صلاة الركعتين بسورتى : قل ياأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد . علينا أن نرجع إلى الركن فنستلمه .. أى نقبل الحجر الأسود أو نشير إليه مع تكبير الله تعالى اقتداء بالنبى ﷺ مع الشرب والتضلع من ماء زمزم . ثم نأتى الصفا فنرقى عليه مع قراءة : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ - ونستقبل البيت ثم نسعى من الصفا إلى المروة حتى نبلغها ونذكر الله وندعو ثم نعود إلى الصفا ، نفعل ذلك سبع مرات فإذا انتهينا منها يحلق أو يقصر المعتمر . ويبقى المفرد أو القارن على إحرامه حتى يفرغ من أعمال الحج . بوقوفه فى عرفة يوم التاسع ورمى

مع الرسول في حجة الوداع

جمرة العقبة يوم العاشر من ذى الحجة ، فأما من كان معتمرا وحلّ فإنه يمكث إلى اليوم الثامن من ذى الحجة وهو المسمى بيوم التروية فيحرم بالحج وينطلق الجميع إلى منى إلى ما بعد طلوع شمس يوم التاسع لمن تيسر له ذلك ، ثم يذهب إلى عرفة ويصلى فى مسجد نمرة - إن تيسر له - الظهر والعصر جمع تقديم ثم يقيم بعرفة إلى ما بعد غروب شمس يوم التاسع - وعرفة كلها موقف والحج عرفة - ثم يأتى المزدلفة ويصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير - ويبيت بالمزدلفة من تيسر له ذلك - ومن لم يتيسر له فعليه أن يذهب إلى منى ليأتى جمرة العقبة فيرميها بسبع حصيات بعد شروق الشمس - أو من بعد منتصف الليل ثم يقطع التلبية مع أول حصاة ثم يذبح الهدى ويحلق أو يقصر وهذا هو التحلل الأصغر ، وبه يحل لنا كل شىء إلا النساء .

ثم نذهب إلى مكة لأداء طواف الإفاضة ونسعى إن كنا قد سعينا أولا للعمرة ، أما إن كنا قد سعينا أولاً للحج - أو له والعمرة - فلا يطلب منا سعى وعند ذلك حل لنا كل شىء ، وهذا يسمى التحلل الأكبر . ثم نعود إلى منى للمبيت بها ليالى أيام التشريق لرمى الجمار ، نبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة ، كلٌ بسبع حصيات أيام العيد الثانى والثالث والرابع لمن أراد - قال تعالى : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ . ومن غربت عليه شمس اليوم الثالث فى منى تحتم عليه أن يبيت حتى يرمى اليوم الرابع .

ثم نؤم البيت الحرام نطوف ماأمكننا ذلك ، وقبل الرحيل إلى الأوطان نطوف طواف الوداع سبعاً من غير رمل ، ونصلى بمقام إبراهيم ركعتين ، ونشرب من ماء زمزم ونقف بالملتزم وندعو بما نحب ثم نتوجه للحجر الأسود - ونقبله ونخرج من باب الوداع متباكين لفراقه .

وللحاج أن يُحْرِم بالعمرة بعد الفراغ من أعمال الحج من التنعيم ثم يُطوف ويسعى بين الصفا والمروة ثم يحلق أو يُقصر . وبذلك تتم مناسك الحج والعمرة ، ولا هدى عليه بخلاف القارن أو المتمتع فإنه يقدم هديا بالغ الكعبة .

ومع جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - نأخذ نفحات من حجة الوداع .

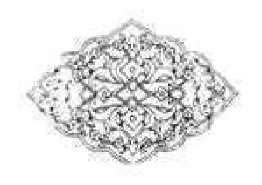
قال جابر بن عبد الله - رضى الله عنه : فيما رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما .

- إن رسول الله ﷺ ، مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس فى العاشرة : أن رسول الله ﷺ حاج ..

فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله . فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت ناقته على البيداء ، نظرت إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله وما عَمِلَ به من شىء عملنا به ، فأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

قال جابر لسنا ننوى إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمَلَ ثلاثاً ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت ، فكان يقرأ فى الركعتين : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ . ثم رجع إلى الركن

فاستلمه ، ثم خرج منه إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ابدأ بما بدأ الله به : فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره .. ثم نزل إلى المروة حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا .. حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة .. قال فحل الناس كلهم وقصروا وإلا النبى ومن كان معه هدى .. فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس فسار حتى إلى عرفة .. حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحِلَت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس .. ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل يطعن ناقته إلى الصخرات وظل يدعو حتى غربت الشمس فدفع من عرفات إلى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما ، ثم اضطجع حتى إذا صلى الفجر ثم أتى المشعر الحرام فدعا الله وكبر حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس فحرك حين أتى (محسر) ثم سلك الطريق الوسطى حتى أتى الجمرة الكبرى فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ودعا الحلاق فحلق للرسول شعر رأسه ، وقد دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة ثم ركب فأفاض إلى البيت ، وبعد أن طاف طواف الإفاضة شرب من ماء زمزم وصلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فلما أصبح انتظر زوال الشمس فبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم الكبرى ، فرمى كل واحدة بسبع يكبر مع كل حصاة .. ثم خطب فى الناس يوم النحر وفى اليوم الثانى ولما أكمل أيام التشريق الثلاثة أفاض بعد الظهر إلى المحصب .. ثم نهض إلى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ، ونادى بالرحيل راجعا إلى المدينة وكبر ثلاث مرات وقال : أيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .



ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد

أ. د. أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ صدق الله العظيم .

قضية للحوار :

إن الدعوة الإسلامية رسالة عظيمة الشأن وجليلة الأثر ، خاصة عندما تتسع وتنتشر لتشمل غير الناطقين باللغة العربية ـ مسلمين وغير مسلمين ـ من سكان هذا الكوكب الذى نعيش عليه ، فتخاطب العقول والوجدان بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، وتبصر الناس بحقائق الإسلام وتعاليمه السامية فى يسر ووضوح ، بعيداً عن البدع والخرافات والأقاويل التى ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن هنا فإن الذين يتصدون لحمل هذه الأمانة وتبليغها مطالبون بأن يكونوا على أعلى مستوى من الكفاءة والإعداد الواعى وفق منهج علمى متكامل ، حتى تكون دعوتهم إلى الإيمان على هدى وبصيرة ، فيتم الاقتناع ، وتدرك الغاية ، وتتحقق الهداية بإذن الله تعالى وتوفيقه .

لكن الأمر يصل إلى حد الخطر على هذه الدعوة الإسلامية الرشيدة عندما نجد بعض الذين يكتبون أو يتحدثون عن الإسلام بلغات أجنبية قد جانبهم التوفيق فى اختيار المرادفات التى تعبر تعبيراً صادقاً عن الحقائق والمفاهيم والمسميات الإسلامية . ومكمن الخطر ، فيما

نرى ، يتمثل في أن امثال هؤلاء يقعون في خطأ مزدوج من حيث لا يشعرون .

فهم وإن كانوا مسلمين ـ قد سمحوا لأنفسهم بالكتابة أو الحديث عن دين لم يتفقهوا فيه ، وكان الأولى بهم ـ بحكم الإسلام الذى ينتمون إليه ـ الا يقفوا ماليس لهم به علم . ثم هم وإن كانوا مسلمين قد اساءوا فهم هدف الدعوة الإسلامية ، واثروا سلبيا على جهود الدعاة بتقديم تصورات خاطئة عن الإسلام . ومما يبعث على الأسى والأسف ان هذه الآراء والتصورات تجد الطريق امامها ممهداً للانتشار والذيوع دون مراجعة أو مساءلة ..!

واقعة محددة :

طالعت في الصفحة العاشرة من جريدة « الأهرام ويكلى » الأسبوعية الصادرة باللغة الانجليزية ، عدد الخميس ٩ مايو ١٩٩١ م ، مقالاً مطولاً بعنوان « Performing the umra » أو « اداء العمرة » ، تحدثت فيه الكاتبة عن انطباعاتها الشخصية حول رحلتها لأداء العمرة في شهر رمضان . وقد راعنى أن يتضمن المقال بعض الكلمات والعبارات والمقولات التى توحى بتصورات خاطئة عن الإسلام ، وتسىء إلى السيرة العطرة لرسول الله ﷺ . وسوف أوجز ملاحظاتى من واقع ماتضمنه المقال فيما يلى :

١ ـ جاء في مقدمة المقال ماترجمته : « إن أفضل وقت لأداء العمرة بالنسبة لمعظم المسلمين هو شهر رمضان ، حيث يحدث ـ طبقاً لما هو معروف في الإسلام ان تسلسل الشياطين ويكون الوقت ملائماً » أو مناسباً » بالنسبة للإله ليجيب دعاء المتوسلين and the time is opportun **For** **God** to answer Prayer... » .

٢ ـ جاء في موضع آخر من المقال مايفهم منه أن رسول الله ﷺ عاش ومات في مكة ثم دفن في المدينة ، ويلاحظ أن الأسماء الإسلامية عموماً قد كتبت محرفة حسبما ينطقها الغربيون .

« in Mecca where the Prophet **Mohamed** lived, prayed and **died** ... the town of Medina also, the place where the prophet is buried » .

٣ ـ جاء في موضع ثالث من المقال ماترجمته : « من الثابت تاريخيا أن أهل المدينة استقبلوا النبى ﷺ عندما **هرب** » أو فر » من اضطهاد أهل مكة .

Historically, the people of Medina accepted the prophet when he **escaped** From the persecution of the people of Mecca,.. »

٤ ـ جاء في موضع رابع ما ترجمته : « .. ثم نأتى إلى **آخر** مراحل العمرة **واصعبها** عندما يسعى المسلمون سبع مرات ذهاباً وإياباً بين صخرتين كبيرتين تسميان الصفا والمروة :

Then the **Final,** and **most difficult, part** of the Umra comes when Muslims **walk** seven times back and forth between two large rocks called El-Safa and El-Marwa,..

٥ ـ يركز المقال بصورة عامة على بعض الجوانب السياحية والاجتماعية وتفاصيل حركة البيع والشراء في مكة والمدينة أكثر مما يحاول إظهار الجوانب الروحية والقيمية المبتغاة من اداء العمرة ، أو حتى يحاول تعريف القارىء بأركان العمرة واعمالها دون لبس أو غموض ، ولهذا فإن

البقية ص ١٣٧١



الفقه الأباضي
ورأي آخر ذو فائدة

للشيخ
محمد حسام الدين

بسم الله الرحمن الرحيم : ذكرنا[1] للاباضية رأيا ذا اثر فى ثبات العامة منهم فى دينهم ، وارتباطهم بعلمائهم .

واليوم نذكر حكما آخر لديهم يحملهم على الحذر والخشية ، ويدفعهم للسؤال والعلم ، ويبعث فيهم ملكة الاحتياط فى امورهم .

وقاعدة هذا الحكم انه : « لا يعذر الجاهل بجهله إذا ارتكب محظورا ، او ترك فريضة » .

وجمهور فقهاء الأباضية على هذا الرأى ، وبخاصة المتأخرون منهم ، ولم أر من بينهم من خالف فى هذه القاعدة إلا الشيخ العلامة ابو محمد عبدالله بن بركة[2] وهو إمام مجتهد يستقل بتأصيل الأحكام ، لم أر بيانا اشبه ببيان الشافعى من بيان هذا الشيخ فهو كأنما ينظم الدر وينثر الحكمة .

وقد عبر عن رأيه فى المسألة فقال : « المعصية لا تكون إلا من قاصد إليها »[3] .

وفقه الأباضية يستند هنا إلى أصل مغاير للقاعدة المشهورة : « الأصل فى الأشياء الإباحة » أو « الأصل فى المنافع الحل ، والأصل فى المضار التحريم » .

وينبنى على هذه القاعدة أن من تناول شيئا على الأصل ، وهو لا يعلم تحريمه ـ فيما عدا ما علم تحريمه بالضرورة ـ كان معذورا .

فالفقه الأباضى لا يعتمد هذه القاعدة ، والأصل عندهم هو : الكلمة ، أو الجملة وهى : « شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، وأن ما جاء به من عند الله هو الحق » .

فهذا الذى لا يسع احداً جهله على كل حال ، والحجة به قائمة على كل بالغ عاقل[4] ..

والحلال ما أحل الله ، والحرام ما حرم الله ، وكلاهما بين ، وبينهما مشبهات ، قد فرض الله

(1) شرحنا هذا الرأى فى مقالنا الذى نشر فى مجلة الأزهر بعددها الصادر فى شوال سنة ١٤١١ هـ تحت عنوان : (رأى يعالج مشكلة لنا حاضرة) .

(2) ابو محمد عبد الله بن محمد بن بركة البهلوى العمانى من علماء القرن الرابع الهجرى .

(3) كتاب الجامع ـ ص ١٦٥ ـ جـ ١

(4) الجامع لابى الحسن البسيوى جـ ١ ص ٢٦٨ ..

على المسلم ان يسأل عنها ، والله تعالى لم يعذر احدا بالجهل .

يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[٥] ويقول : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾[٦] ، ويقول : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٧] ويقول : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٨] .

فلو كان ـ الله ـ قد اباح الاشياء وركوبها ـ اى ارتكابها ـ على الجهل لم يقل فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، ولكان قد اهملهم ، فلما امرهم بالسؤال ، ونهى أن يقفوا ما ليس لهم به علم دل ذلك على أن الأشياء غير مباحة ، وانها محجورة ، ولا يجوز ركوب ـ اى ارتكاب ـ شيء مما حرم الله بجهل ولا بعلم[٩] .

فالذى لايسع أحدا الجهل به هو « الجملة » وهى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وأن ماجاء به من عند الله هو الحق .

قال البسيوى : « وذلك له تفسير ، لأن جملة ما تعبد الله به عباده فى كتابه ، وفى سنة نبيه ومن القياس عليها ، والإجماع على ذلك فمن اقر بما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أقر بجملة الإسلام[١٠] . لكن يسع الناس الجهل بالمحارم التى حرم الله ، ما لم يركبوا ـ أى يرتكبوا ـ شيئا منها ، أو يحلوا حراما ، أو يحرموا حلالا ..

ويسعهم الجهل بالفرائض ما لم يبتلوا بشيء من ذلك أو يحضر وقت العمل[١١] .

وقد حرر السالمى[١٢] الرأى فى المسألة فقال : « اعلم أن الأمور ثلاثة :

أمر بَانَ لك رشده ، فاتبعه ، وأمر بَانَ لك غيُّه ، فاجتنبه ، وأمر أشكل عليك حكمه فقف عنه ، ولا يجوز لك القدوم عليه حتى يتضح لك حقه ، فإذا ارتكب (الراكب) أمرا لم يعلم حقه من باطله ، فلا يخلو ذلك الأمر من أحد أمرين : اما أن يكون باطلا فى أصل دين الله ، أو حقا .

فإن كان باطلا (فالراكب) له هالك : قصده ، أو لم يقصده ، إلا أن يتوب منه .

وإن كان حقا فلا يخلو (الراكب) من أحد أمرين ايضا : إما أن يكون قصده موافقة الحق ، فلا إثم عليه فى هذا ، لأنه قصد الحق فوفق إليه ، وقيل : إن عليه التوبة من قدومه على ما لا يعلم .

والأول هو الصحيح لأن كثيرا من الصحابة قد فعلوا أشياء لم يعلموا حكم الله فيها ، فإذا هى حق عند الله ، فأقرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فعل ذلك .

فهذا عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ تلفظ للمشركين بالشرك تَقِيَّةً ، ولم يعلم جواز التقية يومئذ ، بدليل ما نقل عنه أنه قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

هلكت ... ... الحديث[١٣] .

---

(٥) سورة الإسراء آية رقم ٣٦ .

(٦) سورة الكهف آية رقم ٢٨ .

(٧) سورة الجاثية آية رقم ١٨ .

(٨) سورة النحل آية رقم ٤٣ .

(٩) الجامع لأبى الحسن البسيوى جـ ١ ص ٢٦٦ .

(١٠) الجامع لأبى الحسن البسيوى جـ ١ ص ٢٧٠ .

(١١) المرجع السابق ص ٢٧٠ مع تصرف .

(١٢) العلامة : ابو محمد عبد الله حميد السالمى من علماء القرن الرابع عشر الهجرى .

(١٣) رواه ابن جرير ، والبيهقى عن ابن عباس ، وعن محمد بن عمار بن ياسر ـ بالفاظ مختلفة ، واختاره الشعبى ، وقتادة وأبو مالك سببا لنزول قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ الآية ١٠٦ من سورة النحل ..

نظرات فى الفقه الأباضى

وأما أن يكون فى قصده مخالفا لدين الله ، فهذا هالكٌ بنيَّته ، ولا تنفعه موافقة الحق بل عليه التوبة من تلك النية ...

وبين كلا الأمرين واسطة : وهى نوعان : أحدهما : أن يكون (الراكب) مهملا ، أى لم يكن قاصدا لشىء دون شىء ، فيحكم له وعليه بحكم ما ارتكبه ، وثانيهما : أن يكون غير مبال : أصاب حراما أم حلالا فيحكم عليه بالهلاك عند موافقة الباطل ، وبالتوبة عند موافقة الحق[١٤] .

هذا ما اتجه إليه جمهور الأباضية فى مسألة الجهل بالأحكام ، وقد خالفهم فى رأيهم العلامة : ابن بركة ـ على ما أشرنا إليه من قبل ـ فقال[١٥] : « الدليل على أن المعصية لا تكون إلا من قاصد إليها ، قول الله جل ذكره : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[١٦] ..

ورأيه هذا قريب من رأى أهل السنة ، قال الشاطبى[١٧] : (يصح أن يقع بين الحلال والحرام مرتبة العفو ، فلا يحكم عليه بأنه واحد من الخمسة المذكورة . هكذا على الجملة)[١٨] ..

وشرح الشاطبى معنى « العفو » هنا ، بأنه ما لا مؤاخذة به .. واستدل له بوجوه من الأدلة[١٩] منها :

١ ـ « ما جاء من النص على هذه المرتبة على الخصوص ، فقد روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها »[٢٠] ... قال عبيد بن عمير : أحل الله حلالا ، وحرم حراما ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ..

٢ ـ ما يدل على هذا المعنى فى الجملة كقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ .. ﴾[٢١] الآية ـ فإنه موضع اجتهاد فى الإذن عند عدم النص ، وقد ثبت فى الشريعة العفو عن الخطأ فى الاجتهاد حسبما بسطه الأصوليون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢٢] ، وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكره كثرة السؤال فيما لم ينزل فيه حكم ، بناء على حكم البراءة الأصلية ، إذ هى راجعة إلى هذا المعنى ، ومعناها أن الأفعال معها معفو عنها » ..

قال : « ويظهر هذا المعنى فى مواضع من الشريعة : منها ما يكون متفقا عليه ومنها ما يختلف فيه » .

فمنها : الخطأ والنسيان فإنه متفق على عدم المؤاخذة به ، فكل فعل صدر عن غافل ، أو

---

(١٤) بهجة الأنوار ص ٦٧ .
(١٥) كتاب الجامع جـ ١ ص ١٦٥ .
(١٦) سورة الأحزاب آية رقم ٥
(١٧) الإمام : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ صاحب الموافقات .
(١٨) الموافقات جـ ١ ص ١٠٠ ـ تحقيق محيى الدين عبد الحميد ـ
(١٩) الموافقات ص ١٠١ ـ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٢٠) الحديث بلفظه لرزين والطبرانى فى الكبير ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى عن ثعلبه الخشنى . رفعه ، وهو بلفظ آخر للطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء . وفيه ضعف .
(٢١) سورة التوبة آية رقم ٤٣ .
(٢٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٨ ..

ناس ، أو مخطىء ، فهو مما عُفى عنه ، فإن من شرط المؤاخذة به ذكر الأمر والنهى ، والقدرة على الامتثال ، وذلك فى المخطىء والناسى والغافل محال ، ومثل ذلك النائم والمجنون والحائض ، وأشباه ذلك .

ومنها : الخطأ فى الاجتهاد .

ومنها : الاكراه ... فإن حاصل ذلك أن تركه لما ترك وفعله لما فَعَل لا حرج عليه فيه .

ومنها : الرخص كلها على اختلافها ، فإن النصوص دلت على ذلك ، حيث نص على رفع الجناح ، ورفع الحرج ، وحصول المغفرة .

ومنها : الترجيح بين الدليلين عند تعارضهما ولم يمكن الجمع ، فإذا ترجح أحد الدليلين كان مقتضى المرجوح فى حكم العفو .

ومنها : العمل على مخالفة دليل لم يبلغه ، أو على موافقة دليل بلغه ، وهو فى نفس الأمر منسوخ أو غير صحيح ، لأن الحجة لم تقم عليه بعد ، إذ لابد من بلوغ الدليل إليه وعلمه به ، وحينئذ تحصل المؤاخذة به ، وإلا لزم تكليف ما لا يطاق » .. انتهى ملخصاً[٢٣] ..

ثم عرض الشاطبى وجهة نظر المانعين لمرتبة العفو ، ووجوه استدراكهم على الرأى بإثباتها ، وأورد منها :

١ ـ أن أفعال المكلفين ـ من حيث هم مكلفون ـ أما أن تكون بجملتها داخلة تحت خطاب التكليف ، وهو الاقتضاء أو التخيير ، أو لا تكون بجملتها داخلة ، فإن كانت بجملتها داخلة فلا زائد على الأحكام الخمسة وهو المطلوب .

وإن لم تكن داخلة بجملتها لزم أن يكون بعض المكلفين خارجا عن حكم خطاب التكليف ، ولو فى وقتٍ ، أو حالة ما ، لكن ذلك باطل .

٢ ـ أن العفو إنما هو حكم أخروى لا دنيوى ، وكلامنا فى الأحكام المتوجهة فى الدنيا .

٣ ـ إن سَلِمّ للعفو ثبوت ففى زمانه عليه السلام ، لا فى غيره ، وما ذكر من أنواع العفو داخل تحت الأحكام الخمسة ، فإن العفو فيها راجع إلى رفع حكم الخطأ ، والنسيان ، والإكراه والحرج ... وذلك إثبات للأمر والنهى مع رفع آثارهما لمعارض »[٢٤] ..

وقد ذكر الشاطبى أمثلة لما اعتبره المذهب المالكى من مرتبة العفو ، من مثل ما تقرر فى المذهب : أن من سافر فى رمضان أقل من أربعة بُرُد فظن أن الفطر مباح به ، فأفطر فلا كفارة عليه ، وكذلك من أفطر فيه بتأويل وإن كان أصله غير علمى ـ أى غير معتمد على العلم ـ ، وهذا جار فى كل متأول كشارب المسكر ظانا أنه غير مسكر ، وقاتل المسلم ظانا أنه كافر ، وأكل المال الحرام عليه ظانا أنه حلال له ، والمتطهر بماء نجس ظانا أنه طاهر وأشباه ذلك .

ومن أمثلته الخروج عن مقتضى الدليل من غير قصد ، أو عن قصد لكن بالتأويل .

فمنه الرجل يعمل عملا على اعتقاد إباحته لأنه لم يبلغه دليل تحريمه ، أو كراهيته ، أو يتركه معتقدا إباحته إذ لم يبلغه دليل وجوبه أو ندبه ، كقريب العهد بالإسلام لا يعلم أن الخمر محرمة فيشربها ، أو لا يعلم أن غسل الجنابة واجب فيتركه ، وكما اتفق فى الزمان الأول حين لم تعلم الأنصار طلب الغسل من التقاء الختانين ، ومثل

البقية ص ١٣٧١

(٢٣) الموافقات ـ جـ ١ ـ ص ١٠١ ـ ١٠٤

(٢٤) الموافقات ـ ملخصا ـ جـ ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٦ ..

القدس

بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

٤

بقلم: لــواء . أ . ح
د . فوزي محمد طايل

حقا لقد كان يوم العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ (السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م) يوما عظيما برزت فيه وحدة الأمة الإسلامية من خلال تاييدها ووقوفها خلف المجاهدين من مصر وسوريا عندما هبوا يستردون بعض ما اغتصبه المعتدون ، وكان ذلك اليوم نقطة تحول حاسمة ، وحدا فاصلا بين مرحلة واخرى .

لقد اقتنع العدو والصديق أن فى الأمة رجالا يملكون العزيمة ، ولديهم التصميم الكامل ، على استنقاذ الحق والانتصار له .

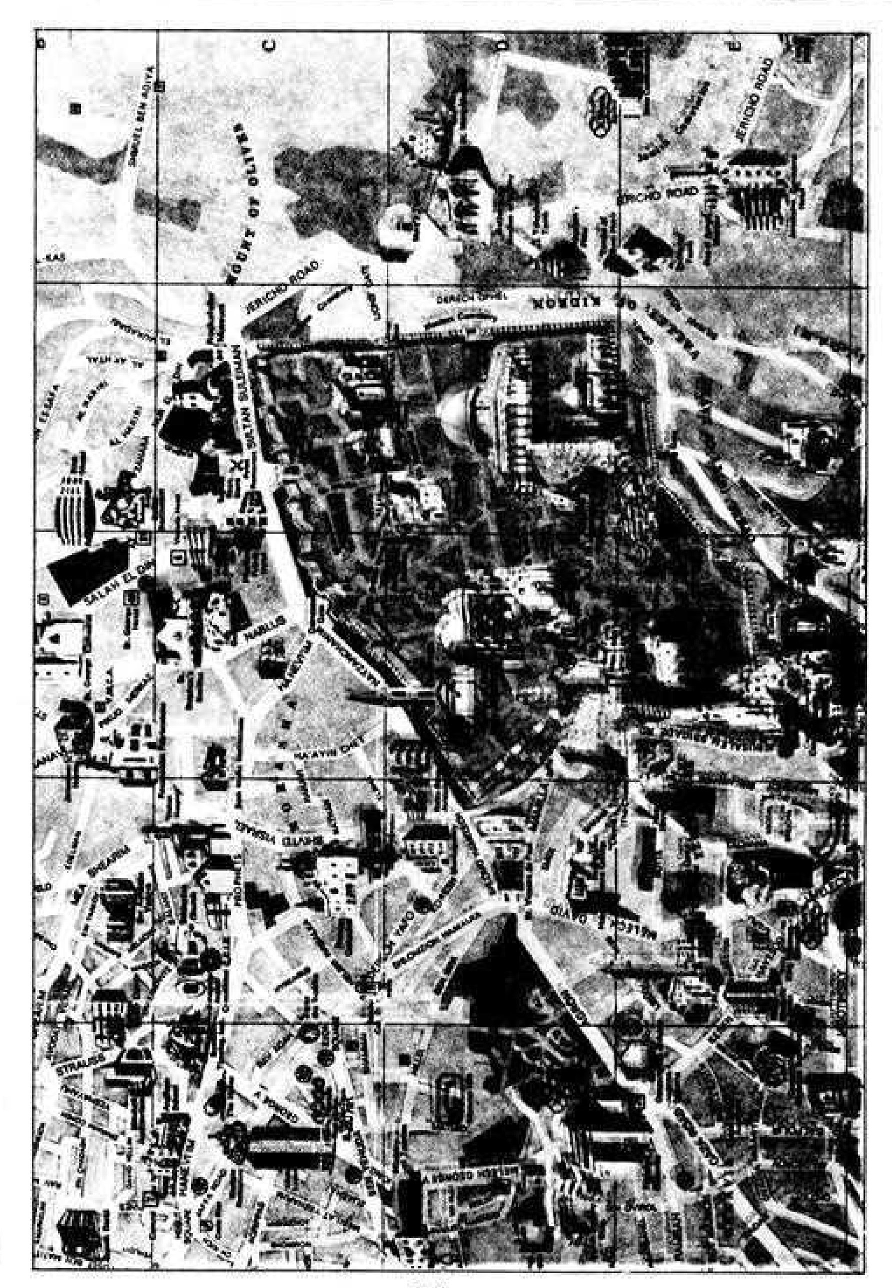
ومع ذلك فقد نجحت الصهيونية العالمية فى إحداث تعتيم على قضية « القدس » ، ووضعتها فى اسبقية متأخرة عندما بدأت الأطراف المتنازعة تتوجه إلى الحل السلمى ؛ بل إن الأقرب إلى الصحيح القول بأن مرحلة مابعد حرب رمضان قد شهدت فصلا شبه كامل بين قضية « القدس » ، وبين حل « القضية الفلسطينية » ، وبينما دخلت القضية الثانية فى دروب ومسالك وعرة يلوح فيها بين حين وآخر سراب التوصل إلى تسوية عادلة ، فإن القضية الثانية قد وئدت وانصارها شهداء على ذلك ينظرون .

وعلى الرغم من الأطماع الصهيونية ، وأنهم اخذوا يلبسون الحق بالباطل ؛ فإن اللوم جله يوجه إلى الأمة الإسلامية إذ قصرت ، وظنت أن عدوها سوف يعيد إليها الحق المسلوب على طبق من فضة .

لقد انهى القرار ، رقم (٣٣٨) الصادر من مجلس الأمن يوم الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ ، والمؤيد بالقرارين ٣٣٩ و ٣٤٠ ، القتال على أساس البدء الفورى فى وضع القرار رقم (٢٤٢) لعام ١٩٦٧ م موضع التنفيذ ، وذلك من خلال المفاوضات بين الأطراف المعنية ، بهدف إقامة « سلام دائم وعادل » فى الشرق الأوسط . ولنا أن نتساءل :

هل يمكن إقامة سلام له صفة « الديمومة والعدل » دون الالتزام بالمواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة التى تجعل من القدس كيانا مستقلا غير خاضع لإسرائيل ؟

لقد صدر القرار رقم (٢٤٢) ـ كما أوضحت فى المقال السابق منحازاً إلى جانب إسرائيل مجافيا للحق إذ لم تصدر فيه اية عبارة ، أو حتى إشارة ضمنية إلى وضع مدينة « القدس » . ثم كان صدور القرار (٣٣٨) ، فى ظروف بالغة



جزء من مدينة القدس

الدقة ، متعمدا عدم الإشارة للقرارات المتعلقة « بالقدس » ، والتى صدرت فى الفترة من عام ١٩٦٧ م حتى عام ١٩٧١ م ، وأهمها القرار رقم (٢٧١) الصادر فى الخامس عشر من سبتمبر

القدس بين

الوثائق الدولية والأطماع الصهيونية

عام ١٩٦٩ م ، والقرار رقم (٢٩٨) الصادر فى الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧١ م ، واللذان أكدا « بأوضح العبارات الممكنة » ـ على حد التعبير الوارد فى نص القرار ٢٩٨ ـ أن **الإجراءات والتشريعات التى صدرت عن إسرائيل متعلقة بوضع القدس « باطلة »** .

وإزاء تعنت إسرائيل وصلفها وتصريحاتها المستفزة التى تلت وقف إطلاق النار مع كل من مصر وسوريا فى شهر اكتوبر ١٩٧٣ م فقد تحركت الأقطار الإسلامية خاصة ، ودول عدم الانحياز عامة ، فى محاولة لطرد إسرائيل من المنظمة العالمية . بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية قابلت هذه الحركة بقدر كبير من الحسم لصالح إسرائيل ، إذ صدر قرار مجلس الشيوخ الأمريكى ـ الذى تكاد الحركة الصهيونية العالمية أن توجه كل أعماله وقراراته ـ مهددا باتخاذ إجراءات حاسمة ضد هذه المحاولة .

لقد صدر قرار مجلس الشيوخ الأمريكى يوم الثامن عشر من يوليو ١٩٧٥ م تحت رقم (٢١٤) يحمل النص التالى :

« يقرر المجلس : أنه إذا ما تم طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ، فإن مجلس الشيوخ سوف يعيد النظر فى كل التزامات الولايات المتحدة تجاه دول العالم الثالث التى شاركت فى عملية الطرد ، وسوف يتم النظر بعين الجد فى أمر الاستمرار فى عضوية الأمم المتحدة فى ظل مثل هذه الظروف » .

« Resolved, that if Israel is expelled from the United Nahons the senate will review all Present United states Commitments to the third World nations involved in the expulsion, and will consider seriously the implication of continued membership in the Mnited Nations Under such circumstances . »

على الرغم من هذا فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا هاما هو القرار رقم (٣٣٧٩) فى العاشر من نوفمبر عام ١٩٧٥ م الذى اعتبر « الصهيونية » شكلا من أشكال العنصرية ، وبالتالى أصبح محتما إزالتها تطبيقا لما جاء فى القرار رقم (١٩٠٤) فى العشرين من نوفمبر ١٩٦٣ .

هذا ، وقد جاء فى مطلع القرار رقم (٣٣٧٩) لعام ١٩٧٥ : ـ

« مذكرين بالقرار رقم (١٩٠٤) الصادر فى ٢٠ نوفمبر ١٩٦٣ الذى يتضمن إعلان الأمم المتحدة الدعوة إلى إزالة كل أشكال التفرقة العنصرية ، ومؤكدين بصفة خاصة أن أية عقيدة racial superiority doctrine ، تقوم على التفاضل العنصرى Racial diffe- rentiation أو السمو الجنسى وهى عقيدة زائفة من الوجهة العلمية ، مدانة من الوجهة الاخلاقية ، ظالمة وخطيرة من الوجهة الاجتماعية » ..... الخ .

ومذكرين ايضا بما جاء فى القرار رقم (٣١٥١) الصادر فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٧٣ وادانت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة التحالف « غير المقدس » بين النظام العنصر فى جنوب افريقيا وبين الصهيونية .

ثم جاء نص القرار كما يلى :

« تقرر (الجمعية العامة للأمم المتحدة) أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى » .

« Determines that zionism is a form of racism and racial discrimination ».

2400 th plenary meeting
10 November 1975

ولم يكد هذا القرار الخطير الصادق يخرج حتى انبرى المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة « دانييل موينيهان Daniel P. Moynihan » يهاجم القرار ويدافع عن الصهيونية باعتبارها « المرادف لليهودية » وبالتالي فهي ليست عنصرية ؛ لأن تعريف اليهودي عندهم : « هو من ولد لأم يهودية أو تهود ... » وهاك العبارات التي وردت على لسانه في البيان الصحفي الصادر عن البعثة الأمريكية لدى الأمم المتحدة يوم العاشر من نوفمبر ١٩٧٥ ؛ أي يوم صدور القرار المذكور :

«It was not a movement of persons comnected by historic membership in a genetic pool ..... To the contrary, Zionisits defined themselves merely as Jews, and declared to be Jewish anyone born of a Jewish mother or– and this is the obsolutely crucial fact– anyone who canverted to Judaism.»

وتعليقنا على ما جاء بهذا النص هو أنه : إذا صدقت مقولة المندوب الأمريكي التي يعتبرها « حجة حاسمة » ، أو «حقيقة مقطوعا بها » على حد تعبيره .. فعلى أي أساس يدعي اليهود حقهم في احتلال فلسطين ؟ .. وإلى أي سند ديني أو تاريخي يستندون كي يحولوا « القدس » إلى « عاصمة أبدية لهم » – على حد تعبيرهم – متحدين بذلك كل العهود والمواثيق الدولية ؟

وإذا كانت مقولته غير صحيحة ، فإن الصهيونية إذاً تقوم على أساس النقاء الجنسي ، والتفوق العنصري ، فهي حركة غير مشروعة يتعين – حسب قرارات الأمم المتحدة – القضاء عليها ... فلا يجوز بالتالي ادعاء أي حق لها في فلسطين ؛ لأن ادعاءهم باطل ، وما بني على باطل فهو باطل .

وفي اليوم التالي لصدور « قرار اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية » ، اجتمع « مجلس الشيوخ الأمريكي » ليصدر قراره رقم (٧٣) للسنة الرابعة والتسعين (دور الانعقاد الأول) ، وليدين قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، الذي يعد – حسب تقديرهم – بمثابة دعوة لتشجيع « معاداة السامية »(*) .

وقد جاء القرار كما يلي :

قرر مجلس الشيوخ (ووافق مجلس النواب على) الإدانة الحاسمة لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في العاشر من نوفمبر عام ١٩٧٥ م لكونه يشجع على معاداة السامية ؛ إذ يسوي بين الصهيونية والعنصرية والتمييز العنصري ، الأمر الذي يتعارض والأهداف الأساسية لميثاق الأمم المتحدة .... وقرر ....

كما قرر أن تتولى لجنتا العلاقات الخارجية ، والعلاقات الدولية التابعتان للمجلس ، فور سماعهما لهذا القرار إعادة تقويم المشاركة المستقبلية للولايات المتحدة الأمريكية في الجمعية العامة للأمم المتحدة .

immediately to reassess the United states' further participation in the United Nations General Assembly .

هذا ، ومن يوم صدور ذلك القرار الخطير « الذي يعتبر الصهيونية شكلا من أشكال التمييز العنصري » ، لم تهدأ الصهيونية العالمية ، فعملت بكل الوسائل لإلغاء قرار الأمم المتحدة رقم (٣٣٧٩) لعام ١٩٧٥ م . ولعل من



● وهو تعبير يعنون به « معاداة اليهود » واضطهادهم ، وقد صار التعبير بمثابة سلاح ردع يوجهه الصهاينة إلى من يريدون مهاجمته ، إذ يضعونه في خندق واحد مع النظام النازي الذي يدعون أنه اضطهد اليهود وقتل منهم عشرات الآلاف قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية .

القدس بين

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

أحدث تحركاتها فى هذا الخصوص قيام مجلس « الكونجرس » الأمريكي ببذل الجهود المتواصلة ، منذ منتصف عام ١٩٩٠ م ، وإصداره لقرار جديد يطالب الحكومة الأمريكية بإجراء الاتصالات الدولية اللازمة لتجميع عدد كاف من الأصوات فى الأمم المتحدة لإلغاء قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية .

وقد تولى « دان كويل » نائب الرئيس الأمريكي بنفسه مسئولية هذا التحرك بتأييد كامل من الرئيس الأمريكى « جورج بوش » ، الذى وجه بدوره دعوة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نهاية شهر يونيو ١٩٩٠ ، لإلغاء قرارها .

ومن جهة أخرى مارست الصهيونية العالمية ضغوطها على الأمين العام للأمم المتحدة « خافيير بيير دى كوبيار » ـ الذى يفترض فيه الحيدة والنزاهة والوقوف موقف التأييد الكامل لقرارات الأمم المتحدة ـ فأصدر تصريحا فى مطلع شهر مايو ١٩٩١ م ينتقد فيه بشدة قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٧٥ الذى يسوى بين الصهيونية والعنصرية ، ويطالب بإلغائه بحجة أن وجود هذا القرار يعوق جهود السلام فى الشرق الأوسط !

وقبل ان نستكمل موضوعنا يحق لنا ان نتساءل :

ما موقف الأمة الإسلامية من هذا الذى يحدث ؟

بل ما هو موقف « لجنة القدس » التى اسست بناء على توصية المؤتمر السادس لوزراء خارجية البلدان الإسلامية اعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى ؟

هل سيخدم إلغاء قرار الأمم المتحدة المشار إليه قضية القدس ام انه سيضر بها ضررا بالغا ؟

لقد شهد عقد السبعينيات ، وعقد الثمانينيات تجاهلا ، من قبل كل الأطراف ، للوضع القانونى الواضح والصريح للقدس ، والذى قررته المواثيق الدولية : « أن القدس تعد « كيانا مستقلا » يخضع للإشراف الدولى » ، فلا يتبع أية دولة ، ولا يجوز بالتالى التفاوض من أجل نقض ما قررته هذه المواثيق .

لقد اصبحنا والكل يرددون عبارات مبهمة ظاهرها حق وباطنها وجوهرها باطل .. هذه العبارات لا تخرج عن الدعوة إلى « عدم المساس بوحدة القدس ووضعها القانونى » ...

أى وحدة وأى وضع قانونى ، والقدس فى يد إسرائيل ، وقد تغير وجهها ، وأضيفت إليها صفة « عاصمة الدولة اليهودية » !؟

لقد وقعت مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يوم السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨ م « إطارا للسلام » عرف باسم « اتفاقية كامب ديفيد » . وعلى حين عالجت الاتفاقية المذكورة فكرة السلام بين مصر وإسرائيل ، وفكرة الحكم الذاتى للفلسطينيين ، **فإنها لم تتعرض لوضع القدس** . بيد أن الرئيس الراحل محمد أنور السادات عاد فأكد على « الحقوق العربية فى القدس » فى خطاب بعث به إلى الرئيس الأمريكى الأسبق « جيمى كارتر » فى أعقاب التوقيع على الاتفاقية المشار إليها .

أما بيان « البندقية » الذى صدر عن رؤساء دول وحكومات المجموعة الاقتصادية الأوروبية فى الثالث عشر من يونيو ١٩٨٠ م فقد جاء فيه :

« تعترف الدول التسع بالوضع شديد الأهمية الذى تحتله مسألة (القدس) بالنسبة لجميع الأطراف المعنية ، وتشير إلى انها لا تقبل أية مبادرة من جانب واحد تستهدف تغيير « وضع القدس » ، كما يجب أن يتضمن أى اتفاق حول وضع المدينة حرية الدخول إلى جميع الاماكن المقدسة » ... كيف وهذه الدول جميعها تتعامل

مع إسرائيل باعتبار القدس الموحدة عاصمة لها !؟

وقد جاء في مبادرة الرئيس الأمريكي السابق « رونالد ريجان » ، في شهر سبتمبر عام ١٩٨٢ م انه : « يجب ان تظل القدس غير مجزاة ، وان يتقرر وضعها النهائي من خلال المفاوضات » ! كيف وقد اصدر « الكونجرس الامريكي » في نهاية عهد الرئيس ريجان نفسه « قانونا » ، وقعه الرئيس يعتبر « القدس الموحدة » عاصمة لإسرائيل !؟

لقد صارت مسألة القدس في نظر « الساعين إلى السلام » في الشرق الأوسط في مرتبة متأخرة ، إن لم يكن قد تم التخلي عنها كلية .... وتخلت الأمة الإسلامية أو كادت أن تتخلى عن واجبها تجاه استعادة أولى القبلتين وثالث الحرمين .

اما من جانب إسرائيل فإن العمل يجرى على قدم وساق منذ السابع من يونيو عام ١٩٦٧ على تغيير وجه القدس وطبيعتها كلية ، دون مبالاة بالعهود والمواثيق والقرارات الدولية ، ولايكف زعماء إسرائيل أيا كانت انتماءاتهم الحزبية ، عن الإعلان عن أن « القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل » ، وأنه « لا سبيل للتفاوض حول هذا الأمر .

وفي التاسع من يناير عام ١٩٩٠ م اصدر البرلمان الإسرائيلي « الكنيست » قرارا جاء فيه : « تعود الكنيست وتقرر أن القدس الكاملة عاصمة إسرائيل ، ليست ولن تكون موضوعا للمفاوضات .. والكنيست يطالب الحكومة بأن تحافظ ، خلال البحث في مبادرتها للسلام ، على إظهار وتوضيح نية إسرائيل ان تبقى سيادتها على القدس دون تحفظ » .

هذا ، وليس قرار الكنيست الأخير إلا إعلانا عن استمرار التمسك بالقانون الأساسي(*) الذى صدر في شهر اغسطس عام ١٩٨٠ م ، وتنص مادته الأولى على أن « **القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل** » .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ...... ﴾ .

إن المؤشرات والدلالات تتوافر على أن حربا ضروسا توشك ان تقع وأن إسرائيل هى التى ستشعل فتيلها(**) ، وأن سعى أصحاب الحق إلى السلام وإعطاءهم التنازل تلو الآخر لن يزيد الصهيونية العالمية إلا غرورا وتصميما على إقامة ما يسمونه « بإسرائيل الكبرى » ، التى يتصورون إقامتها على انقاض المسجد الأقصى ، وعلى جثث عشرات ، بل مئات الآلاف من المسلمين ، وعلى حساب المزيد من الأراضى الإسلامية التى ينوون اغتصابها :

— إن استقبال إسرائيل لمئات الآلاف من المهاجرين اليهود لن يكون إلا على حساب السكان الفلسطينيين ، بل وعلى حساب المزيد من الأرض العربية .

— إن إقامة حزام من المستوطنات اليهودية حول مدينة القدس ، والاستيلاء على الأراضى العربية ◆

---

* القانون الأساسى هو الذى لا يعدل إلا بموافقة ثلثى أعضاء الكنيست .

** يرجع إلى كتاب : « ميدان المعركة المقبلة » . لمؤلفيه « هيرش جودمان ــ سيث كاروس »

The future battlefield and the Arab-Israeli conflict, hirsh Goodman- W. Seth Carus, 1990.

The future battlefield and the Arab-Israeli conflict, hirsh Goodman- W. Seh Carus, by the Washington Institute for near East policy, transaction publishers, rutgers, new Brunswick, New jersey, 1990.

كتاب : « ميدان المعركة المقبلة والنزاع العربى ـ الإسرائيلى » لمؤلفيه : « هيرش جودمان ـ وسيث كاروس » الصادر عن معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ، عام ١٩٩٠ والكتاب يعتبر « سوريا » هى ميدان المعركة في التسعينيات .

القدس بين

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

بداخل المدينة ، وإجراء عمليات توطين لليهود بداخلها لتهويدها والترحيل الجماعى للسكان العرب ، ذلك الترحيل الذى أدانته الأمم المتحدة فى غير ما قرار . كل هذه مؤشرات لما ينتظر وقوعه خلاله العامين القادمين .

— إن المذبحة التى تمت فى ساحة المسجد الأقصى يوم الثانى عشر من اكتوبر عام ١٩٩٠ ، وما تلا ذلك من تداعيات ، منها :

استهزاء إسرائيل بقرار مجلس الأمن الذى دعا إلى إسباغ الحماية على الفلسطينيين فى الأرض المحتلة(*) .

ومنها منع حكومة إسرائيل للجنة الأمم المتحدة من دخول القدس لتقصى الحقائق .

وتصريح وزير الخارجية الإسرائيلى يوم السابع من نوفمبر ١٩٩٠ م أن : « العالم سوف يتعقل قريبا » .. كل هذه الأمور .

كل ذلك ما هو إلا تجارب ميدانية حية ينتظر تكرارها على نطاق واسع عما قريب .. بخاصة أن هناك فى إسرائيل من يتحدث صراحة عن عمليات تهجير جماعية للفلسطينيين مستقبلا ، وعن ضرورة إقامة حزام أمنى فى الضفة الشرقية لنهر الأردن .

— إن تركيز الدعاية الإسرائيلية خلال العام ١٩٩٠ م على مشروعهم لبناء « الهيكل الثالث » على أنقاض المسجد الأقصى قد بلغت ذروتها عندما ظهر عالم الآثار الإسرائيلى « جوزيف سيرج » يوم الحادى والعشرين من اكتوبر عام ١٩٩٠ م - فى أعقاب مذبحة المسجد الأقصى - فى حوار على شاشة التلفاز الفرنسى ليعلن : « إن إسرائيل ستبدأ قريبا جداً فى إقامة الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى » .. ثم أضاف رداً على أحد الأسئلة : « إن إسرائيل تستطيع - من خلال استخدام وسائل التقنية الحديثة - أن تصدع المسجد الأقصى » .. ومن الغريب أن يتم نشر مثل هذا الحوار على صفحات بعض الصحف الإسلامية دون تعليق .

— إن إعلانات قادة إسرائيل جميعا ، دون استثناء ، عن عزمهم إقامة إسرائيل الكبرى ، وعدم نيتهم الانسحاب من « القدس » أو الجولان أو الضفة الغربية أو جنوب لبنان فهى مؤشرات لا يمكن أن يتجاهلها كل من ألقى السمع وهو بصير .

— إن تحليلات ، وتقديرات المشتغلين « بالاستراتيجية » فى الغرب وإسرائيل تعلن بكل الصراحة ان جولة جديدة بين إسرائيل والعرب لا يمكن تجنبها . ولقد أعلن مساعد رئيس الأركان الإسرائيلى هذا الأمر بكل الوضوح فى شهر يونيو عام ١٩٩٠ م وتناقلته كل وسائل النشر . كما جاءت هذه التقديرات واضحة فى كتاب للكاتب الشهير « انتونى كوردسمان » Anthony H. Cordesman تحت عنوان « الخليج والغرب » ذكر الكاتب أنه استمد مادته العلمية من وثائق وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » ، ومن وثائق وكالة « الاستخبارات المركزية الأمريكية » (CIA) ، وكان من العبارات التى جاءت فى نهاية بحثه ص ٤٨٣ أن الوقت ليس فى صالح حل القضية الفلسطينية .

« Time is not the side of territorial settlements. on the west bauk, in Gaza, or on the Golan »

فانفروا ثبات أو انفروا جميعا إن ديننا يأمرنا بألا نتمنى لقاء العدو ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ لكن ديننا يأمرنا فى نفس الوقت - وبنفس القدر - الا نفرط فى حق الله ولا فى مقدساتنا ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

الا هــل بلغـت ـ بقيـة

المقال لا يخلو من بعض التعبيرات التى كان يفضل انتقاؤها بصورة أدق لكى تترك اثراً طيباً لدى القارىء المسلم وغير المسلم على حد سواء . مثال ذلك ما ذكرته الكاتبة عن أول صدمة قابلتها « Only to receive our first shock » عندما فوجئت بآلاف المسلمين يحضرون مثلها إلى السعودية لأداء العمرة ، وما ذكرته عن السعى بين الصفا والمروة من أنه أصعب مراحل العمرة .

راى ورجاء :

واخيراً ، فإنى اكتفى هنا بسرد هذه الملاحظات دون تعليق أو تعقيب ، وإن كنت أرى أن مثل هذه المقالات أو الأعمال التى تعرض لأمور دينية يجب أن تخضع لمراجعة دقيقة من قبل علماء متخصصين لكى تحقق الغاية السامية المرجوة منها ، هذا إن كان يراد أصلاً أن تكون لها غاية سامية .. كما أرجو من الله العلى القدير أن يوفق عباده المخلصين لكل مافيه خير الإسلام والمسلمين .

الا هل بلغت .. اللهم فاشهد

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

نظـرات فى الفقه الأباضى ـ بقية

هذا كثير يتبين للمجتهدين ، وقد روى عن مالك انه كان لا يرى تخليل أصابع الرجلين فى الوضوء ، ويراه من التعمق حتى بلغه ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخلل ، فرجع إلى القول به .

وانتهى الشاطبى إلى أن « العفو من شئون رب العزة سبحانه وهو من الاحكام الاخروية . وإن كان كَلاَمُنَا فى الاحكام الدنيوية »(٢٥) ..

هذا رأى لأهل السنة ، وذاك رأى للاباضية بأن الجاهل لا يعذر بجهله إذا ارتكب محظورا أو ترك فريضة ، وأن من لا يبالى أصاب حلالا أم حراما يحكم عليه بالهلاك عند موافقة الباطل ، وبالتوبة عند موافقة الحق ..

ولقد ورث المجتمع الأباضى هذا الرأى فأفادهم خوفا وخشية أن يقعوا فى المآثم ـ سواء أصابوا أو أخطأوا ـ إن هم عملوا على غير علم .

وجعل عليهم فريضة أن يتبينوا احكام الدين فيما يأتون ، وفيما يذرون ، ولم يسمح لهم أن تكون عقولهم وقلوبهم خاوية ، خالية ذات فراغ فى مجال المعرفة الدينية ، فيتسلل إليهم كل فكر شارد ، وكل فكر وارد مُحَرَّف ، ليشغل الفراغ ، ويتمكن فيهم فيفسد عليهم دينهم ، ويفسد مجتمعهم .

هذا الفراغ من المعرفة بأحكام الدين ، وهو الفراغ الذى نعانى منه اليوم فى مصر ـ ويعانى منه كثير من المجتمعات الإسلامية ـ لدى الكثير ، ولدى جمهور الناشئة من ابنائنا هو ما ينتهى بنا ، وبالآخرين إلى كثير من الازمات ..

ولله عاقبة الأمور ،

(٢٥) المرجع السابق ص ١٠٦ ـ ١١٢ ـ تلخيصاً .

من ذكريات المحمل

السلطان الغوري

بين العرب والعربان

لفضيلة الشيخ
السيد حسن قرون

كان الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى ألمع المماليك في زمانه ولم يجىء بعد « قايتباى » من يصلح للسلطنة غيره ، لما اكتمل فيه من المواهب وحسن الشيم ، فهو عالم حازم ، خبير بسياسة الدول ، وإدارة المرافق ، إلى جانب ثقافته الواسعة في التاريخ والأدب والأحكام السلطانية والدينية . ومجالس الغورى وما تجلى فيها من وميض الأفكار وبارع الآداب دعت المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام لتأليف كتاب عنها ، له مذاقه الأدبى ، ونوادره الشائقة ، ولكنه تولى الحكم في ظروف غير مواتية ، وقد طالت مدة حكمه فكثرت همومه وأوجاعه ، وقد بذل جهوداً مضنية في سبيل الإصلاح في الداخل ، وصد المغيرين من الخارج .

كانت دولته تشمل مصر والشام والحجاز واليمن ، يضاف إلى ذلك أن مصر كانت الدولة الإسلامية التى كتب عليها أن تحافظ على التراث الإسلامى والعربى بعد أن سقطت بغداد ، ووقعت الأندلس تحت الحكم النصرانى المتعصب ، فاستقبلت مصر كل الفارين من الشرق والغرب ، وأوتهم بكل عناية ورعاية ، فامتلأت المساجد والمدارس بالعلماء الجادين الذين تركوا لنا موسوعات لا تزال المعين الذى لا ينضب ، وكان هؤلاء العلماء موضع التجلة والإكرام ، لا تضن عليهم الدولة بمال ، ولا تشعرهم بالاغتراب .

وقد كان حكم الغورى ينزع إلى التشريع الإسلامى ، جعل إقامة الحدود في يد أهل الشرع : فقهاء المذاهب الأربعة ولا يعمل عملا كبيرا إلا بمشورتهم وعلى رأسهم الخليفة العباسى ، وجعل التعزير من اختصاصه ، ويدخل فيه شئون الحكم الإدارى ومحاكمة المتآمرين على الدولة ، وقد جدّت في عهده أمور تستدعى منه يقظة وحزما ، ومن معاونيه إخلاصا وبذلا ، ومن الشعب تأييدا وعملا ، وسنذكر بعضها فيما بعد ، ومن أشد الأمور وقعا على فؤاده ، وإثارة لقلقه وأرقه العرب والعربان ، فأما العرب فهم

عرب الحجاز وفى مقدمتهم أبناء شريف مكة ووالى ينبع ، فقد حدث شقاق حول ولاية مكة فالحكومة فى مصر ارتضت « الشريف بركات » ورفضت أن يكون أخوه « الجازانى » عاملا لها وكان الجازانى جاهلا غشوما لا يردعه دين ، ولا يرهبه قانون ، فانتهز فرصة موسم الحج فعاث فى الأرض فساداً ، تعرض للمحمل المصرى ومعه عرب بنى إبراهيم وانضم إليه والى ينبع ، فقاتل المصريين قتالا عنيفا وكانت المعركة على الجبل وقد فوجىء أمير الركب بهذا الهجوم فكان دفاعه غير مجد ، فنهب المحمل ، وسلبت حلى النساء ، وانكشفت رءوسهن ولقين أهوالا كبارا وكان الشريف بركات فى جماعة المصريين فرجع إلى مكة منهزما ، وعاد من تبقى من المصريين إلى بلادهم ، وفى الطريق وجدوا الآبار وقد ردمت بالحجارة فمات منهم خلق كثير ، ومن عاش منهم أصابهم الويل من قطاع الطرق من عرب « بنى لام » فمنعوهم دخول العقبة وفرضوا عليهم ثلاثة آلاف دينار ، جمعها أمير الحج ودفعها لهؤلاء المجرمين حتى تمكنوا من طلوع العقبة والاتجاه نحو مصر ، وقد حزن الغورى حزنا شديداً لهذا الحدث ، وعاقب به أمير الحج ومن ظن فيه التقصير فى الدفاع عن شرفه ، وقد صار الجازانى مصدر رعب لا لمصر فحسب ، ولكن لكل المسلمين القادمين من العراق وغيره ، وعطلت مصر المحمل حينا ، وأرسلته مع الرجال فقط حينا آخر ، ومكة تحت الإدارة المصرية ولابد أن يستتب الأمن فيها وأن تعمل على سلامة الحجاج من كل بلد إسلامى . وبينما الغورى فى صراع مستمر مع هؤلاء العرب الخارجين على الطاعة ، والفرنجة يهاجمون الثغور شمالا وجنوبا فى البحر المتوسط والمحيط الهندى ، إذ به يفاجأ بعبث العربان فى مصر وهو الأمر الثانى الذى أرقه وأخرجه عن طوره ، أخذ هؤلاء العربان يثيرون القلاقل والاضطراب فى الشرقية والغربية والبحيرة والصعيد ، روعوا الآمنين وقتلوا الموظفين ، فأرسل إليهم أمراءه وجنوده لاستتباب الأمن حتى يتفرغ للنوائب والنوازل المدلهمة شرقا وغربا وجنوبا ، ومن ثم كان قاسيا فى قمع الفتنة ، والفتك بالخارجين على السلطان .

ويذكر ابن إياس فى « بدائع الزهور » أن الأمراء الذين توجهوا إلى محاربة العربان صاروا يقطعون رءوس شباب العربان ويرسلونها إلى القاهرة فى شنف التبن على الجمال ، وراح الصالح مع الطالح حتى مهدوا البلاد ، وقتلوا أكثر من الفين ، فسكن الاضطراب الذى كان بالشرقية والغربية قليلا ، وخف أمر الهدير الذى كان فاشيا فى البلاد ، وهنا حزم أمره وصح عزمه على التخلص من الجازانى حتى يستتب الأمن حول بيت الله الحرام ، ويؤدى المسلمون فريضة الحج آمنين على أنفسهم وأموالهم ونسائهم ، ولم يجد بدا من استخدام المماليك المجاورين فى مكة للقضاء على هذا الطاغية فقد احتالوا عليه فقتلوه فى طرقات مكة « فلما تحقق ذلك سر الناس لهذا الخبر » .

هكذا يقول ابن اياس ، حدث هذا سنة (٩٠٩ هـ ـ ١٥٠٣ م) وفى العام التالى تعطل الحج لثورة عرب بنى إبراهيم بزعامة أمير ينبع وأمير خليص على السلطان ، فأمر الغورى بإبطال التوجه إلى الحج حتى يرى رأيه ، ويقضى على الفتنة الفاشية ، وعاد الحجاج القادمون من التكرور والمغاربة إلى بلادهم وقد شبهوا هذا بما حدث من القرامطة على عهد الخليفة القاهر بالله العباسى حيث انقطع الحج لأكثر من عشرين

من ذكريات المحصل

عاما ، لكن الغورى لا يقبل أن يستمر الاضطراب وتعطيل فريضة الحج ، ففصل الأمراء الخارجين على طاعته ، وأصدر أوامره إلى جيشه بالتحرك ليقضى على هؤلاء الأمراء الذين تحولوا إلى قطاع طرق وسفاكى دماء .

والمماليك حوله كان يراهم المأمن الذى يجب الحذر منه ، فقد ذهب عقلاؤهم ، وقل من يحسن المشورة ومن ينهض للذب عن الحرمات فكان من حين إلى آخر يجتمع بهم ويأخذ بيعتهم له ، ويحلفهم على المصحف العثمانى ، ويقيم لهم الولائم ، ليضمن إخلاصهم وتعاونهم وهم يعلمون كل العلم انه كان زاهدا فى رئاستهم وتولى الحكم من بينهم وقد أتاهم الخور والتكاسل من الرفاهية والركون إلى طيبات الحياة الدنيا ، فكان همهم فى جمع المال وتولى المناصب ، فكان أمره وأمرهم على طرفى نقيض ، فهو جاد وهم عابثون ، وهو يقظ وهم غافلون ، فتراهم يظلمون ويرد هو المظالم ، ويتعرضون للسيدات فيقبض عليهم ويدفع مالا لهؤلاء السيدات تطيبيا لخواطرهن وإشعارا بالعدالة معهن . ومن غريب أمره أيضا أنه أراد تطوير السلاح وقد أحس بتطويره عند أعدائه ، فحاول أن تكون له مدفعية ، فكانت عند استخدامها تطير قطعا فى الهواء ، فيمتلىء صدره غيظا وأسى .

ومع انه كان يحاول العدالة ما وجد إلى ذلك سبيلا إلا انه لم يسلم من السنة الناس ونكت المصريين ، بنى مدرسته ومسجده القائمين بالشارع الذى ينسب إليه ، فقالوا إنه أخذ رخامها من أماكن شتى بأبخس الأثمان ، وكانت نفقات البناء من وجوه المظالم ومصادرات الناس . شنع عليه الشعب وقد سمى بعض الظرفاء مدرسته « المسجد الحرام » لما وقع فيها من الغصب والاستيلاء على الأموال من غير وجه حق . يقول ابن إياس : « أهل مصر ما يطاقون من السنتهم إذا أطلقوها فى حق الناس » فكان كما قيل :

ومن سوء حظ المرء فى الدهر أنه
يلام على أفعاله وهو محسن

وابن إياس نفسه لم يسلم الغورى من لسانه ـ مع أنه رد إليه مخصصاته المالية بعد انقطاعها عنه ـ فلما بنى الغورى جامعه ، وتحدث الناس عن المظالم قال ابن إياس شعرا هو :

بنى الأشرف الغورى للناس جامعا
فضاع ثواب الله فيه لطالبه
كمثل حمام جمعت فى شباكها
متى تلق عنها طار كل لصاحبه

وأنا لا أعنى بنكات المصريين ولا بشعر ابن إياس ، إنما يهمنى ما يلقاه الغورى من متاعب ومصائب فى دولته ، وما ألزم نفسه من تبعات وهى جسام : تحولت عنه التجارة العالمية وصارت إلى رأس الرجاء الصالح ، وصار البحر المتوسط مزعجا لكثرة المغيرين على ثغوره ، فما إن ينوى السفر إلى الأسكندرية حتى يأتيه خبر مزعج من الكرك أو لبنان فيفزع إلى الرحيل ، حتى تأتيه الأنباء من الهند بأنها تتعرض لتجارة البرتغال وهجماتهم واستنجادهم به ، فيرسل إلى كل هذه الجهات أمراءه وقواده وجنوده ينتصرون حينا ويهزمون حينا آخر ، وهو ساهر يترقب وصول الأنباء ، فإذا انتصر جيشه ووثق بانتصاره دقت الطبول ليفرح معه شعبه ، ومن

الانتصارات التى سجلها ابن إياس المعركة البحرية التى وقعت فى مياه الهند بين المصريين والفرنجة وفيها انتصر الأمير حسين « على الفرنج الذين يتعيشون فى البحر ، وغنم منهم العسكر غنائم كثيرة » . ولما علم بذلك الغورى أمر بدق « الكوسات » فدقت ثلاثة أيام متوالية ، ثم إن الأمير حسينا أرسل يطلب مددا ليقضى على هؤلاء القراصنة .

وكان الغورى يشعر أنه على رأس دولة هى مركز الإشعاع فى العالم الإسلامى ، وأن بها الخلافة العباسية ، فكان ينظر إلى ما حوله ويطيل النظر ، يحذر من إسماعيل شاه الصفوى حاكم الفرس والعراق ، ويحذر آل عثمان فى آسيا الصغرى ، وبجانب ذلك يخاف وقوع ليبيا والجزائر فى يد الفرنجة . ولما اعتدى الفرنجة على طرابلس بليبيا ، وقتلوا من أهلها أربعين ألفا حسب الرواية حزن الناس فى مصر ، وبلغ الغورى ما بلغ الناس فتكدر للغاية ، ولما جاءت الأخبار أن صاحب « تلمسان » انتصر على الفرنج وطردهم من طرابلس سر السلطان والناس قاطبة .

ومعنى هذا أن الشعب المصرى كان يرى نفسه مسئولا عن بلاد العرب والمسلمين جميعا يستوى فى ذلك شمال أفريقية وثغور الشام وملاحة البحر الأحمر والمحيط الهندى ، ولكن العرب فى الحجاز والعربان فى مصر شغلوه وشغلوا بالسلطان عن النظر فيما يجرى بين السلطان سليم والخونة مما أدى إلى الاحتلال العثمانى ، ونقل الخلافة من القاهرة إلى استنبول سنة ١٥١٧ م ولو أتيحت للغورى الفرصة لجعل من دولته العريضة مثالا للدولة الناهضة بمسئولياتها ، الظاهرة على أعدائها المحافظة على تراثها ، المجددة لحياتها على مر الأيام وكر الأعوام . والله يفعل ما يشاء .

اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام - بقية -

تمشيا مع اعتقاد قدسية العهد القديم واستدلالهم بنصوصه .

رابعا : أن التلمود بأقسامه وتعاليم الآباء الشفوية كان مصدراً من أهم المصادر لدى اليهود فى تصورهم للآخرة ومافيها من بعث وثواب وعقاب .

خامساً : أن اليهود - باستثناء بعض فرقهم كالصدوقيين ، والدوستانية يقرون بالبعث على نحو ماورد فى أسفار الأنبياء ، وما ورد فى التلمود والتعاليم الشفوية التى يدعون انتقالها عن طريق الآباء .

سادساً : أن بعض اليهود على عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - كانوا يؤمنون بالآخرة[١٨] .

---

(١٨) انظر صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥١٥ طبعة عيسى الحلبى ، فتح البارى جـ ٢ ص ١٨٢ / ١٨٣ .

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

هارون - عليه السلام - نبى أم رسول ؟

س : موسى عليه السلام نبي ورسول ، فهل هارون - عليه السلام - رسول ام نبى ؟
فتحى محمد سليمان - ابنوب - اسيوط

جـ : تكلم العلماء فى الفرق بين الرسول والنبي فقالوا : إن النبي من نبأه الله بخبر السماء ولم يؤمر بإبلاغه إلى الناس .

والرسول من نبىء بخبر السماء وأمر بإبلاغه إلى الناس . ولذلك قالوا : « إن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً . » .

ومن العلماء من قال إن فى الأنبياء رسلاً ..
وعلى أى حال فإن هارون-عليه السلام-نبى ورسول .

قال تعالى فى شأنه وشأن موسى - عليه السلام - مع فرعون فى سورة طه - ٤٤ - : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ .
وقال تعالى :
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ . فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ . المؤمنون « ٤٥ - ٤٧ » .

هل يجوز تمليك المال للأولاد دون الزوجة ؟

س : لى خمسة اولاد وبنت توفيت والدتهم وتزوجت باخرى ولم تنجب وميسورة الحال .. فهل يجوز لى ان اكتب ماامتلك لاولادى دون زوجتى .. ام لا ..؟

ح . ا . م السويس

جـ : إن الله عز وجل اعطى للعبد حق التصرف فى ماله ، وهنا يكون الامتحان والابتلاء - فإن احسن فله الحسنى ، وإن أساء فعليه وزر إساءته .

وإن الله عز وجل أعطى لكل ذى حق فى الميراث حقه . سواء كان فقيراً ام غنياً .

فلا يليق بالمسلم ان يتحول عن الطريق السليم الذى رسمه الله فيدخل أو يخرج وارثاً .

وعليك ياأخى ان تعطى لزوجك حقها - وهو الثُّمُنُ - حتى تبرأ ذمتك ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ « النساء ١٣٥ » .

- والله الموفق -

الإحرام بالحج قبل أشهر الحج

س : ويسأل حسين عبد المطلب من دمنهور عن جواز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج ؟

جـ : اختلف الفقهاء فيمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج وهل يصح إحرامه على أقوال :

الأول : روى عن ابن عباس أنه قال : من سنة الحج أن يحرم به فى أشهر الحج .

الثانى : ذهب الشافعى إلى أن من أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك ويكون عمرة ، كمن دخل فى صلاة قبل وقتها فإنها لا تجزيه وتكون نافلة .

الثالث : مذهب أحمد ويرى أنه مكروه فقط ويجوز الإحرام قبل دخول أشهر الحج .

الرابع : مذهب أبى حنيفة جواز الإحرام فى الحج فى جميع السنة كلها وهو مشهور مذهب مالك ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ وقالوا : كما يصح الإحرام للعمرة فى جميع السنة ، كذلك يجوز للحج . قال العلامة القرطبى :

« وما ذهب إليه الشافعى أصح

رفع اليدين فى الدعاء

س : أرجو إفادتى عن السنة فى رفع اليدين فى الدعاء . والحكم فى إنكاره .

س . يوسف

جـ : السنة رفع اليدين فى الدعاء وهو من أسباب الإجابة لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن ربكم حى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا » .. ولقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ وقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : (يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك) .

وقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - فى أحاديث كثيرة أنه رفع يديه فى الدعاء فى خطبة الاستسقاء وعند الجمرة الأولى والثانية فى أيام التشريق فى حجة الوداع وفى مواضع كثيرة .

ولكن كل عبادة وجدت فى عهده - صلى الله عليه وسلم - ولم يرفع يديه فإنه لا يشرع لنا أن نرفع أيدينا فيها تأسيا به - صلى الله عليه وسلم - كخطبة الجمعة وخطبة العيد والدعاء بين السجدتين والدعاء فى آخر الصلاة والدعاء أدبار الصلوات الخمس المفروضة ، لأن ذلك لم يثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - والمشروع لنا التأسى به - صلى الله عليه وسلم - فى الفعل والترك .. كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .. الآية ..

أما استنكار بعض الناس الدعاء بعد الصلاة - مستمسكاً بما جاء فى صحيح مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - : « كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يثبت إلا قدر ما

الفتـاوى

يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » .

فيقول الحافظ ابن حجر : إن المراد بالنفى المذكور نفى استمراره جالساً على هيئة قبل السلام إلا بقدر ذلك ، فقد ثبت أنه كان – صلى الله عليه وسلم – إذا سلم أقبل على أصحابه ، فيحمل ما ورد على أنه كان يدعو بعد أن يقبل على أصحابه .

اخرج الإمام أحمد والترمذى والنسائى وصححه الحاكم من حديث أبى بكرة فى قوله : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ..» .. كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو بهن دبر كل صلاة ..

وأخرج أبو داود والنسائى من حديث زيد بن أرقم « سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو فى دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شىء » .

وأخرج الترمذى من حديث أبى أمامة قيل يارسول الله أى الدعاء أسمع قال : « جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات » .

وفى ذلك رد على من ينكر أن الدعاء من سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قولاً وفعلاً .

والله الموفق

حكم من يرفض الزواج

س : ويسأل خ . ا . ع من كفر الشيخ عن حكم الإسلام فى شخص توفى ولم يتزوج لرفضه فكرة الزواج ، هل يعد من الراغبين عن سنة سيدنا محمد – ﷺ – ؟

جـ : صح فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أن النبى – ﷺ – قال للثلاثة الذين اعتزموا الصيام والقيام وترك الزواج : « أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

والمراد بالسنة الطريقة والشريعة التى جاء بها وهى تشتمل على أوامر ونواه ، والأوامر منها واجب ومنها مستحب . والزواج قد يكون واجبا على من عنده القدرة ويخاف على نفسه الفاحشة ، وقد يكون مندوبا لمن لا يخاف على نفسه الفاحشة ، وقد يكون حراما على من يخل بحق المرأة وبحق الإنفاق مع قدرته عليه ، وقد يكون مكروها لمن يخل بحق المرأة لكنها راضية لأنها غنية وليست لها رغبة قوية فى الجماع ، وتشتد الكراهة إذا انقطع بذلك عن شىء من الطاعات ، وقد يكون مباحا إذا انتفت الدواعى والموانع .

فالذى يترك الزواج الواجب يكون عاصيا ، وحينئذ يكون معنى (فليس منى) أنه مخالف للشريعة الإسلامية،وليس من المؤمنين الكاملين لأن إيمانه ناقص بالمعصية والذى يترك الزواج المندوب لا يكون عاصيا ولكن فاته الثواب وحينئذ يكون معنى (فليس منى) أنه لم يعمل كما يعمل الرسول وهو الأسوة الحسنة ، والرسول يحب من المؤمنين أن يحافظوا على الواجبات والمندوبات ليكونوا فى ذروة الكمال .

وإذا ترك طريقة الرسول – ﷺ – بواجباتها ومندوباتها لعدم إيمانه بها أو لاستهزائه بما فيها يكون كافرا ، ويكون معنى (فليس منى) ليس مؤمنا بى أى كافرا ، والمرجو التريث فى الحكم على من يرتكب معصية أو يترك سنة ، ولا نسارع بالحكم عليه بأنه ليس من المؤمنين ونفسر ذلك بأهوائنا .

أستاذ الأجيال ، العالم والإنسان



عضو المجمعين

للأستاذ
ناصر محمود وهدان

تقديم ..

علم من اعلام مصر المعاصرين ، واديب من ادبائها المعدودين ، وسفير من سفرائها المبرزين ، استاذ الأجيال بلا منازع ، دائرة معارف تمشى على قدمين ، هو البحر ماله شاطئان .. الكتابة عنه - الآن - اعتذار له عن نسيان عطاء متجدد لعدة عقود فى خدمة اللغة العربية والدين ، فهو قطب من اقطاب اللغة والتربية يُشار إليه بالبنان . خرج اكثر من ثمانين فرقة من طلابه وهو لازال يواصل العطاء فى مصر والعالم الإسلامى ، وجامعات انجلترا وغيرها .

ولا نخبر بمجهول عندما نقول : إن أبرز خصائصه ذلك الإخلاص الذي يوليه كل عمل يعهد به إليه ، فيقبل عليه بكل طاقاته - رغم تقدم السن - حتى يوفيه حقه .

وبهذه الميزة يستحوذ على احترام الجميع ، وبخاصة طلابه الذين يحبونه من كل قلوبهم ، ويحبهم من كل قلبه فهو معهم بمقام الأب الذى لا يضن على ابنائه بخير ، لا مقام الحسيب عن سطوة ، المعاقب على هفوة .

هذا إلى ما يميز نتاجه الفكرى من منهجية علمية ، لعلها أثر من ثقافاته المتعددة السابقة التى تمكنه من الجولان فى أى ميدان يمس الفكر والنفس وكل ذلك فى صياغة أدبية تؤكد حبه للبيان العربى ، وحب اللغة العربية له .

إنه العالم الجليل ، أستاذ الأجيال الدكتور مهدى علام عضو مجمع البحوث الإسلامية ، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية .

من أعــلام الأزهــــر

تعليمه الابتدائى والثانوى

الدكتور محمد مهدى علام « اسم الشهرة : مهدى علام » من مواليد « ٣ اكتوبر سنة ١٩٠٠ م » ، بالقاهرة .

تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة « جوهر اللاله » ، يقول : وكان من زملائى فى هذه المرحلة الأستاذ الدكتور احمد فهمى أبو سنة(١) . اما الدراسة الثانوية فقد تلقاها بمدرسة « عثمان باشا ماهر » ، ومن زملائه الذين يذكرهم فى هذه الفترة الأستاذان : مجاهد معوض - وبدر السيسى الذى كمل بالأزهر وكان قاضيا شرعياً له قيمته .

فى دار العلوم

ثم تقدم لامتحان المسابقة للقبول بدار العلوم فى نوفمبر (١٩١٦) م ، وكان أول الناجحين .

وبدأ الدراسة بها فى يناير (١٩١٧) . [كما كان نظام المستر دنلوب مفروضاً عليها عندئذ] وتخرج فى يونية « ١٩٢٢ » م . ثم عاد مدرسا بها بعد ذلك ، وقد رأيت له صورة مع طلبة الدبلوم سنة ١٩٢٣ م ومن نشاطه بدار العلوم - وهو طالب بها عام (١٩١٩) م - كتابته مذكرات طلبة مدرسة المعلمين الناصرية العليا (دار العلوم) مطالباً بالحجة والبرهان مساواة متخرجى المدرسة بمتخرجى مدرسة المعلمين السلطانية العليا . وقد استجاب المسئولون لهذا المطلب ، وكان لهذه المذكرة الفضل فى إنشاء (تجهيزية دار العلوم) لأول مرة عام ١٩٢٠ م(٢) .



الأستاذ الدكتور مهدى علام
سنوات شبابه

بعثته للخارج

ثم أرسل فى بعثة علمية إلى انجلترا ، فاستكمل دراساته العليا ، فى جامعات « اكسترا ، ولندن ، ومانشستر » ، وقد شملت دراساته العليا : الأدب الانجليزى ، واللغة العبرية ، واللغة الفارسية ، واللغة الألمانية ، وعلم النفس ، وحصل فى هذه الدراسات على

---

(١) الدكتور / احمد فهمى ابوسنة ، زميل الدكتور / مهدى بمجمع البحوث الإسلامية ، والمعار حالياً لجامعة ام القرى بالسعودية ، وقد سبق التقديم عنه بمجلة الأزهر .. الكاتب .

(٢) اطلعت على هذه المذكرة وهى مكونة من تسع ورقات ، وتعتبر تاريخا لدار العلوم فى هذه الفترة ولا يتسع المقام لنشرها .. الكاتب .

دبلومات عالية فيها ، وعلى درجة الدكتوراة .

مساره العلمى

● قام بالتدريس فى كلية دار العلوم ، وفى قسم التخصص بجامعة الأزهر من (١٩٢٨ م) حتى سنة (١٩٣٦ م) .

● وفى جامعة مانشستر من سنة (١٩٣٦ م) حتى سنة (١٩٤٨ م) لمدة « ١٢ » سنة .

● وفى قسم الدراسات العليا لشعبة اللغة الانجليزية بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر من سنة (١٩٦٢ م) حتى سنة (١٩٨٣ م) لمدة عشرين عاما .

● وقد أسهم فى إنشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس سنة (١٩٥٠ م) وشغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها ، وكرسى الأستاذية للغة الانجليزية وآدابها فى آن واحد ، وكان عميداً للكلية (٧) سنوات من عام (١٩٥٤ م) حتى عام (١٩٦١ م) .

● وحين بلغ سن التقاعد عُين أستاذاً غير متفرغ بها ، ومازال يمارس عمله هناك فى محاضراته عن اللغة الانجليزية والترجمة للدراسات العليا[٣] .

● وعمل أستاذا للنقد بالمعهد العالى من سنة ١٩٥٢ م حتى سنة ١٩٥٧ م .

● وقد أشرف على عديد من رسائل الدراسات العليا فى الأدب العربى ، والأدب الانجليزى « للماجستير » و « الدكتوراة » منفرداً ، أو بالمشاركة مع الابن البكر كما يسميه الدكتور مهـدى ، أو أعنى الـدكتـور إبـراهيـم عبد الرحمن[٤] .

● كما كان الدكتور : مهدى رئيسا منتدباً لقسم اللغة الانجليزية بمدرسة الألسن عن افتتاحها فى الفترة من « ١٩٥١ م » حتى سنة « ١٩٦٣م » .

● وعُين رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر من عام (١٩٦٢ م) حتى عام (١٩٦٤ م) .

● ثم عُين مستشارا لوزارة الإرشاد القومى « الثقافة » من عام « ١٩٦٤ م » حتى عام « ١٩٦٩ م » .

● وكان مستشاراً للمؤتمر الإسلامى من عام (١٩٥٦ م) حتى عام (١٩٦٢ م) .

● وكان أستاذنا الدكتور مهدى عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب « دار الوثائق القومية » من عام (١٩٤٩ م) ، ولأكثر من عشرين عاماً .

● كذلك عمل رئيسا لتحرير مجلة « حوليات كلية الآداب » جامعة عين شمس من عام « ١٩٥٠ م » حتى عام (١٩٦١ م) ونائب رئيس التحرير لصحيفة دار العلوم من عام « ١٩٣٤ م » حتى عام « ١٩٣٧ م » .

● وهو عضو لجان الفحص للإنتاج العلمى لترقية الأساتذة المساعدين ، والأساتذة فى لجان اللغة العربية ، والانجليزية بجامعات مصر بما فى ذلك جامعة الأزهر .

● وهو عضو مؤسس بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ـ منذ نشأته ـ عام (١٩٦١ م) ومقرر للجنة إحياء التراث الإسلامى فيه .

● وقد عُين الدكتور مهدى عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى أبريل سنة (١٩٦٠ م) ، وانتخب أمينا عاما له فى ١٩٧٧/٤/٤ م ، ثم انتخب نائباً للرئيس فى ديسمبر (١٩٨٣ م) حيث يعمل إلى الآن .

(٣) بالمناسبة درس لى أستاذى د . مهدى فى الدراسات العليا بآداب عين شمس مادة : نصوص مستشرقين .

(٤) الدكتور إبراهيم عبد الرحمن .. تلميذه الوفى صاحب المؤلفات الشهيرة فى النقد الأدبى ، ورئيس قسم اللغة العربية ، والمدير العام لمركز الخدمة بجامعة عين شمس سابقا .. الكاتب .

من أعــلام الأزهـــر

● وكان الدكتور مهدى عضواً مؤسساً للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (ثم العلوم الاجتماعية) منذ نشأته سنة (١٩٥٦ م) إلى أن حل محله (المجلس الأعلى للثقافة) ، وكان مقرراً فيه للجنة الدراسات الأدبية ، ولازال به حتى الآن[٥] .

● وهو عضو فى المجلس الأعلى للثقافة . ومقرر لشعبة الآداب فيه . وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وعضو المجلس القومى المتخصص للثقافة والأدب والإعلام ، ومقرر لشعبة الثقافة فيه . وعضو المجمع العلمى المصرى .

تلك نبذة مختصرة عن « سيرة » ـ أستاذنا الدكتور / مهدى ـ العلمية ـ مد الله فى عمره .

تجربة نادرة

وفى سنة (١٩٣٠ م) مر بتجربة نادرة ، عندما اختارته وزارة المعارف بناء على طلب من السراى الملكية ليكون معلما خاصا للأمير « فاروق » ـ ولى العهد وقتئذ ، ولقد ظل فى هذا العمل مدة سنة وأكثر قليلاً . وعن هذه الفترة قال لى الدكتور مهدى علام :

« كان المشرف على تربية الأمير : أقصد فاروق » أحد « الباشاوات » ، وكان لا يفهم شيئا عن شئون التربية والتعليم . وكان معى أربعة أساتذة آخرون وكنا نتعاقب يوميا ، على هذا التلميذ الذى كان فى حدود الحادية عشرة من عمره . واقترحت على هذا الباشا أن يختاروا خمسة أو ستة من الأولاد فى سن الأمير ليكونوا معه مدرسة خاصة ، لتتجاوب غرائزهم ، ويتنافسوا بعضهم مع بعض ، ويخف عن التلميذ الوحيد ضغط استقباله وحده لخمسة أساتذة كل يوم . وبالإضافة إلى أن هذا الاقتراح كان معيباً و« مهينا » فى نظر ذلك الباشا ، فإننى زدت الأمر سوءاً عندما قلت : إن هذا النظام كان متبعاً فى تعليم أولاد الخديوى « عباس حلمى الثانى » ، وبذلك اتضح أن آرائى ثورية . وانتهت مدة انتدابى للتدريس للأمير .

لقد كنت أعارض فى تزييف التاريخ الذى طُلب منِّى بأن يكون الملك « فؤاد » هو الذى وَلِىَ المُلْكَ بعد الخديوى « إسماعيل » والده . ولما قُلتُ : ماذا أفعل « بتوفيق ، وعباس الثانى ، وحسين كامل » ؟! ، قيل لى بُكل جُراءة : اقطع الأوراق الخاصة بهم من كتاب التاريخ ولما شكوتُ من أن فاروق لم يكن قد رأى من الحيوانات غير الحصان والكلاب والقطط ، وأن من اللازم أن يزور حديقة الحيوان قالوا : على شرط إخلائها ، يوم زيارته من الناس .

ولما قلت ، إنه محروم من رؤية الناس ، وهذا سىء الأثر عليه ، قيل لى : اننى لا أحتفظ بما يجب له من العزلة اللائقة به .

لقد كان معه من الأساتذة المرحوم الأستاذ / شفيق زاهر « للرياضة والرسم » ، ومستر هاثواى « للغة الانجليزية » ، وميسو رابيينا « للغة الفرنسية » ، وإبراهيم خيرى باشا « لركوب الخيل » ، وباقى المواد الدراسية كان مسئوليتى وهى « اللغة العربية والثقافة الدينية والتاريخ » .

وإنصافاً لهؤلاء الزملاء أقرر أن عدد دروسهم

---

(٥) كانت أول لجنة بالمجلس الأعلى للفنون والآداب هى لجنة الشعر ويرأسها المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد ، ولجنة أخرى هى لجنة النثر ويرأسها الأستاذ الدكتور مهدى علام .. الكاتب .

الأسبوعية كان نسبيا محدوداً لكل منهم ، أما أنا فكان عليّ أن أذهب إليه كل يوم ساعتين ، ساعة فى الصباح ، وساعة بعد الظهر .

دور الأزهر فى ثورة ١٩١٩م

أما عن دور الأزهر فى ثورة ١٩١٩ م فلقد ذكر لى الدكتور /محمد نايل[٦] ، انه فى حديث عابر بمجمع اللغة العربية ، قال الأستاذ الدكتور مهدى علام : لقد كانت ثورة ١٩١٩ م تدار قيادتها ، ومعاركها من الأزهر ، وقد عُين الشيخ محمود أبو العيون « حكمداراً » للقاهرة .

ومن ابرز خطبه قوله : « الثورة مجنونة لا تعرف التريث » .

فلما اعتقل الشيخ / أبو العيون ، قرر الثائرون تعيين الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، (حكمداراً) للقاهرة بدلا منه ، فخطب يومها على المنبر وقال : « الحمد لله الذى جعلنى أجن خلف لأحن سلف » .

دوره فى ثورة ١٩١٩م

كان للدكتور مهدى علام فى ثورة ١٩١٩ م ، دور بارز وأداء للأمانة التاريخية ، واستجابة لبعض الخلصاء الذين رأوا أن السكوت عن هذه الأحداث إخفاء لجزء من التاريخ من حق القراء أن يعرفوه ، قرر لى صاحب هذه الترجمة ـ بعيدا عن تزكية النفس ، ومشهداً ربه تعالى عن تحرى الصدق :

أنه ـ إبان ثورة « ١٩١٩م » ـ كان العضو الممثل لدار العلوم فى لجنة المدارس العليا التى كانت تعمل فى سرية تامة لتغذية الروح الوطنية فى الشعب ، وأنها كانت على اتصال سرى بالمرحوم / عبد الرحمن بك فهمى ، السكرتير العام للجنة الوفد المركزية[٧] .

وأنها عن طريقه كانت تتلقى توجيهات الرئيس سعد زغلول (وهو فى باريس مع سائر أعضاء الوفد) ، هذه اللجنة هى التى كانت تُصدر المنشورات السرية : تكتبها وتطبعها ، وتكل لأجهزة خاصة توزيعها فى أنحاء البلاد .

إن كتابة المنشورات « وكذلك الجريدة السرية التى كانت تسمى « المصرى الحر » . كانت بقلم اثنين من أعضاء هذه اللجنة ـ مع الاتفاق على موضوعها ـ وهما المرحوم « عبد العزيز عز العرب » مندوب مدرسة المهندسخانة ، و« مهدى علام » ، مندوب دار العلوم .

وللتاريخ ذكر لى أستاذنا الدكتور / مهدى علام أسماء هؤلاء الأعضاء الذين لم يغب عنهم إلا اسم ممثل مدرسة الزراعة العليا ، وهؤلاء هم الأبطال الذى تشرف بأن عمل معهم :

● من مدرسة المهندسخانة ، المرحوم « عبد العزيز عز العرب » مدير بلدية القاهرة الأسبق .

---

(٦) الدكتور محمد نايل .. عميد كلية اللغة العربية فرع القاهرة سابقا ، وعضو مجمع اللغة العربية حالياً . هناك ترجمة عنه فى الطريق إلى نشرها بمجلة الأزهر .. الكاتب .

(٧) كان الاتصال المباشر بين اللجنة ، والمرحوم عبد الرحمن بك فهمى فى منزله الذى مازال قائما فى ش قصر العينى « تشغله دار الأدباء حاليا » مقصورا على اثنين من أعضاء اللجنة هما (عبد العزيز عز العرب ، ومهدى علام » وكان ذهاب من عليه الدور منهما إلى منزل عبد الرحمن بك يكون فى ثياب باعة جرائد ، لأن المراقبة على البيت كانت دائمة وشديدة .. ولقد علمت أن بعض النشرات التى كانوا يطبعونها أعطاها الدكتور مهدى علام للدكتور عبد الصبور مرزوق عندما كان يعد رسالته للدكتوراه عن أدب ثورة « ١٩١٩ م » بكلية دار العلوم ، ومعه النسخة الوحيدة الباقية من الجريدة السرية التى كانت لجنة الطلاب تصدرها إبان الثورة « ١٩١٩م » وهى المصرى الحر .. الكاتب .

من أعـلام الأزهــر

● ومن مدرسة الحقوق ، « إبراهيم عبد الهادى » ، رئيس الوزراء سابقا ، و« حسين إدريس » المستشار بمحكمة الاستئناف العالى .

● ومن مدرسة التجارة العليا السيد « سُكَّر » ؛ الذى لم تطل مدته فانقطع ثم توفى .

● ومثل مدرسة الطب « إبراهيم خليل » و« حلمى الجيار » ، طبيبان معروفان فى وقتهما .

● ومدرسة الطب البيطرى « حافظ شرف الدين » كبير الأطباء البيطريين سابقاً .

● ومدرسة الصيدلة « حسين النحاس » ، صاحب صيدلية ابن النيل سابقا .

● ومدرسة المعلمين السلطانية « محمود عوضين طه » ، من كبار رجال التربية[٨] .

● والقضاء الشرعى « محمد عبد الرحمن الجذيلى » وكيل الوزارة للشئون الإسلامية بمجلس الوزراء ـ رحم الله الجميع وأحسن إليهم .

● وأخيراً مدرسة دار العلوم مهدى علام .

فى مجمع البحوث الاسلامية

أنشىء مجمع البحوث الإسلامية فى سنة ١٣٨١ هـ سنة ١٩٦١ م بمقتضى القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ م ، وقد حل محل جماعة كبار العلماء بالأزهر التى كانت قائمة بمقتضى القوانين السابقة ، وهو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ويتألف من خمسين عضوا ـ فى بداية أمره ـ من بينهم عدد من الخارج لا يزيد على العشرين ، ويرأس مجلس المجمع فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر .



دكتور مهدى علام استاذا للامير فاروق ١٩٣٠ / ١٩٣١

وقد صدر أول تشكيل للمجمع بالقرار الجمهورى رقم (٦٢٧) لسنة ١٩٦٢ م فى ٢٥ من شعبان سنة ١٣٨١ هـ (٣١ من يناير سنة ١٩٦٢ م) ويتكون من تسعة عشر عضواً أولهم الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر سابقا ، ومنهم الشيخ أبو زهرة وكيل سابق لكلية حقوق القاهرة ، والدكتور مهدى علام عميد سابق بآداب عين شمس .

وعن نشاط أستاذنا بالمجمع .. شهد سيادته جلسات ومؤتمرات المجمع الذى لازال به عضوا حتى الآن . ولأستاذنا صولات فى قاعات المجمع دفاعاً عن اللغة العربية ، وكشفا لآراء واتهامات المستشرقين الملتوية ضد الإسلام من أمثال

---

(٨) المرحوم محمود عوضين طه ، توفى أثناء تصحيح تجارب كتاب « المجمعيون فى خمسين عاما » للدكتور مهدى سنة ١٩٨٥ م وهو آخر من كانوا من زملاء الدكتور مهدى فى الكفاح على قيد الحياة .

المستشرق النمساوى شاخت وغيره ، كما حدث فى مؤتمر لاهور بباكستان . وفى إحدى جلسات المجمع كان للدكتور مهدى دور بارز ـ مع زملائه بالمجمع ـ فى الرد على القائلين باستعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية من المستشرقين وتلامذتهم فى الشرق(٩) فكان يفند آراءهم بما عرف عنه من منطقية وحجة وبرهان ناصع .

ومن اقتراحاته بمجمع البحوث الإسلامية :

اقتراحه بوضع التفسير الوسيط يقول : وقد قمنا بتحريره عدة سنوات بمساعدة الشيخ أبى زهرة ، والأستاذ محمد خلف الله وهو التفسير المنشور الآن .

ثانيا : وضع مجموعة الأحاديث الشريفة الموثقة ، ليكون متداولا ، وقاضيا على الأحاديث الموضوعة المتناثرة على أيدى الناس .

ثالثا : وضع كتاب للإسرائيليات المنتشرة فى كتب التفسير ، وقد استجاب ـ بعد نهاية المؤتمر ـ للعملين الأول ، والثالث . أما الثانى : فقد كُلف به أستاذ فاضل مختص بتأليفه وهو الأستاذ الدكتور محمد ابو شهبة(١٠) رحمه الله .

وكان السؤال بعد ذلك : هل نحذف الإسرائيليات من التراث ؟

ولم يتم ذلك ؛ وإن كان اقتصر الموقف على أن يُشير الناشر بتنبيه إلى هذه الإسرائيليات .

بين الدكتور مهدى والشيخ أبو زهرة

وعن ذكريات أستاذنا الدكتور / مهدى علام بمجمع البحوث الإسلامية ، وعن علاقاته بزملائه فى المجمع ما حدث بينه ، وبين زميله المرحوم الشيخ « أبو زهرة » . قال لى الدكتور مهدى : « وانا رئيس لجنة تنظيم المؤتمر الثانى ، وكان من قواعد المؤتمر أن يقدم الباحثون بحوثهم مكتوبة فى أى حجم يريدون ، على أن يقدموا موجزاً عنه فى حدود ربع ساعة لإلقائه فى المؤتمر ، ولكن ابا زهرة ـ رحمه الله ـ أَبَىَ أن يخضع لهذه القاعدة ـ أَبَى أن يقدم موجزاً كغيره من اعضاء المجمع ، ولمعرفتى به ـ وأنا مقرر المؤتمر ـ وبإصراره على الا يُختصر كلامه ، سمحتُ له باسم المؤتمر أن يقول بحثه كاملاً .

ولقد القاه كاملاً فى اكثر من ساعة كاملة مرتجلا ، كان سلفيا ، وصاحب فكرة تقسيم طلبته فى المحاضرة إلى بنين وبنات ، وفوق هذا يتمتع بالذاكرة الحافظة ـ الواعية ـ رحمه الله رحمة واسعة(١١) .

فى مجمع اللغة العربية

انشىء مجمع اللغة العربية بمرسوم ملكى على اثره يتكون المجمع من عشرين عضواً . بتاريخ



(٩) انظر جلسات المجمع بتاريخ ١٩٧٣/٧/١ ، ١٩٧٤/٤/٢٣ م على سبيل المثال .

(١٠) راجع كتاب « الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير » للدكتور ابو شهبة عميد كلية اصول الدين بأسيوط ، طبعة المجمع سنة ١٩٨٥ م .. ومن الغريب ان الدكتور مهدى لم يحصل على نسخة من هذا الكتاب ، مع انه صاحب الفكرة فيه .. الكاتب ..

(١١) كان للمرحوم الشيخ ابى زهرة مع الدكتور مهدى أكثر من لقاء فى المجمع وخارجه ، ويظهر ذلك بوضوح فى مؤتمر « لاهور » بباكستان ، حينما تعاونا مع زملائهما العشرة اعضاء وفد مصر الممثلين للأزهر والجامعة والمجمع كمدافع ميدان يردون بقوة على اتهامات المستشرقين ، وكان للدكتور مهدى دور بارز فى المؤتمر باعتباره المترجم الرسمى له .. الكاتب .

من أعلام الأزهـــر

١٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٢ م كان الاعضاء من القمم التى اختارتها الدولة لتقيم بها البناء الذى يُمثل صرحا عظيما ، ولينضم إليه من يحل محل من يفقده المجمع سداً للفراغ ، واستكمالا للكيان .

ولقد عُين الدكتور مهدى علام عضواً بالمجمع ، ضمن العشرة الذين عينوا فى سنة ١٩٦١ م بمناسبة زيادة الأعضاء ، وتعديل قانون المجمع .

وللدكتور مهدى علام نشاط موصول فى مجلس المجمع ، ومؤتمراته ، ولجانه ، فهو مشرف على مجلة المجمع ، ومقرر للجنة المعجم الكبير ، ومقرر للجنة الأدب ، ومقرر للجنة التراث ، ومقرر للجنة الأصول ، وعضو لجنة الطب ، ولجنة الهندسة . وهو نائب رئيس المجمع حالياً .

ومن أنشطته بالمجمع تعريفه بخمسة وأربعين ومائة رجل من قمم المعرفة المتخصصين فى جميع فروعها ، ولاسيما التخصص فى محيط المعرفة اللغوية والأدبية ، فى اللغة العربية إلى جانب ما يزيد على عشر لغات حية وقديمة ، وذلك من حصيلة خمسين عاما يطوف بمجلة المجمع ، ومحاضر جلساته ، تحدثا بنعمة الله تعالى عليه ـ وهذه الرحلة العلمية الشاقة والشائقة اختار لها عنوانا هو : « المجمعيون الكرام فى خمسين عاماً » .

بالإضافة إلى ذلك ، تشهد جلسات المجمع ، ومحاضره كلماته الرقيقة فى استقبال اعضاء المجمع الجدد ، وكذلك فى تابين من غادر منهم الدنيا مع الترجمة الفورية لهذه الكلمات عندما كانت تُلْقى بالإنجليزية من امثلة ذلك :

= إلقاء كلمة نيابة عن الاعضاء الذين اختيروا للمجمع ـ وهو منهم ـ سنة ١٩٦١ . وذلك رداً على كلمة الدكتور / إبراهيم مدكور رئيس المجمع فى استقبالهم .

= ترجمة فورية لكلمة الأستاذ / محمد فريد ابو حديد فى تابين المرحوم الأستاذ / محمد شفيق غربال ، إلى الإنجليزية .

= ترجمة فورية لكلمة الاستاذ / توينبى فى تابين المرحوم الأستاذ / محمد شفيق غربال ، من الإنجليزية إلى العربية .

= كلمات فى تابين الأساتذة : الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، والأستاذ / حامد عبدالقادر ، والأستاذ احمد حسن الزيات ، والأستاذ هـ . ا . ر . جب .

= كلمة فى استقبال تلميذه الدكتور / مجدى وهبة عضو المجمع .

= دراسة عن الدواوين الفائزة فى جائزة المجمع[١٢] .

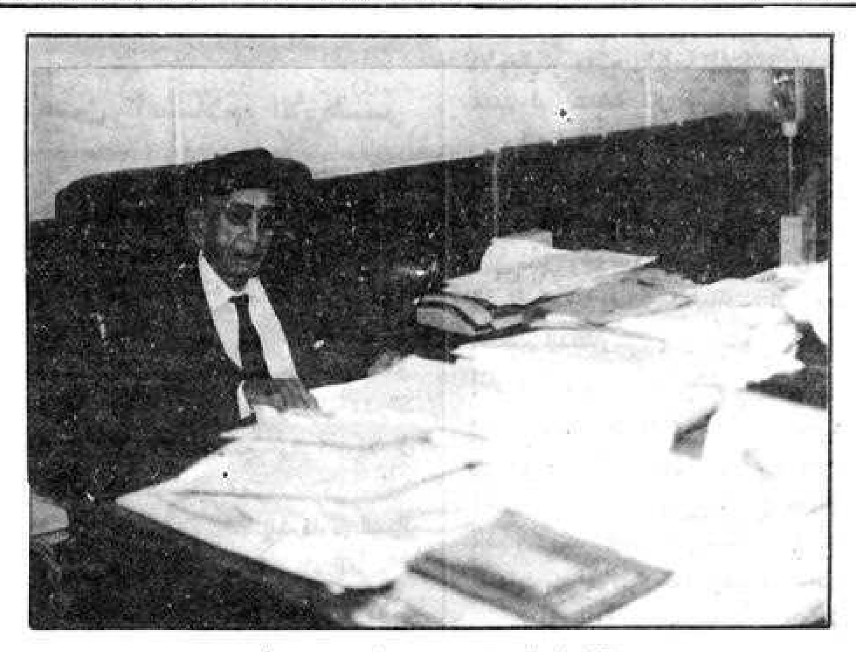
تلامذته .

اما عن تلامذته فى رحلته العلمية الطويلة ، فهم فى كل مكان ذكر لى منهم على سبيل المثال لا الحصر . اولاً فى الأزهر :

● من بين تلامذته الأزهريين : الدكتور / حسن عبدالقادر ـ رحمه الله ـ الذى كان رئيس

---

(١٢) راجع مجلة المجمع على سبيل المثال الاعداد ، جـ ١٥ ص ١٢٥ ، جـ ١٥ ص ١٥٩ ، جـ ١٥ ص ١٦٢ ، جـ ١٨ ص ١٥٥ ، د : ٣٠ ؛ جلسة ٢٨ للمجلس ، د : ٣٠ جلسة ٣١ ، جلسة ٢٤ ، ص ٣١٢ ، جـ ٢٢ ص ٢٤٢ ، جـ ٣٥ : ص ١٤٩ ، جـ ٤٥ ص ١٣٦ ، د : ٣١ جلسة ٧ د : ٣٢ جلسة ١٤ ، جـ ٤٣ ص ١٥ ، جـ ٤٤ ص ٥٥ ، جـ ٤٥ ص ١١ ، جـ ٣٢ ص ١٢٨ ، جـ ٢٠ ص ١٢٧ ، جـ ٢١ ص ٢٠٣ ، جـ ٢٣ ص ١٣١ ، جـ ٢٨ ص ١٦٣ ، جـ ٢٩ ص ٢١٦ ، جـ ١٥ ص ١٥ . الكاتب .



الأستاذ الدكتور مهدى علام بين بحوثه

المركز الإسلامى بلندن ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، وقد سبق الترجمة عنه بمجلة الأزهر .

= الدكتور / محمد شمس الدين إبراهيم أستاذ العقيدة والفلسفة المتفرغ بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية ـ مدّ الله فى عمره ـ سبق الترجمة عنه بالمجلة .

= الدكتور / محمد السعدى فرهود ، مدير جامعة الأزهر سابقاً ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية الآن مد الله فى عمره .

= الدكتور / محمد رجب البيومى العميد السابق لكلية اللغة العربية بالمنصورة ، والكاتب المعروف وسبق الترجمة عنه بالمجلة .

● **اما تلامذته فى دار العلوم فمنهم :**

= الدكتور / أحمد الحوفى ـ رحمه الله ـ أول من حصل على الدكتوراه من دار العلوم وصاحب المؤلفات الشهيرة .

= الدكتور / احمد احمد بدوى ـ رحمه الله ـ الوكيل السابق لدار العلوم والذى كتب عن المستشرق الفرنسى / بلاشير ، وكذلك المتنبى .

= سيد قطب ـ رحمه الله ـ وقد قدّم له وهو طالب .. كغيره من الطلاب المتميزين تشجيعاً له كتابه مهمة الشاعر فى الحياة ، قال فيه : « وقصارى القراء ان اقول لهم إننى أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر (دار العلوم) وإذا قلتُ دار العلوم فقد عنيتُ دار الحكمة والأدب »[١٣] .

= الشاعر / عبدالغنى حسن ـ رحمه الله ـ الذى توفى قريباً ، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية .

● ومن تلامذته فى لندن من أبناء دار العلوم

(١٣) راجع مقدمة : مهمة الشاعر فى الحياة لسيد قطب ص ١٢ . الكاتب .

من أعــلام الأزهــر

الدكتور / إبراهيم العدوى أستاذ التاريخ الإسلامى المتفرغ بدار العلوم .

● **وبالنسبة لتلامذته فى كلية الآداب ، يذكر منهم :**

= الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبدالرحمن تلميذه الوفى ، الذى ناقش معه ولازال عشرات الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه فى الأدب والنقد والفكر الإسلامى .

= الأستاذ الدكتور / عفت الشرقاوى أستاذ الدراسات الإسلامية المعار حالياً للبلاد العربية .

وعن أبنائه فى المجلس الأعلى للفنون والآداب منهم .

= الأستاذ الدكتور / مجدى وهبة ، مقرر لجنة الترجمة ، وعضو مجمع اللغة العربية .

= الأستاذة الدكتورة / عائشة عبدالرحمن ، عضو المجلس عن لجنة الأدب . وآخرون لا تسعفه الذاكرة بإيراد أسمائهم ، كما يمنعه حياؤه عن عدّهم[١٤] .

د . مهدى فى عيون تلامذته

أما عن مكانة الدكتور / مهدى لدى تلاميذه وعارفيه فهى مكانة مرموقة بلا جدال لعلمه الفياض ، وأدبه الجم وحبه لتلامذته إلى أقصى حد ، ولقد وقعت فى يدى هذه الكلمة ، واستأذنت صاحبها فى الإشارة إليها بدون تدخل منى ، باعتبارها لمسة وفاء إلى أستاذى وأستاذ الأجيال ، وهذه الكلمة للدكتور / عبدالخالق همت أبو شبانة قال فيها :

« إنه ليسعدنى حقاً أن أرى قلمى يدوّن ما يجيش به صدرى ، نحو أستاذ فاضل ، وعالم كبير ، علمه غزير ، وفضله وفير ، أستاذ جليل ذو خلق نبيل ، له عند الله زلفى وحسن مآب ، آتاه الله الحكمة ، وفصل الخطاب ، ذلك هو أستاذنا العظيم الدكتور / مهدى علام .. الذى إذا كتب أثار الإعجاب ، وإذا تكلم فتحت له الأبواب ، وهو على نور من ربه ، وهو من أولى الألباب .

التقيت به منذ أكثر من عشرين سنة فى ظلال القرآن الكريم فتحاببنا وتآخينا فى الله الواحد القهار . وكان لى نعم المعلم ، ونعم الأستاذ الذى اقتديت بهداه إلى ترجمة تفسير (معانى) القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية بفضل تعاونه معى فى إخراج الطبعة التى بين أيدينا الآن ، وكان هداه لى سبباً فى أن هدانى ربى سبيل الرشاد .

هو ثرى فى مادته راسخ فى حكمته ، وفقه الله إلى أن يجمع مابين الدنيا والدين فكان أستاذاً عالماً فى اللغة الإنجليزية التى درسها نثراً وشعراً ، وأستاذاً ومرجعاً فى علوم الدين ، وقد أخلصه الله بخالصة ذكرى الدار ، ورفع له ذكره كما رفعه إلى الدرجات العلى حيث قال تعالى ﴿ . . . يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ . . . ﴾ .

وإذا تركت العلم جانباً ، وسمح لى أن أتكلم عنه كإنسان فهو إنسان تتجلى فيه خير الصفات : مكارم الأخلاق ، العداء للنفاق ، الحزم والعزم ، الصدق والشجاعة ، وهو لا يخشى فى الله لومة لائم . إذا قال فعل ، وإذا وعد فهو صادق الوعد ، لين القلب للضعفاء ،

(١٤) بالناسبة للدكتور / مهدى علام نشاط بارز فى المجلس الأعلى للفنون والآداب منذ نشأته بعد الثورة ، وحتى الآن فهو المؤسس ، والمقرر للجنة الأدب به حتى الآن .. الكاتب ص ٩ .

حازم مع الأشداء ، طريقه قويم ، وتتبع أفكاره وآراؤه من عقل سليم ، وهو رجل كريم ، متواضع عظيم ، إذا تناجى فبالبر والتقوى ، وإذا صمت فهو فى مناجاة مع الله العزيز الحكيم .

وما أريد أن أسهب فى وصفه كرائد لأولى العلم ، ولا فى وصف إنسانيته ، ومكارم أخلاقه كى لا يضل القارىء الطريق ، إنما أود أن أختم كلمتى داعياً المولى جل وعلا أن يكون من المقربين الذين وعدهم الله ووعده الحق ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ .

د / عبد الخالق ابو شبانة
استاذ ومدير ابحاث قسم النساء والتوليد
جامعة نيويورك سابقاً
وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
(لجنة ترجمة معانى القرآن الكريم)
٩٠/٤/٢٥

بحوثه ومؤلفاته العلمية .

يقول : من أهم المؤلفات والبحوث العلمية التى نشرت لى :

١ ـ فلسفة العقوبة
٢ ـ فلسفة الكذب
٣ ـ فلسفة المتنبى
٤ ـ المتنبى بين نفسيته وشاعريته
٥ ـ مقصورة حازم القرطاجنى (تحقيق)
٦ ـ رفاعة الطهطاوى
٧ ـ عائشة أم المؤمنين
٨ ـ نثر حفنى ناصف (بالاشتراك) .
٩ ـ أحمد حسن الزيات
١٠ ـ بين اليراع والقرطاس
١١ ـ دراسات أدبية
١٢ ـ المجمعيون فى خمسين عاماً
١٣ ـ المجمعيون فى ثلاثين عاماً (المجمعيون المائة الكرام)
١٤ ـ المعجم الجوهرى فى اللغتين (العربية والإنجليزية)
١٥ ـ العفو فى القرآن الكريم ، نظرية جديدة (بالعربية والإنجليزية)
١٦ ـ نظرية فى نشأة فن (المقصورة) فى الأدب العربى .
١٧ ـ تربية الشباب فى الإسلام (بالعربية وبالإنجليزية)
١٨ ـ الصدقة فى الإسلام (نظرية جديدة ـ فى غير الزكاة ـ بالعربية وبالإنجليزية)
١٩ ـ نظرية الوسط بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين
٢٠ ـ المطالعة الوافية للمدارس الثانوية ، جزءان (بالاشتراك)
٢١ ـ النقد والبلاغة . جزءان بالاشتراك
٢٢ ـ قواعد اللغة العربية : النحو ، والصرف ، والمعانى ، والبيان ، والبديع (٧) أجزاء (بالاشتراك)
٢٣ ـ جوزيف لندون سميث : الرجل والفنان (بالعربية وبالإنجليزية)
٢٤ ـ الروح الثورية لبرناردشو (بالإنجليزية)
٢٥ ـ مراجعة لترجمة كتاب (علم الاجتماع) تأليف د / موريس جنزبرج ، وترجمة د / فؤاد زكريا
٢٦ ـ « فرعون والنسر » أو « عودة المجد » ملحمة بالشعر العربى ، ترجمة للملحمة الإنجليزية من شعر السيدة : ثريا مهدى علام ، نشر مكتبة لبنان
٢٧ ـ « السلام الذى أعرفه » ترجمة شعرية بالإنجليزية لقصيدة الشاعر / محمود حسن إسماعيل

من أعــلام الأزهــر

٢٨ ـ مراجعة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، والتعليق على آراء المستشرقين فى الأجزاء التى صدرت من سنة ١٩٤٩ م حتى سنة ١٩٦١ م

٢٩ ـ مراجع التحقيق والتقديم بمقدمات علمية للكتب الآتية من مطبوعات مجمع اللغة العربية مثل :

(التكملة والذيل والصلة لكتاب (تاج اللغة وصحاح العربية) .

التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة للزبيدى (كتاب الجيم) للشيبانى .

(كتاب الأفعال) للسرقسطى .

كتاب الشوار للصاغانى .

كتاب شرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسى ، تأليف ابن برى .

٣٠ ـ ثم نحو أكثر من مائة مقالة وبحث فى المجلات والدوريات العربية .

٣١ ـ ومئات من الإذاعات من سنة ١٩٤٩ م بالعربية والإنجليزية .

٣٢ ـ وله شعر منشور فى المجلات بالعربية وبالإنجليزية .

٣٣ ـ وكان أثناء انتدابه بجامعة [مانشستر] يلقى محاضرات فى أنحاء الجزيرة البريطانية ، عن قضايا بلاده ، وعن الآداب العربية والفلسفة الإسلامية والحياة المصرية ، وذلك على مدى ثمانية عشر عاماً .

٣٤ ـ قدم للعديد من مؤلفات الأدباء الشبان ، وخاصة من تلامذته تشجيعا لهم ، وهم لا يزالون فى طلب العلم أمثال د / أحمد الحوفى ، والأستاذ / سيد قطب وغيرهما .

٣٥ ـ إعداد ترجمة جديدة لتفسير معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية ترجمة وافية ـ والتى أجازها الأزهر الشريف حديثاً ـ وذلك بالاشتراك مع الدكتور / همت أبو شبانة عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ وترجع أهمية هذا العمل الجديد إلى تحرى الدقة فى ترجمة المعانى القرآنية البليغة ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالإشارات العلمية فى القرآن الكريم فى خلق الإنسان عموماً ، وإبراز المفهوم الدقيق لكلمة (العلق) و (المضغة) وماشابه ذلك ، وأيضاً الاهتمام بإظهار الحقائق العلمية والكونية العديدة والمصطلحات الدقيقة بها ، فضلاً عن العناية فى هذه الترجمة ـ بالجوانب التشريعية فى العبادات والمعاملات والأحكام المختلفة بأسلوب مبسط إلى جانب توضيح الإعجاز البيانى فى آيات الكتاب الكريم .. وتهدف هذه الترجمة إلى إبراز ونشر الحقائق القرآنية الخالدة ، وتقريبها للناطقين باللغة الإنجليزية فى العالم كله ، وللباحثين والدارسين لكتاب الله العزيز .

وقد نذر الدكتور / شبانة ، والدكتور / مهدى حياتهما على مدى عشرين عاماً ـ من أجلها قربى إلى الله ـ درسا فيها العديد من الكتب والدراسات العلمية الحديثة التى تعرضت للإرشادات العلمية والكونية فى القرآن الكريم .

وقد ذكر الدكتور / مهدى فى سياق تعليقه على هذه الترجمة بأنها : واحدة من أدق مايمكن أن يتصوره إنسان فى تفسير آيات القرآن الكريم إلى لغة أجنبية ، وأن ماورد فيها من تفسير لآيات خلق الإنسان بالذات يصلح لأن يكون موضوعات لرسائل دكتوراة جديدة(١٥) .

(١٥) انظر جريدة الأهرام ص ١٣ بتاريخ الجمعة الموافق ١٩٩١/٥/٣م بتصرف الكاتب ..

المؤتمرات العلمية التى شارك فيها .

أما عن المؤتمرات التى شارك فيها الدكتور / مهدى ، فقد مثل مصر رئيساً لوفدها فى جميع المؤتمرات التى عقدت لحركة التضامن الآسيوى الافريقى ، وحركة عدم الانحياز والحياد الإيجابى - فى مختلف بلاد العالم من سنة (٧٥) حتى سنة (١٩٦٣ م) .

وكذلك مثل مصر فى مؤتمر حقوق التأليف المنعقد فى تونس (١٩٧٦)
ولمؤتمر الأدباء العرب فى الكويت والعراق .
وفى الندوة الإسلامية العالمية التى عقدت فى (لاهور) فى باكستان عام (١٩٥٨) حيث كان المتحدث الرسمى باسم مصر .
وأول مؤتمر حضره أستاذنا خارج مصر بعد (يوليو ١٩٥٢) كان مؤتمر الخريجين فى الأردن سنة (١٩٥٤) .

وفى سنة (١٩٥٤) مثل الحكومة السعودية (منتدباً من الحكومة المصرية) فى أول اجتماع للأمم المتحدة فى لندن لتأليف هيئة اليونسكو .

من مظاهر التقدير التى حظى بها .

من مظاهر التقدير التى حظى بها الدكتور / مهدى علام حصوله :

١ - على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام (١٩٧٦ م) .
٢ - وعلى وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة عام (١٩٥٦ م) .
٣ - ووسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام (١٩٧٧ م) .
٤ - ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام (١٩٨٣ م) .

أمنية الدكتور مهدى

أما عن امنيته فقد قال لى : أمنيتى اتوجه بها إلى الله تعالى فى أدب وخشوع أن يوكلنى انا وزميلى الأستاذ الدكتور / همت ابو شبانة ، من طبع ترجمتنا لآيات القرآن الكريم بعد أن عملنا سويا فيه ما يقرب من عشرين عاما ، وتمت الترجمة فى أول رمضان السابق وهى تحت الطبع الآن .

الخاتمـــة

وبعد .. فهذا هو العالم الجليل وأستاذ الجيل د / مهدى علام ، وتلك نبذة مختصرة عن مسيرة حياته العلمية - مد الله فى عمره - أعطى ولازال يعطى من روحه ودمه لتلامذته ، وقضايا الإسلام وعصره أغلى ما عنده ، وكل أملنا أن يكتب مذكراته باعتباره دائرة معارف لقرن من الزمان - فهى كنز سيحتاجه المؤرخون بلا شك عندما يبدأون فى كتابة تاريخ مصر الحديث ، فإليه هذا المقال المتواضع اعترافاً بفضله ، واعتذاراً عن التقصير فى حقه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمتعه بالصحة ، والعافية والعطاء ، وسائر علماء المسلمين آمين .

ناصر وهدان
القاهرة فى ٦/٥/١٩٩١ م

البقية ص ١٤٣٠

إشراف: رشاد محمد يوسف

مكة وحنين الشعراء

إعداد: رشاد محمد يوسف

على كثرة ما تناول الكتاب والمفكرون والادباء وصف رحلة الحج إلى بيت الله الحرام بكل دقائقها وسجلوا مشاعرهم حول منزل الوحى ومهبط القران وهوى الكعبة، والروضة المطهرة، والبقاع الطيبة الكريمة، نجد القليلين جداً من الشعراء كتبوا عن ذلك او تناولوه فى قصائدهم، ولو قمنا بجولة خلال ديوان الشعر العربى فى عصوره المختلفة لوجدنا النبض الشعرى يعلو بهذه المشاعر والاحاسيس فى العصر الحديث.

وهذه محاولة لتقديم بعض القطوف من رياض الشعر فى هذا المجال.

ـ اللقاء الأول مع امير الشعراء احمد شوقى يقول:

إذا زرت يامولاى قبر محمد ... وَقَبَّلْتَ مثوى الأعظم العَطِرَاتِ
وفاضت من الدمع العيونُ مهابةً ... لاحمد بين السِّتْر والحجرات
واشرق نورٌ تحتَ كل ثَنِيَّةٍ ... وضاع أريج تحت كل حصاة
فقل لرسول الله: ياخير مرسل ... ابثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف فى عميق سبات
بِأَيْمَانِهِم نوران: ذِكْرٌ وسُنَّةٌ ... فما بالهم فى حالك الظلمات
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم ... فما ضرهم لو يعملون لآتِ؟
وهذا زمان أرضه وسماؤه ... مجال لمقدام كبير حياة
مشى فيه قوم للسماء، وانشأوا ... بوارج فى الأبراج ممتنعات
فقل: رب وفق للعظائم أمتى ... وزين لها الأفعال والعزمات

ـ ثم يستطرد احمد شوقي معتذراً :

دعاني إليك الصالح ابنُ محمدٍ فكان جوابي خالص الدعواتِ
وقدمت اعذاري وذلي وخشيتي وجئتُ بضعفي شافعا وشكاتي
ويارب هل تغني عن العبد حجة وفي العمر ما فيه من الهفوات
وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر ولم ابغ في جهري ولا خطراتي
ولاغلبتني شقوة او سعادة على حكمة آتيتني وأناة
ولا جال إلا الخير بين سرائري لدى سدة خيرية الرغبات
ولا حملت نفسٌ هوى لبلادها كنفسي في فعلي وفي نفثاتي

ـ وهذا الشاعر محمد الهرّاوي يقول :

حدا بي إلى أم القرى شوق هائم مدله قلب حول مكة حائم
لعلي وفي بردىَّ حوبة آثم اطهر عن بردىَّ حوبة آثم
امسح بالاركان وجهي معفرا واهمي عليها بالدموع السواجم
وارجع مملوء الجوانح خَشية من الله في يوم من الهول قادم
اقول : إلهي انت ادري بأمتي فكم نزلت دهرا على حكم غاشم
ويارب إن الشرق بات بأهله كبير الأماني طامحا للعظائم
بلادي وقومي فوق ماجئت ابتغي لنفسي ، وما أرجو لها من غنائم
ويارب إن كانت لنفي حاجة فحاجة نفسي منك حسن الخواتم

ـ اما الشاعر الكبير عزيز اباظة فإنه يتذكر زوجته الراحلة فيناجيها على عرفات :

ذكرتُكِ يوم النفر ، والدمعُ ساجم على عرفات ، والنزاع غرام
وأنكَرَ اصحابي بكائي ولوعتي وقالوا : اتبكيها وأنت حرام ؟
بكيت لها إذ لم تقف موقف الرضا على عرفات والحجيج قيام
ملبين بكائين يستغفرونه وبعض الدموع السافحات كلام
ولم تتطوف بالعتيق ولم تفض إلى روضة الهادي عليه سلام

ـ ثم يتحدث عن مكة فيقول :

إيه يانفس إن تاريخ هذا الكون ضمته هذه الأنقاء
قرية تغمر العوالم ريا وسنى وهي صفصف جرداء
انست أروع انقلاب على الأرض طواها كأنه كهرباء
رف في خاطري ومكة داري صور عبقرية غراء
مهبط الوحي هل لديك مآب وإلى بيتك العتيق انثناء

مكة وحنين الشعراء

ـ وهذا الشاعر السورى بدوى الجبل يقول :

ولو أن عندى للشباب بقية خففت إليها فوق ظهر نجيب
أنام على الكثبان يؤنس وحدتى بغام مهاة ، أو هماهم ذيب
لثمت الثرى سبعا وكَحْلَتَ مقلتى ـ بِحُسْنٍ كأسرار السماء مهيب
مواكب كالأمواج عج دعاؤها ونار الضحى حمراء ذات شبوب
ورددت الصحراء شرقا ومغربا صدى نغم من لوعة ورتوب

ـ أما الشاعر الراحل الأستاذ العوضى الوكيل فيقول :

مهبط الوحى ومسعى الطائفين حولكِ التفت قلوب المسلمين
خافقات بولاء ويقين
قبلة تهوى إليها الأفئده الأمانى لديها غَرِدَه
هاتفات بالهوى محتشده سمع الله بها من حمده
الثرى الحر بواديك سماء لا يَزَلّ مغناه مرفوع البناء
فهو للإسلام درع ووفاء وهو أمن وسلام ورجاء

ـ وهذا الشاعر العربى إبراهيم عيسى يصف لنا مشاعره فيقول :

اى خير عمّ لمّا ضم قلبى « عرفه »
وافضنا وشربنا النور فى « مزدلفه »
وتلقى كل قلب بيمين صحفه

ثم عدنا لضفاف النور فى هذا البلد
ولدى « زمزم » جئنا بضلوع تبترد
واتينا البيت أرواحا تخفت فى جسد

وطوتنى فى عيون الحب أهداب السكينه
وببحر النور اجريت تسابيحى سفينه
حين لاحت فى خيالى ومضات للمدينه

واحتشدنا انا والأشواق فى حب مشاع
فإذا ما عصف الوجدُ ولم يسعف شراعى
« طلع البدر علينا من ثنيات الوداع »

ــ اما الشاعرة السيدة نور نافع فتناجي رب البيت قائلة :

وياصاحب البيت ما آن الأوان لأن تضمنى من رحاب البيت أرجاء
ألقى بحملى على الأعتاب لائذة ومن أنا بين من راحوا ومن جاؤوا
(نَادِ) علىّ بفضل منك إن بنا شوقا له فى حنايا الصدر أصداء
لبيك جئت ونور منك يغمرنى وتخرج اليوم كفى وهى بيضاء
أنا على عرفات الله ساجدة وسجدتى اليوم معراج وإسراء[1]

ــ ويقول الشاعر (شوقى على هيكل)[2] مناجيا مكة :

يامكة المكرمه بوركت ياأم القرى
فى ارضك المحرمه قد عاش سيد الورى
ـ محمد ما اعظمه محمد ما اكرمه
على ثراك الطيب لقد مشى خير نبى
فى الناس عالى المنصب من خير أم وأب
ـ يدعو لخير مذهب والله فيك سلمه
يامنزل الروح الأمين ومبعثا لخير دين
عشت على مر السنين منارة للعالمين
وقبلة للعابدين ودمت أرضا مسلمة
يامكة المكرمة

ــ ويقول الشاعر رشاد يوسف من ديوانه واسلاماه :

ياأرض مكة ياربوع حراء من لى بهذى المنحة السمحاء
فلكم تمنيت الحياة ملبيا أحيا جوار الكعبة الشماء
وأرى جلال الحق يملأ خاطرى فى كل شىء يجتليه الرائى
فى البيت فى الأركان بين مناسك لله فى التطواف فى الإفضاء
فى الحجر، فى الحجر السعيد وزمزم فى الركن والربوات والأرجاء
فى روضة المختار أطهر ساحة فى مهبط الآيات والأضواء
كم ذا امنى النفس طال حنينها والشوق صيرها على الرمضاء
تهفو تعانق بالخواطر ترتجى تترقب الآتين بالأنباء
والله أسأل أن يجيب رجاءنا فهو المؤمل عند كل رجاء

(١) الصلاة معراج المؤمن ، وفى الحديث : « اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فاكثروا من الدعاء » . أخرجه أحمد بمسنده ٢/٤٣١ .

(٢) الهيئة العامة للكتاب وزارة الثقافة .

جمع وتحقيق
أيمن محمد ميدان

لَمَّا فَدَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مُهَوَّلَةٍ　　أَخَا السُّكُونِ وَلاجَارُوا على السُّنَنِ(٥)

وبرواية سابعة فى : البيان والتبيين ٩/١ .
غَذِىُّ قَيْلٍ ولقمان وَذى جَدَنِ
القَيْلُ : الملك من ملوك حِمير .
وبرواية ثامنة فى البيان والتبيين ١/ص ١٩٠ :
رُبِيتُ فيهم وَلُقْمَانٍ وَذى جَدَنِ
وبرواية تاسعة فى اللسان « بهم » .
غَذِىُّ بَهْمٍ وَلُقْمَاناً وَذَا جَدَنٍ .

«البَهْم : جمع بَهْمة وهى أولاد الضَّأن . والبهمة اسم للمذكر والمؤنث ، والسِّخال أولاد المعزى ، فإذا اجتمع البهام والسِّخال قلت لهما جميعا بِهَامٌ وبَهْم ايضا : وانشد الاصمعي البيت ..... لأن الغذى السَّخلة : قال ابن بَرّى : قول الجوهرى لأن الغَذى السخلة وَهمٌ : قال : وإنما غَذِىّ بَهْم احد ملوك حمير كان يُغَذّى بلحوم البَهْم » .
اللسان « بهم »

(٥) اخيهم : اراد نفسه . من مهولة : من اجل مصيبة هائلة . اخا السكون : رجل من السكون وكان أسيرا عند قوم افنون . والسكون بفتح السين قبيلة من كندة باليمن . وكان قوم افنون آثروا هذا الاسير على من كان قريبا منهم مع كونه غريبا ، فغاظه ذلك ، وراح ينكر تعطفهم عليه ، مبالغا فى ذكر تبرئهم منه ، وجفائهم له . السَّنن والسُّنَن : جمع سُنَّةٌ ، وهى السيرة والطريقة .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، للانبارى ص ٥٢٥ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٣ .
وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ٦٢٤ :
ـــــــــــــــ　　ـــــــــ ولاحادوا ـــــــــ

وبرواية ثالثة فى : « مجالس العلماء » ٤٢ .
ــــ وَقَوْا ــــ　　ـــــــــــــــ

سَـألَتْ قومى وَقَـدْ سَدَّتْ أَبَاعِرَهُمْ مَابَيْنَ رُحْبَةَ ذَاتِ العِيصِ وَالْعَدَنِ(٦)
إذْ قَـرَّبُـوا لابْنِ سَـوَّارٍ أَبَـاعِـرَهُمْ لِلّهِ دَرُّ عَطَـاءٍ كَـانَ ذَا غَبَـنِ(٧)

وقى : حافظ
وبرواية رابعة فى « معجم البلدان :
________________ ________ ولاحادوا عن ________

حاد : مال عن طريق الصواب .
وبرواية خامسة فى « خزانة الأدب » ٤/٤٥٥
________________ ________ ولا جازوا ________

وبرواية سادسة فى : البيان والتبيين ١/١٩٠ :
______ وقوا ______ ________ ولا حادوا ________

وبرواية سابعة فى اللسان « بهم »
لما وفوا بأخيهم من مهولة اخا السكون ولا جاروا عن السنن

(٦) اباعر : واحدها بعير ، ويقع على الذكر والأنثى ، ويجمع على أبْعِرَة ، وبُعْران بضم الباء . رُحبة : رحبة صنعاء . العيص الشجر . الملتف النابت بعضه فى أصول بعض . عَدَن : بلدة باليمن ، وأدخل عليها أداة التعريف « .. ولم يُنَص عليه فى المعاجم » على حد تعبير محقق المفضليات .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها الأنبارى ٥٢٥ وسمط اللآلى ٢/٦٨٥ .
وبرواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٦٢٥ .
________________ ________ رحبة ________ فالعدن

الرحبة : البقعة المتسعة بين أفنية القوم .
وبرواية ثالثة فى « معجم البلدان » ٤/٨٩ - ٩٠
______ عنهم ______ ________________ فالعدن

وبرواية رابعة فى « شعراء النصرانية » ١/١٩٣ :
________________ ________ ذات الروض ________

واشار لويس شيخو إلى رواية « شُدَّت » .
الروض : الموضع الذى يجتمع فيه الماء فيكثر نبته .
(٧) ابن سوار : رجل كان أسيراً عند قوم أفنون من قبيلة السكون اليمنية .
الغبن : ضعف الرأى . عطاء كان ذا غبن : أى عطاء ذهب ضياعا .
ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٣ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٥
وشرحها للتبريزى ٦٢٥ ، وسمط اللآلى ٢/٦٨٥ ، ومعجم البلدان ، وشعراء النصرانية ١/١٩٣ .
وبرواية خامسة فى معجم ما استعجم ٢/٦٤٣ .
سـألت قـومى وقـد شـدت أباعـرهـم ما بين رحبة ذات العيص والعدن

أفنون التغلبي

انّى جَزَوْا عامِراً سُوأَى بِفِعْلِهِمِ — أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنى السُّوأَىٰ مِنَ الْحَسَنِ[8]
امْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَاتُعْطِى الْعَلُوقُ بِهِ — رِئْمَانِ أنْفٍ إذَا مَاضُنَّ بِاللَّبَنِ[9]

(٥)

وقال أفنون : — البسيط

نحمى حماهُم ونرمى مَنْ ورائهُم — ويُولِجُون حمَانا مَنْ يُراميِنَا[1]
كأن أسلافَهُم ليسوا لنا سلفا — ولا لهم حُسْنُ ما تبنيه ايدينا[2]

(٦)

قال أُفنون التغلبي : — الطويل —

أَلَا لَسْتُ فى شَىءٍ فَرُوحًا مُعَاوِيًا — وَلَا الْمُشْفِقَاتُ إِذْ تَبِعْنَ الْحَوَازِيَا[1]

---

(٨) عامر : ذهب التبريزى فى شرحه للمفضليات ص ٦٢٥ إلى انه « .. كان ضلعه مع الشاعر ، ونظيره فى إنكار ما انكره ، واستجفائه القوم فيما استبدوا به ، وشريكه فى استحقاقه الرجوع إليه فى همهم ..» .. وذهب محققا المفضليات إلى ان عامراً « ... هم بنو عامر بن صعصعة ..» .. السواى مقابل الحسنى ، وعدل إلى « الحسن » من اجل القافية .

الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين .. ٢/٢٧١ .

(١) الشيء : اسم لكل ما يجوز ان يعلم او يخبر عنه . فروح : كثير الفرح . المشفقات : النساء ذوات الشفقة . الحوازى : الكواهن ومفردها حاز وهو الزاجر . ويعلق محققا المفضليات على هذه الكلمة بقولهما : « ... واحد حاز كما نص الانبارى وهذا الجمع لم يذكر فى المعاجم .. وقد استعمله الانبارى وهو حجة » .. ومعنى البيت : أى لا أقدر أن ادفع عن نفسى شيئا كتب علىّ . كذا النساء المشفقات إذ تبعن الكواهن يسألنهم ، لا يغنين عمن اشفقن عليه شيئا .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢٦١ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٣ ومعجم البلدان لياقوت « الألاهة » وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ص ٦٢٠ :

الا لست ——— فروحن ——— ——— يتقين ———

بفتح التاء وضمها ، واشار إلى رواية « يتْبعن »

وبرواية ثالثة فى حماسة البحترى ١٦٣

الا لستُ ——— فَرُوحَنْ ——— ——— يتْبعن ———

وبرواية رابعة فى شعراء النصرانية ١/١٩٣ .

الا لست ——— ——— يتْبعْن ———

وبرواية خامسة فى « الشعر والشعراء » ١/٤١٩ :

لست على شيء ——— ———

فَلا خَيْرَ فيمَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَتَقْوا له للشَّيءِ : يَالَيْتَ ذَا لِيَا[٢]

فَطَأْ مُعْرِضًا إنَّ الحُتُوفَ كَثِيرةٌ وَإنَّكَ لاتُبْقي بِمَالِكَ بَاقِيَا[٣]

(٢) تقوال : مصدر بمعنى القول بفتح التاء . ورواه الاصمعي بكسر التاء وهو شيء نادر . لأن المنصوص عليه في مثله الفتح . وأنه لم يسمع بالكسر إلا « تبيان » و« تلقاء » . ويعلق التبريزى في شرحه « والمعنى أن حديث النفس إذا حقت الحقائق لا يعني شيئا . صدقا كان أم كذبا » .

روى بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢٦١ . وبرواية ثانية في شرح المفضليات للانبارى ص ٥٢٣ . وشرحها للتبريزى ص ٦٢٠ :

________ وتَقْوَاله ________

بفتح التاء :

وبرواية ثالثة في « حماسة البحترى » ١٦٣ :

ولا ________ وَتِقْوَاله ________

بكسر التاء .

وبرواية رابعة في « محاضرات الادباء » ٢١٧/١ :

________ في أنَّ ________ وَتِقْوَاله ________

وبرواية خامسة في « معجم البلدان » « الالاهة » :

________ وتِقْواله الشيء ________

وبرواية سادسة في « شعراء النصرانية » ١٩٢/١ :

ولا خير فيما كذّب ________ وتِقْوَاله ________

(٣) طأ : ضع قدمك . الحتوف : المكاره . يعلق التبريزى في شرحه للمفضليات على البيت قائلاً : « يخاطب نفسه أو صاحبه فيقول : اقدم على ما يعرض لك واركب ما يعطيك ظهره عالما أن أنواع المكاره كثيرة . وقوله : إنك لا تبقى .. يريد أن المال لا يحرسك . ولا يدفع مكروها عنك . وهو بعرض الزوال وإن اجتهدت في تبقيته » .

قبل هذا البيت روى البحترى بيتين هما :

وإن أعجبتك الدهر حال من امرئ فدعه وواكل حاله والليـاليـا

يرحن عليه أو يغيرن ما به وإن لم يكن في جوفه العيشَ وانيـا

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢٦١ . وشرحها للانبارى ٥٢٣ وشرحها للتبريزى ٦٢٠ . وحماسة البحترى ١٦٤ . والشعر والشعراء ٤١٩/١ .

وبرواية ثانية في « المعاني الكبير » ١٢٦٣ .

________ ________ بِمَالِكَ ________

مالك : كل ما تملك من نقود وغيرها .

وبرواية ثالثة في « أساس البلاغة » « عرض » :

________ ________ بِنَفْسِكَ ________

وهذا الرواية أيضا في « شعراء النصرانية » ١٩٣/١ . وأشار الانبارى إلى هذه الرواية .

أفنــون التغلبــى

لَعَمْـرُكَ مَـا يَـدْرِى امْـرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِى ... إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَـهُ اللهُ وَاقِيَا[٤]
كَفَى حَزَنًا أَنْ يَـرْحَلَ الْحَىُّ غُـدْوَةً ... وَأُصْبِـحُ فِى أَعْلَى إِلَاهَةَ ثَـاوِيَـا[٥]

(٤) إلاهة : قارة بالسماوة ، توفى بها افنون مسموما ، وتحقيقاً لنبوءة كاهن ووردت هذه الكلمة فى كثير من المصادر مكسورة الهمزة ، واشار ابن برى ، إلى هذا عندما قال : « قال بعض أهل اللغة : الرواية ، واترك فى عليا الاهمه ، بضم الهمزة ، وعلق عليه ابن برى : وهذا هو الصحيح .

ورد البيت الرابع فى : المفضليات ٢٦١ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٠ ، وحماسة البحترى ١٦٤ ، ومعجم البلدان « الالاهة » ، وشرح ابيات مغنى اللبيب ١/٢٥٤ ، والصناعتين ١٦٤ ، وتأويل مشكل القرآن ١٣٠ وشعراء النصرانية ١/١٩٣ ، والشعر والشعراء ١/٤١٩ ، والمؤتلف والمختلف ١٥١ ، ومعجم ما استعجم ١/١٨٦ والتمثيل ص ٦٠ .

وبرواية ثانية فى سمط اللآلى ٦٨٤ ، والتمثيل ٦٠ ، واشار السيوطى إليها ايضا :

_____ الفتى _____ ... _____

الفتى : الشاب .

(٥) ورد بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦١ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٣ وشرح أبيات مغنى اللبيب ١/١٥٤ ، وأشار التبريزى إلى هذه الرواية وكذا فى التمثيل ص ٦٠ .

وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ص ٦٢٠ ، واشار إلى هذه الرواية الأنبارى :

_____ الرّكب _____ ... _____

وبرواية ثالثة فى « الشعر والشعراء » ١/٤١٩ .

_____ الركب _____ ... وَأَتْرَكُ _____

وبرواية ثالثة فى حماسة البحترى ١٦٤ :

_____ الرَّكبُ _____ ... فى أعلى الإلاهة _____

وبرواية رابعة فى معجم البلدان « الإلاهة » .

_____ الرَّكبُ _____ ... _____ فى عُلْيَا الألاهة _____

وبرواية خامسة فى « اللسان » :

_____ ... وأترك فى عُليا ألاهة _____

وبرواية سادسة فى شعراء النصرانية ١/١٩٣ :

_____ القَوْمُ _____ ... _____ فى عليا الإلاهة _____

وبرواية سابعة فى معجم ما استعجم ١/١٨٦ :

_____ الركب _____ ... واترك فى عليا إلاهة _____

تخريج القصيدة :

الأبيات ١ ـ ٥ وردت في :
المفضليات ٢٦١ ، وشرحها للأنباري ٥٢٣ ، وشرحها للتبريزي ٦٢٠ .
الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ وردت في معجم البلدان « الالاهة » .
الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ بالإضافة إلى بيتين زائدين بين ٢ ، ٣ في كل من : الحماسة للبحتري ١٦٣ ـ ١٦٤ وشعراء النصرانية ١٩٢/١ ـ ١٩٣ .
البيتان ٤ ، ٥ في شرح أبيات مغني اللبيب ٢٥٣/١ ـ ٢٥٤ .
الأبيات ١ ، ٤ ، ٣ ، ٥ في الشعر والشعراء ٤١٩/١ .



التأصيل الإسلامي ٣

لعلم الإنسان

د. زكي محمد إسماعيل

جهود الرحالة المسلمين الرواد في الدراسات الوصفية :

إذا كانت الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة تعتمد في دراساتها الميدانية على المادة الاثنوجرافية التي تحمل في مفهومها وصف الشعوب من حيث « ثقافتها الكلية » عاداتها وتقاليدها وانماط سلوكها ومعارفها وشعائرها وفنونها وصفا تسجيليا غير تحليلي وعلى المادة الاثنولوجية التي تعتمد على دراسة الشعوب والحضارات دراسة تحليلية تاريخية مقارنة تشمل أصول الحضارات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافة وانتشارها وما يصحب ذلك من تغير وتكيف ثقافي ، فإن المستقرىء المنصف لجهود الرواد من العلماء الرحالة المسلمين لا يقف فقط على رصيد حي وعبقري لهذه الدراسات الرائدة الراشدة فحسب وإنما سيلاحظ الفرق الكبير بين هذه الجهود المبكرة ، بمنهج البحث الميداني الرائد والذي تجاوز مجرد الملاحظة المعيشية إلى الحياة في المجتمعات بكل ابعادها وبين جهود الأنثروبولوجيين المحدثين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتي لم تتعد ان تكون دراسات ظنية أطلق عليها دراسات ذوي الكراسي المريحة أو دراسات « علماء المكتب » والتي اعتمدت على التاريخ الظني والتحليلات الفلسفية .

سياق مقارن :

ويعد كتاب « الغصن الذهبي » لجيمس فريزر من أوضح الأمثلة على هذه الدراسات المكتبية ويتألف من اثنى عشر مجلداً تجاوز آلاف الصفحات وهو ملىء بالعديد من الأساطير والروايات في مختلف المجتمعات ، وحين سئل عما إذا ذهب إلى هذه المجتمعات او رآها أجاب ساخراً وبحدة « أعوذ بالله » الأمر الذي جعل كتاباته مزيجا من المعلومات الاثنوجرافية الجزئية التي لا تخضع لأي ضابط او مبدأ وإن غلّفها بفكره المنطقي ليردها إلى شيء ما من التماسك والوحدة مما جعل عالمة الإنسان الشهيرة « روث بندكت » تصف الكتاب بأنه يجمع أشتاتا من السلوك والتصرفات المنتقاة من

كل الثقافات برغم ما بينها من تباين ومفارقات وتناقضات محاولا أن يمزج بينها ليخرج فى النهاية مسخا مشوها ، وصفته بأن عينه اليمنى من فيجي واليسرى من أوروبا وإحدى ساقيه من « تيرا » والساق الأخرى من « تاهيتى » ويصدق هذا على كتابات كل من « تايلور » و « مورجان » و « باخوفين » وغيرهم من ذوى الكراسى المريحة Arm-Chair Anthropologists أو علماء المكتب كما يدعوهم الفرنسيون Savants du Bureau ما أبعد الفرق بين هذه الكتابات المغرقة فى الخيال والبعد عن الواقع وبين كتابات الرحالة الرواد من المسلمين الذين استجابوا لتوجيه الإسلام بالرحلة والسفر لطلب العلم والتفقه فى الدين واستجلاء سنن الله فى الكون وإدْراك أن من هذه الرحلات ما هو مفروض فى الإسلام كرحلة الحج لمن استطاع إليه سبيلا ؛ لهذا كانت كتاباتهم قمة فى الفكر الأثنوجرافى الوصفى الميدانى الدقيق ، ويمثل هذا : المقدسى والإدريسى والبيرونى وابن خرداذبه ، وابن جبير وابن بطوطه وأحمد بن فضلان والحافظ بن عسكر وابن خلدون وغيرهم .

تصنيف اتجاهات الرحالة المسلمين :

يميز العلماء ثلاثة اتجاهات فى مسلك الاثنوجرافيين المسلمين من الرحالة الرواد

الاتجاه الأول : يهتم الرحالة من خلاله بجمع المادة الوصفية من عديد من أقطار العالم الإسلامى ويمثل هذا الاتجاه كتابات الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى وابن جبير وابن بطوطه وابن خلدون .

الاتجاه الثانى : يركز فيه الرحالة على وصف قطر واحد توفر على دراسته كالهمذانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب » والبيرونى الذى تخصص فى وصف الهند عبر كتابه الشهير « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة للعقل أو مرذولة » وأحمد بن فضلان فى وصفه للصقالبة من خلال رسالته فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة كمنطقة ثقافية متشابهة . أما الاتجاه الثالث والأخير فيظهر فى المعاجم والموسوعات الاثنوجرافية والجغرافية مثل كتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموى و « نهاية الأرب » للنويرى و « صبح الأعشى » للقلقشندى و « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمرى ، وهو موسوعات ومعاجم تهتم بوصف البلدان وذكر تواريخها وأحوالها وعاداتها وأعرافها ونظمها وشئون عمرانها .

المقدسى وجهوده الرائدة فى الوصف الاثنوجرافى :

يمثل المقدسى (أبو عبدالله محمد بن أبى بكر البناء) النموذج المثالى للرحالة الاثنوجرافى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) والذى يكتب عن خبرة ميدانية ومشاهدات عيانية ، يتجلى هذا فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » والذى يقول إن مصادره فى الكتاب انتظمت ثلاثة أقسام « أحدها ما عايناه ، والثانى ما سمعناه من الثقاة ، والثالث ما وجدناه فى الكتب المصنفة فى هذا الباب وغيره » .

وتلك هى المصادر الأساسية التى يعتمد عليها الباحث الميدانى حاليا فى دراسته لمجتمع ما دراسة أنثروبولوجية حقلية ، وإذا كانَ من واجب الباحث الأنثروبولوجى فى دراسته للمجتمع أن يختلط به ويأخذ دوراً فيه ليكون مألوفا لديه ، فقد كان المقدسى إماما فى هذا المجال إذ يقول :

التأصيل الاسلامى لعلم الانسان

« ولقد سميت بستة وثلاثين اسما ، دعيت وخوطبت بها مثل مقدسى وفلسطينى ومصرى ومغربى وخراسانى ، وفقيه وصوفى وولى وعابد وزاهد وسياح ووراق وغير ذلك ، لاختلاف البلدان التى حللتها ، وكثرة المواضع التى دخلتها » ثم يؤكد أنه مالحق بالمسافر الرحالة الباحث أمر إلا ولحق به غير ركوب الكبيرة أى المعصية التى تعد من الكبائر فيقول : « لقد تفقهت وتأدبت ، وتزهدت وتعبدت ، وفقّهت وادبت ، وخطبت على المنابر ، وأذنت على المنائر ، وأممت فى المساجد ، وذكرت فى الجوامع ، واختلفت إلى المدارس ، ودعوت فى المحافل ، وتكلمت فى المجالس ، وأكلت مع الصوفية الهرائس ، ومع الخانقائيين الثرائد ، ومع النواتى العصائد ، وطردت فى الليالى من المساجد ، وسحت فى البرارى ، وتهت فى الصحارى ، وصدقت فى الورع زمانا ، وأكلت الحرام عيانا ، وصحبت عباد جبل لبنان ، وخالطت حينا السلطان ... وأشرفت مرارا على الغرق ، وقطع على قوافلنا الطرق . وخدمت القضاة والكبراء ، وخاطبت السلاطين والوزراء » ..

ثم يقول بعد سرد لعديد من انشطته الأخرى ... « **ذكرنا هذا ليعلم الناظر فى كتابنا اننا لم نصنفه جزافا ، ولا رتبناه مجازا ... فكم بين من قاسى هذه الأسباب وبين من صنف كتابه فى الرفاهية ووضعه على السماع** » .

والواقع أن استقصاء دراسات الرحالة المسلمين العرب من خلال تراثهم الاثنوجرافى يحتاج إلى عديد من الكتب والدراسات المتخصصة فى هذا المجال .

شهادة عالم امريكى

لقد دعا هذا الأنثروبولوجى الأمريكى كارلتون . س . كون Carlton .S. Coon أن يقول فى بحثه الذى قدمه لمؤتمر برنستون للثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة فى سنة ١٩٥٢ ما نصه « إن علم الأجناس البشرية والأنثروبولوجيا » لم يكن بدعا بالنسبة للعرب الذين درسوا التراث الأدبى لأمتهم ، فقد وصف رحالة عربى هو (ابن فضلان) الأسلاف الوثنيين لسكان شمال غرب أوروبا الحاليين ، كما أورد رحالة آخر هو « ابن بطوطة » روايات مفصلة عن الأخلاق والعادات للشعوب التى كانت تعيش من « مراكش إلى الصين » .

ثم يواصل حديثه قائلا : « ولاشك أن فى التراث العربى عشرات من الكتب الأخرى فى الوصف الحضارى غير معروفة لدى الغربيين من علماء الإنسان ، ويجب أن ينشغل علماء الإنسان من العرب بالبحث عن هذه المخطوطات ونشرها ، لا باللغة العربية فحسب ، ولكن بلغة أوروبية كذلك ، فهذه الأخبار ستكون بالغة القيمة ، إذ تمكننا من أن نعرف التغيرات التى حدثت منذ كتابتها ، وتهدينا إلى الاتجاهات التى علينا أن ننظر إليها لمعرفة التغير المقبل ، شأن الملاح الذى يرسم اتجاه سفينته بأن يربط ما بين المركز الذى تكون فيه وأى علامة مرت بها » .

مواصلة العالم الأمريكى تأكيده على أصالة العلماء المسلمين :

يواصل « كارلتون كون » فى بحثه التأكيد على أصالة العلماء المسلمين ودورهم فى إنشاء

« الأنثروبولوجيا » ، هذا التعبير الحديث الذى لم يسمعوا هم به فيقول :

« ولاشك أن العرب سيجدون تحليل المواد الأنثروبولوجية امراً مألوفا لديهم ، فابن خلدون فى مقدمته قد حلل البناء الاجتماعى لقبائل الصحراء ، والبناء الاجتماعى للمدن تحليلا عميقا ، وقد أدرك ابن خلدون ما لم يدركه معظم العلماء المتأخرين من أن بين البيئة وطرق المعيشة الإنسانية والبناء الاجتماعى علاقة سببية ، ولم يأخذ علماء الغرب فى اللحاق بعمل ابن خلدون إلا خلال عشرات السنوات القليلة الماضية . إن علم الإنسان - وهو اسم لم يسمع به ابن خلدون - هو المحصول النهائى للعمل الذى تم فى الجامعات القديمة فى شمال أفريقيا ، وأوروبا الغربية ، وأخيراً فى أمريكا ، لقد كان العرب هم الذين ابتكروا تقسيم العمل بين أنواع الدراسات ، مما جعل الجامعات وما بها من اقسام علم الإنسان اموراً ممكنة » .

السلام والتسامح والإخاء العالمى أهداف مشتركة يدعو إليها الإسلام وعلم الإنسان :

لعل أهم أهداف علم الإنسان من دراساته النظرية والحقلية على امتداد رقعة الكرة الأرضية هو التأكيد على أنه مهما اختلفت « الثقافات » وتنوعت فإن أصل الإنسان واحد ، وفطرته واحدة ، وبنيانه هو هو ، وأن ما وهبه الله من قدرات تختلف فى إعمار الأرض ، واكتشاف سنن الكون ، والسيطرة على الطبيعة وتسخيرها ، والوصول بقدر ما إلى فهم معالم هذا الكون الفسيح ، إنما مرده إلى اختلاف البيئة بمعناها الشامل الواسع ثقافية كانت أم اجتماعية أم جغرافية ، ولا دخل لذلك فى فطرة الله التى فطر الناس عليها فالناس لآدم وآدم من تراب ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : « .. الا لافضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على احمر إلا بالتقوى » رواه أحمد بمسنده ٥/٤١١ .

إذن . ما الروافد الأساسية للتأصيل الإسلامى لعلم الإنسان ؟

هكذا نرى أن التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان ينبغى أن يستمد روافده من حقيقة المساواة بين البشر على اختلاف ألوانهم وعقائدهم كما وردت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وفى دراسة القصص القرآنى وما يحتوى من عظات وعبر من ناحية ، ومن قيم وعادات وتقاليد الأمم التى سبقتنا من خلال سياق مقارن بقيمنا وتقاليدنا المعاصرة من ناحية أخرى ، وكذلك فى العودة إلى تراث العلماء المسلمين الرحالة الذين أرسوا بجهودهم ورحلاتهم جذور علم الإنسان الذى لم يسمعوا به وكيف كانوا مؤسسين نظريا وميدانيا على الا يكون ذلك غاية فى ذاته ، وإنما وسيلة للتحليل والتقويم فى سياق مقارن لجهود علم الإنسان الحديث ومدى ما وصل إليه من تطور ، كما ينبغى الإفادة التامة من منهج هذا العلم فى الدعوة الإسلامية على أساس من دراسة المدعوين أنفسهم دراسة شاملة متكاملة حتى تكون الدعوة على بينة وبصيرة تؤدى إلى نجاحها التام طبقا لمستجدات العصر واتساع رقعة إعلامه ، كما ينبغى العودة فى هذا المجال إلى دراسة أهمية كل من الرحلة والهجرة فى الإسلام لطلب العلم والتفقه فى الدين ودراسة الأقوام وأداء مناسك الحج وكسب العيش والنظر فى ملكوت الله ، والسعى فى مناكب الأرض من كافة اقطارها . وبهذا تكون دراستنا للعلوم وإن استفادت من التطور العلمى العالمى إلا انها تظل مرتبطة بتراثنا ، نابتة من ارضنا ، نابعة من ديننا وقيمنا وعاداتنا ، هادفة إلى ترسيخ وتدعيم الصالح منها ، مقومة للمعوج ، هادمة للبالى الدخيل علينا والذى ما أنزل الله به من سلطان .

والله الموفق .

القارة الاسترالية

بين الماضى والحاضر

للشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

اكتشفت استراليا رسميا سنة ١٧٧٠ م حين نزل الكابتن الانكليزى « جيمس كوك » إلى خليج « بوتان » على شواطىء « سيدنى » ورفع العلم البريطانى على اراضيها ، معلنا انها مستعمرة بريطانية ، وضمها حينذاك إلى التاج البريطانى ..

وفى عام ١٧٨٨ م اى بعد مرور ثمانية عشر عاما من اكتشافها قدم اول اسطول بريطانى ، إلى الشواطىء الاسترالية ، بقصد الإقامة ، بقيادة الكابتن « آرثر فيليب » الذى عُيِّنَ اول حاكم عسكرى على القارة الاسترالية ..

وكان عدد سكان استراليا الأصليين « الأبر جنالز » يقدر بثلاثمائة الف نسمة .. ويقدر علماء الجيولوجيا والسلالات قدوم « الأبرجنالز » إلى استراليا إلى ستين الف سنة تقريبا ..

وقد اثبتت كتب التاريخ الحديثة أن البحارة المسلمين الذين كانوا يعيشون فى الجزر الغربية من استراليا ، ناحية الحدود الشمالية انهم أتوا إلى الشواطىء الاسترالية بقواربهم البدائية بقصد الصيد ، وتزوجوا من نساء « الأبرجنالز » وعاشوا بقية حياتهم على الأراضى الاسترالية .. وتشهد الجماجم التى اكتشفت حديثا فى « دارون » بذلك .. وقد حدث هذا قبل اكتشاف استراليا بقيادة الكابتن « كوك » بمئات السنين ..

وتقدر مساحة استراليا بحوالى ٧٦٨٢٣٠٠ سبعة ملايين وستمائة واثنين وثمانين وثلاثمائة الف كيلو متر مربع .. ويبلغ عدد سكانها حاليا

قرابة سبعة عشر مليون نسمة ، وينحدرون من عناصر وسلالات وأعراق وجنسيات مختلفة ابرزها : الانجلو ساكش ، يليها الإيرلنديون ، ثم الإيطاليون ، ثم اليونانيون ، ثم العرب والأتراك ، بالإضافة إلى العشرات من جنسيات مختلفة ..

ويوجد بها من الديانات : المسيحية ، والإسلام ، واليهودية ، والبوذية ، والهندوس .. ويبلغ عدد المسلمين ٤٥٠٠٠٠ اربعمائة وخمسين الف مسلم ، يمثل العرب والأتراك ٨٠ ٪ من العدد الإجمالى ، بالإضافة إلى الأعداد المتزايدة بين وقت وآخر ، بسبب اعتناق الاستراليين وغيرهم من جنسيات أخرى للدين الإسلامى الحنيف ..

وتتكون استراليا من سبع ولايات وهى :

(١) ولاية نيوساوث ويلز « سيدنى » (٢) ولاية فيكتوريا « ملبورن » (٣) ولاية كوينزلاند « برزبن » (٤) ولاية غرب استراليا « برث » (٥) ولاية جنوب استراليا « أدلايد » (٦) ولاية المقاطعة الشمالية « دارون » (٧) ولاية قسمانيا « هوبارت » .

أما « كانبرا » : فهى العاصمة السياسية لحكومة استراليا كلها . وتقع فى ولاية : « نيوساوث ويلز » إلا أنها لا تخضع لهذه الولاية سياسيا ، لأنه يوجد بها نظام سياسى مستقل ..

دخول الإسلام فى استراليا

وقد شع نور الإسلام : فى هذه القارة : فى أوائل اكتشافها : عن طريق بعض المسلمين الأفغان الذين هاجروا إليها منذ عشرات السنين ، ومعهم إبلهم القادرة على عبور أراضى استراليا الشاسعة ، ولهذا كانت القيادة الانكليزية تستعين بهم ليساعدوهم فى اكتشاف الأماكن المجهولة فى هذه القارة المترامية الأطراف ، وكان الأفغان يقودون هذه الجمال من مستعمرة بريطانية إلى أخرى .. وهكذا كانت بداية الإسلام فيها ، وكان من بين هؤلاء الأفغان سبعة مسلمين يرجع الفضل إليهم فى دخول الإسلام إلى استراليا ، حيث تكاثروا ، وبنوا لأنفسهم مسجداً فى « أدلايد » إحدى مدن جنوب استراليا .. واستقر المسلمون الأفغان بجمالهم فى جنوب استراليا ، وبنوا لهم قرى فيها ، وزاد انتشارهم فى القرن التاسع عشر ، وكانوا دعاة إلى الدين الإسلامى : بالقدوة الحسنة والسلوك الحميد والمعاملة الطيبة ، مع بيان محاسن الإسلام وتعاليمه وقيمه وآدابه .. ولم يفتهم أن يقوموا بإنشاء العديد من المساجد والزوايا ، لإقامة الصلاة ، لاسيما فى الولايات التى استوطنوا فيها ، وأشهر المساجد القديمة وأكبرها : جامع مدينة « بيرث » ، وقد أسس عام ١٨٠٥ م وفيه يتجلى فن العمارة الإسلامية القديمة ..

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بعد مائة عام من اكتشاف استراليا ، ومع قيام الحرب العالمية الأولى أعلن الخليفة العثمانى السلطان « عبدالحميد » الجهاد المقدس ضد الانكليز ، فاستجاب له المسلمون الأفغان فى استراليا ، وقاموا بإحراق القطار الانكليزى ، المخصص لنقل الجنود الاستراليين من جنوب استراليا إلى « بيرث » فى الشرق ، وكان هؤلاء أول قافلة زجَّ بها الإنكليز ، لخوض الحرب ضد الدولة العثمانية .. وقد تمكن الأفغان من إحراق هذا القطار ، وقتل جميع من فيه من الجنود .. وفى الوقت نفسه استشهد عدد من المسلمين الأفغان ودفنوا فى « أدلايد » ..

ثم دخل استراليا بعد ذلك بعض المسلمين

القارة الاسترالية بين الماضي والحاضر

النازحين إليها من قبرص ، ولكنهم لم يقوموا بدور إيجابي في نشر الإسلام في هذه القارة ..

ذوبان اولاد المسلمين الاوائل من الافغان والقبارصة

إن مما يؤسف له حقا أن المسلمين الأوائل من الافغان والقبارصة لم يتيسر لهم الدعم الإسلامي ، ولم يجدوا حينذاك ما يقاومون به التيار المسيحي ، وبالتالي لم يتمكنوا من مواجهة المجتمع الاسترالي الذي كان أكثره من الانكليز ، وله عاداته الغربية ، وتقاليده البعيدة عن الإسلام ، فما أن مات الجيل الأول من المسلمين ، حتى ذاب أولاده : رويدا رويدا في المجتمع الاسترالي غير المسلم ، واعتنقوا المسيحية ، وحملوا أسماء أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه ، ولم يبق لهم من الأسماء الإسلامية ، سوى أسماء آبائهم وأجدادهم !!

جمعيات الجاليات الإسلامية في استراليا

اكبر الجاليات الإسلامية في استراليا : اللبنانية ، يليها التركية ، ثم بقية الجاليات الأخرى : المصرية واليوغسلافية والالبانية والباكستانية والهندية والماليزية والسورية والاندونيسية والأردنية والفلسطينية والصينية والفيجية وغيرهم من بقية الجنسيات الأخرى ، وكل جالية منها لها جمعية إسلامية أو اكثر تشرف على سير النشاط الإسلامي والإداري بها ..

وإن مما لا شك فيه أن وضع الجالية الإسلامية في استراليا في خطر نتيجة التجمعات العرقية والقومية ، ومما يثير الدهشة والعجب ، إن الوقت الذي يتحد فيه اليهود وهم من جنسيات مختلفة ، وتكون لهم هيئة واحدة تمثلهم نرى تفرق المسلمين وانقسامهم ، فلهم مئات الهيئات والجمعيات !!

ثم إن هذه الجمعيات الإسلامية المسجلة لدى دوائر الحكومة الاسترالية تشترك في مجلس الولاية التي تقع بها .. ثم تشترك جميع مجالس الولايات الاسترالية في تشكيل الاتحاد الفيدرالي للمجالس الإسلامية الذي يعتبر القيادة العليا ، والممثل الرسمي للمسلمين ، وحلقة اتصال بينهم ، وبين سائر الدول الإسلامية الشقيقة ..

ويتكون الاتحاد : من رئيس ، وسبعة نواب للرئيس هم رؤساء مجالس الولايات السبع ، وبذلك يتم التنسيق بين الاتحاد ، ومجالس الولايات عن طريق هؤلاء النواب ..

مستقبل الإسلام في استراليا

من فضل الله تعالى إن الإسلام وهو الدين العالمي الذي يتمشى مع الفطرة السليمة ، عرف طريقه إلى الكثيرين من الاستراليين وغيرهم ..

وإن مما يثير الغبطة في النفوس أن يعتنق الإسلام بين وقت وآخر ، رجال ونساء من أصل استرالي وانجليزي والماني وفلبيني ..

استراليا ارض خصبة ، ارض طيبة ، ارض صالحة للزراعة في كل وقت ، ولقد اخذت التربة الاسترالية صلاحيتها التي لا نظير لها في مجال الزراعة في بلاد العالم .. وعقول أهلها كتربة بلادها ناس طيبون ، ناس على الفطرة ، لا يعرفون للمسيحية طريقا ، فهم مسيحيون بالانتساب ، هم لا يعرفون شعائر المسيحية إطلاقا ، ولايدخلون الكنيسة إلا عند الزواج أو عند الموت ..

فالإنسان الاسترالي يمتاز بخصوبة ذهنية

كخصوبة أرض استراليا : أى أن عقله وفكره كأرض نقية ، ينزل عليها الغيث فتنبت الكلأ والعشب الكثير ، فهو إنسان يؤمن بما يقتنع به .. فإن خاطب الداعية عقله وفكره ووجدانه ، وأحسن عرض قضيته ، فإنه سيجد منه قلبه واعيا متفتحا ، وأذنا صاغية سامعة ، وعقلا متفهما ..

والحق يقال إن الدعوة الإسلامية فى المجتمع الاسترالى تجد مناخا جيداً ، وعقولا لا تعرف التعصب ، ولو وجدت حسن العرض ، مع الإخلاص ، وصدق النية ، والقدوة الصالحة عن طريق الدعاة النابهين ، والهداة المرشدين ، ليكونن للإسلام فى هذه القارة شأن عظيم ، وذيوع وانتشار على أوسع نطاق ..

وللمسلمين الجدد الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع تام من اهل هذه البلاد نشاطهم وجمعياتهم ، فقد تحول بعضهم إلى دعاة مخلصين يبلغون غيرهم من بنى جنسهم ما افاض الله تعالى عليهم من نور الإيمان وحلاوته ، حتى إن أحدهم بعد ان أسلم هو وزوجته افتتح مدرسة إسلامية : اطلق عليها اسم « مدرسة النور » وقاما بالتدريس فيها ، مع الاستعانة ببعض المدرسين العرب ..

قداسة الإسلام فى استراليا

إن الإسلام فى استراليا كدين هو محل احترام وتقدير من لدن الحكومة والشعب الاسترالى الذى يمارس طقوسه الدينية ، ويؤدى شعائره التعبدية ، كل حسب دينه ومعتقداته .

كما أن المسلمين يعبرون عن دينهم الإسلامى تعبيراً صادقا ، ويمارسونه فى احتفالاتهم الدينية وفق طبيعتها ، بحرية كاملة ، دون إحراج أو مزاحمة من أى جهة ..

وفى شهر رمضان تذاع الأحاديث الدينية ، والتوجيهات التربوية السليمة من إذاعة حكومية رسمية ، وبدون أى نقد ..

وتقام صلاة الجمعة والأعياد ، وتلقى الخطب والعظات الدينية التى تعالج فيها بعض الأمراض الخلقية والاجتماعية .

ويشارك بالحضور بعد صلاتى عيد الفطر وعيد الأضحى من كل عام بعض كبار المسئولين الاستراليين ، حكومة ، ومعارضة ، ونوابا ، ورؤساء بلديات ، وغيرهم ممن يتولون مناصب قيادية فى الدولة ؛ ليعبروا عن مشاركتهم للمسلمين فرحتهم فى هذين العيدين ، وهو لا شك موقف نبيل منهم ..

والإسلام فى استراليا : مصان ، والمسلمون والحمد لله مستمسكون بأهداب الفضيلة والأخلاق الكريمة ، كما أنهم متعاونون مع المجتمع الاسترالى المتعدد الحضارات .. وهذه سمة طيبة اصبحت واضحة ، فى حياة المسلمين إلا من شذ منهم وهم قليلون .. وقد بدأت الهجرة إلى هذه القارة متأخرة نسبيا ، وكانت تشكل ظاهرة خفيفة ؛ لأنها كانت تقتصر على المسلمين اللبنانيين ، ومن بعض الدولة العربية ، ثم أخذت تتكاثر الهجرة الإسلامية يوما بعد يوم ، والتعاون والحمد لله بين أبناء المسلمين قائم ومتماسك وهو فى طور الانطلاق للعمل الإسلامى الخلاق ..

ثم إن المسلمين فى استراليا يتلقون من الحكومة جميع حقوقهم الصحية والاجتماعية ، والسياسية ، ومما هو جدير بالذكر : أن الحكومة الاسترالية وافقت على اعتبار الزى الإسلامى ، والحجاب الشرعى حقا مكفولا للفتاة المسلمة ، فلها أن ترتديه بكل حرية داخل المدارس والجامعات ، على الرغم من بعض مظاهر العنصرية التى تبدو فى وجهها القبيح من وقت لآخر ، معلنة عداءها للإسلام ، وبنى الإسلام !!

بعض الأنشطة الإسلامية فى استراليا

وللجاليات الإسلامية أنشطة متنوعة منها توجيه المسلمين إلى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم

القارة الاسترالية بين الماضى والحاضر

فى الصحف العربية ، والمجلات الإسلامية ، وفى خطبة الجمعة ، وعقد الندوات ، وإلقاء المحاضرات التى تتناول موضوعات هادفة تتعلق بحياة الفرد اليومية من عملية واجتماعية وتربوية ، والصحافة فى استراليا عامة ، وفى سيدنى خاصة ترحب بنشر المقالات الدينية وتحبذ الكتابة ، وتدعو إلى المزيد من نشر الموضوعات التى تساعد على فهم الإسلام وتعاليمه ..

وسيقوم الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية بمواصلة جهوده فى بناء المدارس والمساجد والأندية ، ولتكون هذه الأندية مثابة للقاء والتعارف بين ابناء الجاليات الإسلامية والعربية على أوسع نطاق : لتنمية الوعى الدينى فى النفوس ..

رابطة المرأة المسلمة

كما توجد هيئة إسلامية نسائية فى استراليا تسمى « رابطة المرأة المسلمة » ولها أهداف دينية واجتماعية وثقافية يمكن تلخيصها فيما يأتى بيانه :

(١) ربط وتوحيد المرأة المسلمة : من جميع الجنسيات المختلفة ، للتعاون فى كل ما يعود على المرأة المسلمة بالخير ، ويحقق للمجتمع الاسترالى : الأمن والاستقرار والحياة الطيبة ..

(٢) الاستفادة من الدين الإسلامى كدين عالمى فى التقارب والتفاهم بين الجنسيات المتعددة ومزجها فى أسرة واحدة تعمل لصالح المرأة المسلمة ، وتساهم فى حل مشكلات المجتمع الاسترالى ..

(٣) النهوض بالمستوى الثقافى للمرأة المسلمة ، لكى تساهم فى النهضة والبناء للأسرة والمجتمع فيما يحقق الخير للجميع ..

(٤) بث ونشر التعاليم الإسلامية ؛ لكى تتمسك المرأة المسلمة بالأخلاق الكريمة الفاضلة التى يقوم عليها بناء المجتمع الفاضل ..

مساجد استراليا

أفادت الإحصائية الجديدة أثناء وجودى بمدينة سيدنى فى شهر رمضان ١٤١١ هـ أن عدد المساجد فى القارة الاسترالية قد ارتفع من أربعين مسجدا إلى ستة وثمانين مسجداً منها ٢٤ فى ولاية « نيوساوث ويلز » .. و ٣٢ فى ولاية « فيكتوريا » والباقى فى الولايات الأخرى والمدن الكبرى بالإضافة إلى المجمع الإسلامى الذى قامت بإنشائه الجالية التركية ، وسيفتتح فى القريب العاجل إن شاء الله ..

ويلاحظ : أن اكبر المساجد فى استراليا هو مسجد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بلاكمبا بسيدنى ، ويعرف بالمركز الإسلامى العام ، ويلحق به « دار الإفتاء العام » ، وهذا المركز يقوم بدور كبير فى نشر الثقافة الإسلامية ، بفضل الجهود المشكورة التى يبذلها فضيلة الأستاذ الشيخ تاج الدين حامد الهلالى إمام المركز الإسلامى ، ومفتى استراليا عن طريق عدة وسائل إيجابية ، تتمثل فى عدة أمور تتلخص فيمايلى :

(١) تحفيظ وتلاوة القرآن الكريم ..

(٢) دراسة بعض الأحاديث النبوية ، مع بيان ما ترمى إليه من نصح وتوجيه ..

(٣) تعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، لشدة الاحتياج إليها ، لاسيما فى المجتمع الاسترالى .

(٤) تدريس الفقه الإسلامى ، بأسلوب سهل ، وطريقة مبسطة ..

(٥) ممارسة الصلاة عمليا ، لصغار السن ، وتدريبهم عليها ..

(٦) إقامة مسابقة للقرآن الكريم سنويا ، فى العشر الأواخر من رمضان ، وتوزيع الجوائز العينية والنقدية على الفائزين والفائزات فى ليلة القدر ..

(٧) تعويد الفتاة المسلمة على الزى والحجاب الإسلامى فى صغرها ، حتى تألفه ، وتعتاد عليه ..

(٨) تأصيل العقيدة الإسلامية : فى نفوس الشباب ..

(٩) بيان واجبات المسلم : فى المجتمع الذى يستوطنه ويعيش فيه : محافظة على أمنه واستقراره ، ورخائه ، والنهوض به ..

المدارس الإسلامية باستراليا

(١) سيدنى : توجد بها ثلاث مدارس :

١ ـ مدرسة الاتحاد الاسترالى للمجالس الإسلامية ..

٢ ـ مدرسة أركان الإسلام « الجمعية الإسلامية المصرية » ..

٣ ـ مدرسة النور الإسلامية « تحت إشراف المسلمين الاستراليين الجدد » ..

(٢) مالبورن : ويوجد بها أربع مدارس إسلامية ..

(٣) بيرث : ويوجد بها مدرستان : إحداهما ثانوية إسلامية ، وهى تعتبر أكبر مدرسة فى القارة الاسترالية ، وهو لا شك إنجاز عظيم بذل فيه جهودا مشكورة الداعية المخلص : الحاج عبدالله وهو مصرى استرالى ..

(٤) برزين : وتوجد بها مدرسة إسلامية ..

حقائق تبعث فى النفوس البهجة

إن من أهم أنشطة المركز الإسلامى بلاكمبا بسيدنى أن إدارة هذا المركز تبذل كل ما فى وسعها من جهد فى سبيل إنماء شجرة الإيمان ، فى قلوب الفتيان والفتيات ، ولفضيلة الأستاذ الشيخ تاج الدين حامد الهلالى : اليد الطولى فى هذا المجال فقد تم توسعة المدرسة القرآنية التى أصبحت تضم إحدى عشرة حلقة للصبيان ، وسبع حلقات للبنات .. وهناك قرار متخذ بتعميم المدارس القرآنية فى كل مناطق الولاية ..

ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة تسمح لمجلس الولاية الإسلامى بإرسال المعلمين إلى المدارس التى تضم عددا من أولاد المسلمين ، لتعليمهم الدين الإسلامى ساعة كل أسبوع .. كما أنها تسمح للجمعيات الإسلامية باستغلال المدارس الرسمية بعد الدوام ، وفى يومى العطلة الأسبوعية « السبت والأحد » لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى ..

ومن بين أنشطة المركز الإسلامى أنه يصدر مجلة شهرية مؤقتة وستكون نصف شهرية فى أعدادها القادمة : « العودة إلى الله » وهى مجلة إسلامية ثقافية جامعة ملتزمة بالخط الإسلامى الصحيح .. كما تصدر الجمعية الإسلامية المصرية هى الأخرى مجلة شهرية « الهدى » وهى تصدر باللغتين : العربية والانكليزية .. تعميما للنفع ..

ثم إن المركز الإسلامى بدأ مشكوراً فى تنفيذ مشروع « مركز للشباب الإسلامى » كما أنه بصدد إنشاء المدرسة الإسلامية الكبرى ..

كما تم افتتاح « دار رعاية المرأة المسلمة » لإيواء المطلقات ، وحماية الفتيات والنساء اللاتى حدث شقاق بينهن وبين أزواجهن ، وتعهدهن بالنصح والتوجيه والرعاية ، حتى يتم الصلح ، وتعود كل منهن إلى بيت الزوجية ..

وحفاظاً على كرامة موتى المسلمين ، وحماية لأهل المتوفى من استغلال نقابات العمال المستبدة ، أنشأت إدارة المركز الإسلامى العام

القارة الاسترالية بين الماضى والحاضر

فى لاكمبا بسيدنى ، أول مغسل إسلامى لموتى المسلمين ، يعمل على إكرام الميت بالإسراع بدفنه ، وتوفير التكاليف الباهظة التى كانت تصل إلى (١٥٠٠) الف وخمسمائة دولار عن كل ميت .

مشكلة الجيل الثانى

إن أولاد المسلمين فى هذه القارة (والحق يقال) يواجهون ما يسمى بمشكلة الجيل الثانى ، البنين منهم والبنات الذين جرفتهم التيارات المادية ، والمغريات العصرية ، والإعلام المدنى المدمر ، فأبعـدتهم عن أصالتهم ، وتقاليدهم الموروثة ، وقيمهم الدينية .. ولاشك أن هذه مشكلة خطيرة ، تهدد أولاد الجاليات الإسلامية ، فى بلاد المهجر !! ولا سبيل إلى حماية هذا الجيل : من الذوبان والانصهار إلا بانتشار المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية ، التى من شانها أن تنشىء جيلا إسلاميا ، فى هذه القارة ، وفى الوقت نفسه : يكون أداة فعالة فى بناء صرح المجتمع الاسترالى الذى يعيش فيه ، والذى تُقلّه ارضه ، وتظله سماؤه ، ويعيش على خيراته ..

وإن مما يثير الأسى ، ويبعث فى النفوس الحسرة ، أن حولت بعض المساجد القديمة التى سبق أن انشئت فى « أولايد » فى الفترة من ١٧٨٥ إلى ١٨٠٥ م إلى المتاحف التى يرتادها بعض السياح .. ومما يدمى القلوب أن تلاشت تلك الجالية المؤمنة الأفغانية ، وارتدت الأجيال بعد وفاة الأجداد والآباء ، لعدم وجود الدعاة الذين يحملون لواء الدعوة الإسلامية ، فقد هجر الدين ، وتغيرت الأسماء !! وهذا هو المصير المؤلم الذى ينتظر أولاد الجاليات الإسلامية المعاصرة ، إن لم تتدارك الدول العربية والإسلامية الأمر ، وتقدر مسئوليتها أمام الله عز وجل قبل فوات الأوان ، ومن لم يحمل هم المسلمين فليس منهم ..

دار الإفتاء باستراليا

إن من أهم أعمال المؤتمر الإسلامى العام وأبرزها اختيار فضيلة الأستاذ الشيخ تاج الدين حامد الهلالى ، إمام المركز الإسلامى العام (الأزهرى المصرى) مفتيا للقارة الاسترالية ، وذلك فى اجتماع اتحاد المجالس والمؤسسات والمراكز الإسلامية السنوى المنعقد بتاريخ ١٦ إلى ١٨ شعبان ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٤ إلى ٢٦ مارس آذار ١٩٨٩ م ونصه كما يأتى بيانه :

قرر المؤتمر الإسلامى العام تعيين فضيلة الشيخ تاج الدين حامد الهلالى « مفتيا » للمسلمين فى استراليا ، واعتباره المرجع الدينى لكافة المسائل الدينية بما فى ذلك : الفتوى الشرعية الخاصة بإثبات بداية ونهاية شهر رمضان المبارك من كل عام ..

وقد أيدت الحكومة الاسترالية ، وباركت هذا الاختيار الذى صادف أهله .. وقد تسلم فضيلته التكليف الرسمى ، ونشر بالصحف الرسمية ، وباشر بتوفيق من الله تعالى مهام منصبه الجديد .. وعلى هذا : تم افتتاح أول دار للفتوى فى استراليا ، ويعتبر فضيلته أول من تولى منصب الإفتاء : فى هذه القارة ..

ولاشك أن إجماع المسلمين فى استراليا على هذا القرار سيوحد كلمتهم ، ويرفع من شأنهم ، ويجعل لهم صوتا قويا مؤثرا فى كافة القضايا الإسلامية ، على الساحة الاسترالية والدولية ..

البقية ص ١٤٢٠



العلم والتقنية

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

١ - رادار لقياس سرعة الرياح واتجاهها

توصل العلماء حديثاً إلى تطوير وحدة (رادار) محمولة تعمل بـ (بطارية) ويمكنها قياس مدى سرعات الرياح بما فيها السرعات التى تبلغها الأعاصير الدوامية . تعتمد نظرية عمل هذا (الرادار) على ظاهرة (فيزيائية) معروفة باسم « تأثير دوبلر » «Dopler Effect» أو التغير الحادث فى طبقة موجة صوتية أو تردد موجة كهرومغناطيسية صادرة من جسم متحرك أو منعكسة عنه .. وهى نفس فكرة التغير الذى يلاحظه شخص ما ، يستمع إلى مصدر صوتى متحرك (قطار مثلاً) يقترب منه أو يبتعد عنه .

ويتوقع أن يحظى هذا (الرادار) باهتمام العاملين فى مجالات الطيران والأرصاد ، كما يستفاد منه لتحسين التنبؤ بالأماكن التى سيضرر بها الإعصار والأوقات التى سيحدث فيها .

٢ - جيل جديد من « اللدائن » الموصلة للكهربية .

ألف الناس حتى عهد قريب أن تكون اللدائن (أو المواد البلاستيكية) عازلة كهربياً ، لكن السنوات الماضية شهدت تطوراً هائلاً فى تقنية اللدائن الموصلة للكهربية ، وذلك عن طريق حقن بعض أنواع « البوليمرات » بكميات صغيرة من بعض الكيماويات للحصول على مواد بلاستيكية أجود نقلاً من النحاس ، فقد أدى حقن متعدد الأستيلين Poly Acetylene باليود إلى زيادة ناقليته (بليون) مرة . واليوم يوجد بالأسواق العالمية مركم (بطارية) خفيف الوزن قابل لإعادة الشحن صنعت أقطابه من لدائن ناقلة . ويؤمل فى المستقبل القريب أن تظهر تطبيقات أخرى مثيرة لمثل هذه اللدائن .

الجديد فى العلم والتقنية

٣ ـ جهاز جديد للترجمة بدلا من القاموس .

ظهرت تقنية جديدة فى شكل جهاز بحجم الآلة الحاسبة يعمل كقاموس لغات . يحتوى الجهاز على ذاكرة مؤلفة من الف وخمسمائة كلمة متداولة فى خمس لغات عالمية هى الفرنسية والانجليزية والالمانية والإسبانية والإيطالية . لكل لغة من هذه اللغات ملمس ملون بلون مختلف عن باقى اللغات الأخرى ، وتدون فيه الكلمة المترجمة على شاشة تعرض ستة أحرف . أما إذا كانت الكلمة المترجمة مؤلفة من أكثر من ستة أحرف فتظهر الكلمة على الشاشة بدفعات . وإذا كانت الكلمة المراد ترجمتها غير موجودة فى ذاكرة الجهاز فإنه يعرض على شاشته علامة استفهام مع الإشارة إلى أن الكلمة غير موجودة .

٤ ـ العودة الى العلاج عن طريق الأعشاب .

هناك اتجاه قوى بين العلماء للعودة إلى العلاج عن طريق الاعشاب بسبب الأعراض الجانبية التى تسببها معظم العقاقير الكيميائية . والجديد بالنسبة للأبحاث الطبية التى تركز على دراسة الأعشاب هو اكتشاف أن نباتاً مثل (الكرفس) يساعد على شفاء أمراض المفاصل والتخفيف من الامها شريطة أن يكون تناوله بانتظام .. كما اثبتت التجارب أن بذور عباد الشمس غنية بالبروتينات والمعادن والفيتامينات ، وتحتوى على المادة التى تساعد على شفاء « الكوليسترول » .. أما ورد البنفسج المجفف فإنه يفيد فى شفاء قرحة المعدة عندما يستعمل كشاى قبل وجبات الطعام .. وبدلاً من تناول الحبوب المهدئة والمنومة ؛ فالأفضل ألف مرة شرب كوب ساخن من « الكركديه » ، فهو يساعد على تهدئة الأعصاب والنوم الهادىء ، وبذلك يتفادى الإنسان أضرار إدمان هذه الأدوية على اختلاف أنواعها .

٥ ـ « الموكيت » يسبب الربو .

عقد فى سويسرا أخيراً مؤتمر حول أمراض الحساسية ، أعلن أن السجاد المثبت « الموكيت » من أحد أسباب الإصابة بمرض « الربو » .. حيث يعتبر الموكيت المأوى المثالى للعث المنزلى الذى يعتبر من أكثر مسببات إثارة الربو ..

٦ ـ انتاج وقود لا يلوث البيئة

استطاعت مجموعة من الباحثين فى النرويج (تحويل الغاز الطبيعى إلى وقود سائل نظيف) يتميز بخلوه من مادة الرصاص التى تسبب تلوث البيئة . واعلنت شركة البترول النرويجية أن علماءها توصلوا إلى هذا الاكتشاف العلمى الهام عبر عمليات التفاعل الكيماوى بوسائل أبسط وأرخص من الأساليب المستخدمة فى محاولات سابقة ، وذلك فى نهاية برنامج علمى استغرق ثلاث سنوات . وقرر العلماء أن الوقود الناتج من عملية التحويل هو من نوع الديزل ، ويتمتع بخواص عالية الكفاءة . ومثل هذا الاكتشاف من شأنه أن يساعد بصورة فعالة فى الجهود الدولية التى تبذل الآن للتخلص من ملوثات البيئة عن طريق البحث عن بدائل نظيفة لها .

٧ ـ اكتشاف مغناطيس كونى عملاق

اكتشف علماء الفلك الأمريكيون فى أعماق الكون وعلى بعد ١٥٠ مليون سنة ضوئية من الأرض مغناطيساً ضخماً يمارس جاذبيته على آلاف المجرات ، ومن بينها مجرة درب التبانة التى ينتمى إليها النظام الشمسى . ويعتقد أن هذا المغناطيس الضخم يتألف من مجموعة كواكب تغطى نحو (نصف مليار) سنة ضوئية .

٨ ـ حائط متحرك فى المياه لحماية الشواطىء

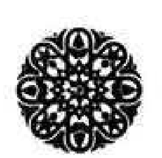
قامت إحدى الشركات الفرنسية ببناء ماسمى بحائط متحرك فى المياه يتكون من صفائح معدنية لتخفيف حدة الأمواج يكون بمثابة حائط راسى يمنع تدفق الأمواج جهة الشاطىء ، أو يضعف من شدتها .. وهذا الأسلوب أفضل من استخدام حاجز ثابت أو غاطس ، ويتكلف ٣٠ إلى ٥٠٪ ، أقل من بناء الحواجز والسدود . وهذه الصفائح لا يراها أحد ، وبالتالى لا تعوق منظر الشاطىء ولا تفسد قاع البحر . ولهذا الحائط استخدامات عديدة إذ يمكن بواسطته حماية الموانىء والشواطىء بصورة فعالة . كذلك فإنه يضمن حماية الطرق الساحلية والمبانى والمنحدرات الساحلية ومنشآت تربية الأحياء المائية ..

٩ ـ رصد مايحدث فى أعماق التربة

تمكن علماء أمريكيون من دراسة أعماق التربة واستكشاف مايحدث لجذور النباتات والكائنات الحية التى تعيش فيها ، وذلك بواسطة آلات تصوير « تليفزيونية » واستخدام أجهزة الرصد بالاستشعار عن بعد .

إن الهدف من ذلك هو التعرف على طريق نمو جذور النباتات ومواطن وعادات الكائنات الحية الدقيقة التى تعيش فى باطن التربة .

إن المشاهدة بواسطة تسجيلات « الفيديو » للأحداث التى تجرى فى باطن الأرض سوف يكون لها فوائد تطبيقية لاستنباط طرق زراعية جديدة ووسائل غير كيميائية لزيادة إنتاجية النباتات ، وذلك بتشجيع نمو الكائنات الدقيقة المفيدة والقضاء على الكائنات الضارة . توضع الكاميرات فى انابيب « بلاستيكية » (مناظير) فى باطن التربة لأعماق تصل إلى ثمانية اقدام ، وهناك تقوم بتسجيل صور لنمو جذور المحاصيل الزراعية أثناء جميع مراحل النمو طوال الموسم الزراعى . كما أن هذه الصورة تعطى فكرة واضحة عن التفاعل الذى يحدث بين جذور النباتات والكائنات التى تغزوه أو تعيش طبيعية معه .



للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



« أبواب الرحمة »

كان لعلى بن الحسين بن زين العابدين – رضى الله عنه – جليس مات له ولد ، فجزع عليه جزعا شديداً ، فعزاه على بن الحسين – رضى الله عنه – ووعظه ، فقال الرجل : يا ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن ابنى كان مسرفا على نفسه .

فقال : لا تجزع ، فإن من ورائه ثلاث خلال أولهن :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

والثانية : شفاعة جدى – صلى الله عليه وسلم – .

والثالثة : رحمة الله التى وسعت كل شىء .

فأين يخرج ولدك عن هذه الخلال ؟

« ثقل من جانب واحد »

قال رجل لحكيم : ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحمل الثقيل ؟

فقال الحكيم : لأن الحمل الثقيل يشارك الروح الجسد فى حمله والرجل الثقيل ينفرد الروح بحمله .

« ثلاثة من كنوز الجنة »

كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة وكتمان المرض .

« حقيقة »

قال بعض العارفين لرجل من الاغنياء : كيف طلبك للدنيا ؟

قال : شديد .

فقال له : هل أدركت منها ما تريد ؟

قال : لا .

فقال له : هذه التى لم تطلبها .

« أخطاء ثلاثة »

هناك أخطاء ثلاثة تعوق كل نشاط :

الكسل ، والغرور ، والجبن ، فإذا كان المرء من الكسل بحيث لا يستطيع أن يفكر ، ومن الغرور بحيث يتصور أنه لا يخطىء ، ومن الجبن بحيث لا يستطيع أن يعترف بخطئه ، فإنه إنسان أبعد ما يكون من الحكمة ، وهو والفشل صنوان .

« نصيحة »

الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضيىء فلا تكدّره بآثامك .

« الكريم لا يبيع ! »

مر رجل من قريش بامرأة من العرب فى بادية .

فقال : هل من لبن يباع ؟

فقالت : إنك لئيم ، أو قريب عهد بقوم لئام .

« خير من نفسك »

الأخ الصالح خير من نفسك ؛ لأن النفس أمّارة بالسوء ، والأخ الصالح أمّار بالخير .

« قالوا .. »

● لا تشغل فكرك بما ذهب منك ، بل احفظ مابقى معك .

● نحن نحب الحرية ، ولكننا نحب اكثر منها أن تستعمل فى موضعها .

● ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه .

● راحة الحكماء فى وجود الحق ، وراحة السفهاء فى وجود الباطل .

● ما أسهل الموت على من أيقن بما بعده ، وأصعبه على من شك فيما بعده .

● من يؤمن بأن المال هو كل شىء ، فوسيلته إليه أى شىء .

« لغة الأرقام »

قال لصاحبه يؤكد كلامه :

أنا أحدثك بلغة الأرقام ، وهى لاتدع مجالا للشك .. ؟

قال صاحبه : اترى ذلك ؟!

فما رأيك : رجل يبنى لنفسه بيتا من دور واحد فى تسعين يوما .

تقول لغة الأرقام إن تسعين رجلا يبنونه فى يوم واحد .

هل هذا ممكن .. ؟!

« دعابة »

كان أحد المحدثين على دعابة :

خرج إلى طلبته يوما فقال لهم : لولا أن اخرجنى من البيت من هو أبغض إلى منكم ما خرجت .

وسأله حائك : هل تقبل شهادة الحائك ؟

فقال : نعم مع عَدْلين .

« ادعونى »

يقول الله ، مـا معناه : ادعـو
فـإنى أستجيب لـمن دعـانى
وواصلنا الدعـاء بلا انقطـاع
ولكـن مـاتحققـت الأمـانـى
فهل فى الأمر سر؟ قلت : طبعا
دعـانـا أن نطيـع بكـل آن
فلم نسمـع ولا نحن استجبنا
لـذا فأنـا اراك كمـا تـرانى





أى مجتمع نعيش فيه؟

لفضيلة الأستاذ : محمد محمد المدنى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

لقد جبلت النفوس على الأثرة وحب الذات ، واصبح كل امرىء يريد أن يستولى كل حوائجه ويحرز اكبر نصيب من طيبات الحياة دون ماشان بالآخرين .

ومما لا شك فيه ، أن الناس متباينون ميولا ، ومختلفون فى النزعات بحكم عوامل البيئة والوراثة وغيرهما مع انه لو ترك كل فرد وشانه ، لعميت عليه وجهة الحق وانعطف به درب الظلام فلا يحنو فرد على فرد ، ولا تعطف جماعة على جماعة ، والنتيجة : حياة بهيمية لاهناء فيها ولا استقرار وإن اوحت فى ظاهرها ، بمباهج الحياة . لقد اصبحت الحاجة ماسة إلى التماس الدين نستقى منه منابع الحياة السوية التى ارادها الله لإمة قال الله تعالى فيها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ من الآية ١١٠ آل عمران ،

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

يهدف المجتمع فى هذه الحقبة من الزمن إلى الجرى وراء المادة ، لا يثنيه عنها ثان من تعاليم دينية ، أو مقاييس خلقية ، أو اعتبارات اجتماعية ، وكل ما وقف فى طريقه ـ فى نظره ـ إنما هى رجعية بغيضة إلى نفسه ، وقوانين جائرة ليس لها من مبرر ، حتى التوى الطريق على الكل وضاعت معايير الأشياء ، وانتهكت تعاليم الدين ، وابتذلت الكرامة وتحللت الأخلاق ، وصار المجتمع يجرى وراء هذه المادية

العاتية التى ستودى به إلى كوارث لا قبل له باحتمال عواقبها .

ولو رجعنا إلى الوراء قليلا ، ونظرنا إلى ما كان عليه المجتمع ـ قبل عصر النبوة ـ لتساوى العهدان . فالقوى اليوم هو الأمثل لدى الناس جميعاً : يرهبون جانبه ، ويقضون حوائجه ، ويحسبون له ألف حساب وحساب ، من تقدير وتقديس ؛ لأن بيده عصب الحياة ، وإكسير الوجود ، والجالب للسعادة وهو المال .

اما الأخلاق ، أما الكرامة . فهى ألفاظ وضعها اللغويون لغير هذا العصر ، أو هى من التراث العتيق البالى ، والذى يعد المتمسك به من الجامدين . فالإباحية المطلقة هى حضارة العصر وقوام الوجود ، وهى المدنية الحقة التى يسعى لها الكل ويهدف إليها الجميع ، ونظرة واحدة إلى حفلات السادة الكبار ترينا مبلغ ماوصل إليه المجتمع فى زيه ولبسه وتصرفه وابتكاراته ، فعقود الزهر يفخر بلبسها السيد العنsaid وفى فمه (زمارة) وعلى رأسه (طرطور) وبجواره (حواء) تكشف عن مفاتنها يتقارعان كئوس الطلا ، ثم يقومون إلى حلق الرقص ، كأن بهم مس من الجن من بكور الليل إلى انبثاق الصبح ، يهيمون فى خيالهم ويسبحون فى مجونهم ، وهذا هو مجتمعهم عليه يلتقون وعنه ينصرفون ، لاوازع من ضمير ولا دافع من خلق ، والويل كل الويل لمن ينقد أعمالهم ، أو يبدى ملاحظة على سيرهم وسلوكهم ، والأدهى من ذلك أن تنشر صورهم وهم على هذا الوضع المزرى بالأخلاق .

فأى مجتمع هذا الذى نعيش فيه ؟

وأى خلق يكون مقياساً لهذا العصر ؟

والله إنها للفوضى التى تدرك الأمم فى أخريات وجودها ، وعصر تحللها ، وانقراضها كما يحدثنا التاريخ .

وبدهى أن تلك الحروب الطاحنة التى تشنها الدول على بعضها ، وتلك الاعتمادات الضخمة التى ترصدها ، لها أثر من آثار هذه الأنانية المادية ، ومن الغريب أن هذه كلها لو وجهت إلى التعمير والإصلاح لنال العالم كله منها الخير العميم .

ولكن أين التفكير السليم ؟

بل أين المجتمع المستقيم حتى يعمل الكل لما فيه إسعاد البشرية ؟

أيها المصلحون : إن الطريق السوى هو التدين الصحيح ، ولن يصلح هذا المجتمع إلا بما صلح به أوله .

تقوى واستقامة يعمل لها الجميع ، ويسعى لها الناس عن يقين ثابت وإيمان قوى وفكر متين .

إن هذه الحياة التي نحياها مجون ما وراءه مجون ، نهايتها الجنون ، وغضب يصيب الأفراد ، وينصب على المجموع ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

من روائـع المـاضي

أي مجتمع نعيش فيه!

فإلى القادة والزعماء ، إلى السادة والرؤساء ، أوجه حديثي :

عليكم وزر ماوصلت إليه الحالة العامة من انهيار : لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فأفيقوا من سباتكم ، واصحوا من غفلتكم واتقوا الله في دينكم وفي قدسيته ، فقد طمت البلوى وعمت الفوضى ، وهذا التحلل الخلقي ستكونون في النهاية أول ضحاياه .

واعلموا انه لا عز لكم في سيادة مشوبة بدم الأبرياء .

ولا غنى لكم عن تعاليم السماء لكبح جماح المبادىء الهدامة التي نخشى أن تجتاح كل الحصون الخلقية ، والتعاليم السماوية .

اما المال : فهو ظل زائل لا يغني إذا حزب الأمر واشتد الهول ، فحصنوا أنفسكم بالأخلاق ، وحاربوها بالبذل والإنفاق : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

والله اكرم مسئول أن يوفق الجميع لما يعود على المجتمع بالنفع العميم والخير الكثير إنه ولي الهداية والتوفيق .

القارة الاسترالية - بقية

حاجة الجمعية الإسلامية إلى الدعم المالي

إن الجمعية الإسلامية في استراليا في حاجة ملحة إلى تقديم العون والمساعدة لها من الدول الإسلامية ، والمؤسسات الدينية ، لكي تمضي قدما في أداء رسالتها النبيلة ، وتقوم بأنشطة مختلفة في شتى المجالات لخدمة المسلمين ، حيث أن مشاريعها الحالية تفوق قدراتها المادية ولذلك فهي في أشد الحاجة إلى الدعم المالي ، لإقامة هذه المشاريع ، إنقاذا للأجيال المسلمة القادمة من عواصف الإباحية والضياع والذوبان !!

جهاد في حقل الدعوة الإسلامية

الحق اقول وبدون مجاملة ، أنه بفضل جهاد فضيلة الشيخ تاج الدين مفتي استراليا ، وإمام المركز الإسلامي بسيدني في ميدان الدعوة قد هيأ المناخ الإسلامي في القارة الاسترالية الذي يؤتي ثماره الطيبة بين وقت وآخر في سبيل تصحيح المفاهيم الإسلامية في الولايات المختلفة ، عن طريق جولاته المتعددة فيها ، ومنها غرب استراليا ، حيث إن المسلمين بتلك الولاية ، (كنتيجة حتمية للجهل بأحكام الدين ، ولعدم وجود الدعاة المخلصين المتفقهين في الدين) كانوا يعتقدون بحل اكل الربا ، وشرب الخمور ، وتعاطي المخدرات ، وكذا حل زواج المسلمة من الكتابي : المسيحي واليهودي ، كما انهم كانوا يعمدون إلى تغريب الأسماء العربية .. هذا بالإضافة إلى تفشي لعب القمار بينهم ، وغير ذلك من التقاليد التي تتعارض مع قيم الإسلام وآدابه .. والأمل كبير في فضيلة مولانا الإمام الأكبر : إمام المسلمين الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر ان يتفضل مشكورا بإيفاد داعية او اكثر لمساعدة إمام المركز الإسلامي : في هذا الميدان الرحب الفسيح ، لنشر دين الله القويم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

رسم القرآن - بقية

وإلى من أراد الوقوف على المزيد من فن الرسم وفن الضبط لآى الكتاب العزيز أن ينظر فى المراجع التالية :

(١) كتاب المقنع فى مرسوم مصاحف أهل الأمصار .

(٢) كتاب النقط فى علم الضبط .

(٣) كتاب المحكم فى نقط المصاحف .

هذه الكتب الثلاثة من تأليف الإمام أبى عمرو الدانى - عثمان بن سعيد الدانى - المتوفى سنة اربع وأربعين وأربعمائة .

(٤) كتاب عقيلة اتراب القصائد فى أثنى المقاصد فى علم الرسم للإمام الشاطبى ، وشرحها علماء اجلاء كالإمام الجعبرى ،وملا على بن سلطان القارى ، والزبيدى وغيرهم .

(٥) فتح المنان فى رسم القرآن لابن عاشر .

(٦) كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق للإمام عبد الله بن عامر اليحصبى إمام الشام المتوفى ١١٨ هـ .

(٧) كتاب مقطوع القرآن وموصوله .

(٨) كتاب فى هجاء المصاحف ليحيى بن الحارث الزمارى الشامى المتوفى سنة ١٤٥ هـ .

(٩) كتاب مقطوع القرآن وموصوله للإمام حمزة بن حبيب الزيات المتوفى سنة ١٥٦ هـ .

(١٠) كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة ، وأهل البصرة تأليف الإمام الكسائى . المتوفى ١٨٩ هـ .

(١١) وألف الفراء المتوفى ٢٠٧ هـ كتابا فى اختلاف اهل الكوفة والبصرة والشام فى المصاحف - كتاب (معانى القرآن) كثيراً ما يتحدث عن هجاء بعض الكلمات ، وفيه روايات قيمة عن الكتابة العربية .

(١٢) كتاب عن العربية لخلف بن هشام المتوفى ٢٢٩ هـ .

(١٣) كتاب عن المصاحف لهشام بن خلف المتوفى ٢٢٩ هـ .

(١٤) كتاب هجاء السنة للغازى بن قيس الأندلسى المتوفى ١٩٩ هـ فى رسم المصحف .

(١٥) كتاب هجاء المصاحف لمحمد بن عيسى الاصبهانى المتوفى ٢٥٣ هـ .

(١٦) التنزيل لأبى داود سليمان بن نجاح . اختصره من كتابه الكبير فى علم الرسم ، ويقع فى مجلدات أربعة .

(١٧) كتاب الظرائف فى رسم المصاحف لابن الجزرى .

(١٨) اللؤلؤ المنظوم للإمام المتولى ، وشرحه الشيخ ابن خلف الحسينى شيخ المقارىء الأسبق .

(١٩) سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين للإمام الضباع .

(٢٠) إرشاد القراء والكاتبين وهو الكتاب الذى اخذ منه هجاء المصحف الأميرى . وهو أصح المصاحف التى بين ايدينا . تأليف أبى عيد محمد بن رضوان المخللاتى .

(٢١) رسم المصحف تأليف أخى العلامة الدكتور عبد الحى الفرماوى .

(٢٢) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية تأليف غانم قدورى الحمد .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى العظيم وعلى آله وصحبه وسلم .

مــع
" ندوة الجوانب الاقتصادية لأزمة الخليج "
التى أقيمت بمركز صالح كامل - بجامعة الأزهر
٦-٩ ذى القعدة ١٤١١ - ٢٠-٢٣ مايو ١٩٩١

إعداد: مجدى بشير
عادل خفاجة

● افتتحت الندوة بايات مباركة من اى الذكر الحكيم .

من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ٣٨ - ٤٠ من سورة الحج .

تلاها كلمة الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام على مدير المركز ومقرر عام الندوة .

فحمد الله وصلى وسلم على رسوله الكريم وآل بيته .

ثم قدم الشكر للحاضرين وفى مقدمتهم فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر .

وأوضح أن الهدف من تنظيم الندوة هو :

ــ تعميق الدراسة لهذه الأزمة، واستخلاص الحلول والنتائج عن طريق دعوة الباحثين والعلماء ليناقشوا مختلف الظواهر الخاصة بها .

شملت الندوة أربعين بحثا ودراسة متجنبة كل مايثير الخلاف ، ويستدعى الرأى والرأى الآخر وأوضح أن الندوة تتناول ثلاثة جوانب هى الجوانب : الاقتصادية والاجتماعية والتربوية .

الجانب الاقتصادى تناول عشر مشكلات تدور حول الطاقة والبترول والسياسة والاستثمار والأموال والقوى العاملة ، بين الدول الإسلامية جميعا .

وتناول الجانب الاجتماعى وما تلاه :

دراسة ميدانية حول تأثير الأزمة على الأسرة الكويتية .. بهدف معرفة نتائج الأزمة وبخاصة على الشعب الكويتى الذى قاسى أكثر من غيره متسائلة :

هل يمكن التجاوز ، وما أسلوب هذا التجاوز ؟

●●●

وجاءت كلمة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر : (ورئيس الندوة) تالية لكلمة الافتتاح :

اوضح فضيلته ان هذه الأزمة قد حاكتها أيد خفية وظاهرة .

وأن تلك الأزمة قد طمست عن العروبة والمسلمين آيات كان العالم من غير المسلمين يستشعرها دون أن يتحدث عنها : عز خالد وقوة كامنة ، كما وضح أن التاريخ الإسلامى لم يسمح للمسلمين بالاستمرار فى البكاء مهما ألمت بهم الملمات ، وإنما استحثهم على الصبر

ومدارسة الواقع ، وصح فيهم قول الله - تبارك وتعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ...... ﴾

وأوضح أن تلك الدفعات القرانية استثارت فى المسلمين حمية الوقوف على الأرض فى ثبات مهما اهتزت بهم الأحوال ، فامتدت دولتهم واتسعت رقعة دينهم من الصين شرقا حتى أوروبا غربا .

أى أن المسلمين اتخذوا من الكبوة قومة ، ومن المصيبة نبراساً ، ومن النكسة انطلاقا يوجههم إلى الله .

ثم طالب أن تكون توصيات المؤتمر صوب الأعين ، فهى توصيات صاغها علماؤنا ، ولا شك فى أن الله سيضعنا على الطريق خصوصاً ، ونحن نعلم إمكاناتنا وتكاملنا ، حيث جعل الله من أرضنا خيراً ، ومن تحت أرضنا خيراً ، مع وفرة فى القوى البشرية وتكامل فى القوى المادية .

●●●

ثم كانت كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية والرئيس الشرفى للندوة هى الثالثة ، وقد اشتملت عدة نقاط :

أولاها : أن أزمة الخليج حَدَث له مابعده ، فقد بلغت من الضخامة والعنف والبغى مبلغا يكاد لا يتصوره عقل ، فقد كان تدميراً واسع النطاق للبنية النفطية ، والصناعية والاقتصادية والصحية والتعليمية والإدارية والسكانية لدولة الكويت .

تدميراً ترك آثاره واضحة واسعة المدى غشيت العالم كله واقتحمت على كل إنسان نفسه وبيته ، فبلغ مجموع الخسائر التى تكبدتها الكويت مائة وثلاثين (مليار) دولار ، ولحق العراق تدمير بنحو مائتين وثلاثين (مليار) دولار بالإضافة للخسائر الناتجة عن تعطيل الإنتاج أو تدنى معدلاته على مدى شهور الأزمة والحرب بالإضافة إلى تلوث البيئة تلوثاً مرعبا اتسم بالسعة والكثافة والدوام ، ومازالت المشكلة وستستمر فترة طويلة تعانى منها المنطقة كلها .

ثم كان لها أثرها الدينى والفكرى :

فإنه بسبب التفريق الذاتى والكيد الخارجى تباعد المسلمون عن إسلامهم من جديد ، فغشيهم من المذلة والتخلف ما غشيهم ، وبدافع من دوافع التوبة والاعتبار اتجه المسلمون نحو إسلامهم من جديد ، حتى شكلت ما عرف بيقظة العالم الإسلامى ، وكان اندلاع الأزمة أحدث نكسة مريرة لهذه اليقظة ، وقد استُغِلَّ الإسلام فى هذه الأزمة أسوا استغلال ، مما كان له أثره السىء على سمعة المسلمين ، فقد صور الإسلام فى صورة المقر للعدوان ، المبارك للبغى ، فباءت اليقظة الإسلامية بما يشوه صورتها من جراء مواقف بعض تياراتها ورموزها .

أما على المستوى السياسى :

فقد أدت الأزمة إلى المزيد من الفرقة والانقسام السياسى الحاد والعميق .

فالجهود العربية التى بذلت - أثناء الحرب - بين العراق وإيران ؛ لتحقيق التقارب النسبى بين الدول العربية ؛ وليضمن الحد الأدنى من التفاهم والتعاون والتنسيق فى مواجهة تحديات إقليمية وهائلة وعالمية ؛ (سياسية واقتصادية واستراتيجية) قد أهدرتها أزمة الخليج ، واتسع من ثم نطاق الفرقة وحل محلها الريبة ، وسوء الظن والتربص .

ثم جاءت الضربة السياسية للقضية الفلسطينية ، فقد أقحمت القضية الفلسطينية فى محور صارخ الانحياز فى الأزمة ، ولم يكن ذلك الإقحام سوى تطوع لما يضر ولا ينفع ، ويؤخر ولا يقدم ، مما مكن الإسرائيليين فى ظل هذا الخطأ من القول : « بأن دعاة تحرير فلسطين قد

مع ندوة الجوانب الاقتصادية

ظاهروا احتلال الكويت ، وهو ظلم للقضية وأهلها .

هى - بلا شك - خسارة سياسية فادحة . لذلك يجب أن تبذل الجهود الصادقة فى المثابرة فى سبيل إزالتها .

وأكد على أن السبيل إلى إزالتها يتركز فى :

- التعرف الحق على أسباب الأزمة وحجمها ومضاعفاتها .
- والمصارحة التامة بين رجال السياسة والعلم والاقتصاد .
- المناصحة التامة : سبيل رئيسى فى إعادة بناء الأمة دينيا وفكريا وسياسياً واقتصاديا واجتماعيا على أسس صحيحة وراشدة .

وإن العودة الرشيدة الواعية إلى منهج الإسلام فى سائر شئون الحياة هى السبيل الوحيد الذى يشفى هذه الأمة من أسقامها وعللها .

وأنه لابد من إقامة العلاقات السياسية على أسس سليمة تقوم على أساس من الواقع لا على أساس من المصلحة الشخصية أو الظروف الوقتية .

- لابد من تعزيز الإرادة الجماعية التى تقضى على كل طغيان وظلم مهما كان مصدره وبدون مجاملة أو مداهنة .
- استنقاذ سمعة الإسلام : عن طريق كشف المستغلين لاسمه وشعاره ، وينبغى أن تجرى عملية الكشف بصورة دائمة حتى لا تكون هناك فجوات زمنية ينفذ منها الاستغلال والمستغلون .
- العودة السريعة إلى بناء التراث عبر الإنتاج الكثيف كما وكيفا ؛ فليس هناك وسيلة أجدى فى تعويض الخسائر الاقتصادية من وسيلة الإنتاج الواسع النطاق : الراقى نوعا والممتاز كيفا .

ثم كانت كلمة فضيلة الإمام الأكبر :

فأشاد بالندوة واعتبرها منهجاً رشيداً لما حوت من عناصر وموضوعات أملاً أن يسترشد فيها بمنهج القرآن الكريم ، فإن قصصه يقصد إلى تجنب أسباب هلاك الأمم .

وبشأن الخليج اعتبر ما حدث كارثة للجماعة الإنسانية كلهاحدثاً جعل ، كُلًّا يبحث عن موضع قدميه ، ليرى : أين يستقر » .

وقال : إن أولى بجمع الندوة هذا أن يقدم للعاملين فى حقل التربية والتعليم منهج الإسلام فى التربية لتنشأ الأجيال التى تقيم الأمة على ما كانت عليه من مجد وصدارة .

وإذا كانت الندوة من محاورها الاقتصاد ، فعلى رجال الندوة أن يضعوا وضعاً صحيحاً ثابتاً مقنناً القواعد الاقتصادية والإسلامية من القرآن والسنة .

ولابد من حاجة إلى إعادة النظر فيما أصاب جماعتنا الإسلامية من إصابات زلزلت الفكر ، والاقتصاد ، وأواصر القربى والمودة والرحمة . لابد من بسط الطريق الصحيح الذى يؤدى إلى وحدة عمل تنتهى إلى وحدة الأمة . ثم قال :

ولعلى لا أتفق مع الأخ الدكتور جعفر فى قوله : « مالنا وللسياسة إن للسياسة أهلها . ندعها لهم وندعهم لها » .. أقول :

إن السياسة - فى رأيى « تنفيذ » وليست « فلسفة » .. إن الإسلام دين ودنيا وسياسة أيضاً .. فإذا شَخُصت ولم تضع العلاج ، فلم تطلب التنفيذ .. فلا وجود - إذاً - لسياسة العمل ، وصار التشخيص « أكاديمياً » « نظرياً » فحسب والكتب مملوءة بهذا .

إننى أقول : « سياسة » لتنفيذ ما تنتهون إليه .. يجب أن تضعوها .. تبينوا كيف يُنَفَّذ ما درستم .. ضعوا خطة عمل تطلب تنفيذها .

وأرجو أن يثيبكم الله على ما بذلتم وتبذلون من جهد . وشكر الله لكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توصيات ندوة

"الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتربوية لأزمة الخليج"

المنعقدة في الفترة من ٦-٩ ذى القعدة عام ١٤١١هـ

الموافق ٢٠-٢٣ مايو ١٩٩١م

انطلاقا من اهتمام جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية بما يحدث على الساحة في العالم الإسلامي، ووفاء لرسالتيهما في خدمة الأمة الإسلامية تعاونت المؤسستان الإسلاميتان على تنظيم ندوة علمية برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر. عقدت بـ (مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي) التابع لجامعة الأزهر، وذلك لدراسة أسباب ازمة الخليج وآثارها واستشراف آفاق الأمة الإسلامية في ضوئها.

وقد تدارس أعضاء الندوة مايربو على الثلاثين بحثا، تناولت آثار الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية التي خلفها العدوان العراقي على الكويت. وبناء على ماجاء في هذه البحوث ومادار حولها من تعقيبات ومناقشات تبين لأعضاء الندوة ان النظام العراقي قد فتح باب الفتنة باجتياحه لدولة الكويت في الثاني من اغسطس عام ١٩٩٠ م وما ترتب على ذلك من آثار وتداعيات منها :-

١ - تداعي العالم الأجنبي لمواجهة الأزمة.

٢ - إبادة مئات الآلاف من شباب الشعبين وتدمير منجزاتهما الحضارية التي كافحا من أجل بنائها سنوات طوالا.

٣ - القضاء على البنية الاقتصادية والطاقة التنموية في البلدين.

٤ - اهتزاز الشعور بالامن بين أبناء القطرين بخاصة وبين الشعوب العربية بعامة.

٥ - الإضرار بالموارد الاقتصادية للأقطار العربية بخاصة، والأقطار الإسلامية بعامة.

٦ - إشاعة الفرقة والانقسام بين أبناء الأمة العربية بخاصة، وأبناء الأمة الإسلامية بعامة.

٧ - تلويث البيئة في منطقة الخليج، وتهديد الحياة البحرية فيه.

٨ - الإضرار البالغ بالقضية الفلسطينية.

٩ - بث موجات من التضليل الإعلامي من قبل النظام العراقي وبعض الدول الأخرى أحدثت بلبلة كبيرة في الأمة.

١٠ - تعزيز قدرات إسرائيل المادية والسياسية والعسكرية.

ويرى أعضاء الندوة أن تستنفر الأمة الإسلامية قدراتها لعلاج آثار هذه الأزمة وفق الثوابت الإسلامية، والمقاصد الشرعية، وذلك لمنع تكرارها.

وتحقيقا لذلك يوصون بالآتي :-

توصيات لجنة الجوانب الاجتماعية

(أ) إن من أسباب أزمة الخليج التقصير فى (تطبيق الشريعة الإسلامية) و (إهمال مبدأ الشورى الإسلامى) بصفة خاصة مما سمح للاستبداد بالرأى والانفراد بالسلطة أن ترتكب هذه الحماقة .

لذا تطالب الندوة الحكومات الإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية بصفة عامة ، والالتزام بمبدأ الشورى والتقيد به من جانب الحكام والمحكومين بصفة خاصة .

(ب) توصى المؤسسات التربوية والإعلامية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية للعمل على تحقيق :

- ترسيخ القيم الإسلامية فى نفوس أبناء الأمة ، والعمل على تنميتها والمحافظة عليها لتكون أساسا لسلوكهم فى جميع مناحى الحياة .

- ضرورة التنسيق بين أجهزة الإعلام ومؤسسات النشر فى الدول الإسلامية وفق استراتيجية واحدة .

- ضرورة الاعتماد على مصادر المعلومات الإسلامية ، وتوخى الحذر فيما يؤخذ من وكالات الأنباء الأجنبية .

- إعادة صياغة مناهج التربية وفق تعاليم الإسلام ، ونظرته للإنسان والكون والحياة والمعرفة ، والالتزام والاهتمام بها فى خطط التعليم بالعلوم الإسلامية التى تعمق الإيمان ، وتصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتمكن المسلم من التفرقة بين الحلال والحرام ، وتعمق شعوره بالهوية الإسلامية .

(جـ) البدء الفورى فى بناء التكامل الاقتصادى بين الأقطار الإسلامية بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتى فى مختلف المجالات وبخاصة مجالى إنتاج الغذاء وتصنيع السلاح .

(د) العمل على تنويع مصادر الدخل القومى فى مختلف الأقطار الإسلامية ، وبناء قاعدة صناعية إسلامية ، وضمان حق العمل والتملك والإقامة ، وتسهيل انتقال العمالة ورءوس الأموال فيما بين هذه الأقطار باعتبارها دار إسلام واحدة .

(هـ) تحث الندوة الحكومات فى الأقطار الإسلامية على تطوير النظم والقوانين الاستثمارية بما يشجع : التملك ، وجذب رأس المال العربى والإسلامى على الاستثمار فى هذه الأقطار .

(و) توصى الندوة بإعطاء الأولوية لمواطنى البلاد الإسلامية فى الاستثمار والعمل ، والتبادل التجارى واستثمار رءوس الأموال العربية والإسلامية فى بلاد المسلمين .

(ز) وتوصى بالمحافظة على احتياطى البترول ، وعدم الإسراف فى استخراجه ، وإعداد كوادر عربية للكشف والتنقيب عنه واستخراجه وتكريره وتصنيعه ، والعمل على تقليل المصدر الخام منه وزيادة المصدر منه مصنعا أو نصف مصنع ، وتوفير رءوس الأموال اللازمة لذلك .

(ح) وتوصى بوضع (استراتيجية) للتنمية تشمل مختلف البلاد الإسلامية وتضع الأسس اللازمة لإقامة البِنَى الاقتصادية والاجتماعية للأمة ، وتطوير المنظمات الاقتصادية وصناديق التمويل الموجودة فى العالم العربى والإسلامى لتقوم بهذه المسئولية فى إطار تنسيق عام يتولاه البنك الإسلامى للتنمية .

(ط)اتخاذ كافة الإجراءات التنظيمية والقانونية للحفاظ على سلامة البيئة ، ونشر الوعى البيئى بين أفراد الأمة ، والعمل المشترك على علاج الأضرار التى لحقت بالبيئة بسبب أزمة الخليج .

(ى) توصى الندوة الحكومات ومؤسسات

الإعلام فى الأقطار العربية بخاصة والإسلامية بعامة بتوجيه الإعلام توجيها إسلاميا وتطهره من التأثير العلمانى والمبادىء المناقضة لتعاليم الإسلام .

(ك) حث الدول الإسلامية على حل المنازعات التى تنشأ بينها بالطرق السلمية وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية على أساس الإسلام ، وعرض المنازعات بينها على (محكمة العدل الإسلامية) التى كشفت أزمة الخليج عن وجوب الإسراع فى تشكيلها وبدء عملها .

(ل) توصى الندوة بعقد عدد من المؤتمرات العلمية فى مختلف الأقطار الإسلامية لبحث قضايا التطور المستقبلى للأمة الإسلامية خلال القرن الحادى والعشرين الميلادى .

(م) توصى الندوة منظمة المؤتمر الإسلامى بالإسراع فى إخراج مشروع الدفاع المشترك بين الدول الإسلامية إلى الوجود ، وذلك من أجل تكوين قوة إسلامية تكون درعا إسلاميا واقيا للعالم الإسلامى من أية مؤامرات تحاك ضده .

(ن) تُنَبِّهُ الندوة إلى استغلال إسرائيل لتداعيات حرب الخليج فى استكمال مخططها التوسعى ، وتنامى الهجرة إليها ودعم قدراتها العسكرية والمادية وترسيخ احتلالها للأرض العربية بصفة عامة ، وللقدس بصفة خاصة ، وتوصى الحكومات والشعوب الإسلامية بوحدة الصف وجمع الكلمة للتصدى لهذا المخطط ، ودعوة الشعوب المحبة للسلام للتضامن معها فى رد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وإقامة دولته على أرضه .

(س) توصى المؤسستان المنظمتان للندوة (رابطة الجامعات الإسلامية ، وجامعة الأزهر) بتشكيل لجنة مشتركة لتبليغ هذه التوصيات للجهات المختصة باتخاذ القرار فى كل موضوع على حدة . وتجتمع كل ثلاثة شهور لمتابعة التنفيذ وترفع تقريرا بتوصياتها إلى المؤسستين المنظمتين للندوة .

١١ ـ وأخيرا فإن رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر قد اتفقتا على أن يستمر التعاون المثمر بينهما فى إخراج ندوات على هذا المستوى العلمى فى الأمور التى تهم الجامعات الإسلامية ، وشئون المسلمين بشكل عام .

وقد أعرب المشاركون فى الندوة عن شكرهم لجامعة الأزهر ومركز صالح كامل والمسئولين عن تنظيم هذه الندوة على ماقدموا من تيسيرات وتسهيلات أسهمت فى نجاح هذه الندوة .

ويسألون الله للجميع التوفيق

خطة عمل لتنفيذ توصيات الندوة

١ ـ سيقوم المركز بتشكيل لجنة مهمتها وضع استراتيجية لتنفيذ التوصيات ومتابعتها والاتصال بكافة الجهات والهيئات المعنية بتوصيات اللجنة فى مختلف الدول الإسلامية ، وعمل تقرير كل ثلاثة شهور عن التقدم فى تنفيذ التوصيات ، وكذا التهيئة الإعلامية الكاملة لوضع ماجاء من أفكار فى التوصيات موضع التطبيق العملى .

٢ ـ سترسل توصيات الندوة إلى متخذى القرار فى الجهات المعنية فى كل الدول الإسلامية ، ويطلب منها المبادرة إلى اتخاذ الخطوات اللازمة لوضعها موضع التنفيذ أو إبداء الملاحظات التى قد ترى أنها تقتضى التعديل أو التغيير .

٣ ـ ستعرض على منظمة المؤتمر الإسلامى ماجاء بتوصيات الندوة لتبنيها وعرضها على أقرب مؤتمر وزراء خارجية وأقرب مؤتمر قمة .

٤ ـ ستقوم بإرسال التوصيات إلى الجامعات ، ومراكز البحوث الإسلامية للعمل على إجراء البحوث والدراسات المساعدة .

٥ ـ سيتم إحاطة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتوصيات الندوة لتبنى ماجاء بها والعمل على إقناع الدول الإسلامية بأهمية تنفيذها فى الواقع العملى ، وكذلك عرضها فى مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

أنباء وآراء

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

انباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يشهد الجلسة الافتتاحية لمجلس محافظى البنك الإسلامى للتنمية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الجلسة الافتتاحية لمجلس محافظى البنك الإسلامى للتنمية الذى عقد فى القاهرة .

وقد أكد فضيلته فى الكلمة التى ألقاها أمام المجلس أن الإسلام جعل الأموال من الضرورات الخمس : (الدين - النفس - العرض - المال - النسل) التى ينبغى الحفاظ عليها وحمايتها وتنميتها بطرق مشروعة .

كما أكد فضيلته على أهمية وضع قاعدة رشيدة لحماية أموال المسلمين، وتنميتها لصالح الأمة الإسلامية .

•••••

الإمام الأكبر يلتقى والسيد سفير موريتانيا فى القاهرة

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته والسيد سفير موريتانيا فى القاهرة .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير الذى نقل لفضيلته تحيات وشكر الرئيس الموريتانى - أحمد بن معاوية ولد طايع - على ما يؤديه الأزهر الشريف من خدمات دينية وتعليمية وثقافية لموريتانيا .

تم خلال اللقاء بحث تدعيم أوجه التعاون بين الأزهر وموريتانيا فى مجالى التعليم والدعوة .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على مواصلة الأزهر لرسالته فى موريتانيا وكافة أنحاء العالم الإسلامى .

•••••

الإمام الأكبر يلتقى والقائم بالأعمال الإيرانى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم السبت ٩١/٥/١٨ والقائم بالأعمال الإيرانى .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر فى بداية اللقاء بالقائم بالأعمال الإيرانى الذى قال: إننى أحمل تحيات القيادة السياسية والدينية لفضيلة الإمام الأكبر ، والعلماء المصريين، والشعب المسلم المصرى .

وقد تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين

البلدين وبخاصة بين علماء مصر وإيران، وكذلك بين الجامعات المصرية والإيرانية .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء على ضرورة وحدة المسلمين أمام العالم فإنهم أمة واحدة ولا تشوه هذه الصورة الأمور المذهبية .

●●●●●

الإمام الأكبر يشهد الاحتفال بتخريج دفعة جديدة من الأئمة والدعاة

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الحفل الختامى للدورة الرابعة عشرة التى تنظمها الأزهر للأئمة والدعاة لدول « سنغافورة » ، و« يوغوسلافيا » و« سيريلانكا » و« مالى » و« الفلبين » و« نيجيريا » و« السنغال » و« الكاميرون » .

تأتى هذه الدورة ضمن الدورات التى ينظمها الأزهر الشريف بهدف توجيه الأئمة والدعاة وتأهيلهم للدفاع عن الإسلام والتصدى لحملات التشكيك ومقاومة الغزو الفكرى المعاصر .

●●●●●

إنشاء كلية للدراسات الإسلامية بباريس

وافقت السلطات التعليمية « بفرنسا » على طلب الاتحاد العالمى للمسلمين فى أوروبا بإنشاء كلية للدراسات الإسلامية على أن تمنح الكلية درجتى الماجستير والدكتوراة .

●●●●●

سيرلانكا تحتفل بمرور مائة عام على إنشاء مدرسة زهيرة التى أسسها أحمد عرابى

يحتفل المسلمون « بسيرلانكا » بمرور مائة عام على إنشاء مدرسة زهيرة التى أسسها الزعيم أحمد عرابى خلال فترة نفيه عام ١٨٩١ هناك .

وقد وجهت الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر لحضور هذا الاحتفال .

●●●●●

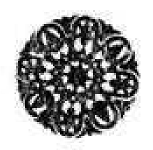
المسلمون بالصين

فى إحصاء بثته الإذاعة اللندنية نقلا عن وكالة الأنباء الإسلامية عن المسلمين بالصين .

ذكر فيه أن عدد المسلمين فى الصين بلغ حوالى ١٥ مليون مسلم فى كافة المدن والمناطق الصينية .

وقد تأسس مؤخرا المعهد الإسلامى الصينى لإعداد الأئمة والدعاة ، وقام المعهد بطبع ونشر القرآن الكريم وعقد الندوات وتدريس العلوم الدينية .

والجدير بالذكر أنه يوجد بالصين حوالى ٤٠ ألف مسجد .



قائمة المراجع

١ ـ ثلاثة لقاءات مع الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام الأول بتاريخ ٨٩/١١/٢٤ م والثانى : بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٠ والثالث بتاريخ : ١٩٩١/٥/٦ م بالمجمع .

٢ ـ الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة ط أولى ١٩٨٩ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

٣ ـ المجمعيون بقلم د . مهدى علام نائب رئيس المجمع الهيئة العامة للاستعلامات ط المجمع ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ص ٣٢٣ ، ٣٢٨ وغيرهما .

٤ ـ تقويم دار العلوم بمناسبة العيد الماسى يصدر لمرور (٧٥) عاما على المدرسة (١٨٧٢ ـ ١٩٤٧ م) فى مواضع متعددة لمحمد عبد الجواد ط : دار معارف مصر ص ٧٥٣ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ص ٦٤٧ ، ٦٥٠ .

٥ ـ مهمة الشاعر فى الحياة لسيد قطب ، تقديم د . مهدى علام ص ١٣ .

٦ ـ سجل أعضاء المجمع ص ٣ ،٤ ، ٥ ، ص ٣١ وهو سجل خاص بأعضاء مجمع البحوث الإسلامية .

٧ ـ الأزهر فى اثنى عشر عاماً من مطبوعات الأزهر بلا تاريخ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ .

٨ ـ مذكرات طلبة مدرسة المعلمين الناصرية العليا (دار العلوم) تأليف محمد مهدى علام طالب بمدرسة المعلمين الناصرية العليا ط ١٩١٩ .

٩ ـ فلسفة الكذب للدكتور محمد مهدى علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية ط ثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م . عن مكتبة التراث الإسلامى .

١٠ ـ لقاءان مع الدكتور محمد نايل ، والدكتور أحمد فهمى أبو سنة ، ولقاء مع الدكتور محمد رجب البيومى .

١١ ـ جلسات مجمع البحوث الإسلامية وخاصة الجلسة رقم (٩) من الدورة التاسعة للمجلس بتاريخ ١٩٧٣/٧/١ ، والجلسة السادسة من الدورة العاشرة بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢٣ .

١٢ ـ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ، طبعة المجمع ١٩٨٥ م .

١٣ ـ مدرسة المسجد للدكتور محمد رجب البيومى نسخة مهداة من المؤلف لكاتب المقال ـ ط ١٩٨١ م بتاريخ ١٩٩٠/٦/١٨ .

١٤ ـ جريدة الأهرام عدد الجمعة ١٩٩١/٥/٣ م ص ١٣ .

١٥ ـ خطاب شكر وتقدير من الدكتور همت أبو شبانة إلى الدكتور مهدى بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٥ م .

الفهرس السنوى للكتاب

إعداد
سيد أحمد الغرباوى
محمد زكى حسن

الفهرس السنوي للمقالات

المجلد الثالث والستون ١٤١١هـ

مرتبا حسب الحروف الهجائية

إعداد
أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
محمد عبد اللطيف عثمان

جرى الترتيب على نظم الحروف الهجائية بدون اعتبار (الـ) في اسم المقال فعلى الباحث في هذا الفهرس أن يسقط (الـ) من اسم المقال وينظر ما يليه ، وإذا كان (الـ) في علم فإنه يعتد به ويدرج في باب الألف

حـــرف الكاف

حـــرف الـلام

هدايا صدرت مع المجلة لعام ١٤١١هـ

عنوان الهدية	المؤلف	شهر الإصدار
● فتاوى الإمام النووى المسماة بالمسائل المنثورة .	إعداد الشيخ / احمد حسن جابر رجب	صدرت فى شهرى المحرم - صفر
● السيرة النبوية	الإمام / عبد الرحمن بن الجوزى	فى جزءين صدرت فى شهرى ربيع الأول ربيع الآخر
● الاقتصاد الإسلامى ودور الفقه فى تاصيله	الدكتور / على السالوس	جمادى الأولى
● البيان المبين فى علوم كتاب الله رب العالمين	فضيلة الشيخ / محمود عبد الحليم الرفاعى	جمادى الآخرة
● محمد المصطفى - ﷺ - دراسات مستمدة من القرآن الكريم عن بعض نواحى السيرة المحمدية العطرة	الأستاذ / عبد المنعم محمد عمر	رجب
● السنة والتشريع	الدكتور / موسى شاهين لاشين	شعبان
● العلوم الكونية فى التراث الإسلامى	الدكتور / احمد فؤاد باشا	رمضان
● رسالة فى صلاة الجمعة	لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق	شوال
● رسالة فى القصر والجمع	تاليف الشيخ / محمد محمود أبو حسن تحقيق / حلمى السيد ابو حسن	ذى القعدة
البنوك والاستثمار	تاليف الدكتور/ على السالوس	ذى الحجة

فهـــرس



«وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم» سورة الزخرف [آيه ٦١] ٤٨

فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب اليم، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ٤٩

سورة الدخان [آيه من ١٠ الى ١٢]

إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون، يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ٥٠

سورة الدخان [آية ١٥-١٦]

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع ٥١

نفسا إيمانها لم تكن آمنت. سورة الأنعام [آيه ١٥٨]

«لا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس» صحيح مسلم ٢٠٨/٨) ٥٢

«إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال حبة من الايمان إلا قبضته» ٥٣

صحيح مسلم (٧٦/١)

«يا معشر الجن والانس إن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان». ٥٤

سورة الرحمن [آيه ٣٣]

«إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا ٥٥

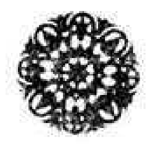
أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلنا لها حصيدا ٥٦

كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الأيات لقوم يتفكرون» سورة يونس [آية ٢٤]

«فهل ينظرون إلا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم». ٥٧

سورة محمد [آيه ١٨]

«يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» سورة الروم [آية ٧] ٥٨



٣٥ «اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة. قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»
صحيح مسلم (١٧٩/٨)

٣٦ «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» سورة يس [آية ٣٨]

٣٧ Al Bokhari (p. 426) البخاري

٣٨ «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»
رواه مسلم

٣٩ «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»
سورة النمل [آية ٨٢]

٤٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تقاتلون بين يدي الساعة قوما نعالهم الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه، صغار الأعين»
مختصر صحيح مسلم (م١٨٤/٨)

٤١ «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين»
سورة الأنبياء [آية ٩٦-٩٧]

٤٢ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري ح وحدثنا إسماعيل حدثني أخي عن سليمان عن محمد بن محمد بن أبي عتيق عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول : «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها ، قالت زينب ابنة جحش . فقلت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم ، إذا كثر الخبث» .
أخرجه البخاري

٤٣ حديث أنس بن مالك :
«عن النبي قال : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة. ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها. ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق»
أخرجه البخاري

٤٤ حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»
مختصر صحيح البخاري

٤٥ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا سعيد قال: «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال : يأتي الدجال، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثه فيقول: الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر، فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم. فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه
مختصر صحيح البخاري ص ٢٦١

٤٦ On désigne par le terme "Roum", les Chrétiens ou les Occidentaux

٤٧ عن يسير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا : يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال : فقعد وكان متكئا فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت : الروم تعني ؟ قال : نعم، ويكون عند ذاكم القتال ردة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة أخرى للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة. إما قال : لا يرى مثلها، وإما قال : لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا بأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ : إن الدجال قد خالفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة.
مختصر صحيح مسلم (١٧٧/٨-١٧٨)

La vanité et l'orgueil des hommes les ont poussés à croire qu'ils sont capables de gérer la vie de ce monde à leur propre gré. C'est ainsi qu'ils se sont écartés des enseignements divins en alléguant que les temps de la dévotion sont révolus pour laisser place à l'ère des lumières de la science.

L'homme en est arrivé à se prendre pour son propre dieu.

Nous avons pourtant été prévenus contre cet égarement par le Coran:

[La vie de ce monde est seulement comparable à une eau:
Nous la faisons descendre du ciel pour qu'elle se mélange à la végétation terrestre dont se nourrissent les hommes et les bêtes. Quand la terre revêt sa parure et s'embellit, ses habitants s'imaginent posséder quelque pouvoir sur elle. Notre ordre vient alors, de nuit ou de jour nous en faisons un champ moissonné, comme si, la veille, elle n'avait pas été florissante.

Nous expliquons nos signes de cette façon, à des hommes qui réfléchissent.]
Sour. "Jonas" (v. 24)[5]

En vain la Révélation divine et les Prophètes ont prévenu les hommes afin qu'ils s'en méfient; seuls les croyants y échapperont tandis que les incrédules seront pris au dépourvu comme en témoigne le Coran:

[Veillent-ils donc de peur que l'Heure ne les surprenne?
Les signes précurseurs ont déjà paru;
mais quand elle sera là, à quoi donc leur servira le Rappel qui leur a été adressé?]
Sour. "Mohammad" (v. 18)[6]

Car Allah connaît trop bien Ses créatures:

[Ils connaissent un aspect de la vie de ce monde
et ils sont indifférents à la vie future]
Sour. "Les Romains" (v. 7)[7]

Lorsque le monde prendra fin et avec lui le savoir humain qu'on croyait tout-puissant, alors les hommes découvriront à quel point leur science était superficielle et fragile. Les mécréants et les sceptiques seront placés devant une vérité évidente: leur orgueil les a égarés, parce qu'ils pensaient pouvoir régir l'univers. Ils se rendront compte de leur impuissance et sauront que tout ce qu ' Allah a dit était vrai: les anges, les djinns, les démons, le Paradis et l'Enfer existent effectivement.

Le Créateur leur dévoilera tout ce qu'ils s'obstinaient à nier parce qu'ils vivaient dans une fausse illusion qui les a égarés.

L'homme se rendra compte alors de sa faiblesse et de son impuissance et saura que seul Allah détient le Pouvoir.

[Notre Seigneur! Eloigne de nous ce châtiment!
Oui, nous croyons] Sour. "La Fumée" (v. 10 et 12)[49]

Cette fois la vengeance divine éclatera contre ceux qui, après avoir vu les signes d'Allah, s'en seront détournés:

[Nous allons éloigner momentanément le châtiment, mais vous y reviendrez certainement.
Le Jour où nous les saisirons avec une très grande violence, nous nous vengerons] Sour. "La Fumée" (v. 15-16)[50]

Les savants disent qu'aussitôt que l'un de ces signes majeurs se produira aucun repentir, aucune dévotion, aucun acte louable ne sera agréé par Allah.

[Qu'attendent-ils?
Sinon que les anges viennent à eux, ou que ton Seigneur vienne, ou qu'un Signe de ton Seigneur vienne?
Le Jour où un Signe de ton Seigneur viendra, la profession de foi ne sera d'aucune utilité à quiconque, avant cela ne croyait pas]
Sour. "Les Troupeaux" (v. 158)[51]

Un Hadith du Prophète (b.s.) cité dans ***Sahih Moslem*** nous apprend:

"L'Heure dernière ne s'abbatra que sur les pires des hommes."[52]

L'on se demande alors: qu'adviendra-t-il de ceux qui auront gardé la foi dans ces moments difficiles?

Un autre Hadith du Prophète (b.s.) nous l'apprend:

"Allah enverra un vent du Yémen, une brise aussi légère que la soie qui ne laissera aucun humain ayant gardé dans son cœur la moindre parcelle de foi sans prendre son âme."[53]

Ainsi, lorsque l'Heure dernière aura sonné, un vent favorable viendra prendre les âmes de ceux qui auront gardé la moindre parcelle de foi dans leur cœur. Alors, seuls les hommes mauvais seront laissés sur terre pour être témoins des spectacles horribles de la fin du monde.

CONCLUSION

Plus les civilisations progressent et plus Allah lance de défis aux humains:

[O peuple des Djinns et des hommes!
Si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites-le!
Mais vous ne les traverserez qu'à l'aide d'un pouvoir]
Sour. "Les Miséricordsieux" (v. 33)[54]

Lorsque les nouvelles découvertes se sont étendues à tous les domaines, les hommes en sont venus à croire que tout dans cet univers était leur propre création. Mais le Jour où le monde prendra fin, ils sauront que Celui qui leur a octroyé Ses bienfaits et leur a permis de découvrir les lois de l'univers est aussi capable de les en priver.

ne se réjouira pas d'un butin. Puis il désigna de la main Al Sham et dit: Des ennemis se préparent à attaquer les Musulmans et ces derniers se préparent au combat." Je demandais alors: "Tu parles des Romains?" [46]*Il répondit: "Oui, et la bataille sera alors féroce. Les Musulmans formeront un bataillon de soldats qui seront victorieux ou mourront. Ils se battront jusqu'à la tombée de la nuit et le matin il n'y aura ni vainqueur ni vaincu et le bataillon périra. Puis les Musulmans se rangeront une seconde fois, prêts à mourir ou à vaincre, et ils se battront jusqu'à la tombée de la nuit. Et à leur réveil il n'y aura point de vainqueur dans les deux clans. Puis les Musulmans se rangeront prêts à vaincre ou à mourir et ils se battront jusqu'au soir, et le bataillon périra.*

Le quatrième jour, le reste de la communauté islamique viendra à leur secours et ils se battront férocement dans un combat comme on n'en a jamais vu, à tel point que l'oiseau qui vien drait à passer par là tombera raide mort. Si les fils d'un même père sont au nombre de 100, il n'en restera qu'un seul. Donc comment se réjouira-t-on d'un butin ou partagera-t-on un héritage? Pendant qu'ils en seront là, on leur annoncera un malheur encore plus grand: on criera que l'Antéchrist se trouve dans leur pays. Alors, ils lâcheront ce qu'ils ont entre les mains pour rentrer chez eux. Mais ils enverront d'abord dix chevaliers en éclaireurs."[47]

5. **Le retour de Jésus sur terre,** ainsi annoncé par la Parole divine:
   [Jésus est, en vérité, l'annonce de l'Heure
   N'en doutez pas et suivez-moi
   Voilà un chemin droit.] *Sour. "L'Ornement" (v. 61)*[48]

   En effet, le dernier de ces signes sera le retour sur terre de Jésus, fils de Marie, qui n'est pas mort, mais qui a été élevé au ciel par Allah · Il reviendra pour tuer l'Antéchrist **(Al Daggal) Il suirra les préceptes de L'Islam et mourra comme tous les humains .**

   Dans un Hadith du Prophète (b.s.), Abou Horaïra rapporte que le Messager d' Allah a dit que Jésus, fils de Marie, descendra sur terre, qu'il présidera à la prière des Musulmans et qu'ensuite il tuera l'ennemi d ' Allah (l'Antéchrist) dont il leur montrera le sang sur sa lance.
6. **La Fumée** sera l'un des derniers signes majeurs de l'Heure dernière.

   Le ciel se remplira d'une fumée qui couvrira la terre entière et s'étendra partout. Cette fumée sera le châtiment divin destiné aux incrédules qui, aveuglés par l'orgueil, se seront détournés de la voie d 'Allah. En voici un témoignage du Coran:

   [Guette donc le jour où le ciel apportera une fumée bien visible qui
   enveloppera les hommes:
   voici un châtiment douloureux!]

   Alors, les hommes imploreront Allah de leur épargner ce supplice, tout en promettant de suivre la voie droite et d'être des croyants sincères. Mais, aussitôt que leur prière sera exaucée, ils retomberont dans l'égarement.

pire encore; nous avons été injustes."

Sour. "Les Prophètes" (v. 96/97)[41]

Zeinab, fille de Djahch, rapporte que l'Envoyé d Allah (b.s.), entra un jour chez elle tout troublé et lui dit: *"Il n'y a d'autre divinité qu'Allah; malheur aux Arabes! Un danger proche les menace: le barrage qui retenait Yagog et Magog a été ouvert de cette grandeur" et, en disant cela, il joignit les extrémites du pouce et de l'index en forme de cercle. Elle lui demanda alors: "O, Envoyé de Allah allons-nous tous périr alors qu'il y a parmi nous des gens vertueux?*

– Oui, répondit-il, si les crimes se multiplient."[42]

4. **L'Apparition du Messih-el-Daggal** (l'Antéchrist)

Sa presence sera une épreuve pour les humains. Il prétendra être le Christ, tuera un homme et le ressuscitera. Allah, par Sa toute- puissance lui accordera des pouvoirs sur la terre et sur les eaux. Ensuite Allah le rendra incapable d'accomplir des miracles; alors Jésus apparaîtra et le tuera.

Pour un croyant, l'Antéchrist sera facilement reconnaissable: il est borgne et son œil est saillant; sur son front est écrit en toutes lettres le mot "incroyant", mais seuls ceux qui ont la foi pourront le lire.

Anas Ibn Malik rapporte que le Prophète a dit: *"Il n'y a aucune ville que l'Antéchrist ne foulera de ses pieds. Il n'y aura d'exceptions que pour la Mecque et Médine. Il n'est aucune des ouvertures de cette dernière ville qui ne soit gardée par des anges placés en rangs. Ensuite, Médine et ses habitants subiront trois tremblements de terre, et Allah débarrassera la ville de tout mécréant et de tout hypocrite."*[43]

Selon Abou Horaïra, l'Envoyé d Allah (b.s.) a dit:

"A toutes les portes de Médine il y a des anges; aussi ni la peste ni l'Antéchrist ne pénétreront dans cette ville." [44]

Abou Saïd Al Khodary rapporte en outre que l'Envoyé d Allah a dit: *"L'Antéchrist viendra; il lui sera interdit d'entrer par l'une des portes de Médine.*

Il s'installera dans une des dépressions salines qui sont auprès de Médine. Ce jour-là, un homme, le meilleur des hommes –ou un des meilleurs hommes– ira le trouver et lui dira: "J'atteste que tu es l'Antéchrist dont l'Envoyé d Allah nous a parlé dans ses entretiens –Que penseriez-vous dira l'Antéchrist, si je tuais cet homme et si ensuite je le ressuscitais? Douteriez-vous de la chose? –Non, répondra-t-on." Alors il tuera l'homme et le ressuscitera, puis, quand ce dernier sera ressuscité le Médinois dira: "Par Allah! Je n'ai Jamais été aussi sûr de ce que j'ai dit de toi qu aujourd'hui. –Qu'on le tue! s'écriera l'Antéchrist. Mais il ne pourra plus rien contre lui." [45]

Avec l'apparition de l'Antéchrist, les combats se multiplieront comme le prouve ce Hadith cité dans ***Sahih Moslem***:

Yousayr Ibn Gaber raconte qu'un homme arriva alors qu'un vent rouge soufflait sur Koufa et dit:

"O Abdoullah Ibn Massoud, l'Heure dernière est arrivée." Puis il se mit sur son séant et ajouta: "L'Heure dernière arrivera lorsqu'on ne partagera pas d'héritage et qu'on

Ce mouvement régulier du soleil est donc prédéterminé par Allah: il va dans une seule direction et vers un but précis. A ce propos, Abou-Dzarr a dit: *"Le Prophète me demanda: "Sais-tu où va le soleil après s'être couché? – Allah et son Envoyé le savent mieux que moi, répondis-je. –Eh bien! reprit-il, il va se prosterner sous le Trône divin; puis il demande la permission de reprendre sa course et elle lui est accordée. Mais les temps approchent où le soleil en se prosternant essuiera un refus, où, demandant la permission,se la verra refusée, et Allah lui dira: "Retourne d'où tu viens!", alors il se lèvera du côté de l'Occident"*[37]

Ce jour-là les hommes auront la certitude que la fin du monde est proche et le repentir des incroyants sera vain, comme le montre le Hadith suivant cité par Moslem: *"Allah tend Sa main la nuit afin de recueillir le repentir de ceux qui ont péché durant la journée et Il tend Sa main le jour afin que ceux qui ont péché durant la nuit puissent se repentir, et ainsi de suite, jusqu'au jour où le soleil se lèvera à l'Occident."*[38]

2. **L'Apparition de la Daaba**

   C'est un animal étrange, tel qu'on n'en a jamais vu auparavant et qui sortira du Monticule d'Al Marwa à la Mecque.

   Certains disent que cette bête c'est le chameau du Prophète Saleh, qu'elle aura une taille gigantesque et qu'elle apparaîtra entre le lever du soleil et midi.

   Cette bête s'adressera ainsi aux hommes, selon la Parole divine:

   [Lorsque la Parole tombera sur eux, nous ferons, pour eux, sortir de terre une bête et celle-ci proclamera que les hommes ne croyaient pas fermement à nos signes]

   Sour. "Les Fourmis" (v. 82)[39]

   Certains savants disent que cette Daaba sera le premier de ces signes, alors que d'autres affirment que le lever du soleil à l'Ouest sera le premier des signes majeurs. Toutefois, le Prophète Mohammad (b.s.) a certifié que, quel que soit celui de ces signes qui apparaisse en premier, il sera immédiatement suivi par tous les autres, et cela sur une durée de quarante ans.

3. **Le démolition du barrage qui retient Yagoug et Magoug**

   C'est un peuple destructeur qui sèmera la discrode et la terreur parmi les hommes.

   Selon Abou Horaïra, le Prophète (b.s.) a dit:

   "Lorsque l'Heure arrivera vous combattrez un peuple d'hommes chaussés de poils, aux visages aplatis et rouges, et aux yeux étroits."[40]

Voici comment les présente le **Coran**:

[avant que les Ya'jouj et les Ma'jouj ne soient déchaînés;
ils se précipiteront alors, de chaque hauteur.
La promesse vraie approche.
Les regards de ceux qui furent incrédules se figent:
"Malheur à nous! Nous avons été insouciants à son égard;

Les Signes de l'Heure d'après le Coran et la Sunna (Suite)

Dr. Rokeya GABR

Les Signes Majeurs

Si, parmi les signes mineurs plusieurs se sont déjà produits, les signes majeurs, eux, marqueront le point de départ d'une série d'événements qui se succèderont rapidement.

Notons que l'apparition d'un des signes majeurs, entraînera tous les autres à sa suite dans un temps relativement court, tout comme les perles d'un collier filent les unes à la suite des autres.

Ces signes sont mentionnés dans le **Coran** et dans les **Hadiths** du Prophète Mohammad (b.s.)

Hozaïfa Ibn-Al-Sayed Al Ghaffary raconte que l'Envoyé d · Allah entra un jour chez eux pendant qu'ils se répétaient ses enseignements et récitaient le Coran. Le Prophète leur demanda alors: *"De quoi discutez-vous?"*

"De la fin du monde", répondirent-ils. Le Prophète leur dit alors: "Elle sera précédée par les six signes suivants:

- *De la fumée*
- *L'apparition du Messih-Al-Daggal (l'Antéchrist)*
- *L'apparition de la Daaba (une bête étrange douée de la parole)*
- *Le soleil se levant à l'Ouest*
- *Le retour de 'Issa Ibn Mariam (Jésus fils de Marie)*
- *Yagoug et Magoug*

Ces signes seront suivis de trois effondrements importants: : l'un à l'Orient, l'autre à l'Occident et le troisième dans la Péninsule d'Arabie. Enfin, un grand incendie en provenance du Yémen chassera les hommes vers le lieu du Rassemblement."[35]

1. **Le Soleil se lèvera à l'Ouest**

   On trouve dans la parole divine:

   [le soleil qui chemine vers son séjour habituel tel est le décret du Tout-Puissant, de celui qui sait]

   Sour. "Ya-Sin" (v. 38)[36]

   Ce mouvement régulier du soleil est donc prédéterminé par Allah: il va dans une seule direction et vers un but précis. A ce propos, Abou-Dzarr a dit: *"Le Prophète me demanda: "Sais-tu où va le soleil après s'être couché? – Allah et son Envoyé le savent mieux que moi, répondis-je. –Eh bien! reprit-il, il va se prosterner sous le Trône divin; puis il demande la permission de reprendre sa course et elle lui est accordée. Mais les temps approchent où le soleil en se prosternant essuiera un refus, où, demandant la*

REVUE AL AZHAR

SECTION FRANÇAISE

XII^{ème} Partie, 63eme Volume

Mois de «Dhu'L hijja» 1411 de l'Hégire

CONTENU

RAMADAN

1. Omar ibn Al Khattab.
The Resolution.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Roots of Wisdom.
"Practice Hardiness, Opulence does not Endure"
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SHAWAL

1. Omar ibn Al Khattab.
Muslims Inside Egypt.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Emancipation of Mankind.
By: Loutfy Ali Soultan.

ZU AL QIDDAH

1. Omar ibn Al Khattab.
The Gates of Babylon
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Worship is Indispensable to Mankind
By: Saad Moustafa Moustafa.

ZU AL HIJJAH

1. Omar Ibn Al Khattab
The Road to Alexandria.
By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Limelight of Theism
By: Ismail R. Al-Faruqi.



JUMMDAH AL ULLA

1. **Omar ibn Al Khattab.**
   Renewed Hostilities.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Roots of Wisdom.**
   Beware of Believer's Profundity.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

JUMMDAH AL-AKHERAH

1. **Omar ibn Al Khattab.**
   The Triump at Nahawand
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **Patience, A Human Virtue.**
   By: Loutfy Ali Soultan.

RAJAB

1. **Omar ibn Al Khattab.**
   The Fall of the Persian Empire.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Roots of Wisdom.**
   The Remembrance of Death.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SHAABAN

1. **Omar ibn Al Khattab.**
   The Campaign to Egypt.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Roots of Wisdom.**
   "Ask for Support and do not Despair"
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

INDEX TO YEAR 1411 HIJRAH



colonial powers. Islam is also progressively spreading in most countries of Western Europe, and the American continent.

This long history of confrontation and conflict gave rise to countless fallacies and fabrication designed to place Islam and its adherents in a bad perspective. These misunderstandings of Islam religion and culture, the antagonistic feelings and allegations, all became built in prejudices that are hard to shake off. Therefore, the student of Islam needs to take special care to approach the subject with genuine unprejudiced liberal ecumenic mind. The reward of such care will be great, revealing that Islamic doctrines are the basic realities of consciousness that produced the true genuine teachings of Judaism and Christianity.

The Muslim believes that Allah has created mankind and the whole cosmos certainly not in vain, but for a purpose. This purpose is that human beings may fulfill their ethical vocation, that they may perform good deeds. The scripture of Islam pictures the life of humans as a free competition among them for doing the better, the nobler, the greater deeds. On this account, mankind is the "khalifah" vicegerent of Allah on earth. The world Allah created is one of which mankind is effective in the realization of goodness, truth, beauty and love. Islam as a faith remains the strongest ideology for Muslims to adhere, ready to move them if they open their minds to its wisdom, their hearts to its appeal, and their arms to its energizing powers.

Excerpts from Writings by
The Late Dr. Ismail R. Al-Faruqi, Ph.D.
Professor of Islamic Studies
Temple University
Philadelphia - Pennsylvania, U.S.A.

faith. However, this should not close us off from sympathetic understanding of other religious traditions. Such inquiry reveals what we share in common with other religious beliefs, as well as what is genuinely unique about our own religious doctrines and traditions.

The question has been asked " Can someone understand a religion in which one does not believe " As the previous discussion indicates, belief in the doctrines of a certain religion is not prerequisite for studying or understanding its traditions. For the believer in the Divine Identity, the study of another religion other than one's own should enhance one's dimensions of faith in understanding of Truth and Reality. For the non-believer, the study of religious beliefs should be done without any agnostic inhibiting skepticism; in such case, new visions of perceptions of the human spirit will be conceptualized. The pivotal criteria is honest rationality in the process of the cognitive thought.

The Muslim religion is the most misunderstood of all world religions. The reasons for this are many and varied; primary among them is Islam's long confrontation with Christianity. When Islam arose in the seventh century A.D., it spread across continents with startling speed. Its political and social powers eventually eclipsed that of the Persian Empire to the east and the Roman Empire to the west, both of which were the greatest political and social organizations the world had ever known. The convincing logic of Islam's theological claims, the imperative need for its doctrinal teachings, the ennobling uplift of its pietism and morality, the pragmatic efficiency of its laws, the appeal of its universality, the ecumenism of its theme, and the moving commitment and liberality of its adherents - all these induced millions and persuaded them to join the ranks of Islam.

For a thousand years, Islam was unparalleled in its world power, affluence, high civilization and culture; coming close to making a conquest of all Europe. The military might of Europe was sent in Christian consortiums of crusades against Islam which were met with defeat and disaster. Campaigns launched by Christianity in Spain succeeded to bring to an end seven centuries of Islamic domination of the Iberian Peninsula. Only in the last two centuries, Europe succeeded in conquering the Muslim world and subjected it to colonial fragmentation and military occupation through unorthodox political intrigue. Even so, the faith of Islam continued to spread into Asia and Africa at a much greater pace than did Christianity, despite the support that Christian missionaries received from

socio-cultural traditions and not in vacuum, several profound consequences result. Religion cannot be independent from historical and social perceptions, and the theistic doctrinal teachings develop in conceptualization according to historical and socio-cultural influences. On the other hand, there is a mutual give and take relationship between any religion and its social environment. Religious doctrinal teachings have a profound influence on ethics, concepts, behavioural patterns, social logistics, political perceptions and economic activities; indeed on all aspects of human life.

As a consequence of the dominant pervasive influence of religion on the multi-focal aspects of human life; scholars of religion have observed that in traditional societies religion was never isolated, every meaningful act and value was considered to have a religious or sacred origin. Within modern untraditional societies, differentiation of religion from other aspects of life took place; actions and values became classified into either profane or virtuous. The crisis confronting nations during current times are not merely economic inflation, political instability, social upheaval, and class dissension. It is also one of poverty in values and convictions. The time has come when humanity must re-examine such basic questions as who we are, and where are we going - as individuals, as communities, and as nations. Current interests in religious ideologies by several human interests in religion ideologies by several human groups and scholars, the comparative analytical studies of various religious doctrines are resurgent responses to the crisis of integrated association identity which humanity is lacking in contemporary times.

The serious study of religion today is not only legitimate but very necessary. Today, we need all the forces we can command in order to restore the basic elements and sense of individual worth, moral community, and value orientation. The objective study of religion contributes to the attainment of such aspirations, and can assist in helping mankind to recover the awareness of our common humanity which has been overshadowed by our preoccupation with technological and material achievements. It has been popularly said, "mankind has conquered outer space at the expense of inner space". Therefore, the objective study of religion should be undertaken because of its inherent significance as a fundamental requirement of human wholesomeness; the study of religion is the study of mankind. The study of our own specific tradition from its own particular creedal or denominational perspective is justifiable as part of our profession of

The Limelight of Theism

By: Ismail R. Al-Faruqi, Ph.D.

The analytical study of the doctrinal teachings of the various creedal beliefs is in basic reality the study of the temporal sequential development of mankind through the ages. The axioms of credence embrace the deepest feelings of the human heart, and become part of the total integrated structure of every human society. In modern times, religion is studied as a cultural institution by sociologists, anthropologists, economics, psychologists, and various other disciplines of knowledge. Psychologists regard religion as an expression of an essential inherent human requirement. Philosophers view it as a system of thought or doctrinal conviction. Historians consider religion as a focal component of the intellectual and institutional development of mankind through the different eras of history. Sociologists and reformists visualize theistic doctrinal teachings as an organized system for the preservation of human values based on dialectics of Divine rationality.

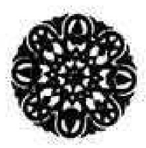
The exact definition of religion is certainly too complex to characterize. The horizons of human life that religion is identified with are so infinitely vast to include every facet of human existence. Religion is an expression of individual and collective identity, man's experience of obeisant submissive awe before transcendent Divine Providence, and the projected inner feeling of confident independent freedom. Since the scope of human life that religion is identified with is so extensive, and that religious doctrinal teachings are so variable and implicative; one may correctly conclude that the study of religion constitutes essentially the intimate study of mankind.

The processes of religious implementation include Belief in the Supreme Transcendent Being - The Creator; Ritual Actions of prescribed performances and observances; Ethical actions conforming with Divine Law; and the formation of Doctrinal Systems and communities. Some scholars of religion, envisage religion in terms of certain experience that expresses itself in intention, thought, action of both individual and collective human functions. Since religions develop within particular historical and

ibn Al-Aas. One of the clauses of the treaty dictated the exact arrangements by which the defeated Roman troops were to evacuate Alexandria, and all other placed on Egyptian soil.

During November 641 AD, the twentieth year of Hijrah, the Muslim warriors triumphantly occupied Alexandria, the capital city of Egypt, the bride and pride of the Eastern Byzantine Roman Empire. The ostentatious pageantry of stately grandeur of both Hellinic and Byzantine cultural civilizations was portrayed in the characteristic architectural splendor of the city. The images visioned across the span of time are the portraits of the chart and compass of human endeavors,the voices forever echoing across the centuries. The imprints of history were vivid in spectacular magnificence to the Muslim warriors as they walked through the broad avenues of the city. The "Pillar of Deqledunas", the Serabium, and the famous light house were few of the milestones marking the chronicles of former times. In a message from Amre ibn Al-Aas to Omar ibn Al-Khattab, Amre said "The Muslims have by Allah's providence captured Alexandria, a city that I am unable to describe". The messenger of Amre ibn Al-Aas to Omar ibn Al-Khattab was Muawiyah ibn Huddayj. He presented to Ameer Al-Mumineen the conditions of truce between the Muslims and Egyptians; also, the articles determining the details of the Roman evacuation from Egypt.

Al-Muqawqas had returned to Egypt from exile after the death of Heraclius during the reign of Constantine. Al - Muqawqas remained in Alexandria where he was buried after his death. Qirous also died in Alexandria. The Roman Byzantine household was decaying, the grandson of Heraclius, Constanse the son of Constanstine had ascended the throne at Constantinople. The Roman presence in Egypt was eradicated on the hands on the triumphant Muslims, and the capture of the capital city of Alexandria. There remained few Roman pockets scattered through the country which the Muslims had to clear. With Divine Providence, the triumph at Alexandria totally established Egypt subject to Muslim domination; and Amre ibn Al-Aas was the undisputed champion of the Egyptian Campaign.



sheltered behind the strong fortifications without risking confrontation with the Muslims on open ground.

At Al-Madinah, Omar ibn Al-Khattab was impatiently awaiting news of the capture of Alexandria. He considered that Muslims were detained at the gates of Alexandria. After rigorous analysis of the situation, Omar ibn Al-Khattab concluded that Muslim warriors at the gates of Alexandria had lost their rigid hardness and were yielding to soft flaccid life. He wrote to Amre ibn Al-Aas accusing him and the men of losing the love of martyrdom for the love of life. Some form of detachment from true Faith must have afflicted the Muslims besieging Alexandria. There was an air of discontent at Al-Madinah, and there was no other explanation, except that some deterioration in spirit had befallen the Muslims. Omar ibn Al-Khattab in his message finally instructed Amre ibn - Al Aas to preach the man, join in collective prayer, purify the intention, concentrate upon the aim, offer one's life for the cause of Allah; supreme redemption is the outcome of maximum sacrifice for the purpose to establish the words of Allah over all others. On receipt of the message, Amre ibn Al-Aas became very actively involved in drawing the strategy for the capture of Alexandria. He addressed the men, reading to them the details of the letter from Omar ibn Al-Khattab, the accusations, and the words of advise and exhortation.

Most chroniclers agree that the siege of Alexandria lasted for about five months. The exact circumstances leading to the attack of Alexandria are not narrated in the literature in detail. Most annals describe that Amre ibn Al-Aas ordered his men to attack, and commissioned Ubadah ibn Al-Samet to command the charge of the assault. The ultimate outcome of this great battle was the decisive undisputed triumphant victory for the Muslims. The Roman legions were killed in battle, retreated to the sea by boats, or were disbanded. It is very regrettable and markedly disappointing that all chronicles are devoid of the details of the battle of Alexandria; how the Muslims stormed the city and succeeded to capture its fortifications, how the Romans defended and how they finally lost. What were the justifications for the Muslim victory, and the reasons for the Roman defeat. Such matters in the annals of history are of great important significance in the analysis of the social, psychological, cultural, and religious patterns of the thought, behaviour, action, commitment and function of human groups during that era in history. The absence of such important details regarding the battle of Kiryaon, and the surrender of Alexandria constitute a major breach of discontinuity in the annals of Muslim occupation of Egypt and the expulsion of Romans out of this important part of the Byzantine Roman Empire. The final acts to establish Muslim victory, and the surrender of Alexandria to Muslims was the treaty of truce. That treaty was arranged, planned and organized by Al-Muqawqas, Chief of the Egyptian Coptics and the Roman - selected Christian priest Qirous. After repeated negotiations, the truce treaty was signed by Amre

Muslim warriors were stunned and overwhelmed with amazement by the spectacular beauty they were witnessing. They gazed in wondrous awesomeness at the expanse of the sea extending to the endless horizon. They observed with astonishing amazement at the marvel of architecture, the places and gardens, the fortresses and great walls, the domes of cathedrals and the towers of churches. The musiums, temples, mausoleums, emporiums and serabium were all emblems of the great metropolis. The magnificent greatness of the city exhibited the patterns of both the Hellinistic and Roman cultures with the utmost spectacular radiance.

The ardent zeal of Muslim warriors could not stop at the walls of the great city, instigating them to storm the city as a final act of force against the Romans. Amre ibn Al-Aas soon discovered his mistake, ordering his men to retreat behind the range of Roman fireballs and stones. The Roman commander Theodore had ordered the Romans defeated at Kiryaon to take shelter behind the strong walls of Alexandria, and to utilize its solid fortresses to defend the city. Amre ibn Al-Aas realized that storming the city was beyond his capability, he decided to besiege the city and prepare his strategy for subsequent events. Alexandria was well fortified with the sea at its north with total authority of Romans; lake Mariout at the south, a barrier impossible to cross; and the canal on the west. The only road to Alexandria was from the East, the road from Kiryaon where the city was very heavily fortified. The Roman legions at Alexandria understood precisely that the defence of the capital city was the last hope for Roman occupation of Egypt.

Amre ibn Al-Aas continued the siege of Alexandria, however, afraid that his men would become idle and fall into tedious monotony of no action, he decided to engage them into very active duties. He dispatched contingents to ensure security and order in all territories of the Delta and as far south as the province of Fayoum. Abd-Allah ibn Huzafah Al-Sahmii to lower Delta, Kharijah ibn Huzafah Al-Adawii to Upper Egypt, Umayr ibn Wahb Al-Gumahii to north east of Delta, and Uqbah ibn Amer Al-Guhnii to middle of the Delta. Amre ibn Al Aas himself remained in command of the siege of Alexandria. These Muslim contingents certainly succeeded in establishing Muslim dominance and signed truce arrangements with the native populations. This actively kept the Muslim warriors continuously active and fit for combat. Such expeditions exploited the various parts of Egypt, and at the same time spread and ascertained Muslim authority over these various parts. The whole country from Fayoum to the north of the Delta became subject to Muslim jurisdiction according to the pacts of truce that were signed. Alexandria remained within the safety of its great bastions, receiving provisions and supplies from the sea. The Muslims remained on the siege of Egypt's capital maneuvering for a final assault to overtake the city. The Roman legions remained

of Muslims. The Roman troops exhibited on the battle ground all forms of tactical strategy, chivalry, courage, warcraft and the skill of soldiership. The fortified bastions of Kiryaon were supporting their rear, they comprehended fully that the outcome of the battle of Kiryaon was to decide the ultimate end of Roman presence in Egypt. The Muslim warriors were fighting with all the faith, courage, gallantry, and stamina of confidence with prayers pounding with every throbbing heart beat. The audacity of daring bravado drove the desert hardened Muslim warriors to acts superhuman exploits of heroic valiant fortitude. The violent acrimonious fighting continued for several days, favouring the Muslims one day, and the Romans the other. Amre ibn Al-Aas ordered his men to offer prayers, that Allah alleviates their fear, grants them support by strength and patience. The battle cries of Muslim warriors were words of encouragement and defiance, "the spirit of man in battle is ahead of him, not behind; the body must advance to join the spirit". "The Gardens of Eden are the eternal dwellings of martyrs". The fierce fighting continued for days, each party fervently battling for survival through triumph. After the elapse of ten days, the Roman solidity and endurance began to fail, their zeal decreased, and despair spread among their ranks. The Muslim warriors grew more daring and more desiring for martyrdom; they had come a long way since they crossed the eastern frontiers of Egypt; the horizons of ultimate victory were within reach, they could not fail at that very last stride. They pressed hard with supreme vivid gallant agility, penetrating into the Roman ranks, and infiltrating Roman positions. The Romans retreated and finally broke down against the Muslim advance. After more than ten days of battle, the Romans retreated to Alexandria, and Amre ibn Al-Aas triumphantly entered Kiryaon.

The battle of Kiryaon, in spite of its very great importance and significance did not acquire the reputation it deserves as one of the great battles of Muslim occupation in Egypt. In the literature surveyed, there is no analysis of the circumstances that resulted in the outcome of the battle. Several aspects for analysis had been postulated by the various chroniclers. Whatever the actual circumstances were, the Muslim triumph at Kiryaon was decisive and final; paving the road to the capital city of Egypt, the last hope and stronghold for the Romans. The native Egyptian population were certainly anti-Roman, and also very apprehensive of Muslim intentions. They did not offer any help or assistance either to the Romans, nor to the Muslims. They watched the contention as spectators outside the ring, not taking sides with any party. Certainly some Egyptians sided with the Romans, and others sided with the Muslims for personal interests, or religious justifications. The major bulk of the Egyptian masses detested Roman presence in Egypt, and were also apprehensive with anxious perturbing concern as to the outcome of Muslim presence in Egypt.

The Muslim triumph at Kiryaon,instigated Amre ibn Al-Aas and his men to march with all ardency towards Alexandria. When the great city became within vision, the



Amre ibn Al-Aas left Babylon during May 641 AD at the head of the major bulk of Muslim warriors, and accompanied with him some Coptic chiefs whom he selected to act as his advisors and mediators. As the Muslims moved north, they occupied Neqious in the lower Delta north of Menouf which the Muslims had previously captured. The victory of Muslims over the Romans at Tarnout was a prelude to the Romans defeat at Neqious. The Muslim warriors were advancing towards Alexandria along the west bank of the Nile; and after the triumph at Neqious, Amre ibn Al-Aas instructed his men to pause, and comb the whole territory in search for Roman pockets. Having secured the rear, Amre moved continuously with utmost prudence keeping the Nile to his right as he travelled north. At Sultays six miles south of Damanhour, the Roman prepared to make a standing confrontation against the Muslims. After heavy fighting, the Roman were defeated in an open ground battle. The retreating bulk of the Roman army gathered at Kiryaon the last series of fortresses before Alexandria. At Kiryaon, all Roman legions assembled from all the territories north of the Delta. The Roman commander Theodore decided to make Kiryaon the final defence line before Alexandria.

The Roman commander Theodore planned his strategy to defend Alexandria by arresting the Muslim advance at Kiryaon. Theodore marched out of Alexandria leading great masses of Roman troops to add to the strength of the Roman military strength at Kiryaon. The city was well fortified by strong fortresses, and was directly connected by road to the capital. Every military strategy and preparation was optimized to ensure Roman victory over the advancing Muslims.

The numbers of Muslims arriving with Amre ibn Al-Aas to the outskirts of Kiryaon are not well documented in the literature. Different chroniclers present various postulations, however, the most rational speculation presumed that the numbers of Muslim warriors that reached Kiryaon was approximately fifteen thousand. This theorization was based upon the consideration that Omar ibn Al-Khattab was continuously in contact with Amre ibn Al-Aas and had intimate knowledge of every detail concerning Muslim presence in Egypt. This purports to the inference that Omar ibn Al-Khattab must have sent reinforcements to Egypt after the battle of Babylon, as part of the preparations to advance to Alexandria. Amre ibn Al-Aas made use of the Egyptian nomad bedouins in services from the Muslim warriors, road building, acquisition of supplies and provisions, however, none of these were involved in actual combat against the Romans.

The Muslim warriors advanced toward Kiryaon to engage the Roman troops in what is described as the most ferocious of all Muslim Roman battles on Egyptian soil. The number of Roman forces actually present on the battlefield was at least ten times that

OMAR IBN AL-KHATTAB

The Road To Alexandria

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

During the time of the Roman occupation of Egypt, Alexandria was the capital city of the country. The city was founded in 332 BC by Alexander the Great; it was well planned, four miles in length and about two miles in width, with streets crossing at right angles. The light house considered one of the seven wonders of the world was built on the island of Pharos in 280 B.C. The island was later connected to the mainland by an isthmus called the Heptastadium. The city contained famous architectural monuments including the Temple of Serapis, the Temple of Paseidon, the Mausoleum of Alexander the Great and that of Ptolemies, musiums, theaters, emporiums, and famous cultural centres. The famous Alexandrian Library, founded by Ptolemy I gave the city the unchallenged reputation of being the literary and scientific center of the Hellenistic world. Later, under the Roman occupation, the city location made it the center of world trade between East and West. The city of Alexandria gained the pontific fame of a great metropolis because of its geographic and cultural significance throughout the Hellenic and Roman occupation of Egypt. The great city remained to reflect the architectural, monumental and cultural magnificence of both civilizations.

The Byzantine Roman Empire started to show signs of collapse after the Roman defeat in Syria and Palestine on the hands of Muslim crusaders. In Egypt, conditions were no better, and the Romans were again failing in every confrontation against the Muslim warriors. The Roman catastrophe reached its maximum after the death of Heraclius, the imperial household was disintegrating under the impact of conspiracy and intrigue. The heirs of Heraclius schemed against one another to reach absolute authority. This chaotic turmoil undermined the prestigious potency and authority of imperial sovereignty, which affected mostly the preservation of the integrity of the Roman Empire. This state of conflicting dissension in the imperial house resulted in the sudden unexplained death of Constantine the older son of Heraclius. Roman supplies and reinforcement to Egypt were repeatedly aborted due to the irresponsible authority of the imperial court. The Muslim warriors had occupied Babylon, and were energetically planning a strategy to march towards Alexandria, the capital city of Egypt, and by far the most strongly fortified. The permission was granted by Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah for the Muslims to advance to Alexandria.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART XII
Zu Al - HIJJAH 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION